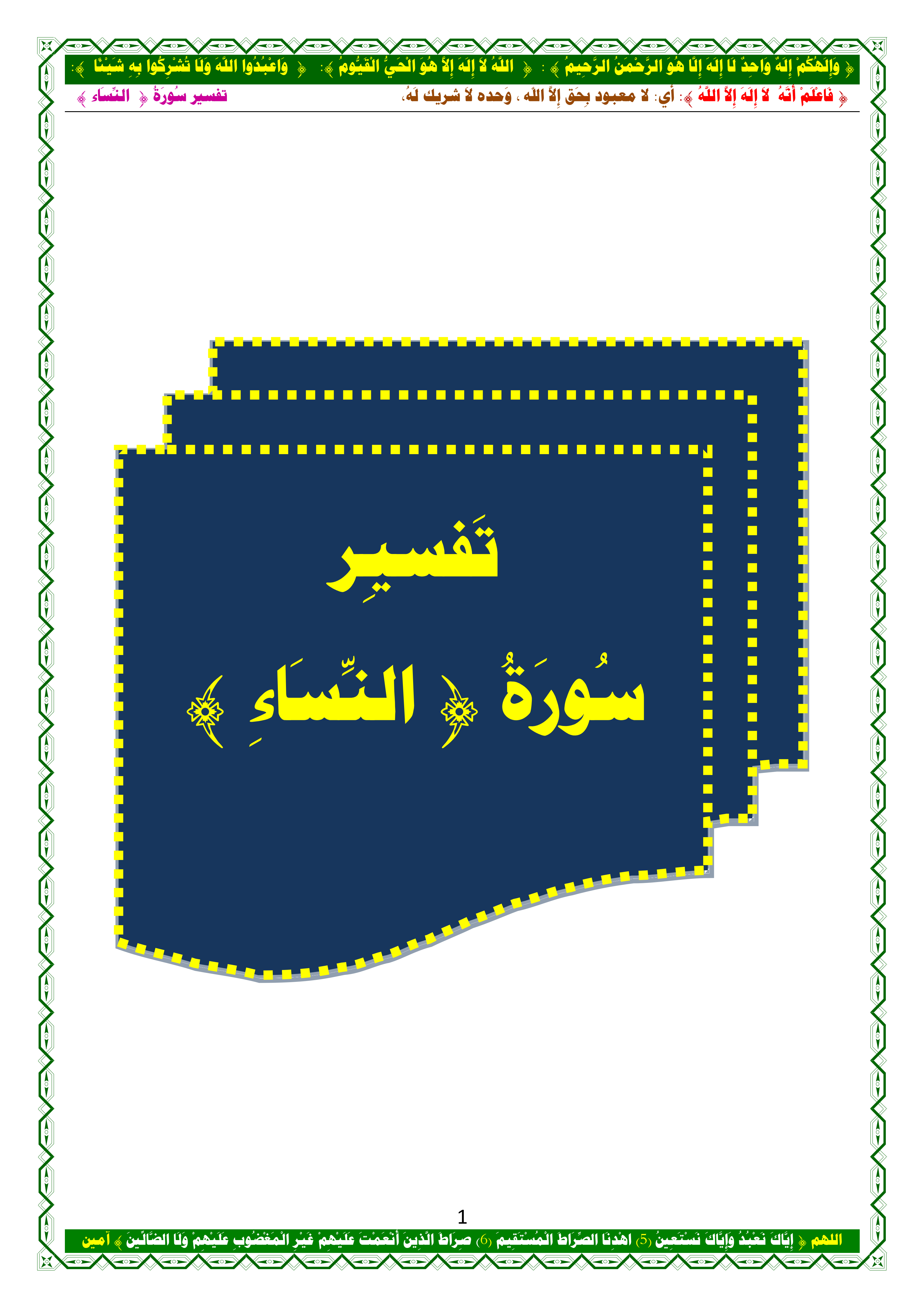
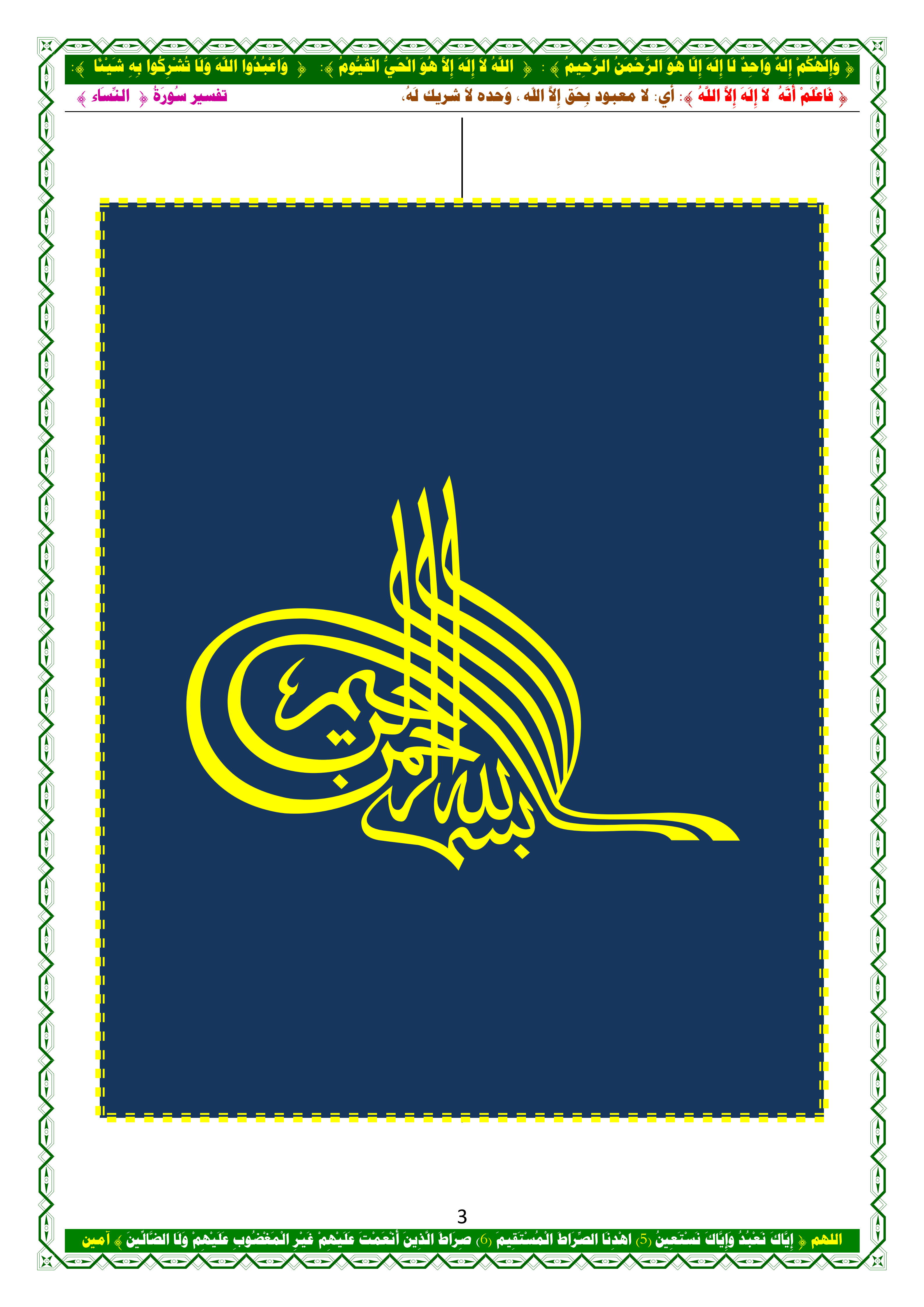

﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ : ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم ﴾: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾:
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾: أي: لا معبود بِحَق إِلاَّ الله ، وَحده لاَ شريك لَهُ،
تفسير سُورَةُ ﴿ النِّسَاء ﴾
تَفسِير
سُورَةُ ﴿ النِّسَاءِ ﴾
1
اللهم ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ آمين


بسم الله الرحمن الرحيم



سُورَةُ ﴿ النِّسَاءِ ﴾

ترتيبها (4)... **آياتها** (176)... (**مدنية**)

وحروفها ستةَ عَشَرَ ألفًا، وثلاثون حرفًا، وكَلِمُاتها ثلاثةُ آلافٍ وتسعُ مئةٍ وخمسٌ وأربعونَ كلمة. (1)

سورة (النساء) فضلها:

انظر: حديث: ((من أخذ السبع الأول من القرآن فهو خير)).

تقدم في فضل سورة (البقرة).

* * *

﴿ التَّفْسِيرُ ﴾

سُمِّيت بذلك لذكر النساء فيها وتفصيل كثير من أحكامهن.

* * *

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ ﴾

تنظيم المجتمع المسلم من داخله من خلال حفظ الحقوق الاجتماعية والمالية، إزالة لرواسب الجاهلية وتركيزًا على حقوق النساء والضعفاء. (2)

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1) وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (2) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (3) وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (4) وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (5) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (6)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَالَ: الإمام (الْحَاكِمُ) في (مُسْتَدْرَكِه): حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا أَبُو البَخْتَرِي عَبْدُ اللَّهِ بن محمد شاكر، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ العَبْدِي، حَدَّثَنَا مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ، عَنْ مَعْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) برقم (2/ 81). للإمام (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/ 77). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

قَالَ: إنَّ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ لخمسَ آيَاتٍ مَا يَسُرُّني أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} الْآيَةَ،

وَ {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ} الْآيَةَ،

وَ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} .

وَ {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ} الْآيَةَ،

وَ {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}

ثُمَّ قَالَ: هَذَا (إِسْنَادٌ صَحِيحٌ) إِنْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ سَمِعَ مِنْ أَبِيهِ، فَقَدِ اخْتُلِفَ فِي ذَلِكَ (1).

وَقَالَ: الإمام (عَبْدُ الرَّزَّاقِ): أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ فِي خَمْسِ آيَاتٍ مِنَ (النِّسَاءِ): لَهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا}

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} .

وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} .

وَقَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} .

رَوَاهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ): ثُمَّ رَوَى -مِنْ طَرِيقِ- صَالِحٍ الْمُرِّيِّ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: ثَمَانِي آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي سُورَةِ (النِّسَاءِ) هِيَ خَيْرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ،

أُولَاهُنَّ: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

وَالثَّانِيَةُ: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} .

وَالثَّالِثَةُ: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} .

ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ (ابْنِ مَسْعُودٍ) سَوَاءً، يَعْنِي فِي الْخَمْسَةِ الْبَاقِيَةِ.

وَرَوَى الإمام (الْحَاكِمُ) مِنْ طَرِيقِ أَبِي نُعَيمٍ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ" سَمِعْتُ (ابْنَ عَبَّاسٍ) يَقُولُ: سَلُونِي عَنْ سُورَةِ (النِّسَاءِ)، فَإِنِّي قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَأَنَا صَغِيرٌ. ثُمَّ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ (2)، صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. (3)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

(1) أخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (305/2).

(2) أخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (301/2).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في بداية سورة (النساء) قبل الآية (1)، للإمَامُ (ابن كثير).

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

يا أيها الناس، اتقوا ربكم، فهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي أبوكم آدم، وخلق من آدم زوجه حواء أمكم، ونشر منهما في أقطار الأرض بشرًا كثيرًا ذكورًا وإناثًا، واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضًا به بأن يقول: أسألك بالله أن تفعل كذا، واتقوا قطْع الأرحام التي تربط بينكم، إن الله كان عليكم رقيبًا، فلا يفوته شيء من أعمالكم، بل يحصيها ويجازيكم عليها. (1)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الناس خافوا الله والتزموا أوامره، واجتنبوا نواهيه" فهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، وخلق منها زوجها وهي حواء، ونشر منهما في أنحاء الأرض رجالا كثيرًا ونساء كثيرات، وراقبوا الله الذي يَسْأل به بعضكم بعضًا، واحذروا أن تقطعوا أرحامكم. إن الله مراقب لجميع أحوالكم. (2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى أوجدكم من نفس واحدة، وأنشأ من هذه النفس زوجها، وخلق منهما رجالاً كثيراً ونساء، فأنتم جميعاً تنتهون إلى تلك النفس الواحدة، واتقوا الله الذى تستعينون به فى كل ما تحتاجون، ويسأل باسمه بعضكم بعضاً فيما تتبادلون من أمور، واتقوا الأرحام فلا تقطعوها قريبها وبعيدها، إن الله دائم الرقابة على أنفسكم، لا تخفى عليه خافية من أموركم، ومجازيكم عليها. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يا أَيُّهَا النَّاسُ} ... يا بنى آدم.

{يأيها النَّاس} ... أَيْ: أَهْل مَكَّة.

{اتَّقُوا رَبَّكُمْ} ... أَيْ: عِقَابه بِأَنْ تُطِيعُوهُ.

{الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} ... آدَمَ.

{الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} ... فرعكم من أصل واحد، وهو نفس آدم أبيكم.

{وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} ... حَوَّاء بِالْمَدِّ مِنْ ضِلْع مِنْ أَضْلَاعه الْيُسْرَى.

{وَبَثَّ} ... فَرَّقَ وَنَشَرَ.

{مِنْهُمَا} ... مِنْ آدَم وَحَوَّاء.

{رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} ... كَثِيرَة.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ} ... فِيهِ إدْغَام التَّاء فِي الْأَصْل فِي السِّين وَفِي قِرَاءَة بِالتَّخْفِيفِ بِحَذْفِهَا أَيْ تَتَسَاءَلُونَ.

{بِهِ} ... فِيمَا بينكم حِين يَقُول بَعْضكُمْ لِبَعْضٍ أَسْأَلك بِاَللَّهِ وَأَنْشُدك بِاَللَّهِ .

{وَ} اتَّقُوا {الْأَرْحَام} أَنْ تَقْطَعُوهَا وَفِي قِرَاءَة بِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى الضَّمِير فِي بِهِ وَكَانُوا يَتَنَاشَدُونَ بِالرَّحِمِ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (77/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (77/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (105/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} حَافِظاً لِأَعْمَالِكُمْ فَيُجَازِيكُمْ بِهَا أَيْ لَمْ يَزَلْ متصفا بذلك.

{وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} ... يعني : حواء،

{وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} ... عطف على محذوف، كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها، أو ابتدأها وخلق منها زوجها، وحذف لدلالة المعنى عليه.

أو هو عطف على خَلَقَكُمْ ويكون الخطاب في يا أَيُّهَا النَّاسُ للذين بعث إليهم رسول الله- صلّى الله عليه وآله وسلم-، ويكون المعنى: خلقكم من نفس آدم، لأنهم من جملة الجنس المفرع منه، وخلق منها أمكم حواء.

{وَبَثَّ مِنْهُمَا} ... نَشَرَ وَأَظْهَرَ،

{وَبَثَّ مِنْهُمَا} ... نوعي جنس الإنس، وهما الذكور والإناث.

{رِجَالًا كَثِيراً وَنِسَاءً} .... ما تسلسل منهما.

{تَسَاءَلُونَ بِهِ} ... أي: تتساءلون، أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم أفعل كذا، أو تسألون غيركم بالله والرحم.

{وَالْأَرْحَامَ} ... بالنصب عطفا على لفظ الجلالة، أو على محل الجار والمجرور.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} ... أَيْ: حَافِظًا.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):

قوله : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} أما خلقكم من نفس واحدة، فمن آدم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مقاتل بن حيان): (وَبَثَّ مِنْهُمَا) من أدم وحواء، يقول خلق منهما رجالا كثيرا ونساء. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- وبإسناده عَن (ابْن عَبَّاس) فِي قَوْله تَعَالَى {يَا أَيهَا النَّاس} عَام وَقد يكون خَاصّا {اتَّقوا رَبَّكُمُ} أطيعوا ربكُم {الَّذِي خَلَقَكُمْ} بالتناسل {مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} من نفس آدم وَحدهَا وَكَانَت نفس حَوَّاء فِيهَا {وَخَلَقَ مِنْهَا} من نفس آدم {زَوْجَهَا} حَوَّاء {وَبَثَّ مِنْهُمَا} خلق بالتوالد من آدم وحواء {رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً} خلقا كثيرا ذكرا وَأُنْثَى {وَاتَّقُوا الله} أطيعُوا الله {الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ} بِحَق الله الْحَوَائِج والحقوق بَعْضكُم من بعض {وَالْأَرْحَامَ} بِحَق الْقَرَابَة والأرحام إِن قُرِئت بِنصب الْمِيم يَقُول وصلوا الْأَرْحَام وَلَا تقطعوها معطوفة إِلَى قَوْله وَاتَّقوا الله {إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} حفيظاً يسألكم عَمَّا أَمركُم من الطَّاعَة وصلَة الْأَرْحَام. (3)

* * *

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (1).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (1).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (1). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} {النساء: 1} يَعْنِي: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

{وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} يعني: حواء، {وَبَثَّ مِنْهُمَا} نَشَرَ وَأَظْهَرَ،

{رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ} أي: تتساءلون به.

قِراءَات: {وَالْأَرْحَامَ} قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِالنَّصْبِ، أَيْ: وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا، وَقَرَأَ (حَمْزَةُ) بِالْخَفْضِ، أَيْ: بِهِ وَبِالْأَرْحَامِ كَمَا يُقَالُ: سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ وَالْأَرْحَامِ، وَالْقِرَاءَةُ الْأُولَى أَفْصَحُ لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَكَادُ تُنَسِّقُ بِظَاهِرٍ عَلَى مُكَنًّى إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُعِيدَ الْخَافِضَ فَتَقُولُ: مَرَرْتُ بِهِ وَبِزَيْدٍ، إِلَّا أَنَّهُ جَائِزٌ مَعَ قِلَّتِهِ، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} أَيْ: حَافِظًا.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):-

في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} {النساء: 1}.

افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك.

وبيَّن السبب الداعي الموجب لكل من ذلك، وأن الموجب لتقواه أن {رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} ورزقكم، ورباكم بنعمه العظيمة، التي من جملتها خلقكم.

{مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} ليناسبها، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور، وكذلك من الموجب الداعي لتقواه تساؤلكم به وتعظيمكم، حتى إنكم إذا أردتم قضاء حاجاتكم ومآربكم، توسلتم بها بالسؤال بالله. فيقول من يريد ذلك لغيره: أسألك بالله أن تفعل الأمر الفلاني" لعلمه بما قام في قلبه من تعظيم الله الداعي أن لا يرد من سأله بالله، فكما عظمتموه بذلك فلتعظموه بعبادته وتقواه.

وكذلك الإخبار بأنه رقيب، أي: مطلع على العباد في حال حركاتهم وسكونهم، وسرهم وعلنهم، وجميع أحوالهم، مراقبا لهم فيها مما يوجب مراقبته، وشدة الحياء منه، بلزوم تقواه.

وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد -ليعطف بعضهم على بعض، ويرقق بعضهم على بعض. وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به.

وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام والأزواج عموما، ثم

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (1).

بعد ذلك فصل هذه الأمور أتم تفصيل، من أول السورة إلى آخرها. فكأنها مبنية على هذه الأمور المذكورة، مفصلة لما أجمل منها، موضحة لما أبهم.

وفي قوله: {وخلق مِنْهَا زَوْجَهَا} تنبيه على مراعاة حق الأزواج والزوجات والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج، فبينهم وبينهن أقرب نسب وأشد اتصال، وأقرب علاقة.(1)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- أخبرني أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الحميد الصنعاني. بمكة، ثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد، أنبا (عبد الرزاق)، أنبا (معمر) عن (عبد الله بن طاوس) عن (أبيه) عن (ابن عباس) -رضي الله عنهما- (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ). قال: إن الرحم لتقطع وإن النعمة لتكفر وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء أبداً ثم قرأ (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جميعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) قال: وقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((الرحم شجنة من الرحمن وإنها تجيء يوم القيامة تتكلم بلسان طلق ذلق فمن أشارت إليه بوصل وصله الله ومن أشارت إليه بقطع قطعه الله)).(2)(3)

* * *

أخرج - الإمام (الطبري) - و (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما) - (بسندهما الحسن) -عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: (اتقوا الله الذي تساءلون به)، واتقوا الله في الأرحام فصلوها.(4)(5)

* * *

قال: الإمام (ابنُ أبي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أحمد بن سنان، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان ح وثنا الأشج، ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد) قوله: (اتقوا الله الذي تساءلون به) قال: يقول أسألك بالله وبالرحم.(6)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإمام (ابنُ أبي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مجاهد): قوله: (إن الله كان عليكم رقيباً) قال: حفيظاً.(7)

* * *

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (1)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (301/2) –(302) - (كتاب: التفسير)، (سورة النساء)، ووافقه الإمام (الذهبي)، هذا حديث (صحيح على شرط الشيخين) ولم يخرجاه بهذه السياقة.

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) الجزء المرفوع من الحديث، برقم (ح 5988-5989) - (كتاب: الأدب)، / باب: (من وصل وصله الله). (من حديث -عائشة- وأبى هريرة- بنحوه).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (1).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (1).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (1).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (1).

انظـر: تفسـير (التقـوى) في الآيـة (102) مـن سـورة – (آل عمـران). – كمـا قـال تعـالى: {يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّـهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} .

* * *

قـال: الإمَـامْ (مُسْـلِم) – (رحمـه الله) – في (صـحيحه) - (بسـنده):- حـدثنا يحيـى بـن يحيـى، أخبرنـا يحيـى بـن زكريـاء، عـن الأعمـش، عـن أبـي سـفيان عـن (جـابر) قـال: سمعـت الـنبي – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – قبـل وفاتـه بـثلاث يقـول: ((لا يمـوتن أحـدكم ألا وهـو يحسـن بالله الظن)).(1)

* * *

قـال: الإمَـامْ (الترمـذي) – (رحمـه الله) – في (سُـنَنِه) - (بسـنده):- حـدثنا محمـود بـن غـيلان. حـدثنا أبـو داود. أخبرنـا شـعبة عـن الأعمـش عـن (مجاهـد) عـن (ابـن عبـاس) أن رسـول الله – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – قـرأ هـذه الآيـة (اتقـوا الله حـق تقاتـه ولا تمـوتن إلا وأنـتم مسـلمون) قـال: رسـول الله – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -: ((لـو أن قطـرة مـن الزقـوم قطـرت في دار الـدنيا لأفسـدت علـى أهـل الـدنيا معايشـهم فكيف بمن يكون طعامه)).(2)

* * *

قـال: الإمَـامْ (ابْـنُ أَبِـي حَـاتِمٍ) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- حـدثنا أحمـد بـن سـنان: حـدثنا عبـد الـرحمن عـن سـفيان وشـعبة عـن زبيـد اليـامي، عـن مـرة، عـن (عبـد الله) هـو - (ابـن مسـعود) - (اتقـوا الله حـق تقاتـه) قـال: أن يطـاع فـلا يعصـى، وأن يـذكر فـلا ينسـى، وأن يشكر فلا يكفر.(3)

* * *

قـال: الإمَـامْ (الطـبري) – والإمَـامْ (ابـن أبـي حـاتم) – (رحمهمـــــا الله) - في (تفســـيرهما):- (بســـندهما الحسـن) - عـن (علـي بـن أبـي طلحـة) - عـن (ابـن عبـاس) قـال: قولـه: (اتقـوا الله حـق تقاتـه) أن يجاهـدوا في الله حـق جهـاده ولا يأخـذهم في الله لومـة لائـم ويقومـوا لله، بالقسـط ولـو علـى أنفسـهم وآبـائهم وأبنـائهم.(4)(5)

* * *

قـال: الإمَـامْ (الطـبري) – (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- (بسـنده الحسـن) - عـن (قتـادة): قولـه: (يـا

---

(1) (صَـحِيح) : أخرجـه الإمَـامْ (مُسْـلِمْ) في (صـحيحه) بـرقم (4/ 2205)، (ح 2877) – (كتـاب : الجنـة وصـفة نعيمهـا)، / بـاب: (الأمـر بحسـن الظـن بـالله ..).

(2) أخرجـه الإمَـامْ (الترمـذي) في (السـنن) بـرقم (4/706-707) – (كتـاب صـفة الجنـة)، / بـاب: (مـا جـاء في صـفة شـراب أهـل النـار)، (ح 2585)، وقـال: (حديث حسن صحيح).

وأخرجـه الإمَـامْ (ابـن ماجـة) في (السـنن) بـرقم (ح 4325). – (كتـاب : الزهد)، / باب: (صفة النار) ،

وأخرجه الإمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (1/300-301)

وأخرجـه الإمَـامْ (ابـن حبـان) في (صـحيحه) - (الإحسـان) بـرقم (16/511)، (ح 7470)

وأخرجـه الإمَـامْ (الحـاكم) في (المسـتدرك) بـرقم (2/294) – مـن طـرق –عـن (شعبة) به.

قـال: الإمَـام (الحـاكم): (صـحيح علـى شـرط الشـيخين) ولم يخرجـاه، وأقـره الإمام (الذهبي).

ذكـره و نقلـه الشـيخ : (أ. الـدكتور: (حكمـت بـن بشـير بـن ياسـين) في (موسـوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة : الأولى)، برقم (1/ 443).

(3) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمـام (ابـن أبـي حـاتم) في سـورة (آل عمران) الآية (102).

(4) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) لِلإمَـامْ (الطـبري) في سـورة (آل عمران) الآية (102).

(5) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمـام (ابـن أبـي حـاتم) في سـورة (آل عمران) الآية (102).

أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا أنتم مسلمون) ثم أنزل التخفيف واليسر، وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه، فقال: (فاتقوا الله ما استطعتم) فجاءت هذه الآية، فيها تخفيف وعافية ويسر.(1)

* * *

قال : الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)}

يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا خَلْقَهُ بِتَقْوَاهُ، وَهِيَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَى قُدْرَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُمْ بِهَا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ آدَمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ {وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} وَهِيَ حَوَّاءُ، عَلَيْهَا السَّلَامُ، خُلِقَتْ مِنْ ضِلعه الْأَيْسَرِ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظَ فَرَآهَا فَأَعْجَبَتْهُ، فَأَنِسَ إِلَيْهَا وَأَنِسَتْ إِلَيْهِ.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ، فَجُعِلَ نَهْمَتُهَا فِي الرَّجُلِ، وَخُلِقَ الرَّجُلُ مِنَ الْأَرْضِ، فَجُعِلَ نَهْمَتُهُ فِي الْأَرْضِ، فَاحْبِسُوا نِسَاءَكُمْ.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: ((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ)) (2).

وَقَوْلُهُ: {وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} أَيْ: وذرأ مِنْهُمَا، أَيْ: مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، ونشرهم فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ، ثُمَّ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَعَادُ وَالْمَحْشَرُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأرْحَامَ} أَيْ: وَاتَّقُوا اللَّهَ بِطَاعَتِكُمْ إِيَّاهُ،

قَالَ: (إِبْرَاهِيمُ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ): {الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ} أَيْ: كَمَا يُقَالُ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وبالرحم.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي بِهِ تَعَاقَدُونَ وَتَعَاهَدُونَ، وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا، وَلَكِنْ بَرُّوهَا وصِلُوها، قَالَهُ (ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالرَّبِيعُ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: {وَالْأَرْحَامِ} بِالْخَفْضِ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى الضَّمِيرِ فِي بِهِ، أَيْ: تَسَاءَلُونَ بِاللَّهِ وَبِالْأَرْحَامِ، كَمَا قَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} أَيْ: هُوَ مُرَاقِبٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ كَمَا قَالَ: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} {الْبُرُوج: 9}.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (102).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3331) - (كتاب: أحاديث الأنبياء).

و أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1468) - ((كتاب: الرضاع)، من حديث (أبي هريرة) - رضي الله عنه.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: ((اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))(1) وَهَذَا إِرْشَادٌ وَأَمْرٌ بِمُرَاقَبَةِ الرَّقِيبِ" وَلِهَذَا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ أَصْلَ الْخَلْقِ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ واحدة" ليعطف بعضهم على بَعْضٍ، وَيُحَنِّنَهُمْ عَلَى ضُعَفَائِهِمْ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، مِنْ حَدِيث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ مُضَرَ -وَهُمْ مُجْتَابُو النِّمَارِ -أَيْ مِنْ عُرِيِّهِمْ وفَقْرِهِم -قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} {الْحَشْرِ:18} ثُمَّ حَضَّهم عَلَى الصَّدَقَةِ فَقَالَ: ((تَصَدَّقَ رجُلٌ مِنْ دِينَارِه، مِنْ دِرْهَمِه، مِنْ صَاعِ بُرِّه، صَاعِ تَمْرِه ...)) وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ(2).

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، وَأَهْلُ (السُّنَنِ) عَنِ (ابْنِ مَسْعُودٍ) فِي خُطْبَةِ الْحَاجَةِ(3) وَفِيهَا ثُمَّ يَقْرَأُ ثَلَاثَ آيَاتٍ هَذِهِ مِنْهَا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} الْآيَةَ(4).

* * *

[٢] ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

وأعطوا أيها الأوصياء- اليتامى (وهم: من فقدوا آباءهم ولم يبلغوا الحُلم) أموالهم كاملة إذا بلغوا وكانوا راشدين، ولا تتبدّلوا الحرام بالحلال" بأن تأخذوا الجيِّد النفيس من أموال اليتامى، وتدفعوا بدله الرديء الخسيس من أموالكم، ولا تأخذوا أموال اليتامى مضمومة إلى أموالكم، إن ذلك كان ذنبًا عظيمًا عند الله(5).

* * *

يَعْنِي:- وأعطوا مَن مات آباؤهم وهم دون البلوغ، -وكنتم عليهم أوصياء- أموالهم إذا وصلوا سن البلوغ، ورأيتم منهم قدرة على حفظ أموالهم، ولا تأخذوا الجيِّد من أموالهم، وتجعلوا مكانه الرديء من أموالكم، ولا تخلطوا أموالهم بأموالكم" لتحتالوا

---

(1) رواه بهذا اللفظ الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير)، و (الحافظ ابن عساكر) في (تاريخ دمشق) كما في التهذيب (106/3) - من حديث (أبي الدرداء) رضي الله عنه، ولعل (الحافظ ابن كثير) يقصد بهذا الحديث حديث (جبريل) الطويل الذي رواه (عمر بن الخطاب)- (رضي الله عنه)،

قال: الشيخ (أحمد شاكر) في (عمدة التفسير) (98/3): اللفظ المعروف في حديث سؤالات جبريل، من حديث (عمر بن الخطاب)، أت جبريل سأل فقال: ((فأخبرني عن الإحسان)) "أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ".

وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (17/1) .

وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (28) .

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (184).

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1409).

وأما لفظ الذي هنا، فقد رواه (أبو نعيم) في (الحلية) برقم (8/202-203)، - من حديث (زيد بن أرقم).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1017) – ((كتاب : الزكاة).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (358/4).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (1)، لِلإِمَامْ (ابن كثير). .

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (77/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

بـذلك علـى أكـل أمـوالهم. إن مـن تجـرأ علـى ذلك فقد ارتكب إثمًا عظيمًا. (1)

* * *

يَعْنِـي:- وملّكـوا اليتـامى مـا يسـتحقون مـن مـال، واحفظـوه لهـم، ولا تعطـوهم الـرديء وتحرمـوهم الجيـد، ولا تأخـذوا أمـوالهم وتضـيفوها إلى أمـوالكم، إن ذلـك كـان إثمـاً كبيراً. (2)

* * *

{وَآتُـــوا الْيَتَـــامَى أَمْـــوَالَهُمْ} قولــه:
{وَآتُــوا} خِطَــابٌ لِلْأَوْلِيَــاءِ وَالْأَوْصِــيَاءِ، وَالْيَتَــامَى: جَمْــعُ يَتِــيمٍ، وَالْيَتِــيمُ: اسْــمٌ لِصَــغِيرٍ لاَ أَبَ لَــهُ وَلاَ جَــدَّ، وَإِنَّمَــا يُــدْفَعُ الْمَــالُ إِلَــيْهِمْ بَعْــدَ الْبُلُــوغِ، وَسَــمَّاهُمْ يَتَــامَى هَاهُنَــا عَلَــى مَعْنَــى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَامَى،

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الْيَتَــامَى} ... الــذين مــات آبــاؤهم فــانفردوا عنهم.

{أَمْــوَالَهُمْ} ... أي: لا يطمــع فيهــا الأوليــاء والأوصياء.

{وَلاَ تَتَبَــدَّلُوا الْخَبِيــثَ بِالطَّيِّــبِ} ... أي: ولا تسـتبدلوا الحـرام، وهـو مـال اليتـامى، بالحلال، وهو ما أبيح لكم من المكاسب.

{وَلاَ تَتَبَدَّلُوا} ... لا تستبدلوا،

{وَلاَ تَــأْكُلُوا أَمْــوَالَهُمْ إِلَى أَمْــوَالِكُمْ} ... أي: لا تضـموها إليهـا فـى الإنفـاق، حتـى لا تفرقـوا بـين أمـوالكم وأمـوالهم قلـة مبـالاة بمـا لا يحـل لكم.

{وَلاَ تَــأْكُلُوا أَمْــوَالَهُمْ إِلَــى أَمْــوَالِكُمْ} ... أَيْ: مَــعَ أَمْوَالِكُمْ،

كَقَوْلِــهِ تَعَــالَى: {مَــنْ أَنْصَــارِي إِلَــى اللَّــهِ} {آل عمران: 52} مَعَ اللَّهِ،

{إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} ... إثما عظيما.

{حُوبًا} ... إثمًا. {أي: الإثمُ والذَّنْبُ}.

{حُوبًا} ... ذنبا عظيما.

قَــالَ: الإمـــام (الْبُخَـــارِيُّ) بـــرقم (ج6/ص44): {حُوبًا}: إِثْمًا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قــال: الإمَــام (إبــن كــثير) – (رحمــه اللّه) – في (تفســيره):- {وَآتُــوا الْيَتَــامَى أَمْــوَالَهُمْ وَلا تَتَبَــدَّلُوا الْخَبِيــثَ بِالطَّيِّــبِ وَلا تَــأْكُلُوا أَمْــوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (2)}

يَــأْمُرُ تَعَــالَى بِــدَفْعِ أَمْــوَالِ الْيَتَــامَى إِلَــيْهِمْ إِذَا بَلَغُــوا الْحُلُــمَ كَامِلَــةً مُــوَفَّرَةً، وَيَنْهَــى عَــنْ أَكْلِهَــا وَضَــمِّهَا إِلَــى أَمْــوَالِهِمْ" وَلِهَــذَا قَــالَ: {وَلا تَتَبَــدَّلُوا الْخَبِيــثَ بِالطَّيِّــبِ} قَــالَ: (سُــفْيَانُ الثَّــوْرِيُّ)، عَــنْ أَبِــي صَــالِحٍ: لاَ تعْجَــلْ بِــالرِّزْقِ الْحَــرَامِ قَبْــلَ أَنْ يَأْتِيَــكَ الــرِّزْقُ الْحَــلاَلُ الَّــذِي قُدِّرَ لَكَ.

وَقَــالَ: (سَــعِيدُ بْــنُ جُبَيْــرٍ): لاَ تَبَــدَّلُوا الْحَــرَامَ مِــنْ أَمْــوَالِ النَّــاسِ بِــالْحَلاَلِ مِــنْ أَمْــوَالِكُمْ، يَقُــولُ: لاَ تُبَــذِّرُوا أَمْــوَالَكُمُ الْحَــلاَلَ وَتَــأْكُلُوا أَمْــوَالَهُمُ الْحَرَامَ.

وَقَــالَ: (سَــعِيدُ بْــنُ الْمُسَــيَّبِ، وَالزُّهْــرِيُّ): لاَ تُعْطِ مَهْزُولًا وَتَأْخُذْ سَمِينًا.

(1) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (1/77)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير)،
(2) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (1/105)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر)،

وَقَالَ: (إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي، وَالضَّحَّاكُ): لا تُعطِ زَائِفًا وَتَأْخُذْ جَيِّدًا.

وَقَالَ: (السُّدِّي): كَانَ أَحَدُهُمْ يَأْخُذُ الشَّاةَ السَّمِينَةَ مِنْ غَنَم الْيَتِيم، وَيَجْعَلُ فِيهَا مَكَانَهَا الشَّاةَ الْمَهْزُولَةَ، وَيَقُولُ شَاةٌ بِشَاةٍ، وَيَأْخُذُ الدِّرْهَمَ الجَيِّدَ وَيَطْرحُ مَكَانَهُ الزَّيْفَ، وَيَقُولُ: دِرْهَمٌ بِدِرْهَمٍ.

وَقَوْلُهُ: {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جبَيْر)، وَ(مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّان)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(سُفْيَانُ بْنُ حُسَيْن): أَيْ: لا تخلطوها فتأكلوها جميعا.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس): أَيْ إِثْمًا كَبِيرًا عَظِيمًا.

(ابْنُ مَرْدَوِيْه)، وَ(الْحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكه) مِنْ حَدِيث عَلِيِّ بْنِ عَاصِم، عَنْ حُمَيد الطَّوِيل، سَمِعْتُ (أَنَس بْنَ مَالِك) يَقُولُ: أَرَادَ أَبُو طَلْحَةَ أَنْ يُطَلِّقَ أُمَّ سُلَيم فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ طَلَاقَ أُمِّ سُلَيْم لَحُوبٌ" فَكَفَّ (1).

وَالْمَعْنَى: إِنَّ أَكْلَكُمْ أَمْوَالَهُمْ مَعَ أَمْوَالِكُمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ وَخَطَأٌ كَبِيرٌ فَاجْتَنِبُوهُ (2).

(1) أخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (302/2) ومن طريق الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) (323/7).
وقال: الإمام (الحاكم): صحيح وتعقبه الإمام (الذهبي): "لا والله فيه على بن عاصم وهو واه".
وقال: في ميزان الاعتدال (137/3): هذا منكر.
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (2)، لِلإِمَامْ (ابن كثير). (300/2) (دار الآثار - الطبعة الأولى: 2009م).
وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (2)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (2)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

* * *

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {وَآتُوا الْيَتَامَى} أعطوا الْيَتَامَى {أَمْوَالَهُمْ} الَّتِي عنْدكُمْ بعد الرشد والبلاغ {وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيث بالطيب} يَعْنِي لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالهم الْحَرَام وتتركوا أَمْوَالكُم الْحَلَال {وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} أَي مَعَ أَمْوَالكُم بالتخليط {إِنَّهُ كَانَ} يَعْنِي أكل مَال الْيَتِيم ظلما {حُوباً كَبِيراً} ذَنبا عَظِيما عِنْد الله بالعقوبة نزلت فِي رجل من غطفان كَانَ عِنْده مَال كثير لِابْنِ أَخ لَهُ يَتِيم فَلَمَّا نزلت هَذِه الْآيَة قَالُوا نعزل الْيَتَامَى مَخَافَة الْإِثْم فَنزل الله. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره): وقوله تعالى: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} {النساء: 2} هذا أول ما أوصى به من حقوق الخلق في هذه السورة. وهم اليتامى الذين فقدوا آباءهم الكافلينلهم، وهم صغار ضعاف لا يقومون بمصالحهم.

فأمر الرءوف الرحيم عباده أن يحسنوا إليهم، وأن لا يقربوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن، وأن يؤتوهم أموالهم إذا بلغوا ورشدوا، كاملة موفرة، وأن لا {تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ} الذي هو أكل مال اليتيم بغير حق.

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (2). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

{بِالطَّيِّبِ} وهو الحلال الذي ما فيه حرج ولا تبعة. {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} أي: مع أموالكم، ففيه تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه الحالة، التي قد استغنى بها الإنسان بما جعل الله له من الرزق في ماله. فمن تجرأ على هذه الحالة، فقد أتى {حُوبًا كَبِيرًا} أي: إثمًا عظيمًا، ووزرًا جسيمًا.

ومن استبدال الخبيث بالطيب أن يأخذ الولي من مال اليتيم النفيس، ويجعل بدله من ماله الخسيس. وفيه الولاية على اليتيم، لأن مِنْ لازم إيتاء اليتيم ماله، ثبوت ولاية المؤتي على ماله.

وفيه الأمر بإصلاح مال اليتيم، لأن تمام إيتائه ماله حفظه والقيام به بما يصلحه وينميه وعدم تعريضه للمخاوف والأخطار.(1)

* * *

قوله تعالى: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ}.

قَال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم) الآية أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بإيتاء اليتامى أموالهم، ولم يشترط هنا في ذلك شرطا، ولكنه بين بعد هذا أن هذا الإيتاء المأمور به مشروط بشرطين:

الأول: بلوغ اليتامى،

الثاني: إيناس الرشد منهم، وذلك قوله تعالى: (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح، فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم).(2)

* * *

قَال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله تعالى: (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) قال: الحلال بالحرام.(3)

* * *

قَال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا} ذكر في هذه الآية الكريمة أن أكل أموال اليتامى حوب كبير، أي: إثم عظيم، ولم يبين مبلغ هذا الحوب من العظم، ولكنه بينه في موضع أخر وهو قوله: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً}.(4)

* * *

قَال:الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد) في قوله: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم)، يقول: لا تأكلوا أموالكم وأموالهم تخلطوها فتأكلوها جميعاً.(5)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (2)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (2).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (2). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (2).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (2).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - والإمام (ابن أبي حاتم - رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (إنه كان حوبا كبيرا) قال: إثما عظيما.

(وصححه) (الحافظ) (ابن حجر) من طريق (عكرمة) عن (ابن عباس) (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ} قوله: {وَآتُوا} خِطَابٌ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ، وَالْيَتَامَى: جَمْعُ يَتِيمٍ، وَالْيَتِيمُ: اسْمٌ لِصَغِيرٍ لَا أَبَ لَهُ وَلَا جَدَّ، وَإِنَّمَا يُدْفَعُ الْمَالُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْبُلُوغِ، وَسَمَّاهُمْ يَتَامَى هَاهُنَا عَلَى مَعْنَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَامَى،

{وَلَا تَتَبَدَّلُوا} لا تستبدلوا،

{الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ} أَيْ: مَالُهُمُ الَّذِي هُوَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ بِالْحَلَالِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ، وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَا التبديل،

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالنَّخَعِيُّ) وَ(الزُّهْرِيُّ وَالسُّدِّيُّ): كَانَ أَوْلِيَاءُ الْيَتَامَى يَأْخُذُونَ الْجَيِّدَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ ويجعلون مكانه الرديء، فربما كان أحد يَأْخُذُ الشَّاةَ السَّمِينَةَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ وَيَجْعَلُ مَكَانَهَا الْمَهْزُولَةَ، وَيَأْخُذُ الدِّرْهَمَ الْجَيِّدَ وَيَجْعَلُ مَكَانَهُ الزَّيْفَ، وَيَقُولُ: دِرْهَمٌ بِدِرْهَمٍ، فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ.

يَعْنِي:- كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَيَأْخُذُ الْأَكْبَرُ الْمِيرَاثَ، فَنَصِيبُهُ مِنَ الْمِيرَاثِ طيب، وهذا الذي يأخذه من نصيب غيره خَبِيثٌ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): لَا تَتَعَجَّلِ الرِّزْقَ الْحَرَامَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ الْحَلَالُ.

{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} أَيْ مَعَ أَمْوَالِكُمْ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} مَعَ اللَّهِ،

{إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} إثما عظيما. (2)

* * *

[٣] ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن خفتم ألا تعدلوا إذا تزوجتم اليتيمات اللاتي تحت ولايتكم، إما خوفًا من نقص مهرهن الواجب لهن، أو إساءة معاملتهن، فدعوهن وتزوجوا الطيبات من النساء غيرهن، إن شئتم تزوجتم اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا، فإن خفتم ألا تعدلوا بينهن فاقتصروا على واحدة، أو استمتعوا بما ملكت أيمانكم من الإماء" إذ لا يجب لهن مثل ما يجب للزوجات من الحقوق، ذلك الذي ورد في الآية في شأن اليتامى والاقتصار على

---

(1) انظر: (فتح الباري) برقم (246/8) للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (2).

نكاح واحدة أو الاستمتاع بالإماء أقرب إلى ألا تَجُوروا وتميلوا.(1)

* * *

يَعْنِي:- وإن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت أيديكم بأن لا تعطوهن مهورهن كغيرهن، فاتركوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء من غيرهن: اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا، فإن خشيتم ألا تعدلوا بينهن فاكتفوا بواحدة، أو بما عندكم من الإماء. ذلك الذي شرعته لكم في اليتيمات والزواج من واحدة إلى أربع، أو الاقتصار على واحدة أو ملك اليمين، أقرب إلى عدم الجَوْرِ والتعدي.(2)

* * *

يَعْنِي:- وإن شعرتم بالخوف من ظلم اليتامى لأنه ذنب كبير، فخافوا كذلك أَلَمَ نسائكم بعدم العدل بينهن، والزيادة على أربع، فتزوجوا منهن اثنتين او ثلاثاً أو أربعاً إذا وثقتم بالقدرة على العدل، فإن خفتم عدم العدل فتزوجوا واحدة، أو استمتعوا بما تملك أيديكم من الإماء، ذلك أقرب إلى عدم الوقوع فى الظلم والجور، وأقرب ألا تكثر عيالكم فتعجزوا عن الإنفاق عليهم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا} ... أي: وإن خفتم أن تجوروا، وألا تعدلوا فى مهورهن، وفى النفقة عليهن.

{تَعْدِلُوا بالنفقةِ والقَسْمِ}. {فِي الْيَتَامى} جمع يتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه فى ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط فى صداقها.

{تُقْسِطُوا} ... تَعْدِلُوا.

{ما طابَ} ... ما حل، لأن منهن ما حرم.

{فَوَاحِدَةً} ... فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع.

{أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُم} ... يريد الإماء.

ذلكَ إشارة إلى اختيار الواحدة أو التسرى.

{أَدْنى أَلاَّ تَعُولُوا} ... أقرب من أن لا تميلوا.

{أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا} ... أَقْرَبُ إِلَى عَدَمِ الجَوْرِ.

{تَعُولُوا} ... تَظْلِمُوا.

قَالَ: الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ) برقم (ج6/ ص42): {مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ} : يَعْنِي اثْنَتَيْنِ , وَثَلاثًا , وَأَرْبَعًا , وَلاَ تُجَاوِزُ العَرَبُ رُبَاعَ.

قَالَ: الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ) (ج7/ص9): بَابُ لاَ يَتَزَوَّجُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ , لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ}

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ) - (عَلَيهِمَا السَّلاَمُ): يَعْنِي: مَثْنَى , أَوْ ثُلاثَ , أَوْ رُبَاعَ.

وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى , وَثُلاثَ , وَرُبَاعَ}(4): يَعْنِي: مَثْنَى , أَوْ ثُلاثَ , أَوْ رُبَاعَ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/77). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/77)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/105)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) {فاطر:1}.

تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى} أن لاَ تعدلوا بَين الْيَتَامَى في حفظ الْأَمْوَال فَكَذَلِك خَافُوا أَن لاَ تعدلوا بَين النِّسَاء فِي النَّفَقَة وَالْقِسْمَة وَكَانُوا يَتَزَوَّجُونَ من النِّسَاء مَا شَاءُوا تسعا أَو عشرا وَكَانَ تَحت قيس ابْن الْحَرْث ثَمَان نسْوَة فنهاهم الله عَن ذَلِك وَحرم مَا فَوق الْأَرْبَعَة فَقَالَ: {فَانكحوا مَا طَابَ لَكُم} فتزوجوا مَا أحل الله لكم {مِّنَ النساء مثنى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ} يَقُول وَاحِدَة أَو اثْنَتَيْن أَو ثَلَاثًا أَو أَربعا لاَ يُزَاد على ذَلِك {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ} بَين أَربع نسْوَة فِي الْقِسْمَة وَالنَّفقَة {فَوَاحِدَةً} فتزوجوا امْرَأَة وَاحِدَة حرَّة {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} من الْإِمَاء لاَ قسْمَة لَهُنَّ عَلَيْكُم وَلاَ عدَّة لكم عَلَيْهِنَّ {ذَلِك} تَزْوِيج الْوَاحِدَة {أدنى} أَحْرَى {أَلاَّ تَعُولُواْ} لاَ تميلوا وَلاَ تجُورُوا بَين أَربع من النِّسَاء فِي الْقِسْمَة وَالنَّفَقَة.(1)

* * *

قال: الإمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ} {النساء: 3} اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ إِنْ خِفْتُمْ يَا أَوْلِيَاء اليتامى ألا تَعْدِلُوا فِيهِنَّ إِذَا نَكَحْتُمُوهُنَّ فَانْكِحُوا غَيْرَهُنَّ مِنَ الْغَرَائِبِ مَثْنَى وَثُلاثَ ورباع.

وقال: (الْحَسَنُ): كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الجاهلية تكون عِنْدَهُ الْأَيْتَامُ وَفِيهِنَّ مَنْ يَحِلُّ لَهُ نكاحها فَيَتَزَوَّجُهَا لِأَجْلِ مَالِهَا وَهِيَ لَا تُعْجِبُهُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يدخل غريبٌ فَيُشَارِكُهُ فِي مَالِهَا، ثمَّ يسيء صحبتها ويتربص أَنْ تَمُوتَ وَيرثها، فَعَابَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ،

وَقَالَ: (عكرِمَةُ): كَانَ الرَّجُلُ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَزَوَّجُ الْعَشْرَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَكْثَرَ فَإِذَا صَارَ مُعْدَمًا مِنْ مُؤَنِ نِسَائه مَالَ إِلَى مال يتيمته التي فِي حِجْره فَأَنْفَقَهُ، فَقِيلَ لَهُمْ: لَا تَزِيدُوا عَلَى أَرْبَعٍ حَتَّى لَا يُحْوِجَكُمْ إِلَى أَخْذ أَمْوَالِ اليتامى،

وهذه رواية (طاوس عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-،

وَقَالَ: بَعْضُهُمْ: كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ عَنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَيَتَرَخَّصُونَ فِي النِّسَاءِ، فَيَتَزَوَّجُونَ مَا شَاءُوا وَرُبَّمَا عَدَلُوا وَرُبَّمَا لَمْ يَعْدِلوا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَمْوَالِ اليتامى {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ} أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى} يقول كما خِفْتُمْ أَلاَ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فكذلك خافوا في النساء ألا تَعْدِلُوا فِيهِنَّ فَلاَ تَتَزَوَّجُوا أَكْثَرَ مما يمكنكم القيام بحقوقهن، لِأَنَّ النِّسَاءَ فِي الضَّعْفِ كَالْيَتَامَى، وَهَذَا قَوْلُ: (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) وَ(قَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ وَالسُّدِّيِّ)،

ثُمَّ رَخَّصَ فِي نِكَاحِ أَرْبَعٍ فَقَالَ: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً}.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): مَعْنَاهُ إِنْ تَحَرَّجْتُمْ مِنْ وِلَايَةِ الْيَتَامَى وَأَمْوَالِهِمْ إِيمَانًا فَكَذَلِكَ تَحَرَّجُوا مِنَ الزِّنَا فَانْكِحُوا النِّسَاءَ الْحَلَالَ

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (3).

نكاحًا طيِّبًا ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ عَدَدًا، وَكَانُوا يَتَزَوَّجُونَ مَا شَاءُوا مِنْ غَيْرِ عَدَدٍ، فنزل قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) أَيْ: مَنْ طَابَ، وَالْعَرَبُ تَضَعُ (مَنْ) وَ (مَا) كل واحدة موضع الأخرى، وطَابَ أَيْ: حَلَّ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ، مَعْدُولات عَنِ اثْنَيْنِ وَثَلاَثٍ وَأَرْبَعٍ، وَلِذَلِكَ لا يصرفن، وإن الواو بِمَعْنَى أَوْ، لِلتَّخْيِيرِ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى} {سبأ: 46} وَهَذَا إِجْمَاعٌ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ لاَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يزيد على أربع نسوة (فَإِنْ خِفْتُمْ) ، خَشِيتُمْ،

يَعْنِي:- عَلِمْتُمْ، (أَلاَ تَعْدِلُوا) ، بَيْنَ الْأَزْوَاجِ الْأَرْبَعِ، (فَوَاحِدَةً) أَيْ: فَانْكِحُوا وَاحِدَةً.

وَقَرَأَ (أَبُو جَعْفَرٍ) (فَوَاحِدَةٌ) بِالرَّفْعِ،

{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} يَعْنِي: السَّرَارِيَّ لِأَنَّهُ لاَ يَلْزَمُ فِيهِنَّ مِنَ الْحُقُوقِ مَا يَلْزَمُ فِي الْحَرَائِرِ، وَلاَ قَسْمَ لَهُنَّ ولا وقف في عددهن،

{ذَلِكَ أَدْنَى} أقرب {أَلاَ تَعُولُوا} أَيْ: لاَ تَجُورُوا وَلاَ تَمِيلُوا، يُقَالُ: مِيزَانٌ عَائِلٌ، أَيْ: جَائِرٌ مَائِلٌ،

هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ،

وقال: (مجاهد): ألا تضلوا،

وقال: (الفراء): ألا تُجَاوِزُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَأَصْلُ الْعَوْلِ: الْمُجَاوَزَةُ، وَمِنْهُ عَوْلُ الْفَرَائِضِ،

وَقَالَ: (الشَّافِعِيُّ) - رَحِمَهُ اللَّهُ-: أَلَا تَكْثُرَ عِيَالُكُمْ، وَمَا قَالَهُ أَحَدٌ، إنما يقال: أَعَالَ يُعِيلُ إِعَالَةً إِذَا كَثُرَ عِيَالُهُ.

وَقَالَ: (أَبُو حَاتِمٍ): كَانَ (الشَّافِعِيُّ) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَعْلَمَ بلسان العرب منا فله بلغة، وَيُقَالُ: هِيَ لُغَةُ حِمْيَرَ،

وَقَرَأَ (طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ) (أَنْ لاَ تُعِيلُوا) وَهِيَ حُجَّةٌ لِقَوْلِ الشَّافِعِيِّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {3} {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا} . أي: وإن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت حجوركم وولايتكم وخفتم أن لا تقوموا بحقهن لعدم محبتكم إياهن، فاعدلوا إلى غيرهن، وانكحوا {مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} أي: ما وقع عليهن اختياركم من ذوات الدين، والمال، والجمال، والحسب، والنسب، وغير ذلك من الصفات الداعية لنكاحهن، فاختاروا على نظركم، ومن أحسن ما يختار من ذلك صفة الدين كما قال: النبي - صلى الله عليه وسلم-: ((تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يمينك))

وفي هذه الآية - أنه ينبغي للإنسان أن يختار قبل النكاح، بل وقد أباح له الشارع النظر إلى مَنْ يريد تزوجها ليكون على بصيرة من أمره. ثم ذكر العدد الذي أباحه من النساء فقال: {مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ} أي:

---

(1) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل (لِلإِمَامْ البغوي) سورة (النساء) الآية (3).

مَنْ أحب أن يأخذ اثنتين فليفعل، أو ثلاثا فليفعل، أو أربعا فليفعل، ولا يزيد عليها، لأن الآية سيقت لبيان الامتنان، فلا يجوز الزيادة على غير ما سمى الله تعالى إجماعا.

وذلك لأن الرجل قد لا تندفع شهوته بالواحدة، فأبيح له واحدة بعد واحدة، حتى يبلغ أربعا، لأن في الأربع غنية لكل أحد، إلا ما ندر، ومع هذا فإنما يباح له ذلك إذا أمن على نفسه الجور والظلم، ووثق بالقيام بحقوقهن.

فإن خاف شيئا من هذا فليقتصر على واحدة، أو على ملك يمينه. فإنه لا يجب عليه القسم في ملك اليمين {ذَلِكَ} أي: الاقتصار على واحدة أو ما ملكت اليمين.

{أَدْنَى أَلا تَعُولُوا} أي: تظلموا.

وفي هذا أن تعرض العبد للأمر الذي يخاف منه الجور والظلم، وعدم القيام بالواجب - ولو كان مباحًا- أنه لا ينبغي له أن يتعرض له، بل يلزم السعة والعافية، فإن العافية خير ما أعطي العبد.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قول الله -عزَّ وجلَّ-: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ} {النساء: 3}.

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (عَائِشَةَ) - رضي الله عنها -: أَنَّ رَجُلاً كَانَتْ لَهُ يَتِيمَةٌ فَنَكَحَهَا، وَكَانَ لَهَا عَذْقٌ، وَكَانَ يُمْسِكُهَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ فَنَزَلَتْ فِيهِ {وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لاَ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى} {النساء: 3} أَحْسِبُهُ قَالَ: كَانَتْ شَرِيكَتَهُ فِي ذَلِكَ الْعَذْقِ وَفِي مَالِهِ.(2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي (عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ) أَنَّهُ سَأَلَ (عَائِشَةَ) عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لاَ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى} {النساء: 3}. فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي، هَذِهِ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا، تَشْرَكُهُ فِي مَالِهِ وَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا، فَيُعْطِيَهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ، فَنُهُوا عَنْ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ، وَيَبْلُغُوا لَهُنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ فِي الصَّدَاقِ، فَأُمِرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهُنَّ.

قَالَ: (عُرْوَةُ) قَالَتْ: (عَائِشَةُ): وَإِنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ فَأَنْزَلَ اللهُ {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ} قَالَتْ (عَائِشَةُ): وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (3)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (87-86/8)، (ح 4573) - (كتاب: تفسير القرآن) - (سورة النساء)، / باب: (وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى). العذق: النخلة، وبالكسر عذق: العرجون بما فيه من الشماريخ، ويجمع على عذاق.

وانظر: (النهاية) للإمام (ابن الأثير) برقم (199/3).

انظر: (2494)- فتح: (238 /8).

وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (3018) - ((كتاب: التفسير).

تَنْكِحُوهُنَّ} {النساء: 3} رَغْبَةُ أَحَدِكُمْ عَنْ يَتِيمَتِهِ حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَالِ وَالْجَمَالِ قَالَتْ: فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا عَنْ مَنْ رَغِبُوا فِي مَالِهِ وَجَمَالِهِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ، إِلاَّ بِالْقِسْطِ، مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ إِذَا كُنَّ قَلِيلاَتِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ. (1)(2)(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) –عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: كانوا في الجاهلية ينكحون عشرا من النساء الأيامى، وكانوا يعظمون شأن اليتيم، فتفقدوا من دينهم شأن اليتيم وتركوا ما كانوا ينكحون في الجاهلية، فقال: {وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع} ونهاهم عما كانوا ينكحون في الجاهلية.

* * *

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أحمد بن مهدي، ثنا النفيلي، ثنا عبيد الله بن عمرو الرقى عن عبد الكريم، عن (سعيد بن جبير)، عن (ابن عباس) في هذه الآية: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) قال: فكما خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى فخافوا أن لا تعدلوا في النساء، إنما جمعتموهن عندكم. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي. ثنا هُشيم عن ابن أبي ليلى، عن حُميضة بنت الشمردل، عن (قيس بن الحارث) " قال: أسلمت وعندي ثمان نسوة. فأتيت النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقلت ذلك له. فقال: اختر منهن أربعاً.

* * *

وأيضاً قال: الإِمَامْ (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن حكيم. ثنا محمد بن جعفر. ثنا معمر عن الزهري، عن سالم، عن (ابن عمر)، قال: أسلم غيلان بن سلمة وتحته عشر نسوة. فقال: له النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((خذ منهن أربعاً)). (5)

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (87/8)، (ح 4574) – (كتاب : تفسير القرآن) – (سورة النساء)، / باب :(وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2314/4) – (كتاب : التفسير).

(3) انظر: (2494) – الإمام (مسلم) : (3018)، - فتح: (8/ 239).

(4) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (3).

(5) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 1952، 1953)- (النكاح)- / باب :(الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة)، حديث(قيس بن الحارث).

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (272/2)- (الطلاق) ، -من طريق - (هشيم) به .

وقال: الإِمَامْ (ابن كثير)- في (تفسيره): وهذا (الإسناد حسن). (التفسير 184/2)

وقال: الإمام (الألباني):(حسن). (الإرواء) برثم (295/6) .

وحديث (ابن عمر): أخرجه الإمام (أحمد)، و الإمام (الترمذي)، و الإمام (ابن حبان)، و الإمام (الحاكم)- من طرق -عن (معمر) به. (المسند) (14/2، 44) ، (السنن)- (النكاح) (278/4) ، (موارد الظمآن) (1377) ، (المستدرك) (192/2).

وقد أعله جماعة ووهموا فيه (معمر بن راشد) ولكن قد تابعه غيره على روايته،

فقال: الإمام (ابن كثير): وهذا الإسناد الذي قدمناه من (مسند) الإِمَامْ (أحمد) رجاله ثقات على شرط الصحيحين. ثم قد روي من غير طريق - (معمر)،

ثم ذكره بإسناد الإِمَامْ (النسائي) إلى (مرار بن مجشر عن أيوب عن نافع وسالم عن ابن عمر) بنحوه.

وقال: قال (أبو علي بن السكن) تفرد به مرار بن مجشر وهو ثقة وكذا وثقه (ابن معين) قال: (أبو علي وكذلك رواه السميدع بن واهب عن مرار).

* * *

قوله تعالى: (ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُو)

قال: الإمَامُ (الطبري) - والإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: يعني: ألا تميلوا. (1)(2)

* * *

وقال: الإمَامُ (ابن حبان) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- , وَعَنْ (عَائِشَةَ) - رضي الله عنها - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا} (3) قَالَ: " أَنْ لاَ تَجُورُوا ".(4)

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ) برقم (ج6/ ص44): وَيُذْكَرُ عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {تَعُولُوا} : تَمِيلُوا . (5)

وقال:الإمام (الحافظ ابن حجر): ورجال إسناده ثقات (التلخيص الحبير) (3/169).

وقال:الإمام (الألباني): (صحيح). انظر:التفسير) (2/182، 183) و(الإرواء) برقم (6/291- 295) .

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة : الأولى)، برقم (2/6).

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (3).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (3).

(3) {النساء: 3}.

(4) أخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4029).

انظر: (سلسة الأحاديث الصَّحيحة) للإمَامْ (الألباني) رقم (3222).

(5) (تنبيه): ليس الهدف من ذكر كلام (ابن عباس) في معنى هذه الآية أن نجعل رأيه معارضا، أو مقابلا لكلام النبي المعصوم - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى، إنما ذكرْته هنا فقط لأنني أردتُ أن أجمع كل ما رواه البخاري في التفسير.

ثم قلتُ: وعند التحقيق تجد أن الميل هو نوعٌ من الجَوْر , فلا تعارض بين كلام ابن عباس مع كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا بالإضافة إلى استعمال الإمام (البخاري) صيغة التمريض فيما نقله عن ابن عباس في تفسير هذه الآية.

* * *

وقال: الإمَامْ (الترمذي) - في (سُننه)، - والإمَامْ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده)، - وقال: الإمَامْ (ابن حبان) - في (صحيحه)، - (رحمهم الله) - (بسنديهم):- وَعَنْ (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - (أَنَّ غَيْلاَنَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ أَسْلَمَ وَلَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ , فَأَسْلَمْنَ مَعَهُ , " فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -) (6) (أَنْ يَخْتَارَ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا ") (7)

* * *

وقال: الإمَامْ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- وَعَنْ (الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: أَسْلَمْتُ وَعِنْدِي ثَمَانُ نِسْوَةٍ , فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: " اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا"(8)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى} أَيْ:

(6) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1128).

وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (4609).

وأخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4156).

(7) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (5558).

وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1128) .

وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1953).

وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (17184).

(8) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2241) .

وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1952) ,

وأخرجه الإمَامْ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (12624).

وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (17184).

وحسنه الإمام (الألباني) في (الإرواء الغليل) : (1885).

إذا كَانَ تَحْتَ حجْرِ أَحدكُمْ يَتيمَةٌ وَخَافَ أَلاَ يُعْطِيهَا مَهْرَ مثْلهَا، فَلْيَعْدلْ إِلَى مَا سوَاهَا منَ النِّسَاء، فَإِنَّهُنَّ كَثيرٌ، وَلَمْ يُضَيِّق اللَّهُ عَلَيْه.

وقَالَ: الإِمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا هشَامٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيج، أَخْبَرَني هشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيه، عَنْ (عَائشَةَ) " أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ يَتيمَةٌ فَنَكَحَهَا، وَكَانَ لَهَا عَذْقٌ. وَكَانَ يُمْسكُهَا عَلَيْه، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا منْ نَفْسه شَيْءٌ فَنَزَلَتْ فيه: {وَإِنْ خفْتُمْ أَلا تُقْسطُوا في الْيَتَامَى} أحسبه قَالَ: كانت شريكَته في ذلكَ العذْق وفي ماله.

ثُمَّ قَالَ: الإِمام (الْبُخَارِيُّ) - (رحمه الله):-
حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْد اللَّه، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْد، عَنْ صَالح بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ ابْنِ شهَاب قَالَ: أَخْبَرَني عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَأَلَ (عَائشَةَ) عَنْ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى {وَإِنْ خفْتُمْ أَلا تُقْسطُوا في الْيَتَامَى} قَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتي هَذه الْيَتيمَةُ تَكُونُ في حجْرِ وَليِّهَا تَشْرَكه في مَاله ويعجبُه مَالُهَا وَجَمَالُهَا، فَيُرِيدُ وَليُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْسطَ في صَدَاقهَا فَيُعْطيَهَا مثْلَ مَا يُعْطيهَا غَيْرُهُ، فَنُهُوا أَنْ يَنْكحُوهُنَّ إِلا أَنْ يُقْسطُوا لَهُنَّ، ويبلغُوا بهنَّ أَعْلَى سُنَّتهنَّ في الصَّدَاق، وأمروا أَنْ ينكحُوا مَا طَابَ لَهُمْ منَ النِّسَاء سوَاهُنَّ.

قَالَ: (عُرْوَةُ): قَالَتْ: (عَائشَةُ): وَإِنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بَعْدَ هَذه الْآيَة، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ في النِّسَاء} قَالَتْ: (عَائشَةُ): وَقَوْلُ اللَّه في الْآيَة الْأُخْرَى: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكحُوهُنَّ} {النِّسَاء: 127} رَغْبَةُ أَحَدكُمْ عَنْ يَتيمَته حينَ تَكُونُ قَليلَةَ الْمَال وَالْجَمَال[1]. فَنُهُوا أَنْ يَنْكحُوا مَنْ رَغبُوا في مَاله وَجَمَاله منْ يَتَامَى النِّسَاء إِلا بِالْقسْط، منْ أَجْل رَغْبَتهمْ عَنْهُنَّ إِذَا كُنَّ قَليلات الْمَال وَالْجَمَال[2].

وَقَوْلُهُ: {مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ} {فاطر: 1} أي: انْكحُوا مَا شئْتُمْ منَ النِّسَاء سوَاهُنَّ إِنْ شَاءَ أَحَدُكُمْ ثنْتَيْنِ، وَإِنْ شَاءَ ثَلَاثًا وَإِنْ شَاءَ أَرْبَعًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {جَاعلِ الْمَلائكَة رُسُلا أُولي أَجْنحَة مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ} {فاطر: 1} أَيْ: منْهُمْ مَنْ لَهُ جَنَاحَان، وَمنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةٌ، وَمنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةٌ، وَلَا يَنْفي مَا عَدَا ذَلكَ في الْمَلَائكَة لدَلَالَة الدَّليل عَلَيْه، بِخلَاف قَصْرِ الرِّجَال عَلَى أَرْبَع، فَمنْ هَذه الْآيَة كَمَا قَالَهُ (ابْنُ عَبَّاس) وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاء" لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ امْتنَان وَإِبَاحَة، فَلَوْ كَانَ يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَ أَكْثَرَ منْ أَرْبَع لَذَكَرَهُ.

قَالَ: الإِمَام (الشَّافعيُّ- (رحمه الله):: وَقَدْ دَلَّتْ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - الْمُبَيِّنَةُ عَنِ اللَّه أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَد غير رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ أَكْثَرَ منْ أَرْبَع نسْوَة.

وَهَذَا الَّذي قَالَهُ الإمام (الشَّافعيُّ)، (رَحمَهُ اللَّهُ)، مُجْمَعٌ عَلَيْه بَيْنَ الْعُلَمَاء، إِلَّا مَا حُكي

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4574)-((كتاب: تفسير القرآن).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلمٌ) في (صحيحه) برقم (3018)-((كتاب: التفسير).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4573، 4574)-((كتاب: تفسير القرآن).

عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الشِّيعَةِ أَنَّهُ يَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ إِلَى تِسْعٍ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بِلَا حَصْرٍ. وَقَدْ يَتَمَسَّكُ بَعْضُهُمْ بِفِعْلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي جَمْعِهِ بَيْنَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ إِلَى تِسْعٍ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ،

وَأَمَّا إِحْدَى عَشْرَةَ كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الإِمَامِ (الْبُخَارِيِّ). وَقَدْ عَلَّقَهُ الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ)، وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ (أَنَسٍ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَزَوَّجَ بِخَمْسَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَدَخَلَ مِنْهُنَّ بِثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمَاتَ عَنْ تِسْعٍ.

وَهَذَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنْ خَصَائِصِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأُمَّةِ، لِمَا سَنَذْكُرُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى الْحَصْرِ فِي أَرْبَعٍ.

ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) - (رحمه الله):-

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَا حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. قَالَ: ابْنُ جَعْفَرٍ فِي حَدِيثِهِ: أَنْبَأَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ أَسْلَمَ وَتَحْتَهُ عَشَرَةُ نِسْوَةٍ، فَقَالَ: لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا)) [(1)].

فَلَمَّا كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ طَلَّقَ نِسَاءَهُ، وَقَسَّمَ مَالَهُ بَيْنَ بَنِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ فَقَالَ: إِنِّي لَأَظُنُّ الشَّيْطَانَ فِيمَا يَسْتَرِقُ مِنَ السَّمْعِ سَمِعَ بِمَوْتِكَ فَقَذَفَهُ فِي نَفْسِكَ وَلَعَلَّكَ لَا تَمْكُثُ إِلَّا قَلِيلًا. وَايْمُ اللَّهِ لَتُرَاجِعَنَّ نِسَاءَكَ وَلَتَرْجِعَنَّ فِي مَالِكَ أَوْ لَأُورِثُهُنَّ مِنْكَ، وَلَآمُرَنَّ بِقَبْرِكَ فَيُرْجَمُ، كَمَا رُجِمَ قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ [(2)].

وَهَكَذَا رَوَاهُ (الشَّافِعِيُّ) وَ(التِّرْمِذِيُّ)، وَ(ابْنُ مَاجَهْ)، وَ(الدَّارَقُطْنِيُّ)، وَ(الْبَيْهَقِيُّ) وَغَيْرُهُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُلَيَّةَ وَغُنْدَرٍ وَيَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَعِيسَى بْنِ يُونُسَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيِّ، وَالْفَضْلِ بْنِ مُوسَى وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْحُفَّاظِ، عَنْ مَعْمَرٍ - بِإِسْنَادِهِ -مِثْلَهُ إِلَى قَوْلِهِ: اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا.

وَبَاقِي الْحَدِيثِ فِي قِصَّةِ عُمَرَ مِنْ أَفْرَادِ (أَحْمَدَ) [(3)] وَهِيَ زِيَادَةٌ حَسَنَةٌ وَهِيَ مُضَعِّفَةٌ لِمَا عَلَّلَ بِهِ الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) هَذَا الْحَدِيثَ

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (13/2)، وقال: الشيخ (الشعيب الأرناؤوط): صحيح بطرقه وشواهده وبعمل الأئمة المتبوعين به، والإمام (الطبراني) (315/12)، والإمام (أبو يعلى) (315/9)،
وقال: الإمام (الهيثمي) (223/4): رواه الإمام (أحمد)، و(البزار)، و(أبو يعلى)، ورجال الإمام (أحمد) رجال الصحيح،
وأخرجه الإمام (الطبراني) في (الشاميين) برقم (2/ 234)،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) برقم (463/9)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) برقم (210/2).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (3)، لِلإِمَامْ (ابن كثير). (301/2) (دار الآثار - الطبعة الأولى: 2009م).

(2) قبر أبي رغال في الطائف، وقد روى ابن إسحاق أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خرج إلى الطائف مر بقبر أبي رغال فقال: إن هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ وَهُوَ أَبُو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عَنْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْهُ أَصَابَتْهُ النِّقْمَةُ الَّتِي أصابت قومه بهذا المكان، فدفن فيه، وقيل: إن أبا رغال كان دليل أبرهة في طريقه لهدم الكعبة.
قال: الإمام (الحافظ ابن كثير): والجمع بينهما أن أبا رغال المتأخر وافق اسمه اسم جده الأعلى ورجمه الناس كما رجموا قبر الأول أيضا.
وقد قال: الإمام (جرير): إذا مات الفرزدق فارجموه .. كرجمكم بقبر أبي رغال
ثم قال: والظاهر أنه الثاني. البداية والنهاية (159/2).
وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) هامش الآية (3)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (14/2). وأخرجه الإِمَامْ (الشافعي) في (الأم) برقم (49/5).
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1128).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1953).
وأخرجه الإِمَامْ (الدارقطني) في (السنن) برقم (271/3).
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (182/7)،
وقد توسع الإمام (الحافظ ابن حجر) في (التلخيص) برقم (168/3)
والإمام (ناصر الألباني) برقم (292/6) وحكم عليه بالصحة.

فيمَا حكَاهُ عنْهُ التِّرْمِذيُّ، حَيْثُ قَالَ بَعْدَ روايَتِهِ لَهُ: سمعتُ الإمام (الْبُخَاري) يَقُولُ: هَذَا حَديثٌ غَيْرُ مَحْفُوظ، وَالصَّحِيحُ مَا روَى شُعَيْب وَغَيْرُهُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حُدِّثْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوَيد الثَّقفي أَنَّ غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ، فَذَكَرَهُ.

قَالَ الإمام (الْبُخَارِيُّ): وَإِنَّمَا حَديثُ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالمٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ طَلَّقَ نسَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لتراجعَنَّ نِسَاءَكَ أَوْ لَأَرْجُمَنَّ قَبْرَكَ كَمَا رُجِمَ قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ.

قَالَ: الإمام (الْبَيْهَقِيُّ): ورَوَاهُ عُقَيْلٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: بَلَغَنَا عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُوَيْد.

قَالَ: الإمام (أَبُو حَاتِم): وَهَذَا وَهْم، إِنَّمَا هُوَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سُوَيْد بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-، فَذَكَرَهُ (1).

قَالَ:الإمام (الْبَيْهَقِيُّ): ورَوَاهُ يُونُس وَابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُوَيْد.

وَهَذَا كَمَا عَلَّلَهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ). وَهَذَا الْإِسْنَادُ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ مِنْ مُسْنَد الْإِمَام (أَحْمَدَ) رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحَيْنِ ثُمَّ قَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ مَعْمَر، بَلْ وَ(الزُّهْرِيِّ) قَالَ: (الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ): أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو بُرَيد عَمْرو بْنُ يَزِيدَ الْجَرْمِيُّ أَخْبَرَنَا سَيْفُ بْنُ عُبَيد حَدَّثَنَا سَرَّار بْنُ مُجَشَّر، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ وَسَالِم، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ كَانَ عِنْدَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ فَأَسْلَمَ وأسلمْنَ مَعَهُ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَنْ يَخْتَارَ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا. هكَذَا أخرجه الإمام (النَّسَائِيُّ) فِي (سُنَنه). قَالَ: أَبُو عَلِيِّ بْنُ السَّكَن: تَفَرَّدَ بِهِ سَرَّارُ بْنُ مُجَشِّر وَهُوَ ثِقَةٌ، وَكَذَا وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِين. قَالَ: أَبُو عَلِيّ: وَكَذَلِكَ رَوَاهُ السَّمَيْدَع بْنُ وَاهِبٍ عَنْ سَرَّار.

قَالَ:الإمام (الْبَيْهَقِيُّ): وَرُوِّينَا مِنْ حَدِيث قَيْسِ بْنِ الْحَارِثِ أَوِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْس، وَعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ، وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ -يَعْنِي حَدِيثَ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ (2).

فوجهُ الدَّلَالَةِ أنَّه لَوْ كَانَ يَجُوزُ الجمعُ بَيْنَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ لسوغَ لَهُ رسولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَائِرَهُنَّ فِي بَقَاءِ الْعَشَرَةِ وَقَدْ أَسْلَمْنَ مَعَهُ، فَلَمَّا أَمَرَهُ بِإِمْسَاكِ أَرْبَعٍ وَفِرَاقِ سَائِرِهِنَّ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الجمعُ بَيْنَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ بِحَالٍ، وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الدَّوَام، فَفِي الِاسْتِئْنَافِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَاب.

حَديثٌ آخَرُ فِي ذَلكَ:

رَوَى الإمام (أَبُو دَاوُدَ) وَ(ابْنُ مَاجَهْ) فِي (سُنَنِهِمَا) مِنْ - طَرِيقِ - مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ حُمَيضَةَ بْنِ الشَّمَرْدَل -،

وَعِنْدَ الإمام (ابْنِ مَاجَهْ): بِنْتِ الشَّمَرْدَل، وَحَكَى الإمام (أَبُو دَاوُدَ) أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ:

---

(1) نظر: (العلل) للإمام (ابن أبي حاتم) برقم (401/1).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) هامش الآية(3)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) السنن الكبرى (183/7) وهذه الرواية دليل على أن معمر لم ينفرد بوصله، وهي شاهد جيد على وصل الحديث.

الشَّمَرْذَلِ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ -عَنْ قَيْسِ بْنِ الْحَارِث.

وعِنْدَ الإمام (أَبِي دَاوُدَ) فِي رِوَايَةٍ: الْحَارِث بْنِ قَيْسِ بْنِ عُمَيْرَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ: أَسْلَمْتُ وَعِنْدِي ثَمَانِي نِسْوَةٍ، فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: "اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا". (1)

وَهَذَا (الْإِسْنَادُ حَسَنٌ)، وَمُجَرَّدُ هَذَا الِاخْتِلَافِ لَا يَضُرُّ مِثْلَه، لِمَا لِلْحَدِيثِ مِنَ الشَّوَاهِدِ.

حَدِيثٌ آخَرُ فِي ذَلِكَ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ) - (رحمه الله)، فِي (مُسْنَدِه):

أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ ابْنَ أَبِي الزِّنَادِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنُ سُهَيلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَوْفِ بْنِ الْحَارِث، عَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَسْلَمْتُ وَعِنْدِي خَمْسُ نِسْوَةٍ، فَقَالَ: لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اخْتَرْ أَرْبَعًا أَيَّتَهُنَّ شِئْتَ، وَفَارِقِ الْأُخْرَى"، فَعَمَدتُ إِلَى أَقْدَمِهِنَّ صُحْبَةً عَجُوزٍ عَاقِرٍ مَعِي مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً، فَطَلَّقْتُهَا. (2)

فَهَذِهِ كُلُّهَا شَوَاهِدُ بِصِحَّةِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ غَيْلَانَ كَمَا قَالَهُ: الْحَافِظُ (أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ) – (رَحِمَهُ اللَّهُ). (3)

* * *

[٤] ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة، فإن طابت نفوسهن بشيء من المهر لكم بلا إكراه" فكلوه سائغًا لا تنغيص فيه. (4)

* * *

يَعْنِي:- وأعطوا أيها الأزواج- النساء مهورهن، عطية واجبة وفريضة لازمة عن طيب نفس منكم. فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء من المهر فوهَبْنه لكم فخذوه، وتصرَّفوا فيه، فهو حلال طيب. (5)

* * *

يَعْنِي:- وأعطوا النساء مهورهن عطية خالصة، وليس لكم حق فى شئ من هذه المهور، فإن طابت نفوسهن بالنزول عن شئ من المهر فخذوه وانتفعوا به طيباً محمود العاقبة. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{صَدُقَاتِهِنَّ} ... مُهُورَهنَّ.

{نِحْلَةً} ... فَرِيضَةً عَنْ طِيبِ نَفْس.

(أي: فَرِيضَةً مُسَمَّاةً وأَصْلُهَا العطية عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّعِ).

---

(1) (حسن صحيح): أخرجه الإمام (أبي داود) في (سننه) برقم (2242، 2241) – ((كتاب: الطلاق).

و أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (سننه) برقم (1952) – ((كتاب: النكاح) ورجح المزي أن اسمه "قيس بن الحارث".

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح أبي داود) برقم (1939).

(2) انظر: (مسند الشافعي) برقم (1606)، - ومن طريق – الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (184/7).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (3)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (77/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (77/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (106/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{نِحْلَةً} ... عطية.

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ) بِرقم (ج6/ ص44): يُذْكَرُ عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):

{النِّحْلَةُ}: الْمَهْرُ.

{هَنِيئًا مَّرِيئًا} ... حَلالًا طَيِّبًا.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَآتُوا} أعطوا {النساء صَدُقَاتِهِنَّ} مهورهن {نِحْلَةً} هبة لَهُنَّ من الله فريضة عليكم {فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ} فَإِن أحللن لكم من الْمهْر شَيْئا {نَفْساً} بطيبة النَّفس {فَكُلُوهُ هَنِيئاً}. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {4} {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} قَالَ: (مُجَاهِدٌ): هَذَا الْخِطَابُ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ وَلِيَّ الْمَرْأَةِ كَانَ إِذَا تزوجها لَمْ يُعْطِهَا مِنْ مَهْرِهَا قَلِيلًا وَلَا كثيرا،

وَقَالَ الْآخَرُونَ: الْخِطَابُ لِلْأَزْوَاجِ أُمِرُوا بِإِيتَاءِ نِسَائِهِمُ الصَّدَاقَ، وَهَذَا أَصَحُّ، لِأَنَّ الْخِطَابَ فِيمَا قَبْلُ مَعَ النَّاكِحِينَ، وَالصَّدُقَاتُ: الْمُهُورُ، وَاحِدُهَا صَدُقَةٌ، نِحْلَةً،

قَالَ: (قَتَادَةُ): فَرِيضَةً،

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ): فَرِيضَةً مُسَمَّاةً،

قَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): وَلَا تَكُونُ النِّحْلَةُ إِلَّا مُسَمَّاةً مَعْلُومَةً،

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): عَنْ طِيبِ نَفْسٍ،

وَقَالَ: (الزَّجَّاجُ): تدينا،

{فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا} يَعْنِي: فَإِنْ طَابَتْ نُفُوسُهُنَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذلك فوهبن منكم،

{فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} سائغا طيبا، يقال هنأني الطعام يهنئني بِفَتْحِ النُّونِ فِي الْمَاضِي وَكَسْرِهَا فِي الغابر،

يَعْنِي:- الْهَنِيءُ: الطَّيِّبُ الْمُسَاغُ الَّذِي لَا يُنَغِّصُهُ شَيْءٌ، وَالْمَرِيءُ " الْمَحْمُودُ الْعَاقِبَةِ التَّامُّ الهضم الذي لا يضر. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} أَيْ: فَإِنْ خَشِيتُمْ مِنْ تَعْدَادِ النِّسَاءِ أَلَّا تَعْدِلُوا بَيْنَهُنَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} {النِّسَاءِ: 129} فَمَنْ خَافَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقْتَصِرُ عَلَى وَاحِدَةٍ، أَوْ عَلَى الْجَوَارِي السَّرَارِي، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ قَسْمٌ بَيْنَهُنَّ، وَلَكِنْ يُسْتَحَبُّ، فَمَنْ فَعَلَ فَحَسَنٌ، وَمَنْ لَا فَلَا حَرَجَ.

وَقَوْلُهُ: {ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا} قَالَ: بَعْضُهُمْ: أَيْ أَدْنَى أَلَّا تَكْثُرَ عَائِلَتُكُمْ.

قَالَهُ: (زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ)، وَ(سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ)، وَ(الشَّافِعِيُّ) - (رَحِمَهُمُ اللَّهُ)، وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} أَيْ فَقْرًا {فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} {التَّوْبَةِ: 28}

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (4). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (4).

وَقَالَ: الشَّاعِرُ : (1)

فَمَا يَدري الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ ... وَمَا يَدري الْغَنِيُّ مَتَى يُعِيلُ ...

وَتَقُولُ الْعَرَبُ: عَالَ الرَّجُلُ يُعِيلُ عَيْلَةً، إِذَا افْتَقَرَ وَلَكِنْ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ هَاهُنَا نَظَرٌ فَإِنَّهُ كَمَا يُخْشَى كَثْرَةُ الْعَائِلَةِ مِنْ تَعْدَادِ الْحَرَائِرِ، كَذَلِكَ يُخْشَى مِنْ تَعْدَادِ السَّرَارِي أَيْضًا. وَالصَّحِيحُ قَوْلُ الْجُمْهُورِ: {ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا} أَيْ: لاَ تَجُورُوا. يُقَالُ: عَالَ فِي الْحُكْمِ: إِذَا قَسَطَ وَظَلَمَ وَجَارَ،

وَقَالَ: أَبُو طَالِبٍ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ:

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لاَ يَخِيسُ شَعِيْرَةً ... لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ. (2)

وَقَالَ: (هُشَيم): عَنْ (أَبِي إِسْحَاقَ) قَالَ: كَتَبَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي شَيْءٍ عَاتَبُوهُ فِيهِ: إِنِّي لَسْتُ بِمِيزَانٍ لاَ أَعُولُ. رَوَاهُ الإمام (ابْنُ جَرِير).

وَقَدْ رَوَى الإِمَامِ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، وَ(ابْنُ مَرْدُويهِ)، وَ(أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حِبَّانَ) فِي (صَحِيحه)، مِنْ - طَرِيقِ - عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ دُحَيْم، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ)، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا} قال: "لا تجوروا".

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): قَالَ أَبِي: هَذَا حَدِيثٌ خَطَأٌ، وَالصَّحِيحُ: عَنْ عَائِشَةَ. مَوْقُوفٌ (3).

وَقَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): وَرُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(عَائِشَةَ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(الْحَسَنِ)، وَ(أَبِي مَالِكٍ)، وَ(أَبِي رَزِينٍ)، وَ(النَّخعِي)، وَ(الشَّعْبِيِّ)، وَ(الضَّحَّاكِ)، وَ(عَطَاءِ الْخُرَاسَانِيِّ)، وَ(قَتَادَةَ)، وَ(السُّدِّيِّ)، وَ(مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ): أَنَّهُمْ قَالُوا: لاَ تَمِيلُوا. وَقَدِ اسْتَشْهَدَ (عِكْرِمَةُ)، (رَحِمَهُ اللَّهُ)، بِبَيْتِ (أَبِي طَالِبٍ) الَّذِي قَدَّمْنَاهُ، وَلَكِنْ مَا أَنْشَدَهُ كَمَا هُوَ الْمَرْوِيُّ فِي السِّيرَةِ، وَقَدْ رَوَاهُ (ابْنُ جَرِيرٍ)، ثُمَّ أَنْشَدَهُ جَيِّدًا، وَاخْتَارَ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): النِّحْلَةُ: الْمَهْرُ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، عَنْ (عُرْوَةَ)، عَنْ (عَائِشَةَ): نِحْلَةً: فَرِيضَةً.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(ابْنُ جُرَيْجٍ): نِحْلَةً: أَيْ فَرِيضَةً. زَادَ ابْنُ جُرَيْجٍ: مُسَمَّاهُ.

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ): النِّحْلَةُ فِي كَلاَمِ الْعَرَبِ: الْوَاجِبُ، يَقُولُ: لاَ تَنْكِحْهَا إِلاَّ بِشَيْءٍ وَاجِبٍ لَهَا، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَنْكِحَ امْرَأَةً إِلاَّ بِصَدَاقٍ وَاجِبٍ، وَلاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَتَسْمِيَةُ الصَّدَاقِ كَذِبًا بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَمَضْمُونُ كَلاَمِهِمْ: أَنَّ الرَّجُلَ يَجِبُ عَلَيْهِ دَفْعُ الصَّدَاقِ إِلَى الْمَرْأَةِ حَتْمًا، وَأَنْ يَكُونَ طَيِّبَ النَّفْسِ بِذَلِكَ، كَمَا يَمْنَحُ الْمَنِيحَةَ وَيُعْطِي

---

(1) هو أحيحة بن الجلاح الأوسي، والبيت في تفسير الطبري (549/7) وفي اللسان مادة (عيل).

(2) أخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (1730) "موارد".

(3) هو أحيحة بن الجلاح الأوسي، والبيت في (تفسير) الإمام (الطبري) برقم (549/7) وفي اللسان مادة (عيل).

النِّحْلَةَ طَيِّبًا بِهَا، كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يُعْطِيَ الْمَرْأَةَ صَدَاقَهَا طَيِّبًا بِذَلِكَ، فَإِنْ طَابَتْ هِيَ لَهُ بِهِ بَعْدَ تَسْمِيَتِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَلْيَأْكُلْهُ حَلَالًا طَيِّبًا" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا}

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: إِذَا اشْتَكَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا، فَلْيَسْأَلِ امْرَأَتَهُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَلْيَبْتَعْ بِهَا عَسَلًا ثُمَّ لِيَأْخُذْ مَاءَ السَّمَاءِ فَيَجْتَمِعُ هَنِيئًا مَرِيئًا شِفَاءً مُبَارَكًا.

وَقَالَ: هُشَيْمٌ، عَنْ سَيَّارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا زَوَّجَ ابْنَتَهُ أَخَذَ صَدَاقَهَا دُونَهَا، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَنَزَلَ: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} رواه (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ).(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} {النساء: 4}.

ولما كان كثير من الناس يظلمون النساء ويهضمونهن حقوقهن، خصوصا الصداق الذي يكون شيئا كثيراً، ودفعة واحدة، يشق دفعه للزوجة، أمرهم وحثهم على إيتاء النساء {صَدُقَاتِهِنَّ} أي: مهورهن {نِحْلَةً} أي: عن طيب نفس، وحال طمأنينة، فلا تمطلوهن أو تبخسوا منه شيئا. وفيه: أن المهر يدفع إلى المرأة إذا كانت مكلفة، وأنها تملكه بالعقد، لأنه أضافه إليها، والإضافة تقتضي التمليك.

{فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ} أي: من الصداق {نَفْسًا} بأن سمحن لكم عن رضا واختيار بإسقاط شيء منه، أو تأخيره أو المعاوضة عنه. {فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} أي: لا حرج عليكم في ذلك ولا تبعة.

وفيه دليل على أن للمرأة التصرف في مالها -ولو بالتبرع- إذا كانت رشيدة، فإن لم تكن كذلك فليس لعطيتها حكم، وأنه ليس لوليها من الصداق شيء، غير ما طابت به.

وفي قوله: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} دليل على أن نكاح الخبيثة غير مأمور به، بل منهي عنه كالمشركة، وكالفاجرة، كما قال تعالى: {وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ}.

وقال: {وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ}.(2)

* * *

قوله تعالى: (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة..)

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس: أن (عبد الرحمن بن عوف) تزوج امرأة على وزن

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (4)، للإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (4)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

نواة، فرأى النبيُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((بشاشة العُرس، فسأله، فقال. إني تزوجت امرأة على وزن نواة)).

وعن (قتادة) عن (أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة على وزن نواة من ذهب. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير. حدثنا أبي. حدثنا عبد العزيز بن عمر. حدثني الربيع بن سبرة الجهني، أن أباه حدثه، أنه كان مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: ((يا أيها الناس! إني قد كنتُ أذنت لكم في الاستمتاع من النساء. وإن الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة. فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله. ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً)). (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: يعني بـ "النحلة" المهر. (3)(4)

* * *

قوله تعالى: (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا).

قال: الإِمَامُ (الطبري) - والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: إذا كان من غير إضرار ولا خديعة، فهو هنيء مرىء كما قال الله جل ثناؤه. (5)(6)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَآتُواْ} أعْطوا {النسآء صَدُقَاتِهِنَّ} مهورهن {نِحْلَةً} هبة لَهُنَّ من الله فَرِيضَة عَلَيْكُم {فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ} فَإِن أحللن لكم من الْمهْر شَيْئا {نَفْساً} بطيبة النَّفس {فَكُلُوهُ هَنِيئًا} بِلَا إِثْم {مَّرِيئاً} بِلَا ملامة وَكَانُوا يَتَزَوَّجُونَ بِلَا مهر. (7)

* * *

[٥] ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تعطوا أيها الأولياء- الأموال للذين لا يحسنون التصرف، فهذه الأموال جعلها الله سببًا تقوم به مصالح العباد وأمور معاشهم،

---

(1) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (111/9)، (ح 5148)- (كتاب: النكاح)، / باب: قوله تعالى: (الآية).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1025/2)، (ح 1406) - (كتاب: النكاح)، / باب: (نكاح المتعة وبيان انه أبيح ثم نسخ.. واستقر تحريمه إلى يوم القيامة).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (4).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (4).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (4).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (4).

(7) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (4). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وهؤلاء ليسوا أهلًا للقيام على الأموال وحفظها، وأنفقوا عليهم واكسوهم منها، وقولوا لهم قولًا طيبًا، وعِدُوهم مَوعِدَةً حسنة بأن تعطوهم مالهم إذا بلغوا الرشد وحُسْنَ التصرف.(1)

* * *

يَعْنِي:- ولا تؤتوا أيها الأولياء- من يُبَذِّر من الرجال والنساء والصبيان أموالهم التي تحت أيديكم فيضعوها في غير وجهها، فهذه الأموال هي التي عليها قيام حياة الناس، وأنفقوا عليهم منها واكسوهم، وقولوا لهم قولا معروفًا من الكلام الطيب والخلق الحسن.(2)

* * *

يَعْنِي:- ولا تعطوا ضعاف العقول ممن لا يحسنون التصرف فى المال أموالهم التى هى أموالكم، فإن مال اليتيم وضعيف العقل مالكم، يعنيكم أمره وإصلاحه حتى لا يضيع المال، فقد جعل الله قوام الحياة، وأعطوهم من ثمراتها النصيب الذى يحتاجون إليه فى الطعام، واكسوهم وعاملوهم بالحسنى، وقولوا لهم: قولاً يرضيهم ولا يؤذيهم ولا يذلُّهم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلا تُؤْتُوا} .... الخطاب للأولياء.

{السُّفَهَاءَ} ... المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدى لهم بإصلاحها وتثميرها والتصرف فيها.

{السُّفَهَاءَ} ... أي: السَّفِيهُ هُوَ كُلُّ مَنْ لا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ في المال، يَعْنِي:- المرادُ هنا اليَتَامَى.

{أَمْوالَكُمُ} ... أضاف الأموال إليهم لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم.

{جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً} ... أي: تقومون بها وتنتعشون، ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها فى أنفسها قيامكم وانتعاشكم.

{قِيَامًا} ... جَعَلَ فيها قِوامَ مَعَاشِكُمْ وقَضَاءِ حَاجَاتِكُمْ الدينيةِ كالحجِّ وغيرِه، والدنيويةِ كالنفقة وغيرها.

قَالَ:الإمَامُ (الْبُخَارِيُّ) برقم (ج6/ ص42): قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): قِوَامًا , قِوَامُكُمْ مِنْ مَعَايِشِكُمْ.

{وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا} .... واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها فى الإنفاق.

{قَوْلًا مَعْرُوفاً} ... عدة جميلة، إن صلحتم ورشدتم ثم سلمنا إليكم أموالكم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم)

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (77/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (77/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (106/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: امرأتك وبنيك،
وقال: (السفهاء) الولدان، والنساء أسفه السفهاء. (1)(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) يقول الله سبحانه: لا تعمد إلى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنيك ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن أنت الذي تنفق عليهم في كسوتهم ورزقهم ومؤونتهم. قال وقوله (قياما). بمعنى: قوامكم في معايشكم. (3)(4)

* * *

قوله تعالى: (وقولوا لهم قولا معروفا)
قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): (وقولوا لهم قولا معروفا) قال: أمروا أن يقولوا لهم قولا معروفا في البر والصلة. (5)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {وَلاَ تُؤْتُواْ السفهآء} لاَ تعطوا الْجُهَّال بِموضع الْحق من النِّسَاء وَالْأَوْلَاد
{أَموالكُمُ الَّتِي جَعَلَ الله لَكُمْ قِيَاماً} معاشاً
{وارزقوهم فِيهَا} أطعموهم فِيهَا
{وَاكْسُوهُمْ} وَكُونُوا أَنْتُم القوامون على ذَلِك فَإِنَّكُم أعلم مِنْهُم فِي النَّفَقَة وَالصَّدَقَة بِموضع الْحق {وَقُولُواْ لَهُمْ} إن لم يكن لكم شَيْء
{قَوْلاً مَّعْرُوفاً} عِدَّة حَسَنَة أَي سأكسو وسأعطى. (6)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} اخْتَلَفُوا فِي هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ فَقَالَ قَوْمٌ: هُمُ النِّسَاءُ،
وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): النِّسَاءُ مِنْ أَسْفَهِ السُّفَهَاءِ،
وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): نَهَى الرِّجَالَ أَنْ يُؤْتُوا النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كُنَّ أَزْوَاجًا أَوْ بَنَاتٍ أَوْ أمهات،
وقال: (الآخرون): هُمُ الْأَوْلَادُ،
قَالَ: (الزُّهْرِيُّ): يَقُولُ لَا تُعْطِ وَلَدَكَ السَّفِيهَ مَالَكَ الَّذِي هُوَ قِيَامُكَ بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَيُفْسِدُهُ،
وَقَالَ: (بَعْضُهُمْ): هُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (5).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (5).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (5).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (5).
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (5). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).
(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (4). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): هِيَ امرأتك السفيهة وابنتك السفيهة،

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاس): لاَ تَعْمَدْ إِلَى مَالِكَ الَّذِي خَوَّلَكَ اللَّهُ وَجَعَلَهُ لَكَ مَعِيشَةً فَتُعْطِيَهُ امْرَأَتَكَ وَبَنِيك فَيَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ يَقُومُونَ عَلَيْكَ، ثُمَّ تَنْظُرُ إِلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَلَكِنْ أَمْسِكْ مَالَكَ وَأَصْلِحْهُ وَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تُنْفِقُ عَلَيْهِمْ فِي رِزْقِهِمْ وَمُؤْنَتِهِمْ،

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْر وَعِكْرِمَةُ): هُوَ مَالُ الْيَتِيمِ يَكُونُ عِنْدَكَ، يَقُولُ لاَ تُؤْتِهِ إِيَّاهُ وأنفقه عَلَيْهِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَإِنَّمَا أَضَافَ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ فَقَالَ: (أَمْوَالَكُمْ) لِأَنَّهُمْ قِوَامُهَا وَمُدَبِّرُوهَا، وَالسَّفِيهُ الَّذِي لا يَجُوزُ لِوَلِيِّهِ أَنْ يُؤْتِيَهُ مَالَهُ هُوَ المستحق الحجر عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُبَذِّرًا فِي مَالِهِ أَوْ مُفْسِدًا فِي دِينِهِ،

فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: (وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ)، أَيْ: الْجُهَّالَ بِمَوْضِعِ الْحَقِّ (أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا)، أصله: قواما، فانقلبت الواو ياء لِانْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا، وَهُوَ مِلاَكُ الْأَمْرِ وَمَا يَقُومُ بِهِ الْأَمْرُ. وَأَرَادَ هَاهُنَا قِوَامَ عَيْشِكُمُ الَّذِي تَعِيشُونَ بِهِ.

قَالَ: (الضَّحَّاكُ): بِهِ يُقَامُ الْحَجُّ وَالْجِهَادُ وَأَعْمَالُ الْبِرِّ وَبِهِ فَكَاكُ الرِّقَابِ مِنَ النَّارِ.

{وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا} أي: أطعموهم،

{وَاكْسُوهُمْ} لِمَنْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُ وَمُؤْنَتُهُ،

وَإِنَّمَا قَالَ: (فِيهَا) وَلَمْ يَقُلْ: منها، لأنه أراد أنهم جعلوا لَهُمْ فيها رِزْقًا فَإِنَّ الرِّزْقَ مِنَ اللَّهِ الْعَطِيَّةُ مِنْ غَيْرِ حد، ومن العباد أجر مُوَقَّتٌ مَحْدُودٌ،

{وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} عِدَةً جَمِيلَةً،

وَقَالَ: (عَطَاءٌ): إِذَا ربحت أعطيتك وإن غنمت فلك فيه حظ، يَعْنِي:- هُوَ الدُّعَاءُ،

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْد): إِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يجب عليك نفقته، فقل له: عافانا الله وإياك بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، يَعْنِي:- قَوْلًا تطيب به أنفسهم.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَعْرُوفًا (5)}، يَنْهَى تَعَالَى عَنْ تَمْكِينِ السُّفَهَاءِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا، أَيْ: تَقُومُ بِهَا مَعَايِشُهُمْ مِنَ التِّجَارَاتِ وَغَيْرِهَا. وَمِنْ هَاهُنَا يُؤْخَذُ الْحَجْرُ عَلَى السُّفَهَاءِ، وَهُمْ أَقْسَامٌ: فَتَارَةً يَكُونُ الحَجْرُ لِلصِّغَرِ" فَإِنَّ الصَّغِيرَ مَسْلُوبُ الْعِبَارَةِ. وَتَارَةً يَكُونُ الحجرُ لِلْجُنُونِ، وَتَارَةً لِسُوءِ التَّصَرُّفِ لِنَقْصِ الْعَقْلِ أَوِ الدِّينِ، وَتَارَةً يَكُونُ الْحَجْرُ لِلْفَلَسِ، وَهُوَ مَا إِذَا أَحَاطَتِ الدُّيُونُ بِرَجُلٍ وضاق مَالُهُ عَنْ وَفَائِهَا، فَإِذَا سَأَلَ الْغُرَمَاءُ الْحَاكِمَ الْحَجْرَ عَلَيْهِ حجر عليه.

وَقَدْ قَالَ: (الضَّحَّاكُ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاس) فِي قَوْلِهِ: {وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ} قَالَ: هُمْ بَنُوك وَالنِّسَاءُ،

وَكَذَا قَالَ: (ابْنُ مَسْعُود)، وَالْحَكَمُ بْنُ عُتَيبة وَ(الْحَسَنُ)، وَ(الضَّحَّاكُ): هُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ.

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْر): هُمُ الْيَتَامَى.

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (5).

وَقَــالَ: (مُجَاهِـدٌ)، وَ(عِكْرِمَـةُ)، وَ(قَتَـادَةُ): هُمُ النِّسَاءُ.

وَقَـالَ: الإِمَـام (ابْنُ أَبِـي حَـاتِم): ذُكِـرَ عَـنْ مُسْلِم بْنِ إِبْرَاهِيم، حَـدَّثَنَا حَـرْبُ بْـنُ سُـرَيْج عَـنْ مُعَاوِيَـةَ بْـنِ قُـرَّةَ عَـنْ (أَبِـي هُرَيْـرَةَ) {وَلا تُؤْتُـوا السُّـفَهَاءَ أَمْـوَالَكُمْ} قَـالَ: الْخَـدَمُ، وَهُـمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَهُمُ الْخَدَمُ.

وَقَوْلُـهُ: {وَارْزُقُـوهُمْ فِيهَـا وَاكْسُـوهُمْ وَقُولُـوا لَهُـمْ قَـوْلا مَعْرُوفًـا} قَـالَ: (عَلِـيُّ بْـنُ أَبِـي طَلْحَـةَ)، عَـنِ (ابْـنِ عَبَّـاسٍ) يَقُـولُ تَعَـالَى لاَ تَعْمَـدْ إِلَـى مَالِـكَ وَمَـا خَوَّلَـكَ اللَّـهُ، وَجَعَلَـهُ مَعِيشَةً، فَتعطيَـه امْرَأَتَـكَ أَوْ بَنِيـكَ، ثُـمَّ تَنْظُـرَ إِلَـى مَـا فِـي أَيْـدِيهِمْ، وَلَكِـنْ أَمْسِـكْ مَالَـكَ وأصـلحْه، وَكُـنْ أَنْـتَ الَّـذِي تُنْفِـقُ عَلَـيْهِمْ مِـنْ كِسْوتهم وَمُؤْنَتِهِمْ ورِزْقِهِمْ.

وَقَـالَ: (ابْـنُ جَرِيـرٍ): حَـدَّثَنَا ابْـنُ الْمُثَنَّـى: حَـدَّثَنَا مُحَمَّـدُ بْـنُ جَعْفَـرٍ، حَـدَّثَنَا شُـعْبَةُ، عَـنْ فِـرَاسٍ، عَـنِ الشَّـعْبِيِّ، عَـنْ أَبِـي بُـرْدَةَ، عَـنْ أَبِـي مُوسَـى قَـالَ: ثَلاَثَـةٌ يَـدْعُونَ اللَّـهَ فَـلاَ يَسْـتَجِيبُ لَهُـمْ: رَجُـلٌ كَانَـتْ لَـهُ امْـرَأَةٌ سَـيِّئَةُ الْخُلُـقِ فَلَـمْ يُطَلِّقْهَا، وَرَجُلٌ أَعْطَى مَالَهُ سَفِيهًا، وَقَـدْ قَـالَ: {وَلا تُؤْتُـوا السُّـفَهَاءَ أَمْـوَالَكُمْ} وَرَجُـلٌ كَـانَ لَـهُ عَلَـى رَجُـلٍ دَيْـنٌ فَلَـمْ يُشْهِد عَلَيْهِ. (1)

وَقَـالَ: (مُجَاهِـدٌ): {وَقُولُـوا لَهُـمْ قَـوْلا مَعْرُوفًا} يَعْنِي فِي الْبِرِّ وَالصِّلَة.

وَهَـذِهِ الْآيَـةُ الْكَرِيمَـةُ انْتَظَمَـتِ الْإِحْسَـانَ إِلَـى الْعَائِلَـةِ، وَمَـنْ تَحْـتَ الحَجْـرِ بِالْفِعْـل، مِـنَ الْإِنْفَـاقِ فِـي الْكَسَـاوَى وَالْإِنْفَـاقِ وَالْكَـلاَمِ الطَّيِّبِ، وَتَحْسِينِ الْأَخْلَاقِ. (2)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تقسـيره):- {5}وقولـه تعـالى: {وَلا تُؤْتُـوا السُّـفَهَاءَ أَمْـوَالَكُمُ الَّتِـي جَعَـلَ اللَّـهُ لَكُـمْ قِيَامًـا وَارْزُقُـوهُمْ فِيهَـا وَاكْسُـوهُمْ وَقُولُـوا لَهُـمْ قَـوْلا مَعْرُوفًـا}. السـفهاء: جمـع "سـفيه" وهـو: مـن لا يحسـن التصـرف في المـال، إمـا لعـدم عقلـه كـالمجنون والمعتـوه، ونحوهمـا، وإمـا لعـدم رشـده كالصـغير وغـير الرشـيد. فنهـى الله الأوليـاء أن يؤتـوا هـؤلاء أمـوالهم خشـية إفسـادها وإتلافهـا، لأن الله جعـل الأمـوال قيامـا لعبـاده في مصـالح ديـنهم ودنيـاهم، وهـؤلاء لا يحسـنون القيـام عليهـا وحفظهـا، فـأمر الـولي أن لا يـؤتيهم إياهـا، بـل يـرزقهم منهـا ويكسـوهم، ويبـذل منهـا مـا يتعلـق بضـروراتهم وحاجـاتهم الدينيـة والدنيويـة، وأن يقولـوا لهـم قـولا معروفـا، بـأن يعـدوهم - إذا طلبوهـا- أنهـم سـيدفعونها لهـم بعـد رشـدهم، ونحـو ذلـك، ويلطفـوا لهـم في الأقـوال جبرًا لخواطرهم.

وفي إضـافته تعـالى الأمـوال إلى الأوليـاء، إشـارة إلى أنـه يجـب علـيهم أن يعملـوا في أمـوال السـفهاء مـا يفعلونـه في أموالهم، مـن الحفـظ

---

(1) قال: الشيخ (أحمد الشاكر) في (عمدة التفسير) برقم (111/3): الإمام (الطبري) برقم (8544). و(إسناده صحيح)، ورواه الإمام (الحاكم) (302/2)، بإسناد آخر مرفوعاً. وقال: ((صحيح على شرط الشيخين، ولم بخرجاه لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى)). ووافقه الإمام (الذهبي). وعنده أنها صحيحان، والرفع زيادة من ثقة، فهي مقبولة. ثم إن هذا الموقوف من الواضح أنه ممالا يدرك بالرأي، فهو مرفوع حكما. و الإمام (السيوطي) في (الدررالمنثور) برقم (2/ 120-121)، زاد نسبه المرفوع للإمام (البيهقي) في (الشعب)، والموقوف للإمام(ابن أبي شيبة)، و(ابن المنذر).

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة ( ) الآية ( )، لِلإِمَامْ (ابن كثير). (309/2) (دار الآثار - الطبعة الأولى: 2009م).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (5)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

والتصرف وعدم التعريض للأخطار. وفي الآية دليل على أن نفقة المجنون والصغير والسفيه في مالهم، إذا كان لهم مال، لقوله: {وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ}.

وفيه دليل على أن قول الولي مقبول فيما يدعيه من النفقة الممكنة والكسوة؛ لأن الله جعله مؤتمنا على مالهم فلزم قبول قول الأمين. (1)

* * *

[٦] ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واختبروا - أيها الأولياء - اليتامى إذا وصلوا سن البلوغ، بإعطائهم جزءاً من مالهم يتصرفون فيه، فإن أحسنوا التصرف فيه، وتبين لكم رشدهم؛ فسلموا إليهم أموالهم كاملة غير منقوصة، ولا تأكلوا أموالهم متجاوزين الحد الذي أباحه الله لكم من أموالهم عند الحاجة، ولا تبادروا بأكلها خشية أن يأخذوها إذا بلغوا، ومن كان منكم له مال يُغْنيه فليمتنع عن الأخذ من مال اليتيم، ومن كان منكم فقيراً لا مال له فليأكل بقدر حاجته، وإذا سلمتم إليهم أموالهم بعد البلوغ وتبين الرشد منهم؛ فاشهدوا على ذلك التسليم حفظًا للحقوق، ومنعًا لأسباب الاختلاف، وكفى الله شاهدا على ذلك، ومحاسبًا للعباد على أعمالهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- واختبروا مَن تحت أيديكم من اليتامى لمعرفة قدرتهم على حسن التصرف في أموالهم، حتى إذا وصلوا إلى سن البلوغ، وعَلِمتم منهم صلاحًا في دينهم، وقدرة على حفظ أموالهم، فسلِّموها لهم، ولا تعتدوا عليها بإنفاقها في غير موضعها إسرافًا ومبادرة لأكلها قبل أن يأخذوها منكم. ومَن كان صاحب مال منكم فليستعفف بغناه، ولا يأخذ من مال اليتيم شيئًا، ومن كان فقيرًا فليأخذ بقدر حاجته عند الضرورة. فإذا علمتم أنهم قادرون على حفظ أموالهم بعد بلوغهم الحُلُم وسلمتموها إليهم، فأَشْهِدوا عليهم؛ ضمانًا لوصول حقهم كاملا إليهم؛ لئلا ينكروا ذلك. ويكفيكم أن الله شاهد عليكم، ومحاسب لكم على ما فعلتم. (3)

* * *

يَعْنِي:- واختبروا عقول اليتامى وتبينوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ، حتى إذا أصبحوا صالحين للزواج وتبينتم رشدهم وسدادهم فادفعوا إليهم أموالهم، ولا

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (5)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/77). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/77)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

تأكلوها مسرفين مستعجلين الانتفاع بها قبل أن يبلغوا وتُردُّ إليهم. ومن كان من الأوصياء عليهم غنياً فليتعفف عن أموال اليتامى، ومن كان فقيراً فليكتف بقدر ما يكفيه عُرْفاً، فإذا سلمتموهم أموالهم فأشهدوا عليهم، والله من ورائكم هو المحاسب والمراقب، وكفى به حسيباً ومراقباً. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَابْتَلُوا} ... اخْتَبِرُوا.

{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى} ... واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ.

{النِّكَاحَ} ... أي: الحلم.

{آنَسْتُم} ... عَلِمْتُم.

{آنَسْتُم مِنْهُمْ رُشْداً} ... أي: حتى إذا تبينتم منهم هداية.

{رُشْدًا} ... حُسْنَ تَصَرُّفٍ فِي الأَمْوَالِ.

{فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} ... دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ.

{إِسْرَافاً وَبِدَاراً} ... مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في إنفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعونها من أيدينا.

{وَبِدَارًا} ... مُبَادَرَةً.

(أي: مبادرةً فتُبَادِرُونَ إلى أكْلِ مَالِ اليتيم مخافةَ أن يَكْبَرُوا فَيَمْنَعُوكُمْ منها).

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ) برقم (ج6/ ص43): {وَبِدَارًا} : مُبَادَرَةً.

{فَلْيَسْتَعْفِفْ} ... أي: يستعف من أكلها ولا يطمع، ويقنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقا على اليتيم، وإبقاء على ماله.

{فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ} ... بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم، وذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل في الأمانة وبراءة للساحة.

{وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً} ... أي: كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض.

أو محاسبا، فعليكم بالتصادق، وإياكم والتكاذب.

{حَسِيبًا} ... مُحَاسِبًا، وَشَاهِدًا.

وقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ) برقم (ج6/ ص47): {حَسِيبًا} : كَافِيًا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم).

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: يقول الله تبارك وتعالى اختبروا اليتامى عند الحلم، فإن عرفتم منهم الرشد في حالهم والإصلاح في أموالهم

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (107/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

فادفعوا إليهم أموالهم وأشهدوا عليهم. (1)(2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه اللّه) – في (تفسيره):- (بسنده (الحسن) – عن (قتادة): (فإن أنستم منهم رشدا) يقول: صلاحا في عقله ودينه. (3)

* * *

قوله تعالى: (ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا)

قال: الإمَامْ (الطبري) – والإمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما اللّه) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله (إسرافا وبدارا) يعني: أكل مال اليتيم مبادرا أن يبلغ، فيحول بينه وبين ماله. (4)(5)

* * *

قوله تعالى: (ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف)

قال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه اللّه) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثني إسحاق أخبرنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن (عائشة) – رضي الله عنها –في قوله تعالى: (ومن كان غنياً فليستعفف، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيراً أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف. (6)(7)

* * *

قال: الإمَامْ (أبو داود) – (رحمه اللّه) – في (سننه) – (بسنده):- حدثنا حميد بن مسعدة، أن خالد بن الحارث حدثهم، ثنا حسين -يعني المعلم- عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رجلا أتى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال: إني فقير ليس لي شيء، ولي يتيم، قال: فقال: ((كُلْ من مال يتيمك غير مسرف، ولا مبادر، ولا متأثل)). (8)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – والإمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما اللّه) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) يعني: القرض. (9)(10)

* * *

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (6).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (6).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (6).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (6).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (6).

(6) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (89/8)، (ح 4575) - (كتاب : تفسير القرآن)- (سورة النساء)، / باب:(الآية)،

(7) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2315/4)- (كتاب : التفسير) .

(8) وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (115/3)، (ح 2872) – (كتاب : الوصايا)، / باب:(ما جاء في ما لولى اليتيم أن ينال من مال اليتيم)

.

وأخرجه الإِمَامْ (النساء) في (السنن) برقم (256/6) – ((كتاب : الوصايا)، / باب:(ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه) .

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (6747) و (7022) .

قال: الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني): (إسناده قوي) في (فتح الباري) برقم (90/8)

وقال: (محقق): (المسند): (إسناده صحيح).

وقال: الإمام (الألبانى): (حسن صحيح). في (صحيح النسائى) برقم (3429) .

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة : الأولى)، برقم (2/ 9)،

(9) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (6).

(10) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (6).

قوله تعالى: (وكفى بالله حسيباً)

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي): (وكفى بالله حسيباً) يقول: شهيداً.(1)

* * *

وأخرجه الإمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير):- وَعَنْ (حَنْظَلَةَ بْنِ حِذْيَمِ بْنِ حَنِيفَةَ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: ((لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ , وَلَا يُتْمَ عَلَى جَارِيَةٍ إِذَا هِيَ حَاضَتْ)).(2)

* * *

وقال: الإمَامْ (مُسلِم) – في (صحيحه)، - والإمَامْ (النسائي) - في (السُنَن الصغرى)، - والإمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- , وعَنْ يَزِيدَ بْنِ هُرْمُزَ(3) قَالَ: (كَتَبَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ(4) الْحَرُورِيُّ(5) حِينَ(5) حِينَ خَرَجَ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ)(6) إِلَى(6) إِلَى (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رضي الله عنهما – يَسْأَلُهُ مَتَى يَنْقَضِي يُتْمُ الْيَتِيمِ؟ , فَكَتَبَ إِلَيْهِ (ابْنُ عَبَّاسٍ): كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْيَتِيمِ مَتَى يَنْقَطِعُ عَنْهُ اسْمُ الْيُتْمِ(7) وَإِنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ اسْمُ الْيُتْمِ حَتَّى يَبْلُغَ يَبْلُغَ النِّكَاحَ , وَيُؤْنَسَ مِنْهُ رُشْدٌ , وَإِنَّهُ إِذَا بَلَغَ النِّكَاحَ وَأُونِسَ مِنْهُ رُشْدٌ , دُفِعَ إِلَيْهِ مَالُهُ , وَانْقَضَى يُتْمُهُ , وَلَعَمْرِي إِنَّ الرَّجُلَ لَتَنْبُتُ لِحْيَتُهُ , وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْأَخْذِ لِنَفْسِهِ , ضَعِيفُ الْعَطَاءِ مِنْهَا , فَإِذَا أَخَذَ لِنَفْسِهِ مِنْ صَالِحِ مَا يَأْخُذُ النَّاسُ , فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ الْيُتْمُ(8)(9).

* * *

وقال: الإمَامْ (البُخَاري و مُسلِم) – (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- , وَعَنْ (عَائِشَةَ) – رضي الله عنها – أَنَّهَا قَالَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ({وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا , وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ , وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ}(10) قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (6).

(2) أخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) (ج4ص14ح) برقم (3502) ,

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2873).

وأخرجه الإمام (الطيالسي) في (المسند) برقم (1767) .

وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (11091).

انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (3180) ,

وفي (الإرواء الغليل) رقم (1244). للإِمَامْ (الألباني)

(3) هو: يزيد بن هرمز المدني، أبو عبد الله , مولى بني ليث , (الطبقة: 3 , من الوسطى من التابعين , الوفاة: 100 هـ على رأسها , روى له: الإمام (مسلم , أبو داود، الترمذي، النسائي) , رتبته عند الإمام (ابن حجر): ثقة.

(4) هُوَ رَئِيس الْخَوَارِج.

(5) الحَرورِية: طائفة من الخوارج , نسبوا إلى حَرُوراء , وَهِيَ قَرْيَة بِالْكُوفَةِ.

عون المعبود - (ج 6 / ص 460)

(6) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4133).

(7) أَيْ: مَتَى يَنْقَضِي حُكْم الْيُتْم؟ , وَيَسْتَقِلّ بِالتَّصَرُّف فِي مَاله؟. النووي (6/ 272)

(8) أَمَّا نَفْس الْيُتْم , فَيَنْقَضِي بِالْبُلُوغِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((لَا يُتْم بَعْد الْحُلُم))، وَفِي هَذَا دَلِيل لِلشَّافِعِيِّ , وَمَالِك, وَجَمَاهِير الْعُلَمَاء أَنَّ حُكْم الْيُتْم لَا يَنْقَطِع بِمُجَرَّدِ الْبُلُوغ , وَلَا بِعُلُوِّ السِّنّ، بَلْ لَا بُدّ أَنْ يَظْهَر مِنْهُ الرُّشْد فِي دِينه وَمَاله.

وَقَالَ: الإمام (أَبُو حنِيفَة): إِذَا بَلَغَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَة , زَالَ عَنْهُ حُكْم الصِّبْيَان، وَصَارَ رَشِيدًا يَتَصَرَّف فِي مَالِه، وَيَجِب تَسْلِيمه إِلَيْهِ , وَإِنْ كَانَ غَيْر ضَابِط لَهُ.

وَأَمَّا الْكَبِير إِذَا طَرَأَ تَبْذِيره , فَمَذْهَب مَالِك وَجَمَاهِير الْعُلَمَاء: وُجُوب الْحَجْر عَلَيْهِ.

وَقَالَ: الإمام (أَبُو حَنِيفَة): لَا يُحْجَر.

قَالَ: (اِبْن الْقَصَّار) وَغَيْره: الصَّحِيح الْأَوَّل، وَكَأَنَّهُ إِجْمَاع. شرح النووي (6/ 272)

(9) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1812)

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (6)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(10) {النساء/6}.

وَالِي الْيَتِيمِ الَّذِي يُقِيمُ عَلَيْهِ ، وَيُصْلِحُ فِي مَالِهِ, إِنْ كَانَ فَقِيرًا أَكَلَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ(1) (مَكَانَ قِيَامه عَلَيْه)(2).

* * *

و أخرج الإِمَامُ (النسائي)، و(أبو داود)، و (ابن ماجة) - في (سُننهم) - والإمامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنبَل) - في (مُسنده):- (رحمهم الله) - (بسنديهم)، :-

وَعَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو) – رضي الله عنهما - (أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: إِنِّي فَقِيرٌ لَيْسَ لِي شَيْءٌ, وَلِي يَتِيمٌ (3) لَهُ مَالٌ, قَالَ: - صلى الله عليه وسلم -: "كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ , غَيْرَ مُسْرِفٍ , وَلَا مُتَأَثِّلٍ(4) مَالًا(5) (وَلَا مُبَذِّرٍ)(6) (وَلَا مُبَادِرٍ)(6) (7) (وَمِنْ غَيْرِ أَنْ تَقِيَ مَالَكَ, أَوْ قَالَ: تَفْدِيَ مَالَكَ بِمَالِهِ)(8) "(9) (7)

* * *

وقال: الإمَامُ (مالك) – (رحمه الله) - في (الموطأ) - (بسنده):- , وَعَنْ (الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى (عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - فَقَالَ لَهُ: إِنَّ لِي يَتِيمًا , وَلَهُ إِبِلٌ , أَفَأَشْرَبُ مِنْ لَبَنِ إِبِلِهِ؟ , فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): إِنْ كُنْتَ تَبْغِي ضَالَّةَ إِبِلِهِ(10) وَتَهْنَأُ جَرْبَاهَا(11) وَتَلُطُّ حَوْضَهَا(12) وَتَسْقِيهَا يَوْمَ وِرْدِهَا(13) فَاشْرَبْ غَيْرَ مُضِرٍّ بِنَسْلٍ , وَلَا نَاهِكٍ فِي الْحَلْبِ.(14)(15)

وقال: الإمَامُ (البُخَاري و مُسلم) – (رحمهما الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- (ج4ص9): وَلِلْوَصِيِّ أَنْ يَعْمَلَ فِي

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2098).

وأخرجه الإمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (10) - (3019).

(2) أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم {4299}.

(3) أخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3668).

وأخرجه الإمَامُ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (2872).

وأخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2718).

وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (6747).

(4) أَيْ: غَيْرَ مُتَّخِذٍ مِنْهُ أَصْلَ مَالٍ, وَأَثْلَةُ الشَّيْءِ: أَصْلُه , وَوَجْهُ إِبَاحَتِهِ لَهُ الْأَكْلَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ , أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِ وَالِاسْتِصْلَاحِ لَهُ، وَأَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ عَلَى قَدْرِ مِثْلِ عَمَلِهِ , وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْأَكْلِ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ، فَرُوِيَ عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَنَّهُ قَالَ: يَأكُل مِنْهُ الْوَصِيّ إِذَا كَانَ يَقُوم عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل , وَقَالَ: (الْحَسَن) وَ(النَّخَعِيّ): يَأكُل وَلَا يَقْضِي مَا أَكَلَ , وَقَالَ: (عُبَيْدَةُ السَّلْمَانِيّ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ): يَأكُلُ , وَيُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ إِذَا كَبِرَ , وَهُوَ قَوْلُ الْأَوْزَاعِيِّ. عون المعبود - (ج 6 / ص 336).

(5) أخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2718).

وأخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3668).

وأخرجه الإمَامُ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (2872).

وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (7022).

(6) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (7022).

وأخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3668).

(7) مِنَ الْمُبَادَرَة , قَالَ تَعَالَى: {وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا} , أَيْ: لَا مُبَادِرٍ بُلُوغَ الْيَتِيمِ بِإِنْفَاقِ مَالِه. عون المعبود (ج6/ ص336).

(8) أخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2872).

(9) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (7022).

وأخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2718).

و(حسنه) الإمام (الألباني) في (الإرواء): (1456)، و (هداية الرواة): (3292).

(10) أَيْ: تَطْلُبُ مَا ضَلَّ مِنْهَا , وَتَقْتَفِي أَثَرَهُ , وَتَنْشُدُهُ , يُرِيدُ عَلَى حَسَبِ مَا تَفْعَلُ بِضَالَّةِ إِبِلِك" لِأَنَّهُ هُوَ الِابْتِغَاءُ الْمُعْتَادُ. المنتقى شرح الموطأ (ج 4 / ص 345).

(11) أَيْ: تَطْلِي الْجَرِبَةَ مِنْهَا بِالْهَنَاءِ , وَهُوَ الْقَطِرَانُ. المنتقى (ج 4 / ص 345).

(12) أَيْ: تَرُمُّ حَوْضَهَا الَّذِي تَشْرَبُ مِنْهُ , وَتَكْنُسُهُ , وَلَطْتَ الْحَوْضَ لُوطًا: طَيَّنْتُه. المنتقى (ج 4 / ص 345).

(13) أَيْ: يَوْمَ شُرْبِهَا. المنتقى - شرح الموطا - (ج 4 / ص 345)

(14) (فَاشْرَبْ غَيْرَ مُضِرٍّ بِنَسْلٍ) عَلَى مَعْنَى الْإِبَاحَةِ لَهُ لِيَشْرَبَ مِنْ لَبَنِهَا عَلَى هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا يَضُرَّ بِأَوْلَادِهَا.
(وَلَا نَاهِكٍ فِي الْحَلَبِ) يُرِيدُ مُسْتَأْصِلَ اللَّبَنِ.
وَالْحَلَبُ بِفَتْحِ اللَّامِ: اللَّبَنُ , وَبِتَسْكِينِ اللَّامِ: الْفِعْلُ. المنتقى (ج 4 / ص 345)

(15) أخرجه الإمَامُ (مالك) في (الموطأ) برقم (1671) .

وأخرجه الإمَامُ (عبد الرزاق) في(تفسيره) برقم (511) .

وأخرجه الإمَامُ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (2206) .

وأخرجه الإمَامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (12450).

مَالِ اليَتِيمِ ، وَمَا يأكُلُ مِنْهُ بِقَدْرِ عُمَالَتِهِ. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {6} قوله تعالى: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى} أي: اختبروهم في عُقُولهم وأَدْيانهم وحفظهم أَمْوالَهُمْ، {حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ} أَيْ: مَبْلَغَ الرِّجالِ وَالنِّسَاءِ، {فَإِنْ آنَسْتُمْ} أبصرتم، {مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} فَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ يَعْنِي: عقْلًا وصَلاحًا في الدِّين وحفظًا للمال وعلمًا بما يُصْلِحُهُ. وقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ وَالشَّعْبِيُّ): لَا يدفَعُ إِلَيْهِ مالَهُ وإِنْ كَانَ شَيْخًا حَتَّى يُؤْنس مِنْهُ رُشْدَه، وَالِابْتِلاءُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالهم فَإِنْ كَانَ ممَّنْ يَتَصَرَّفُ في السُّوقِ فَيَدْفَعُ الْوَلِيُّ إِلَيْهِ شَيْئًا يَسِيرًا مِنَ الْمَالِ وَيَنْظُرُ في تَصَرُّفه وَإِنْ كَانَ ممَّنْ لا يَتَصَرَّفُ في السوق فيختبره في نَفَقَةِ داره، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى عَبِيده وأُجرائه، وتُخْتَبَرُ الْمَرْأَةُ في أمر بيتها وحفظ متاعها، فإذا رأى حسن تدبير، وتصرف في الْأُمور مرارًا يَغْلِبُ عَلَى الْقَلْبِ رُشْدُهُ، دَفَعَ الْمَالَ إِلَيْهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَّقَ زَوَالَ الْحَجْرِ عَنِ الصَّغِيرِ وَجَوَازَ دَفْعِ الْمَالِ إِلَيْهِ بِشَيْئَيْنِ: بِالْبُلُوغِ والرشد، والبلوغ يَكُونُ بِأَحَدِ أَشْيَاءَ أَرْبَعَةٍ، اثْنَانِ يَشْتَرِكُ فيهما الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَاثْنَانِ مختصان بالنساء، أَحَدُهُمَا السِّنُّ، وَالثَّانِي الِاحْتِلَامُ، أَمَّا السِّنُّ فَإِذَا اسْتَكْمَلَ الْمَوْلُودُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً حُكِمَ بِبُلُوغِهِ غُلَامًا كَانَ أو جارية، وَأَمَّا الِاحْتِلَامُ فَنَعْنِي بِهِ نُزُولَ الْمَنِيِّ سَوَاءً كَانَ بِالِاحْتِلَامِ أَوْ بِالْجِمَاعِ، أَوْ غَيْرِهِمَا، فَإِذَا وَجَدْتَ ذَلِكَ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ تِسْعِ سِنِينَ مِنْ أَيِّهِمَا كَانَ حُكِمَ بِبُلُوغِهِ، أما ما يَخْتَصُّ بِالنِّسَاءِ فَالْحَيْضُ وَالْحَبَلُ، فَإِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ تِسْعِ سِنِينَ يُحْكَمُ بِبُلُوغِهَا، وَكَذَلِكَ إِذَا وَلَدَتْ يُحْكَمُ بِبُلُوغِهَا قَبْلَ الْوَضْعِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ لِأَنَّهَا أَقَلُّ مُدَّةِ الْحَمْلِ. وَأَمَّا الرُّشْدُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُصْلِحًا فِي دِينِهِ وماله، والصلاح فِي الدِّينِ هُوَ أَنْ يَكُونَ مُجْتَنِبًا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تُسْقِطُ الْعَدَالَةَ، وَالصَّلَاحُ فِي الْمَالِ هُوَ أَلا يَكُونَ مُبَذِّرًا، وَالتَّبْذِيرُ: هُوَ أَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ فِيمَا لَا يَكُونُ فِيهِ مَحْمَدَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ وَلَا مَثُوبَةٌ أُخْرَوِيَّةٌ، أَوْ لَا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ فِيهَا، فَيغبن في البيوع، قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوهَا} يا معشر الأولياء {إِسْرَافًا} بغير حق، {وَبِدَارًا} أي: مبادرة، {أَنْ يَكْبَرُوا} (أَنْ) فِي مَحَلِّ النَّصْبِ، يَعْنِي: لَا تُبَادِرُوا كِبَرَهُمْ وَرُشْدَهُمْ حَذَرًا مِنْ أَنْ يَبْلُغُوا فَيَلْزَمَكُمْ تَسْلِيمُهَا إِلَيْهِمْ، ثُمَّ بَيَّنَ مَا يَحِلُّ لهم ومن مَالِهِمْ فَقَالَ: {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ} أَيْ لِيَمْتَنِعْ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ فَلَا يرزؤه قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، وَالْعِفَّةُ الِامْتِنَاعُ ممَّا لَا يَحِلُّ، {وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا} مُحْتَاجًا إِلَى مَالِ الْيَتِيمِ وَهُوَ يحفظه ويتعهده، {فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ هَلْ يَلْزَمُهُ القضاء، فذهب بعضهم إلى أن يَقْضِي إِذَا أَيْسَرَ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: (فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ)، فَالْمَعْرُوفُ الْقَرْضُ، أَيْ: يَسْتَقْرِضُ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أيسر قضاه،

(1) انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (6)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

وَقَالَ قَوْمٌ: لاَ قَضَاءَ عَلَيْهِ، {فَإِذا دَفَعْتُم إِلَيهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيهِمْ} هذا أمر وإرشاد، وليس بِوَاجِب، أَمَرَ الوَلِيَّ بِالْإِشْهَاد عَلَى دَفْعِ الْمَالِ إِلَى الْيَتِيمِ بَعْدَمَا بَلَغَ لِتَزُولَ عَنْهُ التُّهْمَةُ وَتَنْقَطِعَ الخصومة {وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً} {النساء: 6} محاسبا ومجازيا وشاهدا.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وابتلوا اليَتَامَى} اختبروا عقول اليَتَامَى {حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكَاحَ} الْحلم.

{فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ} فَإِن رَأَيْتُمْ مِنْهُم.

{رُشْداً} صلاحاً فِي الدّين وحفظاً فِي المَال .

{فَادفعوا إِلَيهِمْ أَمْوَالَهُمْ} الَّتِي عنْدكُمْ {وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً} فِي الْمعْصِيَة حَرَامًا.

{وَبِدَاراً} مبادرة كبر الْيَتِيم إِلَى أكلهَا الأول فَالْأول .

{أَن يَكْبَرُوا} مَخَافَة أَن يكبروا فيمنعوكم من ذَلِك {وَمَن كَانَ غَنِيّاً} عَن مَال الْيَتِيم.

{فَلْيَسْتَعْفِفْ} بغناه عَن مَال الْيَتِيم وَلاَ يرزأ، أَي: لاَ ينقص مِنْهُ شَيْئا.

{وَمَن كَانَ فَقِيراً} مُحْتَاجا.

{فَلْيَأْكُلْ} من الَّذِي لَهُ.

{بِالْمَعْرُوفِ} بالتقدير لكَي لاَ يحْتَاج إِلَى مَال الْيَتِيم وَيُقَال فليأكل بِالْمَعْرُوف بِقدر مَا يعْمل فِي مَال الْيَتِيم وَيُقَال فليأكل بِالْمَعْرُوف بالقرض ليرد عَلَيْهِ.

{فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيهِمْ أَمْوَالَهُمْ} بعد الرشد وَالْبُلُوغ .

{فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ} عِنْد الدّفع .

{وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً} شَهِيدا نزلت فِي (ثَابت بن رِفَاعَة الْأنْصَارِيّ).(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- الابتلاء: هو الاختبار والامتحان، وذلك بأن يدفع لليتيم المقارب للرشد، الممكن رشده، شيئا من ماله، ويتصرف فيه التصرف اللائق بحاله، فيتبين بذلك رشده من سفهه، فإن استمر غير محسن للتصرف لم يدفع إليه ماله، بل هو باق على سفهه، ولو بلغ عمرا كثيرا.

فإن تبين رشده وصلاحه في ماله وبلغ النكاح {فَادْفَعُوا إِلَيهِمْ أَمْوَالَهُمْ} كاملة موفرة. {وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا} أي: مجاوزة للحد الحلال الذي أباحه الله لكم من أموالكم، إلى الحرام الذي حرمه الله عليكم من أموالهم.

{وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا} أي: ولا تأكلوها في حال صغرهم التي لا يمكنهم فيها أخذها منكم، ولا منعكم من أكلها، تبادرون بذلك أن يكبروا، فيأخذوها منكم ويمنعوكم منها.

وهذا من الأمور الواقعة من كثير من الأولياء، الذين ليس عندهم خوف من الله، ولا رحمة ومحبة للمولى عليهم، يرون هذه الحال حال فرصة فيغتنمونها ويتعجلون ما حرم الله

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (6).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (6). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

عليهم، فنهى الله تعالى عن هذه الحالة بخصوصها.[1]

* * *

قال : الإمامُ (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ): أَيِ: اخْتَبِرُوهُمْ،

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ قَالَ: (مُجَاهِدٌ): يَعْنِي: الْحُلُم.

قَالَ: (الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ): الْبُلُوغُ فِي الْغُلَامِ تَارَةً يَكُونُ بِالْحُلُم، وَهُوَ أَنْ يَرَى فِي مَنَامِهِ مَا يُنْزِلُ بِهِ الْمَاءَ الدَّافِقَ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ الْوَلَدُ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: عَنْ (عَائِشَةَ) وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ)).[2] أَوْ يَسْتَكْمِلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَخَذُوا ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ الثَّابِتِ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) قَالَ: عُرِضْتُ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم - يوم أحد وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعُرِضْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ فَأَجَازَنِي[3]، فَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ -لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ- إِنَّ هَذَا الْفَرْقَ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي إِنْبَاتِ الشَّعْرِ الْخَشِنِ حَوْلَ الْفَرْجِ، وَهُوَ الشِّعْرَةُ، هَلْ تَدُلُّ عَلَى بُلُوغٍ أَمْ لَا؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ، يُفَرَّقُ فِي الثَّالِثِ بَيْنَ صِبْيَانِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ لِاحْتِمَالِ الْمُعَالَجَةِ، وَبَيْنَ صِبْيَانِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَيَكُونُ بُلُوغًا فِي حَقِّهِمْ" لِأَنَّهُ لَا يَتَعَجَّلُ بِهَا إِلَّا ضَرْبَ الْجِزْيَةِ عَلَيْهِ، فَلَا يُعَالِجُهَا.

وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا بُلُوغٌ فِي حَقِّ الْجَمِيعِ لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ جِبِلِّيٌّ يَسْتَوِي فِيهِ النَّاسُ، وَاحْتِمَالُ الْمُعَالَجَةِ بَعِيدٌ، ثُمَّ قَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: عُرِضْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ قُرَيْظَةَ فَكَانَ مَنْ أَنْبَتَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ خَلَّى سَبِيلَهُ، فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ، فَخَلَّى سَبِيلِي.

وَقَدْ أخرجه أَهْلُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ بِنَحْوِهِ[4]، وَقَالَ: الإمام (التِّرْمِذِيُّ): (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (6)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (144/6).

وأخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (4398).

وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (4332).

وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2041).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (67/2).

وأخرجه الإمام (إسحاق بن راهوية) برقم (988/3).

وأخرجه الإمام (الدارمي) في (السنن) برقم (2296).

وأخرجه الإمام (ابن الجاروت) برقم (148).

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (142).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (المشكاة) رقم (3287).

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (6)، للإمام (ابن كثير).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (2664) – ((كتاب: الشهادات)).

وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (1868) – ((كتاب: الإمارات)).

(4) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (310/4).

وأخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (4404) (4405).

وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (1584).

وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ" لأَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذ، (رضي اللَّهُ عَنْهُ)، كَانَ قَدْ حكَمَ فيهمْ بِقَتْلِ الْمُقَاتِلَة وسَبْي الذُّرِّيَّة.

وَقَوْلُهُ: {فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْر): يَعْنِي: صَلاحا في دِينهمْ وَحفظًا لأَمْوَالِهمْ. وَكَذَا رُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاس)، (وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيّ)، وغَيْر وَاحد منَ الأَئمَّة. و هَكَذَا (قَالَ الْفُقَهَاءُ) متَى بلغَ الْغُلامُ مُصْلحًا لدينه وَمَاله، انْفَكَّ الْحَجْرُ عَنْهُ، فَيُسَلَّمُ إلَيْه مَالُهُ الَّذِي تَحْتَ يَد وَليِّه بِطَرِيقِه.

وَقَوْلُهُ: {وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا} يَنْهَى تَعَالَى عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى مِنْ غَيْرِ حَاجَة ضَرُورِيَّة إِسْرَافًا وَمُبَادَرَةً قَبْلَ بُلُوغهمْ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ} أَيْ: مَنْ كَانَ فِي غُنْيَة عَنْ مَالِ الْيَتِيم فَلْيستعفف عَنْهُ، وَلاَ يَأْكُلْ منْهُ شَيْئًا.

قَالَ: (الشَّعْبِيّ): هُوَ عَلَيْه كَالْمَيْتَة وَالدَّم.

{وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتم): حَدَّثَنَا الأَشَجُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّه بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبيه، عَنْ (عَائشَةَ): {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ} نَزَلَتْ فِي مَالِ الْيَتِيم.

وَحَدَّثَنَا الأَشَجُّ وَهَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالاَ: حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ هشَام، عَنْ أَبِيه، عَنْ، قَالَتْ: نَزَلَتْ فِي وَالِي الْيَتِيم الَّذِي يَقُومُ عَلَيْه وَيُصْلحُهُ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ.

وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيد الأَصْبَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِر، عَنْ هشَام، عَنْ أَبِيه، عَنْ (عَائشَة) قَالَتْ: أُنْزِلَتْ هَذه الآيَةُ في وَالِي الْيَتِيم {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} بِقَدْرِ قِيَامه عَلَيْه.

ورَوَاهُ الإِمَام (الْبُخَارِيُّ) عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ نُمَير، عَنْ هِشَامٍ، به.

قَالَ: (الْفُقَهَاءُ): لَهُ أَنْ يَأْكُلَ أَقَلَّ الأَمْرَيْن: أُجْرَةَ مِثْله أَوْ قَدْرَ حَاجَته. وَاخْتَلَفُوا: هَلْ يَرُدُّ إِذَا أَيْسَرَ، عَلَى قَوْلَيْن: أَحَدُهُمَا: لاَ" لأَنَّهُ أَكَلَ بِأُجْرَة عَمَله وَكَانَ فَقِيرًا. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَصْحَابِ الشَّافِعِيّ" لأَنَّ الآيَةَ أَبَاحَت الأَكْلَ منْ غَيْرِ بَدَلٍ.

وَقَدْ قَالَ: الإِمَامُ (أحمد): حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّاب، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيب، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَده: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَقَالَ: لَيْسَ لي مَالٌ وَلِي يَتِيمٌ؟ فَقَالَ: ((كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمكَ غَيْرَ مُسْرِف وَلاَ مُبَذِّر وَلاَ متأثِّل مَالا وَمِنْ غَيْرِ أَنْ تَقِيَ مَالَكَ -أَوْ قَالَ: تَفْدِيَ مَالَكَ- بِمَالِه)) (1) شَكَّ حُسَيْنٌ.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتم): حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيد الأَشَجُّ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِد الأَحْمَر، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْمُكْتب، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْب، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -

---

وأخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن) برقم (155/6).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2541،2542).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (6)، للإِمَام (ابن كثير).

(1) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (186/3).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي يَتِيمًا عِنْدَهُ مَالٌ -وَلَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مَا -آكُلُ مِنْ مَاله؟ قَالَ: "بِالْمَعْرُوف غَيْرَ مُسرف".

ورواه (أَبُو دَاوُدَ)، وَ(النَّسَائِيُّ)، وَ(ابْنُ مَاجَه) مِنْ حَدِيث حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ به.(1)

وروى أَبُو حَاتِم ابْنُ حبَّانَ فِي (صَحِيحه)، وَابْنُ مَرْدُوَيْه فِي (تَفْسِيرِه) مِنْ حَدِيث يَعْلَى بْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْخَزَّازِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِيمَ أَضْرِبُ يَتِيمِي؟ قَالَ: مَا كُنْتَ ضَارِبًا مِنْهُ وَلَدَكَ، غَيْرَ وَاقٍ مَالَكَ بِمَالِهِ، وَلَا مُتَأَثِّلٍ مِنْهُ مَالًا.(2)

وَقَالَ: (ابْنُ جرير): حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أخبرنا الثوري، عن يحيى بن سعيد، عن الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى (ابْنِ عَبَّاسٍ) فَقَالَ: إِنَّ فِي حِجْرِي أَيْتَامًا، وَإِنَّ لَهُمْ إِبِلًا وَلِي إِبِلٌ، وَأَنَا أَمْنَحُ فِي إِبِلِي وأُفْقِر فَمَاذَا يَحِلُّ لِي مِنْ أَلْبَانِهَا؟ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ تَبْغِي ضَالَّتَهَا وتَهْنَأُ جَرْبَاهَا، وَتَلُوطُ حَوْضَهَا، وَتَسْقِي عَلَيْهَا، فَاشْرَبْ غَيْرَ مُضِرٍّ بِنَسْلٍ، وَلَا نَاهِكٍ فِي الْحَلْبِ.

وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي مُوَطَّئِهِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ به.(3)

وَبِهَذَا الْقَوْلِ -وَهُوَ عدمُ أَدَاءِ الْبَدَلِ- يَقُولُ (عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ)، وَ(عَطِيَّةُ الْعَوْفِي)، وَ(الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ).

وَالثَّانِي: نَعَمْ" لِأَنَّ مَالَ الْيَتِيمِ عَلَى الحظْر، وَإِنَّمَا أُبِيحَ لِلْحَاجَةِ، فَيَرُدُّ بَدَلَهُ كَأَكْلِ مَالِ الْغَيْرِ لِلْمُضْطَرِّ عِنْدَ الْحَاجَةِ.

وَقَدْ قَالَ: (أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا): حَدَّثَنَا ابْنُ خَيْثَمَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ وَإِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّب قَالَ: قَالَ: (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ هَذَا الْمَالِ بِمَنْزِلَةِ وَالِي الْيَتِيمِ، إِنِ استغنيت استعففت، وإن احتجت استقرضت، فَإِذَا أيسرتُ قَضَيْتُ.(4)

طَرِيقٌ أُخْرَى: قَالَ: سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ (الْبَرَاءِ) قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ، رضي الله عنه: إني أنزلتُ نفسي مِنْ مَالِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ وَالِي الْيَتِيمِ، إِنِ احْتَجْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ، فَإِذَا أيسرت رددْته، وَإِنِ اسْتَغْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ.

(إِسْنَادٌ صَحِيحٌ)(1) وروى الإمام (الْبَيْهَقِيُّ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) نحوَ ذلكَ.

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أبي داود) في (سننه) برقم (2872) ،
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (سننه) برقم (256/6).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (سننه) برقم (2718) .

(2) وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4244) "الإحسان"
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (4/6).
وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الصغير) برقم (89/1) كلاهما من – طريق- (أَبِي عَامِرٍ الْخَزَّازِ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ) به.

(3) انظر: تفسير الإمام (الطبري) برقم (588/7).
و موطأ لإمام (مالك) برقم (934/2)، ومن - طريق – (مالك).
رواه الإمام (النحاس) في (الناسخ والمنسوخ) برقم (ص 298) ثم قال: "هذا إسناد صحيح".

(4) أخرجه الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (5/6).
وأخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (582/7) من – طريق- (سفيان و إسرائيل) به.

وهكذا رواه (ابنُ أبي حاتم) من – طريق– (عليِّ بْنِ أبي طلْحَة)، عن (ابنِ عبَّاس) في قوْلِه: {ومَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بالْمَعْرُوفِ} يعْني: القرْض. قال: وروي عن عُبيدة، وأبي العاليَة، وأبي وائل، وسَعيد بن جُبير -في إحْدى الرِّوايَات -ومُجاهد، والضَّحَّاك، والسُّدِّيّ نحْوُ ذلك. وروي من طريق السُّدِّيّ، عن عكرمة، عن (ابن عبَّاس) في قوله: {فَلْيَأْكُلْ بالْمَعْرُوفِ} قال: يأكُلُ بثلاث أصابع.

ثمَّ قال: حدَّثنا أحْمَدُ بْنُ سنان، حدَّثنا ابنُ مهْديّ، حدَّثنا سفيانُ، عن الْحكَم، عن مقسم، عن (ابْن عبَّاس): {ومَنْ كانَ فقيرًا فَلْيَأْكُلْ بالْمَعْرُوفِ} قال: يأكُلُ منْ ماله، يقُوتُ على يتيمه حتَّى لا يحْتاجَ إلى مال الْيَتيم.

قال: وروي عنْ (مُجاهد)، و(ميْمون بْن مهْران) في إحْدى الرِّوايَات والْحكَم نحْوُ ذلك.

وقال: عامرٌ الشَّعْبِيّ: لا يأْكُلُ منْهُ إلا أنْ يُضْطرَّ إليْه، كما يُضْطرُّ إلى كُل الْميْتة، فإنْ أكَل منْهُ قضاهُ. رواهُ الإمام (ابْنُ أبي حاتم).

وقال: ابنُ وهْب: حدَّثني نافعُ بْنُ أبي نُعيْم القارئ قال: سألْتُ يحْيى بْنَ سعيد الْأنْصاريّ وربيعةَ عنْ قوْل اللَّه: {فَلْيَأْكُلْ بالْمَعْرُوفِ} فقالا ذلك في الْيَتيم، إنْ كان فقيرًا أنْفقَ عليْه بقدْر فقْره، ولمْ يكُنْ للْولِيِّ منْهُ شيْءٌ.

وهذا بعيدٌ منَ السِّياق" لأنَّهُ قال: {ومَنْ كانَ غنيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ} يعْني: منَ الْأوْلياء.

{ومَنْ كانَ فقيرًا فَلْيَأْكُلْ بالْمَعْرُوفِ} أيْ: منْهُمْ.

{فَلْيَأْكُلْ بالمعْرُوف} أيْ: بالَّتي هيَ أحْسَنُ، كما قال في الْآيَة الْأُخْرَى: {ولا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إلا بالَّتِي هيَ أحْسَنُ حتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} {الْإسْراء: 34} أيْ: لا تقْربُوهُ إلاَّ مُصْلحينَ لهُ، وإنِ احْتَجْتُمْ إليْه أكَلْتُمْ منْهُ بالْمعْرُوف.

وقوْلُهُ: {فَإِذا دفَعْتُمْ إليْهِمْ أمْوالَهُمْ} يعْني: بعْد بُلُوغهمُ الْحُلُم وإيناس الرُّشْد منْهُمْ فحينَئذ سلِّمُوهمْ أمْوالَهُمْ، فإذا دفعْتُمْ إليْهمْ أمْوالَهُمْ {فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ} وهذا أمْرُ اللَّه تعالَى للْأوْلياء أنْ يُشْهدُوا على الْأيْتام إذا بلَغُوا الْحُلُم وسلَّمُوا إليْهمْ أمْوالَهُمْ" لئلا يقع منْ بعْضهمْ جُحُود وإنكار لما قبضه وتسلمه.

ثمَّ قال: {وكَفَى باللَّهِ حَسِيبًا} أيْ: وكفى باللَّه مُحاسبًا وشهيدًا ورقيبًا على الْأوْلياء في حال نظرهمْ للْأيْتام، وحال تسْليمهمْ للْأمْوال: هلْ هي كاملةٌ موفَّرةٌ، أوْ منْقُوصةٌ مبْخوسةٌ مُدْخلةٌ مُروَّجٌ حسابُها مُدلَّسٌ أُمورُها؟ اللَّهُ عالمٌ بذلك كُلِّه.

ولهذا ثبت في صحيح الإمام (مُسْلم): أنَّ رسُولَ اللَّه – صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم – قال: ((يا أبا ذرّ، إنِّي أراك ضعيفًا، وإنِّي أُحبُّ لك ما أُحبُّ لنفْسي، لا تأمَّرن على اثنين، ولا تَلِيَنَّ مال يتيم)). (2)

---

(1) ورواه (النحاس) في (الناسخ والمنسوخ) برقم (ص 296) من – طريق– (أبي الأحوص عن أبي إسحاق) به.

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1826).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (6)، للإِمَامُ (ابن كثير).

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- الأصل الذي يرجع إليه البشر واحد، فالواجب عليهم أن يتقوا ربهم الذي خلقهم، وأن يرحم بعضهم بعضًا.
- أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الضعفة من النساء واليتامى، بأن تكون المعاملة معهم بين العدل والفضل.
- جواز تعدد الزوجات إلى أربع نساء، بشرط العدل بينهن، والقدرة على القيام بما يجب لهن.
- مشروعية الحَجْر على السفيه الذي لا يحسن التصرف, لمصلحته، وحفظًا للمال الذي تقوم به مصالح الدنيا من الضياع. (1)

* * *

[٧] ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (7) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (8) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10) يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11)

للرجال حظ مما تركه الوالدان والأقربون كالإخوة والأعمام بعد موتهم، قليلًا كان أو كثيرًا، وللنساء حظ مما تركه هؤلاء" خلافًا لما كان عليه أمر الجاهلية من حرمان النساء والأطفال من الميراث، هذا النصيب حق مُبيَّن المقدارِ مفروضٌ من الله تعالى. (2)

* * *

يَعْنِي:- للذكور -صغارًا أو كبارًا- نصيب شرعه الله فيما تركه الوالدان والأقربون من المال، قليلا كان أو كثيرًا، في أنصبة محددة واضحة فرضها الله عز وجل لهؤلاء، وللنساء كذلك. (3)

* * *

يَعْنِي:- للرجال نصيب من الأموال التى يتركها الوالدان والأقربون - ميراثاً - وللنساء أيضاً نصيب مما ترك هؤلاء دون منع

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (77/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (78/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (78/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

أو بخس، وهذه الأنصبة الثابتة مفروضة ومقدرة سواء قَلَّتْ الأموال أو كثرت.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

وَنَزَلَ رَدًّا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عَدَمِ تَوْرِيثِ النِّسَاءِ وَالصِّغَارِ

{لِلرِّجَالِ} ... الْأَوْلَادِ وَالْأَقْرِبَاءِ.

{نَصِيبٌ} ... الحظ المقدرفي كتاب الله.

{نَصِيب} ... حَظّ.

{نَصِيباً مَفْرُوضاً} ... قدراً واجباً لازماً.

{وَالْأَقْرَبُونَ} ... هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم.

{مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ} ... بدل مِمَّا تَرَكَ بتكرير العامل.

{أَوْ كَثُرَ} ... جَعَلَهُ اللَّه .

{مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} ... الْمُتَوَفَّوْنَ.

{وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ} ... أَيْ: الْمَال .

{الْوَالِدَانِ} ... الأب والأم.

{وَالْأَقْرَبُونَ} ... جمع قريب، وهو هنا الوارث بنسب أو مصاهرة أو ولاء.

{نَصِيبًا مَفْرُوضًا} ... مَقْطُوعًا بِتَسْلِيمِهِ إِلَيْهِمْ.

{نَصِيباً مَفْرُوضاً} ... نصب على الاختصاص، بمعنى: أعنى نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من أن يحوزوه.

ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد، كأنه قيل: قسمة مفروضة.

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (107/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) ، لم يبين هنا قدر هذا النصيب الذي هو للرجال والنساء مما ترك الوالدان والأقربون، ولكنه بينه في آيات المواريث كقوله (يوصيكم الله في أولادكم) الآيتين،

وقوله: في خاتمة هذه السورة الكريمة (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) الآية.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قال: كانوا لا يورثون النساء، فنزلت: (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون).(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} يَعْنِي: لِلذُّكُورِ مِنْ أَوْلَادِ الْمَيِّتِ وَأَقْرِبَائِهِ (نَصِيبٌ) حَظٌّ {مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} مِنَ الْمِيرَاثِ، {وَلِلنِّسَاءِ} وللإناث مِنْهُمْ، {نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (7).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (7).

مِمَّا قَلَّ مِنْهُ} أَيْ مِنَ الْمَالِ، {أَوْ كَثُرَ} مِنْهُ، {نَصِيبًا مَفْرُوضًا} نُصب عَلَى الْقَطْعِ،

يَعْنِي:- جَعَلَ ذَلِكَ نَصِيبًا فَأَثْبَتَ لَهُنَّ الْمِيرَاثَ، وَلَمْ يُبَيِّنْ كَمْ هُوَ حَتَّى أنزل اللَّهُ تَعَالَى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ} {النساء: 11}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {7} {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا}.

كان العرب في الجاهلية - من جبروتهم وقسوتهم لا يورثون الضعفاء كالنساء والصبيان، ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء لأنهم -بزعمهم- أهل الحرب والقتال والنهب والسلب، فأراد الرب الرحيم الحكيم أن يشرع لعباده شرعًا، يستوي فيه رجالهم ونساؤهم، وأقوياؤهم وضعفاؤهم. وقدم بين يدي ذلك أمرا مجملا لتتوطَّن على ذلك النفوس.

فيأتي التفصيل بعد الإجمال، قد تشوفت له النفوس، وزالت الوحشة التي منشؤها العادات القبيحة، فقال: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ} : أي: قسط وحصة {مِمَّا تَرَكَ} أي: خلف {الْوَالِدَانِ} أي: الأب والأم {وَالأَقْرَبُونَ} عموم بعد خصوص {وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ} فكأنه قيل: هل ذلك النصيب راجع إلى العرف والعادة، وأن يرضخوا لهم ما يشاءون؟ أو شيئا مقدرا؟ فقال تعالى: {نَصِيبًا مَفْرُوضًا} : أي: قد قدره العليم الحكيم. وسيأتي -إن شاء الله- تقدير ذلك. وأيضا فهاهنا توهم آخر، لعل أحدا يتوهم أن النساء والولدان ليس لهم نصيب إلا من المال الكثير، فأزال ذلك بقوله: {مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ} فتبارك الله أحسن الحاكمين. (2)

* * *

[٨] ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا حضر قَسْمَ التركة من لا يرث من الأقارب واليتامى والفقراء" فأعطوهم -على سبيل الاستحباب- من هذا المال قبل قسمته ما تطيب به نفوسكم، فهم مُتشوِّفون إليه، وقد جاءكم بلا عناء، وقولوا لهم قولًا حسنًا لا قبح فيه. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإذا حضر قسمةَ الميراث أقاربُ الميت ممن لا حقَّ لهم في التركة، أو حضرها من مات آباؤهم وهم صغار دون سن البلوغ، أو مَن لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم فأعطوهم شيئًا من المال على وجه

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (7).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (7)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (78/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الاســـتحباب قبـــل تقســـيم التركـــة علـــى أصـحابها، وقولـوا لهـم قـولا حسـنًا غيـر فـاحش ولا قبيح.(1)

* * *

يَعْنِـــي:- وإذا حضـــر قســـمة التركـــة بعـــض الأقـــارب الـــذين لا يرثـــون مـــن اليتـــامى والمســـاكين فـــأكرموهم بإعطـــائهم شـــيئاً مـــن هـــذه التركـــة تطييبـــاً لنفوســـهم، ونزعـــاً للحســـد مـــن قلـــوبهم، ويحســـن أن يشـــفع هـــذا العطـــاء بلـــين القول وحسن الاعتذار.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ} ... أي: قسمةَ الميراث.

(أي: قسمة التركة).

{أُولُوا الْقُرْبَى} ... ممن لا يرث.

{فَـارْزُقُوهُمْ مِنْـهُ} ... الضـمير فـي مِنْـهُ لمـا تـرك الوالدان والأقربون، وهو أمر على الندب.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَـال: الإِمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {8} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَإِذَا حَضَـرَ الْقِسْـمَةَ} يَعْنِـي: قِسْـمَةَ الْمَوَارِيـثِ، {أُولُـو الْقُرْبَـى} الَّـذِينَ لَا يَرِثُـونَ، {وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَـاكِينُ فَـارْزُقُوهُمْ مِنْـهُ} أَيْ: فَارْضَـخُوا لَهُـمْ مِـنَ الْمَـالِ قَبْـلَ الْقِسْـمَةِ، {وَقُولُـوا لَهُـمْ قَوْلًـا مَعْرُوفًـا} اخْتَلَـفَ الْعُلَمَـاءُ فِـي حُكْـمِ هَـذِهِ الْآيَـةِ، فَقَالَ قَوْمٌ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ،

وَقَـالَ: (سَـعِيدُ بْـنُ جُبَيْـرٍ) وَ(الضَّـحَّاكُ): كَانَـتْ هَـذِهِ قَبْـلَ آيَـةِ الْمِـيرَاثِ، فجعلـت الْمَوَارِيـثَ لِأَهْلِهَا، وَنَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَقَـالَ: الْـآخَرُونَ: هِـيَ مُحْكَمَـةٌ، وَهُـوَ قَـوْلُ (ابْـنِ عَبَّـاسٍ)، وَ(الشَّـعْبِيِّ)، وَ(النَّخَعِـيِّ)، وَ(الزُّهْـرِيِّ)، وَقَـالَ: (مُجَاهِـدٌ): هِـيَ وَاجِبَـةٌ عَلَى أَهْلِ الْمِيرَاثِ مَا طَابَتْ به أنفسهم،

وَقَـالَ بَعْضُـهُمْ: وَهُـوَ أَوْلَـى الْأَقَاوِيـلِ: إِنَّ هَـذَا عَلَـى النَّـدْبِ وَالِاسْـتِحْبَابِ، لا علـى الحـتم والإيجاب.(3)

* * *

(تفسـير ابـن عبـاس) - قَـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) – (رحمـه الله):- {وَإِذَا حَضَـرَ الْقِسْـمَةَ} عِنْـد قسْـمَةَ الْمِـيرَاث {أُولُـوا الْقُرْبَـى} قرَابَـة الْمَيِّـت الَّـذِي لَـيْسَ بـوارث {واليتـامى} يتـامى الْمُـؤمنِينَ قبـل الْقِسْـمَة {وَالْمَسَـاكِين} مَسَـاكِين الْمُـؤمنِينَ {فـارزقوهم مِّنْـهُ} أعطـوهم مـن الْمِـيرَاث شَـيْئا قبـل الْقِسْـمَة {وَقُولُـواْ لَهُـمْ} إِن لم يكـن الْـوَارِث بَالغـا {قَـوْلاً مَّعْرُوفـاً} عــدَة حَسَـنَة أَي سأوصـيه حَتَّـى يعطيـك شَيْئا.(4)

* * *

قَـال: الإِمَـامُ (البخـاري) – (رحمـه الله) – في (صـحيحه) – (بسـنده):- حـدثنا أحمـد بـن حميـد أخبرنـا عبيـد الله الأشـجعي عـن سـفيان عـن الشـيباني عـن (عكرمـة) عـن (ابـن عبـاس) –رضـي الله عنهمـا – (وَإِذَا حَضَـرَ الْقِسْـمَةَ أُولُـو الْقُرْبَـى

---

(1) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (78/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(2) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (107/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإِمَـامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (8).

(4) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (النسـاء) الآيـة (8). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ) قال: هي مُحكمة. وليست بمنسوخة.(1)

تابعه (سعيد بن جبير) عن (ابن عباس)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- , عَنْ (ابْنِ عَبَّاس) - رضي الله عنهما - أَنَّهُ فِي قَالَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ({وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ} قَالَ: إِنَّ نَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نُسِخَتْ , وَلاَ وَاللهِ مَا نُسِخَتْ (2) (هِيَ مُحْكَمَةٌ) (3) وَلَكِنَّهَا مِمَّا تَهَاوَنَ النَّاسُ , هُمَا وَالِيَانِ: وَالٍ يَرِثُ , وَذَاكَ الَّذِي يُرْزَقُ , وَوَالٍ لاَ يَرِثُ , فَذَاكَ الَّذِي يَقُولُ بِالْمَعْرُوفِ , يَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ أُعْطِيَكَ) (4).

الشرح (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - والإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: ({وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ}) أمر الله جل ثناؤه المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم وأيتامهم ومساكينهم من الوصية، إن كان أوصى لهم، وإن لم تكن لهم وصية، وصل إليهم من مواريثهم.(6)(7)

* * *

قال: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا الحسن بن أبي الربيع، أنبا عبد الرزاق، أنبا ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة أن أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر والقاسم بن محمد أخبراه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبد الرحمن، و(عائشة) حية، قالا: فلم يدع في الدار

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (90/8)، (ح 4576) – (كتاب : تفسير القرآن) – (سورة النساء) – (الآية) .

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2608).

(3) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4300).

(4) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2608).

(5) قال: (الحافظ) في (الفتح) (12/ 448): زَادَ الْإِسْمَاعِيلِيّ مِنْ وَجْه آخَر: " وَكَانَ (ابْن عَبَّاس) إِذَا وَلِيَ رَضَخَ، وَإِذَا كَانَ فِي الْمَال قِلَّة , اِعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ، فَذَلِكَ الْقَوْلُ بِالْمَعْرُوف ".
وَعِنْد (الْحَاكِم) مِنْ طَرِيق- (عَمْرو بْن أَبِي قَيْس) فِي هَذِهِ الْآيَة قَالَ: " تَرْضَخ لَهُمْ , وَإِنْ كَانَ فِي الْمَال تَقْصِير , اِعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ ".
وَجَاءَتْ عَنْ (اِبْن عَبَّاس) رِوَايَات مِنْ أَوْجُه ضَعِيفَة عِنْد اِبْن أَبِي حَاتِم وَابْن مَرْدَوَيْهِ أَنَّهَا مَنْسُوخَة، نَسَخَتْهَا آيَة الْمِيرَاث , وَصَحَّ ذَلِكَ عَنْ (سَعِيد بْن الْمُسَيِّب)، وَهُوَ قَوْل الْقَاسِم بْن مُحَمَّد , وَعِكْرِمَة , وَغَيْر وَاحِد، وَبِهِ قَالَ الْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة وَأَصْحَابهمْ.
وَجَاءَ عَنْ اِبْن عَبَّاس قَوْلٌ آخَر أخرجه (عَبْد الرَّزَّاق) بِإِسْنَادٍ صَحِيح عَنْ الْقَاسِم بْن مُحَمَّد " أَنَّ عَبْد الله بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي بَكْر قَسَمَ مِيرَاث أَبِيه عَبْد الرَّحْمَن فِي حَيَاة عَائِشَة، فَلَمْ يَدَع فِي الدَّار ذَا قَرَابَة وَلَا مِسْكِينًا إِلَّا أَعْطَاهُ مِنْ مِيرَاث أَبِيه , وَتَلَا الْآيَة , قَالَ الْقَاسِم: فَذَكَرْته لِابْنِ عَبَّاس , فَقَالَ: مَا أَصَابَ، لَيْسَ ذَلِكَ لَهُ، إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى الْوَصِيّ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْعَصَبَة , أَيْ: نُدِبَ لِلْمَيِّتِ أَنْ يُوصِي لَهُمْ.
قُلْت: وَهَذَا لَا يُنَافِي حَدِيث الْبَاب، وَهُوَ أَنَّ الْآيَة مُحْكَمَة وَلَيْسَتْ بِمَنْسُوخَة ,
وَقِيلَ: مَعْنَى الْآيَة: وَإِذَا حَضَرَ قِسْمَةَ الْمِيرَاث قَرَابَةُ الْمَيِّت مِمَّنْ لَا يَرِث , وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِين , فَإِنَّ نُفُوسهمْ تَتَشَوَّف إِلَى أَخْذ شَيْء مِنْهُ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ جَزِيلًا , فَأَمَرَ اللهُ سُبْحَانه أَنْ يُرْضَخَ لَهُمْ بِشَيْءٍ عَلَى سَبِيل الْبِرّ وَالْإِحْسَان.
وَاخْتَلَفَ مَنْ قَالَ بِذَلِكَ , هَلْ الْأَمْر فِيهِ عَلَى النَّدْب أَوْ الْوُجُوب؟ ,
فَقَالَ مُجَاهِد وَطَائِفَة: هِيَ عَلَى الْوُجُوب , وَهُوَ قَوْل اِبْن حَزْم , أَنَّ عَلَى الْوَارِث أَنْ يُعْطِي هَذِه الْأَصْنَاف مَا طَابَتْ بِهِ نَفْسه.
وَنَقَلَ اِبْن الْجَوْزِيّ عَنْ أَكْثَر أَهْل الْعِلْم أَنَّ الْمُرَاد بِأُولِي الْقَرَابَة: مَنْ لَا يَرِث، وَأَنَّ مَعْنَى {فَارْزُقُوهُمْ} : أَعْطُوهُمْ مِنْ الْمَال.
وَقَالَ آخَرُونَ: أَطْعِمُوهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ عَلَى سَبِيل الِاسْتِحْبَاب , وَهُوَ الْمُعْتَمَد، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى الْوُجُوب , لَاقْتَضَى اِسْتِحْقَاقًا فِي التَّرِكَة , وَمُشَارَكَة فِي الْمِيرَاث بِجِهَةٍ مَجْهُولَة , فَيُفْضِي إِلَى التَّنَازُع وَالتَّقَاطُع.
وَعَلَى الْقَوْل بِالنَّدْبِ , فَقَدْ قِيلَ: يَفْعَل ذَلِكَ وَلِيّ الْمَحْجُور.
وَقِيلَ: لَا , بَلْ يَقُول: لَيْسَ الْمَال لِي , وَإِنَّمَا هُوَ لِلْيَتِيمِ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ: {وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} وَعَلَى هَذَا فَتَكُون الْوَاو فِي قَوْله: {وَقُولُوا} لِلتَّقْسِيمِ.
وَعَنْ اِبْن سِيرِينَ وَطَائِفَة , أَنَّ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ: {فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ} : اِصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا يَأْكُلُونَهُ، وَأَنَّهَا عَلَى الْعُمُوم فِي مَال الْمَحْجُور وَغَيْره، وَاللهُ أَعْلَمُ. أ. هـ
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء) آية (8)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (8).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (8).

مسكينا ولا ذا قرابة إلا أعطاه من ميراث أبيه قال: وتلا (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى) قال: القسم، فذكرت ذلك لابن عباس، فقال: ما أصاب ذلك له، إنما ذلك إلى الوصية وإنما هذه الآية في الوصية، يريد الميت أن يوصي لهم.(1)(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ} عند قسمة الْمِيرَاث {أُوْلُواْ الْقُرْبَى} قرَابَة الْمَيِّت الَّذِي لَيْسَ بوارث {واليتامى} يتامى الْمُؤمنِينَ قبل الْقِسْمَة {وَالْمَسَاكِين} مَسَاكِين الْمُؤمنِينَ {فارزقوهم مِّنْهُ} أعطوهم من الْمِيرَاث شَيْئا قبل الْقِسْمَة {وَقُولُواْ لَهُمْ} إن لم يكن الْوَارِث بَالغا {قَوْلاً مَّعْرُوفاً} عدَّة حَسَنَة أَي سأوصيه حَتَّى يعطيك شَيْئا.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {8} {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا}.

وهذا من أحكام الله الحسنة الجليلة الجابرة للقلوب فقال: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ} أي: قسمة المواريث {أُولُو الْقُرْبَى} أي: الأقارب غير الوارثين بقرينة قوله: {الْقِسْمَةَ} لأن الوارثين من المقسوم عليهم. {وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ} أي: المستحقون من الفقراء. {فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ} أي: أعطوهم ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب، ولا عناء ولا نَصَب، فإن نفوسهم متشوفة إليه، وقلوبهم متطلعة، فاجبروا خواطرهم بما لا يضركم وهو نافعهم.

ويؤخذ من المعنى أن كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر، كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إذا جاء أحدَكم خادمُه بطعامه فليجلسه معه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمة أو لقمتين" أو كما قال. وكان الصحابة رضي الله عنهم -إذا بدأت باكورة أشجارهم- أتوا بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبرَّك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك، علما منه بشدة تشوفه لذلك، وهذا كله مع إمكان الإعطاء، فإن لم يمكن ذلك -لكونه حق سفهاء، أو ثَم أهم من ذلك- فليقولوا لهم {قَوْلًا مَعْرُوفًا} يردوهم ردًّا جميلا بقول حسن غير فاحش ولا قبيح.(4)

* * *

[٩] ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (8).

(2) وذكره الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني): وقال: أخرجه الإمام (عبد الرزاق) (بإسناد صحيح) - عن (القاسم بن محمد).
(فتح الباري) برقم (242/8). وهو في (تفسير عبد الرزاق).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (8). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (8)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَلْيَخْشَ الذين لو ماتوا وتركوا خلفهم أولادًا صغارًا ضعافًا، خافوا عليهم من الضياع، فليتقوا الله فيمن تحت ولايتهم من الأيتام بترك ظلمهم، حتى ييسر الله لهم بعد موتهم من يحسن لأولادهم كما أحسنوا هم، وليحسنوا في حق أولاد من يحضرون وصيته بأن يقولوا لهم قولًا مصيبًا للحق بألا يظلم في وصيته حقَّ ورثته من بعده، ولا يحرم نفسه من الخير بترك الوصية. (1)

* * *

يَعْنِي:- ولْيَخَفِ الذين لو ماتوا وتركوا من خلفهم أبناء صغارًا ضعافًا خافوا عليهم الظلم والضياع، فليراقبوا الله فيمن تحت أيديهم من اليتامى وغيرهم، وذلك بحفظ أموالهم، وحسن تربيتهم، ودَفْع الأذى عنهم، وليقولوا لهم قولا موافقا للعدل والمعروف. (2)

* * *

يَعْنِي:- وعلى الناس ألا يظلموا اليتامى، وليخافوا على ذريتهم الضعاف أن ينالهم من الظلم ما يفعلونه مع اليتامى، وليتقوا الله فيهم، وليقولوا قولاً مسدداً نحو الحق، غير ظالم لأحد. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلْيَخْشَ} ... أَيْ: لِيَخَفْ عَلَى الْيَتَامَى.

{الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا} ... أَيْ: قَارَبُوا أَنْ يَتْرُكُوا.

{لَوْ تَرَكُوا} ... صلة الَّذِينَ. والمراد بهم: الأوصياء، أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى، ويشفقوا عليهم.

{مِنْ خَلْفِهِمْ} ... أي: من بَعْدِ مَوْتِهِمْ.

{ذُرِّيَّةً ضِعَافًا} ... أَوْلادًا صِغَارًا.

{خَافُوا عَلَيْهِمْ} ... الضَّيَاع.

{فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ} ... فِي أَمْرِ الْيَتَامَى وليأتوا إليهم مَا يُحِبُّونَ أَنْ يُفْعَل بِذُرِّيَّتِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ.

{وَلْيَقُولُوا} ... لِمَنْ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ.

{قَوْلًا سَدِيدًا} ... عدلا صوابا.

{قَوْلًا سَدِيدًا} ... أي: صَوَابًا بِأَنْ يَأْمُرُوهُ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِدُونِ ثُلُثِهِ وَيَدَعَ الْبَاقِيَ لِوَرَثَتِهِ وَلَا يَتْرُكَهُمْ عَالَةً.

خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الْإِمَامُ (الْبَغَوِي) – (مُحْيِي السُّنَّةِ) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا} أولادا صغارا، {خَافُوا عَلَيْهِمْ} الْفَقْرَ، هَذَا فِي الرَّجُلِ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ، فَيَقُولُ مَنْ بِحَضْرَتِهِ، انْظُرْ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ أَوْلَادَكَ وَوَرَثَتَكَ لَا يُغْنُونَ عَنْكَ شَيْئًا، قَدِّمْ لِنَفْسِكَ، أَعْتِقْ وَتَصَدَّقْ وَأَعْطِ فُلَانًا كَذَا وَفُلَانًا كَذَا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى عَامَّةِ مَالِهِ، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْمُرُوهُ أَنْ يَنْظُرَ لِوَلَدِهِ وَلَا يَزِيدَ فِي وَصِيَّتِهِ عَلَى الثُّلُثِ، وَلَا يجحف بورثته كما أنه لَوْ كَانَ هَذَا الْقَائِلُ هُوَ الموصي لسره أَنْ يَحُثَّهُ مَنْ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (78/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (78/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (107/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

بِحضْرته عَلَى حفْظ مَالِه لِولَدِه، ولاَ يَدَعَهُمْ عَالَةً مَعَ ضَعْفهمْ وَعَجْزهمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} أَيْ: عَدْلًا، وَالسَّدِيدُ: الْعَدْلُ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَهُ بِأَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَا دُونَ الثُّلُثِ ويخلف الباقي لورثته.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {9} {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا} .قيل: إن هذا خطاب لمن يحضر مَنْ حضره الموت وأجنف في وصيته، أن يأمره بالعدل في وصيته والمساواة فيها، بدليل قوله: {وَلْيَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا} أي: سدادا، موافقا للقسط والمعروف. وأنهم يأمرون من يريد الوصية على أولاده بما يحبون معاملة أولادهم بعدهم.

يَعْنِي:- إن المراد بذلك أولياء السفهاء من المجانين والصغار والضعاف أن يعاملوهم في مصالحهم الدينية والدنيوية بما يحبون أن يعامل به مَنْ بعدهم من ذريتهم الضعاف {فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ} في ولايتهم لغيرهم، أي: يعاملونهم بما فيه تقوى الله، من عدم إهانتهم والقيام عليهم، وإلزامهم لتقوى الله.(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وليخش الَّذين} يحضرُون لمريض ويأمرون أَن يُوصي أَكثر من الثُّلُث على أَوْلَاد الْمَرِيض الضَّيْعَة بعد موته {لَو تركُوا من خَلفهم} بعد مَوْتهمْ {ذُرِّيَّة ضعافاً} عجزة عَن الْحِيلَة. {خَافُواْ عَلَيْهِمْ} الضَّيْعَة وَكَذَلِكَ خَافُوا على أَوْلَاد الْمَيِّت وَيُقَال مر الْمَيِّت مَا كنت آمُر لنَفسك ولتخش على ضَيْعَة أَوْلَادهم كَمَا تخشى على ضَيْعَة أولادك وَكَانُوا يحْضرُون الْمَرِيض وَيَقُولُونَ لَهُ أعْط مَالك لفُلَان وَفُلَان حَتَّى يسْتَغْرق مَاله كُله وَلَا يتْرك لأولاده شَيْئا فنهاهم الله عَن ذَلِك ثمَّ قَالَ {فَلْيَتَّقُواْ الله} فليخشوا الله فِيمَا يأمرونه فَوق الثُّلُث {وَلْيَقُولُواْ} للْمَرِيض {قَوْلاً سَدِيداً} عدلا فِي الْوَصِيَّة.(3)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): في قوله: (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا) قال يقول: من حضر ميتا فليأمره بالعدل والإحسان، ولينهه عن الحيف والجور في وصيته، وليخش على عياله ما كان خائفا على عياله لو نزل به الموت.(4)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - والإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (9).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (9)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (9). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (9).

(ابن عباس): قال: (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا)، يعني الرجل يحضره الموت، فيقال له تصدق من مالك واعتق، وأعط منه في سبيل الله، فنهوا أن يأمروه بذلك، يعني من حضر منكم مريضا عند الموت فلا يأمره أن ينفق ماله في العتق والصدقة في سبيل الله، ولكن يأمره أن يبين ما له وما عليه من دين ويوصي من ماله لذي قرابته الذين لا يرثون، يوصي لهم بالخمس أو الربع، يقول أيسر أحدكم إذا مات وله ولد ضعاف -يعني صغارا- إن يتركهم بغير مال فيكونوا عيالا على الناس، فلا ينبغي أن تأمروه بما لا ترضون به لأنفسكم ولأولادكم ولكن قولوا الحق من ذلك.(1)(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا)، فهذا الرجل يحضر الرجل عند موته فيسمعه بوصية يضر بورثته، فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يتقي الله ويوفقه، ويسدده للصواب، ولينظر لورثته كما يحب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة.(3)(4)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: ما ينهى عنه من الإضرار في الوصية.(5)(6)

* * *

[١٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين يأخذون أموال اليتامى بغير حق، ويتصرفون فيها ظلمًا وعدوانًا، إنما يأكلون في أجوافهم نارًا تلتهب عليهم، وستحرقهم النار يوم القيامة.(7)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين يعْتَدون على أموال اليتامى، فيأخذونها بغير حق، إنما يأكلون نارًا تتأجّج في بطونهم يوم القيامة، وسيدخلون نارا يقاسون حرَّها.(8)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين يظلمون اليتامى بأخذ أموالهم فى غير حق، إنما يأكلون ما يؤدى

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (9).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (9).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (9).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (9).
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (9).
(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (9).
(7) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (78/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(8) انظر: (التفسير الميسر) برقم (78/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

بهم إلى النار، فسيعذبون يوم القيامة بنار شديدة الإيلام.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا} .. بِغَيْرِ حَقٍّ.

{ظُلْماً} ... ظالمين.

{إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ} ... أَيْ: مِلْأَهَا.

{فِي بُطُونِهِمْ} ... ملء بطونهم.

{نَارًا} ... لِأَنَّهُ يُؤَوِّلُ إِلَيْهَا.

{نَارًا} ... ما يجر إلى النار، فكأنه نار في الحقيقة.

{وَسَيَصْلَوْنَ} ... سَيُدْخَلُونَ.

{وَسَيَصْلَوْنَ} ... بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُول يَدْخُلُونَ. {سَعِيرًا} ... نَارًا شَدِيدَةً يَحْتَرِقُونَ فِيهَا.

أي: نارا من النيران مبهمة الوصف.

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ) – (رحمه الله) – في (صحيحه) برقم (ج6/ ص45): {سَعِيرًا}: وُقُوداً , جَهَنَّم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {10} {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} . ولما أمرهم بذلك، زجرهم عن أكل أموال اليتامى، وتوعد على ذلك أشد العذاب فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا} أي: بغير حق. وهذا القيد يخرج به ما تقدم، من جواز الأكل للفقير بالمعروف، ومن جواز خلط طعامهم بطعام اليتامى.

فمَنْ أكلها ظلمًا فـ {إنما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} أي: فإن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم وهم الذين أدخلوها في بطونهم. {وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} أي: نارًا محرقة متوقدة. وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله العافية.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا} أي: حرامًا بغير حق، {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} أَخْبَرَ عَنْ مَآلِهِ، أَيْ عَاقِبَتُهُ تَكُونُ كَذَلِكَ، {وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِفَتْحِ الْيَاءِ، أَيْ: يدخلونه، يقال: صلى النار يصلوها صليا وصلاء، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ} {الصَّافَّاتِ: 163} وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ بِضَمِّ الْيَاءِ، أَيْ: يُدْخَلُونَ النَّارَ وَيُحْرَقُونَ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا} {النِّسَاءِ: 30} {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} {المدثر: 26}.(3)

* * *

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (107/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (9)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (10).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً} غصبا {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً} يَعْنِي حرامًا وَيُقَال يَجْعَل فِي بطونهم نَارا يَوْم الْقِيَامَة {وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} نَارا وقوداً فِي الْآخِرَة نزلت فِي حَنْظَلَة بن شمردل.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} أَي: إِنَّمَا يَأْكُلُونَ بِهِ نَارا.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني سليمان بن بلال عن ثور بن زيد المدني عن أبي الغيث عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات)). قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: ((الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)).(3)

* * *

انظر: سورة – (البقرة) - الآية (220) – كما قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220)}

* * *

قال: الإمَامُ (أحمد بن حنبل) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):- (بسنده) – عن (ابن عباس) قال: لما نزلت (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) عزلوا أموال اليتامى حتى جعل الطعام يفسد واللحم ينتن فذكر ذلك للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فنزلت (وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح) قال: فخالطوهم.(4)

* * *

و أخرجه الإمَامُ (البُخَّاري و مُسلِم) - في (صحيحهما)،- و(النسائي، و أبو داود) - في (سننهما)، - (ابن حبان) - في (صحيحه) - ، الإمَامُ (الطبراني) - (رحمه الله) - في (المعجم الكبير):- (رحمهم الله) - (بسندهم):- , وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: (سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْكَبَائِرُ؟ , فَقَالَ: "هُنَّ تِسْعٌ") (5) (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ , قَالَ: "

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (10). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (10) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (462/5)، (ح 2766) – (كتاب : الوصايا)، / باب:قوله تعالى (الآية) .

(4) أخرجه الإمَامُ (أحمد) في (المسند) برقم (ح 3002) ،
وأخرجه الإمَامُ (الطبري)، و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) في تفسيريهما.
وأخرجه الإمَامُ (النساء) في (السنن) برقم (276/5)- (الوصايا)،/ باب: (ما للوصي من مال اليتيم).
وأخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (278/2) ،
و (صححه) الإمام (الحاكم)، ووافقه الإمام (الذهبي)، وهذا لفظ الإمام (أحمد).
و (حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن النسائي) برقم (ح 3430).
و (حسنه)، الشيخ : (أحمد شاكر) في (تعليقه) على (المسند)
ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة : الأولى)، برقم (1/ 332)،

(5) أخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2874).

الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وفي رواية: (وَتَعَلُّمُ السِّحْرِ)[1] وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ")[2]

* * *

وقال: الإِمَامُ (ابن ماجة) – (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- , وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: " اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ[3] حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ , وَالْمَرْأَةِ "[4]

* * *

قال: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) – (رحمه الله) - في (المُسنَد) - (بسنده):- وَعَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((حُرْمَةُ مَالِ الْمُسْلِمِ , كَحُرْمَةِ دَمِهِ[5]))[6]

* * *

[١١] ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

يعهد الله إليكم ويأمركم في شأن ميراث أولادكم" أن الميراث يُقسم بينهم للابن مثل نصيب البنتين، فإن ترك الميّت بنات دون ولد ذكر" فللبنتين فأكثر الثلثان مما ترك، وإن كانت بنتًا واحدة فلها نصف ما ترك، ولكل واحد من أبوي الميّتِ سدس ما ترك" إن كان

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (6559).
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1447).
وصححه الإمام (الألباني) في (الإرواء): (2198)، (2238).
و(صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب)، الإمام (الألباني) (1341)، (2801) .
و(صحيح موارد الظمآن) للإمام (الألباني) برقم (661).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2615) .
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (89).

(3) قوله (إني أحرِّج) مِنَ التَّحْرِيج أَوْ الْإِحْرَاج , أَيْ: أُضَيِّق عَلَى النَّاس فِي تَضْيِيع حَقّهمَا , وَأُشَدِّد عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ , وَالْمَقْصُود: إِشْهَاده تَعَالَى فِي تَبْلِيغ ذَلِكَ الْحُكْم إِلَيْهِمْ.
وَفِي (الزَّوَائِد): الْمَعْنَى: أُحَرِّج عَنْ هَذَا الْإِثْم , بِمَعْنَى أَنْ يَضِيع حَقّهمَا , وَأُحَذِّر مِنْ ذَلِكَ تَحْذِيرًا بَلِيغًا , وَأَزْجُر عَنْهُ زَجْرًا أَكِيدًا. حاشية السندي على (ابن ماجه) - (ج 7 / ص 83).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (10)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(4) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3678).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (9664).
و(صَحِيح الْجَامِع) برقم (2447)، (سلسلة الصَّحِيحَة) برقم (1015) للإمام (الألباني).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (10)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(5) أَيْ: كحرمة سفك دمه , فكما لا يحل قتله بغير حق , لا يحل أخذ شيء من ماله بغير رضاه وإن تافها , فإن أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فهو غاصب , وله أحكام مبينة في الفروع , وخصَّ المالَ لأن به قِوام النفوس , ولأنه جزء منها , فألحقت بها في التحريم , من تعرض له استحق الهوان , لدخوله حريم الإيمان. فيض القدير - (3/ 505).

(6) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (4262).
وأخرجه الإِمَامْ (الدار قطني) في (السنن) برقم (ج/3ص/27ح94).
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (3140) , و(سلسلة الصحيحة برقم (3947) الإمام (الألباني).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (10)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

له ولد ذكرًا كان أو أنثى، وإن لم يكن له ولد وله وارث له غير أبويه" فللأم الثلث، وباقي الميراث لأبيه، وإن كان للميّتِ إخوة اثنان فأكثر ذكورًا كانوا أو إناثًا أشقاء أو غير أشقاء" فلأمه السدس فرضًا، والباقي للأب تعصيبًا، ولا شيء للإخوة، ويكون هذا القسم للميراث بعد تنفيذ الوصية التي أوصى بها الميِّت بشرط ألا تزيد وصيته عن ثلث ماله، وبشرط قضاء الدَّين الذي عليه، وقد جعل الله تعالى قسمة الميراث على هذا" لأنكم لا تدرون مَنْ من الآباء والأبناء أقرب لكم نفعًا في الدنيا والآخرة، فقد يظن الميتُ بأحد ورثته خيرًا" فيعطيه المال كله، أو يظن به شرًا فيحرمه منه، وقد يكون الحال خلاف ذلك، والذي يعلم ذلك كله هو الله الذي لا يخفى عليه شي، ولذلك قسم الميراث على ما بيَّن، وجعله فريضة منه واجبة على عباده، إن الله كان عليمًا لا يخفى عليه شيء من مصالح عباده، حكيمًا في شرعه وتدبيره. (1)

* * *

يَعْنِي:- يوصيكم الله ويأمركم في شأن أولادكم: إذا مات أحد منكم وترك أولادًا: ذكورًا وإناثًا، فميراثه كله لهم: للذكر مثل نصيب الأنثيين، إذا لم يكن هناك وارث غيرهم. فإن ترك بنات فقط فللبنتين فأكثر ثلثا ما ترك، وإن كانت ابنة واحدة، فلها النصف. ولوالِدَي الميت لكل واحد منهما السدس إن كان له ولد: ذكرًا كان أو أنثى، واحدًا أو أكثر. فإن لم يكن له ولد وورثه والداه فلأمه الثلث ولأبيه الباقي. فإن كان للميت إخوة اثنان فأكثر، ذكورًا كانوا أو إناثًا، فلأمه السدس، وللأب الباقي ولا شيء للإخوة. وهذا التقسيم للتركة إنما يكون بعد إخراج وصية الميت في حدود الثلث أو إخراج ما عليه من دَيْن. آباؤكم وأبْناؤكم الذين فُرض لهم الإرث لا تعرفون أيهم أقرب لكم نفعًا في دنياكم وأخراكم، فلا تفضلوا واحدًا منهم على الآخر. هذا الذي أوصيتكم به مفروض عليكم من الله. إن الله كان عليمًا بخلقه، حكيمًا فيما شرعه لهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- يأمركم الله فى شأن توريث أولادكم وأبويكم - إذا مُتُّم - بما يحقق العدل والإصلاح وذلك بأن يكون للذكر مثل نصيب الأنثيين إذا كان الأولاد ذكوراً وإناثاً. فإن كان جميع الأولاد إناثاً يزيد عددهن على اثنتين فلهن الثلثان من التركة. ويفهم من مضمون الآية أن الاثنتين نصيبهما كنصيب الأكثر من اثنتين. وإن ترك بنتاً واحدة فلها نصف ما ترك. وإن ترك أباً وأماً فلكل منهما السدس إن كان له ولد معهما - ولد ذكر أو أنثى - فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فقط فلأمه الثلث والباقى للأب. فإن كان له إخوة فلأمه السدس والباقى للأب ولا شئ للأخوة. تُعْطَى هذه الأنصبة لمستحقيها بعد أداء ما يكون عليه من دين، وتنفيذ ما وصَّى به فى حدود ما أجازه الشارع. هذا حكم الله فإنه

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (78/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (78/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

عدل وحكمة، وأنتم لا تدرون الأقرب لكم نفعاً من الآباء والأبناء، والخير فيما أمر الله، فهو العليم بمصالحكم، الحكيم فيما فرض لكم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يُوصِيكُمْ} ... يَأْمُرُكُمْ , أي: يعهد إليكم ويأمركم.

{اللَّه فِي} ... شَأْن.

{فِي أَوْلَادكُمْ} ... في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة.

{أَوْلَادكُمْ} ... بِمَا يَذْكُر.

{لِلذَّكَرِ} ... مِنْهُمْ.

{مِثْل حَظّ} ... نَصِيب.

{الْأُنْثَيَيْنِ} ... إذَا اجْتَمَعَتَا مَعَهُ فَلَهُ نِصْف الْمَال وَلَهُمَا النِّصْف فَإِنْ كَانَ مَعَهُ وَاحِدَة فَلَهَا الثُّلُث وَلَهُ الثُّلُثَانِ وَإِنْ انْفَرَدَ حَازَ الْمَال.

{وَلِأَبَوَيْهِ} ... الضمير للميت.

{لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمَا} ... بدل من لِأَبَوَيْهِ.

{فَرِيضَةً} ... نصبت نصب المصدر المؤكد.

{إِخْوَة} ... اثْنَانِ فَأَكْثَر.

{فَإِنْ كُنَّ} ... أَيْ: الْأَوْلَاد .

{نِسَاء} ... فَقَطْ.

{فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ} ... الْمَيِّت وَكَذَا الِاثْنَتَانِ لِأَنَّهُ لِلْأُخْتَيْنِ بِقَوْلِهِ.

{فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ} ... فَهُمَا أَوْلَى وَلِأَنَّ الْبِنْت تَسْتَحِقّ الثُّلُث مَعَ الذَّكَر فَمَعَ الْأُنْثَى أَوْلَى.

{وَفَوْق} ... قِيلَ: صِلَة، يَعْنِي:- لِدَفْعِ تَوَهُّم زِيَادَة النَّصِيب بِزِيَادَة الْعَدَد لِمَا فُهِمَ اسْتِحْقَاق الْبِنْتَيْنِ الثُّلُثَيْنِ مِنْ جَعْل الثُّلُث لِلْوَاحِدَة مَعَ الذَّكَر.

{وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً} ... وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى.

{وَإِنْ كَانَتْ} ... الْمَوْلُودَة.

{وَاحِدَة} ... وَفِي قِرَاءَة بِالرَّفْعِ فَكَانَ تَامَّة.

{فَلَهَا النِّصْف وَلِأَبَوَيْهِ} ...أَيْ: الْمَيِّت وَيُبْدَل مِنْهُمَا.

{لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمَا السُّدُس مِمَّا تَرَكَ إنْ كَانَ لَهُ وَلَد} ... ذَكَر أَوْ أُنْثَى وَنُكْتَة الْبَدَل إفَادَة أَنَّهُمَا لَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ وَأُلْحِق بِالْوَلَدِ وَلَد الِابْن وَبِالْأَبِ الْجَدّ.

{فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَد وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ} فَقَطْ أَوْ مَعَ زَوْج.

{فَلِأُمِّهِ} بِضَمِّ الْهَمْزَة وَكَسْرهَا فِرَارًا مِنْ الِانْتِقَال مِنْ ضَمَّة إلَى كَسْرَة لِثِقَلِهِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

{الثُّلُث} أَيْ: ثُلُث الْمَال أَوْ مَا يَبْقَى بَعْد الزَّوْج وَالْبَاقِي لِلْأَبِ.

{فَإِنْ كَانَ لَهُ إخْوَة} أَيْ اثْنَانِ فَصَاعِدًا ذُكُورًا أَوْ إنَاثًا.

{فَلِأُمِّهِ السُّدُس} وَالْبَاقِي لِلْأَبِ وَلَا شَيْء لِلْإِخْوَةِ وَإِرْث مَنْ ذُكِرَ مَا ذُكِرَ.

{مِنْ بَعْد} ... تَنْفِيذ .

{وَصِيَّة يُوصِي} ... بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُول.

{بِهَا أَوْ} ... قَضَاء.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (108/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{دَيْنٍ} ... عَلَيْهِ وَتَقْدِيم الْوَصِيَّة عَلَى الدَّيْن وَإِنْ كَانَتْ مُؤَخَّرَة عَنْهُ فِي الْوَفَاء لِلِاهْتِمَامِ بِهَا.

{آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ} ... مُبْتَدَأ خَبَره.

{لَا تَدْرُونَ أَيّهمْ أَقْرَب لَكُمْ نَفْعًا} ... فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة فَظَانّ أَنَّ ابْنه أَنْفَع لَهُ فَيُعْطِيه الْمِيرَاث فَيَكُون الْأَب أَنْفَع وَبِالْعَكْسِ وَإِنَّمَا الْعَالِم بِذَلِكَ هُوَ اللَّه فَفَرَضَ لَكُمْ الْمِيرَاث.

{فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا} بِخَلْقِهِ.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً} ... بمصالح خلقه.

{حَكِيماً} ... في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها.

{حَكِيمًا} ... فِيمَا دَبَّرَهُ لَهُمْ أَيْ لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف) لم يبين هنا حكمة تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث مع أنهما سواء في القرابة. ولكنه أشار في موضع آخر وهو قوله تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) لأن القائم على غيره المنفق ماله عليه مترقب النقص دائما، والمقوم عليه المنفق عليه المال مترقب للزيادة دائما، والحكمة في إيثار مترقب النقص على مترقب الزيادة جبراً لنقصه المترقب ظاهرة جداً. (1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} {النساء: 11} الْآيَةَ، اعْلَمْ أَنَّ الْوِرَاثَةَ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالذُّكُورَةِ وَالْقُوَّةِ فَكَانُوا يُوَرِّثُونَ الرِّجَالَ دُونَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانَ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} {النساء: 7} الْآيَةَ، وَكَانَتْ أَيْضًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ بِالْمُحَالَفَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ} {النِّسَاءِ: 33} ثُمَّ صَارَتِ الْوِرَاثَةُ بِالْهِجْرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} {الْأَنْفَالِ: 72} فَنُسِخَ ذَلِكَ كُلُّهُ وَصَارَتِ الْوِرَاثَةُ بِأَحَدِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ بالنسب والنكاح أو الولاء، والمعني بِالنَّسَبِ أَنَّ الْقَرَابَةَ يَرِثُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} {الأنفال: 75} وَالْمَعْنِيُّ بِالنِّكَاحِ: أَنَّ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ يَرِثُ صَاحِبَهُ، وَبِالْوَلَاءِ: أَنَّ الْمُعْتِقَ وعصباته يرثون المعتق، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) أَيْ: يَعْهَدُ إِلَيْكُمْ وَيَفْرِضُ عَلَيْكُمْ فِي أَوْلَادِكُمْ أَيْ: فِي أَمْرِ أَوْلَادِكُمْ إِذَا مِتُّمْ، لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ.

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (11).

{فَــإِنْ كُــنَّ} يَعْنِــي: الْمَتْرُوكَــاتُ مِــنَ الْــأَوْلَادِ، {نِسَــاءً فَــوْقَ اثْنَتَــيْنِ} أي: اثنــتين فَصَــاعداً (فَــوْقَ) صِـلَةٌ، كَقَوْلِـهِ تَعَـالَى: {فَاضْـرِبُوا فَـوْقَ الْأَعْنَــاقِ} [الْأَنْفَــالِ: 12] {فَلَهُــنَّ ثُلُثَــا مَــا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ} يعني: البنت، {وَاحِـدَةً} قــراءة العامــة علــى خــبر كــان، رفعهــا أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَلَى مَعْنَى إِنْ وَقَعَتْ وَاحِدَةٌ، {فَلَهَــا النِّصْــفُ وَلِأَبَوَيْــهِ} يَعْنِــي لِــأَبَوَيِ الْمَيِّــتِ كِنَايَةٌ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ،

{لِكُــلِّ وَاحِــدٍ مِنْهُمَــا السُّــدُسُ مِمَّــا تَــرَكَ إِنْ كَــانَ لَــهُ وَلَــدٌ} أَرَادَ أَنَّ الْــأَبَ وَالْــأُمَّ يَكُــونُ لِكُــلِّ وَاحِــدٍ مِنْهُمَــا سُدُسُ الْمِــيرَاثِ عِنْــدَ وُجُــودِ الْوَلَــدِ أَوْ وَلَــدِ الِابْنِ، وَالْأَبُ يَكُونُ صَاحِبَ فَرْضٍ،

{فَــإِنْ لَــمْ يَكُــنْ لَــهُ وَلَــدٌ وَوَرِثَــهُ أَبَــوَاهُ فَلِأُمِّــهِ الثُّلُثُ فَــإِنْ كَــانَ لَــهُ إِخْــوَةٌ} اثنــان أو أكثــر ذكــورا وإناثــا {فَلِأُمِّــهِ السُّــدُسُ} وَالْبَــاقِي يَكُــونُ لِلْــأَبِ إِنْ كَــانَ مَعَهَــا أَبٌ، وَالْــإِخْوَةُ لَا مِــيرَاثَ لَهُــمْ مَــعَ الْــأَبِ، وَلَكِــنَّهُمْ يَحْجُبُــونَ الْــأُمَّ مِــنَ الثُّلُــثِ إِلَــى السُّدُسِ،

وَقَــالَ: (ابْــنُ عَبَّــاسٍ) - (رَضِــيَ اللَّــهُ عَنْهُمَــا): لَا يَحْجُــبُ الْــإِخْوَةُ الْــأُمَّ مِــنَ الثُّلُــثِ إِلَــى السُّــدُسِ إلاَّ أن يكونــوا ثلاثــةً لِــأَنَّ اللَّــهَ تَعَــالَى قَــالَ: (فَــإِنْ كَــانَ لَــهُ إِخْــوَةٌ فَلِأُمِّــهِ السُّــدُسُ)، وَلَا يُقَــالُ لِلِــاثْنَيْنِ إِخْــوَةٌ، فَنَقُــولُ اسْــمُ الْجَمْــعِ قَــدْ يَقَــعُ عَلَــى التَّثْنِيَــةِ لِــأَنَّ الْجَمْــعَ ضَــمُّ شَــيْءٍ إلى شَــيْءٍ فهو موجود في الِاثْنَيْنِ،

قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {مِــنْ بَعْــدِ وَصِــيَّةٍ يُوصِــي بِهَــا أَوْ دَيْــنٍ} قَــرَأَ ابْــنُ كَــثِيرٍ وَابْــنُ عَــامِرٍ وأبــو بكــر (يوصـي) فــتح الصَّــادِ عَلَــى مَــا لَــمْ يُسَــمَّ فَاعِلُــهُ، وَكَــذَلِكَ الثَّانِيَــةُ وَوَافَــقَ حَفْــصٌ فِــي الثَّانِيَــةِ، وَقَــرَأَ الْــآخَرُونَ بِكَسْــرِ الصــاد لأنــه جــرى ذكــر لميت من قَبْلُ،

بِــدَلِيلِ قَوْلِــهِ تَعَــالَى: {يُوصِــينَ} [النســاء: 12]،

و{تُوصُــونَ} [النِّسَــاءِ: 12] قَــالَ (عَلِــيُّ بْــنُ أَبِــي طَالِــبٍ) - (رَضِــيَ اللَّــهُ عَنْــهُ): إِنَّكُــمْ تقــرؤون الْوَصِــيَّةَ قَبْــلَ الــدَّيْنِ، وَبَــدَأَ رَسُــولُ اللَّــهِ - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- بِالــدَّيْنِ قَبْــلَ الْوَصِــيَّةِ، وَهَــذَا إِجْمَــاعٌ أَنَّ الــدَّيْنَ مُقَــدَّمٌ عَلَــى الْوَصِــيَّةِ. وَمَعْنَــى الْآيَــةِ الْجَمْــعُ لَا التَّرْتِيــبُ، وَبَيَــانُ أَنَّ الْمِــيرَاثَ مُــؤَخَّرٌ عَــنِ الــدين والوصــية جميعــا مِــنْ بَعْــدِ وَصِــيَّةٍ إِنْ كَانَــتْ أو ديــن إن كــان، والإرث مُــؤَخَّرٌ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا،

{آبَــاؤُكُمْ وَأَبْنَــاؤُكُمْ} يَعْنِــي: الَّــذِينَ يَرِثُــونَكُمْ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ،

{لَا تَــدْرُونَ أَيُّهُــمْ أَقْــرَبُ لَكُــمْ نَفْعًــا} أَيْ: لَا تَعْلَمُــونَ أَنَّهُــمْ أَنْفَــعُ لَكُــمْ فِــي الــدِّينِ وَالــدُّنْيَا فَمِــنْكُمْ مَــنْ يَظُــنُّ أَنَّ الْــأَبَ أَنْفَــعُ لَــهُ، فَيَكُــونُ الِــابْنُ أَنْفَــعَ لَــهُ، وَمِــنْكُمْ مَــنْ يَظُــنُّ أَنَّ الِــابْنَ أَنْفَــعُ لَــهُ فَيَكُــونُ الْــأَبُ أَنْفَــعَ لَــهُ، وَأَنَــا الْعَــالِمُ بِمَــنْ هُــوَ أنفــع لكــم، وقــد دبــر أَمْــرَكُمْ عَلَــى مَــا فِيــهِ الْمَصْلَحَةُ فاتبعوه،

{فَرِيضَــةً مِــنَ اللَّــهِ} أي: مــا قــدر الله مِــنَ الْمَوَارِيــثِ، {إِنَّ اللَّــهَ كَــانَ عَلِيمًــا} بِــأمور العبــاد، {حَكِيمًــا} [النســاء: 11] بنصــب الأحكام. (1)

* * *

قَــالَ: الإمــام (عبــد الــرحمن بــن ناصــر الســعدي) - (رحمــه اللّه) – في (تفســيره):- {11} {يُوصِــيكُمُ

(1) انظــر: (مختصــر تفســير البغــوي = المســمى بمعــالم التنزيــل) لِلْإِمَــامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (11).

اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

هذه الآيات والآية التي هي آخر السورة هن آيات المواريث المتضمنة لها. فإنها مع حديث (عبد الله بن عباس) الثابت في صحيح الإمام (البخاري) "ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر" - مشتملات على جل أحكام الفرائض، بل على جميعها كما سترى ذلك، إلا ميراث الجدات فإنه غير مذكور في ذلك. لكنه قد ثبت في السنن عن المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعطى الجدة السدس، مع إجماع العلماء على ذلك.

فقوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ} أي: أولادكم -يا معشر الوالدين- عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم، لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية، فتعلمونهم وتؤدبونهم وتكفونهم عن المفاسد، وتأمرونهم بطاعة الله وملازمة التقوى على الدوام كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} فالأولاد عند والديهم موصى بهم، فإما أن يقوموا بتلك الوصية، وإما أن يضيعوها فيستحقوا بذلك الوعيد والعقاب.

وهذا مما يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالدين، حيث أوصى الوالدين مع كمال شفقتهم، عليهم.

ثم ذكر كيفية إرثهم فقال: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ} أي: الأولاد للصلب، والأولاد للابن، للذكر مثل حظ الأنثيين، إن لم يكن معهم صاحب فرض، أو ما أبقت الفروض يقتسمونه كذلك، وقد أجمع العلماء على ذلك، وأنه - مع وجود أولاد الصلب- فالميراث لهم. وليس لأولاد الابن شيء، حيث كان أولاد الصلب ذكورا وإناثا، هذا مع اجتماع الذكور والإناث. وهنا حالتان: انفراد الذكور، وسيأتي حكمها. وانفراد الإناث، وقد ذكره بقوله: {فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ} أي: بنات صلب أو بنات ابن، ثلاثا فأكثر

{فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً} أي: بنتا أو بنت ابن

{فَلَهَا النِّصْفُ} وهذا إجماع.

بقي أن يقال: من أين يستفاد أن للابنتين الثنتين الثلثين بعد الإجماع على ذلك؟

فالجواب أنه يستفاد من قوله: {وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ} فمفهوم ذلك أنه إن زادت على الواحدة، انتقل الفرض عن النصف، ولا ثمَّ بعده إلا الثلثان. وأيضا فقوله: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ} إذا خلَّف ابنًا وبنتًا، فإن الابن له الثلثان، وقد أخبر الله أنه مثل حظ الأنثيين، فدل ذلك على أن للبنتين الثلثين.

وأيضًا فإن البنت إذا أخذت الثلث مع أخيها - وهو أزيد ضررا عليها من أختها، فأخذها له مع أختها من باب أولى وأحرى.

وأيضا فإن قوله تعالى في الأختين: {فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ} نص في الأختين الثنتين.

فإذا كان الأختان الثنتان -مع بُعدهما- يأخذان الثلثين فالابنتان -مع قربهما- من باب أولى وأحرى. وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابنتي سعد الثلثين كما في الصحيح.

بقي أن يقال: فما الفائدة في قوله: {فَوْقَ اثْنَتَيْنِ}؟. قيل: الفائدة في ذلك -والله أعلم- أنه ليعلم أن الفرض الذي هو الثلثان لا يزيد بزيادتهن على الثنتين بل من الثنتين فصاعداً. ودلت الآية الكريمة أنه إذا وجد بنت صلب واحدة، وبنت ابن أو بنات ابن، فإن لبنت الصلب النصف، ويبقى من الثلثين اللذين فرضهما الله للبنات أو بنات الابن السدس، فيعطى بنت الابن، أو بنات الابن، ولهذا يسمى هذا السدس تكملة الثلثين.

ومثل ذلك بنت الابن، مع بنات الابن اللاتي أنزل منها. وتدل الآية أنه متى استغرق البنات أو بنات الابن الثلثين، أنه يسقط مَنْ دونهن مِنْ بنات الابن لأن الله لم يفرض لهن إلا الثلثين، وقد تم. فلو لم يسقطن لزم من ذلك أن يفرض لهن أزيد من الثلثين، وهو خلاف النص.

وكل هذه الأحكام مجمع عليها بين العلماء ولله الحمد.

ودل قوله: {مِمَّا تَرَكَ} أن الوارثين يرثون كل ما خلف الميت من عقار وأثاث وذهب وفضة وغير ذلك، حتى الدية التي لم تجب إلا بعد موته، وحتى الديون التي في الذمم .

ثم ذكر ميراث الأبوين فقال: {وَلأَبَوَيْهِ} أي: أبوه وأمه {لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ} أي: ولد صلب أو ولد ابن ذكراً كان أو أنثى، واحداً أو متعدداً.

فأما الأم فلا تزيد على السدس مع أحد من الأولاد.

وأما الأب فمع الذكور منهم، لا يستحق أزيد من السدس، فإن كان الولد أنثى أو إناثا ولم يبق بعد الفرض شيء -كأبوين وابنتين- لم يبق له تعصيب. وإن بقي بعد فرض البنت أو البنات شيء أخذ الأب السدس فرضًا، والباقي تعصيبًا، لأننا ألحقنا الفروض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر، وهو أولى من الأخ والعم وغيرهما.

{فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ} أي: والباقي للأب لأنه أضاف المال إلى الأب والأم إضافة واحدة، ثم قدر نصيب الأم، فدل ذلك على أن الباقي للأب.

وعلم من ذلك أن الأب مع عدم الأولاد لا فرض له، بل يرث تعصيبا المال كله، أو ما أبقت الفروض، لكن لو وجد مع الأبوين أحد الزوجين -ويعبر عنهما بالعمريتين- فإن الزوج أو الزوجة يأخذ فرضه، ثم تأخذ الأم ثلث الباقي والأب الباقي.

وقد دل على ذلك قوله: {وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ} أي: ثلث ما ورثه الأبوان. وهو في هاتين الصورتين إما سدس في زوج وأم وأب، وإما ربع في زوجة وأم وأب. فلم تدل الآية على إرث الأم ثلثَ المال كاملا مع عدم الأولاد

حتى يقال: إن هاتين الصورتين قد استثنيتا من هذا.

ويوضح ذلك أن الذي يأخذه الزوج أو الزوجة بمنزلة ما يأخذه الغرماء، فيكون من رأس المال، والباقي بين الأبوين.

ولأنا لو أعطينا الأم ثلث المال، لزم زيادتها على الأب في مسألة الزوج، أو أخذ الأب في مسألة الزوجة زيادة عنها نصفَ السدس، وهذا لا نظير له، فإن المعهود مساواتها للأب، أو أخذه ضعفَ ما تأخذه الأم.

{فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ} أشقاء، أو لأب، أو لأم، ذكورًا كانوا أو إناثًا، وارثين أو محجوبين بالأب أو الجد﴿لكن قد يقال: ليس ظاهرُ قوله: {فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ} شاملا لغير الوارثين بدليل عدم تناولها للمحجوب بالنصف، فعلى هذا لا يحجبها عن الثلث من الإخوة إلا الإخوة الوارثون. ويؤيده أن الحكمة في حجبهم لها عن الثلث لأجل أن يتوفر لهم شيء من المال، وهو معدوم، والله أعلم، ولكن بشرط كونهم اثنين فأكثر، ويشكل على ذلك إتيان لفظ "الإخوة" بلفظ الجمع. وأجيب عن ذلك بأن المقصود مجرد التعدد، لا الجمع، ويصدق ذلك باثنين.

وقد يطلق الجمع ويراد به الاثنان، كما في قوله تعالى عن داود وسليمان {وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} وقال في الإخوة للأم: {وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ}.

فأطلق لفظ الجمع والمراد به اثنان فأكثر بالإجماع. فعلى هذا لو خلف أمًا وأبًا وإخوة، كان للأم السدس، والباقي للأب فحجبوها عن الثلث، مع حجب الأب إياهم إلا على الاحتمال الآخر فإن للأم الثلث والباقي للأب.

ثم قال تعالى: {مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ} أي: هذه الفروض والأنصباء والمواريث إنما ترد وتستحق بعد نزع الديون التي على الميت لله أو للآدميين، وبعد الوصايا التي قد أوصى الميت بها بعد موته، فالباقي عن ذلك هو التركة الذي يستحقه الورثة.

وقدم الوصية مع أنها مؤخرة عن الدين للاهتمام بشأنها، لكون إخراجها شاقًا على الورثة، وإلا فالديون مقدمة عليها، وتكون من رأس المال.

وأما الوصية فإنها تصح من الثلث فأقل للأجنبي الذي هو غير وارث. وأما غير ذلك فلا ينفذ إلا بإجازة الورثة، قال تعالى: {آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا}.

فلو ردَّ تقدير الإرث إلى عقولكم واختياركم لحصل من الضرر ما الله به عليم، لنقص العقول وعدم معرفتها بما هو اللائق الأحسن، في كل زمان ومكان. فلا يدرون أيَّ الأولادِ أو الوالدين أنفع لهم، وأقرب لحصول مقاصدهم الدينية والدنيوية.

{فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} أي: فرضها الله الذي قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحكم ما شرعه وقدَّر ما قدَّره على أحسن تقدير لا تستطيع العقول أن

تقترح مثل أحكامه الصالحة الموافقة لكل زمان ومكان وحال.(1)

* * *

وقال: الإمَامُ (الترمذي، و أبو داود، وابن ماجة - رحمهم الله - في (سُننهم) - (بسندهم):-، عَنْ (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ) - رضي الله عنهما - قَالَ: (جَاءَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ - رضي الله عنه - بِابْنَتَيْهَا مِنْ سَعْدٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا)(2) (وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ جَمِيعَ مَا تَرَكَ أَبُوهُمَا)(3) (فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا، وَلاَ تُنْكَحَانِ إِلاَ وَلَهُمَا مَالٌ)(4)، وفي رواية: (وَإِنَّ الْمَرْأَةَ لاَ تُنْكَحُ إِلاَ عَلَى مَالِهَا)(5) (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " يَقْضِي اللهُ فِي ذَلِكَ "، قَالَ: وَنَزَلَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ: {يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ}(6))(7)، وفي رواية: (فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ، "فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى عَمِّهِمَا فَقَالَ: أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ، وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ ")(8)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):-(9) وَقَالَ: (زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ): إِذَا تَرَكَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ بِنْتًا، فَلَهَا النِّصْفُ، وَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، فَلَهُنَّ الثُّلُثَانِ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُنَّ ذَكَرٌ، بُدِئَ بِمَنْ شَرِكَهُمْ(10) فَيُؤْتَى فَرِيضَتَهُ، فَمَا بَقِيَ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ.

* * *

{فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ}(11)

وقال: الإِمَامُ (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):-، عَنْ (خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ)، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الْإِخْوَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: أَخَوَانِ فَصَاعِدًا.(12)

* * *

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (11)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2092).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2891).

(3) أخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2720).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (14840).

(4) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2092).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2891)،
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (14840).

(5) أخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2720).

(6) {النساء: 11}.

(7) أخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2891).
وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2092).

(8) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2092).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2891).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2720).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (14840).
و(حسنه) الإمام (الألباني) في (الإرواء) رقم (1677).

(9) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَاري) في تفسير سورة (النساء) الآية (11). برقم (ج8/ ص150).

(10) (شركهم): شارك الأولاد من الوارثين الذين لا يُحجبون في هذه الحالة، كالأبوين، أو الزوج، فيُعطى فرْضَه المعيَّن له، وبعد ذلك تُقسَّم التَّرِكة للذكر مثل حظ الأنثيين.

(11) {النساء: 11}.

(12) أخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (7961)، (حسنه) الإمام (الألباني) في (الإرواء) برقم (1678).

وقال: الإمام (ابن ماجة) – (رحمه الله) – في (سننه) - (بسنده):- , وعَنْ (عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) – رضي الله عنه – قال: " قَضَى رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – أَنَّ أَعْيَانَ بَنِي الْأُمِّ (1) يَتَوَارَثُونَ دُونَ بَنِي الْعَلَّاتِ (2) يَرِثُ الرَّجُلُ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، دُونَ إِخْوَتِهِ لِأَبِيهِ (3) " (4)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني (إبراهيم بن موسى) أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني ابن المنكدر عن (جابر) – رضي الله عنه – قال: عادني النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش علي فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت (يوصيكم الله في أولادكم). (5)(6)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن يوسف عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن (عطاء) عن (ابن عباس) - رضي الله عنهما -قال: كان المالُ للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحبّ: فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكلّ واحد منهما السدس والثلث، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع. (7)

* * *

قوله تعالى: (... فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف)

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أدم حدثنا شعبة حدثنا أبو قيس: سمعت هزيل بن شرحبيل قال: سُئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت، فقال: للابنة النصف وللأخت النصف وائت (ابنَ مسعود) فسيُتابعني، فسئل (ابن مسعود) وأخبر بقول: (أبي موسى)، فقال: لقد ضللتُ إذا وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول: (ابن مسعود)، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم. (8)

---

(1) (أَعْيَانَ بَنِي الْأُمِّ): الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ , لِأَبٍ وَاحِدٍ , وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ, مِنْ عَيْنِ الشَّيْءِ , وَهُوَ النَّفِيسُ مِنْهُ. تحفة الأحوذي - (ج 5 / ص 371).

(2) بَنِي الْعَلَّاتِ: هُمْ الْإِخْوَةُ لِأَبٍ , وَأُمَّهَاتٍ شَتَّى. تحفة الأحوذي (ج5 ص 371).

(3) الْمَعْنَى: أَنَّ بَنِي الْأَعْيَانِ إِذَا اِجْتَمَعُوا مَعَ بَنِي الْعَلَّاتِ , فَالْمِيرَاثُ لِبَنِي الْأَعْيَانِ لِقُوَّةِ الْقَرَابَةِ , وَازْدِوَاجِ الْوُصْلَةِ. تحفة الأحوذي - (ج 5 / ص 371).

(4) أخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2739).
وأخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2094).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1221).
وأخرجه الإمَامُ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (19003).
وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (29054).
و(حسنه) الإمام (الألباني) في (الإرواء) برقم (1667).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (91/8)، ح (4577) – (كتاب: تفسير القرآن) - (سورة النساء) – (الآية)،

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1235/3) – (كتاب: الفرائض)،/ باب: (ميراث الكلالة).

(7) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (93/8)، ح (4578) – (كتاب: تفسير القرآن) – (سورة النساء)، / باب: (الآية).

(8) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (18/12)، ح (6736) – (كتاب: الفرائض)، / باب: ميراث ابنة ابن مع ابنة.

* * *

قال: الإِمَامْ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده): - حدثنا عبد بن حميد، حدثني زكرياء بن عدي، أخبرنا عبيد الله ابن عمرو، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن (جابر بن عبد الله) قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا، ولا تنكحان إلا ولهما مال، قال: ((يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث، فبعث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى عمهما، فقال: ((أعط ابنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك)).(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره): - (بسنده) - عن (قتادة): قوله: (فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس) أضروا بالأم ولا يرثون، ولا يحجبها الأخ الواحد من الثلث، ويحجبها ما فوق ذلك. وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبوا أمهم من الثلث لأن أباهم يلي نكاحهم والنفقة عليهم دون أمهم.(2)

قال: الإِمَامْ (ابن كثير): وهذا كلام (حسن).

* * *

قوله تعالى: (من بعد وصية يوصي بها أو دين)

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): - حدثنا بِشر بن محمد السختياني أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري، قال: أخبرني سالم عن (ابن عمر) - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((كلكم راع ومسئول عن رعيته، والإِمَامْ راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته، قال: وأحسب أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه)).(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده) حدثنا سليمان أبو الربيع قال حدثنا إسماعيل بن جعفر قال حدثنا نافع بن مالك بن أبي عامر أبو سهيل عن أبيه عن

وأخرجه أيضاً في، / باب: (ميراث الأخوات مع البنات عصباً عن (ابن مسعود) به مختصراً. (الصحيح) برقم (25/12)، (ح 6742).

(1) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (414/4)، (ح 2092) – (كتاب: الفرائض)، / باب: (ما جاء في ميراث البنات)، وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (352/3) عن (زكريا بن عدي به).

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (121/3)، (ح 2892) - (كتاب: الفرائض)، / باب: (ما جاء في ميراث الصلب)، - من طريق – (داود بن قيس).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (908/2)، (ح 2720) - (كتاب: الفرائض)، / باب: (فرائض الصلب). - من طريق – (سفيان بن عيينة).

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (333/4، 334) - من طريق – (عبيد الله بن عمرو الرقي) كلهم – عن (عبد الله بن محمد بن عقيل به).

وقال: الإمام (الترمذي). هذا (حديث صحيح).

وقال: الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك): (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي).

و(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح ابن ماجه) برقم (ح 2199).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة: الأولى)، برقم (14/2).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (11).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5/ 444)، (ح 2751) – (كتاب: الوصايا)، / باب: (تأويل قوله تعالى: (. من بعد وصية يوصي)).

(أبي هريرة) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان)). (1) (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (من بعد وصية يوصي بها أو دين) والدين أحق ما بدئ به من جميع المال، فيؤدى عن أمانة الميت، ثم الوصية، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (أحمد) - (الإمَامُ أهل السُّنَّة والجَمَاعَة) - (رحمه الله) - في (المسند): ثنا حيوة بن شريح، ثنا بقية، ثنا بَحير بن سعيد، عن خالد بن معدان عن المقدام بن معدي كرب أنه سمع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((إن الله عز وجل يوصيكم بالأقرب فالأقرب)). (4)

* * *

قوله تعالى: (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله)

قال: الإمَامُ (الطبري) - والإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: أطوعكم لله من الآباء والأبناء، أرفعكم درجة يوم القيامة، لأن الله سبحانه يشفع المؤمنين بعضهم في بعض. (5)(6)

* * *

قال: الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- عن (مجاهد): في قوله: (أيهم أقرب لكم نفعا) في الدنيا. (7)

* * *

انظر: تفسير سورة -(البقرة) - آية (236). - كما قال تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236)}.

* * *

قوله تعالى: (إن الله كان عليما حكيما)

قال: الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) -

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (89/1)، (ح 33، 34) – (كتاب: الإيمان)، / باب: (علامة المنافق).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (78/1)، (ح85، 59).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (11).

(4) أخرجه الإمَامُ (أحمد) في (المسند) برقم (131/4).

وأخرجه الإمَامُ (ابن ماجه) في (السنن) برقم (1207/2، 1208)، (ح 3661) – (كتاب: الأدب)، / باب: (بر الوالدين) عن هشام بن عمار،

وأخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (151/4) – (كتاب: البر والصلة) – من طريق (أسد بن موسى)، كلاهما – عن (إسماعيل بن عياش عن بحير به).

و(صححه) الإمَامُ (الألباني) في (السلسلة الصحيحة) برقم (ح 1666).

وأخرجه الإمَامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (179/4). - من طريق بقية به

وقال: الإمَامُ (الحافظ ابن حجر): أخرجه الإمَامُ (البيهقي) (بإسناد حسن) في (التلخيص الحبير) برقم (10/4)

و(حسنه) الإمَامُ (السيوطي) في (الجامع الصغير) برقم (319/2)، (ح 1946).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة: الأولى)، برقم (15/2)،

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (11).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (11).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (11).

عن (أبي العالية): قوله: (حكيما) قال: حكيم في أمره.(1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• دلَّت أحكام المواريث على أن الشريعة أعطت الرجال والنساء حقوقهم مراعيةً العدل بينهم وتحقيق المصلحة بينهم.

• التغليظ الشديد في حرمة أموال اليتامى، والنهي عن التعدي عليها، وعن تضييعها على أي وجه كان.

• لَمَّا كان المال من أكثر أسباب النزاع بين الناس تولى الله تعالى قسمته في أحكام المواريث.(2)

* * *

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14)

[١٢] ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولكم - أيها الأزواج - نصف ما تركت زوجاتكم" إن لم يكن لهن ولد -ذكرًا كان أو أنثى- منكم أو من غيركم، فإن كان لهن ولد -ذكرًا كان أو أنثى- فلكم الربع مما تركن من المال يقسم لكم ذلك بعد تنفيذ وصيتهن، وقضاء ما عليهن من دين.

وللزوجات الربع مما تركتم - أيها الأزواج - إن لم يكن لكم ولد -ذكرًا كان أو أنثى- منهن أو من غيرهن، فإن كان لكم ولد -ذكرًا كان أو أنثى- فلهن الثمن مما تركتم، يُقسم لهن ذلك بعد تنفيذ وصيتكم، وقضاء ما عليكم من دَين. وإن مات رجل ليس له والد ولا ولد أو ماتت امرأة ليس لها والد ولا

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (11).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

ولد، وكان للميت منهما أخ لأم أو أخت لأم" فلكل واحد من أخيه لأمه أو أخته لأمه السدس فرضًا، فإن كان الإخوة لأم أو الأخوات لأم أكثر من واحد" فلجميعهم الثلث فرضًا يشتركون فيه، يستوي في ذلك ذكرهم وأنثاهم، وإنما يأخذون نصيبهم هذا بعد تنفيذ وصية الميت، وقضاء ما عليه من دَين، بشرط أن تكون وصيته لا تُدْخِل الضرر على الورثة" كان تكون وصية بأكثر من ثلث ماله، هذا الحكم الذي تضمَّنته الآية عهد من الله إليكم أوجبه عليكم، والله عليم بما يصلح عباده في الدنيا والآخرة، حليم لا يعاجل العاصي بالعقوبة.(1)

* * *

يَعْنِي:- ولكم أيها الرجال- نصف ما ترك أزواجكم بعد وفاتهن إن لم يكن لهن ولد ذكرًا كان أو أنثى، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن، ترثونه من بعد إنفاذ وصيتهن الجائزة، أو ما يكون عليهن من دَيْن لمستحقيه. ولأزواجكم أيها الرجال- الربع مما تركتم، إن لم يكن لكم ابن أو ابنة منهن أو من غيرهن، فإن كان لكم ابن أو ابنة فلهن الثمن مما تركتم، يقسم الربع أو الثمن بينهن، فإن كانت زوجة واحدة كان هذا ميراثًا لها، من بعد إنفاذ ما كنتم أوصيتم به من الوصايا الجائزة، أو قضاء ما يكون عليكم من دَيْن. وإن مات رجل أو امرأة وليس له أو لها ولد ولا والد، وله أو لها أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس. فإن كان الإخوة أو الأخوات لأم أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يقسم بينهم بالسوية لا فرق بين الذكر والأنثى، وهذا الذي فرضه الله للإخوة والأخوات لأم يأخذونه ميراثًا لهم من بعد إنفاذ وصيته إن كان قد أوصى بشيء، أو قضاء ديون الميت، لا ضرر فيه على الورثة. بهذا أوصاكم ربكم وصية نافعة لكم. والله عليم بما يصلح خلقه، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة.(2)

* * *

يَعْنِي:- للزوج نصف ما تركت الزوجة إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره فإن كان لها ولد فلزوجها الربع من بعد وصية تُوصِي بها أو دين. وللزوجة - واحدة أو متعددة - الربع مما ترك الزوج إن لم يكن له منها أو من غيرها ولد، فإن كان له منهن أو من غيرهن فللزوجة أو الزوجات الثمن من بعد وصية يُوصي بها أو دين، وولد الابن كالولد فيما تقدم. وإن كان الميت رجلاً أو امرأة ولا ولد له ولا والد وترك أخاً لأم أو أختاً لأم فلكل واحد منهما السدس، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث يستوى فى ذلك ذَكَرُهم وأنثاهم بمقتضى الشركة من بعد أداء الديون التى عليه وتنفيذ الوصية التى لا تضر بالورثة، وهى التى لا تتجاوز ثلث الباقى بعد الدين، فالزموا - أيها المؤمنون - ما وصاكم الله به، فإنه عليم بمن جار أو

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (79/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

عـدل منكم، حليم لا يعاجل الجائر بعقوبة. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَد} منكُم أَوْ من غيْركُم.

{فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ} ... منكم أو من غيركم.

{وَلَدٌ} ... ابْنٌ، أَوْ بِنْتٌ.

{فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَد فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} ... وَأُلْحِق بِالْوَلَدِ فِي ذَلِكَ وَلَد الابْن بالإجماع.

{ولهن} ... أي: الزوجات تعددن أو لا .

{الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَد فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَد} ... منْهُنَّ أَوْ من غيرهن.

{فلهن الثمن مما تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} ... وَوَلَد الابْن فِي ذَلِك كَالْوَلَدِ إجْمَاعًا.

{وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ} ... يعنى: الميت.

{وَإِنْ كَانَ رَجُل يُورَث} ... صِفَة وَالْخَبَر.

{يُورَثُ} ... أي: يورث منه.

{كَلَالَةً} ... مَنْ لَيْس لَهُ وَلَدٌ، وَلَا وَالِدٌ.

(الكلالةُ: هي أن يَهْلكَ هالكٌ ولا يترك ولدا وإن نَزَل، ولا يَتْرُكَ وَالدًا وإن عَلا).

{كَلَالَةً} ... خبر كانَ أي: وإن كان رجل موروث منه كلالة. وكلالة، حال من الضمير فى يُورَثُ. والكلالة: من لم يخلف ولدا ولا والدا، ومن ليس بولد ولا والد من المخلفين، والقرابة من غير جهة الولد والوالد.

فإذا مات الرجل وليس له ولد ولا والد فورثته كلالة.

{أَوِ امْرَأَة} ... تُورث كَلَالَة.

{وَلَهُ} ... أَيْ: لِلْمُورث كَلَالَة.

{أَخ أَوْ أُخْت} ... أَيْ: مِنْ أُمّ وَقَرَأَ بِهِ (ابْن مَسْعُود) وَغَيْره.

{فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ} ... مِمَّا تَرَك.

{فَإِنْ كَانُوا} ... أَيْ: الْإِخْوَة وَالْأَخَوَات مِنْ الْأُمّ.

{أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ} ... أَيْ: مِنْ وَاحِد.

{فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُث} ... يَسْتَوِي فِيهِ ذكرهم وَأُنْثَاهُم.

{مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ} ... حَال مِنْ ضَمِير يُوصَى أَيْ غَيْر مُدْخِل الضَّرَر عَلَى الْوَرَثَة بِأَنْ يُوصِي بِأَكْثَر مِنْ الثُّلُث.

{غَيْرَ مُضَارٍّ} ... حال، أي يوصى بها وهو غير مضار لورثته، وذلك بأن يوصى بزيادة على الثلث أو يوصى بالثلث فما دونه، ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى.

{وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ} ... مصدر مؤكد، أي: يوصيكم بذلك وصية.

{من اللَّه وَاللَّه عَلِيم} ... بِمَا دَبَّرَهُ لِخَلْقِهِ مِنْ الْفَرَائِض.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ} ... بمن جار أو عدل فى وصيته.

{حَلِيمٌ} ... عن الجائر لا يعاجله.

{حَلِيم} ... بِتَأْخِيرِ الْعُقُوبَة عَمَّنْ خَالَفَهُ وَخَصَّتْ السُّنَّة تَوْرِيث مَنْ ذُكِرَ بِمَنْ لَيْسَ فِيهِ مَانِع مِنْ قَتْل أَوْ اخْتِلَاف دِين أَوْ رِقّ.

* * *

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (108/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: **الإمام** (**عبد الرحمن بن ناصر السعدي**) - (**رحمه الله**) – **في** (**تقسيره**):- **ثم قال تعالى:**

{وَلَكُمْ} أيها الأزواج {نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} .

ويدخل في مسمى الولد المشروط وجوده أو عدمه، ولد الصلب أو ولد الابن الذكر والأنثى، الواحد والمتعدد، الذي من الزوج أو من غيره، ويخرج عنه ولد البنات إجماعًا.

ثم قال تعالى: {وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ} أي: من أم، كما هي في بعض القراءات. وأجمع العلماء على أن المراد بالإخوة هنا الإخوة للأم، فإذا كان يورث كلالة أي: ليس للميت والد ولا ولد أي: لا أب ولا جد ولا ابن ولا ابن ابن ولا بنت ولا بنت ابن وإن نزلوا. وهذه هي الكلالة كما فسرها بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد حصل على ذلك الاتفاق ولله الحمد.

{فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا} أي: من الأخ والأخت {السُّدُسُ} ، {فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ} أي: من واحد {فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ} أي: لا يزيدون على الثلث ولو زادوا عن اثنين.

ودل قوله: {فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ} أن ذكرهم وأنثاهم سواء، لأن لفظ "التشريك" يقتضي التسوية.

ودل لفظ {الْكَلَالَةِ} على أن الفروع وإن نزلوا، والأصولَ الذكور وإن علوا، يُسقطون أولاد الأم، لأن الله لم يورثهم إلا في الكلالة، فلو لم يكن يورث كلالة، لم يرثوا منه شيئًا اتفاقًا.

ودل قوله: {فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ} أن الإخوة الأشقاء يَسقُطون في المسألة المسماة بالحمارية. وهي: زوج، وأم، وإخوة لأم، وإخوة أشقاء. للزوج النصف، وللأم السدس، وللأخوة للأم الثلث، ويسقط الأشقاء، لأن الله أضاف الثلث للإخوة من الأم، فلو شاركهم الأشقاء لكان جمعا لما فرّق الله حكمه. وأيضا فإن الإخوة للأم أصحاب فروض، والأشقاء عصبات. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: - "ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر" - وأهل الفروض هم الذين قدَّر الله أنصباءهم، ففي هذه المسألة لا يبقى بعدهم شيء، فيَسْقُط الأشقاء، وهذا هو الصواب في ذلك.

وأما ميراث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب، فمذكور في قوله: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} الآية.

فالأخت الواحدة شقيقة أو لأب لها النصف، والثنتان لهما الثلثان، والشقيقة الواحدة مع الأخت للأب أو الأخوات تأخذ النصف، والباقي من الثلثين للأخت أو الأخوات لأب وهو السدس تكملة الثلثين. وإذ استغرقت الشقيقات الثلثين سقط الأخوات للأب كما تقدم في البنات وبنات الابن. وإن كان الإخوة رجالا ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين.

فإن قيل: فهل يستفاد حكم ميراث القاتل، والرقيق، والمخالف في الدين، والمبعض،

والخنثى، والجد مع الإخوة لغير أم، والعول، والرد، وذوي الأرحام، وبقية العصبة، والأخوات لغير أم مع البنات أو بنات الابن من القرآن أم لا؟

قيل: نعم، فيه تنبيهات وإشارات دقيقة يعسر فهمها على غير المتأمل تدل على جميع المذكورات. فأما (القاتل والمخالف في الدين) فيعرف أنهما غير وارثين من بيان الحكمة الإلهية في توزيع المال على الورثة بحسب قربهم ونفعهم الديني والدنيوي.

وقد أشار تعالى إلى هذه الحكمة بقوله: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ وقد عُلم أن القاتل قد سعى لمورثه بأعظم الضرر، فلا ينتهض ما فيه من موجب الإرث أن يقاوم ضرر القتل الذي هو ضد النفع الذي رتب عليه الإرث. فعُلم من ذلك أن القتل أكبر مانع يمنع الميراث، ويقطع الرحم الذي قال الله فيه: ﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ مع أنه قد استقرت القاعدة الشرعية أن "من استعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه"

وبهذا ونحوه يعرف أن المخالف لدين الموروث لا إرث له، وذلك أنه قد تعارض الموجب الذي هو اتصال النسب الموجب للإرث، والمانعُ الذي هو المخالفة في الدين الموجبة للمباينة من كل وجه، فقوي المانع ومنع موجب الإرث الذي هو النسب، فلم يعمل الموجب لقيام المانع. يوضح ذلك أن الله تعالى قد جعل حقوق المسلمين أولى من حقوق الأقارب الكفار الدنيوية، فإذا مات المسلم انتقل ماله إلى من هو أولى وأحق به. فيكون قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ إذا اتفقت أديانهم، وأما مع تباينهم فالأخوة الدينية مقدمة على الأخوة النسبية المجردة.

قال: الإمام (ابن القيم) في "جلاء الأفهام": وتأمل هذا المعنى في آية المواريث، وتعليقه سبحانه التوارث فيها بلفظ الزوجة دون المرأة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ إيذانا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث. وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين انتهى.

وأما (الرقيق) فإنه لا يرث ولا يورث، أما كونه لا يورث فواضح، لأنه ليس له مال يورث عنه، بل كل ما معه فهو لسيده. وأما كونه لا يرث فلأنه لا يملك، فإنه لو ملك لكان لسيده، وهو أجنبي من الميت فيكون مثل قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ ونحوها لمن يتأتى منه التملك، وأما الرقيق فلا يتأتى منه ذلك، فعلم أنه لا ميراث له. وأما مَنْ بعضه حر وبعضه رقيق فإنه تتبعض أحكامه. فما فيه من الحرية يستحق بها ما رتبه الله في المواريث، لكون ما فيه من الحرية قابلا للتملك، وما فيه من الرق فليس بقابل لذلك، فإذا يكون المبعض، يرث ويورث، ويحجب بقدر ما فيه من الحرية. وإذا كان العبد يكون محمودا

مذموما، مثابا ومعاقبا، بقدر ما فيه من موجبات ذلك، فهذا كذلك. وأما (الخنثى) فلا يخلو إما أن يكون واضحا ذكوريته أو أنوثيته، أو مشكلا. فإن كان واضحا فالأمر فيه واضح.

إن كان ذكرا فله حكم الذكور، ويشمله النص الوارد فيهم.

وإن كان أنثى فله حكم الإناث، ويشملها النص الوارد فيهن.

وإن كان مشكلا فإن كان الذكر والأنثى لا يختلف إرثهما -كالإخوة للأم- فالأمر فيه واضح، وإن كان يختلف إرثه بتقدير ذكوريته وبتقدير أنوثيته، ولم يبق لنا طريق إلى العلم بذلك، لم نعطه أكثر التقديرين، لاحتمال ظلم من معه من الورثة، ولم نعطه الأقل، لاحتمال ظلمنا له. فوجب التوسط بين الأمرين، وسلوك أعدل الطريقين، قال تعالى: {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} وليس لنا طريق إلى العدل في مثل هذا أكثر من هذا الطريق المذكور. و {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا} {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}

وأما (ميراث الجد) مع الإخوة الأشقاء أو لأب، وهل يرثون معه أم لا؟ فقد دل كتاب الله على قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأن الجد يحجب الإخوة أشقاء أو لأب أو لأم، كما يحجبهم الأب.

وبيان ذلك: أن الجد أب في غير موضع من القرآن كقوله تعالى: {إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ} الآية.

وقال: (يوسف) -عليه السلام-: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}

فسمى الله الجد وجد الأب أبا، فدل ذلك على أن الجد بمنزلة الأب، يرث ما يرثه الأب، ويحجب من يحجبه.

وإذا كان العلماء قد أجمعوا على أن الجد حكمه حكم الأب عند عدمه في ميراثه مع الأولاد وغيرهم من بني الإخوة والأعمام وبنيهم، وسائر أحكام المواريث، فينبغي أيضا أن يكون حكمُه حكمَه في حجب الإخوة لغير أم.

وإذا كان ابن الابن بمنزلة ابن الصلب فلم لا يكون الجد بمنزلة الأب؟ وإذا كان جد الأب مع ابن الأخ قد اتفق العلماء على أنه يحجبه. فلم لا يحجب جد الميت أخاه؟ فليس مع مَنْ يورِّث الإخوةَ مع الجد، نص ولا إشارة ولا تنبيه ولا قياس صحيح.

وأما مسائل: (العول) فإنه يستفاد حكمها من القرآن، وذلك أن الله تعالى قد فرض وقدر لأهل المواريث أنصباء، وهم بين حالتين:

إما أن يحجب بعضهم بعضًا أو لا. فإن حجب بعضهم بعضا، فالمحجوب ساقط لا يزاحم ولا يستحق شيئا، وإن لم يحجب بعضهم بعضا فلا يخلو، إما أن لا تستغرق الفروض التركة، أو تستغرقها من غير زيادة ولا نقص، أو تزيد الفروض على التركة، ففي الحالتين الأوليين كل يأخذ فرضه كاملا. وفي الحالة

الأخيرة وهي ما إذا زادت الفروض على التركة فلا يخلو من حالين:

إما أن ننقص بعضَ الورثة عن فرضه الذي فرضه الله له، ونكمل للباقين منهم فروضهم، وهذا ترجيح بغير مرجح، وليس نقصان أحدهم بأولى من الآخر، فتعينت الحال الثانية، وهي: أننا نعطي كل واحد منهم نصيبه بقدر الإمكان، ونحاصص بينهم كديون الغرماء الزائدة على مال الغريم، ولا طريق موصل إلى ذلك إلا بالعول، فعلم من هذا أن العول في الفرائض قد بينه الله في كتابه.

وبعكس هذه الطريقة بعينها يعلم (الرد) فإن أهل الفروض إذا لم تستغرق فروضُهم التركةَ وبقي شيء ليس له مستحق من عاصب قريب ولا بعيد، فإن رده على أحدهم ترجيح بغير مرجح، وإعطاؤه غيرَهم ممن ليس بقريب للميت جنف وميل، ومعارضة لقوله: ﴿وَأُولُو الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فتعين أن يُردَّ على أهل الفروض بقدر فروضهم.

ولما كان الزوجان ليسا من القرابة، لم يستحقا زيادة على فرضهم المقدر هذا عند من لا يورِّث الزوجين بالرد، وهم جمهور القائلين بالرد، فعلى هذا تكون علة الرد كونه صاحب فرض قريبا، وعلى القول الآخر، أن الزوجين كغيرهما من ذوي الفروض يُردُّ عليهما" فكما ينقصان بالعول فإنهما يزادان بالرد كغيرهما، فالعلة على هذا كونه وارثا صاحب فرض، فهذا هو الظاهر من دلالة الكتاب والسنة، والقياس الصحيح، والله أعلم.

وبهذا يعلم أيضا (ميراث ذوي الأرحام) فإن الميت إذا لم يخلف صاحب فرض ولا عاصبا، وبقي الأمر دائرا بين كون ماله يكون لبيت المال لمنافع الأجانب، وبين كون ماله يرجع إلى أقاربه المدلين بالورثة المجمع عليهم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الأرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فصرفه لغيرهم ترك لمن هو أولى من غيره، فتعين توريث ذوي الأرحام.

وإذا تعين توريثهم، فقد علم أنه ليس لهم نصيب مقدر بأعيانهم في كتاب الله. وأن بينهم وبين الميت وسائط، صاروا بسببها من الأقارب. فينزلون منزلة من أدلوا به من تلك الوسائط. والله أعلم.

وأما (ميراث بقية العصبة) كالبنوة والأخوة وبنيهم، والأعمام وبنيهم إلخ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولي رجل ذكر"

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأقْرَبُونَ﴾ فإذا ألحقنا الفروض بأهلها ولم يبق شيء، لم يستحق العاصب شيئًا، وإن بقي شيء أخذه أولي العصبة، وبحسب جهاتهم ودرجاتهم.

فإن جهات العصوبة خمس: البنوة، ثم الأبوة، ثم الأخوة وبنوهم، ثم العمومة وبنوهم، ثم الولاء، فيقدم منهم الأقرب جهة. فإن كانوا في جهة واحدة فالأقرب منزلة، فإن كانوا في منزلة واحدة فالأقوى،

وهو الشقيق، فإن تساووا من كل وجه اشتركوا. والله أعلم.

وأما كون الأخوات لغير أم مع البنات أو بنات الابن عصبات، يأخذن ما فضل عن فروضهن، فلأنه ليس في القرآن ما يدل على أن الأخوات يسقطن بالبنات.

فإذا كان الأمر كذلك، وبقي شيء بعد أخذ البنات فرضهن، فإنه يعطى للأخوات ولا يعدل عنهن إلى عصبة أبعد منهن، كابن الأخ والعم، ومن هو أبعد منهم. والله أعلم.(1)

* * *

قوله تعالى: (ولكم نصف ما ترك أزواجكم)

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الأعلى بن حماد (وهو النرسي) . حدثنا وُهيب عن ابن طاوُس، عن أبيه، عن (ابن عباس). قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر)).(2)

* * *

قوله تعالى: (فلهن الثمن مما تركتم).

انظر: حديث (جابر) في (امرأة سعد بن الربيع) في الآية السابقة.

* * *

قوله تعالى: (وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت)

قال: الإِمَامُ (الطبري) - والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: الكلالة من لم يترك ولدا ولا والدا.(3)(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (وله أخ أو أخت) فهؤلاء الاخوة من الأم: وإن كان واحد فله السدس، وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: (غير مضار) قال: في ميراث أهله.(6)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدي قال: حدثنا عبيدة بن حميد وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية جميعاً، عن داود بن أبي هند، عن (عكرمة) عن (ابن عباس) في هذه الآية: (غير مضار وصية من الله والله عليم حليم)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (12)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1233/3)، (ح 1615) -(كتاب: الفرائض)، / باب: (ألحقوا الفرائض بأهلها).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (12).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (12).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (12).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (12).

قـــال: الضـــرار في الوصـــية مـــن الكبـــائر. (1)(2)

* * *

وقـــال: الإِمَـــامْ (الترمـــذي) – (رحمـــه الله) – في (سُـــنَنِه) – (بســـنده):– , عَـــنْ (عَلِـــيِّ بْـــنِ أَبِـــي طَالِـــبٍ) – رضـــي الله عنـــه – قَـــالَ: (إِنَّكُـــمْ تَقْـــرَءُونَ هَـــذِهِ الْآيَـــةَ: {مِـــنْ بَعْـــدِ وَصِـــيَّةٍ تُوصُـــونَ بِهَـــا أَوْ دَيْـــنٍ} " وَإِنَّ رَسُـــولَ اللَّهِ – صـــلى الله عليـــه وســـلم – قَضَـــى بِالـــدَّيْنِ قَبْـــلَ الْوَصِـــيَّةِ " (3) (4) (وَأَنْـــتُمْ تُقِرُّونَ الْوَصِيَّةَ قَبْلَ الدَّيْنِ) (5)(6).

* * *

وقـــال: الإِمَـــامْ (البخـــاري) – (رحمـــه الله) – في (صـــحيحه) – (بســـنده):– (7): وَيُـــذْكَرُ " أَنَّ النَّبِـــيَّ – صـــلى الله عليـــه وســـلم – قَضَـــى بِالـــدَّيْنِ قَبْـــلَ الوَصِيَّةِ"

وَقَوْلِـــهِ – عـــز وجـــل –: {إِنَّ اللهَ يَـــأْمُرُكُمْ أَنْ تُـــؤَدُّوا الْأَمَانَـــاتِ إِلَـــى أَهْلِهَـــا} (8) فَـــأَدَاءُ الأَمَانَةِ أَحَقُّ مِنْ تَطَوُّعِ الوَصِيَّةِ.

وَقَـــالَ: النَّبِـــيُّ – صـــلى الله عليـــه وســـلم –: " لاَ صَدَقَةَ إِلاَّ عَنْ ظَهْرِ غِنًى "

وَقَـــالَ: (ابْـــنُ عَبَّـــاسٍ): لاَ يُوصِـــي العَبْـــدُ إِلاَّ بِإِذْنِ أَهْلِه.

وَقَـــالَ: النَّبِـــيُّ – صـــلى الله عليـــه وســـلم –: العَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِه. (9)

* * *

قـــال: الإِمَـــامْ (البخـــاري) – (رحمـــه الله) – في (صـــحيحه) – (بســـنده):– حـــدثنا محمـــد بـــن خالـــد حـــدثنا محمـــد بـــن موســـى بـــن أعـــين حـــدثنا أبـــي عـــن عمـــرو بـــن الحـــارث عـــن عبيـــد الله بـــن أبـــي جعفـــر أن محمـــد بـــن جعفـــر حدثـــه عـــن عـــروة عـــن (عائشـــة) – رضـــي الله عنهـــا –أن رســـول الله – صـــلى الله عليـــه وســـلم – قـــال: ((مـــن مـــات وعليه صيام صام عنه وليه)). (10)

* * *

---

(1) انظـــر: (جـــامع البيـــان في تـــأويـــل القـــرآن) لِلإِمَـــامْ (الطـــبري) في ســـورة (النساء) الآية (12).

(2) أخرجه الإمام (النسائي) و الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) كلاهما في (التفسير)،
وأخرجـــه الإمـــام (البيهقـــي) في (الســـنن الكـــبرى) بـــرقم (271/6) – كلـــهم – مـــن طريق – (داود بن أبي هند به)،
و(صححه) الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)،
ونقل الإمام (ابن كثير). (تصحيحه) عن الإمام (الطبري).
ذكـــره و نقلـــه الشـــيخ : (أ. الـــدكتور: (حكمـــت بـــن بشـــير بـــن ياســـين) في (موســـوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة : الأولى)، برقم (2/ 17)،

(3) أَيْ: أَنَّكُـــمْ تَقْـــرَءُونَ هَـــذِهِ الْآيَـــةَ , هَـــلْ تَـــدْرُونَ مَعْنَاهَـــا؟ , فَالْوَصِـــيَّةُ مُقَدَّمَـــةٌ عَلَـــى الـــدَّيْنِ فِـــي الْقِـــرَاءَةِ , مُتَـــأَخِّرَةٌ عَنْهَـــا فِـــي الْقَضَـــاءِ، وَالْـــآخِرَةُ فِيهَـــا مُطْلَـــقٌ , يُـــوهِمُ التَّسْـــوِيَةَ، فَقَضَـــى رَسُـــولُ اللهِ – صـــلى الله عليـــه وســـلم – بِتَقْـــدِيمِ الـــدَّيْنِ عَلَيْهَـــا.
(تحفة الأحوذي) – (ج 5 / ص 371).

(4) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2094) ,
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2715).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (1221).
وأخرجه الإِمَامْ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (19003).
وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (29054).
و(حسنه) الإمام (الألباني) في (الإرواء: 1667).

(5) فَـــإِنْ قُلْـــتَ: إِذَا كَـــانَ الـــدَّيْنُ مُقَـــدَّمًا عَلَـــى الْوَصِـــيَّةِ , فَلِـــمَ قُـــدِّمَتْ عَلَيْـــهِ فِـــي التَّنْزِيـــلِ؟ , قُلْـــتُ: اهْتِمَامًـــا بِشَـــأْنِهَا , لَمَّـــا كَانَـــتْ الْوَصِـــيَّةُ مُشَـــبَّهَةً بِـــالْمِيرَاثِ فِـــي كَوْنِهَـــا مَـــأْخُوذَةً مِـــنْ غَيْـــرِ عِـــوَضٍ , كَـــانَ إِخْرَاجُهَـــا مِمَّـــا يَشُـــقُّ عَلَـــى الْوَرَثَـــةِ وَيَتَعَـــاظَمُ , وَلَـــا تَطِيـــبُ أَنْفُسُـــهُمْ بِهَـــا فَكَـــانَ أَدَاؤُهَـــا مَظِنَّـــةً لِلتَّفْـــرِيطِ , بِخِلَـــافِ الـــدَّيْنِ , فَـــإِنَّ نُفُوسَـــهُمْ مُطْمَئِنَّـــةٌ إِلَـــى أَدَائِـــهِ , فَلِـــذَلِكَ قُـــدِّمَتْ عَلَـــى الـــدَّيْنِ , بَعْثًـــا عَلَـــى وُجُوبِهَـــا , وَالْمُسَـــارَعَةِ إِلَـــى إِخْرَاجِهَـــا مَـــعَ الـــدَّيْنِ وَلِـــذَلِكَ جِـــيءَ بِكَلِمَـــةِ {أَوْ} لِلتَّسْـــوِيَةِ بَيْنَهُمَـــا فِـــي الْوُجُـــوبِ.
تحفة (ج5/ ص371).

(6) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2122) ,
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (595).
انظـــر: (الْجَـــامِعُ الصَّـــحِيحُ لِلسُّـــنَنِ وَالْمَسَـــانِيد) في (تفســـير القـــرآن)– ســـورة (النساء) آية (12)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(7) انظر:صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) برقم (ج 4/ ص5).

(8) {النساء: 58}.

(9) انظـــر: (الْجَـــامِعُ الصَّـــحِيحُ لِلسُّـــنَنِ وَالْمَسَـــانِيد) في (تفســـير القـــرآن)– ســـورة (النساء) آية (12)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(10) (صَـــحِيح): أخرجـــه الإِمَـــامْ (البُخَـــارِي) في (صـــحيحه) بـــرقم (4/226–227)، (ح 1952)– (كتـــاب: الصـــوم)، / بـــاب: (مـــن مـــات وعليـــه صوم).

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {12} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} هذا ميراث الأزواج،

{وَلَهُنَّ الرُّبُعُ} يعني: الزوجات الرُّبُعُ.

{مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ} هَذَا مِيرَاثُ الزَّوْجَاتِ وَإِذَا كَانَ لِلرَّجُلِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ فَهُنَّ يَشْتَرِكْنَ فِي الرُّبُعِ وَالثُّمُنِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ} تُورَثُ كَلَالَةً، وَنَظْمُ الْآيَةِ: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ يُورَثُ كَلَالَةً وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ،

يَعْنِي:- عَلَى خَبَرِ مَا لَمْ يسم فاعله، وتقديره: وإن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ مَالُهُ كَلَالَةً، وَاخْتَلَفُوا فِي الْكَلَالَةِ فَذَهَبَ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ إِلَى أَنَّ الْكَلَالَةَ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ لَهُ، وَذَهَبَ طَاوُسٌ إِلَى أَنَّ الْكَلَالَةَ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ، وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رضي الله عنهما، وَاحْتَجَّ مَنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ} {النساء: 176} وَبَيَانُهُ عِنْدَ الْعَامَّةِ مَأْخُوذٌ مِنْ حَدِيثِ (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ)، لِأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَوْمَ نُزُولِهَا أَبٌ وَلَا ابْنٌ، لِأَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ اللهِ بن حرام قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَآيَةُ الْكَلَالَةِ نَزَلَتْ فِي آخِرِ عُمْرِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَصَارَ شَأْنُ جَابِرٍ بَيَانًا لِمُرَادِ الْآيَةِ لِنُزُولِهَا فِيهِ، وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الكلالة اسم لمن؟ فمنهم مَنْ قَالَ: اسْمٌ لِلْمَيِّتِ، وَهُوَ قَوْلُ (عَلِيٍّ) وَ(ابْنِ مَسْعُودٍ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لِأَنَّهُ مَاتَ عَنْ ذَهَابِ طَرَفَيْهِ، فَكَلَّ عَمُودُ نَسَبِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: اسْمٌ لِلْوَرَثَةِ، وَهُوَ قَوْلُ: (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، لِأَنَّهُمْ يَتَكَلَّلُونَ الْمَيِّتَ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَلَيْسَ فِي عَمُودِ نَسَبِهِ أَحَدٌ، كَالْإِكْلِيلِ يُحِيطُ بِالرَّأْسِ وَوَسَطُ الرَّأْسِ مِنْهُ خَالٍ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ حَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ، أَيْ: يَرِثُنِي وَرَثَةٌ لَيْسُوا بِوَلَدٍ وَلَا وَالِدٍ،

وَقَالَ: (النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ): الكلالة اسم للمال

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ} {النساء: 12} أَرَادَ بِهِ الْأَخَ وَالْأُخْتَ مِنَ الْأُمِّ بِالِاتِّفَاقِ،

قَرَأَ (سَعْدُ بْنُ أَبِي) وَ(قَّاصٍ) (وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ) وَلَمْ يَقُلْ لهما مِنْ ذِكْرِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ مِنْ قَبْلُ، عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرَتِ اسْمَيْنِ ثُمَّ أَخْبَرَتْ عَنْهُمَا، وَكَانَا فِي الْحُكْمِ سَوَاءٌ رُبَّمَا أَضَافَتْ إِلَى أَحَدِهِمَا، وَرُبَّمَا أَضَافَتْ إِلَيْهِمَا.

{فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ} فيه إجماع أن أبناء الْأُمِّ إِذَا كَانُوا اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا يَشْتَرِكُونَ فِي الثُّلُثِ ذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ،

{مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ} أَيْ: غَيْرَ مُدْخِلِ الضَّرَرِ عَلَى الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية،

{وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ} {النساء: 12} قَالَ: (قَتَادَةُ): كَرِهَ اللَّهُ الضِّرَارَ فِي

الْحَيَاةِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ، وَنَهَى عَنْهُ وَقَدَّمَ فِيهِ. (1)

* * *

وقال: الإمَامُ (البُخَارِي و مُسْلِم) – في (صحيحهما)، والإمام (ابن ماجة) في (سننه)، – (رحمهم الله) – (بسندهم):-، وَعَنْ (سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: (" عَادَنِي رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – ") (2) (وَأَنَا بِمَكَّةَ) (3) (بِمَكَّةَ) (4) (فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ) (مِنْ مَرَضٍ) (5) (اشْتَدَّ بِي) (6) (حَتَّى أَشْفَيْتُ عَلَى عَلَى الْمَوْتِ) (7) (") (8) (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ) (9) (إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ) (10) (مَا تَرَى) (10) ، وَأَنَا ذُو مَالٍ ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ ، قَالَ: " لاَ " ، قُلْتُ: فَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟) (11) (قَالَ: " لاَ ") (12) (قُلْتُ: فَالثُّلُثُ؟ ، قَالَ: " الثُّلُثُ ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ) (13) (إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ) (14) ( ) (15) (وَإِنَّكَ) (16) لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا) (17) (حَتَّى اللُّقْمَةُ الَّتِي) (18) (تَجْعَلُهَا) (19) (فِي فَمِ امْرَأَتِكَ ") (20).

* * *

قال: الإمَامُ (النسائي) – (رحمه الله) – في (السنن الصغرى) – (بسنده):-، وَعَنْ (عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ) – رضي الله عنه – أَنَّ رَجُلًا أَعْتَقَ سِتَّةَ مَمْلُوكِينَ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ – وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ غَيْرُهُمْ – "فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لاَ أُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَعَا مَمْلُوكِيهِ ، فَجَزَّأَهُمْ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ ، ثُمَّ أَقْرَعَ بَيْنَهُمْ ، فَأَعْتَقَ اثْنَيْنِ ، وَأَرَقَّ أَرْبَعَةً " (21)

* * *

قال: الإمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) – (رحمه الله) – في (المسند) – (بسنده):-، وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رضي الله عنهما – قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ غَضُّوا مِنَ الثُّلُثِ إِلَى الرُّبُعِ فِي الْوَصِيَّةِ ، لِأَنَّ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (12).
(2) (صَحِيح) : أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2593).
(3) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2591).
(4) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4147).
(5) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3721).
(6) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1234).
(7) (أَشْفَيْتُ عَلَى الْمَوْتِ) أيْ: قَارَبْتُه وَأَشْرَفْتُ عَلَيْه.
(8) وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2708).
(9) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3721).
(10) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1234).
(11) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3721).
(12) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1234).
(13) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2593).
(14) الْعَالَةُ: الْفُقَرَاءُ.
(15) أيْ: يَسْأَلُونَهُمْ بِالْأَكُفِّ بِأَنْ يَبْسُطُوهَا لِلسُّؤَالِ. (عون المعبود) (ج 6 / ص 327).
(16) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3721).
(17) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3056).
(18) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2591).
(19) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3721).
(20) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3056).
(21) أخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (1958).
وأخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (56) - (1668).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (1364).
وأخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (3961).
وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2345).
وأخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (19839).

النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: " الثُّلُثُ كَثِيرٌ , أَوْ كَبِيرٌ " (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البيهقي) - (رحمه الله) - في (السنن الكبرى) - (بسنده):- وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: الَّذِي يُوصِي بِالْخُمُسِ , أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يُوصِي بِالرُّبُعِ , وَالَّذِي يُوصِي بِالرُّبُعِ , أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يُوصِي بِالثُّلُثِ. (2)

* * *

وقال: الإمام (ابن أبي شيبة) - (رحمه الله) - في (المصنف):- , وَعَنْ (الشَّعْبِيِّ) قَالَ: إِنَّمَا كَانُوا يُوصُونَ بِالْخُمُسِ وَالرُّبُعِ , وَكَانَ الثُّلُثُ مُنْتَهَى الْجَامِحِ. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطيالسي) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):- وَعَنْ (إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ) قَالَ: كَانَ السُّدُسُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الثُّلُثِ. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطيالسي) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):- , وَعَنْ (يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ)، حَدَّثَنَا (النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ)، عَنْ (مَكْحُولٍ) قَالَ: إِذَا كَانَ الْوَرَثَةُ مَحَاوِيجَ , فَلَا أَرَى بَأسًا أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الثُّلُثِ , قَالَ: (يَحْيَى): فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلْأَوْزَاعِيِّ فَأَعْجَبَهُ. (5)

* * *

[١٣] ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

تلك الأحكام المذكورة في شأن اليتامى وغيرهم، شرائعُ الله التي شرعها لعباده ليعملوا بها، ومن يطع الله ورسوله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه" يدخله الله جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، ماكثين فيها لا يلحقهم فناء، وذلك الجزاء الإلهي هو الفلاح العظيم الذي لا يضاهيه فلاح. (6)

* * *

يَعْنِي:- تلك الأحكام الإلهية التي شرعها الله في اليتامى والنساء والمواريث، شرائعه الدالة على أنها من عند الله العليم الحكيم. ومَن يطع الله ورسوله فيما شرع لعباده من هذه الأحكام وغيرها، يدخله جنات كثيرة الأشجار والقصور، تجري من تحتها الأنهار بمياهها العذبة، وهم باقون في هذا النعيم، لا يخرجون منه، وذلك الثواب هو الفلاح العظيم. (7)

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2076).
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2592).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (10) - (1629).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3634).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2711).
(2) أخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (12355).
وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (30923).
و(حسنه) الإمام (الألباني) في (الإرواء الغليل) حديث: (1650).
(3) أخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (30924).
وأخرجه الإِمَامْ (الدارمي) في (السنن) برقم (3242)، و (سعيد) (340).
(4) أخرجه الإمام (الطيالسي) في (المسند) برقم (3245).
(5) أخرجه الإمام (الطيالسي) في (المسند) برقم (3264).
(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،
(7) انظر: (التفسير الميسر) برقم (79/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

* * *

يَعْنِـي:- تلـك الأحكـام المـذكورة فـى بيـان المواريث وما سبقها، شرائع الله التى حددها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها، ومن يطع الله ورسوله فيما حكم به كان جزاؤه الجنة التى تجرى فيها الأنهار خالداً فيها وذلك الفوز العظيم. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{تِلْكَ} ... إشارة الى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث، وسماها حدودا لأن الشرائع كالحدود المضروبة المؤقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق.

{تِلْكَ} ... الْأَحْكَام الْمَذْكُورَة مِنْ أَمْر الْيَتَامَى وَمَا بَعْده .

{تِلْكَ حُدُود الله} ... أي: سنته وأمره في قِسْمَة الْمَوَارِيث.

{حُدُود اللَّه} ... شَرَائِعه الَّتِي حَدهَا لِعِبَادِهِ لِيَعْمَلُوا بِهَا وَلَا يَتَعَدَّوْهَا.

{وَمَنْ يُطِعْ اللَّه وَرَسُوله} ... فِيمَا حَكَمَ بِهِ.

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ... فِي قِسْمَة الْمَوَارِيث" كَمَا أمره الله. {ندخله جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار} .

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى : (تلك حدود الله)

قال: الإِمَامُ (الطبري) – و الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: يعني طاعة الله، يعني المواريث التي سمى الله. (2)(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {13}، {تِلْكَ حُدُودُ الله} هَذِه أَحْكَام الله وفرائضه {وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ} فِي قسْمَة الْمَوَارِيث {يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ} بساتين {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا} من تَحت شَجَرهَا ومساكنها {الْأَنْهَار} أنهار الْخمر وَالْمَاء وَالْعَسَل وَاللَّبن {خَالِدِينَ فِيهَا} يَقُول خَالِدا فِي الْجنَّة لَا يَمُوت وَلَا يخرج مِنْهَا {وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم} النجَاة الوافرة بِالْجنَّة. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {13}، {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} يعني: مَا ذكر من الفرائض الْمَحْدُودَة، {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} {النساء: 13}. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {13} {تِلْكَ حُدُودُ

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (109/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (13).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (13).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (13). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (13).

اللَّـهِ وَمَـنْ يُطِـعِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ يُدْخِلْـهُ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا وَذَلِـكَ الْفَـوْزُ الْعَظِـيمُ} .أي: تلـك التفاصـيل الـتي ذكرهـا في المواريـث حـدود الله الـتي يجـب الوقـوف معهـا وعـدم مجاوزتهـا، ولا القصـور عنهـا، وفي ذلـك دليـل علـى أن الوصـية للـوارث منسوخة بتقديره تعالى أنصباء الوارثين.

ثـم قولـه تعـالى: {تِلْـكَ حُـدُودُ اللَّـهِ} فالوصـية للـوارث بزيـادة علـى حقه يـدخل في هـذا التعـدي، مـع قولـه - صـلى الله عليـه وسـلم:-"لا وصـية لـوارث" ثـم ذكـر طاعـة الله ورسـوله ومعصـيتهما عمومـا ليـدخل في العمـوم لـزوم حـدوده في الفـرائض أو تـرك ذلـك فقـال: {وَمَـنْ يُطِـعِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ} بامتثـال أمرهمـا الـذي أعظمـه طاعتهمـا في التوحيـد، ثـم الأوامـر علـى اخـتلاف درجاتهـا واجتنـاب نهيهمـا الـذي أعظمُـه الشـرك بـالله، ثـم المعاصـي علـى اختلاف طبقاتها .

{يُدْخِلْـهُ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا} فمـن أدى الأوامـر واجتنـب النـواهي فـلا بـد لـه مـن دخـول الجنـة والنجـاة من النار.

{وَذَلِـكَ الْفَـوْزُ الْعَظِـيمُ} الـذي حصـل بـه النجـاة مـن سـخطه وعذابـه، والفـوز بثوابـه ورضـوانه بالنعيم المقيم الذي لا يصفه الواصفون. (1)

* * *

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (النسـاء) الآية (13)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

[١٤] ﴿ وَمَـنْ يَعْـصِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ وَيَتَعَـدَّ حُـدُودَهُ يُدْخِلْـهُ نَـارًا خَالِـدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومـن يعـص الله ورسـوله بتعطيـل أحكامـه وتـرك العمـل بهـا، أو الشـك فيهـا، ويتجـاوز حـدود مـا شـرعه" يدخلـه نـارًا ماكثًـا فيهـا، ولـه فيها عذاب مُذِل. (2)

* * *

يَعْنِـي:- ومَـن يَعْـصِ الله ورسـوله، بإنكـاره لأحكـام الله، وتجـاوزه مـا شـرعه الله لعبـاده بتغييرهـا، أو تعطيـل العمـل بهـا، يدخلـه نـارًا ماكثًا فيها، وله عذاب يخزيه ويهينه. (3)

* * *

يَعْنِـي:- ومـن يعـص الله ورسـوله ويتعـد حـدود مـا شـرعه مسـتبيحاً ذلـك التعـدى، يجـزه نـاراً مخلـداً فيهـا، يعـذب بهـا بدنـه، إلى جانـب عذاب مهين تتألم به روحه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَمَـنْ يَعْـصِ اللَّـهَ وَرَسُـولَه وَيَتَعَـدَّ حُـدُودَه يُدْخِلْه} ... بِالْوَجْهَيْن.

{وَمَـنْ يَعْـصِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ} ... أي: فـي قسـمة المواريث فلم يقسمها ولم يعمل بها.

{وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ} ... أي: يخالف أمره.

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (79/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (79/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (109/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ} ... فِيهَا .

{عَذَابٌ مُهِينٌ} ... ذُو إِهَانَةٍ رُوعِيَ فِي الضَّمَائِرِ فِي الْآيَتَيْنِ لَفْظُ مَنْ وَفِي خَالِدِينَ مَعْنَاهَا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمامْ (الطبري) – والإمامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ) في شأن المواريث التي ذكر من قبل. (1)(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} فِي قسْمَة الْمَوَارِيث {وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ} يتَجَاوَزْ أَحْكَامه وفرائضه بالميل والجور {يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا} دَائِما فِي النَّار إِلَى مَا شَاءَ الله {وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} يهان بِهِ وَيُقَال شَدِيد. (3)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} {النساء: 14} قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَ(ابْنُ عَامِرٍ) (نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ، وَنُدْخِلْهُ نَارًا) ،

وَفِي سُورَةِ (الْفَتْحِ) (نُدْخِلْهُ) و (نُعَذِّبْهُ).

وَفِي سُورَةِ (التَّغَابُنِ) (نُكَفِّرْ) و (نُدْخِلْهُ).

وَفِي سُورَةِ (الطَّلَاقِ) (نُدْخِلْهُ) بِالنُّونِ فِيهِنَّ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تقسيره):- {14} {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} ويدخل في اسم المعصية الكفر فما دونه من المعاصي، فلا يكون فيها شبهة للخوارج القائلين بكفر أهل المعاصي فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على طاعته وطاعة رسوله. ورتب دخول النار على معصيته ومعصية رسوله، فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب.

ومن عصى الله ورسوله معصية تامة يدخل فيها الشرك فما دونه، دخل النار وخلد فيها، ومن اجتمع فيه معصية وطاعة، كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية. وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحدين الذين معهم طاعة التوحيد، غير مخلدين في النار، فما معهم من التوحيد مانع لهم من الخلود فيها. (5)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (14).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (14).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (14). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (14).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (14)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

- لا تقسم الأموال بين الورثة حتى يُقضى ما على الميت من دين، ويخرج منها وصيته التي لا يجوز أن تتجاوز ثلث ماله.
- التحذير من التهاون في قسمة المواريث" لأنها عهدُ الله ووصيته لعباده المؤمنين" فلا يجوز تركها أو التهاون فيها.

من علامات الإيمان امتثال أوامر الله، وتعظيم نواهيه، والوقوف عند حدوده.

- من عدل الله تعالى وحكمته أن من أطاعه وعده بأعظم الثواب، ومن عصاه وتعدَّى حدوده توعده بأعظم العقاب. (1)

* * *

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (16) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا(19)

[١٥] ﴿ وَاللاَتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واللاتي يرتكبن فاحشة الزنى من نسائكم محصنات وغير محصنات فاستشهدوا عليهن أربعة رجال مسلمين عدول، فإن شهدوا عليهن بارتكابها فاحبسوهن في البيوت عقوبة لهن، حتى تنقضي حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهن طريقًا غير طريق الحبس. ثم بَيّن الله السبيل لهم بعد ذلك، فشرع جلد البكر الزانية مئة جلدة وتغريب عام، ورجم المُحصَنة. (2)

* * *

يَعْني:- واللاتي يزنين من نسائكم، فاستشهدوا أيها الولاة والقضاة- عليهن أربعة رجال عدول من المسلمين، فإن شهدوا عليهن بذلك فاحبسوهن في البيوت حتى تنتهي حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهن طريقًا للخلاص من ذلك. (3)

* * *

يَعْني:- واللاتى يأتين الزنا من النساء إن شهد عليهن أربعة من الرجال العادلين يمسكن فى البيوت محافظة عليهم ودفعاً للفساد والشر حتى يأتيهن الموت أو يفتح الله

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (79/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (80/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

لهن طريقاً للحياة المستقيمة بالزواج والتوبة.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{واللاتي يأتين الفاحشة} ... الزنى.

{الْفَاحِشَةَ} ... الفعْلَة القبيحة، وهي الزِّنا.

{مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ} ... أَيْ: مِنْ رِجَالِكُمْ الْمُسْلِمِينَ.

{أَرْبَعَةً مِنْكُم} ... أي: من المسلمين.

{فَإِنْ شَهِدُوا} ... عَلَيْهِنَّ بِهَا.

{فَأَمْسِكُوهُنَّ} ... فَاحْبِسُوهُنَّ.

{فِي الْبُيُوتِ} ... وَامْنَعُوهُنَّ مِنْ مُخَالَطَة النَّاس.

{فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ} ... هذه أول عقوبات الزناة، وكان هذا في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بآية النور بقوله تعالى الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي.

ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال.

{حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ} ... أَيْ: مَلَائِكَته.

{أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} ... هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح. يَعْنِي:- السبيل هو الحد.

{أَوْ} ... إِلَى أَنْ. {يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} ... طَرِيقًا إِلَى الْخُرُوج مِنْهَا أُمِرُوا بِذَلِكَ أَوَّل الْإِسْلَام ثُمَّ جَعَلَ لَهُنَّ سَبِيلًا بِجَلْدِ الْبِكْر مِائَة وَتَغْرِيبهَا عَامًا وَرَجْم الْمُحْصَنَة وَفِي الْحَدِيث لَمَّا بَيَّنَ الْحَدّ قَالَ خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّه لَهُنَّ سَبِيلًا رَوَاهُ مُسْلِم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {واللاتي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ} يَعْنِي الزِّنَا {مِن نِّسَآئِكُمْ} من حرائركم الْمُحْصنَات.

{فاستشهدوا عَلَيْهِنَّ} على العورتين.

{أَرْبَعَةً مِّنْكُم} من أحراركم.

{فَإِن شَهِدُوا} كماينبغي.

{فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوت} فاحبسوهن في السجْن.

{حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ} يمتن في السجْن.

{أَوْ يَجْعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلاً} مخرجا بِالرَّجم فنسخ حبس المحصنة بِالرَّجم.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {15}، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ} يَعْنِي: الزِّنَا،

{مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ} يَعْنِي: مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا خِطَابٌ لِلْحُكَّامِ، أَيْ: فَاطْلُبُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنَ الشُّهود، فِيهِ بَيَانُ أَنَّ الزِّنَا لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِأَرْبَعَة مِنَ الشُّهُود.

{فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ} فَاحْبِسُوهُنَّ،

{فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} . وَهَذَا كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (109/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (15). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قَبْلَ نُزُولِ الْحُدُودِ، كَانَتْ الْمَرْأَةُ إذا زَنَتْ حُبِسَتْ فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَمُوتَ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ فِي حَقِّ الْبِكْرِ بِالْجَلْدِ وَالتَّغْرِيبِ، وفي حق الثيب بالرجم.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {15} {وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلا} . أي: النساء.

{اللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ} أي: الزنا، ووصفها بالفاحشة لشناعتها وقبحها.

{فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ} أي: من رجالكم المؤمنين العدول.

{فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ} أي: احبسوهن عن الخروج الموجب للريبة. وأيضا فإن الحبس من جملة العقوبات.

{حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ} أي: هذا منتهى الحبس.

{أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلا} أي: طريقا غير الحبس في البيوت، وهذه الآية ليست منسوخة، وإنما هي مغياة إلى ذلك الوقت، فكان الأمر في أول الإسلام كذلك حتى جعل الله لهن سبيلا وهو رجم المحصن وجلد غير المحصن.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا يحيى بن يحيى التميمي. أخبرنا هُشيم عن منصور، عن الحسن، عن حطان بن عبد الله الرّقاشي، عن (عُبادة بن الصامت). قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((خذوا عني. خذوا عني. قد جعل الله لهن سبيلاً. البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب، جلد مائة والرجم)).(3)

* * *

قال: الإمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: (فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) لم يبين هنا هل جعل لهن سبيلا أولا؟ ولكنه بين في مواضع أنه جعل لهن السبيل بالحد كقوله في البكر (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما) الآية. وقوله في الثيب الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم. لأن هذه الآية باقية الحكم كما صح عن أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) – رضي الله عنه – وأرضاه– وإن كانت منسوخة التلاوة.(4)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: كانت المرأة إذا زنت

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (النساء) الآية (15).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (15)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) (صحيح) : أخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (3/1316)، (ح 1690) – (كتاب : الحدود) – / باب: (حد الزنى).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (15).

جلست في البيت حتى تموت، وفي قوله: (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) قال: كان الرجل إذا زنى أوذي بالتعزير، وضرب بالنعال فأنزل الله عز وجل بعد هذا {الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة} {النور: 2}. فإن كانا محصنين رجما في سنة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهذا وهذا سبيلهما الذي جعل الله لهما.(1)(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قوله: (واللذان يأتيانها منكم) الزانيان.(3)

* * *

وقال: الإمَامُ (أبو داود) – (رحمه الله) - في (شُعب الإيمان) - (بسنده):- , عَنْ (ابْنِ عَبَّاس) – رضي الله عنهما – أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ , فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلً}(4) (5) وذَكَرَ الرَّجُلَ بَعْدَ الْمَرْأَةِ , ثُمَّ جَمَعَهُمَا فَقَالَ: {وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا , فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا , إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا}(6) فَنَسَخَ ذَلِكَ بِآيَةِ الْجَلْدِ فَقَالَ: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ}.(7)(8)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): {لَهُنَّ سَبِيلًا} يَعْنِي: الرَّجْمَ لِلثَّيِّبِ، وَالجَلْدَ لِلْبِكْرِ.(9)

* * *

وقال: الإمَامُ (أبو داود) – (رحمه الله) - في (شُعب الإيمان) - (بسنده):- , وَعَنْ (مُجَاهِدٍ) قَالَ: {السَّبِيل} : الْحَدُّ.

قَالَ: (سُفْيَانُ): {فَآذُوهُمَا} : الْبِكْرَان.

{فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ} : الثَّيِّبَاتُ.(10)

* * *

وقال: الإمَامُ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) - (بسنده):- , وَعَنْ (عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ) – رضي الله عنه – قَالَ: (" كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ نَكَسَ رَأسَهُ)(11) (وكُرِبَ لِذَلِكَ , وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ(12) ") (1) (وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (15).

(2) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (15).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (15).

(4) {النساء : 15}.

(5) وَعَنْ (مُجَاهِدٍ) قَالَ: السَّبِيلُ: الْحَدُّ.

(6) {النساء :16}.

(7) {النور :2}.

(8) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4413).
وقال: الإمام (الألباني): (حسن الإسناد).

(9) انظر:صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (15).
برقم (ج 6/ ص 24).

(10) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4414).

(11) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (89) - (2335)

(12) الرَّبْد: تَغَيُّر الْبَيَاض إِلَى السَّوَاد، وَإِنَّمَا حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ لِعِظَمِ مَوْقِع الْوَحْي، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْك قَوْلًا ثَقِيلًا} شرح النووي (ج6/ ص110).

رُءُوسَهُمْ) (2) (قَالَ: " فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَلَقِيَ كَذَلِكَ , فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ) (3) (رَفَعَ رَأسَهُ) (4) (فَقَالَ: خُذُوا عَنِّي , خُذُوا عَنِّي , قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (5) : الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ: جَلْدُ مِائَةٍ , وَنَفْيُ سَنَةٍ , وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ: جَلْدُ مِائَةٍ) (6) (ثُمَّ رَجْمٌ بِالْحِجَارَةِ (7) ") (8)

* * *

[١٦] ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

واللذان يرتكبان فاحشة الزنى من الرجال - مُحْصَنيْن أو غير محصَنيْن - فعاقبوهما باللسان واليد بما يحقق الإهانة والزجر، فإن أقلعا عمَّا كانا عليه، وصلحت أعمالهما" فأعرضوا عن أذاهما" لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، إن الله كان توابًا على من تاب من عباده رحيمًا بهم.

والاكتفاء بهذا النوع من العقاب كان في أول الأمر، ثم نُسِخ بعد ذلك بجلد البكْر وتغريبه، وبرجم المُحصَن. (9)

* * *

يَعْنِي:- واللذان يقعان في فاحشة الزنى، فآذوهما بالضرب والهجر والتوبيخ، فإن تابا عمَّا وقع منهما وأصلحا بما يقدِّمان من الأعمال الصالحة فاصفحوا عن أذاهما. ويستفاد من هذه الآية والتي قبلها أن الرجال إذا فعلوا الفاحشة يُؤْذَوْن، والنساء يُحْبَسْنَ ويُؤذَيْنَ، فالحبس غايته الموت، والأذية نهايتها إلى التوبة والصلاح. وكان هذا في صدر الإسلام، ثم نُسخ بما شرع الله ورسوله، وهو الرجم للمحصن والمحصنة.

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (88) - (2334).

(2) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (89) - (2335)

(3) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (13) - (1690).

(4) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (89) - (2335).

(5) قَوْلُه - صلى الله عليه وسلم -: (قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) أَشَارَ إِلَى قَوْله تَعَالَى: {فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوت حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْت أَوْ يَجْعَل الله لَهُنَّ سَبِيلًا} فَبَيَّنَ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّ هَذَا هُوَ ذَلِكَ السَّبِيل. شرح النووي على مسلم (ج6 /ص109).

(6) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (12) - (1690).

(7) اخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي هَذِهِ الْآيَة , فَقِيلَ: هِيَ مُحْكَمَة، وَهَذَا الْحَدِيث مُفَسِّر لَهَا، وَقِيلَ: مَنْسُوخَة بِالْآيَةِ الَّتِي فِي أَوَّل سُورَة النُّور.

وَقِيلَ: إِنَّ آيَة النُّور فِي الْبِكْرَيْنِ، وَهَذِهِ الْآيَة فِي الثَّيِّبَيْنِ.

وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى وُجُوب جَلْد الزَّانِي الْبِكْر مِائَة، وَرَجْم الْمُحْصَن , وَهُوَ الثَّيِّب وَلَمْ يُخَالِف فِي هَذَا أَحَد مِنْ أَهْل الْقِبْلَة، إِلَّا مَا حَكَى الْقَاضِي عِيَاض وَغَيْره عَنْ الْخَوَارِج , وَبَعْض الْمُعْتَزِلَة، كَالنَّظَّامِ وَأَصْحَابه، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا بِالرَّجْمِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي جَلْد الثَّيِّب مَعَ الرَّجْم، فَقَالَتْ طَائِفَة: يَجِب الْجَمْع بَيْنهمَا، فَيُجْلَد ثُمَّ يُرْجَم، وَبِهِ قَالَ: (عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب) - رضي الله عنه – وَ(الْحَسَن الْبَصْرِيّ) , وَ(إِسْحَاق بْن رَاهَوَيْهِ) , وَ(دَاوُد) , وَأَهْل الظَّاهِر , وَبَعْض أَصْحَاب الشَّافِعِيّ.

وَقَالَ: جَمَاهِير الْعُلَمَاء: الْوَاجِب الرَّجْم وَحْده.

وَحَكَى الْقَاضِي عَنْ طَائِفَة مِنْ أَهْل الْحَدِيث أَنَّهُ يَجِب الْجَمْع بَيْنهمَا إِذَا كَانَ الزَّانِي شَيْخًا ثَيِّبًا، فَإِنْ كَانَ شَابًّا ثَيِّبًا , اُقْتُصِرَ عَلَى الرَّجْم، وَهَذَا مَذْهَب بَاطِل لَا أَصْل لَهُ وَحُجَّة الْجُمْهُور أَنَّ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - اِقْتَصَرَ عَلَى رَجْم الثَّيِّب فِي أَحَادِيث كَثِيرَة , مِنْهَا قِصَّة (مَاعِز) , وَقِصَّة (الْمَرْأَة الْغَامِدِيَّة) وَفِي قَوْله - صلى الله عليه وسلم -: " وَاغْدُ يَا أُنَيْس عَلَى اِمْرَأَة هَذَا , فَإِنْ اِعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا " , قَالُوا: وَحَدِيث الْجَمْع بَيْن الْجَلْد وَالرَّجْم مَنْسُوخ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي أَوَّل الْأَمْر.

شرح النووي على مسلم (ج6 /ص109).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (15)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(8) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (13) - (1690).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1434).

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4415).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2550).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22718).

وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (15)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(9) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وهما الحران البالغان العاقلان، اللذان جامعا في نكاح صحيح، والجلدُ مائة جلدة، وتغريب عام لغيرهما. إن الله كان توابا على عباده التائبين، رحيمًا بهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- والرجل والمرأة اللذان يزنيان وهما غير متزوجين فلهما عقوبة محدودة - إذا ثبت الزنا بشهادة شهود أربعة عدول - فإن تابا بعد العقوبة فلا تذكّروهما بما ارتكبا ولا تعيّروهما به، إن الله يقبل برحمته توبة التائبين.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَالَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ} ... يريد الزاني والزانية.

{والذان} ... بتخفيف النون وتشديدها.

{يأتيانها} ... أي: الفاحشة الزنى أَوْ اللّواط. {مِنكُم} ... أَيْ: الرِّجَال.

{فَآذُوهُمَا} ... بِالسَّبِّ وَالضَّرْب بِالنِّعَال.

{فَآذُوهُما} ... أي: وبخوهما وذموهما.

{فَأَعْرِضُوا عَنْهُما} ... فاقطعوا التوبيخ والمذمة، فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب.

{فَإِنْ تابا وَأَصْلَحا} ... وغيرا الحال.

{فَإِنْ تابا} ... مِنْهَا.

{وَأَصْلَحا} ... الْعَمَل.

{فأ عرضوا عَنْهُمَا} ... وَلَا تُؤْذُوهُمَا.

{إِنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّابًا} ... عَلَى مَنْ تَاب.

{رَحِيمًا} ... بِهِ وَهَذَا مَنْسُوخ بِالحد إن أريد بِهَا الزنى وَكَذَا إِنْ أُرِيدَ بِهَا اللِّوَاط عِنْد الشَّافِعِيّ لَكِنَّ الْمَفْعُول بِهِ لَا يُرْجَم عِنْده وَإِنْ كَانَ مُحْصَنًا بَلْ يُجْلَد وَيُغَرَّب وَإِرَادَة اللِّوَاط أَظْهَر بِدَلِيلِ تَثْنِيَة الضَّمِير وَالْأَوَّل قَالَ أَرَادَ الزَّانِي وَالزَّانِيَة وَيَرُدّهُ تَبْيِينهمَا بِمَن الْمُتَّصِلَة بِضَمِيرِ الرِّجَال وَاشْتِرَاكهمَا فِي الْأَذَى وَالتَّوْبَة وَالْإِعْرَاض وَهُوَ مخصوص بالرجال لما تقدم في النساء من الحبس.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {16}، قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَاللَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ} يَعْنِي الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، وَالْهَاءُ رَاجِعَةٌ إلى الفاحشة.

{فَآذُوهُما} قَالَ: (عطاء)، و(قتادة): يعني فَعَيِّرُوهُمَا بِاللِّسَانِ: أَمَا خِفْتَ اللَّهَ؟ أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنَ اللَّهِ حَيْثُ زَنَيْتَ؟ قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) –(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): سُبُّوهُمَا وَاشْتُمُوهُمَا،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): هُوَ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ يُؤْذَى بِالتَّعْيِيرِ وَضَرْبِ النِّعَالِ،

فَإِنْ قِيلَ: ذَكَرَ الْحَبْسُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْإِيذَاءُ، فَكَيْفَ وَجْهُ الْجَمْعِ؟،

قِيلَ: الْآيَةُ الْأُولَى فِي النِّسَاءِ وَهَذِهِ فِي الرِّجَالِ، وَهُوَ قَوْلُ: (مُجَاهد)،

يَعْنِي:- الْآيَةُ الْأُولَى فِي الثَّيِّبِ وَهَذِهِ فِي الْبِكْرِ،

{فَإِنْ تَابَا} من الفاحشة.

{وَأَصْلَحَا} الْعَمَلَ فِيمَا بَعْدُ،

{فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا} فَلَا تُؤْذُوهُمَا،

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (80/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (110/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِنَّ اللَّـهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا} وهذا كُلُّهُ كَانَ قَبْلَ نُزُولِ الحدود، فنسخت بالجلد والرجم، الجلد في الْقُرْآنِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} {النُّور: 2} وَالرَّجْمُ في السنة في < الرجلين اللذين اخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ أَحَدُهُمَا : اقْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ،

وَقَالَ: الْآخَرُ وَكَانَ أَفْقَهَهُمَا : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَائْذَنْ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ: تَكَلَّمْ، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا، أي: أجيرا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَبِجَارِيَةٍ لِي، ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فأخبروني أن عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عام، وَإِنَّمَا الرَّجْمُ عَلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، أمّا غنمك وجاريتك فرد عليك،

وأما ابنك فَعَلَيْهِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها، فغدا عليها فاعترفت، فرجمها > . (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {واللذان يأتيانها} يَعْنِي الْفَاحِشَة {مِنكُمْ} من أحراركم وَهُوَ الْفَتى والفتاة زَنَيَا

{فَآذُوهُمَا} بالسب والتعيير {فَإِن تَابَا} من بعد ذلك {وَأَصْلَحَا} فيمَا بَينهمَا وَبَين الله {فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ} عَن السب والتعيير {إِنَّ الله كَانَ تَوَّاباً} متجاوزاً {رَّحِيماً} وَقد نسخ السب والتعيير للفتى والفتاة بجلد مائة. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {16} {وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا} {و} كذلك {اللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا} أي: الفاحشة {مِنْكُمْ} من الرجال والنساء {فَآذُوهُمَا} بالقول والتوبيخ والتعيير والضرب الرادع عن هذه الفاحشة، فعلى هذا يكون الرجال إذا فعلوا الفاحشة يؤذون، والنساء يحبسن ويؤذين.

فالحبس غايته إلى الموت، والأذية نهايتها إلى التوبة والإصلاح،

ولهذا قال: {فَإِنْ تَابَا} أي: رجعا عن الذنب الذي فعلاه وندما عليه، وعزما على أن لا يعودا.

{وَأَصْلَحَا} العمل الدال على صدق التوبة {فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا} أي: عن أذاهما.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا} أي: كثير التوبة على المذنبين الخطائين، عظيم الرحمة والإحسان، الذي -من إحسانه- وفقهم للتوبة وقبلها منهم، وسامحهم عن ما صدر منهم.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (16).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (16). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

ويؤخذ من هاتين الآيتين أن بينة الزنا، لا بد أن تكون أربعة رجال مؤمنين، ومن باب أولى وأحرى اشتراط عدالتهم" لأن الله تعالى شدد في أمر هذه الفاحشة، سترًا لعباده، حتى إنه لا يقبل فيها النساء منفردات، ولا مع الرجال، ولا ما دون أربعة.

ولا بد من التصريح بالشهادة، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، وتومئ إليه هذه الآية لما قال: {فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ} لم يكتف بذلك حتى قال: {فَإِنْ شَهِدُوا} أي: لا بد من شهادة صريحة عن أمر يشاهد عيانًا، من غير تعريض ولا كناية.

ويؤخذ منهما أن الأذية بالقول والفعل والحبس، قد شرعه الله تعزيرا لجنس المعصية الذي يحصل به الزجر. (1)

* * *

[١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إنما يقبل الله توبة الذين أقدموا على ارتكاب الذنوب والمعاصي بجهل منهم لعاقبتها وشؤمها -وهذا شأن كل مرتكب ذنب متعمدًا كان أو غير متعمد- ثم يرجعون منيبين إلى ربهم قبل معاينة الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، وكان الله عليمًا بأحوال خلقه، حكيمًا في تقديره وتشريعه. (2)

* * *

يَعْنِي:- إنَّما يقبل الله التوبة من الذين يرتكبون المعاصي والذنوب بجهل منهم لعاقبتها، وإيجابها لسخط الله -فكل عاص لله مخطئًا أو متعمِّدًا فهو جاهل بهذا الاعتبار، وإن كان عالمًا بالتحريم- ثم يرجعون إلى ربهم بالإنابة والطاعة قبل معاينة الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم. وكان الله عليمًا بخلقه، حكيمًا في تدبيره وتقديره. (3)

* * *

يَعْنِي:- إنما يقبل الله التوبة من الذين يرتكبون المعاصي والذنوب بجهل منهم لعاقبتها، ثم يبادرون بالتوبة قبل حضور الموت، فهؤلاء يقبل الله توبتهم وهو عليم لا يخفى عليه صدق التوبة، حكيم لا يخطئ فى تقدير الأحكام والأمور. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّمَا التَّوْبَةُ} ... يعني: إنما القبول والغفران أمرهما الى الله تعالى.

{بِجَهَالَةٍ} ... في موضع الحال، أي: يعملون السوء جاهلين سفهاء، لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء الآية (16)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (80/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (110/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{بِجَهَالَةٍ} ... بِسَفَهٍ، وَكُلُّ مَنْ عَصَى اللهَ فَهُوَ جَاهِلٌ.

{مِن قَرِيبٍ} ... قَبْلَ مُعَايَنَةِ الْمَوْتِ.

{مِنْ قَرِيبٍ} ... مِن زمان قريب. والزمان القريب: ما قبل حضرة الموت.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية:

قَالَ: الْإِمَامُ (الْبَغَوِي) – (مُحيِي السُّنَّةِ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {17}، قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ} قَالَ: (الْحَسَنُ): يَعْنِي التَّوْبَةَ الَّتِي يَقْبَلُهَا، فَيَكُونُ عَلَى بِمَعْنَى عِنْدَ،

يَعْنِي:- مِنَ اللَّهِ، {لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ} قَالَ: (قَتَادَةُ): أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله جميعهم عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا عُصِيَ بِهِ اللَّهُ فَهُوَ جَهَالَةٌ عَمْدًا كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَكُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ: الْعَمْدُ،

يَعْنِي:- مَعْنَى الْجَهَالَةِ: اخْتِيَارُهُمُ اللَّذَّةَ الْفَانِيَةَ عَلَى اللَّذَّةِ الْبَاقِيَةِ. {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} قِيلَ: مَعْنَاهُ قَبْلَ أَنْ يُحِيطَ السُّوءُ بِحَسَنَاتِه فَيُحْبِطُهَا،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): الْقَرِيبُ أَنْ يَتُوبَ فِي صِحَّتِه قَبْلَ مَرَضِ مَوْتِه،

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): قَبْلَ الْمَوْتِ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): قبل معاينة ملك الموت،

قَوْلُهُ تَعَالَى {فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} {النساء: 17}. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {إِنَّمَا التَّوْبَةُ} التجاوز {عَلَى الله} من الله {لِلَّذِين يعْملُونَ السوء بِجَهَالَة} بتعمد وَإِن كَانَ جَاهِلا لعقوبته {ثمَّ يتوبُونَ من قريب} من قبل السُّوق والنزع {فَأُولَئِك يَتُوبُ الله عَلَيْهِم} يتجاوز الله عَنْهُم {وَكَانَ الله عليماً} بتوبتكم {حكيماً} بِقبُول التَّوْبَة قبل المعاينة وَلَا يقبل عِنْد المعاينة وَبعدهَا. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {17} {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}. توبة الله على عباده نوعان: توفيق منه للتوبة، وقبول لها بعد وجودها من العبد، فأخبر هنا -أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه، كرما منه وجودا، لمن عمل السوء أي: المعاصي {بِجَهَالَةٍ} أي: جهالة منه بعاقبتها وإيجابها لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تئول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص لله، فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالما بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقبا عليها {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} يحتمل أن يكون المعنى: ثم يتوبون قبل معاينة الموت، فإن الله يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاينة الموت والعذاب قطعا.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (17).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (17). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

وأما بعد حضور الموت فلا يُقبل من العاصين توبة ولا من الكفار رجوع، كما قال تعالى عن فرعون: {حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ} الآية. وقال تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ}. (1)

* * *

قوله تعالى: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)

قال: الإِمَامْ (ابن ماجه) – (رحمه الله) - في (سننه):

حدثنا راشد بن سعيد الرملي. أنبأنا الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن جُبير بن نفير، عن (عبد الله بن عمرو)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((إن الله عز وجل ليقبل توبة العبد ما لم يُغرغِر)). (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قوله: (للذين يعملون السوء بجهالة) قال: كل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (ثم يتوبون من قريب) والقريب فيما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت. (4)(5)

* * *

وانظر: سورة - (الأنعام) - آية (54) وتفسيرها. - كما قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (54)}.

* * *

قوله تعالى: (سوءاً بجهالة)

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِم) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (مجاهد)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (17)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 4253) – (كتاب: الزهد)، / باب: (ذكر التوبة).

قال: الإِمَامْ (المزي): عند (ابن ماجة عبد الله بن عمرو)، وهذا وهم والصواب (ابن عمر) انظر: (تحفة الأشراف) برقم (328/5).

قال: الإِمَامْ (البوصيري): هذا (إسناد ضعيف لتدليس) (الوليد ومكحول الدمشقي) في (مصباح الزجاجة) برقم (309/3).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم- من طريق – (محمد بن بشار وأبي ثابت العقدي عن ابن ثوبان) عنه به (السنن- الدعوات، باب إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر). وقال: (حسن غريب.)

ورواه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) - من طريق - (ابن ثوبان) به (مصباح الزجاجة) برقم (3/ 09).

ذكره الإمام (ابن كثير). وقال: ووقع في سنن الإمام (ابن ماجة) - عن (عبد الله بن عمرو وهو وهم إنما هو عبد الله بن عمر بن الخطاب). ثم ذكر له شواهد موصولة ومرسلة،

انظر: (التفسير) برقم (206/2، 207).

و(حسنه) الإمام (السيوطي) في (الجامع الصغير) برقم (306/2)،

و(صححه) الإمام (أحمد شاكر) في (المسند) برقم (ح 6160).

وقال: الإمام (الألباني): (حسن) برقم (صحيح ابن ماجة) برقم (418/2).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة: الأولى)، برقم (18/2)،

(3) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (19/2)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (17).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (17).

قولـه: (سـواءً بجهالـة) مـن عصـى ربـه فهـو جاهل حتى ينزع عن معصيته. (1)

* * *

[١٨] ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا يقبل الله توبة الذين يُصرُّون على المعاصي، ولا يتوبون منها إلى أن يعاينوا سكرات الموت، فعندئذ يقول الواحد منهم: إني تبت الآن مما ارتكبته من المعاصي. ولا يقبل الله - كذلك - توبة الذين يموتون وهم مُصرُّون على الكفر، أولئك العصاة المُصرُّون على المعاصي، والذين يموتون وهم على كفرهم" أعددنا لهم عذابًا أليمًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- وليس قَبول التوبة للذين يُصرُّون على ارتكاب المعاصي، ولا يرجعون إلى ربهم إلى أن تأتيهم سكرات الموت، فيقول أحدهم: إني تبت الآن، كما لا تقبل توبة الذين يموتون وهم جاحدون، منكرون لوحدانية الله ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. أولئك المصرُّون على المعاصي إلى أن ماتوا، والجاحدون الذين يموتون وهم كفار، أعتدنا لهم عذابًا موجعًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- وليس قبول التوبة للذين يرتكبون الذنوب ويستمرون في ممارستها ولا يبادرون بالأقلاع عنها والندم عليها، إلى أن يحضر أحدهم الموت فيقول: إني أعلن الندم والتوبة الآن، كما لا تقبل التوبة من الذين يموتون على الكفر، وقد أعد الله للفريقين عذاباً أليماً في دار الجزاء. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ}... يعني قبول التوبة للذين أصروا على فعلهم.

{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ}... الذُّنُوب.

{حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ}... وَأَخَذَ فِي النَّزْع .(يعني: الشرق والفزع).

{قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ}... فليس لهذا توبة.

{قَالَ}... عِنْد مُشَاهَدَة مَا هُوَ فِيه.

{إِنِّي تُبْتُ الْآنَ}... فَلَا يَنْفَعهُ ذَلِكَ وَلَا يُقْبَل مِنْهُ {وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ}... إِذَا تَابُوا فِي الْآخِرَة عِنْد مُعَايَنَة الْعَذَاب لَا تُقْبَل مِنْهُم.

{أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا}... أَعْدَدْنَا.

{لَهُمْ عَذَابًا أليما}... مؤلم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (الأنعام) الآية (54).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (80/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (110/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قال: الإمامُ (الطبري) – والإمامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء} {النساء: 48} فحرم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة. (1)(2)

* * *

قال: الإمامُ (ابنُ أبي حَاتمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الجيد) – عن (أبي العالية): في قوله (وليست التوبة للذين يعملون السيئات) قال: هذا في أهل النفاق.

وبه عن (أبي العالية): (أليماً) قال: الأليم الموجع في القرآن كله. (3)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّةِ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {18}، {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} يعني: المعاصي ماله {حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ} ووقع النزاع، {قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ} وهي حالة السوق حتى يساق بروحه، لاَ يُقْبَلُ مِنْ كَافِرٍ إِيمَانٌ وَلاَ مِنْ عَاصٍ تَوْبَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} {غافر: 85} وَلِذَلِكَ لَمْ يَنْفَعْ إِيمَانُ فِرْعَوْنَ حِينَ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ. {وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا} أي: هيأنا وأعتدنا، {لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} {النساء: 18} (4)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ}... التجاوز على الله {لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ} عند النزع {قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} يَقُول وَلَا يقبل تَوْبَة الْكفَّار عِنْد المعاينة {أُولَئِكَ} الْكفَّار {أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} وجيعاً نزلت فِي طعمة وَأَصْحَابه الَّذين ارْتَدُّوا. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وقال هنا: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} أي: المعاصي فيما دون الكفر. {حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} {النساء: 18}. وذلك أن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار. ويحتمل أن يكون معنى قوله: {مِنْ قَرِيبٍ} أي: قريب من فعلهم للذنب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: أن من

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (18).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (18).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (18).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (18).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (18). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب وأناب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنوبه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفات راسخةً فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة. والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السوء على علم تام ويقين وتهاون بنظر الله إليه، فإنه سد على نفسه باب الرحمة.

نعم قد يوفق الله عبده المصر على الذنوب عن عمد ويقين لتوبة تامة التي يمحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جناياته، ولكن الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

فمن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها فيجازي كلا منهما بحسب ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقَه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدمَ توفيقه. والله أعلم. (1)

* * *

[١٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله , لا يجوز لكم أن ترثوا نساء آبائكم كما يُورثُ المال وتتصرفوا فيهن بالزواج بهن، أو تزويجهن ممن تشاؤون، أو منعهن من الزواج. ولا يجوز لكم إمساك أزواجكم اللاتي تكرهونهن للإضرار بهن، حتى يتنازلن لكم عن بعض ما أعطيتموهن من مهر وغيره، إلا أن يرتكبن فاحشة واضحة كالزنى، فإذا فعلن ذلك جاز لكم إمساكهن والتضييق عليهن حتى يفتدين منكم بما أعطيتموهن، وصاحبوا نساءكم صحبة طيبة، بكف الأذى وبذل الإحسان، فإن كرهتموهن لأمر دنيوي فاصبروا عليهن" فلعل الله يجعل فيما تكرهون خيراً كثيراً في الحياة الدنيا والآخرة. (2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا لا يجوز لكم أن تجعلوا نساء آبائكم من جملة تَركِتهم، تتصرفون فيهن بالزواج منهن، أو المنع لهن، أو تزويجهن للآخرين، وهن كارهات لذلك كله، ولا يجوز لكم أن تضارُّوا أزواجكم وأنتم كارهون لهن" ليتنازلن عن بعض ما آتيتموهن من مهر ونحوه، إلا أن يرتكبن أمرا فاحشا كالزنى، فلكم حينئذ إمساكهن حتى تأخذوا ما أعطيتموهن. ولتكن مصاحبتكم لنسائكم مبنية على التكريم والمحبة، وأداء

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (18)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (80/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ما لهن من حقوق. فإن كرهتموهن لسبب من الأسباب الدنيوية فاصبروا" فعسى أن تكرهوا أمرًا من الأمور ويكون فيه خير كثير.(1)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا لا يجوز لكم أن تجعلوا النساء كالمتاع، فترثوهن زوجات لكم من غير صداق، وهن كارهات، ولا تظلموهن بالتضييق عليهن لينزلن عن بعض ما آتيتموهن من مهور، ولا تضيقوا عليهن لتستردوا بعض ما آتيتموهن من مال إلا أن يرتكبن إثماً بيناً بنشوز أو سوء خلق أو فجور، فلكم أن تضيِّقوا عليهن أو تأخذوا بعض ما آتيتموهن عند الفراق، وعليكم - أيها المؤمنون - أن تحسنوا عشرة نسائكم قولاً وعملاً فإن كرهتموهن لعيب فى الخَلْق أو الخُلُق أو غيرهما فاصبروا ولا تتعجلوا فراقهن فعسى أن يجعل الله فى المكروه لكم خيراً كثيراً، وعلم الأمور كلها عند الله.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً} ... أي: أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات.

يَعْنِي:- كان يمسكها حتى تموت، فقيل: لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بإمساككم.

{وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ} ... لاَ تُمْسِكُوهُنَّ مُضَارِّينَ لَهُنَّ.

{وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ} ... العضل: الحبس والتضييق.

{لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ} ... كان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدى منه بمالها وتختلع، فقيل: ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن.

{إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} ... وهى النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاءة والسلاطة.

{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} ... وهو النصفة فى البيت والنفقة والإجمال فى القول.

{فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ} ... فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها، فربما كرهت النفس ما هو أصلح فى الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو ضد ذلك.(3)

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {19} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا} قَالَ: (الْفَرَّاءُ): الْكَرْهُ بِالْفَتْحِ مَا أُكْرِهَ عَلَيْهِ، وَبِالضَّمِّ مَا كَانَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ مِنَ الْمَشَقَّةِ، {وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ} أَيْ: لاَ تَمْنَعُوهُنَّ مِنَ الْأَزْوَاجِ ليضجرن فيفتدين ببعض مالهن،

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (80/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (110/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (19)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

قِيلَ: هَذَا خِطَابٌ لِأَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ خِطَابٌ لِلْأَزْوَاجِ،

قَالَ: (ابْنِ عَبَّاسٍ) – (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

هَذَا فِي الرَّجُلِ تَكُونُ لَهُ الْمَرْأَةُ وَهُوَ كَارِهٌ لِصُحْبَتِهَا وَلَهَا عَلَيْهِ مَهْرٌ فَيُضَارُّهَا لِتَفْتَدِيَ وَتَرُدَّ إِلَيْهِ مَا سَاقَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَهْرِ، فَنَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ،

ثُمَّ قَالَ: {إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} فَحِينَئِذٍ يَحِلُّ لَكُمْ إِضْرَارُهُنَّ لِيَفْتَدِينَ مِنْكُمْ،

وَاخْتَلَفُوا فِي الْفَاحِشَةِ، قَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ)، وَ(قَتَادَةُ): هِيَ النُّشُوزُ،

وَقَالَ: بَعْضُهُمْ وَهُوَ قَوْلُ (الْحَسَنِ): هِيَ الزِّنَا، يَعْنِي: الْمَرْأَةُ إِذَا نَشَزَتْ، أَوْ زَنَتْ حَلَّ لِلزَّوْجِ أَنْ يَسْأَلَهَا الْخُلْعَ،

وَقَالَ: (عَطَاءٌ): كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَصَابَتِ امْرَأَتُهُ فَاحِشَةً أَخَذَ مِنْهَا مَا سَاقَ إليها وأخرجها، فنسخ ذلك في الحدود،

(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)،

قَالَ: (الحسن): راجع إِلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ، يَعْنِي: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً} {النساء: 4}.

{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} {النساء: 19} وَالْمُعَاشَرَةُ بِالْمَعْرُوفِ: هِيَ الْإِجْمَالُ فِي القول والمبيت والنفقة،

يَعْنِي:- هي أن يصنع لها كما تصنع لَهُ،

{فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} {النساء: 19}

قِيلَ: هُوَ وَلَدٌ صَالِحٌ، أَوْ يعطفه الله عليها. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النسآء} نساء آبائكم {كَرْهاً} جبرا {وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ} لَا تحبسوهن من التَّزْوِيج نزلت هَذِه الْآيَة فِي كَبْشَة بنت معن الْأَنْصَارِيَّة ومحصن بن أبي قيس الْأنْصَارِيّ وَكَانُوا يرثون قبل ذَلِك {لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ آتَيْتُمُوهُنَّ} مِمَّا أعطاهن آباؤكم {إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ} بزنا {مُّبَيِّنَةٍ} بالشهود فاحبسوهن فِي السجْن وَقد نسخ الْحَبْس الْآن بِآيَة الرَّجْم وَقد كَانُوا يَرِثُونَ نسَاء آبَائِهِم كَمَا يَرِثُونَ المَال يَرِثهَا الابْن الْأَكْبَر فَإِن كَانَت امْرَأَة جميلَة غنية دخل بهَا بِلَا مهر وَإِن لم تكن غنية أَو شَابة جميلَة تركهَا وَلم يدْخل بهَا حَتَّى تفدي نَفسهَا بِمَا لَهَا فنهاهم الله عَن ذَلِك ثمَّ بَين الصُّحْبَة مَعَ النِّسَاء فَقَالَ: {وَعَاشِرُوهُنَّ} صاحبوهن {بِالْمَعْرُوفِ} بِالْإِحْسَانِ والجميل {فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ} يَعْنِي كرهتم الصُّحْبَة مَعَهُنَّ {فعسى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً} يَعْنِي الصُّحْبَة مَعَهُنَّ {وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْراً كَثِيراً} يرزقكم الله مِنْهُنَّ ولدا صَالحا. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {19} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (19).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (19). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

آتَيْتُمُوهُنَّ إلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}. كانوا في الجاهلية إذا مات أحدهم عن زوجته، رأى قريبُه كأخيه وابن عمه ونحوهما أنه أحق بزوجته من كل أحد، وحماها عن غيره، أحبت أو كرهت. فإن أحبها تزوجها على صداق يحبه دونها، وإن لم يرضها عضلها فلا يزوجها إلا من يختاره هو، وربما امتنع من تزويجها حتى تبذل له شيئًا من ميراث قريبه أو من صداقها، وكان الرجل أيضا يعضل زوجته التي يكون يكرهها ليذهب ببعض ما آتاها، فنهى الله المؤمنين عن جميع هذه الأحوال إلا حالتين: إذا رضيت واختارت نكاح قريب زوجها الأول، كما هو مفهوم قوله: {كَرْهًا} وإذا أتين بفاحشة مبينة كالزنا والكلام الفاحش وأذيتها لزوجها فإنه في هذه الحال يجوز له أن يعضلها، عقوبة لها على فعلها لتفتدي منه إذا كان عضلا بالعدل.

ثم قال: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال.

{فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} أي: ينبغي لكم أيها الأزواج- أن تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيرًا كثيرًا. من ذلك امتثال أمر الله، وقبولُ وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة.

ومنها أن إجباره نفسَه -مع عدم محبته لها- فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة. وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك. وربما رزق منها ولدا صالحا نفع والديه في الدنيا والآخرة. وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور. فإن كان لا بد من الفراق، وليس للإمساك محل، فليس الإمساك بلازم.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا أسباط بن محمد حدثنا الشيباني عن (عكرمة) عن (ابن عباس) قال: الشيباني وذكره أبو الحسن السوائى ولا أظنه ذكره إلا عن (ابن عباس) - (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كَرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن) قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وان شاءوا لم يُزوجوها وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك.(2)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (19)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (93/8)، (ح 4579) –(كتاب: تفسير القران) - (سورة النساء)، / باب:(الآية).

قال: الإمَامُ (النسائي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- نا علي بن المنذر، عن ابن فضيل، نا يحيى بن سعيد، عن محمد (ابن أبي أمامة)، عن أبيه، قال: لما توفي أبو قيس بن الأسلت، أراد ابنه أن يتزوج امرأته من بعده، فكان ذلك لهم في الجاهلية، فأنزل الله عز وجل: (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً). (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - والإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمة ثوبه فمنعها من الناس فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها. (2)(3)

* * *

قوله تعالى: (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن)

قال: الإمَامُ (الطبري) - والإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: لا تعضلوهن: لا تقهروهن (لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن) يعني: الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر، فيضر بها لتفتدى. (4)(5)

* * *

قوله تعالى: (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة)

قال: الإمَامُ (الطبري) - والإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) هو البغض والنشوز، فإذا فعلت ذلك فقد حل له منها الفدية. (6)(7)

* * *

قوله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف)

قال: الإمَامُ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود قال، أنبأنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: سألت (عائشة) عن خُلُق رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ فقالت: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق، ولا

---

(1) أخرجه الإمَامُ (النسائي) في (التفسير) برقم (1/369)، (ح 115).

وأخرجه الإمَامُ (الطبري) في (التفسير) برقم (8/105)، (ح 8870) - من طريق - (عبد الرحمن ابن صالح).

وأخرجه الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِم) في (التفسير) - (سورة النساء) - (آية 19)، (ح 2580) - عن (أبي سعيد الأشج)، و(ابن مردويه) - كما في تفسير الإمام (ابن كثير). برقم (1/701) - من طريق - (علي بن المنذر)، كلهم - عن (محمد بن فضيل به).

قال: الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني): (إسناد حسن). (فتح الباري) برقم (8/95).

و(حسنه) الإمام (السيوطي) في (لباب النقول) برقم (ص 65).

وذكره ونقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة: الأولى)، برقم (2/ 20)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (19).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (19).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (19).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (19).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (19).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (19).

يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن (عائشة) قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وإذا مات صاحبكم فدعوه)). (2)

* * *

قوله تعالى: (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)

قال: الإِمَامْ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وحدثني إبراهيم بن موسى الرازي، حدثنا عيسى (يعني ابن يونس): حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن عمران بن أبي أنس، عن عمر بن الحكم، عن (أبي هريرة)، قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((لا يفرك مؤمن مؤمنة. إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)) أو قال "غيره". (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) يقول: فعسى الله أن يجعل في الكراهة خيراً كثيراً. (4)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَاري و مُسلِم) - في (صحيحهما)، والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: (" اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ (خَيْرًا) (5) (6) (7) (فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (369/4)، (ح 2016) - (كتاب: البر والصلة)، / باب: (ما جاء في خلق النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -)،

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (174/6) - من طريق - (محمد بن جعفر عن شعبة به).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (الزهد) برقم (ص4) - من طريق - (زكريا ابن أبي) زائدة، عن (أبي إسحاق)، عن (الجدلى) به، وفيه قول: (الجدلى): (كيف كان خلق رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في أهله؟).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (355/14)، (ح 6443) من هذا الطريق وبهذا اللفظ أيضاً.

قال: الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه): (حسن صحيح)،

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الترمذي) برقم (ح 1640).

وذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة: الأولى)، برقم (2/ 21)،

(2) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (709/5)، (ح 3895)- (كتاب: المناقب)، / باب: (فضل أزواج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -).

قال: (أبو عيسى): هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الثورى ..

وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (484/9)، (ح 4177) - من طريق - : (هشام بن عبد الملك ويحيى بن عثمان، عن محمد بن يوسف به).

قال محققه: (إسناده صحيح).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الترمذي) برقم (245/3).

وأخرج له الإمام (الحاكم) شاهداً من حديث (أبي هريرة) بدون الجملة الأخيرة (المستدرك) برقم (311/3، 312)

وقال: (صحيح على شرط مسلم) ولم يخرجاه .. وأخرج - عن (ابن عباس) بنحوه (المستدرك) برقم (173/4).

وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي) على كل منهما).

وذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (الطبعة: الأولى)، برقم (2/ 21)،

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1091/2)، (ح 1469) - (الرضاع)، / باب: (الوصية بالنساء).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (19).

(5) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3153).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (60) - (1468).

(6) أَيْ: اِقْبَلُوا وَصِيَّتِي فِيهِنَّ وَاعْمَلُوا بِهَا وَارْفُقُوا بِهِنَّ وَأَحْسِنُوا عِشْرَتَهنَّ. (فتح الباري) برقم (ج 10 / ص 111).

(7) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4890).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (60) - (1468).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1163).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1851).

مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ [1] [2] (لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ [3]) وَاحِدَةٍ [4] (فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا [5] ، اسْتَمْتَعْتَ بِهَا (وَفِيهَا عِوَجٌ [6]) وَإِنْ [7] (وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا [7] طَلَاقُهَا [8]) (فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ [9] خَيْرًا " [10]).

* * *

(1) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حَوَّاءَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ الْأَيْسَرِ , وَقِيلَ: مِنْ ضِلْعِهِ الْقَصِيرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ , وَجُعِلَ مَكَانَهُ لَحْمٌ " أخرجه اِبْنُ إِسْحَاق.
وَمَعْنَى (خُلِقَتْ)، أَيْ: أُخْرِجَتْ كَمَا تَخْرُجُ النَّخْلَةُ مِنَ النَّوَاةِ. (فتح الباري) برقم (ج10/ ص111).

(2) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الْمَرْأَةِ لِسَانُهَا، وَفَائِدَةُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ, أَنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ أَعْوَجَ , فَلَا يُنْكَرُ اعْوِجَاجُهَا، أَوْ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهَا لَا تَقْبَلُ التَّقْوِيمَ , كَمَا أَنَّ الضِّلْعَ لَا يَقْبَلُهُ. (فتح الباري) برقم(ج 10 / ص 111).

(3) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3153).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (60) - (1468).

(4) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (59) - (1468).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (10452).

(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9794).

(6) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (59)-(1468).
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4889).

(7) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4889).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (65) - (1468).
وأخرجه الإِمَامْ (التِرمذِي) في (السنن) برقم (1188).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9520).

(8) أَيْ: إِنْ أَرَدْتَ مِنْهَا أَنْ تَتْرُكَ اِعْوِجَاجَهَا أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى فِرَاقِهَا. (فتح الباري) برقم (10/ 111).

(9) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (59)-(1468).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4179).
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4889).
وأخرجه الإِمَامْ (التِرمذِي) في (السنن) برقم (1188).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9794).

(10) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3153).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (60) - (1468).

وقال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسند) - (بسنده) :- , وَعَنْ (سَمُرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: ((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ , وَإِنَّكَ إِنْ تُرِدْ إِقَامَةَ الضِّلَعِ تَكْسِرْهَا , فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا)) [11].

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- ارتكاب فاحشة الزنى من أكثر المعاصي خطرًا على الفرد والمجتمع" ولهذا جاءت العقوبات عليها شديدة.
- لُطف الله ورحمته بعباده حيث فتح باب التوبة لكل مذنب، ويسَّر له أسبابها، وأعانه على سلوك سبيلها.
- كل من عصى الله تعالى بعمد أو بغير عمد فهو جاهل بقدر من عصاه جل وعلا، وجاهل بآثار المعاصي وشؤمها عليه.
- من أسباب استمرار الحياة الزوجية أن يكون نظر الزوج متوازنًا، فلا يحصر نظره فيما يكره، بل ينظر أيضا إلى ما فيه من خير وقد يجعل الله فيه خيرًا كثيرًا. [12]

* * *

[٢٠] ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا

(11) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (20105).
وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (19270).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4178).
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (7333).
انظر: (صَحِيح الْجَامِع) : (3707) , و (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ): (1926). للإِمَامْ (الألباني).

(12) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/80). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾:

وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (21) وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (23)

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن أردتم أيها الأزواج- تطليق امرأة، واستبدال غيرها بها" فلا حرج عليكم في ذلك، وإن كنتم أعطيتم التي عزمتم على فراقها مالًا كثيرًا مهرًا لها" فلا يجوز لكم أخذ شيء منه، فإنَّ أَخْذ ما أعطيتموهن يُعدُّ افتراءً مبينًا وإثمًا واضحًا!. (1)

* * *

يَعْنِي:- وإن أردتم استبدال زوجة مكان أخرى، وكنتم قد أعطيتم مَن تريدون طلاقها مالا كثيرًا مهرًا لها، فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئًا، أتأخذونه كذبًا وافتراءً واضحًا؟. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن أردتم أن تستبدلوا زوجة مكان أخرى وكنتم قد أعطيتم من تريدون طلاقها مالاً كثيراً فلا يحلُّ لكم أن تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه على وجه البطلان والإثم المبين؟ (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ} ... أي: تَطْلِيقَ المَرأةِ وَالتَّزَوُّجَ بِأُخْرَى.

{قِنطَارًا} ... مَالًا كَثِيرًا.

{بُهْتَانًا} ... كَذِبًا، وَظُلْمًا.

{بُهْتَانًا} ... على الحال، أي باهتين وآثمين. والبهتان: أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه. (4)

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: (وإن أردتم إستبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا)

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - من طريق (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): **قوله**: (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج) **قال**: إن كرهت امرأتك وأعجبك غيرها فطلقت هذه وتزوجت تلك.

وبه عن (ابن عباس) **قوله**: (وآتيتم إحداهن قنطارا) **قال**: إن كرهت امرأتك

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (81/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (81/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (110/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (20)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

وأعجبك غيرها، فطلقت هذه وتزوجت تلك، فأعط هذه مهرها وإن كان قنطارا.(1)

* * *

قوله تعالى: (فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا)

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مجاهد):

قوله: (فلا تأخذوا منه شيئاً) قال: فلا يحل له من مال المطلقة شيء وإن كثر.

وبه عن (مجاهد) قوله: (بهتانا) قال: إثماً.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {20} {وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ} أراد بالزوج الزوجة إذا لم يكن من قبلها نُشُوزٌ ولا فاحشة، {وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا} وهو المَالُ الْكَثِيرُ صَدَاقًا، {فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ} من القنطار، {شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ} اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّوْبِيخِ، {بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} انْتِصَابُهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا بِنَزْعِ الْخَافِضِ، وَالثَّانِي بِالْإِضْمَارِ تَقْدِيرُهُ: تُصِيبُونَ فِي أَخْذِهِ بُهْتَانًا وَإِثْمًا.(3)

* * *

قال : الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} أَيْ: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُفَارِقَ امْرَأَةً وَيَسْتَبْدِلَ مَكَانَهَا غَيْرَهَا، فَلَا يَأْخُذَنَّ مِمَّا كَانَ أَصْدَقَ الْأُولَى شَيْئًا، وَلَوْ كَانَ قِنْطَارًا مِنْ مَالٍ.

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ) الْكَلَامَ عَلَى الْقِنْطَارِ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ عَنْ إِعَادَتِهِ هَاهُنَا.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ الْإِصْدَاقِ بِالْمَالِ الْجَزِيلِ،

وَقَدْ كَانَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) نَهَى عَنْ كَثْرَةِ الْإِصْدَاقِ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) - (رحمه الله):- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: نُبِّئْتُ عَنْ أَبِي الْعَجْفَاءِ السُّلَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: أَلَا لَا تُغْلُوا فِي صَدَاقِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ كَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أُصْدِقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُبْتَلَى بِصَدُقَةِ امْرَأَتِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهَا عَدَاوَةٌ فِي نَفْسِهِ، وَحَتَّى يَقُولَ: كَلِفْتُ إِلَيْكِ عَلَقَ القِرْبَةِ،

ثُمَّ رَوَاهُ الإمام (أَحْمَدُ)، وَأَهْلُ (السُّنَنِ) مِنْ – طُرُقٍ، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ)، عَنْ (أَبِي الْعَجْفَاءِ) – وَاسْمُهُ (هَرِمُ ابْنُ مُسَيَّبٍ الْبَصْرِيُّ)،

وَقَالَ:الإمام (التِّرْمِذِيُّ): هَذَا حَدِيثٌ (حَسَنٌ صَحِيحٌ) (1) (4)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (20).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (20).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (20).

(4) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (40/1).

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {وَإِنْ أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ} يَقُول إن أردتم أَن تتزوجوا وَاحِدَة وتطلقوا وَاحِدَة أَو تتزوجوا عَلَيْهَا أُخْرَى {وَآتَيْتُمْ} أعطيتم {إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً} مهْرا {فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ} من الْمهْر {شَيْئاً} غصبا {أَتَأْخُذُونَهُ} يَعْنِي الْمهْر {بُهْتَاناً} حَرَامًا {وَإِثْماً مُّبِيناً} ظلما بيِّناً. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- بل متى {أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ} أي: تطليق زوجة وتزوجَ أخرى. أي: فلا جناح عليكم في ذلك ولا حرج. ولكن إذا {آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ} أي: المفارقة أو التي تزوجها {قِنطَارًا} أي: مالا كثيرا. {فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا} بل وفروه لهن ولا تمطلوا بهن.

وفي هذه الآية دلالة على عدم تحريم كثرة المهر، مع أن الأفضل واللائق الاقتداءُ بالنبي صلى الله عليه وسلم في تخفيف المهر. ووجه الدلالة أن الله أخبر عن أمر يقع منهم، ولم ينكره عليهم، فدل على عدم تحريمه لكن قد ينهى عن كثرة الصداق إذا تضمن مفسدة دينية وعدم مصلحة تقاوم

ثم قال: {أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} فإن هذا لا يحل ولو تحيلتم عليه بأنواع الحيل، فإن إثمه واضح.

وقد بين تعالى حكمة ذلك بقوله: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا} وبيان ذلك: أن الزوجة قبل عقد النكاح محرمة على الزوج ولم ترض بحلها له إلا بذلك المهر الذي يدفعه لها، فإذا دخل بها وأفضى إليها وباشرها المباشرة التي كانت حراما قبل ذلك، والتي لم ترض ببذلها إلا بذلك العوض، فإنه قد استوفى المعوض فثبت عليه العوض.

فكيف يستوفي المعوض ثم بعد ذلك يرجع على العوض؟ هذا من أعظم الظلم والجور، وكذلك أخذ الله على الأزواج ميثاقا غليظا بالعقد، والقيام بحقوقها. (3)

* * *

وقال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- (4) قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): "

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2106)- ((كتاب : النكاح).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1114) – ((كتاب : النكاح).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (117/6) - ((كتاب : النكاح).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1887) -.((كتاب : النكاح).

قال: الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (ابن كثير). (287/2): (أبو العجفاء) مختلف فيه، فـ (ابن معين) و(الدار القطني) يو ثقانه. و(أبو أحمد الحاكم) يقول: ليس حديثه بالقائم، والإمام (البخاري) يقول:في حديثه نظر. وقول الإمام (البخاري): في حديث نظر من أردى عبارات التجريح كما في (فتح الباري) المغيث وهو يعتبر جرحاً مفسراً ولكن الإمام (البخاري)- (رحمه الله)- لطيف العبارة في التجريح، فالذي يظهر أن قول (عمر) هذا فما بعده لا يصح، والله أعلم، اهـ.

والحديث صححه الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح ابن ماجة) برقم (1532)، وقوله: ((علق القربة)): هو بفتح العين واللام، وهو حبل القربة التي تعلق به.يريد: تحملت لأجلك كل شيء حتى علق القربة.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (20)، لِلإِمَامْ (ابن كثير). (336/2) (دار الآثار - الطبعة الأولى: 2009م).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (20). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

---

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (20)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر:صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) برقم (ج 6/ ص50).

(لَمَسْتُمْ)، {لَامَسْتُمُ}[1]، وَ{تَمَسُّوهُنَّ}[2] وَ{اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ}[3]، وَالإِفْضَاءُ: النِّكَاحُ.

* * *

[٢١] ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وكيف تأخذون ما أعطيتموهن من المهر بعد الذي حصل بينكم من علاقة ومودة واستمتاع واطلاع على الأسرار، فإن الطمع بما في أيديهن من مال بعد هذا أمر مُنكَر ومستقبَح، وقد أخذن منكم عهدًا موثَّقًا شديدًا، وهو استحلالهن بكلمة الله تعالى وشرعه.[4]

* * *

يَعْنِي:- وكيف يحلُّ لكم أن تأخذوا ما أعطيتموهن من مهر، وقد استمتع كل منكما بالآخر بالجماع، وأخَذْنَ منكم ميثاقًا غليظًا من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان؟.[5]

* * *

يَعْنِي:- وكيف يسوغ لكم أن تستردوا ما أعطيتم من مهر وقد امتزج بعضكم ببعض وأخذن منكم عقداً قوياً موثقاً أحل الله به العشرة الزوجية.[6]

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ} ... أَيْ: بِأَيِّ وَجْه.

{وَقَدْ أَفْضَى} ... وَصَلَ.

{أَفْضَى} ... الجماعُ. أي: اسْتَمْتَعَ بِالْجِمَاعِ.

{وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ} ... قد خلا بعضكم ببعض خلو مضاجعة.

{بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} ... بِالْجِمَاعِ الْمُقَرِّرِ لِلْمَهْرِ.

{وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا} ... عَهْدًا.

{مِيثَاقاً غَلِيظاً} ... الميثاق الغليظ: حق الصحبة والمضاجعة.

{غَلِيظًا} ... شَدِيدًا وَهُوَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِمْسَاكِهِنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحِهِنَّ بِإِحْسَانٍ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا)

قال الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبي، ثنا مقاتل بن محمد، ثنا وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن بكر بن عبد الله المزني، عن (ابن عباس) في قوله: (وقد أفضى بعضكم إلى بعض) قال: الإفضاء: الجماع.[7]

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

---

(1) {النساء: 43}.
(2) {البقرة: 236}.
(3) {النساء: 23}.
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (81/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (81/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (111/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (21).

* * *

قال:الإمَامْ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (معمر) – عن (قتادة): في قوله تعالى: (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قال: هو ما أخذ الله تعالى للنساء على الرجال، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، قال: وقد كان ذلك يؤخذ عند عقدة النكاح.(1)

* * *

قال:الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره) – (بسنده):- حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال، حدثنا سفيان، عن أبي هاشم المكي، عن (مجاهد) في قوله: (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قال قوله: نكحتُ.(2)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).و(أبو هاشم – هو- إسماعيل بن كثير).

* * *

قال : الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ولهذا قال اللَّهُ مُنكراً: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أيْ: وَكَيْفَ تَأْخُذُونَ الصَّدَاقَ مِنَ الْمَرْأَةِ وَقَدْ أَفْضَيْتَ إِلَيْهَا وأفضتْ إِلَيْك.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس)، وَ(مُجَاهِدٌ)، و(السُّدِّيُّ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْجِمَاعَ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: لِلْمُتَلَاعِنَيْنِ بَعْدَ فَرَاغِهِمَا مِنْ تَلَاعُنِهِمَا: ((اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ. فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ)) ثَلَاثًا. فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَالِي -يَعْنِي: مَا أَصْدَقَهَا – قَالَ: ((لَا مَالَ لَكَ إِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ عَلَيْهَا فَهُوَ بِمَا اسْتَحْلَلْتَ مِنْ فَرْجِهَا وَإِنْ كُنْتَ كَذَبْتَ عَلَيْهَا فَهُوَ أَبْعَدُ لَكَ مِنْهَا)).(3)(4)

(3)(4)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {21} ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعْظَامِ، ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أَرَادَ بِهِ الْمُجَامَعَةَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ يُكَنِّي، وَأَصْلُ الْإِفْضَاءِ: الْوُصُولُ إِلَى الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ {النساء: 21}.

قَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(ابْنُ سِيرِينَ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، و(قَتَادَةُ). وهو قَوْلُ الْوَلِيِّ عِنْدَ الْعَقْدِ: زَوَّجْتُكَهَا عَلَى مَا أَخَذَ اللَّهُ لِلنِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ إِمْسَاكٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ،

وَقَالَ: (الشَّعْبِيُّ)، وَ(عِكْرِمَةُ): هُوَ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ

---

(1) انظر:(تفسير عبد الرزاق) في سورة (النساء) - الآية (21)، للإمَام :(أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني) (المتوفى:211هـ). ، الناشر: (دار الكتب العلمية – بيروت)، الطبعة: (الأولى، سنة 1419هـ). (عدد الأجزاء: 3).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (21).

(3) (متفق عليه) : أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (5312) – ((كتاب: الطلاق).

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1493) – ((كتاب : اللعان)، من حَديثُ – (عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ) –(رَضِيَ اللَّهُ عنه).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (21)، للإمَامْ (ابن كثير).

بِأَمَانَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى)).(1)

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} {النِّسَاءِ: 22}كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْكِحُونَ أَزْوَاجَ آبَائِهِم،

قَالَ: (الْأَشْعَثُ بْنُ سَوَّارٍ): تُوُفِّيَ أَبُو قَيْسٍ وَكَانَ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ فَخَطَبَ ابْنُهُ قَيْسٌ امْرَأَةَ أَبِيهِ فَقَالَتْ: إِنِّي اتَّخَذْتُكَ وَلَدًا وَأَنْتَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ، وَلَكِنِّي آتِي رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَسْتَأْمِرُهُ، فَأَتَتْهُ فَأَخْبَرَتْهُ،(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ} تستحلونه يَعْنِي الْمهْر على وَجه التَّعَجُّب {وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} يَقُول وَقد اجْتَمَعْتُمْ فِي لحاف وَاحِد بِالْمهْرِ وَالنِّكَاح {وَأَخَذْنَ مِنْكُم} يَقُول أَخذ الله مِنْكُم عِنْد النِّكَاح للنِّسَاء {مِّيثَاقاً غَلِيظاً} وثيقاً إمْسَاك بِمَعْرُوف أَو تَسْرِيح بِإِحْسَان.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وقد بين تعالى حكمة ذلك بقوله: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} وبيان ذلك: أن الزوجة قبل عقد النكاح محرمة على الزوج ولم ترض بحلها له إلا ببذلك المهر الذي يدفعه لها، فإذا دخل بها وأفضى إليها وباشرها المباشرة التي كانت حراما قبل ذلك، والتي لم ترض ببذلها إلا ببذلك العوض، فإنه قد استوفى المعوض فثبت عليه العوض. فكيف يستوفي المعوض ثم بعد ذلك يرجع على العوض؟ هذا من أعظم الظلم والجور، وكذلك أخذ الله على الأزواج ميثاقا غليظا بالعقد، والقيام بحقوقها.(4)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بعض} يَعْنِي: المجامعة {وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غليظا} هُوَ قَوْله: {إِمْسَاك بِمَعْرُوف أَو تَسْرِيح بِإِحْسَان} فِي تَفْسِير (قَتَادَة).

قَالَ: (قَتَادَة): وَقد كَانَت فِي عقد الْمُسلمين عِنْد نكاحهم: الله عَلَيْك لتمسكن.(5)

* * *

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (147) في ((كتاب: الحج)،

وأخرجه الإِمَامُ ((أبو داود) في (المناسك) برقم (56).

وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجه) في (المناسك) برقم (84).

وأخرجه الإِمَامُ (الدارمي) في (المناسك) برقم (34).

وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (ج5/ 73).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامِ (البغوي) سورة (النساء) الآية (21).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (21). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (21)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (21) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

[٢٢] ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

ولا تتزوَّجوا ما تزوجه آباؤكم من النساء فإن ذلك محرَّم، إلا ما سبق من ذلك قبل الإسلام فلا مؤاخذة عليه، ذلك أن تزوج الأبناء من زوجات آبائهم أمر يعظم قُبْحُه، وسبب غضب الله على فاعله، وساء طريقًا لمن سلكها. (1)

* * *

يَعْنِي:- ولا تتزوجوا مَن تزوجه آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف منكم ومضى في الجاهلية فلا مؤاخذة فيه. إن زواج الأبناء من زوجات آبائهم أمر قبيح يفحش ويعظم قبحه، وبغيض يمقت الله فاعله، وبئس طريقًا ومنهجًا ما كنتم تفعلونه في جاهليتكم. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولا تتزوجوا - أيها الأبناء - ما تزوج آباؤكم من النساء، إنه كان أمرًا فاحش القبح، يمقته الله والناس، وهو أسوأ سبيل ومقصد، وأن الله يعفو عما قد سلف منكم في زمن الجاهلية. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات

{وَلاَ تَنْكِحُوا مَا} ... بِمَعْنَى مَنْ.

{نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النِّسَاءِ إلا} ... لَكِنْ.

{مَا قَدْ سَلَفَ} ... مِنْ فِعْلِكُمْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مَعْفُوّ عَنْهُ.

{إِنَّهُ} ... أَيْ: نِكَاحهنّ.

{كَانَ فَاحِشَةً} ... قَبِيحًا.

{فَاحِشَةً} ... بالغة فى القبح.

{وَمَقْتًا} ... سَبَبًا لِلْمَقْتِ مِنْ اللَّه وَهُوَ أَشَدّ الْبُغْض.

{وَمَقْتًا} ... بَغِيضًا يَمْقُتُ اللهُ فَاعِلَهُ.

(أي: ممقوت فى المروءة ولا مزيد عليه).

{وَسَاءَ} ... بِئْسَ.

{سَبِيلًا} ... طَرِيقًا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف) نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن نكاح المرأة التي نكحها الأب، ولم يبين ما المراد بنكاح الأب هل هو العقد أو الوطء، ولكنه بين في موضع أخر أن اسم النكاح يطلق على العقد وحده، وإن لم يحصل مسيس وذلك في قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) فصرح بأنه نكاح وأنه لا مسيس فيه. وقد أجمع العلماء على أن من عقد عليها الأب حرمت على ابنه وإن لم يمسها الأب، وكذلك عقد الابن محرّم على الأب إجماعا، وإن لم يمسها وقد أطلق تعالى النكاح لا آية أخرى مريدا به الجماع بعد

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (81/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (81/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (111/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

العقد وذلك في قوله (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) . (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {22} {وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلا} .

أي: لا تتزوجوا من النساء ما تزوجهن آباؤكم أي: الأب وإن علا. {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} أي: أمرا قبيحا يفحش ويعظم قبحه {وَمَقْتًا} من الله لكم ومن الخلق بل يمقت بسبب ذلك الابن أباه والأب ابنه، مع الأمر ببره.

{وَسَاءَ سَبِيلا} أي: بئس الطريق طريقا لمن سلكه لأن هذا من عوائد الجاهلية، التي جاء الإسلام بالتنزه عنها والبراءة منها. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ} (النساء: 22} قِيلَ: بَعْدَ مَا سَلَفَ، يَعْنِي:- مَعْنَاهُ لَكِنْ مَا سَلَفَ، أَيْ: مَا مَضَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} أي: إنه فاحشة، (وكان) فيه صلة، و (الفاحشة) أقبح المعاصي، {وَمَقْتًا} أَيْ: يُورِثُ مَقْتَ اللَّهِ، وَالْمَقْتُ: أشد البغض، {وَسَاءَ سَبِيلًا} وَبِئْسَ ذَلِكَ طَرِيقًا وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ لِوَلَدِ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَةِ أبيه (مقيت) . (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثُمَّ حرم عَلَيْهِم نِكَاح نسَاء آبَائِهِم وَقد كَانُوا يتزوَّجُونَ فِي الْجَاهِلِيَّة نسَاء آبَائِهِم فنهاهم الله عَن ذَلِك فَقَالَ: {وَلاَ تَنكِحُواْ} لاَ تتزوجوا {مَا نَكَحَ} مَا تزوج {آبَاؤُكُم مِّنَ النسآء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ} سوى مَا قد مضى فِي الْجَاهِلِيَّة {إِنَّهُ} يَعْنِي تزوجَ نسَاء الْآبَاء {كَانَ فَاحِشَةً} مَعْصِيَة {وَمَقْتاً} بغضاً {وَسَآءَ سَبِيلاً} بئس مسلكاً نزلت فِي مُحصن بن أبي قيس الْأنْصَارِيّ. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا عمرو بن قَسيط الرقي، ثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد ابن أبي أنيسة، عن عدي بن ثابت، عن (يزيد بن البراء)، عن أبيه، قال: لقيت عمّي ومعه راية، فقلت له: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى رجل نكح امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه وآخذ ماله. (5)

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (22).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (22)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (22).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (22). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4/ 157)، (ح 4457) - (كتاب : الحدود)، / باب: (في الرجل يزني بحريمه) ،

وأخرجه الإِمَامْ (النساء) في (السنن) برقم (6/109-110) - (كتاب : النكاح) ، / باب: (نكاح ما نكح الآباء) - من طريق - (عبد الله بن جعفر عن عبيد الله بن عمرو به).

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4/ 357- ك الحدود) .

* * *

قال: الإمام (الطبري) – والإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: كل ذات تزوجها أبوك وابنك دخل أو لم يدخل، فهي عليك حرام. (1)(2)

* * *

قوله تعالى (إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا)

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا علي بن الحسين، ثنا صفوان بن صالح، ثنا الوليد، ثنا زهير بن محمد، عن (عطاء) بن (أبي رباح) في قول الله تعالى: (إلا ما قد سلف) يقول: في جاهليتكم. (3)

و(سنده صحيح).

وبه عن (عطاء بن رباح) (وساء سبيلا) قال: طريقا لمن عمل به.

* * *

قال : الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلا} يُحَرم تَعَالَى زَوْجَاتِ الْآبَاءِ تَكْرِمَةً لَهُم، وإعظامًا وَاحْتِرَامًا أَنْ تُوطَأَ مِنْ بَعْدِه، حَتَّى إِنَّهَا لَتَحْرُمُ عَلَى الِابْنِ بِمُجَرَّدِ الْعَقْدِ عَلَيْهَا، وَهَذَا أَمْرٌ مُجمعٌ عَلَيْه.

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ أَشْعَثَ بْنِ سَوَّار، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو قَيْس - يَعْنِي ابْنَ الْأَسْلَتِ-وَكَانَ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ، فَخَطَبَ ابنَه قَيْسٌ امرَأَتَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا أعُدُّكَ وَلَدًا وَأَنْتَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِكَ، وَلَكِنْ آتِي رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَسْتَأْمِرُهُ. فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقالت: إِنَّ أَبَا قَيْسٍ تُوفِّي. فَقَالَ: "خَيْرًا". ثُمَّ قَالَتْ: إِنَّ ابْنَهُ قَيْسًا خَطَبَنِي وَهُوَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِه. وإنَّمَا كُنْتُ أَعُدُّهُ وَلَدًا، فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ لَهَا: "ارْجِعِي إِلَى بَيْتِكِ". قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ} (4) الآية.

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، حَدَّثَنَا، حُسَيْنٌ، حَدَّثَنَا حَجَّاج، عَنِ ابْنِ جُرَيْج، عَنْ عكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ: {وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ} الْآيَةَ قَالَ: نزلت في أبي قيس ابنِ الْأَسْلَتِ، خُلِّفَ عَلَى أُمِّ عُبَيْدِ اللَّهِ بِنْتِ صَخْرٍ وَكَانَتْ تَحْتَ الْأَسْلَتِ أَبِيهِ، وَفِي الْأَسْوَدِ بْنِ خَلَفٍ، وَكَانَ خَلَفَ عَلَى ابْنَةِ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ

ونقل الإمام (المنذري) – عن الإمام (ابن القيم) قوله: والحديث له طرق حسان يقوي بعضها بعضاً (تهذيب السنن) برقم (266/6)،

وأورد الإمام (ابن القيم) شاهداً له (بإسناد صحيح) برقم (زاد المعاد 15/5)

و(صححه) الإمام (الألباني) وأفاض في الكلام عليه وبيان طرقه، ومتابعاته (الإرواء) برقم (2351).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (24/2)،

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (22).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (22).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (22).

(4) رواه الإمام (الطبراني) في (جامع الكبير) برقم (329-328/22).

عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، وَكَانَتْ عِنْدَ أَبِيهِ خَلَف، وَفِي فاختة ابْنَةِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، كَانَتْ عِنْدَ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، فَخَلَفَ عَلَيْهَا صفوان ابن أُمَيَّةَ [1].

فَقَدْ قَالَ: (ابْنُ جرير): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُخَرِّمِيُّ حَدَّثَنَا قُرَادٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عُمَرَ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، إِلَّا امْرَأَةَ الْأَبِ وَالْجَمْعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأخْتَيْنِ} [2] وَهَكَذَا، قَالَ: (عَطَاءٌ)، وَ(قَتَادَةُ). وَلَكِنْ فِيمَا نَقَلَهُ السُّهَيْلِيُّ مِنْ قِصَّةِ كِنَانَةَ نَظَرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَهُوَ حَرَامٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، مُبَشَّعٌ غَايَةَ التَّبَشُّعِ وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلا}.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} {الْأَنْعَامِ:151}.

وَقَالَ": {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا} {الْإِسْرَاءِ:32} فَزَادَ هَاهُنَا: {وَمَقْتًا} أَيْ: بُغْضًا، أَيْ هُوَ أَمْرٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى مَقْتِ الِابْنِ أَبَاهُ بَعْدَ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِامْرَأَتِهِ، فَإِنَّ الْغَالِبَ أَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ يُبْغِضُ مَنْ كَانَ زَوْجَهَا قَبْلَهُ" وَلِهَذَا حُرِّمَتْ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْأُمَّةِ" لِأَنَّهُنَّ أُمَّهَاتٌ، لِكَوْنِهِنَّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ كَالْأَبِ لِلْأُمَّةِ بَلْ حَقُّهُ أَعْظَمُ مِنْ حَقِّ الْآبَاءِ بِالْإِجْمَاعِ، بَلْ حُبُّهُ مُقَدَّمٌ عَلَى حُبِّ النُّفُوسِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ: (عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ) فِي قَوْلِهِ: {وَمَقْتًا} أَيْ: يَمْقُتُ اللَّهُ عَلَيْهِ {وَسَاءَ سَبِيلا} أَيْ: وَبِئْسَ طَرِيقًا لِمَنْ سَلَكَهُ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ تَعَاطَاهُ بَعْدَ هَذَا فَقَدِ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ، فَيُقْتَلُ، وَيَصِيرُ مَالُهُ فَيْئًا لِبَيْتِ الْمَالِ.

كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) وَأَهْلُ السُّنَنِ، مِنْ -طُرُقٍ-، عَنِ (الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ)، عَنْ خَالِهِ أَبِي بُرْدَةَ -وَفِي رِوَايَةٍ: ابْنِ عُمَرَ-وَفِي رِوَايَةٍ-: عَنْ عَمِّهِ: أَنَّهُ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَقْتُلَهُ وَيَأْخُذَ مَالَهُ.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، حَدَّثَنَا أَشْعَثُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: مَرَّ بِي عَمِّي الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو، وَمَعَهُ لِوَاءٌ قَدْ عَقَدَهُ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ لَهُ: أَيْ عَمِّ، أَيْنَ بَعَثَكَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قَالَ: بَعَثَنِي إِلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ [3][4].

---

(1) رواه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (133/8).

(2) (صَحِيحٌ): رواه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (217/4)، قال: الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (أسباب النزل) برقم (66): الحديث رجاله رجال الصحيح إلا (محمد بن عبدالله المخرمي) وهو ثقة. أهـ.

(3) (صَحِيحٌ لشواهده): أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (392/4).

(4) أخرجه الإمام ((أبو داود)) في (سننه) برقم (4457) - ((كتاب: الحدود)).

وأخرجه الإمام (الترمذي) في (سننه) برقم (1362) - ((كتاب: الأحكام)).

وأخرجه الإمام (النسائي) في (سننه) برقم (3332) - ((كتاب: النكاح)).

والحديث صححه الإمام (الألباني) في (صحيح أبي داود) و (حسنه لغيره).

وقال: الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (تحقيقه لتفسير - ابن كثير) برقم (292/2).

وقال: الشيخ (أحمد شاكر) في (عمدة التفسير) برقم (135/3).

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (22)، للإمام (ابن كثير). (340/2) (دار الآثار - الطبعة الأولى: 2009م).

مَسْأَلَةٌ:

وَقَدْ أَجْمَعَ العلماءُ عَلَى تَحْرِيمِ مَنْ وَطِئَهَا الأَبُ بِتَزْوِيجٍ أَوْ مِلْكٍ أَوْ بِشُبْهَةٍ أَيْضًا، وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ بَاشَرَهَا بِشَهْوَةٍ دُونَ الْجِمَاعِ، أَوْ نَظَرَ إِلَى مَا لاَ يَحِلُّ لَهُ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنْهَا لَوْ كَانَتْ أَجْنَبِيَّةً.

فَعَنِ الْإِمَامِ (أَحْمَدَ) - (رحمه الله) -: أَنَّهَا تَحْرُمُ أَيْضًا بِذَلِكَ. قَدْ رَوَى الْحَافِظُ (ابْنُ عَسَاكِر) فِي تَرْجَمَةِ خُدَيْجٍ الحِصْنِيِّ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ، قَالَ: اشْتَرَى لِمُعَاوِيَةَ جَارِيَةً بَيْضَاءَ جَمِيلَةً، فَأَدْخَلَهَا عَلَيْهِ مُجَرَّدَةً وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ. فَجَعَلَ يَهْوِي بِهِ إِلَى مَتَاعِهَا وَيَقُولُ: هَذَا الْمَتَاعُ لَوْ كَانَ لَهُ مَتَاعٌ! اذْهَبْ بِهَا إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ. ثُمَّ قَالَ: لاَ ادْعُ لِي رَبِيعَةَ بْنَ عَمْرٍو الْجُرَشِيَّ -وَكَانَ فَقِيهًا- فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ أُتِيتُ بِهَا مُجَرَّدَةً، فَرَأَيْتُ مِنْهَا ذَاكَ وَذَاكَ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَبْعَثَ بِهَا إِلَى يَزِيدَ. فَقَالَ: لاَ تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لاَ تَصْلُحُ لَهُ. ثُمَّ قَالَ: نِعْمَ مَا رَأَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعَدَةَ الْفَزَارِيَّ، فَدَعَوْتُهُ، وَكَانَ آدَمَ شَدِيدَ الْأُدْمَةِ، فَقَالَ: دُونَكَ هَذِهِ، بَيِّضْ بِهَا وَلَدَكَ. قَالَ: وَ قَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعَدَةَ هَذَا وَهَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لابْنَتِهِ فَاطِمَةَ فَرَبَّتْهُ ثُمَّ أَعْتَقَتْهُ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ مُعَاوِيَةَ مِنَ النَّاسِ عَلَى (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ} يَعْنِي: مَا قد مُضِيّ قبل التَّحْرِيم {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا} بغضا من الله {وَسَاءَ سَبِيلا} أَي: بئس المسلك. (2)

* * *

[٢٣] ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

حرَّم الله عليكم نكاح أمهاتكم وإن علَون" أي أم الأم وجدتها من جهة الأب أو الأم، وبناتكم وإن نزلن" أي بنتها وبنت بنتها، وكذلك بنات الابن وبنات البنت وإن نزلن، وأخواتكم من أبويكم أو من أحدهما، وعماتكم، وكذلك عمات آبائكم وأمهاتكم

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (22)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (22) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

وإن عَلَـوْن، وخـالاتكم، وكـذلك خـالات أمهـاتكم وآبـائكم وإن علَـوْن، وبنـات الأخ وبنـات الأخـت، وأولادهـن وإن نزلـوا، وأمهـاتكم اللاتـي أرضـعنكم، وأخـواتكم مـن الرضاعة، وأمهات زوجاتكم سواء دخلتم بهن أو لم تـدخلوا بهـن، وبنـات زوجـاتكم مـن غيركـم اللاتـي ينشـأن ويتربـين في بيـوتكم غالبًـا، وكـذلك إذا لم يتربـين فيهـا، إن كنـتم دخلـتم بأمهـاتهن، وأما إذا لم تـدخلوا بهـن فـلا حـرج علـيكم في نكـاح بنـاتهن، وحـرم علـيكم نكـاح زوجـات أبنـائكم الـذين مـن أصـلابكم، ولـو لم يـدخلوا بهـن، ويـدخل في هـذا الحكـم زوجـات أبنـائكم مـن الرضـاعة، وحـرم علـيكم الجمـع بـين الأخـتين مـن النسـب أو الرضـاعة إلا مـا مضـى مـن ذلـك في الجاهلية فقـد عفـا الله عنـه، إن الله كـان غفـورًا لعبـاده التـائبين إليـه، رحيمًـا بهـم. وثبـت في السُّـنَّة تحـريم الجمـع كـذلك بـين المـرأة وعمتهـا أو خالتها.(1)

صلى الله عليه وسلم من الرضاع ما يحرم من النسب- وأمهات نسائكم، سواء دخلتم بنسائكم، أم لم تـدخلوا بهـن، وبنـات نسائكم من غيركم اللاتي يتربَّيْنَ غالبًا في بيوتكم وتحت رعايتكم، وهـن مُحرَّمَـات وإن لم يكـنَّ في حجـوركم، ولكـن بشـرط الـدخول بأمهـاتهن، فـإن لم تكونـوا دخلـتم بأمهـاتهن وطلقتمـوهن أو مـتْنَ قبـل الـدخول فـلا جنـاح علـيكم أن تنكحـوهن، كمـا حـرَّم الله علـيكم أن تنكحـوا زوجـات أبنـائكم الـذين مـن أصـلابكم، ومن أُلحـق بهـم مـن أبنـائكم مـن الرضـاع، وهـذا التحـريم يكـون بالعقـد عليهـا، دخـل الابـن بهـا أم لم يـدخل، وحـرَّم علـيكم كـذلك الجمـع في وقـت واحـد بـين الأخـتين بنسـب أو رضـاع إلا مـا قـد سـلف ومضـى منكم في الجاهلية. ولا يجـوز كـذلك الجمـع بـين المـرأة وعمتهـا أو خالتهـا كمـا جـاء في السـنة. إن الله كـان غفـورًا للمـذنبين إذا تـابوا، رحيمًـا بهـم، فـلا يكلفهـم مـا لا يطيقون.(2)

* * *

يَعْنِـي:- حـرَّم الله علـيكم نكـاح أمهـاتكم، ويـدخل في ذلـك الجـدَّات مـن جهـة الأب أو الأم، وبنـاتكم: ويشـمل بنـات الأولاد وإن نـزلن، وأخـواتكم الشـقيقات أو لأب أو لأم، وعمـاتكم: أخـوات آبـائكم وأجـدادكم، وخـالاتكم: أخـوات أمهـاتكم وجـداتكم، وبنـات الأخ، وبنـات الأخـت: ويـدخل في ذلـك أولادهـن، وأمهـاتكم اللاتـي أرضـعنكم، وأخـواتكم مـن الرضـاعة -وقـد حـرَّم رسـول الله

يَعْنِـي:- حَـرَّمَ الله علـيكم أن تتزوجـوا أمهـاتكم وبنـاتكم وأخـواتكم وعمـاتكم وخـالاتكم وبنـات الأخ وبنـات الأخـت وأمهـاتكم اللاتـي أرضـعنكم وأخـواتكم مـن الرضـاعة، وأمهـات نسـائكم، والمحرمـات لغـير النسـب: أمهـات الرضـاعة، والأخـوات مـن الرضـاعة، وأمهـات الزوجـات وبنـات الزوجـات مـن غـير الأزواج إذا دخلـتم بهـن، وزوجـات أبنـاء الصـلب، والجمـع بـين الأخـتين، ومـا سـلف فـى الجاهلية فإنـه

---

(1) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (81/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (81/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير)،

معفوٌّ عنه. إن الله غفور لما سلف قبل هذا النهج، رحيم بكم فيما شرع لكم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ} ... تحريم نكاحهن، وهو ما يفهم من تحريمهن، كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها.

{وَرَبَائِبُكُمُ} ... الربائب: أولاد المرأة من غير زوجها.

{وَحَلَائِلُ} ... زَوْجَاتُ.

{وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ} ... زوجات أبنائكم.

{الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ} ... دون من تبنيتم.

{وَرَبَائِبُكُمُ} ... هي بنتُ الزوجةِ مِنْ رَجُلٍ آخَرَ.

(أي: بَنَاتُ نِسَائِكُمُ اللاَتِي يَتَرَبَّيْنَ غَالِبًا فِي بُيُوتِكُمْ).

{إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ} ... لَكِنْ مَا مَضَى فَمَعْفُوٌّ عنه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {23} {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأخْتَيْنِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}.

هذه الآيات الكريمات مشتملات على المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع، والمحرمات بالصهر، والمحرمات بالجمع، وعلى المحللات من النساء. فأما المحرمات في النسب فهن السبع اللاتي ذكرهن الله.

الأم يدخل فيها كل من لها عليك ولادة، وإن بعدت، ويدخل في البنت كل من لك عليها ولادة، والأخوات الشقيقات، أو لأب أو لأم.

والعمة: كل أخت لأبيك أو لجدك وإن علا.

والخالة: كل أخت لأمك، أو جدتك وإن علت وارثة أم لا. وبنات الأخ وبنات الأخت أي: وإن نزلت.

فهؤلاء هن المحرمات من النسب بإجماع العلماء كما هو نص الآية الكريمة وما عداهن فيدخل في قوله: {وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ} وذلك كبنت العمة والعم وبنت الخال والخالة.

وأما المحرمات بالرضاع فقد ذكر الله منهن الأم والأخت. وفي ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها، إنما هو لصاحب اللبن، دل بتنبيهه على أن صاحب اللبن يكون أبا للمرتضع فإذا ثبتت الأبوة والأمومة ثبت ما هو فرع عنهما كإخوتهما وأصولهم وفروعهم.

وقال: النبي - صلى الله عليه وسلم-: "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب" فينتشر التحريم من جهة المرضعة ومن له اللبن كما ينتشر في الأقارب، وفي الطفل المرتضع إلى ذريته فقط. لكن بشرط أن يكون

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (111/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الرضاع خمس رضعات في الحولين كما بينت السنة.

وأما المحرمات بالصهر فهن أربع. حلائل الآباء وإن علوا، وحلائل الأبناء وإن نزلوا، وارثين أو محجوبين. وأمهات الزوجة وإن علون، فهؤلاء الثلاث يحرمن بمجرد العقد.

والرابعة: الربيبة وهي بنت زوجته وإن نزلت، فهذه لا تحرم حتى يدخل بزوجته كما قال هنا {وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} الآية.

وقد قال الجمهور: إن قوله: {اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ} قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن في حجره ولكن للتقييد بذلك فائدتان:

إحداهما: فيه التنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة وأنها كانت بمنزلة البنت فمن المستقبح إباحتها.

والثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة وأنها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن. والله أعلم.

وأما المحرمات بالجمع فقد ذكر الله الجمع بين الأختين وحرمه وحرم النبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، فكل امرأتين بينهما رحم محرم لو قدر إحداهما ذكرًا والأخرى أنثى حرمت عليه فإنه يحرم الجمع بينهما، وذلك لما في ذلك من أسباب التقاطع بين الأرحام.(1)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (23)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {23}، قَوْلُهُ تَعَالَى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ} الْآيَةَ، بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُحَرَّمَاتِ بِسَبَبِ الْوُصْلَةِ، وَجُمْلَةُ الْمُحَرَّمَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَرْبَعَ عَشْرَةَ: سَبْعٌ بِالنَّسَبِ، وَسَبْعٌ بِالسَّبَبِ، فَأَمَّا السَّبْعُ بِالسَّبَبِ فَمِنْهَا اثْنَتَانِ بِالرِّضَاعِ وَأَرْبَعٌ بِالصِّهْرِيَّةِ وَالسَّابِعَةُ الْمُحْصَنَاتُ، وَهُنَّ ذَوَاتُ الْأَزْوَاجِ، وَأَمَّا السَّبْعُ بِالنَّسَبِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ} وهي جمع أم ويدخل فيه الْجَدَّاتُ وَإِنْ عَلَوْنَ مِنْ قِبَلِ الْأُمِّ وَمِنْ قِبَلِ الْأَبِ،

{وَبَنَاتُكُمْ} وهي جمع: البنت، ويدخل فِيهِنَّ بَنَاتُ الْأَوْلَادِ وَإِنْ سَفَلْنَ،

{وَأَخَوَاتُكُمْ} جَمْعُ الْأُخْتِ سَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَبِ وَالْأُمِّ أَوْ من قبل أحدهما،

{وَعَمَّاتُكُمْ} جَمْعُ الْعَمَّةِ، وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ جَمِيعُ أخوات آبائك وأجدادك وإن علوا،

{وَخَالاتُكُمْ} جمع خالة، ويدخل فيهن أَخَوَاتُ أُمَّهَاتِكَ وَجَدَّاتِكَ،

{وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ} وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ بَنَاتُ أَوْلَادِ الْأَخِ والأخت وإن سفلن، جملته: أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ أُصُولُهُ وفصوله وفصول أوله وأول الرَّجُلِ أُصُولُهُ وَفُصُولُهُ وَفُصُولُ أَوَّلِ أُصُوله وَأَوَّلِ فَصْلٍ مِنْ كُلِّ أَصْلٍ بَعْدَهُ، وَالْأُصُولُ هِيَ الْأُمَّهَاتُ وَالْجَدَّاتُ، وَالْفُصُولُ الْبَنَاتُ وَبَنَاتُ الْأَوْلَادِ، وَفُصُولُ أَوَّلِ أُصُوله هِيَ الْأَخَوَاتُ وَبَنَاتُ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ، وَأَوَّلُ فَصْلٍ مِنْ كُلِّ أَصْلٍ بَعْدَهُ هُنَّ الْعَمَّاتُ وَالْخَالَاتُ وَإِنْ عَلَوْنَ، وَأَمَّا الْمُحَرَّمَاتُ بِالرَّضَاعِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ

وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ} {النساء: 23} ، وجملته: أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، وَأَمَّا الْمُحَرَّمَاتُ بِالصِّهْرِيَّةِ فَقَوْلُهُ: {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ} وَجُمْلَتُهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَقَدَ النكاح على امرأة فتحرم عَلَى النَّاكِحِ أُمَّهَاتُ الْمَنْكُوحَةِ وَجَدَّاتُها وَإِنْ عَلَوْنَ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَالنَّسَبِ بِنَفْسِ الْعَقْدِ، {وَرَبَائِبُكُمُ اللاَتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} {النساء: 23} الربائب جَمْعُ: رَبِيبَةٍ، وَهِيَ بِنْتُ الْمَرْأَةِ، سُمِّيَتْ رَبِيبَةً لِتَرْبِيَتِهِ إِيَّاهَا،

وَقَوْلُهُ: (فِي حُجُورِكُمْ) أَيْ: فِي تَرْبِيَتِكُمْ، يُقَالُ: فُلاَنٌ فِي حِجْرِ فُلاَنٍ إِذَا كَانَ فِي تَرْبِيَتِهِ، (دَخَلْتُمْ بِهِنَّ) أَيْ: جَامَعْتُمُوهُنَّ، وَيَحْرُمُ عَلَيْهِ أَيْضًا بَنَاتُ الْمَنْكُوحَةِ وَبَنَاتُ أَوْلَادِهَا، وَإِنْ سَفَلْنَ مِنَ الرَّضَاعِ وَالنَّسَبِ بَعْدَ الدُّخُولِ بِالْمَنْكُوحَةِ، حَتَّى لَوْ فَارَقَ الْمَنْكُوحَةَ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا أَوْ مَاتَتْ جَازَ لَهُ أَنْ يَنْكِحَ بِنْتَهَا، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَنْكِحَ أُمَّهَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطْلَقَ تَحْرِيمَ الْأُمَّهَاتِ وَقَالَ: فِي (تَحْرِيمِ) الرَّبَائِبِ، {فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} {النساء: 23} يَعْنِي: فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ أَوْ مِتْنَ، وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُمُّ الْمَرْأَةِ لَا تُحَرَّمُ إِلَّا بِالدُّخُولِ بِالْبِنْتِ كَالرَّبِيبَةِ،

{وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ} {النساء: 23} يعني: مَا أَزْوَاجُ أَبْنَائِكُمْ، وَاحِدَتُهَا: حَلِيلَةٌ، وَالذَّكَرُ حَلِيلٌ، سُمِّيَا بِذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ واحد منها حَلَالٌ لِصَاحِبِهِ،

يَعْنِي:- سُمِّيَا بِذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحِلُّ حَيْثُ يَحِلُّ صَاحِبُهُ مِنَ الْحُلُولِ وَهُوَ النُّزُولُ،

يَعْنِي:- إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحِلُّ إِزَارَ صَاحِبِهِ مِنَ الْحَلِّ وَهُوَ ضِدُّ الْعَقْلِ، وَجُمْلَتُهُ: أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ حَلَائِلُ أَبْنَائِهِ وَأَبْنَاءِ أَوْلَادِهِ وَإِنْ سَفَلُوا مِنَ الرِّضَاعِ وَالنَّسَبِ، بِنَفْسِ الْعَقْدِ، إنما قَالَ: (مِنْ أَصْلَابِكُمْ) لِيُعْلَمَ أَنَّ حَلِيلَةَ الْمُتَبَنَّى لَا تَحْرُمُ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي تَبَنَّاهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَزَوَّجَ امْرَأَةَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَكَانَ زَيْدٌ قَدْ تَبَنَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالرَّابِعُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ بِالصِّهْرِيَّةِ حَلِيلَةُ الْأَبِ وَالْجَدِّ وَإِنْ عَلَا، فَيَحْرُمُ عَلَى الْوَلَدِ وَوَلَدِ الْوَلَدِ بِنَفْسِ الْعَقْدِ سَوَاءٌ كَانَ الْأَبُ مِنَ الرِّضَاعِ أَوْ مِنَ النَّسَبِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} {النِّسَاءِ: 22} وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ، وَكُلُّ امْرَأَةٍ تَحْرُمُ عَلَيْكَ بِعَقْدِ النِّكَاحِ تَحْرُمُ بِالْوَطْءِ فِي مِلْكِ الْيَمِينِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ} {النساء: 23} لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ فِي النِّكَاحِ سَوَاءٌ كَانَتِ الْأُخُوَّةُ بَيْنَهُمَا بِالنَّسَبِ أَوْ بِالرِّضَاعِ، فَإِذَا نَكَحَ امْرَأَةً ثُمَّ طَلَّقَهَا بَائِنًا جَازَ لَهُ نِكَاحُ أُخْتِهَا، وَكَذَلِكَ لَوْ مَلَكَ أُخْتَيْنِ بِمِلْكِ الْيَمِينِ لَمْ يَجُزْ لَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا فِي الْوَطْءِ، فَإِذَا وَطِئَ إِحْدَاهُمَا لَمْ يَحِلَّ لَهُ وَطْءُ الْأُخْرَى حَتَّى يُحَرِّمَ الْأُولَى عَلَى نَفْسِهِ، وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا {إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} {النِّسَاءِ: 23} يَعْنِي: لَكِنْ مَا مَضَى فَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ،

لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ عَطَاءٌ وَالسُّدِّيُّ: إِلاَ مَا كَانَ مِنْ يَعْقُوبَ عليه السلام فإنه يجمع بَيْنَ لَيَّا أَمِّ يَهُوذا وَرَاحِيلَ أَمِّ يُوسُفَ، وَكَانَتَا أُخْتَيْنِ {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} {النساء: 23}.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثُمَّ بَيَّنَ مَا حرم عَلَيْهِم من النِّسَاء بالتزوج فَقَالَ: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ} من النّسَب {وَبَنَاتُكُمْ} من النّسَب.

{وَأَخَوَاتُكُمْ} من النّسَب من أَي وَجه يكون.

{وَعَمَّاتُكُمْ} أَخَوَات آبائكم.

{وَخَالاَتُكُمْ} أَخَوَات أُمَّهَاتكُم.

{وَبَنَاتُ الْأَخِ} من النّسَب من أَي وَجه يكن.

{وَبَنَاتُ الْأُخْتِ} من النّسَب من أَي وَجه يكن

{وَأُمَّهَاتُكُمُ} وَحرمت عَلَيْكُم أُمَّهَاتكُم أَيْضا .

{اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ} فِي الْحَوْلَيْنِ .

{وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ} اللاَّتِي دَخَلْتُم ببناتهن أَو لم تدخلُوا بِهن سَوَاء حرَام عَلَيْكُم.

{وَرَبَائِبُكُمُ} بَنَات نسائكُم.

{اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ} ربيتم فِي بُيُوتكُم.

{مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} بأمهاتهن.

{فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} بأمهاتهن.

{فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} أَن تتزوجوا بناتهن بعد طَلَاق أمهاتهن.

{وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ} نسَاء أَبْنَائِكُم.

{الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ} وهم ولد فراشكم.

{وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ} بِالنِّكَاحِ حرتين أَو أمتين.

{إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ} سوى مَا قد مضى فِي الْجَاهِلِيَّة.

{إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً} فِيمَا كَانَ مِنْكُم فِي الْجَاهِلِيَّة.

{رَّحِيماً} فِيمَا يكون مِنْكُم فِي الْإِسْلَام إِذا تبتم.(2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- , وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: حَرُمَ مِنْ النَّسَبِ سَبْعٌ , وَمِنْ الصِّهْرِ سَبْعٌ , ثُمَّ قَرَأَ: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ..} الْآيَةَ.(3)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن أن (عائشة) زوج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أخبرتها: أن رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان عندها، وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة، قالت فقلتُ: يا رسول الله، هذا رجل يستأذن في بيتك، فقال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أراه فلاناً " لعمّ حفصة من الرضاعة- قالت عائشة: لو كان فلان حياً -لعمها من

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (23).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (23). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4715).

الرضاعة- دخل عليّ؟ فقال: نعم، الرضاعة تحرّم ما تحرم الولادة)).(1) (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وحدثني حرملة بن يحيى. حدثنا ابن وهب. أخبرني يونس عن ابن شهاب، عن عروة، أن (عائشة) أخبرته، أنه جاء أفلح أخو أبي القعيس يستأذن عليها بعد ما نزل الحجاب. وكان أبو القعيس أبا عائشة من الرضاعة. قالت (عائشة): فقلت: والله! لا آذن لأفلح. حتى استأذن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فإن أبا القعيس ليس هو أرضعني. ولكن أرضعتني امرأته. قالت (عائشة): فلمّا دخل رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قلتُ: يا رسول الله! إن أفلح أخا أبي القعيس جاءني يستأذن عليّ. فكرهتُ أن أذن له حتى استأذنك. قالت: فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ائذني له".

قال: (عروة): فبذلك كانت (عائشة) تقول: حرّموا من الرضاعة ما تحرّمون من النسب.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن الأشعث، عن أبيه، عن (مسروق) عن (عائشة) - رضي الله عنها -: أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دخل عليها وعندَها رجل، فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك، فقالت: إنه أخي، فقال: ((انظُرن ما إخوانكن، فإنما الرضاعة من المَجاعة)).(4)(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن يحيى. قال: قرأتُ على مالك عن عبد الله بن أبي بكر، عن عَمرة، عن (عائشة)، أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يُحرِّمن. ثم نسخن: بخمس معلومات. فتوفي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهُنّ فيما يُقرأ من القرآن.(6)

* * *

وقال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن يحيى وعمرو الناقد وإسحاق بن إبراهيم. كلهم عن المعتمر (واللفظ ليحيى). أخبرنا المعتمر بن سليمان عن أيوب، يُحدّث عن أبي الخليل، عن (عبد الله بن الحارث)، عن (أم الفضل). قالت: دخل أعرابي على نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو في بيتي. فقال: يا نبي الله! إني كانت لي امرأة فتزوجت عليها أخرى. فزعمت امرأتي الأولى أنها أرضعت امرأتي الحدثى رضعة أو رضعتين. فقال: نبي الله -

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (43/9)، (ح 5099) - (كتاب: النكاح)، / باب: (الآية)، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1068/2)، (ح 1444) - (كتاب: الرضاعة)، / باب: (يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1069/2)، (ح 1445) - ((كتاب: الرضاعة) - باب: (تحريم الرضاعة من ماء الفحل).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (50/9)، (ح 5102) - (كتاب: النكاح)، / باب: (من قال: لا رضاع بعد حولين ..).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (ح 1455) - (كتاب: الرضاع)، / باب: (إنما الرضاعة من المجاعة).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1075/2)، (ح 1452) - (كتاب: الرضاع)، باب: (التحريم بخمس رضعات).

صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - : ((لا تحـرم الإملاجـة والإملاجتان)).

قـال: (عمـرو) - في روايتـه: عـن (عبـد الله بن الحارث بن نوفل).(1)

* * *

قولـه تعـالى: (... وأخـواتكم مـن الرضـاعة ...)

قـال: الإِمَـامُ (البخـاري) - (رحمـه الله) - في (صـحيحه) - (بِسَـنده):- حـدثنا محمـد بـن مقاتـل أبـو الحسـن قـال أخبرنـا عبـد الله قـال أخبرنـا عمـر بـن سـعيد بـن أبـي حُسين قـال: حـدثني (عبـد الله بـن أبـي مُليكـة) عـن (عقبـة ابـن الحـارث) أنـه تـزوج ابنـةً لأبـي إهـاب بـن عزيـز فأتتـه امـرأة فقالـت: إنـي قـد أرضـعتُ عقبـة والـتي تـزوّج. فقـال: لهـا عُقبـة: مـا أعلـم أنـك أرضـعتني، ولا أخـبرتني. فركـب إلى رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - بالمدينـة، فسـأله، فقـال: رسـولُ الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - : ((كيف وقد قيل)).

ففارقها عُقبة، ونكحت زوجاً غيره.(2)

* * *

وقـال: الإِمَـامُ (البُخَـاري) و (مُسـلِم) - في (صـحيحهما)، - والإِمَـامُ (ابـن ماجـة) في (سُـننه) - (رحمهـم الله) - (بِسـندهم):- , وَعَـنْ (ابْـن عَبَّـاسٍ) - رضـي الله عنهمـا - قَـالَ: (قيـل لِلنَّبِـيِّ - صـلى الله عليـه وسـلم - : " أَلَا تَتَـزَوَّجُ ابْنَـةَ حَمْـزَةَ) (3) (بْـنِ عَبْـدِ الْمُطَّلِـبِ؟)

(4) (فَقَـالَ: " لَا تَحِـلُّ لِـي , إِنَّهَـا ابْنَـةُ أَخِـي مِـنْ الرَّضَـاعَةِ, وَإِنَّـهُ يَحْـرُمُ مِـنْ الرَّضَـاعَةِ مَـا يَحْـرُمُ مِـنْ النَّسَـبِ ") (5) وفي روايـة: (" يَحْـرُمُ مِـنْ الرَّضَـاعَةِ مَـا يَحْـرُمُ مِـنْ الـرَّحِمِ") (6)

* * *

وقـال: الإِمَـامُ (مالـك) - (رحمـه الله) - في (الموطـأ) - (بسـنده):- , وَعَـنْ (عَمْـرِو بْـنِ الشَّـرِيدِ), أَنَّ (عَبْـدَ الله بْـنَ عَبَّـاسٍ) - رضـي الله عنهمـا - سُـئِلَ عَـنْ رَجُـلٍ كَانَـتْ لَـهُ امْرَأَتَـانِ , فَأَرْضَـعَتْ إِحْـدَاهُمَا غُلَامًـا، وَأَرْضَـعَتْ الْـأُخْرَى جَارِيَـةً، فَقِيـلَ لَـهُ: هَـلْ يَتَـزَوَّجُ الْغُـلَامُ الْجَارِيَـةَ؟ , فَقَالَ: لَا , اللِّقَاحُ وَاحِدٌ . (7)(8)

* * *

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1074/2)، ح (1451) – (كتاب : الرضاع)، / باب : (في المصة والمصتان).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (222/1)، ح (88) – (كتاب : العلم)، / باب :(الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله).

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4812).

وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (14) - (1448).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3304).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (3044).

(4) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1938).

(5) أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (12) - (1447).

وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2502).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3306).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1938).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2490).

(6) أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (12) - (1447).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2633).

(7) اللَّقَاحُ بِالْفَتْحِ: اسْمُ مَاءِ الْفَحْلِ، أَرَادَ أَنَّ مَاءَ الْفَحْلِ الَّذِي حَمَلَتْ مِنْهُ وَاحِدٌ، وَاللَّبَنُ الَّذِي أَرْضَعَتْهُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا كَانَ أَصْلُهُ مَاءَ الْفَحْلِ. تحفة الأحوذي - (ج 3 / ص 227)

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (23)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(8) أخرجه الإِمَامْ (مالك) في (الموطأ) برقم (1258).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1149).

وأخرجه الإِمَامْ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (13942).

وأخرجه الإمامْ (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (17348).

وقال: الإمام (الألباني): (صحيح الإسناد).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (23)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

وقال: الإمام (الترمذي) – (رحمه الله) – في (سُننه) – (بسنده):-, وعَنْ (أُمِّ سَلَمَةَ) – رضي الله عنها – قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – : ((لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ[1] فِي الثَّدْيِ[2] وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ[3]))[4].

* * *

وقال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (المعجم الأوسط):-, وعَنْ (عَلِيٍّ) – رضي الله عنه – عَنْ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: " لَا رَضَاعَ بَعْدَ فِطَامٍ"[5]

* * *

وقال: الإمام (مالك) – (رحمه الله) – في (الموطأ) – (بسنده):- , وعَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – وَأَنَا مَعَهُ عِنْدَ دَارِ الْقَضَاءِ – يَسْأَلُهُ عَنْ رَضَاعَةِ الْكَبِيرِ , فَقَالَ: (عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ): جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: إِنِّي كَانَتْ لِي وَلِيدَةٌ وَكُنْتُ أَطَؤُهَا , فَعَمَدَتْ امْرَأَتِي إِلَيْهَا فَأَرْضَعَتْهَا , فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا , فَقَالَتْ: دُونَكَ , فَقَدْ وَاللهِ أَرْضَعْتُهَا , فَقَالَ عُمَرُ: أَوْجِعْهَا وَأْتِ جَارِيَتَكَ, فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ رَضَاعَةُ الصَّغِيرِ.[6]

* * *

{وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ}[7]

وقال: الإمام (البيهقي) – (رحمه الله) – في (السنن الكبرى) – (بسنده):- , وعَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رضي الله عنهما – أَنَّهُ قَالَ: هِيَ[8] مُبْهَمَةٌ[9] وَكَرِهَهَا.[10]

* * *

وقال: الإمام (البيهقي) – (رحمه الله) – في (السنن الكبرى) – (بسنده):- , وعَنِ (الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ) فِي قَوْلِ اللهِ – عز وجل – : {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ} قَالَ: مَا أَرْسَلَ اللهُ فَأَرْسِلُوهُ، وَمَا بَيَّنَ فَاتَّبِعُوهُ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ , وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ

---

(1) أيْ: الَّذِي شَقَّ أَمْعَاءَ الصَّبِيِّ , كَالطَّعَامِ، وَوَقَعَ مِنْهُ مَوْقِعَ الْغِذَاءِ, وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِي أَوَانِ الرَّضَاعِ. (تحفة الأحوذي) – (ج 3 / ص 231).

(2) قَالَ: الإمام (الشَّوْكَانِيُّ): قَوْلُهُ (فِي الثَّدْيِ) أَيْ: فِي زَمَنِ الثَّدْيِ , وَهُوَ لُغَةٌ مَعْرُوفَةٌ , فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: مَاتَ فُلَانٌ فِي الثَّدْيِ , أَيْ: فِي زَمَنِ الرَّضَاعِ قَبْلَ الْفِطَامِ , كَمَا وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ. تحفة الأحوذي – (ج 3 / ص 231).

(3) أَيْ: زَمَنَ الْفِطَامِ الشَّرْعِيِّ. (تحفة الأحوذي) – (ج 3 / ص 231)

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)– سورة (النساء)آية (23)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(4) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1152).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1946).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (5466).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4224) .
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (15412) .
و(صححه) (الإمام) (الألباني) في (الإرواء) :(2150).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)– سورة (النساء)آية (23)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(5) أخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (6564).
وأخرجه الإِمَامْ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (13897).
وأخرجه الإِمَامْ (البغوي) في (شرح السنة) برقم (2350).
و(صححه) (الإمام) (الألباني) في (هداية الرواة) برقم (3217).

(6) أخرجه الإِمَامْ (مالك) في (الموطأ) برقم (1266).
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (شعب الإيمان) برقم (15437).

(7) {النساء/23}.

(8) أيْ: قولُ الله – عز وجل – : {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ} {النساء/23}.

(9) مُبهمة: غامضة , غير واضحة.

(10) أخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (13686).
و (صححه) (الإمام) (الألباني) في (الإرواء) حديث: (1878).

بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}(1) قَالَ: فَأَرْسَلَ هَذِهِ هَذِهِ، وَبَيَّنَ هَذِهِ.(2)

* * *

قوله تعالى: (وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن)

قال: الإمامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا هشام عن أبيه عن (زينب) عن (أم حبيبة) قالت: قلت: يا رسول الله هل لك في بنت أبي سفيان؟، قال: " فأفعل ماذا"؟. قلت: تنْكحُ. قال: " أتحبين"؟، قلت: لستُ لك بمخلية، وأحب من شركتي فيك أختي. قال: "إنها لا تحل لي"، قلت: بلغني أنك تخطب. قال: "ابنة أم سلمة"؟ قلت: نعم. قال: "لو لم تكن ربيبتي ما حلت لي، أرضعتني وإياها ثويبة، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن". قال: الليث حدثنا هشام (درة بنت أم سلمة)(3)(4).

* * *

وقال: الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (المصنف) - (بسنده):-، عَنْ (مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ النَّصْرِيِّ) قَالَ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ قَدْ وَلَدَتْ لِي، فَتُوُفِّيَتْ، فَوَجَدْتُ عَلَيْهَا(5) فَلَقِيتُ (عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ) - رضي الله عنه - فَقَالَ: مَا لَكَ؟، فَقُلْتُ: تُوُفِّيَتِ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ: أَلَهَا ابْنَةٌ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَتْ فِي حِجْرِكَ؟، قُلْتُ: لاَ هِيَ فِي الطَّائِفِ، قَالَ: فَانْكِحْهَا، قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ قَوْلُهُ {وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ}(6)؟ قَالَ: قَالَ: إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِي حَجْرِكَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِذَا كَانَتْ فِي حَجْرِكَ.(7)

* * *

قوله تعالى: (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن).

قال: الإمامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس) قال: الدخول: النكاح.

وبه عن (ابن عباس) قوله تعالى: (فلا جناح عليكم) قال: فلا حرج.(8)

* * *

قوله تعالى: (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) والآية

قال: الشيخ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره)= (أضواء البيان): يفهم منه أن حليلة دعيه الذي تبناه لا تحرم عليه، وهذا المفهوم صرح به تعالى في قوله: (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا)

---

(1) {النساء: 23}.
(2) أخرجه الإمَامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (13687).
و (صححه) (الإمام الألباني) في (الإرواء) حديث: (1878).
(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (158/9)، (ح 5106) – (كتاب: النكاح)، / باب: (الآية).
(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1072/2) - (كتاب: الرضاع)، / باب: (تحريم الربيبة وأخت المرأة).
(5) أيْ: حزنت عليها.
(6) {النساء: 23}.
(7) أخرجه الإمَامُ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (10834).
و صححه الإمام (الألباني) في (الإرواء): (1880).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (النساء) آية (23)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).
(8) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (23).

وقولـه: (وما جعل أدعيائكم أبنائكم ذلكم قولكم بأفواهكم)

وقوله: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) الآية.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها)).(2)(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (مالك) - (رحمه الله) - في (الموطأ) - (بسنده):- عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب، أن رجلا سأل (عثمان بن عفان) عن الأختين من ملك اليمين، هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلتهما آية وحرمتهما آية. فأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك. قال: فخرج من عنده، فلقي رجلا من أصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فسأله عن ذلك؟ فقال: "لو كان لي من الأمر شيء، ثم وجدت أحدا فعل ذلك، لجعلته نكالا. قال: ابن شهاب: أراه علي بن أبي طالب.(4)

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (23).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (64/9)، (ح 5109) – (كتاب : النكاح)، / باب: (لاتنكح المرأة على عمتها)،

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1028/2)، (ح 33) – (كتاب : النكاح)، / باب: (تحريم الجمع في المرأة وعمتها والمرأة وخالتها).

(4) أخرجه الإِمَامْ (مالك) في (الموطأ) برقم (538/2)، (ح 33) – ((كتاب : النكاح)، / باب: (ما جاء في كراهية إصابة الأختين بملك اليمين والمرأة وابنتها). (ورجاله ثقات وسنده صحيح).

* * *

قوله تعالى: (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف)

قال: الإِمَامْ (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة، عن أبي وهب الجيشاني، حدثه أنه سمع (الضحاك) بن (فيروز الديلمي) يحدث عن أبيه، قال: أتيتُ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقلتُ: يا رسول الله! إني أسلمت وتحتي أختان. قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لي: ((طلق أيتهما شئت)).(5)

* * *

{وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ}.(6)

وقال: الإِمَامْ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- ، عَنْ (فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: (قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَعِنْدِي أُخْتَانِ

---

(5) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (627/1)، (ح 1951) – (كتاب : النكاح)، / باب: (الرجل يسلم وعنده أختان) . وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (232/4) - عن (يحيى بن إسحاق عن ابن لهيعة) به.

قال: الإمام (الألباني): (حسن) في (صحيح ابن ماجة) برقم (ح 1587) .

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (427/3)، (ح 2911) - عن (قتيبه عن ابن لهيعة)، لكن لفظه: ((أختر أيتهما شئت)).

وقد (توبع ابن لهيعة) في اللفظ الأول،

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 1950) - من طريق – (إسحاق بن أبي فروة عن أبي وهب به). وتوبع في اللفظ الثاني،

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (ح 1130) - من طريق – (يزيد بن أبي حبيب عن أبي وهب)، وقال: (حديث حسن).

وقال: الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني): (صححه) الإمام (ابن حبان)، و الإمام (الدارقطني)، و الإمام (البيهقي) (بيلوغ المرام مع سبل السلام) برقم (279/3)،

و(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (ح 902).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 27)،

(6) {النساء: 23}.

تَزَوَّجْتُهُمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ) (1) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَسْلَمْتُ وَتَحْتِي أُخْتَانِ ، فَقَالَ (2) رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –:) (3)
(" إِذَا رَجَعْتَ فَطَلِّقْ إِحْدَاهُمَا ").

* * *

وقال: الإِمَامُ (مالك) – (رحمه الله) – في (الموطأ – بسنده):- ، وعَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ (عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ) – رضي الله عنه – عَنْ الْأُخْتَيْنِ مِنْ مِلْكِ الْيَمِينِ ، هَلْ يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا؟ ، فَقَالَ عُثْمَانُ: أَحَلَّتْهُمَا آيَةٌ (4) وَحَرَّمَتْهُمَا آيَةٌ (5) فَأَمَّا أَنَا فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَصْنَعَ ذَلِكَ ، قَالَ: فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ لِي مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، ثُمَّ وَجَدْتُ أَحَدًا فَعَلَ ذَلِكَ ، لَجَعَلْتُهُ نَكَالًا ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أُرَاهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ – رضي الله عنه –. (6)

* * *

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ..... كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (23)} هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ هِيَ آيَةُ تَحْرِيمِ الْمَحَارِمِ مِنَ النَّسَبِ، وَمَا يَتْبَعُهُ مِنَ الرَّضَاعِ وَالْمَحَارِمِ بِالصِّهْرِ.

كَمَا قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ حَبِيبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حُرمت عَلَيْكُمْ سَبْعٌ نَسَبًا، وَسَبْعٌ صِهْرًا، وَقَرَأَ: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ} الْآيَةَ.

وَحَدَّثَنَا (أَبُو سَعِيدِ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ)، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ عَنْ عُمَيْرٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ سَبْعٌ وَمِنَ الصِّهْرِ سَبْعٌ، ثُمَّ قَرَأَ: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأخِ وَبَنَاتُ الأخْتِ} فَهُنَّ النَّسَبُ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى تَحْرِيمِ الْمَخْلُوقَةِ مِنْ مَاءِ الزَّانِي عَلَيْهِ بِعُمُومِ قَوْلِهِ

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (1950).

(2) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (1129).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2243).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1951).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (18069).

(3) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (1950).
وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (17181).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2243).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1951).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (18070).

(4) يُرِيدُ بِآيَةِ التَّحْلِيلِ قَوْلَهُ تَعَالَى: {إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ عَمَّ ، وَلَمْ يَخُصَّ أُخْتَيْنِ مِنْ غَيْرِهِمَا . المنتقى شرح الموطا (ج3ص211).

(5) يُرِيدُ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} يُرِيدُ أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي تَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ، وَلَمْ يَخُصَّ مِلْكَ يَمِينٍ وَلَا غَيْرَهُ ، فَاتَّفَقَ فِيهِمَا أَهْلُ الْأَمْصَارِ عَلَى الْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنْ الصَّحَابَةِ – رضي الله عنهم – وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ عُمُومُ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي آيَةِ التَّحْرِيمِ ، فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي الْمِلْكِ ، وَخَاصَّةٌ فِي الْأُخْتَيْنِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} عَامَّةٌ فِي الْأُخْتَيْنِ وَغَيْرِهِمَا ، خَاصَّةٌ فِي مِلْكِ الْيَمِينِ ، فَكِلَا الْآيَتَيْنِ خَاصَّةٌ مِنْ وَجْهٍ، عَامَّةٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، إِلَّا أَنَّ آيَةَ مِلْكِ الْيَمِينِ قَدْ دَخَلَهَا التَّخْصِيصُ بِإِجْمَاعٍ ، وَهِيَ فِي الْعَمَّةِ ، وَالْخَالَةِ ، وَالْأُمِّ مِنْ الرَّضَاعَةِ ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ وَطْؤُهُنَّ بِمِلْكِ الْيَمِينِ ، وَآيَةُ التَّحْرِيمِ لَمْ يَدْخُلْهَا تَخْصِيصٌ ، فَوَجَبَ حَمْلُهَا عَلَى عُمُومِهَا ، وَتَخْصِيصُ الْأُخْرَى بِهَا أَوْلَى وَأَحْرَى. المنتقى – شرح الموطا – (ج 3 / ص 211).
وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (23)،للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(6) أخرجه الإِمَامُ (مالك) في (الموطأ) برقم (1122).
وأخرجه الإِمَامُ (الدارقطني) في (السنن) برقم (ج3ص281-ح135). – و(الشافعي) (288).
وأخرجه الإِمَامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (13708).

تَعَالَى: {وَبَنَاتُكُمْ} " فَإِنَّهَا بِنْتٌ فَتَدْخُلُ فِي الْعُمُومِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الإمام (أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِك، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ). وَقَدْ حُكِيَ عَنِ الإمام (الشَّافِعِي) شَيْءٌ فِي إِبَاحَتِهَا" لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِنْتًا شَرْعِيَّةً، فَكَمَا لَمْ تَدْخُلْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ} فَإِنَّهَا لاَ تَرِثُ بِالْإِجْمَاعِ، فَكَذَلِكَ لاَ تَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: {وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ} أَيْ كَمَا تَحْرُمُ عَلَيْكَ أُمُّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، كَذَلِكَ يَحْرُمُ عَلَيْكَ أُمُّكَ الَّتِي أَرْضَعَتْكَ" وَلِهَذَا رَوَى الإمام (الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ) فِي (الصَّحِيحَيْنِ) - مِنْ حَدِيثِ- مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ (عَائِشَةَ) أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ))، (1)

وَفِي لَفْظ للإمام (مُسْلِمٍ): ((يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ)).

وَقَدْ قَالَ: بَعْضُ الْفُقَهَاءِ: كَمَا يَحْرُمُ بِالنَّسَبِ يَحْرُمُ بِالرَّضَاعِ إلاَ في أَرْبَع صُوَرٍ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سِتِّ صُوَرٍ، هِيَ مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ الْفُرُوعِ. وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ لاَ يُسْتَثْنَى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ" لِأَنَّهُ يُوجَدُ مِثْلُ بَعْضِهَا فِي النَّسَبِ، وَبَعْضُهَا إِنَّمَا يَحْرُمُ مِنْ جِهَةِ الصِّهْرِ. فَلاَ يَرِدُ عَلَى الْحَدِيثِ شَيْءٌ أَصْلًا الْبَتَّةَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

ثُمَّ اخْتَلَفَ الْأَئِمَّةُ فِي عَدَدِ الرَّضَعَاتِ الْمُحَرِّمَةِ، فَذَهَبَ ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّهُ يُحَرِّمُ مُجَرَّدُ الرَّضَاعِ لِعُمُومِ هَذِهِ الْآيَةِ. وَهَذَا قَوْلُ: الإمام (مَالِك)، وَيُحْكَى عَنِ (ابْنِ عُمَرَ)، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ)، و(عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ)، و(الزُّهْرِي).

وَقَالَ آخَرُونَ: لاَ يُحَرِّمُ أَقَلُّ مِنْ ثَلاَثِ رَضَعَاتٍ لِمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الإمام (مُسْلِمٍ)، -مِنْ طَرِيقِ- هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (عَائِشَةَ)" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "لاَ تُحَرِّمُ المصة وَالْمَصَّتَانِ"(2) .

وَقَالَ: (قَتَادَةُ)، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ (أُمِّ الْفَضْلِ) قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-: "لاَ تُحرم الرَّضْعَةَ وَلاَ الرَّضْعَتَانِ، والمصَّة وَلاَ الْمَصَّتَانِ"،

وَفِي لَفْظ آخَرَ: "لاَ تُحَرِّمُ الإِمْلاَجَةُ وَلاَ الْإِمْلاَجَتَانِ" رَوَاهُ الإمام (مُسْلمٌ) (3) .

وممَّن ذَهَبَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ)، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ، وَأَبُو عُبَيْدٍ، وَأَبُو ثَوْرٍ. وَيُحْكَى عَنْ عَلِيٍّ، وَعَائِشَةَ، وَأُمِّ الْفَضْلِ، وَابْنِ الزُّبَيْرِ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، وَسَعِيد بْنِ جُبَيْرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

---

(1) (متفق عليه) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2646). -((كتاب : الشهادات) ، - و أيضا :برقم (3501).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1444)- ((كتاب : الرضاع).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1450)- ((كتاب : الرضاغ)، لكنه- من طريق -(ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزبير عن عائشة).
وقد رواه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) - مِنْ طَرِيقِ -(هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ (عَائِشَةَ) و(ابن الزبير) برقم (5458).

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1451)- ((كتاب : الرضاغ).

وَقَــالَ آخَــرُونَ: لاَ يُحَــرِّمُ أَقَــلُّ مِــنْ خَمْــس رَضَـعَات، لِمَـا ثَبَـتَ فِـي صَحِيح الإِمَـام (مُسْـلِم) -مِـنْ طَرِيـق - الإِمَـام (مَالِـك)، عَـنْ عَبْـد اللَّـه بْـن أَبِـي بَكْـر، عَـنْ عَمْـرة عَـنْ (عَائِشَـة)، رَضِي اللَّـهُ عَنْهَـا، قَالَـتْ: كَـانَ فِيمَـا أَنْـزَلَ اللَّـهُ مِـنَ الْقُـرْآن: عَشْـرُ رَضَـعَات مَعْلُومَـات يُحَـرِّمْنَ. ثُـمَّ نُسِـخْنَ بِخَمْـس مَعْلُومَـات، فَتُـوُفِّيَ رَسُـولُ اللَّـه -صَـلَّى لِلَّـهِ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- وَهُـنَّ فِيمَـا يُقْـرَأُ مِـنَ الْقُرْآن.

وروى الإِمَـام (عَبْـدُ الـرَّزَّاق)، عَـنْ مَعْمَـر، عَـن الزُّهْـرِي، عَـنْ عُـرْوَة، عَـنْ (عَائِشَـة) نَحْـوَ ذَلِـك (1).

وَفِـي حَـدِيث (سَـهْلة بِنْـت سُـهَيْل): أَنَّ رَسُـولَ اللَّـه -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- أَمَرَهَـا أَنْ تُرضِـع مَـوْلَى (أَبِـي حُذَيْفَـة) خَمْـسَ رَضَـعَات (2) وَكَانَـتْ (عَائِشَـة) تَـأْمُرُ مَـنْ يُرِيـدُ أَنْ يَـدْخُل عَلَيْهَـا أَنْ يُرْضَع خَمْسَ رَضَعَات.

وَبِهَـذَا قَـالَ: (الشَّـافِعيُّ)، -رَحِمَـهُ اللَّـهُ تَعَـالَى- وَأَصْـحَابُهُ. ثُـمَّ لِـيُعْلَم أَنَّـهُ لاَ بُـدَّ أَنْ تَكُـونَ الرَّضَـاعَةُ فِـي سِـنِّ الصِّـغَر دُونَ الْحَـوْلَيْن عَلَـى قَوْل الْجُمْهُور.

وَكَمَـا قَـدَّمْنَا الْكَـلاَمَ عَلَـى هَـذه الْمَسْـأَلَة فِـي سُـورَة (الْبَقَـرَة)، عِنْـدَ قَوْلِـه: {يُرْضِـعْنَ أَوْلادَهُـنَّ حَـوْلَيْنِ كَـامِلَيْنِ لِمَـنْ أَرَادَ أَنْ يُـتِمَّ الرَّضَاعَةَ} {الآيَة: 233}.

وَاخْتَلَفُـوا: هَـلْ يُحَـرِّمُ لَـبَنُ الفَحْـل، كَمَـا هُـوَ قَـوْلُ جُمْهُـور الْأَئِمَّـة الْأَرْبَعَـة وَغَيْـرهم؟ وَإِنَّمَـا يَخْـتَصُّ الرَّضَـاعُ بِالْـأُمِّ فَقَـط، وَلاَ يَنْتَشِـرُ إِلَـى نَاحِيَـة الْـأَب كَمَـا هُـوَ لِـبَعْض السَّـلَف؟ عَلَـى قَـوْلَيْن، تَحْرِيـرُ هَـذَا كُلِّـه فِـي كِتَـاب "الْأَحْكَـامُ الْكَـبِيرُ".

وَقَوْلُـهُ: {وَأُمَّهَـاتُ نِسَـائِكُمْ وَرَبَـائِبُكُمُ اللاتِـي فِـي حُجُـورِكُمْ مِـنْ نِسَـائِكُمُ اللاتِـي دَخَلْـتُمْ بِهِـنَّ فَـإِنْ لَـمْ تَكُونُـوا دَخَلْـتُمْ بِهِـنَّ فَـلا جُنَـاحَ عَلَـيْكُمْ} أَمَّـا أَمُّ الْمَـرْأَة فَإِنَّهَـا تَحْـرُمُ بِمُجَـرَّد الْعَقْـد عَلَـى ابْنَتِهَـا، سَـوَاءٌ دَخَـلَ بِهَـا أَوْ لَـمْ يَـدْخُلْ. وَأَمَّـا الرَّبِيبَـةُ وَهِـيَ بِنْـتُ الْمَـرْأَة فَـلاَ تَحْـرُمُ بِمُجَـرَّد الْعَقْـد عَلَـى أُمِّهَـا حَتَّـى يَـدْخُلَ بِهَـا، فَـإِنْ طَلَّـقَ الْـأُمَّ قَبْـلَ الـدُّخُولِ بِهَـا جَـازَ لَـهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِنْتَها،

وَلِهَـذَا قَـالَ: {وَرَبَـائِبُكُمُ اللاتِـي فِـي حُجُـورِكُمْ مِـنْ نِسَـائِكُمُ اللاتِـي دَخَلْـتُمْ بِهِـنَّ فَـإِنْ لَـمْ تَكُونُـوا دَخَلْـتُمْ بِهِـنَّ فَـلا جُنَـاحَ عَلَـيْكُمْ} أَيْ فِـي تَزْوِيجِهِنَّ، فَهَذَا خَاصٌّ بِالرَّبَائِب وَحْدَهُنَّ.

وَقَـدْ فَهِـمَ بعضُـهم عَـوْدَ الضَّـمِيرِ إِلَـى الْأُمَّهَـات وَالرَّبَـائِب فَقَـال: لاَ تَحْـرُمُ وَاحِـدَةٌ مِـنَ الأم ولا الْبِنْـت بِمُجَـرَّد الْعَقْـد عَلَـى الْـأُخْرَى حَتَّـى يَـدْخُلَ بِهَـا" لِقَوْلِـه: {فَـإِنْ لَـمْ تَكُونُـوا دَخَلْـتُمْ بِهِـنَّ فَـلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}

وَقَـالَ: الإِمَـام (ابْـنُ جَرِيـر): حَـدَّثَنَا ابْـنُ بَشَّـار، حَـدَّثَنَا ابْـنُ أَبِـي عَـدِيٍّ وَعَبْـدُ الْـأَعْلَى، عَـنْ سَـعِيد عَـنْ (قَتَـادَة)، عَـنْ خِـلاس بْـن عَمْـرو، عَـنْ (عَلِـيٍّ)، -رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، فِـي رَجُـل تَـزَوَّجَ امْـرَأَةً فَطَلَّقَهَـا قَبْـلَ أَنْ يَـدْخُلَ بِهَـا، أَيَتَـزَوَّجُ أُمَّهَا؟ قَالَ: هِيَ بِمَنْزِلَة الرَّبِيبَة.

---

(1) (صَـحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (مُسْـلِمْ) في (صـحيحه) بـرقم (1452) - ((كتاب: الرضاع)).

(2) وانظر: قصتها في (المسند) برقم (201/6).

انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (النسـاء) الآيـة (23)، لِلإِمَـامْ (ابـن كثير).

وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ)، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: إِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا فَلَا بَأْسَ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّهَا.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ" أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِذَا مَاتَتْ عِنْدَهُ وَأَخَذَ مِيرَاثَهَا كُرِهَ أَنْ يَخْلُفَ عَلَى أُمِّهَا، فَإِذَا طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا فَإِنْ شَاءَ فَعَلَ.

وَقَالَ: (ابْنُ الْمُنْذِرِ): حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ حَفْصٍ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عُوَيْمِرٍ الْأَجْدَعِ أَنَّ بَكْرَ بْنَ كِنَانَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ أَنْكَحَهُ امْرَأَةً بِالطَّائِفِ قَالَ: فَلَمْ أُجَامِعْهَا حَتَّى تُوُفِّيَ عَمِّي عَنْ أُمِّهَا، وَأُمُّهَا ذَاتُ مَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ أَبِي: هَلْ لَكَ فِي أُمِّهَا؟ قَالَ: فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: انْكِحْ أُمَّهَا. قَالَ: فَسَأَلْتُ (ابْنَ عُمَرَ) فَقَالَ: لَا تَنْكِحْهَا. فَأَخْبَرْتُ أَبِي مَا قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَمَا قَالَ: (ابْنُ عُمَرَ)، فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَخْبَرَهُ فِي كِتَابِهِ بِمَا قَالَ: (ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ) فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ: إِنِّي لَا أُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَلَا أُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَأَنْتَ وَذَاكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ. فَلَمْ يَنْهَ وَلَمْ يَأْذَنْ لِي، فَانْصَرَفَ أَبِي عَنْ أُمِّهَا فَلَمْ يَنْكِحْهَا.

وَقَالَ:الإِمَامُ (عَبْدُ الرَّزَّاقِ): أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: الرَّبِيبَةُ وَالْأُمُّ سَوَاءٌ، لَا بَأْسَ بِهَا إِذَا لَمْ يَدْخُلْ بِالْمَرْأَةِ. وَفِي إِسْنَادِهِ رَجُلٌ مُبْهَمٌ لَمْ يُسَمَّ. (1)

وَقَالَ: ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عِكْرِمَةُ بْنُ خَالِدٍ أَنَّ مُجَاهِدًا قَالَ لَهُ: {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ} أَرَادَ بِهِمَا الدُّخُولَ جَمِيعًا فَهَذَا الْقَوْلُ مَرْوِيٌّ كَمَا تَرَى عَنْ (عَلِيٍّ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَمُجَاهِدٍ، وَابْنِ جُبَيْرٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ)،

وَقَدْ تَوَقَّفَ فِيهِ مُعَاوِيَةُ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّابُونِيِّ، فِيمَا نَقَلَهُ الرَّافِعِيُّ عَنِ الْعَبَّادِيِّ.

وَقَدْ خَالَفَهُ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، فَرَأَوْا أَنَّ الرَّبِيبَةَ لَا تَحْرُمُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْدِ عَلَى الْأُمِّ، وَأَنَّهَا لَا تَحْرُمُ إِلَّا بِالدُّخُولِ بِالْأُمِّ، بِخِلَافِ الْأُمِّ فَإِنَّهَا تَحْرُمُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْدِ عَلَى الرَّبِيبَةِ.

قَالَ:الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ بْنِ عَزْرَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ): أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَةً قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا أَوْ مَاتَتْ لَمْ تَحِلَّ لَهُ أُمُّهَا، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّهَا مُبْهَمَةٌ، فَكَرِهَهَا.

ثُمَّ قَالَ: وَرُوِيَ عَنْ (ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَمَسْرُوقٍ، وَطَاوُسٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَعَطَاءٍ، وَالْحَسَنِ، وَمَكْحُولٍ، وَابْنِ سِيرِينَ، وَقَتَادَةَ، وَالزُّهْرِيِّ) نَحْوُ ذَلِكَ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (23)، للإمام (ابن كثير).

وَهَذَا مَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَالْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ، وَجُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.(1)

وَأَمَّا قَوْلُهُ: {وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ} فَجُمْهُورُ الْأَئِمَّةِ عَلَى أَنَّ الرَّبِيبَةَ حَرَامٌ سَوَاءٌ كَانَتْ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ أَوْ لَمْ تَكُنْ فِي حِجْرِه، قَالُوا: وَهَذَا الْخِطَابُ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ، فَلَا مَفْهُومَ لَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} {النُّور: 33}.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ -وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: عَزَّةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ- قَالَ: "أَوَ تُحِبِّينَ ذَلِكِ؟" قَالَتْ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي. قَالَ: "فَإِنَّ ذَلِكِ لا يَحِلُّ لِي". قَالَتْ: فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ. قَالَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ؟ " قَالَتْ : نَعَمْ. قَالَ: إِنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لَبِنْتُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ فَلَا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلا أَخَوَاتِكُنَّ".

وَفِي رِوَايَةٍ لِلإِمَامِ (الْبُخَارِيِّ): "إِنِّي لَوْ لَمْ أَتَزَوَّجْ أُمَّ سَلَمَةَ مَا حَلَّتْ لِي".(2)

فَجَعَلَ الْمَنَاطَ فِي التَّحْرِيمِ مُجَرَّدَ تَزْوِيجِهِ أُمَّ سَلَمَةَ وَحَكَمَ بِالتَّحْرِيمِ لِذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَالْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ وَجُمْهُورِ الْخَلَفِ وَالسَّلَفِ. وَقَدْ قِيلَ بِأَنَّهُ لَا تَحْرُمُ الرَّبِيبَةُ إلا إذا كَانَتْ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا تَحرُمُ.

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَنْبَأَنَا هِشَامٌ -يَعْنِي ابْنَ يُوسُفَ- عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ، أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ قَالَ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ فَتُوُفِّيَتْ، وَقَدْ وَلَدَتْ لِي، فوجِدْتُ عَلَيْهَا، فَلَقِيَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: مَالَكَ؟ فَقُلْتُ: تُوُفِّيَتِ الْمَرْأَةُ. فَقَالَ: عَلِيٌّ: لَهَا ابْنَةٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَهِيَ بِالطَّائِفِ. قَالَ: كَانَتْ فِي حِجْرِكَ؟ قُلْتُ: لَا هِيَ بِالطَّائِفِ قَالَ: فَانْكِحْهَا. قُلْتُ: فَأَيْنَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ} قَالَ: إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ فِي حِجْرِكَ، إِنَّمَا ذَلِكَ إِذَا كَانَتْ فِي حِجْرِكَ.

هَذَا (إِسْنَادٌ قَوِيٌّ ثَابِتٌ) إِلَى (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)، عَلَى شَرْطِ الإمام (مُسْلِمٍ)، وَهُوَ قَوْلٌ غَرِيبٌ جِدًّا، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ الظَّاهِرِيُّ وَأَصْحَابُهُ.

وَحَكَاهُ (أَبُو الْقَاسِمِ الرَّافِعِيُّ عَنْ مَالِكٍ) - (رَحِمَهُ اللَّهُ)، وَاخْتَارَهُ الإمام (ابْنُ حَزْمٍ)، وَحَكَى لِي شَيْخُنَا الْحَافِظُ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الذَّهَبِيُّ) أَنَّهُ عَرَضَ هَذَا عَلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ (تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَةَ) - (رَحِمَهُ اللَّهُ)، فَاسْتَشْكَلَهُ، وَتَوَقَّفَ فِي ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (3).

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (23)، للإمام (ابن كثير).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (5101) -(كتاب: النكاح).
وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (1449) -(كتاب: الرضاع).

(3) انظر: (بدائع الفوائد) برقم (53/1).

وَقَالَ: (ابْنُ الْمُنْذِرِ): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا الْأَثْرَمُ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَوْلُهُ: {اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ} قَالَ: فِي بُيُوتِكُمْ. (1)

وَقَالَ: (سُنَيد بْنُ دَاوُدَ) فِي (تفسيره):- حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَص، عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَن عَنْ قَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ: لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَيَقَعُ الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَةٍ وَابْنَتِهَا مَمْلُوكَيْنِ لَهُ؟ فَقَالَ: أَحَلَّتْهُمَا آيَةٌ وَحَرَّمَتْهُمَا آيَةٌ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلَهُ.

قَالَ: الشَّيْخُ (أَبُو عُمَر بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ) - (رحمه الله):- لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَطَأَ امْرَأَةً وَابْنَتَهَا مِنْ مِلْكِ الْيَمِين، لِأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ذَلِكَ فِي النِّكَاحِ، قَالَ: {وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ} وَمِلْكُ الْيَمِينِ هُمْ تَبَعٌ لِلنِّكَاحِ، إِلَّا مَا رُوِيَ عَنْ (عُمَر) وَ (ابْنِ عَبَّاس)، وَلَيْسَ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْفَتْوَى وَلَا مَنْ تَبِعَهُمْ. وَرَوَى هِشَامٌ عَنْ (قَتَادَةَ): بِنْتُ الرَّبِيبَةِ وَبِنْتُ ابْنَتِهَا لَا تَصْلُحُ وَإِنْ كَانَتْ أَسْفَلَ بِبُطُونٍ كَثِيرَةٍ. وَكَذَا قَالَ: (قَتَادَةُ) عَنْ (أَبِي الْعَالِيَةِ).

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} أَيْ: نَكَحْتُمُوهُنَّ. قَالَهُ (ابْنُ عَبَّاس) وَغَيْرُ وَاحِد.

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْج) عَنْ (عَطَاء): هُوَ أَنْ تُهْدَى إِلَيْهِ فَيَكْشِفُ وَيُفَتِّشُ وَيَجْلِسُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا. قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي بَيْتِ أَهْلِهَا. قَالَ: هُوَ سَوَاءٌ، وحسبه قد حرم ذلك عليه ابنتها. (2)

وَقَالَ:الإمام (ابْنُ جرير): وَفِي إِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَى أَنَّ خَلْوَةَ الرَّجُلِ بِامْرَأَتِهِ لَا يُحرم ابْنَتَهَا عَلَيْهِ إِذَا طَلَّقَهَا قَبْلَ مَسِيسِهَا وَمُبَاشَرتها أَوْ قَبْلَ النَّظَرِ إِلَى فَرْجِهَا بِشَهْوَةٍ، مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ هُوَ الْوُصُولُ إِلَيْهَا بِالْجِمَاعِ.

وَقَوْلُهُ: {وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ} أَيْ: وحُرمت عَلَيْكُمْ زَوْجَاتُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ وَلَدْتُمُوهُمْ مِنْ أَصْلَابِكُمْ، يُحْتَرَزُ بِذَلِكَ عَنِ الْأَدْعِيَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَبَنَّونهم فِي الجَاهِلِيَّة، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} الْآيَةَ {الْأَحْزَاب: 37}.

وَقَالَ:الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدِّمِيُّ، حَدَّثَنَا الْجُرَحُ بْنُ الْحَارِث، عَنِ الْأَشْعَث، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مُبْهَمَاتٌ: {وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ} {أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ} ثُمَّ قَالَ: وَرُوِيَ عَنْ طَاوُسٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَالزُّهْرِيِّ وَمَكْحُول نَحْوُ ذَلِكَ.

قُلْتُ: مَعْنَى مُبْهَمَاتٌ: أَيْ عَامَّةٌ فِي الْمَدْخُولِ بِهَا وَغَيْرِ الْمَدْخُولِ، فَتَحْرُمُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْدِ عَلَيْهَا، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَإِنْ قِيلَ: فَمِنْ أَيْنَ تَحْرُمُ امْرَأَةُ ابْنِه منَ الرَّضَاعَة،

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (23)، للإمام (ابن كثير).

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (23)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (23)، للإمام (ابن كثير).

كَمَا هُوَ قَوْلُ الْجُمْهُور، وَمِنَ النَّاس مَن يَحْكِيه إِجْمَاعًا وَلَيْسَ مِنْ صُلْبِه؟ فَالْجَوَاب مِنْ قَوْلِه: - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: ((يَحْرُم مِنَ الرَّضَاع مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَب)). (1)

وَقَوْلُهُ: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأخْتَيْنِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} أَيْ: وَحَرَّمَ عَلَيْكُم الْجَمْعُ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ مَعًا فِي التَّزْوِيج، وَكَذَا فِي مِلْك الْيَمِين إِلا مَا كَانَ مِنْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ فَقَدْ عَفَوْنَا عَنْ ذَلِك وَغَفَرْنَاه. فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لا مَثْنَوِيَّةَ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ وَلاَ اسْتِثْنَاءَ فِيمَا سَلَف، كَمَا قَالَ: {لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأولَى} [الدُّخَان:56] فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوتَ أَبَدًا. وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِين وَالْأَئِمَّة قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَلَى أَنَّهُ يَحْرُمُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ فِي النِّكَاح، وَمَنْ أَسْلَمَ وَتَحْتَهُ أُخْتَان خُيِّر، فَيُمْسِكُ إِحْدَاهُمَا وَيُطَلِّقُ الْأُخْرَى لَا مَحَالَةَ. (2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• إذا دخل الرجل بامرأته فقد ثبت مهرها، ولا يجوز له التعدي عليه أو الطمع فيه، حتى لو أراد فراقها وطلاقها.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (25) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26)

• حرَّم الله تعالى نكاح زوجات الآباء" لأنه فاحشة تمقتها العقول الصحيحة والفطر السليمة.

• بيَّن الله تعالى بيانًا مفصلًا من يحل نكاحه من النساء ومن يحرم، سواء أكان بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاع، تعظيمًا لها، وصيانة لها من الاعتداء. (3)

* * *

[٢٤] ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

(1) (متفق عليه): أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2645)-(كتاب الشهادات).
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1447)-(كتاب: الرضاع).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (23)، للإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (23)، للإِمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (81/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء، إلا ما ملكتموهن بالسبي في الجهاد في سبيل الله، فيحل لكم وطؤهن بعد استبراء أرحامهن بحيضة، فرض الله ذلك عليكم فرضًا، وأحل الله ما عدا ذلكم من النساء، أن تطلبوا بأموالكم إحصان أنفسكم وإعفافها بالحلال غير قاصدين الزنى، فمن تمتعتم بهن بالنكاح فأعطوهن مهورهن التي جعلها الله فريضة واجبة عليكم، ولا إثم عليكم فيما وقع عليه تراضيكم من بعد تحديد المهر الواجب من زيادة عليه أو مسامحة في بعضه، إن الله كان عليمًا بخلقه لا يخفى عليه منهم شيء، حكيمًا في تدبيره وتشريعه.(1)

* * *

يَعْنِي:- ويحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء، إلا مَنْ سَبَيْتُم منهن في الجهاد، فإنه يحل لكم نكاحهن، بعد استبراء أرحامهن بحيضة، كتب الله عليكم تحريم نكاح هؤلاء، وأجاز لكم نكاح مَن سواهن، ممَّا أحله الله لكم أن تطلبوا بأموالكم العفة عن اقتراف الحرام. فما استمتعتم به منهن بالنكاح الصحيح، فأعطوهن مهورهن، التي فرض الله لهن عليكم، ولا إثم عليكم فيما تمَّ التراضي به بينكم، من الزيادة أو النقصان في المهر، بعد ثبوت الفريضة. إن الله تعالى كان عليمًا بأمور عباده، حكيمًا في أحكامه وتدبيره.(2)

* * *

يَعْنِي:- وحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء عامة، حرائر وغير حرائر، إلا من سبيتم وملكتم منهن فى حرب بينكم وبين الكفار، فإن نكاحهن السابق ينفسخ بالسبى، فيصرن حلالا لكم بعد استبراء أرحامهن، فالزموا ما كتب الله عليكم فى تحريم ما حرم، ولكم فيما عدا هؤلاء المؤمنات المحرمات أن تطلبوا بأموالكم نساء تتزوجون بهن، لا تقصدون الزنا أو المخادنة، فأى نساء استمتعتم بهن بعد الزواج منهن أحل الله لكم الدخول بهن فوفُّوهن مهورهن التى قدَّرتم لهن حقاً عليكم لا تسامح فيه تؤدونه فى موعد، ولا حرج عليكم فيما تم بينكم عن تراض من تنازل زوجة عن بعض مهرها أو زيادة زوج فيه، إن الله كان ولم يزل مُطَّلعاً على شئون العباد، مُدَبِّراً لهم فى أحكام ما يصلح به أمرهم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ}... أصلُ الإحصانِ المنعُ، ويطلق عَلَى المرأة ذات الزوج، والعفيفةِ، والحُرَّة، والمسلمة، والمرادُ ذواتُ الأزواج فإنه يَحْرُمُ نكاحُهُنَّ ما دُمْنَ في ذِمَّة الزَّوْج.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (82/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (82/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (112/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَالْمُحْصَنَاتُ} ... الْمُتَزَوِّجَاتُ.

{وَالْمُحْصَنَاتُ} ... ذوات الأزواج لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج، فهن محصنات، بفتح الصاد وكسرها.

{إِلَا ما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ} ... من اللاتي سبين.

{مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} ... المَسْبِيَّات، وَهُنَّ المَاخوذَاتُ مِنْ نِسَاءِ الكُفَّارِ فِي الجِهَاد.

{إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} ... أي: إلا السبايا فَيَحِلُّ لمالكهن الوطءُ بعد الاستبراءِ ولو كان لهن أزواجٌ.

{تَبْتَغُوا} ... تَطْلُبُوا.

{مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} ... أي: مُتَزَوِّجِينَ غيرَ زَانِينَ.

{مُحْصِنِينَ} ... أَعِفَّاءَ عَنِ الحَرَام.

{مُسَافِحِينَ} ... زَانِينَ.

{كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} ... مصدر مؤكد، أي: كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا، وهو تحريم، أي كتب الله عليكم تحريم ذلك.

{وَأُحِلَّ لَكُمْ} ... على البناء للمفعول.

{أَنْ تَبْتَغُوا} ... مفعول له، بمعنى: بين لكم ما يحل مما يحرم إرادة أن يكون ابتغاؤكم:

{بِأَمْوالِكُمْ} ... أي: المهور وما يخرج في المناكح.

{مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} ... أي: في حال كونكم محصنين غير مسافحين، فلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل فتخسروا دنياكم ودينكم. والإحصان: العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام.

والمسافح: الزاني.

{فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ} ... أي: فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقد عليهن.

{فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} ... عليه. فأسقط الراجع الى (ما) لأنه لا يلبس.

ويجوز أن تكون (ما) في معنى النساء، و (من) للتبعيض أو للبيان، ويرجع الضمير إليه على اللفظ في (به) ، وعلى المعنى في فَآتُوهُنَّ.

{أُجُورَهُنَّ} ... مُهُورَهُنَّ ، لأن المهر ثواب على البضع.

{فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ} ... أي: فيما تحط عنه من المهر، أو تهب له من كله، أو يزيد لها على مقداره.

يَعْنِي:- فيما تراضياه من مقام أو فراق.

{فَرِيضَةً} ... حال من (الأجور) بمعنى: مفروضة، أو وضعت موضع (إيتاء) لأن الإيتاء مفروض.

أو مصدر مؤكد، أي: فرض الله فريضة.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَ} من المحرمات في النكاح {الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ} أي: ذوات الأزواج. فإنه يحرم نكاحهن ما دمن في ذمة الزوج حتى تطلق وتنقضي عدتها. {إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} أي: بالسبي، فإذا سبيت الكافرة ذات الزوج حلت للمسلمين بعد أن تستبرأ. وأما إذا بيعت الأمة المزوجة أو وهبت فإنه لا ينفسخ نكاحها لأن المالك الثاني

نـزل منزلـة الأول ولقصـة بريـرة حـين خيرهـا النبي -صلى الله عليه وسلم.

وقولـه: {كِتَـابَ اللَّـهِ عَلَـيْكُمْ} أي: الزمـوه واهتـدوا بـه فـإن فيـه الشـفاء والنـور وفيـه تفصيل الحلال من الحرام.

ودخـل في قولـه: {وَأُحِـلَّ لَكُـمْ مَـا وَرَاءَ ذَلِكُمْ} كـلُّ مـا لم يـذكر في هـذه الآيـة، فإنـه حـلال طيـب. فـالحرام محصـور والحـلال لـيس لـه حـد ولا حصـر لطفًـا مـن الله ورحمـة وتيسيرًا للعباد.

وقولـه: {أَنْ تَبْتَغُـوا بِـأَمْوَالِكُمْ} أي: تطلبـوا مـن وقـع عليـه نظـركم واختيـاركم مـن اللاتـي أبـاحهن الله لكـم حالـة كـونكم {مُحْصِـنِينَ} أي: مستعفين عن الزنا، ومعفين نساءكم.

{غَيْـرَ مُسَـافِحِينَ} والسـفح: سـفح المـاء في الحـلال والحـرام، فـإن الفاعـل لـذلك لا يحصـن زوجتـه لكونـه وضـع شـهوته في الحـرام فتضـعف داعيتـه للحـلال فـلا يبقـى محصـنا لزوجتـه. وفيهـا دلالـة علـى أنـه لا يـزوج غـير العفيـف لقولـه تعـالى: {الزَّانِـي لا يَـنْكِحُ إِلا زَانِيَـةً أَوْ مُشْـرِكَةً وَالزَّانِيَـةُ لا يَنْكِحُهَـا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْـرِكٌ}. {فَمَـا اسْـتَمْتَعْتُمْ بِـهِ مِـنْهُنَّ} أي: ممـن تزوجتموهـا {فَـآتُوهُنَّ أُجُـورَهُنَّ} أي: الأجـور في مقابلـة الاسـتمتاع. ولهـذا إذا دخـل الـزوج بزوجتـه تقـرر عليـه صـداقها {فَرِيضَـةً} أي: إتيـانكم إيـاهن أجـورهن فـرض فرضـه الله علـيكم، لـيس بمنزلـة التـبرع الـذي إن شـاء أمضـاه وإن شـاء رده. أو معنـى قولـه فريضـة: أي: مقـدرة قـد قـدرتموها فوجبـت علـيكم، فـلا تنقصوا منها شيئًا.

{وَلا جُنَـاحَ عَلَـيْكُمْ فِيمَـا تَرَاضَـيْتُمْ بِـهِ مِـنْ بَعْـدِ الْفَرِيضَـةِ} أي: بزيـادة مـن الـزوج أو إسـقاط مـن الزوجـة عـن رضـا وطيـب نفـس هـذا قـول كـثير مـن المفسـرين، وقـال كـثير مـنهم: إنهـا نزلـت في متعـة النسـاء الـتي كانـت حـلالا في أول الإسـلام ثـم حرمهـا الـنبي صـلى الله عليـه وسـلم وأنـه يـؤمر بتوقيتهـا وأجرهـا، ثـم إذا انقضـى الأمـد الـذي بينهمـا فتراضـيا بعـد الفريضـة فـلا حـرج علهما، والله أعلم.

{إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ عَلِيمًـا حَكِيمًـا} أي: كامـل العلـم واسـعه، كامـل الحكمـة: فمـن علمـه وحكمتـه شـرع لكـم هـذه الشـرائع وحـد لكـم هـذه الحـدود الفاصلة بين الحلال والحرام. (1)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {24}، قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَالْمُحْصَـنَاتُ مِـنَ النِّسَـاءِ إِلاَّ مَـا مَلَكَـتْ أَيْمَـانُكُمْ} {النسـاء: 24} يَعْنِـي: ذَوَاتَ الْـأَزْوَاجِ، لا يَحِـلُّ لِلْغَيْـرِ نِكَـاحُهُنَّ قَبْـلَ مُفَارَقَـةِ الْـأَزْوَاجِ، وَهَـذِهِ السَّـابِعَةُ مِـنَ النِّسَـاءِ اللاَتِـي حـرمن بالسـبب ثُـمَّ اسْـتَثْنَى فَقَـالَ: (إِلاَّ مَـا مَلَكَـتْ أَيْمَـانُكُمْ)، يَعْنِـي: السَّـبَايَا اللَّـوَاتِي سُـبِينَ وَلَهُـنَّ أَزْوَاجٌ فِـي دَارِ الْحَـرْبِ فَيَحِـلُّ لِمَـالِكِهِنَّ وَطْـؤُهُنَّ بَعْـدَ الاسْـتِبْرَاءِ، لِـأَنَّ بِالسَّـبْيِ يَرْتَفِـعُ النِّكَـاحُ بَيْنَهَـا وَبَـيْنَ زَوْجِهَـا، قَـالَ: (أَبُـو سَـعِيدٍ الْخُـدْرِيُّ): ((بَعَـثَ رَسُـولُ اللَّـهِ صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يَـوْمَ حُنَـيْنٍ جَيْشًـا إِلَـى أَوْطَـاسٍ فَأَصَـابُوا سَـبَايَا لَهُـنَّ أَزْوَاجٌ مِـنَ

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (النسـاء) الآية (24)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الْمُشْرِكِينَ، فَكَرِهُوا غِشْيَانَهُنَّ)) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِه الْآيَةَ.

وَقَالَ: (عَطَاءٌ): أَرَادَ بِقَوْلِهِ: (إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أن تكون أمة في نكاح عَبْدِهِ فَيَجُوزُ أَنْ ينزعها منه، وقال: (ابن مسعود): أراد أن يبيع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينهما وبين زوجها، ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ: كَتَبَ الله عليكم،

يَعْنِي:- نُصِبَ عَلَى الْإِغْرَاءِ، أَيْ: الزموا ما كتب الله عَلَيْكُمْ، أَيْ فَرْضَ اللَّهُ تَعَالَى،

{وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ} أَيْ: مَا سِوَى ذَلِكُمْ الَّذِي ذَكَرْتُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ،

{أَنْ تَبْتَغُوا} تطلبوا.

{بِأَمْوَالِكُمْ} أن تَنْكِحُوا بِصَدَاقٍ أَوْ تَشْتَرُوا بِثَمَنٍ،

{مُحْصِنِينَ} أَيْ: مُتَزَوِّجِينَ أَوْ مُتَعَفِّفِينَ.

{غَيْرَ مُسَافِحِينَ} أَيْ: غَيْرَ زَانِينَ، مَأْخُوذٌ مِنْ سَفْحِ الْمَاءِ وَصَبِّهِ وَهُوَ الْمَنِيُّ،

{فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ} ، اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ: (الْحَسَنُ ومجاهد): أراد ما انتفعتم وتلذذتم بِالْجِمَاعِ مِنَ النِّسَاءِ بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ،

{فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} أَيْ: مُهُورَهُنَّ،

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ نكاح المتعة وهو أن تنكح امْرَأَةً إِلَى مُدَّةٍ فَإِذَا انْقَضَتْ تِلْكَ الْمُدَّةُ بَانَتْ مِنْهُ بِلَا طَلَاقٍ، ويستبرئ رحمها وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا مِيرَاثٌ، وَكَانَ ذَلِكَ مُبَاحًا فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: < يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتيتموهن شيئا > وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ نِكَاحَ الْمُتْعَةِ حَرَامٌ، وَالْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ. وَكَانَ (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَذْهَبُ إِلَى أن الآية محكمة، وترخص في نكاح المتعة يَعْنِي:- إِنَّ (ابْنَ عَبَّاسٍ) — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ،

وَرَوَى (سَالِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) أَنَّ (عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ) صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا بَالُ رِجَالٍ يَنْكِحُونَ هَذِهِ الْمُتْعَةَ؟ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْهَا، لَا أَجِدُ رَجُلًا نَكَحَهَا إِلَّا رَجَمْتُهُ بِالْحِجَارَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ أَيْ: مُهُورَهُنَّ،

{فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ} فمن حل مَا قَبْلَهُ عَلَى نِكَاحِ الْمُتْعَةِ أرادوا أنهما إذا عقد إِلَى أَجَلٍ بِمَالٍ فَإِذَا تَمَّ الْأَجَلُ فَإِنْ شَاءَتِ الْمَرْأَةُ زَادَتْ فِي الْأَجَلِ وَزَادَ الرَّجُلُ فِي الْمَالِ، وَإِنْ لَمْ يَتَرَاضَيَا فَارَقَهَا، وَمَنْ حَمَلَ الْآيَةَ عَلَى الِاسْتِمْتَاعِ بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ.

قَالَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ) مِنَ الْإِبْرَاءِ عَنِ الْمَهْرِ وَالِافْتِدَاءِ وَالِاعْتِيَاضِ. {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} {النساء: 24}. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):-

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (24).

{وَالْمُحصنَات} ذَوَات الْأَزْوَاج {مِن النسَاء} حرَام عَلَيْكُم {إِلاَّ مَا مَلَكْت أَيْمَانُكُمْ} من السبايا فَإِنَّهُنَّ حَلَال لكم وَإِن كَانَ أَزوَاجهنَّ فِي دَار الْحَرْب بعد مَا استبرأتم أرحامهن بِحَيْضَة {كِتَابَ الله عَلَيْكُم} فِي كتاب الله عَلَيْكُم حرَام الَّذِي سميت لكم {وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذلكُم} سوى مَا قد بيّنت لكم تَحْرِيمه {أَن تَبْتَغُوا} تتزوجوا {بِأَمْوَالِكُمْ} إِلَى الْأَرْبَع وَيُقَال أَن تشتروا بأموالكم من الْإِمَاء وَيُقَال أَن تَبْتَغُوا بأموالكم أَن تطْلُبُوا بأموالكم فزوجهن وَهِي الْمُتْعَة وَقد نسخت الْآن {مُّحْصِنِينَ} يَقُول كونُوا مَعَهُنَّ متزوجين {غَيْرَ مُسَافِحِينَ} غير زانين بِلَا نِكَاح {فَمَا استمتعتم} استنفعتم {بِهِ مِنْهُنَّ} بعد النِّكَاح {فَآتُوهُنَّ} فأعطوهن {أُجُورَهُنَّ} مهورهن كَامِلَة {فَرِيضَةً} من الله عَلَيْكُم أَن تعطوا الْمهْر تَاما {وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} وَلَا حرج عَلَيْكُم {فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ} فِيمَا تنقصون وتزيدون فِي الْمهْر بِالتَّرَاضِي {مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ} الأولى الَّتِي سميتم لَهَا {إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً} فِيمَا أحل لكم الْمُتْعَة {حَكِيماً} فِيمَا حرم عَلَيْكُم الْمُتْعَة وَيُقَال عليماً باضطراركم إِلَى الْمُتْعَة حكيماً فِيمَا حرم عَلَيْكُم الْمُتْعَة.(1)

* * *

وقال: الإِمَامْ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) (بسنده) :-, حدثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري. حدثنا يزيد بن زُريع. حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن (قتادة)، عن صالح، أبي الخليل، عن أبي علقمة الهاشمي، وَعَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) – رضي الله عنه – قَالَ: " بَعَثَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – يَوْمَ حُنَيْنٍ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسٍ " , فَلَقُوا عَدُوًّا , فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ , وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا (2) فَكَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – تَحَرَّجُوا مِنْ غِشْيَانِهِنَّ (3) مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنْ الْمُشْرِكِينَ , فَأَنْزَلَ اللهُ – عز وجل – فِي ذَلِكَ: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} (4) أَيْ: فَهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ" (5)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله: (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) كل امرأة لها زوج فهي عليك حرام، إلا أمة ملكتها ولها

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (24). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) السبايا: الأسرى من النساء والأطفال.

(3) الغِشْيان: إتيان الرجل المرأة وجماعها.

(4) {النساء: 24}.

(5) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1079/2)، (ح 1456) – (كتاب: الرضاع)، / باب: (جواز وطء المسبية بعد الاستبراء.)

.

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3333).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1132).

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2155).

زوج بأرض الحرب فهي لك حلال إذا استبرأتها. (1)(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – والإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: كل ذات زوج عليكم حرام، إلا الأربع اللائي ينكحن بالبينة والمهر. (3)(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده) : حدثنا مَعْمَرٌ , عَنِ الزُّهْرِيِّ , عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ , فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: 24] قَالَ: < هُنَّ ذَوَاتُ الْأَزْوَاجِ , حَرَّمَ اللَّهُ نِكَاحَهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ , فَبَيْعُهَا طَلَاقُهَا > قَالَ: (مَعْمَرٌ): وَقَالَ: (الْحَسَنُ) مِثْلَ ذَلِكَ. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده) : قَالَ: أنا مَعْمَرٌ , عَنِ الْحَسَنِ , فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ} [النساء: 24] قَالَ: < هُوَ النِّكَاحُ > (6)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبي، ثنا يوسف الصفار، ثنا أبو أسامة، أخبرني عبيد الله عن (نافع) عن (ابن عمر) (أنه كان لا يرى مشركة محصنة، يعني: اليهوديات والنصرانيات). (7)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإمام (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ...) يعني: كما أنكم تستمتعون بالمنكوحات فأعطوهن مهورهن في مقابلة ذلك، وهذا المعنى تدل له آيات من كتاب الله كقوله تعالى: (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض) الآية. فإفضاء بعضهم إلى بعض المصرح بأنه سبب لاستحقاق الصداق كاملا، هو بعينه الاستمتاع المذكور هنا في قوله (فما استمتعتم به منهن) الآية. (8)

* * *

قال: الإمام (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- عن (مجاهد): في قوله:

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (24).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (24).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (24).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (24).

(5) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (النساء) - الآية (24)، للإمام: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

(6) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (النساء) - الآية (24)، للإمام: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (24).

(8) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (24).

(محصنين)، قال: متناكحين (غير مسافحين)، قال: زانين بكل زانية.(1)

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) – والإمامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) إذا تزوج الرجل منكم المرأة، ثم نكحها مرة واحدة، فقد وجب صداقها كله، والاستمتاع هو النكاح.(2)(3)

* * *

انظر: تفسير سورة – (البقرة) – آية (236). – كما قال تعالى: {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236)}..

* * *

قوله تعالى: (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً)

قال: الإمامُ (الطبري) – والإمامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: التراضي: أن يوفيها صداقها ثم يخيرها.(4)(5)

* * *

وقال: الإمَامُ (مالك) – (رحمه الله) – في (الموطأ) – (بسنده):- ، عَنْ (أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ) – رضي الله عنه – ابْتَاعَ وَلِيدَةً ، فَوَجَدَهَا ذَاتَ زَوْجٍ فَرَدَّهَا.(6)

* * *

وقال: الإمَامُ (مالك) – (رحمه الله) – في (الموطأ) – (بسنده):- ، وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَامِرٍ أَهْدَى لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ – رضي الله عنه – جَارِيَةً وَلَهَا زَوْجٌ ، ابْتَاعَهَا بِالْبَصْرَةِ ، فَقَالَ عُثْمَانُ: لَا أَقْرَبُهَا حَتَّى يُفَارِقَهَا زَوْجُهَا ، فَأَرْضَى ابْنُ عَامِرٍ زَوْجَهَا ، فَفَارَقَهَا.(7)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- قَالَ: (أَنَسٌ): {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ}: ذَوَاتُ الأَزْوَاجِ الحَرَائِرُ حَرَامٌ. {إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}: لاَ يَرَى بَأْسًا أَنْ يَنْزِعَ الرَّجُلُ جَارِيَتَهُ مِنْ عَبْدِهِ.(8)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (24).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (24).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (24).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (24).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (24).
(6) أخرجه الإِمَامْ (مالك) في (الموطأ) برقم (1278).
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (10530).
وأخرجه الإِمَامْ (الطحاوي) في (مشكل الآثار) برقم (4372).
(7) أخرجه الإِمَامْ (مالك) في (الموطأ) برقم (1277).
وأخرجه الإِمَامْ (الطحاوي) في (مشكل الآثار) برقم (ج11/ ص179) حديث (4372).
(8) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (24). برقم (ج 7/ ص 10).

[٢٥] ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن لم يستطع منكم - أيها الرجال - لقلة ماله أن يتزوج الحرائر من النساء جاز له نكاح الإماء المملوكات لغيركم، إن كن مؤمنات فيما يظهر لكم، والله أعلم بحقيقة إيمانكم وبواطن أحوالكم، وأنتم وهنَّ سواء في الدين والإنسانية، فلا تَسْتنكفوا عن الزواج منهن، فتزوجوهن بإذن مالكيهن، وآتوهن مهورهن دون نقص أو مماطلة، هذا إن كن عفيفات غير زانيات علنًا، ولا متخذات أَخلاَء للزنى بهن سرًا، فإذا تزوجن، ثم ارتكبن فاحشة الزنى فحدُّهن نصف عقوبة الحرائر: خمسين جلدة، ولا رجم عليهن، بخلاف المحصنات من الحرائر إذا زنين. ذلك المذكور من إباحة نكاح الإماء المؤمنات العفيفات رخصة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنى، ولم يقدر على الزواج من الحرائر، على أن الصبر عن نكاح الإماء أولى" لتجنيب الأولاد الاسترقاق، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته أن شرع لهم نكاح الإماء حال العجز عن نكاح الحرائر عند خشية الزنى. (1)

* * *

يَعْنِي:- ومن لا قدرة له على مهور الحرائر المؤمنات، فله أن ينكح غيرهن، من فتياتكم المؤمنات المملوكات. والله تعالى هو العليم بحقيقة إيمانكم، بعضكم من بعض، فتزوجوهن بموافقة أهلهن، وأعطوهن مهورهن على ما تراضيتم به عن طيب نفس منكم، متعففات عن الحرام، غير مجاهرات بالزنى، ولا مسرات به باتخاذ أخلاء، فإذا تزوجن وأتين بفاحشة الزنى فعليهن من الحدِّ -وهو الجَلْدُ لا الرَّجْمُ- نصف ما على الحرائر. ذلك الذي أبيح مِن نكاح الإماء بالصفة المتقدمة إنما أبيح لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنى، وشق عليه الصبر عن الجماع، والصبر عن نكاح الإماء مع العفة أولى وأفضل. والله تعالى غفور لكم، رحيم بكم إذ أذن لكم في نكاحهن عند العجز عن نكاح الحرائر. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن لم يستطع منكم نكاح الحرائر المؤمنات فله أن يتجاوزهن إلى ما يستطيع من المملوكات المؤمنات، والله أعلم بحقيقة

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (82/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (82/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

إيمانكم وإخلاصكم، ولا تستنكفوا من نكاحهن، فأنتم وهن سواء في الدين، فتزوجوهن بإذن أصحابهن وأدوا إليهن مهورهن التي تفرضونها لهن حسب المعهود بينكم في حسن التعامل وتوفية الحق، واختاروهن عفيفات، فلا تختاروا زانية معلنة ولا خليلة، فإن أتين الزنا بعد زواجهن فعقوبتهن نصف عقوبة الحرة. وإباحة نكاح المملوكات عند عدم القدرة جائز لمن خاف منكم المشقة المفضية إلى الزنا وصبركم عن نكاح المملوكات مع العفة خير لكم، والله كثير المغفرة، عظيم الرحمة.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{طَوْلًا} ... الغِنَى والسَّعَة، والمرادُ به هنا المهرُ والنفقةُ.

{طَوْلًا} ... فضلا وزيادة، أي زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة.

{فَمِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ} .... فلينكح أمة.

{مِنْ فَتَياتِكُمْ} ... أي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم.

{فَتَيَاتِكُمُ} ... إِمَائِكُمْ.

{مُحْصَنَاتٍ} ... عَفِيفَاتٍ.

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ} ... أي: إن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرقائكم في الإيمان، ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم، وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة، والمرأة أفضل في الإيمان من الرجل، وحق المؤمنين ألا يعتبروا إلا فضل الإيمان لا فضل الأحساب والأنساب، وهذا تأنيس بنكاح الإماء، وترك الاستنكاف منه.

{بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} ... أي: أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الإيمان لا يفضل حر عبدا إلا برجحان فيه.

{بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ} ... اشتراط لإذن الموالي في نكاحهن.

{وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} ... وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل وضرار.

{مُحْصَنَاتٍ} ... عفائف.

{غَيْرَ مُسافِحاتٍ} ... غير مقترفات زنا.

{وَلا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ} ... الأخلاء في السر.

كأنه قيل: غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له.

{مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} ... مَصَاحِبَاتِ أَصْدِقَاءَ للزِّنَا سراً.

{أَخْدَانٍ} ... جمع خِدْن: وهو الصاحبُ وَيُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وهو أن يَكُونَ للمرأة خِدْنٌ يَزْنِي بِهَا فِي السِّرِّ.

{فَإِذا أُحْصِنَّ} ... بالتزويج.

{نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ} ... الحرائر.

{الْمُحْصَنَاتِ} ... أي: الحَرَائِرَ.

{مِنَ الْعَذابِ} ... من الحد.

{ذلِكَ} ... إشارة إلى نكاح الإماء.

{لِمَنْ خَشِيَ} ... الْعَنَتَ لمن خاف الإثم الذي تؤدي إليه غلبة الشهوة.

يَعْنِي:- العنت: الحد، لأنه إذا هويها خشي أن يواقعها فيحد فيتزوجها.

{الْعَنَتَ} ... الوُقُوعَ فِي الزِّنَا.

{أي: الزنا، وإنما سُمِّيَ الزنا بالعنتِ لِمَا يَعْقُبُهُ مِنَ المَشَقَّة}.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (112/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَأَن تَصْبِرُوا}... عَنْ نِكَاحِ الْمَمْلُوكَاتِ . أي وصبركم عن نكاح الإماء متعففين خيرٌ لكُم.

{خَيْرٌ لَكُمْ}... لِئَلَا يَصِيرَ الْوَلَدُ رَقِيقًا

{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}... بِالتَّوْسِعَةِ فِي ذَلِكَ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {25} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا} أَيْ: فَضْلًا وَسَعَةً، {أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ} الحرائر.

{الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ} إمائكم، {الْمُؤْمِنَاتِ} أَيْ: مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَهْرِ الْحُرَّةِ الْمُؤْمِنَةِ، فَلْيَتَزَوَّجِ الْأَمَةَ الْمُؤْمِنَةَ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْحُرِّ نِكَاحُ الْأَمَةِ إلا بشرطين،

أحدهما: ألا يجد مهر حرة،

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْعَنَتِ، وَهُوَ الزِّنَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ:

{ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ} وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ نِكَاحُ الْأَمَةِ الْكِتَابِيَّةِ لِأَنَّهُ قَالَ: (فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) ، جَوَّزَ نِكَاحَ الْأَمَةِ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ مُؤْمِنَةً،

وَقَالَ: فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} {الْمَائِدَةِ: 5} أَيْ: الْحَرَائِرُ جَوَّزَ نِكَاحَ الْكِتَابِيَّةِ، بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ حُرَّةً، وَجَوَّزَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ لِلْمُسْلِمِ نِكَاحَ الْأَمَةِ الْكِتَابِيَّةِ، وَبِالِاتِّفَاقِ يَجُوزُ وَطْؤُهَا بِمِلْكِ الْيَمِينِ.

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ} أَيْ: لَا تَتَعَرَّضُوا لِلْبَاطِنِ فِي الْإِيمَانِ وَخُذُوا بِالظَّاهِرِ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ، {بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ} قِيلَ: بَعْضُكُمْ إِخْوَةٌ لِبَعْضٍ، يَعْنِي:- كُلُّكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَلَا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ نِكَاحِ الْإِمَاءِ، {فَانْكِحُوهُنَّ} يعني: الإماء . {بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ} أَيْ: مواليهن، {وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} مهورهن، {بِالْمَعْرُوفِ} مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَضِرَارٍ، {مُحْصَنَاتٍ} عفائف بالنكاح، {غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ} أَيْ: غَيْرَ زَانِيَاتٍ، {وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} أَيْ: أَحْبَابٍ تَزْنُونَ بِهِنَّ فِي السِّرِّ،

قَالَ: (الْحَسَنُ): الْمُسَافِحَةُ هِيَ أَنَّ كُلَّ مَنْ دَعَاهَا تَبِعَتْهُ، وذات خدن أَيْ: تَخْتَصُّ بِوَاحِدٍ لَا تَزْنِي إِلَّا مَعَهُ، وَالْعَرَبُ كَانَتْ تُحَرِّمُ الْأُولَى وَتُجَوِّزُ الثَّانِيَةَ،

{فَإِذَا أُحْصِنَّ}. قَرَأَ (حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ) بِفَتْحِ الْأَلِفِ وَالصَّادِ، أَيْ: حَفِظْنَ فُرُوجَهُنَّ،

وَقَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ): أَسْلَمْنَ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: (أُحْصِنَّ) بِضَمِّ الْأَلِفِ وكسر الصاد، أي تزويجهن، {فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ} يَعْنِي: الزِّنَا، {فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ} أَيْ: مَا عَلَى الْحَرَائِرِ الْأَبْكَارِ إِذَا زنين، {مِنَ الْعَذَابِ} يَعْنِي: الْحَدَّ فَيُجْلَدُ الرَّقِيقُ إِذَا زَنَى خَمْسِينَ جَلْدَةً، وَهَلْ يُغَرَّبُ؟ فِيهِ قَوْلَانِ، فَإِنْ قُلْنَا يُغَرَّبُ فَيُغَرَّبُ نِصْفَ سَنَةٍ عَلَى الْقَوْلِ الأصح ولا رجم على العبد قوله تعالى: {ذَلِكَ} يَعْنِي: نِكَاحَ الْأَمَةِ عِنْدَ

عَدَمِ الطَّوْلِ، {لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ} يعني: الزنا، يريد المشقة بغلبة الشهوة، {وَأَن تَصْبِرُوا} عَنْ نِكَاحِ الْإِمَاءِ مُتَعَفِّفِينَ، {خَيْرٌ لَّكُمْ} لِئَلاَ يُخْلَقُ الْوَلَدُ رَقِيقًا {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} {النساء: 25}. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً} من لم يجد منكم مالا {أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ} الْحَرَائِر {الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم} فتزوجوا ممَّا ملكت أَيْمَانكُم {مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} من الولائد اللاَتِي فِي أَيدي الْمُؤمنِينَ {وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ} بمستقر قُلُوبكُمْ على الْإِيمَان {بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ} أَي كلكُمْ أَوْلَاد آدم وَيُقَال بَعْضكُم على دين بعض وَقيل بَعْضكُم بِبَعْض {فَانكِحُوهن} فتزوجوا الولائد {بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ} مالكيهن {وَآتُوهُنَّ} أعطوهن يَعْنِي الولائد {أُجُورَهُنَّ} مهورهن {بِالْمَعْرُوفِ} فَوق مهر الْبَغي {مُحْصَنَاتٍ} يَقُول تزوجوا الولائد المتعففات {غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ} غير معلنات بِالزِّنَا {وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} فَلاَ يكون لَهَا خَلِيل يَزْنِي بهَا فِي السِّرّ {فَإِذَا أُحْصِنَّ} تَزَوَّجن الولائد {فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ} بزنا {فَعَلَيْهِنَّ} على الولائد {نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ} الْحَرَائِر {مِنَ الْعَذَابِ} الْجلد {ذَلِكَ} تزوج الولائد حَلَال {لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ} الزِّنَا والفجور مِنْكُم {وَأَن تَصْبِرُوا} عَن نِكَاح الولائد {خَيْرٌ لَّكُمْ} تكون أَوْلَادكُم أحراراً {وَاللهُ غَفُورٌ} فِيمَا يكون مِنْكُم من الزِّنَا {رَّحِيمٌ} حِين رخص لكم تزوج الولائد عِنْد الضَّرُورَة. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم قال تعالى {وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلا} {النساء: 25} الآية. أي: ومن لم يستطع الطول الذي هو المهر لنكاح المحصنات أي: الحرائر المؤمنات وخاف على نفسه العَنَت أي: الزنا والمشقة الكثيرة، فيجوز له نكاح الإماء المملوكات المؤمنات. وهذا بحسب ما يظهر، وإلا فالله أعلم بالمؤمن الصادق من غيره، فأمور الدنيا مبنية على ظواهر الأمور، وأحكام الآخرة مبنية على ما في البواطن.

{فَانْكِحُوهُنَّ} أي: المملوكات {بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ} أي: سيدهن واحدا أو متعددا.

{وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} أي: ولو كن إماء، فإنه كما يجب المهر للحرة فكذلك يجب للأمة. ولكن لا يجوز نكاح الإماء إلا إذا كن {مُحْصَنَاتٍ} أي: عفيفات عن الزنا {غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ} أي: زانيات علانية. {وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} أي: أخلاء في السر.

فالحاصل أنه لا يجوز للحر المسلم نكاح أمة إلا بأربعة شروط ذكرها الله: الإيمان بهن والعفة ظاهرا وباطنا، وعدم استطاعة طول الحرة، وخوف العنت، فإذا تمت هذه الشروط جاز له نكاحهن.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (25).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (25). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

ومع هذا فالصبر عن نكاحهن أفضل لما فيه من تعريض الأولاد للرق، ولما فيه من الدناءة والعيب. وهذا إذا أمكن الصبر، فإن لم يمكن الصبر عن المحرم إلا بنكاحهن وجب ذلك. ولهذا قال: {وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

وقوله: {فَإِذَا أُحْصِنَّ} أي: تزوجن أو أسلمن أي: الإماء {فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ} أي: الحرائر {مِنَ الْعَذَابِ}.

وذلك الذي يمكن تنصيفه وهو: الجَلد فيكون عليهن خمسون جَلدة. وأما الرجم فليس على الإماء رجم لأنه لا يتنصف،

فعلى القول الأول: إذا لم يتزوجن فليس عليهن حد، إنما عليهن تعزير يردعهن عن فعل الفاحشة.

وعلى القول الثاني: إن الإماء غير المسلمات، إذا فعلن فاحشة أيضا عزرن.

وختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين "الغفور والرحيم" لكون هذه الأحكام رحمةً بالعباد وكرمًا وإحسانًا إليهم فلم يضيق عليهم، بل وسع غاية السعة.

ولعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات، يغفر الله بها ذنوب عباده كما ورد بذلك الحديث. وحكم العبد الذكر في الحد المذكور حكم الأمة لعدم الفارق بينهما. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) ظاهر هذه الآية الكريمة أن الأمة لا يجوز نكاحها، ولو عند الضرورة إلا إذا كانت مؤمنة بدليل قوله: (من فتياتكم المؤمنات) فمفهوم مخالفته أن غير المؤمنات من الإماء لا يجوز نكاحهن على كل حال، وهذا المفهوم يفهم من مفهوم آية أخرى وهي قوله تعالى: (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب) فإن المراد بالمحصنات فيها الحرائر على أحد الأقوال، ويفهم منه أن الإماء الكوافر لا يحل نكاحهن ولو كن كتابيات. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - والإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (ومن لم يستطع منكم طولا) من لم يكن له سعة. (3)(4)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - والإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: قوله: (أن ينكح المحصنات) أن ينكح الحرائر، فلينكح من إماء المؤمنين. (5)(1)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (25)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (25).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (25). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (25).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (25).

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): (من فتياتكم المؤمنات) قال: لا ينبغي أن يتزوج مملوكة نصرانية.(2)

* * *

قوله تعالى: (فانكحوهن بإذن أهلهن)

قال: الإِمَامُ (ابن ماجة) – (رحمه الله) – في (سننه):

حدثنا جميل بن الحسن العتكي. ثنا محمد بن مروان العُقيلي. ثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن (أبي هريرة)، قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((لا تُزوج المرأةُ المرأةَ. ولا تزوج المرأة نفسها. فإن الزانية هي التي تزوج نفسها)).(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن ماجة) – (رحمه الله) – في (سُننِهِ):

حدثنا أبو كريب. ثنا عبد الله بن المبارك، عن حجاج، عن الزهري، عن عروة، عن (عائشة)، عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وعن (عكرمة)، عن (ابن عباس). قالا: قال: رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((لا نكاح إلا بولي)).

وفي حديث (عائشة): ((والسلطان ولي من لا ولي له)).(4)

* * *

قوله تعالى: (مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)

قال: الإِمَامُ (الطبري) – والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: يعني تنكحوهن عفائف

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (25).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (25). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 1882) – (كتاب: النكاح)، باب: (لا نكاح إلا بولى). قال: محقق: (السنن): في (الزوائد): في (إسناده جميل بن الحسن العتكي). قال: فيه عبدان: إنه فاسق يكذب، يعني في كلامه.

وقال (ابن عدي): لم أسمع أحدا تكلم فيه غير عبدان، إنه لا بأس به، ولا أعلم له حديثاً منكراً.

وذكره الإمام (ابن حبان) في (الثقات). وقال: يغرب. وأخرج له في (صحيحه) هو و الإمام (ابن خزيمة)، و الإمام (الحاكم). وقال: (مسلمة الأندلسي): ثقة.

وباقي رجال الإسناد ثقات، والذى في (مصباح الزجاجة) غير هذا بالمرة (انظر: 332/1).

وقد أخرجه الإمام (الدارقطني) – من طريق – (عبد السلام بن حرب عن هشام به)، وفي آخره بلفظ ". إن التى تزوج نفسها هي الفاجرة." (السنن) برقم (227/3)، (ح 26).

و(صحح) الإمام (ابن الملقن)، رواية الإمام (الدارقطني) في (خلاصة البدر المنير) برقم (187/2)، (ح 1938).

وقال: الإمام (الألباني) في أحد هذه الطرق: (إسناده صحيح على شرط الشيخين). انظر: (الإرواء الغليل) برقم (249/6).

وذكره الإمام (ابن كثير). برقم (227/2).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (30/2-31).

(4) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1880) – (النكاح)، / باب: (لا نكاح إلا بولي). – حديث (ابن عباس).

وأخرجه الإمام (أحمد)، والإمام (البيهقي) – من طريق –: (حجاج به). وله طريق آخر من (سعيد بن جبير) عند الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير). (انظر: (الإرواء الغليل) برقم (238/6).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (250/1).

وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن) برقم (109/7، 110)،

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (الأوسط) في (318/1)، (ح 525) من طريق (سعيد بن جبير).

قال: الإمام (الهيثمي) عنه: (رجاله رجال الصحيح). (مجمع الزوائد 186/4) وحديث (عائشة).

أخرجه الإمام (أحمد)، الإِمَامْ (ابن أبي شيبة)، الإِمَامْ (الطحاوي)، الإِمَامْ (البيهقي) – من طريق –: (حجاج) به، وله طرق أخرى عنها (انظر: (الإرواء الغليل) برقم (247/6)،

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (260/6).

قال: الإمام (الألباني). (صحيح) في (صحيح ابن ماجه) برقم (317/1).

ذكره الإمام (ابن كثير). برقم (415/1).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (349/1-350).

غير زوان في سر ولا علانية ولا متخذات أخدان "يعني في أخلاء".(1)(2)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {مُسَافِحَاتٍ} : زَوَانِي، {وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ} : أَخِلاَّءَ.(3)

* * *

قوله تعالى: (فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ)

قال: الإِمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا هذا العذاب الذي على المحصنات -وهن الحرائر- الذي نصفه على الإماء، ولكنه بين في موضع أخر أنه جلد مائة بقوله (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) فيعلم منه أن على الأمة الزانية خمسين جلدة ويلحق بها العبد الزاني فيجلد خمسين، فعموم الزانية مخصوص بنص قوله تعالى: (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) وعموم الزاني مخصوص بالقياس على المنصوص، لأنه لا فارق البتة بين الحرة والأمة إلا الرق، فعلم أنه سبب تشطير الجلد فأجرى في العبد لاتصافه بالرق الذي هو مناط تشطير الجلد، وهذه الآية عند الأصوليين من أمثلة تخصيص عموم النص بالقياس، بناء على أن نوع تنقيح المناط المعروف بإلغاء الفارق يسمى قياسا، والخلاف في كونه قياسا معروف في الأصول. أما الرجم فمعلوم أنه لا يتشطر، فلم يدخل في المراد بالآية.(4)

* * *

قال: الإِمَامْ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي. حدثنا سليمان أبو داود. حدثنا زائدة عن السُّدي، عن سعد بن عبيدة، عن (أبي عبد الرحمن). قال: خطب عليّ فقال: يا أيها الناس! أقيموا على أرقائكم الحدّ. من أحصن منهم ومن لم يُحصن. فإن أمَة لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زنت. فأمرني أن أجلدها. فإذا هي حديث عهد بنفاس. فخشيتُ، إن أنا جلدتها، أن أقتلها. فذكرت ذلك للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: "أحسنتَ".(5)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال قوله: (فَإِذَا أُحْصِنَّ) إذا تزوجن حرا.(6)(7)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (25).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (25).

(3) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (25). برقم (ج 8/ ص 171).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (25).

(5) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1330/3)، (ح 1705) – (كتاب: الحدود)، / باب: تأخير الحد عن النفساء).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (25).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (25).

قال: الإمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) (بسنده):- حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا سفيان عن الزهري حدثني عبيد الله سمعت (أبا هريرة) - رضي الله عنه - وزيد بن خالد عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((إذا زنت الأمة فاجلدوها، ثم إذا زنت فاجلدوها، ثم إذا زنت فاجلدوها في الثالثة أو الرابعة فبيعوها ولو بضفير)).(1)(2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - والإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما) - عن (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: قوله: (فَإِذَا أُحصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) من الجلد.(3)(4)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (فَإِذَا أُحصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) خمسون جلدة، ولا نفى ولا رجم.(5)

* * *

قوله تعالى: (ذلك لمن خشي العنت)

قال: الإمَامْ (الطبري) - والإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما) - عن (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: (العنت) الزنا.(6)(7)

* * *

قوله تعالى: (وأن تصبروا خير لكم)

قال: الإمَامْ (الطبري) - والإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما) - عن (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: (وأن تصبروا خير لكم) وأن تصبروا عن الأمة خير لكم.(8)(9)

* * *

وقال: الإمَامْ (البُخَارِي) و (مُسلم) (ابو داود) و (ابن ماجة) - والإمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- وَعَنْ (زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: (" إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا , فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ)(10) (وَلَا يُعَيِّرْهَا)(11) (1) (ثُمَّ إِنْ زَنَتْ , فَلْيَجْلِدْهَا)

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (211/5)، (ح 2555، 2556)– (كتاب: العتق)، / باب: (كراهية التطاول على الرقيق).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (1328/3)، (ح 1703)– (كتاب: الحدود)، / باب: (رجم اليهود، أهل الذمة، في الزنى).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (25).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (25).

(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (25).

(6) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (25).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (25).

(8) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (25).

(9) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (25).

(10) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (2119).

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (30) - (1703).

وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4470).

وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (7389).

(11) التَّعْيِير: التَّوْبِيخ , وَاللَّوْم , وَالتَّثْرِيب , وَالْمُرَاد: النَّهْي عَنْ التَّثْرِيب بَعْد الْجَلْد فَإِنَّهُ كَفَّارَة لِمَا ارْتَكَبَتْهُ , فَلَا يَجْمَع عَلَيْهَا الْعُقُوبَة بِالْحَدِّ وَالتَّعْيِير.

فَلْيَجلِـدهَا الحَـدَّ (2) (ولاَ يُعَيِّرهَـا) (3) (ثـمَّ إنْ زَنَـتْ الثَّالِثَـةَ فتَبَـيَّنَ زِنَاهَـا) (4) (فَلْيَجلِـدهَا ولاَ يُعَيِّرهَـا) (5) وَ (لْيَبِعهَـا ولَـو بِحبْلٍ مِنْ شَعرٍ (6) ") (7)

وفي روايـة : (" إذا زَنَـتْ خَـادمُ أحَـدكُمْ , فَلْيَجلِـدْهَا ولاَ يُعَيِّرهَـا , فَـإنْ عَـادَتْ الثَّانِيَـةَ , فَلْيَجلِـدْهَا ولاَ يُعَيِّرهَـا , فَـإنْ عَـادَتْ الثَّالِثَـةَ , فَلْيَجلِـدْهَا ولاَ يُعَيِّرهَـا , فَـإنْ عَـادَتْ الرَّابِعَـةَ , فَلْيَجلِـدْهَا، ولْيَبِعْهَـا) (8) (ولَـو بِحبْـل مِـنْ شَـعر ") (9)

وفي روايـة : (" ثـمَّ بيعُوهَـا بَعْـدَ الثَّالِثَـةِ أوْ الرَّابِعَة) (10) (ولَو بِحبْلٍ مِنْ شعَر "). (11)

(قَـالَ : (ابْـنُ شِـهَابٍ): لاَ أَدْرِي بَعْـدَ الثَّالِثَـةِ أوْ الرَّابِعَة) (12).

* * *

قَـالَ: الإمـام (النَّـوَوِيّ): فِيـهِ دَلِيـل عَلَـى أَنَّ السَّـيِّدَ يُقِـيمُ الْحَـدَّ عَلَـى عَبْـده وَأَمَتـه , وَهَـذَا مَـذْهَبنَا , وَمَـذْهَب (مَالِـك) , وَ الإمـام (أَحْمَـد) , وَجَمَـاهِير الْعُلَمَـاء مِـنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدهمْ.
وَقَـالَ:الإمـام (أَبُـو حَنِيفَـة) فِـي طَائِفَـة : لَـيْسَ لَـهُ ذَلِـكَ, وَهَـذَا الْحَـدِيث صَـرِيح فِـي الدَّلَالَة لِلْجُمْهُور. عون المعبود (ج 9 / ص 488).
انظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيد) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (النساء)آية (25). للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(1) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4470).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8873).
أخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (2045).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (30) - (1703).

(2) أخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (2119).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (30) - (1703).
أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8873).

(3) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8873).
وأخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (2045).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (30) - (1703).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط):(إسناده صحيح).

(4) أخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (2119).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (م) (30) - (1703).

(5) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8873).
وأخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (6447).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (32) - (1703).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1440).

(6) قَـالَ: الإمـام (النَّـوَوِي): هَـذَا الْبَيْـعُ الْمَـأْمُورُ بِـهِ مُسْـتَحَبّ عِنْـدنَا وَعِنْـد الْجُمْهُور.
وَقَالَ : (دَاوُدُ وَأَهْلُ الظَّاهِرِ): هُوَ وَاجِب. عون المعبود - (ج 9 / ص 488).
انظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيد) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (النساء)آية (25). للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(7) أخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (2045).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (30) - (1703).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (10410).

(8) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9451).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (31) - (1703).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1440).
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4470).
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2566).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).

(9) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8873) .
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4471).

(10) أخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (2118) , (2046).
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2565).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16609).

(11) أخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2565)
وأخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (2417).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16609).

(12) أخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (6447) .
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (32) - (1703).
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4469).

وقال: الإمَام (مالك) - (رحمه الله) - في (الموطأ) - (بسنده):- , وعَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيِّ) قَالَ: أَمَرَنِي (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) - رضي الله عنه - فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ , فَجَلَدْنَا وَلَائِدَ مِنْ وَلَائِدِ الْإِمَارَةِ , خَمْسِينَ خَمْسِينَ فِي الزِّنَا. (1)

* * *

[٢٦] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يريد الله سبحانه بتشريعه هذه الأحكام لكم أن يبين لكم معالم شرعه ودينه، وما فيه مصالحكم في الدنيا والآخرة، ويريد أن يرشدكم إلى طرق الأنبياء من قبلكم في التحليل والتحريم، وشمائلهم الكريمة، وسيرهم الحميدة لتتبعوهم، ويريد أن يرجع بكم عن معصيته إلى طاعته، والله عليم بما فيه مصلحة عباده فيشرعه لهم، حكيم في تشريعه وتدبيره لشؤونهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- يريد الله تعالى بهذه التشريعات، أن يوضح لكم معالم دينه القويم، وشرعه الحكيم، ويدلكم على طرق الأنبياء والصالحين من قبلكم في الحلال والحرام،

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (31) وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (32) وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا(33)

ويتوب عليكم بالرجوع بكم إلى الطاعات، وهو سبحانه عليم بما يصلح شأن عباده، حكيم فيما شرعه لكم. (3)

* * *

يَعْنِي:- يريد الله أن يوضح لكم أصلح السبل، ويدلكم على سنن الأنبياء والصالحين في الحلال والحرام، ويتوب عليكم بالرجوع بكم إلى طريق طاعته، والله مُطَّلِع على شئونكم، مدبر في أحكامه لما يصلح أمركم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ} ... أصله: يريد الله أن يبين لكم، فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين، والمعنى: يريد الله أن يبين لكم ما

---

(1) وأخرجه الإمَامْ (مالك) في (الموطأ) برقم (1512).
وأخرجه الإمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (16866).
و(حسنه) الإمام (الألباني) في (الإرواء) برقم (2345).
وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (25)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (82/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (82/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (112/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم.

{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ}...شَرَائِع دِينكُمْ وَمَصَالِح أَمْركُمْ.

{وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} ... وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بها.

{سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} ... طرائقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الأنبياءِ والصالحينَ لِتَنْهَجُوا نَهْجَهُمْ.

{وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ} ... طَرَائِق.

{الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} ... مِنَ الْأَنْبِيَاء فِي التَّحْلِيل وَالتَّحْرِيم فَتَتَّبِعُوهُمْ.

{وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} ... ويرشدكم إلى طاعات إن قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم ليتوب عليكم ويكفر لكم.

{وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} ... يَرْجِع بِكُمْ عَنْ مَعْصِيَته الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَى طَاعَته.

{وَاللَّه عَلِيم} ... بِكُمْ.

{حَكِيم} ... فِيمَا دَبَّرَهُ لَكُمْ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ} مَا أحل لكم وَيُقَال إن الصَّبْر عَن تزوج الولائد خير لكم من التَّزَوُّج {وَيَهْدِيَكُمْ} يبين لكم {سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} من أهل الْكتاب وَكَانَ عَلَيْهِم حرَام تزوج الولائد {وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} يتَجَاوَز عَنْكُم مَا كَانَ مِنْكُم فِي الْجَاهِلِيَّة {وَاللهُ عَلِيمٌ} باضطراركم إِلَى نِكَاح الولائد {حَكِيمٌ} حِين حرم عَلَيْكُم نكَاحهنَّ إِلاَ عِنْد الضَّرُورَة. (1)

* * *

قَال : الإمَام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ أيها الْمُؤْمِنُونَ-مَا أَحَلَّ لَكُمْ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ، ممَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا، {وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} يَعْنِي: طَرَائِقَهُمُ الْحَمِيدَةَ وَاتِّبَاعَ شَرَائِعه الَّتِي يُحِبُّهَا وَيَرْضَاهَا {وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} أَيْ مِنَ الْإِثْمِ وَالْمَحَارِمِ،

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} أَيْ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {26} ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ} أَيْ: أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ} {الشُّورَى: 15} أي: أن أعدل وَمَعْنَى الْآيَةِ: يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ، أَيْ: يُوَضِّحَ لَكُمْ شَرَائِعَ دِينِكُمْ وَمَصَالِحَ أُمُورِكُمْ،

قَالَ: (عَطَاءٌ): يُبَيِّنُ لَكُمْ مَا يُقَرِّبُكُمْ مِنْهُ،

{وَيَهْدِيَكُمْ} وَيُرْشِدُكُمْ، {سُنَنَ} شَرَائِعَ،

{الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} فِي تَحْرِيمِ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْأَخَوَاتِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ،

يَعْنِي:- وَيَهْدِيَكُمُ الْمِلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ وَهِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (26). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (26)، لِلإمَامْ (ابن كثير). .

{وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} وَيَتَجَاوَزَ عَنْكُمْ مَا أَصَبْتُمْ قَبْلَ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ،
يَعْنِي:- يَرْجِعُ بِكُمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَى طَاعَتِه، يَعْنِي:- يُوَفِّقُكُمْ التوبة.
{وَاللَّهُ عَلِيمٌ} بِمَصَالِحِ عِبَادِه فِي أَمْرِ دِينِهِمْ ودنياهم، {حَكِيمٌ} {النساء: 26} فيما دبر من أمورهم.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {26} {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.
يخبر تعالى بمنته العظيمة ومنحته الجسيمة، وحسن تربيته لعباده المؤمنين وسهولة دينه فقال: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ} أي: جميع ما تحتاجون إلى بيانه من الحق والباطل، والحلال والحرام، {وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} أي: الذين أنعم الله عليهم من النبيين وأتباعهم، في سيرهم الحميدة، وأفعالهم السديدة، وشمائلهم الكاملة، وتوفيقهم التام. فلذلك نفذ ما أراده، ووضح لكم وبين بيانا كما بين لمن قبلكم، وهداكم هداية عظيمة في العلم والعمل.
{وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} أي: يلطف لكم في أحوالكم وما شرعه لكم حتى تمكنوا من الوقوف على ما حده الله، والاكتفاء بما أحله فتقل ذنوبكم بسبب ما يسر الله عليكم فهذا من توبته على عباده.

ومن توبته عليهم أنهم إذا أذنبوا فتح لهم أبواب الرحمة وأوزع قلوبهم الإنابة إليه، والتذلل بين يديه ثم يتوب عليهم بقبول ما وفقهم له. فله الحمد والشكر على ذلك.
وقوله: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} أي: كامل الحكمة، فمن علمه أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ومنها هذه الأشياء والحدود. ومن حكمته أنه يتوب على من اقتضت حكمته ورحمته التوبة عليه، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله من لا يصلح للتوبة.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يُرِيدُ الله ليبين لكم} حَلَالَه وَحَرَامَه {وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قبلكُمْ} يَعْنِي: شرائع من كَانَ قبلكُمْ من الْمُؤمنِينَ فِيمَا حرم عَلَيْكُم من الْأُمَّهَات وَالْبَنَات وَالْأَخَوَات ... إِلَى آخر الْآيَة.
{وَيَتُوبَ عَلَيْكُم} أي: يتَجَاوَز عَمَّا كَانَ من نكاحكم إياهن قبل التَّحْرِيم. {آيَة 27 – 30}.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مقاتل بن حيان): قوله: (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم) من تحريم الأمهات والبنات، كذلك كان سنة الذين من

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (26).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (26)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (26) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

قبلكم، ثم قال: (والله يريد أن يتوب عليكم). [1]

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) -عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: مبدأ التوبة من الله. [2]

* * *

قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ، وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [3]

وقال: الإمام (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده) :-، عَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ، تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ، وَيَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ، عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ)) [4] [5]

* * *

قال: الإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسند) - (بسنده):-، وَعَنْ (خَوْلَةَ بِنْتَ قَيْسٍ الْأَنْصَارِيَّة) - رضي الله عنها - وَكَانَتْ تَحْتَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب - رضي الله عنه - قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَزُورُ حَمْزَةَ فِي بَيْتِي، فَجَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمًا "، فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ بُرْمَةً [6] فِيهَا خُبْزَةٌ، "فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدَهُ فِي الْبُرْمَةِ لِيَأْكُلَ، فَاحْتَرَقَتْ أَصَابِعُهُ فَقَالَ: حَسِّ، ثُمَّ قَالَ: ابْنُ آدَمَ إِنْ أَصَابَهُ الْبَرْدُ قَالَ حَسِّ، وَإِنْ أَصَابَهُ الْحَرُّ قَالَ حَسِّ " [7]

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- حُرْمة نكاح المتزوجات: حرائر أو إماء حتى تنقضي عدتهن أيًا كان سبب العدة.
- أن مهر المرأة يتعين بعد الدخول بها، وجواز أن تحط بعض مهرها إذا كان بطيب نفس منها.
- جواز نكاح الإماء المؤمنات عند عدم القدرة على نكاح الحرائر" إذا خاف على نفسه الوقوع في الزنى.
- من مقاصد الشريعة بيان الهدى والضلال، وإرشاد الناس إلى سنن الهدى التي تردهم إلى الله تعالى. [8]

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (26).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (26).

(3) {النساء: 28}.

(4) أَيْ: لا يتقوى بعضه ببعض، ولا قوة له ولا ثبات، بل يكون مُتَزَلْزِل الأمر، متغيِّر الحال، متعرِّضا للآفات، والتَّمَالُك: التَّمَاسُك. مرقاة المفاتيح (ج16/ 328).
وَقِيلَ: لَا يَمْلِك نَفْسه وَيَحْبِسهَا عَنْ الشَّهَوَات.
وَقِيلَ: لَا يَمْلِك دَفْع الْوَسْوَاس عَنْهُ.
وَقِيلَ: لَا يَمْلِك نَفْسه عِنْد الْغَضَب، وَالْمُرَاد جِنْس بَنِي آدَم. شرح النووي (8/ 436).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (26)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(5) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2611).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (12561).

(6) البُرمة: القِدر مطلقا، وهي في الأصل: المُتَّخذَة من الحجارة.

(7) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (27357).
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (1527).
و(صححه) الإمام الألباني) في (ظلال الجنة) برقم (704).

(8) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (82/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

[٢٧] ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والله يريد أن يتوب عليكم، ويتجاوز عن سيئاتكم، ويريد الذين يسيرون خلف ملذاتهم، أن تبعدوا عن طريق الاستقامة بُعدًا شديدًا. (1)

* * *

يَعْنِي:- والله يريد أن يتوب عليكم، ويتجاوز عن خطاياكم، ويريد الذين ينقادون لشهواتهم وملذاتهم أن تنحرفوا عن الدين انحرافًا كبيرًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- والله يريد أن يرجع بكم إلى طاعته، ويريد الذين يتَّبعون ملاذهم ورغباتهم الفاجرة من الكفار والعصاة أن تبعدوا عن طريق الحق بعداً شديداً. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} ... كَرَّرَهُ لِيَبْنِيَ عَلَيْهِ.

{وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ} ... الْيَهُود وَالنَّصَارَى أَوْ الْمَجُوس أَوْ الزُّنَاة.

{أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} ... تَعْدِلُوا عَنْ الْحَقّ بِارْتِكَاب مَا حُرِّمَ عَلَيْكُم فَتَكُونُوا مثلهم.

{أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} ... تَحِيدُوا عن طريق الطُّهْر والصفاء إلى طريق الخُبْث وَالْكَدَرُ بِارْتِكَاب الْمُحَرَّمَات.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قَال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} أَيْ: يُرِيدُ أَتْبَاعُ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالزُّنَاةِ {أَنْ تَمِيلُوا} يَعْنِي: عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ {مَيْلا عَظِيمًا}. (4)

* * *

قَال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- وقوله: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} أي: توبة تلم شعثكم، وتجمع متفرقكم، وتقرب بعيدكم.

{وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ} أي: يميلون معها حيث مالت ويقدمونها على ما فيه رضا محبوبهم، ويعبدون أهواءهم، من أصناف الكفرة والعاصين، المقدمين لأهوائهم على طاعة ربهم، فهؤلاء يريدون {أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} أي: (أن) تنحرفوا عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين.

يريدون أن يصرفوكم عن طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان، وعن التزام حدود من السعادة كلها في امتثال أوامره، إلى مَنْ الشقاوةُ كلها في اتباعه. فإذا عرفتم أن الله تعالى يأمركم بما فيه صلاحكم وفلاحكم

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (83/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (113/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (27)، للإِمَامْ (ابن كثير).

وسعادتكم، وأن هؤلاء المتبعين لشهواتهم يأمرونكم بما فيه غاية الخسار والشقاء، فاختاروا لأنفسكم أولى الداعيين، وتخيّروا أحسن الطريقتين.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قال: الزنا. (أن تميلوا ميلا عظيما) قال: يريدون أن تزنوا.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): (ويريد الذين يتبعون الشهوات) قال: هم اليهود والنصارى (أن تميلوا ميلا عظيما).(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} {27} إنْ وَقَعَ مِنْكُمْ تَقْصِيرٌ فِي أمر دينكم.

{وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا} عن الحق، {مَيْلًا عَظِيمًا} بِإِتْيَانِكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَاخْتَلَفُوا في الموصوفين باتباع الشهوات،

فقال: (السُّدِّيُّ): هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى،

وَقَالَ: بَعْضُهُمْ: هُمُ الْمَجُوسُ لِأَنَّهُمْ يُحِلُّونَ نِكَاحَ الْأَخَوَاتِ وَبَنَاتِ الْأَخِ وَالْأُخْتِ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): هُمُ الزُّنَاةُ يُرِيدُونَ أَنْ تَمِيلُوا عَنِ الْحَقِّ فَتَزْنُونَ كما يزنون،

يَعْنِي:- هم كَمَا يَزْنُونَ،

يَعْنِي:- هُمْ جَمِيعُ أَهْلِ الْبَاطِلِ.(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَاللهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} أَن يتجاوز عَنْكُم حِين حرم عَلَيْكُم الزِّنَا وَنِكَاح الْأَخَوَات من الْأَب {وَيُرِيدُ الَّذين يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَات} الزِّنَا وَنِكَاح الْأَخَوَات من الْأَب وهم الْيَهُود. {أَن تميلُوا مَيْلاً عَظِيماً} أَن تخطئوا خطأ عَظِيما بِنِكَاح الْأَخَوَات من الْأَب لقَولهم إِنَّه حَلَال فِي كتابنَا.(5)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} هِيَ مثل الأولى قبلهَا. {وَيُرِيدُ الَّذين يتبعُون الشَّهَوَات} يَعْنِي: الْيَهُود فِي استحلالهم نِكَاح بَنَات.(6)

* * *

قال: الإمام (إبن المُنذِير) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):: (1634) - حَدَّثنا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْقُطَعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَهُ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (27)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (27). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (27).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (27).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (27). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(6) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (27) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

عَـنْ (عَبْـدِ اللهِ بْـنِ مَسْـعُودٍ): " {وَأَنْ تَصْـبِرُوا خَيْـرٌ لَكُـمْ} يَقُـولُ: إِنْ تَصْـبِرُوا عَـنْ نِكَـاحِ الإِمَـاءِ خَيْرٌ لَكُمْ {وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} " (1)

* * *

قَـال: الإِمَـام (إبـن المُنـذِر) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره) – (بسـنده):::- (1635) – حَـدَّثنَا مُوسَـى، قَـالَ: حَـدَّثنَا عَبْـدُ الأعلـى، قَـالَ: حَـدَّثنَا مسـلم، عَـنْ (ابْـنِ أَبِـي نَجِـيحٍ)، عَـنْ (مجاهـد) " {وَأَنْ تَصْـبِرُوا} يقُـول: عَـنْ نكـاح الإماء {خَيْرٌ لَكُمْ} وهن حل " (2)

* * *

قوله جَـلَّ وَعَـزَّ: {وَيُرِيـدُ الَّـذِينَ يَتَّبِعُـونَ الشَّهَوَاتِ}

قَـال: الإِمَـام (إبـن المُنـذِر) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره) – (بسـنده):::- (1636) – حَـدَّثنَا مُوسَـى، قَـالَ: حَـدَّثنَا يَحْيَـى، قَـالَ: حَـدَّثنَا أَبُـو مُعَاوِيَـةَ، عَـنْ رَجُـلٍ، عَـنِ الْحَكَـمِ، عَـنْ (مُجَاهِـدٍ)، عَـنِ (ابْـنِ عَبَّـاسٍ)، قَـالَ: " {وَيُرِيـدُ الَّـذِينَ يَتَّبِعُـونَ الشَّـهَوَاتِ} قَـالَ: الزِّنَـا "

وَكَذَلِكَ قَالَ: (عِكْرِمَةُ). (3)

* * *

قوله جَلَّ وَعَزَّ: {أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا}

قَـال: الإِمَـام (إبـن المُنـذِر) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره) – (بسـنده):::- (1637) – حَـدَّثنَا أَبُـو سَـعْدٍ، قَـالَ: حَـدَّثنَا أَبُـو سـلمة، عَـنْ أبـي عاصم، عَـنْ عيسـى، قَـالَ: حَـدَّثنَا (ابْـنُ أَبِـي نَجِـيحٍ)، عَـنْ (مجاهـد) " {أَنْ تَمِيلُـوا مَـيْلًا عَظِيمًا} قَالَ: أن تزنوا" (4)

* * *

قَـال: الشَـيْخ (جـابر بـن أبـو بكـر الجزائـري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {يُرِيـدُ اللهُ لِيُبَيِّـنَ لَكُـمْ}: يريـد الله أن يـبين لكـم بمـا حـرم علـيكم وأحـل لكم ما يكملكم ويسعدكم في دنياكم وأخراكم.

{سُـنَنَ الَّـذِينَ مِـنْ قَـبْلِكُمْ}: طرائـق الـذين مـن قـبلكم مـن الأنبيـاء والصـالحين لتنهجـوا نهجهم فتطهروا وتكملوا وتفلحوا مثلهم.

{وَيَتُـوبَ عَلَـيْكُمْ}: يرجـع بكـم عمـا كـنتم عليـه من ضلال الجاهلية إلى هداية الإسلام.

{الَّـذِينَ يَتَّبِعُـونَ الشَّـهَوَاتِ}: مـن اليهـود والنصارى والمجوس والزناة. (5)

* * *

[٢٨] ﴿ يُرِيـدُ اللَّـهُ أَنْ يُخَفِّـفَ عَـنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يريـد الله أن يخفـف عـنكم فيمـا شـرع، فـلا يكلفكـم مـا لا تطيقـون" لأنـه عـالم بضـعف الإنسان في خَلْقه وخُلُقه. (6)

* * *

(1) انظـر: ((كتـاب: تفسـير القـرآن)، في سـورة (النسـاء) – الآيـة (27)، للإمام (أبـو بكـر محمـد بـن إبـراهيم بـن المنـذر النيسـابوري) / قـدم لـه الأستاذ الدكتور: (عبد الله بن عبد المحسن التركي).

(2) انظـر: ((كتـاب: تفسـير القـرآن)، في سـورة (النسـاء) – الآيـة (27)، للإمام (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري).

(3) انظـر: ((كتـاب: تفسـير القـرآن)، في سـورة (النسـاء) – الآيـة (27)، للإمام (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري).

(4) انظـر: ((كتـاب: تفسـير القـرآن)، في سـورة (النسـاء) – الآيـة (27)، للإمام (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري).

(5) انظـر: (أيسـر التفاسـير لكـلام العلـي الكـبير) في سـورة (النسـاء)) الآيـة (27)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(6) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (83/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِـي:- يريد الله تعالى بما شرعه لكم التيسير، وعدم التشديد عليكم" لأنكم خلقتم ضعفاء.(1)

* * *

يَعْنِـي:- يريد الله أن يُيَسِّر عليكم بتشريع ما فيه سهولة لكم، وتخفيف عليكم، وقد خلق الله الإنسان ضعيفاً أمام غرائزه وميوله، فيناسبه من التكاليف ما فيه يسر وسعة. وذلك هو ما يكلف الله عباده فضلاً وتيسيراً.(2)

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا)

قال: الإمَام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): (يريد الله أن يخفف عنكم) في نكاح الأمة، وفي كل شيء فيه يسر.(3)

* * *

قال: الإمَام (ابْنُ أَبِي حَاتِم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا محمد بن إسماعيل الأحسى، ثنا وكيع، عن سفيان، عن (ابن طاوس)، عن أبيه: (وخلق الإنسان ضعيفا) قال: في أمر النساء.

قال: (وكيع): يذهب عقله عندهن.(4)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ} {النساء: 28}يُسَهِّلَ عَلَيْكُمْ فِي أَحْكَامِ الشَّرْعِ، وَقَدْ سَهَّلَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ} {الْأَعْرَاف: 157}.

وَقَالَ: النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((بعثت بالدين الحنيفية السَّمْحَةِ السَّهْلَة)) ،

{وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} {النساء: 28}

قَالَ: (طَاوُس) وَغَيْرُهُ : فِي أَمْرِ النِّسَاءِ: لَا يُصْبَرُ عَنْهُنَّ،

وَقَالَ: (ابْنُ كَيْسَانَ): خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا يَسْتَمِيلُهُ هَوَاهُ وَشَهْوَتُهُ،

وَقَالَ: الْحَسَنُ: هُوَ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، بَيَانُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} {الرُّوم: 54}(5)

* * *

قال : الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ} أَيْ: فِي شَرَائِعِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَمَا يُقَدِّرُهُ لَكُمْ، وَلِهَذَا أَبَاحَ نِكَاحَ الْإِمَاءِ بِشُرُوطِهِ،

كَمَا قَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَغَيْرُهُ: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} فَنَاسَبَهُ التَّخْفِيفُ" لِضَعْفِهِ فِي نَفْسِهِ وَضَعْفِ عَزْمِهِ وَهِمَّتِهِ.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَحْمَسِيُّ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ: {خُلِقَ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (83/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (113/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (28).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (28).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (28).

الإِنْسَانُ ضَعِيفًا} أَيْ: فِي أَمْرِ النِّسَاءِ، وَقَالَ: (وَكِيعٌ): يَذْهَبُ عَقْلُهُ عِنْدَهُنَّ.

وَقَالَ: مُوسَى الْكَلِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ لِنَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ حِينَ مَرَّ عَلَيْهِ رَاجِعًا مِنْ عِنْدِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا فَرَضَ عليكم؟ فقال: "أمرني بخمسين صَلاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ" فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ" فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ عَلَى مَا هُوَ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ فَعَجَزُوا، وَإِنَّ أُمَّتَكَ أَضْعَفُ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَقُلُوبًا، فَرَجَعَ فَوَضَعَ عَشْرًا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بَقِيَتْ خَمْسًا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "هُنَّ خَمْسٌ وَهُنَّ خَمْسُونَ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا" الْحَدِيثَ. (1) (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ} أي: بسهولة ما أمركم به و{ما} نهاكم عنه، ثم مع حصول المشقة في بعض الشرائع أباح لكم ما تقتضيه حاجتكم، كالميتة والدم و نحوهما للمضطر، وكتزوج الأمة للحر بتلك الشروط السابقة. وذلك لرحمته التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ} أَن يهون عَلَيْكُم فِي تزوج الولائد عِنْد الضَّرُورَة {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً} لَا يصبر عَن أمر النِّسَاء. (4)

* * *

[٢٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يأخذ بعضكم مال بعض بالباطل، كالغصب والسرقة والرشوة وغيرها، إلا أن تكون الأموال أموال تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين، فيحل لكم أكلها والتصرف فيها، ولا يقتل بعضكم بعضًا، ولا يقتل أحدكم نفسه، ولا يُلْقِ بها إلى التهلكة، إن الله كان بكم رحيمًا، ومن رحمته حَرَّمَ دمائكم وأموالكم وأعراضكم. (5)

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (349) – (كتاب: الصلاة).
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (162) – ((كتاب: الإيمان).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (28)، للإمام (ابن كثير). .

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (28)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (28). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا يحل لكم أن يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، إلا أن يكون وَفْقَ الشرع والكسب الحلال عن تراض منكم، ولا يقتل بعضكم بعضًا فتهلكوا أنفسكم بارتكاب محارم الله ومعاصيه. إن الله كان بكم رحيمًا في كل ما أمركم به، ونهاكم عنه.(1)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا لا يأخذ بعضكم مال بعض بغير الحق. ولكن تجوز لكم التجارة بالتراضي منكم، ولا تهلكوا أنفسكم بمخالفة أوامر ربكم، ولا يجني أحدكم على أخيه فإنما هي نفس واحدة، إن الله دائم الرحمة بكم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{بِالْبَاطِلِ} ... بما لم تبحه الشريعة.

{إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً} ... إلا أن تقع تجارة. والاستثناء منقطع.

{عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ} ... صفة لتجارة، أي تجارة صادرة عن تراض، وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها.

والتراضي: رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال البيع وقت الإيجاب والقبول.

{وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ} ... من كان من جنسكم من المؤمنين. يَعْنِي:- أن يقتل الرجل نفسه مع الطيش.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً} ... أي: ما نهاكم عما يضركم إلا لرحمته عليكم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} بالظلم وَالْغَصْب وَشَهَادَة الزُّور وَالْحلف الْكَاذِب وَغير ذَلِك {إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً} إِلاَ أَن يتْرك بَعْضكُم على بعض فِي الشِّرَاء وَالْبيع والمحاباة {عَن تَرَاضٍ} بتراض {مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ} بَعْضكُم بَعْضًا بِغَيْر حق {إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً} حِين حرم عَلَيْكُم قتل بَعْضكُم بَعْضًا.(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {29}، قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} بِالْحَرَامِ، يَعْنِي: بِالرِّبَا وَالْقِمَارِ وَالْغَصْبِ وَالسَّرِقَةِ وَالْخِيَانَةِ وَنَحْوِهَا،

يَعْنِي:- هُوَ الْعُقُودُ الْفَاسِدَةُ {إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً} قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ (تِجَارَةً) نُصِبَ عَلَى خَبَرِ كَانَ، أَيْ: إِلاَّ أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ تِجَارَةً، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالرَّفْعِ، أَيْ: إِلاَّ أَنْ تَقَعَ تِجَارَةً {عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} أَيْ بِطِيبَةِ نَفْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ،

يَعْنِي:- هُوَ أَنْ يُجِيزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَبَايِعَيْنِ صَاحِبَهُ بَعْدَ الْبَيْعِ، فَيَلْزَمُ وَإِلاَّ فَلَهُمَا الخيار ما لم لتفرقا {وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} قَالَ:

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (83/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (113/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (29). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(أَبُو عُبَيْدَةَ): أَيْ لَا تُهْلِكُوهَا، كَمَا قَالَ: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البَقَرَة: 195].

يَعْنِي:- لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ، يَعْنِي:- أَرَادَ بِهِ قَتْلَ المسلم نفسه،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) يَعْنِي: إِخْوَانَكُمْ، أَيْ: لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: 29]. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تقسيره):- {29}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}.

ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالغصوب والسرقات، وأخذها بالقمار والمكاسب الرديئة. بل لعله يدخل في ذلك أكل مال نفسك على وجه البطر والإسراف، لأن هذا من الباطل وليس من الحق.

ثم إنه -لما حرم أكلها بالباطل- أباح لهم أكلها بالتجارات والمكاسب الخالية من الموانع، المشتملة على الشروط من التراضي وغيره.

{وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} أي: لا يقتل بعضكم بعضًا، ولا يقتل الإنسان نفسه. ويدخل في ذلك الإلقاءُ بالنفس إلى التهلكة، وفعلُ الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} ومن رحمته أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها، ورتب على ذلك ما رتبه من الحدود.

وتأمل هذا الإيجاز والجمع في قوله: {لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ} {وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} كيف شمل أموال غيرك ومال نفسك وقتل نفسك وقتل غيرك بعبارة أخصر من قوله: "لا يأكل بعضكم مال بعض" و"لا يقتل بعضكم بعضًا" مع قصور هذه العبارة على مال الغير ونفس الغير فقط.

مع أن إضافة الأموال والأنفس إلى عموم المؤمنين فيه دلالة على أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ومصالحهم كالجسد الواحد، حيث كان الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية.

ولما نهى عن أكل الأموال بالباطل التي فيها غاية الضرر عليهم، على الآكل، ومن أخذ ماله، أباح لهم ما فيه مصلحتهم من أنواع المكاسب والتجارات، وأنواع الحرف والإجارات، فقال: {إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} أي: فإنها مباحة لكم.

وشرط التراضي -مع كونها تجارة- لدلالة أنه يشترط أن يكون العقد غير عقد ربا لأن الربا ليس من التجارة، بل مخالف لمقصودها، وأنه لا بد أن يرضى كل من المتعاقدين ويأتي به اختياراً.

ومن تمام الرضا أن يكون المعقود عليه معلوما، لأنه إذا لم يكن كذلك لا يتصور الرضا مقدوراً على تسليمه، لأن غير المقدور عليه شبيه ببيع القمار، فبيع الغرر بجميع أنواعه خال من الرضا فلا ينفذ عقده.

---

(1) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (29).

وفيها أنه تنعقد العقود بما دل عليها من قول أو فعل، لأن الله شرط الرضا فبأي طريق حصل الرضا انعقد به العقد. ثم ختم الآية بقوله: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} ومن رحمته أن عصم دماءكم وأموالكم وصانها ونهاكم عن انتهاكها. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه):
حدثنا العباس بن الوليد الدمشقي. ثنا مروان بن محمد. ثنا عبد العزيز بن محمد، عن داود بن صالح المدني، عن أبيه، قال: سمعت (أبا سعيد الخدري) يقول: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إنما البيع عن تراض)). (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا صدقة، أخبرنا عبد الوهاب، قال سمعت يحيى بن سعيد، قال سمعت نافعا، عن (ابن عمر) - رضي الله عنهما - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((إن المتبايعين بالخيار في بيعهما ما لم يتفرقا أو يكون البيع خيارا)).

قال (نافع): وكان (ابن عمر) إذا اشترى شيئا يعجبه فارق صاحبه. (3)(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا علي بن الموصلي، ثنا ابن فضيل، عن داود الأدوي، عن عامر، عن (علقمة)، عن (عبد الله؟)، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) قال: إنها لمحكمة ما نسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة. (5)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق: أخبرنا. وقال زهير: حدثنا جرير) عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، قال: دخلتُ المسجد فإذا (عبد الله بن عمرو بن العاص) جالس في ظل الكعبة، والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم. فجلست إليه. فقال: كنا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في سفر، فنزلنا منزلا، فمنّا من يصلح خباءه. ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جَشَره. إذ نادى منادي رسول الله - صَلَّى

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (29)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) أخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 2185)- (التجارات)، / باب: (بيع الخيار).
قال: الإمام (البوصيري): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.
وأخرجه الإِمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) - عن (الحسن بن سفيان ثنا سعيد بن عبد الجبار ثنا الدراوردى عن داود بن صالح) به وزيادة.
وأخرجه الإِمَامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) - من طريق - (يحيى بن سليمان عن عبد العزيز) فذكره بإسناده ومتنه، وله شاهد من حديث (جابر بن عبد الله)،
رواه الإمام (الترمذي) و الإمام (ابن ماجة)، ورواه الإمام (أبو داود)، و الإمام (الترمذي) من حديث -(أبي هريرة)-. (مصباح الزجاجة) برقم (10/2).
و(حسنه) الإمام (السيوطي) في (الجامع الصغير) برقم (559/2)، (ح 2551).
وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) في (صحيح ابن ماجة) برقم (13/2).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (34/2)، الطبعة: الأولى، (1420 هـ - 1999 م).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 2107) - ((كتاب: البيوع)،/ باب: (كم يجوز الخيار)،

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (ح 45) - (البيوع).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (29).

اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -: الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -. فقال: ((إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها. وسيصيب أخرها بلاء وأمور تنكرونها. وتجيء فتنة فيُرقق بعضها بعضاً. وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي، ثم تنكشف. وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويُدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم والآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع. فإن جاء أخر ينازعه فاضربوا عنق الأخر)). فدنوت منه فقلت له: أنشدك الله! آنت سمعت هذا من رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيده. وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل. ونقتل أنفسنا والله يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا). قال: فسكت ساعةً ثم قال: أطعه في طاعة الله. واعصه في معصية الله. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - (حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ (عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) فَقَالَ: الْمُسْلِمُونَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ نَهَانَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بِالْبَاطِلِ، وَالطَّعَامُ هُوَ مِنْ فَضْلِ الأَمْوَالِ، فَلا يَحِلُّ لأَحَدٍ مِنَّا أَنْ يَأْكُلَ عِنْدَ أَحَدٍ، فَكَفَّ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ {لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حرج} الآيَةَ. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) قال: التجارة رزق من رزق الله، وحلال من حلال الله، لمن طلبها بصدقها وبرها. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): قول الله تبارك وتعالى: (عن تراض منكم) ، في تجارة أو بيع، أو عطاء يعطه أحد أحدا. (4)

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (3/1472-1473)، (ح 1844) - (كتاب: الأمارة)، / باب:(وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء..) .

(2) أخرجه الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) في (التفسير) - من سورة (النساء:29)، برقم (3/927)، (5179) .

وقد أخرج هذا الحديث الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (3/343)، (ح 3753) - (كتاب: الأطعمة)، / باب:(نسخ الضيف يأكل من مال غيره)، - من طريق - (يزيد النحوي)، -عن (عكرمة)- عن (ابن عباس) بنحوه.

قال: الإمام (الألباني): (حسن الإسناد) في (صحيح أبي داود)، (ح 3192) .

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/36)، الطبعة: الأولى، (1420 هـ - 1999 م)،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (29).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (29).

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر حدثنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة أن (ثابت بن الضحاك) -وكان من أصحاب الشجرة- حدثه أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من حَلَفَ على ملة غير الإسلام كاذبا فهو كما قال، وليس على ابن أدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذب به يوم القيامة، ومن لَعَنَ مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله)).(1) (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا شعبة عن سليمان قال: سمعت ذكوان يحدث عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً. ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً. ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلدا فيها أبداً)).(3) (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا ابن المثنى، أخبرنا وهب بن جرير: أخبرنا أبي، قال: سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن (عبد الرحمن بن جبير) (المصري) ، عن عمرو بن العاص، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: "يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ " فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول (و لا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) فضحك رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولم يقل شيئا.

قال: الإِمَامْ (أبو داود): (عبد الرحمن بن جبير مصري مولى خارجة بن حذافة)، وليس هو (ابن جبير بن نفير).

* * *

وقال: الإِمَامْ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن سلمة (المرادي) : أخبرنا ابن وهب، عن ابن لهيعة، وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، أن عمرو بن العاص كان على سرية، وذكر الحديث نحوه، قال: فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم صلى بهم، فذكر نحوه، ولم يذكر التيمم.

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (479/10)، (ح 6047)- (كتاب : الأدب)، / باب:(ما ينهى عن السب واللعن).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 176-177) - (كتاب : الإيمان)، / باب:(غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه).

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (258/10)، (ح 5778) – (كتاب : الطب)، / باب: (شراب السم والدواء به ..).

(4) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 175) (كتاب : الإيمان)، / باب:(غلظ تحريم قتل النفس).

قال: الإمام (أبو داود) : وروى هذه القصة عن (الأوزاعي) عن (حسان بن عطية) قال: فيه "فتيمم".(1)

* * *

قال: الإمام (النسائي) - (رحمه الله) - في (سننه):
أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: أنبأنا بقية قال: حدثني بجير بن سعد، عن خالد بن معدان أن أبارهم السمعي حدثهم أن أبا أيوب الأنصاري حدثه أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويجتنب الكبائر كان له الجنة فسألوه عن الكبائر)) ؟ فقال: ((الإشراك بالله وقتل النفس المسلمة والفرار يوم الزحف)).(2)

* * *

(خ د حم) , عَنْ (عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ) - رضي الله عنه - قَالَ: (" بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -)(3) (- عَامَ ذَاتِ السَّلَاسِلِ -)(4) (فَقَالَ: خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ ثُمَّ ائْتِنِي " , فَأَتَيْتُهُ "وَهُوَ يَتَوَضَّأُ , فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ ثُمَّ طَأطَأَهُ)(5) (ثُمَّ قَالَ: يَا عَمْرُو , إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ)(6) (فَيُسَلِّمَكَ اللهُ وَيُغْنِمَكَ , وَأَرْغَبُ لَكَ مِنْ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً)(7) " , فَقُلْتُ: يَا يَا رَسُولَ اللهِ , إِنِّي مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ , وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ , وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: "يَا عَمْرُو , نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ ")(8) (قَالَ: فَاحْتَلَمْتُ فِي)(9) (غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ)(10) (فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلَكَ ,

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أبو داود) في (السنن) برقم (92/1)، (ح 334، 335) -(كتاب : الطهارة)، / باب:(إذا خاف الجنب البرد أيتيمم؟) . والرواية الثانية:
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (142/4- 143 ح 1315) - من طريق-. (عمرو بن الحارث عن يزيد به). قال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (203/4، 204) من طريق (ابن لهيعة) به،
قال: الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني): (إسناده قوى) (الفتح الباري) برقم (454/1).
و(صححه) الإِمَامْ (النووي) كما نقل الإِمَامْ (الألباني) في (إرواء الغليل) برقم (181/1، 182) ،
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (177/1) –(كتاب : الطهارة) عن (عمرو ابن الحارث) ورجل آخر، عن (يزيد) به،
وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الإِمَامْ (الذهبي) وقد رجح الإِمَامْ (ابن القيم) الرواية التي فيها الغسل على رواية (التيمم) في (زاد المعاد) برقم (388/3) .
ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 37)، الطبعة: الأولى ،
(2) أخرجه الإِمَامْ (النساء) في (السنن) برقم (88/7)-(كتاب : تحريم الدم)،/ باب: (ذكر الكبائر) .
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (413/5) - من طريق- (حيوة عن بقيه) به.
و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح النسائي) برقم (ح 3743).
و(حسنه) الإِمَامْ (شعيب الأرناؤوط) في (جامع الأصول) برقم (626/10) .
كما ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 38)، الطبعة: الأولى.

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17789).
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (299).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط) : (إسناده صحيح).
(4) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17845).
(خ) 3662،
(م) (8) - (2384).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (حديث صحيح).
(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17789) .
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (299).
(6) وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (299).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (3211).
انظر: (صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد) : (229).
(7) أيْ: أعطيك من المال شيئا لا بأس به.
(8) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17789).
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (299).
(9) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17845).
(10) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (334).

فَتَيَمَّمْتُ , ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي صَلَاةَ الصُّبْحِ , فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - (ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ لِي: " يَا عَمْرُو, صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟") (2) فَقُلْتُ: (فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ , إِنِّي احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ , فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلَكَ , وَذَكَرْتُ قَوْلَ اللهِ - عز وجل -: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ, إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ, " فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ") . (3)

(1)

* * *

[٣٠] ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن يفعل ذلك الذي نهيتكم عنه فيأكل مال غيره أو يتعدى عليه بقتل ونحوه عالمًا متعديًا لا جاهلًا أو ناسيًا" فسيدخله الله نارًا عظيمة يوم القيامة، يعاني حرها، ويقاسي عذابها، وكان ذلك على الله هينًا" لأنه قادر لا يعجزه شيء. (4)

* * *

يَعْنِي:- ومن يرتكب ما نهى الله عنه من أخذ المال الحرام كالسرقة والغصب والغش معتديًا متجاوزًا حد الشرع، فسوف يدخله الله نارًا يقاسي حرَّها، وكان ذلك على الله يسيرًا. (5)

* * *

يَعْنِي:- ومن يُقْدِمُ على فعل ما حرَّم الله اعتداءً وتجاوزاً لحقّه فسوف ندخله ناراً يحترق فيها، وكان ذلك على الله هيِّناً ميسوراً. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} ... أَيْ: مَا نُهِيَ عَنْهُ.

{ذَلِكَ} ... إشارة إلى القتل. أي ومن يقدم على قتل الأنفس.

{عُدْوَانًا وَظُلْمًا} ... اعْتِدَاءً يكون فيه ظالمًا. (أي: لا خطأ ولا اقتصاصا).

{عُدْوَانًا} ... تَجَاوُزًا لِلْحَلَالِ حَال .

{وَظُلْمًا} ... تَأْكِيد.

{فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا} ... نجعله يصلى بنار.

{فَسَوْفَ نُصْلِيهِ} ... نُدْخِلُهُ.

{نَارًا} ... يَحْتَرِقُ فِيهَا.

{وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} ... هَيِّنًا، (أي: لأن الحكمة تدعو إليه).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الْإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17845).
(2) أخرجه الإِمَامُ (أبو داود) في (السنن) برقم (334).
(3) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17845).
وأخرجه الإِمَامُ (أبو داود) في (السنن) برقم (334).
وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (29)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1). تصنيف (جماعة من علماء التفسير).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (83/1). المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (113/1). المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا} أيْ: وَمَنْ يَتَعَاطَى مَا نهاه الله عنه متعديا فيه ظَالمًا في تَعَاطِيه، أَيْ: عَالمًا بِتَحْرِيمه مُتَجَاسِرًا عَلَى انْتِهَاكه {فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ، فَلْيَحْذَرْ مِنْهُ كُلُّ عَاقِلٍ لَبِيبٍ مِمَّنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {30} {وَمَن يَفْعَل ذَلِك} الْقَتْل وَاسْتِحْلَال الْمَال {عُدْوَاناً} اعتداء {وَظُلْماً} وجوراً {فَسَوْفَ نُصْلِيه} ندخله {نَاراً} فِي الْآخِرَة وَهَذَا وَعِيد لَهُ {وَكَانَ ذَلِك} الدُّخُول وَالْعَذَاب {عَلَى الله يَسِيراً} هيناً. (2)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {30}، {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} يَعْنِي: مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنَ الْمحرمات، {عُدْوَانًا وَظُلْمًا} فَالْعُدْوَانُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، وَالظُّلْمُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعه، {فَسَوْفَ نُصْلِيهِ} ندخله في الآخرة، {نَارًا} يُصْلَى فِيهَا، {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} هَيِّنًا. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {30} ثم قال: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} أي: أكل الأموال بالباطل وقتل النفوس {عُدْوَانًا وَظُلْمًا} أي: لا جهلا ونسيانا {فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا} أي: عظيمة كما يفيده التنكير {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}. (4)

* * *

[٣١] ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن تبتعدوا أيها المؤمنون- عن فعل كبائر المعاصي مثل الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا" نتجاوز عما ترتكبونه من صغائرها بتكفيرها ومحوها، وندخلكم مكانًا كريمًا عند الله، وهو الجنة. (5)

* * *

يَعْنِي:- إن تبتعدوا أيها المؤمنون- عن كبائر الذنوب كالإشراك بالله وعقوق الوالدين وقَتْلِ النفس بغير الحق وغير ذلك، نكفِّر عنكم ما دونها من الصغائر، وندخلكم مدخلا كريمًا، وهو الجنَّة. (6)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (30)، للإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (30). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَام (البغوي) سورة (النساء) الآية (30).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (30)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (83/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِي:- إن تبتعدوا عن الذنوب العظيمة التي ينهاكم الله عنها نمنع عنكم ما دونها من السيئات والصغائر ما دمتم باذلين جهدكم في الاستقامة، وننزلكم في الدنيا والآخرة منزلاً فيه إحسان لكم وتكريم. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ} ... وَهِيَ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا وَعِيدٌ كَالْقَتْلِ وَالزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وعن (بن عبَّاس) هِيَ إِلَى السَّبْعمائَةِ أَقْرَب.

{كَبَائِر} ... الذُّنُوبَ الكَبِيرَةَ مِمَّا فِيهِ حَدٌّ، أَوْ لَعْنَةٌ، أَوْ وَعِيدٌ.

{كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ} ... أي: ما كبر من المعاصي التي ينهاكم الله عنها، والرسول.

{نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} ... الصَّغَائِر بِالطَّاعَات. (أي: صَغَائِرَكُمْ).

{نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} ... نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم، ونجعلها كأن لم تكن، لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها، على عقاب السيئات. والكبيرة والصغيرة إنما وصفتا بالكبر والصغر بإضافتهما إما إلى طاعة أو معصية. والتكفير إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة.

{سَيِّئَاتِكُمْ} ... الذُّنُوبَ الصَّغِيرَةَ.

{وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا} ... بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا، أَيْ: إِدْخَالًا أَوْ مَوْضعًا.

{مُدْخَلًا} ... بضم الميم وفتحها، بمعنى المكان والمصدر، فهما.

{كَرِيمًا} ... هُوَ الجنة.

* * *

الدليل و البرهان والحجّة لشرح هذه الآية :

قَالَ : الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِيرٍ) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} . أَيْ: إِذَا اجْتَنَبْتُمْ كَبَائِرَ الْآثَامِ الَّتِي نُهِيتُمْ عَنْهَا كَفَّرْنَا عَنْكُمْ صَغَائِرَ الذُّنُوبِ وَأَدْخَلْنَاكُمُ الْجَنَّةَ" وَلِهَذَا قَالَ: {وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَلْنَذْكُرْ مِنْهَا مَا تَيَسَّرَ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا هُشَيم عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ قَرْثَعٍ الضَّبِّيِّ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَتَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟ " قُلْتُ: هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ أَبَاكُمْ. قَالَ: "لَكِنْ أَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ، لَا يَتَطَهَّرُ الرَّجُلُ فَيُحْسِنُ طُهُورَهُ، ثُمَّ يَأْتِي الْجُمُعَةَ فَيُنْصِتُ حَتَّى يَقْضِيَ الْإِمَامُ صَلَاتَهُ، إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، مَا اجْتُنِبَتِ الْمَقْتَلَةُ.

وَقَدْ رَوَى الإمام (الْبُخَارِيُّ) مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ (سَلْمَانَ) نَحْوَهُ . (1) (2)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (113/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (439/5).
ورواه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (910)- من طريق- (سعيد المقبري عن أبيه عن ابن وديعة عن سلمان الفارسي) بنحوه.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {إِن تَجْتَنِبُواْ} إن تتركوا {كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنهُ} في هذ السُّورَة {نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} ذنوبكم دون الْكَبَائِر من جماعة إلى جماعة ومن جُمُعَة إلى جُمُعَة ومن شهر رَمَضَان إلى شهر رَمَضَان {وَنُدْخِلْكُمْ} في الْآخرَة {مُّدْخَلاً كَرِيماً} حسنا وَهِي الْجنَّة(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تقسيره):- {30} ثم قال: {وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ} أي: أكل الأموال بالباطل وقتل النفوس {عُدْوَانًا وَظُلْمًا} أي: لا جهلا ونسيانا {فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا} أي: عظيمة كما يفيده التنكير {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}. (3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} {النساء: 31} اخْتَلَفُوا فِي الْكَبَائِرِ الَّتِي جَعَلَ الله اجتنابها تكفيرا للصغائر، ففي حديث عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الغموس))،

وفي آخر ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟)) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فقال: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ))،

وفي آخر قَالَ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: ((الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ)).

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْيَأْسُ مِنْ روح اللَّهِ. وَعَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ): أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ (ابْنَ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ الْكَبَائِرِ: أسبع هي؟ قَالَ: هِيَ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ أَقْرَبُ إِلَا أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ، وَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ، فَمَنْ عمل شَيْئًا مِنْهَا فَلْيَسْتَغْفِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّدُ فِي النَّارِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَا رَاجِعًا عَنِ الْإِسْلَامِ أَوْ جَاحِدًا فَرِيضَةً أَوْ مُكَذِّبًا بِقَدَرٍ.

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ): مَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى قَوْلِهِ: (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ)، فَهُوَ كَبِيرَةٌ.

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ): هِيَ كُلُّ ذَنْبٍ خَتَمَهُ اللَّهُ بِنَارٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ لَعْنَةٍ أَوْ عَذَابٍ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): مَا أَوْعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَدًا فِي الدُّنْيَا أَوْ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (31)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (31). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (31)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقَالَ: (الْحَسَنُ بْنُ الْفَضْلِ): مَا سَمَّاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ كَبِيرًا أَوْ عَظِيمًا نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} {النِّسَاء: 2}، {إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} {الْإِسْرَاء: 31}

{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} {لُقْمَان: 13}

{إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} {يُوسُف: 28}

{سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} {النُّور: 16}

{إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا} {الْأَحْزَاب: 53}

قَالَ: (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ): الْكَبَائِرُ مَا كَانَ فِيهِ الْمَظَالِمُ بينك وبين عباد الله تعالى، وَالصَّغَائِرُ مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يعفو،

وَقَالَ: (مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ): الْكَبَائِرُ ذُنُوبُ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَالسَّيِّئَاتُ ذُنُوبُ أَهْلِ السُّنَّةِ،

يَعْنِي:- الْكَبَائِرُ ذُنُوبُ الْعَمْدِ وَالسَّيِّئَاتُ الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا أُكْرِهَ عَلَيْهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ الْمَرْفُوعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ،

يَعْنِي:- الْكَبَائِرُ ذُنُوبُ الْمُسْتَحِلِّينَ مِثْلَ ذَنْبِ إِبْلِيسَ وَالصَّغَائِرُ ذُنُوبُ الْمُسْتَغْفِرِينَ مِثْلَ ذَنْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): الْكَبَائِرُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ الْكَبَائِرِ، وَالسَّيِّئَاتُ مُقَدِّمَاتُهَا وتوابعها مما يجمع فِيهِ الصَّالِحُ وَالْفَاسِقُ، مِثْلَ النَّظْرَةِ واللمسة والقبلة وأشباهها،

يَعْنِي:- الْكَبَائِرُ مَا يَسْتَحْقِرُهُ الْعِبَادُ، وَالصَّغَائِرُ مَا يَسْتَعْظِمُونَهُ فَيَخَافُونَ مُوَاقَعَتَهُ:

يَعْنِي:- الْكَبَائِرُ الشِّرْكُ، وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ، وَمَا دُونَ الشِّرْكِ فَهُوَ مِنَ السَّيِّئَاتِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} {النساء: 48}، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} {النساء: 31} أَيْ: حَسَنًا وَهُوَ الْجَنَّةُ، قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ (مَدْخَلًا) بِفَتْحِ الْمِيمِ هَاهُنَا وَفِي الْحَجِّ، وَهُوَ مَوْضِعُ الدُّخُولِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالضَّمِّ عَلَى المصدر بمعنى الإدخال. (1)

* * *

قوله تعالى: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)

قَالَ: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن حميد بن عبد الرحمن عن (عبد الله بن عمرو) -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه)) قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: ((يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه)). (2)(3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني سليمان بن بلال عن ثور بن زيد المدني عن أبي الغيث عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (31).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (417/10)، (ح 5973) – (كتاب: الأدب)، / باب: (لا يسب الرجل والديه).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (92/1)، (ح 90) – (كتاب: الإيمان)، / باب: (بيان الكبائر وأكبرها).

وَسَلَّمَ - قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات)). قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: ((الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)). (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (النسائي) - (رحمه الله) - في (سننه):

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: أنبأنا بقية قال: حدثني بجير بن سعد، عن خالد بن معدان أن أبارهم السمعي حدثهم أن (أبا أيوب الأنصاري) حدثه أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويجتنب الكبائر كان له الجنة فسألوه عن الكبائر؟ فقال: ((الإشراك بالله وقتل النفس المسلمة والفرار يوم الزحف)). (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا حميد بن مسعدة بصري. حدثنا بشر بن المفضل حدثنا الجريري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ألا أحدثكم بأكبر الكبائر"؟. قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله، وعُقوق الوالدين"، قال: وجَلَسَ وكان متكئاً قال: "وشهادة الزور- أو قال: قول الزور" قال: فما زال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقولها حتى قلنا ليته سكت.

قال (أبو عيسى). هذا حديث حسن غريب صحيح. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي ثنا إسحاق ابن الحسن ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان (وحدثنا) أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري ثنا محمد بن عبد السلام ثنا إسحاق بن إبراهيم انبأ وكيع عن سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن (مسروق) عن (عبد الله) قال: الكبائر من أول سورة النساء إلى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) من أول السورة ثلاثين آية. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن خزيمة) - (رحمه الله) - في (التوحيد): ثنا علي بن مسلم قال: ثنا أبو داود قال: ثنا الحكم بن خزرج قال: ثنا ثابت عن أنس قال: قال رسول الله - صَلَّى

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (462/5)، (ح 2766)- (كتاب : الوصايا)، / باب: قوله تعالى (الآية)) .

(2) أخرجه الإِمَامْ (النساء) في (السنن) برقم (88/7)- (كتاب : تحريم الدم)، / باب: (ذكر الكبائر) .

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (413/5) - من طريق - (حيوة عن بقيه) به.

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح النسائي) برقم (ح 3743) .

و(حسنه) الشيخ : (شعيب الأرناؤوط) في (جامع الأصول) برقم (626/10).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (38/2)،

(3) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (235/5-236)، (ح 3019-3021) – (كتاب : التفسير)، / باب: (سورة النساء) .

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) .

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 39)، الطبعة : الأولى ، (1420 هـ - 1999 م).

(4) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (59/1) – (كتاب : الإيمان)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وجب إخراجه على ما شرطت في تفسير الصحابة) .

اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)).(1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان، قال: حدثني منصور وسليمان عن أبي وائل عن أبي ميسرة عن (عبد الله بن مسعود) - رضي الله عنه - قال: سألت -أو سئل- رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك". قلت ثم أي؟ قال: "ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك". قلت: ثم أيّ؟ قال: "أن تزاني بحليلة جارك". قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون). (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - والإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة أو عذاب. (3)(4)

* * *

[٣٢] ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تتمنَّوا أيها المؤمنون- ما فضل الله به بعضكم على بعض" لئلا يؤدي إلى السخط والحسد، فلا ينبغي للنساء أن يرتجين ما خص الله به الرجال فإن لكل فريق حظًّا من العمل الذي يلائمه، واطلبوا مِن الله أن يزيدكم مِن عطائه" إن الله عليم بكل شيء فأعطى كل نوع ما يناسبه من العمل. (5)

---

(1) أخرجه الإمام (ابن خزيمة) في (التوحيد) برقم (656/2)، / باب: (ذكر لفظة رويت عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ذكر الشفاعة).

وأخرجه الإمام (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (21/5-22)، (ح 1622-1623) - من طريق - (محمد بن رافع) و(علي بن مسلم) عن كلاهما عن الإمام (أبي داود) -وهو الطيالسي- به. و(صحح) محققه إسناديهما).

وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (625/4)، (ح 2435).

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان)- (132/8)، (ح 6434).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (69/1) كلهم - من طريق - (عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس).

وقال: الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه): (حسن صحيح غريب).

و(صححه) الإمام (الحاكم)، ووافقه الإمام (الذهبي).

و(صححه) الإمام (البيهقي). (انظر: (تخريج إحياء علوم الدين) برقم (2205/5)، (ح 3483)، و(كشف الخفا) برقم (10/2).

وقال: الإمام (الحافظ ابن كثير): (إسناد صحيح على شرط الشيخين) (التفسير) برقم (248/2)،

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (ح 1983).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 39)، الطبعة: الأولى، (1420 هـ - 1999 م)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (350/8-351)، (ح 4761) – (كتاب: تفسير القرآن)- (سورة الفرقان)، / باب: (الآية).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (31).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (31).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

* * *

يَعْنِـي:- ولا تتمنوا ما فضَّل الله به بعضكم على بعض، في المواهب والأرزاق وغير ذلك، فقد جعل الله للرجال نصيبًا مقدرًا من الجزاء بحسب عملهم، وجعل للنساء نصيبًا مما عملن، واسألوا الله الكريم الوهاب يُعْطِكم من فضله بدلا من التمني. إن الله كان بكل شيء عليمًا، وهو أعلم بما يصلح عباده فيما قسمه لهم من خير. (1)

* * *

يَعْنِـي:- ولا يتطلع الرجال إلى ما مَيَّز الله به النساء، ولا النساء إلى ما ميز الله به الرجال، فإن لكل فريق حظاً ملائماً لما طبع عليه من العمل وما أضيف إليه من الحقوق، فليتجه كل إلى رجاء الاستزادة من فضل الله بتنمية مواهبه والاستعانة على ما نيط به. إن الله كان عالماً أتم العلم بكل شئ، وقد أعطى كل نوع ما يصلح له. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} ... مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا أَوْ الدِّين لِئَلَّا يُؤَدِّي إلَى التَّحَاسُد وَالتَّبَاغُض.

(ي: نهى عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال، لأن ذلك التفضيل قسمة من الله).

{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ} ... جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط أو القبض كسبا له.

{لِلرِّجَال نَصِيب} ... ثَوَاب.

{مِمَّا اكْتَسَبُوا} ... بِسَبَبِ مَا عَمِلُوا مِنْ الْجِهَاد وَغَيْره.

{وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ} ... مِنْ طَاعَة أَزْوَاجهنَّ وَحِفْظ فُرُوجهنَّ نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمّ سَلَمَة لَيْتَنَا كُنَّا رِجَالًا فَجَاهَدْنَا وَكَانَ لنا مثل أجر الرجال.

{وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} ... ولا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد.

{واسألوا} ... بِهَمْزَة وَدُونهَا.

{اللَّه مِنْ فَضْله} ... مَا احْتَجْتُمْ إلَيْهِ يُعْطِكُمْ.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} ... وَمِنْهُ مَحَلّ الْفَضْل وَسُؤَالكُمْ.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الإِمَامُ (البغـوي) – (مُحيِي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {32}، {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} {النساء: 32} الْآيَةَ، قَالَ: (مُجَاهِدٌ): قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الرِّجَالَ يَغْزُونَ وَلَا نَغْزُو وَلَهُمْ ضِعْفُ مَا لَنَا مِنَ الْمِيرَاثِ، فَلَوْ كُنَّا رِجَالًا غَزَوْنَا كَمَا غَزَوْا وَأَخَذْنَا مِنَ الْمِيرَاثِ مِثْلَ مَا أَخَذُوا. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

يَعْنِـي:- لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فِي الْمِيرَاثِ، قَالَتِ النِّسَاءُ: نَحْنُ أَحَقُّ وَأَحْوَجُ إِلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الرجال، لأننا ضعيفات وَهُمْ أَقْوَى وَأَقْدَرُ عَلَى طَلَبِ

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (83/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (113/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الْمَعَاش، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)، وَقَالَ: (قَتَادَةُ والسدي) لما أنزل الله قَوْلُهُ: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} {النساء: 11} قال الرجل إِنَّا لنَرْجُو أَنْ نُفَضَّلَ عَلَى النِّسَاءِ بِحَسَنَاتِنَا فِي الْآخرَة فَيَكُونُ أَجْرُنَا عَلَى الضِّعْفِ مِنْ أَجْرِ النِّسَاءِ كَمَا فُضِّلْنَا عَلَيْهِنَّ فِي الْمِيرَاثِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا} مِنَ الْأَجْرِ {وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ} مَعْنَاهُ: أَنَّ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ فِي الْأَجْرِ فِي الْآخرَة سَوَاءٌ، وَذَلِكَ أن الحسنة تكون بعشرة أَمْثَالِهَا يَسْتَوِي فِيهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَإِنْ فُضِّلَ الرِّجَالُ فِي الدُّنْيَا عَلَى النِّسَاءِ،

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا مِنْ أَمْرِ الْجِهَادِ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ مِنْ طَاعَةِ الْأَزْوَاجِ وَحفظ الْفُرُوجِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} نهى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ التَّمَنِّي لِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاعِي الْحَسَدِ، وَالْحَسَدُ أن يتمنى الرجل زوال النعمة عن صاحبه سواء تمناها لنفسه أم لا، وَهُوَ حَرَامٌ، وَالْغِبْطَةُ أَنْ يَتَمَنَّى لِنَفْسِهِ مِثْلَ مَا لِصَاحِبِهِ وَهُوَ جَائِزٌ.

وقوله: (وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ) أَيْ مِنْ رِزْقِه،

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): مِنْ عِبَادَتِهِ، فَهُوَ سُؤَالُ التَّوْفِيقِ لِلْعِبَادَةِ،

قَالَ: (سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ): لَمْ يَأْمُرْ بِالْمَسْأَلَةِ إِلاَ لِيُعْطِيَ. {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} {النساء: 32}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {32} {وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}.

ينهى تعالى المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره من الأمور الممكنة وغير الممكنة. فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء، ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغنى والكمال تمنيا مجردا لأن هذا هو الحسد بعينه، تمني نعمة الله على غيرك أن تكون لك ويسلب إياها. ولأنه يقتضي السخط على قدر الله والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة التي لا يقترن بها عمل ولا كسب. وإنما المحمود أمران: أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية، ويسأل الله تعالى من فضله، فلا يتكل على نفسه ولا على غير ربه.

ولهذا قال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا} أي: من أعمالهم المنتجة للمطلوب. {وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ} فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب فيه.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (32).

{وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} أي: من جميع مصالحكم في الدين والدنيا. فهذا كمال العبد وعنوان سعادته لا من يترك العمل، أو يتكل على نفسه غير مفتقر لربه، أو يجمع بين الأمرين فإن هذا مخذول خاسر.

وقوله: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} فيعطي من يعلمه أهلا لذلك، ويمنع من يعلمه غير مستحق. (1)

* * *

قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله) – في (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس):

{وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ الله بِهِ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ} يَقُول لاَ يتَمَنَّى الرجل مَال أَخِيه ودابته وَامْرَأَته وَلاَ شَيْئا من الَّذِي لَهُ واسألوا الله من فَضله وَقُولُوا اللَّهُمَّ ارزقنا مثله أَو خيرا مِنْهُ مَعَ التَّفْوِيض وَيُقَال نزلت هَذِه الْآيَة فِي أم سَلمَة زوج النَّبِي – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم –لقولها للنَّبِي لَيْت الله كتب علينا مَا كتب على الرِّجَال لكَي نؤجر كَمَا تؤجر الرِّجَال فَنهى الله عَن ذَلِك فَقَالَ: وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فضل الله بِهِ من الْجَمَاعَة وَالْجُمُعَة والغزو وَالْجهَاد وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر بَعْضكُم يَعْنِي الرِّجَال على بعض يَعْنِي النِّسَاء ثمَّ بَين ثَوَاب الرِّجَال وَالنِّسَاء باكتسابهم فَقَالَ: {لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ} ثَوَاب {مِّمَّا اكتسبوا} من الْخَيْر {وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ} ثَوَاب {مِّمَّا اكتسبن} من الْخَيْر فِي بُيُوتهنَّ {واسألوا الله مِن فَضْلِهِ} من توفيقه وعصمته {إِنَّ الله كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ} من الْخَيْر وَالشَّر وَالثَّوَاب وَالْعِقَاب والتوفيق والخذلان {عليما}. (2)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) – (رحمه الله) – في (سننه) – (بسنده): - حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد)، عن أم سلمة، أنها قالت: يغزو الرجال ولا يغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث. فأنزل الله: {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}. قال (مجاهد): فأنزل فيها: (إن المسلمين والمسلمات) وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة.

قال: (أبو عيسى): هذا حديث مرسل. ورواه بعضهم عن (ابن أبي نجيح) عن (مجاهد) مرسلاً أن أم سلمة قالت: كذا وكذا. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – والإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما) – عن (الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (32)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (32). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (237/5)، (ح 3022)– (كتاب: تفسير القرآن)، / باب: من سورة (النساء)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (305/2-306) – من طريق – (قبيصة عن سفيان به)،
و(صححه على شرط الشيخين)، ووافقه الإمام (الذهبي).
وأخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (262/8)، (ح 9241) – من طريق – : الإمام (عبد الرزاق)، عن (سفيان): وعنده: عن (مجاهد) قال: قالت أم سلمة. ولأجل ذلك حكم الإمام (الترمذي) على الرواية السالفة بالإرسال.
ولكن رد الشيخ: (أحمد شاكر) القول بإرساله في بحث له نافع، وأثبت صحة الحديث واتصاله (حاشية الطبري 263/8)،
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الترمذي) برقم (ح 2419).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (40/2)، الطبعة: الأولى، (1420 هـ – 1999 م)، (دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية).

(ابن عباس): قال: لا يتمنى الرجل فيقول: ((ليت لي مال فلان أو أهله فنهى الله سبحانه عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله)).(1)(2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - والإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله تعالى: (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) : يعني مما ترك الوالدان والأقربون، يقول: للذكر مثل حظ الأنثيين.(3)(4)

* * *

قال:الإمَامْ (مجاهد) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- أنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثنا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: ثنا آدَمُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ (مُجَاهِدٍ): فِي قَوْلِهِ {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} {النساء: 32} قَالَ: ‹ هَذَا قَوْلُ النِّسَاءِ لَيْتَنَا كُنَّا رِجَالًا فَنَغْزُو، وَنَبْلُغَ مَا بَلَغُوا › فَنَزَلَتْ {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} {النساء: 32}.(5)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (32).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (32).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (32). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (32).

(5) انظر: (تفسير مجاهد) في سورة (النساء) - الآية (32)، للإمَامْ: (أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي) (المتوفى: 104هـ)، المحقق: الدكتور (محمد عبد السلام أبو النيل).

* * *

[٣٣] ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ولكل واحد منكم جعلنا له عَصَبَة يرثون مما ترك الوالدان والأقربون من ميراث. والذين عقدتم معهم الأيمان المؤكدة على الحِلْف والنصرة فأعطوهم نصيبهم من الميراث، إن الله كان على كل شيء شهيداً، ومن ذلك شهادته على أيمانكم وعهودكم هذه، والتوارث بالحِلْف كان في صدر الإسلام، ثم نُسِخ.(6)

* * *

يَعْني:- ولكل واحد منكم جعلنا ورثة يرثون مما ترك الوالدان والأقربون، والذين تحالفتم معهم بالأيمان المؤكدة على النصرة وإعطائهم شيئًا من الميراث فأعطوهم ما قُدِّر لهم. والميراث بالتحالف كان في أول الإسلام، ثم رُفِع حكمه بنزول آيات المواريث. إن الله كان مُطَّلِعًا على كل شيء من أعمالكم، وسيجازيكم على ذلك.(7)

* * *

يَعْني:- ولكلّ من الرجال والنساء جعلنا مستحقين لتركتهم يكونون خلفاء لهم، وهم الوالدان والأقربون والذين عقد المتوفى لهم

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (83/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(7) انظر: (التفسير الميسر) برقم (83/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

عقداً مقتضاه أن يرثوه إذا مات من غير قرابة، وينصروه إذا احتاج إلى نصرتهم في مقابل ذلك، فآتوا كل ذى حق حقه ولا تنقصوه شيئاً، إن الله كان رقيباً على كل شئ، حاضراً معكم، يشهد ما تتصرفون به. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلِكُلٍّ} ... مِنْ الرِّجَال وَالنِّسَاء.

يَعْنِي:- (أي: ولكل قوم).

{جَعَلْنَا مَوَالِي} ... وراثا .... عَصَبَة يُعْطَوْنَ.

{مَوَالِيَ} ... أولياءَ، وهم الورثة، فَلْكلِّ إنسانٍ مَوَالٍ يرثونَهُ.

{مَوالِي} ... وَرَثَةٌ.

{مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} ... لَهُمْ مِنْ مال.

{ممَّا تَرَكَ} ... تبيين لقوله وَلِكُلٍّ. أي: ولكل شيء مما ترك. أي من المال.

{وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} .... مبتدأ ضمن معنى الشرط، فوقع خبره، وهو فَآتوهُمْ مع الفاء، ويجوز أن يكون منصوبا، أي فآتوهم الذين.

ويجوز أن يعطف على قوله الْوالِدانِ ويكون المضمر فى فَآتُوهُمْ للموالى.

والمراد بالذين عقدت أيمانكم، أي الذين عقد المتوفى لهم عقدا مقتضاه أن يرثوه إذا مات من غير قرابة، وينصروه إذا احتاج إلى نصرتهم فى مقابل ذلك.

{والذين عاقدت} ... بِأَلِف وَدُونهَا.

{أَيْمَانُكُمْ} ... جَمْع يَمِين بِمَعْنَى الْقَسَم أَوْ الْيَد، أَيْ الْحُلَفَاء الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّة عَلَى النُّصْرَة وَالْإِرْث.

{وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} ... مِنْ حَالَفْتُمُوهُمْ عَلَى النُّصْرَة.

{عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} ... المعاقدةُ: المحالفةُ، وكان الرجل يحالف الرجلَ ليس بينهما نسبٌ فَيرِثُ أحدُهُما الآخَرَ.

{فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ} ... أي: فآتوا كل ذى حق حقه.

{نَصِيبَهُم} ... حُظُوظهمْ مِنْ الْمِيرَاث وَهُوَ السُّدُس.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} ... مُطَّلِعًا وَمِنْهُ حَالكم وهذا منسوخ بقوله.

(أي: كان رقيبا على كل شيء، حاضرا معكم، يشهد ما تتصرفون به).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {33} {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ} أَيْ: وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ جَعَلْنَا مَوَالِي، أَيْ: عُصْبَةً يُعْطُونَ {مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} الوالدان وَالْأَقْرَبُونَ هُمُ الْمُوَرِّثُونَ،

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ أَيْ: وَرَثَةً مِمَّا تَرَكَ أَيْ: مِنَ الَّذِينَ تركوهم وَيَكُونُ (مَا) بِمَعْنَى: (مَنْ)، ثُمَّ فسر {الْمَوَالِيَ} {مريم: 5} فقال: الوالدان والأقربون، أي: هم الوالدان والأقربون، فعلى هذا القول: الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، هُمُ الْوَارِثُونَ،

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (113/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ (عَقَدَتْ) بِلَا أَلِف، أَيْ: عَقَدَتْ لَهُمْ أَيْمَانُكُمْ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ (عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) وَالْمُعَاقَدَةُ: الْمُحَالَفَةُ وَالْمُعَاهَدَةُ، وَالْأَيْمَانُ جَمْعُ يَمِينٍ مِنَ الْيَدِ وَالْقَسَمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا عِنْدَ الْمُحَالَفَةِ يَأْخُذُ بَعْضُهُمْ بِيَدِ بَعْضٍ عَلَى الْوَفَاءِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْعَهْدِ. وَمُحَالَفَتُهُمْ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُعَاقِدُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ: دَمِي دَمُكَ وَثَأْرِي ثَأْرُكَ وَحَرْبِي حَرْبُكَ وَسِلْمِي سِلْمُكَ وَتَرِثُنِي وَأَرِثُكَ وَتَطْلُبُ بِي وَأَطْلُبُ بِكَ وَتَعْقِلُ عَنِّي وَأَعْقِلُ عَنْكَ (فَيَكُونُ لِلْحَلِيفِ السُّدُسُ مِنْ مَالِ الْحَلِيفِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ} أَيْ: أَعْطُوهُمْ حَظَّهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} {الأنفال: 75}.

وَقَالَ: (إِبْرَاهِيمُ) وَ(مُجَاهِدٌ): أَرَادَ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالرِّفْدِ وَلَا مِيرَاثَ لَهُمْ، وَعَلَى هَذَا تَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} {المائدة: 1}.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الَّذِينَ آخَى بَيْنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَكَانُوا يَتَوَارَثُونَ بِتِلْكَ الْمُؤَاخَاةِ دُونَ الرَّحِمِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ) نُسِخَتْ، ثُمَّ قَالَ: (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ) مِنَ النَّصْرِ وَالرِّفَادَةِ وَالنَّصِيحَةِ، وَقَدْ ذَهَبَ الْمِيرَاثُ فَيُوصِي لَهُ.

وَقَالَ: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ): كَانُوا يَتَوَارَثُونَ بِالتَّبَنِّي وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهِ ثُمَّ نُسِخَ. {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} {النساء: 33}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- أي: {وَلِكُلٍّ} من الناس {جَعَلْنَا مَوَالِيَ} أي: يتولونه ويتولاهم بالتعزز والنصرة والمعاونة على الأمور. {مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} وهذا يشمل سائر الأقارب من الأصول والفروع والحواشي، هؤلاء الموالي من القرابة.

ثم ذكر نوعا آخر من الموالي فقال: {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} أي: حالفتموهم بما عقدتم معهم من عقد المحالفة على النصرة والمساعدة والاشتراك بالأموال وغير ذلك. وكل هذا من نعم الله على عباده، حيث كان الموالي يتعاونون بما لا يقدر عليه بعضهم مفردا.

قال تعالى: {فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ} أي: آتوا الموالي نصيبهم الذي يجب القيام به من النصرة والمعاونة والمساعدة على غير معصية الله. والميراث للأقارب الأدنين من الموالي.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} أي: مطلعا على كل شيء بعلمه لجميع الأمور، وبصره لحركات عباده، وسمعه لجميع أصواتهم. (2)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (33).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (33)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {وَلِكُلٍّ} يَقُول وَلكُل وَاحِد {جَعَلْنَا} مِنْكُم {مَوَالِي} يَعْنِي الْوَرَثَة لكَي يَرث {مِمَّا تَرَكَ} مَا ترك {الْوَالِدَانِ} من المَال {وَالْأَقْرَبُونَ} فِي الرَّحِم {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ} شروطكم {فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ} أعطوهم شروطهم وَقد نسخت الْآن وَقد كَانُوا يتبنون رجَالًا وغلمانا يجْعَلُونَ لَهُم فِي مَالهم كَمَا لبَعض وَلدهم فنسخ الله ذَلِك وَلَيْسَ بمنسوخ إِن أَعْطَاهُم من الثُّلُث نصيبهم {إِنَّ اللهَ كَانَ على كُلِّ شَيْءٍ} من أَعمالكُم {شَهِيداً} عَالما. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {مَوَالِي} (2) : قَالَ (مَعْمَرٌ) (3) :
أَوْلِيَاءُ مَوَالِي، وَأَوْلِيَاءُ وَرَثَةٌ.
(عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ): هُوَ مَوْلَى اليَمِينِ، وَهْوَ الحَلِيفُ ,
وَالمَوْلَى أَيْضًا: ابْنُ العَمِّ،
وَالمَوْلَى: المُنْعِمُ المُعْتِقُ،
وَالمَوْلَى: المُعْتَقُ،
وَالمَوْلَى: المَلِيكُ،
وَالمَوْلَى: مَوْلًى فِي الدِّينِ.

* * *

قال: الإمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا الصلت بن محمد، حدثنا أبو أسامة، عن إدريس، عن طلحة بن مصرف، عن (سعيد بن جُبير)، عن (ابن عباس) - رضي الله عنهما- (وَلِكُلٍّ جعَلْنَا مَوَالِيَ) قال: ورثة. (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاريَّ دون ذوي رحمه للأخوة التي أخى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بينهم فلما نزلت (وَلِكُلٍّ جعَلْنَا مَوَالِيَ) نسخت. ثم قال: (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له.
سمع أبو أسامة إدريس. سمع إدريس طلحة. (4)

* * *

قال: الإمَامْ (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السياري. بمرو ثنا محمد بن موسى بن حاتم ثنا علي بن الحسن بن شقيق انبأ الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن (عكرمة) عن (ابن عباس) - رضي الله عنهما- (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم) قال: كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب ليرث أحدهما الآخر فنسخ الله ذلك بالأنفال (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله). (5)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (33). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (33). برقم (ج 6/ ص44).

(3) (معمر): هو أبو عبيدة , معمر بن المثنى رحمه الله تعالى.
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء) آية (33)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(4) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (96/8)، (ح 4580) – (كتاب : تفسيرالقرآن)- (سورة النساء) .

(5) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (346/4) – (كتاب : الفرائض) . وسكت عنه وكذا الإِمَامْ (الذهبي). وقد رويت عدة آثار في ذلك تقوي أثر (ابن عباس) وتشهد له.
(انظر: بيان ذلك في مرويات الإِمَامْ (أحمد) في (التفسير) برقم (353/1).
ومن هذه الآثار رواية الإِمَامْ (الطبري) عن (ابن عباس) التالية:

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – والإمَامْ (ابن أبي حاتم) – رحمهما الله – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: الموالي، العصبة، يعني: الورثة.(1)(2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – والإمَامْ (ابن أبي حاتم) – رحمهما الله – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله: (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ) فكان الرجل يعاقد الرجل أيهما مات ورثه الآخر، فأنزل الله {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا} {الأحزاب: 6}. يقول: إلا أن يوصوا لأوليائهم الذين عاقدوا وصية، فهو لهم جائز من ثلث مال الميت وذلك هو المعروف.(3)(4)

* * *

قال: الإمَامْ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير وأبو أسامة، عن زكريا، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جبير بن مطعم. قال: قال: رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة)).(5)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• سعة رحمة الله بعباده؛ فهو سبحانه يحب التوبة منهم، والتخفيف عنهم، وأما أهل الشهوات فإنما يريدون بهم ضلالًا عن الهدى.

• حفظت الشريعة حقوق الناس؛ فحرمت الاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض، ورتبت أعظم العقوبة على ذلك.

• الابتعاد عن كبائر الذنوب سبب لدخول الجنة ومغفرة للصغائر.

• الرضا بما قسم الله، وترك التطلع لما في يد الناس؛ يُجنب المرء الحسد والسخط على قدر الله تعالى.(6)

* * *

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (33). ،

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (33).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (33).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (33).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (96/8)، (ح 4580) – (كتاب: تفسيرالقرآن) – (سورة النساء).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1961/4)، (ح 2530) – (كتاب فضائل الصحابة)، / باب: (مؤاخاة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بين أصحابه ..).

[٣٤] ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾:

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (34) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (35) وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (37)

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

شؤونهن، بسبب ما خصَّهم الله به من الفضل عليهن، وبسبب ما يجب عليهم من النفقة والقيام عليهن، والصالحات من النساء مطيعات لربهن، مطيعات لأزواجهن، حافظات لهم في غيبتهم بسبب توفيق الله لهن، واللاتي تخافون ترفُّعهن عن طاعة أزواجهن في قول أو فعل، فابدؤوا أيها الأزواج- بتذكيرهن وتخويفهن من الله، فإن لم يستجبن فاهجروهن في الفراش، بأن يوليها ظهره، ولا يجامعها، فإن لم يستجبن فاضربوهن ضربًا غير مبرِّح، فإن رجعن إلى الطاعة" فلا تعتدوا عليهن بظلم أو معاتبة، إن الله كان ذا علوّ على كل شيء، كبيرًا في ذاته وصفاته فخافوه. (1)

* * *

يَعْنِي:- الرجال قوَّامون على توجيه النساء ورعايتهن، بما خصهم الله به من خصائص القِوامَة والتفضيل، وبما أعطوهن من المهور والنفقات. فالصالحات المستقيمات على شرع الله منهن، مطيعات لله تعالى ولأزواجهن، حافظات لكل ما غاب عن علم أزواجهن بما أؤتمنَّ عليه بحفظ الله وتوفيقه، واللاتي تخشون منهن ترفُّعهن عن طاعتكم، فانصحوهن بالكلمة الطيبة، فإن لم تثمر معهن الكلمة الطيبة، فاهجروهن في الفراش، ولا تقربوهن، فإن لم يؤثر فعل الهِجْران فيهن، فاضربوهن ضربًا لا ضرر فيه، فإن أطعنكم فاحذروا ظلمهن، فإن الله العليَّ الكبير وليُّهن، وهو منتقم ممَّن ظلمهن وبغى عليهن. (2)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (84/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (84/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِـي:- الرجال لهم حق الرعاية للنساء، والقيام بشئونهن بما أعطاهم الله من صفات تهيئهم للقيام بهذا الحق، وبسبب أنهم هم الذين يكدُّون ويكدحون لكسب المال الذى ينفقونه على الأسرة، فالصالحات مطيعات لله ولأزواجهن، حافظات لكل ما يغيب عن أزواجهن بسبب أمر الله بهذا الحفظ وتوفيقه لهن. والزوجات اللاتى تظهر منهن بوادر العصيان، فانصحوهن بالقول المؤثِّر، واعتزلوهن فى الفراش، وعاقبوهن بضرب خفيف غير مبرح ولا مُهين عند التمرد، فإن رجعن إلى طاعتكم فى أى سبيل من هذه السبل الثلاث، فلا تتطلبوا السبيل التى هى أشد منها بغياً عليهن، إن الله فوقكم وينتقم منكم إذا آذيتموهن أو بغيتم عليهن. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ} ... مُسَلَّطُونَ.

{عَلَى النِّسَاءِ} ... يُؤَدِّبُونَهُنَّ وَيَأْخُذُونَ عَلَى أَيْدِيهِنَّ.

{بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} ... أَيْ: بِتَفْضِيلِهِ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْوِلَايَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

{وَبِمَا أَنْفَقُوا} ... عَلَيْهِنَّ.

{مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ} ... مِنْهُنَّ.

{قَانِتَاتٌ} ... مُطِيعَاتٌ لله تَعَالَى ثُمَّ لِأَزْوَاجِهِنَّ.

{حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ} ... أَيْ لِفُرُوجِهِنَّ وَغَيْرِهَا فِي غَيْبَةِ أَزْوَاجِهِنَّ.

{بِمَا حَفِظَ} ... لَهُنَّ.

{اللَّهُ} ... حَيْثُ أَوْصَى عَلَيْهِنَّ الْأَزْوَاجَ.

{وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ} ... عِصْيَانَهُنَّ لَكُمْ بِأَنْ ظَهَرَتْ أَمَارَتُهُ.

{نُشُوزَهُنَّ} ... عِصْيَانَهُنَّ وَتَرَفُّعَهُنَّ عَنْ طَاعَتِكُمْ. {أي: تَعَالِيَهُنَّ وَمَعْصِيَتَهُنَّ}.

{فَعِظُوهُنَّ} ... فَخَوِّفُوهُنَّ اللَّهَ.

{وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} اعْتَزِلُوا إِلَى فِرَاشٍ آخَرَ إِنْ أَظْهَرْنَ النُّشُوزَ.

{وَاضْرِبُوهُنَّ} ... ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ إِنْ لَمْ يَرْجِعْنَ بِالْهِجْرَانِ.

{فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ} ... فِيمَا يُرَادُ مِنْهُنَّ.

{فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا} ... أَيْ: لا تَطْلُبُوا لَهُنَّ طَرِيقًا تَتَوَصَّلُونَ بِهِ إِلَى ضَرْبِهِنَّ بَعْدَ أَنْ أَطَعْنَكُمْ.

{فَلَا تَبْغُوا} ... تَطْلُبُوا.

{عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا} ... طَرِيقًا إِلَى ضَرْبِهِنَّ ظُلْمًا.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} ... فَاحْذَرُوهُ أَنْ يُعَاقِبَكُمْ إِنْ ظَلَمْتُمُوهُنَّ.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النسآء} مسلطون على أدب النِّسَاء {بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُمْ} الرِّجَال بِالْعقلِ وَالْقِسْمَة فِي الْغَنَائِم وَالْمِيرَاث {على بَعْض} يَعْنِي النِّسَاء {وَبِمَآ أَنْفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ} يَعْنِي بِالْمهْرِ وَالنَّفَقَة الَّتِي عَلَيْهِم دونهن {فالصالحات} يَقُول المحسنات إِلَى أَزوَاجهنَّ {قَانِتَاتٌ} مطيعات لله فِي أَزوَاجهن {حَافِظَاتٌ} لأنفسهن وَمَال أَزوَاجهن

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (114/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لِّلْغَيْبِ} لغيب أزواجهن {بِمَا حفظ الله} بحفظ لله إياهن بالتوفيق {واللاتي تخافون} تعلمون {نُشُوزَهُنَّ} عصيانهن في المضاجع معكم {فعظُوهُنَّ} بالعلم وَالْقُرآن {واهجروهن في الْمضاجع} حولوا عنْهُن وُجوهكم في الْفراش {واضربوهن} ضربا غير مبرح وَلاَ شائن {فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ} في الْمضاجع {فَلاَ تبْغُواْ} فلا تَطْلُبُوا {عَلَيهِنَّ سَبِيلاً} في الْحب {إنَّ الله كَانَ عليّاً} أعلى كل شَيْء {كَبِيراً} أكبر كل شَيْء لم يكلفهم ذلك فلا تكلفوا النِّسَاء مَا لا طَاقَة لَهُنَّ بِه من الْمحبَّة. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {34} {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَ مِنَ النُّقَبَاءِ وفي امرأته وَذَلِكَ أَنَّهَا نَشَزَتْ عَلَيْهِ فَلَطَمَهَا، فَانْطَلَقَ أَبُوهَا مَعَهَا إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: أَفْرَشْتُهُ كَرِيمَتِي فَلَطَمَهَا، فَقَالَ: النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " لِتَقْتَصَّ مِنْ زَوْجِهَا " فَانْصَرَفَتْ مَعَ أَبِيهَا لِتَقْتَصَّ مِنْهُ فَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "ارْجِعُوا هَذَا جِبْرِيلُ أَتَانِي بِشَيْءٍ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " أَرَدْنَا أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا، وَالَّذِي أَرَادَ اللَّهُ خَيْرٌ"، وَرَفَعَ الْقِصَاصَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) أَيْ: مُسَلَّطُونَ عَلَى تَأْدِيبِهِنَّ، وَالْقَوَّامُ وَالْقَيِّمُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَالْقَوَّامُ أَبْلَغُ وَهُوَ الْقَائِمُ بِالْمَصَالِحِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّأْدِيبِ، {بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} يَعْنِي: فَضَّلَ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ بِزِيَادَةِ الْعَقْلِ وَالدِّينِ وَالْوِلَايَةِ،

يَعْنِي:- بِالشَّهَادَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ} {الْبَقَرَةِ: 282}.

يَعْنِي:- بِالْجِهَادِ، يَعْنِي:- بِالْعِبَادَاتِ مِنَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، يَعْنِي:- هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ يَنْكِحُ أَرْبَعًا وَلَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ إِلَّا زَوْجٌ وَاحِدٌ، يَعْنِي:- بِأَنَّ الطَّلَاقَ بِيَدِهِ، يَعْنِي:- بِالْمِيرَاثِ، يَعْنِي:- بِالدِّيَةِ، يَعْنِي:- بِالنُّبُوَّةِ، {وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} يعني: إعطاء المهر والنفقة، قوله تعالى: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ} أي: مطيعات، {حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ} أَيْ: حَافِظَاتٌ لِلْفُرُوجِ فِي غَيْبَةِ الْأَزْوَاجِ، يَعْنِي:- حَافِظَاتٌ لِسِرِّهِمْ، {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ} قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ (بِمَا حَفِظَ اللَّهَ) بِالنَّصْبِ، أَيْ: يَحْفَظْنَ اللَّهَ فِي الطَّاعَةِ، وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِالرَّفْعِ، أي بما يحفظن اللَّهُ بِإِيصَاءِ الْأَزْوَاجِ بِحَقِّهِنَّ وَأَمْرِهِمْ بِأَدَاءِ الْمَهْرِ وَالنَّفَقَةِ.

يَعْنِي:- حَافِظَاتٌ للغيب بحفظ الله {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ} عِصْيَانَهُنَّ وَأَصْلُ النُّشُوزِ: التَّكَبُّرُ وَالِارْتِفَاعُ، وَمِنْهُ النَّشْزُ لِلْمَوْضِعِ الْمُرْتَفِعِ، {فَعِظُوهُنَّ} بِالتَّخْوِيفِ مِنَ اللَّهِ وَالْوَعْظِ بِالْقَوْلِ، {وَاهْجُرُوهُنَّ} يَعْنِي: إِنْ لَمْ يَنْزِعْنَ عَنْ ذَلِكَ بِالْقَوْلِ فَاهْجُرُوهُنَّ {فِي الْمَضَاجِعِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): يُوَلِّيهَا ظَهْرَهُ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (34). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

فِي الْفِرَاشِ وَلاَ يُكَلِّمُهَا، وَقَالَ غَيْرُهُ: يَعْتَزِلُ عَنْهَا إِلَى فِرَاشٍ آخر،

{وَاضْرِبُوهُنَّ} يعني: إن لم ينزعن الْهِجْرَانَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلاَ شَائِنٍ،

وَقَالَ: (عطاءٌ): ضَرْبًا بالسواك.

{فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا} أَيْ: لاَ تَجْنُوا عَلَيْهِنَّ الذُّنُوبَ،

وَقَالَ: (ابْنُ عُيَيْنَةَ): لاَ تُكَلِّفُوهُنَّ مَحَبَّتَكُمْ فَإِنَّ الْقَلْبَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِنَّ. {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} مُتَعَالِيًا مِنْ أَنْ يُكَلِّفَ الْعِبَادَ مَا لا يُطِيقُونَهُ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الزَّوْجَ يَجْمَعُ عَلَيْهَا بَيْنَ الْوَعْظِ وَالْهِجْرَانِ وَالضَّرْبِ، فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى ظَاهِرِهَا وَقَالَ: إِذَا ظَهَرَ النُّشُوزُ جَمَعَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ، وَحَمَلَ الْخَوْفَ فِي قَوْلِهِ: (وَاللاَتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ)، عَلَى الْعِلْمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا} {الْبَقَرَة: 182} أَيْ: عَلِمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ الْخَوْفَ عَلَى الْخَشْيَةِ لاَ عَلَى حَقِيقَةِ الْعِلْمِ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً} {الأنفال: 58} وقال: هذه الأفعال عَلَى تَرْتِيبِ الْجَرَائِمِ، فَإِنْ خَافَ نُشُوزَهَا بِأَنْ ظَهَرَتْ أَمَارَتُهُ مِنْهَا مِنَ الْمُخَاشَنَةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ وَعَظَهَا، فَإِنْ أَبْدَتِ النُّشُوزَ هَجَرَهَا، فَإِنْ أصرت على ذلك ضربها. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {34} يخبر تعالى أن الرِّجال {قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضا بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: {بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله. وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء.

ولعل هذا سر قوله: {وَبِمَا أَنْفَقُوا} وحذف المفعول ليدل على عموم النفقة. فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاه الله به.

ووظيفتها: القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها فلهذا قال: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ} أي: مطيعات لله تعالى {حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ} أي: مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلها بنفسها وماله، وذلك بحفظ الله لهن وتوفيقه لهن، لا من أنفسهن، فإن النفس أمارة بالسوء، ولكن من توكل على الله كفاه ما أهمه من أمر دينه ودنياه.

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (34).

ثم قال: {وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ} أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل، {فَعِظُوهُنَّ} أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضربًا غير مبرح، فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم {فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا} أي: فقد حصل لكم ما تحبون فاتركوا معاتبتها على الأمور الماضية، والتنقيب عن العيوب التي يضر ذكرها ويحدث بسببه الشر.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} أي: له العلو المطلق بجميع الوجوه والاعتبارات، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم، كبير الذات والصفات.(1)

* * *

قوله تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم).

قال: الإِمَامُ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده) :- حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا النضر بن شميل، أخبرنا محمد ابن عمرو، عن أبي سلمة، عن (أبي هريرة)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)).(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: (الرجال قوامون على النساء) يعني: أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته: أن تكون محسنة إلى أهله، حافظة لماله وفضله عليها بنفقته وسعيه..(3)(4)

* * *

قوله تعالى: (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله)

قال: الإِمَامُ (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني المثنى، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا أبو معشر قال، حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن (أبي هريرة) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((خير

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (34)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3/456)، (ح 1159) – (كتاب: الرضاع)،/ باب: (حق الزوج على المرأة).
قال: الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه): (حسن غريب).
وقال: الإِمَامْ (الألباني): (حسن صحيح) في (صحيح الترمذي) برقم (ح 926).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (4/381) - من حديث -(عبد الله بن أبي أوفى)، وله زيادة قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " .. ولا تؤدي المرأة حق الله عز وجل عليها كله حتى تؤدي حق زوجها عليها كله" ..)،
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/187) - من حديث - (قيس بن سعد). و(صححه) ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).
و(صححه) الإِمَامْ (السيوطي) في (الجامع الصغير) برقم (5/329)، (ح 7482).
كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 42)، الطبعة: الأولى، (1420 هـ - 1999 م)،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (34).

(4) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (34).

النســاء امــرأة إذا نظــرت إليهــا ســرتك، وإذا أمرتهــا أطاعتــك، وإذا غبــت عنهــا حفظتــك في نفســها ومالــك)) قــال: ثــم قــرأ رســول الله - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ -: (الرجــال قوامــون على النساء) الآية.[1]

* * *

قــال: الإِمَــامْ (الطــبري) – والإِمَــامْ (ابــن أبــي حــاتم) – (رحمهمــــا الله) – في (تفســيرهما):- (بســـندهما الحســن) – عــن (علــي بــن أبــي طلحــة) – عــن (ابــن عبــاس): قــال: قولــه: (قانتــات مطيعات..[2][3]

* * *

وانظــر: تفســير ســورة – (البقــرة) – آيــة (116). - كمــا قــال تعالى: {وَقَــالُوا اتَّخَــذَ اللَّــهُ وَلَــدًا سُــبْحَانَهُ بَــلْ لَــهُ مَــا فِــي السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} .

* * *

قــال: الإِمَــامْ (الطــبري) – والإِمَــامْ (ابــن أبــي حــاتم) – (رحمهمــــا الله) – في (تفســيرهما):- (بســـندهما الحســن) – عــن (علــي بــن أبــي طلحــة) – عــن (ابــن عبــاس): قولــه: (حافظــات للغيــب بمــا حفــظ الله) يعنــي: إذا كــن هكــذا فأصــلحوا اليهن.[4][5]

* * *

قــال : الإِمَــامْ (إبــن كــثير) – (رحمــه الله) – في (تفســيره):- يَقُــولُ تَعَــالَى: {الرِّجَــالُ قَوَّامُــونَ عَلَــى النِّسَــاءِ} أَيْ: الرَّجُــلُ قَــيِّمٌ عَلَــى الْمَــرْأَةِ، أَيْ هُــوَ رَئِيسُــهَا وَكَبِيرُهَــا وَالْحَــاكِمُ عَلَيْهَــا وَمُؤَدِّبُهَــا إِذَا اعوجَّــت {بِمَــا فَضَّــلَ اللَّــهُ بَعْضَــهُمْ عَلَــى بَعْــضٍ} أَيْ: لِــأَنَّ الرِّجَــالَ أَفْضَــلُ مِــنَ النِّسَــاءِ، وَالرَّجُــلُ خَيْــرٌ مِــنَ الْمَــرْأَةِ" وَلِهَــذَا كَانَــتِ النُّبُــوَّةُ مُخْتَصَّــةً بِالرِّجَــالِ وَكَــذَلِكَ الْمُلْــكُ الْــأَعْظَمُ" لِقَوْلِــهِ - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ-: "لَــنْ يُفلــح قَــومٌ وَلَّــوا أَمْــرَهُم امْــرَأَةً" رَوَاهُ الإِمــام (الْبُخَــارِيُّ) – مِــنْ حَــدِيثِ عَبْــدِ الــرَّحْمَنِ بْــنِ أَبِــي بَكْــرَةَ، عَــنْ أَبِيــهِ[6] وَكَــذَا مَنْصِبُ الْقَضَــاءِ وغَيْــرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

{وَبِمَــا أَنْفَقُــوا مِــنْ أَمْــوَالِهِمْ} أَيْ: مِــنَ الْمُهُــورِ وَالنَّفَقَــاتِ وَالْكُلَــفِ الَّتِــي أَوْجَبَهَــا اللَّــهُ عَلَــيْهِمْ لَهــنَّ فِــي كِتَابِــهِ وَسُــنَّةِ نَبِيِّــهِ - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (الطبري) في (التفسير) برقم (295/8)، (ح 9328) .
وأخرجه الإمام (الطيالسي) في (المسند) برقم (ص 306)، (ح 2325) عن (أبي معشر) به. وقد (تابع أبا معشر محمد بن عجلان:
وأخرجه الإِمَامْ (النساء) في (السنن) برقم (68/6) – (كتاب : النكاح)، / باب: (أي النساء خير) .
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (251/2، 432، 438)
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (161/2) - من طريق- (محمد بن عجلان عن سعيد المقرى به).
قال: الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك): (صحيح على شرط مسلم)، ووافقه الإِمَامْ (الذهبي). وله شاهد من حديث عبد الله بن سلام،
ذكره الإِمَامْ (الهيثمي) في (المجمع) برقم (273/4)
وقال: رواه الإِمَامْ (الطبراني) وفيه (زريك بن أبي زريك) ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
قال: الإِمَامْ (الألبانى): و (زريك) معروف وثقة .. - ثم ذكر توثيق (ابن معين) له- ومن طريق- الإِمَامْ (الطبراني)،
أخرجه الإِمَامْ (الضياء) في (المختارة) برقم (58/180/1/ق) ، (الصحيحة) برقم (453/4)، (ح 1838) وله شاهد أخر من حديث (عبد الله بن عمر):
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) برقم (1857/1) .
و(صححه) الإِمَامْ (الألبانى) (المصدر المتقدم).
كما ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 43)، الطبعة: الأولى ، (1420 هـ - 1999 م)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (34).

(3) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (34).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (34).

(5) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (34).

(6) رواه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (4425) ، (7099) – ((كتاب : القتن) – من طريق- (الحسن البصري عن أبي بكرة.)

وَسَلَّمَ-، فَالرَّجُلُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَرْأَةِ فِي نَفْسِهِ، وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهَا وَالْإِفْضَالُ، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ قَيِّمًا عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} الآية {البقرة: 228}.

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاس): {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} يَعْنِي: أُمَرَاءَ عَلَيْهَا أَيْ تُطِيعُهُ فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وطاعته: أَنْ تَكُونَ مُحْسِنَةً إِلَى أَهْلِهِ حَافِظَةً لِماله.

وَكَذَا قَالَ: (مُقَاتِلٌ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(الضَّحَّاكُ).

وقال: (الشَّعْبِيُّ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} قَالَ: الصَّدَاقُ الَّذِي أَعْطَاهَا، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَذَفَهَا لاعنها، وَلَوْ قَذَفَتْهُ جُلدت.

وَقَوْلُهُ: {فَالصَّالِحَاتُ} أَيْ: مِنَ النِّسَاءِ {قَانِتَاتٌ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس) وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يَعْنِي مُطِيعَاتٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ {حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ}.

قَالَ: (السُّدِّيُّ) وَغَيْرُهُ: أَيْ تَحْفَظُ زَوْجَهَا فِي غَيْبَتِهِ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ.

وَقَوْلُهُ: {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ} أَيْ: الْمَحْفُوظُ مَنْ حفظه.

قَالَ: الإمام (ابْنُ جرير): حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "خَيْرُ النساء امرأةٌ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ وَإِذَا أمرتَها أطاعتك وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي نَفْسِهَا ومالِكَ". قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} إِلَى آخرها.(1)

وَرَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ، عَنْ (أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ)، عَنْ محمد بن عبد الرحمن بْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، به مثْلَه سَوَاءً.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعة، عَنْ عُبيد اللَّه بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ: أَنَّ ابْنَ قَارِظ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمسها، وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أيِّ أَبْوابِ الْجَنَّةِ شئْتَ".(2)

تَفَرَّدَ بِهِ الإمام (أَحْمَدُ) - مِنْ طَرِيقِ - (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَارِظٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ)..

وَقَوْلُهُ تَعَالَى {وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ} أَيْ: وَالنِّسَاءُ اللَّاتِي تَتَخَوَّفُونَ أَنْ يَنْشُزْنَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ. وَالنُّشُوزُ: هُوَ الارْتِفَاعُ، فَالْمَرْأَةُ النَّاشِزُ هِيَ الْمُرْتَفِعَةُ عَلَى زَوْجِهَا، التَّارِكَةُ لِأَمْرِهِ، الْمُعْرِضَةُ عَنْهُ، الْمُبْغِضَةُ لَهُ. فَمَتَى ظَهَرَ لَهُ مِنْهَا أَمَارَاتُ

---

(1) (صَحِيح) :رواه الإمام (ابن جرير الطبري) في (تفسيره) (295/8) .
و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (1838).
وقال: الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (تحقيقه لتفسير - ابن كثير):و(سنده صحيح) .

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (191/1) .
وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (339/8).
وقال:الإمام (المنذري) (33/3): رواته رواة الصحيح خلا (بن لهيعة) وحديثه حسن في المتابعات،
وقال:الإمام (الهيثمي) (306/4): فيه (ابن لهيعة) وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) رقم (660).

النُّشُوزِ فليعظْها وَلْيُخَوِّفْهَا عقابَ اللَّهِ فِي عصْيَانه فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ حَقَّ الزَّوْجِ عَلَيْهَا وَطَاعَتَهُ، وَحرَّمَ عَلَيْهَا مَعْصِيَتَهُ لِمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ. وقَدْ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَوْ كُنْتُ آمرًا أَحدًا أَنْ يَسْجد لِأَحَدٍ لأمرتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، مِنْ عِظَم حَقّه عَلَيْهَا" (1)

وروى الإمام (الْبُخَارِيُّ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امرأتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فأبَتْ عَلَيْهِ، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ)) (2).

وَرَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ)، وَلَفْظُهُ: ((إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجرة فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصبح)) (3).

" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ}.

وَقَوْلُهُ: {وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): الْهِجْرَانُ هُوَ أَنْ لَا يُجَامِعَهَا، وَيُضَاجِعَهَا عَلَى فِرَاشِهَا وَيُوَلِّيَهَا ظَهْرَهُ. وَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَزَادَ آخَرُونَ -مِنْهُمْ: (السُّدِّيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَعِكْرِمَةُ)، وَ(ابْنُ عَبَّاسٍ) فِي رِوَايَةٍ-: وَلَا يُكَلِّمُهَا مَعَ ذَلِكَ وَلَا يُحَدِّثُهَا.

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ) أَيْضًا، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): يَعِظُهَا، فَإِنْ هِيَ قَبِلَتْ وَإِلَّا هَجَرَهَا فِي الْمَضْجَعِ، وَلَا يُكَلِّمُهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذَرَ نِكَاحَهَا، وَذَلِكَ عَلَيْهَا شَدِيدٌ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ، وَالشَّعْبِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، ومقسم، وَقَتَادَةُ): الْهَجْرُ: هُوَ أَنْ لَا يُضَاجِعَهَا.

وَقَدْ قَالَ: (أَبُو دَاوُدَ): حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ عَمِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((فَإِنْ خِفْتُمْ نُشُوزَهُنَّ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ)). (4)

قَالَ: (حَمَّادٌ): يَعْنِي النِّكَاحَ.

وَفِي السُّنَنِ وَالْمُسْنَدِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ الْقُشَيْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ امْرَأَةِ أَحَدِنَا؟ قَالَ: ((أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ)) (5).

وَقَوْلُهُ: {وَاضْرِبُوهُنَّ} أَيْ: إِذَا لَمْ يَرْتَدِعْنَ بِالْمَوْعِظَةِ وَلَا بِالْهِجْرَانِ، فَلَكُمْ أَنْ تَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ،

كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الإمام (مُسْلِمٍ) عَنْ (جَابِرٍ) عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّهُ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((وَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ

---

(1) (صَحِيح): رواه الإمام (الترمذي) برقم (1159) - ((كتاب: الرضاع)- من حديث- (أبي هريرة) - رضي الله عنه،
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الترمذي).
ورواه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (76/6) - من حديث- (عائشة).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5193) - ((كتاب: النكاح). - وأيضا برقم (3237).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1436) - ((كتاب: النكاح).

(4) (حسن): أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2145) - (كتاب: النكاح).
و(حسنه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح أبي داود) برقم (1878)

(5) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2142) - (2143)- (كتاب: النكاح).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (4/ 447).
و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (اللإرواء الغليل) برقم (2033).

أَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكم أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وكسْوتهن بِالْمَعْرُوفِ)) .[1][2]

وَكَذَا قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ: ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ. قَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): يَعْنِي غَيْرَ مُؤَثِّرٍ.

قَالَ: (الْفُقَهَاءُ): هُوَ أَلاَ يَكْسِرَ فِيهَا عُضْوًا وَلاَ يُؤَثِّرَ فِيهَا شَيْئًا.

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَهْجُرُهَا فِي الْمَضْجَعِ، فَإِنْ أَقْبَلَتْ وَإِلاَ فَقَدْ أَذِنَ اللَّهُ لَكَ أَنْ تَضْرِبَ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلاَ تَكْسِرَ لَهَا عَظْمًا، فَإِنْ أَقْبَلَتْ وَإِلاَ فَقَدْ حَلَ لَكَ مِنْهَا الْفِدْيَةُ.

وَقَالَ: (سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ)، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ إِيَاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : "لاَ تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللهِ". فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: ذَئِرَتِ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ. فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ((لَقَدْ أَطَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ)). رَوَاهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ)، وَ(النَّسَائِيُّ)، وَ(ابْنُ مَاجَه) .[3]

وَقَوْلُهُ: {فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا} أَيْ: فَإِذَا أَطَاعَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي جَمِيعِ مَا يُرِيدُ مِنْهَا، مِمَّا أَبَاحَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْهَا، فَلاَ سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ لَهُ ضربها ولا هجرانها.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} تَهْدِيدٌ لِلرِّجَالِ إِذَا بَغَوْا عَلَى النِّسَاءِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، فَإِنَّ اللَّهَ الْعَلِيَّ الْكَبِيرَ وَلِيُّهُنَّ وَهُوَ مُنْتَقِمٌ مِمَّنْ ظَلَمَهُنَّ وَبَغَى عَلَيْهِنَّ.[4]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًا كَبِيرًا) ذكر في هذه الآية الكريمة أن النشوز قد يحصل من النساء ولم يبين هل يحصل من الرجال نشوز أو لا؟ ولكنه بين في موضع آخر أن النشوز قد يحصل من الرجال. وهو قوله تعالى: (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً).[5]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن يوسف حدثنا

(1) (صَحِيحٌ) :أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1218)– ((كتاب : الحج).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (35)، لِلإِمَامْ (ابن كثير) .

(3) (حسن) : أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2146)– (كتاب : النكاح).

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح أبي داود) برقم (1879) .

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (9167)

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1985)– أو(1975)– ((كتاب : النكاح) .

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (35)، لِلإِمَامْ (ابن كثير) .

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (35)، لِلإِمَامْ (ابن كثير) .

(5) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (34).

سفيان عن هشام عن أبيه عن (عبد الله بن زمعة) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يُجامعها في آخر اليوم)).(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه): حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان قال: حدثني حميد عن (أنس) - رضي الله عنه - قال: آلى رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من نسائه شهراً، وقعد في مشربة له، فنزل لتسع وعشرين، فقيل: يا رسول الله إنك آليت شهراً، قال: ((إن الشهر تسع وعشرون)).(2)

* * *

وقال: الإِمَامْ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننه) (بسنده):- , وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ , فَعِظُوهُنَّ , وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} قَالَ حَمَّادٌ(3): " يَعْنِي النِّكَاحَ(4) "(5)

* * *

وقال: الإِمَامْ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننه) (بسنده):- حدثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد، أخبرنا أبو قزعة الباهلي، عن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: ((أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت -أو اكتسبت- ولا تضرب الوجه، ولا تُقبّح ولا تهجر إلا في البيت)).

قال: الإِمَامْ (أبو داود) "ولا تقبح الوجه أن تقول: قبحك الله.(6)

* * *

وفي الفظ الآخر:

وقال: الإِمَامْ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننه) (بسنده):- , وَعَنْ (مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ , مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ , قَالَ: " أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ(7) وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ , وَلَا تُقَبِّحْ(8) وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ الْبَيْتِ(9) "(10).

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (213/9)، (ح 5204)-(كتاب : النكاح)،/ باب: (ما يكره من ضرب النساء ..) .

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (112/9)، (ح 5201) – (كتاب : النكاح) - / باب:قوله الله تعالى: (الآية ..).

(3) هُوَ حَمَّادُ بْن سَلَمَة , قَالَهُ الْمُنْذِرِيُّ. عون المعبود (ج 5 / ص 30).

(4) أَيْ: الْوَطْء، فَالْمُرَاد بِالْهِجْرَانِ فِي الْمَضَاجِع عِنْد حَمَّادٍ: الِامْتِنَاع مِنْ الْجِمَاع. عون المعبود (ج 5 / ص 30)

(5) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2145).

(6) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (244/2)، (ح 2142) – (كتاب : النكاح)، / باب:(في حق المرأة على زوجها) .

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (447/4) ،

وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) - (188/6)، (ح 4163) ،

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (187/2) كلهم - من طريق- (أبي قزعة) به،

و(صححه) الإِمَامْ (الحاكم)، ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).

قال: الإمام (الألباني): (حسن صحيح) في (صحيح أبي داود) برقم (ح 1875) .

وذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 44)،

(7) أَيْ: يَجِب عَلَيْك إِطْعَام الزَّوْجَة وَكِسْوَتهَا عِنْد قُدْرَتك عَلَيْهِمَا لِنَفْسِك. عون المعبود - (ج 5 / ص 27).

(8) قَالَ: الإمام (أَبُو دَاوُد) : (وَلَا تُقَبِّحْ): أَنْ تَقُولَ: قَبَّحَك اللَّهُ.

(9) أَيْ: لَا تَتَحَوَّل عَنْهَا , أَوْ لَا تُحَوِّلهَا إِلَى دَار أُخْرَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى {وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ} .عون المعبود - (ج 5 / ص 27).

(10) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2142).

وأخرجه الإِمَامْ (البخاري) (معلّقًا) برقم (ج7ص32).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1850).

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي و مُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):- , وَعَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ) – رضي الله عنه – قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – " يَخْطُبُ , فَذَكَرَ النِّسَاءَ) (1) (فَقَالَ: إِلاَمَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ؟) (2) (ثُمَّ لَعَلَّهُ يُعَانِقُهَا) (3) وفي رواية: (يُضَاجِعُهَا) (4) (مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ ") (5)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما) – (الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ) تلك المرأة تنشز وتستخف بحق زوجها ولا تطيع أمره فأمر الله عز وجل أن يعظها ويذكرها بالله، ويعظم حقه عليها، فإن قبلت وإلا هجرها في المضجع، ولا يكلمها من غير أن يذر نكاحها – وذلك عليها شديد – فإن رجعت وإلا ضربها ضربا غير مبرح ولا يكسر له عظما ولا يجرح لها جرحاً قال: (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) يقول: ((إذا أطاعتك فلا تتجن عليها العلل)). (6)(7)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- في (تفسيرهما) – (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: عظوهن فإن أطعنكم، وإلا فاهجروهن. والهجر أن لا يجامعها ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره. (8)(9)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (مقاتل بن حيان): قوله: (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فحرم الله ضربهن عند الطاعة. (10)

* * *

[٣٥] ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (20025).
انظر: (صَحِيح الْجَامِع) : (17) , (الصَّحِيحَة) : (687). للإمام (الألباني).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (34)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).
(1) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4942).
(2) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4942).
(3) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6042).
(4) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4942).
وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (49) - (2855).
(5) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4942) ,
وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (49) - (2855).
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3343).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1983).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16266).
(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (34).
(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (34).
(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (34).
(9) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (34).
(10) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (34).

أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن خفتم -يا أولياء الزوجين- أن يصل الخلاف بينهما إلى العداوة والتدابر، فابعثوا رجلًا عدلًا من أهل الزوج، ورجلًا عدلًا من أهل الزوجة" ليحكما بما فيه المصلحة من التفريق أو التوفيق بينهما، والتوفيق أحب وأولى، فإن أرا ده الحكَمان وسلكا الأسلوب الأمثل إليه يوفق الله بين الزوجين، ويرتفع الخلاف بينهما، إن الله لا يخفى عليه شيء من عباده، وهو عليم بدقائق ما يخفونه في قلوبهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- وإن علمتم -يا أولياء الزوجين- شقاقًا بينهما يؤدي إلى الفراق، فأرسلوا إليهما حكمًا عدلا من أهل الزوج، وحكمًا عدلا من أهل الزوجة" لينظرا ويحكما بما فيه المصلحة لهما، وبسبب رغبة الحكمين في الإصلاح، واستعمالهما الأسلوب الطيب يوفق الله بين الزوجين. إن الله تعالى عليم، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده، خبير بما تنطوي عليه نفوسهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن حدث خلاف بين الزوجين وخفتم منه حدوث انشقاق بينهما يعرضهما للانفصال، فاختاروا حكمين: أحدهما من أهله والآخر من أهلها، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما فى الوصول إلى ما هو خير للزوجين من معاشرة بالمعروف أو تسريح بإحسان. إن الله كان مطلّعاً على ظواهر العباد وبواطنهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} ... أصله: شقاقا بينهما، فأضيف الشقاق إلى الظروف على طريق الاتساع.

{وَإِنْ خِفْتُمْ} ... عَلِمْتُمْ.

{شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} ... الشِّقَاقُ: المُنَازَعَةُ والخصومةُ حتى يُصْبِحَ كُلُّ واحِدٍ في شِقٍّ مُقَابِل.

{شِقَاقَ} ... خلاف.

{بَيْنِهِمَا} .... بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَالْإِضَافَة لِلاتِّسَاعِ أَيْ شِقَاقًا بَيْنَهُمَا.

{فَابْعَثُوا} ... إلهما برضاهما.

{حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ} ... رجلا مرضيا يصلح لحكومة العدل والإصلاح بينهما.

{حَكَمًا} ... رَجُلًا عَدْلًا.

{مِنْ أَهْلِهِ} ... أَقَارِبه.

{وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} ... وَيُوَكِّل الزَّوْج حُكْمه فِي طَلَاق وَقَبُول عِوَض عَلَيْهِ وَتُوَكِّل هِيَ حُكْمهَا فِي الِاخْتِلَاع فَيَجْتَهِدَانِ وَيَأْمُرَانِ الظَّالِم بِالرُّجُوعِ أَوْ يُفَرِّقَانِ إنْ رَأَيَاهُ قَالَ تَعَالَى {إِنْ يُرِيدَا} أَيْ الْحَكَمَانِ..

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (84/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (84/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (114/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا} ... بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ أَيْ يُقَدِرهمَا عَلَى مَا هُوَ الطَّاعَة مِنْ إِصْلَاحٍ أَوْ فِرَاق.

{يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا} ... أي: الزوجين.

أي: إن قصد الحكمان إصلاح ذات البين، وكانت نيتهما صحيحة، وقلوبهما ناصحة لوجه الله، بورك في وساطتهما.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا} ... بِكُلِّ شَيْءٍ .

{خَبِيرًا} ... بِالْبَوَاطِنِ كَالظَّوَاهِر.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَال: الإِمَام (البغوي) – (مُحيي السُنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {35} ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} يعني: خلافا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَالْخَوْفُ بِمَعْنَى الْيَقِينِ،

يَعْنِي:- هُوَ بِمَعْنَى الظَّنِّ يَعْنِي: إِنْ ظَنَنْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا، وَجُمْلَتُهُ أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ شِقَاقٌ وَاشْتَبَهَ حَالُهُمَا فَلَمْ يَفْعَلِ الزَّوْجُ الصَّفْحَ وَلَا الْفُرْقَةَ وَلَا الْمَرْأَةُ تَأْدِيَةَ الْحَقِّ وَلَا الْفِدْيَةَ وَخَرَجَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ قَوْلًا وَفِعْلًا بَعَثَ الْإِمَامُ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ إِلَيْهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِلَيْهَا رَجُلَيْنِ حُرَّيْنِ عَدْلَيْنِ لِيَسْتَطْلِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَكَمَيْنِ رَأْيَ مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ إِنْ كانت رغبته في الصلح أَوْ فِي الْفُرْقَةِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْحَكَمَانِ فَيُنْفِذَانِ مَا يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ رَأْيُهمَا مِنَ الصَّلَاحِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا} يَعْنِي: الْحَكَمَيْنِ، {يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا} يَعْنِي: بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، يَعْنِي:- بَيْنَ الْحَكَمَيْنِ، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} اخْتَلَفَ الْقَوْلُ فِي جَوَازِ بَعْثِ الْحَكَمَيْنِ مِنْ غَيْرِ رِضَا الزَّوْجَيْنِ، وَأَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِرِضَاهُمَا، وَلَيْسَ لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه، ولا لحكم المرأة أن يخلع على ما لها إِلَّا بِإِذْنِهَا، وَهُوَ قَوْلُ أَصْحَابِ الرأي، وَالْقَوْلُ الثَّانِي: يَجُوزُ بَعْثُ الْحَكَمَيْنِ دون رضاهما، فيجوز لحكم الزوج أدن يُطَلِّقَ دُونَ رِضَاهُ وَلِحَكَمِ الْمَرْأَةِ أن يختلع دُونَ رِضَاهَا، إِذَا رَأَيَا الصَّلَاحَ، كَالْحَاكِمِ يَحْكُمُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى وَفْقِ مُرَادِهِمَا، وبه قال مالك. (1)

* * *

قَال: الإِمَام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {35} {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا} أي: وإن خفتم الشقاق بين الزوجين والمباعدة والمجانبة حتى يكون كل منهما في شق {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} أي: رجلين مكلفين مسلمين عدلين عاقلين يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق. وهذا مستفاد من لفظ "الحكم" لأنه لا يصلح حكما إلا من اتصف بتلك الصفات.

فينظران ما ينقم كل منهما على صاحبه، ثم يلزمان كلا منهما ما يجب، فإن لم يستطع أحدهما ذلك، قنَّعا الزوج الآخر بالرضا بما تيسر من الرزق والخلق، ومهما أمكنهما الجمع والإصلاح فلا يعدلا عنه.

فإن وصلت الحال إلى أنه لا يمكن اجتماعهما وإصلاحهما إلا على وجه المعاداة والمقاطعة ومعصية الله، ورأيا أن التفريق بينهما

---

(1) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (35).

أصلح، فرقا بينهما. ولا يشترط رضا الزوج، كما يدل عليه أن الله سماهما حكمين، والحكم يحكم ولو لم يرض المحكوم عليه، ولهذا قال: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ أي: بسبب الرأي الميمون والكلام الذي يجذب القلوب ويؤلف بين القرينين.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ أي: عالمًا بجميع الظواهر والبواطن، مطلعا على خفايا الأمور وأسرارها. فمن علمه وخبره أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة والشرائع الجميلة.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ مُخَالفَة بَين الرجل وَالْمَرْأَة وَلم تدروا من أهما.

﴿فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ﴾ من أهل الرجل إِلَى الرجل حَتَّى يسمع كَلَامه وَيعلم ظَالِما هُوَ أَو مَظْلُوما.

﴿وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا﴾ من أهل الْمَرْأَة إِلَى الْمَرْأَة حَتَّى يسمع كَلَامهَا وَيعلم ظالمة هِيَ أَو مظلومة.

﴿إِن يُرِيدَآ﴾ الحكمان ﴿إِصْلاحاً﴾ بَين الْمَرْأَة وَالرجل.

﴿يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَآ﴾ بَين الحكمَيْنِ الْمَرْأَة وَالرجل.

﴿إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً﴾ بموافقة الحكمَيْنِ ومخالفتهما.

﴿خَبِيراً﴾ بِفعل الْمَرْأَة وَالرجل نزلت من قَوْله الرِّجَال قوامون على النِّسَاء إِلَى هَهُنَا فِي بنت مُحَمَّد بن سَلمَة بلطمة لطمها زَوجهَا أسعد بن الرّبيع لقبل عصيانها فِي الْمضَاجِع فطلبت من النَّبِي - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - قصاصها من زَوجهَا فَنَهَاهَا الله عَن ذَلِك.(2)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ (ابْنُ عَبَّاسٍ): ﴿شِقَاقِ﴾: تَفَاسُدٌ.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) - (بسنده):- حدثنا إسحاق بن عيسى الطبّاع، حدثني يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال: جاء عبد الله بن شداد فدخل على (عائشة) ونحن عندها جلوس، مرجعه من العراق ليالي قتل علي فقالت له: يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادقي عما اسألك عنه؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي؟ قال: ومالي لا أصدُقك! قالت: تحدثني عن قصتهم، قال: فإن عليا لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية ألاف من قرّاء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة، وإنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكّمت في

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (35)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (35). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: صحيح الإمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (35). برقم (ج6 / ص 49).

دين الله، فلا حكم إلا لله تعالى، فلما أن بلغ عليا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، فأمر مؤذنا فأذن، أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصُكه بيده ويقول: أيها المصحف! حدّث الناس! فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد في ورق! ونحن نتكلم. بما روينا منه! فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفّق الله بينهما) فأمة محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل ... (1)

* * *

انظر: تفسير سورة -(البقرة) - آية (137)
. - كما قال تعالى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)}.

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: فهذا الرجل والمرأة إذا تفاسد الذي بينهما، فأمر الله سبحانه أن يبعثوا رجلا صالحاً من أهل الرجل، ومثله من أهل المرأة، فينظران أهما المسيء، فإن كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقصروه على النفقة، وإن كانت المرأة هي المسيئة، قصروها على زوجها ومنعوها النفقة، فإن اجتمع رأهما على أن يفرقا أو يجمعا، فأمرهما جائز، فإن رأيا أن يجمعا، فرضي أحد الزوجين وكره ذلك الأخر، ثم مات أحدهما، فإن الذي رضي يرث الذي كره، ولا يرث الكاره الراضي وذلك قوله: (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا) قال: هما الحكمان (يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) . (2)(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: قوله: (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (ح 656) ،
وقال: الشيخ (أحمد شاكر) (صحح إسناده).
وأخرجه الإِمَامْ (الضياء) في (المختارة) برقم (2/222-226)، (ح 605) - من طريق -(ابن أبي عمر العدني)، عن (يحيى بن سليم) به. و(صحح إسناده) محقق: الإِمَامْ (الضياء) .
وقال: الإِمَامْ (ابن كثير)- في (تفسيره): (إسناده صحيح) (البداية والنهاية) برقم (7/279-280)
وقال: الإِمَامْ (المنذري): رواه الإِمَامْ (أحمد)، (بإسناد جيد) (الترغيب 3/64).
وقال: الإِمَامْ (الهيثمى) رجاله ثقات (مجمع الزوائد) برقم (3/119).
و(حسنه) في الإِمَامْ (السيوطي)، و(صححه) الإِمَامْ (المناوى) في (فيض القدير شرح الجامع الصغير) برقم (5/423)، (ح 1824).
و(صححه) الإِمَامْ (الألبانى) في (صحيح الجامع) برقم (5535) .
كما ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 45-46)، الطبعة: الأولى

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (35).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (35).

بَيْنَهُمَا) وذلك الحكمان، وكذلك كل مصلح يوفقه الله للحق والصواب.(1)(2)

* * *

قال : الإمامُ (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

ذكر تعالى الحالَ الأوَّلَ، وهو إذا كان النُّفور والنُّشوزُ من الزَّوجة، ثمَّ ذكر الحالَ الثَّاني وهو: إذا كان النُّفور من الزَّوجين فقال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا}

قال:(الْفُقَهَاءُ): إذا وقع الشِّقاقُ بين الزَّوجين، أَسكنهما الحاكمُ إلى جنب ثقة، ينظُر في أمرهما، ويمنع الظَّالم منهما من الظُّلم، فإن تفاقم أمرهما وطالت خصومتهما، بعث الحاكم ثقةً من أهل المرأة، وثقةً من قوم الرَّجُل، ليجتمعا وينظُرا في أمرهما، ويفعلا ما فيه المصلحة ممَّا يريانه من التَّفريق أو التَّوفيق وتشوف الشَّارعُ إلى التَّوفيق" ولهذا قال: {إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا}

وقال: (عليُّ بنُ أبي طلحةَ)، عن (ابن عبَّاس): أمر اللَّهُ عزَّ وجلَّ، أن يبعثوا رجلًا صالحًا من أهل الرَّجُل، ورجُلًا مثلَه من أهل المرأة، فينظُران أيهما المسيءُ، فإن كان الرَّجُلُ هو المسيءُ، حجبُوا عنهُ امرأتهُ وقصروهُ على النَّفقة، وإن كانت المرأةُ هي المسيئةُ، قصروها على زوجها ومنعوها النَّفقة. فإن اجتمع رأيهما على أن يفرِّقا أو يجمعا، فأمرُهما جائزٌ. فإن رأيا أن يجمعا، فرضي أحدُ الزَّوجين وكره ذلك الآخر، ثمَّ مات أحدُهُما، فإنَّ الَّذي رضي يرثُ الَّذي كره ولا يرثُ الكارهُ الرَّاضي. رواهُ الإمام (ابنُ أبي حاتم)، وَ(ابنُ جرير).

وقال: (عبدُ الرَّزَّاق): أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن (عكرمةَ) بن خالد، عن (ابن عبَّاس) قال: بُعثتُ أنا ومعاويةُ حكمين، قال معمرٌ: بلغني أنَّ عثمان بعثهما، وقال لهما: إن رأيتما أن تجمعا جمعتما، وإن رأيتما أن تفرقا فرَّقتما.

وقال: أنبأنا ابنُ جُريج، حدَّثني ابنُ أبي مُليكةَ، أنَّ عقيل بن أبي طالب تزوَّج فاطمةَ بنتَ عُتبةَ بن ربيعةَ فقالت: تصيرُ إليَّ وأُنفقُ عليك. فكان إذا دخل عليها قالت: أين عُتبةُ بنُ ربيعةَ وشيبةُ بنُ ربيعةَ؟ قال: على يسارك في النَّار إذا دخلت. فشدَّت عليها ثيابها فجاءت عُثمان، فذكرت له ذلك فضحك وأرسل (ابن عبَّاس) ومعاويةَ، فقال: (ابنُ عبَّاس): لأفرِّقنَّ بينهُما. فقال معاويةُ: ما كُنتُ لأفرِّق بين شيخين من بني عبد مناف. فأتياهما فوجداهما قد أغلقا عليهما أبوابهما فرجعا.

وقال: الإمام (عبدُ الرَّزَّاق): أخبرنا معمر، عن أيُّوب، عن مُحمَّد بن سيرين، عن عُبيدةَ قال: شهدتُ عليًّا وجاءتهُ امرأةٌ وزوجها، مع كُلِّ واحد منهُما فئام من النَّاس، فأخرج هؤلاء حكمًا وهؤلاء حكمًا، فقال عليٌّ للحكمين: أتدريان ما عليكُما؟ إنَّ عليكُما إن رأيتُما أن تجمعا، جُمعتُما. فقالت المرأة: رضيت بكتاب اللَّه لي وعليَّ. وقال الزَّوجُ:

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (35).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (35).

أَمَّا الْفُرْقَةُ فَلاَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: كَذَبْتَ، وَاللَّهِ لاَ تَبْرَحْ حَتَّى تَرْضَى بِكِتَابِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، لَكَ وَعَلَيْكَ.

رَوَاهُ الإِمَام (ابْنُ أَبِي حَاتِم)، وَرَوَاهُ الإِمَام (ابْنُ جَرِير)، عَنْ يَعْقُوبَ، عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، مِثْلَهُ. وَرَوَاهُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، بِهِ (1).

وَهَذَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ: أَنَّ الْحَكَمَيْنِ إِلَيْهِمَا الْجَمْعُ وَالتَّفْرِقَةُ، حَتَّى قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: إِنْ شَاءَ الْحَكَمَانِ أَنْ يُفَرِّقَا بَيْنَهُمَا بِطَلْقَةٍ أَوْ بِطَلْقَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثٍ فَعَلاَ. وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ مَالِكٍ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): الْحَكَمَانِ يُحَكَّمَانِ فِي الْجَمْعِ وَلاَ يُحَكَّمَانِ فِي التَّفْرِيقِ، وَكَذَا قَالَ: (قَتَادَةُ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ). وَبِهِ قَالَ: الإِمَام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ)، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَدَاوُدُ، وَمَأْخَذُهُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا} وَلَمْ يَذْكُرِ التَّفْرِيقَ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَا وَكِيلَيْنِ مِنْ جِهَةِ الزَّوْجَيْنِ، فَإِنَّهُ يَنْفُذُ حُكْمُهُمَا فِي الْجَمْعِ وَالتَّفْرِقَةِ بِلاَ خِلاَفٍ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ الأَئِمَّةُ فِي الْحَكَمَيْنِ: هَلْ هُمَا مَنْصُوبَانِ مِنْ عِنْدِ الْحَاكِمِ، فَيَحْكُمَانِ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ الزَّوْجَانِ، أَوْ هُمَا وَكِيلاَنِ مِنْ جِهَةِ الزَّوْجَيْنِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ: فَالْجُمْهُورُ عَلَى الأَوَّلِ" لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} فَسَمَّاهُمَا حَكَمَيْنِ، وَمِنْ شَأْنِ الْحَكَمِ أَنْ يَحْكُمَ بِغَيْرِ رِضَا الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ، وَهَذَا ظَاهِرُ الآيَةِ، وَالْجَدِيدُ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ.

الثَّانِي مِنْهُمَا، بِقَوْلِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِلزَّوْجِ -حِينَ قَالَ: أَمَّا الْفُرْقَةُ فَلاَ- قَالَ: كَذَبْتَ، حَتَّى تُقِرَّ بِمَا أَقَرَّتْ بِهِ، قَالُوا: فَلَوْ كَانَا حَاكِمَيْنِ لَمَا افْتَقَرَ إِلَى إِقْرَارِ الزَّوْجِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: الشَّيْخُ (أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ): وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْحَكَمَيْنِ -إِذَا اخْتَلَفَ قَوْلُهُمَا- فَلاَ عِبْرَةَ بِقَوْلِ الآخَرِ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ قَوْلَهُمَا نَافِذٌ فِي الْجَمْعِ وَإِنْ لَمْ يُوَكِّلْهُمَا الزَّوْجَانِ، وَاخْتَلَفُوا: هَلْ يَنْفُذُ قَوْلُهُمَا فِي التَّفْرِقَةِ؟ ثُمَّ حُكِيَ عَنِ الْجُمْهُورِ أَنَّهُ يَنْفُذُ قَوْلُهُمَا فِيهَا أَيْضًا. (2) (3)

* * *

[٣٦] ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واعبدوا الله وحده بالانقياد له، ولا تعبدوا معه سواه، وأحسنوا إلى الوالدين بإكرامهما

---

(1) انظر: تفسير الإمام (عبد الرزاق) برقم (156/1).
وتفسير الإمام (الطبري) (320/8، 321).

(2) انظر: (الاستذكار) (لابن عبد البر) برقم (111/18).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (35)، للإمام (ابن كثير).

وبرِّهما، وأحسنوا إلى الأقارب واليتامى والفقراء، وأحسنوا إلى الجار ذي القرابة، والجار الذي لا قرابة له، وأحسنوا إلى الصاحب المرافق لكم، وأحسنوا إلى المسافر الغريب الذي انقطعت به السبل، وأحسنوا إلى مماليككم، إن الله لا يحب من كان معجبًا بنفسه، متكبرًا على عباده، مادحًا لنفسه على وجه الفخر على الناس. (1)

* * *

يَعْنِي:- واعبدوا الله وانقادوا له وحده، ولا تجعلوا له شريكًا في الربوبية والعبادة، وأحسنوا إلى الوالدين، وأدُّوا حقوقهما، وحقوق الأقربين، والأولاد الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، والمحتاجين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والجار القريب منكم والبعيد، والرفيق في السفر وفي الحضر، والمسافر المحتاج، والمماليك من فتيانكم وفتياتكم. إن الله تعالى لا يحب المتكبرين من عباده، المفتخرين على الناس. (2)

* * *

يَعْنِي:- واعبدوا الله - وحده - ولا تجعلوا معه شريكاً فى الألوهية والعبادة، وأحسنوا إلى الوالدين إحساناً لا تقصير فيه، وإلى أقربائكم وإلى اليتامى، والذين افتقروا بسبب عجزهم أو ذهاب الكوارث بأموالهم، وبالجار القريب النسب والجار الأجنبى، والرفيق لك فى عمل أو طريق أو جلوس، والمسافر المحتاج الذى لا قرار له فى بلد معين، وبما ملكتم من الأرقاء فتياناً وفتيات. إن الله لا يحب من كان متعالياً على الناس، لا تأخذه بهم رحمة، كثير التمدح بنفسه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى} ... أي: الَّذِي قَرُبَ جِوَارُهُ مِنْكَ، يَعْنِي:- القريبُ لِنَسَبٍ أو مُصَاهَرَة.

{وَالْجَارِ الْجُنُبِ} ... الجَارِ غَيْرِ القَرِيبِ.

{أي: البعيدُ عَنْكَ في الجوارِ أو في النسب)،

يَعْنِي:- (الْأَجْنَبِيِّ مُؤْمِنًا كَانَ أو كَافِرًا}.

{وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ} ... الرَّفِيقِ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ. {أي: الزوجةُ والصديقُ الملازمُ كالتلميذِ والرفيقِ في السَّفَرِ}.

{مُخْتَالًا} ... مُتَكَبِّرًا، مُعْجَبًا بِنَفْسِه.

{فَخُورًا} ... كَثِيرَ الافْتِخَارِ عَلَى النَّاسِ بِمَنَاقِبِه.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {36}، قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ} أَيْ: وَحِّدُوهُ وَأَطِيعُوهُ، {وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} عَنْ (مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: ((كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي يَا مُعَاذُ مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ؟ قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي يَا مُعَاذُ مَا حَقُّ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (84/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (84/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (114/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

النَّاس عَلَى اللَّه إذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ النَّاس عَلَى اللَّه ألا يُعَذِّبَهُمْ، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أفلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: دَعْهُمْ يَعْمَلُونَ)).

قوله تعالى: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} بِرًا بِهِمَا وَعَطْفًا عَلَهما، {وَبِذِي الْقُرْبَى} أَيْ: أَحْسِنُوا بِذِي الْقُرْبَى، {وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى} أَيْ: ذِي الْقَرَابَةِ، {وَالْجَارِ الْجُنُبِ} أَيْ: الْبَعِيدُ الَّذِي لَيْسَ بَيْنَكَ وبينه قرابة {وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} يعني: الرفيق في السفر،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس) - (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) - وَجَمَاعَةٌ و(عِكْرِمَةُ)، و(قَتَادَةُ)، وَقَالَ: (عَلِيٌّ) و(عَبْدُ اللَّه) و(النَّخَعِيُّ): هُوَ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مَعَهُ إِلَى جَنْبِه،

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ)، و(ابْنُ زَيْدٍ): هُوَ الَّذِي يَصْحَبُكَ رَجَاءَ نَفْعِكَ، {وَابْنِ السَّبِيلِ} قِيلَ: هُوَ الْمُسَافِرُ لِأَنَّهُ مُلَازِمٌ السبيل، والأكثرون: على أنه الضيف، {وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} أي: المماليك أحسنوا إليهم {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} المختال، المتكبر، والفخور: الذي يفخر عَلَى النَّاس بِغَيْرِ الْحَقِّ تَكَبُّرًا، ذَكَرَ هَذَا بَعْدَمَا ذَكَرَ مِنَ الْحُقُوق، لِأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ يَمْنَعُ الْحَقَّ تكبرا.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {36} {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}.

يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وذلا وإخلاصا له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة.

وينهى عن الشرك به شيئا لا شركا أصغر ولا أكبر، لا ملكا ولا نبيا ولا وليا ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بل الواجب المتعين إخلاص العبادة لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وله التدبير الكامل الذي لا يشركه ولا يعينه عليه أحد. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب. فقال: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم والخطاب اللطيف والفعل الجميل بطاعة أمرهما واجتناب نهيهما والإنفاق عليهما وإكرام من له تعلق بهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما. وللإحسان ضدان، الإساءةُ وعدمُ الإحسان. وكلاهما منهي عنه.

{وَبِذِي الْقُرْبَى} أيضا إحسانا، ويشمل ذلك جميع الأقارب، قربوا أو بعدوا، بأن يحسن إليهم بالقول والفعل، وأن لا يقطع برحمه بقوله أو فعله.

{وَالْيَتَامَى} أي: الذين فقدوا آباءهم وهم صغار، فلهم حق على المسلمين، سواء كانوا أقارب أو غيرهم بكفالتهم وبرهم وجبر

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (36).

خواطرهم وتأديبهم، وتربيتهم أحسن تربية في مصالح دينهم ودنياهم.

{وَالْمَسَاكِينِ} وهم الذين أسكنتهم الحاجة والفقر، فلم يحصلوا على كفايتهم، ولا كفاية من يمونون، فأمر الله تعالى بالإحسان إليهم، بسد خلتهم وبدفع فاقتهم، والحض على ذلك، والقيام بما يمكن منه.

{وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى} أي: الجار القريب الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف.

{وَ} كذلك {الْجَارِ الْجُنُبِ} أي: الذي ليس له قرابة. وكلما كان الجار أقرب بابًا كان آكد حقًا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل.

{وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} قيل: الرفيق في السفر، يَعْنِي:- الزوجة، وقيل الصاحب مطلقا، ولعله أولى، فإنه يشمل الصاحب في الحضر والسفر ويشمل الزوجة. فعلى الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد إسلامه، من مساعدته على أمور دينه ودنياه، والنصح له" والوفاء معه في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وأن يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وكلما زادت الصحبة تأكد الحق وزاد.

{وَابْنِ السَّبِيلِ} وهو: الغريب الذي احتاج في بلد الغربة أو لم يحتج، فله حق على المسلمين لشدة حاجته وكونه في غير وطنه بتبليغه إلى مقصوده أو بعض مقصوده وبإكرامه وتأنيسه.

{وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} : أي: من الآدميين والبهائم بالقيام بكفايتهم وعدم تحميلهم ما يشق عليهم وإعانتهم على ما يتحملون، وتأديبهم لما فيه مصلحتهم. فمن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباد الله، المنقاد لأمر الله وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل، ومن لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله معجب بنفسه فخور بقوله، ولهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا} أي: معجبا بنفسه متكبرًا على الخلق {فَخُورًا} يثني على نفسه ويمدحها على وجه الفخر والبطر على عباد الله، فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر يمنعهم من القيام بالحقوق. ولهذا ذمهم بقوله: {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ} أي: يمنعون ما عليهم من الحقوق الواجبة. {وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} بأقوالهم وأفعالهم {وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} أي: من العلم الذي يهتدي به الضالون ويسترشد به الجاهلون فيكتمونه عنهم، ويظهرون لهم من الباطل ما يحول بينهم وبين الحق. فجمعوا بين البخل بالمال والبخل بالعلم، وبين السعي في خسارة أنفسهم وخسارة غيرهم، وهذه هي صفات الكافرين، فلهذا قال تعالى: {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} أي: كما تكبروا على عباد الله ومنعوا حقوقه وتسببوا في منع غيرهم من البخل وعدم الاهتداء،

أهانهم بالعذاب الأليم والخزي الدائم.
فعياذًا بك اللهم من كل سوء. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {واعبدوا الله} وحدوا الله {وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا} من الْأَوْثَان {وبالوالدين إحسانا} برا بهما {وَبِذِي الْقُرْبَى} أَمر بصلَة الْقَرَابَة {واليتامى} أَمر بِالْإِحْسَان إِلَى الْيَتَامَى وَحفظ أَمْوَالهم وَغير ذَلِك {وَالْمَسَاكِين} وحث على صَدَقَة الْمَسَاكِين {وَالْجَار ذِي الْقُرْبَى} جَار بَيْنك وَبَين قرَابَة لَهُ ثَلَاثَة حُقُوق حق الْقَرَابَة وَحق الْإِسْلَام وَحق الْجوَار {وَالْجَار الْجنب} الْجَار الْأَجْنَبِيّ من قوم آخَرين لَهُ حقان حق الْإِسْلَام وَحق الْجوَار {والصاحب بالجنب} الرفيق فِي السّفر لَهُ حقان حق الْإِسْلَام وَحق الصُّحْبَة وَيُقَال الصاحب بالجنب الْمَرْأَة فِي الْبَيْت أَمر بِالْإِحْسَان إِلَيْهَا {وَابْن السَّبِيل} أَمر بإكرام الضَّيْف وللضيف ثَلَاثَة أَيَّام حق وَمَا فَوق ذَلِك فَهُوَ صَدَقَة {وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} أَمر بِالْإِحْسَان إِلَى الخدم من العبيد وَالْإِمَاء {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً} فِي مشيته {فَخُوراً} بنعم الله بطراً متكبراً على عباده. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- - {ذِي القُرْبَى} : القَرِيبُ، وَالجُنُبُ: الغَرِيبُ، {الجَارُ الجُنُبُ} يَعْنِي: الصَّاحِبَ فِي السَّفَرِ. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- - المُخْتَالُ , وَالخَتَّالُ , وَاحِدٌ. (4)

* * *

قوله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً)

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام، حدثنا (قتادة): حدثنا (أنس ابن مالك)، عن (معاذ بن جبل) - رضي الله عنه - قال:، بينا أنا رديف النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل.

فقال: "يا معاذ"،

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة،

ثم قال: يا معاذ،

قلت: لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة،

ثم قال: يا معاذ بن جبل"،

قلت: لبيك رسول الله وسعديك.

قال: هل تدري ماحق الله على عباده؟"،

قلت: الله ورسوله أعلم.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (36)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (36). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (النساء) الآية (36). برقم (ج 3/ ص 149).

(4) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (النساء) الآية (36). برقم (ج 6/ ص45).

قــال: "حــق الله علــى عبــاده: أن يعبــدوه ولا يشركوا به شيئا. ثم سار ساعة.

ثم قال: "يا معاذ بن جبل"،

قلت: لبيك رسول الله وسعديك.

قــال: "هــل تــدري مــا حــق العبــاد علــى الله إذا فعلوه؟"

قلت: الله ورسوله أعلم.

قــال: "حــق العبــاد علــى الله أن لايعذبهم". (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك قال: حدثنا شعبة قال: الوليد بن العيزار أخبرني قال: سمعت (أبا عمرو الشيباني) يقول: حدثنا صاحب هذه الدار -وأشار إلى دار (عبد الله) - قال: سألت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: ((الصلاة على وقتها)).

قال: ثم أي؟ قال: ((ثم برّ الوالدين)).

قال: ثم أيّ؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)).

قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مقاتل بن حيان): في قول الله تعالى: (وبالوالدين إحسانا) فيما أمركم به من حق الوالدين. (3)

* * *

قوله تعالى: (وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم)

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) - (بِسنده):- ثنا إبراهيم بن (أبي العباس) قال: ثنا بقية، قال: ثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معدي كرب قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة)). (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننه): حدثنا أحمد بن صالح، ثنا يحيى بن محمد المديني، ثنا عبد الله ابن خالد بن سعيد بن أبي مريم، عن سعيد بن عبد الرحمن (بن يزيد) بن رقيش، أنه سمع شيوخا من بني عمرو بن عوف ومن خاله عبد الله بن أبي أحمد، قال: قال: (علي بن أبي طالب): حفظت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (345/11)، (ح 6500) - ((كتاب: الرقاق)، / باب: (من جاهد نفسه في طاعة الله).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (12/2)، (ح 527) - (كتاب مواقيت الصلاة)، / باب: (فضل الصلاة لوقتها).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (36).

(4) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (131/4)،

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (الكبرى) برقم (382/5)، (ح 9204) -من طريق – (عيسى بن أحمد عن بقية) به.

وقال: الإِمَامْ (ابن كثير): (إسناده صحيح) ولله الحمد. (التفسير 264/2).

كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 47)، الطبعة: الأولى،

-: ((لا يــتم بعــد احــتلام، ولا صــمات يــوم إلى الليل)).

* * *

قــال: الإِمَــامْ (مُسْـلِم) – (رحمــه الله) – في (صــحيحه) – (بسـنده):- حــدثنا قتيبــة بــن ســعيد. حــدثنا المغـيرة (يعـني الحزامـي) عـن أبـي الزنـاد، عـن الأعــرج، عــن (أبــي هريــرة)، أن رســول الله – صَـلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ – قــال: ((لــيس المسكين بهــذا الطــواف الــذي يطــوف علــى النــاس. فــترده اللقمـــة واللقمتـــان. والتمـــرة والتمرتـــان)). قــالوا: فمــا المسكين؟ يــا رســول الله – صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؟. قــال: ((الــذي لا يجــد غنــى يغنيــه. ولا يُفطــن لـــه، فيُتصـــدق عليـــه. ولا يســـأل النـــاس شيئاً)).(1)(2)

* * *

قــال: الإِمَــامْ (البخــاري) – (رحمــه الله) – في (صــحيحه) – (بسـنده):- حـدثنا إسماعيـل بـن أبـي أويـس قــال حــدثني مالــك عــن يحيــى بــن ســعيد قــال أخبرنـي أبـو بكـر بـن محمـد عـن عمـرة عـن (عائشـة) – رضـي الله عنهـا– عـن النـبي – صَـلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ – قــال: ((مــا زال جبريـل يوصـيني بالجـار حتـى ظننـت أنـه سـيورثه)). (3)

* * *

قــال: الإِمَــامْ (مسـلم) – (رحمــه الله) – في (صــحيحه) – (بسـنده):- حـدثنا أبـو كامـل الجحـدري وإسـحاق بـن إبـراهيم –واللفـظ لإسـحاق– قــال أبــو كامــل: حــدثنا. وقــال إســحاق: أخبرنــا عبــد العزيــز بــن عبــد الصــمد العمّــي. حــدثنا أبــو عمـران الجـونى عـن (عبـد الله بـن الصـامت)، عــن (أبــي ذر). قــال: قــال رســول الله – صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ –: يــا أبــا ذر! إذا طبخــت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك. (4)

* * *

وقــال: الإِمَــامْ (البخــاري) – (رحمــه الله) – في (صــحيحه) – (بسـنده):- حــدثنا عبــد الله بــن يوســف حــدثنا الليــث قــال حــدثني ســعيد المقــبري عــن (أبــي شــريح العــدوي) قــال: سمعــت أذنــاي وأبصــرت عينــاي حــين تكلــم الــنبي – صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ – فقــال: "مــن كــان يــؤمن بــالله واليــوم الآخــر فليكــرم جــاره، ومــن كــان يــؤمن بــالله واليـــوم والآخـــر فليكـــرم ضـــيفه جائزتـــه"، قيـل: ومـا جائزتـه يـا رسـول الله؟ قـال: "يـوم وليلـة، والضـيافة ثلاثـة أيـام، فمـا كـان وراء ذلـك فهـو صـدقة عليـه. ومـن كـان يـؤمن بـالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت". (5)

* * *

قــال: الإِمَــامْ (الترمــذي) – (رحمــه الله) – في (ســننه) – (بسـنده):- حـدثنا أحمـد بـن محمـد. حـدثنا عبـد الله بـن المبـارك عـن حيـوة بـن شـريح عـن شـرحبيل بـن شـريك عـن أبـي عبـد الـرحمن

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (219/2)، (ح 103) –(كتاب : الزكاة)، / باب: (المسكين الذي لا يجد غنى).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (202/8)، (ح 4539) (كتاب : تفسير القرآن)، / باب: (لا يسألون الناس إلحافاً)

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (455/10)، (ح 6014) – (كتاب : الأدب)، / باب: (الوصاة بالجار).

(4) صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2025/4) – (كتاب : البر والصلة والآداب)، / باب: (الوصية بالجار، والإحسان إليه)، بعد رقم (2625).

(5) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (445/10)، (ح 6019) – (كتاب : الأدب)، / باب: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره).

الحبلي عن (عبد الله بن عمرو) قال : قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره)).(1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله : (وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى) الذي بينك وبينه قرابة.(2)(3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله تعالى: (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) الذي ليس بينك وبينه قرابه .(4)(5)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) الرفيق.(6)(7)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ)، وهو الرفيق في السفر.(8)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن (قتادة) و(ابن أبي نجيح،) عن (مجاهد): (وابن السبيل) ، هو الذي يمر عليك وهو مسافر.(9)

و(إسناده صحيح).

* * *

قال : الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36)} يَأْمُرُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ" فَإِنَّهُ هُوَ

---

(1) وأخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (4/333)، (ح 1944) – (كتاب : البر والصلة)، / باب: (ما جاء في حق الجوار) . وقال: حدث (حسن غريب).

وأخرجه الإمام (الدارمي) في (سننه) برقم (2/215) – (كتاب : السير)، / باب: (في حسن الصحبه) ، – من طريق – (عبد الله يزيد، عن حيوة وابن لهيعة، عن شرحبيل به).

وأخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4/164). وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الإمام (الذهبي).

وتعقبهما الإمَامُ (الألباني): بأن (ابن مسلم) لم يخرج له الشيخان، وأن (ابن شريك) قد احتج به مسلم وحده، وهما ثقتان. ثم نقل – عن (ابن بشران)، قوله : حديث (صحيح وإسناده) كلهم ثقات.

قال: وهو كما قال: (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (103) .

(2) انظر : (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (36).

(3) انظر :(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (36).

(4) انظر : (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (36).

(5) انظر :(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (36).

(6) انظر : (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (36).

(7) انظر :(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (36).

(8) انظر : (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (36).

(9) انظر : (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (36).

الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُنعِمُ الْمُتَفَضِّلُ عَلَى خَلْقِهِ فِي جَمِيعِ الْآنَاتِ وَالْحَالاتِ، فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ مِنْهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِه،

كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمُعَاذ: ((أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ؟))
قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.
قَالَ: ((أَنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا بِه شَيْئًا)).
ثُمَّ قَالَ: ((أَتَدْرِي مَا حَقُّ العباد عَلَى الله إِذَا فَعَلُوا ذَلكَ؟ أَلاَ يُعَذِّبَهُم)). (1)

ثُمَّ أَوْصَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، جَعَلَهُمَا سَبَبًا لِخُرُوجِكَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَكَثِيرًا مَا يقرنُ اللَّهُ، سُبْحَانَهُ، بَيْنَ عِبَادَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْن،
كَقَوْلِهِ: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} {لُقْمَان:14}.
وَكَقَوْلِهِ: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَ تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} {الْإِسْرَاء: 23}.
ثُمَّ عَطَفَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ الْإِحْسَانَ إِلَى الْقَرَابَاتِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ،

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيث: ((الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ صَدَقَةٌ وصِلَةٌ)) (2).

ثُمَّ قَالَ: {وَالْيَتَامَى} وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا مَنْ يَقُومُ بِمَصَالِحِهِمْ، وَمَنْ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالْحُنُوِّ عَلَيْهِمْ.
ثُمَّ قَالَ: {وَالْمَسَاكِينِ} وَهُمُ الْمَحَاوِيجُ مِنْ ذَوِي الْحَاجَاتِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يَقُومُ بِكِفَايَتِهِمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِمُسَاعَدَتِهِمْ بِمَا تَتِمُّ بِهِ كِفَايَتُهُمْ وَتَزُولُ بِهِ ضَرُورَتُهُمْ. وَسَيَأْتِي الْكَلاَمُ عَلَى الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ.
وَقَوْلُه: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ}

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاس): {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى} يَعْنِي الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ،
{وَالْجَارِ الْجُنُبِ} الَّذِي لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ.
وَكَذَا رُوِيَ عَنْ (عِكْرِمَةَ)، و(مُجَاهِد)، و(مَيْمُون بْنِ مِهْرَانَ)، و(الضَّحَّاك)، و(زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ)، و(مُقَاتِل بْن حيَّان)، و(قَتَادَةَ).
وَقَالَ: (أَبُو إِسْحَاقَ) عَنْ (نَوْفٍ البِكَالِي) فِي قَوْلِه: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى} يَعْنِي الْمُسْلِمَ.
{وَالْجَارِ الْجُنُبِ} يَعْنِي الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ، رَوَاهُ (ابْنُ جَرِير)، و(ابْنُ أَبِي حَاتِم).
وَقَالَ: (جَابِرٌ الْجُعْفِيِّ)، عَنْ (الشَّعبي)، عَنْ (عَلِي)، و(ابْنِ مَسْعُود): {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى} يَعْنِي الْمَرْأَةَ.
وَقَالَ: (مُجَاهِد): أَيْضًا فِي قَوْلِه: {وَالْجَارِ الْجُنُبِ} يَعْنِي الرَّفِيقَ فِي السَّفَر.
وَقَوْلُهُ: {وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ} قَالَ: (الثَّوْرِيُّ)، عَنْ (جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ)، عَنِ (الشَّعبي)، عَنْ (عَلِيٍّ)، و(ابْنِ مَسْعُودٍ) قَالاَ هِيَ الْمَرْأَةُ.

---

(1) (مُتفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7373) ، وأيضا (2856) – ((كتاب : الجهاد والسير)).
و أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (30) – ((كتاب : الإيمان)).
(2) رواه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (17/4) – من حديث- (سلمان بن عامر)- رضي الله عنه-.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا} أَيْ: مُخْتَالًا فِي نَفْسِهِ، مُعْجَبًا مُتَكَبِّرًا، فَخُورًا عَلَى النَّاسِ، يَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ، فَهُوَ فِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَقِيرٌ، وَعِنْدَ النَّاسِ بغيض.(1)

* * *

وانظر: تفسير سورة -(البقرة) - آية (177). - كما قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)}.

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، حدثنا واصل الأحدب قال: سمعت المعرور بن سويد قال: رأيت (أبا ذر الغفاري) - رضي الله عنه - وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألناه عن ذلك فقال: إني ساببت رجلا فشكاني إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال: لي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أعيرته بأمه))؟ ثم قال: ((إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم)).(2)(3)

* * *

قوله تعالى: {إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً}.

قال: الإِمَامُ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا مسدد، ثنا يحيى، عن أبي غفار، ثنا أبو تميمة الهجيمي، -وأبو تميمة اسمه طريف بن مجالد- عن (أبي جري جابر بن سليم)، قال: رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قلت: عليك السلام يا رسول الله مرتين،

قال: ((لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك)).

قال: قلت: أنت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قال: ((أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عامة سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك)).

قلت: اعهد إلى قال: ((لا تسبن أحداً)).

قال: فما سببت بعده حراً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاة، قال: ((ولا تحقرن شيئاً من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (36)، للإِمَامُ (ابن كثير).

(2) صَحِيح: أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (206/5)، (ح 2545)-(كتاب: العتق)، / باب: قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((العبيد إخوانكم)).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1284/3)، (ح 1662) - (كتاب: الأيمان)، / باب: (إطعام المملوك مما يأكل والباسه مما يلبس، ولا يكلفه مايغلبه). بنحوه عن (أبي هريرة) - (رضي الله عنه).

وجهك إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك لا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه))[1].

* * *

قال: الإِمَامْ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار وإبراهيم بن دينار، جميعاً عن يحيى بن حماد. قال ابن المثنى: حدثى يحيى بن حماد، أخبرنا شعبة، عن أبان ابن تغلب، عن فُضيل الفقيمي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن (عبد الله ابن مسعود)، عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبرٍ)). قال رجل: إن الرجل يُحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة.

قال: ((إن الله جميل يحب الجمال. الكِبر بطر الحق وغَمْط الناس))[2].

* * *

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) – (رحمه الله) – في (المُسنَد) – (بِسنده):- ثنا يزيد، أنا الأسود بن شيبان، عن يزيد أبو العلاء، عن مطرف ابن عبد الله بن الشخير، قال: بلغني عن (أبي ذر) حديث فكنت أحب أن ألقاه، فلقيته فقلت له: يا أبا ذر بلغني عنك حديث فكنت أحب أن ألقاك فأسألك عنه. فقال: قد لقيت فاسأل قال: قلت بلغني أنك تقول سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: ((ثلاثة يحبهم الله عز وجل، وثلاثة يبغضهم الله عز وجل))؟.

قال: نعم فما إخالني أكذب على خليلي محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. ثلاثاً يقولها.

قال: قلت: من الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل؟ قال: رجل غزا في سبيل الله فلقى العدو مجاهداً محتسباً فقاتل حتى قتل وأنتم تجدون في كتاب الله عز وجل: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً) ورجل له جار يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله إياه. بموت أو حياة، ورجل يكون مع قوم فيسيرون حتى يشق عليهم الكرى أو النعاس فينزلون في آخر الليل فيقوم إلى وضوئه وصلاته.

قال: قلت من الثلاثة الذين يبغضهم الله؟،

قال: الفخور المختال وأنتم تجدون في كتاب الله عز وجل (إن الله لا يحب كل مختال فخور) والبخيل المنان، والتاجر والبياع الحلاف.

قال: قلت: يا أبا ذر ما المال؟،

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (56/4)، (ح 4084) – (كتاب : اللباس)، / باب: (ما جاء في إسبال الإزار)،
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (72/5)، (ح 2722) – (كتاب : الاستئذان)، / باب: (ماجاء في كراهية أن يقول: - عيك السلام- مبتدئاً) - من طريق – (أبي أسامة)، عن (أبي غفار) به،
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (64-63/5) – من طرق- (عدة)، عن (أبي تميمة به).
قال: الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه): (حديث حسن صحيح).
و(صححه) الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) في (الفتح الباري) في (5/11).
وقال: الإِمَامْ (الألبانى): (صحيح) في (صحيح أبي داود) في (ح 3442).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (93/1)، (ح 147) – (كتاب : الإيمان)، / باب: (تحريم الكبر وبيانه).

قال: فرق لنا وذرد. يعني بالفرق غنماً يسيرة.

قال: قلت: لست عن هذا أسأل إنما أسألك عن صامت المال،

قال: ما أصبح لا أمسى وما أمسى لا أصبح.

قال: قلت: يا أبا ذر مالك ولإخوتك قريش؟،

قال: والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين الله تبارك وتعالى حتى ألقى الله ورسوله. ثلاثاً يقولها. (1)

* * *

[٣٧] ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا يحب الله الذين يمنعون ما أوجب الله عليهم من الإنفاق مما أعطاهم من رزقه، ويأمرون بقولهم وفعلهم غيرَهم بذلك، ويخفون ما آتاهم الله من فضله من الرزق والعلم وغيره، يبينون للناس الحق، بل يكتمونه، ويظهرون الباطل، وهذه الخصال من خصال الكفر، وقد هيأنا للكافرين عذابًا مخزيًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- الذين يمتنعون عن الإنفاق والعطاء مما رزقهم الله، ويأمرون غيرهم بالبخل، ويجحدون نعَمَ الله عليهم، ويخفون فضله وعطاءه. وأعددنا للجاحدين عذابًا مخزيًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- أولئك الذين يضمّون إلى التكبر والتباهى البخل بأموالهم وجهودهم عن الناس، ويدعون الناس إلى مثل صنيعهم من البخل، ويخفون نعمة الله وفضله عليهم فلا ينفعون أنفسهم ولا الناس بذلك، وقد أعددنا للجاحدين أمثالهم عذاباً مؤلماً مذلاً. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الَّذِينَ} مُبْتَدَأ {يَبْخَلُونَ} ... بِمَا يَجِب عَلَيْهِمْ.

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (176/5)،
وأخرجه الإِمَامْ (الطيالسى) في (المسند) برقم (368) عن (الأسود) به،
وأخرجه الإِمَامْ (الطبرانى) في (المعجم الكبير) برقم (ح 1637)،
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (88/2، 89)،
قال: الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك): (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن) برقم (160/9) كلهم -من طريق- (الأسود) به.
ووافقه الإِمَامْ (الذهبي)، وقد تابع مطرفاً (زيد بن ظبيان):
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (698/4)،(ح 2568)
وأخرجه الإِمَامْ (النسائى) في (السنن) برقم (84/5).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (137/8)، (ح 3349) - من طريق – (ربعى بن حِراش عن زيد بن ظبيان) به، مختصراً.
وقال: الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه): (هذا حديث صحيح).
وقال: (الحافظ العراقى): (إسناد جيد)، (تخريج الإحياء) برقم (1705/4)، (ح 2671)
و(صححه) الإِمَامْ (السيوطى) في (الجامع الصغير) برقم (335/3 ح 3550).
و(صححه) الإِمَامْ (الألبانى) في (صحيحح الجامع الصغير) برقم (ح 3074).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 50-51)، الطبعة: الأولى،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (84/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (84/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (115/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ} ... بـدل مـن قولـه فـي ختـام الآيـة السـابقة مَـنْ كَـانَ مُخْتَالًـا فَخُـوراً ويجـوز نصبه على الذم.

ويجـوز أن يكـون رفعـا علـى الـذم، وأن يكـون مبتـدأ خـبره محـذوف، كأنـه قيـل: الـذين يبخلـون ويفعلـون، ويصـنعون، أحقـاء بكـل ملامة.

{وَيَـأْمُرُونَ النَّـاسَ بِالْبُخْـلِ} ... بِـهِ. أي: يـأمرونهم بـأن يبخلـوا بـه مقتـا للسـخاء ممن وجد.

{وَيَكْتُمُـونَ مَـا آتَـاهُمُ اللَّـهُ مِـنْ فَضْلِه} ... أي: يخفـون نعمـة الله، وفضـله علـيهم، فـلا ينفعـون أنفسهم ولا الناس بذلك.

{وَيَكْتُمُـونَ مَـا آتَـاهُمُ اللَّـهُ مِـنْ فَضْلِـه} ... مِـنَ الْعِلْـمِ وَالْمَـالِ وَهُـمْ الْيَهُـود وخـبر المبتـدأ لهـم وعيد شديد.

{وَأَعْتَـدْنَا لِلْكَـافِرِينَ عَـذَاباً مُهِينـاً} ... وأعـددنا للجاحـدين أمثـالهم عـذابا مؤلمـا مذلا.

{وأ عتدنا لِلْكَافِرِينَ} ... بِذَلِكَ وَبِغَيْرِه.

{عَذَابًا مُهِينًا} ... ذا إهَانَة.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- ولهـذا ذمهـم بقولـه: {الَّـذِينَ يَبْخَلُـونَ} أي: يمنعـون مـا علـيهم مـن الحقـوق الواجبـة. {وَيَـأْمُرُونَ النَّـاسَ بِالْبُخْـلِ} بـأقوالهم وأفعـالهم {وَيَكْتُمُـونَ مَـا آتَـاهُمُ اللَّـهُ مِـنْ فَضْلِه} أي: مـن العلـم الـذي يهتـدي بـه الضـالون ويسترشـد بـه الجـاهلون فيكتمونـه عـنهم، ويظهـرون لهـم مـن الباطـل مـا يحـول بيـنهم وبـين الحـق. فجمعـوا بـين البخـل بالمـال والبخـل بـالعلم، وبـين السـعي في خسـارة أنفسـهم وخسـارة غيرهـم، وهـذه هـي صـفات الكـافرين، فلهـذا قـال تعـالى: {وَأَعْتَـدْنَا لِلْكَـافِرِينَ عَـذَابًا مُهِينًـا} أي: كمـا تكـبروا علـى عبـاد الله ومنعـوا حقوقـه وتسـببوا في منـع غيرهـم مـن البخـل وعـدم الاهتـداء، أهـانهم بالعـذاب الألـيم والخـزي الـدائم.

فعياذًا بك اللهم من كل سوء. (1)

* * *

قـال: الإمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادي) - (رحمـه الله) - في (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس):- {الَّـذِينَ يَبْخَلُـونَ} هـم الَّـذين يَبْخَلُـونَ بكتمـان صـفة مُحَمَّـد ونعتـه كَعْـب وَأَصْـحَابه {وَيَـأْمُرُونَ النَّـاس بالبخـل} بِالْكِتْمَـانِ {وَيَكْتُمُـونَ مَـا آتَـاهُمُ الله} مَـا بـيَّن الله لَهُـم فِـي الْكتـاب {مـن فَضْـله} مـن صـفة مُحَمَّـد ونعتـه {وَأَعْتَـدْنَا لِلْكَـافِرِينَ} لِلْيَهُـود {عَـذَاباً مُّهِينـاً} يهـانون بِـهِ. (2)

* * *

قـال: الإمَـامُ (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {الَّـذِينَ يَبْخَلُـونَ وَيَـأْمُرُونَ النَّـاسَ بِالْبُخْـلِ وَيَكْتُمُـونَ مَـا آتَـاهُمُ اللَّـهُ مِـنْ فَضْلِـه وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (37)}.

يَقُـولُ تَعَـالَى ذَامًّـا الَّـذِينَ يَبْخَلُـونَ بِـأَمْوَالِهِمْ أَنْ يُنْفِقُوهَـا فِيمَـا أَمَـرَهُمُ اللَّـهُ بِـهِ -مِـنْ بِـرٍّ

---

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (النسـاء) الآية (37)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (النسـاء) الآيـة (37). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

الْوَالِدَيْن، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِين، وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى، وَالْجَارِ الْجُنُب، وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْب، وَابْنِ السَّبِيل، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ الْأَرِقَّاءِ -وَلَا يَدْفَعُونَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا، وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ أَيْضًا. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ((وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ؟)) (1).

وَقَالَ: ((إِيَّاكُمْ وَالشُّحَ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالقطيعةِ فقطعوا، وأمرهم بالفجور فَفَجَرُوا)) (2).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فَالْبَخِيلُ جَحُود لنعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ لَا تَظْهَرُ عَلَيْهِ وَلَا تَبِينُ، لَا فِي أَكْلِهِ وَلَا فِي مَلْبَسِهِ، وَلَا فِي إِعْطَائِهِ وَبَذْلِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ. وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ {الْعَادِيَات: 6، 7} أَيْ: بِحَالِهِ وَشَمَائِلِهِ.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ {الْعَادِيَات: 8}.

وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَلِهَذَا توعَّدهم بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ وَالْكُفْرُ هُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ، فَالْبَخِيلُ يَسْتُرُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَيَكْتُمُهَا وَيَجْحَدُهَا، فَهُوَ كَافِرٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وَفِي الْحَدِيث: ((إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ نِعْمَةً عَلَى عبد أحبّ أَنْ يَظْهَرَ أَثَرُهَا عَلَيْهِ)) (3).

وَفِي الدُّعَاءِ النَّبَوِيِّ: ((وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ قَابِلِيهَا -وَيُرْوَى: قَائِلِيهَا-وَأَتْمِمْهَا عَلَيْنَا)) (4).

وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُ السَّلَفِ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى بُخْلِ الْيَهُودِ بِإِظْهَارِ الْعِلْمِ الَّذِي عِنْدَهُمْ، مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَكِتْمَانِهِمْ ذَلِكَ" وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ رَوَاهُ (ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ).

وَقَالَهُ: (مُجَاهِدٌ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْآيَةَ مُحْتَمِلَةٌ لِذَلِكَ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ السِّيَاقَ فِي الْبُخْلِ بِالْمَالِ، وَإِنْ كَانَ الْبُخْلُ بِالْعِلْمِ دَاخِلًا فِي ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى" فَإِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى الْأَقَارِبِ وَالضُّعَفَاءِ، وَكَذَا الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا، (5)

* * *

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {37} ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الْبُخْلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: مَنْعُ السَّائِلِ مِنْ فَضْلِ مَا لَدَيْهِ، وَفِي الشَّرْعِ: مَنْعُ الْوَاجِبِ،

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (296).

(2) (صحيح): رواه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (1698)، - (6698) –((كتاب : الزكاة)– من حديث- (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاص) - رَضِيَ الله عنه.

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح أبي داود) رقم (1489).

(3) رواه الإمام (الترمذي) في (سننه) برقم (2819) - من حديث – (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاص) - (رَضِيَ الله عنه)، ولفظة: ((إن اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عبده)).

(4) رواه الإمام (أبو داود) في (سننه) برقم (969) - من حديث – (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود)- (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (37)، للإِمَامْ (ابن كثير).

{وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} قَرَأَ (حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ) (بِالْبَخَلِ) بِفَتْحِ الْبَاءِ وَالْخَاءِ، وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ،

وَقَرَأَ (الْآخَرُونَ) : بِضَمِّ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْخَاءِ، نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ بَخِلُوا بِبَيَانِ صِفَةِ مُحَمَّدٍ - صلَّى الله عليه وسلم- وكتموها،

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) هَذَا فِي كِتْمَانِ الْعِلْمِ،

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَابْنُ زَيْدٍ نَزَلَتْ فِي كَرْدَمِ بْنِ زَيْدٍ وَحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ وَرِفَاعَةَ بْنِ التابوت وأسامة بْنِ حَبِيبٍ وَنَافِعِ بْنِ أَبِي نافع وبحر بْنِ عَمْرٍو كَانُوا يَأْتُونَ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَيُخَالِطُونَهُمْ فَيَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ وَلَا تَدْرُونَ مَا يَكُونُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. {وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} يعني: المال،

يَعْنِي:- يَبْخَلُونَ بِالصَّدَقَةِ. {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} {النساء: 37}.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا حفص بن عمر، ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث عن أبي كثير، عن (عبد الله بن عمرو)، قال: خطب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: ((إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح: أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا)).(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله: (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) إلى قوله: (وكان الله بهم عليما) ما بين ذلك في اليهود.(3)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- ثبوت قوامة الرجال على النساء بسبب تفضيل الله لهم باختصاصهم بالولايات، وبسبب ما يجب عليهم من الحقوق، وأبرزها النفقة على الزوجة.
- التحذير من البغي وظلم المرأة في التأديب بتذكير العبد بقدرة الله عليه وعلوه سبحانه.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (37).

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (133/2)، (ح 1698)- (كتاب: الزكاة)،/ باب: (في الشح)،

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (ح 6487) – عن - (ابن أبي عدي).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (579/11)، (ح 5176) - من طريق – (ابن أبي عدي)،

و الإِمَامْ (أبى داود) -لعله الإِمَامْ (الطيالسي)-.

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (11/1) - من طريق- (سليم بن حرب ومعاذ)، كلهم - عن (شعبة) به، وهو عندهم مطول فيه التحذير من الظلم والفحش والقطيعة وغير ذلك.

قال: الإِمَامْ (الحاكم) عن هذه الرواية: (صحيحة) سليمه من رواية المجروحين .. ولم يخرجاها.

وقال: الإِمَامْ (الألبانى): (صحيح) في (صحيح أبي داود) برقم (ح /1489).

و(صححه) محقق: (المسند) و (الإحسان)،

و(صححه) الإِمَامْ (السيوطي) (الجامع الصغير) برقم (125/3)، (ح 2906).

كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (52/2)، الطبعة: الأولى،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (37).

• التحذير من ذميم الأخلاق، كالكبر والتفاخر والبخل وكتم العلم وعدم تبيينه للناس.(1)

* * *

[٣٨] ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾:

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (38) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (39) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (42) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (44)

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وهيأنا العذاب كذلك للذين ينفقون أموالهم من أجل أن يراهم الناس ويمدحوهم، وهم لا يؤمنون بالله، ولا بيوم القيامة" أعددنا لهم ذلك العذاب المخزى، وما أضلهم إلا متابعتهم للشيطان، ومن يكن الشيطان له صاحبًا ملازمًا فساء صاحبًا.(2)

* * *

يَعْنِي:- وأعتدنا هذا العذاب كذلك للذين ينفقون أموالهم رياءً وسمعةً، ولا يصدقون بالله اعتقادًا وعملا ولا بيوم القيامة. وهذه الأعمال السيئة مما يدعو إليها الشيطان. ومن يكن الشيطان له ملازمًا فبئس الملازم والقرين.(3)

* * *

يَعْنِي:- والله لا يحب الذين يبذلون المال للرياء قاصدين أن يراهم الناس فيحمدوهم ويعظِّموهم، وهم غير مؤمنين بالله ولا بيوم الجزاء، لأنهم اتبعوا الشيطان فأضلَّهم، ومن يكن الشيطان صاحبه فبئس الصاحب.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَالَّذِينَ} ... عُطِفَ عَلَى الَّذِينَ قَبْلَه.

{يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهمْ رِئَاءِ النَّاس} ... مُرَائِينَ لَهُمْ.

{رِئاءَ النَّاسِ} ... للفخار.

{وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} ... كَالْمُنَافِقِينَ وَأَهل مَكَّة.

{وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَان لَهُ قَرِينًا} ... صَاحِبًا يَعْمَل بِأَمْرِهِ كَهَؤُلَاءِ. (أي: صاحبا يزين له الشر).

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (84/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (85/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (115/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَساءَ قَرِيناً} ... حيث حملهم على البخل والرياء، وكل شر.

{فَسَاءَ} ... بِئْسَ {قَرِينًا} ... هُوَ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {38} {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} نَزَلَتْ في الْيَهُود،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): في المنافقين،

وقيل: مشركي مكة المنفقين عَلَى عَدَاوَة الرسول- - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. {وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً} صاحبا وخليلا {فَساءَ قَرِيناً} {النساء: 38} أَيْ: فَبِئْسَ الشَّيْطَانُ قَرِينًا وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى التَّفْسِيرِ، يَعْنِي:- عَلَى القطع بإلغاء الألف واللام كَمَا تَقُولُ: نِعْمَ رجلا عبد الله. (1)

* * *

قال : الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَهِيَ قَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ} فَذَكَرَ الْمُمْسِكِينَ الْمَذْمُومِينَ وَهُمُ الْبُخَلَاءُ، ثُمَّ ذَكَرَ الْبَاذِلِينَ الْمُرَائِينَ الَّذِي يَقْصِدُونَ بِإِعْطَائِهِمُ السُّمْعَةَ وَأَنْ يُمْدَحُوا بِالْكَرَمِ، وَلَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، وَفِي حَدِيثِ الَّذِي فِيهِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ تُسَجَّرُ بِهِمُ النَّارُ، وَهُمْ: الْعَالِمُ وَالْغَازِي وَالْمُنْفِقُ، وَالْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، يَقُولُ صَاحِبُ الْمَالِ: مَا تَرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ فِي سَبِيلِكَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ" إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ. (2) أَيْ: فَقَدْ أَخَذْتَ جَزَاءَكَ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الَّذِي أَرَدْتَ بِفِعْلِكَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ رسولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِعَدِيٍّ: ((إِنَّ أَبَاكَ رام أَمْرًا فَبَلَغَهُ)).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- سُئِلَ عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدعان): هَلْ يَنْفَعُهُ إنفاقُه، وإعتاقُه؟ فَقَالَ: ((لَا إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)). (3)

وَلِهَذَا قَالَ: {وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا} أَيْ: إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى صَنِيعِهِمْ هَذَا الْقَبِيحِ وَعُدُولِهِمْ عَنْ فعل الطَّاعَةِ عَلَى وَجْهِهَا الشَّيْطَانُ" فَإِنَّهُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ، وَقَارَنَهُمْ فَحَسَّنَ لَهُمُ الْقَبَائِحَ {وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا}.

وَلِهَذَا قال الشاعر: (4)

{عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِي}. (5)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):-

{38} {وَالَّذين} وهم رُؤَسَاء الْيَهُود {يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَآءَ النَّاس} سمعة للنَّاس حَتَّى

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (38).

(2) (صحيح): أخرجه الإمامُ (مُسلمٌ) في (صحيحه) برقم (1905) - (كتاب: الإمارة).

(3) (صحيح): أخرجه الإمامُ (مُسلمٌ) في (صحيحه) برقم (214) – (كتاب: الإيمان).

(4) الشاعر هو (عدي بن زيد)، والبيت في تفسير الطبري (358/8).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (38)، للإمام (ابن كثير).

يَقُولُوا إِنَّهُم على سنة إبْراهيم ويتفضلون بِأَمْوَالِهِمْ ويعطون {وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} وبِمُحَمَّدٍ وَالْقُرآن {وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ} بِالْبَعْث بعد الْمَوْت وبنعيم الْجنَّة {وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً} معينا في الدُّنْيَا {فَسَاءَ قَرِيناً} بئس القرين لَهُ في النَّار. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تقسيره):- ثم أخبر عن النفقة الصادرة عن رياء وسمعة وعدم إيمان به فقال: {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ} أي: ليروهم ويمدحوهم ويعظموهم {وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ} أي: ليس إنفاقهم صادرا عن إخلاص وإيمان بالله ورجاء ثوابه. أي: فهذا من خطوات الشيطان وأعماله التي يدعو حزبه إليها ليكونوا من أصحاب السعير. وصدرت منهم بسبب مقارنته لهم وأزهم إليها فلهذا قال: {وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا} أي: بئس المقارن والصاحب الذي يريد إهلاك من قارنه ويسعى فيه أشد السعي.

فكما أن من بخل بما آتاه الله، وكتم ما مَنَّ به الله عليه عاص آثم مخالف لربه، فكذلك من أنفق وتعبد لغير الله فإنه آثم عاص لربه مستوجب للعقوبة، لأن الله إنما أمر بطاعته وامتثال أمره على وجه الإخلاص، كما قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} فهذا العمل المقبول الذي يستحق صاحبه المدح والثواب فلهذا حث تعالى عليه بقوله: (2)

* * *

[39] ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وماذا يضر هؤلاء لو أنهم آمنوا بالله حقًّا وبيوم القيامة، وأنفقوا أموالهم في سبيل الله مخلصين له؟! بل في ذلك الخير كله، وكان الله بهم عليمًا، لا يخفى عليه حالهم، وسيجازي كلًّا بعمله. (3)

* * *

يَعْنِي:- وأيُّ ضرر يلحقهم لو صدَّقوا بالله واليوم الآخر اعتقاداً وعملا وأنفقوا مما أعطاهم الله باحتساب وإخلاص، والله تعالى عليم بهم وبما يعملون، وسيحاسبهم على ذلك. (4)

* * *

يَعْنِي:- ألا قبحاً لهؤلاء، فما الذى يضرهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر، وبذلوا مما آتاهم الله استجابة لهذا الإيمان، وما يقتضيه من إخلاص النية ورجاء الثواب؟.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (38). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (38)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (85/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

والله عالم كل العلم ببواطن الأمور وظواهرها.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ} ... أَيْ أَيّ ضَرَر عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَالِاسْتِفْهَام لِلْإِنْكَارِ وَلَوْ مَصْدَرِيَّة، أَيْ: لَا ضَرَر فِيهِ وَإِنَّمَا الضَّرَر فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ.

{وماذا عَلَيْهِمْ}...أي: تبعة ووبال عليهم فى الإيمان، والإنفاق فى سبيل الله. والمراد الذم والتوبيخ.

{وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً} ... وعيد. أي: (فَيُجَازِيهِمْ بما عملوا).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا} أَيْ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَكْرِثُهم لَوْ سَلَكُوا الطَّرِيقَ الْحَمِيدَةَ، وَعَدَلُوا عَنِ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَرَجَاءِ مَوْعُوده فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لِمَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ وَيَرْضَاهَا.

وَقَوْلُهُ: {وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا} أَيْ: وَهُوَ عَلِيمٌ بِنِيَّاتِهِمُ الصَّالِحَةِ وَالْفَاسِدَةِ، وَعَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ التَّوْفِيقَ مِنْهُمْ فَيُوَفِّقُهُ وَيُلْهِمُهُ رُشْدَهُ وَيُقَيِّضُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ يَرْضَى بِهِ عَنْهُ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْخِذْلَانَ وَالطَّرْدَ عَنْ جَنَابِهِ الْأَعْظَمِ الْإِلَهِيِّ، الَّذِي مَنْ طُرِدَ عَنْ بَابِهِ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ بِلُطْفِهِ الْجَزِيلِ.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {39}، {وَمَاذَا عَلَيْهِمْ} أَيْ: مَا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَأَيُّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ؟ {لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا} {النساء: 39}.(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {وَمَاذَا عَلَيْهِمْ} على الْيَهُود وَلم يكن عَلَيْهِم شَيْء {لَوْ آمَنُوا بِاللَّه} وَبِمُحَمَّد وَالْقُرْآن {وَالْيَوْم الآخر} بِالْبَعْثِ بعد الْمَوْت ونعيم الْجنَّة {وَأَنْفَقُواْ من مَا رَزَقَهُمُ الله} أَعْطَاهُم الله من المَال فِي سَبِيل الله {وَكَانَ الله بهم} باليهود وبمن يُؤمن وبمن لاَ يُؤمن مِنْهُم {عليماً}.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {39} {وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا}. أي: أي شيء عليهم وأي حرج ومشقة تلحقهم لو

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (115/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (38)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (38).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (38). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

حصل منهم الإيمان بالله الذي هو الإخلاص، وأنفقوا من أموالهم التي رزقهم الله وأنعم بها عليهم فجمعوا بين الإخلاص والإنفاق، ولما كان الإخلاص سراً بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه إلا الله أخبر تعالى بعلمه بجميع الأحوال فقال: {وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا}. (1)

* * *

[٤٠] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الله تعالى عدل لا يظلم عباده شيئًا، فلا ينقص من حسناتهم مقدار نملة صغيرة، ولا يزيد في سيئاتهم شيئًا، وإن تكن زنة الذرَّة حسنة يضاعف ثوابها فضلًا منه، ويؤت من عنده مع المضاعفة ثوابًا عظيمًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الله تعالى لا ينقص أحداً من جزاء عمله مقدار ذرة، وإن تكن زنة الذرة حسنة فإنه سبحانه يزيدها ويكثرها لصاحبها، ويتفضل عليه بالمزيد، فيعطيه من عنده ثوابًا كبيرًا هو الجنة. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن الله لا يظلم أحداً شيئاً فلا ينقص من أجر عمله ولا يزيد في عذابه شيئاً، ويضاعف للمحسن ثواب حسناته مهما قلَّت، ويعطي من فضله عطاءً كبيراً غير مقابل بالحسنات التى يضاعفها. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِم} ... أحدًا.

{مِثْقَالَ ذَرَّة} ... الذرة: النملة الصغيرة، وكل جزء من أجزاء الهباء.

{مِثْقَال} ... وَزْن. {ذَرَّة} ... أَصْغَر نَمْلَة بِأَنْ يُنْقِصهَا مِنْ حَسَنَاته أو يزيدها في سيئاته.

{وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً} ... أي: وإن يكن مثقال ذرة حسنة، وإنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث.

{وإن تك} ... الذَّرَّة. يَعْنِي:- تَكُنْ.

{حَسَنَة} ... مِنْ مُؤْمِن وَفِي قِرَاءَة بِالرَّفْعِ فَكَانَ تَامَّة {يُضَاعِفهَا} ... مِنْ عَشْر إلَى أَكْثَر مِنْ سَبْعمِائَةٍ وَفِي رَاءَة يُضَعِّفهَا بِالتَّشْدِيدِ.

{يُضَاعِفْهَا} ... يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية.

{وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً} ... أي: ويعط صاحبها من عنده على سبيل المتفضل عطاء عظيما، وسماه أَجْراً لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته.

{وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْه} ... مِنْ عِنْده مَعَ الْمُضَاعَفَة.

{لَّدُنْه} ... عِنْدَه.

{أَجْرًا عَظِيمًا} ... لاَ يَقْدِره أَحَد.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (38)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (85/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (115/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قـال: الإمَـامْ (محمـد أمـين الشـنقيطي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- قولـه تعـالى: (إن الله لا يظلم مثقـال ذرة وإن تـك حسـنة يضـاعفها) لم يـبين في هـذه الآيـة الكريمـة أقـل مـا تضـاعف بـه الحسـنة، ولا أكثـره ولكنـه بـين في موضـع أخـر أن أقـل مـا تضـاعف بـه الحسـنة عشـر أمثالهـا، وهـو قولـه: (مـن جـاء بالحسـنة فلـه عشـر أمثالهـا) وبـين في موضـع أخـر أن المضـاعفة ربمـا بلغـت سـبعمائة ضـعف إلى مـا شاء الله.

وهـو قولـه: (مثـل الـذين ينفقـون أمـوالهم في سـبيل الله كمثـل حبـة أنبتـت سـبع سـنابل) الآيـة كما تقدم.(1)

* * *

قـال: الإمَـامْ (ابـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَظْلِـمُ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَـكُ حَسَـنَةً يُضَـاعِفْهَا وَيُـؤْتِ مِـنْ لَدُنْـهُ أَجْـرًا عَظِيمًـا (40)} يُخْبِـرُ تَعَـالَى أَنَّـهُ لاَ يَظْلِـمُ عَبْـدًا مِـنْ عِبَـادِهِ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ مِثْقَـالَ حَبَّـةِ خَـرْدَلٍ وَلاَ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ، بَـلْ يُوَفِّيهَـا بِـهِ وَيُضَاعِفُهَا لَهُ إِنْ كَانَتْ حَسَنَةً،

كَمَـا قَـالَ تَعَـالَى {وَنَضَـعُ الْمَـوَازِينَ الْقِسْـطَ﴿لِيَـوْمِ الْقِيَامَـةِ فَـلا تُظْلَـمُ نَفْـسٌ شَـيْئًا وَإِنْ كَـانَ مِثْقَـالَ حَبَّـةٍ مِـنْ خَـرْدَلٍ أَتَيْنَـا بِهَـا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} {الْأَنْبِيَاءِ: 47}.

وَقَـالَ تَعَـالَى مُخْبِـرًا عَـنْ لُقْمَـانَ أَنَّـهُ قَـالَ: {يَـا بُنَـيَّ إِنَّهَـا إِنْ تَـكُ مِثْقَـالَ حَبَّـةٍ مِـنْ خَـرْدَلٍ فَـتَكُنْ فِـي صَـخْرَةٍ أَوْ فِـي السَّـمَاوَاتِ أَوْ فِـي الأرْضِ يَـأْتِ بِهَـا اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ لَطِيـفٌ خَـبِيرٌ} {لُقْمَـانَ: 16}.

وَقَـالَ تَعَـالَى: {يَوْمَئِـذٍ يَصْـدُرُ النَّـاسُ أَشْـتَاتًا لِيُـرَوْا أَعْمَـالَهُمْ. فَمَـنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْـرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}.(2)

* * *

قـال: الإمَـامْ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَظْلِـمُ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ} {40} وَنَظْمُـهُ: وَمَـاذَا عَلَـيْهِمْ لَـوْ آمَنُـوا بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الْـآخِرِ وَأَنْفَقُـوا فَـإِنَّ اللَّـهَ لاَ يَظْلِـمُ أَيْ: لاَ يَـبْخَسُ وَلاَ يُـنْقِصُ أَحَـدًا مِـنْ ثـواب عملـه مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ، وَالـذَّرَّةُ: هِـيَ النَّمْلَـةُ الْحَمْـرَاءُ الصَّغِيرَةُ،

يَعْنِـي:- الـذَّرُّ أَجْـزَاءُ الْهَبَـاءِ فِي الكـون وَكُـلُّ جُـزْءٍ مِنْهَـا ذَرَّةٌ وَلاَ يَكُـونُ لَهَـا وَزْنٌ، وَهَـذَا مَثَـلٌ يُرِيـدُ إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَظْلِـمُ شَـيْئًا كما قالـه فِـي آيَـةٍ أُخْرَى: إِنَّ اللَّهَ لا يظلم الناس شيئا،

يَعْنِـي:- إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَظْلِـمُ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ لِلْخَصْـمِ عَلَـى الْخَصْـمِ بَـلْ أُخِـذَ لَـهُ مِنْـهُ وَلاَ يَظْلِـمُ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ تَبْقَى لَهُ بَلْ يُثِيبُهُ عَلَيْهَا وَيُضَعِّفُهَا لَهُ،

فَـذَاكَ قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَإِنْ تَـكُ حَسَـنَةً يُضَـاعِفْهَا} قَـرَأَ أَهْـلُ الْحِجَـازِ: (حَسَـنَةٌ) بِالرَّفْعِ، أَيْ وَإِنْ تُوجَدُ حَسَنَةٌ،

وَقَـرَأَ الْـآخَرُونَ: بِالنَّصْـبِ عَلَـى مَعْنَـى: وَإِنْ تَـكُ زِنَـةُ الـذَّرَّةِ حَسَـنَةً يُضَـاعِفْهَا، أَيْ: يَجْعَلْهَـا أَضْـعَافًا كَـثِيرَةً. {وَيُـؤْتِ مِـنْ لَدُنْـهُ أَجْـرًا عَظِيمًـا} قَـالَ: (أَبُـو هُرَيْـرَةَ) -رَضِـيَ اللَّـهُ

(1) انظـر: (أضـواء البيـان في إيضـاح القـرآن بـالقرآن) للشـيخ (محمـد الأمـين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (40)

(2) انظـر: سـورة (النسـاء) الآيـة (40) في (تفسـير القـرآن العظـيم) لِلْإِمَـامْ (ابن كثير).

عَنْهُ - : إِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَجْرًا عَظِيمًا فَمَنْ يُقَدِّرُ قَدْرَهُ؟ . (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال : الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) :- {إِنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} لاَ يترك من عمل الْكَافِر مِثْقَال ذرة لينفعه فِي الْآخِرَة ويرضي بِهِ خصماءه {وَإِن تَكُ حَسَنَةً} لِلْمُؤمن المخلص بعد رضَا الخصماء {يُضَاعِفْهَا} من وَاحِدَة إِلَى عشرَة. {وَيُؤْتِ} ويعط {مِن لَّدُنْهُ} من عِنْده {أَجْراً عَظِيماً} ثوابًا وافراً فِي الْجنَّة. (2)

* * *

قال : الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره) :- {40} {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} . يخبر تعالى عن كمال عدله وفضله وتنزهه عما يضاد ذلك من الظلم القليل والكثير فقال : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} أي : ينقصها من حسنات عبده أو يزيدها في سيئاته، كما قال تعالى : {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} {وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا} أي : إلى عشرة أمثالها إلى أكثر من ذلك بحسب حالها ونفعها وحال صاحبها إخلاصا ومحبة وكمالا {وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} أي : زيادة على ثواب العمل بنفسه من التوفيق لأعمال أخر وإعطاء البر الكثير والخير الغزير. (3)

* * *

وقال : الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده) :- {إِنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} (4) : يَعْنِي : زِنَةَ ذَرَّةٍ.

* * *

قال : الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده) :- حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد، عن (عطاء بن يسار)، عن (أبي سعيد الخدري) فذكر حديث رؤية الرب يوم القيامة مطولاً، وفيه : ((فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه)) فيخرجون من عرفوا.

قال : (أبو سعيد) : فإن لم تصدقوني فاقرءوا (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) الحديث. (5)

* * *

قال : الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره) :- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عيسى بن يونس، عن هارون ابن عنترة، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان قال : قال : (عبد الله ابن مسعود) : يؤتى بالعبد والأمة

---

(1) انظر : مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (40).

(2) انظر : (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (40). ينسب : لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر : (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (40)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر : صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (40). برقم (ج 6/ ص 44).

(5) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (431/13)، (ح 7439) - (كتاب : التوحيد)، / باب : قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)).

يوم القيامة، فينادي مناد على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان ابن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة أن يذوب لها الحق على أبيها أو على أخيها أو على زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا، فينصب للناس، فينادى: هذا فلان ابن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه، فيقول: فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم، قال: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذى حق بقدر طلبته، فإن كان وليا لله، ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله الجنة، ثم قرأ علينا: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) قال ادخل الجنة، وإن كان عبدا شقيا قال الملك: فنيت حسناته وبقي له طالبون كثير، قال: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكا من النار.

(رجاله ثقات إلا زاذان صدوق وهو (أبو عمر الكندى)، و(هارون بن عنترة) صدوق و(إسناده صحيح). (1)

* * *

انظر: من سورة - (النحل) - الآية (97).

- كما قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)}.

* * *

قال: الإِمَامُ (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب (واللفظ لزهير). قالا: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا همام بن يحيى، عن (قتادة)، عن (أنس بن مالك)، قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة. وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة. لم تكن له حسنة يُجزى بها)). (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا أبو عبد الرحمن المقرىء، عن سعيد بن أبي أيوب. حدثني شرحبيل (وهو ابن شريك) عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن (عبد الله بن عمرو بن العاص) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه)). (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك):- أخبرنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق أنبأ يعقوب بن يوسف القزويني ثنا محمد

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (40).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2162/4)، (ح 2808) - (كتاب: صفات المنافقين)، / باب: (جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (730/2)، (ح 1054) - (كتاب: الزكاة)، / باب: (في الكفاف والقناعة).

بن سعيد بن سابق ثنا عَمْرو بن أبي قيس عن عطاء بن السائب عن (سعيد بن جبير) عن (ابن عباس): (فلنحيينه حياة طيبة) قال: القنوع، قال: وكان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يدعو يقول: ((اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف على كل غائبة لي بخير)).(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) -عن (ابن عباس): قوله: (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال: السعادة.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) فإن الله لايشاء عملا إلا في إخلاص، ويوجب من عمل ذلك في إيمان،
قال الله تعالى: (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) وهي الجنة.(3)

* * *

[٤١] ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فكيف يكون الأمر يوم القيامة حين نجيء بنبي كل أمة يشهد عليها بما عملت، ونجيء بك أيها الرسول- ﷺ - على أمتك شاهدًا؟!.(4)

* * *

يَعْنِي:- فكيف يكون حال الناس يوم القيامة، إذا جاء الله من كل أمة برسولها ليشهد عليها بما عملت، وجاء بك أيها الرسول- ﷺ - لتكون شهيداً على أمتك أنك بلغتهم رسالة ربِّك؟.(5)

* * *

يَعْني:- فكيف يكون حال هؤلاء الباخلين والْمُعْرضين عمَّا أمر الله به إذا جئنا يوم القيامة بكل نبي شهيداً على قومه، وجئنا بك - يا أيها النبي - ﷺ - شهيداً على قومك وفيهم المانعون والمعرضون؟ .(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَكَيْفَ} ... يصنع هؤلاء الكفرة.

{فَكَيْفَ} ... حَال الْكُفَّار.

{إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيد} ... يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم.

{وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ} ... المكذبين.

{وجئنا بك} ... يا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: {على هؤلاء شهيدا} .

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (356/2)-(كتاب: التفسير) . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الإمام (الذهبي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النحل) الآية (97).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النحل) الآية (97).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (85/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (115/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{شَهِيداً} ... شاهدا. (أي: بنبي يشهد علَى الأمة ولها).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {41} ، قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ} {النِّسَاء: 41} أَيْ: فَكَيْفَ الْحَالُ وَكَيْفَ يَصْنَعُونَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، يَعْنِي: بِنَبِيِّهَا يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بما عملوا، {وَجِئْنا بِكَ} يَا مُحَمَّدُ، {عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً} {النساء: 41} شاهدا يشهد على جميع الأمة على مَنْ رَآهُ وَمَنْ لَمْ يَرَهُ.(1)

* * *

قال : الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {فَكَيْفَ إِذا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً} يَقُولُ تَعَالَى -مُخْبِرًا عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَّةِ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ: فَكَيْفَ يَكُونُ الْأَمْرُ وَالْحَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحِينَ يَجِيءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ -يَعْنِي: الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَأَشْرَقَتِ الأرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} {الزُّمَر: 69}.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} {النَّحْل: 89}.

قَالَ:الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سفيان، عَنِ الأعْمَشِ، عَنْ إبراهيم، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود) قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "اقْرَأْ عَلَيَّ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، آقرأُ عليك وعَلَيكَ أُنزل؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي" فَقَرَأْتُ سُورَةَ (النِّسَاءِ)، حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: {فَكَيْفَ إِذا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً} قَالَ: "حَسْبُكَ الْآنَ" فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.(2)

وَرَوَاهُ هُوَ وَ الإمام (مُسْلِمٌ) أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ، بِهِ، وَقَدْ رُوِيَ - مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ - عَنِ (ابْنِ مَسْعُود)، فَهُوَ مَقْطُوعٌ بِهِ عَنْهُ.

وَرَوَاهُ الإمام (أَحْمَدُ) - مِنْ طَرِيقِ - (أَبِي حَيَّانَ)، وَ(أَبِي رَزِينٍ)، عَنْهُ.

وَقَالَ:الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا، حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ مَسْعُود الجَحْدري، حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ -وَكَانَ أَبِي مِمَّنْ صَحِبَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَتَاهُمْ فِي بَنِي ظَفَرٍ، فَجَلَسَ عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِي فِي بَنِي ظَفَرٍ الْيَوْمَ، وَمَعَهُ (ابْنُ مَسْعُود وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (41).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (4583) - (كتاب: تفسير القرآن).

وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (800) - (كتاب: صلاة المسافرين وقصرها).

- قارئًا فقرأ، فأتى على هذه الآية: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} فبكى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى اضطرب لحياه وجنباه، فقال: ((يا ربِّ هذا شهدتُ على من أنا بين ظهريه، فكيف بمن لم أره؟)).(1)

وقال: الإمام (ابن جرير): حدثني عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفيان، عن المسعودي، عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه عن عبد الله -هو ابن مسعود- {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ} قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((شهيدٌ عليهم ما دمتُ فيهم، فإذا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم)).(2)

وأمَّا ما ذكره (أبو عبد الله القرطبي) في "التذكرة"(3) حيث قال: باب ما جاء في شهادة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- على أمته: قال: أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا رجل من الأنصار، عن المنهال بن عمرو، حدَّثه أنَّه سمع (سعيد بن المسيَّب) يقول: ليس من يوم إلا تُعرض على النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم- أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم، يقول الله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} فإنَّه أثر، وفيه انقطاع، فإنَّ فيه رجلًا مبهمًا لم يسم، وهو من كلام (سعيد بن المسيَّب) لم يرفعه.

وقد قبله (القرطبي) فقال: بعد إيراده: قد تقدَّم أنَّ الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس، وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة. قال: ولا تعارض، فإنَّه يحتمل أن يخص نبينا بما يعرض عليه كل يوم، ويوم الجمعة مع الأنبياء، عليهم السَّلام.(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {فَكَيْفَ} يصنع الكفار {إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ} قوم {بِشَهِيدٍ} بنبي يشهد عليهم بالبلاغ {وَجِئْنَا بِكَ} يا محمد {عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} ويقال لأمتك شهيدا مزكياً معدلاً مصدقا لهم لأن أمته يشهدون للأنبياء على قومهم إذا جحدوا.(5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم قال تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} أي: كيف تكون تلك الأحوال وكيف يكون ذلك الحكم العظيم الذي جمع أن من حكم به كامل العلم كامل العدل كامل الحكمة بشهادة أزكى الخلق وهم الرسل على أممهم مع إقرار المحكوم عليه؟ "

---

(1) ورواه الإمام (البغوي) في (معجمه) - ومن طريقه- الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (243/19) - من طريق - (الصلت بن مسعود الجحدري) به.

قال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) (4/7) : " رجاله ثقات ".

(2) أخرجه الإمام (ابن جرير) في (التفسير) برقم (8/ 370). و(صححه الشيخ (أحمد الشاكر).

(3) (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) برقم (ص294) .

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (41)، للإمام (ابن كثير). .

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (41). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

فهذا -والله- الحكم الذي هو أعم الأحكام وأعدلها وأعظمها
وهناك يبقى المحكوم عليهم مقرين له لكمال الفضل والعدل والحمد والثناء وهناك يسعد أقوام بالفوز والفلاح والعز والنجاح ويشقى أقوام بالخزي والفضيحة والعذاب المهين. (1)

* * *

قال: الإِمَام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب. جميعاً عن حفص. قال أبو بكر: حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن (عبد الله) قال: قال لي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "اقرأ عليّ القرآن". قال فقلت: يا رسول الله! أقرأ عليك، وعليك أنزل؟. قال: "إني أشتهي أن أسمعه من غيري" فقرأت النساء. حتى إذا بلغت: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) رفعت رأسي. أو غمزني رجل إلى جَنْبِي فرفعت رأسي. فرأيت دموعه تسيل. (2)

* * *

[٤٢] ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

في ذلك اليوم العظيم يود الذين كفروا بالله وعصوا رسوله لو صاروا ترابًا فكانوا سواءً هم والأرض، ولا يُخفون عن الله شيئًا مما عملوا؛ لأن الله يختم على ألسنتهم فلا تنطق، ويأذن لجوارحهم فتشهد عليهم بعملهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- يوم يكون ذلك، يتمنى الذين كفروا بالله تعالى وخالفوا الرسول- ولم يطيعوه، لو يجعلهم الله والأرض سواء، فيصيرون ترابًا، حتى لا يبعثوا وهم لا يستطيعون أن يُخفوا عن الله شيئًا مما في أنفسهم، إذ ختم الله على أفواههم، وشَهِدَتْ عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون. (4)

* * *

يَعْنِي:- يوم يحدث هذا، يود الجاحدون المعرضون لو يغيبون فى الأرض كما يغيب الأموات فى القبور، وهم لا يستطيعون أن يخفوا عن الله أى شأن من شئونهم، ويظهر كل أحوالهم وأعمالهم. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يَوْمَئِذٍ} ... يَوْمَ الْمَجِيءِ.

{يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرسول- لَوْ} ...

أَيْ: أَنْ. {تُسَوَّى} ... بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُول وَالْفَاعِل مَعَ حَذْف إحْدَى التَّاءَيْنِ فِي الْأَصْل وَمَعَ إدْغَامهَا فِي السِّين أَيْ: تَتَسَوَّى .

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (41)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (551/1)، (ح/800)، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها)، / باب: (فضل استماع القرآن).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (85/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (115/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ}... يعني: لو صَاروا فيها وسُوِّيَتْ عليهم فلا يَخْرُجون منها.

(اي: لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى).

يَعْنِي:- يودون أنهم لم يبعثوا، وأنهم كانوا والأرض سواء.

{ولا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً}... ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم.

يَعْنِي:- الواو للحال، أي يودون أن يدفنوا تحت الأرض، وأنهم لا يكتمون الله حديثا، ولا يكذبون لأنهم إذا كذبوا شهدت عليهم أيديهم، وأرجلهم فلشدة الأمر يتمنون أن تسوى بهم الأرض.

{بِهِمُ الْأَرْضُ}... بِأَنْ يَكُونُوا تُرَابًا مِثْلَهَا لعظم هَوْله كَمَا في آيَة أُخْرَى. {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}.

{وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا}... عَمَّا عَمِلُوهُ وَفِي وَقْت آخَر يَكْتُمُونَهُ وَيَقُولُونَ. {والله ربنا ما كنا مشركين}.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) -:- {يَوْمَئِذٍ} يَوْم الْقِيَامَة {يَوَدُّ} يتَمَنَّى {الَّذين كفَرُوا} بِاللَّه {وَعَصَوُاْ الرَّسُول} بالإجابة {لَوْ تسوى بهم الأَرْض} أَي: يصيرون تُرَابا مَعَ الْبَهَائِم {وَلاَ يَكْتُمُونَ الله حَدِيثاً} لم يَقُولُوا وَالله رَبنَا مَا كُنَّا مُشْرِكين. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرسول- لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ} أَيْ: لَوِ انْشَقَّتْ وَبَلَعَتْهُمْ، مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ أَهْوَالِ الْمَوْقِفِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالْفَضِيحَةِ وَالتَّوْبِيخِ، كَقَوْلِهِ: {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}.

وَقَوْلُهُ {وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِجَمِيعِ مَا فَعَلُوهُ، وَلَا يَكْتُمُونَ مِنْهُ شَيْئًا.

قَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا حكَّام، حَدَّثَنَا عَمْرٌو، عَنْ مُطَرِّف، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) قَالَ: أَتَى رَجُلٌ (ابْنَ عَبَّاسٍ) فَقَالَ: سمعتُ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ -يَعْنِي إِخْبَارًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ قَالُوا-: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} {الْأَنْعَامِ: 23}.

وَقَالَ:فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} فَقَالَ: (ابْنُ الْعَبَّاسِ): أَمَّا قَوْلُهُ: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَهْلُ الْإِسْلَامِ قَالُوا: تَعَالَوْا فَلْنَجْحَدْ، فَقَالُوا: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} فَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ {وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا}.

وَقَالَ: الإمام (عَبْدُ الرَّزَّاقِ): أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ رَجُلٍ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى (ابْنِ عَبَّاسٍ) فَقَالَ: أَشْيَاءُ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ فِي الْقُرْآنِ. قَالَ: مَا هُوَ؟ أَشَكٌّ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: لَيْسَ هُوَ

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (42). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

بالشَّكِّ. ولَكِن اخْتِلافٌ. قَالَ: فَهَاتَ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: أَسْمَعُ اللَّهَ يَقُولُ: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} {الْأَنْعَام: 23}.

وَقَالَ: {وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} "فَقَدْ كَتَمُوا! فَقَالَ (ابْنُ عَبَّاس): أَمَّا قَوْلُهُ: {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ إِلا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلاَ يَغْفِرُ شِرْكًا، وَلاَ يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ أَنْ يَغْفِرَهُ، جَحَدَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالُوا: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} " رَجَاءَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُمْ. فَخَتَمَ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ: {يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرسول- لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا}

وَقَالَ: (جُوَيْبِرٌ) عَنِ (الضَّحَّاك): إِنَّ نَافِعَ بْنَ الأَزْرَقِ أَتَى ابنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا (ابْنَ عَبَّاسٍ)، قَوْلُ اللَّهِ: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرسول- لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} وَقَوْلُهُ {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}؟ فَقَالَ لَهُ (ابْنُ عَبَّاس): إِنِّي أَحْسَبُكَ قُمْتَ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِكَ فَقُلْتَ أَلْقِي عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مُتَشَابِهَ الْقُرْآنِ. فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي بَقِيعٍ وَاحِدٍ. فَيَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا إِلاَّ مِمَّنْ وَحَّدَهُ، فَيَقُولُونَ: تَعَالَوْا نَقُلْ فَيَسْأَلُهُمْ فَيَقُولُونَ: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَتُسْتَنْطَقُ جَوَارِحُهُمْ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُم أَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَمَنَّوْا لَوْ أَنَّ الأرض سُوِّيَتْ بِهِمْ {وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} رَوَاهُ الإمَام (ابْنُ جَرِير).(1)

* * *

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيِي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {42}، قوله عز وجل: {يَوْمَئِذٍ} يَوْمَ الْقِيَامَةِ، {يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرسول- لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ} {النساء: 42}

قَرَأَ (أَهْلُ الْمَدِينَةِ) وَ(ابْنُ عَامِرٍ) (تَسَّوَّى) بِفَتْحِ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ السِّينِ عَلَى مَعْنَى تَتَسَوَّى، فَأُدْغِمَتِ التَّاءُ الثَّانِيَةُ فِي السِّينِ،

وَقَرَأَ (حَمْزَةُ) وَ(الْكِسَائِيُّ) بِفَتْحِ التَّاءِ وَتَخْفِيفِ السِّينِ عَلَى حَذْفِ تَاءِ التَّفَعُّلِ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} {هود: 105} وقرأ الآخرون: بِضَمِّ التَّاءِ وَتَخْفِيفِ السِّينِ عَلَى الْمَجْهُولِ، أَيْ: لَوْ سُوِّيَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ وَصَارُوا هُمْ وَالْأَرْضُ شَيْئًا واحدا.

قَالَ: (قَتَادَةُ)، وَ(أَبُو عُبَيْدَةَ): يَعْنِي لَوْ تَخَرَّقَتِ الْأَرْضُ فَسَاخُوا فِيهَا وَعَادُوا إليها كما خرجوا منها ثُمَّ تُسَوَّى بِهِمْ، أَيْ: عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ،

يَعْنِي:- وَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يُبْعَثُوا لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا نُقِلُوا مِنَ التُّرَابِ، وَكَانَتِ الْأَرْضُ مُسْتَوِيَةً عَلَيْهِمْ،

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} {النَّبَإِ: 40}،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (42)، للإمَام (ابن كثير).

{وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: 42]

قَالَ: (عَطَاءٌ): وَدُّوا لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كَتَمُوا أَمْرَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَا نَعْتَهُ.

وَقَالَ: الْآخَرُونَ: بَلْ هُوَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، يَعْنِي: وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا لأن ما عملوه لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى كِتْمَانِهِ-،

وَقَالَ: (جَمَاعَةٌ): {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} لأن جوارحهم تشهد عليهم.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ولهذا قال: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ} أي: جمعوا بين الكفر بالله وبرسوله ومعصية الرسول- {لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ} أي تبتلعهم ويكونون ترابا وعدما،

كما قال تعالى: {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} {وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} أي: بل يقرون له بما عملوا وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله جزاءهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين فأما ما ورد من أن الكفار يكتمون كفرهم وجحودهم فإن ذلك يكون في بعض مواضع القيامة حين يظنون أن جحودهم ينفعهم من عذاب الله فإذا عرفوا الحقائق وشهدت عليهم جوارحهم حينئذ ينجلي الأمر ولا يبقى للكتمان موضع ولا نفع ولا فائدة.(2)

* * *

قوله تعالى: {يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول- لو تسوى بهم الأرض} الآية

قال: الإمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- على القراءات الثلاث معناه أنهم يستووا بالأرض، فيكونوا ترابا مثلها على أظهر الأقوال، ويوضح هذا المعنى قوله تعالى: {يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا}.(3)

* * *

قوله تعالى: {ولا يكتمون الله حديثا}.

قال: الإمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- بين في موضع أخر أن عدم الكتم المذكور هنا، إنما هو باعتبار إخبار أيديهم وأرجلهم بكل ماعملوا عند الختم على أفواههم إذا أنكروا شركهم ومعاصيهم وهو قوله تعالى: {اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون} فلا يتنافى، قوله: {ولا يكتمون الله حديثا} مع قوله عنهم {والله ربنا ما كنا مشركين}.

وقوله عنهم أيضاً {ما كنا نعمل من سوء}.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (42).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (42)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (42).

وقوله عنهم (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) للبيان الذي ذكرنا والعلم عند الله تعالى.(1)

* * *

قال: الإِمَام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن سعد بن طارق، عن ربعي بن حراش، عن (حذيفة) قال: أتى الله بعبد من عباده، أتاه الله مالاً. فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ - قال: (ولا يكتمون الله حديثاً) - قال: يارب. أتيتني مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي الجواز، فكنت أيسر على الموسر، وأنظر المعسر، فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي.

فقال: (عقبة بن عامر الجهني)، و(أبو مسعود الأنصاري): هكذا سمعناه من في رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.(2)

* * *

[٤٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تصلُّوا وأنتم في حال سكر حتى تصحوا من سكركم، وتميزوا ما تقولون -وكان هذا قبل تحريم الخمر مطلقًا- ولا تصلُّوا وأنتم في حال جنابة، ولا تدخلوا المساجد في حالها إلا مُجْتازين دون بقاء فيها" حتى تغتسلوا، وإن أصابكم مرض لا يمكن استعمال الماء معه، أو كنتم مسافرين، أو أحدث أحدكم، أو جامعتم النساء" فلم تجدوا ماءً -فاقصدوا ترابًا طاهرًا، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، إن الله كان عفوًّا عن تقصيركم، غفورًا لكم.(3)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا بالله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تقربوا الصلاة ولا تقوموا إليها حال السكر حتى تميزوا وتعلموا ما تقولون (وقد كان هذا قبل التحريم القاطع للخمر في كل حال)، ولا تقربوا الصلاة إن أصابكم الحدث الأكبر، ولا تقربوا كذلك مواضعها وهي المساجد، إلا من كان منكم مجتازًا من باب إلى باب، حتى تتطهروا بالاغتسال. وإن كنتم في حال مرض لا تقدرون معه على استعمال الماء، أو حال سفر، أو جاء أحد منكم من الغائط، أو جامعتم النساء، فلم تجدوا ماء للطهارة

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (42).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1195/3) بعد رقم (1560)- (كتاب: المساقاة)، / باب: (فضل إنظار المعسر).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (85/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

فاقصدوا ترابًا طاهراً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه. إن الله تعالى كان كثير العفو يتجاوز عن سيئاتكم، ويسترها عليكم.(1)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة في المساجد حال سكركم حتى تفقهوا ما تقولون، ولا تدخلوا المساجد وأنتم على جنابة إلا إذا كنتم عابرى المساجد عبوراً دون استقرار فيها، حتى تطهروا بالاغتسال. وإن كنتم مرضى لا تستطيعون استعمال الماء خشية زيادة المرض أو بطء البرء، أو مسافرين يشق عليكم وجود الماء، فاقصدوا التراب الطيب، وكذلك إذا جاء أحد منكم من المكان المعد لقضاء الحاجة أو آتيتم النساء فلم تجدوا ماء تتطهرون به لفقده، فاقصدوا تراباً طيباً كذلك فاضربوا به أيديكم، وامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله من شأنه العفو العظيم والمغفرة.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{سُكَارَى} ... جمع: سَكْرَان، وهو مَنْ شَرِبَ مُسْكِرًا فَسَتَرَ عقلَهُ وَغطَّاه.

{جُنُبًا} ... عَلَى جَنَابَةٍ.

{عَابِرِي سَبِيلٍ} ... مُجْتَازِي المَسْجِدِ مِنْ بَابٍ إلَى بَابٍ.

{لامَسْتُمْ} ... جَامَعْتُمْ.

{فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} ... اقْصُدُوا تُرَابًا طَاهِرًا.

{فَتَيَمَّمُوا} ... اقْصِدُوا.

{صَعِيدًا} ... مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِنْ تُرَابٍ، وَنَحْوِه.

{طَيِّبًا} ... طَاهِرًا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- وَنزل فِي أَصْحَاب مُحَمَّد قبل تَحْرِيم الْخمر قَوْله {يَا أَيُّهَا الَّذين آمنُوا} بِمُحَمد وَالْقُرْآن {لاَ تقربُوا الصَّلاَة} فِي مَسْجِد النَّبِي - صلى الله عَلَيْه وَسلم - مَعَ النَّبِي عَلَيْه الصَّلاَة وَالسَّلاَم {وَأَنْتُم سكارى} نشاوى {حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ} مَا يقْرَأ إمامكم فِي الصَّلاَة {وَلاَ جُنُباً} لاَ تَأْتُوا الْمَسْجِد جنبا {إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ} إِلاَّ مارى الطَّرِيق فِيمَا لاَ بُد لكم {حَتَّى تَغْتَسِلُواْ} من الْجَنَابَة {وَإِنْ كُنتُم مرضى} جرحى {أَوْ على سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الغائط} من مَكَان حدث {أَوْ لاَمَسْتُمُ النسآء} أَو جامعتم النِّسَاء.

{فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً} فتعمدوا إِلَى تُرَاب نظيف {فامسحوا بِوُجُوهِكُمْ} بالضربة الأولى {وَأَيْدِيكُمْ} بالضربة الثَّانِيَة {إِنَّ الله كَانَ عَفُوّاً} متفضلاً فِيمَا وسع عَلَيْكُم {غَفُوراً} فِيمَا يكون مِنْكُم من التَّقْصِير.(3)

* * *

قَالَ الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {43} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (85/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (116/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (43). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

{يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لاَ تَقْرَبُـوا الصَّلاَةَ وَأَنْـتُمْ سُـكَارَى} {النســاء: 43} الْآيَــةَ، وَالْمُــرَادُ مِــنَ السُّـكْرِ: السُّـكْرُ مِـنَ الْخَمْـرِ عِنْـدَ الْـأَكْثَرِينَ، وَذَلِـكَ أَنَّ (عَبْـدَ الـرَّحْمَنِ بْـنَ عَـوْفٍ) - رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ - صَـنَعَ طَعَامًـا وَدَعَـا نَاسًـا مِـنْ أَصْحَابِ النَّبِـيِّ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - وَأَتَـاهُمْ بِخَمْـرٍ فَشَـرِبُوهَا قَبْـلَ تَحْـرِيمِ الْخَمْـرِ وَسَـكِرُوا فَحَضَـرَتْ صَـلَاةُ الْمَغْـرِبِ فَقَـدَّمُوا رَجُلًـا لِيُصَـلِّيَ بِهِـمْ فَقَـرَأَ {قُـلْ يَـا أَيُّهَـا الْكَـافِرُونَ} {الْكَـافِرُونَ: 1} أَعْبُـدُ مَـا تَعْبُـدُونَ، بِحَـذْفِ (لا) هَكَـذَا إِلَـى آخِـرِ السُّـورَةِ، فَـأَنْزَلَ اللَّـهُ تَعَـالَى هَـذِهِ الْآيَـةَ، وكـانوا بَعْـدَ نُـزُولِ هَـذِهِ الْآيَـةِ يَجْتَنِبُـونَ السكر أوقـات الصلاة حَتَّـى نَـزَلَ تَحْـرِيمُ الْخَمْـرِ. وَقَـالَ الضَّـحَّاكُ بْـنُ مُـزَاحِمٍ: أَرَادَ بِـهِ سُـكْرَ النَّـوْمِ، نَهَـى عَـنِ الصَّـلَاةِ عِنـد غلبـة النـوم، {حَتَّـى تَعْلَمُـوا مَـا تَقُولُـونَ وَلاَ جُنُبًـا} {النســاء: 43} نُصِـبَ عَلَـى الْحَـالِ، يَعْنِـي: وَلاَ تقربـوا الصـلاة جُنُـبٌ، يُقَـالُ: رَجُـلٌ جُنُـبٌ وَامْـرَأَةٌ جُنُـبٌ، وَرِجَـالٌ جُنُـبٌ وَنِسَـاءٌ جُنُـبٌ، وأصـل الجنـب: الْبُعْـدُ، وَسُـمِّيَ جُنُبًـا لِأَنَّـهُ يَتَجَنَّـبُ مَوْضِـعَ الصَّـلَاةِ، أَوْ لِمُجَانَبَتِه النَّاسَ وَبُعْده مِنْهُمْ، حَتَّى يَغْتَسِلَ.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {إِلاَ عَـابِرِي سَـبِيلٍ حَتَّـى تَغْتَسِـلُوا} {النســاء: 43} واختلفـوا فِـي مَعْنَـاهُ فَقَـالُوا: إِلا أَنْ تكونـوا مسـافرين ولا تجـدوا الْمَـاءَ فَتَيَمَّمُـوا، مَنَـعَ الْجُنُـبَ مِـنَ الصَّـلَاةِ حَتَّـى يَغْتَسِـلَ إِلا أَنْ يَكُـونَ فِـي سَـفَرٍ وَلاَ يَجِـدُ مَـاءً فَيُصَلِّي بِالتَّيَمُّمِ،

وَهَـذَا قَـوْلُ: (عَلِـيٍّ)، وَ(ابْـنِ عَبَّـاسٍ)، وَ(سَـعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(مُجَاهِدٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عنهم -،

وقـال: (الْآخَـرُونَ): بَـلِ الْمُـرَادُ مِـنَ الصَّـلَاةِ مَوْضِـعُ الصَّـلَاةِ، كَقَوْلِـهِ تَعَـالَى: {وَبِيَـعٌ وَصَـلَوَاتٌ} {الْحَـجِّ: 40} وَمَعْنَـاهُ: لاَ تَقْرَبُـوا الْمَسْـجِدَ وَأَنْـتُمْ جُنُـبٌ إِلاَ مُجْتَـازِينَ فِيـهِ لِلْخُـرُوجِ مِنْـهُ، مِثْـلَ أَنْ يَنَـامَ فِـي المسـجد فيجنـب أو يصـيبه جَنَابَـةٌ وَالْمَـاءُ فِـي الْمَسْـجِدِ أَوْ يكـون طريقه عليه، فيمر به وَلاَ يُقِيمُ،

وَهَـذَا قَـوْلُ: (عَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ مَسْـعُودٍ)، وَ(سَـعِيدِ بْـنِ الْمُسَـيَّبِ)، وَ(الضَّـحَّاكِ)، وَ(الْحَسَـنِ)، وَ(عِكْرِمَـةَ)، وَ(النَّخَعِـيِّ)، وَ(الزُّهْـرِيِّ)، وَذَلِـكَ أَنَّ قَوْمًـا مِـنَ الْأَنْصَـارِ كَانَـتْ أَبْـوَابُهُمْ فِـي الْمَسْـجِدِ فَتُصِـيبُهُمُ الْجَنَابَـةُ وَلاَ مَـاءَ عِنْـدَهُمْ وَلاَ مَمَـرَّ لَهُـمْ إِلاَ فِـي الْمَسْـجِدِ، فَـرُخِّصَ لَهُـمْ فِـي الْعُبُورِ،

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَإِنْ كُنْـتُمْ مَرْضَـى} {النســاء: 43} جمـع مـريض، وأراد بـه مرضـا يَضُـرُّهُ إِمْسَـاسُ الْمَـاءِ مِثْـلَ الْجُـدَرِيِّ وَنَحْـوِهِ، أَوْ كَـانَ عَلَـى مَوْضِـعِ الطهـارة جِرَاحَـةٌ يَخَـافُ مِـنَ اسْـتِعْمَالِ الْمَـاءِ فِيهَـا التَّلَـفَ أَوْ زِيَـادَةَ الْوَجَـعِ، فَإِنَّـهُ يُصَـلِّي بِـالتَّيَمُّمِ وَإِنْ كَـانَ الْمَـاءُ مَوْجُـودًا وَإِنْ كَـانَ بَعْـضُ أَعْضَـاءِ طَهَارَتِـهِ صَـحِيحًا وَالْـبَعْضُ جَرِيحًـا غَسَـلَ الصَّـحِيحَ مِنْهَـا وَتَـيَمَّمَ لِلْجَرِيحِ،

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {أَوْ عَلَـى سَـفَرٍ} {النســاء: 43} أَرَادَ أَنَّـهُ إِذَا كَـانَ فِـي سَـفَرٍ طَوِيلًـا كَـانَ أَوْ قَصِـيرًا، وَعُـدِمَ الْمَـاءُ فَإِنَّـهُ يُصَـلِّي بِـالتَّيَمُّمِ وَلاَ إِعَـادَةَ عَلَيْـهِ، لِمَـا رُوِيَ عَـنْ (أَبِـي ذَرٍّ)، قَـالَ: قَـالَ النَّبِـيُّ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -: ((إِنَّ الصَّـعِيدَ الطَّيِّـبَ وَضُـوءُ الْمُسْـلِمِ وَإِنْ لَـمْ يَجِـدِ الْمَـاءَ عَشْـرَ سِـنِينَ، فَـإِذَا وَجَـدَ الْمَـاءَ فَلْيَمَسَّـهُ بشـره فـإن ذلـك خـير)) [1] أَمَّـا إِذَا لَـمْ يَكُـنْ

---

(1) أخرجه الإمام (أبو داود) في ((كتاب: الطهارة) برقم (123).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (الطهارة) برقم (92).

الرَّجُلُ مَرِيضًا وَلاَ فِي سَفَرٍ لَكِنَّهُ عَدِمَ الْمَاءَ فِي مَوْضِعٍ لاَ يُعْدَمُ فِيهِ الْمَاءُ غَالِبًا بِأَنْ كَانَ فِي قَرْيَةٍ انْقَطَعَ مَاؤُهَا فَإِنَّهُ يُصَلِّي بِالتَّيَمُّمِ ثُمَّ يُعِيدُ إذا قدر على رش الْمَاءِ عِنْدَ (الشَّافِعِيِّ)، وَعِنْدَ (مَالِكٍ)، و(الأَوْزَاعِيِّ) لاَ إِعَادَةَ عَلَيْهِ، وَعِنْدَ (أَبِي حَنِيفَةَ) - رضي الله عنهما- يُؤَخِّرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يَجِدَ الْمَاءَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} {النساء: 43} أَرَادَ بِهِ إذا أَحْدَثَ، وَالْغَائِطُ اسْمٌ لِلْمُطْمَئِنِّ مِنَ الأَرْضِ، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ إِتْيَانَ الْغَائِطِ لِلْحَدَثِ فَكُنِّيَ عَنِ الْحَدَثِ بِالْغَائِطِ.

{أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ} {النِّسَاءَ: 43} قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ (لَمَسْتُمْ) ههنا وَفِي الْمَائِدَةِ.

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: (لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ) وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى اللَّمْسِ والملامسة، فقال قوم: هو الْمُجَامَعَةُ، وَهُوَ قَوْلُ: (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنِ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(قَتَادَةَ)، وَكُنِّيَ بِاللَّمْسِ عَنِ الْجِمَاعِ لِأَنَّ الْجِمَاعَ لاَ يَحْصُلُ إِلاَ بِاللَّمْسِ، وَقَالَ: (قَوْمٌ): هُمَا الْتِقَاءُ الْبَشَرَتَيْنِ سَوَاءٌ كَانَ بِجِمَاعٍ أَوْ غَيْرِ جِمَاعٍ، وَهُوَ قَوْلُ: (ابْنِ مَسْعُود)، وَ(ابْنِ عُمَرَ)، وَ(الشَّعْبِيِّ وَالنَّخَعِيِّ)، وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي حكم هَذِهِ الْآيَةِ، فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّهُ إِذَا أَفْضَى الرَّجُلُ بِشَيْءٍ مِنْ بَدَنِهِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ بَدَنِ الْمَرْأَةِ وَلاَ حَائِلَ بَيْنَهُمَا، ينتقض وضوؤهما، وهو قول: (ابن مسعود وَابْنِ عُمَرَ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَبِهِ قَالَ: (الزُّهْرِيُّ)، وَ(الأَوْزَاعِيُّ)، وَ(الشَّافِعِيُّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،

وَقَالَ: (مَالِكٌ)، وَ(اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ)، وَ(أَحْمَدُ)، وَ(إِسْحَاقُ): إِنْ كَانَ اللَّمْسُ بِشَهْوَةٍ نَقَضَ الطُّهْرَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِشَهْوَةٍ فَلاَ يَنْتَقِضُ،

وَقَالَ: (قَوْمٌ): لاَ يَنْتَقِضُ الْوُضُوءُ بِاللَّمْسِ بِحَالٍ، وَهُوَ قَوْلُ: (ابْنِ عَبَّاسٍ) وَبِهِ قَالَ: (الْحَسَنُ وَالثَّوْرِيُّ)،

وَقَالَ: (أَبُو حَنِيفَةَ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لاَ يَنْتَقِضُ إلا إذا حدث الانتشار، {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا} {النساء: 43} اعْلَمْ أَنَّ التَّيَمُّمَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَوَى (حُذَيْفَةُ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الماءَ)) (1) (فَتَيَمَّمُوا)، أَيْ: اقْصُدُوا،

{صَعِيدًا طَيِّبًا} {النساء: 43} أي: ترابا طيبا طاهرا نَظِيفًا قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: الصَّعِيدُ هُوَ التُّرَابُ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيمَا يَجُوزُ به التَّيَمُّمُ،

فَذَهَبَ (الشَّافِعِيُّ) -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- إِلَى أَنَّهُ يَخْتَصُّ بِمَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ التُّرَابِ مِمَّا يَعْلَقُ بِالْيَدِ مِنْهُ غُبَارٌ، لِأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا)) (2) وَجَوَّزَ أَصْحَابُ الرَّأْيِ التَّيَمُّمَ بِالزَّرْنِيخِ وَالْجِصِّ وَالنُّورَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ طَبَقَاتِ

وأخرجه الإمام (النسائي) في (الطهارة) برقم (203).
وأخرجه الإمام (أحمد) برقم (ج 5 / 146، 147، 155، 180).
وله شاهد - من حديث - (أبي هريرة).

الْأَرْض، حَتَّى قَالُوا: لَوْ ضَرَبَ يَدَيْهِ عَلَى صَخْرَة لا غُبَار عَلَيْهَا أَوْ عَلَى التُّرَاب ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ حَتَّى زَالَ التراب كُلَّهُ فَمَسَحَ بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ صَحَّ تَيَمُّمُهُ، وَقَالُوا: الصَّعِيدُ وَجْهُ الْأَرْض،

لِمَا رُوِيَ عَنْ (جَابِر) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: ((جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)) (3) وَهَذَا مُجْمَلٌ، وَحَدِيثُ حُذَيْفَةَ فِي تَخْصِيص التُّرَاب مُفَسَّرٌ وَالْمُفَسَّرُ مِنَ الْحَدِيث يَقْضِي عَلَى الْمُجْمَل، وَجَوَّزَ بعضهم بِكُلِّ مَا هُوَ مُتَّصِلٌ بِالْأَرْض مِنْ شَجَر وَنَبَات، وَنَحْوِهِمَا وَقَالَ: إِنَّ الصَّعِيدَ اسْمٌ لِمَا تَصَاعَدَ عَلَى وَجْه الْأَرْض، وَالْقَصْدُ إِلَى التُّرَاب، شَرْطٌ لِصِحَّة التَّيَمُّم، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: (فَتَيَمَّمُوا) ، وَالتَّيَمُّمُ: الْقَصْدُ، حَتَّى لَوْ وَقَفَ فِي مَهَبِّ الرِّيح فَأَصَابَ الْغُبَارُ وَجْهَهُ وَنَوَى لَمْ يَصِحّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} {النساء: 43} اعْلَمْ أَنَّ مَسْحَ الْوَجْه وَالْيَدَيْن وَاجِبٌ فِي التَّيَمُّم، وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّتِه فَذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْل الْعِلْم إِلَى أَنَّهُ يَمْسَحُ الْوَجْهَ وَالْيَدَيْن مَعَ الْمِرْفَقَيْن، بِضَرْبَتَيْن يَضْرِبُ كَفَّيْهِ على التراب فيمسح بهما جَمِيعَ وَجْهِهِ، وَلَا يَجِبُ إِيصَالُ التُّرَاب إِلَى مَا تَحْتَ الشُّعُور، ثُمَّ يَضْرِبُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَمْسَحُ يديه إلى المرفقين،

وَذَهَبَ (الزُّهْرِيُّ): إِلَى أَنَّهُ يَمْسَحُ الْيَدَيْن إِلَى الْمَنْكِبَيْن،

لِمَا رُوِيَ عَنْ (عَمَّارٍ) أَنَّهُ قَالَ: < تَيَمَّمْنَا إِلَى الْمَنَاكِب >.

وَذَلِكَ حِكَايَةُ فِعْله لَمْ يَنْقُلْهُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -،كَمَا رُوِيَ أنه قَالَ: ((أجنبت فتمكعت فِي التُّرَاب، فَلَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَهُ بِالْوَجْه وَالْكَفَّيْن)) .

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ التَّيَمُّمَ ضَرْبَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْوَجْه وَالْكَفَّيْن وَهُوَ قَوْلُ: (عَلِيّ) و(ابْن عَبَّاس) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَبِهِ قَالَ: (الشَّعْبِيُّ وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاح وَمَكْحُولٌ)، وَإِلَيْه ذَهَبَ (الْأَوْزَاعِيُّ وأحمد وإسحاق). (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {43} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} .

ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، حتى يعلموا ما يقولون، وهذا شامل لقربان مواضع الصلاة، كالمسجد، فإنه لا يمكَّن السكران من دخوله. وشامل لنفس الصلاة، فإنه لا يجوز للسكران صلاة ولا عبادة، لاختلاط عقله وعدم علمه بما يقول، ولهذا حدد تعالى ذلك وغياه إلى وجود العلم بما يقول السكران. وهذه الآية

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (43).

الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقا، فإن الخمر -في أول الأمر- كان غير محرم،

ثم إن الله تعالى عرض لعباده بتحريمه بقوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا}

ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر عند حضور الصلاة كما في هذه الآية، ثم إنه تعالى حرمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ} الآية.

ومع هذا فإنه يشتد تحريمه وقت حضور الصلاة لتضمنه هذه المفسدة العظيمة، بعد حصول مقصود الصلاة الذي هو روحها ولبها وهو الخشوع وحضور القلب، فإن الخمر يسكر القلب، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ويؤخذ من المعنى منع الدخول في الصلاة في حال النعاس المفرط، الذي لا يشعر صاحبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمدافعة الأخبثين والتوق لطعام ونحوه كما ورد في ذلك الحديث الصحيح.

ثم قال: {وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ} أي: لا تقربوا الصلاة حالة كون أحدكم جنبا، إلا في هذه الحال وهو عابر السبيل أي: تمرون في المسجد ولا تمكثون فيه، {حَتَّى تَغْتَسِلُوا} أي: فإذا اغتسلتم فهو غاية المنع من قربان الصلاة للجنب، فيحل للجنب المرور في المسجد فقط.

{وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا}

فأباح التيمم للمريض مطلقًا مع وجود الماء وعدمه، والعلة المرض الذي يشق معه استعمال الماء، وكذلك السفر فإنه مظنة فقد الماء، فإذا فقده المسافر أو وجد ما يتعلق بحاجته من شرب ونحوه، جاز له التيمم.

وكذلك إذا أحدث الإنسان ببول أو غائط أو ملامسة النساء، فإنه يباح له التيمم إذا لم يجد الماء، حضرا وسفرًا كما يدل على ذلك عموم الآية. والحاصل: أن الله تعالى أباح التيمم في حالتين:

حال عدم الماء، وهذا مطلقا في الحضر والسفر، وحال المشقة باستعماله بمرض ونحوه.

واختلف المفسرون في معنى قوله: {أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ} هل المراد بذلك: الجماع فتكون الآية نصا في جواز التيمم للجنب، كما تكاثرت بذلك الأحاديث الصحيحة؟ أو المراد بذلك مجرد اللمس باليد، ويقيد ذلك بما إذا كان مظنة خروج المذي، وهو المس الذي يكون لشهوة فتكون الآية دالة على نقض الوضوء بذلك؟.

واستدل الفقهاء بقوله: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً} بوجوب طلب الماء عند دخول الوقت، قالوا: لأنه لا يقال: "لم يجد" لمن لم يطلب، بل لا يكون ذلك إلا بعد الطلب، واستدل بذلك أيضا على أن الماء المتغير بشيء من الطاهرات يجوز بل يتعين التطهر به لدخوله في قوله: {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً} وهذا

ماء. ونوزع في ذلك أنه ماء غير مطلق وفي ذلك نظر.

وفي هذه الآية الكريمة مشروعية هذا الحكم العظيم الذي امتن به الله على هذه الأمة، وهو مشروعية التيمم، وقد أجمع على ذلك العلماء ولله الحمد، وأن التيمم يكون بالصعيد الطيب، وهو كل ما تصاعد على وجه الأرض سواء كان له غبار أم لا ويحتمل أن يختص ذلك بذي الغبار لأن الله قال: {فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ} وما لا غبار له لا يمسح به.

وقوله: {فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ} هذا محل المسح في التيمم: الوجه جميعه واليدان إلى الكوعين، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، ويستحب أن يكون ذلك بضربة واحدة، كما دل على ذلك حديث عمار، وفيه أن تيمم الجنب كتيمم غيره، بالوجه واليدين.

فائدة:

اعلم أن قواعد الطب تدور على ثلاث قواعد: حفظ الصحة عن المؤذيات، والاستفراغ منها، والحمية عنها. وقد نبه تعالى عليها في كتابه العزيز.

أما حفظ الصحة والحمية عن المؤذي، فقد أمر بالأكل والشرب وعدم الإسراف في ذلك، وأباح للمسافر والمريض الفطر حفظا لصحتهما، باستعمال ما يصلح البدن على وجه العدل، وحماية للمريض عما يضره.

وأما استفراغ المؤذي فقد أباح تعالى للمحرِم المتأذي برأسه أن يحلقه لإزالة الأبخرة المحتقنة فيه، ففيه تنبيه على استفراغ ما هو أولى منها من البول والغائط والقيء والمني والدم، وغير ذلك، نبه على ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى.

وفي الآية وجوب تعميم مسح الوجه واليدين، وأنه يجوز التيمم ولو لم يضق الوقت، وأنه لا يخاطب بطلب الماء إلا بعد وجود سبب الوجوب والله أعلم.

ثم ختم الآية بقوله: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} أي: كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين، بتيسير ما أمرهم به، وتسهيله غاية التسهيل، بحيث لا يشق على العبد امتثاله، فيحرج بذلك.

ومن عفوه ومغفرته أن رحم هذه الأمة بشرع طهارة التراب بدل الماء، عند تعذر استعماله. ومن عفوه ومغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة والإنابة ودعاهم إليه ووعدهم بمغفرة ذنوبهم. ومن عفوه ومغفرته أن المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا، لأتاه بقرابها مغفرة.[1]

* * *

قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون}.

قال: الإِمَامْ (الترمذي) - (رحمه اللّه) - في (سننه) - (بسنده) :-حدثنا سُويد: أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن الأعمش نحو حديث معاوية بن هشام. حدثنا عبد بن حميد. حدثنا عبد الرحمن بن سعد عن أبي جعفر الرازي

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (43)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

عن (عطاء بن السائب) عن (أبي عبد الرحمن السلمي) عن (علي بن أبي طالب) قال: صنع بنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدّموني فقرأتُ: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون).

قال: فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون}.[1]

* * *

وانظر: سورة - (البقرة) - الآية (219) - كما قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)}

* * *

حديث (عمر) في نزول تحريم الخمر.

قال: الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسند) - (بسنده):- (بسنده) - عن (عمر بن الخطاب) قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية في سورة البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) قال: فدعي عمر فقرئت عليه. فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في سورة النساء {يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى} فكان منادي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه.

فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً.

فنزلت الآية التي في {المائدة}. فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ {فهل أنتم منتهون} قال عمر: انتهينا انتهينا.[2]

* * *

و أخرج الإِمَامُ (الترمذي)، و(أبو داود) - في (سُننها) - (بسنديهما) - (رحمهما الله) :- , عَنْ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: (صَنَعَ لَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - رضي الله عنه - طَعَامًا, فَدَعَانَا وَسَقَانَا مِنْ الْخَمْرِ)[3] (قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ)[4] (فَأَخَذَتْ الْخَمْرُ مِنَّا, وَحَضَرَتْ الصَلَاةُ, فَقَدَّمُونِي, فَقَرَأتُ: {قُلْ

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (238/5)، (ح/ 3026).

قال: الإمام (أبو عيسى): هذا (حديث حسن صحيح كريب).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي)،

وأخرجه الإمام (الضياء) في (المختارة) برقم (187/2)، (ح 566) - من طريق-: (إبراهيم بن خذم)، عن (عبد بن حميد) به.

وقال: محققه: (إسناده صحيح).

كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (55/2)، الطبعة: الأولى، (1420 هـ - 1999 م)،

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (ح 378)،

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (ح 3670) - ((كتاب: الأشربة)،

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (ح 3049) - ((كتاب: التفسير)،

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (278/2)،

و(صححه) الشيخ: (أحمد شاكر) في تعليقه على (المسند)،

ونقل الإِمَامْ (ابن كثير). (تصحيحه) عن (علي بن المديني)،

و(صححه) الإِمَامْ (الترمذي)، و الإِمَامْ (الحاكم)، ووافقه الإِمَامْ (الذهبي)،

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي).

كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (330/1)، الطبعة: الأولى، (1420 هـ - 1999 م)،

(3) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3026).

(4) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (3671).

يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ , وَنَحْنُ نَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} ,

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}) (1).

* * *

وقال: الإِمَامُ (البيهقي) – (رحمه الله) – في (السنن الكبرى) – (بسنده):- , وَعَنْ (عَلِيٍّ) – رضي الله عنه – أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا} (2) قَالَ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسَافِرِ إِذَا أَجْنَبَ فَلَمْ يَجِدِ الْمَاءَ , تَيَمَّمَ وَصَلَّى حَتَّى يُدْرِكَ الْمَاءَ، فَإِذَا أَدْرَكَ الْمَاءَ اغْتَسَلَ (3).

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده): – عن (ابن عمر)، قال: سمعت (عمر) – رضي الله عنه – على منبر النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل)) (4).

* * *

و قال: الإِمَامُ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو الربيع العتكي وأبو كامل قالا: حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب عن (نافع)، عن (ابن عمر). قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((كل مسكر خمر. وكل مسكر حرام. ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها، لم يتب، لم يشربها في الآخرة)) (5).

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (ابن عمر) قال: (الْمَيْسِرِ) هو القمار (6).

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) عن (ابن عباس) قال: (الميسر) هو القمار (7).

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسند حسن) – عن (ابن عباس) قوله: (قل فهما إثم كبير) يعني ما ينقص من الدين عند شربها (ومنافع) يقول: فيما يصيبون من لذتها وفرحها إذا شربوا، (وإثمهما أكبر من نفعهما) يقول ما يذهب من الدين والإثم فيه، أكبر مما يصيبون في فرحها إذا شربوها (8)(1).

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3026).
وأخرجه الإِمَامُ (أبو داود) في (السنن) برقم (3671).
وأخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (3199).
(2) {النساء: 43}.
(3) أخرجه الإِمَامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (978).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (الإرواء) حديث: (193).
(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم ((كتاب: تفسير القرآن) – (سورة المائدة)، / باب: (10)، (ح 4619).
(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1587/3)،(ح 2003) – (كتاب: الأشربة)، / باب: (بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام).
(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (219).
(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (219).
(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (219).

* * *

قال: الإِمَامْ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (قل فيهما إثم كبير) لم يبين هنا ما هذا الإثم الكبير؟ ولكنه بين في آية أخرى أنه إيقاع العداوة والبغضاء بينهم والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهي قوله: (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .

* * *

قوله تعالى: (ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا)

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام عن أبيه عن (عائشة) زوج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((أن النبي كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يُدخل أصابعه في الماء فيُخلل بها أصول شعره، ثم يَصب على رأسه ثلاث غرف بيديه، ثم يفيض على جلده كله)).

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا سفيان عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن (ابن عباس) عن ميمونة زوج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قالت: ((توضأ رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وُضوءه للصلاة غير رجليه، وغسل فرجه وما أصابه من الأذى، ثم أفاض عليه الماء ثم نحّى رجليه فغسلهما)) هذه غُسله من الجنابة. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابنُ أبِي حَاتِم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أحمد بن يحيى بن ملك السوسي، ثنا أبو بدر، حدثني عبد الرحمن بن عبد الله، قال أبو بدر -وليس هو السعدي- عن المنهال ابن عمرو، عن زر بن حبيش عن علي قال: نزلت هذه الآية في المسافر (ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا) قال: إذا أجنب فلم يجد الماء تيمم، وصلى، حتى يدرك الماء فإذا أدرك الماء اغتسل وصلى. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: (ولا جنبا إلا عابري سبيل) قال: مسافرين لا يجدون ماء. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أدم قال: حدثنا شعبة حدثنا الحكم عن ذرّ عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال: جاء رجل إلى (عمر بن الخطاب) فقال: إني جنبتُ فلم أصب الماء. فقال: (عمار بن ياسر لعمر بن

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (219).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (429/1 و431)، (ح 248، 249) – (كتاب : الغسل)، / باب: (الوضوء قبل الغسل) .

(3) أخرجه الإِمَامْ (مابن أبي حاتم) في (التفسير) – (سورة النساء) الآية (43) - ح (3196).

وأخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (379/8)، (ح 9537) - من طريق – : (ابن أبي ليلى)، عن المنهال به. و(الإسناد حسن) بهذه المتابعة (انظر: حاشية تفسير (ابن أبي حاتم) .

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (43).

الخطاب): أما تذكر أنّا كنا في سفر أنا وأنت، فأمّا أنتَ فلم تصل، وأما أنا فتمعكت فصليت، فذكرتُ للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((كان يكفيك هكذا)) فضرب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بكفيه الأرض ونفخ فهما، ثم مسح بهما وجهه وكفيه. (1)(2)

* * *

{أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ} (3)

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس): (4) الدُّخُولُ , وَالْمَسِيسُ , وَاللِّمَاسُ: هُوَ الجِمَاعُ. (5)

* * *

{فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} (6)

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- (7) {صَعِيدًا}: وَجْهَ الأَرْضِ.

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد أخبرنا عبدة، عن هشام، عن أبيه، عن (عائشة) -رضي الله عنها- قالت: هلكت قلادة لأسماء، فبعث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في طلبها رجالاً فحضرت الصلاة وليسوا على وُضوء ولم يجدوا ماء، فصلّوا وهم على غير وضوء فأنزل الله. يعني آية التيمم. (8)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن سنان، قال: حدثنا هُشيم. ح. قال: وحدثني سعيد بن النضر، قال: أخبرنا هُشيم قال: أخبرنا سيار، قال: حدثنا يزيد -هو ابن صهيب الفقير- قال: أخبرنا (جابر بن عبد الله) أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعثت إلى الناس عامّة)). (9) (10)

* * *

قال: الإِمَامُ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا عمرو بن عون، أخبرنا خالد الواسطى، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة ح وحدثنا مسدد: أخبرنا خالد -يعني ابن عبد الله الواسطى- عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن عمرو بن بُجدان، عن (أبي ذر) قال: اجتمعت غنيمة عند رسول

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (528/1)، (ح 338)-(كتاب: التيمم)، / باب: (المتيمم هل ينفخ فيهما).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمُ) في (صحيحه) برقم (ح 112، 113) – (كتاب: الحيض)، / باب:(التيمم).

(3) {النساء: 43}.

(4) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (43).

برقم (ج 7/ ص 11).

(5) انظر: (فتح الباري) برقم (8/ 272).

(6) {النساء: 43}.

(7) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (43).

برقم (ج 6/ ص 45).

(8) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (100/8)، (ح 4583) – ((كتاب: التفسير)، - (سورة النساء).

(9) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (519/1)، (ح 335) – (كتاب: التيمم)،

(10) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمُ) في (صحيحه) برقم (370/1)، (ح 521).

الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: "يا أبا ذر، ابدُ فيها" فبدوتُ إلى الربذة، فكانت تصيبني الجنابة فأمكث الخمس والستّ، فأتيت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: "أبو ذر" فسكت، فقال: "ثكلتك أمك أبا ذر، لأمك الويل" فدعا لى بجارية سوداء، فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب، واستترت بالراحلة، واغتسلت فكأني ألقيت عني جبلاً، فقال: "الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمسَّه جلدك، فإن ذلك خير.

وقال: (مسدد): غنيمة من الصدقة. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا معاذ بن فضالة قال: حدثنا هشام ح وحدثنا أبو نعيم، عن هشام، عن (قتادة)، عن الحسن عن أبي رافع، عن (أبي هريرة) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل)). (2)(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا وكيع، ثنا الأعمش، عن حبيب عن عروة عن (عائشة) أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبَّل امرأة من نسائه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ" فقلت لها: من هي إلا أنت؟ فضحكت. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1/90-91)، (ح 332)؛ - (كتاب : الطهارة)، / باب: (الجنب يتيمم) .

وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) - (4/135)، (ح 311) من طريق - (وهب بن بقية).

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1/176-177) - من طريق – (مسدد) ، كلاهما - عن (خالد الواسطى عن خالد الحذاء) به.

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1/211-212) ،

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (5/180) كلاهما من طريق – (سفيان الثوري)، - عن (خالد الحذاء) به.

وأخرجه الإِمَامْ (النسائى) في (السنن) برقم (1/171) ،

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (5/6) كلاهما - من طريق- (أيوب، عن أبي قلابة، عن عمرو ابن بجدان) به.

قال: الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه): (حسن صحيح).

وقال: الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك): (صحيح) ولم يخرجاه،

ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).

ونقل محقق:(الإحسان) تصحيح الأئمة: الإِمَامْ (أبي حاتم)، والإِمَامْ (الدارقطنى)، و الإِمَامْ (النووي) له.

وقال: الإِمَامْ (الألبانى): (صحيح) في (صحيح الترمذي) برقم (ح 107) .

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/57-58)، :-

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1/470)، (ح 291)- ((كتاب : الغسل)، / باب: (إذا التقى الختانان)،

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 348) - (كتاب : الحيض)، / باب: (نسخ الماء من الماء).

(4) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1/46)، (ح 179) – (كتاب : الطهارة)، / باب: (الوضوء من القبلة) .

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1/133)، (ح 86)- (كتاب : الطهارة)، / باب: (ترك الوضوء من القبلة) - من طريق: (أحمد بن منيع، ومحمود بن غيلان، والحسين بن حريث).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1/168)، (ح 502) – (كتاب : الطهارة)، / باب: (الوضوء من القبلة) -من طريق- :(أبي بكر بن أبي شيبة وعلى بن محمد).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (6/210) .

وأخرجه الإِمَامْ (الطبرى) في (التفسير) برقم (8/396)، (ح 9630)،- من طريق – (أبي كريب. كلهم عن وكيع عن الأعمش به)، وقد أعل بعضهم هذا الحديث بعدم سماع حبيب بن أبي ثابت من عروة، لكن (صححه) جماعة من الأئمة،

وقال: الإمام (أبو داود) -مشيراً إلى صحة سماع حبيب من عروة-: وقد روى حمزة الزيات عن حبيب عن عروة بن الزبير عن (عائشة) حديثاً صحيحاً. ومال (أبو عمر بن عبد البر) إلى تصحيحه (نصب الراية) برقم (1/38) .

وقال: الإمام (البوصيرى): رواه الإمام (البزار) (بإسناد حسن). وأفاض الشيخ: (أحمد شاكر) في تصحيح الحديث ودفع علته فأجاد (رحمه الله) (حاشية سنن الترمذى).

وقال: الإمام (الألبانى): (صحيح) في (صحيح الترمذى) برقم (ح 75).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/58)، :-

(ابن عباس): قال: "الملامسة": النكاح.. (1)(2)

* * *

[٤٤] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ألم تعلم أيها الرسول - ﷺ - أمر اليهود الذين أعطاهم الله حظًّا من العلم بالتوراة يستبدلون الضلال بالهدى، وهم حريصون على إضلالكم أيها المؤمنون - عن الصراط المستقيم الذي جاء به الرسول" لتسلكوا طريقهم المعوجّ؟!. (3)

* * *

يَعْنِي: - ألم تعلم أيها الرسول - ﷺ - أمر اليهود الذين أُعطوا حظًّا من العلم مما جاءهم من التوراة، يستبدلون الضلالة بالهدى، ويتركون ما لديهم من الحجج والبراهين، الدالة على صدق رسالة الرسول - محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ويتمنون لكم أيها المؤمنون المهتدون - أن تنحرفوا عن الطريق المستقيم" لتكونوا ضالين مثلهم. (4)

* * *

يَعْنِي: - ألا تعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظاً من العلم مما جاء فى الكتب السابقة، يتركون الهدى ويبتغون الضلالة فى شأن أنفسهم، ويريدون منكم أن تبعدوا مثلهم عن الحق وهو صراط الله المستقيم؟. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا} ... حَظًّا.

{أَلَمْ تَرَ} ... من رؤية القلب، وعدى بالحرف إِلَى على معنى: ألم ينته علمك إليهم، أو بمعنى: ألم تنظر إليهم.

{نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ} ... حظا من علم التوراة، وهم أحبار اليهود.

{مِنْ الْكِتَابِ} ... وَهُمْ الْيَهُود.

{يَشْتَرُونَ الضَّلَالَة} ... بِالْهُدَى.

{يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ} ... يستبدلونها بالهدى، وهو البقاء على اليهودية، بعد، وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم -.

{وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} ... تُخْطِئُوا الطَّرِيق الْحَقّ لتكونوا مثلهم.

{وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا} ... أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه، لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون أن يضل معهم غيرهم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) الآية،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (43).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (43).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (85/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (116/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ذكر في هذه الآية الكريمة أن الذين أوتوا نصيبا من الكتاب مع اشترائهم الضلالة يريدون إضلال المسلمين أيضاً. وذكر في موضع أخر أنهم كثير، وأنهم يتمنون ردة المسلمين، وأن السبب الحامل لذلك هو الحسد أنهم ما صدر منهم ذلك إلا بعد معرفتهم الحق وهو قوله تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) . وذكر في موضع آخر أن هذا الإضلال الذي يتمنونه للمسلمين لا يقع من المسلمين وإنما يقع منهم - أعني المتمنين الضلال. للمسلمين - وهو قوله: (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون).(1)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (44)} . يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَنَّهُمْ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَيُعْرِضُونَ عَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَتْرُكُونَ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَوَّلِينَ فِي صِفَةِ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} أَيْ يَوَدُّونَ لَوْ تَكْفُرُونَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَتَتْرُكُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ النَّافِعِ.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {44} ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ} {النساء: 44} يَعْنِي: يَهُودَ الْمَدِينَةِ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نَزَلَتْ فِي رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ وَمَالِكِ بْنِ دخشم، كانا إِذَا تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - لويا لسانهما وَعَابَاهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ،

{يَشْتَرُونَ} يستبدلون، {الضَّلَالَةَ} يَعْنِي: بِالْهُدَى، {وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} {النساء: 44} أَيْ: عَنِ السَّبِيلِ يَا مَعْشَرَ المؤمنين.(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {أَلَمْ تَرَ} ألم تخبر فِي الْكتاب {إِلَى} عَن {الَّذين أُوتُوا} أعطوا {نَصِيباً مِّنَ الْكتاب} علما بِالتَّوْرَاة {يَشْتَرُونَ الضَّلَالَة} يختارون الْيَهُودِيَّة {وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيل} أَن تتركوا دين الْإِسْلَام نزلت فِي اليسع وَرَافِع بن

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). في سورة (النساء) الآية (44).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (44)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (44).

حَرْمَلَة حبرين من الْيَهُود دعوا (عبد الله بن أبي) وَأَصْحَابه إِلَى دينهما. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {44} {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} .

هذا ذم لمن {أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ} وفي ضمنه تحذير عباده عن الاغترار بهم، والوقوع في أشراكهم، فأخبر أنهم في أنفسهم {يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ} أي: يحبونها محبة عظيمة ويؤثرونها إيثار من يبذل المال الكثير في طلب ما يحبه. فيؤثرون الضلال على الهدى، والكفر على الإيمان، والشقاء على السعادة، ومع هذا {يُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) -عن (محمد بن إسحاق) - عن (ابن عباس): قال: كان رفاعة بن زيد التابوت من عظماء اليهود إذا كلم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لوى لسانه وقال: أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ثم طعن في الإسلام وعابه، فأنزل الله تعالى فيه: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) . (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): قوله: (اشتروا الضلالة) يقول: اختاروا الضلالة. (4)

وهذا الأثر قد أورده (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) في سورة (البقرة).

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- من كمال عدله تعالى وتمام رحمته أنه لا يظلم عباده شيئًا مهما كان قليلًا، ويتفضل عليهم بمضاعفة حسناتهم.
- من شدة هول يوم القيامة وعظم ما ينتظر الكافر يتمنى أن يكون ترابًا.
- الجنابة تمنع من الصلاة والبقاء في المسجد، ولا بأس من المرور به دون مُكْث فيه.
- تيسير الله على عباده بمشروعية التيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله. (5)

* * *

[٤٥] ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والله -عز وجل- أعلم منكم بأعدائكم أيها المؤمنون- فأخبركم بهم وبيّن لكم عداوتهم، وكفى بالله وليًّا يحفظكم من بأسهم، وكفى

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (44). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (44)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (44).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (44).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (45) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (49) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (50) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51)

* * *

بالله نصيرًا يمنعكم من كيدهم وأذاهم وينصركم عليهم. (1)

* * *

يَعْنِي: - والله سبحانه وتعالى أعلم منكم أيها المؤمنون - بعداوة هؤلاء اليهود لكم، وكفى بالله وليًّا يتولاكم، وكفى به نصيرًا ينصركم على أعدائكم. (2)

* * *

يَعْنِي: - والله أعرف منكم بأعدائكم الحقيقيين، وأخبر بما تنطوي عليه نفوسهم، وولاية الله تحميكم وتكلؤكم وتكفيكم، فلا تطلبوا ولاية غير ولايته، وتكفيكم نصرته فلا تستعينوا بسواه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ} ... مِنْكُمْ فَيُخْبِرُكُمْ بِهِمْ لِتَجْتَنِبُوهُمْ.

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ} ... منكم.

{بِأَعْدَائِكُمْ} ... وقد أخبركم بعداوة هؤلاء، وأطلعكم على أحوالهم، وما يريدون بكم.

{وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا} ... أي: فثقوا بولايته ونصرته دونهم، أو لا تبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم.

{وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا} ... حَافِظًا لَكُمْ مِنْهُمْ.

(أي: مَانِعًا لَكُمْ مِنْ كَيْدِهِم).

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ} أَيْ: هُوَ يَعْلَمُ بِهِمْ وَيُحَذِّرُكُمْ مِنْهُمْ {وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا} أَيْ: كَفَى بِهِ وَلِيًّا لِمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ وَنَصِيرًا لِمَنِ اسْتَنْصَرَهُ. (4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ} مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُود {وَكَفَى

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (86/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (116/1) المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (45)، للإِمَامْ (ابن كثير).

بِاللَّهِ وَلِيًّا} حَافِظًا {وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا} مَانِعًا.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا} (45). فهم حريصون على إضلالكم غاية الحرص، باذلون جهدهم في ذلك. ولكن لما كان الله ولي عباده المؤمنين وناصرهم، بيّن لهم ما اشتملوا عليه من الضلال والإضلال،

ولهذا قال: {وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا} أي: يتولى أحوال عباده ويلطف بهم في جميع أمورهم، وييسر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم.

{وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا} ينصرهم على أعدائهم ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم. فولايته تعالى فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر.(2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ) يُرِيدُ مِنْكُمْ، فَلَا تَسْتَصْحِبُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاؤُكُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (أَعْلَمُ) بِمَعْنَى عَلِيمٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) أَيْ هَيِّنٌ. (وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا) الْبَاءُ زَائِدَةٌ، زِيدَتْ لِأَنَّ الْمَعْنَى اكْتَفُوا بِاللَّهِ فهو يكفيكم أعداءكم. و (وَلِيًّا) و (نَصِيرًا) نُصِبَ عَلَى الْبَيَانِ، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى الْحَالِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) قَالَ الزَّجَّاجُ: إِنْ جُعِلَتْ (مِنَ) مُتَعَلِّقَةً بِمَا قَبْلُ فَلَا يُوقَفُ عَلَى قَوْلِهِ (نَصِيرًا)، وَإِنْ جُعِلَتْ مُنْقَطِعَةً فيجوز الوقف على (نَصِيرًا) والتقدير (3)

* * *

[٤٦] ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

من اليهود قوم سوء يغيرون الكلام الذي أنزله الله، فيُؤوِّلونه على غير ما أنزل الله، ويقولون للرسول - صلى الله عليه وسلم - حين يأمرهم بأمر: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، ويقولون مستهزئين: اسمع ما نقول لا سَمِعْتَ" ويوهمون بقولهم: "راعنا" أنهم يريدون: راعنا سمعك، وإنما يريدون الرعونة" يلوون بها ألسنتهم، يريدون الدعاء عليه - صلى الله عليه وسلم -، ويقصدون القدح في الدين، ولو أنهم قالوا: سمعنا قولك، وأطعنا أمرك، بدلًا من قولهم: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، وقالوا: اسمع، بدل قولهم: اسمع لا سمعت،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (45). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (45)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (45)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

وقالوا: انتظرنا نفهم عنك ما تقول، بدل قولهم: راعنا" لكان ذلك خيراً لهم مما قالوه أولًا، وأعدل منه" لما فيه من حسن الأدب اللائق بجناب النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولكن لعنهم الله، فطردهم من رحمته بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إيمانًا ينفعهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- من اليهود فريق دأبوا على تبديل كلام الله وتغييره عمَّا هو عليه افتراء على الله، ويقولون للرسول صلى الله عليه وسلم: سمعنا قولك وعصينا أمرك واسمع منَّا لا سمعت، ويقولون: راعنا سمعك أي: افهم عنا وأفهمنا، يلوون ألسنتهم بذلك، وهم يريدون الدعاء عليه بالرعونة حسب لغتهم، والطعن في دين الإسلام. ولو أنهم قالوا: سمعنا وأطعنا، بدل و ‹ عصينا › ، واسمع دون ‹ غير مسمع › ، وانظرنا بدل ‹ راعنا › لكان ذلك خيراً لهم عند الله وأعدل قولا ولكن الله طردهم من رحمته" بسبب كفرهم وجحودهم نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم، فلا يصدقون بالحق إلا تصديقًا قليلا لا ينفعهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- من اليهود فريق يُميلون الكلام عن معناه، ويقولون فى أنفسهم للنبى: سمعنا القول وعصينا الأمر. ويقولون: اسمع كلامنا، لا سمعت دعاء، يدعون بذلك على النبى ويقولون: اسمع غير مسمع. فاللفظ يسوقونه ومرادهم منه الدعاء عليه، ويوهمون أن مرادهم الدعاء له. ويقولون: راعنا. يلوون بها ألسنتهم يوهمون أنهم يريدون: انظرنا. فيظهرون أنهم يطلبون رعايته ويبطنون وصفه بالرعونه، ويطعنون بذلك فى الدين لوصف مُبَلِّغه بالرعونة. ولو أنهم استقاموا وقالوا: سمعنا وأطعنا، بدل قولهم: سمعنا وعصينا. وقالوا: اسمع، دون أن يقولوا: غير مسمع، وقالوا: انظرنا، بدل راعنا. لكان خيراً لهم مما قالوه وأعدل منه سبيلاً، ولكن الله طردهم من رحمته بإعراضهم فلا تجد منهم من يستجيبون لداعى الإيمان إلا عدداً قليلاً. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} ... أي: من اليهود.

{هَادُوا} ... أي: اليهود، قيل لهم ذلك لقولهم:

{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} ... يميلونه عنها ويزيلونه.

{غَيْرَ مُسْمَعٍ} ... حال من المخاطب، أي اسمع وأنت غير مسمع،

وهو كلام يحتمل وجهين:

(أ) يحتمل الذم، أي اسمع منا مدعوا عليك بقولهم (لا سمعت) ، لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع، فكأنه أصم غير مسمع.

(ب) ويحتمل المدح، أي اسمع غير مسمع مكروها، من قولك:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/86). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/86)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/116)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

أسمع فلان فلانا، إذا سبه وَراعنا أي راعنا نكلمك، أي: ارقبنا وانتظرنا، وقد تكون بمعناها فى لغتهم: راعينا كلمة كانوا يتسابون بها، ويكون المراد السخرية والاستهزاء بمن تخاطب.

وهكذا استخدموا كلمة ذات معنيين متضادين كما فى قولهم قبل غَيْرَ مُسْمَعٍ.

{لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ} ... فتلا بها وتحريفا، أي يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون غَيْرَ مُسْمَعٍ مكان: لا سمعت مكروها، وراعنا مكان: انظرنا.

وَانْظُرْنا وقرىء: وأنظرنا، من الإنظار، وهو الإمهال.

{لَكانَ خَيْراً لَهُمْ} ... أي: لكان قولهم ذلك خيرا لهم، إذ الضمير يرجع إلى قوله لَوْ أَنَّهُمْ قالُوا:

{وَأَقْوَمَ} ... أعدل وأصوب. (أي: عَدَلَ وقولًا وأسد.

{وَلكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ} ... أي: خذلهم بسبب كفرهم، وأبعدهم عن ألطافه.

{لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ} ... طردهم من رحمته وأبعدهم من هداه بسبب كفرهم برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

{إِلاَ قَلِيلًا} ... أي: إلا إيمانا قليلا، أي: ضعيفا ركيكا لا يعبأ به.

{إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} ... أي: تبنا ورجعنا.

{يُحَرِّفُونَ} ... التحريف: الميل بالكلام عن معناه إلى معنى باطل للتضليل.

{الْكَلِمَ} ... الكلام، وهو كلام الله تعالى في التوراة.

{وَطَعْناً فِي الدِّينِ} ... سبهم للرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو الطعن الأعظم في الدين.

{وَانْظُرْنَا} ... وأمهلنا حتى تسمع فتفهم.

{وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ} ... أي: اسمع ما تقول لا أسمعك الله. وهذا كفر منهم صريح.

{وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ} ... يَدعُونَ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَائلِينَ: اسْمَعْ مِنَّا لا سَمِعْتَ!

{أي: يقولون للنبي - صلى الله عليه وسلم - : اسْمَعْ، ثم يقولون في أنفسهم: (لاَ سَمِعْتَ) يَدْعُونَ عَلَيْهِ بِعَدَمِ السَّمَاعِ، **يَعْنِي**:- غَيْرَ مَقْبُولٍ مَا نَسْمَعُهُ مِنْك}.

{وَراعِنَا} ... افْهَمْ عَنَّا، وَأَفْهِمْنَا.

{أَصْلُهُ مِنَ الْمُرَاعَاةِ فيجعلونه مِنَ الرُّعُونَةِ، والرُّعُونَةُ: الحُمْقُ}.

{لَيًّا} ... أي: تَحْرِيفًا.

{لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ} ... يَلْوُونَ أَلسِنَتَهُمْ بِذَلكَ، وَهُمْ يُرِيدُونَ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ بِالرُّعُونَةِ حَسَبَ لُغَتِهِمْ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {46}، {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} قِيلَ: هِيَ مُتَّصِلَةٌ بِقَوْلِهِ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ} (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) يَعْنِي:- هِيَ مُسْتَأْنَفَةٌ، مَعْنَاهُ: مِنَ الَّذِينَ هَادُوا مَنْ يُحَرِّفُونَ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} {الصافات: 164} أي: ممن له منزلة معلومة، يريد فريق،

{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ} يغيرون الكلم.

{عَنْ مَوَاضِعِه} يَعْنِي: صِفَةَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: كَانَتِ الْيَهُودُ يَأْتُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَسْأَلُونَهُ عَنِ الْأَمْرِ فَيُخْبِرُهُمْ فَيَرَى أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ فَإِذَا انْصَرَفُوا مِنْ عِنْدِهِ حَرَّفُوا كلامه، {وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا} قولك، {وَعَصَيْنَا} أمرك،

{وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ} أَيْ: اسْمَعْ مِنَّا وَلَا نَسْمَعُ مِنْكَ، (غَيْرَ مُسْمَعٍ) أَيْ: غَيْرَ مَقْبُولٍ مِنْكَ،

يَعْنِي:- كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اسْمَعْ، ثُمَّ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: لا سمعت،

{وَرَاعِنَا} أَيْ: وَيَقُولُونَ رَاعِنَا يُرِيدُونَ بِهِ النِّسْبَةَ إِلَى الرُّعُونَةِ،

{لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ} تحريفا،

{وَطَعْنًا} قدحا .

{فِي الدِّينِ} لأن قولهم: راعنا مِنَ الْمُرَاعَاةِ، وَهُمْ يُحَرِّفُونَهُ، يُرِيدُونَ بِهِ الرُّعُونَةَ،

{وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا} أَيْ: انْظُرْ إِلَيْنَا مَكَانَ قَوْلِهِمْ رَاعِنَا،

{لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ} أَيْ أَعْدَلَ وَأَصْوَبَ،

{وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} {النساء: 46} إِلاَ نَفَرًا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَمَنْ أسلم معه منهم. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ} يَعْنِي الْيَهُود مَالك بن الصَّيف وَأَصْحَابه {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِه} يغيرون صفة مُحَمَّد ونعته بعد بَيَانه فِي التَّوْرَاة ويأتون مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وسلم - {وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا} قَوْلك يَا مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - {وَعَصَيْنَا} أمرك فِي السِّرّ عَنهُ {واسمع} منا يَا مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - {غَيْرَ مُسْمَعٍ} غير مُطَاع ومسمع مِنْك فِي السِّرّ {وَرَاعِنَا} اسْمَع منا يَا مُحَمَّد وَكَانَ بلغتهم رَاعنا اسْمَع لَا سَمِعت {لياً بألسنتهم} يحرفُونَ ألسنتهم بالشتم وَالتَّعْبِير {وَطَعْناً فِي الدّين} عَيْبا فِي الْإِسْلَام {وَلَو أَنَّهُمْ} يَعْنِي الْيَهُود {قَالُواْ سَمِعْنَا} قَوْلك يَا مُحَمَّد {وَأَطَعْنَا} أَمرك {واسمع} منا {وانظرنا} انْظُر إِلَيْنَا {لَكَانَ خيرا لَهُم} من السب والتعيير {وَأَقْوَم} أصوب {وَلَكِن} وَلَكِنهُمْ {لَّعَنَهُمُ الله} عذبهم الله بالجزية {بِكُفْرِهِمْ} عُقُوبَة لكفرهم {فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} وَهُوَ من أسلم مِنْهُم عبد الله بن سَلام وَأَصْحَابه. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (46).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (46). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا﴾ .

فهم حريصون على إضلالكم غاية الحرص، باذلون جهدهم في ذلك. ولكن لما كان الله ولي عباده المؤمنين وناصرهم، بيَّن لهم ما اشتملوا عليه من الضلال والإضلال،

ولهذا قال: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ أي: يتولى أحوال عباده ويلطف بهم في جميع أمورهم، وييسر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ ينصرهم على أعدائهم ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم. فولايته تعالى فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر.

ثم بين كيفية ضلالهم وعنادهم وإيثارهم الباطل على الحق فقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود وهم علماء الضلال منهم.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ إما بتغيير اللفظ أو المعنى، أو هما جميعا. فمن تحريفهم تنزيل الصفات التي ذكرت في كتبهم التي لا تنطبق ولا تصدق إلا على محمد- صلى الله عليه وسلم - على أنه غير مراد بها، ولا مقصود بها بل أريد بها غيره، وكتمانهم ذلك.

فهذا حالهم في العلم أشر حال، قلبوا فيه الحقائق، ونزلوا الحق على الباطل، وجحدوا لذلك الحق، وأما حالهم في العمل والانقياد فإنهم.

﴿يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك، وهذا غاية الكفر والعناد والشرود عن الانقياد، وكذلك يخاطبون الرسول- صلى الله عليه وسلم بأقبح خطاب وأبعده عن الأدب فيقولون: ﴿اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ قصدهم: اسمع منا غير مسمع ما تحب، بل مسمع ما تكره،

﴿وَرَاعِنَا﴾ قصدهم بذلك الرعونة، بالعيب القبيح، ويظنون أن اللفظ -لما كان محتملا لغير ما أرادوا من الأمور- أنه يروج على الله وعلى رسوله، فتوصلوا بذلك اللفظ الذي يلوون به ألسنتهم إلى الطعن في الدين والعيب للرسول، ويصرحون بذلك فيما بينهم، فلهذا قال: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ .

ثم أرشدهم إلى ما هو خير لهم من ذلك فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ وذلك لما تضمنه هذا الكلام من حسن الخطاب والأدب اللائق في مخاطبة الرسول، والدخول تحت طاعة الله والانقياد لأمره، وحسن التلطف في طلبهم العلم بسماع سؤالهم، والاعتناء بأمرهم، فهذا هو الذي ينبغي لهم سلوكه. ولكن لما كانت طبائعهم غير زكية، أعرضوا عن ذلك، وطردهم الله بكفرهم وعنادهم، ولهذا قال: ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا﴾ . (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ : (ابْنُ عَبَّاس):

﴿يُحَرِّفُونَ﴾ : يُزِيلُونَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (46)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللهِ - عز وجل - وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ، يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِه. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس) قال: يعني: يحرفون حدود الله في التوراة. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن (الحسن) في قوله: (واسمع غير مسمع)، قال: كما تقول اسمع غير مسموع منك. (3)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

* * *

وانظر: تفسير سورة - (البقرة) - الآية (104). - كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)}.

* * *

قوله تعالى: (ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم)

قال: الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): (وانظرنا)، قال: أفهمنا بين لنا. (4)

* * *

[٤٧] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى، آمنوا بما أنزلنا على محمد - صلى الله عليه وسلم، الذي جاء مصدقًا لما معكم من التوراة والإنجيل، من قبل أن نمحو ما في الوجوه من الحواس، ونجعلها ناحية أدبارهم، أو نطردهم من رحمة الله كما طردنا منها أصحاب السبت الذين اعتدوا بالصيد فيه بعد نهيهم عنه، فمسخهم الله قردة، وكان أمره تعالى وقدره واقعًا لا محالة. (5)

* * *

يَعْنِي:- يا أهل الكتاب، صدِّقوا واعملوا بما نزَّلنا من القرآن، مصدقًا لما معكم من الكتب من قبل أن نأخذكم بسوء صنيعكم، فنمحو الوجوه ونحولها قِبَلَ الظهور، أو نلعن هؤلاء المفسدين بمسخهم قردة وخنازير، كما لعنَّا

---

(1) انظر: صحيح الإمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (46). برقم (ج 9/ ص 160).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (46).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (46).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (46).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

اليهود من أصحاب السبت، الذين نُهوا عن الصيد فيه فلم ينتهوا، فغضب الله عليهم، وطردهم من رحمته، وكان أمر الله نافذًا في كل حال.(1)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين أوتوا الكتاب الذى أنزله الله آمنوا بما أنزلنا من القرآن على محمد - ﷺ -مصدقاً لما معكم من قبل أن ننزل بكم عقاباً تنمحى به معالم وجوهكم فتصير كأقفيتها. لا أنف فيها ولا عين ولا حاجب، أو نطردكم من رحمتنا كما طردنا الذين خالفوا أمرنا بفعل ما نهوا عنه من الصيد يوم السبت. وكان قضاء الله نافذاً لا مرد له.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أُوتُوا الْكِتَابَ} ... اليهود والنصارى، والمراد بهم هنا اليهود لا غير.

{بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً} ... القرآن.

{نَطْمِسَ وُجُوهاً} ... نذهب آثارها بطمس الأعين وإذهاب أحداقها. (أي: نمحو تخطيط صورها).

{نَطْمِسَ} ... نَمْحُوَ. {فَنَرُدَّهَا} ... نُحَوِّلَهَا.

{فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} ... نجعل الوجه قفا، والقفا وجها. (أي: فنجعلها على هيئة أدبارها، وهي الأقفاء مطموسة مثلها).

يَعْنِي:- الطمس، هنا بمعنى القلب والتغيير. والوجوه: رؤوسهم، أي من قبل أن نغير الحال ونكتب عليهم الصغار حيث كانوا أولا.

{أَوْ نَلْعَنَهُمْ} ... أي: الوجوه، إن أريد الوجهاء، أو أصحاب الوجوه.

وقد يكون الضمير راجعا إلى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ على طريقة الالتفات.

ويكون المعنى: أن نجزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت. أو نطردهم من رحمتنا كما طردنا الذين خالفوا نهينا عن الصيد يوم السبت.

{كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ} ... لَعَنُهُمْ: جَعْلُهُمْ قِرَدَةً خِزْيًا لهم وعذابًا مُهِينًا.

(أي: لعنهم: مسخهم قردة خزياً لهم وعذاباً مهيناً).

{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً} ... أمر الله: مأموره كائن لا محالة لأنه تعالى لا يعجزه شيء.

(أي: نافذا لا مرد له).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (ابن إسحاق) - عن (ابن عباس): **قال:** كلم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - رؤساء من أحبار اليهود: عبد الله بن صوريا، وكعب بن أسد فقال لهم: يامعشر اليهود، اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق!. **فقالوا:** مانعرف ذلك يا محمد! وجحدوا ما عرفوا، وأصروا على الكفر، فأنزل الله فيهم (يا أيها الذين أوتوا الكتاب

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (86/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (117/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ءامنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) . (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قوله : (أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) فنردها عن الصراط، عن الحق (فنردها على أدبارها) ، قال: الضلالة. (2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {نَطْمِسَ وُجُوهًا} : نُسَوِّيَهَا حَتَّى تَعُودَ كَأَقْفَائِهِمْ، طَمَسَ الكِتَابَ: مَحَاهُ. (3)

* * *

قوله تعالى: (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت)

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- لم يبين هنا صفة لعنه لأصحاب السبت، ولكنه بين في غير هذا الموضع أن لعنه لهم هو مسخهم قردة ومن مسخه الله قردا غضبا عليه فهو ملعون بلا شك، وذلك قوله تعالى: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين)

وقوله: (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) والاستدلال على مغايرة اللعن للمسخ بعطفه عليه في قوله: (قل أؤنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) لا يفيد أكثر من مغايرته للمسخ في تلك الآية. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) إلى قوله (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أي: نحولهم قردة. (5)

* * *

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47)}. يَقُولُ تَعَالَى -آمِرًا أَهْلَ الْكِتَابِ بِالْإِيمَانِ بِمَا نَزَّلَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مِنَ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي فِيهِ تَصْدِيقُ الْأَخْبَارِ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْبِشَارَاتِ، وَمُتَهَدِّدًا لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا، بِقَوْلِهِ: {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} قَالَ: (بَعْضُهُمْ): مَعْنَاهُ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا. طَمْسُهَا هُوَ رَدُّهَا إِلَى الْأَدْبَارِ، وَجَعْلُ أَبْصَارِهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَلَا يَبْقَى

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (47).

(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (61/2)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)، في سورة (النساء) الآية (47).

(3) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَاري) في تفسير سورة (النساء) الآية (47). برقم (ج 6/ ص 45).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (47).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (47).

لَهَا سَمْعٌ وَلاَ بَصَرٌ وَلاَ أَثَرٌ، وَنَرُدُّهَا مَعَ ذَلِكَ إِلَى نَاحِيَةِ الْأَدْبَارِ.

قَالَ: (الْعَوْفِيُّ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا} وَطَمْسُهَا أَنْ تَعْمَى {فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} يَقُولُ: نَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ مِنْ قِبَلِ أَقْفِيَتِهِمْ، فَيَمْشُونَ الْقَهْقَرَى، وَنَجْعَلُ لِأَحَدِهِمْ عَيْنَيْنِ مِنْ قَفَاهُ.

وَكَذَا قَالَ: (قَتَادَةُ)، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ. وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ، وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لَهُمْ فِي صَرْفِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَرَدِّهِمْ إِلَى الْبَاطِلِ وَرُجُوعِهِمْ عَنِ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ إِلَى سُبُلِ الضَّلَالَةِ يُهْرَعُونَ وَيَمْشُونَ الْقَهْقَرَى عَلَى أَدْبَارِهِمْ،

وَهَذَا كَمَا قَالَ: بَعْضُهُمْ فِي قَوْلِهِ: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} {يس 8، 9} إِنَّ هَذَا مَثَلُ سُوءٍ ضَرَبَهُ اللَّهُ لَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ وَمَنْعِهِمْ عَنِ الْهُدَى.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا} يقول: عن صراط الحق، فنردها على أدبارهم، أَيْ: فِي الضَّلَالَةِ.

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): وَرُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنِ) نَحْوُ هَذَا.

قَالَ: (السُّدِّيُّ): {فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} فَنَمْنَعَهَا عَنِ الْحَقِّ، قَالَ: نُرْجِعُهَا كُفَّارًا وَنَرُدُّهُمْ قِرَدَةً.

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ): نَرُدُّهُمْ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ.

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ كَعْبَ الْأَحْبَارِ أَسْلَمَ حِينَ سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: تَذَاكَرْنَا عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ إِسْلَامَ كَعْبٍ، فَقَالَ: أَسْلَمَ كَعْبٌ زَمَانَ عُمَرَ، أَقْبَلَ وَهُوَ يُرِيدُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَمَرَّ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَقَالَ: يَا كَعْبُ، أَسْلِمْ، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَقْرَؤُونَ فِي كِتَابِكُمْ {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} وَأَنَا قَدْ حَمَلْتُ التَّوْرَاةَ. قَالَ: فَتَرَكَهُ عُمَرُ. ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى حِمْصَ، فَسَمِعَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهَا حَزِينًا، وَهُوَ يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} الْآيَةَ. قَالَ كَعْبٌ: يَا رَبُّ آمَنْتُ، يَا رَبُّ، أَسْلَمْتُ، مَخَافَةَ أَنْ تُصِيبَهُ هَذِهِ الْآيَةُ، ثُمَّ رَجَعَ فَأَتَى أَهْلَهُ فِي الْيَمَنِ، ثُمَّ جَاءَ بِهِمْ مُسْلِمِينَ (1).

وَقَدْ رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) مِنْ وَجْهٍ آخَرَ بِلَفْظٍ آخَرَ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ نُفَيْلٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ وَاقِدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ حَلْبَسٍ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ عَائِذِ اللَّهِ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الْجَلِيلِيُّ مُعَلِّمَ كَعْبٍ، وَكَانَ يَلُومُهُ فِي إِبْطَائِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: فَبَعَثَهُ إِلَيْهِ يَنْظُرُ أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ كَعْبٌ: فَرَكِبْتُ حَتَّى أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا تَالٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى

(1) انظر: تفسير الطبري (8/ 446).

أَدْبَارِهَا} فَبَادَرْتُ الْمَاءَ فَاغْتَسَلْتُ وَإِنِّي لَأَمْسَحُ وَجْهِي مَخَافَةَ أَنْ أُطْمَس، ثُمَّ أَسْلَمْتُ (1).

وَقَوْلُهُ: {أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ} يَعْنِي: الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي سَبْتِهِمْ بِالْحِيلَةِ عَلَى الاصْطِيَاد، وَقَدْ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِير، وَسَيَأْتِي بَسْطُ قِصَّتِهِمْ فِي سُورَة (الْأَعْرَاف).

وَقَوْلُهُ: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا} أَيْ: إِذَا أَمَرَ بِأَمْرٍ، فَإِنَّهُ لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ (2).

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {47}، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} يُخَاطِبُ الْيَهُودَ، {آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا} يَعْنِي: الْقُرْآنَ، {مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ} يَعْنِي: التَّوْرَاةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَلَّمَ أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ صُورِيَا وَكَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ، فَقَالَ: ((يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ لَحَقٌّ))، قَالُوا: مَا نَعْرِفُ ذَلِكَ، وَأَصَرُّوا عَلَى الكفر، وأنزلت هَذِهِ الْآيَةُ، {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): نَجْعَلُهَا كَخُفِّ الْبَعِيرِ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ)، وَ(الضَّحَّاكُ): نُعْمِيهَا، وَالْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الْعَيْنُ، {فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} أي: نطمس الوجوه فنردها عَلَى الْقَفَا،

يَعْنِي:- نَجْعَلُ الْوُجُوهَ مَنَابِتَ الشَّعْرِ كَوُجُوهِ الْقِرَدَةِ، لِأَنَّ مَنَابِتَ شُعُورِ الْآدَمِيِّينَ فِي أَدْبَارِهِمْ دُونَ وُجُوهِهِمْ،

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ نَمْحُو آثَارَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ أَنْفٍ وعين وفم وحاجب و نجعلها كَالْأَقْفَاءِ.

يَعْنِي:- نَجْعَلُ عَيْنَيْهِ عَلَى القفاء فيمشي قهقرى، فَإِنْ قِيلَ: قد أوعدهم الله بِالطَّمْسِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا وَلَمْ يَفْعَلْ بِهِمْ ذَلِكَ؟ قِيلَ: هَذَا الْوَعِيدُ بَاقٍ، ويكون طمس ومسخ في اليهودية قبل قيام الساعة،

يَعْنِي:- هذا كان وعيد بِشَرْطٍ فَلَمَّا أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ دفع ذلك عَنِ الْبَاقِينَ،

يَعْنِي:- أَرَادَ بِهِ فِي الْقِيَامَةِ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ) أَرَادَ بِقَوْلِهِ: (نَطْمِسَ وُجُوهًا) أَيْ: نَتْرُكُهُمْ فِي الضَّلَالَةِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ طَمْسَ وَجْهِ الْقَلْبِ، وَالرَّدَّ عَنْ بَصَائِرِ الْهُدَى عَلَى أَدْبَارِهَا فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، وَأَصْلُ الطَّمْسِ: الْمَحْوُ وَالْإِفْسَادُ وَالتَّحْوِيلُ،

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ): نَمْحُو آثَارَهُمْ من وجوههم ونواصيهم الَّتِي هُمْ بِهَا فَنَرُدُّهَا عَلَى أدبارها حتى يعودوا إلى حيث جاؤوا منه وَهُوَ الشَّامُ، وَقَالَ: قَدْ مَضَى ذَلِكَ وَتَأَوَّلَهُ فِي إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى أَذْرُعَاتٍ وَأَرِيحَاءَ مِنَ الشَّامِ {أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ} فَنَجْعَلَهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} {النساء: 47}. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {يَا أَيُّهَا الَّذِين

---

(1) وذكره الإمام (السيوطي) في (الدر المنثور) برقم (2/ 555) وعزاه لـ(ابن أبي حاتم).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية ()، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (47).

أُوتُواْ الْكِتَابَ} أعْطوا علم التَّوْرَاة بِصفة مُحَمَّد ونعته {آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا} يَعْنِي الْقُرآن {مُصَدِّقاً} مُوَافقا {لِّمَا مَعَكُمْ} بِالتَّوْحِيد وَصفَة مُحَمَّد ونعته {مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً} أَن نغير قُلُوبكُمْ {فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} فنردها عَن بصائر الْهدى ويحول وُجُوههم إِلَى الأقفية {أَوْ نَلْعَنَهُمْ} أَو نمسخهم {كَمَا لَعَنَّآ} مسخنا {أَصْحَابَ السبت} قردة {وَكَانَ أَمر الله مَفْعُولا} كَائِنا بأسم بعد نزُول هَذِه الْآيَة (عبد الله ابْن سَلام) وَأَصْحَابه.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {47} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا} . يأمر تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يؤمنوا بالرسول- محمد -صلى الله عليه وسلم - وما أنزل الله عليه من القرآن العظيم، المهيمن على غيره من الكتب السابقة التي قد صدقها، فإنها أخبرت به فلما وقع المخبر به كان تصديقا لذلك الخبر.

وأيضا فإنهم إن لم يؤمنوا بهذا القرآن فإنهم لم يؤمنوا بما في أيديهم من الكتب، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا، ويوافق بعضها بعضًا. فدعوى الإيمان ببعضها دون بعض دعوى باطلة لا يمكن صدقها.

وفي قوله: {آمِنُوا بِمَا نزلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ} حث لهم وأنهم ينبغي أن يكونوا قبل غيرهم مبادرين إليه بسبب ما أنعم الله عليهم به من العلم، والكتاب الذي يوجب أن يكون ما عليهم أعظم من غيرهم، ولهذا توعدهم على عدم الإيمان فقال: {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا} وهذا جزاء من جنس ما عملوا، كما تركوا الحق، وآثروا الباطل وقلبوا الحقائق، فجعلوا الباطل حقا والحق باطلا جوزوا من جنس ذلك بطمس وجوههم كما طمسوا الحق، وردها على أدبارها، بأن تجعل في أقفائهم وهذا أشنع ما يكون {أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ} بأن يطردهم من رحمته، ويعاقبهم بجعلهم قردة، كما فعل بإخوانهم الذين اعتدوا في السبت {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}

{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا} كقوله: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.(2)

* * *

[٤٨] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الله لا يغفر أن يُشرك به شيء من مخلوقاته، ويتجاوز عما دون الشرك والكفر من المعاصي لمن يشاء بفضله، أو يعذب بها من

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (47). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (47)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

شاء منهم بقدر ذنوبهم بعدله، ومن يُشرك مع الله غيره فقد اختلق إثمًا عظيمًا لا يُغفر لمن مات عليه.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن الله تعالى لا يغفر ولا يتجاوز عمَّن أشرك به أحدًا من مخلوقاته، أو كفر بأي نوع من أنواع الكفر الأكبر، ويتجاوز ويعفو عمَّا دون الشرك من الذنوب، لمن يشاء من عباده، ومن يشرك بالله غيره فقد اختلق ذنبًا عظيمًا.(2)

* * *

يَعْنِي:- إن الله لا يغفر الإشراك به، ويعفو عمَّا دون الإشراك من الذنوب لمن يشاء من عباده، ومن يشرك بالله فقد ارتكب - مفترياً على الله - ذنباً كبيراً لا يستحق معه الغفران.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ} ... أَيْ الْإِشْرَاك.

{لا يَغْفِرُ} ... لا يمحو ولا يترك للمؤاخذة.

{أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} ... أي: يعبد معه غيره تأليها له بحبه وتعظمه وتقديم القرابين له، وصرف العبادات له كدعائه والاستعانة به والذبح والنذر له.

{وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} ... أي: ما دون الشرك والكفر من سائر الذنوب والمعاصي التي ليست شركاً ولا كفراً.

{بِهِ وَيَغْفِر مَا دُون} ... سوَى.

{ذَلِكَ} ... مِنْ الذُّنُوب.

{لِمَنْ يَشَاءُ} ... أي: لمن يشاء المغفرة له من سائر المذنبين بغير الشرك والكفر.

{لِمَنْ يَشَاء} ... الْمَغْفِرَة لَهُ بِأَنْ يُدْخِلهُ الْجَنَّة بِلَا عَذَاب وَمَنْ شَاءَ عَذَّبَهُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ بِذُنُوبِهِ ثُمَّ يُدْخِلهُ الْجَنَّة.

{وَمَنْ يُشْرِك بِاَللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إثْمًا} ... ذَنْبًا.

{افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً} ... افترى: اختلق وكذب كباً بنسبته العبادة إلى غير الرب تعالى، والإثم: الذنب العظيم الكبير.

{عَظِيمًا} ... كَبِيرًا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ الْإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {48} ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى: أَنَّهُ {لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} أَيْ: لَا يَغْفِرُ لِعَبْدٍ لَقِيَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} أَيْ: مِنَ الذُّنُوبِ {لِمَنْ يَشَاءُ} أَيْ: مِنْ عِبَادِهِ.(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} إِن مَاتَ عَلَيْهِ {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ} لمن تَابَ {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى} اختلق على الله {إِثْماً} كذبا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (86/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (117/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (48)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

{عَظِيمًا} نزلت في وحشي قاتل حَمْزَة عَم النَّبِي – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {48} {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} . يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته.

فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد.

وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئا، وما لهم يوم القيامة {مِنْ شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} .

ولهذا قال تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} أي: افترى جرما كبيرا وأي ظلم أعظم ممن سوى المخلوق -من تراب الناقص من جميع الوجوه الفقير بذاته من كل وجه الذي لا يملك لنفسه- فضلا عمن عبده -نفعًا ولا ضراً ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا- بالخالق لكل شيء الكامل من جميع الوجوه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟، ولهذا حتم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب وأما التائب فإنه يغفر له الشرك فما دونه كما قال تعالى {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} أي: لمن تاب إليه وأناب.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ذكر في هذه الآية الكريمة أنه تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) وذكر في مواضع أخر أن محل كونه لا يغفر الإشراك به إذا لم يتب المشرك من ذلك فإن تاب غفر له كقوله (إلا من تاب وأمن وعمل عملا صالحاً) الآية فإن الاستثناء راجع، لقوله: (والذين لا يدعون مع الله إلها أخر) وما عطف عليه لأن معنى الكل جمع في قوله (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) الآية وقوله (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وذكر في موضع آخر أن من أشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (48). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (48)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

عن الحق وهو قوله: في هذه السورة الكريمة أيضاً (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) وصرح بأن من أشرك بالله فالجنة عليه حرام ومأواه النار بقوله: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار).

وقوله: (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) .(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن (قتادة) قال: حدثنا (أنس بن مالك) أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ومعاذ رديفه على الرحل- قال: "يامعاذ بن جبل".

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: "يامعاذ" قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً)،.

قال: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار"، قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: "إذا يتّكلوا". وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً.

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله):- حدثنا مسدد قال حدثنا معتمر قال سمعت أبي قال سمعت أنسا قال: ذكر لي أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال (لمعاذ): "من لقي الله لايشرك به شيئاً دخل الجنة" قال: ألا أبشر الناس؟ قال: "لا" إني أخاف أن يتكلوا" (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة.. حدثنا وكيع. حدثنا الأعمش عن المعرور بن سُويد، عن (أبي ذر). قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد. ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب منّي شبرا، تقربتُ منه ذراعاً. ومن تقرب مني ذراعاً، تقربتُ منه باعاً. ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة. ومن لقيني بِقُراب الأرض خطيئة لا يُشْرك بي شيئاً، لقيته. بمثلها مغفرة)).(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، عن الحسين، عن عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر حدثه، أن أبا الأسود الديلى حدثه، أن (أبا ذر) - رضي الله عنه - حدثه قال: أتيت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة".

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (48).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (272/1) و274 ح 128، 129) - ((كتاب: العلم)، / باب: لامن خص بالعلم قوماً دون قوم..).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2068/4، ح 2687) - ((كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، / باب: (فضل الذكر والدعاء، والتقرب إلى الله تعالى).

قلت: وإن زنى وإن سرق؟، قال: "وإن زنى وإن سرق".
قلت: وإن زنى وإن سرق؟، قال: "وإن زنى وإن سرق".
قلت: وإن زنى وإن سرق؟، قال: "وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر". وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر.
قال (أبو عبد الله): هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال: لا إله إلا الله، غفر له. (1)(2)

قال: الإِمَامْ (النسائي) – (رحمه الله) – في (سننه):
أخبرنا محمد بن المثنى قال: حدثنا صفوان بن عيسى، عن ثور، عن أبي عون عن (أبي إدريس) قال: سمعت معاوية يخطب -وكان قليل الحديث عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: سمعته يخطب يقول: سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: لكل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يقتل المؤمن متعمداً، أو الرجل يموت كافراً". (3)

قال: الإِمَامْ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) - (بسنده):- وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب، قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن (جابر) قال: أتى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رجل فقال: يا رسول الله! ما الموجبتان؟ فقال: ((من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار)). (4)

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: (إن الله لايغفر أن يشرك به) فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجاها أهل التوحيد إلى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة. (5)

قال: الإِمَامْ (ابن أبي عاصم) – (رحمه الله) – في (السنة):- , عَنْ (ابْنِ عُمَرَ) – رضي الله عنهما – قَالَ: مَا زِلْنَا نُمْسِكُ عَنِ الاسْتِغْفَارِ لأَهْلِ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (283/10) في (الفتح الباري) برقم (ح 5827) – (كتاب: الباس)، / باب: (الثياب البيض).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (95/1)، (ح 154)- (كتاب: الإيمان)، / باب: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ..).

(3) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (81/7) – (تحريم الدم)
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (99/4) عن (صفوان بن عيسى به).
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (351/4)- من طريق- (بكار بن قتية عن صفوان، عن ثور) به.
قال: الإِمَامْ (الحاكم): (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه، ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).
و(صححه) الإِمَامْ (الألبانى) في (صحيح النسائي) برقم (ح 3719).
وللحديث شواهد، منها: عن (أبي الدرداء)،
أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (318/13)، (ح 5980).
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (351/4) وغيرهما - من طرق - عن (عبد الله بن أبي زكريا عن أم الدرداء عن أبي الدرداء)،
وفيه: ((.. إلا من مات مشركاً)).
قال: الإِمَامْ (الحاكم): صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).
وأخرج الإِمَامْ (البزار): حديث (عبادة بن الصامت) نحوه (المسند) برقم (163/7)، (ح 2730).
وقال: الإِمَامْ (الهيثمي): رجاله ثقات (مجمع الزوائد) برقم (296/7).
ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 63)، الطبعة: الأولى،

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (94/1)، (ح93) – (كتاب: الإيمان)، باب: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (48).

الْكَبَائِرِ، حَتَّى سَمِعْنَا مِنْ فِي نَبِيِّنَا - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: (({إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} قَالَ: فَإِنِّي أَخَّرْتُ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، قَالَ: فَأَمْسَكْنَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ فِي أَنْفُسِنَا. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن أبي عاصم) - (رحمه الله) - في (السنة):-، وَعَنْ (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - قَالَ: كُنَّا نُوجِبُ لأَهْلِ الْكَبَائِرِ النَّارَ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}، ((فَنَهَانَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ نُوجِبَ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ النَّارَ)). (2)

* * *

[٤٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ألم تعلم أيها الرسول- ﷺ - أمر أولئك الذين يثنون ثناء تزكية على أنفسهم وأعمالهم؟ بل الله وحده هو الذي يثني على من شاء من عباده ويزكيهم" لأنه عالم بخفايا القلوب، ولن ينقصوا شيئًا من ثواب أعمالهم ولو كان قدر الخيط الذي في نواة التمر. (3)

* * *

يَعْنِي:- ألم تعلم أيها الرسول- ﷺ - أمر أولئك الذين يثنون على أنفسهم وأعمالهم، ويصفونها بالطهر والبعد عن السوء؟ بل الله تعالى وحده هو الذي يثني على مَن يشاء من عباده، لعلمه بحقيقة أعمالهم، ولا يُنقَصون من أعمالهم شيئًا مقدار الخيط الذي يكون في شق نَواة التمرة. (4)

* * *

يَعْنِي:- لا تعجب من هؤلاء الكافرين الذين يفترون بأعمالهم، فنبين لهم سوء عملهم فيرونه حسناً، ويثنون على أنفسهم مزكين لها، والله - وحده - هو الذى يعلم الخبيث من الطَّيّب، فيزكى من يشاء ولا يظلم أى إنسان مهما كان قدره ضئيلاً. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ} ... وَهُمْ الْيَهُود حَيْثُ قَالُوا نَحْنُ أَبْنَاء اللَّه وَأَحِبَّاؤُهُ أَيْ لَيْسَ الْأَمْر بِتَزْكِيَتِهِمْ أَنْفُسهمْ.

{الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ} ... اليهود والنصارى، قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى.

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (ابن أبي عاصم) في (السنة) برقم (830).
وأخرجه الإِمَامُ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (5942).
وأخرجه الإِمَامُ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (5813).
حسنه الإمام (الألباني) في (ظلال الجنة) برقم (830).
(2) حسنه الإمام (الألباني) في (ظلال الجنة) برقم (973).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (86/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (117/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ} ... يُثْنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ. {بَلْ اللَّه يُزَكِّي} ... يُطَهِّر. {مَنْ يَشَاء} ... بِالْإِيمَانِ.

{بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} ...أي: إن تزكية الله هى التي يعتد بها لا تزكية غيره، لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية.

ومعنى: {يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} أي: يزكى المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به.

تزكية النفس: تبرئتها من الذنوب والآثام.

{يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} ... يطهر من الذنوب من يشاء من عباده بتوفيقه للعمل بما يزكي النفس، وإعانته عليه.

{وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} ... أي: ولا يظلم إنسان قدره مهما كان ضئيلا.

{وَلَا يُظْلَمُونَ} ... يُنْقَصُونَ مِنْ أَعْمَالهمْ.

{فَتِيلًا} ... قَدْر قِشْرَة النَّوَاة.

{فَتِيلًا} ... خَيطُ النَّوَاةِ الَّذِي يَكُونُ فِي وَسَطِهَا.

الفتيل: الخيط الأبيض يكون في وسط النواة، أو ما يفتله المرء بأصبعيه من الوسخ في كفه أو جسمه وهو أقل الأشياء وأتفهها.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {أَلَمْ تَرَ} ألم تخبر فِي الْكتاب {إِلَى الَّذِينَ} عَن الَّذين {يُزَكُّونَ} يبرئون {أَنْفُسَهُمْ} من الذُّنُوب يَعْنِي الْيَهُود بحير بن عَمْرو ومرحب بن زيد {بل الله يُزَكي} يبرىء من الذُّنُوب {مَن يَشَآءُ} من كَانَ أهل لذَلِك {وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} لَا ينقص من ذنوبهم قدر فتيل وَهُوَ الشَّيْء الَّذِي يكون فِي وسط النواة وَيُقَال هُوَ الْوَسخ الَّذِي تفتل بَين إصبعك. (1)

* * *

قال: الإِمَام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ألم تر، يا محمد بقلبك، الذين يزكون أنفسهم من اليهود فيبرِّئونها من الذنوب ويطهرونها.

* * *

القول في تأويل قوله: {وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا (49)}.

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ولا يظلم الله هؤلاء الذين أخبر عنهم أنهم يزكون أنفسهم ولا غيرهم من خلقه، فيبخسهم في تركه تزكيتهم، وتزكية من ترك تزكيته، وفي تزكية من زكى من خلقه = شيئًا من حقوقهم، ولا يضع شيئًا في غير موضعه، ولكنه يزكي من يشاء من خلقه، فيوفّقه، ويخذل من يشاء من أهل معاصيه. كل ذلك إليه وبيده، وهو في كل ذلك غير ظالم أحدًا = ممن زكاه أو لم يزكه = فتيلا. (2)

* * *

قال: الإِمَام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله:

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (49). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (49)، للإِمَام (الطبري)،

(ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا) وهم أعداء الله اليهود، زكوا أنفسهم بأمر لم يبلغوه، فقالوا: (نحن أبناء الله وأحباؤه). وقالوا: لا ذنوب لنا. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما) – (الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: (فتيلا) الذي في الشق: الذي في بطن النواة. (2)(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ} الْآيَةَ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ): كَانُوا يُقَدِّمُونَ أَطْفَالَهُمْ فِي الصَّلَاةِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لَا ذُنُوبَ لَهُمْ فَتِلْكَ التَّزْكِيَةُ،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(قَتَادَةُ): نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حِينَ قَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} {الْبَقَرَة: 111}.

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ تزكية بعضهم لبعض،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي} أَيْ: يُطَهِّرُ وَيُبَرِّئُ مِنَ الذُّنُوبِ وَيُصْلِحُ، {مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} {النساء: 49} وَهُوَ اسْمٌ لِمَا فِي شَقِّ النَّوَاةِ، وَالْقِطْمِيرُ اسْمٌ لِلْقِشْرَةِ الَّتِي على النواة، والنقير اسم للنقرة الَّتِي عَلَى ظَهْرِ النَّوَاةِ،

يَعْنِي:- الْفَتِيلُ مِنَ الْفَتْلِ وَهُوَ مَا يُجْعَلُ بَيْنَ الْأُصْبُعَيْنِ مِنَ الْوَسَخِ عند الفتل. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – في (تفسيره) – (بسنده):- مَعْمَرٌ، عَنِ (الْحَسَنِ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ} {النساء: 49} قَالَ: هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالُوا: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} {المائدة: 18}،

وَقَالُوا: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} {البقرة: 111}.

* * *

قال: الإمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) – في (تفسيره) – (بسنده):- أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ (قَتَادَةَ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} {النساء: 49} قَالَ: ((الْفَتِيلُ الَّذِي فِي شَقِّ النَّوَاةِ)). (5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ): نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَهِيَ قَوْلُهُ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (49).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (49).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (49).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (49).

(5) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (النساء) – الآية (49)، للإمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

{يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ} فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، حِينَ قَالُوا: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ): نَزَلَتْ فِي قَوْلِهِمْ: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} {الْمَائِدَةِ:18}،

وَفِي قَوْلِهِمْ: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} {الْبَقَرَةِ:111}.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): كَانُوا يُقَدِّمُونَ الصِّبْيَانَ أَمَامَهُمْ فِي الدُّعَاءِ وَالصَّلاةِ يَؤُمُّونَهُمْ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لا ذَنْبَ لَهُمْ.

وَكَذَا قَالَ: (عِكْرِمَةُ)، وَ(أَبُو مَالِكٍ). رَوَى ذَلِكَ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ).

وَقَالَ: (الْعَوْفِيُّ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ} وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: إِنَّ أَبْنَاءَنَا تُوُفُّوا وَهُمْ لَنَا قُرْبَةٌ، وَسَيَشْفَعُونَ لَنَا وَيُزَكُّونَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا} [(1)] رَوَاهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ).

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصَفَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ بِشْرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: كَانَتِ الْيَهُودُ يُقَدِّمُونَ صِبْيَانَهُمْ يُصَلُّونَ بِهِمْ، وَيُقَرِّبُونَ قُرْبَانَهُمْ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ لا خَطَايَا لَهُمْ وَلاَ ذُنُوبَ. وَكَذَبُوا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنِّي لا أُطَهِّرُ ذَا ذَنْبٍ بِآخَرَ لاَ ذَنْبَ لَهُ" وَأَنْزَلَ اللَّهُ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ}

(1) أخرجه الإمَامُ (الطبري) في (تفسيره) برقم (454/8).

ثُمَّ قَالَ: وَرُوِيَ عَنْ (مُجَاهِدٍ)، وَ(أَبِي مَالِكٍ)، وَ(السُّدِّيِّ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(الضَّحَّاكِ) - نَحْوُ ذَلِكَ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): قَالُوا: لَيْسَ لَنَا ذُنُوبٌ، كَمَا لَيْسَ لِأَبْنَائِنَا ذُنُوبٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِيهِمْ.

يَعْنِي:- نَزَلَتْ فِي ذَمِّ التَّمَادُحِ وَالتَّزْكِيَةِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عِنْدَ الإمام (مُسْلِمٍ)، عَنِ (الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ) قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ نَحْثُوَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ [(2)].

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الْمُخَرَّجِ فِي (الصَّحِيحَيْنِ) - مِنْ طَرِيقِ - (خَالِدٍ الْحَذَّاءِ)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- سَمِعَ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: ((وَيْحَكَ. قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ)).

ثُمَّ قَالَ: ((إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لاَ مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُهُ كَذَا وَلاَ يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا)) [(3)].

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حدثنا شعبة وَحَجَّاجٌ، أَنْبَأَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: كَانَ مُعَاوِيَةُ قَلَّمَا يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: وَكَانَ قَلَّمَا يَكَادُ أَنْ يَدَعَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ أَنْ يُحَدِّثَ بِهِنَّ عَنِ

(2) (صَحِيحٌ) :أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (3002)،- ((كتاب : الزهد والرقائق).

(3) (متفقٌ عليه) : أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2662)، - ((كتاب : الشهادات).

و أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (3000)، - ((كتاب : الزهد والرقائق).

النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوٌ خَضِرٌ، فَمَنْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ)) [1].

وروى الإمام (ابْنُ مَاجَه) منه: "إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ" عَنْ (أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ)، عَنْ (غُنْدَرٍ)، عَنْ (شُعْبَةَ) به [2].

ومَعْبَدٌ هَذَا هُوَ (ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُوَيْمٍ الْبَصْرِيُّ الْقَدَرِيُّ).

وقَالَ: الإمام (ابْنُ جرير): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَسْعُودِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: قَالَ:(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ): إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْدُو بِدِينِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ وَمَا مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ، يَلْقَى الرَّجُلَ لَيْسَ يَمْلِكُ لَهُ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا فَيَقُولُ لَهُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ كَيْتَ وَكَيْتَ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَرْجِعَ وَلَمْ يَحِلَّ مِنْ حَاجَتِهِ بِشَيْءٍ وَقَدْ أَسْخَطَ اللَّهَ. ثُمَّ قَرَأَ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ} الْآيَةَ.

وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ مُطَوَّلًا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} {النَّجْم:32}.

ولهذا قال تعالى: {بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} أَيْ: الْمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَغَوَامِضِهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا} أَيْ: وَلاَ يُتْرَكُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَجْرِ مَا يُوَازِنُ مِقْدَارَ الْفَتِيلِ.

قَالَ:(ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(عَطَاءٌ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: هُوَ مَا يَكُونُ فِي شِقِّ النَّوَاةِ.

وَعَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَيْضًا: هُوَ مَا فَتَلْتَ بَيْنَ أصابعك. وكلا القولين متقارب [3].

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تقسيره):- {49} {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا} . هذا تعجيب من الله لعباده، وتوبيخ للذين يزكون أنفسهم من اليهود والنصارى، ومن نحا نحوهم من كل من زكى نفسه بأمر ليس فيه. وذلك أن اليهود والنصارى يقولون: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}،

ويقولون: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} وهذا مجرد دعوى لا برهان عليها،

وإنما البرهان ما أخبر به في القرآن في قوله: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} فهؤلاء هم الذين زكاهم الله ولهذا قال هنا: {بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} أي:

---

(1) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (93/4) .

(2) (حسن) : أخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3743)، - ((كتاب : الأدب)).

وقال: الإمام (البوصيري) في (الزوائد) برقم (181/3) : " هذا إسناد حسن، معبد مختلف فيه، وباقي رجال الإسناد ثقات ".

و(حسنه) الإمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصَّحيحة) رقم (1196).

وقال: الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (تحقيقه لتفسير - ابن كثير): برقم (399/2)

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (49)، للإمَامْ (ابن كثير).

بالإيمان والعمل الصالح بالتخلي عن الأخلاق الرذيلة، والتحلي بالصفات الجميلة.

وأما هؤلاء فهم -وإن زكوا أنفسهم بزعمهم أنهم على شيء، وأن الثواب لهم وحدهم- فإنهم كذبة في ذلك، ليس لهم من خصال الزاكين نصيب، بسبب ظلمهم وكفرهم لا بظلم من الله لهم،

ولهذا قال: {وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا} وهذا لتحقيق العموم أي: لا يظلمون شيئا ولا مقدار الفتيل الذي في شق النواة أو الذي يفتل من وسخ اليد وغيرها.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى:

{49} {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} الآية، أنكر تعالى عليهم في هذه الآية تزكيتهم أنفسهم بقوله:

{ألم تر إلى الذين} {النساء: 49}،

وبقوله: {انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا} {النساء: 50}،

وصرح بالنهي العام عن تزكية النفس وأحرى نفس الكافر التي هي أخس شيء وأنجسه بقوله: {هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى} (53)،

ولم يبين هنا كيفية تزكيتهم أنفسهم.

ولكنه بين ذلك في مواضع أخر، كقوله عنهم:

{ نحن أبناء الله وأحباؤه} {5/ 18}،

وقوله: {وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى} {البقرة: 111}، إلى غير ذلك من الآيات.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا غندر، عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن معبد الجهني، عن (معاوية) قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((إياكم والتمادح، فإنه الذبح)).(3)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا)

الضَّمِيرُ فِي (يُظْلَمُونَ) عَائِدٌ عَلَى الْمَذْكُورِينَ مِمَّنْ زَكَّى نَفْسَهُ وَمِمَّنْ يُزَكِّيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَغَيْرُ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ عُلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَظْلِمُهُ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْآيَةِ. وَالْفَتِيلُ الْخَيْطُ الَّذِي فِي شِقِّ نَوَاةِ التَّمْرَةِ، قَالَهُ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(عَطَاءٌ)، وَ(مُجَاهِدٌ).

يَعْنِي:- الْقِشْرَةُ الَّتِي حَوْلَ النَّوَاةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبُسْرَةِ.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (49)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (49).

(3) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1232/2)، (ح 3743) – (كتاب: الأدب)، / باب: (المدح)،

و أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (93/4) عن (محمد ابن جعفر عن شعبة وحجاج عن سعد) به، وفيه زيادة وهي قوله: ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإن هذا المال حلو خضر".

قال: الإِمَامْ (البوصيري): (هذا إسناد حسن)، لأن معبداً مختلف فيه، وباقى رجال الإسناد ثقات (مصباح الزجاجة) برقم (181/3).

و(حسنه) الإِمَامْ (الألباني) كذلك (صحيح سنن ابن ماجة)، (ح 3017).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 64)، الطبعة: الأولى،

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاس) أَيْضًا وَ(أَبُو مَالِك)، وَ(السُّدِّيُّ): هُوَ مَا يَخْرُجُ بَيْنَ أُصْبُعَيْكَ أَوْ كَفَّيْكَ مِنَ الْوَسَخِ إِذَا فَتَلْتَهُمَا، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُول. وَهَذَا كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى كِنَايَةٍ عَنْ تَحْقِيرِ الشَّيْءِ وَتَصْغِيرِه، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُهُ شَيْئًا.

وَمِثْلُ هَذَا فِي التَّحْقِيرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) وَهُوَ النُّكْتَةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ النَّوَاة، وَمِنْهُ تَنْبُتُ النَّخْلَةُ، وَسَيَأْتِي.

قَالَ: (الشَّاعِر) يَذُمُّ بَعْضَ الْمُلُوك:

تَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأُلُوفِ وَتَغْزُو ... ثُمَّ لَا تَرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتِيلا. (1)

* * *

[٥٠] ﴿ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمُنتخب لهذه الآية:

انظر أيها الرسول -ﷺ- كيف يختلقون على الله الكذب بثنائهم على أنفسهم! وكفى بذلك ذنبًا مبينًا عن ضلالهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- انظر إليهم أيها الرسول -ﷺ- متعجبًا من أمرهم، كيف يختلقون على الله الكذب، وهو المنزَّه عن كل ما لا يليق به؟ وكفى بهذا الاختلاق ذنبًا كبيرًا كاشفًا عن فساد معتقدهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- كيف يختلقون على الله الكذب بهذا ومثاله، وكفى بالكذب على الله ذنباً واضحاً يكشف عن خبيث طويتهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{انْظُرْ} ... مُتَعَجِّبًا

{كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِب} ... بِذَلِكَ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فِي زعمهم أنهم عند الله أزكياء.

{يَفْتَرُونَ} ... يَخْتَلِقُونَ ويكْذِبُونَ.

{الْكَذِب} ... عدم مطابقة الخير للواقع.

{وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا} ... بَيِّنًا

{وَكَفَى بِهِ} ... أي: بزعمهم هذا.

{إِثْماً مُبِيناً} ... من بين سائر آثامهم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قَالَ: الإِمَامُ (الطَبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (50)}

قَالَ: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: انظر، يا محمد، كيف يفتري هؤلاء الذين يزكون أنفسهم من أهل الكتاب = القائلون: {نحن أبناء الله وأحباؤه}، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، الزاعمون أنه لا ذنوب لهم = الكذبَ والزور من القول، فيختلقونه على الله، {وكفى به}، يقول: وحسبهم بقيلهم ذلك الكذبَ والزورَ على الله، {إثمًا مبينًا}، يعني أنه

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (49)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (86/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (117/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يبين كذبهم لسامعيه، ويوضح لهم أنهم أفكة فجرة، (1)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وقَوْلُهُ: {انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} أَيْ: فِي تَزْكِيَتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَدَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وَقَوْلِهِمْ: {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} {الْبَقَرَة:111}.

وَقَوْلِهِمْ: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} {الْبَقَرَة:80} وَاتِّكَالِهِمْ عَلَى أَعْمَالِ آبَائِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَقَدْ حَكَمَ اللهُ أن أعمال الْآبَاءِ لَا تُجْزِي عَنِ الْأَبْنَاءِ شَيْئًا، فِي قَوْلِهِ: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {الْبَقَرَة:141}.

ثُمَّ قَالَ: {وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا} أَيْ: وَكَفَى بِصُنْعِهِمْ هَذَا كَذِبًا وَافْتِرَاءً ظَاهِرًا. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {50} قوله تعالى: {انْظُرْ} يَا مُحَمَّدُ، {كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ} يختلفون على الله، {الْكَذِبَ} فِي تَغْيِيرِهِمْ كِتَابَهُ، {وَكَفَى بِهِ} بالكذب {إِثْمًا مُبِينًا} {النساء: 50}. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {انظُرْ} يَا مُحَمَّد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – {كَيفَ يَفْتَرُونَ} يختلقون {عَلَى اللَّه الْكَذِب} لقَولهم مَا نعمل بِالنَّهَارِ من الذُّنُوب يغفره الله لنا بِاللَّيْلِ وَمَا نعمل بِاللَّيْلِ يغفره بِالنَّهَارِ {وَكفى بِهِ} بزعمهم هَذَا بِاللَّه بِمَا قَالُوا {إِثماً مُبِيناً} كذبا بَينا. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قال تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} أي: بتزكيتهم أنفسهم، لأن هذا من أعظم الافتراء على الله. لأن مضمون تزكيتهم لأنفسهم الإخبار بأن الله جعل ما هم عليه حقا وما عليه المؤمنون المسلمون باطلا. وهذا أعظم الكذب وقلب الحقائق بجعل الحق باطلا والباطل حقًّا. ولهذا قال: {وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا} أي: ظاهرا بينا موجبا للعقوبة البليغة والعذاب الأليم. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مبينا}.

الوجه الأول:

5437 – حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ، أَنْبَأَ بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (50)، للإمَامُ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (50)، للإمَامُ (ابن كثير).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (50).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (50). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (50)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

عَـنِ (الضَّحَّاك)، عَـنِ (ابْـنِ عَبَّاسٍ) قَوْلَـهُ: يفْتَرُونَ قَالَ: يَكْذِبُونَ.

* * *

وَالْوَجْهُ الثَّانِي:

5438 - حَـدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْـنُ يَحْيَـى، أَنْبَـأَ الْعَبَّـاسُ بْـنُ الْوَلِيـدِ النَّرْسِـيُّ، ثنـا يَزِيـدُ بْـنُ زُرَيْـعٍ، ثنـا سَـعِيدٌ، عَـنْ (قَتَـادَةَ) قَوْلَـهُ: يفْتَرُونَ أَيْ: يُشْرِكُونَ.

* * *

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ:

5439 - حَـدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْـنُ حَمَّادٍ الطِّهْرَانِـيُّ أَبُـو عَبْـدِ اللَّـهِ، ثنـا حَفْـصُ بْـنُ عُمَـرَ الْعَـدَنِيُّ، ثنـا الْحَكَـمُ بْـنُ أَبَـانَ، عَـنْ (عِكْرِمَـةَ): قَـالَ النَّضْـرُ وَهُـوَ مِـنْ بَنِـي عَبْـدِ الـدَّارِ: إِذَا كَـانَ يَـوْمُ الْقِيَامَـةِ شَـفَعَتْ لِـي الـلَّاتُ وَالْعُـزَّى فَـأَنْزَلَ اللَّـهُ تَعَالَى: افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا.(1)

* * *

قَـال: الإمـام (القُـرطبي) - (رحمـه الله) - في (تفسيره):- ثُـمَّ عجِـبَ النَّبِـيُّ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - مِـنْ ذَلِـكَ فَقَـالَ: (انْظُـرْ كَيْـفَ يَفْتَـرُونَ عَلَـى اللَّـهِ الْكَـذِبَ) فِـي قَـوْلِهِمْ: نَحْـنُ أَبْنَـاءُ اللَّـهِ وَأَحِبَّـاؤُهُ. يَعْنِـي:- تَـزْكِيَتَهُمْ لِأَنْفُسِـهِمْ. عَـنِ ابْـنِ جُـرَيْجٍ. وَرُوِيَ أَنَّهُـمْ قَـالُوا: لَـيْسَ لَنَـا ذُنُـوبٌ إِلَّا كَـذُنُوبِ أَبْنَائِنَـا يَـوْمَ تُولَـدُ. وَالِـافْتِرَاءُ الِـاخْتِلَاقُ، وَمِنْـهُ افْتَـرَى فُـلَانٌ عَلَـى فُـلَانٍ أَيْ رَمَاهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ. وَفَرَيْتُ الشَّيْءَ قَطَعْتُهُ.

{وَكَفَـى بِـهِ إِثْمًـا مُبِينًـا} نُصِـبَ عَلَـى الْبَيَـانِ. وَالْمَعْنَـى تَعْظِـيمُ الـذَّنْبِ وَذَمُّـهُ. الْعَـرَبُ تَسْـتَعْمِلُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ.(2)

* * *

قـال: الإمـام (ابـن أبـي زَمَـنِين المـالكي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {انْظُـرْ كَيْـفَ يَفْتَـرُونَ عَلَـى اللَّـهِ الْكَـذِبَ} أي: يختلقونـه {وَكَفَـى بِـهِ إِثْمًـا مُبِينًا} {بَينا}(3)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (أبـو الطيـب محمـد صـديق خـان البخـاري القِنَّـوجي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

{50} قولـه تعـالى: {انْظُـرْ كَيْـفَ يَفْتَـرُونَ عَلَـى اللَّـهِ الْكَـذِبَ} في قـولهم ذلـك، والافـتراء الاخـتلاق ومنـه افـترى فـلان علـى فـلان أي: رمـاه بمـا لـيس فيـه، وفريـت الشـيء قطعتـه، والافـتراء والكـذب متقاربـان معنـى أو معناهمـا واحد.

وفي قولـه: {وَكَفَـى بِـهِ إِثْمًـا مُبِينًـا} مـن تعظـيم الـذنب وتهويلـه مـا لا يخفـى أي كفـى بـالافتراء وحـده وبـالأولى إذا انضـم إلى التزكيـة، والتنكير في إثماً للتشديد.(4)

* * *

[٥١] ﴿ أَلَـمْ تَـرَ إِلَـى الَّـذِينَ أُوتُـوا نَصِـيبًا مِـنَ الْكِتَـابِ يُؤْمِنُـونَ بِالْجِبْـتِ

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمـام (ابـن أبـي حـاتم) في سـورة (النساء) الآية (50).

(2) انظـر: تفسـير (القـرطبي) = (الجـامع لأحكـام القـرآن) في سـورة (النسـاء) الآية (50)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظـر: (تفسـير القـرآن العزيـز) في سـورة (النسـاء) الآيـة (50) للإمـام (ابن أبي زمنين المالكي).

(4) انظـر: (فـتحُ البيـان في مقاصـد القـرآن) سـورة (النسـاء) الآيـة (50). للشـيخ (أبـو الطيـب محمـد صـديق خـان بـن حسـن بـن علـي ابـن لطـف الله الحسـيني البخاري القِنَّوجي).

وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ألم تعلم أيها الرسول - ﷺ - وتتعجب من حال اليهود الذين آتاهم الله حظًا من العلم، يؤمنون بما اتخذوه من معبودات من دون الله، ويقولون -مصانعةً للمشركين-: إنهم أهدى طريقًا من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -؟!. (1)

* * *

يَعْنِي:- ألم تعلم أيها الرسول- ﷺ - أمر أولئك اليهود الذين أُعطوا حظًّا من العلم يصدقون بكل ما يُعبد من دون الله من الأصنام وشياطين الإنس والجن تصديقا يحملهم على التحاكم إلى غير شرع الله، ويقولون للذين كفروا بالله تعالى وبرسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-: هؤلاء الكافرون أقومُ، وأعدلُ طريقًا من أولئك الذين آمنوا؟. (2)

* * *

يَعْنِي:- ألا تعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظاً من علم الكتاب يُرْضُون عبدة الأصنام والشيطان ويقولون عن الذين عبدوا الأوثان: إنهم أهدى من أهل الإيمان طريقاً. (3)

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (86/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (117/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} ... الجبت: اسم لكل ما عبد من دون الله وكذا الطاغون سواء كانا صنمين أو رجلين.

{بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} ... كُلّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله مِنَ الأَصْنَامِ، وَشَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ.

{أي:اسمٌ لكُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ سواء كَانَا صَنَمَيْنِ أو رَجُلَيْنِ} .

{بِالْجِبْتِ} ... بالأصنام وكل ما عبد من دون الله.

{وَالطَّاغُوتِ} ... والشيطان

{هَؤُلَاءِ} ... أَيْ: أَنْتُم.

{أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} ... أَقْوَم طريقا

{أهدى سبيلا} ... أكثر هداية في حياتهما وسلوكهما.

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• كفاية الله للمؤمنين ونصره لهم تغنيهم عما سواه.

• بيان جرائم اليهود، كتحريفهم كلام الله، وسوء أدبهم مع رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وتحاكمهم إلى غير شرعه سبحانه.

• بيان خطر الشرك والكفر، وأنه لا يُغْفر لصاحبه إذا مات عليه، وأما ما دون ذلك فهو تحت مشيئة الله تعالى. (4)

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {أَلَمْ تَرَ} ألم تخبر يا مُحَمَّد {إِلَى الَّذين} عَن الَّذين {أُوتُواْ} أعْطوا {نَصِيباً مِّنَ الْكتاب} علما بِالتَّوْرَاة بنعتك وصفتك وَآيَة الرَّجْم وَمَا يشبهها مَالك بن الصَّيف وَأَصْحَابه وَكَانُوا سبعين رجلا {يُؤْمِنُونَ بالجبت} حيي بن أخطب {والطاغوت} كَعْب بن الْأَشْرَف {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} كفار مَكَّة {هَؤُلاء} كفار مَكَّة {أهْدى} أصوب {مِنَ الَّذين آمَنُواْ}. بِمُحَمد وَالْقُرْآن وَدينه {سَبِيلاً} أصوب دينا مقدم ومؤخر.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {51} {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} . وهذا من قبائح اليهود وحسدهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله.

فدخل في ذلك السحر والكهانة، وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان، كل هذا من الجبت والطاغوت، وكذلك حَمَلهم الكفر والحسد على أن فضلوا طريقة الكافرين بالله -عبدة الأصنام- على طريق المؤمنين فقال:

{وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} أي: لأجلهم تملقا لهم ومداهنة، وبغضا للإيمان: {هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} أي: طريقا. فما أسمجهم وأشد عنادهم وأقل عقولهم! كيف سلكوا هذا المسلك الوخيم والوادي الذميم؟. هل ظنوا أن هذا يروج على أحد من العقلاء، أو يدخل عقلَ أحد من الجهلاء، فهل يُفَضَّل دين قام على عبادة الأصنام والأوثان، واستقام على تحريم الطيبات، وإباحة الخبائث، وإحلال كثير من المحرمات، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالمخلوقين، والكفر بالله ورسله وكتبه، على دين قام على عبادة الرحمن، والإخلاص لله في السر والإعلان، والكفر بما يعبد من دونه من الأوثان والأنداد والكاذبين، وعلى صلة الأرحام والإحسان إلى جميع الخلق، حتى البهائم، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتحريم كل خبيث وظلم، والصدق في جميع الأقوال والأعمال، فهل هذا إلا من الهذيان، وصاحب هذا القول إما من أجهل الناس وأضعفهم عقلا وإما من أعظمهم عنادا وتمردا ومراغمة للحق، وهذا هو الواقع،(2)

* * *

قال:الإمامُ (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ , عَنْ (قَتَادَةَ), فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} {النساء: 51}

قَالَ: {الْجِبْتُ} : الشَّيْطَانُ ,

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (51). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (51)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَ{الطَّاغُوتُ} : الْكَاهِنُ .(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ألم تر بقلبك، يا محمد- صلى الله عليه وسلم -، إلى الذين أعطوا حظًّا من كتاب الله فعلموه = {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} يعني: يصدِّقون بالجبت والطاغوت، ويكفرون بالله، وهم يعلمون أن الإيمان بهما كفر، والتصديقَ بهما شرك.

* * *

القول في تأويل قوله : {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51)}

قال:(أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ويقولون للذين جحدوا وحدانية الله ورسالة رسوله محمد- صلى الله عليه وسلم - : {هؤلاء} ، يعني بذلك: هؤلاء الذين وصفهم الله بالكفر {أهدى} ، يعني: أقوم وأعدل {من الذين آمنوا} ، يعني: من الذين صدَّقوا الله ورسوله وأقرُّوا بما جاءهم به نبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم = {سبيلا} ، يعني: طريقًا.

* * *

قال: (أبو جعفر): وإنما ذلك مَثَلٌ. ومعنى الكلام: أن الله وصف الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب من اليهود = بتعظيمهم غير الله بالعبادة والإذعان له بالطاعة = في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما، بأنهم قالوا: إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الإيمان به، وأن دين أهل التكذيب لله ولرسوله، أعدل وأصوبُ من دين أهل التصديق لله ولرسوله. وذكر أن ذلك من صفة كعب بن الأشرف، وأنه قائل ذلك.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} أَمَّا "الْجِبْتُ" فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ فَائِدٍ، عَنْ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) أَنَّهُ قَالَ: "الْجِبْتُ": السِّحْرُ، وَ "الطَّاغُوتُ": الشَّيْطَانُ.

* * *

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(أَبِي الْعَالِيَةِ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(عَطَاءٍ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(الشَّعْبِيِّ)، وَ(الْحَسَنِ)، وَ(الضَّحَّاكِ)، وَ(السُّدِّيِّ).

* * *

وَعَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(أَبِي الْعَالِيَةِ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(عَطَاءٍ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(أَبِي مَالِكٍ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(الشَّعْبِيِّ)، وَ(الْحَسَنِ)، وَ(عَطِيَّةَ): "الْجِبْتُ" الشَّيْطَانُ - زَادَ (ابْنُ عَبَّاسٍ): بِالْحَبَشِيَّةِ.

* * *

(1) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (النساء) - الآية (51)، لِلإِمَامِ: (أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (51)، لِلإِمَامِ (الطبري).

وَعَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَيْضًا: "الْجِبْتُ": الشِّرْكُ.
وَعَنْهُ: "الْجِبْتُ": الْأَصْنَامُ.

* * *

وَعَنِ (الشَّعْبِيِّ): "الْجِبْتُ": الْكَاهِنُ.

* * *

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "الْجِبْتُ": (حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ). وَعَنْ (مُجَاهِدٍ): "الْجِبْتُ": كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ.

* * *

وَقَالَ: الْعَلَامَةُ (أَبُو نَصْرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادٍ الْجَوْهَرِيُّ) فِي (كِتَابِهِ) "الصِّحَاحِ": "الْجِبْتُ" كَلِمَةٌ تَقَعُ عَلَى الصَّنَمِ وَالْكَاهِنِ وَالسَّاحِرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ،

* * *

وَفِي الْحَدِيثِ: "الطِّيَرَةُ وَالْعِيَافَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ" قَالَ: وَهَذَا لَيْسَ مِنْ مَحْضِ الْعَرَبِيَّةِ، لِاجْتِمَاعِ الْجِيمِ وَالتَّاءِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ ذَوْلَقِيٍّ.(1)
وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى "الطَّاغُوتِ" فِي سُورَةِ (الْبَقَرَةِ) بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَاهُنَا.

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الضَّيْفِ، حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ (جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ) أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ "الطَّوَاغِيتِ" فَقَالَ: هُمْ كُهَّانٌ تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيَاطِينُ.

* * *

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): "الطَّاغُوتُ": الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ صَاحِبُ أَمْرِهِمْ.

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (مَالِكٌ): "الطَّاغُوتُ": هُوَ كُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ.
وَقَوْلُهُ: {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} أَيْ: يُفَضِّلُونَ الْكُفَّارَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِجَهْلِهِمْ، وَقِلَّةِ دِينِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ.

* * *

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْمَقْرِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ (عِكْرِمَةَ) قَالَ: جَاءَ (حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ)، وَ(كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ) إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ، فَأَخْبِرُونَا عَنَّا وَعَنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: مَا أَنْتُمْ وَمَا مُحَمَّدٌ. فَقَالُوا: نَحْنُ نَصِلُ الْأَرْحَامَ، وَنَنْحَرُ الْكَوْمَاءَ، وَنَسْقِي الْمَاءَ عَلَى اللَّبَنِ، وَنَفُكُّ الْعُنَاةَ، وَنَسْقِي الْحَجِيجَ -وَمُحَمَّدٌ صُنْبُورٌ، قَطَّعَ أَرْحَامَنَا، وَاتَّبَعَهُ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ بَنُو غِفَارٍ، فَنَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هُوَ؟ فَقَالُوا: أَنْتُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى سَبِيلًا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا}.
وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) وَ(جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ).

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (ابْنُ إِسْحَاقَ): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ (عِكْرِمَةَ) أَوْ عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: كَانَ الَّذِينَ حَزَّبُوا الْأَحْزَابَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ وَبَنِي قُرَيْظَةَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَسَلَامُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ

(1) (الصحاح) برقم (245/1).

أَبُو رَافِع، وَالرَّبِيعُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَأَبُو عَمَّارٍ، وَوَحْوَحُ بْنُ عَامِرٍ، وَهَوْذَةُ بْنُ قَيْسٍ. فَأَمَّا وَحْوَحُ وَأَبُو عَمَّارٍ وَهَوْذَةُ فَمِنْ بَنِي وَائِلٍ، وَكَانَ سَائِرُهُمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا هَؤُلَاءِ أَحْبَارُ يَهُودَ وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالْكُتُبِ الْأُوَلِ فَسَلُوهُمْ: أَدِينُكُمْ خَيْرٌ أَمْ دِينُ مُحَمَّدٍ؟ فَسَأَلُوهُمْ، فَقَالُوا: بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وَأَنْتُمْ أَهْدَى مِنْهُ وَمِمَّنِ اتَّبَعَهُ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا}.

وَهَذَا لَعْنٌ لَهُمْ، وَإِخْبَارٌ بِأَنَّهُمْ لَا نَاصِرَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا ذَهَبُوا يَسْتَنْصِرُونَ بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّمَا قَالُوا لَهُمْ ذَلِكَ ليستميلوهم إلى نصرتهم، وقد أجابوهم، وجاؤوا مَعَهُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، حَتَّى حَفَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ الْخَنْدَقَ، فَكَفَى اللَّهُ شَرَّهُمْ {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الْأَحْزَاب:25].(1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {51}، قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} اخْتَلَفُوا فِيهِمَا فَقَالَ (عِكْرِمَةُ): هُمَا صَنَمَانِ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهُمَا مِنْ دُونِ اللَّهِ،

* * *

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): هُمَا كُلُّ مَعْبُودٍ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النَّحْل: 36]،

* * *

وَقَالَ: (عُمَرُ): الْجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ. وَهُوَ قَوْلُ: (الشَّعْبِيِّ)، وَ(مُجَاهِدٍ).

* * *

يَعْنِي:- الْجِبْتُ: الْأَوْثَانُ، وَالطَّاغُوتُ: شَيَاطِينُ الْأَوْثَانِ. وَلِكُلِّ صَنَمٍ شَيْطَانٌ، يُعَبِّرُ عَنْهُ، فَيَغْتَرُّ بِهِ النَّاسُ.

* * *

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ)، وَ(مَكْحُولٌ): الْجِبْتُ: الْكَاهِنُ، وَالطَّاغُوتُ: السَّاحِرُ.

* * *

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(أَبُو الْعَالِيَةِ): الْجِبْتُ: السَّاحِرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ، وَالطَّاغُوتُ: الْكَاهِنُ.

* * *

وَرُوِيَ عَنْ (عِكْرِمَةَ): الْجِبْتُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: شَيْطَانٌ.

* * *

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): الْجِبْتُ: حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَالطَّاغُوتُ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ. دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} [النساء: 60].

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (51)، للإمام (ابن كثير).

يَعْنِي:- الْجِبْتُ كُلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَالطَّاغُوتُ كُلُّ مَا يُطْغِي الْإِنْسَانَ.

* * *

{وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} {النساء: 51}.

قَالَ: (الْمُفَسِّرُونَ): خَرَجَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا مِنَ الْيَهُودِ إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ لِيُحَالِفُوا قُرَيْشًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَنْقُضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- فَقَالَ أَهْلُ مَكَّةَ: إِنَّكُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَمُحَمَّدٌ صَاحِبُ كِتَابٍ وَلَا نَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَكْرًا مِنْكُمْ فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَخْرُجَ مَعَكُمْ فَاسْجُدُوا لِهَذَيْنِ الصَّنَمَيْنِ وَآمِنُوا بِهِمَا فَفَعَلُوا ذَلِكَ،

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)، ثُمَّ قَالَ: (أَبُو سُفْيَانَ لِكَعْبٍ): إِنَّكَ امْرُؤٌ تَقْرَأُ الْكِتَابَ وَتَعْلَمُ وَنَحْنُ أُمِّيُّونَ لَا نَعْلَمُ، فَأَيُّنَا أَهْدَى طريقة، نحن أم محمد؟ فَقَالَ كَعْبٌ. أَنْتُمْ وَاللَّهِ أَهْدَى سبيلا مما عليه محمد وأصحابه، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ) يَعْنِي: كَعْبًا وَأَصْحَابَهُ (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)، يَعْنِي: الصَّنَمَيْنِ (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا): أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ. {هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا} بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- سَبِيلًا ودينا. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الْقُرْطُبِي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ} يَعْنِي: الْيَهُودَ {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}. اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(ابْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(أَبُو الْعَالِيَةِ): الْجِبْتُ السَّاحِرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ، وَالطَّاغُوتُ الْكَاهِنُ.

* * *

وَقَالَ: (الْفَارُوقُ عُمَرُ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: الْجِبْتُ السِّحْرُ وَالطَّاغُوتُ الشَّيْطَانُ.

* * *

(ابْنُ مَسْعُودٍ): الجبت والطاغوت هاهنا كعب ابن الْأَشْرَف وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ.

* * *

(عِكْرِمَةُ): الْجِبْتُ حُيَيُّ بن أخطب والطاغوت كعب ابن الْأَشْرَف، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ).

(قَتَادَةُ): الْجِبْتُ الشَّيْطَانُ وَالطَّاغُوتُ الْكَاهِنُ.

* * *

وَرَوَى (ابْنُ وَهْبٍ) عَنْ (مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ): الطَّاغُوتُ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. قَالَ: وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْجِبْتَ الشَّيْطَانُ، ذَكَرَهُ (النحاس).

* * *

يَعْنِي:- هما كل مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ مُطَاعٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَهَذَا حَسَنٌ. وَأَصْلُ الْجِبْتِ الْجِبْسُ وَهُوَ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ، فَأُبْدِلَتِ التَّاءُ مِنَ السِّينِ، قَالَهُ قُطْرُبُ.

* * *

(1) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (51).

يَعْنِي:- الْجِبْتُ إِبْلِيس وَالطَّاغُوتُ أَوْلِيَاؤُهُ. وَقَوْلُ مَالِك فِي هَذَا الْبَابِ حَسَنٌ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}. (1)

وَقَالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا}. (2)

وروى قَطَنُ (3) بْنُ الْمُخَارِق عَنْ أَبِيه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (الطَّرْقُ وَالطِّيَرَةُ وَالْعِيَافَةُ مِنَ الْجِبْتِ). الطَّرْقُ الزَّجْر، وَالْعِيَافَةُ الْخَطُّ (4) ، أخرجه الإمام (أَبُو دَاوُد) في (سُنَنه).

يَعْنِي:- الْجِبْتُ كُلُّ مَا حرم الله، والطاغوت كُلُّ مَا يُطْغِي الْإِنْسَانَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} أَيْ يَقُولُ الْيَهُودُ لِكُفَّارِ قُرَيْش أَنْتُمْ أَهْدَى سَبِيلًا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُحَمَّد. وَذَلِكَ أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَف خَرَجَ فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا مِنَ الْيَهُود إِلَى مَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَة أُحُد لِيُحَالِفُوا قُرَيْشًا عَلَى قِتَال: رَسُول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَنَزَلَ كَعْبٌ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ فَأَحْسَنَ مَثْوَاهُ، وَنَزَلَتِ الْيَهُودُ فِي دُور قُرَيْش فَتَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا لَيَجْتَمِعُنَّ عَلَى قِتَال مُحَمَّد، - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-فَقَالَ: (أَبُو سُفْيَانَ): إِنَّكَ امْرُؤٌ تَقْرَأُ الْكِتَابَ وَتَعْلَمُ، وَنَحْنُ أُمِّيُّونَ لَا نَعْلَمُ، فَأَيُّنَا أَهْدَى سَبِيلًا وَأَقْرَبُ إِلَى الْحَقّ نَحْنُ أَمْ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: أَنْتُمْ وَاللَّهِ أَهْدَى سَبِيلًا مِمَّا عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ. (5)

* * *

قال: الإمام (ابن حبان) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن (عكرمة) عن (ابن عباس)، قال: لّما قدم كعب بن الأشرف مكة أتوه، فقالوا: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل يثرب، فنحن خير أم هذا الصنَيْبير المُنْبَتِر من قومه يزعم أنه خير منا؟ فقال: أنتم خير منه، فنزل على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إن شانئك هو الأبتر) ونزلت: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً}. (6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - والإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن

---

(1) راجع (ج 10/ ص 103).

(2) راجع (ج 15 / ص 243).

(3) قطن بن قبيصة إلخ- التهذيب.

(4) في سنن الإمام (أبي داود) : (قال عوف: العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط في الأرض). والذي في اللسان: (الطرق الضرب بالحصى: وقيل: هو الخط في الرمل. والطيرة: بوزن العنبة وقد تسكن الياء، وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء. والعيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها وهو من عادة العرب كثيرا).

(5) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (51)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(6) أخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (534/14)، (ح 6572) - ((كتاب : التاريخ)، /باب: (تسمية المشركين صفي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصنيبير) .

وأخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (ح 9786) ،

وعزاه الإمام (ابن كثير للبزار)، وقال: وهو (إسناد صحيح) في (التفسير) برقم (4/ 598).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 65).

(ابن عباس): قال: (الجبت) السحر.(1)(2)

* * *

قال: الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا وكيع ح، وثنا أحمد بن سنان، ثنا عبد الرحمن بن مهدى، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن حسان بن فائد، عن عمر قال: (الجبت) السحر. (الطاغوت) : الشيطان.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عن (عمر) معلقاً. قال: (ابن حجر): وصله عبد بن حميد في تفسيره ومسدد في مسنده، وعبد الرحمن بن رسته في - كتاب (الإيمان)، كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله وإسناده قوي، وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق له من حسان وسماع حبان من عمر في رواية ابن رسته).(4)

* * *

قال: الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبي، ثنا عيسى بن جعفر، ثنا مسلم بن خالد، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد) في قول الله تعالى: {ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً} قال: يهود تقول ذلك يقولون: قريش أهدى من محمد وأصحابه.(5)

و(إسناده حسن).

* * *

قال: الإمَامُ (النسائي) - في (السُنَنِ الصغرى) - والإمَامُ (ابن حبان) - في (صحيحه) - (رحمهما الله) - (بسندهما):- عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: (لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ مَكَّةَ، قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ:(6) (نَحْنُ أَهْلُ السِّقَايَةِ(7) وَالسِّدَانَةِ(8) وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ يَثْرِبَ، فَنَحْنُ خَيْرٌ أَمْ هَذَا الصُّنَيْبِيرُ الْمُنْبَتِرُ(9) مِنْ قَوْمِهِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا؟، فَقَالَ: فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، فَنَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}، وَنَزَلَتْ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ(10) وَالطَّاغُوتِ(11) وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} ")(12)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (51).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (51).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (51).

(4) (فتح الباري) برقم (252/8)، وانظر: (التهذيب) برقم (252/2) أي: في رواية (ابن رسته).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (51).

(6) أخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11707).
وأخرجه الإمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (6572).

(7) السِّقاية: سقاية الحاج، وهي سقيهم الحاج ماءً به زبيب ونحوه.

(8) السِّدانة: خدمة الكعبة.

(9) (صُنَيْبِير) تصغير (صُنبور) أي: الأبتر، الذي لا عقب له، وكذلك الْمُنْبَتِر.

(10) {الجِبْت}: السِّحر والكهانة.

(11) {الطاغوت}: كل ما عُبِد من دون الله.

(12) أخرجه الإمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (6572).
وأخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11707).
وصححه الإمام (الألباني) في (صحيح السيرة) برقم (ص225).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (51)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

* * *

قَالَ الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نصيبا من الْكِتَاب}

5440 - ذُكِرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيِّ قَالا: ثنا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، قَالَ: أَنْبَأَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ قَالَتْ قُرَيْشٌ: أَنَّهُ خَيْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، أَوْ خَيْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدُهُمْ، أَلا تَرَى إِلَى هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيجِ وَأَهْلُ السَّدَانَةِ وَأَهْلُ السِّقَايَةِ، أَمْ هَذَا الْمُنْبَتِرُ قَوْمَهُ، يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا. قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ فَنَزَلَتْ: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}.

وَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يؤمنون بالجبت وَالطَّاغُوتِ} الآيَةَ.

5441 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ، ثنا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ (عِكْرِمَةَ) قَالَ: جَاءَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَكَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالُوا لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَأَهْلُ الْعِلْمِ، فَأَخْبِرُونَا عَنَّا وَعَنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالُوا: مَا أَنْتُمْ وَمَا مُحَمَّدٌ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ نَصِلُ الأَرْحَامَ وَنَنْحَرُ الْكَوْمَاءَ، وَنَسْقِي الْمَاءَ عَلَى اللَّبَنِ، وَنَفُكُّ الْعُنَاةَ، وَنَسْقِي الْحَجِيجَ، وَمُحَمَّدٌ صُنْبُورٌ قَطَعَ أَرْحَامَنَا وَاتَّبَعَهُ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ بنوا غفار، فنحن خير أم هو؟ قَالُوا: أَنْتُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى سَبِيلا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سبيلا}.

* * *

قوله تعالى: {يؤمنون بالجبت}.

﴿الوجه الأول﴾

5442 - حدثنا أحمد بن منصور بن راشد المزوري، ثنا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، ثنا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ، ثنا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: الْعِيَافَةُ وَالطَّرْقُ وَالطِّيَرَةُ مِنَ الْجِبْتِ.

* * *

5443 - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، ثنا وَكِيعٌ (ح) وَثنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ فَائِدٍ، عَنْ عُمَرَ قَالَ: الْجِبْتُ: السِّحْرُ،

* * *

وَرُوِيَ عَنْ (أَبِي الْعَالِيَةِ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(الشَّعْبِيِّ) في إِحْدَى الرِّوَايَاتِ، وَ(عِكْرِمَةَ) وَ(عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ)، وَ(عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) نَحْوُ ذَلِكَ.

* * *

وَالْوَجْهُ الثَّانِي:

5444 - ذُكِرَ عَنْ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الْمِصْرِيِّ، ثنا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَعْنِي: الْحِمَّانِيُّ، عَنِ النَّضْرِ أَبِي عُمَرَ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: الْجِبْتُ: رَسْمُ الشَّيْطَانِ بِالْحَبَشِيَّةِ- وَرُوِيَ عَنْ (عِكْرِمَةَ)، وَ(أَبِي مَالِكٍ)، وَ(عَطِيَّةَ) قَالُوا: الشيطان.

* * *

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ:

5445 - حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَوْلَهُ: {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ} يَقُولُ: الشِّرْكُ.

* * *

وَالْوَجْهُ الرَّابِعُ:

5446 - أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْعَوْفِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، حَدَّثَنِي عَمِّي، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، قَوْلَهُ: {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ} قَالَ: الْجِبْتُ: الأَصْنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ أَيْضاً: الْجِبْتُ: حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ.

* * *

وَالْوَجْهُ الْخَامِسُ:

5447 - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، ثنا عُقْبَةُ، عَنْ حَنَشِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: الْجِبْتُ: الْكَاهِنُ-

* * *

وَرُوِيَ عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ وَ(الضَّحَّاكِ)، وَ(يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ)، وَخُصَيْفٍ قَالُوا: الْجِبْتُ: الْكَاهِنُ.

* * *

وَالْوَجْهُ السَّادِسُ:

5448 - حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا يَحْيَى بْنُ الْمُغِيرَةِ، أَنْبَأَ جَرِيرٌ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ (مُجَاهِدٍ) فِي قَوْلِهِ: {بِالْجِبْتِ} قَالَ: الْجِبْتُ، كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ.

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالطَّاغُوتِ}

﴿الوجه الأول﴾

5449 - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، ثنا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، وثنا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، ثنا أَبُو دَاوُدَ، ثنا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ فَائِدٍ، عَنْ (عُمَرَ) قَالَ: {الطَّاغُوتُ}: الشَّيْطَانُ.

وَرُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(أَبِي الْعَالِيَةِ)، وَ(الشَّعْبِيِّ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(عَطَاءٍ)، وَ(الْحَسَنِ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(الضَّحَّاكِ)، وَ(السُّدِّيِّ) نَحْوُ ذَلِكَ.

* * *

وَالْوَجْهُ الثَّانِي:

5450 - حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: {الطَّاغُوتِ} قَالَ: كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ.

وَرُوِيَ عَنْ (عَطِيَّةَ)، وَ(قَتَادَةَ) نَحْوُ ذَلِكَ.

* * *

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ:

5451 - أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْعَوْفِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي عَمِّي الْحُسَيْنُ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَوْلُهُ: الطَّاغُوتِ قَالَ: الطَّاغُوتُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الأَصْنَامِ، يُعَبِّرُونَ عَنْهَا الْكَذِبَ لِيُضِلُّوا النَّاسَ.

* * *

وَالْوَجْهُ الرَّابِعُ:

5452 - حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ الضَّيْفِ، ثنا حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ (جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ) أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الطَّوَاغِيتِ، قَالَ: هُمْ كُهَّانٌ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ شَيَاطِينُ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (53) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (57) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)

* * *

5453 - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنِ (السُّدِّيِّ)، عَنْ (أَبِي مَالِكٍ) قَالَ: {الطَّاغُوتُ} : الْكَاهِنُ.

* * *

وَرُوِيَ عَنْ (أَبِي الْعَالِيَةِ) فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ، وَ(عِكْرِمَةَ) فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ، وَ(الشَّعْبِيِّ) فِي إِحْدَى الرِّوَايَاتِ وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) نَحْوُ ذَلِكَ.

* * *

وَالْوَجْهُ الْخَامِسُ:

5454 - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، حَدَّثَنِي عُقْبَةُ، عَنْ حَنَشِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: سَمِعْتُ (الشَّعْبِيَّ) يَقُولُ: {الطَّاغُوتُ} السَّاحِرُ.

* * *

وَالْوَجْهُ السَّادِسُ:

5455 - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ حَمْزَةَ، ثنا شَبَابَةُ، ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ (مُجَاهِدٍ) قَوْلَهُ: {الطَّاغُوتُ} قَالَ: الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ الإِنْسَانِ، يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ صَاحِبُ أَمْرِهِمْ.

* * *

وَالْوَجْهُ السَّابِعُ:

5456 - حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا يُونُسُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الأَعْلَى- ثنا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَقَالَ لِي (مَالِكٌ): {الطَّاغُوتُ} : مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

* * *

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} .

5457 - حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنِ (السُّدِّيِّ)، عَنْ (أَبِي مَالِكٍ)، أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ: دِينُنَا خَيْرٌ أَوْ دِينُ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: اعْرِضُوا عَلَيَّ دِينَكُمْ. قَالُوا: نَعَمْ، نَعْمُرُ بَيْتَ اللَّهِ، وَنَنْحَرُ الْكَوْمَاءَ وَنَسْقِي الْحُجَّاجَ، وَنَصِلُ الرَّحِمَ وَنَقْرِي الضَّيْفَ، قَالَ: دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا}

* * *

5458 - حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا عِيسَى بْنُ جَعْفَرٍ، ثنا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ (مُجَاهِدٍ) فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيَقُولُونَ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} قَالَ: يَهُودُ تَقُولُ ذَلِكَ، يَقُولُونَ: قُرَيْشٌ أَهْدَى مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ. (1)

* * *

[٥٢] ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

أولئك الذين يعتقدون هذا الاعتقاد الفاسد هم الذين طردهم الله من رحمته، ومن يطرده الله فلن تجد له نصيرًا يتولاه. (2)

* * *

يَعْنِي:- أولئك الذين كَثُرَ فسادهم وعمَّ ضلالهم، طردهم الله تعالى من رحمته، ومَن يطرده الله من رحمته فلن تجد له من ينصره، ويدفع عنه سوء العذاب. (3)

* * *

يَعْنِي:- أولئك الذين خذلهم الله وطردهم من رحمته، ومن يخذله الله ويطرده من رحمته فليس له من ينصره ويحميه من غضب الله. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} ... أي: أولئك الذين خذلهم الله وطردهم من رحمته، ومن يخذله الله ويطرده من رحمته فليس له من ينصره ويحميه من غضب الله.

{اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} ... مَانِعًا مِنْ عذابه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

انظر: سورة- (البقرة) - آية (159). -

كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159)}.

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {أولئك} ، هؤلاء الذين وصف صفتهم أنهم أوتوا نصيبًا من الكتاب وهم يؤمنون بالجبت والطاغوت، هم {الذين لعنهم الله} ، يقول: أخزاهم الله فأبعدهم من رحمته، بإيمانهم بالجبت والطاغوت، وكفرهم بالله ورسوله عنادًا منهم لله ولرسوله، وبقولهم للذين كفروا: {هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا}.

{ومن يلعن الله} ، يقول: ومن يخزه الله فيبعده من رحمته ،

{فلن تجد له نصيرًا} ، يقول: فلن تجد له، يا محمد، ناصرًا ينصره من عقوبة الله

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (51).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (87/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (117/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ولعنته التي تحلّ به، فيدفع ذلك عنه. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ} عذبهم الله بالجزية {وَمَن يَلْعَنِ اللهُ} يعذبه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة {فَلَن تَجِدَ لَهُ} يَا مُحَمَّد {نَصِيراً} مَانِعا من عَذَابه. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وهذا هو الواقع، ولهذا قال تعالى عنهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ} أي: طردهم عن رحمته وأحل عليهم نقمته. {وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} أي: يتولاه ويقوم بمصالحه ويحفظه عن المكاره، وهذا غاية الخذلان. (3)

* * *

[٥٣] ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ليس لهم نصيبٌ من الملك، ولو كان لهم هذا لَمَا أعطوا أحداً منه شيئًا، ولو كان قدر النقطة التي في ظهر نواة التمر. (4)

* * *

يَعْنِي:- بل ألهم حظ من الملك، ولو أوتوه لما أعطوا أحداً منه شيئًا، ولو كان مقدار النقرة التي تكون في ظهر النَّواة؟. (5)

* * *

يَعْنِي:- لقد حُرم هؤلاء نعمة الإذعان للحق، كما حرموا السلطان، ولو أوتوه ما نفعوا الناس به بأى قدر ولو كان ضئيلاً. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ} ... أم، منقطعة، أنكر أن يكون لهم نصيب من الملك.

{أم} ... بل {لَهُمْ نَصِيب مِنَ الْمُلْك} أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ شَيْء مِنْهُ وَلَوْ كَانَ.

{فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاس نَقِيرًا} ... أَيْ: شَيْئًا تَافِهًا قَدْر النَّقْرَة فِي ظَهْر النَّوَاة لِفَرْطِ بُخْلهمْ.

{فَإِذاً لا يُؤْتُونَ} ... أي: لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم.

{نَقِيراً} ... النقير: نقرة في ظهر النواة يضرب بها المثل في صغرها.

(أي: قَدرَ النَّقرة، النَّقرُ: وَهِيَ الحُفْرَةُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ).

والنقير: النقرة فى ظهر النواة، أو الخيط الذي يكون في وسط النواة، أو نَقْرُك الشيء بطرف إبهامك). وهو مثل فى القلة.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (52)، للإمامْ (الطبري)،

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (52). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (52)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1). تصنيف (جماعة من علماء التفسير)،

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (87/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (117/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

قوله تعالى: {أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا}.

قال: الإِمَامُ (الطبري) – والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (نقيرا): النقطة التي في ظهر النواة.(1)(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {أم لهم نصيب من الملك}، أم لهم حظ من الملك، يقول: ليس لهم حظ من الملك،(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يَقُولُ تَعَالَى: {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ}؟! وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ (1) ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِالْبُخْلِ فَقَالَ: {فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا} أَيْ: لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ فِي الْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ لَمَا أَعْطَوْا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ –وَلَا سِيَّمَا مُحَمَّدًا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-شَيْئًا، وَلَا مَا يَمْلَأُ "النَّقِيرَ"، وَهُوَ النُّقْطَةُ الَّتِي فِي النَّوَاةِ، فِي قَوْلِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) وَالْأَكْثَرِينَ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ} {الْإِسْرَاءِ:100} أَيْ: خَوْفَ أَنْ يَذْهَبَ مَا بِأَيْدِيكُمْ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ نَفَادُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بُخْلِكُمْ وَشُحِّكُمْ".

وَلِهَذَا قَالَ: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا} {الْإِسْرَاءِ:100} أَيْ: بَخِيلًا.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ) أَيْ أَلَهُمْ؟ وَالْمِيمُ صِلَةٌ. (نَصِيبٌ) حَظٌّ (مِنَ الْمُلْكِ) وَهَذَا عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ، يَعْنِي لَيْسَ لَهُمْ مِن الملك شي، ولو كان لهم منه شي لَمْ يُعْطُوا أَحَدًا مِنْهُ شَيْئًا لِبُخْلِهِمْ وَحَسَدِهِمْ.

يَعْنِي:- الْمَعْنَى بَلْ أَلَهُمْ نَصِيبٌ، فَتَكُونُ أَمْ مُنْقَطِعَةً وَمَعْنَاهَا الْإِضْرَابُ عَنِ الْأَوَّلِ وَالِاسْتِئْنَافُ لِلثَّانِي. يَعْنِي:- هِيَ عَاطِفَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، لِأَنَّهُمْ أَنِفُوا مِنَ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَالتَّقْدِيرُ: أَهُمْ أَوْلَى بِالنُّبُوَّةِ مِمَّنْ أَرْسَلْتُهُ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ؟.

(فَإِذاً لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً) أَيْ يَمْنَعُونَ الْحُقُوقَ. خَبَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ بِمَا يَعْلَمُهُ مِنْهُمْ. وَالنَّقِيرُ: النُّكْتَةُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، و(قَتَادَةَ) وغيرهما.

وعن (ابن عباس) أيضا: {النَّقِيرُ}: مَا نَقَرَ الرَّجُلُ بِأُصبعه كَمَا يَنْقُرُ الْأَرْضَ.

وَقَالَ: (أَبُو الْعَالِيَةِ): سَأَلْتُ (ابْنَ عَبَّاسٍ) عَنِ النَّقِيرِ فَوَضَعَ طَرَفَ الْإِبْهَامِ عَلَى بَاطِنِ السَّبَّابَةِ ثُمَّ رَفَعَهُمَا وَقَالَ: هَذَا النَّقِيرُ. وَالنَّقِيرُ: أَصْلُ خَشَبَةٍ يُنْقَرُ وَيُنْبَذُ فِيهِ، وَفِيهِ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (53).

(2) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (53).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (53)، لِلإِمَامُ (الطبري).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (53)، لِلإِمَامُ (ابن كثير).

جَاءَ النَّهْيُ ثُمَّ نُسِخَ. وَفُلَانٌ كَرِيمُ النَّقِيرِ أَيِ الْأَصْلِ. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أَمْ لَهُمْ} {53} يَعْنِي أَلَهُمْ وَالْمِيمُ صِلَةٌ {نَصِيبٌ} حظ {مِنَ الْمُلْكِ} وَهَذَا عَلَى جِهَةِ الْإِنْكَارِ، يَعْنِي: لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْمُلْكِ شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ مِنَ الْمُلْكِ شَيْءٌ، {فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا} {النساء: 53} لحسدهم وبخلهم، النقير: النُّقْطَةُ الَّتِي تَكُونُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ وَمِنْهَا تَنْبُتُ النَّخْلَةُ،

وَقَالَ: (أَبُو الْعَالِيَةِ): هُوَ نَقْرُ الرَّجُلِ الشَّيْءَ بِطَرَفِ أُصْبُعِهِ كَمَا يَنْقُرُ الدرهم: (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ} لَو كَانَ لِلْيَهُود نصيب {مِّنَ الْملك فَإِذاً لَّا يُؤْتُونَ} لَا يُعطون {النَّاس} يَعْنِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابه {نَقِيراً} قدر النقير وَهُوَ النقرة الَّتِي على ظهر النواة. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ} أي: فيفضِّلون من شاءوا على من شاءوا بمجرد أهوائهم، فيكونون شركاء لله في تدبير المملكة، فلو كانوا كذلك لشحوا وبخلوا أشد البخل، ولهذا قال: {فَإِذًا} أي: لو كان لهم نصيب من الملك {لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا} أي: شيئًا ولا قليلا. وهذا وصف لهم بشدة البخل على تقدير وجود ملكهم المشارك لملك الله. وأخرج هذا مخرج الاستفهام المتقرر إنكاره عند كل أحد. (4)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا} النقير: النقرة تكون في ظهر النواة.

قَالَ: (مُحَمَّد): الْمَعْنى: أَنهم لَو أعْطوا الْملك، مَا أعْطوا النَّاس مِنْهُ النقير" والنقير هَا هُنَا تَمْثِيل. (5)

* * *

[٥٤] ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

بل يحسدون محمداً - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه على ما آتاهم الله من النبوة والايمان والتمكين في الأرض. فلِمَ يحسدونهم وقد سبق أن آتينا ذرية إبراهيم الكتاب

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (53)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (53).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (53). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (53)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (53) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

المنزل، وما أوحيناه اليهم سوى الكتاب، وآتيناهم ملكًا واسعًا على الناس؟!.(1)

* * *

يَعْنِي:- بل أيحسدون محمداً -صلى الله عليه وسلم- على ما أعطاه الله من نعمة النبوة والرسالة، ويحسدون أصحابه على نعمة التوفيق إلى الإيمان، والتصديق بالرسالة، واتباع الرسول، والتمكين في الأرض، ويتمنون زوال هذا الفضل عنهم؟ فقد أعطينا ذرية إبراهيم -عليه السلام -من قَبْلُ- الكتب، التي أنزلها الله عليهم وما أوحي إليهم مما لم يكن كتابا مقروءا، وأعطيناهم مع ذلك ملكا واسعا.(2)

* * *

يَعْنِي:- كيف يستكثر هؤلاء على العرب ما آتاهم الله من فضله ببعث النبى منهم، مع أن الله قد آتى إبراهيم وآله - وهو أبوكم وأبوهم - الكتاب المنزَّل والنبوة والملك العظيم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أَمْ} ... بَلْ. {يَحْسُدُونَ النَّاس} أَيْ النَّبِيّ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم.

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ} ... أي: بل أيحسدون رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم.

الحسد: تمني زال النعمة عن الغير والحرص على ذلك.

{عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّه مِنْ فَضْله} ... مِنْ النُّبُوَّة وَكَثْرَة النِّسَاء أَيْ يَتَمَنَّوْنَ زَوَاله عَنْهُ وَيَقُولُونَ لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَاشْتَغَلَ عَنْ النِّسَاء.

{فَقَدْ آتَيْنَا} ... إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة.

{آلَ إِبْرَاهِيم} ... الذين هم أسلاف محمد - صلّى الله عليه وآله وسلم-، وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما آتى أسلافه.

{وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً} ... الملك في آل إبراهيم: (ملك يوسف)، و(داود)، و(سليمان).

يَعْنِي:- فَكَانَ لِدَاوُدَ تِسْع وَتِسْعُونَ امْرَأَة وَلِسُلَيْمَان أَلْف مَا بَيْن حُرَّة وَسُرِّيَّة.

{فَقَدْ آتَيْنَا آل إِبْرَاهِيم} ... جَدّه كَمُوسَى وَدَاوُد وَسُلَيْمَان.

{الْكِتَاب وَالْحِكْمَة} ... وَالنُّبُوَّة.

{وَالْحِكْمَةَ} ... السداد في القول والعمل مع الفقه في أسرار التشريع الإلهي.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال الإمَام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله: (أم يحسدون الناس) قال: يهود (على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب) وليسوا

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (87/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (117/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

منهم (والحكمة وأتيناهم ملكا عظيما) قال: النبوة.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه}

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه:"أم يحسدون الناس"، أم يحسد هؤلاء الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب من اليهود، كما:-

* * *

9812 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد) في قول الله:"أم يحسدون الناس"، قال: يهود.

* * *

القول في تأويل قوله: {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: أم يحسد هؤلاء اليهود = الذين وصف صفتهم في هذه الآيات = الناسَ على ما آتاهم الله من فضله، من أجل أنهم ليسوا منهم؟ فكيف لا يحسدون آل إبراهيم، فقد آتيناهم الكتاب = ويعني بقوله: {فقد آتينا آل إبراهيم} ، فقد أعطينا آل إبراهيم، يعني: أهله وأتباعه على دينه {الكتاب} ، يعني كتاب الله الذي أوحاه إليهم، وذلك كصحف إبراهيم وموسى والزّبور، وسائر ما آتاهم من الكتب.

* * *

وأما {الحكمة} ، فما أوحى إليهم مما لم يكن كتابًا مقروءًا {وآتيناهم ملكًا عظيمًا} .(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه} يَعْنِي بِذَلِكَ: حَسَدَهُمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا رَزَقَهُ اللَّهُ مِنَ النُّبُوَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَمَنَعَهُمْ مِنْ تَصْدِيقِهِمْ إِيَّاهُ حَسَدُهُمْ لَهُ" لِكَوْنِهِ مِنَ الْعَرَبِ وَلَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

* * *

قَالَ: الإمام (الطَّبَرَانِيُّ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى الْحِمَّانِيُّ، حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنِ (السُّدِّيِّ)، عَنْ (عَطَاءٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَوْلُهُ: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِ} الْآيَةَ، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): نَحْنُ النَّاسُ دُونَ النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} أَيْ: فَقَدْ جَعَلْنَا فِي أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ -الَّذِينَ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ- النُّبُوَّةَ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ، وَحَكَمُوا فِيهِمْ

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (54).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (54)، للإِمَامْ (الطبري).

بِالسُّنَنِ -وَهِيَ الْحِكْمَةُ-وَجَعَلْنَا فِيهِمُ الْمُلُوك، (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {54} {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ} يَعْنِي: الْيَهُودَ، وَيَحْسُدُونَ النَّاسَ،

قَالَ: (قَتَادَةُ): الْمُرَادُ بِالنَّاسِ الْعَرَبُ حَسَدَهُمُ الْيَهُودُ عَلَى النُّبُوَّةِ، وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

يَعْنِي:- أَرَادَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ،

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(مُجَاهِدٌ) وَجَمَاعَةٌ): الْمُرَادُ بِالنَّاسِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحْدَهُ، حَسَدُوهُ عَلَى مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالُوا. مَا لَهُ هَمٌّ إِلَّا النِّكَاحُ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: {عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}

يَعْنِي:- حَسَدُوهُ عَلَى النُّبُوَّةِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْفَضْلِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ.

{فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} أَرَادَ بِآلِ إِبْرَاهِيمَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وبالكتاب ما أنزل الله إليهم وَبِالْحِكْمَةِ النُّبُوَّةَ.

{وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} فَمَنْ فَسَّرَ الْفَضْلَ بِكَثْرَةِ النِّسَاءِ فَسَّرَ الْمُلْكَ الْعَظِيمَ فِي حَقِّ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِكَثْرَةِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهُ كَانَ لِسُلَيْمَانَ أَلْفُ امْرَأَةٍ ثَلَاثُمِائَةٍ حُرَّةٌ وَسَبْعُمِائَةٍ سُرِّيَّةٌ، وَكَانَ لِدَاوُدَ مِائَةُ امْرَأَةٍ،

وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِلَا تِسْعُ نِسْوَةٍ، فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ سَكَتُوا. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {أَمْ يَحْسُدُونَ} بل يحسدون {النَّاس} يَعْنِي مُحَمَّدًا {على مَا آتَاهُم الله من فَضله} على مَا أعطَاهُ الله من الْكتاب والنبوة وَكَثْرَة النِّسَاء {فقد آتَيْنَا} أعطينا {آل إِبْرَاهِيم} دَاوُد وَسليمَان {الْكتاب وَالْحكمَة} الْعلم والفهم والنبوة {وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً} أكرمناهم بِالنُّبُوَّة وَالإِسْلَام وأعطيناهم ملك بني إِسْرَائِيل فَكَانَ لداود مائة امْرَأَة مهرية ولسليمان سَبْعمائة سَرِيَّة وثلثمائة امْرَأَة مهرية. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} أي: هل الحامل لهم على قولهم كونهم شركاءَ لله فيفضلون من شاءوا؟ أم الحامل لهم على ذلك الحسدُ للرسول وللمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله؟ وذلك ليس ببدع ولا غريب على فضل الله. {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} وذلك ما أنعم الله به على إبراهيم وذريته من النبوة

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (54)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (54).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (54). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

والكتاب والملك الذي أعطاه من أعطاه من أنبيائه كـ "داود" و "سليمان". فإنعامه لم يزل مستمرًا على عباده المؤمنين. فكيف ينكرون إنعامه بالنبوة والنصر والملك لمحمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأجلهم وأعظمهم معرفة بالله وأخشاهم له؟.(1)

* * *

قَال: الإمام (إبن المنذير) – (رحمه الله) – في (تفسيره) – (بسنده):- قوله جلّ وعزّ: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ}

1892 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَك، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَور، عَنِ ابْنِ جُرَيْج، قَالَ: قَالَ: (مجاهد) " {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ}، يهود " وكذلك قَالَ: (قتادة).(2)

* * *

1893 - أَخْبَرَنَا علي بْن عَبْد العزيز، قَالَ: حَدَّثَنَا الأثرم، عَنْ (أبي عبيدة): " {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ} معناها: يحسدون الناس "(3)

* * *

قوله جلّ وَعزّ: {النَّاس}

1894 - حَدَّثَنَا زكريا، قَالَ: حَدَّثَنَا عمرو، قَالَ: حَدَّثَنَا هشيم، قَالَ: أَخْبَرَنَا خالد، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، فِي قوله عَزَّ وَجلَّ " {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ} قَالَ: هُوَ النَّبِيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خاصة "(4)

* * *

1895 - حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاق، قَالَ: أَخْبَرَنَا عمرو، عَنْ أسباط، عَنْ (السدي)، فِي قوله عَزَّ وَجَلَّ " {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ} قَالَ: يحسدون مُحَمَّدا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "(5)

* * *

1896 - حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا قَيسٌ، عَنِ (السُّدِّيِّ)، عَنْ (عَطَاءٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، قَالَ: " نَحْنُ النَّاسُ دُونَ النَّاسِ "(6)

* * *

قوله جَلَّ وَعَزَّ: {مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ}

1897 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّان مالك بْن إسماعيل النهدي، قَالَ: حَدَّثَنَا فضل بْن مرزوق، عَنْ (عطية)، فِي قوله عَزَّ وَجَلَّ " {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ} قَالَ: قالت اليهود للمسلمين: تزعمون أن مُحَمَّدا أوتي الدين في تواضع، وعنده تسع نسوة، أي: ملك أعظم من هَذَا؟ قَالَ: فأنزل الله جَلَّ وَعَزَّ: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (54)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن)، في سورة (النساء) - الآية (54)، للإمام (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري).
(3) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن)، في سورة (النساء) - الآية (54)، للإمام (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري).
(4) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن)، في سورة (النساء) - الآية (54)، للإمام (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري).
(5) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن)، في سورة (النساء) - الآية (54).
(6) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن)، في سورة (النساء) - الآية (54).

مِـنْ فَضْلِه فَقَـدْ آتَيْنَـا آلَ إِبْـرَاهِيمَ الْكِتَـابَ الْآيـة إِلَى عَظِيمًا} " (1)

* * *

1898 - حَـدَّثَنَا زكريـا، قَـالَ: حَـدَّثنا عمرو، عَنْ أسباط، عَنْ السدي، فِي قوله عَزَّ وَجَلَّ: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ}، قَالَ: يحسدون مُحَمَّدا، قَالَ: قالت اليهود: يزعم مُحَمَّد أنه جاء بالتواضع، والزهد في الدنيا، وَهُوَ يتزوج من النساء مَا شاء، فأي ملك أفضل من ملك النساء؟ فذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه} من النساء {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ} إِلَى {مُلْكًا عَظِيمًا} أوتوا النساء كما كَانَ
لداود تسع وتسعين امرأة، فذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: {وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} " (2)

* * *

قوله جَلَّ وَعَزَّ: {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}

1899 - حَـدَّثَنَا زكريا، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جعفر الترمذي مُحَمَّد بْن أحمد بْن نصر، قَالَ: حَدَّثَنَا بكر بْن عَبْد الوهاب، عَنْ فليح، عَنْ أبي بكر الهذلي، عَنْ (سعيد بْن جبير)، و(الحسن)، فِي قوله عَزَّ وَجَلَّ " {الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}، قَالَ: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة " (3)

1900 - حَدَّثَنَا مُحَمَّد، قَالَ: حَدَّثَنَا نصر، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْد الوهاب، عَنْ سعيد، عَنْ (قتادة): " {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}، أي: السنة، ومُحَمَّد من آل إبراهيم " (4)

* * *

قوله جلَّ وعزَّ: {وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا}

1901 - حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْد الأعلى، قَالَ: حَدَّثَنَا مسلم، عَنْ ابْن أبي نجيح، عَنْ (مجاهد)، فِي قوله عَزَّ وَجَلَّ " {وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا}، قَالَ: النبوة " (5)

* * *

1904 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّان، قَالَ: حَدَّثَنَا فضيل، عَنْ (عطية) " {وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} قَالَ: ملك سليمان " (6)

* * *

[٥٥] ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

من أهل الكتاب من آمن بما أنزل الله على إبراهيم -عليه السلام- وعلى أنبيائه من ذريته، ومنهم من أعرض عن الإيمان به، وهذا موقفهم مما أُنزل على النبي محمد -

---

(1) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن))، في سورة (النساء) - الآية (54)، للإمام (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري).
(2) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن))، في سورة (النساء) - الآية (54).
(3) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن))، في سورة (النساء) - الآية (54).
(4) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن))، في سورة (النساء) - الآية (54)، للإمام (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري).
(5) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن))، في سورة (النساء) - الآية (54).
(6) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن))، في سورة (النساء) - الآية (54).

صلى الله عليه وسلم -، والنار هي العذاب المكافئ لمن كفر منهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- فمن هؤلاء الذين أوتوا حظًّا من العلم، مَن صدَّق برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم-، وعمل بشرعه، ومنهم مَن أعرض ولم يستجب لدعوته، ومنع الناس من اتباعه. وحسبكم أيها المكذبون- نار جهنم تسعَّر بكم.(2)

* * *

يَعْنِي:- فَمن الذين بُعِثَ فيهم إبراهيم وآله منهم مَنْ آمن بالكتاب المنزَّل إليهم، ومنهم من أعرض عنه، وحَسْبُ هؤلاء المعرضين عن دعوة الحق جهنم تكون ناراً حامية.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فمِنْهُم} ... من اليهود.

{فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ} ... بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

{مَنْ آمَنَ بِهِ} .... أي: بما ذكر من حديث آل إبراهيم.

{ومِنْهُمْ مَنْ صَدَّ} ... أَعْرَضَ.

{وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ} ... وأنكره مع علمه بصحته.

أو من اليهود من آمن برسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم-، ومنهم من أنكر نبوته.

أو من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم، ومنهم من كفر.

{عنْهُ} ... فَلَمْ يُؤْمِن.

{وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا} ... عَذَابًا لِمَنْ لا يؤمن.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه}.

قال: الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): (فمنهم من أمن به) قال: بما أنزل على محمد من يهود (ومنهم من صد عنه).(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {فَمِنْهُمْ} من الْيَهُود {مَّنْ آمَنَ بِهِ} بِكِتَاب دَاوُد وَسليمَان {وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ} كفر بِهِ {وَكفى} لكعب وَأَصْحَابه {بِجَهَنَّمَ سَعِيراً} نَارا وقودا.(5)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله عز وجل: {فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: فمن الذين أوتوا الكتاب = من يهود بني إسرائيل، الذين قال لهم جل ثناؤه: {آمنوا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (87/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (118/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)، في سورة (النساء) الآية (55).برقم (66/2).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (55). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

بما نزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها} {مَنْ آمن به} ، يقول: من صدّق بما أنزلنا على محمد -صلى الله عليه وسلم -مصدّقًا لما معهم،

{ومنهم من صدّ عنه} ، ومنهم من أعرض عن التصديق به،

قال: (أبو جعفر): وفي هذه الآية دلالة على أن الذين صدّوا عما أنزل الله على محمد -صلى الله عليه وسلم-، من يهود بني إسرائيل الذين كانوا حوالَيْ مُهاجَر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إنما رُفِعَ عنهم وعيدَ الله الذي توعّدهم به في قوله: {آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا} في الدنيا، وأخرت عقوبتهم إلى يوم القيامة، لإيمان من آمن منهم، وأن الوعيدَ لهم من الله بتعجيل العقوبة في الدنيا، إنما كان على مقام جميعهم على الكفر بما أنزل على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم-. فلما آمن بعضُهم، خرجوا من الوعيد الذي توعَّده في عاجل الدنيا، وأخرت عقوبةُ المقيمين على التكذيب إلى الآخرة، فقال لهم: كفاكم بجهنم سعيرًا.

ويعني بقوله: {وكفى بجهنم سعيرًا} ، وحسبكم، أيها المكذبون بما أنزلت على محمد نبيي ورسولي.

{بجهنم سعيرًا} ، يعني: بنار جهنم، تُسعَر عليكم = أي: تُوقَدُ عليكم.(1)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (55)، للإمَام (الطبري).

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَمَعَ هَذَا {فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ} أَيْ: بِهَذَا الْإِيتَاءِ وَهَذَا الْإِنْعَامِ {وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ} أَيْ: كَفَرَ بِهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَسَعَى فِي صَدِّ النَّاسِ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْهُمْ وَمِنْ جِنْسِهِمْ، أَيْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَدِ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِمْ، فَكَيْفَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَسْتَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): {فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ} أَيْ: بِمُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ} فَالْكَفَرَةُ مِنْهُمْ أَشَدُّ تَكْذِيبًا لَكَ، وَأَبْعَدُ عَمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْهُدَى، وَالْحَقِّ الْمُبِينِ.

وَلِهَذَا قَالَ مُتَوَعِّدًا لَهُمْ: {وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا} أَيْ: وَكَفَى بِالنَّارِ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ كُتُبَ اللَّهِ وَرُسُلَهُ.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {55} قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ} يَعْنِي: بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ.

{وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ} أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ،

{وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا} {النساء: 55} وَقُودًا،

يَعْنِي:- الْمُلْكُ الْعَظِيمُ: مُلْكُ سُلَيْمَانَ.

وَقَالَ (السُّدِّيُّ): الْهَاءُ فِي قوله: (من آمن به وصد عَنْهُ) رَاجِعَةٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَذَلِكَ أَنَّ

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (55)، للإمَامْ (ابن كثير).

إبْـراهيمَ زَرْعَ ذاتَ سَـنَةٍ، وَزَرَعَ النَّـاسُ فَهَلَـكَ زَرْعُ النَّـاسِ وَزَكَـا زَرْعُ إبْـرَاهِيمَ عَلَيْـهِ السَّـلامُ، فَاحْتَـاجَ إِلَيْـهِ النَّـاسُ فَكَـانَ يَقُـولُ: مَـنْ آمَـنَ بِـي أَعْطَيْتُـهُ فَمَـنْ آمَـنَ بِـهِ أَعْطَـاهُ، وَمَـنْ لَـمْ يـؤمن بـه منعه. (1)

* * *

قـال: الإمـام (ابـن أبـي زَمَـنِين المـالكي) - (رحمـه اللّه) - في (تفسيره):- {فَمِـنْهُمْ مَـنْ آمَـنَ بِـهِ وَمِـنْهُمْ مَـن صـد عَنـهُ} قـالَ: (مُجَاهِـد): يَعْنِـي: الْيَهُـود مِـنْهُم مـن آمـن بِمَـا أنـزل علـى مُحَمَّـد، وَمِـنْهُم مـن صـد عَنْـهُ" يَعْنِـي: جحـد بِـهِ {وَكَفَـى بِجَهَـنَّم سعيرا} لمن صد عَنهُ. (2)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه اللّه) - في (تفسيره):- {فَمِـنْهُمْ مَـنْ آمَـنَ بِـهِ} أي: بمحمـد - صـلى الله عليـه وسـلم - فنـال بـذلك السـعادة الدنيويـة والفـلاح الأخـروي. {وَمِـنْهُمْ مَـنْ صَـدَّ عَنْـهُ} عنـادًا وبغيًـا وحسـدًا فحصـل لهـم مـن شـقاء الـدنيا ومصـائبها مـا هـو بعـض آثـار معاصـيهم {وَكَفَـى بِجَهَـنَّمَ سَعِيرًا} تسـعر علـى مـن كفـر بـالله، وجحـد نبـوة أنبيائـه مـن اليهـود والنصـارى وغيرهـم مـن أصناف الكفرة. (3)

* * *

قـال: الإمـام (إبـن المُنـذِر) - (رحمـه اللّه) - في (تفسيره) - (بسنده):-:

1906 - حَـدَّثنَا زكريـا، قَـالَ: حَـدَّثنا إسْحَاق، قَـالَ: أخْبَرنَـا عمـرو بْـن مُحَمَّـد، قَـالَ: حَـدَّثنَا أسـباط، عَـنْ (السـدي)، فـي قولـه عَـزَّ وَجَـلَّ " {فَمِـنْهُمْ مَـنْ آمَـنَ بِـهِ وَمِـنْهُمْ مَـنْ صَـدَّ عَنْـهُ}، قَـالَ: زرع إبـراهيم خليـل الـرحمن، وزرع النـاس فـي تلـك السـنة، فهلـك زرع النـاس، وزكـا زرع إبـراهيم، خليـل الـرحمن، واحتـاج النـاس إِلَيْـهِ، فكـان النـاس يـأتون إبـراهيم، فيسـألونه منـه، فَقَـالَ لهـم: مـن آمـن بربـه أعطيتـه، ومـن أبـى منعتـه، فمـنهم مـن آمـن بـه، فأعطـاه مـن الـزرع، ومـنهم مـن أبـى، فلـم يأخـذ منـه، فـذلك قولـه: {فَمِـنْهُمْ مَـنْ آمَـنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا} "

* * *

قوله جَلَّ وعَزَّ: {وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا} .

1907 - أَخْبَرَنَـا علـي بْـن عَبْـد العزيـز، قَـالَ: حَـدَّثنَا الأثـرم، عَـنْ (أبـي عبيـدة): {وَكَفَـى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا}، أي: وقودا . (4)

* * *

[٥٦] ﴿ إِنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا بِآيَاتِنَـا سَـوْفَ نُصْـلِيهِمْ نَـارًا كُلَّمَـا نَضِـجَتْ جُلُـودُهُمْ بَـدَّلْنَاهُمْ جُلُـودًا غَيْرَهَـا لِيَـذُوقُوا الْعَـذَابَ إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ عَزِيـزًا حَكِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الـذين كفـروا بآياتنـا سـوف ندخلهـم يـوم القيامـة نـارًا تحـيط بهـم، كلمـا أحرقـت

---

(1) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإمـام (البغوي) سورة (النساء) الآية (55).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العزيـز) في سـورة (النسـاء) الآيـة (55) للإمـام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (النسـاء) الآية (55)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظـر: ((كتـاب: تفسـير القـرآن))، في سـورة (النسـاء) - الآيـة (55)، للإمام (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري).

جلودهم بدلناهم جلوداً أخرى غيرها" ليستمر عليهم العذاب، إن الله كان عزيزًا لا يغالبه شيء، حكيمًا فيما يدبره ويقضي به. (1)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين جحدوا ما أنزل الله من آياته ووحي كتابه ودلائله وحججه، سوف ندخلهم نارًا يقاسون حرَّها، كلما احترقت جلودهم بدَّلْناهم جلودًا أخرى" ليستمر عذابهم وألمهم. إن الله تعالى كان عزيزًا لا يمتنع عليه شيء، حكيمًا في تدبيره وقضائه. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين جحدوا حُجَجَنَا البينات، وكذَّبوا الأنبياء، سوف ندخلهم النار التى تُكْوَى بها جلودهم، وكلما فقدت الإحساس بالعذاب بدَّلهم الله جلوداً غيرها جديدة ليستمروا فى ألم العذاب، إن الله تعالى غالب على أمره، حكيم فى فعله، يعذب من جحد به وأصرَّ على ذلك حتى مات. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ}... نُدْخِلُهُمْ {نُصْلِيهِمْ نَاراً}... ندخلهم ناراً يحترقون بها.

{نَاراً}... يَحْتَرِقُونَ فِيهَا.

{كُلَّمَا نَضِجَتْ}... احْتَرَقَتْ.

{نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ}... اشتوت فتهترت وتساقطت.

{جُلُودهمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرهَا}... بِأَنْ تُعَاد إلَى حَالهَا الْأَوَّل غَيْر مُحْتَرِقَة.

{بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا}... أبدلناهم إياها.

{لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}... ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع. (أي: لِيُقَاسُوا شِدَّته)، (يعني: ليستمر لهم العذاب مؤلماً).

{إِنَّ اللَّه كَانَ عَزِيزًا}... لَا يُعْجِزهُ شَيْء.

{عَزِيزاً حَكِيماً}... غالباً، يعذب من يستحق العذاب.

{عَزِيزاً}... لا يمتنع عليه شيء. {حَكِيمًا}... فِي خَلْقه ، (أي: لا يعذب الا بعدل من يستحق العذاب).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):

قوله: (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) يقول: كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): (عزيزا حكيما) يقول: عزيزا في نقمته إذا انتقم ...). (5)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (87/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (118/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (56).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (56).

* * *

قال: الإمَام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):— القول في تأويل قوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}

قال: (أبو جعفر): هذا وعيد من الله جل ثناؤه للذين أقاموا على تكذيبهم بما أنزل الله على محمد من يهود بني إسرائيل وغيرهم من سائر الكفار، وبرسوله. يقول الله لهم: إن الذين جحدوا ما أنزلتُ على رسولي محمد – صلى الله عليه وسلم-، من آياتي = يعني: من آيات تنزيله، ووَحي كتابه، وهي دلالاته وحججه على صدق محمد -صلى الله عليه وسلم = فلم يصدقوا به من يهود بني إسرائيل وغيرهم من سائر أهل الكفر به.

{سوف نصليهم نارًا}، يقول: سوف ننضجهم في نارٍ يُصلون فيها = أي يشوون فيها.

{كلما نضجت جلودهم}، يقول: كلما انشوت بها جلودهم فاحترقت.

{بدلناهم جلودًا غيرها}، يعني: غير الجلود التي قد نضجت فانشوت،

القول في تأويل قوله: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا}.

قال: (أبو جعفر): يقول: إن الله لم يزل، {عزيزًا} في انتقامه ممن انتقم منه من خلقه، لا يقدر على الامتناع منه أحد أراده بضرّ، ولا الانتصار منه أحدٌ أحلّ به عقوبة، {حكيمًا} في تدبيره وقضائه. (1)

* * *

قال: الإمَام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يُعَاقِبُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مَنْ كَفَرَ بِآيَاتِهِ وَصَدَّ عَنْ رُسُلِه، فَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا} الْآيَةَ، أَيْ نُدْخِلُهُمْ نَارًا دُخُولًا يُحِيطُ بِجَمِيعِ أَجْرَامِهِمْ، وَأَجْزَائِهِمْ. ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ دَوَامِ عُقُوبَتِهِمْ وَنَكَالِهِمْ، فَقَالَ: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}.

* * *

قَالَ: (الْأَعْمَشُ)، عَنِ (ابْنِ عُمَرَ) إِذَا أُحْرِقَتْ جُلُودُهُمْ بُدِّلُوا جُلُودًا بِيضًا أَمْثَالَ الْقَرَاطِيسِ. رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

* * *

وَقَالَ: (يَحْيَى بْنُ يَزِيدَ الْحَضْرَمِيُّ) إِنَّهُ بَلَغَهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} قَالَ: يُجْعَلُ لِلْكَافِرِ مِائَةُ جِلْدٍ، بَيْنَ كُلِّ جِلْدَيْنِ لَوْنٌ مِنَ الْعَذَابِ. رَوَاهُ الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

* * *

وَقَالَ:الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِسِيُّ، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَوْلُهُ: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (56)، للإمَامْ (الطبري).

بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} الْآيَةَ. قَالَ: تُنْضِجُهُمْ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةً.

* * *

قَالَ: (حُسَيْنٌ): وَزَادَ فِيهِ فُضَيْلٌ عَنْ هِشَامٍ عَنِ الْحَسَنِ: كُلَّمَا أَنْضَجَتْهُمْ فَأَكَلَتْ لُحُومَهُمْ قِيلَ لَهُمْ: عُودُوا فَعَادُوا.

* * *

وَقَالَ أَيْضًا: ذُكِرَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى -يَعْنِي سَعْدَانَ- حَدَّثَنَا نَافِعٌ، مَوْلَى يُوسُفَ السُّلَمِيِّ الْبَصْرِيِّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ (ابْنِ عُمَرَ) قَالَ: قَرَأَ رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ هَذِهِ الْآيَةَ: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} فَقَالَ: (عُمَرُ): أَعِدْهَا عَلَيَّ فَأَعَادَهَا، فَقَالَ: (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ): عِنْدِي تَفْسِيرُهَا: تُبَدَّلُ فِي سَاعَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ. فَقَالَ (عُمَرُ): هَكَذَا سَمِعْتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

* * *

وقد رواه (ابْنُ مَرْدَوَيْهِ)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ، بِهِ. وَرَوَاهُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ بِلَفْظٍ آخَرَ فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عِمْرَانَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ أَبُو هُرْمُزَ، حَدَّثَنَا (نَافِعٌ)، عَنْ (ابْنِ عُمَرَ) قَالَ: تَلَا رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ هَذِهِ الْآيَةَ: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} الْآيَةَ، قَالَ: فَقَالَ (عُمَرُ): أَعِدْهَا عَلَيَّ -وَثَمَّ كَعْبٌ- فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا عِنْدِي تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ، قَرَأْتُهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِهَا يَا كَعْبُ، فَإِنْ جِئْتَ بِهَا كَمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَدَّقْنَاكَ، وَإِلَّا لَمْ نَنْظُرْ إِلَيْهَا. فَقَالَ: إِنِّي قَرَأْتُهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ: "كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ عِشْرِينَ وَمِائَةَ مَرَّةٍ". فَقَالَ: (عُمَرُ): هَكَذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-. (1)

* * *

وَقَالَ: (الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ): مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَنَّ جِلْدَ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَسِنَّهُ تِسْعُونَ ذِرَاعًا، وَبَطْنَهُ لَوْ وُضِعَ فِيهِ جَبَلٌ لَوَسِعَهُ، فَإِذَا أَكَلَتِ النَّارُ جُلُودَهُمْ بُدِّلُوا جُلُودًا غَيْرَهَا.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا، (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا} ندخلهم نارا، {كُلَّمَا نَضِجَتْ} احْتَرَقَتْ، {جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} غير الجلود المحترقة، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ تُعَذَّبُ جُلُودٌ لَمْ تَكُنْ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ تعصه؟ قِيلَ: يُعَادُ الْجِلْدُ الْأَوَّلُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ. وَإِنَّمَا قَالَ: {جُلُودًا غَيْرَهَا} لتبديل صفتها، كَمَا تَقُولُ صَنَعْتُ مِنْ خَاتَمِي خَاتَمًا غَيْرَهُ، فَالْخَاتَمُ الثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ إلا أَنَّ الصِّنَاعَةَ والصفة تبدلت، قَوْلُهُ

---

(1) رواه الإمام (ابن أبي حاتم) (5493).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (56)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

تَعَالَى: {لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 56]. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا} بِمُحَمد وَالْقُرْآن {سَوْفَ} وَهَذَا وَعِيد لَهُم {نُصْلِيهِمْ} ندخلهم {نَاراً} فِي الْآخِرَة {كُلَّمَا نَضِجَتْ} احترقت {جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا} جددنا جُلُودهمْ {لِيَذُوقُوا الْعَذَاب} لكَي يجدوا ألم الْعَذَاب {إِنَّ الله كَانَ عَزِيزاً} بالنقمة مِنْهُم {حَكِيماً} حكم عَلَيْهِم بتبديل الْجُلُود. (2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا) أي لا يعجزه شيء وَلَا يَفُوتُهُ. (حَكِيماً) فِي إِيعَادِهِ عِبَادَهُ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ولهذا قال: {56} {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا} أي: عظيمة الوقود شديدة الحرارة. {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ} أي: احترقت. {بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} أي: ليبلغ العذاب منهم كل مبلغ. وكما تكرر منهم الكفر والعناد وصار وصفا لهم وسجية" كرر عليهم العذاب جزاء وفاقا، ولهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} أي: له العزة العظيمة والحكمة في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه. (4)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- على ذكر الإيمان والكفر في الآية السابقة ذكر تعالى في هاتين الآيتين الوعيد والوعد الوعيد لأهل الكفر والوعد لهل الإيمان فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً} يريد يدخلهم نار جهنم يحترقون فيها ويصطلون بها {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ} تهرت وسقطت بدلهم الله تعالى فوراً جلوداً غيرها ليتجدد ذوقهم للعذاب وإحساسهم به، وقوله تعالى: {إِنَّ الله كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً} تذييل المقصود منه إنفاذ الوعيد فيهم" لأن العزيز الغالب لا يعجز عن إنفاذ ما توعد به أعداءه، كما أن الحكيم في تدبيره يعذب أهل الكفر به والخروج عن طاعته، هذا ما تضمنته الآية الأولى (56) من وعيد لأهل الكفر. (5)

* * *

[٥٧] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (56).
(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (56). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .
(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) الآية (56)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).
(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (56)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (56)، للإمام: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والذين آمنوا بالله واتبعوا رسله، وعملوا الطاعات سندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، لهم في هذه الجنات زوجات مطهرات من كل قذر، وسندخلهم ظلًّا ممتداً كثيفًا لا حر فيه ولا برد. (1)

* * *

يَعْنِي:- والذين اطمأنت قلوبهم بالإيمان بالله تعالى والتصديق برسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، واستقاموا على الطاعة، سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ينعمون فيها أبداً ولا يخرجون منها، ولهم فيها أزواج طهرها الله من كل أذى، وندخلهم ظلا كثيفًا ممتداً في الجنة. (2)

* * *

يَعْنِي:- والذين صدَّقوا بما جاءهم من ربهم وعملوا الأعمال الصالحة، سنثيبهم على إيمانهم وعملهم، فندخلهم جنات تجرى من تحت أشجارها الأنهار، لا تنتهى حياتهم فيها أبداً، لهم فيها أزواج مطهرة من العيوب والأدناس، ونحييهم حياة ناعمة فى ظل ظليل من العيش الطيب والنعيم المقيم. (3)

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (87/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (118/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} ... تجري من خلال أشجارها وقصورها الأنهار.

{مُطَهَّرَةٌ} ... من الأذى والقذى مطلقاً.

{لهم فيها أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} ... مِنْ الْحَيْض وَكُلّ قَذَر.

{وَنُدْخِلهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} ... دَائِمًا لَا تَنْسَخهُ شَمْس وَهُوَ ظِلّ الْجَنَّة.

{ظِلاً ظَلِيلاً} ... الظل الظليل: الوارف الدائم لا حر فيه ولا برد به.

{ظَلِيلًا} ... كَثِيفًا، مُمْتدًا، دَائمًا.

{ظَلِيلًا} ... صفة مشتقة من لفظ (الظل) لتأكيد معناه. وهو ما كان فينانا لا جوب فيه، ودائما لا تنسخه الشمس، وسجسجا لا حر فيه ولا برد.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

انظر: تفسير سورة -(البقرة) - آية (25).

- كما قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

* * *

قوله تعالى: (وندخلهم ظلا ظليلًا).

قال الإمام (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وصف في هذه الآية الكريمة ظل الجنة بأنه ظليل ووصفه في آية أخرى بأنه دائم، وهي قوله: (أكلها دائم وظلها) ووصفه في آية أخرى بأنه ممدود وهي قوله (وظل ممدود) وبين في موضع آخر أنها ظلال

متعددة وهو قوله (إن المتقين وظلال وعيون) الآية،

وذكر في موضع أخر أنهم في تلك الظلال متكئون مع أزواجهم على الأرائك وهو قوله: (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) (1).

* * *

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده): حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن (أبي هريرة) – رضي الله عنه – به النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: ((إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها. واقرءوا إن شئتم {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ})). (2) (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا (57)}

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، والذين آمنوا بالله ورسوله محمد – صلى الله عليه وسلم-، وصدّقوا بما أنزل الله على محمد مصدّقًا لما معهم من يهود بني إسرائيل وسائر الأمم غيرهم ،

{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، يقول: وأدّوا ما أمرهم الله به من فرائضه، واجتنبوا ما حرّم الله عليهم من معاصيه، وذلك هو"الصالح" من أعمالهم ،

{سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ}، يقول: سوف يدخلهم الله يوم القيامة،

{جنات}، يعني: بساتين ،

{ تجري من تحتها الأنهار}، يقول: تجري من تحت تلك الجنات الأنهار،

{خالدين فيها أبدًا}، يقول: باقين فيها أبدًا بغير نهاية ولا انقطاع، دائمًا ذلك لهم فيها أبدًا,

{لهم فيها أزواج}، يقول: لهم في تلك الجنات التي وصف صفتها،

{أزواج مطهرة}، يعني: بريئات من الأدناس والرِّيْب والحيض والغائط والبول والحَبَل والبُصاق، وسائر ما يكون في نساء أهل الدنيا. وقد ذكرنا ما في ذلك من الآثار فيما مضى قبل، وأغنى ذلك عن إعادتها.

* * *

وأما قوله: {وندخلهم ظِلا ظليلا}، فإنه يقول: وندخلهم ظلا كَنينًا،

كما قال جل ثناؤه: (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) {سورة الواقعة: 30}، (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (57).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإمَام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (8/495)، (ح4881)–(كتاب: تفسير القرآن)–(سورة الواقعة)، (الآية)،

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإمَام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (4/2175)– (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، / باب:(إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها ..) .

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (57)، للإمَام (الطبري)،

الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ مَآلِ السُّعَدَاءِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، الَّتِي تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ فِي جَمِيعِ فِجَاجِهَا وَمَحَالِّهَا وَأَرْجَائِهَا حَيْثُ شَاؤُوا وَأَيْنَ أَرَادُوا، وَهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا أَبَدًا، لاَ يُحَوَّلُونَ وَلاَ يَزُولُونَ وَلاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حولًا.

وَقَوْلُهُ: {لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} أَيْ: مِنَ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَالْأَذَى. وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَالصِّفَاتِ النَّاقِصَةِ،

كَمَا قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْأَقْذَارِ وَالْأَذَى.

وَكَذَا قَالَ: (عَطَاءٌ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالنَّخَعِيُّ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَعَطِيَّةُ، وَالسُّدِّيُّ).

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْبَوْلِ وَالْحَيْضِ وَالنُّخَامِ وَالْبُزَاقِ وَالْمَنِيِّ وَالْوَلَدِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْأَذَى وَالْمَآثِمِ وَلاَ حَيْضَ وَلاَ كَلَفَ.

وَقَوْلُهُ: {وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا} أَيْ: ظَلاً عَمِيقًا كَثِيرًا غَزِيرًا طَيِّبًا أَنِيقًا. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَالَّذِينَ آمَنُوا {57} وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} [النساء: 57] كَنِينًا لاَ تَنْسَخُهُ الشَّمْسُ وَلاَ يُؤْذِيهِمْ حَرٌّ وَلاَ بَرْدٌ. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- ثُمَّ نزل فِي الْمُؤمنِينَ فَقَالَ: {وَالَّذين آمنُوا} بِمُحَمد وَالْقُرْآن وَجُمْلَة الْكتب وَالرسل {وَعمِلُوا الصَّالِحَات} الطَّاعَات فِيمَا بَينهم وَبَين رَبهم بِالْإِخْلَاص {سَنُدْخِلُهُمْ} فِي الْآخِرَة {جَنَّات} بساتين {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا} من تَحت شَجَرهَا وسورها {الْأَنْهَار} أنهار الْخمر وَاللَّبن وَالْعَسَل وَالْمَاء {خَالِدِينَ فِيهَآ} مقيمين فِي الْجنَّة لَا يموتون وَلَا يخرجُون مِنْهَا {أَبَداً لَّهُمْ فِيهَآ} فِي الْجنَّة {أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ} من الْحيض والأدناس {وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً} [النساء: 57] كُنَّا كنيناً وَيُقَال ظلاً ظليلاً ممدوداً. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَالَّذِينَ آمَنُوا} أي: بالله وما أوجب الإيمان به {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} من الواجبات والمستحبات {سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} أي: من الأخلاق الرذيلة، والخلق الذميم، ومما يكون من نساء الدنيا من كل دنس وعيب {وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا}. (4)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ فِي صِفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (57)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (57).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (57). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (57)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا) يَعْنِي كَثِيفًا لاَ شَمْسَ فِيهِ. الْحَسَنُ: وُصِفَ بِأَنَّهُ ظَلِيلٌ، لِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُهُ مَا يَدْخُلُ ظِلَّ الدُّنْيَا مِنَ الْحَرِّ وَالسَّمُومِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): يَعْنِي ظِلاَلَ الْأَشْجَارِ وَظِلاَلَ قُصُورِهَا (1)

* * *

قال الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غيرها}

قَالَ: (يحيى): بلغنَا أَنَّهَا تَأْكُل كل شَيْء حتَّى تَنْتَهِي إِلَى الْفُؤَاد" فَيصِيح الْفُؤَاد فَلا يُرِيد الله أَن تَأْكُل أفئدتهم" فَإِذا لم تَجِد شَيْئًا تتَعَلَّق بِهِ مِنْهُم، خبت - أَي: سكنت - ثُمَّ يعادون خلقا جَدِيدا" فتأكلهم كلما أُعيد خلقهمْ.

وَقَوله: {وندخلهم ظلا ظليلاً} قَالَ: (الْحسن): يَعْنِي: دَائِما. (2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• من أعظم أسباب كفر أهل الكتاب حسدهم المؤمنين على ما أنعم الله به عليهم من النبوة والتمكين في الأرض.

• الأمر بمكارم الأخلاق من المحافظة على الأمانات، والحكم بالعدل.

• وجوب طاعة ولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية، والرجوع عند التنازع إلى حكم الله ورسوله تحقيقًا لمعنى الإيمان. (3)

* * *

[٥٨] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الله يأمركم أن توصلوا كل ما ائتمنتم عليه إلى أصحابه، ويأمركم إذا قضيتم بين الناس أن تقسطوا ولا تميلوا وتجوروا في الحكم، إن الله نعْم ما يُذَكِّرُكم به ويرشدكم إليه في كل أحوالكم، إن الله كان سميعًا لأقوالكم، بصيرًا بأفعالكم. (4)

* * *

يَعْنِي:- إن الله تعالى يأمركم بأداء مختلف الأمانات، التي أؤتمنتم عليها إلى أصحابها، فلا تفرطوا فيها، ويأمركم بالقضاء بين الناس بالعدل والقسط، إذا قضيتم بينهم، ونِعْمَ ما يعظكم الله به ويهديكم إليه. إن الله تعالى كان سميعًا لأقوالكم، مُطَّلعًا على سائر أعمالكم، بصيرًا بها. (5)

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (57)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (57) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (87/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

* * *

يَعْنِي:- إن الله يأمركم - أيها المؤمنون - أن توصلوا جميع ما ائتمنتم عليه من الله أو الناس إلى أهله بالعدل، فلا تجوروا في الحكم. هذه موعظة من ربكم فاحرصوا عليها، فنعمت الموعظة التي يعظكم بها. إن الله دائماً سميع لما يقال، بصير بما يفعل، فيعلم من أدَّى الأمانة ومن خان، ومن حكم بالعدل أو جار فَيُجَازِي كُلاً بعمله. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ} ... أَيْ: مَا أُؤْتُمِنَ عَلَيْهِ مِنْ الْحُقُوق.

{أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ} ... أداء الأمانة: تسليمها إلى المؤتمن، والأمانات جمع أمانة وهي ما يؤتمن عليه المرء من قول أو عمل أو متاع.

{الْعَدْلِ} ... ضد الجور والانحراف بنقص أو زيادة.

{إِلَى أَهْلِهَا} ... نَزَلَتْ لَمَّا أَخَذَ عَلِيّ - رَضِيَ اللَّه عَنْهُ- مِفْتَاح الْكَعْبَة مِنْ عُثْمَان بْن طَلْحَة الْحَجَبِي سَادِنهَا قَسْرًا لَمَّا قَدِمَ النَّبِيّ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّة عَام الْفَتْح وَمَنَعَهُ، وَقَالَ لَوْ عَلِمْت أَنَّهُ رَسُول اللَّه لَمْ أَمْنَعهُ فَأَمَرَ رَسُول اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِرَدِّهِ إلَيْهِ وَقَالَ هَاكَ خَالِدَة تَالِدَة فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ فَقَرَأَ لَهُ عَلِيّ الْآيَة فَأَسْلَمَ وَأَعْطَاهُ عِنْد مَوْته لِأَخِيهِ شَيْبَة فَبَقِيَ فِي وَلَده الْآيَة وَإِنْ وَرَدَتْ

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (118/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

عَلَى سَبَب خَاصّ فَعُمُومهَا مُعْتَبَر بِقَرِينَة الْجَمْع. (2)

{وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ} ... يَأْمُرُكُمْ.

{أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا} .. فِيهِ إدْغَام نِعْمَ فِي مَا النَّكِرَة الْمَوْصُوفَة أَيْ نِعْمَ شَيْئًا.

{نِعِمَّا} ... نِعْمَ مَا. (أي: نِعْمَ الشيءُ الَّذِي يَعظُكُمْ به وهو أداءُ الأمانة والحكمُ بالعدل).

{نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ} ... ما، إما أن تكون منصوبة بالفعل يَعِظُكُمْ، وإما أن تكون مرفوعة موصولة به، كأنه، **قيل**: نعم شيئا يعظكم به، أو نعم الشيء الذي يعظكم به، والمخصوص بالمدح محذوف أي نعما يعظكم به ذاك، وهو المأمور به من أداء الأمانات، والعدل في الحكم. (3)

{نِعِمَّا يَعِظُكُمْ} ... نعم شيء يعظكم، أي: يأمركم به أداء الأمانات والحكم بالعدل. (4)

{يَعِظُكُمْ بِهِ} ... تَأْدِيَة الْأَمَانَة وَالْحُكْم بِالْعَدْلِ.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا} ... لِمَا يُقَال.

{بَصِيرًا} ... بما يفعل.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {58} {إِنَّ اللَّهَ

(2) انظر: (تفسير الجلالين) في سورة (النساء) الآية (58)، (المؤلف: (جلال الدين محمد بن أحمد المحلي) (المتوفى: 864هـ)، و(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي).

(3) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (58)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (58)، المؤلف: الشيخ (جابربن أبو بكر الجزائري).

يَـأْمُرُكُمْ أَنْ تُـؤَدُّوا الأَمَانَـاتِ إِلَـى أَهْلِهَـا وَإِذَا حَكَمْـتُمْ بَـيْنَ النَّـاسِ أَنْ تَحْكُمُـوا بِالْعَـدْلِ إِنَّ اللَّـهَ نِعِمَّـا يَعِظُكُـمْ بِـهِ إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ سَـمِيعًا بَصِـيرًا ﴾ .الأمانـات كـل مـا ائـتمن عليـه الإنسـان وأمـر بالقيـام بـه. فـأمر الله عبـاده بأدائهـا أي: كاملــة مــوفرة، لا منقوصــة ولا مبخوســة، ولا ممطــولا بهــا، ويــدخل في ذلــك أمانــات الولايـات والأمـوال والأسـرار" والمـأمورات الـتي لا يطلـع عليهـا إلا الله. وقـد ذكـر الفقهـاء علـى أن مـن اؤتمـن أمانـة وجـب عليـه حفظهـا في حـرز مثلـهـا. قـالوا: لأنـه لا يمكـن أداؤهـا إلا بحفظها" فوجب ذلك.

وفي قولـه: ﴿ إِلَـى أَهْلِهَـا ﴾ دلالـة علـى أنهـا لا تـدفع وتـؤدى لغـير المـؤتمن، ووكيلُـه بمنزلتـه" فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤديا لها.

﴿ وَإِذَا حَكَمْـتُمْ بَـيْنَ النَّـاسِ أَنْ تَحْكُمُـوا بِالْعَـدْلِ ﴾ وهـذا يشـمل الحكـم بيـنهم في الـدماء والأمـوال والأعـراض، القليـل مـن ذلـك والكـثير، علـى القريـب والبعيـد، والـبر والفـاجر، والولي والعدو.

والمـراد بالعـدل الـذي أمـر الله بـالحكم بـه هـو مـا شـرعه الله علـى لسـان رسـوله مـن الحـدود والأحكـام، وهـذا يسـتلزم معرفـة العـدل لـيحكم بـه. ولـا كانـت هـذه أوامـر حسـنة عادلـة قـال: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ نِعِمَّـا يَعِظُكُـمْ بِـهِ إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ سَـمِيعًا بَصِـيرًا ﴾ وهـذا مـدح مـن الله لأوامـره ونواهيـه، لاشـتمالها علـى مصـالح الـدارين ودفـع مضـارهما، لأن شـارعها السـميع البصـير الـذي لا تخفـى عليـه خافيـة، ويعلـم بمصـالح العبـاد ما لا يعلمون.(1)

* * *

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- ثـمَّ نـزل فـي شَـأْن الْمِفْتَـاح الَّـذِي أَخـذه النَّبِـي -صـلى الله عَلَيْـه وَسـلم- مـن عُثْمَـان بـن طَلْحَـة بأمانـة الله فَـأمر الله رَسُـوله بـرد الْأَمَانَـة إِلَـى أَهلهَا فَقَـالَ: ﴿ إِنَّ الله يَـأْمُرُكُمْ أَن تُـؤدُّواْ الْأَمَانَـات ﴾ أَن تـردوا الْمِفْتَـاح ﴿ إِلَـى أَهلهَـا ﴾ إِلَـى (عُثْمَـان ابْـن طَلْحَـة) ﴿ وَإِذَا حَكَمْـتُمْ بَـيْنَ النَّـاس ﴾ بَـين عُثْمَـان ابْـن طَلْحَـة وعبـاس بـن عبـد الْمطلـب ﴿ أَن تَحْكُمُـواْ بِالْعَـدْلِ ﴾ أَن تـردوا الْمِفْتَـاح إِلَـى عُثْمَـان والسـقاية إِلَـى الْعَبَّـاس ﴿ إِنَّ الله نِعِمَّـا يَعِظُكُـمْ ﴾ نعـم مَـا يَـأْمُركُم ﴿ بِـهِ ﴾ مـن رد الْأَمَانَـات وَالْعـدْل ﴿ إِنَّ الله كَـانَ سَـمِيعاً ﴾ بمقالـة الْعَبَّـاس أَعْطنِـي الْمِفْتَـاح مَـعَ السِّـقَايَة يَـا رَسُـول الله ﴿ بَصِـيراً ﴾ بصـنع (عُثْمَـان بـن طَلْحَـة) حَيْـثُ منـع الْمِفْتَـاح ثـمَّ قَـالَ: خُـذ بأمانـة الله حقـي يَـا رَسُول الله.(2)

* * *

قولـه تعـالى: ﴿ إن الله يـأمركم أن تـؤدوا الأمانـات إلى أهلـها ﴾ إلى قولـه ﴿ إن الله كـان سميعاً بصيراً ﴾ .

قـال:الإمـام (مسـدد) - (رحمـه الله):- حـدثنا يحيـى، ثنـا سـفيان، حـدثنى عبـد الله بـن السـائب، عـن زاذان قـال: قـال: (عبـد الله)

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (النسـاء) الآية (58)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (النسـاء) الآيـة (58). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

هو (ابن مسعود) - رضي الله عنه -: القتل في سبيل الله تعالى يكفر الذنوب كلها غير الأمانة. يؤتى بالشهيد في سبيل الله عز وجل، فيقال: أد أمانتك، فيقول: من أين أؤديها، فقد ذهبت الدنيا؟ قال فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية، حتى إذا انتهى به إلى قرار الهاوية مثلت له أمانته كهيئة يوم ذهبت، فيحملها فيضعها على عاتقه، فيصعد في النار، حتى إذا رأى أنه قد خرج منها هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين،

ثم قرأ (عبد الله): (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها). (1)

* * *

قال: الإمَام (الطبري) - والإمَام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: قوله (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) يعني: السلطان يعظون النساء. (2)(3)

* * *

قال: الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): قال: الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه. (4)

* * *

قوله تعالى: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، حدثنا إسماعيل، عن مصعب بن سعد قال: قال: (علي) - رضي الله عنه - كلمات أصاب فيهن: فحق على الإمَامْأن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدى الأمانة. وإذا فعل ذلك، فحق على الناس أن يسمعوا، وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دعوا. (5)

ورجاله ثقات و(سنده صحيح)

* * *

---

(1) انظر: (المطالب العالية (برقم) ل/133/ب)، للإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني).

وأخرجه الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) في (تفسيره) (تفسير آل عمران- والنساء)، (ح 3481) - من طريق - (سفيان الثوري) به، إلى قوله "أبد الآبدين". وزاد: قال زاذان: فأتيت البراء فحدثته، فقال: صدق أخي (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها).

وهذا (إسناد صحيح) - عن (ابن مسعود).

وأخرجه (الخرائطي) في (مكارم الأخلاق) برقم (ح 144).

وأخرجه (أبو نعيم) في (الحلية) برقم (201/4).

وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (شعب الإيمان) برقم (324-323/4)، (ح 5266) - من طرق -عن (الأعمش عن عبد الله بن السائب) به، وزادوا في قول (ابن مسعود): "وإن الأمانة في الصلاة والزكاة والغسل من الجنابة والكيل والميزان والحديث"، وأعظم من ذلك الودائع".

واللفظ (للخرائطي)، وزاد (أبو نعيم) و الإِمَامْ (البيهقي) أيضاً قول البراء.

وأخرجه الإِمَامْ (ابن أبي الدنيا) في (الأهوال) برقم (ح 250)،

وأخرجه الإِمَامْ (الطبري) في (تفسيره) برقم (56/22)

وأخرجه الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) في (تفسيره) (آل عمران – والنساء) برقم (ح 3482) و(الخرئطي) في (مكارم الأخلاق) برقم (ح 145).

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (الكبير) برقم (270/10)، (ح 10527) وغيرهم - من طريق – (إسحاق الأزرق عن شريك عن الأعمش عن عبد الله بن السائب) به مرفوعاً، وفيه الزيادتان السابقتان، وزادوا أيضاً: ((قال شريك: وحدثنا عياش العامري عن زاذان عن عبد الله عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بنحو منه، ولم يذكر الأمانة في الصلاة والأمانة في كل شيء)). واللفظ (لابن أبي الدنيا).

وقال: الإِمَامْ (ابن كثير). في (تفسيره): (إسناد جيد) ولم يخرجوه (التفسير 524/3).

وقال:وأخرجه الإِمَامْ (الهيثمي): رجاله ثقات (مجمع الزوائد)، (293/5).

وقال: وأخرجه الإِمَامْ (الدارقطني): الموقوف هو الصواب (العلل 78/5)، ولكن له حكم الرفع إذ ليس للاجتهاد فيه مجال.

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 67)، الطبعة: الأولى،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (58).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (58).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (58).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (58).

قال : الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)} .

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا،

وَفِي حَدِيثِ (الْحَسَنِ)، عَنْ (سَمُرَةَ)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم قَالَ: ((أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)).(1)

* * *

كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ (الصَّحِيحِ): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا، حَتَّى يُقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ)) .(2)

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَحْمَسِيُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ زَاذَانَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ) قَالَ: إِنَّ الشَّهَادَةَ تُكَفِّرُ كُلَّ ذَنْبٍ إِلَّا الْأَمَانَةَ، يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -وَإِنْ كَانَ قَدْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ- فَيُقَالُ: أَدِّ أَمَانَتَكَ. فَيَقُولُ وَأَنَّى أُؤَدِّيهَا وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا؟ فَتُمَثَّلُ لَهُ الْأَمَانَةُ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي إِلَيْهَا فَيَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ.

قَالَ: فَتَنْزِلُ عَنْ عَاتِقِهِ، فَيَهْوِي عَلَى أَثَرِهَا أَبَدَ الْآبِدِينَ. قَالَ زَاذَانُ: فَأَتَيْتُ الْبَرَاءَ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ: صَدَقَ أَخِي: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} .

وَقَالَ: (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ)، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ رَجُلٍ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} قَالَ: هِيَ مُبْهَمَةٌ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ.

وقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ): هِيَ مُسَجَّلَةٌ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ.

وَقَالَ: (أَبُو الْعَالِيَةِ): الْأَمَانَةُ مَا أُمِرُوا بِهِ وَنُهُوا عَنْهُ.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: مِنَ الْأَمَانَةِ أَنَّ الْمَرْأَةَ اؤْتُمِنَتْ عَلَى فَرْجِهَا.

وَقَالَ: (الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ): هِيَ مِنَ الْأَمَانَاتِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ.

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} قَالَ: قَالَ: يَدْخُلُ فِيهِ وَعْظُ السُّلْطَانِ النِّسَاءَ. يَعْنِي يَوْمَ الْعِيدِ.

وَقَوْلُهُ: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} أَمْرٌ مِنْهُ تَعَالَى بِالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ" وَلِهَذَا قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ وَشَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الْأُمَرَاءِ، يَعْنِي الْحُكَّامَ بَيْنَ النَّاسِ.

---

(1) (صحيح) :أخرجه الإمام (أبو داود) في (سننه) برقم (3535) – ((كتاب : البيوع)).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (سننه) برقم (1264) – ((كتاب : البيوع)).
و(صححه) الإمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (423).
و(صححه) الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (تحقيقه لتفسير – ابن كثير) برقم (2/4-8).
(2) (صحيح) :أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2582) – ((كتاب : البر والصلة والآداب)).

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ} أَيْ: يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنْ أَدَاءِ الْأَمَانَاتِ، وَالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَوَامِرِهِ وَشَرَائِعِهِ الْكَامِلَةِ الْعَظِيمَةِ الشَّامِلَةِ.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} أَيْ: سَمِيعًا لِأَقْوَالِكُمْ، بَصِيرًا بِأَفْعَالِكُمْ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النِّسَاءِ: 58] نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ الْحَجَبِيِّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَكَانَ سَادِنَ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ أَغْلَقَ عُثْمَانُ بَابَ الْبَيْتِ وَصَعِدَ السَّطْحَ فَطَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الْمِفْتَاحَ، فَقِيلَ: إِنَّهُ مَعَ عُثْمَانَ فَطَلَبَهُ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ لم أمنع الْمِفْتَاحَ فَلَوَى عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَدَهُ فَأَخَذَ مِنْهُ الْمِفْتَاحَ وَفَتَحَ الْبَابَ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْبَيْتَ وَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلَهُ الْعَبَّاسُ الْمِفْتَاحَ أَنْ يُعْطِيَهُ وَيَجْمَعَ لَهُ بَيْنَ السِّقَايَةِ وَالسِّدَانَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَرُدَّ الْمِفْتَاحَ إِلَى عُثْمَانَ وَيَعْتَذِرَ إِلَيْهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلِيٌّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: أَكْرَهْتَ وَآذَيْتَ ثُمَّ جِئْتَ تَرَفُّقٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْنِكَ قُرْآنًا وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْآيَةَ، فَقَالَ عُثْمَانُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَكَانَ الْمِفْتَاحُ مَعَهُ، فَلَمَّا مَاتَ دَفَعَهُ إِلَى أَخِيهِ شَيْبَةَ، فَالْمِفْتَاحُ وَالسِّدَانَةُ فِي أَوْلَادِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

يَعْنِي:- الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} أَيْ: بِالْقِسْطِ، {إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا} أَيْ نِعْمَ الشَّيْءُ الَّذِي. {يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58]. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا علي بن نصر ومحمد بن يونس النسائي، المعنى، قالا: ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا حرملة -يعني ابن عمران- حدثني أبو يونس سليم بن جبير مولى (أبي هريرة)، قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) إلى قوله تعالى: (سميعاً بصيراً) قال: رأيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقرؤها ويضع إصبعيه،

قال: (ابن يونس): قال: (المقرىء): يعني أن الله سميع بصير، يعني أن لله سمعاً وبصراً.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (58)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (58).

قــال : الإمَــامْ (أبــو داود): وهـــذا رد علـــى الجهمية. (1)

* * *

وقـال: الإمَـامْ (أبـو داود) – (رحمـه الله) – في (سُـننه) – (بسـنده):- , عَـنْ (يُوسُـفَ بْـنِ مَاهَـكَ الْمَكِّـيِّ)

قَـالَ: كُنْـتُ أَكْتُـبُ (2) لِفُـلَانٍ نَفَقَـةَ أَيْتَـامٍ كَـانَ وَلِـيَّهُمْ (3) فَغَـالَطُوهُ (4) بِـأَلْفِ دِرْهَـمٍ , فَأَدَّاهَـا إِلَـيْهِمْ (5) فَأَدْرَكْـتُ لَهُـمْ (6) مِـنْ مَـالِهِمْ مِثْلَيْهَـا , قَـالَ: قُلْـتُ (7) : اقْـبِضْ الْـأَلْفَ الَّـذِي ذَهَبُـوا بِـهِ مِنْـكَ , قَـالَ: لَا, حَـدَّثَنِي أَبِـي أَنَّـهُ سَـمِعَ رَسُـولَ اللَّهِ – صـلى الله عليـه وسـلم – يَقُـولُ: ((أَدِّ الْأَمَانَـةَ إِلَـى مَـنْ ائْتَمَنَـكَ , وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)). (8)

الشرح . (9)

* * *

[٥٩] ﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا أَطِيعُـوا اللَّـهَ وَأَطِيعُـوا الرسـول- وَأُولِـي الْـأَمْرِ مِـنْكُمْ فَـإِنْ تَنَـازَعْتُمْ فِـي شَـيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَـى اللَّـهِ وَالرسـول- إِنْ كُنْـتُمْ تُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الْـآخِرِ ذَلِـكَ خَيْـرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

يـا أيهـا الـذين آمنـوا بـالله واتبعـوا رسـوله، أطيعـوا الله وأطيعـوا رسـوله، بامتثـال مـا أمـر واجتنـاب مـا نهـى، وأطيعـوا ولاة أمـوركم مـا لم يـأمروا بمعصـية، فـإن اختلفـتم في شـيء فـارجعوا فيـه إلى كتـاب الله وسُـنَّة نبيـه – صـلى الله عليـه وسـلم – إن كنـتم تؤمنـون بـالله واليـوم الآخـر ذلـك الرجـوع إلى الكتـاب والسُّـنَّة خـير مـن التمـادي في الخـلاف والقـول بالرأي، وأحسن عاقبة لكم. (10)

* * *

---

(1) أخرجــه الإِمَــامْ (ابــو داود) في (الســنن) بــرقم (233/4)، (ح /4728) – (كتاب : السنة)، / باب: (في الجهمية) .

وأخرجــه الإِمَــامْ (ابــن خزيمــة في (التوحيــد) بــرقم (97/1)، (ح 46) عــن (محمد بن يحيى عن عبد الله بن يزيد) به.

قال محققه: رجال (المسند): كلهم ثقات في الصحيحين أو في أحدهما،

وأخرجــه الإِمَــامْ (الحــاكم) في (المســتدرك) بــرقم (236/2) – مــن طريــق (عبــد الله بن يزيد) به،

و(صححه) ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).

وأخرجــه الإِمَــامْ (ابــن حبــان) في(صــحيحه) – (الإحســان) بــرقم (498/1) – مــن طريق- (محمد بن يحيى الذهبي عن المقرى) به،

قال محققه: (إسناده صحيح على شرط الصحيح)،

و(صــححه) الإِمَــامْ (الألبــاني) في (صــحيح ســنن أبــي داود) بــرقم (895/3)، (ح 3954).

كمــا ذكــره و نقلــه الشــيخ : (أ. الــدكتور: (حكمــت بــن بشــير بــن ياســين) في (موســوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (69/2)،

(2) أَيْ: فِي الْحِسَاب وَالدَّفْتَر. عون المعبود – (ج 8 / ص 31)

(3) أَيْ: كَانَ الْفُلَانُ وَلِيَّ الْأَيْتَام. عون المعبود – (ج 8 / ص 31).

(4) أَيْ: الْأَيْتَــام لَمَّــا بَلَغُــوا الْحُلُــم وَأَخَــذُوا أَمْــوَالهمْ مِــنْ وَلِــيّهمْ الْفُلَــان , غَــالَطُوهُ فِي الْحِسَاب بِأَلِف دِرْهَم , وَأَخَذُوهَا مِنْ غَيْر حَقّ. عون المعبود – (ج 8 / ص 31)

(5) أَيْ: إِلَى الْأَيْتَام. عون المعبود – (ج 8 / ص 31).

(6) أَيْ: لِلْأَيْتَامِ، وَالْقَائِل يُوسُف بْن مَاهَكَ. عون المعبود – (ج 8 / ص 31).

(7) أَيْ: لِذَلِكَ الْفُلَان. عون المعبود – (ج 8 / ص 31).

(8) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (3534) , (3535).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (15462).

وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (21091).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1264).

و صححه الإمام (الألباني) في (الإرواء) برقم (1544).

(9) قَــالَ: (أَبُــو عِيسَــى): ذَهَــبَ بَعْــضُ أَهْــلِ الْعِلْــمِ إِلَــى هَــذَا الْحَــدِيثِ، وَقَــالُوا: إِذَا كَــانَ لِلرَّجُـلِ عَلَـى آخَـرَ شَـيْءٌ فَـذَهَبَ بِـهِ , فَوَقَـعَ لَـهُ عِنْـدَهُ شَـيْءٌ، فَلَـيْسَ لَـهُ أَنْ يَحْـبِسَ عَنْهُ بِقَدْرِ مَا ذَهَبَ لَهُ عَلَيْهِ.

وَرَخَّـصَ فِيـهِ بَعْـضُ أَهْـلِ الْعِلْـمِ مِـنْ التَّـابِعِينَ، وَهُـوَ قَـوْلُ: الثَّـوْرِيِّ، وَقَـالَ: إِنْ كَـانَ لَـهُ عَلَيْـهِ دَرَاهِـمُ، فَوَقَـعَ لَـهُ عِنْـدَهُ دَنَـانِيرُ , فَلَـيْسَ لَـهُ أَنْ يَحْـبِسَ بِمَكَـانِ دَرَاهِمِـهِ , إِلَّـا أَنْ يَقَعَ عِنْدَهُ لَهُ دَرَاهِمُ , فَلَهُ حِينَئِذٍ أَنْ يَحْبِسَ مِنْ دَرَاهِمِهِ بِقَدْرِ مَا لَهُ عَلَيْهِ.

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1264).

انظــر: (الْجَــامِعُ الصَّــحِيحُ لِلسُّــنَنِ وَالْمَسَــانِيد) في (تفســير القــرآن)- ســورة (النساء)آية (58)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(10) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (87/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

يَعْنِـي:- يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، استجيبوا لأوامر الله تعالى ولا تعصوه، واستجيبوا للرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما جاء به من الحق، وأطيعوا ولاة أمركم في غير معصية الله، فإن اختلفتم في شيء بينكم، فأرجعوا الحكم فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-، إن كنتم تؤمنون حق الإيمان بالله تعالى وبيوم الحساب. ذلك الردُّ إلى الكتاب والسنة خير لكم من التنازع والقول بالرأي، وأحسن عاقبة ومآلا. (1)

* * *

يَعْنِـي:- يا أيها الذين صدَّقوا بما جاء به محمد- صلى الله عليه وسلم - أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، والذين يلون أمركم من المسلمين القائمين بالحق والعدل والمنفذين الشرع، فإن تنازعتم فى شئ فيما بينكم فاعرضوه على كتاب الله وعلى سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - لتعلموا حكمه، فإنه أنزل عليكم كتابه وبينه رسوله، وفيه الحكم فيما اختلفتم فيه، وهذا مقتضى إيمانكم بالله واليوم الآخر، وهو خير لكم، لأنكم تهتدون به إلى العدل فيما اختلفتم فيه، وهو أحسن عاقبة، لأنه يمنع الخلاف المؤدى إلى التنازع والضلال. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يأيها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرسول- وَأُولِي} ... وأصحاب.

{الْأَمْرِ} ... أَيْ: الْوُلَاة.

{مِنْكُمْ} ... إذَا أَمَرُوكُمْ بِطَاعَةِ اللَّه وَرَسُوله.

{وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} ... أي: أمراء الحق. قيل: هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر.

{وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} .... أولوا الأمر: هم الأمراء والعلماء من المسلمين.

{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ} ... فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم فى شىء من أمور الدين فردوه إلى الله ورسوله، أي فيه إلى الكتاب والسنة.

{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ} ... اخْتَلَفْتُمْ.

{تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ} ... اختلفتم فيه كل فريق يريد أن ينتزع الشيء من يد الفريق الآخر.

{فِي شَيْء فَرُدُّوهُ إلَى اللَّه} ... أَيْ إلَى كِتَابه.

{وَالرَّسُول} ... مُدَّة حَيَاته وَبَعْده إلَى سُنَّته أَيْ اكْشِفُوا عَلَيْهِ مِنْهُمَا.

{فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ} ... أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِك} ... أَيْ: الرَّدّ إلَيْهِمَا.

{ذَلِكَ} ... إشارة إلى الرد إلى الكتاب والسنة.

{خَيْر} ... لَكُمْ مِنْ التَّنَازُع وَالْقَوْل بِالرَّأْيِ.

{خَيْرٌ} ... لكم وأصلح.

{وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} ... أحسنُ عاقبةً" لأن تأويلَ الشيءِ ما يؤولُ إليه في آخرِ الأمرِ.

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (87/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (119/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{تَأْوِيلًا} ... عَاقِبَةً، وَمَآلًا.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {59} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرسول- وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرسول- إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا} .

ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول- لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية. ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله" فإن فهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما أو عمومهما" أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما.

فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها {ذَلِكَ} أي: الرد إلى الله ورسوله {خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا} فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُواْ} عُثْمَان بن طَلْحَة وَأَصْحَابه {أَطِيعُواْ الله} فِيمَا أَمركُم {وَأَطِيعُواْ الرَّسُول} فِيمَا يَأْمُركُمْ {وَأُوْلِي الْأَمر مِنْكُمْ} أُمَرَاء السَّرَايَا وَيُقَال الْعلمَاء {فَإِن تَنَازَعْتُمْ} اختلفتم {فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله} إِلَى كتاب الله {وَالرَّسُول} وَسنة الرسول- {إِن كُنتُمْ} إِذْ كُنْتُم {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخر} الْبَعْث بعد الْمَوْت {ذَلِك} الرَّد إِلَى كتاب الله وَسنة الرسول- {خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} عَاقِبَة.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرسول- وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} .

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، وأطيعوا رسوله

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (59)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (59). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة، وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته،

* * *

القول في تأويل قوله: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرسول- إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: فإن اختلفتم، أيها المؤمنون، في شيء من أمر دينكم: أنتم فيما بينكم، أو أنتم وولاة أمركم، فاشتجرتم فيه.

{فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ} يعني بذلك: فارتادوا معرفة حكم ذلك الذي اشتجرتم، أنتم بينكم، أو أنتم وأولو أمركم، فيه من عند الله، يعني بذلك: من كتاب الله، فاتبعوا ما وجدتم،

وأما قوله: {وَالرَّسُولِ}، فإنه يقول: فإن لم تجدوا إلى علم ذلك في كتاب الله سبيلا فارتادوا معرفة ذلك أيضًا من عند الرسول- إن كان حيًا، وإن كان ميتًا فمن سنته،

{إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}، يقول: افعلوا ذلك إن كنتم تصدقون بالله،

{وَالْيَوْمِ الآخِرِ}، يعني: بالمعاد الذي فيه الثواب والعقاب، فإنكم إن فعلتم ما أمرتم به من ذلك. فلكم من الله الجزيل من الثواب، وإن لم تفعلوا ذلك فلكم الأليم من العقاب.

* * *

القول في تأويل قوله: {ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا (59)}، قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {ذَلِكَ}، فردُّ ما تنازعتم فيه من شيء إلى الله والرسول، {خَيْرٌ} لكم عند الله في معادكم، وأصلح لكم في دنياكم، لأن ذلك يدعوكم إلى الألفة، وترك التنازع والفرقة، {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا}، يعني: وأحمد مَوْئلا ومغبّة، وأجمل عاقبة.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرسول- وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} اخْتَلَفُوا فِي (أُولِي الْأَمْرِ)، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَ(جَابِرٌ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: هُمُ الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ مَعَالِمَ دِينِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُ (الْحَسَنِ)، وَ(الضَّحَّاك)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسول- وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} وَقَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ):. هُمُ الْأُمَرَاءُ وَالْوُلَاةُ،

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) - رضي الله عنه. حَقٌّ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَيُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَحَقٌّ عَلَى الرعية أن يسمعوا ويطيعوا، يَعْنِي:- المراد أمراء السرايا،

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): أَرَادَ بِأُولِي الْأَمْرِ (أَبَا بَكْرٍ) وَ(عُمَرَ) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

وَقَالَ: (عَطَاءٌ): هُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} {التوبة: 100} الآية،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (59)، للإِمَام (الطبري)،

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ} أي: اختلفتم، {فِي شَيْءٍ} مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ، وَالتَّنَازُعُ: اخْتِلَافُ الْآرَاءِ وَأَصْلُهُ مِنَ النَّزْعِ فَكَأَنَّ المتنازعان يَتَجَاذَبَانِ وَيَتَمَانَعَانِ،

{فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} أيْ: إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَإِلَى رَسُوله مَا دَامَ حَيًّا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ إِلَى سُنَّته، والرَّدُّ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاجِبٌ إِنْ وُجِدَ فِيهِما، فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ فَسَبِيلُهُ الِاجْتِهَادُ.

يَعْنِي:- الرَّدُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالرسول- أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

{إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ} أَيْ: الرَّدُّ إِلَى اللَّه وَالرَّسُولِ،

{خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} {النساء: 59} أي: أحسن مآلا وعاقبة. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أحمد بن سنان، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن (أبي هريرة) في قول الله تعالى: (وأولى الأمر منكم) قال: هم الأمراء. (2)

ورجاله ثقات و(سنده صحيح).

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس) قال: قوله: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول- وأولى الأمر منكم) يعني: أهل الفقه والدين وأهل طاعة الله الذين يعلمون الناس معاني دينهم ويأمرونهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فأوجب الله سبحانه طاعتهم على العباد. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول- إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية، أمر الله في هذه الآية الكريمة، بأن كل شيء تنازع فيه الناس من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع إلى كتاب الله وسنة نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لأنه تعالى قال: (من يطع الرسول- فقد أطاع الله) وأوضح هذا المأمور به هنا بقوله: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) الآية. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول} يقول: ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله {إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر}. (5)

* * *

قوله تعالى: (ذلك خير وأحسن تأويلا)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (59).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (59).

(3) انظر: الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) - من سورة (النساء)- الآية (59).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (123/1).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (59).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (59).

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): (وأحسن تأويلا)، قال: أحسن جزاء.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا حجّاج بن محمد، عن ابن جريج، عن يعلى بن مسلم، عن (سعيد بن جبير)، عن (ابن عباس) –رضي الله عنهما– (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول– وأولى الأمر منكم) قال: نزلت في عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في سرية.(2)(3)

* * *

قال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {أُولِي الْأَمْرِ} : ذوي الأَمْرِ.(4)

* * *

قال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا محمد بن أبان، حدثنا غندر، عن شعبة، عن أبي التياح أنه سمع (أنس بن مالك) قال: قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لأبي ذر: ((اسمع وأطع ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة)).(5)

* * *

قال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن (علي) – رضي الله عنه – قال: بعث النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سرية وأمّر عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم نارا ثم دخلتم فيها. فجمعوا حطبا فأوقدوا نارا، فلما همّوا بالدخول فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض فقال بعضهم: إنما تبعنا النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فراراً من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر للنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال: ((لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف)).(6)(7)

* * *

قال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- عن (أبي هريرة) –رضي الله عنه– قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شاة فيها سم، فقال: النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود، فجمعوا له، فقال: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (59).

(2) (صَحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (8/101-102)، (ح 4584) – (كتاب: تفسير القرآن)، (سورة النساء)،.

(3) (صَحيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (3/1465)، (ح 1834) – (كتاب: الإمارة)، / باب: (وجوب طاعة الأمراء).

(4) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخاري) في تفسير سورة (النساء) الآية (59). برقم (ج 6/ ص 48).

(5) (صَحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (2/696)، (ح 696) – (كتاب: الأذان)، / باب: (إمامة المفتون والمبتدع).

(6) (صَحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (13/130)، (ح 7145) – (كتاب: الأحكام)، / باب: (السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية).

(7) (صَحيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (3/1469)، (ح 1840) – (كتاب: الأمارة)، / باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية).

عنه؟ فقالوا: نعم. قال لهم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: من أبوكم؟ قالوا: فلان. فقال: كذبتم، بل أبوكم فلان. قالوا: صدقت. قال: فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال لهم: من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها. فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا. ثم قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سما؟ قالوا: نعم.

قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن عبيد الله، عن نافع، عن (ابن عمر)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره. إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)). (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن يحيى بن سعيد قال أخبرني عُبادة بن الوليد أخبرني أبي عن (عُبادة بن الصامت) قال: ((بايعنا رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم -أو نقول- بالحق حيثما كنا ولا نخاف في الله لومة لائم)). (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- حدثنا أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم العدل ببغداد، ثنا أبو الأحوص محمد بن الهيثم القاضي. وحدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد العنبري من أصل كتابه وسأله عنه أبو علي الحافظ ثنا عثمان بن سعيد الدارمي (قالا) ثنا نعيم بن حماد، ثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن الزهرى، عن (محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه)، (جبير) قال: قام رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالخيف فقال: ((نَضَّر الله عبداً سمع مقالتى فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والطاعة لذوي الأمر، ولزوم جماعة

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3169)- ((كتاب: الجزية والموادعة)- / باب: (إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم؟) .

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1469/3)، (ح 1839) - (كتاب: الأمارة)، / باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) .

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (204/13)، (ح 7199، 7200)- (كتاب: الأحكام)، / باب: (كيف يبايع الإمامُالناس) .

(صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1470/3)، (ح 41) - ((كتاب: الإمارة)، / باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) .

المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)).(1)

* * *

قال : الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرسول- وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرسول- إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا (59)}

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَعْوَرِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرسول- وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ} قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ إِذْ بَعَثَهُ رسول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَرِيَّةٍ.(2)

وَهَكَذَا أخرجه بَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ إِلَا الإمام (ابْنَ مَاجَهْ) مِنْ حَدِيثِ حَجَّاجِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَعْوَرِ، بِهِ.

وَقَالَ: الإمام (التِّرْمِذِيُّ): حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَلاَ نَعْرِفُهُ إِلاَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ.(3)

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ): حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ (عَلِيٍّ) قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَرِيَّةً، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا خَرَجُوا وَجَدَ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ. قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطَبًا. ثُمَّ دَعَا بِنَارٍ فَأَضْرَمَهَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَتَدْخُلُنَّهَا. قَالَ: فَهَمَّ الْقَوْمُ أَنْ يَدْخُلُوهَا قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ شَابٌّ مِنْهُمْ: إِنَّمَا فَرَرْتُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ النَّارِ، فَلاَ تَعْجَلُوا حَتَّى تَلْقَوْا رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَإِنَّ أَمَرَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوهَا فَادْخُلُوهَا. قَالَ: فَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ: ((لَوْ دَخَلْتُمُوهَا مَا خَرَجْتُمْ مِنْهَا أَبَدًا" إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)).(4) أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ، بِهِ.(5)

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1/86-87)- (كتاب : العلم)، وقال: (حديث صحيح على شرط الشيخين)، قاعدة من قواعد أصحاب الروايات، ولم يخرجاه .. ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).

والحديث عند ا الإِمَامْ (لطبراني) في (الكبير) برقم (2/127) وبرقم (1544) من هذا الوجه.

قال: الإِمَامْ (الهيثمي) في (المجمع) برقم (1/139) : (رجاله موثقون).

وقال: الإِمَامْ (الألباني): (إسناد حسن) في (صحيح الترغيب) برقم (1/42).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 70-71)،

(2) (متفق عليه) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4584) – ((كتاب : تفسير القرآن)،

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1834) – ((كتاب : الإمارة).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (أبي داود) في (السنن) برقم (2624)،

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1672)

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (7/ 154).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (1/82).

(5) (متفق عليه) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7145) – ((كتاب : الأحكام)، وأيضا برقم (4340)،

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1840) – ((كتاب : الإمارة).

وَقَالَ:الإمام (أَبُو دَاوُدَ): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ، عَنْ (عَبْدِ الله بنِ عمر)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)).[1][2]

وَأَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى الْقَطَّانِ.

وَعَنْ (عُبَادَةَ بْنِ الصَّامتِ) قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: ((إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ))[3] أَخْرَجَاهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ، عَنْ (أَنَسٍ): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ)).[4] رَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ).

وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: (أَوْصَانِي خَلِيلِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ).[5] رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ).

وَعَنْ (أُمِّ الْحُصَيْنِ) أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ: ((وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ[6] يَقُودُكُمْ يَقُودُكُمْ[6] بِكِتَابِ اللَّهِ، اسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا))[7] رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ)
وَفِي لَفْظٍ لَهُ: ((عَبْدًا حَبَشِيًّا مَجْدُوعًا)).

وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: ((أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ))[8] أَخْرَجَاهُ.

وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ"

---

(1) (صحيح) :أخرجه الإِمَامْ (أبي داود) في (سننه) برقم (2626)،
(2) (متفق عليه) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2955) – ((كتاب : الجهاد والسير))،
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1839) – ((كتاب : الإمارة)).
(3) (متفق عليه) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5076) – ((كتاب : الفتن))،
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1709) – ((كتاب : الإمارة)).
(4) (صحيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (693) – ((كتاب : الأذان)).
(5) (صحيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1837) – ((كتاب : الإمارة)).- مِنْ حَدِيثِ - (أَبِي ذَرٍ الْغِفَارِيِّ)- رَضِيَ اللَّهُ عنه، وليس من حديث (أبي هريرة).
(6) في أ: "عبد حبشي".
(7) (صحيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1298) – ((كتاب : الحج)).
(8) (متفق عليه) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3455) – (كتاب أحاديث الأنبياء).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1842) – ((كتاب : الإمارة)).

فَإِنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)). [1] أخرجاه.

وَعَنْ (ابْنِ عُمَرَ) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)). [2] رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ).

وَرَوَى الإِمَامِ (مُسْلِمٌ) أَيْضًا، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ) جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِه إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ. فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِه وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ". قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ، وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} {النِّسَاء:29} قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْصِه فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ [3]. وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاس): {وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ} يَعْنِي: أَهْلَ الْفِقْهِ وَالدِّينِ.

وَكَذَا قَالَ: (مُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ):

{وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ} يَعْنِي: الْعُلَمَاءُ. وَالظَّاهِرُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-أَنَّ الْآيَةَ فِي جَمِيعِ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، كَمَا تَقَدَّمَ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ} {الْمَائِدَة:63}.

---

(1) (متفق عليه) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7053)-(كتاب : الفتن).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1749)-((كتاب : الإمارة).

(2) (صحيح) : أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1851).

(3) (صحيح) : أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1844)- ((كتاب : الإمارة).

وَقَالَ تَعَالَى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} {النَّحل:43}.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَا اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَا أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي)).

فَهَذِهِ أَوَامِرُ بِطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {أَطِيعُوا اللَّهَ} أَيْ: اتَّبِعُوا كِتَابَهُ {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} أَيْ: خُذُوا بِسُنَّتِهِ {وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} أَيْ: فِيمَا أَمَرُوكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ لاَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ،

كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: ((إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)).

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا هُمَامٌ، حَدَّثَنَا (قَتَادَةُ)، عَنْ أَبِي مرابة، عَنْ (عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ)) (1).

وَقَوْلُهُ: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَيْ: إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.

وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ تَنَازَعَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ أَنْ يَرُدَّ التَّنَازُعَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} {الشُّورَى:10} فَمَا حَكَمَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ وَشَهِدَا لَهُ بِالصِّحَّةِ فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَ الضَّلاَلُ،

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} أَيْ: ردوا الخصومات والجهالات إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، فَتَحَاكَمُوا إِلَيهِمَا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَكُمْ {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَحَاكَمْ فِي مَجَالِ النِّزَاعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلاَ يَرْجِعْ إِلَيهِمَا فِي ذَلِكَ، فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ.

وَقَوْلُهُ: {ذَلِكَ خَيْرٌ} أَيِ: التَّحَاكُمُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ. وَالرُّجُوعُ فِي فَصْلِ النِّزَاعِ إِلَيهِمَا خَيْرٌ

{وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا} أَيْ: وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمَآلًا كَمَا قَالَهُ السُّدِّيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): وَأَحْسَنُ جَزَاءً. وَهُوَ قَرِيبٌ. (2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

- مـن أعظـم أسـباب كفـر أهـل الكتـاب حسـدهم المـؤمنين علـى مـا أنعـم الله بـه علـيهم مـن النبـوة والتمكين في الأرض.
- الأمـر بمكـارم الأخـلاق مـن المحافظـة علـى الأمانات، والحكم بالعدل.

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2957) – (كتاب: الجهاد والسير).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (1835) – ((كتاب: الإمارة).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (59)، للإِمَامُ (ابن كثير).

• وجوب طاعة ولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية، والرجوع عند التنازع إلى حكم الله ورسوله تحقيقًا لمعنى الإيمان.(1)

* * *

[٦٠] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ألم تر أيها الرسول - ﷺ - تناقض المنافقين من اليهود الذين يدعون كذبًا أنهم آمنوا بما أُنزل عليك وما أُنزل على الرسل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا في نزاعاتهم إلى غير شرع الله مما وضعه البشر، وقد أُمروا أن يكفروا بذلك. ويريد الشيطان أن يبعدهم عن الحق إبعادًا شديدًا لا يهتدون معه.(2)

* * *

يَعْني:- ألم تعلم أيها الرسول - ﷺ - أمر أولئك المنافقين الذين يدَّعون الإيمان بما أُنزل إليك -وهو القرآن- وبما أُنزل إلى الرسل من قبلك، وهم يريدون أن يتحاكموا في فَصْل الخصومات بينهم إلى غير ما شرع الله من الباطل، وقد أُمروا أن يكفروا بالباطل؟ ويريد الشيطان أن يبعدهم عن طريق الحق، بعدًا شديدًا. وفي هذه الآية دليل على أن الإيمان الصادق، يقتضي الانقياد لشرع الله، والحكم به في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في زعمه.(3)

* * *

يَعْني:- ألا تعجب - أيها النبي ﷺ - من الذين يدَّعون أنهم صدَّقوا بما أُنزل عليك من الكتاب وما أُنزل من قبلك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصوماتهم إلى ما فيه الضلال والفساد وحكم غير الله، وقد أمرهم الله أن يجحدوه ولا يتحاكموا إليه،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (87/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (88/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

ويريد الشيطان أن يصدَّهم عن طريق الحق والهدى، فيضلهم عنه ضلالاً بعيداً.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

وَنَزَلَ لَمَّا اخْتَصَمَ يَهُودِيّ وَمُنَافِق فَدَعَا الْمُنَافِق إِلَى كَعْب بْن الْأَشْرَف لِيَحْكُم بَيْنَهمَا وَدَعَا الْيَهُودِيّ إِلَى النَّبِيّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَيَاهُ فَقَضَى لِلْيَهُودِيِّ فَلَمْ يَرْضَ الْمُنَافِق وَأَتَيَا عُمَر فَذَكَرَ اليهودي ذلك فقال للمنافق كذلك قَالَ نَعَمْ فَقَتَلَهُ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْك وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلك يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوت} الْكَثِير الطُّغْيَان وَهُوَ (كَعْب بْن الْأَشْرَف).(2)

{وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} ... وَلَا يُوَالُوهُ .

{وَيُرِيد الشَّيْطَان أَنْ يُضِلّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} ... عَنْ الحق.

{يَزْعُمُونَ} ... يقولون كاذبين.

{بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} ... القرآن، وما أنزل من قبلك: التوراة.

{الطَّاغُوت} ... الْبَاطِلِ الَّذِي لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ.

الطَّاغُوت (كعب بن الأشرف)، سماه الله طاغوتا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم-.

أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه. أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم على- التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان.

فقد روى أن بشرا المنافق خاصم يهوديا، فدعاه اليهودي إلى رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم- ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم إنهما احتكما إلى رسول الله- صلّى الله عليه وآله وسلم-، فقضى لليهودى، فلم يرض المنافق وقال: تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب، فقال اليهودي لعمر: قضى لنا رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم- فلم يرض بقضائه. فقال للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما. فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد. ثم قال: هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله -صلّى الله عليه وآله وسلم-.(3)

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

وقال: الْإِمَامُ (الْبُخَارِي) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ: (جَابِرٌ): كَانَتْ الطَّوَاغِيتُ الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا: فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدٌ، وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ.

وَقَالَ: (عُمَرُ): الجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): الجِبْتُ بِلِسَانِ الحَبَشَةِ: شَيْطَانٌ، وَالطَّاغُوتُ: الكَاهِنُ.(4)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (119/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تفسير الجلالين) في سورة (النساء) الآية (60).

(3) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (60)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(4) انظر: صحيح الْإِمَامُ (الْبُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (60). برقم (ج 6/ ص 45).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- يعجب تعالى عباده من حالة المنافقين. {60} {الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ} مؤمنون بما جاء به الرسول- وبما قبله، ومع هذا. {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} وهو كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت. والحال أنهم {قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} فكيف يجتمع هذا والإيمان؟ فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور، فمَنْ زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك. وهذا من إضلال الشيطان إياهم، ولهذا قال: {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا} عن الحق.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {أَلَمْ تَرَ} ألم تخبر يَا مُحَمَّد {إِلَى الَّذِين} عَن الَّذين {يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ} يَعْنِي الْقُرْآن، {وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ} يَعْنِي التَّوْرَاة {يُرِيدُونَ} عِنْد الْخُصُومَة {أَن يتحاكموا إِلَى الطاغوت} إِلَى كَعْب بن الْأَشْرَف {وَقَدْ أمروا} فِي الْقُرْآن {أَن يكفروا بِهِ} ان يتبرءوا مِنْهُ {وَيُرِيدُ الشَّيْطَان أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً} عَن الْحق وَالْهدى نزلت فِي رجل من الْمُنَافِقين يُسمى بشرا الَّذِي قَتله عمر بن الْخطاب كَانَ لَهُ خُصُومَة مَعَ رجل من الْيَهُود.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-
القول في تأويل قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيداً (60)}

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: {أَلَمْ تَرَ}، يا محمد، بقلبك، فتعلم = إلى الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت = يعني إلى: من يعظمونه، ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله،

{وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ}، يقول: وقد أمرهم الله أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوتُ الذي يتحاكون إليه، فتركوا أمرَ الله واتبعوا أمر الشيطان.

{وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا}، يعني: أن الشيطان يريد أن يصدَّ هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى، فيضلهم عنها ضلالا بعيدًا = يعني: فيجور بهم عنها جورًا شديدًا .

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين دعا رجلا من اليهود في خصومة

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (60)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (60). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

كانت بينهما إلى بعض الكهان، ليحكم بينهم، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أظهرهم.(1)

* * *

قال : الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزلَ اللَّهُ وَإِلَى الرسول- رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61)} هَذَا إِنْكَارٌ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى مَنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُرِيدُ التَّحَاكُمَ فِي فَصْلِ الْخُصُومَاتِ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، كَمَا ذُكِرَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّهَا فِي رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ تَخَاصَمَا، فَجَعَلَ الْيَهُودِيُّ يَقُولُ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ مُحَمَّدٌ. وَذَاكَ يَقُولُ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ.

يَعْنِي:- فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، مِمَّنْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ، أَرَادُوا أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى حُكَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَالْآيَةُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهَا ذَامَّةٌ لِمَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَحَاكَمُوا إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالطَّاغُوتِ هَاهُنَا" وَلِهَذَا قَالَ: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزلَ اللَّهُ وَإِلَى الرسول- رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا}.(2)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره) = (معالم التنزيل في تفسير القرآن) -: قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} {النساء: 60} الْآيَةَ، قَالَ: (الشَّعْبِيُّ): كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ وَرَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ خُصُومَةٌ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ وَلَا يَمِيلُ فِي الْحُكْمِ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ وَيَمِيلُونَ فِي الْحُكْمِ، فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، {وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} {النساء: 60}.(3)

* * *

قال: الإمامُ (ابنُ أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) -عن (محمد بن إسحاق) - عن (ابن عباس):قال: كان الجلاس بن الصامت قبل توبته فيما بلغني،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (60)، لِلْإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (60)، لِلْإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (60).

ومعتب بن قشير، ورافع بن زيد، وبشير كانوا يدّعون الإسلام، فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فدعوهم إلى الكهان حكام الجاهلية، فأنزل الله تعالى فيهم {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا (60)}. (1)

* * *

قال: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا محمد بن عوف الحمصي، ثنا أبو اليمان، ثنا صفوان يعني ابن عمرو، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) قال: كان أبو بردة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود، فتنافروا إليه أناس من أسلم من اليهود فأنزل الله تعالى: ({أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (مجاهد) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- أنبأ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثنا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: نا آدَمُ، قَالَ: نا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ (مُجَاهِدٍ)، قَالَ: تَنَازَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى مُحَمَّدٍ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى (كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ) فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} {النساء: 60} (وَهُوَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ). (3)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً (60) وإذا قيل لهم تعالوا إلى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرسول - رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (61)}

رَوَى (يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ) عَنْ (دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ) قَالَ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَدَعَا الْيَهُودِيُّ الْمُنَافِقَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ. وَدَعَا الْمُنَافِقُ الْيَهُودِيَّ إِلَى حُكَّامِهِمْ، لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ في أحكامهم، فلما اختلفا اجْتَمَعَا عَلَى أَنْ يُحَكِّمَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} يَعْنِي الْمُنَافِقَ.

(وما أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) يَعْنِي الْيَهُودِيَّ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (60).

(2) انظر: الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) من سورة (النساء)- الآية (60).

(ورجاله ثقات وإسناده صحيح)، و(صححه) الإمام (السيوطي) في (الدر المنثور) برقم (2/178).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 72)، الطبعة: الأولى.

(3) انظر: (تفسير مجاهد) برقم (1/ 285) في سورة (النساء) - الآية (60)، للإِمَامُ: (أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)،

(يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) إِلَى قَوْلِهِ: (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)، وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): دَعَا الْيَهُودِيُّ الْمُنَافِقَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَدَعَاهُ الْمُنَافِقُ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَهُوَ (الطَّاغُوت).

وَرَوَاهُ (أَبُو صَالِحٍ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ- يُقَالُ لَهُ بِشْرٌ- وَبَيْنَ يَهُودِيٍّ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى مُحَمَّدٍ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: بَلْ إِلَى (كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ) - وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ.

(الطَّاغُوت) أَيْ: ذُو الطُّغْيَانِ- فَأَبَى الْيَهُودِيُّ أَنْ يُخَاصِمَهُ إِلَّا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُنَافِقُ أَتَى مَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَضَى لِلْيَهُودِيِّ.

فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ الْمُنَافِقُ: لَا أَرْضَى، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَحَكَمَ لِلْيَهُودِيِّ فَلَمْ يَرْضَ- ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ- وَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى عُمَرَ فَأَقْبَلَا عَلَى عُمَرَ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّا صِرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يَرْضَ، فَقَالَ عُمَرُ لِلْمُنَافِقِ: أَكَذَلِكَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: رُوَيْدَ كَمَا حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْكُمَا. فَدَخَلَ وَأَخَذَ السَّيْفَ ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الْمُنَافِقَ حَتَّى بَرَدَ ، وَقَالَ: هَكَذَا أَقْضِي عَلَى مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَضَاءِ رَسُولِهِ، وَهَرَبَ الْيَهُودِيُّ، وَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

وَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَنْتَ الْفَارُوقُ). وَنَزَلَ جِبْرِيلُ، وَقَالَ: إِنَّ عُمَرَ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَسُمِّيَ الْفَارُوقُ. وَفِي ذَلِكَ نَزَلَتِ الْآيَاتُ كُلُّهَا إِلَى قَوْلِهِ: (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) النساء: وَانْتَصَبَ: (ضَلَالًا) عَلَى الْمَعْنَى، أَيْ فَيَضِلُّونَ ضَلَالًا، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً). وقد تقدم هذا المعنى مستوفى. و (صُدُوداً) اسْمٌ لِلْمَصْدَرِ عِنْدَ الْخَلِيلِ، وَالْمَصْدَرُ الصَّدُّ. والكوفيون يقولون: هما مصدران. (1)

* * *

[٦١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرسول- رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى ما أنزل الله في كتابه من الحكم، وإلى الرسول- ليحكم بينكم في خصامكم، رأيتهم أيها الرسول- ﷺ - يعرضون عنك إلى التحاكم إلى غيرك إعراضًا تامًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإذا نُصح هؤلاء، وقيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول- محمد - صلى الله عليه وسلم-، وهديه، أبصَرْتَ الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، يعرضون عنك إعراضًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإذا قيل لهم أقبلوا على ما أنزل الله من قرآن وشريعة، وعلى رسوله ليبين

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (60)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (88/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

لكم، رأيت الذين ينافقون يُعرضون عنك إعراضاً شديداً.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} : أي: إذا قيل لهم: أقبلوا على ما أنزل من قرآن وشريعة، وعلى رسوله -صلّى الله عليه وآله وسلم - ليبين لكم، رأيت الذين ينافقون يعرضون عنك إعراضا شديدا.

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّه}... في الْقُرْآنِ مِنْ الْحُكْم.

{وَإِلَى الرَّسُول} ... لِيَحْكُم بَيْنكُم.

{رَأَيْت الْمُنَافِقِين يَصُدُّونَ} ... يَعْرِضُونَ.

{الْمُنَافِقِينَ} ... جمع منافق: وهو من يبطن الكفر، ويظهر الإيمان خوفاً من المسلمين.

{عَنْك} ... إلى غيرك.

{يَصُدُّونَ} ... يعرضون عنك ويصرفون غيرهم كذلك.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ : {يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا} أَيْ: يُعْرِضُونَ عَنْكَ إِعْرَاضًا كَالْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنِ الْمُشْرِكِينَ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} {لُقْمَانَ:21} . هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {النُّور: 51} .(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} لحاطب بن أبي بلتعة الْمُنَافِق الَّذِي كَانَ لَهُ خُصُومَة مَعَ الزبير بن الْعَوام ابْن عمَّة النَّبِي – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- {تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ الله} إِلَى حكم مَا أنزل الله فِي الْقُرْآن {وَإِلَى الرَّسُول} إِلَى حكم الرسول- {رَأَيْتَ الْمُنَافِقين} يَعْنِي حَاطِب بن أبي بلتعة {يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً} يعرضون عَن حكمك إعْرَاضًا مَعَه إِلَى الشدق.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرسول- رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ألم تر، يا محمد، إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك من المنافقين، وإلى الذي يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من أهل الكتاب، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت؟، {وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله} ، يعني بذلك: {وإذا قيل لهم تعالوا} ، هلمُّوا إلى حكم الله الذي أنزله في كتابه، وإلى الرسول- ليحكم بيننا ، {رأيت المنافقين يصدون عنك} ، يعني بذلك:

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (119/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: من سورة (النساء) الآية (61)، (تفسير القرآن العظيم) للإِمَامْ (ابن كثير)

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (61). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

يمتنعون من المصير إليك لتحكم بينهم، ويمنعون من المصير إليك كذلك غيرهم {صدودًا}.(1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {61} {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرسول- رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا} {النساء: 61} أَيْ: يُعْرِضُونَ عَنْكَ إِعْرَاضًا.(2)

* * *

[٦٢] ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فكيف يكون حال المنافقين إذا حدثت لهم مصائب بسبب ما ارتكبوه من الذنوب، ثم جاؤوك أيها الرسول- ﷺ - معتذرين إليك يحلفون بالله: ما قصدنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الإحسان والتوفيق بين المتنازعين؟! وهم كاذبون في ذلك" فإن الإحسان هو في تحكيم شرع الله على عباده.(3)

* * *

يَعْنِي:- فكيف يكون حال أولئك المنافقين، إذا حلَّت بهم مصيبة بسبب ما اقترفوه بأيديهم، ثم جاؤوك أيها الرسول- ﷺ - يعتذرون، ويؤكدون لك أنهم ما قصدوا بأعمالهم تلك إلا الإحسان والتوفيق بين الخصوم؟.(4)

* * *

يَعْنِي:- فكيف تكون الحال إذا نزلت بهم نازلة بسبب خبث نفوسهم وسوء أعمالهم، ولم يجدوا ملجأً إلا إليك، فجاءوك يقسمون بالله بين يديك أنهم لا يريدون بأقوالهم وتصرفاتهم إلا الإحسان وطلب التوفيق.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَكَيْفَ} ... يَصْنَعُونَ.

{فَكَيْفَ} ... أي: يكون حالهم، وكيف يصنعون. يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يؤدونه.

{إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ} ... عُقُوبَة.

{إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ} ... بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك في الحكم.

{بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} ... مِنْ الْكُفْر وَالْمَعَاصِي، أَيْ أَيَقْدِرُونَ عَلَى الْإِعْرَاض وَالْفِرَار مِنْهَا لَا.

{ثُمَّ جَاءُوكَ} ... مَعْطُوف عَلَى يَصُدُّونَ.

{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ} مَا.

{أَرَدْنَا} ... بِالْمُحَاكَمَةِ إلَى غَيْرك.

{إِلَّا إِحْسَانًا} ... صُلْحًا.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (61)، للإمامْ (الطبري).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (61).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (88/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (119/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَتَوْفِيقًا} ... تَأْلِيفًا بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ بِالتَّقْرِيبِ فِي الْحُكْمِ دُونَ الْحَمْلِ عَلَى مُرِّ الْحَقِّ

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {فَكَيْفَ} يكون حال هؤلاء الضالين {إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} من المعاصي ومنها تحكيم الطاغوت؟!، {ثُمَّ جَاءُوكَ} معتذرين لما صدر منهم، ويقولون: {إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا} أي: ما قصدنا في ذلك إلا الإحسان إلى المتخاصمين والتوفيق بينهم، وهم كَذَبَة في ذلك. فإن الإحسان كل الإحسان تحكيم الله ورسوله {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} .(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- فَقَالَ {فَكَيْفَ} يصنعون على وجه التَّعَجُّب {إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ} عُقُوبَة {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} بلي الشدق {ثُمَّ جاؤوك} بعد ذلك {يحلفُونَ بِاللَّهِ} يَعْنِي حَاطِبًا حلف بِاللَّه {إِنْ أَرَدْنَآ} مَا أردنَا بلي الشدق {إِلاَّ إِحْسَاناً} فِي الْكَلَام {وَتَوْفِيقاً} صَوَابا.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62)}.

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: فكيف بهؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وهم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك،

{إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ}. يعني: إذا نزلت بهم نقمة من الله ،

{بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ}.، يعني: بذنوبهم التي سلفت منهم،

{ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ}.، يقول: ثم جاؤوك يحلفون بالله كذبًا وزورًا،

{إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا}. وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين أنهم لا يردعهم عن النفاق العبر والنِّقم، وأنهم إن تأتهم عقوبة من الله على تحاكمهم إلى الطاغوت لم ينيبوا ولم يتوبوا، ولكنهم يحلفون بالله كذبًا وجرأة على الله: ما أردنا باحتكامنا إليه إلا الإحسان من بعضنا إلى بعض، والصوابَ فيما احتكمنا فيه إليه.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِي ذَمِّ الْمُنَافِقِينَ: {فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} أَيْ: فَكَيْفَ بِهِمْ إِذَا سَاقَتْهُمُ الْمَقَادِيرُ إِلَيْكَ فِي مَصَائِبَ تَطْرُقُهُمْ بِسَبَبِ ذنوبهم واحتاجوا إليك في ذلك،

{ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا} أَيْ: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكَ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (62)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (62). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (62)، للإمَام (الطبري)،

وَيَحْلِفُونَ: مَا أَرَدْنَا بِذَهَابِنَا إِلَى غَيْرِك، وَتَحَاكُمِنَا إِلَى عَدَاكَ إلا الْإِحْسَانَ وَالتَّوْفِيقَ، أَيْ: الْمُدَارَاةَ وَالْمُصَانَعَةَ، لا اعْتِقَادًا مِنَّا صِحَّةَ تِلْكَ الْحُكُومَةِ، كَمَا أَخْبَرَنَا تَعَالَى عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} {الْمَائِدَة:52} (1)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {62} {فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ} {النساء: 62} هَذَا وَعِيدٌ، أَيْ: فَكَيْفَ يَصْنَعُونَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ، {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} يَعْنِي: عُقُوبَةَ صُدُودِهِمْ، يَعْنِي:- هِيَ كُلُّ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ جَمِيعَ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَمَّ الْكَلَامُ هَاهُنَا، ثُمَّ عَادَ الْكَلَامُ إِلَى مَا سَبَقَ، يُخْبِرُ عَنْ فِعْلِهِمْ فَقَالَ: {ثُمَّ جَاءُوكَ} يَعْنِي: يَتَحَاكَمُونَ إِلَى الطَّاغُوتِ، {ثُمَّ جَاءُوكَ} أي: يجيئونك يحلفون {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا} ما أردنا بالعدل عنه في المحاكمة {إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا} قَالَ: (الْكَلْبِيُّ): إِلَّا إِحْسَانًا فِي الْقَوْلِ، وَتَوْفِيقًا: صَوَابًا، وَقَالَ: (ابْنُ كَيْسَانَ): حَقًّا وَعَدْلًا، نَظِيرُهُ: {وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى} {التوبة: 107} يَعْنِي:- هُوَ إِحْسَانُ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ،

يَعْنِي:- هُوَ تَقْرِيبُ الْأَمْرِ مِنَ الْحَقِّ، لَا الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِ الْحُكْمِ، وَالتَّوْفِيقُ: هُوَ مُوَافَقَةُ الْحَقِّ،

يَعْنِي:- هُوَ التَّأْلِيفُ وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ. (2)

* * *

قَال: الإِمَام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- أَيْ (فَكَيْفَ) يَكُونُ حَالُهُمْ، أَوْ (فَكَيْفَ) يَصْنَعُونَ (إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ) أَيْ مِنْ تَرْكِ بِهِمْ، وَمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الذُّلِّ فِي قَوْلِهِ: (فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا).

يَعْنِي:- يُرِيدُ قَتْلَ صَاحِبِهِمْ (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) وتم الكلام. ثم ابتدأ يُخْبِرُ عَنْ فِعْلِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ لَمَّا قَتَلَ صَاحِبَهُمْ جَاءَ قَوْمُهُ يَطْلُبُونَ دِيَتَهُ وَيَحْلِفُونَ مَا نُرِيدُ بِطَلَبِ دِيَتِهِ إِلَّا الْإِحْسَانَ وَمُوَافَقَةَ الْحَقِّ.

يَعْنِي:- الْمَعْنَى مَا أَرَدْنَا بِالْعُدُولِ عَنْكَ فِي الْمُحَاكَمَةِ إِلَّا التَّوْفِيقَ بَيْنَ الْخُصُومِ، وَالْإِحْسَانَ بالتقريب في الحكم. (ابْنُ كَيْسَانَ): عَدْلًا وَحَقًّا، نَظِيرُهَا (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى) فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُكَذِّبًا لَهُمْ: (أُولئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ).

قَالَ: (الزَّجَّاجُ): مَعْنَاهُ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ. وَالْفَائِدَةُ لَنَا: اعْلَمُوا أَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ. (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) قِيلَ: عقابهم.

يَعْنِي:- عَنْ قبول اعتذارهم (عِظْهُمْ) أَيْ خَوِّفْهُمْ. قِيلَ: فِي الْمَلَأِ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (62)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (62).

(وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) أي ازْجُرْهُمْ بِأَبْلَغِ الزَّجْرِ فِي السِّرِّ وَالْخَلَاءِ. (الْحَسَنُ): قُلْ لَهُمْ إِنْ أَظْهَرْتُمْ مَا فِي قُلُوبِكُمْ قَتَلْتُكُمْ. وَقَدْ بَلَغَ الْقَوْلُ بَلَاغَةً، وَرَجُلٌ بَلِيغٌ يَبْلُغُ بِلِسَانِهِ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَحْمَقُ بَلْغٌ وَبِلْغٌ، أَيْ نِهَايَةٌ فِي الْحَمَاقَةِ. يَعْنِي:- مَعْنَاهُ يَبْلُغُ مَا يُرِيدُ وَإِنْ كَانَ أَحْمَقَ. وَيُقَالُ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) نَزَلَ فِي شَأْنِ الَّذِينَ بَنَوْا مَسْجِدَ الضِّرَارِ، فَلَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ نِفَاقَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ حَلَفُوا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دِفَاعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ: مَا أَرَدْنَا بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ إِلَّا طَاعَةَ اللَّهِ وموافقة الكتاب. (1)

* * *

[٦٣] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولئك الذين يعلم الله ما يضمرون في قلوبهم من النفاق والقصد الرديء، فاتركهم أيها الرسول- وأعرض عنهم، وبيِّن لهم حكم الله مرغبًا ومرهِّبًا وقل لهم قولًا بالغًا بلوغًا شديدًا متغلغلًا في نفوسهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- أولئك هم الذين يعلم الله حقيقة ما في قلوبهم من النفاق، فتولَّ عنهم، وحذِّرهم من سوء ما هم عليه، وقل لهم قولا مؤثرا فيهم زاجرا لهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- أولئك الذين يقسمون أنهم لا يريدون إلا الإحسان والعمل الموفق، يعلم الله حقيقة ما فى قلوبهم وكذب قولهم، فلا تلتفت إلى كلامهم وادعهم إلى الحق بالموعظة الحسنة، وقل لهم قولاً حكيماً بالغاً يصل إلى أعماق نفوسهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} ... مِنْ النِّفَاق وَكَذِبهمْ فِي عُذْرهمْ.

{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} ... بِالصَّفْحِ.

{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} ... لا تعاقبهم لمصلحة استبقائهم. (أي: اصفح عنهم فلا تؤاخذهم).

{وَعِظْهُمْ} ... مرهم بما ينبغي لهم ويجب عليهم.

{وَعِظْهُمْ} ... ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه.

{وَعِظْهُمْ} ... خَوِّفْهُمْ اللَّه.

{وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} ... بالغ فى وعظهم بالتخفيف والإنذار. والجار والمجرور فِي أَنْفُسِهِمْ متعلق بقوله بَلِيغاً أي قل لهم قولا بليغا فى أنفسهم مؤثرا فى قلوبهم يغتمون به اغتماما، ويستشعرون منه الخوف استشعارا.

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (62)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (86/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (85/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (120/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَقُلْ لَهُمْ فِي} ... شَأْن.
{أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} ... مُؤَثِّرًا فِيهِمْ أَيْ أَزْجُرْهُمْ لِيَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ
{قَوْلًا بَلِيغًا} ... كَلَامًا قَوِيًّا يَبْلُغُ شَغَافَ قلوبهم لِبَلَاغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قَالَ : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} أَيْ: هَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ هُمُ الْمُنَافِقُونَ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فَاكْتَفِ بِهِ يَا مُحَمَّدُ فِيهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِظَوَاهِرِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ" وَلِهَذَا قَالَ لَهُ: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} أَيْ: لَا تُعَنِّفْهُمْ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ {وَعِظْهُمْ} أَيْ: وَانْهَهُمْ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ وَسَرَائِرِ الشَّرِّ. {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} أَيْ: وَانْصَحْهُمْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ بِكَلَامٍ بَلِيغٍ رَادِعٍ لَهُمْ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ولهذا قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} أي: من النفاق والقصد السيئ. {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} أي: لا تبال بهم ولا تقابلهم على ما فعلوه واقترفوه. {وَعِظْهُمْ} أي: بين لهم حكم الله تعالى مع الترغيب في الانقياد لله، والترهيب من تركه {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} أي: انصحهم سرا بينك وبينهم، فإنه أنجح لحصول المقصود، وبالغ في زجرهم وقمعهم عمَّا كانوا عليه، وفي هذا دليل على أن مقترف المعاصي وإن أعرض عنه فإنه ينصح سراً، ويبالغ في وعظه بما يظن حصول المقصود به (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {أُولَئِكَ الَّذين} يَعْنِي الَّذِي لوى شدقه على النَّبِي – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم.
{يَعْلَمُ الله مَا فِي قُلُوبِهِمْ} يَعْنِي مَا فِي قلبه من النِّفَاق وَهُوَ حَاطِب بن أبي بلتعة وَيُقَال فَكيف يصنعون أَي أهل مَسْجِد الضرار إِذا أَصَابَتْهُم مُصِيبَة عُقُوبَة بِمَا قدمت أَيْدِيهِم ببنائهم مَسْجِد الضرار ثمَّ جَاءُوك بعد ذَلِك يَحْلِفُونَ بِاللَّه يَعْنِي ثَعْلَبَة وحاطباً حلفا بِاللَّه إِن أردنَا ببِنَاء الْمَسْجِد إِلَّا إحساناً إِلَى الْمُؤمنِينَ وتوفيقاً مُوَافقَة فِي الدّين أَن تبْعَث إِلَيْنَا فقيها أُولَئِكَ الَّذين بنوا مَسْجِد الضرار يعلم الله مَا فِي قُلُوبهم من النِّفَاق وَالْخلاف.
{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} اتركهم وَلَا تعاقبهم فِي هَذِه الْمرة {وَعِظْهُمْ} بلسانك لكَي لَا يَفْعَلُوا مرّة أُخْرَى.
{وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً} تقدم إِلَيْهِم تقدماً وثيقاً فِي الْوَعيد إِن فَعَلْتُمْ كَذَا أفعل بكم كَذَا. (3)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (63)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (63)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (63). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63)}.

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {أُولَئِكَ} هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم = {يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} في احتكامهم إلى الطاغوت، وتركهم الاحتكام إليك، وصدودهم عنك = من النفاق والزيغ، وإن حلفوا بالله: ما أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا = {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ}. يقول: فدعهم فلا تعاقبهم في أبدانهم وأجسامهم، ولكن عظهم بتخويفك إياهم بأسَ الله أن يحلّ بهم، وعقوبته أن تنزل بدارهم، وحذِّرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله، {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا}، يقول: مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعده ووعيده. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {63} {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} مِنَ النِّفَاقِ، أَيْ: عَلِمَ أَنَّ مَا فِي قُلُوبِهِمْ خِلَافُ مَا فِي أَلْسِنَتِهِمْ،

{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} أي: عن عقوبتهم.

يَعْنِي:- هُوَ التَّخْوِيفُ بِاللَّهِ،

يَعْنِي:- أن يوعدهم بِالْقَتْلِ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا،

قَالَ: (الْحَسَنُ): الْقَوْلُ الْبَلِيغُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنْ أَظْهَرْتُمْ مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنَ النِّفَاقِ قُتِلْتُمْ لِأَنَّهُ يبلغ من نفوسكم كُلَّ مَبْلَغٍ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ} فِي الْمَلَأِ، {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} [النساء: 63] فِي السِّرِّ وَالْخَلَاءِ،

وَقَالَ: قِيلَ هَذَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَالَ الله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} مِنَ الشّرك والنفاق. {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} فَلَا تقتلهم مَا جعلُوا يظهرون الْإِيمَان {وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بليغا} يَقُولُ لَهُم: إن أظهرتم مَا فِي قُلُوبكُمْ قتلتكم. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن المُنذِير) – (رحمه الله) – في (تفسيره) – (بسنده):- قوله جَلَّ وَعَزَّ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ}

1951 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَك، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْر، عَنْ (ابْنِ جريج): " {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} ذلكَ لقوله جَلَّ وَعَزَّ: {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا} فِي أنفسهم "

قوله جَلَّ وَعَزَّ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ}

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (63)، لِلْإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (63).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (63) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

1952 - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَك، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْر، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ (مجاهد) " {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ} قَالَ: واجب عليهم أن يطيعهم من شاء الله، ولا يطيعهم أحد إلا بإذن الله "

1953 - حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الأعلى، قَالَ: حَدَّثَنَا مسلم، عَنِ ابْنِ أبي نجيح، عَنْ مجاهد، في قوله عَزَّ وَجَلَّ: " {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ} قَالَ: لا يطيعهم أحد إلا بإذن الله" (1)

* * *

.قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره) : - قَوْلُهُ تَعَالَى: {63} {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُم إِلَى قَوْلِهِ: بليغا} .

5555 - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ حَمْزَةَ، ثنا شَبَابَةُ ثنا وَرْقَاءُ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ (مُجَاهِدٍ) قَالَ: تَنَازَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ الْمُنَافِقُ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، وَقَالَ الْيَهُودِيُّ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَالَ اللَّهُ تعالى: {أولئك الذين يعلم الله ما في قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ في أنفسهم قولا بليغا} . (2)

* * *

[٦٤] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسول- لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما أرسلنا من رسول إلا لأجل أن يُطاع فيما يأمر به بمشيئة الله وتقديره، ولو أنهم حين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي جاؤوك أيها الرسول- ﷺ - في حياتك مُقِرِّين بما ارتكبوه نادمين تائبين، وطلبوا المغفرة من الله، وطلبتَ المغفرة لهم" لوجدوا الله توابًا عليهم رحيمًا بهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- وما بعثنا من رسول من رسلنا، إلا ليستجاب له، بأمر الله تعالى وقضائه. ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم باقتراف السيئات، جاؤوك أيها الرسول- في حياتك تائبين سائلين الله أن يغفر لهم ذنوبهم، واستغفرت لهم، لوجدوا الله توابًا رحيمًا. (4)

* * *

يَعْنِي:- وما أرسلنا من رسول إلا كان الشأن في رسالته أن يطاع، وأن تكون طاعته بإذن من الله، وأن من ينافق أو يكذب أو يخالفه يكن ظالماً لنفسه، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم رجعوا إلى الهدى فجاءوك وطلبوا

(1) انظر: ((كتاب: تفسير القرآن))، في سورة (النساء) - الآية (63)، للإمام (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري) .
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (63).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (88/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

المغفرة من الله على ما قدَّموا، ورجوت المغفرة لهم بمقتضى رسالتك وما رأيت من تغير حالهم، لوجدوا الله سبحانه وتعالى - كثير القبول للتوبة رحيماً بعباده.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وما أرسلنا من رسول إلاّ ليطاع} ... فيما يأمرُ به ويحكم لا يُعصى ويُطلب الحكم من غيره.

{وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ} ... وما أرسلنا رسولا قط.

{إِلاَ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} ... بسبب إذن الله في طاعته، وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه، لأنه مؤد عن الله، فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله.

{بإذن الله} .. أَيْ: لأنَّ الله أذن في ذلك وأمر بطاعته.

{بِإِذْنِ الله} ... إذن الله: إعلامه بالشيء وأمره به.

{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} ... بالتحاكم إلى الطاغوت.

{ولو أنهم} ... أَيْ: المنافقين.

{إذ ظلموا أنفسهم} ... بالتَّحاكم إلى الكفَّار.

(أي: بالتحاكم إلى الطاغوت وتركهم إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{جاؤوك فاستغفروا الله} ... فزعوا وتابوا إلى الله.

{جاؤُك} ... تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا.

{فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ} .... من ذلك بالإخلاص، وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك، حتى انتصبت شفيعا لهم ومستغفرا.

{فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ} ... طلبوا منه أن يغفر لهم بلفظ اللهم اغفر لنا، أو استغفروا الله.

{لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً} ... أي: ليعلموه توابا، أي تاب عليهم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تقسيره):- {64} {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسول- لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} . يخبر تعالى خبرا في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول- والانقياد له.

وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسلُ إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع.

وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله، وفيما يأمرون به وينهون عنه" لأن الله أمر بطاعتهم مطلقا، فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقا.

وقوله: {بِإِذْنِ اللَّهِ} أي: الطاعة من المطيع صادرة بقضاء الله وقدره. ففيه إثبات القضاء والقدر، والحث على الاستعانة بالله، وبيان أنه لا يمكن الإنسان -إن لم يعنه الله- أن يطيع الرسول.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (120/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ثم أخبر عن كرمه العظيم وجوده، ودعوته لمن اقترفوا السيئات أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ} أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها.

{فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسول- لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلْمَهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول- -صلى الله عليه وسلم- مختص بحياته" لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول- لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ} ذَلِك الرسول- {بِإِذْنِ الله} بِأَمْر الله لاَ ليعْمَل بِخِلَاف أمره ويلوى عَلَيْهِ الشدق برد حكمه {وَلَوْ أَنَّهُمْ} يَعْنِي أهل مَسْجِد الضرار وحاطباً {إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} بلي الشدق وَبِنَاء مَسْجِد الضرار {جَاؤُوكَ} للتَّوْبَة {فاستغفروا الله} فتابوا إِلَى الله من صنيعهم {واستغفر لَهُمُ الرَّسُول} دَعَا لَهُم الرسول- {لَوَجَدُواْ الله تَوَّاباً} متجاوزاً {رَّحِيماً} بهم بعد التَّوْبَة.(2)

* * *

قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله).

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسول- لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64)}.

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ولو أن هؤلاء المنافقين = الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين، الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدّوا صدودًا ،

{إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} ، باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت، وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها،

{جَاءُوكَ} ، يا محمد، حين فعلوا ما فعلوا من مصيرهم إلى الطاغوت راضين بحكمه دون حكمك، جاؤوك تائبين منيبين، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم، وسأل لهم الله رسولهُ -صلى الله عليه وسلم- مثل ذلك. وذلك هو معنى قوله: {فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ}.

وأما قوله: {لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} ، فإنه يقول: لو كانوا فعلوا ذلك فتابوا من ذنبهم. {لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا} ، يقول: راجعًا لهم مما يكرهون إلى ما يحبون {رَحِيمًا} بهم، في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه.(3)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (64)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (64). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (64)، للإمَام (الطبري).

* * *

قال: الإمَام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قول الله: (إلا ليطاع بإذن الله) واجب لهم أن يطيعهم من شاء الله، ولا يطيعهم أحد إلا بإذن الله.(1)

* * *

قال: الإمَام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يَقُولُ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ} أَيْ: فُرِضَتْ طَاعَتُهُ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ وَقَوْلُهُ: {بِإِذْنِ اللَّهِ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ): أَيْ لَا يُطِيعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِي. يَعْنِي: لَا يُطِيعُهُمْ إِلَّا مَنْ وَفَّقْتُهُ لِذَلِكَ.

كَقَوْلِهِ: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} {آل عمران:52}

أَيْ: عَنْ أَمْرِهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَتَسْلِيطِهِ إِيَّاكُمْ عَلَيْهِمْ.

وقوله: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسول- لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} يُرْشِدُ تَعَالَى الْعُصَاةَ وَالْمُذْنِبِينَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُمُ الْخَطَأُ وَالْعِصْيَانُ أَنْ يَأْتُوا إِلَى الرسول- -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ عِنْدَهُ، وَيَسْأَلُوهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَغَفَرَ لَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: {لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا}.(2)

* * *

قال: الإمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {64} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} {النساء: 64} أَيْ: بِأَمْرِ اللَّهِ لِأَنَّ طَاعَةَ الرسول- وَجَبَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ،

قَالَ: (الزَّجَّاجُ): لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ فيه وأمر به،

يَعْنِي:- إِلَّا لِيُطَاعَ كَلَامٌ تَامٌّ كَافٍ، بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى أَيْ: بِعِلْمِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، أَيْ: وُقُوعُ طَاعَتِهِ يَكُونُ بِإِذْنِ اللَّهِ، {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} {النساء: 64} لتحاكمهم إِلَى الطَّاغُوتِ. {جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسول- لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} {النساء: 64}.(3)

* * *

قال: الإمَام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ) (مِنْ) زَائِدَةٌ لِلتَّوْكِيدِ. (إِلَّا لِيُطَاعَ) فيما أمر به ونهى عنه.

(بِإِذْنِ اللَّهِ) بعلم الله. يَعْنِي:- بِتَوْفِيقِ اللَّهِ.

(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ) رَوَى أَبُو صَادِقٍ عَنْ (عَلِيٍّ) قَالَ: قَدِمَ علينا أعرابي بعد ما دَفَنَّا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحَثَا عَلَى رَأْسِهِ مِنْ تُرَابِهِ، فَقَالَ: قُلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَمِعْنَا قَوْلَكَ، وَوَعَيْتَ عَنِ اللَّهِ فَوَعَيْنَا عَنْكَ، وَكَانَ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (64).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (64)، للإمَامْ (ابن كثير). .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (64).

(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) الْآيَةُ، وَقَدْ ظَلَمْتُ نفسي وجئتك تستغفر لي. فَنُودِيَ مِنَ الْقَبْرِ إِنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَكَ. وَمَعْنَى (لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) أَيْ: قَابِلًا لِتَوْبَتِهِمْ، وَهُمَا مَفْعُولَانِ لَا غَيْرُ.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} " أي لِيُطَاعَ ذلك الرسول- بأمر الله، {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} " بِمُطَالَبَةِ الحُكمِ إلى الطاغوت، {جَاءُوكَ} " أيُّها الرسول-، {فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ} " وتابوا إليه، {وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ} " عند ذلكَ، {لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا} " قابلاً للتوبة، {رَّحِيمًا} " بهم بعد التوبة.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيطاع بِإِذْنِ الله} قَالَ: (مُجَاهِد): وَاجِب للرسل أَن يطاعوا، وَلاَ يطيعهم أحد إِلاَ بِإِذْن الله.(3)

* * *

[٦٥] ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فليس الأمر كما زعم هؤلاء المنافقون. ثم أقسم الله بذاته -عز وجل- أنهم لا يكونون مصدقين حقًّا حتى يتحاكموا إلى الرسول- في حياته وإلى شرعه بعد وفاته في كل ما يحصل بينهم من خلاف، ثم يرضون بحكم الرسول، ولا يكون في صدورهم ضيق منه ولا شك فيه، ويُسلِّموا تسليمًا تامًّا بانقياد ظواهرهم وبواطنهم.(4)

* * *

يَعْنِي:- أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكمًا فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك، ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا مما انتهى إليه حكمك، وينقادوا مع ذلك انقياداً تاماً، فالحكم بما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم -من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم.(5)

* * *

يَعْنِي:- فوربك لا يُعَدُّونَ مؤمنين بالحق مذعنين له، حتى يجعلوك حكماً فيما يكون بينهم من نزاع، ثم لا تضيق نفوسهم أى ضيق

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (64)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (64).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (64) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (88/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

بما قضيت، ويذعنوا لك إذعان المؤمنين المصدِّقين.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فَلاَ وربّك} ... لاَ زَائِدَة .

{فَلاَ وَربِّك} ... فوربك، ولا، مزيدة.

{لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوك فِيمَا شَجَرَ} ... اخْتَلَطَ.

{لا يُؤْمِنُونَ} ... جواب القسم.

{فِيما شَجرَ بَيْنَهُمْ} ... فيما اختلف بينهم واختلط.

{بَيْنهم ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسهِمْ حَرَجًا} ... ضِيقًا أَوْ شَكًّا.

{حَرَجاً} ... ضيقا .

{ممَّا قَضَيْتَ} ... بِهِ. (أي: لا تضيق صدورهم من حكمك).

{وَيُسَلِّمُوا} ... يَنْقَادُوا لحُكْمك.

(أي: وينقادوا ويذعنوا لما تأتى به من قضائك، لا يعارضوه بشيء).

{تَسْلِيمًا} ... مِنْ غَيْرِ مُعَارَضَة.

{تَسْلِيماً} ... تأكيد للفعل بمنزلة تكريره.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهرا وباطنا ويسلمه تسليما كليا من غير ممانعة ولامدافعة ولامنازعة، وبين في آية أخرى أن قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلى، والانقياد التام ظاهراً وباطناً لما حكم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهي قوله تعالى: (إنما كان قول المومنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) الآية.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا ليث. ح وحدثنا محمد بن رُمح. أخبرنا الليث عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، أن عبد الله بن الزبير حدثه، أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في شراج الحَرّة التي يسقون بها النخل. فقال الأنصاري: سَرِّح الماء يمر. فأبى عليهم. فاختصموا عند رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للزبير: "اسق. يا زبير! ثم أرسل الماء إلى جارك". فغضب الأنصاري. فقال: يا رسول الله! أن كان ابن عمتك! فتلوّن وجه نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثم قال: "يا زبير اسق. ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدْر"؟. فقال الزبير: والله! إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (120/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (65).

فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً) .(1)(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {65} {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} .

ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليمًا بانشراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن.

فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمَن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمَن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومَن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين.(3)

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (4/1829-1830)، (ح 2357) - ((كتاب : الفضائل)، / باب: (وجوب اتباعه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم -) ،

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (34/5)، (ح 2359)- ((كتاب : الشرب)،/ باب: (سكر الأنهار) .

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (64)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإِمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد) : قوله : (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً) قال: شكاً.(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {فَلَا وَرَبِّكَ} أقسم بِنَفسِهِ وبعمر مُحَمَّد {لَا يُؤْمِنُونَ} فِي السِّرّ وَلَا يستحقون اسْم الْإِيمَان فِي السِّرّ {حَتَّى يُحَكِّمُوكَ} حَتَّى يجعلوك حَاكما {فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} فِيمَا الْتبس بَينهم وَيُقَال فِيمَا اخْتلف بَينهم من الحكم {ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ} فِي قُلُوبهم {حَرَجاً} شكا {مِمَّا قَضَيْتَ} بَينهم {وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} يخضعوا لَك خضوعا.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله : {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)}

قال (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله : {فَلَا} فليس الأمر كما يزعمون : أنهم يؤمنون بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدّون عنك إذا دعوا إليك يا محمد = واستأنف القسم جل ذكره فقال: {وَرَبِّكَ} ، يا محمد. {لَا يُؤْمِنُونَ} ، أي: لا

(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (74/2)، للشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (65). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

يصدقون بي وبك وبما أنزل إليك ="حتى يحكموك فيما شجر بينهم"، يقول: حتى يجعلوك حكمًا بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم، فالتبس عليهم حكمه. يقال: "شجَر يشجُر شُجورًا وشَجْرًا"، و"تشاجر القوم"، إذا اختلفوا في الكلام والأمر، "مشاجرة وشِجارًا".

* * *

{ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ}، يقول: لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا مما قضيت. وإنما معناه: ثم لا تحرَج أنفسهم مما قضيت = أي: لا تأثم بإنكارها ما قضيتَ، وشكّها في طاعتك، وأن الذي قضيت به بينهم حقٌّ لا يجوز لهم خلافه. (1)

* * *

قال : الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} يُقْسِمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ: أَنَّهُ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحَكِّمَ الرَّسُولَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ الانْقِيَادُ لَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا" وَلِهَذَا قَالَ: {ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} أَيْ: إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلاَ يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلاَ مُدَافَعَةٍ وَلاَ مُنَازَعَةٍ.

وَقَالَ : الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: خَاصَمَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا فِي شَرِيجٍ مِنَ الحَرَّةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اسْقِ يَا زُبَيرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ" فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ قَالَ: "اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ" وَاسْتَوْعَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الْحُكْمِ، حِينَ أَحْفَظَهُ الْأَنْصَارِيُّ، وَكَانَ أَشَارَ عَلَيهِمَا بِأَمْرٍ لَهُمَا فِيهِ سَعَةٌ.

قَالَ:(الزُّبَيْرُ): فَمَا أَحْسَبُ هَذِهِ الْآيَةَ إِلاَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} الْآيَةَ.

وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) هَاهُنَا أَعْنِي فِي كِتَابِ: "التَّفْسِيرِ" مِنْ صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ مَعْمَرٍ: وَفِي كِتَابِ: "الشُّرْبِ" مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ وَمَعْمَرٍ أَيْضًا، وَفِي كِتَابِ: "الصُّلْحِ" مِنْ حَدِيثِ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، ثَلَاثَتُهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ، فَذَكَرَهُ وَصُورَتُهُ صُورَةُ الْإِرْسَالِ، وَهُوَ مُتَّصِلٌ فِي الْمَعْنَى.

وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ فَصَرَّحَ بِالْإِرْسَالِ فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ الزُّبَيْرَ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّهُ كَانَ يُخَاصِمُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ، كَانَا يَسْقِيَانِ بِهَا كِلَاهُمَا، فَقَالَ

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (65)، للإِمَامْ (الطبري).

النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلزُّبَيْرِ: "اسْقِ ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَى جَارِكَ" فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ (1) فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ قَالَ: "اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ احْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ" فَاسْتَوْعَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ وَكَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ ذَلِكَ أَشَارَ عَلَى الزُّبَيْرِ بِرَأْيٍ أَرَادَ فِيهِ سَعَةً لَهُ وَلِلْأَنْصَارِيِّ، فَلَمَّا أَحْفَظَ الْأَنْصَارِيُّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَوْعَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الْحُكْمِ، قَالَ عُرْوَةُ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ مَا أَحْسَبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ إِلَا فِي ذَلِكَ: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ} (فَلَا) أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ ثُمَّ لَا يَرْضَوْنَ بِحُكْمِكَ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْقَسَمَ (وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ (لَا) فِي قَوْلِهِ (فَلَا) صِلَةً، كَمَا فِي قَوْلِهِ (فَلَا أُقْسِمُ)، حَتَّى يُحَكِّمُوكَ: أَيْ يَجْعَلُوكَ حكما، {فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} أَيْ: اخْتَلَفَ وَاخْتَلَطَ مِنْ أُمُورِهِمْ وَالْتَبَسَ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ، وَمِنْهُ الشَّجَرُ لِالْتِفَافِ أَغْصَانِه بَعْضُهَا بِبَعْضٍ،
{ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا} قَالَ: (مُجَاهِدٌ): شَكًّا، وَقَالَ غَيْرُهُ: ضيقا، {مِمَّا قَضَيْتَ}. وقال: (الضحاك): إنما، أَيْ: يَأْثَمُونَ بِإِنْكَارِهِمْ مَا قَضَيْتَ، {وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} {النساء: 65} أي: ينقادوا لأمرك انقيادا. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} " أي لا يكونوا مؤمنينَ عند الله حتى يُحَكِّمُوكَ فيما وقعَ من الاختلاف بينهم ،
{ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ} " أي ثُمَّ لا تَضِيقُ صدورُهم ممَّا قضيتَ ، وَقِيْلَ : لا يجدونَ شَكّاً في حُكمك ،
{وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} " أي يُقَادُوا لحكمكَ انقياداً.
والْمُشَاجَرَةُ في المخاصمة مأخوذٌ من الشَّجَرِ " تشبيهاً للخصومة في دخول بعض الكلام في بعض الأشجار بالتفَافِ بعضها على بعضٍ. (4)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} أَيْ: اخْتَلَفُوا فِيهِ {ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4585)، (2361)، (2362)، (2708).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (65)، للإمام (ابن كثير).
(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (65).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (65).

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قضيت} . قَالَ: (مُجَاهِد):
يَعْنِي: شكا.[1]

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} {الآية 65} .

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):-[2] حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا معمر بن الزهري عن عروة قال: خاصم الزبير رجلًا من الأنصار في شريج من الحرة فقال: النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: "اسق يا زبير ثم أرسلِ الماءَ إلى جارك" فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمتك فتلون وجهه. ثم قال: "اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك". واستوعى النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ .[3][4]

* * *

وأيضا في لفظ حديث عند الشيخين:-

قال: الإِمَامْ (البُخَارِي و مُسلِم) – (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- , عَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ) - رضي الله عنهما - قَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِي شِرَاجِ[5] الْحَرَّةِ[6] الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ , فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرِّحْ الْمَاءَ يَمُرُّ[7] فَأَبَى عَلَيْهِ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لِلزُّبَيْرِ: " اسْقِ يَا زُبَيْرُ , ثُمَّ أَرْسِلْ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ", فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: (يَا رَسُولَ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (65) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

(2) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (65). برقم (ج 9/ ص 323).

(3) الحديث أخرجه الجماعة كما قال: الحافظ الإمام (ابن كثير). في)(تفسيره) (ج1/ ص520)، فذكر الإمام (البخاري) في مواضع منها (ج5 ص431 إلى ص437)، وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ج15/ ص107)، وفيه عن (عروة أن عبد الله بن الزبير) حدثه أن رجلًا من الأنصار وكذا في الإمام (البخاري) (ج5 ص431)، فأمنًّا مما ظاهره الإرسال في بعض الطرق، وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) برقم (ج2 / ص289) وفيه عن (عروة)أن عبد الله حدثه، وقال: هذا (حديث حسن) وأعاده في التفسير (ج4/ ص289) وفهي عن (عروة) أن عبد الله حدثه، وقال: هذا (حديث حسن) وأعادة في التفسير برقم (ج4/ ص89) بذلك السند، وأخرجه الإِمَامْ (أبو داود) برقم (ج3 / ص352)، وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجه) رقم (15) ورقم (2480)، وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) برقم (ج4 /ص5)، وأخرجه الإِمَامْ (ابن جرير) برقم (ج5 /ص158)، وفيه رواية (عبد الله عن أبيه الزبير) و (ابن الجارود) برقم(ص339) كالطبري).

(4) انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/69-70)، في سورة (النساء) الآية (65)، للشيخ: (مُقْبِلُ بْنُ هَادِي الوادعِيّ)، الطبعة (1408هـ-1987م) - القاهرة).

(5) الشِّرَاج: مَسَايِل الْمِيَاه , أَحَدهَا شَرْجَة. عون المعبود - (ج 8 / ص 132) .

(6) (الْحَرَّة): أَرْض ذَات حِجَارَة سُود. عون المعبود - (ج 8 / ص 132).

(7) أَيْ: أَطْلِقْهُ , وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَاء كَانَ يَمُرّ بِأَرْضِ الزُّبَيْر قَبْل أَرْض الْأَنْصَارِيّ , فَيَحْبِسهُ لِإِكْمَالِ سَقْي أَرْضه , ثُمَّ يُرْسِلهُ إِلَى أَرْض جَاره، فَالْتَمَسَ مِنْهُ الْأَنْصَارِيّ تَعْجِيل ذَلِكَ , فَامْتَنَعَ. (فتح الباري) برقم (ج 7 / ص 220).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (65)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

اللهِ) أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟[1] , " فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّه - صلى الله عليه وسلم -[2] ثُمَّ قَالَ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ , ثُمَّ احْبِسْ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ[3] ",

فَقَالَ: (الزُّبَيْرُ): وَاللهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ , وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[4].[5]

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• الاحتكام إلى غير شرع الله والرضا به مناقض للإيمان بالله تعالى، ولا يكون الإيمان التام إلا بالاحتكام إلى الشرع، مع رضا القلب والتسليم الظاهر والباطن بما يحكم به الشرع.

• من أبرز صفات المنافقين عدم الرضا بشرع الله، وتقديم حكم الطواغيت على حكم الله تعالى.

• النَّدْب إلى الإعراض عن أهل الجهل والضلالات، مع المبالغة في نصحهم وتخويفهم من الله تعالى.[6]

* * *

[٦٦] ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ولو أنا فرضنا عليهم قَتْل بعضهم بعضًا، أو الخروج من ديارهم" ما امتثل أمرنا منهم إلا عدد قليل، فليحمدوا الله أنه لم يكلفهم ما يشق عليهم، ولو أنهم فعلوا ما يذكرون به من طاعة الله لكان خيرًا من المخالفة، وأشد رسوخًا لإيمانهم.[7]

* * *

يَعْنِي:- ولو أوجبنا على هؤلاء المنافقين المتحاكمين إلى الطاغوت أن يقتل بعضهم بعضًا، أو أن يخرجوا من ديارهم، ما استجاب لذلك إلا عدد قليل منهم، ولو أنهم استجابوا

---

(1) (متفق عليه) : أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2561) ، وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (129) - (2357).

(2) (الْحَرَّة): أَرْض ذَات حِجَارَة سُود. عون المعبود - (ج 8 / ص 132)

(3) (الْجَدْر): هُوَ الْجِدَار، وَالْمُرَادُ بِه : أَصْلُ الْحَائِط.
وَفِي الْفَتْح: أَنَّ الْمُرَاد بِهِ هُنَا الْمُسَنَّاة , وَهِيَ مَا وُضِعَ بَيْنَ شَرَبَات النَّخْل كَالْجِدَارِ وَمَا أَمَرَ - صلى الله عليه وسلم - الزُّبَيْرَ أَوَّلًا إِلَّا بِالْمُسَامَحَةِ , وَحُسْن الْجِوَار بِتَرْك بَعْض حَقّه، فَلَمَّا رَأَى الْأَنْصَارِيَّ يَجْهَلُ مَوْضِعَ حَقِّهِ , أَمَرَهُ بِاسْتِيفَاءِ تَمَام حَقّه.
وَقَدْ بَوَّبَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيّ عَلَى هَذَا الْحَدِيث بَاب: إِذَا أَشَارَ الْإِمَامُ بِالصُّلْحِ , فَأَبَى حَكَمَ عَلَيْهِ بِالْحُكْمِ الْبَيِّن. عون المعبود - (ج 8 / ص 132)
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (65)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(4) {النساء : 65}.

(5) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2231).
أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (129) - (2357).
وأخرجه الإِمَامْ (التِرْمِذِي) في (السنن) برقم (1363).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (5416).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16161).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (88/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(7) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

لما يُنصحون به لكان ذلك نافعًا لهم، وأقوى لإيمانهم، (1)

* * *

يَعْنِي:- ولو أننا فرضنا عليهم المشقة البالغة بأن أمرناهم بالجهاد المستمر ، وأن يعرِّضوا أنفسهم للتلف ، أو ينفروا من ديارهم مجاهدين دائماً ، ما أطاع إلا عدد قليل ، ولكن الله - سبحانه وتعالى - لا يكلف إلا ما تحتمله الطاقة ، ولو أنهم فعلوا وقاموا بحقه لكان في ذلك خير الدنيا والآخرة لهم ، وهو يؤدى إلى تثبيت الإيمان ، والاستقرار والاطمئنان . (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ} ... أي: لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم، أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل.

{كَتَبْنَا} ... فرضنا.

{كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ} ... فرضنا عليهم وأوجبنا.

{اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اُخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ} ... كَمَا كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل.

{أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} ... أي: قتل أنفسهم.

{مَا فَعَلُوهُ إِلاَ قَلِيلٌ مِنْهُمْ} ... إلا ناس قليل منهم. (أي: ما فعل القتل إلا قليل 1 منهم).

{مَا فَعَلُوه} ... أَيْ: الْمَكْتُوب عَلَيْهِمْ.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (70) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (71) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (72) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (73) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا(74)

{إلاَ قَلِيل} ... بِالرَّفْعِ عَلَى الْبَدَل وَالنَّصْب عَلَى الِاسْتِثْنَاء.

وقرىء (إلا قليلا) بالنصب على أصل الاستثناء، أو على: إلا فعلا قليلا.

{مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ} ... مِنْ طَاعَة الرسول - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{يُوعَظُونَ} ... أي: ما يؤمرون.

{مَا يُوعَظُونَ بِهِ} ... أي: ما يؤمرون به وينهون عنه. (أي: من اتباع رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم-، وطاعته، والانقياد لما يراه ويحكم به.

{لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدّ تَثْبِيتًا} ... تحقيقا لإيمانهم.

{لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ} ... في عاجلهم وآجلهم.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (89/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (120/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً} ... لإيمانهم، وأبعد من الاضطراب فيه. (أي: أَقْوَى للإيمانِ في قلوبِهم).

{تَثْبِيتاً} ... تقوية لهم على الحق.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {66} {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} . يخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، ويزداد حمدًا وشكرًا لربه. ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وُظِّف عليهم في كل وقت بحسبه، فبذلوا هممهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا حتى يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط.

ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور:

(أحدها): الخيرية في قوله: {لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده.

(الثاني): حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي يكرهها العبد. فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر. فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر. وأيضا فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ} أَوجَبْنَا عَلَيْهِم كَمَا أَوجَبْنَا على بني إِسْرَائِيل {أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ} من مَنَازِلكُم صفرا {مَّا فَعَلُوهُ} بِطيبَة

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (66)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

النَّفس {إلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} من المخلصين رئيسهم ثابت بن قيس بن شماس الْأنْصَارِيّ {وَلَوْ أَنَّهُمْ} يَعْنِي الْمُنَافِقين {فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ} يؤمرون {بِهِ} من التَّوْبَة وَالْإِخْلَاص {لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} فِي الْآخِرَة مِمَّا هم عَلَيْهِ فِي السِّرّ {وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً} حَقِيقَة فِي الدُّنْيَا. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم}، ولو أنا فرضنا على هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، المحتكمين إلى الطاغوت، أن يقتلوا أنفسهم وأمرناهم بذلك = أو أن يخرجوا من ديارهم مهاجرين منها إلى دار أخرى سواها، {ما فعلوه}، يقول: ما قتلوا أنفسهم بأيديهم، ولا هاجروا من ديارهم فيخرجوا عنها إلى الله ورسوله، طاعة لله ولرسوله، {إلا قليل منهم}.

* * *

القول في تأويل قوله: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بذلك: ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدُّون عنك صدودًا {فعلوا ما يوعظون به}، يعني: ما يذكّرون به من طاعة الله والانتهاء إلى أمره، {لكان خيرًا لهم}، في عاجل دنياهم، وآجل معادهم، {وأشد تثبيتًا}، وأثبت لهم في أمورهم، وأقوم لهم عليها. وذلك أن المنافق يعمل على شك، فعمله يذهب باطلا وعناؤه يضمحلّ فيصير هباء، وهو بشكه يعمل على وناءٍ وضعف. ولو عمل على بصيرة، لاكتسب بعمله أجرًا، ولكان له عند الله ذخرًا، وكان على عمله الذي يعمل أقوى، ولنفسه أشدَّ تثبيتًا، لإيمانه بوعد الله على طاعته، وعمله الذي يعمله. ولذلك قال من قال: معنى قوله: {وأشد تثبيتًا}، تصديقًا. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (السدي): (لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) قال: تصديقاً. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ}

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا أَبُو زُهَيْرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ (أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ)، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (66). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (66)، للإمَام (الطبري).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (66).

اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ} الْآيَةَ، قَالَ: رَجُلٌ: لَوْ أُمِرْنَا لَفَعَلْنَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: ((إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَرِجَالًا الْإِيمَانُ أَثْبَتُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي)) (1).

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): افْتَخَرَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاس وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُود، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْقَتْلَ فَقَتَلْنَا أَنْفُسَنَا. فَقَالَ ثَابِتٌ: وَاللَّهِ لَوْ كَتَبَ عَلَيْنَا: {أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} لَقَتَلْنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِم).

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلان، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِي، حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ ثَابِت، عَنْ عَمِّهِ (عَامِر بْن عَبْد اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْر)، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} قَالَ: أَبُو بَكْر: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي لَفَعَلْتُ، قَالَ: "صَدَقْتَ يَا أَبَا بَكْر".

حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيّ قَالَ: سُئِلَ (سُفْيَانُ) عَنْ قَوْلِهِ {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ} قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَوْ نَزَلَتْ لَكَانَ ابْنُ أُمِّ عَبْد مِنْهُمْ)).

وَحَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَان، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاش، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرو، عَنْ (شُرَيْح بْنِ عُبَيْد) قَالَ: لَمَّا تَلا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَذِهِ الْآيَةَ: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ} الْآيَةَ، أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيَدِهِ إِلَى (عَبْد اللَّهِ بْن رَوَاحَة)، فَقَالَ: ((لَوْ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ ذَلِكَ لَكَانَ هَذَا مِنْ أُولَئِكَ الْقَلِيل)) يَعْنِي: (ابْنَ رَوَاحَةَ).

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ} أَيْ: وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، وَتَرَكُوا مَا يُنْهَوْنَ عَنْهُ {لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} أَيْ: مِنْ مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ وَارْتِكَابِ النَّهْيِ {وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} قَالَ: (السُّدِّيُّ): أَيْ: وَأَشَدَّ تَصْدِيقًا. (2)

* * *

قَالَ الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا} أَيْ: فَرَضْنَا وَأَوْجَبْنَا.

{عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} كَمَا أَمَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ.

{أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ} كَمَا أَمَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْخُرُوجِ من مصر،

{مَا فَعَلُوهُ} معناه: مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلا طَاعَةَ الرسول- وَالرِّضَى بِحُكْمِهِ، وَلَوْ كَتَبْنَا عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ وَالْخُرُوجَ عَنِ الدُّورِ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ،

{إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ} نَزَلَتْ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ مِنَ الْقَلِيلِ الَّذِي اسْتَثْنَى اللَّهُ.

قَالَ: (الْحَسَنُ)، لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ: (عُمَرُ وعمار بن يا سر) وَ(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُود) وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ

---

(1) أخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) (526/8). في سورة (النساء) الآية (66).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (66)، للإمام (ابن كثير).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُمُ الْقَلِيلُ، وَاللَّهِ لَوْ أَمَرَنَا لَفَعَلْنَا وَالْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي عَافَانَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: ‹ إِنَّ مِنْ أُمَّتِي لَرِجَالًا الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ أَثْبَتُ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي › ، قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَهْلُ الشَّامِ (إلا قليلا) بالنصف عَلَى الاستثْنَاء، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مُصْحَفِ أَهْلِ الشَّامِ، يَعْنِي:- فِيهِ إِضْمَارٌ، تَقْدِيرُهُ: إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَلِيلًا مِنْهُمْ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ قَلِيلٌ بِالرَّفْعِ عَلَى الضَّمِيرِ الْفَاعِلِ فِي قوله: (فعلوا) تَقْدِيرُهُ: إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ فَعَلُوهُ، {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ} يؤمرون به مِنْ طَاعَةِ الرسول- وَالرِّضَى بِحُكْمِه، {لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} {النساء: 66} تحقيقا أو تصديقا لإيمانهم.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله عَزَّ وَجَلَّ : {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} " نزلت في – (ثابت بن قيس) - لأنه قال : أمَا وَاللهِ إنَّ اللهَ يَعْلَمُ مِنِّي الصِّدْقَ أنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم لَوْ أمَرَنِي بقَتْلِ نَفْسِي لَقَتَلْتُ نَفْسِي) ، وكان ثابت من القليل الذين استثناهم الله في الآية.

ومعنى الآية : لو أنَّا فَرَضْنَا عليهم كما فَرَضْنَا على بني إسرائيل أن اقْتُلُوا أنفسَكُم ، أو أمرناهم أن يخرجوا من ديارهم لَشَقَّ ذلك عليهم ولم يفعلْهُ إلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ. ورُفع الـ (قَلِيلٌ) على البدلِ من الواو ، ومعنى ما فَعَلَهُ إلاَّ قليلٌ منهم ،

وقرأ (أُبَيُّ ابن كعب وابن عامر) (إلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ) بالنصب على معنى استثنَى قليلاً منهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ} " أي: لو فعلَ المنافقون ما يُؤْمَرُونَ به من الرِّضَى بحكمكَ ، {لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} " من المُحاكَمَةِ إلى غيرِكَ ، {وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً} " لقلوبهم على الصَّواب " لأن الحقَّ يبقى والباطلَ يذهبُ.(2)

* * *

[٦٧] ﴿ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

يَعْنِي:- ولآتيناهم من عندنا ثوابًا عظيمًا، (3)

* * *

يَعْنِي:- ولأعطيناهم من عندنا ثوابًا عظيمًا في الدنيا والآخرة، (4)

* * *

يَعْنِي:- وإذا قاموا بحق التكليف الإلهي الذى يكون فى وسعهم، لأعطاهم الله على ذلك الثواب العظيم من فضله. (5)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (66).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (66)،

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (89/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (120/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وإذاً لآتيناهم من لدنا}... أي: ممَّا لا يقدر عليه غيرنا.

{وإذًا}... أيْ: لَوْ تَثَبَّتُوا.

{وإذًا}... جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل: وماذا يكون لهم أيضا بعد التثبيت، فقيل: وإذا لو ثبتوا :

{لآتَيْناهُمْ}... جواب وجزاء.

{مِنْ لَدُنَّا}... مِنْ عِنْدِنَا.

{أَجْرًا عَظِيمًا}... هُوَ الْجَنَّة.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – في (تفسيره):- قوله : {وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67)} أي في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {وَإِذًا} لَو فعلوا مَا أمروا بِهِ {لآتَيْنَاهُمْ} لأعطيناهم {مِّن لَّدُنَّآ} من عندنَا {أَجْراً عَظِيماً} ثَوابًا وافرا فِي الْجنَّة. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله : {وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم، لإيتائنا إياهم على فعلهم ما وعظوا به من طاعتنا والانتهاء إلى أمرنا، {أجرًا} يعني: جزاء وثوابًا عظيمًا وأشد تثبيتًا لعزائمهم وآرائهم، وأقوى لهم على أعمالهم، (3)

* * *

قال : الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا} أَيْ: مِنْ عِنْدِنَا، {أَجْرًا عَظِيمًا} يَعْنِي: الْجَنَّةَ. (4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {67} {وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا} {النساء: 67} ثَوَابًا وَافِرًا. (5)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (وَإِذاً لَآتَيْناهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً) أَيْ: ثَوَابًا فِي الْآخِرَةِ. يَعْنِي:- اللَّامُ لَامُ الْجَوَابِ، و (إِذاً) دَالَّةٌ عَلَى الْجَزَاءِ، وَالْمَعْنَى لَوْ فَعَلُوا مَا يوعظون به لآتيناهم. (6)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (67)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (67). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (67)، للإمام (الطبري)،

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (67)، للإمام (ابن كثير).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (67).

(6) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (67)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَإِذاً لَأَتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّـآ أَجْراً عَظِيماً} " أي: إذْ لو يفعلونَ ما يُؤمرون به لأعطيناهُم مِن عندنا ثواباً جَزِيلاً في الجنَّة ، (1)

* * *

[٦٨] ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ولوفقناهم إلى الطريق الموصل إلى الله وجنته. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولأرشدناهم ووفقناهم إلى طريق الله القويم. (3)

* * *

يَعْنِي:- ولكانوا بسبب إطاعتهم فيما يطيقون، قد هداهم الله إلى الطريق المستقيم الذى لا إفراط فيه ولا تفريط. (4)

تفريط. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً}...أي: وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات لا إفراط ولا تفريط.

قَالَ: بَعْضَ الصَّحَابَةَ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ -كَيْفَ نَرَاك فِي الْجَنَّة وَأَنْت فِي الدَّرَجَات الْعُلَى وَنَحْنُ أَسْفَل منك فنزل.

{ولهديناهم} ... أرشدناهم.

{صراطاً مستقيماً} ... إلى دينٍ مستقيم وهو دين الحنيفيَّة لا دين اليهوديَّة.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (ولهديناهم صراطاً مستقيماً)

انظر: الآية (6) من سورة -(الفاتحة) . -

كما قال تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)}.

* * *

قال: الإمام (أحمد) (الإمَام أنصَارُ السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (المسند): ثنا الحسن بن سوار أبو العلاء، ثنا ليث يعني: ابن سعد، عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير حدثه عن أبيه عن (النواس ابن سمعان الأنصاري) عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فذكر حديثا طويلا والشاهد فيه: والصراط: الإسلام. (5)

وأخرجه الإمام أحمد. (6)

أيضاً والترمذي. (7) و(حسنه)،

وأخرجه الإمام (النسائي) (8) ، كلهم - من طريق- (خالد بن معدان) عن (جبير بن نفير) به مختصرا،

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (67)،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (89/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (120/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(5) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (182/4).

(6) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (المسند) برقم (182/4).

(7) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3019). (أبواب الأمثال).

(8) أخرجه الإمام (النسائي) في (تفسيره) ص (89/1).

وأخرجه الإمام (الطبري).[1]

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم).[2]

وأخرجه الإمام (الآجري).[3] - من طريق- طريق- (معاوية ابن صالح) عن (عبد الرحمن بن جبير) به باختصار فذكروا الشاهد نفسه.[4]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {68} {وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} .

(الرابع): الهداية إلى صراط مستقيم. وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم بالحق، ومحبته وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هُدِيَ إلى صراط مستقيم، فقد وُفِّقَ لكل خير واندفع عنه كل شر وضير.[5]

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً} لثبتناهم فِي الدُّنْيَا على دين قَائِم نرضاه وَهُوَ الْإِسْلَام.[6]

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68)}

قال: (أبو جعفر): لهدايتنا إياهم صراطًا مستقيمًا = يعني: طريقًا لا اعوجاج فيه، وهو دين الله القويم الذي اختاره لعباده وشرعه لهم، وذلك الإسلام.

ومعنى قوله: {وَلَهَدَيْنَاهُمْ}، ولوفَّقناهم للصراط المستقيم.[7]

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلَهَدَيناهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.[8]

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} {النساء: 68} أَيْ: إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.[9]

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} " أي إلى صراط مستقيم ،

وَقِيْلَ: معناهُ: لَهَدَيْنَاهُمْ في الآخرة إلى طريق الجنَّة.[10]

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) برقم (187/1).

(2) أخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) برقم (33).

(3) (الشريعة) ص (12).

(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) (87/1) (سورة الفاتحة)، للمؤلف: أ. الدكتور. (حكمت بن بشير بن ياسين).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (68)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (68). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (68)، للإمَامْ (الطبري).

(8) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (68)، للإمَامْ (ابن كثير).

(9) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (68).

(10) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني في سورة (النساء) الآية (68).

[٦٩] ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن يطع الله والرسول- بالتسليم لأمرهما والرضا بحكمهما ، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق فى الدنيا والآخرة من أنبيائه وأتباعهم الذين صدقوهم واتبعوا مناهجهم والشهداء فى سبيل الله ، والصالحين الذين صلحت سريرتهم وعلانيتهم ، وما أحسن هؤلاء من رفقاء لا يشقى جليسهم ، ولا يُمَلُّ حَديثُهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- ومن يستجب لأوامر الله تعالى وهدي رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم- فأولئك الذين عَظُمَ شأنهم وقدرهم، فكانوا في صحبة مَن أنعم الله تعالى عليهم بالجنة من الأنبياء والصديقين الذين كمُل تصديقهم بما جاءت به الرسل، اعتقادًا وقولا وعملا والشهداء في سبيل الله وصالح المؤمنين، وحَسُنَ هؤلاء رفقاء في الجنة.(2)

* * *

يَعْنِي:- ومن يطع الله والرسول- بالتسليم لأمرهما والرضا بحكمهما، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق فى الدنيا والآخرة من أنبيائه وأتباعهم الذين صدقوهم واتبعوا مناهجهم والشهداء فى سبيل الله، والصالحين الذين صلحت سريرتهم وعلانيتهم، وما أحسن هؤلاء من رفقاء لا يشقى جليسهم، ولا يُمَلُّ حَديثُهم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ} ... فِيمَا أَمَرَ بِهِ.

{ومَن يطع الله} ... الآية قال: المسلمون للنبي - صلى الله عليه وسلم-: ما لنا منك إلاَّ الدُّنيا فإذا كانت الآخرة رُفِعَت في الأعلى فحزن وحزنوا فنزلت .

{ومَنْ يطع الله} ... في الفرائض.

{والرسول} ... في السُّنن.

{فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ} ... أَفَاضِل أَصْحَاب الْأَنْبِيَاء لِمُبَالَغَتِهِمْ فِي الصِّدْق وَالتَّصْدِيق.

(أَيْ: إنَّه يستمتع برؤيتهم وزيارتهم فلا يتوهمنَّ أنَّه لا يراهم).

{الصِّدِّيقِينَ} ... جمع: صِدِّيق، وهو من غَلَبَ عَلَيْهِ الصدقُ في أقواله وأحواله" لكثرة ما يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصدقَ.

{والصديقين} ... أفاضل أصحاب الأنبياء.

(أي: الصديقون أفاضل صحابة الأنبياء والذين تقدموا فى تصديقهم، وصدقوا أقوالهم لأفعالهم).

{وَالشُّهَدَاءِ} ... الْقَتْلَى فِي سَبِيل اللَّه.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (89/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (120/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَالشُّهَدَاءِ} ... جمع: شهيد، وهو مَنْ مات في المعركة، ومثله مَنْ شَهِدَ بصحة الإسلام بالحجَّة والبُرْهَان.

{وَالصَّالِحِينَ} ... غَيْر مَنْ ذكر. (أَيْ: أهل الجنَّة من سائر المسلمين).

{وَالصَّالِحِينَ} ... جَمْعُ صَالِحٍ، وهو مَنْ أدَّى حقوقَ الله تعالى، وأدى حقوقَ العباد، وصَلُحَتْ نفسه وَصَلُحَ عمله.

{وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} ... رُفَقَاء فِي الْجَنَّة بِأَنْ يَسْتَمْتِع فِيهَا بِرُؤْيَتِهِمْ وَزِيَارَتهمْ وَالْحُضُور مَعَهُمْ وَإِنْ كَانَ مَقَرّهمْ فِي الدَّرَجَات الْعَالِيَة بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرهمْ.

{وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} ... فيه معنى التعجب. كأنه قيل: وما أحسن أولئك رفيقا. والرفيق، كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه. ويجوز أن يكون مفردا، بين به الجنس فى باب التمييز.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {70} {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}.

أي: كل مَنْ أطاع الله ورسوله على حسب حاله وقدر الواجب عليه من ذكر وأنثى وصغير وكبير، {فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} أي: النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة {مِنَ النَّبِيِّينَ} الذين فضلهم الله بوحيه، واختصهم بتفضيلهم بإرسالهم إلى الخلق، ودعوتهم إلى الله تعالى {وَالصِّدِّيقِينَ} وهم: الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم، وبالقيام به قولا وعملا وحالا ودعوة إلى الله، {وَالشُّهَدَاءِ} الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فقتلوا، {وَالصَّالِحِينَ} الذين صلح ظاهرهم وباطنهم فصلحت أعمالهم، فكل من أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبتهم {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} بالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقربهم في جوار رب العالمين.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ} نزلت هَذه الْآيَة فِي ثوبَان مولى رَسُول الله - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- لقَوْله أَخَاف أَن لَا أَلْقَاك فِي الْآخِرَة يَا رَسُول الله وَرَآهُ رَسُول الله متغيراً لَونه وَكَانَ يُحِبهُ حبا شَدِيدا لَا يكَاد يصبر عَنهُ فَذكر الله كرامته فَقَالَ: {وَمن يطع الله} فِي الْفَرَائِض وَالرسول- فِي السّنَن {فَأُولَئِكَ} فِي الْجنَّة {مَعَ الَّذين أنْعَمَ الله} من الله {عَلَيْهِم من النَّبِيين} مُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَغَيره {وَالصديقين} أفاضل أَصْحَاب مُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-. {وَالشهدآء} الَّذين استشْهدُوا فِي سَبِيل الله {وَالصَّالِحِينَ} صالحي أمة مُحَمَّد - صلى الله

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (69)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

عَلَيْهِ وَسلم- {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً} مرافقة فِي الْجَنَّة.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

ثم ذكر جل ثناؤه ما وعد أهل طاعته وطاعة رسوله عليه السلام، من الكرامة الدائمة لديه، والمنازل الرفيعة عنده.

القول في تأويل قوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرسول- فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ} بالتسليم لأمرهما، وإخلاص الرضى بحكمهما، والانتهاء إلى أمرهما، والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه، وفي الآخرة إذا دخل الجنة،

{وَالصِّدِّيقِينَ} وهم جمع "صدِّيق".

فإذ كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بـ "الصديق"، أن يكون معناه: المصدِّق قوله بفعله. إذ كان "الفعِّيل" في كلام العرب، إنما يأتي، إذا كان مأخوذًا من الفعل، بمعنى المبالغة، إما في المدح، وإما في الذم، ومنه قوله جل ثناؤه في صفة مريم: {وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} [سورة المائدة: 75].

وإذا كان معنى ذلك ما وصفنا، كان داخلا من كان موصوفًا بما قلنا في صفة المتصدقين والمصدقين.

{والشهداء}، وهم جمع "شهيد"، وهو المقتول في سبيل الله، سمي بذلك لقيامه بشهادة الحق في جَنب الله حتى قتل.

{والصالحين}، وهم جمع "صالح"، وهو كل من صلحت سريرته وعلانيته.

وأما قوله جل ثناؤه: {وَحَسُنَ أولئك رفيقًا}، فإنه يعني: وحسن، هؤلاء الذين نعتهم ووصفهم، رفقاء في الجنة.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرسول- فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} أَيْ: مَنْ عَمِلَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَرَكَ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُسْكِنُهُ دَارَ كَرَامَتِهِ، وَيَجْعَلُهُ مُرَافِقًا لِلْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ لِمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ، وَهُمُ الصِّدِّيقُونَ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ، ثُمَّ عُمُومُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمُ الصَّالِحُونَ الَّذِينَ صَلُحَتْ سَرَائِرُهُمْ وَعَلَانِيَتُهُمْ.

ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِمْ تَعَالَى فَقَالَ: {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}

وَقَالَ:الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوْشَبٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ (عَائِشَةَ) قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلاَ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)) وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّتِي قُبِضَ فِيهِ، فَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ فَسَمِعْتُهُ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (69). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (69)، للإمَامُ (الطبري)،

يقُولُ: {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّر.

وَكَذَا رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ) - مِنْ حَدِيثِ (شُعْبَةَ)، عَنْ (سَعْد بْنِ إِبْرَاهِيمَ) به [1].

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: ((اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى)) ثَلَاثًا ثُمَّ قَضَى، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ [2] [3].

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {69} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ} {النساء: 69}

أي: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ} فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ،

{وَالرَّسُولَ} فِي السُّنَنِ.

{فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ) أَيْ: لَا تَفُوتُهُمْ رؤية الأنبياء ومجالستهم لأنهم يُرْفَعُونَ إِلَى دَرَجَةِ الْأَنْبِيَاءِ،

{وَالصِّدِّيقِينَ} وَهُمْ أَفَاضِلُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالصِّدِّيقُ الْمُبَالِغُ فِي الصدق،

{وَالشُّهَدَاءِ} قِيلَ: هُمُ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي يَوْمِ أُحُد،

يَعْنِي:- الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): النَّبِيُّونَ هَاهُنَا مُحَمَّدٌ -صَلَّى الله عليه وسلم-، والصديق أَبُو بَكْرٍ، وَالشُّهَدَاءُ عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،

{وَالصَّالِحِينَ} سَائِرُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، {وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} يَعْنِي: رُفَقَاءَ الْجَنَّةِ، وَالْعَرَبُ تَضَعُ الْوَاحِدَ مَوْضِعَ الْجَمْعِ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا} {الحج: 5} أي: أطفالا .

{وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} {القمر: 45} أي: الأدبار [4].

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني):- قوله عزَّ وجلَّ : {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرسولَ فَأُوْلَائِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ} " نزلت في ثَوْبَانَ مَولَى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم- وَكَانَ شَدِيْدَ الْحُبِ لِرَسُولِ الله -صلى الله عليه وسلم - قَلِيْلُ الصَّبْرِ عَنْهُ، فَأَتَاهُ ذاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَنَحَلَ جِسْمُهُ ، فَقَالَ: - صلى الله عليه وسلم:-" مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ ؟ " فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله " مَا بِي مَرَضٌ وَلاَ وَجَعٌ ، غَيْرَ أنِّي لَمْ أرَك فَاشْتَقْتُ إلَيْكَ فَاسْتَوْحَشْتُ ، فَهَذا الَّذِي نَزَلَ بِي مِنْ أجْلِ ذلكَ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ الآخِرَةَ فَأخَافُ أنْ لاَ أرَاكَ هُنَاكَ فَإنَّكَ تُرْفَعُ مَعَ النَّبيِّيْنَ ، وَإنِّي إذا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ كُنْتُ فِي مَنْزِلَةٍ أدْنَى مِنْ مَنْزِلَتِكَ، وَإنْ لَمْ أدْخُلِ الْجَنَّةَ فَذاكَ حِيْنَ لاَ أرَاكَ أبَداً،

---

(1) (متفق عليه) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4435) ، و أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2444) .

(2) (صحيح) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4436)،- من حديث - (عائشة)- رضي الله عنها-.

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (69)، للإِمَامُ (ابن كثير).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (69).

فَأَنْزَلَ اللهُ هَذه الآيَة ، فَقَالَ: - صلى الله عليه وسلم:-" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه " لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أكُونَ أحبَّ إليْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَابْنِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِه وَالنَّاسِ أجْمَعِيْنَ "

ومعنى الآية : {وَمَن يُطِعِ اللهَ} في الفرائض، {والرسولَ} في السُّنن " {فأولئكَ مع الذينَ أنْعَمَ اللهُ عليهم مِنَ النبيِّين والصدِّيقين} ، وهم أفاضلُ الصَّحابة ،

{وَالشُّهَدَآءِ} " هم الذين اسْتُشْهِدُواْ في سبيل الله ، {وَالصَّالِحِينَ} " وهم الذينَ اسْتَقَامَتْ أحوالُهم بِحُسْنِ عملهم ، وَالْمُصْلِحُ الْمُقَوِّمُ بِحُسْنِ عَمَلِه.

وقالَ: (عكرمةُ) : (النَّبِيُّونَ : هَا هُنَا مُحَمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم -، {وَالصِّدِّيْقُونَ} : أبُو بَكْرٍ ، {وَالشُّهَدَاءُ} : عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ)،

{وَالصَّالِحُونَ} : سَائِرُ الصَّحَابَةِ).

فَإِنْ قِيْلَ: فكيفَ يكونُ المطيعون لله ورسوله مع النبيِّين ودرجتهم في أعلى عِلِّيِّيْنَ ؟ قِيْلَ : إنَّ الأنبياءَ ولو كانوا في أعلى علِّيِّيْنَ " فإنَّ غيرَهم من المؤمنينَ يَرَوْنَهُمْ وَيَزُورُونَهُمْ ويستمتعونَ برؤيتهم ، فيصلحُ اللفظ أنْ يقالَ إنَّهم معهُم.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَحَسُنَ أُولاَئِكَ رَفِيقاً} " أي حَسُنَ الأنبياءُ ومَن معهُم رُفَقَاءَ في الجنَّة " أي ما أحسنَ مُرَافَقَتَهُمْ فيها ، فذكرَ الرفيقَ بلفظ التوحيد " لأنه نُصبَ على التمييز ،

كما في قوله تعالى : {فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً} {النساء : 4} ويجوزُ أن يكونَ معناهُ : حَسُنَ كُلُّ واحدٍ من أوْلَئِكَ رَفِيْقاً،

كما قال تعالى : {ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً} {غافر : 67} ولم يقل أطفَالاً.[1]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار (واللفظ لابن المثنى) قالا: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم، عن عروة، عن (عائشة) قالت: كنتُ أسمع أنه لن يموت نبيّ حتى يُخيّر بين الدنيا والآخرة. قالت: فسمعتُ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، في مرضه الذي مات فيه، وأخذتْهُ بُحَّة، يقول: (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً) قالت: فظننته خير حينئذ.[2][3]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وحدثني زهير بن حرب. حدثنا جرير عن سهيل، عن أبيه، عن (أبي هريرة). قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ما تعدّون الشهيد فيكم؟. قالوا: يا رسول الله! من قتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: "إن شهداء أمتي إذاً لقليل". قالوا: فمن هم؟ يا رسول الله! قال: "من قتل في سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (69).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1893/4) بعد رقم (ح 2444)- (كتاب فضائل الصحابة) ،/ باب:(فضل عائشة)- رضي الله عنها) ،

(3) ((صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (136/8)، (ح 4435)- ((كتاب : المغازي).

سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في الطاعون فهو شهيد. ومن مات في البطن فهو شهيد".

قال (ابن مقسم): أشهد على أبيك، في هذا الحديث" أنه قال: "والغريق شهيد". (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني مالك بن أنس، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن (أبي سعيد الخدري) - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم". قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟. قال: "بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين". (2)(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي زائل، عن (أبي موسى) قال: قيل للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال: "المرء مع من أحب". (4)(5)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبراني) - (رحمه الله) في (المعجم الصغير) - (بسنده):- حدثنا أحمد بن عمرو الخلال المكي أبو عبد الله حدثنا عبد الله ابن عمران العابدي حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عَنْ (عَائِشَةَ) - رضي الله عنها - قَالَتْ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، إِنَّكَ لأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ ، فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيَكَ فَأَنْظُرُ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَأَنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لا أَرَاكَ، "فَلَمْ يَرُدَّ إِلَيْهِ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - شَيْئًا" ، حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ - عليه السلام - بِهَذِهِ الآيَةِ: {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرسول- فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}". (6)

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1521/3)، (ح 1915) – (كتاب : الإمارة)، / باب: (بيان الشهداء).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (368/6)، (ح 3256)- (كتاب بدء الخلق)، / باب: (ماجاء في صفة الجنة ..) .

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2177/4)، (ح 2831) – (كتاب : الجنة وصفة نعيمها)، / باب: (ترائي أهل الجنة اهل الغرف) .

(4) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (573/10)، (ح 6170) – (كتاب : الأدب)، / باب: (علامة الحب في الله)،

(5) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2034/4)، (ح 2640) – (كتاب : البر والصلة)، / باب: (المرء مع من أحب) من حديث (ابن مسعود) – رضي الله عنه - بنحوه).

(6) أخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الصغير) برقم (26/1).

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (477).

وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (31774).

انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (2933)، (فقه السيرة) برقم (ص/ 199).

وأخرجه الشيخ (أبو نعيم) في (حلية الأولياء) برقم (240/4) - عن (أحمد بن عمرو الخلال) به.

وعزاه الإِمَامْ (الحافظ ابن كثير) إلى المقدسي في (صفة الجنة) - من طريق- الإِمَامْ (الطبراني)، ثم قال: لا أرى بإسناده بأساً. (التفسير 523/1) .

وقال: الإِمَامْ (الهيثمي) : رواه الإِمَامْ (الطبراني) في (الصغير والأوسط).

* * *

وقــال: الإِمَــامْ (ابــن حبــان) – (رحمــه الله) – في (صــحيحه) – (بســنده) :-, عَــنْ (عَائِشَــةَ) – رضي الله عنهــا – قَالَــتْ: "أُغْمِــيَ عَلَــى رَسُــولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – وَرَأْسُهُ فِــي حِجْــرِي "، فَجَعَلْــتُ أَمْسَــحُهُ وَأَدْعُــو لَــهُ بِالشِّــفَاءِ , " فَلَمَّــا أَفَاقَ – صلى الله عليه وسلم – قَــالَ: لاَ، بَــلْ أَسْــأَلُ اللهَ الرَّفِيــقَ الأَعْلَــى، مَــعَ جِبْرِيــلَ وَمِيكَائِيلَ وإِسْرَافِيلَ " (1)

* * *

[٧٠] ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ذلــك الثــواب المــذكور تَفَضُّــل مــن الله علــى عبــاده، وكفــى بــالله عليمًــا بــأحوالهم، وسيجازي كلًا بعمله. (2)

* * *

يَعْنِــي:- ذلــك العطــاء الجزيــل مــن الله وحــده. وكفــى بــالله عليمــا يعلــم أحــوال عبــاده، ومَــن يَســتحقُّ مــنهم الثــواب الجزيــل بمــا قــام بــه مــن الأعمال الصالحة. (3)

* * *

يَعْنِــي:- (أي: تلــك المنزلــة العظيمــة لمــن أطــاع الله ورســوله هــى الفضــل الكــبير مــن الله ، وهــو علــيم بالأعمــال ومثيــب عليهــا ، ويكفــى المــؤمن علــم الله بحالــه ، وهــو يقــوم بطاعتــه ويطلــب مرضاته). (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{ذَلِــكَ} ... أَيْ: كَــوْنهمْ مَــعَ مَــنْ ذُكِــرَ مُبْتَــدأ خَبَره.

{ذَلِــكَ} ... أَيْ: ذلــك الثَّــواب وهــو الكــون مــع النَّبيــيِّن {ذَلِــكَ} ... إشــارةٌ إلى مــا للمطــيعين من الأجر.

{الْفَضْــلُ مِــنَ اللَّــهِ} ... تفضَّــل بــه علــى مَــنْ أطاعه.

(أي: تَفَضَّــلَ بِــهِ عَلَــيْهِمْ لا أَنَّهُــمْ نَــالُوهُ بِطَاعَتِهِمْ).

{الْفَضْلُ} ... صِفَتُهُ.

{مِنَ اللَّهِ} ... خَبَرُهُ.

{وَكَفَــى بِاللَّــهِ عَلِيمًــا} ... بِثَــوَابِ الْــآخِرَةِ أَيْ فَثِقُــوا بِمَــا أَخْبَــرَكُمْ بِــهِ. {ولا ينبئــك مثــل خبير} .

{وَكَفَــى بِاللَّــهِ عَلِيمًــا} ... بجــزاءِ مَــنْ أطاعَــهُ، فإنَّهُ يعطيهم ما عَلِمَهُ لهم.

ورجالــه رجــال الصــحيح غــير (عبــد الله ابــن عمــران العابــدى)، وهــو ثقــة (مجمــع الزوائد) برقم (7/7) ،

والحديث أخرجه الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) في (التفسير) برقم (ح 3575) .

وأخرجــه الإِمَــامْ (الطــبري) في (التفســير) بــرقم (ح 9925) – مــن طريــق- (جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق) به مرسلاً.

وهو (إسناد حسن على إرساله) (انظر: تفسير ابن أبي حاتم – الحاشية).

كمــا ذكــره و نقلــه الشــيخ : (أ. الــدكتور: (حكمــت بــن بشــير بــن ياســين) في (موســوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 72)، الطبعة : الأولى ،

(1) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (6591).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (10936).

انظــر : (سلســلة الأحاديــث الصَّــحِيحَة) للإِمَــامْ (الألبــاني) حــديث: (3104). و (صحيح موارد الظمآن): برقم (1805).

(2) انظــر : (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (89/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظــر : (التفســير الميســر) بــرقم (89/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير)،

(4) انظــر : (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (121/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{وكفى بالله عليماً} ... بخلقه أي: إنه عالم لا يخفى عليه شيء ولا يضيع عنده عمل ثمَّ حثَّ عباده المؤمنين على الجهاد.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً)

إشارة إلى مقام الطاعة بالله والرسول- كما في الآية السابقة.

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {ذَلِكَ الْفَضْلُ} الذي نالوه {مِنَ اللَّهِ} فهو الذي وفقهم لذلك، وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب ما لا تبلغه أعمالهم.

{وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا} يعلم أحوال عباده ومن يستحق منهم الثواب الجزيل، بما قام به من الأعمال الصالحة التي تواطأ عليها القلب والجوارح.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {ذَلِك} المرافقة مَعَ النَّبِيين والصديقين وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحين {الْفضل مِنَ الله} الْمَنّ من الله {وَكفى بِاللَّه عَلِيماً} بِحب ثَوْبَان وكرامته فِي الْجنَّة وثوابه.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):–

وأما قوله: {ذلك الفضل من الله} ، فإنه يقول: كون من أطاع الله والرسول- مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

{الفضل من الله} ، يقول: ذلك عطاء الله إياهم وفضله عليهم، لا باستيجابهم ذلك لسابقة سبقت لهم.

* * *

فإن قال قائل: أو ليس بالطاعة وصلوا إلى ما وصلوا إليه من فضله؟ ، قيل له: إنهم لم يطيعوه في الدنيا إلا بفضله الذي تفضل به عليهم، فهداهم به لطاعته، فكل ذلك فضل منه تعالى ذكره.

* * *

وقوله: {وكفى بالله عليما} ، يقول: وحسب العباد بالله الذي خلقهم = {عليما} بطاعة المطيع منهم ومعصية العاصي، فإنه لا يخفى عليه شيء من ذلك، ولكنه يحصيه عليهم ويحفظه، حتى يجازي جميعهم، جزاء المحسنين منهم بالإحسان، والمسيئين منهم بالإساءة، ويعفو عمن شاء من أهل التوحيد(3)

* * *

قال : الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ} أَيْ: مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِرَحْمَتِهِ، هُوَ الَّذِي أَهَّلَهُمْ لِذَلِكَ، لَا بِأَعْمَالِهِمْ. {وَكَفَى بِاللَّهِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (70)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (70). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (70)، للإمَام (الطبري).

عَلِيمًا﴾ أَيْ: هُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: 70] أي: بثواب الآخرة، يَعْنِي:- مَنْ أَطَاعَ رَسُولَ اللَّهِ وَأَحَبَّهُ، وَفِيهِ بَيَانٌ أَنَّهُمْ لَنْ يَنَالُوا تِلْكَ الدَّرَجَةَ بِطَاعَتِهِمْ، وَإِنَّمَا نَالُوهَا بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ " أي ذلك الْمَنُّ من الله على المطيعين ، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾ " بهم وبأعمالهم ومجازياً لهم بما يستحقُّونَه من ثواب وكرامة. (3)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ﴾ يريد أن ذلك الالتقاء مع من ذكرتم لهم بفضل الله تعالى، لا بطاعتهم. وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً﴾ أي: بأهل طاعته وأهل معصيته وبطاعة المطيعين ومعصية العاصين، ولذلك يتم الجزاء عادلاً رحيماً. (4)

* * *

[٧١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، خذوا الحذر من أعدائكم باتخاذ الأسباب المعينة على قتالهم، فأخرجوا إليهم جماعة بعد جماعة، وأخرجوا إليهم جميعًا، كل ذلك حسب ما فيه مصلحتكم، وما فيه النكاية بأعدائكم. (5)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم بالاستعداد لعدوكم، فاخرجوا لملاقاته جماعة بعد جماعة أو مجتمعين. (6)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا كونوا في حذر دائم من أعدائكم، وخذوا الأهبة لرد كيدهم، واخرجوا لقتالهم جماعات متفرقة، جماعة بعد جماعة، أو اخرجوا لهم مجتمعين. (7)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (70)، للإمَام (ابن كثير).

(2) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (النساء) الآية (70).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (70).

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (70)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (89/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (121/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

شرح و بيان الكلمات :

{يأيها الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}... مِنْ عَدُوِّكُم، أَيْ احْتَرِزُوا مِنْهُ وَتَيَقَّظُوا لَهُ.

{خُذُوا حِذْرَكُمْ}... الحذر والحذر: الاحتراس والاستعداد لدفع المكروه بحسبه.

{فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ}... النفور: الخروج في اندفاع وانزعاج، والثبات: جمع ثبت، وهي: الجماعة.

{فَانْفِرُوا}... انْهَضُوا إلَى قِتَالِه.

{ثُبَاتٍ}... جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ.

(أي: مُتَفَرِّقِينَ سَرِيَّة بَعْد أُخْرَى.

الثُّبَةُ: الجماعةُ، والثُّبَاتُ جمعُ ثُبَةٍ، أي: جماعات متفرقة.

{أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا}... مُجْتَمِعِينَ.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا}

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- يُذْكَرُ عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {انْفِرُوا ثُبَاتٍ} : سَرَايَا مُتَفَرِّقِينَ , يُقَالُ: أَحَدُ الثُّبَاتِ: ثُبَةٌ. (1)

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) – والإمامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما) – عن (الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ) قال: عصبا، يعني سرايا متفرقين (أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا) يعني: كلكم. (2)(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {71} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} ، يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم، ومكرهم، والنفير في سبيل الله.

ولهذا قال: {فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ} أي: متفرقين بأن تنفر سرية أو جيش، ويقيم غيرهم {أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} وكل هذا تبع للمصلحة والنكاية، والراحة للمسلمين في دينهم،

وهذه الآية نظير قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}. (4)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ 1 فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} ينادي الله تعالى عباده المؤمنين، وهم في فترة يستعدون فيها لفتح

---

(1) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (71). برقم (ج/4 ص23).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (71).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (71).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (71)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

مكة وإدخاله في حظيرة الإسلام، خذوا الأهبة والاستعداد حتى لا تلاقوا عدوكم وأنتم ضعفاء، قوته أشد من قوتكم. {فانفروا ثبات} عصابة بعد عصابة وجماعة بعد أخرى. {أوِ انْفِرُوا جَمِيعاً} بقيادتكم المحمدية وذلك بحسب ما يتطلبه الموقف وتراه3 القيادة ثم أخبرهم وهو العليم أن منهم، أي: من عدادهم وأفراد مواطنيهم لمن والله ليبطئن عن الخروج إلى الجهاد نفسه وغيره معاً" لأنه لا يريد لكم نصراً لأنه منافق كافر الباطن وإن كان مسلم الظاهر ويكشف عن حال هذا النوع من الرجال الرخيص. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثمَّ علم خُرُوجهمْ فِي سَبِيل الله فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُواْ} بِمُحَمد وَالْقُرْآن.

{خُذُواْ حِذْرَكُمْ} من عَدوكُمْ وَلاَ تخرجُوا مُتَفَرّقين.

{فانفروا} وَلَكِن اخْرُجُوا.

{ثبات} جماعات سَرِيَّة سَرِيَّة.

{أَو انفروا جَمِيعاً} أَو اخْرُجُوا كلكُمْ مَعَ نَبِيكُم. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (71)}.

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}.، صدَّقوا الله ورسوله،

{خُذُوا حِذْرَكُمْ}، خذوا جُنَّتكم وأسلحتكم التي تتقون بها من عدوكم لغزوهم وحربهم،

{فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ} = وهي جمع "ثبة"، و"الثبة"، العصبة. = ومعنى الكلام: فانفروا إلى عدوكم جماعة بعد جماعة متسلحين. = ومن "الثبة"

قول: (زهير): {وَقَدْ أَغْدُوا عَلَى ثُبَةٍ كِرَامٍ ... نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ}. (3)

وقد تجمع "الثبة" على "ثبين". .

* * *

{أو انفروا جميعًا}، يقول: أو انفروا جميعًا مع نبيكم - صلى الله عليه وسلم- لقتالهم. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (71)}، يَأْمُرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَخْذِ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ التَّأَهُّبَ لَهُمْ بِإِعْدَادِ

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (71)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (71). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) ديوانه: 72، ومجاز القرآن لأبي عبيدة 1: 132، واللسان (ثبا) و (نشا)، وغيرها. من أبيات وصف فيها الشرب، قد بلغت منهم النشوة، وهم في ترف من يومهم، لا يفتقدون شيئًا ثم يقول: لَهُمْ رَاحٌ، وَرَاووقٌ، ومِسْكٌ .. تُعَلُّ بِهِ جُلُودُهُمُ، وماءُ
أُمَشِّي بَيْنَ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ .. نُفُوسُهُمُ، ولَمْ تقطُرْ دماءُ
يَجُرُّونَ البُرُودَ وَقَدْ تَمَشَّتْ .. حُمَيَّا الكَأْسِ فيهِمْ والغِنَاءُ.

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (71)، للإمَامْ (الطبري).

الْأَسْلِحَةِ وَالْعُدَدِ وَتَكْثِيرِ الْعَدَدِ بِالنَّفِيرِ فِي سَبِيلِهِ.

{ثُبَاتٍ} أَيْ: جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ، وَفِرْقَةً بَعْدَ فِرْقَةٍ، وَسَرِيَّةً بَعْدَ سَرِيَّةٍ، وَالثُّبَاتُ: جَمْعُ ثُبَةٍ، وَقَدْ تُجْمَعُ الثُّبَةُ عَلَى ثُبِينَ.

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) قَوْلُهُ: {فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ} أَيْ: عُصَبًا يَعْنِي: سَرَايَا مُتَفَرِّقِينَ {أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} يَعْنِي: كُلَّكُمْ.

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ (مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَالسُّدِّيِّ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَعَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، وَخُصَيْفٍ الْجَزَرِيِّ). (1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {71} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} مِنْ عَدُوكم، أي: مِنْ عُدَّتِكُمْ وَآلَتِكُمْ مِنَ السِّلَاحِ، وَالْحَذَرِ وَالْحِذْرِ وَاحِدٌ كَالْمِثْلِ وَالْمَثَلِ وَالشِّبْهِ والشبه،

{فَانْفِرُوا} اخرجوا {ثُبَاتٍ} أَيْ: سَرَايَا مُتَفَرِّقِينَ سَرِيَّةً بَعْدَ سَرِيَّةٍ، وَالثُّبَاتُ جَمَاعَاتٌ فِي تَفْرِقَةٍ وَاحِدَتُهَا ثُبَةٌ،

{أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} أَيْ مُجْتَمِعِينَ كُلُّكُمْ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. (2)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني):- قولهُ عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} " أي أسلحتكم ، {فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ} " أي مِن عدوِّكم بالأسلحة والرِّجال، ولا تَخْرُجُوا متفرِّقين ، ولكن اخرجُوا ثُبَاتٍ ، {أَوِ انْفِرُواْ جَمِيعاً} " أي اخرجُوا جماعات جماعات " سَرِيَّةً سَرِيَّةً كما يأمرُكم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم- في جهاد عدوِّكم ، واخرجوا كلُّكم جميعاً مع النبيِّ- صلى الله عليه وسلم- إن أرادَ الخروج ، والثُّبَاتَ : الجماعاتُ في تفرقة واحدُها ثُبَةٌ " أي انفرُوا جماعةً بعد جماعة ، ويجوزُ أن يكون معنَى : الْحِذْرُ : السِّلاَحُ.

واستدلَّ أهل القدر بهذه الآية قالوا : إنَّ الحذرَ ينفعُ ويمنعُ عنكم مُكَايَدَةَ العدوِّ ، وإلاَّ لم يكن لأمرِه تعالى آتاهم بالحذر ، معناهُ : فيقالُ لَهم الائتمار بأمر الله والإنتهاء بنَهْيه واجبٌ عليهم " لأنَّهم به يَسْلَمُونَ من معصية الله تعالى " لأن المعصيةَ تركُ الأوامر والنواهي. وليسَ في الآية دليلٌ على أن حَذرَهُمْ ينفعُ من القدر شيئاً ، بل المرادُ منه طُمَأْنِينَةُ النفسِ لا أنَّ ذلك يدفعُ القدرَ. (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا} الثُّبَاتُ: السَّرَايَا، وَالْجَمِيعُ: الزَّحْفُ.

قَالَ: (مُحَمَّدٌ): الثُّبَاتُ: الْجَمَاعَاتُ المفترقة، وَاحِدهَا: ثبة. (4)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (71)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامِ (البغوي) سورة (النساء) الآية (71).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (71).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (71) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

[٧٢] ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإنَّ منكم - أيها المسلمون - أقوامًا يتباطؤون عن الخروج لقتال أعدائكم لجبنهم، ويبطِّئون غيرهم، وهم المنافقون وضعيفو الإيمان، فإن نالكم قتل أو هزيمة قال أحدهم فرحًا بسلامته: قد تفضل الله علي فلم أحضر القتال معهم فيصيبني ما أصابهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- وإنَّ منكم لنفرًا يتأخر عن الخروج لملاقاة الأعداء متثاقلا ويثبط غيره عن عمد وإصرار، فإن قُدِّر عليكم وأُصبتم بقتل وهزيمة، قال مستبشرًا: قد حفظني الله، حين لم أكن حاضرًا مع أولئك الذين وقع لهم ما أكرهه لنفسي، وسرَّه تخلفه عنكم.(2)

* * *

يَعْنِي:- واحذروا المثبطين المعوِّقين، فإن ممن يعيش معكم من يثبط عن القتال ويتخلف عنه، فإن أصابتكم نكبة في الجهاد قال ذلك الفريق المتخلف شامتاً: قد أنعم الله عليَّ إذ لم أشهد معهم هذا القتال.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ} ... لَيَتَأَخَّرَنَّ عَنْ الْقِتَال كَعَبْدِ اللَّه بْن أُبَيّ الْمُنَافِق وَأَصْحَابه وَجَعْله مِنْهُمْ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِر وَاللَّام فِي الْفِعْل لِلْقَسَمِ.

{لَمَنْ} ... اللام للابتداء.

{لَّيُبَطِّئَنَّ} ... يَتَأَخَّرُ عَنِ الخُرُوجِ مُتَثَاقِلًا، وَيُثَبِّطُ غَيْرَهُ. (ومعنى: لَيُبَطِّئَنَّ ليتثاقلن عن الجهاد).

{لَّيُبَطِّئَنَّ} ... أي: يَتَبَاطَأُ ويتثاقلُ عن الخروج فلا يخرج، يَعْنِي:- يُثَبِّطُ غيره عن الجهاد.

{لَيُبَطِّئَنَّ} ... جواب قسم محذوف، تقديره: وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن. والقسم وجوابه صلة (من). والخطاب لعسكر الرسول - صلّى الله عليه وآله وسلم-. والمبطئون منهم: المنافقون، لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا.

{فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} ... كَقَتْلٍ وَهَزِيمَةٍ.

{مُصِيبَةٌ} ... قتل أو جراحات وهزيمة.

{قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا} حاضرا فَأُصاب.

{شَهِيداً} ... حَاضِراً. أي: حاضراً الغزوة معهم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال الإِمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ) إلى قوله (فسوف

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (89/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (121/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

نؤتيه أجرا عظيما) مابين ذلك في المنافقين. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مقاتل بن حيان): قوله: (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) يقول: وإن منكم لمن ليتخلفن عن الجهاد (فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ) من العدو والجهد من العيش. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر في هذه الآية الكريمة أن المنافقين إذا سمعوا بأن المسلمين أصابتهم مصيبة أي: من قتل الأعداء لهم، أو جراح أصابتهم أو نحو ذلك يقولون إن عدم حضورهم معهم من نعم الله عليهم. وذكر في مواضع أخر: أنهم يفرحون بالسوء الذي أصاب المسلمين، كقوله تعالى: (وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها)

وقوله: (وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل، ويتولوا وهم فرحون). (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: {وَإِنَّ مِنْكُمْ} أي: أيها المؤمنون، {لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ} أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله ضعفا وخورا وجبنا، هذا الصحيح.

وقيل معناه: ليبطئن غيرَه أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون، ولكن الأول أَولى لوجهين:

أحدهما: قوله {مِنْكُمْ} والخطاب للمؤمنين.

والثاني: قوله في آخر الآية: {كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} فإن الكفار من المشركين والمنافقين قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين المودة. وأيضا فإن هذا هو الواقع، فإن المؤمنين على قسمين:

صادقون في إيمانهم أوجب لهم ذلك كمال التصديق والجهاد. وضعفاء دخلوا في الإسلام فصار معهم إيمان ضعيف لا يقوى على الجهاد. كما قال تعالى: {قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} إلى آخر الآيات. ثم ذكر غايات هؤلاء المتثاقلين ونهاية مقاصدهم، وأن معظم قصدهم الدنيا وحطامها فقال: {فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} أي: هزيمة وقتل، وظفر الأعداء عليكم في بعض الأحوال لما لله في ذلك من الحكم. {قَالَ} ذلك المتخلف {قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا} رأى من ضعف عقله وإيمانه أن التقاعد عن الجهاد الذي فيه تلك المصيبة نعمة. ولم يدر أن النعمة الحقيقية هي التوفيق لهذه الطاعة الكبيرة، التي بها يقوى الإيمان، ويسلم بها العبد من العقوبة والخسران، ويحصل له فيها عظيم الثواب ورضا الكريم الوهاب. وأما القعود فإنه وإن استراح قليلا فإنه يعقبه تعب

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (72).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (72).

(3) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (72).

طويل وآلام عظيمة، ويفوته ما يحصل للمجاهدين.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {وَإِنَّ مِنْكُمْ} يَا معشر الْمُؤمنِينَ {لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ} يَقُول ليتثاقلن عَن الْخُرُوج فِي سَبِيل الله عبد الله بن أبي وينتظر مَا يُصِيبكُم فِي السّريَّة {فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ} فِي السّريَّة {مُّصِيبَةٌ} الْقَتْل والهزيمة والشدة {قَالَ} عبد الله بن أبي {قَدْ أَنْعَمَ اللهُ} من الله {عَلَيَّ} بِالْجُلُوس {إِذْ لَمْ أَكُنْ مَّعَهُمْ} فِي تِلْكَ السّريَّة {شَهِيداً} حَاضرا.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (72)}

قال: (أبو جعفر): وهذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين، نعتهم لنبيه - صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ووصفهم بصفتهم فقال: {وإن منكم}، أيها المؤمنون، يعني: من عِدَادكم وقومكم، ومن يتشَّبه بكم، ويظهر أنه من أهل دعوتكم وملَّتكم، وهو منافق يبطِّئ من أطاعه منكم عن جهاد عدوكم وقتالهم إذا أنتم نفرتم إليهم، {فإن أصابتكم مصيبة}، يقول: فإن أصابتكم هزيمة، أو نالكم قتل أو جراح من عدوكم، {قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا}، فيصيبني جراح أو ألم أو قتل، وسَرَّه تخلّفه عنكم، شماتة بكم، لأنه من أهل الشك في وعد الله الذي وعد المؤمنين على ما نالهم في سبيله من الأجر والثواب، وفي وعيده. فهو غيرُ راج ثوابًا، ولا خائف عقابًا.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ} قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ،

وَقَالَ: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ): {لَيُبَطِّئَنَّ} أَيْ: لَيَتَخَلَّفَنَّ عَنِ الْجِهَادِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتَبَاطَأُ هُوَ فِي نَفْسِهِ، وَيُبَطِّئُ غَيْرَهُ عَنِ الْجِهَادِ، كَمَا كَانَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ) -قَبَّحَهُ اللَّهُ- يَفْعَلُ، يَتَأَخَّرُ عَنِ الْجِهَادِ، وَيُثَبِّطُ النَّاسَ عَنِ الْخُرُوجِ فِيهِ.

وَهَذَا قَوْلُ: (ابْنِ جُرَيْجٍ)، وَ(ابْنِ جَرِيرٍ)" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: إِخْبَارًا عَنِ الْمُنَافِقِ أَنَّهُ يَقُولُ إِذَا تَأَخَّرَ عَنِ الْجِهَادِ: {فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} أَيْ: قَتْلٌ وَشَهَادَةٌ وَغَلَبُ الْعَدُوِّ لَكُمْ، لِمَا لِلَّهِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ.

{قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا} أَيْ: إِذْ لَمْ أَحْضُرْ مَعَهُمْ وَقْعَةَ الْقِتَالِ، يَعُدُّ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَدْرِ مَا فَاتَهُ مِنَ الْأَجْرِ فِي الصَّبْرِ أَوِ الشَّهَادَةِ إِنْ قُتِلَ.(4)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (72)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (72). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (72)، للإمَام (الطبري)،

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (72)، للإمَامْ (ابن كثير).

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {72} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ} نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، وَإِنَّمَا قَالَ: (مِنْكُمْ) لاجْتِمَاعِهِمْ مَعَ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الْجِنْسِيَّةِ وَالنَّسَبِ وَإِظْهَارِ الْإِسْلَامِ، لا فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، (لَيُبَطِّئَنَّ) أَيْ: لَيَتَأَخَّرَنَّ، وَلَيَتَثَاقَلَنَّ عَنِ الْجِهَادِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ الْمُنَافِقُ، وَاللَّامُ فِي (لَيُبَطِّئَنَّ) لامُ الْقَسَمِ، وَالتَّبْطِئَةُ: التَّأَخُّرُ عَنِ الْأَمْرِ، يُقَالُ: مَا أَبْطَأَ بِكَ؟ أَيْ: ما أخرك عنا؟ ويقال: إِبْطَاءً وَبَطَّأَ يُبَطِّئُ تَبْطِئَةً. {فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} أَيْ: قَتْلٌ وَهَزِيمَةٌ، {قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ} بِالْقُعُودِ، {إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا} {النساء: 72} أَيْ: حَاضِرًا فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ فَيُصِيبُنِي مَا أَصَابَهُمْ. (1)

* * *

قَال : الإِمَامُ (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ. وَالتَّبْطِئَةُ وَالْإِبْطَاءُ التَّأَخُّرُ، تَقُولُ: مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا، فَهُوَ لازِمٌ. وَيَجُوزُ بَطَّأْتُ فُلَانًا عَنْ كَذا أي أخرته، فهو متعد. وَالْمَعْنَيَانِ مُرَادٌ فِي الْآيَةِ، فَكَانُوا يَقْعُدُونَ عَنِ الْخُرُوجِ وَيُقْعِدُونَ غَيْرَهُمْ. وَالْمَعْنَى أَنَّ مِنْ دُخَلَائِكُمْ وَجِنْسِكُمْ وَمِمَّنْ أَظْهَرَ إِيمَانَهُ لَكُمْ. فَالْمُنَافِقُونَ فِي ظَاهِرِ الْحَالِ مِنْ أَعْدَادِ الْمُسْلِمِينَ بِإِجْرَاءِ أَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ. وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ (لَمَنْ) لامُ توكيد، والثانية لام قسم، و (مَن) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَصِلَتُهَا (لَيُبَطِّئَنَّ) لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى الْيَمِينِ، وَالْخَبَرُ (مِنْكُمْ). وَقَرَأَ (مُجَاهِدٌ) وَ(النَّخَعِيُّ) (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبْطِئَنَّ) بِالتَّخْفِيفِ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. يَعْنِي:- الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ: (وَإِنَّ مِنْكُمْ) وَقَدْ فَرَّقَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِقَوْلِهِ (وما هُمْ مِنْكُمْ) وَهَذَا يَأْبَاهُ مَسَاقُ الْكَلَامِ وَظَاهِرُهُ. وَإِنَّمَا جَمَعَ بَيْنَهُمْ فِي الْخِطَابِ مِنْ جِهَةِ الْجِنْسِ وَالنَّسَبِ كَمَا بَيَّنَّا لا مِنْ جِهَةِ الْإِيمَانِ. هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَهُوَ الصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: (فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ) أَيْ قَتْلٌ وَهَزِيمَةٌ.

(قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ) يَعْنِي بِالْقُعُودِ، وَهَذَا لا يَصْدُرُ إِلا مِنْ مُنَافِقٍ، لا سِيَّمَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْكَرِيمِ، بعيد أن يقول مُؤْمِنٌ.

وَيَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ مَا رَوَاهُ الْأَئِمَّةُ عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِخْبَارًا عَنِ الْمُنَافِقِينَ (إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَيْهِمْ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ ولو يعلمون ما فيهما لا توهما وَلَوْ حَبْوًا) الْحَدِيثَ.

فِي رِوَايَةٍ (وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا) يَعْنِي صلاة العشاء. يقول: لو لاح شي مِنَ الدُّنْيَا يَأْخُذُونَهُ وَكَانُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ لَبَادَرُوا إِلَيْهِ. (2)

* * *

قَال : الإِمَامُ (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (72).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (72)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

لَيُبَطِّئَنَّ} " أي ممَّن أظهر الإيمان ليتشاغلَنَّ عن الجهاد ، ويثقلَنَّ غيرَه وهو (عبدُالله بن أُبَيّ وجَدُّ بنُ قيس) ، وأصحابُهما من المنافقينَ الذين كانوا يشاركون المسلمينَ في ظاهر الإسلام كانوا ينتظرونَ هلاكَ المسلمين وهزيمَتهم ويتثاقلون عن الجهاد ، يقال : أبْطأَ الرجُلُ اذا تأخَّرَ عن العمل بإطالة المدَّة. قَوْلُهُ تَعالَى : {فَإِنْ أَصابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَّعَهُمْ شَهِيداً} " أي إنْ أصابتْكم نَكْبَةٌ أو هزيمَةٌ أو قتلٌ ، قال هذا الْمُبْطِئُ : قَدْ مَنَّ اللهُ عليَّ إذْ لم أكُنْ مَعَهُم حاضراً في تلك الغزوة فيصيبُني مثلَ الذي أصابَهم.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَإِن مِنكُم لمن ليبطئن} عَن الْغَزْو وَالْجهَاد، فِي تَفْسِير الْحسن.

قَالَ: (مُحَمَّد): {ليبطئن} مَعْنَاهُ: يتَأَخَّر، يُقَال: أبْطَأَ الرجل" إذا تَأَخَّر، وبطؤ إذا ثقل. {فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} أَي: نكبة {قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهم شَهِيدا} حَاضرا.(2)

* * *

قال:الإمام (مجاهد) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- أنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثنا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: نا آدَمُ، قَالَ: نا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ (مُجَاهِدٍ)، فِي قَوْلِهِ: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ} {النساء: 72} إِلَى قَوْلِهِ {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} {النساء: 73} فِيمَا بَيَّنَ ذَلِكَ فِي الْمُنَافِقِينَ>.(3)

* * *

[٧٣] ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ولئن نالكم أيها المسلمون- فضل من الله بنصر أو غنيمة ليقولَنَّ هذا المتخلف عن الجهاد: كأنه ليس منكم ولم تكن بينكم وبينه محبة وصحبة: يا ليتني كنت معهم في قتالهم هذا فأظفر بعظيم ما ظفروا به.(4)

* * *

يَعْنِي:- ولئن نالكم فضل من الله وغنيمة، ليقولن -حاسدًا متحسرًا، كأن لم تكن بينكم وبينه مودة في الظاهر-: يا ليتني كنت معهم فأظفر بما ظَفِروا به من النجاة والنصرة والغنيمة.(5)

* * *

يَعْنِي:- وإن جاءكم فضل من الله بالنصر والفوز بغنائم القتال، قال ذلك الفريق - متحسراً متمنياً الأمانى - يا ليتنى كنت معهم فى هذا القتال فأفوز بعظيم الغنائم،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (72).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (72) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (تفسير مجاهد) في سورة (النساء) - الآية (72).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (89/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

ويقول هذا القول وكأنه لا رابطة من المودة تربطه بكم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَئِنْ} ... لام قسم .

{أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ } ... كَفَتْحٍ وَغَنِيمَةٍ.

{فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ} ... من فتح أو غنيمة.

{لَيَقُولَنَّ} ... نَادمًا.

{لَيَقُولَنَّ} ... وقرىء (ليقولن) بضم اللام، إعادة الضمير إلى معنى (من) لأن قوله لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ في معنى الجماعة.

{كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} ... اعتراض بين الفعل لَيَقُولَنَّ وبين مفعوله وهو يا لَيْتَنِي أي: كأن لم تتقدم له معكم مودة، لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن.

{كَأَنْ} ... مُخَفَّفَة وَاسْمهَا مَحْذُوف أَيْ كَأَنَّهُ.

{بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} ... مَعْرِفَة وَصَدَاقَة وَهَذَا رَاجِع إِلَى قَوْله قَدْ أَنْعَمَ اللَّه عَلَيَّ اعْتَرَضَ بِهِ بَيْنَ الْقَوْل وَمَقُوله وَهُوَ. {يَا} ... لِلتَّنْبِيهِ.

{لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} ... آخذ حظا وافرا من الغنيمة.

{فَأَفُوزَ} ... قرىء: فأفوز، بالرفع عطفا على كُنْتُ مَعَهُمْ لينتظم الكون معهم، والفوز معنى التمني، فيكونا متمنين جميعا.

ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، بمعنى: فأنا أفوز في ذلك الوقت.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا) ذكر في هذه الآية، أن المنافقين إذا سمعوا أن المسلمين أصابهم فضل الله أي: نصر وظفر وغنيمة، تمنوا أن يكونوا معهم ليفوزوا بسهامهم من الغنيمة، وذكر في مواضع أخر أن ذلك الفضل الذي يصيب المؤمنين يسوءهم لشدة عداوتهم الباطنة لهم، كقوله تعالى: {إن تمسسكم حسنة تسؤهم}. {3 \ 120}، وقوله: {إن تصبك حسنة تسؤهم} {9 \ 50}.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مقاتل بن حيان): قوله: (ولئن أصابكم فضل من الله) يعني: فتحاً وغنيمة وسعة في الرزق،

قوله تعالى: (ليقولن) المنافق وهو نادم في التخلف،

قوله: (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) يقول: كأنه ليس من أهل دينكم في المودة، فهذا من التقديم،

قوله: (ياليتنى كنت معهم) قال: المنافق نادم في التخلف يتمنى ياليتني كنت معهم،

قوله: (فأفوز) يعني: أ نجو بالغنيمة،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (121/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (73).

قوله : (عظيما) يقول : وافرا.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– (بسنده الحسن) – عن (قتادة):قوله : (ياليتني كنت معهم) قال: قول حاسد.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– ثم قال: {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ} أي: نصر وغنيمة {لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} أي: يتمنى أنه حاضر لينال من المغانم، ليس له رغبة ولا قصد في غير ذلك، كأنه ليس منكم يا معشر المؤمنين ولا بينكم وبينه المودة الإيمانية التي من مقتضاها أن المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم ودفع مضارهم، يفرحون بحصولها ولو على يد غيرهم من إخوانهم المؤمنين ويألمون بفقدها، ويسعون جميعا في كل أمر يصلحون به دينهم ودنياهم، فهذا الذي يتمنى الدنيا فقط، ليست معه الروح الإيمانية المذكورة.

ومن لطف الله بعباده أن لا يقطع عنهم رحمته، ولا يغلق عنهم أبوابها. بل من حصل منه غير ما يليق أمره ودعاه إلى جبر نقصه وتكميل نفسه،(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):– {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ} في تلك السّرِيَّة {فَضْلٌ} فتح وغنيمة {مِنَ الله لَيَقُولن} (عبد الله ابْن أبي) {كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} صلَة فِي الدّين وَمَعْرِفَة فِي الصُّحْبَة مقدم ومؤخر {يَا لَيْتَنِي كُنتُ} فِي الْغُزَاة {مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً} فأصيب غَنَائِم كَثِيرَة وحظا وافر.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):–
قال : (أبو جعفر): يقول جل ثناؤه: {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ} ، ولئن أظفركم الله بعدوكم فأصبتم منهم غنيمة، ليقولن هذا المبطِّئُ المسلمين عن الجهاد معكم في سبيل الله، المنافقُ ،
{كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ} ، بما أصيب معهم من الغنيمة، {فَوْزًا عَظِيمًا} .

* * *

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين: أنّ شهودهم الحرب مع المسلمين إن شهدوها، لطلب الغنيمة = وإن تخلَّفوا عنها، فللشك الذي في قلوبهم، وأنهم لا يرجون لحضورها ثوابًا، ولا يخافون بالتخلف عنها من الله عقابًا.

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (73).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (73).
(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (73)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (73). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

وكان (قتادة)، و (ابن جريج) يقولان: إنما قال من قال من المنافقين إذا كان الظفر للمسلمين: {يا ليتني كنت معهم}، حسدًا منهم لهم.

9940 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة) قوله: {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (73)} قال: قول حاسد.

9941 - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن (ابن جريج) قوله: {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ} قال: ظهور المسلمين على عدوهم فأصابوا الغنيمة، ليقولن: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا}، قال: قول الحاسد.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ} أيْ: نَصْرٌ وَظَفَرٌ وَغَنِيمَةٌ {لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} أي: كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} أيْ: بِأَنْ يُضْرَبَ لِي بِسَهْمٍ مَعَهُمْ فَأَحْصُلَ عَلَيْهِ. وَهُوَ أَكْبَرُ قَصْدِهِ وَغَايَةُ مُرَادِهِ.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {73} {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ} فتح وغنيمة، {لَيَقُولَنَّ} هَذَا الْمُنَافِقُ، وَفِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ،

وَقَوْلُهُ: {كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ {فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} تَقْدِيرُهُ: فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا، (كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) أَيْ: مَعْرِفَةٌ،

قَرَأَ (ابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصٌ وَيَعْقُوبُ) (تَكُنْ) بِالتَّاءِ، وَالْبَاقُونَ بِالْيَاءِ، أَيْ: {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ}: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ} فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ،

{فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} {النساء: 73} أَيْ: آخُذَ نَصِيبًا وَافِرًا مِنَ الْغَنِيمَةِ،

وَقَوْلُهُ: (فَأَفُوزَ) نُصِبَ عَلَى جَوَابِ التَّمَنِّي بِالْفَاءِ، كَمَا تَقُولُ: وَدِدْتُ أَنْ أَقُومَ فَيَتْبَعَنِي النَّاسُ.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (القُرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: (وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ) أَيْ غَنِيمَةٌ وَفَتْحٌ (لَيَقُولَنَّ) هَذَا الْمُنَافِقُ قَوْلَ نَادِمٍ حَاسِدٍ (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً) (كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) فَالْكَلَامُ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ.

يَعْنِي:- المعنى: (لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) أَيْ: كَأَنْ لَمْ يُعَاقِدْكُمْ عَلَى الْجِهَادِ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (73)، للإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (73)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (73).

يَعْنِي :- هُوَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ.

وَقَرَأَ (الْحَسَنُ) (لَيَقُولُنَّ) بِضَمِّ اللَّامِ عَلَى مَعْنَى (مَنْ)، لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ (لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) لَيْسَ يَعْنِي رَجُلًا بِعَيْنِهِ. وَمَنْ فَتَحَ اللَّامَ أَعَادَ فَوَحَّدَ الضَّمِيرَ عَلَى لَفْظِ (مَنْ).

وَقَرَأَ (ابْنُ كَثِيرٍ) وَ (حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ) (كَأَنْ لَمْ تَكُنْ) بِالتَّاءِ عَلَى لَفْظِ الْمَوَدَّةِ. وَمَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ جَعَلَ مَوَدَّةً بِمَعْنَى الْوُدِّ.

وَقَوْلُ الْمُنَافِقِ (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ) عَلَى وَجْهِ الْحَسَدِ أَوِ الْأَسَفِ عَلَى فَوْتِ الْغَنِيمَةِ مَعَ الشَّكِّ فِي الْجَزَاءِ مِنَ اللَّهِ.

(فَأَفُوزَ) جَوَابُ التَّمَنِّي وَلِذَلِكَ نُصِبَ.

وَقَرَأَ (الْحَسَنُ): (فَأَفُوزُ) بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ تَمَنَّى الْفَوْزَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَا لَيْتَنِي أَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا. وَالنَّصْبُ عَلَى الْجَوَابِ، وَالْمَعْنَى إِنْ أَكُنْ مَعَهُمْ أَفُزْ. وَالنَّصْبُ فِيهِ بِإِضْمَارِ (أَنْ) لِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى تَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ، التَّقْدِيرُ يَا لَيْتَنِي كان لي حضور ففوز.(1)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ} " أي وإن أصابكم أيُّها المؤمنون ظَفَرٌ وغنيمةٌ ، {لَيَقُولَنَّ} " هذا المُبْطِئُ نادماً ، {كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ} " في الغزو فأُصيبَ حظّاً وافراً وغنائم كثيرةً. قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} " قال بعضهم : هو معرضٌ بين اليمين وما قبلَهُ " تقديره : وَلَئِنْ أصابَكُمْ فضلٌ من الله ليقولَنَّ يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُم ، {فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً} " كأنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُم وبينَهُ مَوَدَّةٌ " أي يتمنَّى أن ينالَ من غير أن يريدَ الجهادَ والقتالَ ،

وقيل : هو متصلٌ بقوله {قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَّعَهُمْ شَهِيداً} كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ " أي صلةٌ في الدِّين ومعرفةٌ في الصُّحبة ، كأنهُ لم يُعَاقِدْكُمْ قَبْلَ أن يجاهدَ معكم.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ} يَعْنِي: الْغَنِيمَةَ {لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ يكن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} أَي: أصبت من الْغَنِيمَة" وَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ.

وَقَوله : {كَأَن لم يكن بَيْنكُم وَبَينه مَوَدَّة} فِيمَا يظْهر.

قَالَ : (مُحَمَّد): {فَأَفُوزَ} مَنْصُوب" على جَوَاب التَّمَنِّي بِالْفَاءِ.(3)

* * *

[٧٤] ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (73)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (73).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (73) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

فليقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، المؤمنون الصادقون الذين يبيعون الحياة الدنيا رغبة عنها، بالآخرة رغبة فيها، ومن يقاتل في سبيل الله لتكون كلمته هي العليا فيُقتلْ شهيدًا، أو يظهَرْ على عدوه، ويظفر به، فسيعطيه الله ثوابًا عظيمًا، وهو الجنة ورضوان الله. (1)

* * *

يَعْنِي:- فليجاهد في سبيل نصرة دين الله، وإعلاء كلمته، الذين يبيعون الحياة الدنيا بالدار الآخرة وثوابها. ومن يجاهد في سبيل الله مخلصًا، فيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ، فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- إذا كان منكم من يعوق أو يبطئ لضعف فى إيمانه، أو خور فى عزيمته فليقاتل فى سبيل إعلاء كلمة اللّه والحق، وهم الذين يبيعون الحياة الدنيا طالبين الحياة الآخرة، ومن يقاتل فى سبيل إعلاء كلمة اللّه والحق فسينال إحدى الحسنيين. فإما أن يقتل فينال فضل الاستشهاد فى سبيل اللّه، أو ينتصر فينال فضل الفوز فى الدنيا، وهو فى كلتا الحالتين يؤتيه اللّه أجراً عظيما فى الآخرة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّه} ... لِإِعْلَاءِ دِينه.

{الَّذِينَ يَشْرُونَ} ... يَبِيعُونَ.

{يَشْرُونَ} ... يشترون ويبيعون. أي: فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون، وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان لله ورسوله، ويجاهدوا فى سبيل الله حق الجهاد.

والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها.

والمعنى: إن صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل التائبون المخلصون. ووعد المقاتل فى سبيل الله، ظافرا أو مظفورا به، إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده فى إعزاز دين الله. (4)

{الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ} ... يُسْتَشْهَد.

{أَوْ يَغْلِبْ} ... يَظْفَر بِعَدُوِّه.

{فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} ... ثوابًا جزيلا. (5)

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) يقول: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة. (6)

* * *

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (89/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (121/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (74)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(5) انظر: (تفسير الجلالين) في سورة (النساء) الآية (74).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (74).

قال: الإمام (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر في هذه الآية الكريمة، أنه سوف يؤتى المجاهد في سبيله أجرا عظيما سواء قتل في سبيل الله، أم غلب عدوه وظفر به وبين في موضع أخر: أن كلتا الحالتين حسنى، وهو قوله (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) .(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثمَّ أمرهم بِالْقِتَال فِي سَبِيل الله وَإِن كَانُوا منافقين فَقَالَ {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله} فِي طَاعَة الله {الَّذين يشرون الْحَيَاة الدُّنْيَا بِالآخِرَة} يختارون الدُّنْيَا على الْآخِرَة وَيُقَال نزلت هَذِه الْآيَة فِي المخلصين فليقاتل فِي سَبِيل الله فِي طَاعَة الله الَّذين يشرون الْحَيَاة الدُّنْيَا بِالآخِرَة يبيعون الدُّنْيَا بِالآخِرَة ويختارون الْآخِرَة على الدُّنْيَا ثمَّ ذكر ثوابهم فَقَالَ {وَمن يُقَاتِلْ فِي سَبِيل الله} فِي طَاعَة الله {فَيُقْتَلْ} يستشهد {أَو يَغْلِبْ} يظفر على الْعَدو {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ} نُعْطِيه فِي كلا الْوَجْهَيْنِ {أَجْراً عَظِيماً} ثوابًا وافراً فِي الْجنَّة.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (74)}

قال: (أبو جعفر): وهذا حضٌّ من الله المؤمنين على جهاد عدوه من أهل الكفر به على أحايينهم = غالبين كانوا أو مغلوبين، والتهاون بأقوال المنافقين في جهاد من جاهدوا من المشركين، وأن لهم في جهادهم إياهم - مغلوبين كانوا أو غالبين - منزلة من الله رفيعة.

* * *

يقول الله لهم جل ثناؤه: {فليقاتل في سبيل الله}، يعني: في دين الله والدعاء إليه، والدخول فيما أمر به أهل الكفر به، {الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة}، يعني: الذين يبيعون حياتهم الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله أهل طاعته فيها. وبيعُهم إياها بها: إنفاقهم أموالهم في طلب رضى الله، لجهاد من أمر بجهاده من أعدائه وأعداء دينه، وبَذْلهم مُهجهم له في ذلك.

* * *

أخبر جل ثناؤه بما لهم في ذلك إذا فعلوه فقال: {ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا}، يقول: ومن يقاتل - في طلب إقامة دين الله وإعلاء كلمة الله - أعداءَ الله، {فيقتل}، يقول: فيقتله أعداء الله، أو يغلبهم فيظفر بهم، {فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا}، يقول: فسوف نعطيه في الآخرة ثوابًا وأجرًا عظيمًا. وليس لما سمى جل ثناؤه {عظيمًا}، مقدار يعرف مبلغَه عبادُ الله.

* * *

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (74).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (74). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

9942 - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي): {فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة}، يقول: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة.

9943 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال: (ابن زيد): {يشرون الحياة الدنيا بالآخرة}، فـ "يشري": يبيع، و"يشري": يأخذ = وإن الحمقى باعوا الآخرة بالدنيا.(1)

* * *

قال : الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {فَلْيُقَاتِلْ} أَيْ: الْمُؤْمِنُ النَّافِرُ {فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ} أَيْ: يَبِيعُونَ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ قَلِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا ذَلِكَ إِلَا لِكُفْرِهِمْ وَعَدَمِ إِيمَانِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} أَيْ: كُلُّ مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - سَوَاءٌ قُتِلَ أَوْ غَلَبَ وسَلَبَ-فَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَثُوبَةٌ عَظِيمَةٌ وَأَجْرٌ جَزِيلٌ،

كَمَا ثَبَتَ فِي (الصَّحِيحَيْنِ):(2) وَتَكَفَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ، إِنْ تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أجر أو غنيمة.(3)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {74} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ} قِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، وَمَعْنَى يَشْرُونَ أَيْ: يَشْتَرُونَ، يَعْنِي الَّذِينَ يَخْتَارُونَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، مَعْنَاهُ: آمَنُوا ثُمَّ قَاتِلُوا،

يَعْنِي:- نَزَلَتْ فِي الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ، مَعْنَاهُ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ أَيْ: يَبِيعُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَيَخْتَارُونَ الْآخِرَةَ {وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ} يعني: يستشهد، {أَوْ يَغْلِبْ} يظفر {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ} فِي كِلَا الْوَجْهَيْنِ {أَجْرًا عَظِيمًا} {النساء: 74}.(4)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عظيماً (74)}

فيه ثَلَاثُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى- قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) الْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ، أَيْ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْكُفَّارَ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (74)، للإمَامْ (الطبري).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7463، 7457).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1876)،- من حديث -(أبي هريرة) – (رضي الله عنه).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (74)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (74).

(الَّذِينَ يَشْرُونَ) أَيْ يَبِيعُونَ، أَيْ يَبْذُلُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (بِالْآخِرَةِ) أَيْ بِثَوَابِ الْآخِرَةِ.

الثَّانِيَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) شَرْطٌ. (فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ) عَطْفٌ عَلَيْهِ، وَالْمُجَازَاةُ (فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا). وَمَعْنَى: (فَيُقْتَلْ) فَيُسْتَشْهَدُ. (أَوْ يَغْلِبْ) يَظْفَرُ فَيَغْنَمُ.

وَقَرَأَتْ طَائِفَةٌ (وَمَنْ يُقَاتِلْ) (فَلْيُقَاتِلْ) بِسُكُونِ لَامِ الْأَمْرِ.

وَقَرَأَتْ فِرْقَةٌ (فَلِيُقَاتِلْ) بِكَسْرِ لَامِ الْأَمْرِ. فَذَكَرَ تَعَالَى غَايَتَيْ حَالَةِ الْمُقَاتِلِ وَاكْتَفَى بِالْغَايَتَيْنِ عَمَّا بَيْنَهُمَا، ذَكَرَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ.

الثَّالِثَةُ- ظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَ مَنْ قُتِلَ شَهِيدًا أَوِ انْقَلَبَ غَانِمًا.

وَفِي صَحِيحِ (مُسْلِمٍ) عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ): قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ (1) فِي سَبِيلِي وَإِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَفِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ (. فَقَوْلُهُ: (نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) يَقْتَضِي أَنَّ لِمَنْ يُسْتَشْهَدُ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ، إِمَّا الْأَجْرُ إِنْ لَمْ يَغْنَمْ، وَإِمَّا الْغَنِيمَةُ ولا أجر، بخلاف حديث عبد الله ابن عمرو، وَلَمَّا كَانَ هَذَا قَالَ قَوْمٌ: حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو لَيْسَ بِشَيْءٍ، لِأَنَّ فِي إِسْنَادِهِ حُمَيْدَ بْنَ هَانِئٍ وَلَيْسَ بِمَشْهُورٍ، وَرَجَّحُوا الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ عَلَيْهِ لِشُهْرَتِهِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: لَيْسَ بَيْنَهُمَا تَعَارُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ. وَ (أَوْ) فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِمَعْنَى الْوَاوِ، كَمَا يَقُولُ الْكُوفِيُّونَ وَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهِ رِوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ فَإِنَّهُ قَالَ فِيهِ: (مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ) بالواو والجامعة.

وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُ رُوَاةِ (مُسْلِمٍ) بِالْوَاوِ الْجَامِعَةِ أَيْضًا. وَحُمَيْدُ بْنُ هَانِئٍ مِصْرِيٌّ سَمِعَ أَبَا عبد الرحمن الحبلي وعمرو ابن مالك، وَرَوَى عَنْهُ حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ وَابْنُ وَهْبٍ، فَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ مَحْمُولٌ عَلَى مُجَرَّدِ النِّيَّةِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْجِهَادِ، فَذَلِكَ الَّذِي ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ إِمَّا الشَّهَادَةَ، وَإِمَّا رَدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ مَأْجُورًا غَانِمًا، وَيُحْمَلُ الثَّانِي عَلَى مَا إِذَا نَوَى الْجِهَادَ وَلَكِنْ مَعَ نَيْلِ الْمَغْنَمِ، فَلَمَّا انْقَسَمَتْ نِيَّتُهُ انْحَطَّ أَجْرُهُ، فَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنَّ لِلْغَانِمِ أَجْرًا كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَلَا تَعَارُضَ. ثُمَّ قِيلَ: إِنْ نَقْصَ أَجْرِ الْغَانِمِ عَلَى مَنْ يَغْنَمُ إِنَّمَا هُوَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا فَتَمَتَّعَ بِهِ وَأَزَالَ عَنْ نَفْسِهِ شَظَفَ عَيْشِهِ، وَمَنْ أَخْفَقَ فَلَمْ يُصِبْ شَيْئًا بَقِيَ عَلَى شَظَفِ عَيْشِهِ وَالصَّبْرِ عَلَى حَالَتِهِ، فَبَقِيَ أَجْرُهُ مُوَفَّرًا بِخِلَافِ الْأَوَّلِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: (فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا - منهم مصعب ابن

(1) في صحيح (مسلم: جهادا. ايمانا. تصديقا. قال: الإمام (النووي): مفعول له.

عمير- ومنا من أينعت له تمرته فهو يهدبها.(1)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني):- ثمَّ أمرَ اللهُ تعالى كُلَّ مَنْ عَقَدَ الإيمانَ بالقتالِ " فقال عَزَّ وجَلَّ: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ} " أي لِيُقَاتِلْ في طاعة الله ورضَاه الذين يَبْيعونَ الحياةَ الدُّنيا بالآخرة وهم المؤمنونَ.

وَقِيْلَ : معناهُ : إنَّ الخطاب لِلْمُبْطِئِيْنَ " ومعنى {يَشْرُونَ} : يَخْتَارُونَ الحياةَ الدُّنيا على الآخرة. وهذا اللفظُ من الأضداد ، يقالُ : شَرَيْتُ بمعْنَى بعْتُ، وَشَرَيْتُ بمعْنَى اشْتَرَيْتُ ، فيكون معنى الآية على هذا : آمنُوا ثُمَّ قاتلوا ، لإنهُ لا يجوزُ أن يكونَ الكافرُ مأموراً بشيء يتقدَّم على الإيْمان.

ثُم ذَكَرَ اللهُ تعالى فضلَ الْمُجَاهِدِيْنَ " فَقَالَ : {وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} " أي في الجهاد الذي هو طاعةُ الله تعالى " {فَيُقْتَلْ} " هو " {أَو يَغْلِبْ} " العدوَّ " {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} " فسوفَ نُعْطِيْهِ في كِلاَ الوجهين ثواباً وافراً في الجنَّة ، وسَمَّى اللهُ تعالى الثوابَ عظيماً " لأنه نالَ ثمناً من العزيز بأغلَى الأثمان ، وقد يكون ثَمَنُ الشيءِ مثلَهُ ، ويكون وَسَطاً من الأثمان.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يشرون الْحَيَاة الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ} أَي: يبيعون.(3)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• فعل الطاعات من أهم أسباب الثبات على الدين.

• أخذ الحيطة والحذر باتخاذ جميع الأسباب المعينة على قتال العدو، لا بالقعود والتخاذل.

• الحذر من التباطؤ عن الجهاد وتثبيط الناس عنه" لأن الجهاد أعظم أسباب عزة المسلمين ومنع تسلط العدو عليهم.(4)

* * *

[٧٥] ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِم أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما المانع لكم أيها المؤمنون- من الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته ، ولاستنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال الذين يدعون الله قائلين: يا ربنا ، أخرجنا

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (74)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (74).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (74) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (89/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

من مكة لظلم أهلها بالشرك بالله والاعتداء على عباده، واجعل لنا من عندك من يتولى أمرنا بالرعاية والحفظ، ونصيرًا يدفع عنا الضر.(1)

* * *

يَعْنِي:- وما الذي يمنعكم أيها المؤمنون- عن الجهاد في سبيل نصرة دين الله، ونصرة عباده المستضعفين من الرجال والنساء والصغار الذين اعتدي عليهم، ولا حيلة لهم ولا وسيلة لديهم إلا الاستغاثة بربهم، يدعونه قائلين: ربنا أخرجنا من هذه القرية -يعني (مكة) - التي ظَلَم أهلها أنفسهم بالكفر والمؤمنين بالأذى، واجعل لنا من عندك وليّاً يتولى أمورنا، ونصيرًا ينصرنا على الظالمين؟.(2)

* * *

يَعْنِي:- كيف يسوغ لكم ألا تقاتلوا في سبيل اللّه، مع أن المستضعفين من الرجال والنساء والذرية يستغيثون ويستنصرون ضارعين إلى اللّه يقولون: ربنا أخرجنا من ولاية هؤلاء الظالمين ومكِّنَّا بقوتك ورحمتك من أن نكون تحت ولاية المؤمنين، واجعل لنا من عندك نصيراً ينصرنا.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وما لكم لاَ تُقَاتِلُونَ} ... اسْتِفْهَام تَوْبِيخ أَيْ لاَ مَانِع لكم من القتال.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (75) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)

{في سبيل الله} ... في تَخْلِيص.

{سَبِيلِ الله} ... الطريق الموصلة إلى إعلاء كلمة الله تعالى بأن يعبد وحده، ولا يضطهد مسلم في دينه، ولا من أجل دينه.

{والْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ} ... الَّذِينَ حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم،

قَالَ: (بن عَبَّاس) - رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا - كُنْت أَنَا وَأُمِّي مِنْهُمْ.

{وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} ... المستضعف الذي قام به عجز فاستضعفه غيره فآذاه لضعفه.

{وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} ... إما أن يكون مجرورا عطفا على سَبِيلِ اللَّه أي: في سبيل الله، وفي خلاص المستضعفين.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (90/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (90/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (121/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

وإما أن يكون منصوبا على الاختصاص، يعني: واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين، لأن سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه.

والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة، وصدهم المشركون عن الهجرة، فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد، وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة، وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر، وهو محمد -صلّى الله عليه وآله وسلم-. (1)

{الَّذِينَ يَقُولُونَ} ... دَاعِينَ يَا.

{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} ... مَكَّة.

{الْقَرْيَةِ} ... القرية في عرف القرآن: المدينة الكبيرة والجامعة والمراد بها هنا مكة المكرمة.

{الظَّالِمِ أَهْلُهَا} ... بِالْكُفْرِ.

{وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ} ... مِنْ عِنْدك.

{وَلِيًّا} ....يَتَوَلَّى أُمُورنَا.

{وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} ... يَمْنَعنَا مِنْهُمْ وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّه دُعَاءَهُمْ فَيَسَّرَ لِبَعْضِهِمْ الْخُرُوج وَبَقِيَ بَعْضهمْ إِلَى أَنْ فُتِحَتْ مَكَّة وَوَلَّى - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَتَّاب بْن أَسِيد فَأَنْصَفَ مَظْلُومهمْ مِنْ ظَالِمهمْ. (2)

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثني عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عبيد الله قال: سمعتُ (ابن عباس) قال: كنتُ أنا وأمي من المستضعفين. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قول الله: (مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا) قال: أمر المؤمنين أن يقاتلوا عن مستضعفي المؤمنين، كانوا بمكة. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {75} {وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} . هذا حث من الله لعباده المؤمنين وتهييج لهم على القتال في سبيله، وأن ذلك قد تعين عليهم، وتوجه اللوم العظيم عليهم بتركه،

فقال: {وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} والحال أن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ومع هذا فقد نالهم أعظم الظلم من أعدائهم، فهم يدعون الله أن

---

(1) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (75)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(2) انظر: (تفسير الجلالين) في سورة (النساء) الآية (75).

(3) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (103/8)، (ح 4587) – (كتاب: تفسير القرآن)، باب: سورة (النساء).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (75).

يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها لأنفسهم بالكفر والشرك، وللمؤمنين بالأذى والصد عن سبيل الله، ومنعهم من الدعوة لدينهم والهجرة.

ويدعون الله أن يجعل لهم وليًّا ونصيرًا يستنقذهم من هذه القرية الظالم أهلها، فصار جهادكم على هذا الوجه من باب القتال والذب عن عيالاتكم وأولادكم ومحارمكم، لا من باب الجهاد الذي هو الطمع في الكفار، فإنه وإن كان فيه فضل عظيم ويلام المتخلف عنه أعظم اللوم، فالجهاد الذي فيه استنقاذ المستضعفين منكم أعظم أجرًا وأكبر فائدة، بحيث يكون من باب دفع الأعداء.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثُمَّ ذكر كراهيتهم الْقِتَال فِي سَبِيل الله فَقَالَ: {وَمَا لَكُمْ} يَا معشر الْمُؤمنِينَ {لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ} فِي طَاعَة الله مَعَ أهل مَكَّة {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ} الصّبيان {الَّذِينَ يَقُولُونَ} بِمَكَّة {رَبَّنَا} يَا رَبنَا {أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} يَعْنِي مَكَّة {الظَّالِمِ أَهْلُهَا} الْمُشرك أَهلهَا {وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ} من عنْدك {وَلِيًّا} حَافِظًا يعنون عتاب بن أسيد {وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ} من عنْدك {نَصِيرًا} مَانِعا فَاسْتَجَاب الله دعاءهم وَجعل لَهُم النَّبِي - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- نَاصِرًا وعتاباً وليا.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: {ومَا لكم} أيها المؤمنون، {لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، وفي {الْمُسْتَضْعَفِينَ}، يقول: عن المستضعفين منكم، "من الرجال والنساء والولدان"، فأما من {الرجال}، فإنهم كانوا قد أسلموا بمكة، فغلبتهم عشائرهم على أنفسهم بالقهر لهم، وآذوهم، ونالوهم بالعذاب والمكاره في أبدانهم ليفتنوهم عن دينهم، فحضَّ الله المؤمنين على استنقاذهم من أيدي من قد غلبهم على أنفسهم من الكفار، فقال لهم: وما شأنكم لا تقاتلون في سبيل الله، وعن مستضعفي أهل دينكم وملتكم الذين قد استضعفهم الكفار فاستذلوهم ابتغاء فتنتهم وصدِّهم عن دينهم؟ "من الرجال والنساء والولدان" = جمع "ولد": وهم الصبيان ="الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها"، يعني بذلك أن هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، يقولون في دعائهم ربَّهم بأن ينجيهم من فتنة من قد استضعفهم من المشركين: {يا ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها}.

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (75)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (75). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

والعرب تسمي كل مدينة"قرية" = يعني: التي قد ظلمتنا وأنفسها أهلُها = وهي في هذا الموضع، فيما فسر أهل التأويل، "مكة".

* * *

وخفض"الظالم" لأنه من صفة"الأهل"، وقد عادت"الهاء والألف" اللتان فيه على"القرية"، وكذلك تفعل العرب إذا تقدمت صفة الاسم الذي معه عائد لاسم قبلها، أتبعت إعرابها إعرابَ الاسم الذي قبلها، كأنها صفة له، فتقول:"مررت بالرجلِ الكريمِ أبوه".

* * *

{واجعل لنا من لدنك وليًّا}، يعني: أنهم يقولون أيضًا في دعائهم: يا ربنا، واجعل لنا من عندك وليًّا، يلي أمرنا بالكفاية مما نحن فيه من فتنة أهل الكفر بك،

{واجعل لنا من لدنك نصيرًا} يقولون: واجعل لنا من عندك من ينصرنا على من ظلمنا من أهل هذه القرية الظالم أهلها، بصدِّهم إيانا عن سبيلك، حتى تظفرنا بهم، وتعلي دينك.(1)

* * *

قال : الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (75)} يُحَرِّضُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَعَلَى السَّعْيِ فِي اسْتِنْقَاذِ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ الْمُتَبَرِّمِينَ بِالْمَقَامِ بِهَا" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} يَعْنِي: مَكَّةَ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ} {مُحَمَّدٍ: 13}.

ثُمَّ وَصَفَهَا بِقَوْلِهِ: {الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} أَيْ: سَخِّرْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ وَلِيًّا وَنَاصِرًا.

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ تَلاَ {إلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ} قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .(2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ} لاَ تُجَاهِدُونَ. {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} فِي طَاعَةِ اللَّهِ يُعَاتِبُهُمْ عَلَى تَرك الجِهَادِ، {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} أَيْ: عَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (75)، للإمَامْ (الطبري).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4587، 4588).

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (75)، للإمَامْ (ابن كثير).

وَقَالَ: (ابْنُ شِهَابٍ): فِي سَبِيلِ الْمُسْتَضْعَفِينَ لِتَخْلِيصِهِمْ، يَعْنِي:- فِي تَخْلِيصِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ بِمَكَّةَ جَمَاعَةٌ، {مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ} يَلْقَوْنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَذًى كَثِيرًا، {الَّذِينَ} يَدْعُونَ وَ {يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا} يَعْنِي: مَكَّةَ، الظَّالِمُ أَيِ: الْمُشْرِكُ، أَهْلُهَا يَعْنِي الْقَرْيَةَ الَّتِي مِنْ صفتها أن أهلها مشركين، وَإِنَّمَا خَفَضَ (الظَّالِمَ) لِأَنَّهُ نَعْتٌ لِلْأَهْلِ، فَلَمَا عَادَ الْأَهْلُ إِلَى القرية صار الفعل لَهَا، كَمَا يُقَالُ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ حُسْنِه عَيْنُهُ. {وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} أي: من يلي أمرنا لدنك، {وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} أَيْ: مَنْ يَمْنَعُ الْعَدُوَّ عَنَّا، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُمْ، فَلَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَكَّةَ وَلَّى عَلَيْهِمْ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ وَجَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ نصيرا ينصف المؤمنين الْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ.(1)

* * *

قَالَ: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) حَضٌّ عَلَى الْجِهَادِ. وَهُوَ يَتَضَمَّنُ تَخْلِيصَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ أَيْدِي الْكَفَرَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَيَفْتِنُونَهُمْ عَنِ الدِّينِ، فَأَوْجَبَ تَعَالَى الْجِهَادَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَاسْتِنْقَاذِ الْمُؤْمِنِينَ الضُّعَفَاءِ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ تَلَفُ النُّفُوسِ. وَتَخْلِيصُ الْأُسَارَى وَاجِبٌ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ إِمَّا بِالْقِتَالِ وَإِمَّا بِالْأَمْوَالِ، وَذَلِكَ أَوْجَبُ لِكَوْنِهَا دُونَ النُّفُوسِ إِذْ هِيَ أَهْوَنُ مِنْهَا.

قَالَ: (مَالِكٌ): وَاجِبٌ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَفْدُوا الْأُسَارَى بِجَمِيعِ أَمْوَالِهِمْ. وَهَذَا لَا خِلَافَ فِيهِ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (فُكُّوا الْعَانِيَ) وَقَدْ مَضَى فِي (الْبَقَرَةِ). وَكَذَلِكَ قَالُوا: عَلَيْهِمْ أَنْ يُوَاسُوهُمْ فَإِنَّ الْمُوَاسَاةَ دُونَ الْمُفَادَاةِ. فَإِنْ كَانَ الْأَسِيرُ غَنِيًّا فَهَلْ يَرْجِعُ عَلَيْهِ الْفَادِي أَمْ لَا، قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ، أَصَحُّهُمَا الرُّجُوعُ.

الثَّانِيَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالْمُسْتَضْعَفِينَ) عَطْفٌ عَلَى اسْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَيْ وَفِي سَبِيلِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، فَإِنَّ خَلَاصَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

وَهَذَا اخْتِيَارُ (الزَّجَّاجِ) وَقَالَهُ (الزُّهْرِيُّ).

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ): أَخْتَارُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَفِي الْمُسْتَضْعَفِينَ فَيَكُونُ عَطْفًا عَلَى السَّبِيلِ، أَيْ وَفِي الْمُسْتَضْعَفِينَ لِاسْتِنْقَاذِهِمْ، فَالسَّبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ. وَيَعْنِي بِالْمُسْتَضْعَفِينَ مَنْ كَانَ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَحْتَ إِذْلَالِ كَفَرَةِ قُرَيْشٍ وَأَذَاهُمْ وَهُمُ الْمَعْنِيُّونَ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السلام: (اللهم أنج الوليد ابْنَ الْوَلِيدِ وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ. فِي الْبُخَارِيِّ عَنْهُ (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ) فَقَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ، أَنَا مِنَ الْوِلْدَانِ وَأُمِّي مِنَ النِّسَاءِ.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (75).

الثَّالِثَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا) الْقَرْيَةُ هُنَا مَكَّةُ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُتَأَوِّلِينَ. وَوَصْفُهَا بِالظُّلْمِ وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ لِلأَهْلِ لِعُلْقَةِ الضَّمِيرِ. وَهَذَا كَمَا تَقُولُ: مَرَرْتُ بِالرَّجُلِ الْوَاسِعَةِ دَارُهُ، وَالْكَرِيمِ أَبُوهُ، وَالْحَسَنَةِ جَارِيَتُهُ. وَإِنَّمَا وَصَفَ الرَّجُلَ بِهَا لِلعلقة اللفظية بَيْنَهُمَا وَهُوَ الضَّمِيرُ، فَلَوْ قُلْتَ: مَرَرْتُ بِالرَّجُلِ الكريم عمرو ولم تَجُزِ الْمَسْأَلَةُ، لأَنَّ الْكَرَمَ لِعَمْرٍو فَلاَ يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ صِفَةً لِرَجُلٍ إلاَّ بِعُلْقَةٍ وَهِيَ الْهَاءُ. وَلاَ تُثَنَّى هَذِهِ الصِّفَةُ وَلاَ تُجْمَعُ، لأَنَّهَا تَقُومُ مَقَامَ الْفِعْلِ، فَالْمَعْنَى أَيِ الَّتِي ظَلَمَ أَهْلُهَا وَلِهَذَا لَمْ يَقُلِ الظَّالِمِينَ. وَتَقُولُ: مَرَرْتُ بِرَجُلَيْنِ كَرِيمٍ أَبَوَاهُمَا حَسَنَةٍ جَارِيَتَاهُمَا، وَبِرِجَالٍ كَرِيمٍ آبَاؤُهُمْ حَسَنَةٍ جَوَارِيهِمْ. (وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ) أَيْ مِنْ عِنْدِكَ (وَلِيًّا) أَيْ مَنْ يَسْتَنْقِذُنَا (وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) أَيْ ينصرنا عليهم.(1)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} " معناهُ : أيُّ شيءٍ لكم أيُّها المؤمنون في تركِ الجهاد مع اجتماع الأسباب الموجبَة للتحريض عليه ،

وقولُهُ تعالى : {لاَ تُقَاتِلُونَ} في موضعِ نصبٍ على الحالِ كأنَّهُ قالَ : وَمَا لَكُمْ تَارِكِيْنَ الْجِهَادَ ؟. كما قالَ تعالى في آيةٍ أخرى {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ} [المدثر : 49].

وقَوْلُهُ تَعَالَى : {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} " في موضعِ خَفْضٍ بإضمار (في) " معناهُ : وفي بيانِ المستضعفينَ " أي وفي نُصْرَةِ المستضعفينَ ، ويجوزُ أن يكون معناهُ : وعَنِ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ " أي للذب عن المستضعفينَ ،

{مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ} " الذين هم بمكَّةَ ويَلْقَوْنَ فيها أذىً كثيراً وهم : سَلَمَةُ بْنُ هشَامٍ وَالْوَلِيْدُ بْنُ الْوَلِيْدِ وعَبَّاسُ بْنُ رَبِيعَةَ وغيرهم ، كانوا أسْلَمُوا بمكَّةَ فأراد عشائرُهم من أهلِ مكَّة بعدَ هجرة النبيِّ -صلى الله عليه وسلم -أن يفتنوهم عن الإسلام. يقولُ الله تعالى : مَا تُقَاتِلُونَ المشركينَ في خَلاَصِ هؤلاء الضُّعفاء " {الَّذِينَ} " يسألونَ اللهَ " {يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَاذِهِ الْقَرْيَةِ} " أي خَلِّصْنَا من هذه القَرْيَةِ " يَعْنُونَ مَكَّةَ " {الظَّالِمِ أَهْلُهَا} " أي الكفَّارُ أهلُها ، {وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً} " أي مِن عندِك حَافظاً يحفظُنا من أذاهُم ، {وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنْكَ} " مِنْ عِنْدِكَ " {نَصِيراً} " أي: مَانِعاً يَمْنَعُنَا منهم. فاستجابَ اللهُ دعاءهم ، وجعلَ لهم النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- حافظاً وناصراً بفتحِ مكة على يديه ، واستعمل عليهم عتَّابَ بْنَ أُسَيْد ، عتاب يُنْصِفُ الضعيفَ من الشديد.(2)

* * *

[٧٦] ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (75)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني في سورة (النساء) الآية (75)،

الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

المؤمنون الصادقون يقاتلون في سبيل الله لإعلاء كلمته، والكافرون يقاتلون في سبيل آلهتهم، فقاتلوا أعوان الشيطان، فإنكم إن قاتلتموهم غلبتموهم" لأن تدبير الشيطان كان ضعيفًا لا يضر المتوكلين على الله تعالى. (1)

* * *

يَعْنِي:- الذين صدَقُوا في إيمانهم اعتقادًا وعملا يجاهدون في سبيل نصرة الحق وأهله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل البغي والفساد في الأرض، فقاتلوا أيها المؤمنون أهل الكفر والشرك الذين يتولَّون الشيطان، ويطيعون أمره، إن تدبير الشيطان لأوليائه كان ضعيفًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- الذين صدَّقوا بالحق وأذعنوا له، يقاتلون فى سبيل إعلاء كلمة اللَّه والعدل والحق، والذين جحدوا أو عاندوا يقاتلون فى سبيل الظلم والفساد، وبذلك كانوا أولياء الشيطان، في أيها المؤمنون قاتلوهم لأنهم أعوان الشيطان وأنصاره واعلموا أنكم منتصرون عليهم بتأييد اللَّه، لأن تدبير الشيطان - مهما عظم فساده - ضعيف، والغلبة للحق. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}... أي: طاعته.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}...الشيطان والأصنام.

{فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}... أي: في نصرة الشرك ومساندة الظلم والعدوان، ونشر الفساد.

{الطَّاغُوتِ}... البَغْيِ، وَالفَسَادِ، والظلم. والشيطان، والأصنام.

{فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ}... أَنْصَار دينه تَغْلبُوهمْ لقُوَّتكمْ بِاَللَّه.

{فَقَاتِلُوا}... أيُّها المؤمنونَ.

{أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ}... جنودَه، وهم الكفارُ.

{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ}... مكره. (أي: بِالْمُؤْمِنِينَ).

{كَانَ ضَعِيفًا}... واهنًا لا يثبتُ للحقِّ. (أي: وَاهِيًا لَا يُقَاوِم كَيْد اللَّه بِالْكَافِرِينَ).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

انظر: تفسير سورة - (آل عمران) - آية (13). - كما قال تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ}.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (90/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (90/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (122/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

وانظر: سورة - (النساء) - آية (51) . -

كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} .

* * *

قال: الإمَامُ (أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القِنَّوجي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{76} {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يعني: في طاعة الله وإعلاء كلمته، وابتغاء مرضاته، وهذا ترغيب للمؤمنين وتنشيط لهم بأن قتالهم لهذا المقصد لا لغيره.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ} ، أي: الشيطان أو الكهان أو الأصنام وتفسير الطاغوت هنا بالشيطان أولى لقوله: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ} وهم الكفار.

{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ} أي: مكره ومكر من اتَّبعه من الكفار {كَانَ ضَعِيفًا} فلا يقاوم نصر الله وتأييده.

وعن (ابن عباس) قال: إذا رأيتم الشيطان فلا تخافوه واحملوا عليه إن كيده كان ضعيفاً واهياً،

وقال: (مجاهد) كان الشيطان يتراءى لي في الصلاة فكنت أذكر قول (ابن عباس) فأحمل عليه فيذهب عني، والكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {76}. ثم قال:

{الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} .

هذا إخبار من الله بأن المؤمنين يقاتلون في سبيله {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ} الذي هو الشيطان. في ضمن ذلك عدة فوائد:

منها: أنه بحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله، وإخلاصه ومتابعته. فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان ومقتضياته ولوازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شعب الكفر ومقتضياته.

ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له ويحسن منه من الصبر والجلد ما لا يقوم به غيره، فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون ويقاتلون وهم على باطل، فأهل الحق أولى بذلك، كما قال تعالى في هذا المعنى: {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} الآية.

ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله معتمد على ركن وثيق، وهو الحق، والتوكل على الله. فصاحب القوة والركن الوثيق يطلب منه

---

(1) انظر: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن) سورة (النساء) الآية (76). للشيخ (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي) .

من الصبر والثبات والنشاط ما لا يطلب ممن يقاتل عن الباطل، الذي لا حقيقة له ولا عاقبة حميدة.

فلهذا قال تعالى: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} .

والكيد: سلوك الطرق الخفية في ضرر العدو، فالشيطان وإن بلغ مَكْرُهُ مهما بلغ فإنه في غاية الضعف، الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق ولا لكيد الله لعباده المؤمنين.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- ثمَّ ذكر قتالهمْ فِي سَبِيل الله فَقَالَ: {الَّذين آمَنُواْ} مُحَمَّد وَأَصْحَابه {يُقَاتلُونَ فِي سَبِيل الله وَالَّذين كفرُوا} أَبُو سُفْيَان وَأَصْحَابه {يُقَاتلُونَ فِي سَبِيل الطاغوت} فِي طَاعَة الشَّيْطَان {فَقَاتلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَان} جند الشَّيْطَان {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَان} صنع الشَّيْطَان ومكره {كَانَ ضَعِيفاً} بالخذلان لاَ يخذلهم كَمَا خذلهم يَوْم بدر.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)}

قال: (أبو جعفر): يعني تعالى ذكره: الذين صدقوا الله ورسوله، وأيقنوا بموعود الله لأهل الإيمان به {يقاتلون في سبيل الله}، يقول: في طاعة الله ومنهاج دينه وشريعته التي شرعها لعباده،

{والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت}، يقول: والذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم،

{يقاتلون في سبيل الطاغوت}، يعني: في طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من أهل الكفر بالله. يقول الله، مقوِّيًا عزم المؤمنين به من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومحرِّضهم على أعدائه وأعداء دينه من أهل الشرك به: "فقاتلوا" أيها المؤمنون،

{أولياء الشيطان}، يعني بذلك: الذين يتولّونه ويطيعون أمره، في خلاف طاعة الله، والتكذيب به، وينصرونه {إن كيد الشيطان كان ضعيفًا}، يعني بكيده: ما كاد به المؤمنين، من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان به. يقول: فلا تهابوا أولياء الشيطان، فإنما هم حزبه وأنصاره، وحزب الشيطان أهل وَهَن وضعف.

* * *

وإنما وصفهم جل ثناؤه بالضعف، لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب، ولا يتركون القتال خوف عقاب، وإنما يقاتلون حميّة أو حسدًا للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله. والمؤمنون يقاتل مَن قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله، ويترك القتال إن تركه على

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (76)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (76). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

خوف من وعيد الله في تركه، فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله إن قتل، وبما له من الغنيمة والظفر إن سلم. والكافر يقاتل على حذر من القتل، وإياس من معاد، فهو ذو ضعف وخوف.[1]

* * *

قال : الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثمَّ قَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ} أَيِ: الْمُؤْمِنُونَ يُقَاتِلُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان.

ثُمَّ هَيَّجَ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِهِ بِقَوْلِهِ: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}.[2]

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره) = (معالم التنزيل في تفسير القرآن) -: {76}، قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أَيْ: فِي طَاعَتِهِ، {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ} أَيْ: فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، {فَقَاتِلُوا} أيها المؤمنون {أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ} أي: حزبه وجنوده الكفار، {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ} مكره، {كَانَ ضَعِيفًا} {النساء:

76} كَمَا فَعَلَ يَوْمَ بَدْرٍ لَمَّا رَأَى الْمَلَائِكَةَ خَافَ أَنْ يَأْخُذُوهُ فَهَرَبَ وَخَذَلَهُمْ.[3]

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب – للإمام (الطبراني) :- قوله عَزَّ وَجَلَّ : {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} " معناهُ : الذين آمَنُوا بمُحَمَّدٍ والْقُرآنِ ، يُقَاتِلُون في طاعة الله بأمْرِ الله ،

{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ} " أبُو سُفْيَانَ وأصحابُهُ ، {يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ} " يقاتلون في طاعة الشيطان ،

{فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} " وضعفهُ بالوسوسَةِ إلى أوليائه بأنَّ الظفرَ يكون لَهم كيدُ ضعيف ، وإنَّما أدخلَ على هذا اللَّفظ (كَانَ) لتبين أن صفة الضَّعْف لازمَةٌ له ، وأنهُ {كَانَ ضَعِيفاً} فَخَذَلَ أولياءَه ، كما خذلَهم يومَ بدر حيث قال لَهم : إنِّي بريءٌ منكُم إنِّي أرَى ما لاَ تَرَوْنَ.[4]

* * *

قال : الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أَيْ: فِي طَاعَتِهِ. (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) قَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْكِسَائِيُّ): الطَّاغُوتُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ.

قَالَ: (أَبُو عُبَيْدٍ): وَإِنَّمَا ذُكِّرَ وَأُنِّثَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ الْكَاهِنَ وَالْكَاهِنَةَ طَاغُوتًا.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (76)، للإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (76)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (76).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب – للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (76)،

قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وسئل عَنْ الطَّاغُوتَ الَّتِي كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا فَقَالَ: كَانَتْ فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدَةٌ وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدَةٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدَةٌ.

قَالَ: (أَبُو إِسْحَاقَ): الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ الشَّيْطَانُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) أَيْ: مَكْرَهُ وَمَكْرَ مَنِ اتَّبَعَهُ.

وَيُقَالُ: أَرَادَ بِهِ يَوْمَ بَدْرٍ حِينَ قَالَ لِلْمُشْرِكِينَ (لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) على ما يأتي.(1)

* * *

[٧٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ألم تعلم أيها الرسول - ﷺ - شأن بعض أصحابك الذين سألوا أن يُفرض عليهم الجهاد، فقيل لهم: امنعوا أيديكم عن القتال، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة - وكان ذلك قبل فرض الجهاد- فلما هاجروا إلى المدينة، وصار للإسلام منعة، وفُرِض القتال" شَقَّ ذلك على بعضهم، فصاروا يخافون الناس كخوفهم من الله أو أشد، وقالوا: يا ربنا، لم فرضت علينا القتال؟ هلاَ أخرته مدة قريبة حتى نتمتع بالدنيا، قل لهم أيها الرسول- ﷺ -: متاع الدنيا مهما بلغ قليل زائل، والآخرة خير لمن اتقى الله تعالى لدوام ما فيها من النعيم، ولا تُنْقصون من أعمالكم الصالحة أي شيء، ولو كان قَدْر الخيط الذي في نواة التمرة.(2)

* * *

يَعْنِي:- ألم تعلم أيها الرسول- - ﷺ - أمر أولئك الذين قيل لهم قبل الإذن بالجهاد: امنعوا أيديكم عن قتال أعدائكم من المشركين، وعليكم أداء ما فرضه الله عليكم من الصلاة، والزكاة، فلما فرض عليهم القتال إذا جماعة منهم قد تغير حالهم، فأصبحوا يخافون الناس ويرهبونهم، كخوفهم من الله أو أشد، ويعلنون عما اعتراهم من شدة الخوف، فيقولون: ربنا لِمَ أَوْجَبْتَ علينا القتال؟ هلا أمهلتنا إلى وقت قريب، رغبة منهم في متاع الحياة الدنيا، قل: لهم أيها الرسول- ﷺ -: متاع الدنيا قليل، والآخرة وما فيها أعظم وأبقى لمن اتقى، فعمل بما أُمر به، واجتنب ما نُهي عنه. لا يظلم ربك أحداً شيئًا، ولو كان

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (76)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (90/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

مقدار الخيط الذي يكون في شق نَواة التمرة.(1)

* * *

يَعْنِي:- ألم تنظر يا محمد ﷺ - فتعجب إلى الذين رغبوا فى القتال قبل أن يجئ الإذن به فقيل لهم: لم يأت وقت القتال، فكفوا أيديكم عنه، واحرصوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلما فرض اللّه عليهم القتال إذا طائفة منهم يخافون الناس كخوف اللّه أو أشد وقالوا مستغربين: لِمَ كتبت علينا القتال؟ متوهمين أن فى فرضية القتال تعجيلاً لآجالهم ولذلك قالوا: هلاَّ أخرتنا إلى زمن قريب نستمتع فيه بما فى الدنيا؟ فقل لهم: تقدموا للقتال ولو أدى إلى استشهادكم، فمتاع الدنيا مهما عَظُمَ قليل بجوار متاع الآخرة، والآخرة خير وأعظم لمن اتقى اللّه وستجزون على أعمالكم فى الدنيا ولا تنقصون من الجزاء شيئا مهما صغر.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيكُمْ} .... عَنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ لَمَّا طَلَبُوهُ بِمَكَّةَ لِأَذَى الْكُفَّارِ لَهُمْ وَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ} ... عن القتال. نزلت في جماعة من الصحابة كانوا يَلْقَوْنَ من المشركينَ بمكة أذًى كثيرًا قبلَ الهجرة، فقالوا: يا رسول الله! ائذنْ لنا في قتالِهم، فإنهم قد آذَوْنا، فقال لهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: "كُفُّوا أَيْدِيكُمْ" فَإِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِقِتَالِهِمْ".(3)

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} ... فلما هاجروا إلى المدينة، وأمرهم الله بقتالِ المشركينَ، شقَّ ذلك على بعضهم.

{فَلَمَّا كُتِبَ} ... أي: فُرِض.

{عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ} ... يَخَافُونَ.

{عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ} ...يعني: مشركي مكةَ.

{الناس} ... الكفار أي عذابهم بالقتل.

{كخشية} ... هم عذَاب.

{كَخَشْيَةِ اللَّه} ... أي: كخشيتهم منَ الله.

{اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} ... مِنْ خَشْيَتِهِمْ لَهُ وَنَصْب أَشَدّ عَلَى الْحَال وَجَوَاب لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ إذَا وَمَا بَعْدهَا أَيْ فَاجَأَتْهُمْ الْخَشْيَة.

{أَوْ أَشَدَّ} ... أكبر.

{أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} ... أي: أو أشد خشية من أهل خشية الله.

{خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} ...الجهاد.

{وَقَالُوا} ... جَزَعًا مِنَ الْمَوْت.

{لَوْلَا أَخَّرْتَنَا} ... إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ استزادة فى مدة الكف، واستمهال إلى وقت آخر.

{لَوْلَا} ... أي: هلاَّ.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/90)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/122)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: "أسباب النزول" للواحدي (ص: 92)، و"تفسير البغوي" (1/ 563)، و"العجاب" لابن حجر (2/ 918).

{أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} ... إلى أن نجد من نستنصر به.

{أَخَّرْتنا إلَى أجَل قَرِيب قُلْ} ... لَهُمْ.

{قُلْ} ... يا محمد.

{مَتَاعُ الدُّنْيَا} ... مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ فِيهَا أَوْ الِاسْتِمْتَاعُ بِهَا.

{مَتَاعُ الدُّنْيَا} ... أي: منفعتها والاستمتاع بها.

{قَلِيلٌ} ... سريعُ التَّقَضِّي.

{قَلِيل} ... آيِل إلَى الْفَنَاء.

{وَالْآخِرَةُ} ... أَيْ: الْجَنَّة. (أي: وثواب الآخرة).

{خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى} ... عِقَاب اللَّه بِتَرْك مَعْصِيَته.

{خَيْرٌ لمَن اتَّقَى} ... الشرك.

{وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} ... أي ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه.

هو ما في شقِّ النواة طولًا، وتقدمَ تفسيرُه.

المعنى: لا يقعُ نقصٌ في شيءٍ من الحسنات ثم قرأ (ابنُ كثير، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ)، وروحٌ: (يُظْلَمُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب.(1)

{وَلَا تُظْلَمُونَ} ... بِالتَّاءِ وَالْيَاء تُنْقَصُونَ مِنْ أَعْمَالكُمْ.

{فَتيلًا} ... قدر قشرة النواة فجاهدوا.

{فَتِيلًا} ... الخَيْطَ الَّذِي يَكُونُ فِي شَقِّ نَوَاةِ التَّمْرِ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- حدثنا أبو العباس قاسم بن القاسم السياري ثنا إبراهيم بن هلال ثنا علي بن الحسن بن شقيق أنبأ الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن (عكرمة) عن (ابن عباس) - رضي الله عنهما: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بمكة فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة؟ قال: "إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا" فكفوا فأنزل الله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبي، ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، ثنا الوليد، ثنا عبد الرحمن بن نمر قال: سألت (الزهري) عن قوله:

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 235)، و"التيسير" للداني (ص: 96)، و"تفسير البغوي" (1/ 563)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 250)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 146).

(2) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/307)، (هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)، ووافقه الإمام (الذهبي)،

وأخرجه الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - من طريق -: (علي بن الحسن بن شقيق به)، ورجاله ثقات و(سنده صحيح).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3086).

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (3200).

وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (17519).

(وأقيموا الصلاة) قال: (الزهري): أن يصلى الصلوات الخمس لوقتها.(1)

ورجاله ثقات و(سنده صحيح)، و(الوليد هو ابن مسلم القرشي).

* * *

قال: الإمَامْ (ابْنُ أبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): قوله: (لَولاَ أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ) وهو الموت.(2)

* * *

قال: الإمَامْ (ابْنُ أبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنى أبي، ثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا حماد بن زيد، عن هشام قال: قرأ (الحسن) (قل متاع الدنيا قليل) قال: رحم الله عبداً صحبها على حسب ذلك، ما الدنيا كلها من أولها إلى أخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يحب ثم انتبه.(3)

ورجاله ثقات و(سنده صحيح).

* * *

قال: الإمَامْ (ابْنُ أبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس) قوله: (لمن اتقى) يقول: اتقى معاصى الله.(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- ثُمَّ ذكر كراهيتهم لِلْخُرُوج مَعَ النَّبِي - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- بالموافاة إِلَى بدر الصُّغْرَى فَقَالَ: {أَلَمْ تَرَ} ألم تخبر يَا مُحَمَّد {إِلَى الَّذين} عَن الَّذين {قِيلَ لَهُمْ} قلت لَهُم بِمَكَّة لعبد الرَّحْمَن بن عَوْف الزُّهْرِيّ وَسعد بن أبي وَقاص الزُّهْرِيّ وَقُدَامَة بن مَظْعُون الجُمَحِي ومقداد بن الْأسود الْكِنْدِيّ وَطَلْحَة بن عبد الله التَّيْمِيّ {كفوا أَيْدِيكُمْ} عَن الْقَتْل وَالضَّرْب فَإِنِّي لم أومر بِالْقِتَال {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ} أتموا الصَّلَوَات الْخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وَمَا يجب فِيهَا من مواقيتها {وَآتُواْ الزَّكَاةَ} أعْطوا زَكَاة أَمْوَالكُم {فَلَمَّا كُتِبَ} فرض {عَلَيْهِمُ} بِالْمَدِينَة {الْقِتَالُ} الْجِهَاد فِي سَبِيل الله {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ} طَائِفَة مِنْهُم طَلْحَة بن عبد الله {يَخْشَوْنَ النَّاسَ} يخَافُونَ أهل مَكَّة {كَخَشْيَةِ اللهِ} كخوفهم من الله {أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} بل أَكثر خوفًا {وَقَالُواْ رَبَّنَا} يَا رَبنَا {لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} قد أوجبت علينا الْجِهَاد فِي سَبِيلك {لَوْلاَ أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} هلا عافيتنا {إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} إِلَى الْمَوْت {قُلْ} لَهُم يَا مُحَمَّد {مَتَاعُ الدُّنْيَا} مَنْفَعَة الدُّنْيَا {قَلِيلٌ} فِي الْآخِرَة {وَالآخِرَةُ} ثَوَاب الْآخِرَة {خَيْرٌ} أفضل {لِّمَنِ اتَّقَى} الْكفْر

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (77).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (77).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (77).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (77).

والشرك وَالْفَواحش {وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً} لا ينقص من حسناتهم قدر فتيل وَهُوَ الشَّيْء الَّذِي يكون فِي شقّ النواة وَيُقَال هُوَ الْوَسخ الَّذِي يكون بَين أصابعك إِذا فتلت. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ}

قال: (أبو جعفر): ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد، وقد فرض عليهم الصلاة والزكاة، وكانوا يسألون الله أن يُفرض عليهم القتال، فلما فرض عليهم القتال شقّ عليهم ذلك، وقالوا ما أخبر الله عنهم في كتابه.

* * *

فتأويل قوله: {ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم}، ألم تر بقلبك، يا محمد، فتعلم،

{إلى الذين قيل لهم}، من أصحابك حين سألوك أن تسأل ربك أن يفرض عليهم القتال،

{كفوا أيديكم}، فأمسكوها عن قتال المشركين وحربهم،

{وأقيموا الصلاة}، يقول: وأدُّوا الصلاة التي فرضها الله عليكم بحدودها،

{وآتوا الزكاة}، يقول: وأعطوا الزكاة أهلها الذين جعلها الله لهم من أموالكم، تطهيرًا لأبدانكم وأموالكم كرهوا ما أمروا به من كف الأيدي عن قتال المشركين وشق ذلك عليهم،

{فلما كتب عليهم القتال}، يقول: فلما فرض عليهم القتال الذي كانوا سألوا أن يفرض عليهم،

{إذا فريق منهم}، يعني: جماعة منهم،

{يخشون الناس}، يقول: يخافون الناس أن يقاتلوهم،

{كخشية الله أو أشد خشية}، أو أشد خوفًا، وقالوا جزعًا من القتال الذي فرض الله عليهم،

{لم كتبت علينا القتال}، لم فرضت علينا القتال؟ ركونًا منهم إلى الدنيا، وإيثارًا للدعة فيها والخفض، على مكروه لقاء العدوّ ومشقة حربهم وقتالهم،

{لولا أخرتنا}، يخبر عنهم، قالوا: هلا أخرتنا، {إلى أجل قريب}، يعني: إلى أن يموتوا على فُرُشهم وفي منازلهم.

* * *

القول في تأويل قوله: {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا (77)}

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {قل متاع الدنيا قليل}، قل، يا محمد، لهؤلاء القوم الذين قالوا: {ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (77). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

{قريب} : عيشكم في الدنيا وتمتعكم بها قليل، لأنها فانية وما فيها فانٍ، {والآخرة خير}، يعني: ونعيم الآخرة خير، لأنها باقية ونعيمها باقٍ دائم. وإنما قيل: {والآخرة خير}، ومعنى الكلام ما وصفت، من أنه معنيٌّ به نعيمها - لدلالة ذكر {الآخرة} بالذي ذكرت به، على المعنى المراد منه.

{لمن اتقى}، يعني: لمن اتقى الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، فأطاعه في كل ذلك،

{ولا تظلمون فتيلا}، يعني: ولا ينقصكم الله من أجور أعمالكم فتيلا. (1)

* * *

قال : الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى} أَيْ: آخِرَةُ الْمُتَّقِي خَيْرٌ مِنْ دُنْيَاهُ.

{وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا} أَيْ: مِنْ أَعْمَالِكُمْ بَلْ تُوَفَّوْنَهَا أَتَمَّ الْجَزَاءِ. وَهَذِهِ تَسْلِيَةٌ لَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا. وَتَرْغِيبٌ لَهُمْ. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {77}، قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيكُمْ} قَالَ الْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي جماعة كَانُوا يَلْقَوْنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ أَذًى كَثِيرًا قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرُوا، وَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لَنَا فِي قِتَالِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ آذَوْنَا، فَيَقُولُ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ‹كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِقِتَالِهِمْ›، {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} فَلَمَّا هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا كُتِبَ} فُرِضَ، {عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ} يَعْنِي يَخْشَوْنَ مُشْرِكِي مَكَّةَ، {كَخَشْيَةِ اللَّهِ} أَيْ: كَخَشْيَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ، {أَوْ أَشَدَّ} أكبر، {خَشْيَةً} يَعْنِي:- مَعْنَاهُ وَأَشَدَّ خَشْيَةً، {وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} الجهاد، {لَوْلا} هَلَّا، {أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} يَعْنِي: الْمَوْتَ، أَيْ: هَلَّا تَرَكْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِآجَالِنَا؟ وَاخْتَلَفُوا فِي هَؤُلَاءِ الذين قالوا ذلك، فقيل: قَالَهُ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّ قَوْلَهُ: (لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ)، لَا يَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِينَ،

يَعْنِي:- قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُونُوا رَاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ قَالُوهُ خَوْفًا وَجُبْنًا لَا اعْتِقَادًا ثُمَّ تَابُوا، وَأَهْلُ الْإِيمَانِ يَتَفَاضَلُونَ فِي الْإِيمَانِ،

يَعْنِي:- هُمْ قَوْمٌ كَانُوا مُؤْمِنِينَ فَلَمَّا فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ نَافَقُوا مِنَ الْجُبْنِ وَتَخَلَّفُوا عَنِ الجهاد، {قُلْ} يا محمد، {مَتَاعُ الدُّنْيَا} أَيْ: مَنْفَعَتُهَا وَالِاسْتِمْتَاعُ بِهَا {قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ} أفضل، {خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى} الشِّرْكَ وَمَعْصِيَةَ الرَّسُولِ، {وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} {النساء: 77}. (3)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (77)، للإِمَامْ (الطبري)،
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (77)، للإِمَامْ (ابن كثير). .
(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (77).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {77} {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} .

كان المسلمون -إذ كانوا بمكة- مأمورين بالصلاة والزكاة أي: مواساة الفقراء، لا الزكاة المعروفة ذات النصب والشروط، فإنها لم تفرض إلا بالمدينة، ولم يؤمروا بجهاد الأعداء لعدة فوائد:

منها: أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه لا يشق عليهم" ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل.

ومنها: أنه لو فرض عليهم القتال -مع قلة عَددَهم وعُددَهم وكثرة أعدائهم- لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام، فروعي جانب المصلحة العظمى على ما دونها ولغير ذلك من الحِكَم.

وكان بعض المؤمنين يودون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال، غير اللائق فيها ذلك، وإنما اللائق فيها القيام بما أمروا به في ذلك الوقت من التوحيد والصلاة والزكاة ونحو ذلك كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} فلما هاجروا إلى المدينة وقوي الإسلام، كُتب عليهم القتال في وقته المناسب لذلك، فقال فريق من الذين يستعجلون القتال قبل ذلك خوفا من الناس وضعفا وخورا: {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ} ؟ وفي هذا تضجرهم واعتراضهم على الله، وكان الذي ينبغي لهم ضد هذه الحال، التسليم لأمر الله والصبر على أوامره، فعكسوا الأمر المطلوب منهم فقالوا: {لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ} أي: هلا أخرت فرض القتال مدة متأخرة عن الوقت الحاضر، وهذه الحال كثيرًا ما تعرض لمن هو غير رزين واستعجل في الأمور قبل وقتها، فالغالب عليه أنه لا يصبر عليها وقت حلولها ولا ينوء بحملها، بل يكون قليل الصبر. ثم إن الله وعظهم عن هذه الحال التي فيها التخلف عن القتال فقال: {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى} أي: التمتع بلذات الدنيا وراحتها قليل، فتحمل الأثقال في طاعة الله في المدة القصيرة مما يسهل على النفوس ويخف عليها" لأنها إذا علمت أن المشقة التي تنالها لا يطول لبثها هان عليها ذلك، فكيف إذا وازنت بين الدنيا والآخرة، وأن الآخرة خير منها، في ذاتها، ولذاتها وزمانها، فذاتها - كما ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- في الحديث الثابت عنه- "أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها". ولذاتها صافية عن المكدرات، بل كل ما خطر بالبال أو دار في الفكر من تصور لذة، فلذة الجنة فوق ذلك كما قال تعالى: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} وقال الله على لسان نبيه: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".

وأما لذات الدنيا فإنها مشوبة بأنواع التنغيص الذي لو قوبل بين لذاتها وما يقترن بها من أنواع الآلام والهموم والغموم، لم يكن لذلك نسبة بوجه من الوجوه.

وأما زمانها، فإن الدنيا منقضية، وعمر الإنسان بالنسبة إلى الدنيا شيء يسير، وأما الآخرة فإنها دائمة النعيم وأهلها خالدون فيها، فإذا فكّر العاقل في هاتين الدارين وتصور حقيقتهما حق التصور، عرف ما هو أحق بالإيثار، والسعي له والاجتهاد لطلبه،

ولهذا قال: {وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى} أي: اتقى الشرك، وسائر المحرمات.

{وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا} أي: فسعيكم للدار الآخرة ستجدونه كاملا موفرًا غير منقوص منه شيئًا.(1)

* * *

[٧٨] ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

حيثما تكونوا يلحقكم الموت إذا حضر أجلكم، ولو كنتم في قصور منيعة بعيدة عن ساحة القتال، وإن يَنَل هؤلاء المنافقين ما يسرهم من ولد ورزق كثير قالوا: هذه من عند الله، وإن يَنَلْهم شدة في ولدٍ أو رزق تشاءموا من النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: هذه السيئة بسببك، قل أيها الرسول- ﷺ - ردًّا على هؤلاء: كل من السراء والضراء بقضاء الله وقدره، فما لهؤلاء الذين يصدر عنهم هذا القول لا يكادون يفهمون كلامك لهم؟!.(2)

* * *

يَعْنِي:- أينما تكونوا يلحقكم الموت في أي مكان كنتم فيه عند حلول آجالكم، ولو كنتم في حصون منيعة بعيدة عن ساحة المعارك والقتال. وإن يحصل لهم ما يسرُّهم من متاع هذه الحياة، ينسبوا حصوله إلى الله تعالى، وإن يقع عليهم ما يكرهونه ينسبوه إلى الرسول- محمد صلى الله عليه وسلم جهالة وتشاؤمًا، وما علموا أن ذلك كله من عند الله وحده، بقضائه وقدره، فما بالهم لا يقاربون فَهْمَ أيِّ حديث تحدثهم به؟.(3)

* * *

يَعْنِي:- إن الموت الذى تَفرُّون منه ملاقيكم أينما كنتم، ولو كانت إقامتكم فى حصون مشيدة وإن هؤلاء الخائرين لضعف إيمانهم يقولون: إن أصابهم فوز وغنيمة هى من عند الله، وإن أصابهم جدب أو هزيمة يقولوا لك - يا محمد ﷺ - هذا من عندك وكان بشُؤْمك. فقل لهم: كل ما يصيبكم مما تحبون أو تكرهون هو من تقدير اللَّه ومن عنده

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (77)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (90/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (90/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

اختبار وابتلاء، فما لهؤلاء الضعفاء لا يدركون قولاً صحيحاً يتحدث به إليهم. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ} ... أي: ينزل بكمُ الموتُ. نزلت في المنافقينَ الذين قالوا في قَتْلَى أُحد. {لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا} {آل عمران: 156}، فردَّ الله عليهم، وأخبرَ أنَّ الحذرَ لا ينُجي من القَدَر.

{وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ} ... حُصون.

{بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} ... حَصُونٍ مَنِيعَةٍ. أي: حُصُونٌ مُشَيَّدَةٌ بِالشِّيدِ وهو الجَصُّ.

{مُشَيَّدَةٍ} ... مرتفعة.

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ} ... أي: المنافقينَ ومَنْ جرى مجراهُمْ.

{حَسَنَةٌ} ... خصبٌ وظفرٌ يومَ بدرٍ.

{يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ... لنا.

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} ... جَدبٌ وهزيمةٌ يومَ أُحُد.

{يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ} ... يا محمدُ" أي: بسبب شؤمِكَ، فقال تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: {قُلْ} ... لهم، {كُلٌّ} ... الحسنة والسيئة.

{مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ... بقضائه وقدرِه، ثم عيَّرَهم بالجهل فقال: {فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ} ... يعني: المنافقين.

{لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} ... والفقهُ لغةً: الفَهْمُ.

* * *

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (122/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) يقول: في قصور محصنة. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابنُ أبي حَاتِم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): قوله: (وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) قال: هذه في السراء، قوله: (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ) قال: فهذه في الضراء. (3)

* * *

قوله تعالى: (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) النعم والمصائب. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) الحسنة والسيئة من عند الله، أما الحسنة

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (78).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (78).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (78).

فأنعم الله بها عليك، وأما السيئة فابتلاك الله بها.(1)(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثم أخبر أنه لا يغني حذر عن قدر، وأن القاعد لا يدفع عنه قعوده شيئًا، فقال: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ} أي: في أي زمان وأي مكان. {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} أي: قصور منيعة ومنازل رفيعة، وكل هذا حث على الجهاد في سبيل الله تارة بالترغيب في فضله وثوابه، وتارة بالترهيب من عقوبة تركه، وتارة بالإخبار أنه لا ينفع القاعدين قعودُهم، وتارة بتسهيل الطريق في ذلك وقصرها.

ثم قال: {.... وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} ، يخبر تعالى عن الذين لا يعلمون المعرضين عما جاءت به الرسل، المعارضين لهم أنهم إذا جاءتهم حسنة أي: خصب وكثرة أموال، وتوفر أولاد وصحة، قالوا: {هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} وأنهم إن أصابتهم سيئة أي: جدب وفقر، ومرض وموت أولاد وأحباب قالوا: {هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ} أي: بسبب ما جئتنا به يا محمد، تطيروا برسول الله- صلى الله عليه وسلم- كما تطير أمثالهم برسل الله، كما أخبر الله عن قوم فرعون أنهم قالوا لموسى {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} .

وقال: قوم صالح: {قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ} .

وقال: قوم ياسين لرسلهم: {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ} الآية. فلما تشابهت قلوبهم بالكفر تشابهت أقوالهم وأعمالهم. وهكذا كل من نسب حصول الشر أو زوال الخير لما جاءت به الرسل أو لبعضه فهو داخل في هذا الذم الوخيم.

قال الله في جوابهم: {قُلْ كُلٌّ} أي: من الحسنة والسيئة والخير والشر.

{مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} أي: بقضائه وقدره وخلقه.

{فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ} أي: الصادر منهم تلك المقالة الباطلة.

{لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} أي: لا يفهمون حديثا بالكلية ولا يقربون من فهمه، أو لا يفهمون منه إلا فهمًا ضعيفًا، وعلى كل فهو ذم لهم وتوبيخ على عدم فهمهم وفقههم عن الله وعن رسوله، وذلك بسبب كفرهم وإعراضهم.

وفي ضمن ذلك مدْح من يفهم عن الله وعن رسوله، والحث على ذلك، وعلى الأسباب المعينة على ذلك، من الإقبال على كلامهما وتدبره، وسلوك الطرق الموصلة إليه. فلو فقهوا عن الله لعلموا أن الخير والشر والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك.

وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يكونون سببا لشر يحدث، هم ولا ما جاءوا به لأنهم بعثوا بصلاح الدنيا والآخرة والدين.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (78).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (78).

ثم قال تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ} أي: في الدين والدنيا {فَمِنَ اللَّهِ} هو الذي مَنَّ بها ويسرها بتيسير أسبابها. {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ} في الدين والدنيا {فَمِنْ نَفْسِكَ} أي: بذنوبك وكسبك، وما يعفو الله عنه أكثر.

فالله تعالى قد فتح لعباده أبواب إحسانه وأمرهم بالدخول لبره وفضله، وأخبرهم أن المعاصي مانعة من فضله، فإذا فعلها العبد فلا يلومن إلا نفسه فإنه المانع لنفسه عن وصول فضل الله وبره.

ثم أخبر عن عموم رسالة رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- فقال: {وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} على أنك رسول الله حقا بما أيدك بنصره والمعجزات الباهرة والبراهين الساطعة، فهي أكبر شهادة على الإطلاق،

كما قال تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} فإذا علم أن الله تعالى كامل العلم، تام القدرة عظيم الحكمة، وقد أيد الله رسوله بما أيده، ونصره نصرا عظيما، تيقن بذلك أنه رسول الله، وإلا فلو تقول عليه بعض الأقاويل لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {أَيْنَمَا تَكُونُوا} يَا معشر الْمُؤمنِينَ المخلصين وَالْمُنَافِقِينَ فِي بر أَو بَحر سفر أَو حضر {يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ} فتموتوا {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} فِي قُصُور حَصِينَة ثمَّ ذكر مقَالَة الْيَهُود وَالْمُنَافِقِينَ مَا زلنا نَعْرِف النَّقْص فِي ثمارنا ومزارعنا مُنْذُ قدم علينا مُحَمَّد وَأَصْحَابه فَقَالَ: {وَإِن تُصِبْهُمْ} يَعْنِي الْمُنَافِقين وَالْيَهُود {حَسَنَةٌ} الخصب وَرخّص السّعر وتتابع السّنة بالأمطار {يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ} لما علم فِينَا الْخَيْر {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} الْقَحْط والجدوبة والشدة وَغَلَاء السّعر {يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ} يعنون من شُؤْم مُحَمَّد وَأَصْحَابه {قُلْ} يَا مُحَمَّد للْمُنَافِقين وَالْيَهُود {كُلٌّ} فِي الشدَّة وَالنعْمَة {مِّنْ عِندِ اللهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ} يَعْنِي الْمُنَافِقين وَالْيَهُود {لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً} قولا إن النِّعْمَة والشدة من الله.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: = حيثما تكونوا ينَلكم الموت فتموتوا، {ولو كنتم في بروج مشيَّدة}، يقول: لا تجزعوا من الموت، ولا تهربوا من القتال، وتضعفوا عن لقاء عدوكم، حذرًا على أنفسكم من القتل والموت، فإن الموت بإزائكم أين كنتم، وواصلٌ إلى أنفسكم حيث كنتم، ولو تحصَّنتم منه بالحصون المنيعة.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (78)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (78). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

القـول في تـأويـل قولـه : {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ}

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله} ، وإن ينلهم رخاء وظفر وفتح ويصيبوا غنيمة ،

{يقولوا هذه من عند الله} ، يعني: من قبل الله ومن تقديره ،

{وإن تصبهم سيئة} ، يقول: وإن تنلهم شدة من عيش وهزيمة من عدو وجراح وألم، = يقولوا لك يا محمد: {هذه من عندك} ، بخطئك التدبير.(1)

* * *

قال : الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وقوله: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} أَيْ: أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ لاَ مَحَالَةَ، وَلاَ يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنْكُم،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإكْرَامِ} {الرَّحْمَن: 26، 27}.

وَقَالَ تَعَالَى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} {آلِ عِمْرَان: 185}.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ} {الْأَنْبِيَاء: 34} وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ صَائِرٌ إِلَى الْمَوْتِ لاَ مَحَالَةَ، وَلاَ يُنْجِيهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ جَاهَدَ أَوْ لَمْ يُجَاهِدْ، فَإِنَّ لَهُ أَجَلًا مَحْتُومًا، وَأَمَدًا مَقْسُومًا،

كَمَا قَالَ: (خالد بن الوليد) حين جاء الْمَوْتُ عَلَى فراشه: لَقَدْ شَهِدْتُ كَذَا وَكَذَا مَوْقِفًا، وَمَا مِنْ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِي إِلاَ وَفِيهِ جُرْحٌ مِنْ طَعْنَةٍ أَوْ رَمْيَةٍ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي، فَلاَ نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ .

وَقَوْلُهُ: {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} أَيْ: حَصِينَةٍ مَنِيعَةٍ عَالِيَةٍ رَفِيعَةٍ.

وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ} أَيْ: خِصْبٌ وَرِزْقٌ مِنْ ثِمَارٍ وَزُرُوعٍ وَأَوْلَادٍ و نحو ذلك .(2)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {78} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ} أَيْ: يَنْزِلُ بِكُمُ الْمَوْتُ، نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا فِي قَتْلَى أُحُدٍ: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} وَالْبُرُوجُ: الْحُصُونُ وَالْقِلَاعُ، وَالْمُشَيَّدَةُ: الْمَرْفُوعَةُ المطولة، {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ} نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْمَدِينَةَ: مَا زِلْنَا نَعْرِفُ النَّقْصَ فِي ثِمَارِنَا وَمَزَارِعِنَا مُنْذُ قَدِمَ عَلَيْنَا هَذَا الرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَإِنْ تُصِبْهُمْ) يَعْنِي: الْيَهُودَ (حَسَنَةٌ) أَيْ خِصْبٌ وَرُخْصٌ فِي السِّعْرِ، {يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} لنا، {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} يَعْنِي: الْجَدْبُ وَغَلَاءُ الْأَسْعَارِ {يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ} أَيْ: مِنْ شُؤْمِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (78)، لِلإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (78)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

يَعْنِي:- الْمُرَادُ بِالْحَسَنَةِ الظَّفَرُ وَالْغَنِيمَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَبِالسَّيِّئَةِ الْقَتْلُ وَالْهَزِيمَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ أَيْ: أَنْتَ الَّذِي حَمَلْتَنَا عَلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ، فَعَلَى هَذَا يَكُون مِن قَول المنافقين.

{قُلْ} لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} أَيْ: الْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ثُمَّ عَيَّرَهُمْ بِالْجَهْلِ فقال: {فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ} يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودَ، {لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} أَيْ: لا يَفْقَهُونَ قَوْلًا،

يَعْنِي:- الحديث ههنا هُوَ الْقُرْآنُ أَيْ: لَا يَفْقَهُونَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ: (فَمَالِ هَؤُلَاءِ) قَالَ الْفَرَّاءُ: كَثُرَتْ فِي الْكَلَامِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حَتَّى تَوَهَّمُوا أَنَّ اللَّامَ مُتَّصِلَةٌ بِهَا وَأَنَّهُمَا حَرْفٌ واحد، ففصلوا اللام بما بَعْدَهَا فِي بَعْضِهِ، ووَصَلُوهَا فِي بعضه، والقراءة الاتصال، وَلَا يَجُوزُ الْوَقْفُ عَلَى اللَّامِ لِأَنَّهَا لَامٌ خَافِضَةٌ. (1)

* * *

قَالَ : الإِمَامُ (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)}.

فِيهِ أَرْبَعُ مَسَائِلَ: الْأُولَى- قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ) شَرْطٌ وَمُجَازَاةٌ، وَ (مَا) زَائِدَةٌ وَهَذَا الْخِطَابُ عَامٌّ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ الْمُنَافِقِينَ أَوْ ضَعَفَةَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَالُوا: (لَوْلا أَخَّرْتَنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ) أَيْ إِلَى أَنْ نموت بآجالنا، وهو أشبه بالمنافقين كَمَا ذَكَرْنَا، لِقَوْلِهِمْ لَمَّا أُصِيبَ أَهْلُ أُحُدٍ، قَالُوا: (لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَما قُتِلُوا) فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ) قَالَهُ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) فِي رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ عَنْهُ. وَوَاحِدُ الْبُرُوجِ بُرْجٌ، وَهُوَ الْبِنَاءُ الْمُرْتَفِعُ وَالْقَصْرُ الْعَظِيمُ.

قَالَ طَرَفَةُ يَصِفُ نَاقَةً:

كَأَنَّهَا بُرْجُ رُومِيٍّ تَكَفَّفَهَا ... بَانٍ بِشَيْدٍ وَآجُرٍّ وَأَحْجَارِ

وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ (يُدْرِكُكُمْ) بِرَفْعِ الْكَافِ عَلَى إِضْمَارِ الْفَاءِ، وَهُوَ قَلِيلٌ لَمْ يَأْتِ إِلَّا فِي الشِّعْرِ نَحْوَ قَوْلِهِ :مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا

أَرَادَ فَاللَّهُ يَشْكُرُهَا.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمُرَادِ بِهَذِهِ الْبُرُوجِ، فَقَالَ: الْأَكْثَرُ وَهُوَ الْأَصَحُّ: إِنَّهُ أَرَادَ الْبُرُوجَ فِي الْحُصُونِ الَّتِي فِي الْأَرْضِ الْمَبْنِيَّةِ، لِأَنَّهَا غَايَةُ البشر في التحصن والمنعة، فمثَّل الله لَهُمْ بِهَا.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): فِي قُصُورٍ مُحَصَّنَةٍ. وَقَالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ وَالْجُمْهُورُ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَامِرِ ابْنِ الطُّفَيْلِ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنَعَةٍ؟،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): الْبُرُوجُ الْقُصُورُ. (ابْنُ عَبَّاسٍ): الْبُرُوجُ الْحُصُونُ وَالْآطَامُ وَالْقِلَاعُ.

وَمَعْنَى (مُشَيَّدَةٍ) مُطَوَّلَةٌ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ

(1) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (78).

وَالْقُتَبِيُّ. (عِكْرِمَةُ): الْمُزَيَّنَةُ بِالشِّيدِ وَهُوَ الْجِصُّ.

قَالَ: (قَتَادَةُ): مُحَصَّنَةٌ. وَالْمَشِيدُ وَالْمُشَيَّدُ سَوَاءٌ، وَمِنْهُ (وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) وَالتَّشْدِيدُ لِلتَّكْثِيرِ.

يَعْنِي:- الْمُشَيَّدُ الْمُطَوَّلُ، وَالْمَشِيدُ الْمُطْلِيُّ بِالشِّيدِ. يُقَالُ: شَادَ الْبُنْيَانَ وَأَشَادَ بِذِكْرِهِ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): الْمُرَادُ بِالْبُرُوجِ بُرُوجٌ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَبْنِيَّةٌ. وَحَكَى هَذَا الْقَوْلَ مَكِّيٌّ عَنْ مَالِكٍ وَأَنَّهُ قَالَ: أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) وَ (جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً) (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً).

الرَّابِعَةُ- وَإِذَا تَنَزَّلْنَا عَلَى قَوْلِ (مَالِكٍ وَالسُّدِّيِّ) فِي أَنَّهَا بُرُوجُ السَّمَاءِ، فَبُرُوجُ الْفَلَكِ اثْنَا عَشَرَ بُرْجًا مُشَيَّدَةً مِنَ الرَّفْعِ، وَهِيَ الْكَوَاكِبُ الْعِظَامُ.

يَعْنِي:- لِلْكَوَاكِبِ بُرُوجٌ لِظُهُورِهَا، مِنْ بَرِجَ يَبْرَجُ إِذَا ظَهَرَ وَارْتَفَعَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى). وَخَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى مَنَازِلَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَقَدَّرَهُ فِيهَا، وَرَتَّبَ الْأَزْمِنَةَ عَلَيْهَا، وَجَعَلَهَا جَنُوبِيَّةً وَشَمَالِيَّةً دَلِيلًا عَلَى الْمَصَالِحِ وعلمنا عَلَى الْقِبْلَةِ، وَطَرِيقًا إِلَى تَحْصِيلِ آنَاءِ اللَّيْلِ وَآنَاءِ النهار لمعرفة أوقات التهجد غير ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْمَعَاشِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) أَيْ إِنْ يُصِبِ الْمُنَافِقِينَ خِصْبٌ قَالُوا: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) أَيْ جَدْبٌ وَمَحْلٌ قَالُوا: هَذَا مِنْ عِنْدِكَ، أَيْ أَصَابَنَا ذَلِكَ بِشُؤْمِكَ وَشُؤْمِ أَصْحَابِكَ.

يَعْنِي:- الْحَسَنَةُ السَّلَامَةُ وَالْأَمْنُ، وَالسَّيِّئَةُ الْأَمْرَاضُ وَالْخَوْفُ.

يَعْنِي:- الْحَسَنَةُ الْغِنَى، وَالسَّيِّئَةُ الْفَقْرُ.

يَعْنِي:- الْحَسَنَةُ النِّعْمَةُ وَالْفَتْحُ وَالْغَنِيمَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالسَّيِّئَةُ الْبَلِيَّةُ وَالشِّدَّةُ وَالْقَتْلُ يَوْمَ أُحُدٍ.

يَعْنِي:- الْحَسَنَةُ السَّرَّاءُ، وَالسَّيِّئَةُ الضَّرَّاءُ.

هَذِهِ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ وَعُلَمَاءِ التَّأْوِيلِ- ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ- فِي الْآيَةِ. وَأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهَا لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مُذْ قَدِمَ عَلَيْنَا هَذَا الرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): وَمَعْنَى (مِنْ عِنْدِكَ) أَيْ بِسُوءِ تَدْبِيرِكَ.

يَعْنِي:- (مِنْ عِنْدِكَ) بِشُؤْمِكَ، كَمَا ذَكَرْنَا، أَيْ بِشُؤْمِكَ الَّذِي لَحِقَنَا، قَالُوهُ عَلَى جِهَةِ التَّطَيُّرِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) أَيْ: الشِّدَّةُ وَالرَّخَاءُ وَالظَّفَرُ وَالْهَزِيمَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَيْ: بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

(فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ) يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ.

(لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً) أَيْ مَا شَأْنُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ أن كلا من عند الله. (1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} " أي أيْنَمَا تَكُونُوا يَا مَعْشَرَ المؤمنينَ والمنافقينَ

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (78)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

في بَـرٍّ أو بَحْـرٍ أو سَـفَرٍ أو حَضَـرٍ يَلْحَقْكُـمُ المـوتُ، وإنْ كُنْـتُم فـي حُصُـونٍ مُحَصَّـنَةٍ مـن حديـدٍ وغيـرِه، مرتفعـةٍ إلى عَنَـانِ السَّـماءِ، والمعنـى: أنكـم وإنْ سُـومحْتُمْ وأخـذتم بـترك القتـال، فـإنَّ آخـرَ أعماركم موتٌ لا تَنْجُونَ منه.

وقال: (عكرمةُ): (مُشَيَّدَةٌ: مُحَصَّنَةٌ).

وقال: (العينيُّ): (مُطَوَّلَةٌ).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَإِن تُصِـبْهُمْ حَسَـنَةٌ يَقُولُـواْ هَـاذِهِ مِـنْ عِنـدِ اللَّـهِ} " هـذا حكايـةُ قـولِ المنـافقين واليهـود، كـانوا يقولـون: مـا زِلْنَـا نعـرفُ الـنَّقصَ في ثمارنـا ومراعينـا مُـذْ قَـدِمَ هـذا الرجـلُ علينـا - يعنـون الـنبيَّ -صـلى الله عليـه وسـلم- بعـدَ قُدُومِـه المدينـةَ، فـذلك قولـه: {وَإِن تُصِـبْهُمْ حَسَـنَةٌ يَقُولُـواْ هَـاذِهِ مِـنْ عِنـدِ اللَّـهِ} أي إنْ يُصِـبْهُمْ خِصْـبٌ ورخـصُ سِـعْرٍ وتتـابعُ أمطـارٍ يقولـوا: هـذه مـن فَضْـلِ الله " {وَإِن تُصِـبْهُمْ سَـيِّئَةٌ} " قَحْـطٌ وجُدُوبَـةٌ وغـلاءُ سِعْرٍ، {يَقُولُـواْ هَـاذِهِ مِـنْ عِنـدِكَ} " هـذه مـن شُـؤْمِ مُحَمَّدٍ وأصحابِه.

يقـولُ الله تعـالى: {قُـلْ كُـلٌّ مِّـنْ عِنـدِ اللَّـهِ}" أي قُـلْ لَهُـمْ يـا مُحَمَّـدُ: الحسـنةُ والسـيِّئةُ كلُّهـا بقضـاءِ الله وتقـديره، {فَمَـالِ هَـاؤُلاءِ الْقَـوْمِ لاَ يَكَـادُونَ يَفْقَهُـونَ حَـدِيثاً} " اليهـودُ والمنـافقين لا يقربـونَ مـن فَهْـمِ حـديثٍ عـن الله. والْفِقْـهُ: هـو الْفَهْـمُ، ثـم اختـصَّ مـن جهـةِ العُـرْفِ بعلـمِ الْفَتْوَى.

وقـال: (الحسـنُ): (أرادَ بـالْحَسَـنَةِ فـي هَـذِه الآيـةِ: الظَّفَـرَ وَالْغَنِيمَـةَ، وَبالسَّـيِّئَةِ: الْقَتْلَ وَالْهَزِيْمَـةَ) وَكَـانُوا إذَا غَلَبُـوا قَـالُواْ: هَـذِه مِـن عِنْـدِ الله، وإذَا غَلَـبَهُمُ الْعَـدُوُّ قَـالُواْ: هَـذِه مِـن خَطَأ رَأيك وتَدْبِيرِك. (1)

* * *

[٧٩] ﴿ مَـا أَصَـابَكَ مِـنْ حَسَـنَةٍ فَمِـنَ اللَّـهِ وَمَـا أَصَـابَكَ مِـنْ سَـيِّئَةٍ فَمِـنْ نَفْسِـكَ وَأَرْسَـلْنَاكَ لِلنَّـاسِ رَسُـولًا وَكَفَـى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

مـا نالـك -يـا ابـن آدم- ممـا يسـرك مـن رزق وولـد فهـو مـن الله، تفضل بـه عليـك، ومـا نالـك ممـا يسـوؤك في رزقـك وولـدك فهـو مـن نفسـك بسـبب مـا ارتكبتـه مـن المعاصـي. وقـد بعثنـاك أيهـا الـنبي ﷺ - لجميـع النـاس رسـولًا مـن الله تـبلغهم رسـالة ربـك، وكفـى بـالله شـاهدًا علـى صـدقك فيمـا تبلغـه عنـه، بما آتاك من أدلة وبراهين. (2)

* * *

يَعْنِـي:- مـا أصـابك أيهـا الإنسـان- مِـن خيـر ونعمـة فهـو مـن الله تعـالى وحـده، فضـلا وإحسـانًا، ومـا أصـابك مـن جهـد وشـدة فبسـبب عملـك السـيئ، ومـا اقترفتـه يـداك مـن الخطايـا والسـيئات. وبعثنـاك أيهـا الرسـول- ﷺ - لعمـوم النـاس رسـولا تـبلغهم رسـالة ربـك، وكفـى بـالله شـهيدًا علـى صـدق رسالتك. (3)

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) - المنسـوب - للإمـام الطبرانـي) في سـورة (النساء) الآية (78).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القرآن الكـريم) بـرقم (90/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (90/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

* * *

يَعْنِي:- ما يصيبك - أيها النبي ﷺ - من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل اللَّه عليك، يتفضل به إحسانا منه إليك، وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسك بسبب تقصير أو ذنب ارتكبته. والخطاب للنبى لتصوير النفس البشرية وإن لم يقع منه ما يستوجب السيئة، وأرسلناك رسولاً من عندنا للناس جميعاً، واللَّه شهيد على تبليغك وعلى إجابتهم، وكفى به عليماً. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{مَا أَصَابَكَ} ... أَيُّهَا الْإِنْسَان.

{مِنْ حَسَنَةٍ} ... خَيْر.

{فَمِنَ اللَّهِ} ... أَتَتْكَ فَضْلًا مِنْهُ.

{وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ} ... بَلِيَّة.

{فَمِنْ نَفْسِكَ} ... أَتَتْكَ حَيْثُ ارْتَكَبْتَ مَا يَسْتَوْجِبُهَا مِنْ الذُّنُوب.

{فَمِنْ نَفْسِكَ} ... أي: بذنبك" كقوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} {الشورى: 30}، وتعلَّق القدريَّة بظاهر هذه الآية، فقالوا: نفى الله عز وجل السيئةَ عن نفسه، ونسبها إلى العبد، ولا متعلّق لهم فيه"

بدليل قوله تعالى: {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} غيرَ أن الحسنةَ إحسانٌ وامتحانٌ، والسيئةَ مجازاةٌ وانتقامٌ.

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ نَصَبٌ وَلَا وَصَبٌ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا الْعَبْدُ، وَحَتَّى انْقِطَاعُ شِسْعِ نَعْلِهِ، إِلَا بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو اللهُ أَكْثَرُ)). (2)

{وَأَرْسَلْنَاكَ} ... يَا مُحَمَّد.

{لِلنَّاسِ رَسُولًا} ... حَال مُؤَكِّدَة.

{وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} ... عَلَى رِسَالَتك.

{وَمَا أَصَابَكَ} ... يا إنسان.

{مِنْ حَسَنَةٍ} ... خير ونعمة.

{فَمِنَ اللَّهِ} ... تفضُّلًا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)

قال: الإمَامْ (الطبري) - والإمَامْ (ابن أبي حاتم) - رحمهما الله - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: (الحسنة) ما فتح الله عليه يوم بدر، وما أصابه من الغنيمة والفتح و (السيئة) ما أصابه يوم أحد أن شج في وجهه وكسرت رباعيته. (1)(3)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (122/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (5317)، - (كتاب: المرضى)، / باب: (ما جاء في كفارة المريض).

(صحيح): أخرجه الإمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (2572)، - كتاب: (البر والصلة والآداب)، / باب: (ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك)، بلفظ: "ما من مصيبة يصاب بها المسلم إلا كفر بها عنه، حتى الشوكة يشاكها".

(صحيح): وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (5318)، - (كتاب: المرضى)، / باب: (ما جاء في كفارة المريض).

(صحيح): وأخرجه الإمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (2573)، - كتاب: (البر والصلة والآداب)، / باب: (ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك)، عن (أبي سعيد الخدري وأبي هريرة) بلفظ: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياه".

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (79).

* * *

قـال: الإمَـامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثني يونس قال: حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن (أبي صالح) في قوله (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) قال: بذنبك وأنا قدرتها عليك.(2)

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قـال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم قال تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ} أي: في الدين والدنيا {فَمِنَ اللَّهِ} هو الذي مَنَّ بها ويسرها بتيسير أسبابها. {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ} في الدين والدنيا {فَمِنْ نَفْسِكَ} أي: بذنوبك وكسبك، وما يعفو الله عنه أكثر.

فالله تعالى قد فتح لعباده أبواب إحسانه وأمرهم بالدخول لبره وفضله، وأخبرهم أن المعاصي مانعة من فضله، فإذا فعلها العبد فلا يلومن إلا نفسه فإنه المانع لنفسه عن وصول فضل الله وبره.

ثم أخبر عن عموم رسالة رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- فقال: {وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} على أنك رسول الله حقا بما أيدك بنصره والمعجزات الباهرة والبراهين الساطعة، فهي أكبر شهادة على الإطلاق، كما قال تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} فإذا علم أن الله تعالى كامل العلم، تام القدرة عظيم الحكمة، وقد أيد الله رسوله بما أيده، ونصره نصرا عظيما، تيقن بذلك أنه رسول الله، وإلا فلو تقول عليه بعض الأقاويل لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين.(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ثمَّ ذكر بِمَاذَا تصيبهم النِّعْمَة والشدة فَقَالَ: {مَّآ أَصَابَكَ} يَا مُحَمَّد {مِنْ حَسَنَةٍ} من خصب ورخص السّعر وتتابع السّنة بالأمطار {فَمِنَ الله} فَمن نعْمَة الله عَلَيْك خَاطب بِهِ مُحَمَّداً- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - وعنى بِهِ قومه {وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ} من قحط وجدوبة وَغَلاء السّعر {فَمِن نَّفْسِكَ} فلقبل طَهَارَة نَفسك بطهرك بذلك وَيُقَال مَا أَصَابَك من حَسَنَة من فتح وغنيمة فَمن الله فَمن كَرَامَة الله وَمَا أَصَابَك من سَيِّئَة من قتل وهزيمة مثل يَوْم أحد فَمن نَفسك فبذنب أَصْحَابك بتركهم المركز وَيُقَال مَا أَصَابَك من حَسَنَة مَا عملت من خير فَمن الله توفيقه وعونه وَمَا أَصَابَك من سَيِّئَة مَا عملت من شَرّ فَمن نَفسك فَمن قبل جِنَايَة نَفسك خذلانه {وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ} إِلَى الْجِنّ وَالْإِنْس. {رَسُولاً} بالبلاغ. {وكفى بِاللَّهِ شَهِيداً} على مقالتهم إِن الْحَسَنَة من الله والسيئة من شُؤْم مُحَمَّد- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم -وَأَصْحَابه وَيُقَال وَكفى

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (79).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (79).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (79)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

بِاللَّه شَهِيدا على قَوْلهم ائتنا بِشَهِيد يشْهد بأنك رَسُول الله. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} .

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك} ، ما يصيبك، يا محمد، من رخاء ونعمة وعافية وسلامة، فمن فضل الله عليك، يتفضل به عليك إحسانًا منه إليك،

وأما قوله: {وما أصابك من سيئة فمن نفسك} ، يعني: وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه،

{فمن نفسك} ، يعني: بذنب استوجبتها به، اكتسبته نفسك،

القول في تأويل قوله: {وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولا وَكَفَى بِاللَّه شَهِيدًا (79)}

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {وأرسلناك للناس رسولا} ، إنما جعلناك، يا محمد، رسولا بيننا وبين الخلق، تبلّغهم ما أرسلناك به من رسالة، وليس عليك غير البلاغ وأداء الرسالة إلى من أرسلت، فإن قبلوا ما أرسلت به فلأنفسهم، وإن ردُّوا فعليها، {وكفى بالله} عليك وعليهم، {شهيدًا} ، يقول: حسبك الله تعالى ذكره، شاهدًا عليك في بلاغك ما أمرتك ببلاغه من رسالته ووحيه، وعلى من أرسلت إليه في قبولهم منك ما أرسلت به إليهم، فإنه لا يخفى عليه أمرك وأمرهم، وهو مجازيك ببلاغك ما وعدك، ومجازيهم ما عملوا من خير وشر، جزاء المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولا} أَيْ: تُبَلِّغُهُمْ شَرَائِعَ اللَّهِ، وَمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَمَا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ.

{وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} أَيْ: عَلَى أَنَّهُ أَرْسَلَكَ، وَهُوَ شَهِيدٌ أَيْضًا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَعَالِمٌ بِمَا تُبَلِّغُهُمْ إِيَّاهُ، وَبِمَا يردون عليك من الحق كفرا وعناداً. (3)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {79} ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ} خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ {فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ} بَلِيَّةٍ أَوْ أَمْرٍ تَكْرَهُهُ، {فَمِنْ نَفْسِكَ} أَيْ: بِذُنُوبِكَ، وَالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى الله عليه وسلم - الْمراد غَيْرُهُ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: 30] وتعلق أَهْلُ الْقَدَرِ بِظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالُوا: نَفَى اللَّهُ تَعَالَى السَّيِّئَةَ عَنْ نَفْسِهِ وَنَسَبَهَا إِلَى الْعَبْدِ، فَقَالَ:

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (79). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (79)، للإمَامْ (الطبري)،

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (79)، للإمَامْ (ابن كثير).

(وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) ، ولاَ مُتَعَلَّقَ لَهُمْ فِيهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الآيَةِ حسنات الكسب ولا سيئاته مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُمْ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ النِّعَمِ وَالْمِحَنِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِمْ بِدَلِيلِ أَنَّهُ نَسَبَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ وَلَمْ يَنْسِبْهَا إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: (مَا أَصَابَكَ) وَلاَ يُقَالُ فِي الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ أَصَابَنِي، إِنَّمَا يُقَالُ: أَصَبْتُهَا، ويقال في المحن: أَصَابَنِي، بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ عَلَيْهِ ثوَابًا وَلاَ عقَابًا، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} {الأعراف: 131} فلما ذكر حسَنَاتِ الْكَسْبِ وَسَيِّئَاتِهِ نَسَبَهَا إِلَيْهِ، وَوَعَدَ عَلَيْهَا الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، فَقَالَ: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا} {الْأَنْعَامِ: 160} وَقِيلَ مَعْنَى الْآيَةِ: مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفْرِ يَوْمَ بَدْرٍ فَمِنَ اللَّهِ أَيْ: مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ يَوْمَ أُحُدٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، أَيْ: يعني فبذنوب أصحابك، وهو مخالفتهم لك، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ قَوْلِهِ {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} وَبَيْنَ قَوْلِهِ (فَمِنْ نَفْسِكَ) ؟ قِيلَ: قَوْلُهُ {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} أَيِ: الْخِصْبُ وَالْجَدْبُ وَالنَّصْرُ وَالْهَزِيمَةُ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ: {فَمِنْ نَفْسِكَ} أَيْ: وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنَ اللَّهِ فَبِذَنْبِ نَفْسِكَ عُقُوبَةً لَكَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} {الشُّورَى: 30} يدل عليها مَا رَوَى (مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَرَأَ (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَنَا كَتَبْتُهَا عَلَيْكَ).

وقال بعضهم: هَذِهِ اللاَّمُ مُتَّصِلَةٌ بِمَا قَبْلَهَا، وَالْقَوْلُ فِيهِ مُضْمَرٌ تَقْدِيرُهُ: فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا، يَقُولُونَ: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) ، {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - وَأَرْسَلْنَاكَ} يَا مُحَمَّدُ، {لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} على إرسالك وصدقك،

يَعْنِي:- {كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} عَلَى أَنَّ الْحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ كُلَّهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. (1)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) أَيْ: مَا أَصَابَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ خِصْبٍ وَرَخَاءٍ وَصِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ فَبِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْكَ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ جَدْبٍ وَشِدَّةٍ فَبِذَنْبٍ أَتَيْتَهُ عُوقِبْتَ عَلَيْهِ. وَالْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ. أَيْ مَا أَصَابَكُمْ يا معشر الناس من خصب واتساع رزق فَمِنْ تَفَضُّلِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ جَدْبٍ وَضِيقِ رِزْقٍ فَمِنْ أَنْفُسِكُمْ، أَيْ: مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِكُمْ وَقَعَ ذَلِكَ بِكُمْ. قَالَهُ: (الْحَسَنُ وَالسُّدِّيُّ) وَغَيْرُهُمَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ}.

---

(1) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل (للإمام البغوي) سورة (النساء) الآية (79).

وَقَدْ قِيلَ: الْخِطَابُ لِلْإِنْسَانِ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجِنْسُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) أَيْ: إِنَّ النَّاسَ لَفِي خُسْرٍ، أَلاَ تَرَاهُ اسْتَثْنَى مِنْهُمْ فَقَالَ (إِلا الَّذِينَ آمَنُوا) وَلاَ يُسْتَثْنَى إِلاَ مِنْ جُمْلَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ. وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يَكُونُ قَوْلُهُ (مَا أَصَابَكَ) اسْتِئْنَافًا.

يَعْنِي:- فِي الْكَلاَمِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ يَقُولُونَ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْكَلاَمُ مُتَّصِلًا، وَالْمَعْنَى فَمَالِ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا حَتَّى يَقُولُوا مَا أَصَابَكَ مِنْ حسنة فمن الله.

يَعْنِي:- إِنَّ أَلِفَ الاسْتِفْهَامِ مُضْمَرَةٌ، وَالْمَعْنَى أَفَمِنْ نَفْسِكَ؟ ومثله قوله وتعالى: (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) والمعنى أو تلك نعمة؟ وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي) أَيْ أَهَذَا رَبِّي؟

قَالَ: (أَبُو خِرَاشٍ الْهُذَلِيُّ):

رَمَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَمْ تُرَعْ ... فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ هُمُ هُمُ

أَرَادَ (أَهُمْ) فَأَضْمَرَ أَلِفَ الاسْتِفْهَامِ وَهُوَ كَثِيرٌ وَسَيَأْتِي. قَالَ: (الْأَخْفَشُ): (مَا) بِمَعْنَى الَّذِي.

يَعْنِي:- هُوَ شَرْطٌ.

قَالَ: (النَّحَّاسُ): وَالصَّوَابُ قَوْلُ الأخفش، لأنه نزل في شي بِعَيْنِهِ مِنَ الْجَدْبِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمَعَاصِي في شي وَلَوْ كَانَ مِنْهَا لَكَانَ وَمَا أَصَبْتَ مِنْ سيئة.

وروى (عبد الوهاب ابن مُجَاهِدٍ) عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأُبَيٍّ وابن مسعود) عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) كَمَا قَالَ: (أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ).

وكَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ) أَيْ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَعِلْمِهِ، وَآيَاتُ الْكِتَابِ يَشْهَدُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ.

قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلاَ يَشُكُّ فِي أَنَّ كُلَّ شي بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً).

وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِذا أَرادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ والٍ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا) مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى ذَا رِسَالَةٍ (وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً) نَصْبٌ عَلَى الْبَيَانِ وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ، أَيْ كَفَى اللَّهُ شَهِيدًا عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ نَبِيِّهِ وأنه صادق.(1)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- وجوب القتال لإعلاء كلمة الله ونصرة المستضعفين، وذم الخوف والجبن والاعتراض على أحكام الله.
- الدار الآخرة خير من الدنيا وما فيها من متاع وشهوات لمن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته.

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (79)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

• الخير والشر كله بقدر الله، وقد يبتلي الله عباده ببعض السوء في الدنيا لأسباب، منها : ذنوبهم ومعاصيهم.(1)

* * *

[٨٠] ﴿ مَنْ يُطِعِ الرسول - فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

من يطع الرسول - بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه" فقد استجاب لأمر الله، ومن أعرض عن طاعتك أيها الرسول - ﷺ - فلا تحزن عليه، فما أرسلناك مراقبًا عليه تحفظ أعماله، وإنما نحن من يحصي عمله ويحاسبه.(2)

* * *

يَعْنِي:- من يستجب للرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويعمل بهديه، فقد استجاب لله تعالى وامتثل أمره، ومن أعرض عن طاعة الله ورسوله فما بعثناك أيها الرسول - ﷺ - على هؤلاء المعترضين رقيبًا تحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها، فحسابهم علينا.(3)

* * *

يَعْنِي:- من يطع الرسول - فقد أطاع اللَّه، لأنه لا يأمر إلا بما أمر اللَّه به، ولا ينهى إلا عما نهى اللَّه عنه. فكانت طاعته في الامتثال والانتهاء طاعة للَّه، ومن أعرض عن طاعتك فما أرسلناك إلا بشيراً ونذيراً لا حفيظاً ومهيمناً عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم، إن ذلك لنا لا لك.(4)

* * *

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (81) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83) فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (84) مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (85) وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (86)

شرح و بيان الكلمات :

{مَنْ يُطِعِ الرسول - فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} ... لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه، فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتهاء عما ينهى عنه، طاعة لله.

{وَمَنْ تَوَلَّى} ... عن الطاعة فأعرض عنه.

(أي: أَعْرِض عَنْ طَاعَتك فَلَا يُهِمَّنك).

{فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} ... حَافِظًا لِأَعْمَالِهِمْ بَلْ نَذِيرًا وَإِلَيْنَا أَمْرهمْ فَنُجَازِيهِمْ وَهَذَا قَبْل الْأَمْر بِالْقِتَالِ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (90/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (91/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (123/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَما أَرْسَلْناكَ} ... إلا نذيرا.
{حفيظًا} ... حَافِظًا، رَقِيبًا.
{حَفِيظاً} ... لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: (من يطع الرسول- فقد أطاع الله)

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد أن الأعرج حدثه أنه سمع (أبا هريرة) - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني. وإنما الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقاتل من ورائه، ويُتقى به. فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه)). (1)(2)

* * *

وانظر: الأحاديث المتقدمة عند الآية (59) من السورة نفسها.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- فَلَمَّا نزل {وَمَا أرسلنَا من رَسُول إِلَّا ليطاع بِإِذن الله} قَالَ: (عبد الله بن أبي) يأمرنا مُحَمَّد أَن نطيعه دون الله فَنزل فِيهِ {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ} فِيمَا يَأْمُرهُ {فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ} لِأَن الرَّسُول- لَا يَأْمر إِلَّا بِمَا أَمر الله {وَمَن تولى} عَن طَاعَة الرَّسُول- {فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِم حفيظا} كَفِيلا. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ- فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80)}

قال: (أبو جعفر): وهذا إعذارٌ من الله إلى خلقه في نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم،- يقول الله تعالى ذكره لهم: من يطع منكم، أيها الناس، محمدًا فقد أطاعني بطاعته إياه، فاسمعوا قوله وأطيعوا أمرَه، فإنه مهما يأمركم به من شيء فمن أمري يأمركم، وما نهاكم عنه من شيء فمن نهيي، فلا يقولنَّ أحدكم: "إنما محمد بشر مثلنا يريد أن يتفضَّل علينا"!

ثم قال جل ثناؤه لنبيه: {ومن تولى} عن طاعتك، يا محمد، فأعرض عنك، فإنا لم نرسلك عليهم {حفيظًا}، يعني: حافظًا لما يعملون محاسبًا، بل إنما أرسلناك لتبين لهم ما نزل إليهم، وكفى بنا حافظين لأعمالهم ولهم عليها محاسبين. (4)

* * *

(1) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (135/6)، (ح 2957) - ((كتاب: الجهاد والسير)، / باب: (يقاتل من وراء الإمام)،
(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1466/3) – ((كتاب: الإمارة)،/ باب: (وجوب طاعة الأمراء في غير معصيه..).
(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (80). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (80)، للإِمَامُ (الطبري)،

قَــالَ : الإِمَــامُ (إِبْــنُ كَــثِيرٍ) – (رحمــه اللَّه) – في (تفســيره):- {مَــنْ يُطِــعِ الرسـول- فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ وَمَـنْ تَـوَلَّى فَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ عَلَـيْهِمْ حَفِيظًـا (80)} يُخْبِـرُ تَعَـالَى عَـنْ عَبْـدِه وَرَسُـوله مُحَمَّـد صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـه وَسَـلَّمَ بِأَنَّـهُ مَـنْ أَطَاعَـهُ فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ، وَمَـنْ عَصَـاهُ فَقَـدْ عَصَـى اللَّـهَ، وَمَـا ذَاكَ إِلَا لِأَنَّـهُ مَـا يَنْطِـقُ عَـنِ الْهَـوَى، إِنْ هُـوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى.

وَقَـالَ: (ابْـنُ أَبِـي حَـاتِم): حَـدَّثَنَا أَحْمَدُ بْـنُ سِـنَانٍ، حَـدَّثَنَا أَبُـو مُعَاوِيَـةَ حَـدَّثَنَا الْـأَعْمَشُ، عَـنْ أَبِـي صَـالِحٍ، عَـنْ (أَبِـي هُرَيْـرَةَ) قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- : ((مَـنْ أَطَـاعَنِي فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ، وَمَـنْ عَصَـانِي فَقَـدْ عَصَـى اللَّـهَ وَمَـنْ أَطَـاعَ الْـأَمِيرَ فَقَـدْ أَطَـاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي)).

وَهَـذَا الْحَـدِيثُ ثَابِـتٌ فِـي الصَّـحِيحَيْنِ، عَـنِ (الْأَعْمَشِ) بِهِ (1)

وَقَوْلُـهُ: {وَمَـنْ تَـوَلَّى فَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ عَلَـيْهِمْ حَفِيظًـا} أَيْ: لَا عَلَيْـكَ مِنْـهُ، إِنْ عَلَيْـكَ إِلَا الْـبَلَاغُ فَمَـنْ تَبِعَـكَ سَـعِدَ وَنَجَـا، وَكَـانَ لَـكَ مِـنَ الْـأَجْرِ نَظِيـرُ مَـا حَصَـلَ لَـهُ، وَمَـنْ تَـوَلَّى عَنْـكَ خَابَ وَخَسِرَ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ،

كَمَـا جَـاءَ فِـي الْحَـدِيثِ: ((مَـنْ يُطِـعِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ رَشَـدَ، وَمَـنْ يَعْـصِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ فَإِنَّـهُ لَا يَضُرُّ إِلَا نَفْسَهُ)) (2) (3).

* * *

قَـالَ: الإِمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) – (رحمـه اللَّه) – في (تفسـيره):- {80} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {مَـنْ يُطِـعِ الرسـول- فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ} وَذَلِـكَ أَنَّ النَّبِـيَّ –صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ –كَـانَ يَقُـولُ: ((مَـنْ أَطَـاعَنِي فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ وَمَـنْ أَحَبَّنِـي فَقَـدْ أَحَـبَّ اللَّـهَ)) فَقَـالَ: بَعْـضُ الْمُنَـافِقِينَ: مَـا يُرِيـدُ هَـذَا الرَّجُـلُ إِلَا أَنْ نَتَّخِـذَهُ رَبًّـا كَمَـا اتَّخَـذَتِ النَّصَـارَى عِيسَـى ابْـنَ مَـرْيَمَ رَبًّـا , فَـأَنْزَلَ اللَّـهُ تَعَـالَى: {مَـنْ يُطِـعِ الرسـول- فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ} أَيْ: مَـنْ يُطِـعِ الرسـول- فِيمَـا أَمَـرَ بِـهِ فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّهَ.

{وَمَـنْ تَـوَلَّى} عَـنْ طاعتـه، {فَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ} يـا محمد،

{عَلَـيْهِمْ حَفِيظًـا} أي: حافظـا ورقيبـا علـى كـل أمورهم،

يَعْنِـي:- نَسَـخَ اللَّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ هَـذَا بِآيَـةِ السَّـيْفِ، وَأَمَـرَهُ بِقِتَـالِ مَـنْ خَـالَفَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ. (4)

* * *

قَـالَ : الإِمَـام (القُـرطبي) – (رحمـه اللَّه) – في (تفسيره):-

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: (مَـنْ يُطِـعِ الرسـول- فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ) أَعْلَـمَ اللَّـهُ تَعَـالَى أَنَّ طَاعَـةَ رَسُـولِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَاعَةٌ لَهُ.

وَفِـي صَـحِيحِ (مُسْـلِمٍ) عَـنْ (أَبِـي هُرَيْـرَةَ) عَـنِ النَّبِـيِّ – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – أَنَّـهُ قَـالَ: (مَـنْ أَطَـاعَنِي فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ وَمَـنْ يَعْصِـنِي فَقَـدْ عَصَـى اللَّـهَ وَمَـنْ يُطِـعِ الْـأَمِيرَ فَقَـدْ أَطَـاعَنِي وَمَـنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي).

---

(1) (متفــق عليــه) : أخرجــه الإِمَــامُ (البُخَــاري) في (صــحيحه) بــرقم (7137)،
وأخرجــه الإِمَــامُ (مُسْــلِمٌ) في (صــحيحه) بــرقم (1835). – مــن طريــق –(يــونس بن يزيد عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هريرة) به.

(2) (صــحيح) :أخرجــه الإِمَــامُ (مُسْــلِمٌ) في (صــحيحه) بــرقم (87) – مــن حديث – (عدي بن حاتم) – (رضي الله عنه).

(3) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) في ســورة (النســاء) الآيــة (80)، لِلإِمَــامِ (ابن كثير).

(4) انظــر: (مختصــر تفســير البغــوي = المســمى بمعــالم التنزيــل) لِلإِمَــامِ (البغوي) سورة (النساء) الآية (80).

فـي رِوايَـةٍ. (وَمَـنْ أَطَـاعَ أَمِـيرِي، وَمَـنْ عَصَـى أَمِيرِي).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: (وَمَـنْ تَـوَلَّى) أَيْ أَعْـرَضَ. (فَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ عَلَـيْهِمْ حَفِيظـاً) أَيْ حَافِظًـا وَرَقِيبًـا لِأَعْمَالِهِمْ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ.

وَقَـالَ: (الْقُتَبِـيُّ): مُحَاسِـبًا، فَنَسَـخَ اللَّـهُ هَـذَا بِآيَـةِ السَّـيْفِ وَأَمَـرَهُ بِقِتَـالِ مَـنْ خَـالَفَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ. (1)

* * *

قـال : الإمـام (الطبرانـي) – (رحمـه الله) – في (تفسـير القـرآن العظـيم):- قولـه عـزَّ وَجَـلَّ : {مَـنْ يُطِـعِ الرَّسُـولَ فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ} أي: مَـن يُطِـعِ الرسـول فيمـا يـأمرهُ فقـد أطـاعَ الله " لأنَّ الرسول إنَّما يأمرُ به من عند الله ،

{وَمَن تَوَلَّى} " أي: أعْرَضَ عن طاعته ،

{فَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ عَلَـيْهِمْ حَفِيظـاً} " أي: لـيسَ عليـك إلاّ الـبلاغُ ومـا أرسـلناكَ علـيهم مُسَـلَّطاً تُجْـبِرُهُمْ علـى الإيْمَـانِ والطاعـةِ وتَمـنعُهم عـن الكفـرِ والمعصـيةِ " فإنـك مُبَلِّـغٌ وأنـا العـالِمُ بسرائرهم ،

وهـذه الكلمـةُ مـن آخـرِ الآيـةِ منسـوخةٌ بآيـةِ السَّيْفِ. (2)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {80} {مَـنْ يُطِـعِ الرَّسُـولَ فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ وَمَـنْ تَـوَلَّى فَمَـا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} .

{مَـنْ يُطِـعِ الرَّسُـولَ} ، أي: كـل مَـنْ أطـاع رسـول الله في أوامـره ونواهيـه {فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ} تعـالى لكونـه لا يـأمر ولا ينهـى إلا بـأمر الله وشـرعه ووحيـه وتنزيلـه، وفي هـذا عصـمة الرسـول- – صـلى الله عليـه وسـلم – لأن الله أمـر بطاعتـه مطلقـا، فلـولا أنـه معصـوم في كـل مـا يُبَلِّـغ عـن الله لم يـأمر بطاعتـه مطلقـا، ويمـدح علـى ذلـك. وهـذا مـن الحقـوق المشـتركة فإن الحقوق ثلاثة:

حـق لله تعـالى لا يكـون لأحـد مـن الخلـق، وهـو عبادة الله والرغبة إليه، وتوابع ذلك.

وقسـم مخـتص بالرسـول، وهـو التعزيـر والتوقير والنصرة.

وقسـم مشـترك، وهـو الإيمـان بـالله ورسـوله ومحبتهمـا وطاعتهمـا، كمـا جمـع الله بـين هـذه الحقـوق في قولـه: {لِتُؤْمِنُـوا بِاللَّـهِ وَرَسُـولِهِ وَتُعَـزِّرُوهُ وَتُـوَقِّرُوهُ وَتُسَـبِّحُوهُ بُكْـرَةً وَأَصِـيلا} فمَـنْ أطـاع الرسـول- فقـد أطـاع الله، ولـه مـن الثـواب والخـير مـا رتـب علـى طاعـة الله.

{وَمَـنْ تَـوَلَّى} عـن طاعـة الله ورسـوله فإنـه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا.

{فَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ عَلَـيْهِمْ حَفِيظًـا} أي: تحفـظ أعمـالهم وأحـوالهم، بـل أرسـلناك مبلغـا ومبينـا وناصـحا، وقـد أديـت وظيفتـك، ووجـب أجـرك علـى الله، سـواء اهتـدوا أم لم يهتـدوا. كمـا قـال تعـالى: {فَـذَكِّرْ إِنَّمَـا أَنْـتَ مُـذَكِّرٌ * لَسْـتَ عَلَـيْهِمْ بِمُصَـيْطِرٍ} الآيـات ولا بـد أن تكـون طاعـة الله ورسـوله ظـاهرًا وباطنًـا في الحضـرة والمغيـب فأمـا مَـنْ يظهـر في الحضـرة والطاعـة والالتـزام فـإذا خـلا بنفسـه أو أبنـاء جنسـه

(1) انظـر: تفسـير (القـرطبي) = (الجـامع لأحكـام القـرآن) في سـورة (النسـاء) – الآية (80)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) – المنسـوب – للإمـام الطبرانـي) في سـورة (النساء) الآية (80).

ترك الطاعة وأقبل على ضدها فإن الطاعة التي أظهرها غير نافعة ولا مفيدة وقد أشبه من قال الله فيهم.(1)

* * *

[٨١] ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ويقول المنافقون لك بألسنتهم: نطيع أمرك ونمتثله، فإذا خرجوا من عندك دَبَّر جماعة منهم على وجه الخفاء خلاف ما أظهروا لك، والله يعلم ما يدبِّرون، وسيجازيهم على كيدهم هذا، فلا تلتفت لهم" فلن يضروك شيئًا، وفوِّض أمرك إلى الله، واعتمد عليه، وكفى بالله وكيلًا تعتمد عليه.(2)

* * *

يَعْنِي:- ويُظْهِر هؤلاء المعرضون -وهم في مجلس رسول الله- صلى الله عليه وسلم- طاعتهم للرسول وما جاء به، فإذا ابتعدوا عنه وانصرفوا عن مجلسه، دبَّر جماعة منهم ليلا غير ما أعلنوه من الطاعة، وما علموا أن الله يحصي عليهم ما يدبرون، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء، فتول عنهم أيها الرسول- صلى الله عليه وسلم- ولا تبال بهم، فإنهم لن يضروك، وتوكل على الله، وحسبك به وليّاً وناصراً.(3)

* * *

يَعْنِي:- ويقول هذا الفريق المتردد: أمرك مطاع، وليس لك منا إلا الطاعة فيما تأمر وتنهى، ولكن إذا خرجوا من عندك وابتعدوا عنك دبَّرت طائفة منهم أمرا وبيتته، غير الذى تقوله أنت لهم من أمر ونهى، واللَّه -سبحانه وتعالى- يحصى عليهم ما يدبرونه فى خفاء. فلا تلتفت إليهم، وأعرض عنهم، وفوض أمرك إلى اللَّه، وتوكل عليه، وكفى أن يكون اللَّه وكيلك وحافظك تفوض إليه جميع أمورك.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَيَقُولُونَ} ... أَيْ: الْمُنَافِقُونَ إذَا جَاءُوك أَمْرَنَا.

{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ} ... يعني: المنافقينَ، يُظهرونَ أنهم يطيعونَكَ.

{طَاعَةٌ} ... لَك. (أي: أمرنا طاعة لك).

{فَإِذَا بَرَزُوا} ... خرجوا.

{مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ} ... أي: دَبَّر ليلًا.

{غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ} ... في مجلسك.

{وَاللَّهُ يَكْتُبُ} .... يُثْبِتُ في صحائفِهم للمجازاة.

{مَا يُبَيِّتُونَ} ... يُزَوِّرون.

{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} ... لا تعاقِبهم.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (80)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1). تصنيف (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (91/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (123/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} ... أي: اتَّخِذهُ وكيلًا ، فهو كافيك.

{وكَفَى بِاللَّه وكِيلًا} ... ناصرًا.

{مِنْ عنْدك بيَّتَ طَائفَة منْهُمْ} بِإِدْغَامِ التَّاء في الطَّاء وتَركه أَيْ أَضْمَرَتْ.

{بيَّتَ طَائفَةٌ} ... دَبَّرتْ بِلَيْل.

{غَيْرَ الَّذي تقُول} ... لَك فِي حُضُورك مِنْ الطَّاعَة أَيْ عِصْيَانك.

{واللَّه يكْتب} ... يَأْمر بكَتْب.

{مَا يُبَيِّتُونَ} ... فِي صَحَائِفهمْ لِيُجَازَوْا عَلَيْه.

{فأَعْرِضْ عَنْهُمْ} ... بالصَّفْح.

{وتَوكَّلْ عَلَى اللَّه} ... ثِقْ بِه فَإِنَّهُ كَافِيك.

{وكَفَى بِاللَّه وكِيلًا} ... مفوضا إليه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول) قال: يغيرون ما عهد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ} أي يظهرون الطاعة إذا كانوا عندك.

{فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ} أي خرجوا وخلوا في حالة لا يطلع فيها عليهم. {بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ} أي بيتوا ودبروا غير طاعتك ولا ثَمَّ إلا المعصية

وفي قوله: {بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ} دليل على أن الأمر الذي استقروا عليه غير الطاعة؛ لأن التبييت تدبير الأمر ليلا على وجه يستقر عليه الرأي ثم توعدهم على ما فعلوا فقال: {وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ} أي يحفظه عليهم وسيجازيهم عليه أتم الجزاء ففيه وعيد لهم ثم أمر رسوله بمقابلتهم بالإعراض وعدم التعنيف فإنهم لا يضرونه شيئا إذا توكل على الله واستعان به في نصر دينه وإقامة شرعه ولهذا قال: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا}. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَيَقُولُونَ} يَعْنِي الْمُنَافقين عبد الله ابْن أبي وَأَصْحَابه {طَاعَةٌ} أمرك طَاعَة يَا مُحَمَّد مر بِمَا شِئْت نفعله {فَإِذَا بَرَزُوا} خَرجُوا {مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ} غيرت {طَائِفَةٌ} فريق {مِنْهُمْ} من الْمُنَافِقين {غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ} تَأمر {وَاللَّهُ يَكْتُبُ} يحفظ عَلَيْهِم {مَا يُبَيِّتُونَ} مَا يغيرون من أَمرك {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} وَلَا تعاقبهم {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ} ثق بِاللَّه فِيمَا يصلحون {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً} كَفِيلا بالنصرة والدولة لَك عَلَيْهِم. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (81).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (81)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (81). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

بَـرَزُوا مِـنْ عِنْـدِكَ بَيَّـتَ طَائِفَـةٌ مِـنْهُمْ غَيْـرَ الَّـذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ .

قـال:(أبـو جعفـر): يعـني بـذلك جل ثنـاؤه بقولـه : {ويقولـون طاعـة} ، يعـني : الفريـق الـذي أخـبر الله عـنهم أنهـم لمـا كتـب علـيهم القتـال خَشُـوا النـاس كخشـية الله أو أشـد خشـية، يقولـون لـنبي الله - صـلى الله عليـه وسـلم - إذا أمـرهم بـأمر: أمـرك طاعـة، ولـك منا طاعة فيما تأمرنا به وتنهانا عنه،

{وإذا بـرزوا مـن عنـدك} ، يقـول: فـإذا خرجـوا من عندك، يا محمد ،

{بيّـت طائفـة مـنهم غـير الـذي تقـول} ، يعـني بـذلك جـل ثنـاؤه: غيَّـر جماعـة مـنهم لـيلا الذي تقول لهم.

وكـل عمـل عُمِـل لـيلا فقـد"بُيِّـت"، ومـن ذلـك"بيَّـت" العـدو، وهـو الوقـوع بهـم لـيلا ومنه .

يقـول الله جـل ثنـاؤه: {والله يكتـب مـا يبيتـون} ، يعـني بـذلك جـل ثنـاؤه: والله يكتـب مـا يغيِّـرون مـن قولـك لـيلا في كُتـب أعمـالهم التي تكتبها حَفَظته.

القـول في تأويـل قولـه : {فَـأَعْرِضْ عَـنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا (81)}

قـال: (أبـو جعفـر): يقـول جـل ثنـاؤه لمحمـد - صـلى الله عليـه وسـلم - : {فـأعرض} ، يـا محمـد، عـن هـؤلاء المنـافقين الـذين يقولـون لـك فيمـا تـأمرهم:"أمـرك طاعـة"، فـإذا بـرزوا مـن عنـدك خـالفوا مـا أمـرتهم بـه، وغيَّـروه إلى مـا نهيـتهم عنـه، وخلّهـم ومـا هـم عليـه مـن الضلالة، وارض لهم بي منتقمًا منهم،

{وتوكـل} أنـت يـا محمـد ="علـى الله"، يقـول: وفـوِّض أنـت أمـرك إلى الله، وثـق بـه في أمـورك، وولِّها إياه،

{وكفـى بـالله وكـيلا} ، يقـول: وكفـاك بـالله = أي: وحسبك بالله ،

{وكـيلا} ، أي: فيمـا يـأمرك، ووليًّـا لهـا، ودافعًا عنك وناصراً. ، (1)

* * *

قـال : الإمَـامْ (إبـن كـثير) – (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- وَقَوْلُـهُ: {وَيَقُولُـونَ طَاعَـةٌ} يُخْبِـرُ تَعَـالَى عَـنِ الْمُنَـافِقِينَ بِـأَنَّهُمْ يُظْهِـرُونَ الْمُوَافَقَةَ وَالطَّاعَةَ.

{فَـإِذَا بَـرَزُوا مِـنْ عِنْـدِكَ} أَيْ: خَرَجُـوا وَتَـوَارَوْا عَنْكَ.

{بَيَّـتَ طَائِفَـةٌ مِـنْهُمْ غَيْـرَ الَّـذِي تَقُـولُ} أَيْ: اسْتَسَرُّوا لَيْلًا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِغَيْرِ مَا أَظْهَرُوهُ.

فَقَـالَ تَعَـالَى: {وَاللَّـهُ يَكْتُـبُ مَـا يُبَيِّتُـونَ} أَيْ: يَعْلَمُـهُ وَيَكْتُبُـهُ عَلَـيْهِمْ بِمَـا يَـأْمُرُ بِـهِ حَفَظَتَـهُ الْكَـاتِبِينَ، الَّـذِينَ هُـمْ مُوَكَّلُـونَ بِالْعِبَـادِ. يَعْلَمُـونَ مَـا يَفْعَلُـونَ. وَالْمَعْنَـى فِـي هَـذَا التَّهْدِيـدِ، أَنَّـهُ تَعَـالَى أَخْبَـرَ بِأَنَّـهُ عَـالِمٌ بِمَـا يُضْـمِرُونَهُ وَيُسِـرُّونَهُ فِيمَـا بَيْـنَهُمْ، وَمَـا يَتَّفِقُـونَ عَلَيْـهِ لَيْلًـا مِـنْ مُخَالَفَـةِ الرسـول - وَعِصْـيَانِهِ، وَإِنْ كَـانُوا قَـدْ أَظْهَـرُوا لَـهُ الطَّاعَـةَ وَالْمُوَافَقَـةَ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.

كَمَـا قَـالَ تَعَـالَى: {وَيَقُولُـونَ آمَنَّـا بِـاللَّهِ وَبِالرسـول - وَأَطَعْنَـا ثُـمَّ يَتَـوَلَّى فَرِيـقٌ مِـنْهُمْ مِـنْ بَعْـدِ ذَلِـكَ وَمَـا أُولَئِـكَ بِـالْمُؤْمِنِينَ} {النُّـورِ: 47}.

(1) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) في سـورة (النسـاء) الآيـة (81)، للإمَامْ (الطبري)،

وَقَوْلُهُ: {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} أَيْ: اصْفَحْ عَنْهُمْ وَاحْلُمْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تُؤَاخِذْهُمْ، وَلاَ تَكْشِفْ أُمُورَهُمْ لِلنَّاسِ، وَلاَ تَخَفْ مِنْهُمْ أَيْضًا.

{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا} أَيْ: كَفَى بِهِ وَلِيًّا وَنَاصِرًا وَمُعِينًا لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَأَنَابَ إِلَيْهِ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {81} {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ} يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَ بِاللِّسَانِ لِلرَّسُولِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَا آمَنَّا بِكَ فَمُرْنَا فَأَمْرُكَ طَاعَةٌ، قَالَ النَّحْوِيُّونَ: أَيْ أَمْرُنَا وَشَأْنُنَا أن نطيعك،

{فَإِذَا بَرَزُوا} خَرَجُوا، {مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ} قَالَ: (قَتَادَةُ): بَيَّتَ أَيْ: غَيَّرَ وَبَدَّلَ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَيَكُونُ التَّبْيِيتُ بِمَعْنَى التَّبْدِيلِ،

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْقُتَيْبِيُّ): مَعْنَاهُ قَالُوا وَقَدَّرُوا لَيْلًا غَيْرَ مَا أَعْطَوْكَ نَهَارًا وَكُلُّ مَا قُدِّرَ بِلَيْلٍ فهو مبيت،

وَقَالَ: (أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ): تَقُولُ الْعَرَبُ لِلشَّيْءِ إِذَا قُدِّرَ: بُيِّتَ، يُشَبِّهُونَهُ بِتَقْدِيرِ بُيُوتِ الشِّعْرِ،

{وَاللَّهُ يَكْتُبُ} أَيْ يُثْبِتُ وَيَحْفَظُ، {مَا يُبَيِّتُونَ} مَا يُزَوِّرُونَ وَيُغَيِّرُونَ وَيُقَدِّرُونَ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): يَعْنِي مَا يُسِرُّونَ مِنَ النِّفَاقِ، {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} يَا مُحَمَّدُ وَلاَ تُعَاقِبْهُمْ،

يَعْنِي:- لاَ تُخْبِرْ بِأَسْمَائِهِمْ، مُنِعَ الرسول- – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْإِخْبَارِ بِأَسْمَاءِ الْمُنَافِقِينَ، {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} {النساء: 81} أَيْ: اتَّخِذْهُ وَكِيلًا وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا وَنَاصِرًا. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَقُولُونَ طاعَةٌ فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ) أَيْ: أَمْرُنَا طَاعَةٌ، وَيَجُوزُ (طَاعَةً) بِالنَّصْبِ، أَيْ نُطِيعُ طَاعَةً، وَهِيَ قِرَاءَةُ نَصْرِ بْنِ عَاصِمٍ وَالْحَسَنِ وَالْجَحْدَرِيِّ.

وَهَذَا فِي الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، أَيْ يَقُولُونَ إِذَا كَانُوا عِنْدَكَ: أَمْرُنَا طَاعَةٌ، أَوْ نُطِيعُ طَاعَةً، وَقَوْلُهُمْ هَذَا لَيْسَ بِنَافِعٍ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدِ الطَّاعَةَ لَيْسَ بِمُطِيعٍ حَقِيقَةً، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُحَقِّقْ طَاعَتَهُمْ بِمَا أَظْهَرُوهُ، فَلَوْ كَانَتِ الطَّاعَةُ بِلَا اعْتِقَادٍ حَقِيقَةً لَحَكَمَ بِهَا لَهُمْ، فَثَبَتَ أَنَّ الطَّاعَةَ بِالِاعْتِقَادِ مَعَ وُجُودِهَا. (فَإِذا بَرَزُوا) أَيْ خَرَجُوا (مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ) فَذَكَّرَ الطَّائِفَةَ لِأَنَّهَا فِي معنى رجال. وَأَدْغَمَ الْكُوفِيُّونَ التَّاءَ فِي الطَّاءِ، لِأَنَّهُمَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ، وَاسْتَقْبَحَ ذَلِكَ الْكِسَائِيُّ فِي الْفِعْلِ وَهُوَ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ غَيْرُ قَبِيحٍ.

وَمَعْنَى (بَيَّتَ) زَوَّرَ وَمَوَّهَ.

(وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ) أَيْ يُثْبِتُهُ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَيْهِ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (81)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (81).

وَقَالَ: (الزَّجَّاجُ): الْمَعْنَى يُنَزِّلُهُ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ. وَفِي هَذِه الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُجَرَّدَ الْقَوْلِ لا يُفِيدُ شَيْئًا كَمَا ذَكَرْنَا، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: طَاعَةٌ، وَلَفَظُوا بِهَا وَلَمْ يُحَقِّقِ اللَّهُ طَاعَتَهُمْ وَلَا حَكَمَ لَهُمْ بِصِحَّتِهَا، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْتَقِدُوهَا. فَثَبَتَ أَنَّهُ لا يَكُونُ الْمُطِيعُ مُطِيعًا إِلا بِاعْتِقَادِهَا مَعَ وُجُودِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)،

قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) أَيْ لَا تُخْبِرْ بِأَسْمَائِهِمْ، عَنِ الضَّحَّاك، يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ.

يَعْنِي:- لَا تُعَاقِبْهُمْ. ثُمَّ أَمَرَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالثِّقَةِ بِهِ فِي النَّصْرِ عَلَى عَدُوِّهِ. وَيُقَالُ: إِنَّ هَذَا مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) ثُمَّ عَابَ الْمُنَافِقِينَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ التَّدَبُّرِ فِي الْقُرْآنِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ وَفِي مَعَانِيهِ. تَدَبَّرْتُ الشَّيْءَ فَكَّرْتُ فِي عَاقِبَتِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ (لَا تَدَابَرُوا) أَيْ: لَا يُوَلِّي بَعْضُكُمْ بَعْضًا دُبُرَهُ. وَأَدْبَرَ الْقَوْمُ مَضَى أَمْرُهُمْ إِلَى آخِرِهِ. وَالتَّدْبِيرُ أَنْ يُدَبِّرَ الْإِنْسَانُ أَمْرَهُ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى مَا تَصِيرُ إِلَيْهِ عَاقِبَتُهُ. وَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ (1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ} " معناهُ: أنَّ المنافقين كانوا يقولون للنبيِّ - صلى الله عليه وسلم - أمْرُكَ طاعةٌ وقولُك مُتَّبَعٌ ،

{فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ} " فَإنْ خَرَجُوا من عندكَ يا مُحَمَّد ، {بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ} " أي غَيَّرَتْ جماعةٌ منهم الأمرَ الذي أمرتَهم به على وجه التكذيب ، يقالُ لكلِّ أمرٍ قُضِيَ بليلٍ : قَدْ بُيِّتَ به ، وإنَّما لم يقل للبيت " لأنَّ كلَّ تأنيثٍ غيرَ حقيقي يجوزُ تعبيرهُ بلفظ التذكير ،

وقِيْلَ : معناهُ : قَدَّرُوا ليلاً غيرَ ما أعطوكَ نَهاراً.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ} " أي يَحْفَظُ عليهم ما يفْتَرُونَ من أمرِك ، وقِيْلَ : ما يُسِرُّونَ من النفاق.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} أي: لا تُعَاقِبْهُمْ يا مُحَمَّدُ واسْتُرْ عليهم إلى أنْ يَسْتَقِيمَ أمرُ الإسلام.

{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} " أي: ثِقْ باللهِ وفوِّضْ أمركَ إليه،

{وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً} " أي: حَافظاً ، والوكيلُ : هو العالِمُ بما يُفَوَّضُ إليه من التدبير. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ} يَعْنِي بِهِ: الْمُنَافِقِينَ" يَقُولُونَ ذَلِكَ لرَسُول الله عَلَيْهِ السَّلَام. قَالَ: (مُحَمَّد): وَارْتَفَعَتْ {طَاعَةٌ} بِمَعْنَى: أمرنَا طَاعَةٌ. {فَإِذَا بَرَزُوا} خرجُوا. {مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ}. قَالَ: (قَتَادَة): يَعْنِي غيرت طَائِفَة

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (81)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني في سورة (النساء) الآية (81)،

مِنْهُمْ {غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ} أَي: يغيرون،

قَالَ: (مُحَمَّد): قِيلَ: الْمَعْنى: قَالُوا وقدروا لَيْلًا غير (مَا أتوك) نَهَارا، وَالْعرب تَقُولُ لكل مَا فُكِّر فِيهِ، أَو خِيضَ بلَيْل: قد بيت، وَمن هَذَا قَول الشَّاعِر:

(أَتَوْنِي فَلم أرض مَا بيتوا ... وَكَانُوا أَتَوْنِي لأمر نكر)

قَوْله: {فَأَعْرِض عَنْهُم} لَا تقتلهم، وَلَا تحكم عَلَيْهِم أَحْكَام الْمُشْركين" مَا كَانُوا إِذا لقوك أعطوك الطَّاعَة، وَلم يظهروا الشّرك.

{وتوكل على الله} فَإِنَّهُ سيكفيكهم.

{وَكفى بِاللَّه وَكيلا} لمن توكل عَلَيْهِ. (1)

* * *

[٨٢] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لِمَ لا يتأمل هؤلاء القرآن ويدرسونه حتى يثبت لهم أنه لا يوجد فيه اختلاف ولا اضطراب؟! وحتى يعلموا صدق ما جئت به، ولو كان من عند غير الله تعالى لوجدوا فيه اضطرابًا في أحكامه واختلافًا كثيرًا في معانيه. (2)

* * *

يَعْنِي:- أفلا ينظر هؤلاء في القرآن، وما جاء به من الحق، نظر تأمل وتدبر، حيث جاء على نسق محكم يقطع بأنه من عند الله وحده؟ ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- أفلا يتدبر أولئك المنافقون كتاب اللَّه فيعلموا حجة اللَّه عليهم فى وجوب طاعته واتباع أمرك، وأن هذا الكتاب من عند اللَّه لائتلاف معانيه وأحكامه، وتأييد بعضه لبعض. فهذا دليل على أنه من عند اللَّه، إذ لو كان من عند غيره لتناقضت معانيه، واختلفت أحكامه اختلافاً كثيراً. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} ... تدبره: تأمل معانيه وتبصر ما فيه.

{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ} ... تدبر القرآن، قراءة الآية أو الآيات وإعادتها المرة بعد المرة ليفقه مراد الله تعالى منها.

{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ} ... يَتَأَمَّلُونَ.

(اي: يتأملون القرآن" أي: لو اعتبروا القرآن، لتيقنوا أنه من عند الله" لعدم تناقضه.

{الْقُرْآنَ} ... وَمَا فِيه مِنْ الْمَعَانِي الْبَدِيعَة.

{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} ... تَنَاقُضًا فِي مَعَانِيه وَتَبَايُنًا فِي نَظْمه.

{لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً} .... لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية () للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1). تصنيف (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (91/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (123/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الإعجاز، وبعضه قاصرا عنه تمكن معارضته.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)

قال: الإمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) - (بِسنده):- حدثنا أنس بن عياض، حدثنا أبو حازم عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من صحابة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مغضباً قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: ((مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضا فماعرفتم فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه)).(1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) أي: قول الله لا يختلف، وهو حق ليس فيه باطل، وإن قول الناس يختلف.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {82} {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا} .

يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال" وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن،

---

(1) أخرجه الإمَامُ (أحمد) في (المسند) برقم (ح 6702) .

وأخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (33/1)، (ح 85) – (المقدمة)، / باب:(في القدر) - من طريق - (داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب) بنحوه مختصراً، وفيه: "إنهم اختصموا في آية من القدر".

وقال: الإمَامُ (البوصيري): (إسناده صحيح رجاله ثقات) في (مصباح الزجاجة) برقم (58/1).

وقال:الإمَامُ (الألباني): (حسن صحيح) في (صحيح ابن ماجة) برقم (ح 69) .

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (82).

كما قال تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}.

وقال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}.

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور،

فلذلك قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلا.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآن} أَفلا يتفكرون فِي الْقُرْآن أَنه يشبه بعضه بَعْضًا وَيصدق بعضه بَعْضًا وَفِيه مَا أمرهم النَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم -.

{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله} وَلَو كَانَ هَذَا الْقُرْآن من أحد غير الله.

{لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً} تناقضاً كثيرا لاَ يشبه بعضه بَعْضًا.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (82)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {أفلا يتدبرون القرآن}، أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم، يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجّة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتِّساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض، كما:-

9987 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة) قوله: {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا}.

أي: قول الله لا يختلف، وهو حق ليس فيه باطل، وإنّ قول الناس يختلف.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (82)}. يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَنَاهِيًا لَهُمْ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، وَعَنْ تَفَهُّمِ مَعَانِيهِ الْمُحْكَمَةِ وَأَلْفَاظِهِ الْبَلِيغَةِ، وَمُخْبِرًا لَهُمْ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا اضْطِرَابَ،

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (82)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (82). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (82)، للإمَام (الطبري).

وَلاَ تَضَادَّ وَلاَ تَعَارُضَ" لِأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، فَهُوَ حَقٌّ مِنْ حَقٍّ" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} {مُحَمَّد: 24}،

ثُمَّ قَالَ: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ} أَيْ: لَوْ كَانَ مُفْتَعَلًا مُخْتَلَقًا، كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنْ جَهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي بَوَاطِنِهِمْ.

{لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} أَيْ: اضْطِرَابًا وَتَضَادًّا كَثِيرًا. أَيْ: وَهَذَا سَالِمٌ مِنَ الاخْتِلَافِ، فَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى مخبرا عن الراسخين في العلم حَيْثُ قَالُوا: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} {آل عمران: 7} أَيْ: مُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ حَقٌّ" فَلِهَذَا رَدُّوا الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ فَاهْتَدَوْا، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ رَدُّوا الْمُحْكَمَ إِلَى الْمُتَشَابِهِ فغووا" وَلِهَذَا مَدَحَ تَعَالَى الرَّاسِخِينَ وَذَمَّ الزَّائِغِينَ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {82} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} يَعْنِي: أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي الْقُرْآنِ، وَالتَّدَبُّرُ هُوَ النَّظَرُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ، وَدُبُرُ كُلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ.

{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} أَيْ: تَفَاوُتًا وَتَنَاقُضًا كَثِيرًا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ،

يَعْنِي:- لَوَجَدُوا فيه أي: فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْغَيْبِ بِمَا كَانَ وَبِمَا يَكُونُ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ فَيَعْرِفُوا بِعَدَمِ التَّنَاقُضِ فِيهِ وَصِدْقِ مَا يُخْبِرُ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ مَا لَا يَكُونُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا يَخْلُو عَنْ تَنَاقُضٍ وَاخْتِلَافٍ. (2)

* * *

قَالَ : الإِمَامُ (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} عَلَى وُجُوبِ التَّدَبُّرِ فِي الْقُرْآنِ لِيُعْرَفَ مَعْنَاهُ. فَكَانَ فِي هَذَا رَدٌّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: لَا يُؤْخَذُ مِنْ تَفْسِيرِهِ إِلَّا مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَنَعَ أَنْ يُتَأَوَّلَ عَلَى مَا يُسَوِّغُهُ لِسَانُ الْعَرَبِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْأَمْرِ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَإِبْطَالِ التَّقْلِيدِ،

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى إِثْبَاتِ الْقِيَاسِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) أَيْ: تَفَاوُتًا وَتَنَاقُضًا، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(قَتَادَةَ)، وَ(ابْنِ زَيْدٍ).

وَلَا يَدْخُلُ فِي هَذَا اخْتِلَافُ أَلْفَاظِ الْقِرَاءَاتِ وَأَلْفَاظِ الْأَمْثَالِ وَالدَّلَالَاتِ وَمَقَادِيرِ السُّوَرِ وَالْآيَاتِ. وَإِنَّمَا أَرَادَ اخْتِلَافَ التَّنَاقُضِ وَالتَّفَاوُتِ.

يَعْنِي:- الْمَعْنَى لَوْ كَانَ مَا تُخْبِرُونَ بِهِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَاخْتَلَفَ.

يَعْنِي:- إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مُتَكَلِّمٍ يَتَكَلَّمُ كَلَامًا كَثِيرًا إِلَّا وُجِدَ فِي كَلَامِهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ، إِمَّا فِي الْوَصْفِ وَاللَّفْظِ، وَإِمَّا فِي جَوْدَةِ الْمَعْنَى، وَإِمَّا فِي التَّنَاقُضِ، وَإِمَّا فِي الْكَذِبِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ وَأَمَرَهُمْ بِتَدَبُّرِهِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ فِيهِ اخْتِلَافًا فِي وَصْفٍ وَلَا رَدًّا لَهُ فِي

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (82)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (82).

مَعْنًى، وَلاَ تَنَاقُضًا وَلاَ كَذِبًا فِيمَا يُخْبِرُونَ بِه من الغيوب وما يسرون.(1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قولـه عـزَّ وَجلَّ : {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} " أي أفلا يَتَفَكَّرُونَ في الْقُرْآنِ أنه يُشْبهُ بعضُه بعضاً ويصدِّقُ بعضه بعضاً ، وأنَّ أحَداً من الخلائق لا يقدرُ على مثْله ، فيعلمون أنه حَقٌّ ويعلمونَ أنه من عنْدِ الله ،

{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} " أي: تعارضاً وتَبَايُناً وبعضهُ بليغاً وبعضهُ ساقطاً.(2)

* * *

[٨٣] ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا جاء هؤلاء المنافقين أمر مما فيه أمن المسلمين وسرورهم، أو خوفهم وحزنهم" أفشوه ونشروه، ولو تأنّوا وأرجعوا الأمر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإلى أهل الرأي والعلم والنصح" لأدرك أهل الرأي والاستنباط ما ينبغي أن يُعمل بشأنه من نشر أو كتمان، ولولا فضل الله عليكم بالاسلام ورحمته بكم بالقرآن أيها المؤمنون- فعافاكم مما ابتلى به هؤلاء المنافقين" لاتبعتم وساوس الشيطان إلا قليلًا منكم.(3)

* * *

يَعْنِي:- وإذا جاء هؤلاء الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم أمْرٌ يجب كتمانه متعلقًا بالأمن الذي يعود خيره على الإسلام والمسلمين، أو بالخوف الذي يلقي في قلوبهم عدم الاطمئنان، أفشوه وأذاعوا به في الناس، ولو ردَّ هؤلاء ما جاءهم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإلى أهل العلم والفقه لَعَلِمَ حقيقةَ معناه أهل الاستنباط منهم. ولولا أنْ تَفَضَّلَ الله عليكم ورحمكم لاتبعتم الشيطان ووساوسه إلا قليلا منكم.(4)

* * *

يَعْنِي:- وإذا اطَّلَعَت هذه الطائفة المنافقة على أمر يتعلق بقوة المسلمين أو ضعفهم أفشوه ونشروه، جاهرين به للتغرير بالمسلمين أو إلقاء الرعب فى قلوبهم، أو توصيل أبنائهم إلى أعدائهم، ولو أن هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الأمن والخوف إلى الرسول- وإلى أولى الأمر من القواد وكبار الصحابة، وطلبوا معرفة الحقيقة من جهتهم لعلم أولئك الذين يحاولون استخراج الوقائع وإذاعتها الحق من جانب الرسول- والقادة، ولولا فضل اللَّه

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (82)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (82).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (91/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

عليكم بتثبيت قلوبكم على الإيمان، ومنع الفتنة، ورحمته بتمكينكم من أسباب الظفر والانتصار، لاتبع أكثركم إغواء الشيطان، ولم ينج من إغوائه إلا القليل.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وإذا جاءَهُمْ} ... هم ناس من ضعفاء المسلمين.

{وإذا جاءهُمْ أمْر} ... عَنْ سَرَايَا النَّبِيّ - صلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ- بِمَا حَصَلَ لَهُمْ.

{مِنَ الْأَمْنِ} ... بِالنَّصْرِ.

{أَوِ الْخَوْفِ} .. بِالْهَزِيمَةِ.

{أَذَاعُوا بِهِ} ... أَفْشَوْهُ نَزَلَ فِي جَمَاعَة مِنَ الْمُنَافِقِينَ أَوْ فِي ضُعَفَاء الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فَتَضْعُف قُلُوب الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَأَذَّى النَّبِيّ.

{أَذَاعُوا بِهِ} ... أَفْشَوْهُ. أي: أَشَاعُوهُ بَيْنَ النَّاس.

{أَذَاعُوا بِهِ} ... كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم- من أمن وسلامة أو خوف وخلل أعلنوه.

يقال: أذاع السر، وأذاع به.

{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسول- وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ} ... وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع، أو لا يذاع.

{وَلَوْ رَدُّوهُ} ... أَيْ: الْخَبَر.

{إِلَى الرسول- وَإِلَى أُولِي الْأَمْر مِنْهُمْ} ... أَيْ: ذَوِي الرَّأْي مِنْ أَكَابِر الصَّحَابَة أَيْ لَوْ سَكَتُوا عَنْهُ حَتَّى يُخْبَرُوا بِهِ.

{لَعَلِمَهُ} ... هَلْ هُوَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُذَاع أَوْ لَا.

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} ... وهو إرسال الرسول- وإنزال الكتاب والتوفيق.

{وَلَوْلَا فَضْل اللَّه عَلَيْكُمْ} ... بِالْإِسْلَامِ.

{وَرَحْمَته} ... لَكُمْ بِالْقُرْآنِ.

{لَعَلِمَهُ} ... لعلم تدبير ما أخبروا به.

{الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ} ... الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم و تجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها.

{الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ} ... يَتَّبِعُونَهُ وَيَطْلُبُونَ علْمه وَهُمْ الْمُذِيعُونَ.

{مِنْهُمْ} ... منْ الرسول- وَأُولِي الْأَمْر.

{لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ} ... لبقيتم على الكفر.

{لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ} ... فِيمَا يَأْمُركُمْ بِهِ مِنْ الْفَوَاحِش.

{إِلَّا قَلِيلًا} ... منكم، أو إلا اتباعا قليلا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول- وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)

قال: الإمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني زهير بن حرب. حدثنا عمر بن يونس الحنفي. حدثنا عكرمة بن عمار عن سماك أبي زُميل. حدثني (عبد الله بن عباس). حدثني (عمر بن الخطاب) قال: لما اعتزل نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نساءه قال: دخلتُ المسجد. فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلّق رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نساءه. وذلك قبل أن

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (123/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يـؤمرن بالحجاب. فقال عمر: فقلتُ: لأعلمنّ ذلك اليوم. قال: فدخلت على عائشة. فقلتُ: يابنت أبي بكر! أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟. فقالت: مالي ومالك يا ابن الخطاب؟ عليك بعيبتك. قال: فدخلتُ على حفصة بنت عمر. فقلتُ لها: يا حفصة! أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ والله! لقد علمت أن رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا يُحبك. ولولا أنا لطلقك رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فبكتْ أشد البكاء. فقلتُ لها: أين رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قالت: هو في خزانته في المشربة. فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قاعداً على أسكفة المشربة. مدلٍّ رجليه على نقير من خشب. وهو جذع يرقى عليه رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وينحدر. فناديت: يا رباح! استأذن لى عندك على رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فنظر رباح إلى الغرفة. ثم نظر إليّ. فلم يقل شيئاً. ثم قلت: يا رباح! استأذن لى عندك على رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فنظر رباح إلى الغرفة. ثم نظر إلى. فلم يقل شيئاً. ثم رفعتُ صوتي فقلت: يا رباح! استأذن لى عندك على رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فإنّي أظنّ أن رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ظن أنّي جئتُ من أجل حفصة. والله! لئن أمرني رسولُ الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بضرب عنقها لأضربن عنقها. ورفعتُ صوتي. فأومأ إلى أن ارْقه. فدخلتُ على رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو مضطجع على حصير. فجلستُ. فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره. وإذا الحصير قد أثر في جَنْبه. فنظرت ببصرى في خزانة رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع. ومثلها قَرَظاً في ناحية الغرفة.

وإذا أفيق معلق. قال: فابتدرتْ عيناي. قال: "ما يُبكيك؟ يا ابن الخطاب"! قلتُ: يا نبي الله! ومالى لا أبكى؟ وهذا الحصير قد أثّر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى. وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار.

وأنتَ رسول الله - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وصفوته. وهذه خزانتك. فقال: "يا ابن الخطاب! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا"؟. قلتُ: بلى. قال ودخلتُ عليه حين دخلتُ وأنا أرى في وجهه الغضب. فقلتُ: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلّقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. وقلّما تكلمت، وأحمد الله، بكلام إلا رجوت أن يكون الله يُصدق قولى الذي أقول، ونزلت هذه الآية. آية التخيير (عسى ربّه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن) (66/ التحريم/5).

(وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) (66/ التحريم/4) وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقلتُ: يا رسول الله! أطلقتهن؟ قال: لا "قلتُ: يا رسول الله!

إنـي دخلـتُ المسـجد والمسـلمون ينكبنـون بالحصـى. يقولـون: طلّـق رسـول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نسـاءه. أفـأنزل فـأُخبرهم أنـك لم تطلقهـن؟ قـال نعـم إن شـئت" فلـم أزل أحدثـه حتـى تحسـر الغضـب عـن وجهـه. وحتـى كشـر فضـحك. وكـان مـن أحسـن النـاس ثغْـراً. ثـم نـزل نـبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ونزلـتُ. فنزلـتُ أتشـبّث بالجـذع ونـزل رسـول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كأنمـا يمشـي علـى الأرض مـا يمسّـه بيـده. فقلـتُ: يـا رسـول الله! إنمـا كنـتَ في الغرفـة تسـعة وعشـرين. قـال: "إن الشـهر يكـون تسـعاً وعشـرين" فقمـتُ علـى بـاب المسـجد. فناديـت بـأعلى صـوتي: لم يُطلّـق رسـول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نساءه.

ونزلـت هـذه الآيـة: (وإذا جـاءهم أمـر مـن الأمـن أوالخـوف أذاعـوا بـه ولـو ردوه إلى الرسـول- وإلى أولى الأمـر مـنهم لعلمـه الـذين يسـتنبطونه مـنهم) فكنـت أنـا اسـتنبطت ذلـك الأمر. وأنزل الله عز وجل آية التخيير. (1)

* * *

قـال: الإمَـامُ (الطـبري) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- (بسـنده الحسـن) - عـن (قتـادة): قولـه: (وإذا جـاءهم أمـر مـن الأمـن أو الخـوف أذاعـوا به) يقول: سارعوا به وأفشوه. (2)

* * *

قـال: الإمَـامُ (ابْـنُ أَبِـي حَـاتِمٍ) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- (بسـنده الحسـن) - عـن (قتـادة): قولـه: (ولـو ردوه إلى الرسـول- وإلى أولى الأمر منهم) يقول: إلى علمائهم. (3)

* * *

وقـال: الإمَـامُ (البخـاري) - (رحمـه الله) - في (صحيحه):- {أَذَاعُوا بِهِ} : أَيْ: أَفْشَوْهُ ,

{يَسْتَنْبِطُونَهُ} : يَسْتَخْرِجُونَهُ. (4)

* * *

قـال: الإمَـامُ (ابْـنُ أَبِـي حَـاتِمٍ) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- (بسـنده الجيـد) - عـن (أبـي العاليـة): قولـه: (لعلمـه الـذين يسـتنبطونه مـنهم) قـال: الـذين يتتبعونـه ويتجسسـونه. (5)

* * *

قولـه تعـالى: (ولـولا فضـل الله علـيكم ورحمتـه لاتبعتم الشيطان إلا قليلا)

قـال: الإمَـامُ (الطـبري) - والإمَـامُ (ابـن أبـي حـاتم) - (رحمهمـا الله) - في (تفسـيريهما):- (بسـندهما الحسـن) - عـن (علـي بـن أبـي طلحـة) - عـن (ابـن عبـاس): قـال: (ولـولا فضـل الله علـيكم ورحمتـه لاتبعـتم الشـيطان إلا قلـيلا) فهـو في أول الآيـة لخـبر المنـافقين، قـال (وإذا جـاءهم أمـر مـن الأمـن أو الخـوف أذاعـوا بـه) إلا قلـيلا، يعني بالقليل "المؤمنين". (6)(7)

* * *

(1) (صحيح) : أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1105/2)، (ح 1479) – (كتاب: الطلاق)،/ باب:(في الإيلاء واعتزال النساء..).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (83).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (83).

(4) انظر: صحيح الإمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (83). برقم (ج 6/ ص 47).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (83).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (83).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (83).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {83} {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسول- وَإِلَى أُولِي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا}.

هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول- وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه،

ولهذا قال: {لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لافيحجم عنه؟.

ثم قال تعالى: {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون،

{لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا} لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- ثمَّ ذكر خِيَانَة الْمُنَافِقين فَقَالَ: {وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ} خبر من أَمر الْعَسْكَر أَو الْفَتْح أَو الْغَنِيمَة أصروا عَلَيْه حسداً مِنْهُم.

{أَوِ الْخَوْفِ} وَإِن جَاءَ خبر خوف من الْعَسْكَر أَو الْقَتْل أَو الْهَزِيمَة {أَذَاعُواْ بِهِ} فشوا بِهِ .

{وَلَوْ رَدُّوهُ} لَو تركُوا خبر الْعَسْكَر {إِلَى الرَّسُول} حَتَّى يُخْبِرهُمْ الرسول- {وَإِلَى أُوْلِي الْأَمر مِنْهُمْ} إِلَى ذَوي الْعقل واللب مِنْهُم من الْمُؤمنِينَ يَعْنِي أَبَا بكر وَأَصْحَابه.

{لَعلمَهُ} يَعْنِي الْخَبَر الْحق.

{الَّذين يَسْتَنْبِطُونَهُ} يبتغونه أَي يطلبُون الْخَبَر {مِنْهُمْ} من أبي بكر وَأَصْحَابه.

{وَلَوْلاَ فَضْلُ الله} من الله {عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} بالتوفيق والعصمة {لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ} كلكُم.

{إِلاَّ قَلِيلاً} مِنْهُم لَا يفشون إِلَّا بِالْخَيرِ.(2)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (83)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (83). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به}، وإذا جاء هذه الطائفة المبيّتة غير الذي يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم،

{أمرٌ من الأمن}، فالهاء والميم في قوله: "وإذا جاءهم"، من ذكر الطائفة المبيّتة= يقول جل ثناؤه: وإذا جاءهم خبرٌ عن سرية للمسلمين غازية بأنهم قد أمنوا من عدوهم بغلبتهم إياهم،

{أو الخوف}، يقول: أو تخوّفهم من عدوهم بإصابة عدوهم منهم،

{أذاعوا به}، يقول: أفشوه وبثّوه في الناس قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وقبل مأتى سرايا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- و"الهاء" في قوله: {أذاعوا به}، من ذكر"الأمر". وتأويله أذاعوا بالأمر من الأمن أو الخوف الذي جاءهم.

* * *

القول في تأويل قوله: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسول- وَإِلَى أُولِي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {ولو ردوه}، الأمر الذي نالهم من عدوهم (والمسلمين)، إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وإلى أولي أمرهم ،يعني: وإلى أمرائهم = وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر، حتى يكون رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، أو ذو وأمرهم، هم الذين يتولّون الخبر عن ذلك، بعد أن ثبتت عندهم صحته أو بطوله، فيصححوه إن كان صحيحًا، أو يبطلوه إن كان باطل،

{لعلمه الذين يستنبطونه منهم}، يقول: لعلم حقيقة ذلك الخبر الذي جاءهم به، الذين يبحثون عنه ويستخرجونه،

{منهم}، يعني: أولي الأمر ="والهاء""والميم" في قوله:"منهم"، من ذكر أولي الأمر = يقول: لعلم ذلك من أولي الأمر من يستنبطه. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ} إِنْكَارٌ عَلَى مَنْ يُبَادِرُ إِلَى الْأُمُورِ قَبْلَ تَحَقُّقِهَا، فَيُخْبِرُ بِهَا وَيُفْشِيهَا وَيَنْشُرُهَا، وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهَا صحَّة.

وَقَدْ قَالَ: (مُسْلِمٌ) فِي "مُقَدِّمَةِ صَحِيحِهِ" حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((كفى بالمرء كذبا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)).

وَكَذَا رَوَاهُ (أَبُو دَاوُدَ) فِي كِتَابِ "الْأَدَبِ" مِنْ سُنَنِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِشْكَابٍ، عَنْ علي بن حفص، عن شعبة مسندًا، (2)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (83)، للإمَامْ (الطبري)،

(2) (صحيح) :أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (5)، وأخرجه الإمام (أبي داود) في (السنن) برقم (4992).

ورواه (مسلم) أيضا من حديث مُعَاذ بْنِ هِشَام الْعَنْبَرِيّ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيّ.

وأخرجه أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا مِنْ حَدِيث حَفْص بْنِ عُمَرَ النَّمَرِيّ، ثَلَاثَتهمْ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ خُبَيْب عَنْ حَفْص بْنِ عَاصِم، بِهِ مُرْسَلًا.(1)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عليه وسلم- نَهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ أَيْ: الَّذِي يُكْثِرُ مِنَ الْحَدِيث عَمَّا يَقُولُ النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَثَبُّتٍ، وَلَا تَدَبُّر، وَلَا تَبَيُّن.(2)

وَفِي سُنَنِ (أَبِي دَاوُدَ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا عَلَيْهِ)).

وَفِي الصَّحِيح: ((مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيث وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْن)).(3) وَيُذْكَرُ هَاهُنَا حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ، حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَلَّقَ نِسَاءَهُ، فَجَاءَهُ مِنْ مَنْزِلِهِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَاسْتَفْهَمَهُ: أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ قَالَ: "لَا". فَقُلْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ.(4)

وَعِنْدَ مُسْلِم: فَقُلْتُ: أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ فَقَالَ: "لَا" فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نِسَاءَهُ. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسول- وَإِلَى أُولِي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (يَسْتَنْبِطُونَهُ) أَيْ: يَسْتَخْرِجُونَهُ وَيَسْتَعْلِمُونَهُ مِنْ مَعَادِنِهِ، يُقَالُ: اسْتَنْبَطَ الرَّجُلُ الْعَيْنَ، إِذَا حَفَرَهَا وَاسْتَخْرَجَهَا مِنْ قُعُورِهَا.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا﴾ قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس: يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاق)، عَنْ مَعْمَر، عَنْ (قَتَادَةَ): ﴿لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا﴾ يَعْنِي: كُلَّكُمْ.

وَاسْتَشْهَدَ مَنْ نَصَرَ هَذَا الْقَوْلَ. بِقَوْلِ الطِّرِمَّاح بْنِ حَكِيم، فِي مَدْحِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّب:

أَشَمَّ كَثِيرَ يَدَى النَّوَالِ قَلِيلَ الْمَثَالِبِ وَالقَادحة.(5)

يَعْنِي: لَا مَثَالِبَ لَهُ، وَلَا قَادِحَةَ فِيهِ.(6)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{83}قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

---

(1) (صحيح) :أخرجه الإمام (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (5)، وأخرجه الإمام (أبي داود) في (السنن) برقم (4992) .

(2) (صحيح) :أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (1477)، - وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (593) .

(3) رواه الإمام (مسلم) في مقدمة (صحيحه) (ص9)، وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (2662) - من حديث- (المغيرة بن شعبة) - رضي الله عنه-.

(4) (صحيح) :أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (5191)، وصحيح الامام (مسلم) برقم (1479) .

(5) البيت في تفسير الإمام (الطبري) (577/8) .

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (83)، للإمام (ابن كثير).

كَانَ يَبْعَثُ السَّرَايَا فَإِذَا غَلَبُوا أَوْ غُلِبُوا بَادَرَ الْمُنَافِقُونَ يَسْتَخْبِرُونَ عَنْ حَالِهِمْ، فَيُفْشُونَ وَيُحَدِّثُونَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيُضْعِفُونَ بِهِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ) يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ (أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ) أَيِ: الْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ (أَوِ الْخَوْفِ) الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ (أَذَاعُوا بِهِ) أَشَاعُوهُ وَأَفْشَوْهُ،

{وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ} إلى رأيه ولم يُحدِّثوا بِهِ حَتَّى يَكُونَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ الَّذِي يُحَدِّثُ بِهِ،

{وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ} أَيْ: ذَوِي الرَّأْيِ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-،

{لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} أَيْ: يَسْتَخْرِجُونَهُ وَهُمُ الْعُلَمَاءُ، أَيْ: عَلِمُوا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُكْتَمَ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْشَى، وَالِاسْتِنْبَاطُ: الِاسْتِخْرَاجُ، يُقَالُ: اسْتَنْبَطَ الْمَاءَ إِذَا اسْتَخْرَجَهُ،

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): يَسْتَنْبِطُونَهُ أَيْ: يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): يَتْبَعُونَهُ، يُرِيدُ الَّذِينَ سَمِعُوا تِلْكَ الْأَخْبَارَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسول- - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِلَى ذَوِي الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ، أَيْ: يُحِبُّونَ أَنْ يَعْلَمُوهُ عَلَى حقيقته كما هُوَ،

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ} كلكم، {إِلَّا قَلِيلًا} فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ اسْتَثْنَى الْقَلِيلَ وَلَوْلَا فَضْلُهُ لَاتَّبَعَ الْكُلُّ الشَّيْطَانَ؟،

قِيلَ: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى مَا قَبْلَهُ، قِيلَ: مَعْنَاهُ أَذَاعُوا بِهِ إلا قليلا لم يفشه، وعنى بِالْقَلِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا قَوْلُ الْكَلْبِيِّ وَاخْتِيَارُ الْفَرَّاءِ، وَقَالَ: لِأَنَّ عِلْمَ السِّرِّ إِذَا ظَهَرَ عَلِمَهُ الْمُسْتَنْبِطُ وَغَيْرُهُ، وَالْإِذَاعَةُ قَدْ تَكُونُ فِي بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ،

يَعْنِي:- لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا، ثُمَّ قَوْلُهُ: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ) كَلَامٌ تَامٌّ، يَعْنِي:- فَضْلُ اللَّهِ: الْإِسْلَامُ، وَرَحْمَتُهُ: الْقُرْآنُ، يَقُولُ: لَوْلَا ذَلِكَ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا، وَهُمْ قَوْمٌ اهْتَدَوْا قَبْلَ مَجِيءِ الرسول- - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنُزُولِ الْقُرْآنِ، مِثْلُ: (زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وَوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ) وَجَمَاعَةٍ سِوَاهُمَا،

وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْقِيَاسِ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا يُدْرَكُ بِالتِّلَاوَةِ وَالرِّوَايَةِ وَهُوَ النَّصُّ، وَمِنْهُ مَا يُدْرَكُ بِالِاسْتِنْبَاطِ وَهُوَ الْقِيَاسُ عَلَى الْمَعَانِي المودعة في النصوص.(1)

* * *

قَالَ : الإِمَامِ (الْقُرْطُبِي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسول- وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83)}

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ) فِي (إِذَا) مَعْنَى الشَّرْطِ وَلَا يُجَازَى بِهَا وَإِنْ زِيدَتْ عَلَيْهَا (مَا) وَهِيَ قَلِيلَةُ الِاسْتِعْمَالِ.

(1) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (83).

قَالَ: (سِيبَوَيْهِ). وَالْجَيِّدُ مَا قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْر:

وَإِذَا مَا تَشَاءُ تَبْعَثُ مِنْهَا ... مَغْرِبَ الشَّمْسِ نَاشِطًا مَذْعُورًا (1)

يَعْنِي أَنَّ الْجَيِّدَ لاَ يُجْزَمُ بِإِذَا مَا كَمَا لَمْ يُجْزَمْ فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ (الْبَقَرَةِ). وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا شَيْئًا مِنَ الْأُمُورِ فِيهِ أَمْنٌ نَحْوَ ظَفَرِ الْمُسْلِمِينَ وَقَتْلِ عَدُوِّهِمْ (أَوِ الْخَوْفِ) وَهُوَ ضِدُّ هَذَا (أَذَاعُوا بِهِ) أَيْ أَفْشَوْهُ وَأَظْهَرُوهُ وَتَحَدَّثُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ يَقِفُوا عَلَى حَقِيقَتِهِ.

فَقِيلَ: كَانَ هَذَا مِنْ ضَعَفَةِ الْمُسْلِمِينَ، عَنِ الْحَسَنِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُفْشُونَ أَمْرَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويظنون أنهم لا شي عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ): هُوَ فِي الْمُنَافِقِينَ فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْكَذِبِ فِي الْإِرْجَافِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرسول- وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ) أَيْ: لَمْ يُحَدِّثُوا بِهِ وَلَمْ يُفْشُوهُ حَتَّى يَكُونَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ الَّذِي يُحَدِّثُ بِهِ وَيُفْشِيهِ. أَوْ أُولُوا الْأَمْرِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، عَنِ (الْحَسَنِ)، وَ(قَتَادَةَ) وَغَيْرِهِمَا. (السُّدِّيُّ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ): الْوُلَاةُ.

يَعْنِي:- أُمَرَاءُ السَّرَايَا. (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أَيْ يَسْتَخْرِجُونَهُ، أَيْ لَعَلِمُوا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْشَى مِنْهُ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُكْتَمَ. وَالِاسْتِنْبَاطُ مَأْخُوذٌ مِنَ اسْتَنْبَطْتُ الْمَاءَ إِذَا اسْتَخْرَجْتَهُ. وَالنَّبَطُ: الْمَاءُ الْمُسْتَنْبَطُ أَوَّلَ مَا يَخْرُجُ مِنْ مَاءِ الْبِئْرِ أَوَّلَ مَا تحفر. وسمي النبط نبطا لأنهم يَسْتَخْرِجُونَ مَا فِي الْأَرْضِ. وَالِاسْتِنْبَاطُ فِي اللُّغَةِ الِاسْتِخْرَاجُ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الِاجْتِهَادِ إِذَا عُدِمَ النص والإجماع كما تقدم.

قوله تعالى: (وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) رُفِعَ بِالِابْتِدَاءِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُظْهَرَ الْخَبَرُ عِنْدَهُ. وَالْكُوفِيُّونَ يَقُولُونَ: رُفِعَ بِلَوْلَا.

(لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلاَّ قَلِيلًا) فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَغَيْرُهُ: الْمَعْنَى أَذَاعُوا بِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ لَمْ يُذِعْ وَلَمْ يُفْشِ. وَقَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ: الْكِسَائِيُّ وَالْأَخْفَشُ وَأَبُو عُبَيْدٍ وَأَبُو حَاتِمٍ وَالطَّبَرِيُّ.

يَعْنِي:- الْمَعْنَى لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، عَنِ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ، وَاخْتَارَهُ (الزَّجَّاجُ) قَالَ: لِأَنَّ هَذَا الِاسْتِنْبَاطَ الْأَكْثَرُ يَعْرِفُهُ، لِأَنَّهُ اسْتِعْلَامُ خَبَرٍ.

وَاخْتَارَ الْأَوَّلَ (الْفَرَّاءُ) قَالَ: لِأَنَّ عِلْمَ السَّرَايَا إِذَا ظَهَرَ عَلِمَهُ الْمُسْتَنْبِطُ وَغَيْرُهُ، وَالْإِذَاعَةُ تَكُونُ فِي بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ.

قَالَ: (النَّحَّاسُ): فَهَذَانِ قَوْلَانِ عَلَى الْمَجَازِ، يُرِيدُ أَنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا. وَقَوْلٌ ثَالِثٌ بِغَيْرِ مَجَازٍ: يَكُونُ الْمَعْنَى وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بِأَنْ بَعَثَ فِيكُمْ رَسُولًا أَقَامَ فِيكُمُ الْحُجَّةَ لَكَفَرْتُمْ وَأَشْرَكْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ يُوَحِّدُ.

---

(1) وصف ناقته بالنشاط والسرعة بعد سير النهار كله، فشبهها في انبعاثها مسرعة بناشط قد ذعر من صائد أو سبع. والناشط: الثور يخرج من بلد إلى بلد، فذلك أوحش له وأذعر. (عن شرح الشواهد).

انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (83)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

وَفِيهِ قَوْلٌ رَابِعٌ- قَالَ: (الضَّحَّاكُ): الْمَعْنَى لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلاَ قَلِيلًا، أَيْ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَمْرٍ مِنَ الشَّيْطَانِ إلاَ قَلِيلًا، يَعْنِي الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ قَوْلُهُ: (إِلاَ قَلِيلًا) مُسْتَثْنًى مِنْ قَوْلِهِ (لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ). قَالَ: (الْمَهْدَوِيُّ): وَأَنْكَرَ هَذَا الْقَوْلَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ، إِذْ لَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعَ النَّاسُ كلهم الشيطان.(1)

* * *

قال: الإمام (أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القِنَّوجي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{83} {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ} يقال أذاع الشيء وأذاع به إذا أفشاه وأظهره، وهؤلاء جماعة من ضعفة المسلمين كانوا إذا سمعوا شيئاً من أمر المسلمين فيه أمن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم، أو فيه خوف نحو هزيمة المسلمين وقتلهم أفشوه وهم يظنون أنه لا شيء عليهم في ذلك،

يَعْنِي:- هم المنافقون كانوا يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه قبل أن يحدث به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

(ولو ردّوه إلى الرسول) حتى يكون هو الذي يتحدث به ويظهره (وإلى أولي الأمر منهم) وهم أهل العلم والبصيرة والعقول الراجحة الذين يرجعون إليهم في أمورهم أو هم الولاة عليهم.

(لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أي يستخرجونه بتدبّرهم وصحة عقولهم. والمعنى أنهم لو تركوا إذاعة الأخبار حتى يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الذي يذيعها، أو يكون أولو الأمر منهم هم الذين يتولون ذلك لأنهم يعلمون بما ينبغي أن يفشى ويكتم، والاستنباط مأخوذ من استنبطت الماء إذا استخرجته والنبط الماء المستنبط أول ما يخرج من ماء البئر عند حفرها، وقيل أن هؤلاء الضعفة كانوا يسمعون إرجافات المنافقين على المسلمين فيذيعونها فتحصل بذلك المفسدة.

وفي الآية إشارة إلى جواز القياس، وأن من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس علهما.

(ولولا فضل الله) أي: ما تفضل الله به (عليكم ورحمته) من إرسال رسوله وإنزال كتابه (لا تبعتم الشيطان) فيما يأمركم به فبقيتم على كفركم (إلا قليلاً) منكم أو إلا اتباعاً قليلاً،

يَعْنِي:- أذاعوا به إلا قليلاً منهم فإنه لم يذع ولم يفش، قاله: (الكسائي والأخفش والفراء وأبو عبيدة وأبو حاتم وابن جرير)،

يَعْنِي:- المعنى لعلمه الذين يستنبطونه إلا قليلاً منهم، قاله: (الزجاج)، وبه قال: (الحسن)، و(قتادة)، واختاره (ابن قتيبة) والأول أولى.(1)(2)

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (83)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) قوله تعالى: (وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف) في سبب نزولها قولان.
أحدهما: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما اعتزل نساءه، دخل عمر المسجد، فسمع الناس يقولون: طلق رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه، فدخل على النبي- عليه السلام - فسأله أطلقت نساءك؟ قال: "لا " فخرج فنادى:

* * *

[٨٤] ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فقاتل أيها الرسول - ﷺ - في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولا تُسأل عن غيرك ولا تُلزم به" لأنك لا تكلف إلا حمل نفسك على القتال، ورغب المؤمنين في القتال وحثهم عليه، عسى الله أن يدفع بقتالكم قوة الكافرين، والله أشد قوة، وأشد عقوبة.(2)

* * *

يَعْنِي:- فجاهد أيها النبي ﷺ - في سبيل الله لإعلاء كلمته، لا تلزم فعل غيرك ولا تؤاخذ به، وحض المؤمنين على القتال والجهاد، ورغِّبهم فيه، لعل الله يمنع بك وبهم بأس الكافرين وشدتهم. والله تعالى أشد قوة وأعظم عقوبة للكافرين.(3)

* * *

يَعْنِي:- وإذا كان بينكم أمثال هؤلاء المنافقين فأعرض عنهم، وقَاتِل فى سبيل كلمة اللَّه والحق، فلست مسئولاً إلا عن نفسك، ثم ادع المؤمنين إلى القتال وحُثّهم عليه، لعل اللَّه يدفع بك وبهم شدة الكافرين، واللَّه مؤيدكم وناصركم، وهو أشد قوة وأشد تنكيلاً بالكافرين.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَقَاتِل} ... يَا مُحَمَّد ﷺ -.

{فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ} ... فَلَا تَهْتَمّ بِتَخَلُّفِهِمْ عَنْك الْمَعْنَى قَاتِل وَلَوْ وَحْدك فَإِنَّك مَوْعُود بِالنَّصْرِ.

{فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ... إن أفردوك وتركوك وحدك.

{لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ} ... غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد، فإن الله هو ناصرك لا الجنود، فإن شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الألوف.

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا} .... وهم قريش، وقد كف بأسهم، فقد بدا لأبى سفيان فى بدر الصغرى، وقال: هذا عام

ألا إن رسول الله لم يطلق نساءه. فنزلت هذه الآية. فكان هو الذي استنبط الأمر. انفرد بإخراجه مسلم، من حديث ابن عباس، عن عمر.

مسلم (1/ 1105) وهو حديث طويل فيه فوائد عظيمة، وتوجيهات قيمة، فارجع إليه.

والثاني: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا بعث سرية من السرايا فغلبت أو غلبت، تحدثوا بذلك، وأفشوه، ولم يصبروا حتى يكون النبي هو المتحدث به. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس.

وقد نص كلامه في " جامع البيان " 8/ 568، 571: وإذا جاءهم خبر عن سرية للمسلمين غازية بأنهم قد أمنوا من عدوهم بغلبتهم إياهم (أو الخوف) يقول: أو تخوفهم من عدوهم بإصابة عدوهم منهم، (أذاعوا به) يقول: أفشوه وبثوه في الناس قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقيل ما أتى سرايا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .. ولو ردوا الأمر الذي نالهم من عدوهم والمسلمين إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإلى أولي أمرهم، يعني: وإلى أمرائهم وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر حتى يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أو ذوو أمرهم هم الذين يتولون الخبر عن ذلك، بعد أن تثبت عندهم صحته، أو بطوله، فيصححوه إن كان صحيحاً، أو يبطلوه إن كان باطلاً، لعلم حقيقة ذلك الخبر الذي جاءهم به، الذين يبحثون عنه.

(1) انظر: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن) سورة (النساء) الآية (83). للشيخ (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (91/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (124/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

مجدب، وما كان معهم زاد إلا السويق، ولا يلقون إلا فى عام مخصب، فرجع بهم.

{عَسَى اللَّه أَنْ يَكُفّ بَأْس} ... حَرْب.

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَاَللَّه أَشَدّ بَأْسًا} ... مِنْهُمْ.

{وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ} ... حُثَّهُمْ عَلَى الْقِتَال وَرَغِّبْهُمْ فِيهِ. (أي: حُثَّهُمْ عَلَى الجهاد وَحَرِّضْهُمْ عَلَى الْقِتَال).

{وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} ... وما عليك فى شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم.

{أَشَدُّ تَنكِيلًا} ... أَيْ: تَعْذِيبًا.

{تَنكِيلًا} ... عُقُوبَةً.

{وَأَشَدّ تَنْكِيلًا} ... تَعْذِيبًا مِنْهُمْ فَقَالَ: رَسُول اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرُجَنَّ وَلَوْ وَحْدِي فَخَرَجَ بِسَبْعِينَ رَاكِبًا إِلَى بَدْر الصُّغْرَى فَكَفَّ اللَّه بَأْس الْكُفَّار بِإِلْقَاءِ الرُّعْب فِي قُلُوبهمْ وَمَنْع أَبِي سُفْيَان عَنْ الْخُرُوج.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ...)

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) – (بِسنده):- ثنا سليمان بن داود الهاشمى قال أنا أبو بكر عن أبي إسحاق قال قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة قال: لا لأن الله عز وجل بعث رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) إنما ذاك في النفقة. (1)(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (وحرض المؤمنين على القتال عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا) لم يصرح هنا بالذى يحرض عليه المؤمنين ماهو، وصرح في موضع أخر بأنه القتال، وهو قوله (وحرض المؤمنين على القتال) وأشار إلى ذلك هنا بقوله في أول الآية (فقاتل في سبيل الله).

وقوله: في آخرها: (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) الآية. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):–

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك}، فجاهد، يا محمد، أعداء الله من أهل الشرك به،

{في سبيل الله}، يعني: في دينه الذي شرعه لك، وهو الإسلام، وقاتلهم فيه بنفسك.

* * *

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (281/4) ورجاله ثقات وإسناده صحيح. و (أبو بكر هو: ابن عياش المقري) ثقة الا أنه ساء حفظه لما كبر وكتابه صحيح والحديث ليس من سوء حفظه لأنه ثبت في الصحيح من حديث (حذيفة) وغيره

(2) (صَحِيح) :الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4516)- ((كتاب: التفسير)- (سورة البقرة)،/ باب: (وآنفقوا في سبيل الله) و (أبو إسحاق هو السبيعي)،

وأخرجه الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) و (ابن مردويه)- من طريق- (أبي بكر بن عياش) به، (تفسير الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) برقم (3745)

وانظر: تفسير الإِمَامْ (ابن كثير). فقد ذكر، رواية الإِمَامْ (أحمد) و ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) و الإِمَامْ (ابن مردويه) برقم (322/2 و323)

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) و(صححه) في (المستدرك) برقم (275/2-276) - من طريق – (إسرائيل عن أبي إسحاق) به، ووافقه الإِمَامْ (الذهبي).

كما ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (84/2)، الطبعة: الأولى ،

(3) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (84).

فأما قوله: {لا تكلف إلا نفسك} فإنه يعني: لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدوه وعدوك، إلا ما حمَّلك من ذلك دون ما حمَّل غيرك منه، أي: أنك إنما تُتَّبع بما اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كُلِّفته دون ما كُلِّفه غيرك.

* * *

ثم قال له: {وحرض المؤمنين}، يعني: وحضهم على قتال من أمرتك بقتالهم معك،

{عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا}، يقول: لعل الله أن يكف قتال من كفر بالله وجحد وحدانيته وأنكر رسالتك، عنك وعنهم، ونكايتهم.

{والله أشد بأسًا وأشد تنكيلا}، يقول: والله أشد نكاية في عدوه، من أهل الكفر به، منهم فيك يا محمد وفي أصحابك، فلا تنكُلَنَّ عن قتالهم، فإني راصدُهم بالبأس والنكاية والتنكيل والعقوبة، لأوهن كيدهم، وأضعف بأسهم، وأعلي الحق عليهم.

و{التنكيل} مصدر من قول القائل: "نكلت بفلان"، فأنا أنكّل به تنكيلا"، إذا أوجعته عقوبة. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (وأشد تنكيلا) أي: عقوبة. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {84} {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلا}.

هذه الحالة أفضل أحوال العبد، أن يجتهد في نفسه على امتثال أمر الله من الجهاد وغيره، ويحرض غيره عليه، وقد يعدم في العبد الأمران أو أحدهما فلهذا قال لرسوله: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ} أي: ليس لك قدرة على غير نفسك، فلن تكلف بفعل غيرك.

{وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} على القتال، وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين وقوة قلوبهم، من تقويتهم والإخبار بضعف الأعداء وفشلهم، وبما أُعد للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال.

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا} أي: بقتالكم في سبيل الله، وتحريض بعضكم بعضًا. {وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا} أي: قوة وعزة،

{وَأَشَدُّ تَنْكِيلا} بالمذنب في نفسه، وتنكيلا لغيره، فلو شاء تعالى لانتصر من الكفار بقوته ولم يجعل لهم باقية.

ولكن من حكمته يبلو بعض عباده ببعض ليقوم سوق الجهاد، ويحصل الإيمان النافع، إيمان الاختيار، لا إيمان الاضطرار والقهر الذي لا يفيد شيئا. (3)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (84)، للإِمَامُ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (84).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (84)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- ثمَّ أمر نبيه بالْجهَاد في سَبِيل الله إِلَى بدر الصُّغْرَى فَقَالَ {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله} في طَاعَة الله {لاَ تُكَلَّفُ} لاَ تؤمر بِذَلِك {إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ} حضّض {الْمُؤمنِينَ} على الْخُرُوج مَعَك {عَسَى الله} وَعَسَى من الله وَاجِب {أَن يَكُفَّ} يمْنَع {بَأْسَ} قتال {الَّذين كَفَرُوا} كفار مَكَّة {وَالله أَشَدُّ بَأْساً} عذَابا {وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً} عُقُوبَة. (1)

* * *

قال : الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلا (84)}.

يَأْمُرُ تَعَالَى عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُبَاشِرَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ، وَمَنْ نَكَلَ عَلَيْهِ فَلاَ عَلَيْهِ مِنْهُ" وَلِهَذَا قَالَ: {لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ}

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُبَيْحٍ، حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، حَدَّثَنَا الْجَرَّاحُ الْكِنْدِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ عَنِ الرَّجُلِ يَلْقَى مِائَةً مِنَ الْعَدُوِّ، فَيُقَاتِلُ، أَيَكُونُ مِمَّنْ يَقُولُ اللَّهُ: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [الْبَقَرَةِ: 195]،

قَالَ: قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}

وَرَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ (أَبِي إِسْحَاقَ) قَالَ: قُلْتُ لِلْبَرَاءِ: الرَّجُلُ يَحْمِلُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَهُوَ مِمَّنْ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ؟ قَالَ: لَا" لِأَنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولَهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ} إِنَّمَا ذَلِكَ فِي النَّفَقَةِ.

وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ مردويه، مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، وَعَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: {وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} أَيْ: عَلَى الْقِتَالِ وَرَغِّبْهُمْ فِيهِ وَشَجِّعْهُمْ عِنْدَهُ كَمَا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ: - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم بدر، وَهُوَ يُسَوِّي الصُّفُوفَ: "قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السماوات والأرض". (2)

وَقَدْ وَرَدَتْ أحاديثُ كَثِيرَةٌ فِي التَّرْغِيبِ فِي ذَلِكَ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ (الْبُخَارِيُّ) عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ فَقَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَيْنَ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (84). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) (صحيح) : أخرجه الإمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (190)، - (كتاب : الإمارة).

كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ. وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ" (1).

وروي مِنْ حَدِيث (مُعَاذ)، وَ(أَبِي الدَّرْدَاءِ)، و(عُبادة) نَحْوُ ذلك.

وَعَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "يَا أَبَا سعيد، مَن رضي بِالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبِمُحَمَّد نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ" قَالَ: فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيد فَقَالَ: أَعِدْهَا عليَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَفَعَلَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا الْعَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" رَوَاهُ الإمام (مُسْلِم) (2).

وَقَوْلُهُ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيْ: بِتَحْرِيضِكَ إِيَّاهُمْ عَلَى الْقِتَالِ تَنْبَعِثُ هِمَمُهُمْ عَلَى مُنَاجَزَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمُدَافَعَتِهِمْ عَنْ حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَمُقَاوَمَتِهِمْ وَمُصَابَرَتِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلا﴾ أَيْ: هُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ {مُحَمَّد: 4}. (3)

* * *

قَالَ الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {84} قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاعَدَ أَبَا سُفْيَانَ بَعْدَ حَرْبِ أُحُدٍ مَوْسِمَ بَدْرٍ الصُّغْرَى فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمَّا بَلَغَ الْمِيعَادُ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ فَكَرِهَهُ بَعْضُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ﴾ أَيْ: لَا تَدَعْ جِهَادَ الْعَدُوِّ وَالِاسْتِنْصَارَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَوْ وَحْدَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَكَ النُّصْرَةَ وَعاقبهم عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ، وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَقَاتِلْ) جَوَابٌ عَنْ قَوْلِهِ ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فَقَاتِلْ، ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ﴾ أَيْ: حُضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ وَرَغِّبْهُمْ فِي الثَّوَابِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا فَكَفَاهُمُ اللَّهُ الْقِتَالَ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ أَيْ: لَعَلَّ اللَّهَ، ﴿أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قتال الْمُشْرِكِينَ و (عَسَى) مِنَ اللَّهِ واجب، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ أَيْ: أَشَدُّ صَوْلَةً وَأَعْظَمُ سُلْطَانًا، ﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ {النساء: 84} أي: عقوبة. (4)

(1) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2790)،- ((كتاب : الجهاد السير).

(2) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامُ (مُسلِمُ) في (صحيحه) برقم (1884)،- ((كتاب : الإمارة).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (84)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (84).

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إلاَّ نَفْسَكَ} " وذلك أنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم- لَمَّا الْتَقَى هُوَ وَأبُو سُفْيَانَ يَوْمَ أحُدٍ وكَانَ مِنْ أمْرِهِمْ مَا كَانَ ، ورَجَعَ أبُو سُفْيَانَ إلَى مَكَّةَ وواعَدَهُ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم- بَدْرَ الصُّغْرَى فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- الْمِيْعَادُ ، قَالَ لِلنَّاسِ : اخْرُجُوا إلَى الْعَدُوِّ ، فَكَرِهُوا ذلكَ كَرَاهَةً شَدِيْدَةً أوْ بَعْضُهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي: لا تَدَعْ بجهاد العدو ولو وحدك.

وَقِيْلَ : لا تُؤَاخَذُ بفعل غيرك ، وإنَّما تُؤَاخَذُ بفعل نفسك وليسَ عليك ذنبُ غيرك ،

{وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} " على القتال لَعَلَّ اللهَ أن يَكُفَّ عنكَ قتالَ الكفَّار ، وعسَى من اللهِ واجبٌ " لأنهُ في اللغةِ الإطْمَاعُ ، وإطماعُ الكريْمِ لا يكونُ إلا إنجازاً.

والفاءُ : في قوله : (فَقَاتِلْ) جوابٌ عن قوله : {وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} [النساء : 74] {فَقَاتِلْ وحَرِّضِ المؤمنينَ على القتال " أي حَرِّضْهُمْ على القتال ورَغِّبْهُمْ فيه. فَتَثَاقَلُوا وَلَمْ يَخْرُجُوا مَعَهُ " فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في سَبْعِيْنَ رَاكِباً حَتَّى أتَى بَدرَ الصُّغْرَى " فَكَفَاهُمُ اللهُ بَأسَ الْعَدُوِّ وَلَمْ يُوافِقْهُمْ أبُو سُفْيَانَ " وَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ يَوْمَئِذٍ ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ- ، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : {عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} " أي قتالَ المشركينَ وصولَتَهم ،

{وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً} " أي: عُقُوبَةً. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تكلّف إلاَ نفسك وحرض} أي: أخبرهُم بِحسن ثوَاب الله فِي الْآخِرَة للشهداء.

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كفرُوا} وَعَسَى من الله وَاجِبَة.

{وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسا} عذَابا،

{وَأَشد تنكيلا} عُقُوبَة. (2)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هَذِهِ الْفَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: (وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً. فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أَيْ مِنْ أَجْلِ هَذَا فَقَاتِلْ.

يَعْنِي:- هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: (وَما لَكُمْ لَا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَقَاتِلْ). كَأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى: لَا تَدَعْ جِهَادَ الْعَدُوِّ وَالِاسْتِنْصَارَ عَلَيْهِمْ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَوْ وَحْدَكَ، لِأَنَّهُ وَعَدَهُ بِالنَّصْرِ.

قَالَ: (الزَّجَّاجُ): أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْجِهَادِ وَإِنْ قَاتَلَ وَحْدَهُ، لِأَنَّهُ قَدْ ضَمِنَ لَهُ النُّصْرَةَ.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (84).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (84) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

قَالَ: (ابْنُ عَطِيَّةَ): (هَذَا ظَاهِرُ اللَّفْظِ، إلا أَنَّهُ لَمْ يَجِئْ فِي خَبَرٍ قَطُّ أَنَّ الْقِتَالَ فَرْضٌ عَلَيْهِ دُونَ الْأُمَّةِ مُدَّةً مَا، فَالْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خِطَابٌ لَهُ فِي اللَّفْظِ، وَهُوَ مِثَالُ مَا يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، أَيْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أُمَّتِكَ الْقَوْلُ لَهُ، (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ). وَلِهَذَا يَنْبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُجَاهِدَ وَلَوْ وَحْدَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : (وَاللَّهِ لَا قاتلنهم حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي). وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ وَقْتَ الرِّدَّةِ: وَلَوْ خَالَفَتْنِي يَمِينِي لَجَاهَدْتُهَا بِشِمَالِي. يَعْنِي:- إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مَوْسِمِ بَدْرِ الصُّغْرَى، فَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ لَمَّا انْصَرَفَ مِنْ أُحُدٍ وَاعَدَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَوْسِمَ بَدْرِ الصُّغْرَى، فَلَمَّا جَاءَ الْمِيعَادُ خَرَجَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا فَلَمْ يَحْضُرْ أَبُو سُفْيَانَ وَلَمْ يَتَّفِقْ قِتَالٌ. وَهَذَا عَلَى مَعْنَى مَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ كَمَا تَقَدَّمَ فِي (آلِ عِمْرَانَ).

وَوَجْهُ النَّظْمِ عَلَى هَذَا وَالِاتِّصَالِ بِمَا قَبْلُ أَنَّهُ وَصَفَ الْمُنَافِقِينَ بِالتَّخْلِيطِ وَإِيقَاعِ الْأَرَاجِيفِ، ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَبِالْجِدِّ فِي الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنْ لَمْ يُسَاعِدْهُ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ) (تُكَلَّفُ) مَرْفُوعٌ لِأَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ، وَلَمْ يُجْزَمْ لِأَنَّهُ لَيْسَ عِلَّةً لِلْأَوَّلِ. وَزَعَمَ الْأَخْفَشُ أَنَّهُ يَجُوزُ جَزْمُهُ.

(إِلَّا نَفْسَكَ) خَبَرُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَالْمَعْنَى لَا تَلْزَمُ فعل غَيْرِك وَلَا تُؤَاخَذُ بِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا)

فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ: الْأُولَى- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ) أَيْ حُضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ. يُقَالُ: حَرَّضْتُ فُلَانًا عَلَى كَذَا إِذَا أَمَرْتَهُ بِهِ. وَحَارَضَ فُلَانٌ على الامر وأكب وواظب بمعنى واحد،

الثَّانِيَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا) إِطْمَاعٌ، وَالْإِطْمَاعُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاجِبٌ. عَلَى أَنَّ الطَّمَعَ قَدْ جَاءَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى الْوُجُوبِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ).

وَقَالَ (ابْنُ مُقْبِل):

ظَنِّي بِهِمْ كَعَسَى وَهُمْ بِتَنُوفَةٍ ... يَتَنَازَعُونَ جَوَائِزَ الْأَمْثَالِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا) أَيْ صَوْلَةً وَأَعْظَمُ سُلْطَانًا وَأَقْدَرُ بَأْسًا عَلَى مَا يُرِيدُهُ.

(وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا) أَيْ عُقُوبَةً، عَنِ (الْحَسَنِ) وَغَيْرِهِ.

قَالَ :(ابْنُ دُرَيْدٍ): رَمَاهُ اللَّهُ بِنُكْلَةٍ، أَيْ رَمَاهُ بِمَا يُنَكِّلُهُ. قَالَ: وَنَكَّلْتُ بِالرَّجُلِ تَنْكِيلًا مِنَ النَّكَالِ. وَالْمَنْكَلُ الشَّيْءُ الَّذِي يُنَكِّلُ بِالْإِنْسَانِ. قال: وارم على أقفائهم بمنكل.

الثَّالِثَةُ: إِنْ قَالَ قَائِلٌ: نَحْنُ نَرَى الْكُفَّارَ فِي بَأْسٍ وَشِدَّةٍ، وَقُلْتُمْ: إِنَّ عَسَى بِمَعْنَى الْيَقِينِ فَأَيْنَ ذَلِكَ الْوَعْدُ؟ قِيلَ لَهُ: قَدْ وُجِدَ هَذَا الْوَعْدُ وَلَا يَلْزَمُ وُجُودُهُ عَلَى الِاسْتِمْرَارِ وَالدَّوَامِ فَمَتَى وُجِدَ وَلَوْ لَحْظَةً مَثَلًا فَقَدْ صَدَقَ الْوَعْدُ، فَكَفَّ اللَّهُ بَأْسَ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ الصُّغْرَى، وَأَخْلَفُوا مَا كَانُوا عَاهَدُوهُ مِنَ

الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) وَبِالْحُدَيْبِيَةِ أَيْضًا عَمَّا رَامُوهُ مِنَ الْغَدْرِ وَانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ، فَفَطِنَ بِهِمُ الْمُسْلِمُونَ فَخَرَجُوا فَأَخَذُوهُمْ أَسْرَى، وَكَانَ ذَلِكَ وَالسُّفَرَاءُ يَمْشُونَ بَيْنَهُمْ فِي الصُّلْحِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) عَلَى مَا يَأْتِي. وَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْأَحْزَابِ الرُّعْبَ وَانْصَرَفُوا مِنْ غَيْرِ قَتْلٍ وَلَا قِتَالٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ).

وَخَرَجَ الْيَهُودُ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ بِغَيْرِ قِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ، فَهَذَا كُلُّهُ بَأْسٌ قَدْ كَفَّهُ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الْعَدَدُ الْكَثِيرُ وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ تَحْتَ الْجِزْيَةِ صَاغِرِينَ وَتَرَكُوا الْمُحَارَبَةَ دَاخِرِينَ، فَكَفَّ اللَّهُ بَأْسَهُمْ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ. والحمد لله رب العالمين. (1)

* * *

[٨٥] ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

من يسعى لجلب الخير للغير" يكن له حظ من الثواب، ومن يسعى لجلب الشر للغير" يكن له حظ من الإثم، وكان الله على كل ما يعمله الإنسان شهيداً وسيجازيه عليه. فمن كان منكم سبباً في حصول خير فله منه حظ ونصيب، ومن كان سببًا في حصول شر فإنه يناله منه شيء. (2)

* * *

يَعْنِي:- من يَسْعَ لحصول غيره على الخير يكن له بشفاعته نصيب من الثواب، ومن يَسْعَ لإيصال الشر إلى غيره يكن له نصيب من الوزر والإثم. وكان الله على كل شيء شاهداً وحفيظًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإن هؤلاء المنافقين يناصرون الفساد، وأهل الإيمان يناصرون الحق، ومن يناصر في أمر حسن يكن له نصيب من ثوابه، ومن يناصر أهل السوء يكن عليه وزر من عقابه، واللَّه مقتدر على كل شئ محيط به. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً}... الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم، ودفع بها عنه شرا، أو جلب إليه خيرا، وابتغى بها وجه الله.

ولم تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز، لا في حد من حدود الله، ولا في حق من الحقوق.

{مَنْ يَشْفَعْ}... بَيْنَ النَّاسِ.

{شَفَاعَةً حَسَنَةً}... مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ.

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (84)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (91/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (124/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ} ... مِنَ الْأَجْرِ.

{مِنْهَا} ... بِسَبَبِهَا.

{وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً} ... مُخَالِفَةً لَهُ.

{شَفَاعَةً سَيِّئَةً} ... ما كان بخلاف الشفاعة الحسنة.

{يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ} ... نَصِيبٌ مِنَ الْوِزْرِ.

{كِفْلٌ مِنْهَا} ... نصيب منها.

{كِفْلٌ} ... نَصِيبٌ مِنْ وِزْرِهَا.

{مِنْهَا} .... بِسَبَبِهَا.

{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} .... مُقْتَدِرًا فَيُجَازِي كُلَّ أَحَدٍ بِمَا عَمِلَ

{مُقِيتاً} ... مقتدراً عليه وشاهداً عليه حافظاً له.

{مُقِيتاً} .... شهيدا حفيظا. يَعْنِي:- مقتدرا.

(أي مُقْتَدِرًا، مِنْ أَقَاتَ عَلَى الشيء: إذا قَدَرَ عَلَيْه، يَعْنِي:- حافظًا مأخوذٌ من القوت وهو ما تُحْفَظُ به الحياة).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قوله: (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة) ، قال: شفاعة بعض الناس لبعضهم. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله: (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) أي حظ منها،

(ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) والكفل هو الإثم. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا أبو بريدة بن عبد الله بن أبي بردة، حدثنا أبو بردة بن أبي موسى، عن أبيه - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: ((اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء)). (3)(4)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه):- {كِفْلٌ} : نَصِيبٌ. (5)

قَالَ أَبُو مُوسَى: {كِفْلَيْنِ} (6): أَجْرَيْنِ بِالحَبَشِيَّةِ.

* * *

قوله تعالى: (وكان الله على كل شيء مقيتا).

---

(1) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (85/3)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (85).

(3) (صحيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (351/3)، ح (1432) – (كتاب: الزكاة)، / باب: (التحريض على الصدقة والشفاعة فيها).

(4) (صحيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2026/4)، ح (2627) – (كتاب: البر والصلة)، / باب: (استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام).

(5) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (النساء) الآية (85). برقم (ج 8/ ص12).

(6) {سورة الحديد: 28}.

قال: الإمام (الطبري) – والإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما) الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله : (مقيتا) حفيظاً. (2)(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- ثمَّ ذكر ثَوَاب من آمن وعقوبة من كفر يَعْنِي: (أَبَا بكر وَأَبا جهل) فَقَالَ: {مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً} يوحد أَو يصلح بَين اثْنَيْن.

{يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا} أجر من الْحَسَنَة.

{وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً} يُشْرك أَو ينم.

{يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا} وزر منهَا من السَّيِّئَة.

{وَكَانَ الله على كُلِّ شَيْءٍ} من الْحَسَنَة والسيئة.

{مُّقِيتاً} مقتدراً مجازياً وَيُقَال على قوت كل شَيْء مقتدراً. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {85} {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} . المراد بالشفاعة هنا: المعاونة على أمر من الأمور، فمن شفع غيره وقام معه على أمر من أمور الخير -ومنه الشفاعة للمظلومين لمن ظلمهم- كان له نصيب من شفاعته بحسب سعيه وعمله ونفعه، ولا ينقص من أجر الأصيل والمباشر شيء، ومَنْ عاون غيره على أمر من الشر كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه. ففي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم عن التعاون على الإثم والعدوان، وقرر ذلك بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} أي: شاهداً حفيظًا حسيبًا على هذه الأعمال، فيجازي كُلًا ما يستحقه. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا}

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها}، من يَصِرْ، يا محمد، شفعًا لوتر أصحابك، فيشفعهم في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل الله، وهو {الشفاعة الحسنة يكن له نصيب منها}، يقول: يكن له من شفاعته تلك نصيب – وهو الحظ – من ثواب الله وجزيل كرامته،

{ومن يشفع شفاعة سيئة}، يقول: ومن يشفع وتر أهل الكفر بالله على المؤمنين به، فيقاتلهم معهم، وذلك هو {الشفاعة السيئة يكن له كفل منها}.

يعني: بـ "الكفل"، النصيب والحظ من الوزر والإثم. وهو مأخوذ من "كفل البعير والمركب"،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (85).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (85).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (85). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (85)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وهو الكساء أو الشيء يهيأ عليه شبيه بالسرج على الدابة. يقال منه: "جاء فلان مكتفلا"، إذا جاء على مركب قد وطِّئَ له - على ما بيّنا - لركوبه.

* * *

وقد قيل إنه عنى بقوله: "من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها" الآية، شفاعة الناس بعضهم لبعض. وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكرنا، ثم عَمَّ بذلك كل شافع بخير أو شر.(1)

* * *

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا} أَيْ: مَنْ سَعَى فِي أَمْرٍ، فَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ خَيْرٌ، كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ.

{وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا} أَيْ: يَكُونُ عَلَيْهِ وِزْرٌ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ الَّذِي تَرَتَّبَ عَلَى سَعْيِهِ وَنِيَّتِهِ،

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ".

وَقَالَ: مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي شَفَاعَاتِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ.

وَقَالَ : (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): قَالَ اللَّهُ تعالى: {مَنْ يَشْفَعْ} ولم يقل: مَنْ يُشَفَّعْ.

وَقَوْلُهُ: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٌ، وَعَطِيَّةُ، وَقَتَادَةُ، وَمَطَرٌ الْوَرَّاقُ): {مُقِيتًا} أَيْ: حَفِيظًا.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): شَهِيدًا. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: حَسِيبًا.

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ): قَدِيرًا.

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ): الْمُقِيتُ: الْوَاصِبُ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): الْمَقِيتُ: الرَّزَّاقُ.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ مُطَرِّفٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ)، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} قَالَ: يُقِيتُ كُلَّ إِنْسَانٍ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {85} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا} {النساء: 85} أَيْ نَصِيبٌ مِنْهَا،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ هِيَ الْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَالشَّفَاعَةُ السَّيِّئَةُ هِيَ الْمَشْيُ بِالنَّمِيمَةِ بَيْنَ النَّاسِ،

يَعْنِي:- الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ هِيَ حُسْنُ الْقَوْلِ فِي النَّاسِ يَنَالُ بِهِ الثَّوَابَ وَالْخَيْرَ، وَالسَّيِّئَةُ هِيَ: الْغِيبَةُ وَإِسَاءَةُ الْقَوْلِ فِي النَّاسِ يَنَالُ بِهِ الشَّرَّ،

وَقَوْلُهُ: (كِفْلٌ مِنْهَا) أَيْ: مِنْ وِزْرِهَا،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (85)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (85)، للإِمَامْ (ابن كثير).

وقال: (مجاهد): على شفاعة النَّاس بَعْضهمْ لبعْض، ويُؤْجَرُ الشَّفِيعُ عَلَى شَفَاعَته وإنْ لَمْ يشفع،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا} {النساء: 85}.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): - رَضِيَ اللَّهُ عنهما -: مقتدرا أو مجازيا،

وقَالَ: (مُجَاهِدٌ): شَاهِدًا،

وقَالَ:(قَتَادَةُ): حَافِظًا،

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حيَوانٍ مُقِيتًا أَيْ: يُوصِلُ الْقُوتَ إِلَيْه،

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يقوت ويقيت)) (1)(2).

* * *

قَالَ : الإمام (القُرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً (85)}

فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ: الْأُولَى- قَوْلُهُ تَعَالَى: (مَنْ يَشْفَعْ) أَصْلُ الشَّفَاعَةِ وَالشُّفْعَةِ وَنَحْوِهَا مِنَ الشَّفْعِ وَهُوَ الزَّوْجُ فِي الْعَدَدِ، وَمِنْهُ الشَّفِيعُ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَعَ صَاحِبِ الْحَاجَةِ شَفْعًا. وَمِنْهُ نَاقَةٌ شَفُوعٌ إِذَا جَمَعَتْ بَيْنَ مِحْلَبَيْنِ فِي حَلْبَةٍ وَاحِدَةٍ. وَنَاقَةٌ شَفِيعٌ إِذَا اجْتَمَعَ لَهَا حَمْلٌ وَوَلَدٌ يَتْبَعُهَا. وَالشَّفْعُ ضَمُّ وَاحِدٍ إِلَى وَاحِدٍ. وَالشُّفْعَةُ ضَمُّ مِلْكِ الشَّرِيكِ إِلَى مِلْكِكَ، فَالشَّفَاعَةُ إِذًا ضَمُّ غَيْرِكَ إِلَى جَاهِكَ وَوَسِيلَتِكَ، فَهِيَ عَلَى التَّحْقِيقِ إِظْهَارٌ لِمَنْزِلَةِ الشَّفِيعِ عِنْدَ الْمُشَفِّعِ وَإِيصَالِ الْمَنْفَعَةِ إِلَى الْمَشْفُوعِ لَهُ.

الثَّانِيَةُ- وَاخْتَلَفَ الْمُتَأَوِّلُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُهُمْ هِيَ فِي شَفَاعَاتِ النَّاسِ بَيْنَهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، فَمَنْ يَشْفَعْ لِيَنْفَعَ فَلَهُ نَصِيبٌ، وَمَنْ يَشْفَعْ لِيَضُرَّ فَلَهُ كِفْلٌ.

يَعْنِي:- (الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ) هِيَ فِي الْبِرِّ وَالطَّاعَةِ، وَالسَّيِّئَةُ فِي الْمَعَاصِي. فَمَنْ شَفَعَ شَفَاعَةً حَسَنَةً لِيُصْلِحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ اسْتَوْجَبَ الْأَجْرَ، وَمَنْ سَعَى بِالنَّمِيمَةِ وَالْغِيبَةِ أَثِمَ، وَهَذَا قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ.

يَعْنِي:- يَعْنِي بِالشَّفَاعَةِ الْحَسَنَةِ الدُّعَاءَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَالسَّيِّئَةُ الدُّعَاءُ عَلَيْهِمْ.

وَفِي صَحِيحِ الْخَبَرِ: (مَنْ دَعَا بِظَهْرِ الْغَيْبِ اسْتُجِيبَ لَهُ وَقَالَ الْمَلَكُ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ). هَذَا هُوَ النَّصِيبُ، وَكَذَلِكَ فِي الشَّرِّ، بَلْ يَرْجِعُ شُؤْمُ دُعَائِهِ عَلَيْهِ. وَكَانَتِ الْيَهُودُ تَدْعُو عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

يَعْنِي:- الْمَعْنَى مَنْ يَكُنْ شَفْعًا لِصَاحِبِهِ فِي الْجِهَادِ يَكُنْ لَهُ نَصِيبُهُ مِنَ الْأَجْرِ، وَمَنْ يَكُنْ شَفْعًا لِآخَرَ فِي بَاطِلٍ يَكُنْ لَهُ نَصِيبُهُ مِنَ الْوِزْرِ.

وَعَنِ (الْحَسَنِ) أَيْضًا: الْحَسَنَةُ مَا يَجُوزُ فِي الدِّينِ، وَالسَّيِّئَةُ مَا لَا يَجُوزُ فِيهِ. وَكَأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ جَامِعٌ. وَالْكِفْلُ الْوِزْرُ وَالْإِثْمُ،

عَنِ (الْحَسَنِ)، وَ(قَتَادَةَ). وَالسُّدِّيُّ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ) هُوَ النَّصِيبُ. وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْكِسَاءِ الَّذِي يَحْوِيهِ رَاكِبُ الْبَعِيرِ عَلَى سَنَامِهِ لِئَلَّا يَسْقُطَ. يُقَالُ: اكْتَفَلْتُ الْبَعِيرَ إِذَا أَدَرْتَ عَلَى

---

(1) أخرجه الإمام (أبو داود) في ((سننه)) في ((كتاب : الزكاة)) (45)، وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (ج2 / 160 ط 193، 195).

(2) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (85).

سَنَامه كساءً وركبْتُ عَليْه. ويُقَالُ لَهُ: اكْتَفَلَ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَعمل الظَّهْرَ كُلَّهُ بَلِ اسْتَعْمَلَ نَصِيبًا مِنَ الظَّهْرِ. ويُسْتَعْمَلُ فِي النَّصِيبِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ،

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ). وَالشَّافِعُ يُؤْجَر فِيمَا يَجُوزُ وَإِنْ لَمْ يُشَفَّعْ،

لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: (مَنْ يَشْفَعْ) وَلَمْ يَقُلْ يُشَفَّعْ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِم (اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ).

الثَّالِثَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً) (مُقِيتاً) مَعْنَاهُ مُقْتَدِراً،

وَمِنْهُ قَوْلُ: (الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب):

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ ... وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِه مُقِيتًا

أَيْ قَدِيرًا. فَالْمَعْنَى إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ قُوتَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: عَلَيْهِ السَّلَامُ: (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقِيتُ). عَلَى مَنْ رَوَاهُ هَكَذَا، أَيْ مَنْ هُوَ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَفِي قَبْضَته مِنْ عِيَالٍ وَغَيْرِه،

ذَكَرَهُ (ابْنُ عَطِيَّةَ). يَقُولُ مِنْهُ: قُتُّهُ أَقُوتُهُ قَوْتًا، وَأَقَتُّهُ أُقِيتُهُ إِقَاتَةً فَأَنَا قَائِتٌ وَمُقِيتٌ. وَحَكَى (الْكِسَائِيُّ): أَقَاتَ يُقِيتُ. وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِر:

... إِنِّي عَلَى الْحِسَابِ مُقِيتُ

فَقَالَ: فِيهِ (الطَّبَرِيُّ): إِنَّهُ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمِ، وَإِنَّهُ بِمَعْنَى الْمَوْقُوف.

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): الْمُقِيتُ الْحَافِظُ.

وَقَالَ: (الْكِسَائِيُّ(: الْمُقِيتُ الْمُقْتَدِر.

وَقَالَ: (النَّحَّاسُ): وَقَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ أَوْلَى لِأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْقُوتِ، وَالْقُوتُ مَعْنَاهُ مِقْدَارُ مَا يَحْفَظُ الْإِنْسَانُ. (1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عزَّ وجَلَّ : {مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَّهُ} " أي مَن يصلح بين اثنين يكُنْ لهُ أجرٌ وثواب من ذلك الإصلاح ، ومن يَمْشِي بالْغِيْبَة والنَّمِيْمَة لهُ حظٌ من وِزْرهَا وعقوبتها، هكذا رويَ عن (ابن عبَّاس).

وقيلَ : معناهُ : من يوحِّد ويأمُرْ بالتوحيد يكُنْ له أجرٌ من ذلكَ ، ومن يُشْركْ ويأمُرْ بالشِّرك يكن له وزرٌ من ذلكَ.

ويقالُ : (الشَّفَاعَةُ الْحَسَنَةُ) هي للمؤمنينَ ، والشفاعة السيِّئةُ الدعاءُ عليهم ، فإنَّ اليهودَ كانوا يدعون على المؤمنينَ فَتَوَعَّدَهُمُ اللهُ بذلكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {كِفْلٌ مِّنْهَا} " قال: (ابنُ عبَّاس وقتادةُ): (الْكِفْلُ : الإثْمِ وَالْوِزْرُ).

قال: (الفرَّاء), و(أبو عبيدٍ) : (الْكِفْلُ : الحَظُّ وَالنَّصِيبُ).

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً} " قال: الكلبيُّ عن أبي صالح عن (ابن عبَّاس) : (مُقِيْتاً أيْ مُقْتَدِراً مُجَازِياً بالْحَسَنَة وَالسَّيِّئَة) ،

قال الشاعرُ : وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مُسَاءَتِه مُقِيْتَاأي مُقْتَدِرًا.

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (85)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

وقال: (الزجَّاج) : (الْمُقِيْتُ : الْحَفِيظُ).
قال الشاعرُ : ألِي الْفَضْلُ أمْ عَلَيَّ إذا حُوسِبْتُ أنّي عَلَى الْحِسَابِ مُقِيتُ،
وقال: (مجاهدُ) : (الْمُقِيْتُ الشَّاهدُ).
وقال: (الفرَّاء) : (الْمُقِيْتُ الَّذِي يُعْطِي كُلَّ إنْسَانٍ قُوْتَهُ).
وجاء في الحديث : " كَفَى بِالْمَرْءِ إثماً أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ - أو يُقِيْتُ - " (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نصيب منْهَا} أَي: حظ (وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كفلٌ منْهَا} أَي: إثم.
قَالَ: (الْحسن): (والشفاعة الْحَسَنَة مَا يجوز} في الدّين أَن يشفع فِيهِ، (والشفاعة السَّيِّئَة مَا يحرم فِي الدّين أَن يشفع فِيهِ).
{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كل شَيْء مقيتاً} أَي: مقتدرا" في تَفْسِير الْكَلْبِيّ.
قَالَ: (مُحَمَّد): وَأنْشد بَعضهم:
(وَذي ضغن كففت النَّفس عَنْهُ ... وَكنت على مساءته مقيتا). (2)

* * *

[٨٦] ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا سلَّم عليكم أحدٌ فردوا السلام عليه بأفضل مما سلَّم عليكم، أو ردوا عليه بمثل ما قال، والرد بالأحسن أفضل، إن الله كان على ما تعملون حفيظًا، وسيجازي كلًّا بعمله. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإذا سلَّم عليكم المسلم فردُّوا عليه بأفضل مما سلَّم لفظًا وبشاشةً، أو ردوا عليه بمثل ما سلَّم، ولكل ثوابه وجزاؤه. إن الله تعالى كان على كل شيء مجازيًا. (4)

* * *

يَعْنِي:- وإذا حياكم أحد - أياً كان - بتحية من سلام أو دعاء أو تكريم أو غيره، فردوا عليه بأحسن منها أو بمثلها، فإن اللَّه محاسب على كل شئ كبيراً كان أو صغيراً. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ} ... كَأَنْ قِيلَ لَكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُم
{بِتَحِيَّةٍ} ... تحية الإسلام، هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
{فَحَيُّوا} ... الْمُحَيِّي.
{بِأَحْسَنَ مِنْهَا} ... بِأَنْ تَقُولُوا لَهُ عَلَيْك السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.
{أَوْ رُدُّوهَا} ... بِأَنْ تَقُولُوا لَهُ كَمَا قَالَ أَيْ الْوَاجِب أَحَدهمَا وَالْأَوَّل أَفْضَل.
{أَوْ رُدُّوهَا} ... أي: كما حييتم.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (85).
(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (85) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (91/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (124/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: يقول: وعليكم السلام).

{إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلّ شَيْء حَسِيبًا}... مُحَاسِبًا فَيُجَازِي عَلَيْهِ وَمِنْهُ رَدّ السَّلَام وَخَصَّتْ السُّنَّة الْكَافِر وَالْمُبْتَدِع وَالْفَاسِق وَالْمُسَلِّم عَلَى قَاضِي الْحَاجَة وَمَنْ فِي الْحَمَّام وَالْآكِل فَلَا يَجِب الرَّدّ عَلَيْهِمْ بَلْ يُكْرَه فِي غَيْر الْأَخِير وَيُقَال لِلْكَافِرِ وَعَلَيْك بأَحْسَنَ منها أن تزيد فيها، فإذا قيل لك: السلام عليكم، زدت فقلت: السلام عليكم ورحمة الله. وإذا قيل لك: السلام عليكم ورحمة الله، زدت فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

{عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً}... أي: يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها.

{حَسِيباً}... محاسباً على العمل مجازياً به خيراً كان أو شراً.

{حَسِيبًا}... مُجَازِيًا، وَمُحَاسِبًا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ} إِذا سلم عَلَيْكُم بِسَلام {فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ} فردوها بِأَفْضَل مِنْهَا فِي الزِّيَادَة على أهل دينكُم وملتكم {أَوْ رُدُّوهَآ} مثل مَا سلم عَلَيْكُم على غير أهل دينكُمْ {إِنَّ الله كَانَ على كُلِّ شَيْءٍ} من السَّلَام وَالرَّدّ {حَسِيباً} مجازياً وشهيداً نزلت فِي قوم بخلوا بِالسَّلَامِ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {86} {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}.

التحية هي: اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها.

وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع، من السلام ابتداء وردًا. فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حُيّوا بأي تحية كانت، أن يردوها بأحسن منها لفظا وبشاشة، أو مثلها في ذلك. ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أو ردها بدونها.

ويؤخذ من الآية الكريمة الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين:

أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعًا.

الثاني: ما يستفاد من أفعل التفضيل وهو "أحسن" الدال على مشاركة التحية وردها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك.

ويستثنى من عموم الآية الكريمة من حيًّا بحال غير مأمور بها، كـ "على مشتغل بقراءة، أو استماع خطبة، أو مصل ونحو ذلك" فإنه لا يطلب إجابة تحيته، وكذلك يستثنى من ذلك من أمر الشارع بهجره وعدم تحيته، وهو العاصي غير التائب الذي يرتدع بالهجر، فإنه يهجر ولا يُحيّا، ولا ترد تحيته، وذلك لمعارضة المصلحة الكبرى.

ويدخل في رد التحية كل تحية اعتادها الناس وهي غير محظورة شرعًا، فإنه مأمور بردّها وبأحسن منها، ثم أوعد تعالى وتوعد على فعل الحسنات والسيئات بقوله: {إِنَّ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (86). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

اللَّـهَ كَـانَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ حَسِـيبًا} فـيحفظ علـى العبـاد أعمـالهم، حسـنها وسـيئها، صـغيرها وكبيرهـا، ثـم يجـازيهم بمـا اقتضـاه فضـله وعدله وحكمه المحمود.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
القـول في تأويـل قولـه: {وَإِذَا حُيِّيـتُمْ بِتَحِيَّـةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا}.
قـال: (أبـو جعفـر): يعـني جـل ثنـاؤه بقولـه: {وإذا حييـتم بتحيـة}، إذا دعـي لكـم بطول الحياة والبقاء والسلامة.
{فحيـوا بأحسـن منهـا أو ردوهـا}، يقـول: فـادعوا لمـن دعـا لكـم بـذلك بأحسـن ممـا دعـا لكم،
{أو ردوها} يقول: أو ردّوا التحية.

* * *

ثـم اختلـف أهـل التأويـل في صـفة"التحيـة" الـتي هـي أحسـن ممـا حُيِّـيَ بـه المُحَيَّـي، والـتي هي مثلها.
فقـال بعضـهم: الـتي هـي أحسـن منهـا: أن يقـول المسـلَّم عليـه إذا قيـل:"السـلام علـيكم"، :"وعلـيكم السـلام ورحمـة الله"، ويزيـد علـى دعـاء الـداعي لـه. والـرد أن يقـول:"السـلام علـيكم" مثلـها. كمـا قيـل لـه، أو يقـول:"وعلـيكم السـلام"، فيـدعو للـداعي له مثل الذي دعا له.
القـول في تأويـل قولـه: {إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ عَلَـى كُـلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (86)}

قـال: (أبـو جعفـر): يعـني بـذلك جـل ثنـاؤه: إن الله كـان علـى كـل شـيء ممـا تعملـون، أيهـا النـاس، مـن الأعمـال، مـن طاعـة ومعصـية، حفيظًـا علـيكم، حتـى يجـازيكم بهـا جـزاءه، كما:-
10047 - حـدثني محمـد بـن عمـرو قـال، حـدثنا أبـو عاصـم قـال، حـدثنا عيسـى، عـن ابـن أبـي نجـيح، عـن (مجاهـد): {حسـيبًا}، قال: حفيظًا.(2)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- وَقَوْلُـهُ: {وَإِذَا حُيِّيـتُمْ بِتَحِيَّـةٍ فَحَيُّـوا بِأَحْسَـنَ مِنْهَـا أَوْ رُدُّوهَـا} أَيْ: إِذَا سَـلَّمَ عَلَـيْكُمُ الْمُسْـلِمُ، فَـرُدُّوا عَلَيْـهِ أَفْضَـلَ مِمَّـا سَـلَّمَ، أَوْ رُدُّوا عَلَيْـهِ بِمِثْـلِ مَـا سَـلَّمَ بِـهِ فَالزِّيَـادَةُ مَنْدُوبَـةٌ، وَالْمُمَاثَلَةُ مَفْرُوضَةٌ.
وَقَـالَ: (قَتَـادَةُ): {فَحَيُّـوا بِأَحْسَـنَ مِنْهَـا} يَعْنِـي: لِلْمُسْـلِمِينَ {أَوْ رُدُّوهَـا} يَعْنِـي: لِأَهْلِ الذِّمَّةِ.(3)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {86} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَإِذَا حُيِّيـتُمْ بِتَحِيَّـةٍ فَحَيُّـوا بِأَحْسَـنَ مِنْهَـا أَوْ رُدُّوهَـا} {النسـاء: 86} التحيـة: دعـاء بطـول الحيـاة، والمـراد بالتحيـة هنـا السَّـلَامُ، يَقُـولُ:

---

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (النسـاء) الآية (86)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) في سـورة (النسـاء) الآيـة (86)، لِلإِمَامْ (الطبري)،
(3) في تفسـير (الطـبري) بـرقم (8/589) وفي إسـناده (عبـد الله بـن السـري)،.
قـال: (أبـو نعـيم): "يـروى المنـاكير لا شـيء". لكـن تابعـه الإمـام أحمـد في روايـة ابـن مردويـه، فـرواه عـن هشـام بـه، وهشـام بـن لاحـق مختلـف فيـه، وروايتـه عـن عاصـم الأحـول متكلم فيهـا. قـال: الإمـام (أحمـد): "رفـع عـن عاصـم أحاديـث لم ترفع، أسندها هو إلى سلمان".
انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (النسـاء) الآيـة (86)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

إذا سَلَّمَ عَلَيكُمْ مُسلم فَأجِيبُوا بِأَحسَنَ مِنهَا أَوْ رُدُّوها كَمَا سَلَّمَ، فَإِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقُلْ: وَعَلَيكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَإِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحمَةُ اللَّه، فَقُلْ: وَعَلَيكُمُ السلام ورحمة الله وبركاته، وَإِذَا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ الله وبركاته، فردَّ مثله،

يَعْنِي:- (فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا) ، مَعْنَاهُ أَيْ إِذَا كَانَ الَّذِي سَلَّمَ مُسْلِمًا، (أَوْ رُدُّوهَا) بِمِثْلِهَا إِذَا لم يكن مسلما،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} أَيْ: عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ رَدِّ السَّلَامِ بِمِثْلِهِ أَوْ بِأَحْسَنَ مِنْهُ، حَسِيبًا أَيْ: مُحَاسِبًا مُجَازِيًا،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): حَفِيظًا،

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): كَافِيًا، يُقَالُ: حَسْبِي هَذَا أَيْ كفاني. (1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قولُه عَزَّ وَجَلَّ : {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ} " قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس): (أرَادَ بالتَّحِيَّةِ السَّلاَمَ " أيْ إذا سَلَّمَ عَلَيكُمْ أحَدٌ فَأَجِيْبُوا بتَحِيَّةٍ أحْسَنَ مِنْهَا " وَهُوَ أنْ تَزِيْدُواْ فِي التَّحِيَّةِ فَتَقُولُواْ : وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ ، يُحَيِّي بِذلك الْمُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، وَالْمَلَكَيْنِ الْحَافِظَيْنِ مَعَهُ بِأَبْلَغ التَّحِيَّة).

قَوْلُهُ تَعَالَى : {أَوْ رُدُّوهَآ} مَعْنَاهُ : وأجيبُوا بمثل الذي سَلَّمَ عليكُم. وقال بعضُهم : معناهُ : وإذا حُيِّيتُم بتَحِيَّةٍ " أي إذا أهْدِيَ إليكم هديةً فَكَافِئُوا بأفضلَ منها أو مثْلِهَا " لأن التحيَّةَ في اللغةِ الْمُلْكُ ، وكانوا يقولون قبلَ الإسلام : حَيَّاكَ اللهُ " أي مَلَّكَكَ اللهُ " ثم أبدلُوا بهذا اللفظِ بالسَّلام بعدَ الإسلامِ ، وأقيْمَ السلامُ مقامَ قولِهم : حيَّاكَ اللهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً} " أي مُجَازِياً يعطي كلَّ شيء من العلْمِ والحفظِ والجزاء مقداراً يَحْسُبُهُ " أي يَكْفِيهِ ، يقال : حَسْبُكَ هذا " أي اكْتَفِ بِهِ ، وقَوْلُهُ تَعَالَى : {عَطَآءً حِسَاباً} {النبأ : 36} أي كافياً. (2)

* * *

قوله تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا)

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن (عبد الله بن عمر) - رضي الله عنهما أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليكم، فقل: وعليك)). (3) (4)

* * *

قال: الإمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز (يعني الدراوردي) عن سهيل،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (النساء) الآية (86).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (86).

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (11)، (ح 6257)-(كتاب : الإستئذان)، / باب: (كيف يرد على أهل الذمة بالسلام؟).

(4) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1706/4)-(كتاب : السلام)، / باب: (النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم).

عـن أبيـه، عـن (أبـي هريـرة): أن رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - قـال: ((لا تبـدؤا اليهـود ولا النصـارى بالسـلام فـإذا لقيتم أحـدهم في طريـق فاضطروه إلى أضيقه)).(1)

* * *

قـال: الإِمَـامْ (أبـو داود) - (رحمـه الله) - في (سـننه) - (بسـنده):- حـدثنا محمد بـن كـثير، أخبرنـا جعفـر بـن سـليمان، عـن عـوف، عـن أبـي رجـاء، عـن (عمـران بـن حصـين)، قـال: جـاء رجـل إلى الـنبي - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - فقـال: السـلام عـليكم، فـرد - عليـه السـلام، ثـم جلـس، فقـال الـنبي - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - "عشـر" ثـم جـاء آخـر فقـال: السـلام علـيكم ورحمـة الله، فـرد عليـه، فجلـس، فقـال: "عشـرون" ثـم جـاء أخـر فقـال: السـلام علـيكم ورحمـة الله وبركاتـه، فـرد عليـه، فجلـس، فقال: "ثلاثون".(2)

* * *

قـال: الإِمَـام (الطبرانـي) - (رحمـه الله) - في (المعجـم الأوسـط) - (بِسَـنَدِه):- عَـنْ (أَبِـي هُرَيْـرَةَ) قَـال: قَـالَ: رَسُـولُ اللهِ - صـلى الله عليـه وسـلم -: ((أَعْجَـزُ النَّـاسِ مَـنْ عَجَـزَ (عَـنْ)(3) الـدُّعَاء، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ)).(4)

* * *

(1) (صَـحِيح) : أخرجـه الإِمَـامْ (مُسْـلِمْ) في (صـحيحه) بـرقم (1707/4)، (ح 2167) – (كتـاب : السـلام)، / بـاب: (النهـي عـن ابتـداء أهـل الكتـاب، بالسلام ..) .

(2) أخرجـه الإِمَـامْ (ابـو داود) في (السـنن) بـرقم (350/4)، (ح 5195) – (كتاب : الأدب)، / باب: (كيف السلام؟) ..

وأخرجـه الإِمَـامْ (الترمـذي) في (السـنن) بـرقم (52/5)، (ح 2689)- (كتـاب : الاسـتئذان)، / بـاب: (مـا ذكـر في فضـل السـلام)، - مـن طريـق – (عبـد الله بـن عبد الرحمن والحسين بن محمد الجريري عن محمد بن كثير) به.

قال: الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه): حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

وقال: الإِمَامْ (ابن حجر). (سند قوي) في (الفتح الباري) برقم (6/11) ،

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (ح 2163).

وروى الإِمَـامْ (ابـن أبـي شـيبة): عـن (أبـي معاويـة، عـن الأعمـش، عـن زيـد بـن وهـب، عـن عبـد الله) قـال: "إن السـلام اسـم مـن أسمـاء الله فأفشـوه". وبالإسـناد نفسـه قـال: إن الرجـل إذا مـر بـالقوم فسـلم علـيهم فـردوا عليـه كـان لـه فضـل درجـة علـيهم، لأنـه أذكـرهم السـلام. (انظـر: المصـنف) بـرقم (438/8 و441)، (ح 5796، 5807) ،

وأخرجـه الإِمَـامْ (الخطيـب) في (موضـح الأوهـام) بـرقم (409/1-410) - مـن طريـق- (ابـن جـريج)، عـن (فافـاه) بـه. وقـد روي هـذا الحـديث عـن (ابـن مسـعود) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مرفوعاً،

وأخرجـه الإِمَـامْ (البـزار) في (مسـنده) بـرقم (174/5-175)، (ح 1770، 1771) ،

وأخرجـه الإِمَـامْ (الطبرانـى) في (الجـامع الكـبير) بـرقم (224/10 ح 10391، 10392) ،

وأخرجـه الإِمَـامْ (ابـن حبـان) في (روضـة العقـلاء) بـرقم (ص 112) ، - مـن طـرق- ، عن (الأعمش) به، وساقوه جميعاً مساق حديث واحد.

قـال: الإِمَـامْ (المنـذري). رواه الإِمَـامْ (البـزار والطبرانـي)، وأحـد إسـنادي الإِمَـامْ (البزار) (جيد قوي). في (الترغيب والترهيب) برقم (427/3-428) ،

وقال: الإِمَامْ (الهيثمي): رواه الإِمَامْ (البزار) بإسنادين،

و الإِمَـامْ (الطبرانـى) بأسـانيد، وأحـدهما (رجالـه رجالـه الصـحيح) عنـد الإِمَـامْ (البزار والطبراني). في (مجمع الزوائد) برقم (29/8) .

وقـال: الإِمَـامْ (الحـافظ ابـن حجـر): رواه الإِمَـامْ (البـزار) (بإسـناد جيـد). في (التلخيص الحبير) برقم (94/4) .

ورمـز لـه الإِمَـامْ (السـيوطي) (بالحسـن) في (الجـامع الصـغير) بـرقم (151/4) مع (فيض القدير) ،

و(صححه) الإِمَامْ (الألبانى) في (صحيح الجامع) برقم (3697).

وأما الاختلاف في رفعه ووقفه: فقد صحح الأئمه روايه الوقف،

فقـال: الإِمَـامْ (الـدارقطني) - بعـد أن ذكـر الخـلاف في رفعـه-: والموقـوف أصـح. (العلل) برقم (76/5) .

وقـال: الإِمَـامْ (الحـافظ ابـن حجـر): .. وطريـق الموقـوف أقـوى. (فـتح البـاري) بـرقم (3/11) والحـديث وإن كـان موقوفـاً، إلا أن أكثـره لـه معنـى الرفـع" إذ أنـه ممـا لا بمجـال للـرأي فيـه. هـذا، وللشـطر الأول منـه شـاهد مـن روايـة (أنـس) - رضي الله عنه -،

وأخرجـه الإِمَـامْ (البخـارى) في (الأدب المفـرد) بـرقم (449/2)، (ح 989) - مع فضل الله الصمد) إلى قوله " .. فأفشوا السلام بينكم.

وقـال: الإِمَـامْ (الحـافظ ابـن حجـر) (إسنادهحسـن) في (فـتح البـاري) بـرقم (13/11) ،

و(صـحيح إسـناده) الإِمَـامْ (الألبـانى) في (السلسـلة الصـحيحة) بـرقم (184) ،

و(حسن الحديث) في (صحيح الأدب المفرد) برقم (ص 380 ح 760) .

كمـا ذكـره و نقلـه الشـيخ : (أ. الـدكتور: (حكمـت بـن بشـير بـن ياسـين) في (موسـوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (86/2-87)، الطبعة : الأولى ،

(3) رواه الإمـام (عبـد الغـني المقدسـي) في ((كتـاب : الـدعاء) بـرقم (141/ 2) , (أمثال الحديث لأبي الشيخ) (247 ,

انظر: (سلسلة الصَّحِيحَة : (601) للإمام (الألباني).

(4) أخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (5591).

وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (شعب الإيمان) برقم (8767).

وانظـر: (صَـحِيح الْجَـامِع): (1044) , و (سلسـلة الصَّـحِيحَة : (601) للإمـام (الألباني)

انظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيد) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (النساء) آية (86)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها) – عن (قتادة) يقول: حيوا أحسن منها، أي: على المسلمين (أو ردوها) أي: على أهل الكتاب.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): (حسيبا) قال: حفيظاً.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (الأدب المفرد) – (بسنده):-, وَعَنْ (أبي الزبير) قَالَ: سمعتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله – رضي الله عنهما – يَقُولُ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً، قَالَ: مَا رَأَيْتُهُ إِلاَّ يُوجِبُهُ قَوْلُهُ(3): {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا}(4)(5)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (الأدب المفرد) – (بسنده):-, وَعَنْ (الْحَسَن) قَالَ: التَّسْلِيمُ تَطَوُّعٌ(6) وَالرَّدُّ فَرِيضَةٌ.(7)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (الأدب المفرد) – (بسنده):-, وَعَنْ (عَبْدِ الله بْنِ الصَّامِت) قَالَ: قُلْتُ لأَبِي ذر: مَرَرْتُ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ، فَسَلَّمْتُ فَمَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، مَا يَكُونُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ؟، رَدَّ عَلَيْكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، مَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ.(8)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (الأدب المفرد) – (بسنده):-, وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاس) – رضي الله عنهما – قَالَ: إِنِّي لأَرَى لِجَوَابِ الْكِتَابِ حَقًّا كَرَدِّ السَّلاَمِ.(9)

* * *

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (86).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (86).

(3) قال: الإمام (الألباني) في (صحيح الأدب المفرد) برقم (ح837: يعني: يوجب ردَّ السلام, ووقع في الأصل تبعاً للمطبوعة الهندية: " توجيه ", وجرى عليه الشيخ الجيلاني في شرحه , ولم يعلق عليه بشيء , وليس له معنى مستقيم , بخلاف ما أثبتُّه.

وقد استدركته من " تفسير الطبري " (5/ 120) , ورواه مستدلًا به على وجوب رد التحية , ثم أتبعه برواية أثر الحسن البصري: " التسليم تطوع , والرد فريضة ".

قال: الحافظ (ابن كثير). عقبه في تفسيره: " وهذا الذي قاله هو قول العلماء قاطبة , أنَّ الرد واجب على من سُلِّم عليه , فيأثم إن لم يفعل , لأنه خالف أمر الله في قوله: {فحيوا بأحسن منها أو ردُّوها} . أ. هـ

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (86)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(4) {النساء: 86}.

(5) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (1095).

و انظر: (صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد) برقم (837). للإمام (الألباني)

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (86)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(6) قال: الإمام (الألباني) في (صحيح الأدب المفرد) برقم (ح837: وقد ذكر الإمام (القرطبي) في (تفسيره) برقم (5/ 298) إجماعَ العلماء أيضاً على أنه سنة مُرَغَّب فيها.

وفي صحة هذا الإطلاق نظر عندي , لأنه يعني أنه لو التقى مسلمان , فلم يبدأ أحدُهما أخاه بالسلام , وإنما بالكلام , أنه لَا إثم عليهما , وفي ذلك ما يخفى من مخالفة الأحاديث التي تأمر بالسلام وإفشاءه , وبأنه من حق المسلم على المسلم أن يُسَلِّم عليه إذا لَقِيَه , وأنَّ أبخل الناس الذي يبخل بالسلام , إلى غير ذلك من النصوص التي تؤكد الوجوب.

بل وزاد ذلك تأكيداً أنه نَظَّمَ مَن يكون البادئَ بالسلام في بعض الأحوال , فقال: " يسلم الراكب على الماشي , والماشي على القاعد , والقليل على الكثير والصغير على الكبير ".

(7) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (1040) , انظر: (صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد) برقم (798).

(8) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (1038) , وانظر: (صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد) برقم (796). للإمام (الألباني)

(9) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (1117) , وانظر: (صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد) برقم (854). للإمام (الألباني)

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (الأدب المفرد) - (بسنده):-، وعن (عائشة) بنت طلحة قالت: كان الناس يأتون عائشة - رضي الله عنها - من كل مصر (1) وأنا في حجرها، فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها (2) وكان الشباب يتأخوني فيُهدون إليَّ (3)، ويكتبون إليَّ من الأمصار، فأقول لعائشة: يا خالة، هذا كتاب فلان وهديته، فتقول لي عائشة: أي بُنية فأجيبيه وأثيبيه، فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك (4)، قالت: فتعطيني.

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• تدبر القرآن الكريم يورث اليقين بأنه تنزيل من الله" لسلامته من الاضطراب، ويظهر عظيم ما تضمنه من الأحكام.

• لا يجوز نشر الأخبار التي تنشأ عنها زعزعة أمن المؤمنين، أو دب الرعب بين صفوفهم.

• التحدث بقضايا المسلمين والشؤون العامة المتصلة بهم يجب أن يصدر من أهل العلم وأولي الأمر منهم.

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87) فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (88) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (89) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (90) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (91)

• مشروعية الشفاعة الحسنة التي لا إثم فيها ولا اعتداء على حقوق الناس، وتحريم كل شفاعة فيها إثم أو اعتداء. (5)

* * *

[٨٧] ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

الله لا معبود بحق غيره، ليجمعنّ أولكم وآخركم يوم القيامة الذي لا شك فيه" لمجازاتكم على أعمالكم، ولا أحد أصدق حديثًا من الله. (6)

---

(1) المصر: البلد أو القطر.

(2) أي: يقصدوني مرة بعد مرة.

(3) أي: يتحرَّوني ويقصدوني.

(4) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (1118)،

وانظر: (صَحِيح الأَدَبِ المُفْرَد) برقم (855)، - باب / (الكتابة إلى النساء وجوابهن). للإمام (الألباني)

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (91/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (92/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

يَعْنِي:- وإذا سلَّم عليكم المسلم فردُّوا عليه بأفضل مما سلَّم لفظًا وبشاشةً، أو ردوا عليه بمثل ما سلَّم، ولكل ثوابه وجزاؤه. إن الله تعالى كان على كل شيء مجازيًا.(1)

* * *

يَعْنِي:- اللَّه الذى لا إله إلا هو ولا سلطان لغيره، سيبعثكم حتماً من بعد مماتكم، وليحشرنكم إلى موقف الحساب لا شك فى ذلك. وهو يقول ذلك فلا تشكوا فى حديثه، وأى قول أصدق من قول اللَّه.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{لا إلَهَ إلا هُوَ} ... لا معبود بحق إلا هو.

{لَيَجْمَعَنَّكُمْ} ... وَالله ليجمعنكم، (مِنْ قُبُورِكُمْ).

{إِلَى} ... فِي {يَوْمِ الْقِيامَةِ لاَ رَيبَ} ... لا شك.

{فيه وَمَنْ} ... أَيْ: لاَ أَحَد.

{إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ} ... أي: ليحشرنكم إليه. وهو قيامهم من القبور، أو قيامهم للحساب.

{لا رَيْبَ فيه} .... لا شك بل هو حق وصدق.

{وَمَنْ أَصْدَقُ} ... مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً لأنه عز وجل صادق لا يجوز عليه الكذب.

{أَصْدَقَ مِنَ اللَّه حديثا} ... قولا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمامُ (ابنُ أبي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): في قوله: (لاريب فيه) لا شك فيه.(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ثُمَّ وحد نَفسه فَقَالَ: {الله لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ} وَالله ليجمعنكم {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة} لِيَوْمِ الْقِيَامَة فِي الْبَعْث {لاَ رَيْبَ فِيهِ} لاَ شكّ فِيهِ {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله حَدِيثا} قولا.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {87} {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}.

يخبر تعالى عن انفراده بالوحدانية وأنه لا معبود ولا مألوه إلا هو، لكماله في ذاته وأوصافه ولكونه المنفرد بالخلق والتدبير، والنعم الظاهرة والباطنة.

وذلك يستلزم الأمر بعبادته والتقرب إليه بجميع أنواع العبودية. لكونه المستحق لذلك وحده والمجازي للعباد بما قاموا به من عبوديته أو تركوه منها، ولذلك أقسم على وقوع محل الجزاء وهو يوم القيامة، فقال: {لَيَجْمَعَنَّكُمْ} أي: أولكم وآخركم في مقام واحد. في {يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ} أي: لا شك ولا شبهة بوجه من الوجوه، بالدليل

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (92/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (124/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (87).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (87). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

العقلي والدليل السمعي، فالدليل العقلي ما نشاهده من إحياء الأرض بعد موتها، ومن وجود النشأة الأولى التي وقوع الثانية أَوْلى منها بالإمكان، ومن الحكمة التي تجزم بأن الله لم يخلق خلقه عبثًا، يحيون ثم يموتون. وأما الدليل السمعي فهو إخبار أصدق الصادقين بذلك، بل إقسامه عليه ولهذا قال: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} كذلك أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم- أن يقسم عليه في غير موضع من القرآن،

كقوله تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.(1)

* * *

قال الله عزَّ وجلَّ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)}.

قال: الإمام (الشافعي) - (رحمه الله) - في (تفسيره) = (تفسير الإمام الشافعي):- فإن قال قائل: لَعَمرُ اللَّه، فإن لم يرد بها يميناً فليست بيمين.

قال: (أبو منصور الأزهري): والدليل على ذلك قول اللَّه - عز وجل -: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) الآية، وعلى هذا المعنى يجعل (الشافعي) - رحمه الله- لَعَمْرُ الله يميناً إذا نوى به اليمين.

فائدة: قال: (أبو عبيد): سألت الفراء: لم ارتفع لَعَمرُ الله ولَعَمرُكَ؟. فقال: على إضمار قسم ثان به، كأنه، قال: وعمر اللَّه، فلعَمرُه عظيم، وكذلك لحيَاتك.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {الله لا إله إلا هو ليجمعنكم}، المعبود الذي لا تنبغي العبودة إلا له، هو الذي له عبادة كل شيء وطاعة كل طائع.

* * *

وقوله: {ليجمعنكم إلى يوم القيامة}، يقول: ليبعثنَّكم من بعد مماتكم، وليحشرنكم جميعًا إلى موقف الحساب الذي يجازي الناس فيه بأعمالهم، ويقضي فيه بين أهل طاعته ومعصيته، وأهل الإيمان به والكفر،

{لا ريب فيه}، يقول: لا شك في حقيقة ما أقول لكم من ذلك وأخبركم من خبري: أنّي جامعكم إلى يوم القيامة بعد مماتكم،

{ومن أصدق من الله حديثًا}، يعني بذلك: فاعلموا حقيقة ما أخبركم من الخبر، فإني جامعكم إلى يوم القيامة للجزاء والعرض والحساب والثواب والعقاب يقينًا، فلا تشكوا في صحته ولا تمتروا في حقيقته، فإن قولي الصدق الذي لا كذب فيه، ووعدي الصدق الذي لا خُلْف له.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (87)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: تفسير (الإمام الشافعي)، سورة (النساء) الآية (87)، الطبعة الأولى: (1427 - 2006 م).

{ومن أصدق من الله حديثًا} ، يقول: وأي ناطق أصدق من الله حديثًا؟ وذلك أن الكاذب إنما يكذب ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعًا، أو يدفع به عنها ضرًا. والله تعالى ذكره خالق الضر والنفع، فغير جائز أن يكون منه كذب، لأنه لا يدعوه إلى اجتلاب نفع إلى نفسه أو دفع ضر عنها {داعٍ. وما من أحد لا يدعوه داعٍ إلى اجتلاب نفع إلى نفسه، أو دفع ضر عنها} ، سواه تعالى ذكره، فيجوز أن يكون له في استحالة الكذب منه نظيرًا، فقال: {ومن أصدق من الله حديثًا} ، وخبرًا.(1)

* * *

قال : الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ} إِخْبَارٌ بِتَوْحِيدِهِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَتَضَمَّنَ قَسَمًا، لِقَوْلِهِ: {لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ} وَهَذِهِ اللَّامُ مُوَطِّئَةٌ لِلْقَسَمِ، فَقَوْلُهُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ} خَبَرٌ وَقَسَمٌ أَنَّهُ سَيَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} أَيْ: لَا أَحَدَ أَصْدَقُ مِنْهُ فِي حَدِيثِهِ وَخَبَرِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، فَلَا إِلَهَ إِلا هُوَ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {87} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ} اللَّامُ، لَامُ الْقَسَمِ تَقْدِيرُهُ: وَاللَّهِ لَيَجْمَعَنَّكُمْ فِي الْمَوْتِ وَفِي الْقُبُورِ، {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} وَسُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ قِيَامَةً لِأَنَّ النَّاسَ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا} {الْمَعَارِجِ: 43} ،

يَعْنِي:- لقيامهمْ إِلَى الْحِسَاب،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {الْمُطَفِّفِينَ: 6} ، {لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} أَيْ: قَوْلًا وَوَعْدًا،

وَقَرَأَ (حَمْزَةُ)، و(الكسائي) (أصدق) ، وكل صَادٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا دَالٌ بِإِشْمَامِ الزَّايِ.(3)

* * *

قال : الإمَامُ (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ) ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ. وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لَامُ الْقَسَمِ، نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ شَكُّوا فِي الْبَعْثِ فَأَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ. وَكُلُّ لَامٍ بَعْدَهَا نُونٌ مُشَدَّدَةٌ فَهُوَ لَامُ الْقَسَمِ. وَمَعْنَاهُ فِي الْمَوْتِ وَتَحْتَ الْأَرْضِ (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: (إِلَى) صِلَةٌ فِي الْكَلَامِ، مَعْنَاهُ لَيَجْمَعَنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَسُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ قِيَامَةً لِأَنَّ النَّاسَ يَقُومُونَ فِيهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ عز وجل،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ).

يَعْنِي:- سُمِّيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ النَّاسَ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَيْهَا،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (87)، للإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (87)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (87).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً) وَأَصْلُ الْقِيَامَةِ الْوَاوُ.
(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً) نُصِبَ عَلَى الْبَيَانِ، وَالْمَعْنَى لاَ أَحَدَ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ.
وقرا (حمزة وَالْكِسَائِيُّ) (وَمَنْ أَزْدَقُ) بِالزَّايِ. الْبَاقُونَ: بِالصَّادِ، وَأَصْلُهُ الصَّادُ إِلاَ أَنَّ لِقُرْبِ مَخْرَجِهَا جُعِلَ مَكَانَهَا زَايٍ. (1)

* * *

انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ} " أي لاَ إلَـهَ في الأرضِ وفي السَّماءِ غيرُه ، واللامُ في (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لامُ أنفُسِهم ، كأنهُ قالَ اللهُ : يجمعكُم في الحياةِ والموتِ في قبورِكم ، {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيْهِ} " أي لا شَكَّ فيه أنهُ كائنٌ لا محالةَ.
قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً} " استفهامٌ بمعنى النَّفيِ ، ليسَ أحدٌ أوفَى من اللهِ تعالى وَعْداً ولا أصْدَقَ منه قَوْلاً ، ولا صادقاً إلاّ ويوجدُ غيرُهُ على خلافِ مُخْبَرِه وقتاً من الأوقاتِ إلاّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ " فَمَنْ أصدقُ من اللهِ حديثاً. (2)

* * *

قال الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ ريب فيه} لاَ شكَّ فِيه.

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثا} أَي: لَا أحد أصدق مِنْهُ. (3)

* * *

[٨٨] ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ما شأنكم أيها المؤمنون- صرتم فريقيْن مختلفيْن في شأن التعامل مع المنافقين: فريق يقول بقتالهم لكفرهم، وفريق يقول بترك قتالهم لإيمانهم؟! فما كان لكم أن تختلفوا بشأنهم، والله ردهم إلى الكفر والضلال بسبب أعمالهم، أتريدون أن تهدوا من لم يوفقه الله إلى الحق؟! ومن يضلل الله فلن تجد له طريقًا إلى الهداية. (4)

* * *

يَعْنِي:- فما لكم أيها المؤمنون- في شأن المنافقين إذ اختلفتم فرقتين: فرقة تقول بقتالهم وأخرى لا تقول بذلك؟ والله تعالى قد أوقعهم في الكفر والضلال بسبب سوء أعمالهم. أتودون هداية من صرف الله تعالى قلبه عن دينه؟ ومن خذله الله عن دينه، واتباع ما أمره به، فلا طريق له إلى الهدى. (5)

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (87)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (87).
(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (87) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (92/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (92/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

* * *

يَعْنِي:- ما كان يسوغ لكم - أيها المؤمنون - أن تختلفوا فى شأن المنافقين الذين يُظْهِرون الإسلام ويُبْطِنون الكفر، وما يسوغ لكم أن تختلفوا فى شأنهم: أهم مؤمنون أم كافرون؟ ويقتلون أم ينظرون؟ وهم قابلون لأن يكونوا مهتدين أم لا ترجى منهم هداية؟ إنهم قلبت مداركهم بما اكتسبوا من أعمال، جعلت الشر يتحكم فيهم وما كان لكم أن تتوقعوا هداية من قَدَّر اللَّه فى علمه الأزلى أنه لن يهتدى، فإن من يكتب فى علم اللَّه الأزلى ضلاله، فلن تجدوا طريقاً لهدايته. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{أَرْكَسَهُمْ} ... أَوْقَعَهُمْ، وَرَدَّهُمْ.

{وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ} ... أي: ردهم فى حكم المشركين كما كانوا. (أي: نَكَّسَهُمْ وَرَدَّهُمْ إلى كُفْرِهِمْ).

{أَرْكَسَهُمْ} ... الارتكاس: التحول من حال حسنة إلى حال سيئة" كالكفر بعد الإيمان، أو الغدر بعد الأمان وهو المراد هنا.

{بِمَا كَسَبُوا} ... من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين، واحتيالهم على رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم.

أو أركسهم فى الكفر، بأن خذلهم حتى أركسوا فيه، لما علم من مرض قلوبهم.

{أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا} ... أن تجعلوا من جملة المهتدين.

{مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} ... من جعله من جملة الضلال، وحكم عليه بذلك، أو خذله حتى ضل.

{سَبِيلاً} ... أي: طريقاً إلى هدايتهم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (**فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا**)

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر وعبد الرحمن قالا: حدثنا شعبة، عن عدى عن عبد الله بن يزيد، عن (زيد بن ثابت) - رضي الله عنه - (فما لكم في المنافقين فئتين) رجع ناس من أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من أحد وكان الناس فيهم فرقتين: فريق يقول: اقتلهم، وفريق يقول: لا، فنزلت (فما لكم في المنافقين فئتين) . (2)(3)

* * *

وفي لفظ أخر:

وقال: الإِمَامُ (البُخَارِي و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):-, وَعَنْ (زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: (" لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى أُحُدٍ " , رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ) (4) (فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (124/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) (صحيح) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (104/8-105)، (ح 4589) – (كتاب : تفسير القرآن) – (سورة النساء) ،

(3) (صحيح) : أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2142/4)، (ح 2776) – (كتاب صفات المنافقين) .

(4) (صحيح) : أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (3824) , وأخرجه الإِمَامُ مسلم في (صحيحه) برقم (6) - (2776)

فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ: (فِرْقَةٌ تَقُولُ: (1) (نَقْتُلُهُمْ) (2) (وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: (3) (لا (4) نَقْتُلُهُمْ ، فَنَزَلَتْ: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ (5) بِمَا كَسَبُوا} (6)(7).

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): {فِئَةٌ}: جَمَاعَةٌ.

{أَرْكَسَهُمْ}: بَدَّدَهُمْ. (8)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): (والله أركسهم بما كسبوا) يقول: أوقعهم. (9)(10)

* * *

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: (أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) أنكر تعالى في هذه الآية الكريمة على من أراد أن يهدي من أضل الله، وصرح فيها بأن من أضله الله لايوجد سبيل إلى هداه وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم).

وقوله: (ومن يضلل الله فلا هادى له). (11)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- ثُمَّ نزلت فِي عشر نفر من الْمُنَافِقين الَّذين ارْتَدُّوا عَن الْإِسْلَام وَرَجَعُوا من الْمَدِينَة إِلَى مَكَّة فَقَالَ: {فَمَا لَكُمْ} يَا معشر الْمُؤمنِينَ صرتم.

{فِي الْمُنَافِقين} الَّذين ارْتَدُّوا عَن الْإِسْلَام.

{فئتين} فرقتين فرقة تحل أَمْوَالهم ودماءهم وَفرْقَة تحرم.

{وَالله أَرْكَسَهُمْ} ردهم إِلَى الشّرك.

{بِمَا كسبوا} بنفاقهم وخبث نياتهم.

{أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ} أَن ترشدوا إِلَى دين الله.

{مَنْ أَضَلَّ الله} عَن دينه.

{وَمَن يُضْلِلِ الله} عَن دينه.

{فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} دينا وَلَا حجَّة. (1)

---

(1) أخرجه الإِمَامُ مسلم في (صحيحه) برقم (6) - (2776) , وأخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (3824).

(2) أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (3824).

(3) أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (1785).

(4) أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (3824).

(5) رَكَسْتُ الشيءَ وأرْكَسْتُه: إذا رَدَدْتَه ورَجَعْتَه. (النهاية في غريب الأثر) برقم (ج2ص627).

(6) {النساء: 88 – 90}.

(7) أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (1785) .
وأخرجه الإِمَامُ مسلم في (صحيحه) برقم (6) - (2776) .
وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3028).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21639).

(8) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَاري) في تفسير سورة (النساء) الآية (88). برقم (ج 6/ ص 47).

(9) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (88).

(10) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (88).

(11) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (88).

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {فما لكم في المنافقين فئتين}، فما شأنكم، أيها المؤمنون، في أهل النفاق فئتين مختلفتين،

{والله أركسهم بما كسبوا}، يعني بذلك: والله ردّهم إلى أحكام أهل الشرك، في إباحة دمائهم وسَبْي ذراريهم.

* * *

و"الإركاس"، الردُّ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

فَأُرْكِسُوا فِي حَمِيمِ النَّارِ، إِنَّهُمُ ... كَانُوا عُصَاةً وَقَالُوا الإِفْكَ وَالزُّورَا

يقال منه: "أركسهم" و"ركسَهم".

* * *

وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله وأبي: (وَاللَّهُ رَكَسَهُمْ)، بغير "ألف".

واختلف أهل التأويل في الذين نزلت فيهم هذه الآية.

فقال: بعضهم: نزلت في اختلاف أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم- في الذين تخلَّفوا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يوم أحد وانصرفوا إلى المدينة، وقالوا لرسول الله– عليه السلام ولأصحابه: (لَو نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ) {سورة آل عمران: 167}. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} أَيْ: رَدَّهُمْ وَأَوْقَعَهُمْ فِي الْخَطَأِ. قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ: {أَرْكَسَهُمْ} أَيْ: أَوْقَعَهُمْ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): أَهْلَكَهُمْ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): أَضَلَّهُمْ.

وَقَوْلُهُ: {بِمَا كَسَبُوا} أَيْ: بِسَبَبِ عِصْيَانِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمُ الرسول -وَاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ.

{أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا} أَيْ: لاَ طَرِيقَ لَهُ إِلَى الْهُدَى وَلاَ مَخْلَصَ لَهُ إِلَيْهِ. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {88} {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ} اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ نُزُولِهَا فَقَالَ قَوْمٌ: نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ تَخَلَّفُوا يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ: بَعْضُ الصَّحَابَةِ: -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اقْتُلْهُمْ فَإِنَّهُمْ مُنَافِقُونَ،

وَقَالَ: بَعْضُهُمْ: اعْفُ عَنْهُمْ فَإِنهم تكلموا بالإسلام، وَقَالَ: بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَأَسْلَمُوا ثم ندموا على

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (88). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (88)، للإِمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (88)، للإِمَامْ (ابن كثير).

ذلك، ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين،

فقال: بعضهم: نخرج إليهم فنقتلهم ونأخذ ما معهم لأنهم رغبوا عن ديننا،

وقالت: طائفة: كيف تقتلون قومًا على دينكم إن لم يذروا ديارهم، وكان هذا بعين النبي - صلى الله عليه وسلم- وهو ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين، فنزلت هذه الآية،

وقال: بعضهم: هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين، فنزلت: (فما لكم) يا معشر المؤمنين (في المنافقين فئتين) أي: صرتم فيهم فئتين أي: فرقتين {والله أركسهم} أي: نكسهم وردهم إلى الكفر. {بما كسبوا} بأعمالهم غير الزاكية {أتريدون أن تهدوا} أي: ترشدوا.

{من أضل الله} ، يعني:- معناه أتقولون أن هؤلاء مهتدون وقد أضلهم الله،

{ومن يضلل الله} أي: وكما كفروا يضلل الله عن الهدى، {فلن تجد له سبيلا} {النساء: 88} أي: طريقا إلى الحق.(1)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (فما لكم في المنافقين فئتين) ... (فئتين) أي: فرقتين مختلفتين.

روى الإمام (مسلم) عن زيد بن ثابت أن النبي - صلى الله عليه وسلم- خرج إلى أحد فرجع ناس ممن كان معه، فكان أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فيهم فرقتين،

فقال: بعضهم: نقتلهم.

وقال: بعضهم: لا، فنزلت (فما لكم في المنافقين فئتين).

وأخرجه الإمام (الترمذي) فزاد: وقال: (إنها طيبة)، وقال: (إنها تنفي الخبيث كما تنفي النار خبث الحديد) قال: حديث (حسن صحيح)

وقال: الإمام (البخاري): إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة (.

والمعني بالمنافقين هنا عبد الله بن أبي وأصحابه الذين خذلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يوم أحد ورجعوا بعسكرهم بعد أن خرجوا، كما تقدم في (آل عمران).

وقال: (ابن عباس): هم قوم بمكة آمنوا وتركوا الهجرة،

قال: (الضحاك): وقالوا إن ظهر محمد- صلى الله عليه وسلم- فقد عرفنا، وإن ظهر قومنا فهو أحب إلينا. فصار المسلمون فيهم فئتين قوم يتولونهم وقوم يتبرءون منهم،

فقال: الله عز وجل: (فما لكم في المنافقين فئتين). وذكر أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أنها نزلت في قوم جاءوا إلى المدينة وأظهروا الإسلام، فأصابهم وباء المدينة وحماها، فأركسوا فخرجوا من المدينة، فاستقبلهم نفر من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- فقالوا: ما لكم رجعتم؟ فقالوا: أصابنا وباء المدينة فاجتويناها ، فقالوا: ما لكم في رسول الله

(1) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (88).

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُسْوَةٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَافَقُوا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يُنَافِقُوا، هُمْ مُسْلِمُونَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا) الْآيَةَ. حَتَّى جَاءُوا الْمَدِينَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُهَاجِرُونَ، ثُمَّ ارْتَدُّوا بَعْدَ ذَلِكَ، فَاسْتَأْذَنُوا رَسُولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى مَكَّةَ لِيَأْتُوا بِبَضَائِعَ لَهُمْ يَتَّجِرُونَ فِيهَا، فَاخْتَلَفَ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُمْ مُنَافِقُونَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: هُمْ مُؤْمِنُونَ، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى نِفَاقَهُمْ وَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ. قُلْتُ: وَهَذَانِ الْقَوْلَانِ يَعْضُدُهُمَا سِيَاقُ آخِرِ الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (حَتَّى يُهَاجِرُوا)، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ نَقْلًا،

وهو اختيار الإمام (البخاري)، و(مسلم)، و(الترمذي). و(فِئَتَيْنِ) نصب على الحال، كما يقال: مالك قَائِمًا؟ عَنِ الْأَخْفَشِ.

وَقَالَ (الْكُوفِيُّونَ): هُوَ خَبَرٌ (فَمَا لَكُمْ) كَخَبَرِ كَانَ وَظَنَنْتُ، وَأَجَازُوا إِدْخَالَ الْأَلِفِ وَاللَّامِ فِيهِ وَحَكَى الْفَرَّاءُ: (أَرْكَسَهُمْ، وَرَكَسَهُمْ) أَيْ: رَدَّهُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَنَكَسَهُمْ،

وَقَالَهُ: (النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ)، وَ(الْكِسَائِيُّ): وَالرَّكْسُ وَالنَّكْسُ قَلْبُ الشَّيْءِ عَلَى رَأْسِهِ، أَوْ رَدُّ أَوَّلِهِ عَلَى آخِرِهِ، وَالْمَرْكُوسُ الْمَنْكُوسُ. وَفِي قِرَاءَةِ (عَبْدِ اللَّهِ وَأُبَيٍّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (وَاللَّهُ رَكَسَهُمْ).

وَقَالَ: (ابْنُ رَوَاحَةَ): أُرْكِسُوا فِي فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ ... كَسَوَادِ اللَّيْلِ يَتْلُوهَا فِتَنْ أَيْ نُكِسُوا. وَارْتَكَسَ فُلَانٌ فِي أَمْرٍ كَانَ نَجَا مِنْهُ. وَالرُّكُوسِيَّةُ قَوْمٌ بَيْنَ النَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ.

وَالرَّاكِسُ الثَّوْرُ وَسَطَ الْبَيْدَرِ وَالثِّيرَانُ حَوَالَيْهِ حِينَ الدِّيَاسِ.

(أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) أَيْ: تُرْشِدُوهُ إِلَى الثَّوَابِ بِأَنْ يَحْكُمَ لَهُمْ بِحكم المؤمنين.

(فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) أَيْ: طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى وَالرُّشْدِ وَطَلَبِ الْحُجَّةِ. وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمُ الْقَائِلِينَ بِخَلْقِ هُدَاهُمْ وَقَدْ تَقَدَّمَ. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ}" قَالَ: (ابْنُ هِشَامٍ): (هَاجَرَ أُنَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَدِمُواْ عَلَى رَسُولِ الله -صلى الله عليه وسلم- الْمَدِيْنَةَ فَأَسْلَمُواْ ، ثُمَّ نَدِمُوا عَلَى ذلكَ وَأَرَادُواْ الرَّجْعَةَ ،

فَقَالَ: بَعْضُهُم لِبَعْضٍ: كَيْفَ نَخْرُجُ ؟ قَالُواْ : نَخْرُجُ كَهَيْأَةِ الْمُتَنَزِّهِيْنَ ، فَقَالُواْ لِلْمُسْلِمِيْنَ : إنَّا قَدِ اجْتَوَيْنَا الْمَدِيْنَةَ فَنَخْرُجُ وَنَتَنَزَّهُ - أي نَتَفَسَّحُ - فَصَدَّقُوهُمْ ، فَخَرَجُوا فَجَعَلُواْ يُبَاعِدُونَ قَلِيلاً حَتَّى بَعُدُواْ ، ثُمَّ أَسْرَعُواْ فِي السَّيْرِ إلَى مَكَّةَ حَتَّى لَحِقُواْ بِهَا ، وكَتَبُواْ إلَى رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم - : أنَّا عَلَى مَا فَارَقْنَاكُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّصْدِيْقِ ، وَلَكِنَّا اشْتَقْنَا إلَى أرضِنَا وَاجْتَوَيْنَا الْمَدِيْنَةَ.

ثُمَّ أنَّهُمْ أرَادُوا أنْ يَخْرُجُوا فِي تِجَارَتِهِمْ إلَى الشَّامِ ، فَاسْتَبْعَضَهُمْ أهْلُ مَكَّةَ وَقَالُواْ : أنْتُمْ عَلَى دِيْنِ مُحَمَّدٍ ، فَإنْ لَقُوكُمْ فَلاَ بَأْسَ عَلَيْكُمْ

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (88)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

مـنْهُمْ. فَخَرَجُـوا مِـنْ مَكَّـةَ مُتَـوَجِّهِينَ إِلَـى الشَّـامِ ، فَبَلَغَ ذلك الْمُسْلِمِيْنَ ،

فَقَالَـتْ: طَائِفَـةٌ مِـنْهُمْ : مَـا يَمْنَعُنَـا أَنْ نَخْرُجَ إِلَـى هَـؤُلاءِ الَّـذِيْنَ رَغِبُـوا عَـنْ دِيْنِنَـا وَتَرَكُـوهُ ، نَخْرُجُ إِلَيْهِمْ فَنَقْتُلُهُمْ وَنَأْخُذُ مَا مَعَهُمْ ،

وَقَالَـتْ: طَائِفَـةٌ : كَيْـفَ نَقْتُـلُ قَوْمـاً عَلَـى دِيْـنِكُمْ ، وَكَـانَ بِحَضْـرَةِ رَسُـولِ اللهِ – صـلى الله عليـه وسـلم- وَهُـوَ سَـاكِتٌ لاَ يَنْهَـى أَحَـدَ الْفَرِيقَيْنِ.

فَـأَنْزَلَ اللهُ تَعَـالَى هَـذِهِ الآيَـةَ وَالَّتِـي بَعْـدَهَا يُبَـيِّنُ لِرَسُـولِ اللهِ -صـلى الله عليـه وسـلم- شَأْنَهُمْ).

ومعناهـا : فَمَـا لَكُـمْ مـن هـؤلاءِ المنـافقينَ حتـى صِـرْتُمْ في أمـرِهم فـرقتين مِـن مُحِـلٍ لأمـوالهم وَمُحَرِّمٍ ،

{وَاللَّـهُ أَرْكَسَـهُمْ بِمَـا كَسَـبُواْ} " أي: رَدَّهُـمْ إلى كُفْـرهم وضـلالتهم بمـا كَسَـبُوا مـن أعمـالهم السـيِّئَةِ ، ونفـاقهم وخُبْـث نِيَّـاتهم ، وانتصـاب (فِئَتَـيْنِ) علـى الحـالِ " يقـالُ: مَـا لَـكَ قَائِمـاً " أي لِمَ قُمْتَ في هذه الحالة ،

يَعْنِي :- على خَبَرِ (صار).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى : {أَتُرِيـدُونَ أَن تَهْـدُواْ مَـنْ أَضَـلَّ اللَّـهُ} " أي تريـدون يـا مَعْشَـرَ المخلصـينَ أن تُرْشِدُوا مَن خَذَلَهُ اللهُ عن دينه وحجَّته ،

وَقِيْلَ : معناهُ : أتقولونَ إنَّ هؤلاءِ مهتدون ،

{وَمَـن يُضْلِـلِ اللَّـهُ فَلَـن تَجِـدَ لَـهُ سَـبِيلاً} " أي لـن تَجِدَ له هَادِياً ،

وَقِيْـل : لَـن تَجِـدَ لَـهُ طَرِيقـاً إلى الهُـدَى. وقـرأ عَبْـــــدُاللهِ وأبَــــــيّ : (واللهُ رَكَّسَـــــهُمْ) بالتشديد.[1]

* * *

قال: الإمـام (ابـن أبـي زَمَـنِين المـالكي) - (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {فَمَـا لَكُـمْ فِـي الْمُنَـافِقِينَ فِئَتَـيْنِ} ، قَـالَ: (مُحَمَّـد): {فِئَـتَيْنِ} نصـب علـى الْحَـالِ الْمَعْنَـى: أَي شَـيْء لكـم فِـي الـاخْتِلَاف فِـي أمـرهم؟ {وَاللَّـهُ أَرْكَسَـهُمْ بِمَـا كَسَـبُوا} هُـمْ قَـوم مِـن الْمُنَـافِقين كَـانُوا بِالْمَدِينَـةِ" فَخَرَجُـوا مِنْهَـا إِلَـى مَكَّـة، ثُـمَّ خرجُـوا مِـن مَكَّـة إِلَـى الْيَمَامَـة تجـارًا فَارْتَـدُّوا عَـنِ الْإِسْـلَامِ، وأظهـروا مَـا فِـي قُلُــوبهم مِــن الشّــرك، فَلَقِــيَهُمُ الْمُسْــلِمُونَ، فَكَانُوا فيهم (فئتين – أَي:) فرْقَتَيْنِ –،

فَقَـالَ: بَعْضـهم: قَـد حلـت دِمَـاؤُهُمْ" هُـمْ مشـركون مرتدون،

وَقَـالَ: بَعْضـهم: لم تحـل دِمَـاؤُهُمْ" هُـمْ قَـوم عرضـت لَهُـم فِتْنَـة. فَقَـالَ الله: {فَمَـا لَكُـمْ فِـي الْمُنَـافقين فئـتين} وَلَـيْسَ يَعْنِـي: أَنهـم فِـي تِلْـكَ الْحَـالِ الَّتِـي أظهـرُوا فِيهَـا الشّـرك مُنَـافِقُونَ، وَلكنـه نسـبهم إِلَـى (خبـثهم) الَّـذِي كَـانُوا عَلَيْـه ممَّـا فِـي قُلُـوبهم مِـن النِّفَـاق، يَقُـولُ: قَـالَ بَعْضكُم كَذَا،

وَقَـالَ: بَعْضـكُم كَـذَا" {هـلا} كُنْـتُم فِـيهم فِئَـة (وَاحِـدَة) وَلم تختلفـوا فِـي قَتلـهم؟ ثُـمَّ قَـالَ: {وَاللَّه أركسـهم بِمَـا كسـبوا} – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـه وَسَـلَّمَ- أَيْ: ردهـم إِلَـى الشّـرك بِمَـا كَـانَ فِـي قُلُــوبهم مِــن الشَّــك والنفــاق. {أَتُرِيـدُونَ أَنْ

---

[1] انظـر : (تفسـير القـرآن العظـيم) - المنسـوب - للإمـام الطبرانـي) في سـورة (النساء) الآية (88).

تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا}.(1)

* * *

[٨٩] ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

تمنَّى المنافقون لو تكفرون بما أنزل عليكم كما كفروا فتكونون مستوين معهم في الكفر، فلا تتخذوا منهم أولياء لعداوتهم حتى يهاجروا في سبيل الله من دار الشرك إلى بلاد الإسلام دلالة على إيمانهم، فإن أعرضوا واستمروا على حالهم فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم وليًّا يواليكم على أموركم، ولا نصيرًا يعينكم على أعدائكم.(2)

* * *

يَعْنِي:- تمنَّى المنافقون لكم أيها المؤمنون- لو تنكرون حقيقة ما آمنت به قلوبكم، مثلما أنكروه بقلوبهم، فتكونون معهم في الإنكار سواء، فلا تتخذوا منهم أصفياء لكم، حتى يهاجروا في سبيل الله، برهانًا على صدق إيمانهم، فإن أعرضوا عما دعوا إليه، فخذوهم أينما كانوا واقتلوهم، ولا تتخذوا منهم وليّاً من دون الله ولا نصيرًا تستنصرونه به.(3)

* * *

يَعْنِي:- إنكم تودُّون هداية هؤلاء المنافقين، وهم يودون أن تكفروا مثلهم فتكونوا متساوين في الكفر معهم، وإذا كانوا كذلك فلا تتخذوا منهم نصراء لكم، ولا تعتبروهم منكم، حتى يخرجوا مهاجرين ومجاهدين في سبيل الإسلام. وبذلك تزول عنهم صفة النفاق، فإن أعرضوا عن ذلك وانضموا إلى أعدائكم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تعتبروهم منكم ولا تتخذوا منهم نصراء.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَدُّوا} ... تَمَنَّوْا.

{لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ} ... أَنْتُمْ وَهُمْ.

{سَوَاءً} ... فِي الْكُفْرِ.

{فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ} ... تُوَالُونَهُمْ وَإِنْ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ.

{حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ... هِجْرَةً صَحِيحَةً تُحقّق إيمانهم.

{فَإِنْ تَوَلَّوْا} ... وَأَقَامُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ.

{فَإِنْ تَوَلَّوْا} ... عن الإيمان الظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (88) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (92/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (92/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (124/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم.

{فَخُذُوهُمْ} ... بِالْأَسْرِ.

{وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً} ... جانبوهم مجانبة كلية، وإن بذلوا لكم الولاية والنصر فلا تقبلوا منهم.

{وَلِيّاً وَلا نَصِيراً} ... الولي: من يلي أمرك، والنصير: من ينصرك على عدوك.

{وَلاَ نَصِيرًا} ... تَنْتَصِرُونَ به على عدوكم.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده (الحسن) - عن (السدي) : قوله : (فإن تولوا) يقول: إذا أظهروا كفرهم. (1)

* * *

انظر: سورة -(البقرة) -آية (191) . -

كما قال تعالى: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191)}.

* * *

وانظر: سورة - (الأنفال) - آية (57) . -

كما قال تعالى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (57)}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَدُّوا} تمنوا {لَوْ تَكْفُرُونَ} بِمُحَمَّد وَالْقُرْآن {كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ} مَعَهم {سَوَآءً} شرعا فِي دين الشّرك {فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ} فِي الدّين والعون والنصرة {حَتَّى يُهَاجِرُواْ} حَتَّى يُؤمنُوا مرّة أُخْرَى ويهاجروا {فِي سَبِيلِ الله} فِي طَاعَة الله {فَإِنْ توَلَّوْاْ} عَن الْإِيمَان وَالْهِجْرَة {فَخُذُوهُمْ} فأسروهم {واقتلوهم حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} فِي الْحل وَالْحرَام {وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً} فِي الدّين والعون والنصرة {وَلاَ نَصِيراً} مَانِعا. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله : {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {ودوا لو تكفرون كما كفروا}، تمنَّى هؤلاء المنافقون = الذين أنتم، أيها المؤمنون، فيهم فئتان= أن تكفروا فتجحدوا وحدانية ربكم، وتصديق نبيِّكم محمد - صلى الله عليه وسلم-، {كما كفروا}، يقول: كما جحدوا هم ذلك، {فتكونون سواء}، يقول: فتكونون كفارًا مثلهم، وتستوون أنتم وهم في الشرك بالله، {فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله}، يقول حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا أهلها الذين هم بالله مشركون، إلى دار الإسلام وأهلها، {في سبيل الله}، يعني:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (89).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (89). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

في ابتغاء دين الله، وهو سبيله، فيصيروا عند ذلك مثلكم، ويكون لهم حينئذ حكمكم،

* * *

القول في تأويل قوله: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (89)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: فإن أدبر هؤلاء المنافقون عن الإقرار بالله ورسوله، وتولوا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام ومن الكفر إلى الإسلام ، {فخذوهم} أيها المؤمنون، {واقتلوهم حيث وجدتموهم} ، من بلادهم وغير بلادهم، أين أصبْتموهم من أرض الله، {ولا تتخذوا منهم وليًّا} ، يقول: ولا تتخذوا منهم خليلا يواليكم على أموركم، ولا ناصرًا ينصركم على أعدائكم، فإنهم كفار لا يألونكم خبالا وَدُّوا ما عنتُّم.

* * *

10068- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي): {فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم} ، يقول: إذا أظهروا كُفرهم، فاقتلوهم حيث وجدتموهم.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {89} قوله تعالى: {وَدُّوا} تمنَّوا، يَعْنِي أُولَئِكَ الَّذِينَ رَجَعُوا عَنِ الدِّينِ تَمَنَّوْا {لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} فِي الْكُفْرِ، وَقَوْلُهُ: {فَتَكُونُونَ} لَمْ يُرِدْ بِهِ جَوَابَ التَّمَنِّي لِأَنَّ جَوَابَ التَّمَنِّي بِالْفَاءِ مَنْصُوبٌ، إِنَّمَا أَرَادَ النَّسَقَ، أَيْ: وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ وَوَدُّوا لَوْ تَكُونُونَ سَوَاءً،

مِثْلُ قَوْلِهِ: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [الْقَلَمِ: 9] أَيْ: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ وَوَدُّوا لَوْ تُدْهِنُونَ،

{فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ} منع عن مُوَالَاتِهِمْ، {حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} مَعَكُمْ،

قَالَ: (عِكْرِمَةُ): هِيَ هِجْرَةٌ أُخْرَى وَالْهِجْرَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: هِجْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ،

وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ} [الْحَشْرِ: 8]،

وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [النِّسَاءِ: 100] وَنَحْوُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ، وَهِجْرَةُ الْمؤمنين: وَهِيَ الْخُرُوجُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- صابرين محتسبين، كما حكي هاهنا، وفي هذه الآية منع موالاة المؤمنين من موالاة المنافقين حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وهجرة سائر المؤمنين ما نهى الله عنه، وَهِيَ مَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ)).(2)

قوله تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا} أَعْرَضُوا عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْهِجْرَةِ، {فَخُذُوهُمْ} أَيْ: خُذُوهُمْ أُسَارَى، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْأَسِيرِ أَخِيذٌ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (89)، لِلإمَامْ (الطبري).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4).

{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} فِي الْحِلِّ وَالْحَرَم، {وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا} {النساء: 89} ثُمَّ اسْتَثْنَى طَائِفَةً مِنْهُمْ: (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} أَيْ: هُمْ يَوَدُّونَ لَكُمُ الضَّلَالَةَ لِتَسْتَوُوا أَنْتُمْ وَإِيَّاهُمْ فِيهَا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِشِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ وَبُغْضِهِمْ لَكُمْ"،

وَلِهَذَا قَالَ: {فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا} أَيْ: تَرَكُوا الْهِجْرَةَ، قَالَهُ: (الْعَوْفِيُّ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ).

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): أَظْهَرُوا كُفْرَهُمْ.

{فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا} أَيْ: لَا تُوَالُوهُم وَلَا تَسْتَنْصِرُوا بِهِمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَا دَامُوا كَذَلِكَ.

ثُمَّ اسْتَثْنَى اللَّهُ، سُبْحَانَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ فَقَالَ: {إِلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} أَيْ: إِلَّا الَّذِينَ لَجَؤُوا وَتَحَيَّزُوا إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مُهَادَنَةٌ أَوْ عَقْدُ ذِمَّةٍ، فَاجْعَلُوا حُكْمَهُمْ كَحُكْمِهِمْ. وَهَذَا قَوْلُ (السُّدِّيِّ، وَابْنِ زَيْدٍ، وَابْنِ جَرِيرٍ).

وَقَدْ رَوَى (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، عَنِ الْحَسَنِ: أَنَّ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيَّ حَدَّثَهُمْ قَالَ: لَمَّا ظَهَرَ -يَعْنِي النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ، وَأَسْلَمَ مَنْ حَوْلَهُمْ قَالَ سُرَاقَةُ: بَلَغَنِي أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى قَوْمِي -بَنِي مُدْلِجٍ -فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ النِّعْمَةَ. فَقَالُوا: صَهْ فَقَالَ: النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "دَعُوهُ، مَا تُرِيدُ؟ ". قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَبْعَثَ إِلَى قَوْمِي، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُوَادِعَهُمْ، فَإِنْ أَسْلَمَ قَوْمُكَ أَسْلَمُوا وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا لَمْ تَخْشُنْ قُلُوبُ قَوْمِكَ عَلَيْهِمْ. فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيَدِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقَالَ: "اذْهَبْ مَعَهُ فَافْعَلْ مَا يُرِيدُ". فَصَالَحَهُمْ خَالِدٌ عَلَى أَلَّا يُعِينُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِنْ أَسْلَمَتْ قُرَيْشٌ أَسْلَمُوا مَعَهُمْ، وَمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّاسِ كَانُوا عَلَى مِثْلِ عَهْدِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ}

وَرَوَاهُ (ابْنُ مَرْدَوَيْهِ) - مِنْ طَرِيقِ - (حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ)، وَقَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {إِلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} فَكَانَ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ كَانُوا مَعَهُمْ عَلَى عَهْدِهِمْ (2) وَهَذَا أَنْسَبُ لِسِيَاقِ الْكَلَامِ.

وَفِي صَحِيحِ الإِمَامِ (الْبُخَارِيِّ): فِي قِصَّةِ - (صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ) فَكَانَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي صُلْحِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي صُلْحِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَعَهْدِهِمْ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَنَّهُ قَالَ: نَسَخَهَا قَوْلُهُ: {فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} {التَّوْبَة: 5}.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (89).

(2) رواه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (232/14) حدثنا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهِ.

وقَوْلُـهُ: {أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ (8)} الْآيَةَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ آخَرُونَ مِنَ الْمُسْتَثْنَيْنَ عَنِ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ يَجِيئُونَ إِلَى الْمَصَافِّ وَهُمْ حَصِرَةٌ صُدُورُهُمْ، أَيْ: ضَيِّقَةٌ صُدُورُهُمْ مُبْغِضِينَ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ، وَلَا يَهُونُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا أَنْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ مَعَكُمْ، بَلْ هُمْ لَا لَكُمْ وَلَا عَلَيْكُمْ.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ} أَيْ: مِنْ لُطْفِهِ بِكُمْ أَنْ كَفَّهُمْ عَنْكُمْ.

{فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ} أَيِ: الْمُسَالَمَةَ {فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا} أَيْ: فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُمْ، مَا دَامَتْ حَالُهُمْ كَذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ كَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَضَرُوا الْقِتَالَ وَهُمْ كَارِهُونَ، كَالْعَبَّاسِ وَنَحْوِهِ، وَلِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يومئذ عن قتل العباس وعبّر بأسره.(1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَآءً} " أي تَمَنَّى المنافقونَ والكفارُ أن تكفروا أنتم بمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَالْقُرآنِ كما كَفَرُوا ، فتكونُوا أنتم وهم سواءٌ في الكفر ،

{فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ} " أي أحبَاء ،

{حَتَّى يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} " في طاعة الله ،

{فَإِنْ تَوَلَّوْاْ} " فإنْ أعْرَضُوا عن الإيْمَانِ والْهِجْرَةِ فَأْسِرُوهُمْ ،

{فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ} " في الحلِّ والحَرَمِ ،

{وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} " أي حَبيباً في العَوْنِ والنُّصرة.

وهذه الآيةُ محمولةٌ على حالِ ما كانت الهجرةُ فَرْضاً كما قال : - صلى الله عليه وسلم -: " أَنَا بَرِيْءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ أقَامَ بَيْنَ أظْهُرِ الْمُشْرِكِيْنَ " ثم نُسِخَ ذلك يومَ فتحِ مكَّة،- كما روى (ابنُ عبَّاس)، قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ – عليه السلام- يَوْمَ الْفَتْحِ : " لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإنِ اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُواْ ".

وقَوْلُهُ تَعَالَى : {فَتَكُونُونَ سَوَآءً} لَمْ يدخل جوابَ التَّمَنِّي " لأنه جوابَهُ بالفاءِ منصوبٌ ، وإنَّما أرادَ العطفَ على معنى : وَدُّوا لو تكفرونَ وَوَدُّوا لو تكونُوا سواءً ، مثلَ قوله : {وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} {القلم : 9} أي وَدُّوا لو تُدْهِنُ وودُّوا لو تُدْهِنُونَ ،

ومثلُه {وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ} {النساء : 102} أي وودُّوا لو تَميلون.(2)

* * *

[٩٠] ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (89)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (89)،

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

إلا من وصل منهم إلى قوم بينكم وبينهم عقد مؤكد على ترك القتال، أو من جاؤوكم وقد ضاقت صدورهم فلا يريدون قتالكم ولا قتال قومهم، ولو شاء الله لمكنهم منكم فقاتلوكم، فاقبلوا من الله عافيته، ولا تتعرضوا لهم بقتل ولا أسر، فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم، وانقادوا إليكم مصالحين تاركين قتالكم، فما جعل الله لكم عليهم طريقًا بقتلهم أو أسرهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- لكن الذين يتصلون بقوم بينكم وبينهم عهد وميثاق فلا تقاتلوهم، وكذلك الذين أتوا إليكم وقد ضاقت صدورهم وكرهوا أن يقاتلوكم، كما كرهوا أن يقاتلوا قومهم، فلم يكونوا معكم ولا مع قومهم، فلا تقاتلوهم، ولو شاء الله تعالى لسلَّطهم عليكم، فلقاتلوكم مع أعدائكم من المشركين، ولكن الله تعالى صرفهم عنكم بفضله وقدرته، فإن تركوكم فلم يقاتلوكم، وانقادوا اليكم مستسلمين، فليس لكم عليهم من طريق لقتالهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- استثنى من المنافقين الذين يستحقون القتل لإفسادهم لجماعة المؤمنين أولئك الذين يرتبطون بقوم بينهم وبين المؤمنين ميثاق يمنع قتل المنتمين لأحد الفريقين، أو كانوا في حيرة أيقاتلون مع قومهم الذين هم أعداء المسلمين، وليس ثمة ميثاق، أم يقاتلون مع المؤمنين؟ فإن الأولين يمنع قتلهم لأجل الميثاق، والآخرين يمنع قتلهم لأنهم في حرج، وإن اللَّه - تعالى - لو شاء لجعلهم يحاربونكم، فإن آثروا الموقف السلبى وسالموكم فلا يسوغ لكم أن تقتلوهم، لأنه لا مسوغ لذلك. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إلا الذين يصلون} ... يلجأون.

{يَصِلُونَ} ... أي: يتصلون بهم بموجب عقد معاهدة بينهم.

{إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} ... عَهْد بِالْأَمَانِ لَهُمْ وَلِمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ كَمَا عَاهَدَ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - هِلَال بْن عُوَيْمِر الْأَسْلَمِيّ.

{مِيثَاقٌ} ... عهد.

{أَوْ} ... الَّذِينَ.

{جَاءُوكُمْ} ... وَقَدْ.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (92/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (92/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (125/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{حصـرتْ صُـدُورُهُمْ} ... ضَـاقَتْ وَكرِهَـتْ مُقَاتَلَتَكُمْ. {حصرتْ} ... أي: ضَاقَتْ.

{صُـدُورهمْ} ... عَـنْ {أَنْ يُقَـاتِلوكُمْ} ... مَـعَ قَومِهِمْ.

{أَوْ يُقَـاتِلُوا قَـومِهمْ} ... مَعَكُـمْ، أَيْ: مُمْسِـكِينَ عَـنْ قِتَـالِكُمْ وَقِتَـالِهِمْ فَـلاَ تَتَعَرَّضُـوا إِلَـيْهِمْ بِأَخـذٍ وَلاَ قَتْـلٍ وَهَـذَا وَمَـا بَعْـدهُ مَنْسُـوخ بِآيَـةِ السَّيْفِ.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّه} ... تَسْلِيطهمْ عَلَيْكُمْ.

{لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُم} ... بِأَنْ يُقَوِّي قُلُوبهمْ.

{فَلَقَـاتَلُوكُمْ} ... وَلَكِنَّـهُ لَـمْ يَشَـأْهُ فَـأَلْقَى فِـي قُلُوبِهِمْ الرُّعْب.

{فَـإِنْ اعتزلـوكم فَلَـمْ يُقَـاتِلُوكُمْ وَأَلْقَـوْا إِلَـيْكُمْ السَّلَم} ... الصُّلْح، أَيْ انْقَادُوا.

{السَّلَم} ... الاسْتِسْلاَم، وَالانْقِيَاد.

{فَمَـا جَعَـلَ اللَّـه لَكُـمْ عَلَـيْهِمْ سَـبِيلًا} ... طريقـا بالأخذ والقتل.

{سَبِيلاً} ... أي: طريقاً إلى هدايتهم.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـام (مجـد الـدين الفـيروز آبـادي) – (رحمـه الله):- ثُـمَّ اسْـتَثْنى فَقَـالَ: {إِلاَّ الَّـذين يصـلُونَ} يرجعُـونَ يَعْنـي مـن الْعشْـرَة {إِلَـى قَـوْمٍ} يَعْنـي قَـوم هِـلَال بـن عُـوَيْمر الْأَسْلَمِيّ {بَيْـنَكُمْ وَبَيْـنَهُمْ مِّيثَـاقٌ} عهـد وَصلح {أَو جَـاؤوكم} وَقـد جَـاءوكم يَعْنـي قَـوم هِـلَال {حصِـرَتْ صُـدُورُهُمْ} ضَـاقَتْ قُلُـوبهم مـن شـدَّة النَّفَقَـة بِسَـبَب الْعَهْـد {أَن يُقَـاتِلُوكُمْ} لقبـل الْعَهْـد {أَوْ يُقَـاتِلُوا قَـوْمَهُمْ} لقبـل الْقَرَابَـة {وَلَـوْ شَـآءَ الله لَسَـلَّطَهُمْ} يَعْنـي قَـوم هِـلَال بـن عُـوَيْمر {عَلَـيْكُمْ} يَـوْم فَـتْح مَكَّـة {فَلَقَـاتَلُوكُمْ} مَـعَ قَـومهمْ {فَـإِن اعتزلـوكم} تركـوكم {فَلَـمْ يُقَـاتِلُوكُمْ} مَـعَ قَـومهمْ يَـوْم فَـتح مَكَّـة {وَأَلْقَـوْا إِلَـيْكُمُ السّـلم} خضـعوا لكـم بِالصُّـلْحِ وَالْوَفَـاء {فَمَـا جَعَلَ الله لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً} حجَّة بِالْقَتْلِ. (1)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (الطـبري) – (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

القـول في تـأويـل قولـه : {إِلا الَّـذِينَ يَصِـلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ}

قـال: (أبـو جعفـر): يعـني جـل ثنـاؤه بقولـه: {إلا الـذين يصـلون إلى قـوم بيـنكم وبيـنهم ميثـاق} ، فـإن تـولىَّ هـؤلاء المنـافقون الـذين اختلفـتم فـيهم عـن الإيمـان بـالله ورسـوله، وأبـوا الهجـرة فلـم يهـاجروا في سـبيل الله، فخـذوهم واقتلـوهم حيـث وجـدتموهم، سـوى مـن وَصـل مـنهم إلى قـوم بيـنكم وبيـنهم مُوادعـة وعهـد وميثـاق، فـدخلوا فـيهم، وصـاروا مـنهم، ورضـوا بحكمهـم، فـإن لمـن وصـل إلـيهم فـدخل فـيهم مـن أهـل الشـرك راضيًا بحكمهـم في حقـن دمـائهم بدخولـه فـيهم: أن لا تسـبى نسـاؤهم وذراريهـم، ولا تغـنم أمـوالهم، كما: -

10069- حـدثنا محمـد بـن الحسـين قـال، حـدثنا أحمـد بـن مفضـل قـال، حـدثنا أسـباط، عـن (السـدي): {إلا الـذين يصـلون إلى قـوم بيـنكم وبيـنهم ميثـاق} ، يقـول: إذا أظهـروا كفـرهم فـاقتلوهم حيـث وجـدتموهم، فـإن أحـدٌ مـنهم دخـل في قـوم بيـنكم وبيـنهم ميثـاق، فأجروا عليه مثل ما تجرُون على أهل الذمة.

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (النسـاء) الآية (90). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

10071- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج عن ابن جريج، عن (عكرمة) قوله: {إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق}، قال: نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك بن جعشم، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {90} {إلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ} وَهَذَا الاسْتِثْنَاءُ يَرْجِعُ إِلَى الْقَتْلِ لاَ إِلَى الْمُوَالاَةِ، لأَنَّ مُوَالاَةَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ لاَ تَجُوزُ بِحَالٍ، وَمَعْنَى (يَصِلُونَ) أَيْ: يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِمْ وَيَتَّصِلُونَ بِهِمْ وَيَدْخُلُونَ فِيهِمْ بِالْحِلْفِ وَالْجِوَارِ،

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) – رَضِيَ الله عنهما- يريدون ويلجأون إِلَى قَوْمٍ، {بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} أَيْ: عَهْدٌ، وَهُمُ الأَسْلَمِيُّونَ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَادَعَ هِلاَلَ بْنَ عُوَيْمِرٍ الأَسْلَمِيَّ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى مكة على ألا يُعِينَهُ وَلاَ يُعِينَ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَصَلَ إِلَى هِلاَلٍ مِنْ قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ وَلَجَأَ إِلَيْهِ فَلَهُمْ مِنَ الْجِوَارِ مِثْلُ مَا لِهِلاَلٍ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): أَرَادَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ بَنِي بَكْرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَنَاةَ كَانُوا فِي الصُّلْحِ وَالْهُدْنَةِ،

وَقَوْلُهُ: {أَوْ جَاءُوكُمْ} أي: يتصلون بقوم جاؤوكم،

{حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} أَيْ: ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ، قَرَأَ (الْحَسَنُ)، وَ(يَعْقُوبُ) (حَصِرَةً) مَنْصُوبَةً مُنَوَّنَةً أَيْ: ضَيِّقَةً صُدُورُهُمْ، يَعْنِي الْقَوْمَ الَّذِينَ جَاءُوكُمْ وَهُمْ بَنُو مُدْلَجٍ، كَانُوا عاهدوا قريشا ألا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ألا يُقَاتِلُوهُمْ، حَصِرَتْ: ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ،

{أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ} أَيْ: عَنْ قِتَالِكُمْ لِلْعَهْدِ الَّذِي بينكم،

{أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ} يَعْنِي: مَنْ أَمِنَ مِنْهُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ وَلاَ يُقَاتِلُونَ قَوْمَهُمْ مَعَكُمْ، يَعْنِي قُرَيْشًا قَدْ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ لِذَلِكَ،

وَقَالَ: بَعْضُهُمْ: أَوْ بِمَعْنَى الْوَاوِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ، أَيْ: حصرت صدورهم عن قتالهم وَالْقِتَالِ مَعَكُمْ، وَهُمْ قَوْمٌ هِلاَلٌ الأَسْلَمِيُّونَ وَبَنُو بَكْرٍ، نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ قِتَالِ هَؤُلاءِ الْمُرْتَدِّينَ إِذَا اتَّصَلُوا بِأَهْلِ عَهْدٍ لِلْمُسْلِمِينَ، لأَنَّ مَنِ انْضَمَّ إِلَى قَوْمٍ ذَوِي عَهْدٍ فَلَهُ حُكْمُهُمْ فِي حقن الدماء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ} يَذْكُرُ مِنَّتَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّ بَأْسِ الْمُعَاهِدِينَ، يَقُولُ: إِنَّ ضِيقَ صُدُورِهِمْ عَنْ قِتَالِكُمْ لِمَا أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرُّعْبِ وَكَفَّهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ، {فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ} أَيْ: اعْتَزَلُوا قِتَالَكُمْ،

{فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ} وَمَنِ اتَّصَلَ بِهِمْ، وَيُقَالُ: يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يُقَاتِلُوكُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ،

{وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ} أَيْ: الصُّلْحَ فَانْقَادُوا وَاسْتَسْلَمُوا.

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (90)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

{فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} {النساء: 90} أي: طريقا بالقتل والقتال.(1)

* * *

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ اسْتَثْنَى اللَّهُ، سُبْحَانَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ فَقَالَ: {إِلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} أَيْ: إِلا الَّذِينَ لَجَؤوا وَتَحَيَّزُوا إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مُهَادَنَةٌ أَوْ عَقْدُ ذِمَّةٍ، فَاجْعَلُوا حُكْمَهُمْ كَحُكْمِهِمْ. وَهَذَا قَوْلُ (السُّدِّيِّ)، وَ(ابْنِ زَيْدٍ)، وَ(ابْنِ جَرِيرٍ).

وَقَوْلُهُ: {أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ (8)} الْآيَةَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ آخَرُونَ مِنَ الْمُسْتَثْنَيْنَ عَنِ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ يَجِيئُونَ إِلَى الْمَصَافِّ وَهُمْ حَصِرَةٌ صُدُورُهُمْ أَيْ: ضَيِّقَةٌ صُدُورُهُمْ مُبْغِضِينَ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ، وَلَا يَهُونُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا أَنْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ مَعَكُمْ، بَلْ هُمْ لَا لَكُمْ وَلَا عَلَيْكُمْ.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ} أَيْ: مِنْ لُطْفِهِ بِكُمْ أَنْ كَفَّهُمْ عَنْكُمْ.

{فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ} أَيِ: الْمُسَالَمَةَ.

{فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا} أَيْ: فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُمْ، مَا دَامَتْ حَالُهُمْ كَذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ كَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ خَرَجُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَحَضَرُوا الْقِتَالَ وَهُمْ كَارِهُونَ، كَالْعَبَّاسِ وَنَحْوِهِ، وَلِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يومئذ عن قتل العباس وعبّر بأسره.(2)

* * *

قوله تعالى: (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم)

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي): قوله: (أوجاءوكم) يقول: رجعوا فدخلوا فيكم.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (حصرت صدورهم) ضاقت.(4)(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (مجاهد): قوله: (أن يقاتلوكم) أن يقاتل المؤمنين أو يقاتل قومه.(6)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): في قوله:

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (90).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (90)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (90).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (90).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (90).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (90).

(فإن اعتزلوكم)، قال: نسختها (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم). (1)

* * *

انظر: تفسير سورة - (البقرة) - آية (208). - كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208)}.

* * *

قال: الإِمَامْ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح- عن (مجاهد) في قول الله عز وجل: (ادخلوا في السلم) قال: ادخلوا في الإسلام جميعاً. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (في السلم) يعني: الموادعة. (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة) (ادخلوا في السلم كافة). قال: ادخلوا في الإسلام جميعاً. (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يقول: خطاياه. (4)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (90).

(2) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (320/1)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (208).

(4) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (البقرة) - الآية (208)، للإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني)، الناشر: (دار الكتب العلمية - بيروت)، الطبعة: (الأولى، سنة 1419هـ). (عدد الأجزاء: 3).

[٩١] ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ستجدون أيها المؤمنون - فريقًا آخر من المنافقين يظهرون لكم الإيمان ليأمنوا على أنفسهم، ويظهرون لقومهم من الكفار الكفر إذا رجعوا إليهم ليأمنوهم، كلما دُعُوا إلى الكفر بالله والشرك به وقعوا فيه أشد الوقوع، فهؤلاء إذا لم يتركوا قتالكم، وينقادوا إليكم مصالحين، ويكفوا أيديهم عنكم" فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم، وأولئك الذين هذه صفتهم جعلنا لكم على أخذهم وقتلهم حجة واضحة" لغدرهم ومكرهم. (5)

* * *

يَعْنِي:- ستجدون قومًا آخرين من المنافقين يودون الاطمئنان على أنفسهم من جانبكم، فيظهرون لكم الإيمان، ويودون الاطمئنان على أنفسهم من جانب قومهم الكافرين، فيظهرون لهم الكفر، كلما أعيدوا إلى موطن الكفر والكافرين، وقعوا في أسوأ حال. فهؤلاء إن لم ينصرفوا عنكم، ويقدموا إليكم الاستسلام التام، ويمنعوا أنفسهم عن

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (92/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

قتالكم فخذوهم بقوة واقتلوهم أينما كانوا، وأولئك الذين بلغوا في هذا المسلك السيِّئ حداً يميزهم عمَّن عداهم، فهم الذين جعلنا لكم الحجة البينة على قتلهم وأسرهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- فإن ظهرتم على الشرك كانوا معكم، وإن ظهر المشركون على الإسلام كانوا مع المشركين، فهم يريدون أن يأمنوا المسلمين ويأمنوا قومهم من المشركين، وهؤلاء في ضلال مستمر ونفاق، فإن لم يكفوا عن قتالكم ويعلنوكم بالأمن والسلام فاقتلوهم حيث وجدتموهم، لأنهم بعدم امتناعهم عن القتال قد مكنوا المؤمنين من قتلهم، وجعل اللَّه - تعالى - للمؤمنين حجة بيِّنة في قتالهم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات

{يَصِلُونَ} ... أي: يتصلون بهم بموجب عقد معاهدة بينهم.

{مِيثَاقٌ} ... عهد.

{حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} ... ضاقت.

{السَّلَمَ} ... الاسْتِسْلَامُ وَالصُّلْحُ وَالِانْقِيَادُ.

{الْفِتْنَةِ} ... الشرك.

{أُرْكِسُوا فِيهَا} ... وَقَعُوا فِي أَسْوَأِ حَالٍ. أي: رجعوا إلى الشرك.

{ثَقِفْتُمُوهُمْ} ... وَجَدْتُمُوهُمْ. أي: تَمَكَّنْتُمْ مِنْهُمْ.

{سُلْطَانًا مُبِينًا} ... حجة بين على جواز قتالهم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم)

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): (يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) قال: ناس كانوا يأتون إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيسلمون رياء، ثم يرجعون إلى قريش يرتكسون في الأوثان، يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا. فأمر بقتالهم إن لم يعتزلوا ويصلحوا.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة)

قوله: (ستجدون آخرين يريدون) قال: حيا كانوا بتهامة، قالوا: يا نبي الله: إنا لا نقاتلك ولا نقاتل قومنا فأرادوا أن يأمنوا رسول الله، ويأمنوا قومهم فأبى الله ذلك عليهم.(4)

وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضاً في الاحتجاج.

* * *

قوله تعالى: (كلما ردوا إلى الفتنة اركسوا فيها)

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة):

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (92/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (125/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (91).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (91).

قولــه : (كلمــا ردوا إلى الفتنــة أركســوا فيهــا) كلما عرض لهم بلاء هلكوا فيه. (1)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (ابْــنُ أَبِــي حَــاتِمٍ) - (رحمــه الله) - في (تفسيره):- (بســنده الجيــد) - عــن (أبــي العاليــة): قولــه : (كلمــا ردوا إلى الفتنــة أركســوا فيهــا) قــال : كلمــا ابتلــوا بهــا عمــوا فيها. (2)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (ابْــنُ أَبِــي حَــاتِمٍ) - (رحمــه الله) - في (تفسيره):- (بســنده الحســن) - عــن (مجاهــد): قولــه : (فــإن لم يعتزلــوكم) قــال : أمــر بقتالهم إن لم يعتزلوا ويصلحوا. (3)

* * *

انظــر : تفســير ســورة -(البقــرة) - آيــة (208) . - كمــا قــال تعــالى: {يَــا أَيُّهَــا الَّــذِينَ آمَنُــوا ادْخُلُــوا فِــي السِّــلْمِ كَافَّــةً وَلاَ تَتَّبِعُــوا خُطُــوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208)}.

* * *

قــال: الإِمَــامُ (ابْــنُ أَبِــي حَــاتِمٍ) - (رحمــه الله) - في (تفسيره):- (بســنده الحســن) - عــن (الســدي): قولــه : (وأولــئكم جعلنــا لكــم علــيهم ســلطانا مبينا) أما السلطان فهو الحجة. (4)

* * *

(1) انظــر :(تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (النساء) الآية (91).

(2) انظــر :(تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (النساء) الآية (91).

(3) انظــر :(تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (النساء) الآية (91).

(4) انظــر :(تفســير القــرآن العظــيم) للإمــام (ابــن أبــي حــاتم) في ســورة (النساء) الآية (91).

(تفســير ابــن عبــاس) - قــال: الإِمَــامُ (مجــد الــدين الفــيروز آبــادى) - (رحمــه الله):- {سَــتَجِدُونَ آخَــرِينَ} مــن غيرهــم مــن غــير قــوم هــلاَل أَسـد أَو غطفــان {يُرِيــدُونَ أَن يَــأْمَنُوكُمْ} أَن يــأمنوا مــنكُم علــى أنفسهم وَأَمْــوَالهمْ وأهــاليهم بِــلاَ إِلَــه إِلاَّ الله {وَيَــأْمَنُواْ قَــوْمَهُمْ} مــن قــومهمْ بــالْكفْر {كُــلَّ مَــا ردوا إِلَــى الْفِتْنَــةِ} دعــوا إِلَــى الشّــرك {أُرْكِسُــواْ فِيهَــا} رجعُــوا إِلَيْــهِ {فَــإِن لَّــمْ يَعْتَزِلُــوكُمْ} فَــإِن لم يتركــوكم يَــوْم فــتح مَكَّــة {ويلقــوا إِلَــيْكُمُ السَّــلَم} وَلم يخضــعوا لكــم بالصُّــلْح {ويكفــوا أَيْــدِيهُمْ} وَلم يكفــوا أَيْــديهم عَــن قتــالكم يَــوْم فــتح مَكَّــة {فَخُــذُوهُمْ} وَأســـرُوهُمْ {واقتلــوهم حَيْــثُ ثقفْتُمُــوهُمْ} وَجَــدْتُمُوهُمْ فِــي الْحــل وَالْحــرم {وأولــئكم} يَعْنِــي أســداً وغطفــان {جَعَلْنَــا لَكُــمْ عَلَــيهِمْ سُــلْطَاناً مُّبِينــاً} حجَّــة بَيِّنَــة بِالْقَتْــل. (5)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (البغــوي) - (مُحيــي السُّــنَّة) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {91} قولــه تعــالى: {سَــتَجِدُونَ آخَــرِينَ} [النســاء: 91] عَــنْ (ابْــنِ عَبَّــاسٍ) - رَضِــيَ اللَّــهُ عَنْهُمَــا-: هُــمْ أَسَــدٌ وغَطَفَــانُ كَــانُوا حَاضِــرِي الْمَدِينَــةِ تَكَلَّمُــوا بِالْإِسْــلَامِ رِيَــاءً وَهُــمْ غَيْــرُ مُسْــلِمِينَ، وَكَــانَ الرَّجُــلُ مِــنْهُمْ يَقُــولُ لَــهُ قَوْمُــهُ بِمَــاذَا أَسْــلَمْتَ؟ فَيَقُــولُ: آمَنْــتُ بِهَــذَا الْقِــرْدِ وَبِهَــذَا الْعَقْــرَبِ وَالْخُنْفُسَــاءِ وَإِذَا لَقُــوا أَصْــحَابَ النَّبِــيِّ - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- قَــالُوا: إِنَّــا عَلَــى دِيــنِكُمْ، يُرِيــدُونَ بِــذَلِكَ الْأَمْنَ فِي الْفَرِيقَيْنِ،

(5) انظــر : (تنــوير المقبــاس مــن تفســير ابــن عبــاس) في ســورة (النســاء) الآيــة (91). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): هُمْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ كَانُوا بِهَذِهِ الصِّفَةِ {يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ} فَلاَ تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ، {وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ} فلا يتعرضوا لهم، {كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ} أَيْ: دُعُوا إِلَى الشِّرْكِ {أُرْكِسُوا فِيهَا} أَيْ: رَجَعُوا وَعَادُوا إِلَى الشِّرْكِ، {فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ} أَيْ: فَإِنْ لَمْ يَكُفُّوا عَنْ قِتَالِكُمْ حَتَّى تَسِيرُوا إِلَى مَكَّةَ، {وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ} أي: المفادة والصلح، {وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ} وَلَمْ يَقْبِضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ، {فَخُذُوهُمْ} أسراء، {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} أي: وجدتموهم، {وَأُولَئِكُمْ} أَيْ: أَهْلُ هَذِهِ الصِّفَةِ، {جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} {النساء: 91} أَيْ: حُجَّةً بَيِّنَةً ظَاهِرَةً بِالْقَتْلِ والقتال.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- المراد بالمنافقين المذكورين في هذه الآيات: المنافقون المظهرون إسلامهم، ولم يهاجروا مع كفرهم، وكان قد وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم فيهم اشتباه، فبعضهم تحرج عن قتالهم، وقطع موالاتهم بسبب ما أظهروه من الإيمان، وبعضهم علم أحوالهم بقرائن أفعالهم فحكم بكفرهم. فأخبرهم الله تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشتبهوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وودوا مع ذلك كفركم وأن تكونوا مثلهم. فإذا تحققتم ذلك منهم {فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ} وهذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة.

ويستلزم أيضا بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يجري أحكام الإسلام لكل مَنْ كان معه وهاجر إليه، وسواء كان مؤمنا حقيقة أو ظاهر الإيمان.

وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها {فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} أي: في أي وقت وأي محل كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد التحريم في الأشهر الحرم.

ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فِرَق: فرقتين أمر بتركهم وحتَّم (على) ذلك،

إحداهما: من يصل إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال.

والفرقة الثانية: قوم {حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ} أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضا أمر بتركهم، وذكر الحكمة في ذلك في قوله: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ}

فإن الأمور المكنة ثلاثة أقسام: إما أن يكونوا معكم ويقاتلوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء، فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (91).

وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، والله قادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن من ذلك.

{فَـ} هؤلاء {إِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} .

الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ} أي: من هؤلاء المنافقين. {يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ} أي: خوفا منكم {وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا} أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عارض من عوارض الفتن أعماهم ونكسهم على رءوسهم، وازداد كفرهم ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة مخالفة لها.

فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين احترامًا لهم لا خوفا على أنفسهم، وأما هذه الفرقة فتركوه خوفا لا احتراما، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم ويتضح اتضاحا عظيمًا اعتزال المؤمنين وترك قتالهم، فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: {فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ} أي: المسالمة والموادعة . {وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} أي: حجة بينة واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسالمة، فلا يلوموا إلا أنفسهم.(1)

* * *

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (92) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94)

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- خفاء حال بعض المنافقين أوقع الخلاف بين المؤمنين في حكم التعامل معهم.
- بيان كيفية التعامل مع المنافقين بحسب أحوالهم ومقتضى المصلحة معهم.
- عدل الإسلام في الكف عمَّن لم تقع منه أذية متعدية من المنافقين.
- يكشف الجهاد في سبيل الله أهل النفاق بسبب تخلفهم عنه وتكلف أعذارهم.(2)

* * *

[٩٢] ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (91)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (92/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

وما ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلا أن يقع ذلك منه على وجه الخطأ، ومن قتل مؤمنًا على وجه الخطأ فعليه عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، وعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مُسَلَّمَة إلى ورثة القتيل، إلا أن يعفوا عن الدية فتسقط. فإن كان القتيل من قوم محاربين لكم وهو مؤمن" فيجب على القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة، ولا دية عليه، وإن كان القتيل غير مؤمن لكنه من قوم بينكم وبينهم عهد مثل أهل الذمة، فعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مُسَلَّمَة إلى ورثة القتيل، وعلى القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، فإن لم يجد من يعتقه أو لا يستطيع أن يدفع ثمنه، فعليه صيام شهرين متصلين بلا انقطاع لا يفطر فهما، ليتوب الله عليه مما فعل، وكان الله عليمًا بأعمال عباده ونياتهم، حكيمًا في تشريعه وتدبيره. (1)

* * *

يَعْنِي:- ولا يحق لمؤمن الاعتداء على أخيه المؤمن وقتله بغير حق، إلا أن يقع منه ذلك على وجه الخطأ الذي لا عمد فيه، ومن وقع منه ذلك الخطأ فعليه عتق رقبة مؤمنة، وتسليم دية مقدرة إلى أوليائه، إلا أن يتصدقوا بها عليه ويعفوا عنه. فإن كان المقتول من قوم كفار أعداء للمؤمنين، وهو مؤمن بالله تعالى، وبما أنزل من الحق على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم-، فعلى قاتله عتق رقبة مؤمنة، وإن كان من قوم بينكم وبينهم عهد وميثاق، فعلى قاتله دية تسلم إلى أوليائه وعتق رقبة مؤمنة، فمن لم يجد القدرة على عتق رقبة مؤمنة، فعليه صيام شهرين متتابعين" ليتوب الله تعالى عليه. وكان الله تعالى عليما بحقيقة شأن عباده، حكيمًا فيما شرعه لهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن تقسيم المنافقين ذلك التقسيم للاحتياط، حتى لا يُقتَل مؤمن على ظن أنه منافق، لأن قتل المؤمن لا يجوز إلا أن يقع ذلك خطأ غير مقصود، وفى حال قتل المؤمن خطأ إن كان يعيش فى ولاية الدولة الإسلامية تدفع الدية لأهله تعويضاً عما فقدوه، وتعتق رقبة مؤمنة ليعوض جماعة المؤمنين عما فقدت، لأن عتق الرقبة المؤمنة إحياء لها بالحرية، فكأنه يكتفى بتحرير رقبة مؤمنة ليعوض المؤمنين عن فقده وإن كان ينتمى لقوم بينهم وبين المسلمين معاهدة

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (93/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

سلم، فإنه يجب تحرير رقبة مؤمنة، وتسليم الدية لأهل المقتول، لأنهم لعهدهم لا يتخذونها لإيذاء المسلمين، وإذا كان القاتل خطأ لا يجد رقبة مؤمنة يعتقها، فإنه يصوم شهرين متتابعين لا يفطر يوما فهما، لأن ذلك يكون تهذيباً لنفسه وتربية لها على الاحتراس، واللّه - سبحانه وتعالى - عليم بالنفوس والنيات، حكيم يضع العقوبات في مواضعها.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ} ... وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله.

{أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً} ... ابتداء غير قصاص.

{إِلا خَطَأً} ... أي: إلا قتلاً خطأ، وهو أن لا يتعمد قتله" كأن يرمي صيداً فيصيب إنساناً.

{إِلاَ خَطَأً} ... إلا على وجه الخطأ. وهو منصوب على أنه مفعول له، أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل وللخطأ وحده.

ويجوز أن يكون حالا، بمعنى: لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ.

ويجوز أن يكون صفة للمصدر: إلا قتلا خطأ.

والمعنى: أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد.

{رَقَبَة} ... أي: مملوك عبداً كان أو أمة.

{مُسَلَّمَة} ... مؤداة وافية.

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا} ... أَيْ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْدُر مِنْهُ قَتْل لَهُ.

{إِلَا خَطَأً} ... مُخْطِئًا فِي قَتْله مِنْ غَيْر قَصْد.

{وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً} ... بِأَنْ قَصَدَ رَمْي غَيْره كَصَيْدٍ أَوْ شَجَرَة فَأَصَابَهُ أَوْ ضَرَبَهُ بِمَا لَا يَقْتُل غَالِبًا.

{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} .... فعليه تحرير رقبة. والتحرير: الإعتاق. والرقبة: النسمة. والمراد برقبة مؤمنة: كل رقبة تكون على حكم الإسلام. وقد قيل: لا تجزىء إلا رقبة من صلت وصامت. ولا تجزىء الصغيرة.

والعلة في هذا أنه لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها، من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار.

{فَتَحْرِير} ... عتق. {رَقَبَة} ... نَسَمَة.

{مُؤْمِنَة} ... عَلَيْه.

{وَدِيَة مُسَلَّمَة} ... مُؤَدَّاة.

{وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ} ... إلى أهله مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث، لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء، يقضى فيها الدين وتنفذ الوصية، وإن لم يكن وارث فهي لبيت المال.

{إلَى أَهْله} ... أَيْ: وَرَثَة الْمَقْتُول.

{إلا أَنْ يَصَّدَّقُوا} ... أي: يتصدقوا بها على القاتل فلا يطالبوا بها ولا يأخذوها منه.

{إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا} ... إلا أن يتصدقوا عليه بالدية، ومعناه العفو.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (125/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا} ... أي: إلا أن يَتَصَدَّقَ أهلُ القتيل عَلَى القاتل بِالدِّية ويَعْفُوا عنه.

{إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا} ... يَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِ بِهَا بِأَنْ يَعْفُوا عَنْهَا وَبَيَّنَتْ السُّنَّة أَنَّهَا مِائَة مِنْ الْإِبِل عِشْرُونَ بِنْت مَخَاض وَكَذَا بَنَات لَبُون وَبَنُو لَبُون وَحِقَاق وَجِذَاع وَأَنَّهَا عَلَى عَاقِلَة الْقَاتِل وَهُمْ عَصَبَته فِي الْأَصْل وَالْفَرْع مُوَزَّعَة عَلَيْهِمْ عَلَى ثَلَاث سِنِينَ عَلَى الْغَنِيّ مِنْهُمْ نِصْف دِينَار وَالْمُتَوَسِّط رُبْع كُلّ سَنَة فَإِنْ لَمْ يَفُوا فَمِنْ بَيْت الْمَال فَإِنْ تَعَذَّرَ فَعَلَى الْجَانِي.

{فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ} ... أي: من قوم كفار أهل حرب، وذلك أن رجلا أسلم فى قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم، فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ، وليس على عاقلته لأهله شيء، لأنهم كفار محاربون.

{فَإِنْ كَانَ} ... الْمَقْتُول.

{مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ} ... حَرْب .

{لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِن فَتَحْرِير رَقَبَة مُؤْمِنَة} عَلَى قَاتِله كَفَّارَة وَلَا دِيَة تُسَلَّم إلَى أَهْله لِحِرَابَتِهِمْ.

{وَإِنْ كَانَ} ... الْمَقْتُول.

{مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} ... عَهْد كَأَهْلِ الذِّمَّة.

{فَدِيَة} ... لَهُ.

{مُسَلَّمَة إلَى أَهْله} ... وَهِيَ ثُلُث دِيَة الْمُؤْمِن إنْ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَثُلُثَا عُشْرهَا إنْ كَانَ مَجُوسِيًّا.

{وَتَحْرِير رَقَبَة مُؤْمِنَة} ... عَلَى قَاتِله.

{فَمَنْ لَمْ يَجِد} ... الرَّقَبَة بِأَنْ فَقَدَهَا وَمَا يُحَصِّلهَا بِهِ.

{فَصِيَام شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ} ... عَلَيْهِ كَفَّارَة وَلَمْ يَذْكُر اللَّه تَعَالَى الِانْتِقَال إلَى الطَّعَام كَالظِّهَارِ وَبِهِ أَخَذَ الشَّافِعِيّ فِي أَصَحّ قَوْلَيْهِ.

{تَوْبَة مِنْ اللَّه} ... مَصْدَر مَنْصُوب بِفِعْلِهِ الْمُقَدَّر.

{وَكَانَ اللَّه عَلِيمًا} ... بِخَلْقِهِ.

{حَكِيمًا} ... فِيمَا دَبَّرَهُ لَهُمْ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ) يقول: ماكان له ذلك فيما أتاه من ربه، من عهد الله الذي عهد إليه. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (فتحرير رقبة مؤمنة)، يعني بالمؤمنة: من عقل الإيمان وصام وصلى فإن لم يجد رقبة، فصيام شهرين متتابعين، وعليه دية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا بها عليه. (2)(3)

* * *

قال: الإمَامُ (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي. أخبرنا جرير عن منصور، عن

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (92). الناشر: (مؤسسة الرسالة).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (92).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (92).

إبراهيم، عن عُبيد بن نضيلة الخُزاعي، عن (المغيرة بن شعبة). قال: ضربتْ امرأة ضرتها بعمود فسطاط وهي حبلى. فقتلتها. قال: وإحداهما لحيانية. قال: فجعل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دية المقتولة على عصبة القاتلة. وغرّة لما في بطنها فقال: رجل من عصبة القاتلة: أنغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل؟ فمثل ذلك يُطل. فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " أسجع كسجع الأعراب"؟ قال: وجعل عليهم الدية. (1)

* * *

أخرج الإمام (مالك) في (مُوطَّأ). -من طَرِيق- هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ (عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ)، عَنْ (مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ) أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ بِتِلْكَ الْجَارِيَةِ السَّوْدَاءِ قَالَ: لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَيْنَ اللَّهُ؟ " قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: "مَنْ أَنَا" قالت: أنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ". (2)

* * *

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1310/3)، (ح 1682)-(كتاب: القسامة)،/ باب:(دية الجنين).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإمام (مالك) في (الموطا) برقم (777/2).
وأخرجه الإمام (الشافعي) في (مسنده) برقم (1196)
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (447/5)
وأخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (537)
وأخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (2384)
وأخرجه الإمام (النساء) في (السنن) برقم (14/3).
وأخرجه الإمام (ابن كثير). في (تفسير القرآن العظيم) برقم (2-375)، الناشر: (دار طيبة للنشر والتوزيع)، الطبعة: الثانية (1420هـ - 1999 م).

قال: الإمام (الطبري) – والإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: فإن كان في أهل الحرب وهو مؤمن، فقتله خطأ، فعلى قاتله أن يكفر بتحرير رقبة مؤمنة أو صام شهرين متتابعين ولا دية عليه. (3)(4)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا قيس بن حفص حدثنا عبد الواحد حدثنا الحسن بن عمرو، حدثنا (مجاهد) عن (عبد الله بن عمرو) -رضي الله عنهما- عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)). (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – والإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله) وإذا كان كافرا في ذمتكم فقتل، فعلى قاتله الدية مسلمة إلى أهله، وتحرير رقبة مؤمنة أو صيام شهرين متتابعين. (6)(1)

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (92).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (92).

(5) (صَحِيح) : أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (311/6)، (ح 3166)-(كتاب: الجزية)،/ باب: (إثم من قتل معاهداً بغير جرم).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (92).

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا عمار بن خالد التمار، ثنا أسباط، عن داود بن أبي هند، عن (عكرمة) قال: اذا كان (فمن لم يجد) فالأول فالأول.(2)

ورجاله ثقات و(سنده صحيح)، و(أسباط هو ابن محمد).

* * *

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ} مَا جَازَ لمُؤمن عَيَّاش بن أبي ربيعَة {أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً} حَارِث بن زيد {إِلا خطأ} وَلَا خطأ {وَمن قتل مُؤمنا خطأ} بخطأ {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} فَعَلَيهِ عتق رَقَبَة مؤمنَة بِاللَّه وَرَسُوله {وديةٌ مُسَلَّمَةٌ} كَامِلَة {إِلَى أَهْلِهِ} تُؤَدّى إِلَى أَوْلِيَاء الْمَقْتُول {إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا} إِلَّا أَن يصدق أَوْلِيَاء الْمَقْتُول بِالدِّيَة على الْقَاتِل {فَإِن كَانَ} الْمَقْتُول {مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ} حَرْب لكم {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} يَعْنِي الْمَقْتُول {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} فعلى الْقَاتِل عتق رَقَبَة مؤمنَة بِاللَّه وَرَسُوله وَلَيْسَ عَلَيْهِ الدِّيَة وَكَانَ الْحَارِث من قوم كَانُوا حَربًا لرَسُول الله - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- {وَإِن كَانَ} الْمَقْتُول {مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ} عهد وَصلح {فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ} كَامِلَة {إِلَى أَهْلِهِ} تُؤَدّى إِلَى أَوْلِيَاء الْمَقْتُول {وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} وَعَلِيهِ عتق رَقَبَة مُوَحدَة مصدقة بتوحيد الله {فَمَن لَّمْ يَجِدْ} التَّحْرِير {فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ} فَعَلَيهِ صِيَام شَهْرَيْن متواصلين لَا يفرق فِي صِيَامه بَين يَوْمَيْنِ {تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ} تجاوزاً من الله لقَاتل الْخَطَأ إِن فعل ذَلِك {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً} بِقَاتِل الْخَطَأ {حَكِيماً} فِيمَا حكم عَلَيْهِ.(3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {92} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً} {النساء: 92} وَهَذَا نَهْيٌ عَنْ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ} {الْأَحْزَاب: 53} (إِلَّا خَطَأً) اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ مَعْنَاهُ: لَكِنْ إِنْ وَقَعَ خَطَأً، {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} أَيْ: فَعَلَيْهِ إِعْتَاقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ كَفَّارَةً، {وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ} كَامِلَةٌ، {إِلَى أَهْلِهِ} أَيْ: إلى أهل الْقَتِيلِ الَّذِينَ يرثونه، {إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا} أَيْ: يَتَصَدَّقُوا بِالدِّيَةِ فَيَعْفُوا وَيَتْرُكُوا الدِّيَةَ، {فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} أَرَادَ بِهِ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُسْلِمًا فِي دَارِ الْحَرْبِ مُنْفَرِدًا مَعَ الْكُفَّارِ فَقَتَلَهُ مَنْ لَمْ يعلم بإسلامه فلا دية عليه، وَعَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ،

يَعْنِي:- الْمُرَادُ مِنْهُ إِذَا كَانَ الْمَقْتُولُ مُسْلِمًا فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ نَسَبِ قَوْمٍ كُفَّارٍ، وَقَرَابَتُهُ فِي دَارِ الْحَرْبِ حَرْبٌ لِلْمُسْلِمِينَ فَفِيهِ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (92).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (92).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (92). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

الْكَفَّارَةُ وَلاَ دِيَةَ لِأَهْلِه، وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ زَيْد مِنْ قَوْمٍ كُفَّارٍ حَرْبٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَكَانَ فِيهِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ دِيَةٌ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ قَوْمِه وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَهْدٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} أَرَادَ بِهِ إِذَا كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا ذِمِّيًّا أَوْ مُعَاهِدًا فَيَجِبُ فِيهِ الدِّيَةُ وَالْكَفَّارَةُ، وَالْكَفَّارَةُ تَكُونُ بِإِعْتَاقِ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ سَوَاءٌ كَانَ الْمَقْتُولُ مُسْلِمًا أَوْ مُعَاهِدًا رَجُلًا كَانَ أَوِ امْرَأَةً حُرًّا كَانَ أَوْ عَبْدًا وَتَكُونُ فِي مَالِ الْقَاتِلِ،

{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ} وَالْقَاتِلُ إِنْ كَانَ وَاجِدًا لِلرَّقَبَةِ أَوْ قَادِرًا عَلَى تَحْصِيلِهَا بِوُجُودِ ثَمَنِهَا فَاضِلًا عَنْ نَفَقَتِهِ وَنَفَقَةِ عِيَالِهِ وَحَاجَتِهِ مِنْ مَسْكَنٍ وَنَحْوِهِ فَعَلَيْهِ الْإِعْتَاقُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى الصَّوْمِ فَإِنْ عَجَزَ عَنْ تَحْصِيلِهَا فَعَلَيْهِ صَوْمُ شَهْرَيْنِ متتابعين،

{تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ} أَيْ: جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ تَوْبَةً القاتل الخطأ.

{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا} بمن قتل خطأ.

{حَكِيمًا} {النساء: 92} فيما حكم به عليكم. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {92} {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

هذه الصيغة من صيغ الامتناع، أي: يمتنع ويستحيل أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن، أي: متعمدا، وفي هذا الإخبار بشدة تحريمه وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو من فاسق قد نقص إيمانه نقصا عظيما، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك، فإن الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذي قد عقد الله بينه وبينه الأخوة الإيمانية التي من مقتضاها محبته وموالاته، وإزالة ما يعرض لأخيه من الأذى، وأي أذى أشد من القتل؟ وهذا يصدقه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض" ﴿ص:193﴾

فعلم أن القتل من الكفر العملي وأكبر الكبائر بعد الشرك بالله. ولما كان قوله: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا} لفظا عاما لجميع الأحوال، وأنه لا يصدر منه قتل أخيه بوجه من الوجوه، استثنى تعالى قتل الخطأ فقال: {إِلا خَطَأً} فإن المخطئ الذي لا يقصد القتل غير آثم، ولا مجترئ على محارم الله، ولكنه لما كان قد فعل فعلا شنيعًا وصورته كافية في قبحه وإن لم يقصده أمر تعالى بالكفارة والدية فقال: {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً} سواء كان القاتل ذكرًا أو أنثى حرًا أو عبدًا، صغيرًا أو كبيرًا، عاقلا أو مجنونًا، مسلمًا أو

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (92).

كافراً، كما يفيده لفظ "مَنْ" الدالة على العموم وهذا من أسرار الإتيان بـ "مَنْ" في هذا الموضع، فإن سياق الكلام يقتضي أن يقول: فإن قتله، ولكن هذا لفظ لا يشمل ما تشمله "مَنْ" وسواء كان المقتول ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، كما يفيده التنكير في سياق الشرط، فإن على القاتل { تحرير رقبة مؤمنة } كفارة لذلك، تكون في ماله، ويشمل ذلك الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والصحيح والمعيب، في قول بعض العلماء.

ولكن الحكمة تقتضي أن لا يجزئ عتق المعيب في الكفارة؛ لأن المقصود بالعتق نفع العتيق، وملكه منافع نفسه، فإذا كان يضيع بعتقه، وبقاؤه في الرق أنفع له فإنه لا يجزئ عتقه، مع أن في قوله: { تحرير رقبة } ما يدل على ذلك؛ فإن التحرير: تخليص من استحقت منافعه لغيره أن تكون له، فإذا لم يكن فيه منافع لم يتصور وجود التحرير. فتأمل ذلك فإنه واضح.

وأما الدية فإنها تجب على عاقلة القاتل في الخطأ وشبه العمد. {مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ} جبراً لقلوبهم، والمراد بأهله هنا هم ورثته، فإن الورثة يرثون ما ترك، الميت، فالدية داخلة فيما ترك وللدية تفاصيل كثيرة مذكورة في كتب الفقه.

وقوله: {إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا} أي: يتصدق ورثة القتيل بالعفو عن الدية، فإنها تسقط، وفي ذلك حث لهم على العفو لأن الله سماها صدقة، والصدقة مطلوبة في كل وقت. {فَإِنْ كَانَ} المقتول {مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ} أي: من كفار حربيين {وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} أي: وليس عليكم لأهله دية، لعدم احترامهم في دمائهم وأموالهم.

{وَإِنْ كَانَ} المقتول {مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} وذلك لاحترام أهله بما لهم من العهد والميثاق.

{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ} الرقبة ولا ثمنها، بأن كان معسرا بذلك، ليس عنده ما يفضل عن مؤنته وحوائجه الأصلية شيء يفي بالرقبة،

{فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ} أي: لا يفطر بينهما من غير عذر، فإن أفطر لعذر فإن العذر لا يقطع التتابع، كالمرض والحيض ونحوهما. وإن كان لغير عذر انقطع التتابع ووجب عليه استئناف الصوم.

{تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ} أي: هذه الكفارات التي أوجبها الله على القاتل توبة من الله على عباده ورحمة بهم، وتكفير لما عساه أن يحصل منهم من تقصير وعدم احتراز، كما هو واقع كثيراً للقاتل خطأ.

{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} أي: كامل العلم كامل الحكمة، لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، في أي وقت كان وأي محل كان.

ولا يخرج عن حكمته من المخلوقات والشرائع شيء، بل كل ما خلقه وشرعه فهو متضمن لغاية الحكمة، ومن علمه وحكمته أن أوجب على القاتل كفارة مناسبة لما صدر منه، فإنه تسبب لإعدام نفس محترمة، وأخرجها من الوجود إلى العدم، فناسب أن يعتق رقبة ويخرجها من رق العبودية للخلق إلى الحرية

التامة، فإن لم يجد هذه الرقبة صام شهرين متتابعين، فأخرج نفسه من رق الشهوات واللذات الحسية القاطعة للعبد عن سعادته الأبدية إلى التعبد لله تعالى بتركها تقربا إلى الله.

ومدها تعالى بهذه المدة الكثيرة الشاقة في عددها ووجوب التتابع فيها، ولم يشرع الإطعام في هذا الموضع لعدم المناسبة. بخلاف الظهار، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ومن حكمته أن أوجب في القتل الدية ولو كان خطأ، لتكون رادعة وكافة عن كثير من القتل باستعمال الأسباب العاصمة عن ذلك.

ومن حكمته أن وجبت على العاقلة في قتل الخطأ، بإجماع العلماء، لكون القاتل لم يذنب فيشق عليه أن يحمل هذه الدية الباهظة، فناسب أن يقوم بذلك من بينه وبينهم المعاونة والمناصرة والمساعدة على تحصيل المصالح وكف المفاسد﴿ولعل ذلك من أسباب منعهم لمن يعقلون عنه من القتل حذرًا من تحميلهم﴾ ويخف عنهم بسبب توزيعه عليهم بقدر أحوالهم وطاقتهم، وخففت أيضا بتأجيلها عليهم ثلاث سنين.

ومن حكمته وعلمه أن جبر أهل القتيل عن مصيبتهم، بالدية التي أوجبها على أولياء القاتل. (1)

* * *

[٩٣] ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾:

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (92)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ومن يقتل مؤمنًا على وجه القصد بغير حق" فجزاؤه دخول جهنم خالدًا فيها، وغضب الله عليه، وطرده من رحمته، وأعد له عذابًا عظيمًا لاقترافه هذا الذنب الكبير. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن يَعْتَدِ على مؤمن فيقتله عن عمد بغير حق فعاقبته جهنم، خالدًا فيها مع سخط الله تعالى عليه وطَرْدِه من رحمته، إن جازاه على ذنبه وأعدَّ الله له أشد العذاب بسبب ما ارتكبه من هذه الجناية العظيمة. ولكنه سبحانه يعفو ويتفضل على أهل الإيمان فلا يجازيهم بالخلود في جهنم. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن من يقتل مؤمنا قتلاً عدواناً متعمداً مستحلاً ذلك القتل، يكون جزاؤه الذى يكافئ جريمته أن يدخل جهنم ويستمر فيها، ويغضب اللَّه عليه ويطرده من رحمته وقد أعد اللَّه له فى الآخرة عذاباً عظيماً، فإن هذه أكبر جريمة فى الدنيا. (4)

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {93} {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (93/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (126/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾.

تقدم أن الله أخبر أنه لا يصدر قتل المؤمن من المؤمن، وأن القتل من الكفر العملي، وذكر هنا وعيد القاتل عمدا، وعيدا ترجف له القلوب وتنصدع له الأفئدة، وتنزعج منه أولو العقول.

فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاءه جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار، وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار. فعياذًا بالله من كل سبب يبعد عن رحمته.

وهذا الوعيد له حكم أمثاله من نصوص الوعيد، على بعض الكبائر والمعاصي بالخلود في النار، أو حرمان الجنة.

وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في تأويلها مع اتفاقهم على بطلان قول الخوارج والمعتزلة الذين يخلدونهم في النار ولو كانوا موحدين. والصواب في تأويلها ما قاله الإمام المحقق: شمس الدين بن القيم رحمه الله في "المدارج" فإنه قال - بعدما ذكر تأويلات الأئمة في ذلك وانتقدها فقال:

وقالت فرقة: هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة، ولا يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه.

وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتض لها، وقد قام الدليل على ذكر الموانع فبعضها بالإجماع، وبعضها بالنص. فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين.

ومن هنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات، اعتبارًا بمقتضي العقاب ومانعه، وإعمالا لأرجحها.

قالوا: وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما. وعلى هذا بناء الأحكام الشرعية والأحكام القدرية، وهو مقتضى الحكمة السارية في الوجود، وبه ارتباط الأسباب ومسبباتها خلقا وأمرا، وقد جعل الله سبحانه لكل ضد ضدا يدافعه ويقاومه، ويكون الحكم للأغلب منهما.

فالقوة مقتضية للصحة والعافية، وفساد الأخلاط وبغيها مانع من عمل الطبيعة، وفعل القوة والحكم للغالب منهما، وكذلك قوى الأدوية والأمراض. والعبد يكون فيه مقتض للصحة ومقتض للعطب، وأحدهما يمنع كمال تأثير الآخر ويقاومه، فإذا ترجح عليه وقهره كان التأثير له.

ومِنْ هنا يعلم انقسام الخلق إلى مَنْ يدخل الجنة ولا يدخل النار، وعكسه، ومَنْ يدخل النار ثم يخرج منها ويكون مكثه فيها بحسب ما فيه من مقتضى المكث في سرعة الخروج وبطئه. ومن له بصيرة منورة يرى

بها كل ما أخبر الله به في كتابه من أمر المعاد وتفاصيله، حتى كأنه يشاهده رأي عين.

ويعلم أن هذا هو مقتضى إلهيته سبحانه، وربوبيته وعزته وحكمته وأنه يستحيل عليه خلاف ذلك، ونسبة ذلك إليه نسبة ما لا يليق به إليه، فيكون نسبة ذلك إلى بصيرته كنسبة الشمس والنجوم إلى بصره.

وهذا يقين الإيمان، وهو الذي يحرق السيئات، كما تحرق النار الحطب، وصاحب هذا المقام من الإيمان يستحيل إصراره على السيئات، وإن وقعت منه وكثرت، فإن ما معه من نور الإيمان يأمره بتجديد التوبة كل وقت بالرجوع إلى الله في عدد أنفاسه، وهذا من أحب الخلق إلى الله. انتهى كلامه قدس الله روحه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثُمَّ نزل في شَأْن مقيس ابْن حبابة قَاتل رَسُول الله - صلى الله عَلَيْه وَسلم -الفهري بعد أَخذه دِيَة أَخِيه هِشَام بن صَبَابَة وارتد بعد ذَلِك عَن دينه وَرجع إِلَى مَكَّة كَافِرًا فَنزل فِيهِ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً﴾ بقتْله ﴿فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ بقتْله ﴿خَالِداً فِيهَا﴾ بشركه ﴿وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ﴾ بِأَخْذه الدِّيَة ﴿وَلَعَنَهُ﴾ بقتْله غير قَاتل أَخِيه ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ شَدِيدا بجرأته على الله.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {93} قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ {النساء: 93} الْآيَةَ،

نَزَلَتْ فِي (مِقْيَسِ بْنِ صبابة الكندي)، وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ هُوَ وَأَخُوهُ هِشَامٌ فَوَجَدَ أَخَاهُ هِشَامًا قَتِيلًا فِي بَنِي النَّجَّارِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فذكر له ذلك فأرسل لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعَهُ رَجُلًا مِنْ بَنِي فِهْرٍ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَأْمُرُكُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ قَاتِلَ هِشَامِ بْنِ صُبَابَةَ أَنْ تَدْفَعُوهُ إِلَى مِقْيَسٍ فَيَقْتَصَّ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا أَنْ تَدْفَعُوا إِلَيْهِ دِيَتَهُ، فَأَبْلَغَهُمُ الْفِهْرِيُّ ذَلِكَ فَقَالُوا: سَمْعًا وَطَاعَةً للَّه ولرسوله، وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ لَهُ قَاتِلًا وَلَكِنَّا نُؤَدِّي دِيَتَهُ فَأَعْطَوْهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، ثُمَّ انْصَرَفَا رَاجِعَيْنِ نحو المدينة فَأَتَى الشَّيْطَانُ مِقْيَسًا فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقْبَلُ دِيَةَ أَخِيكَ فَتَكُونُ عَلَيْكَ مَسَبَّةً، اقْتُلِ الَّذِي مَعَكَ فَتَكُونَ نَفْسٌ مَكَانَ نَفْسٍ وَفَضْلُ الدِّيَةِ، فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله، ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرًا وَسَاقَ بَقِيَّتَهَا رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ كَافِرًا فَنَزَلَ فِيهِ: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا} بكفره وارتداده، هُوَ الَّذِي اسْتَثْنَاهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، عَمَّنْ أَمَّنَهُ فَقُتِلَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (93)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (93). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ} أَيْ: طَرَدَهُ عَنِ الرَّحْمَةِ، {وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} {النساء: 93}. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البُخَارِي) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن عرعرة، قال: حدثنا شعبة عن زبيد قال: سألت أبا وائل عن المرجئة، فقال: حدثني (عبد الله) أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((سِباب المسلم فسُوق وقتاله كفر)). (2)(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البُخَارِي) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا علي حدثنا إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن (ابن عمر) -رضي الله عنهما - قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصب دماً حَراماً)). (4)(5)

* * *

قال: الإِمَامْ (البُخَارِي) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة حدثنا مغيرة بن النعمان قال سمعت (سعيد بن جبير) قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة، فرحلتُ فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء. (6)

* * *

وانظر: سورة - (الفرقان) - آية (68). - كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68)}.

* * *

قال: الإِمَامْ (النسائي) - (رحمه الله) - في (سُننه): أخبرني محمد بن بشار عن عبد الوهاب قال: حدثنا محمد ابن عمرو عن موسى بن عقبة عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن (زيد بن ثابت). في قوله: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) قال: نزلت هذه الآية بعد التي في تبارك الفرقان بثمانية أشهر (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق). (7)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية ( ).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (135/1)، (ح 48) – (كتاب: الايمان)، / باب: (خوف المؤمن من أن يحبط عمله ..).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (81/1) – (كتاب: الايمان)، / باب: (بيان قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "سباب المسلم فسوق").

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (194/12)، (ح 6862) – (كتاب: الديات)، / باب: قول الله تعالى (الآية).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (81/1) – (كتاب: الايمان)، / باب: (بيان قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((سباب المسلم فسوق)).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (106/8)، (ح 4590) – (كتاب: تفسير القرآن)، - (سورة النساء)، / باب: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم)).

(7) أخرجه الإِمَامْ (النساء) في (السنن) برقم (87/7)، (ح 695) – (كتاب تحريم الدم)، / باب: (تعظيم الدم)،
وأخرجه الإِمَامْ (الطبري) في (تفسيره) برقم (220/5)،
وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (136/5) - من طرق عن (محمد بن عمرو) به، وعند جميعهم: (بستة أشهر)، بدل (الثمانية).
وقد أخرج الإِمَامْ (النسائي) رواية (الستة أشهر) أيضا، لكن وقع في سندها: (محمد بن عمرو) عن (أبي الزناد)، بإسقاط (موسى بن عقبة)
قال: الإِمَامْ (الألباني) في الروايتين: (حسن صحيح).. ولفظ (بستة أشهر) (أصح). (صحيح سنن النسائي) في (ح 3742).
كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (3/ 505)، الطبعة: الأولى،

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبيد الله بن موسى، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن (عبد الله بن مسعود) قال: قال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أول ما يقضى بين الناس في الدماء)).(1) (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الرحمن بن المبارك، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب ويونس، عن الحسن، عن (الأحنف بن قيس) قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل، فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد؟ قلت: أنصر هذا الرجل. قال: ارجع، فإني سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار)).

قلت: يارسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: ((إنه كان حريصاً على قتل صاحبه)).(3)(4)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه): حدثنا محمد بن الصباح، ثنا سفيان بن عُيينة، عن عمار الدهني، عن سالم ابن أبي الجعد، قال: سئل (ابن عباس) عمّن قتل مؤمناً متعمداً ثم تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال: ويحه! وأنى له الهدى؟ سمعت نبيكم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((يجئ القاتل، والمقتول يوم القيامة متعلق برأس صاحبه يقول: ربّ! سَل هذا، لم قتلني))؟ والله! لقد أنزلها الله عز وجل على نبيكم، ثم ما نسخها بعد ما أنزلها.(5)

* * *

قال: الإِمَامْ (النسائي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- أخبرنا محمد بن المثنى قال: حدثنا صفوان بن عيسى، عن ثور، عن أبي عون عن أبي إدريس قال: سمعت معاوية يخطب -وكان قليل الحديث عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: سمعته يخطب يقول سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((لكل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (194/12)، (ح 6864) – (كتاب: الديات)، / باب: قول الله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) ،

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1304/3)، (ح 1678) – (كتاب: القسامة)، / باب: (المجازاة بالدماء في الآخرة) - من طريق- (عبدة بن سليمان ووكيع)، كلاهما - عن (الأعمش) به، وفيه: "يوم القيامة".

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (192/12)، (ح 6875) – (فتح الباري)- (كتاب: الديات)، / باب: قوله تعالى: (ومن أحياها ..) ،

(4) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2213/4)، (ح 2888)- (كتاب: الفتن وأشراط الساعة)، /باب: (إذا تواجه المسلمان بسيفهما) وعنده قول الأحنف: قال: قلت: أريد نصر ابن عم رسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يعنى علياً- ..) .

(5) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 2621) –(كتاب: الديات) /، باب: (هل لقاتل مؤمن توبة) .

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) (المسند) برقم (240/1) ،

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) (السنن) –(التحريم) برقم(85/7) - من طرق – عن (سالم) به نحوه.

وقال: الإِمَامْ (ابن كثير) في (التفسير) برقم (333/2) . : وقد روى هذا عن (ابن عباس) - من طرق كثيرة.

وقال: الإِمَامْ (الألباني): (صحيح) في (صحيح ابن ماجه) برقم (93/2) .

وأخرجه الإِمَامْ (الطبري) برقم (63/9)، (ح 10188) - من طريق- (يحيى الجابر عن سالم)، بزيادة ألفاظ فيه.

وقال: الشيخ (أحمد شاكر): وهو (حديث صحيح).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 93)، الطبعة: الأولى ،

الرجل يقتل المؤمن متعمداً، أو الرجل يموت كافراً)). (1)

* * *

وانظر: سورة – (الفرقان) - آية (69) . -
كما قال تعالى: {يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69)} .

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه): حدثنا هشام بن عمار، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا مروان بن جناح، عن أبي الجهم الجوزجاني، عن (البراء بن عازب)، أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)). (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (الضياء المقدسي) - (رحمه الله) - في (المختارة): أخبرنا عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد المروزي - بها - أن أبا الفضل محمد بن عبد الواحد بن محمد المغازلي أخبرهم - قراءةً عليه - أنا أبو الخير محمد بن أحمد بن ررَا الأصبهاني - قراءة عليه - أبنا أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ، ثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن خشرم، ثنا سُويد بن نصر، ثنا ابن المبارك، عن سليمان التيمي، عن (أنس بن مالك) - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أبى علَي أن يجعل لقاتل المؤمن توبة)). (3)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله لأن الله سبحانه: يقول: (فجزاؤه جهنم خالداً فيها

---

(1) أخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (81/7) – (تحريم الدم).

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (99/4) -عن (صفوان بن عيسى) به.

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (351/4) -من طريق- (بكار بن قتية عن صفوان، عن ثور) به.

قال: الإمام (الحاكم): (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي).

و(صححه) الإمام (الألبانى) في (صحيح النسائي) برقم (ح 3719) .

وللحديث شواهد، منها: عن (أبي الدرداء)،

أخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (318/13)، (ح 5980)

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (351/4) وغيرهما -من طرق - عن (عبد الله بن أبي زكريا عن أم الدرداء عن أبي الدرداء)، وفيه: " .. إلا من مات مشركاً"

قال: الإمام (الحاكم): (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي)

وأخرجه الإمام (البزار) في (المسند) برقم (163/7)، (ح 2730) .من حديث (عبادة بن الصامت) نحوه، وقال: الإمام (الهيثمي): رجاله ثقات (مجمع الزوائد) برقم (296/7) .

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 63)، الطبعة: الأولى ،

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 2619) - ((كتاب: الديات)، / باب: (التغليظ في قتل مسلم ظلماً)،

قال: الإمام (البوصيري): (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات).

وأخرج الإمام (البيهقى)، والإمام (الأصبهانى) من هذا الوجه وله شاهد من حديث (عبد الله بن عمرو)،

وأخرج الإمام (النسائي) في (الصغرى) من حديث – (بريدة بن الحصيب)، ومن حديث - (عبد الله بن مسعود) في (مصباح الزجاجة) برقم (83/2) .

و(حسن إسناده) الإمام (المنذرى) في (الترغيب) برقم (202/3)،

وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) في (صحيح ابن ماجة) برقم (92/1) .

وله شاهد أخرجه الإمام (النسائى) من حديث بريدة (السنن) برقم (83/7)

(صحح إسناده) الإمام (ابن الملقن) في (خلاصة البدر المنير) برقم (261/2) .

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 93)، الطبعة: الأولى ،

(3) أخرجه الإمام (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (163/6)، (ح 2164/)، قال محققه: (إسناده صحيح)،

و(صححه) الإمام (السيوطي) في (الجامع الصغير) برقم (71/1)،

و(صححه) الإمام (الألبانى) في (السلسلة الصحيحة) برقم (309/2)، (ح 689).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 93)، الطبعة: الأولى ،

وغضب الله عليه وأعد له عذابا عظيما). (1)(2)

* * *

{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ، خَالِدًا فِيهَا، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ، وَلَعَنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (3)

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) -، والإمام (النسائي) - و (أبو داود) - في (سُننهما) -(بسندهما):-، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: (سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْكَبَائِرُ؟ , فَقَالَ: " هُنَّ تِسْعٌ") (4) (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ , قَالَ: "الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وفي رواية: (وَتَعَلُّمُ السِّحْرِ) (5) وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالْحَقِّ") (6)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):-، وَعَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ , أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ , قَالَ: " أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا (7) وَهُوَ خَلَقَكَ (8) " , فَقَالَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ , ثُمَّ أَيٌّ؟ , قَالَ: " أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ (9) " , قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ , قَالَ: " أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ) (10)(11) . (فَأَنْزَلَ اللهُ - عز وجل - تَصْدِيقَهَا: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ , وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ , وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (12) يُضَاعَفْ لَهُ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (93).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (93).

(3) {النساء/93}.

(4) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2874).

(5) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (6559)، وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1447).
و(صححه الإمام (الألباني) في (الإرواء) برقم (2198، 2238)، وأنظر: (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب): برقم (1341، 2801)، و(صحيح موارد الظمآن) برقم (661). للإمام (الألباني)

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2615)، وأخرجه الإِمَامْ (مُسلِمْ) في (صحيحه) برقم (89).

(7) أَيْ: مِثْلًا وَنَظِيرًا فِي دُعَائِك أَوْ عِبَادَتك. عون المعبود - (ج 5 / ص 181).

(8) أَيْ: أَنَّهُ سُبْحَانه وَتَعَالَى انْفَرَدَ بِخَلْقِك , فَكَيْف لَك اتِّخَاذُ شَرِيك مَعَهُ وَجَعْل عِبَادَتك مَقْسُومَة بَيْنهمَا , فَإِنَّهُ تَعَالَى مَعَ كَوْنه مُنَزَّهًا عَنْ شَرِيك , وَكَوْنِ الشَّرِيك بَاطِلًا فِي ذَاته لَوْ فُرِضَ وُجُودُ شَرِيك - نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ - لَمَا حَسُنَ مِنْك اتِّخَاذُهُ شَرِيكًا مَعَهُ فِي عِبَادَتك بِنَاء عَلَى أَنَّهُ مَا خَلَقَك , وَإِنَّمَا خَلَقَك اللهُ تَعَالَى مُنْفَرِدًا بِخَلْقِك , وَفِي الْخِطَاب إِشَارَة إِلَى أَنَّ الشِّرْكَ مِنْ الْعَالِم بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيد أَقْبَحُ مِنْهُ مِنْ غَيْره. شرح سنن النسائي - (ج 5 / ص 394)
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(9) أَيْ: خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُل مَعَكَ , مِنْ جِهَة إِيثَار نَفْسه عَلَيْهِ عِنْدَ عَدَم مَا يَكْفِي، أَوْ مِنْ جِهَة الْبُخْل مَعَ الْوِجْدَان , وَهُوَ مَعْنَى قَوْله تَعَالَى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادكُمْ خَشْيَة إِمْلَاق) أَيْ: فَقْر. فتح الباري - (ج 13 / ص 276)

(10) أَيْ: زَوْجَة جَارك , وَمَعْنَى (تُزَانِي) أَيْ: تَزْنِي بِهَا بِرِضَاهَا، وَذَلِكَ يَتَضَمَّن الزِّنَا , وَهُوَ مَعَ امْرَأَة الْجَار أَشَدُّ قُبْحًا وَأَعْظَمُ جُرْمًا , لِأَنَّ الْجَار يَتَوَقَّع مِنْ جَاره الذَّبَّ عَنْهُ وَعَنْ حَرِيمه , وَيَأْمَن بَوَائِقه وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ، وَقَدْ أُمِرَ بِإِكْرَامه وَالْإِحْسَان إِلَيْهِ , فَإِذَا قَابَلَ هَذَا كُلّه بِالزِّنَا بِامْرَأَته وَإِفْسَادهَا عَلَيْهِ مَعَ تَمَكُّنه مِنْهَا عَلَى وَجْهٍ لَا يَتَمَكَّن غَيْره مِنْهُ كَانَ فِي غَايَةٍ مِنْ الْقُبْح. شرح النووي (ج 1 / ص 187).
وروى الإمام (أحمد) مِنْ حَدِيث الْمِقْدَاد بْن الْأَسْوَد قَالَ: " قَالَ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -: مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟ قَالُوا: حَرَام. قَالَ: لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُل بِعَشَرَةِ نِسْوَة أَيْسَر عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَاره ".فتح الباري - (ج 13 / ص 276).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(11) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (86), وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4207).

(12) الأَثَام: العقاب. تفسير الطبري - (ج 19 / ص 303).

الْعَـذَابُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ , وَيَخْلُـدْ فِيـهِ مُهَانًـا ﴾(1) "(2) (3)

* * *

وقال: الإمام (البُخَاري و مُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):-, وَعَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: "سِبَابُ(4) الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ(5) وَقِتَالُهُ كُفْرٌ" (6)

(6)

الشرح (7)

* * *

وقال: الإمام (البُخَاري و مُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):-, وَعَنْ (الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ) (8) قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ الرَّجُلَ (9) فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ – رضي الله عنه – فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ , قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ , قَالَ: ارْجِعْ , فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: " إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا , فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ " (10) , فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ , هَذَا

---

(1) هَذَا الْحَدِيث فِيهِ أَنَّ أَكْبَر الْمَعَاصِي الشِّرْك , وَهَذَا ظَاهِرٌ لَا خَفَاء فِيهِ , وَأَنَّ الْقَتْل بِغَيْرِ حَقٍّ يَلِيه ، وَكَذَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ الله عَنْهُ فِي (كِتَاب الشَّهَادَات مِنْ (مُخْتَصَر الْمُزَنِيِّ)، وَأَمَّا مَا سِوَاهُمَا مِنْ الزِّنَا وَاللِّوَاط وَعُقُوق الْوَالِدَيْنِ وَالسِّحْر وَقَذْف الْمُحْصَنَات وَالْفِرَار يَوْم الزَّحْف وَأَكْل الرِّبَا وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الْكَبَائِر فَلَهَا تَفَاصِيلُ وَأَحْكَامٌ تُعْرَف بِهَا مَرَاتِبهَا ، وَيَخْتَلِف أَمْرهَا بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَال وَالْمَفَاسِد الْمُرَتَّبَة عَلَيْه. شرح النووي على مسلم – (ج 1 / ص 187).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(2) {الفرقان: 69}.

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6468)، وأخرجه الإمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (86).

(4) (السِّبَاب) مَصْدَرُ سَبَّ يَسُبُّ سَبًّا وَسِبَابًا. (فتح – ح48).

(5) الفِسْقُ فِي اللُّغَة الْخُرُوجُ، وَفِي الشَّرْعِ الْخُرُوجُ عَنْ طَاعَةِ الله وَرَسُولِه , وَهُوَ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ أَشَدُّ مِنْ الْعِصْيَان.
قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ} , فَفِي الْحَدِيث تَعْظِيمُ حَقِّ الْمُسْلِم , وَالْحُكْمُ عَلَى مَنْ سَبَّهُ بِغَيْرِ حَقٍّ بِالْفِسْقِ. تحفة الأحوذي – (ج 5 / ص 224).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(6) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (28)، وأخرجه الإمَامُ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (64).

(7) إنْ قِيلَ: هَذَا وَإِنْ تَضَمَّنَ الرَّدّ عَلَى الْمُرْجِئَة , لَكِنَّ ظَاهِره يُقَوِّي مَذْهَب الْخَوَارِج الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ بِالْمَعَاصِي.
فَالْجَوَاب: أَنَّ الْمُبَالَغَة فِي الرَّدّ عَلَى الْمُبْتَدِع اقْتَضَتْ ذَلِكَ، وَلَا مُتَمَسَّك لِلْخَوَارِجِ فِيهِ؛ لِأَنَّ ظَاهِره غَيْر مُرَاد، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْقِتَال أَشَدّ مِنْ السِّبَاب – لِأَنَّهُ مُفْضٍ إِلَى إِزْهَاق الرُّوح – عَبَّرَ عَنْهُ بِلَفْظٍ أَشَدّ مِنْ لَفْظ الْفِسْق , وَهُوَ الْكُفْر، وَلَمْ يُرِدْ حَقِيقَة الْكُفْر الَّتِي هِيَ الْخُرُوج عَنْ الْمِلَّة، بَلْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الْكُفْر مُبَالَغَةً فِي التَّحْذِير، مُعْتَمِدًا عَلَى مَا تَقَرَّرَ مِنْ الْقَوَاعِد أَنَّ مِثْل ذَلِكَ لَا يُخْرِج عَنْ الْمِلَّة، مِثْل حَدِيث الشَّفَاعَة،
وَمِثْل قَوْله تَعَالَى: (إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِر أَنْ يُشْرَك بِهِ , وَيَغْفِر مَا دُون ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء).
أَوْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الْكُفْر لِشَبَهِهِ بِهِ؛ لِأَنَّ قِتَال الْمُؤْمِن مِنْ شَأْن الْكَافِر.

وَقِيلَ: الْمُرَاد هُنَا الْكُفْر اللُّغَوِيّ , وَهُوَ التَّغْطِيَة؛ لِأَنَّ حَقّ الْمُسْلِم عَلَى الْمُسْلِم أَنْ يُعِينهُ وَيَنْصُرهُ , وَيَكُفّ عَنْهُ أَذَاهُ، فَلَمَّا قَاتَلَهُ كَانَ كَأَنَّهُ غَطَّى عَلَى هَذَا الْحَقّ، وَالْأَوَّلَانِ أَوْلَى بِالْمَقْصُود مِنْ التَّحْذِير مِنْ فِعْل ذَلِكَ وَالزَّجْر عَنْهُ , بِخِلَافِ الثَّالِث.
وَقِيلَ: أَرَادَ بِقَوْلِهِ (كُفْر) أَيْ: قَدْ يَئُول هَذَا الْفِعْل بِشُؤْمِهِ إِلَى الْكُفْر، وَهَذَا بَعِيد وَأَبْعَد مِنْهُ: حَمْلُهُ عَلَى الْمُسْتَحِلّ لِذَلِكَ , وَلَوْ كَانَ مُرَادًا لَمْ يَحْصُل التَّفْرِيق بَيْن السِّبَاب وَالْقِتَال، فَإِنَّ مُسْتَحِلّ لَعْن الْمُسْلِم بِغَيْرِ تَأْوِيل يَكْفُر أَيْضًا.
ثُمَّ ذَلِكَ مَحْمُول عَلَى مَنْ فَعَلَهُ بِغَيْرِ تَأْوِيل.
وَمِثْل هَذَا الْحَدِيث: قَوْله – صلى الله عليه وسلم – " لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِب بَعْضُكُمْ رِقَاب بَعْض " , فَفِيهِ هَذِهِ الْأَجْوِبَة.
وَنَظِيره قَوْله تَعَالَى {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَاب وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} بَعْد قَوْله: {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارهمْ} الْآيَة.
فَدَلَّ عَلَى أَنَّ بَعْض الْأَعْمَال يُطْلَق عَلَيْهِ الْكُفْر تَغْلِيظًا.
وَأَمَّا قَوْله – صلى الله عليه وسلم – فِيمَا رَوَاهُ الإمام (مُسلِم): " لَعْن الْمُسْلِم كَقَتْلِهِ "، فَلَا يُخَالِف هَذَا الْحَدِيث؛ لِأَنَّ الْمُشَبَّه بِهِ فَوْق الْمُشَبَّه، وَالْقَدْر الَّذِي اشْتَرَكَا فِيهِ: بُلُوغ الْغَايَة فِي التَّأْثِير , هَذَا فِي الْعِرْض، وَهَذَا فِي النَّفْس. وَالله أَعْلَم. (فتح – ج1ص167).
فَالْمُؤْمِن إِذَا ارْتَكَبَ مَعْصِيَة , لَا يَكْفُر , لِأَنَّ الله تَعَالَى أَبْقَى عَلَيْهِ اسْم الْمُؤْمِن فَقَالَ: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} ثُمَّ قَالَ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَة فَأَصْلِحُوا بَيْن أَخَوَيْكُمْ}.
وَاسْتَدَلَّ أَيْضًا بِقَوْلِهِ – صلى الله عليه وسلم –: " إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا " , فَسَمَّاهُمَا مُسْلِمَيْنِ مَعَ التَّوَعُّد بِالنَّارِ، وَالْمُرَاد هُنَا: إِذَا كَانَتْ الْمُقَاتَلَة بِغَيْرِ تَأْوِيل سَائِغ. (فتح – (ج1ص127).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(8) الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْس: مُخَضْرَمٌ , وَقَدْ رَأَى النَّبِيَّ ؟ لَكِنْ قَبْلَ إِسْلَامِه , وَكَانَ رَئِيسَ بَنِي تَمِيم فِي الْإِسْلَام , وَبِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي الْحِلْم. (فتح – ح31).

(9) (هَذَا الرَّجُل) هُوَ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب , وَكَانَ الْأَحْنَفُ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ بِقَوْمِهِ إِلَى عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب لِيُقَاتِلَ مَعَهُ يَوْمَ الْجَمَل , فَنَهَاهُ أَبُو بَكْرَة فَرَجَعَ , وَحَمَلَ أَبُو بَكْرَة الْحَدِيث عَلَى عُمُومه فِي كُلّ مُسْلِمَيْنِ الْتَقَيَا بِسَيْفَيْهِمَا حَسْمًا لِلْمَادَّة , وَإِلَّا فَالْحَقّ أَنَّهُ مَحْمُول عَلَى مَا إِذَا كَانَ الْقِتَال مِنْهُمَا بِغَيْرِ تَأْوِيل سَائِغ كَمَا قَدَّمْنَاهُ , وَيُخَصُّ ذَلِكَ مِنْ عُمُوم الْحَدِيث الْمُتَقَدِّم بِدَلِيلِهِ الْخَاصّ فِي قِتَال أَهْل الْبَغْي , وَقَدْ رَجَعَ الْأَحْنَفُ عَنْ رَأْي أَبِي بَكْرَة فِي ذَلِكَ , وَشَهِدَ مَعَ عَلِيّ بَاقِي حُرُوبه. (فتح – ح31).

(10) سَمَّاهُمَا (مُسْلِمَيْنِ) مَعَ التَّوَعُّد بِالنَّار. (فتح – ج1ص128).

الْقَاتِلُ , فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ , قَالَ: " إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِه "[1][2]

* * *

وقال: الإمام (البُخَاري)، و (مُسلم)، - في (صحيحهما) - و الإمام (أبو داود)، و(إبن ماجة)، - في (سُننهما)، - والإمام (أحمد) في (مُسنده) - (رحمهم الله) – (بسندهم):-، وقَالَ: (جَابِرٌ) – رضي الله عنه – في صفة حَجّة – صلى الله عليه وسلم -: (" أَنَّهُ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِه (يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ)[3] (وَأَمْسَكَ[4] (وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ أَوْ بِزِمَامِهِ)[4][5] (فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ)[5] (ثُمَّ ذَكَرَ[6] ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِه , وَقَالَ: مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ , أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِه , وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ , فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِه فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ)[7] (بِأَعْوَرَ)[8] (وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى , كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ)[9] (أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ " , قُلْنَا: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ , " فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِه , قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ " , قُلْنَا: بَلَى)[10] (قَالَ: " فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ)[11] (هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ)[12] (أَفَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ ")[13] (فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ, " فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِه , فَقَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ؟ " , قُلْنَا: بَلَى)[14] قَالَ: (" أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ ")[15] (قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ , "فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِه قَالَ: أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟ " , قُلْنَا: بَلَى)[16] (قَالَ: " فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ, وَأَمْوَالَكُمْ , وَأَعْرَاضَكُمْ)[17][18] (إِلَّا بِحَقِّهَا , كَحُرْمَةِ

---

(1) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: هَذَا الْوَعِيد لِمَنْ قَاتَلَ عَلَى عَدَاوَة دُنْيَوِيَّة , أَوْ طَلَبِ مُلْك مَثَلًا، فَأَمَّا مَنْ قَاتَلَ أَهْل الْبَغْي , أَوْ دَفَعَ الصَّائِلَ فَقُتِلَ , فَلَا يَدْخُل فِي هَذَا الْوَعِيد , لِأَنَّهُ مَأذُونٌ لَهُ فِي الْقِتَال شَرْعًا. (فتح - ح31).

(2) (متفق عليه) : أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2031). و أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2888).

(3) أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (30) - (1679) ,
وأخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (67).

(4) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1655) ,
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1945) ,
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3058).

(5) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (67),
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (30) - (1679).

(6) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3087) ,
وأخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4141).

(7) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4141),
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (6185).

(8) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (6185) ,
وأخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4141),
وقال: (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).

(9) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4141).

(10) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1654) ,
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (29) - (1679).

(11) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1655).

(12) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1945).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1655).
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3058).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (15927).

(13) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1655).

(14) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1654).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (29) - (1679).

(15) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1655).

(16) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1654).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (29) - (1679).

(17) الْعِرْض: بِكَسْرِ الْعَيْنِ مَوْضِع الْمَدْح وَالذَّمّ مِنْ الْإِنْسَان، سَوَاء كَانَ فِي نَفْسه أَوْ سَلَفه. فتح الباري (ح67).

(18) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1655),
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (29) - (1679),

يَـومِكُمْ هَـذَا , فِـي بَلَـدِكُمْ هَـذَا , فِـي شَـهْرِكُمْ هَـذَا) (1) إِلَـى يَـوْمِ تَلْقَـوْنَ رَبَّكُـمْ) (2) (ثُـمَّ أَعَادَهَـا مِـرَارًا) (3) (أَلاَ إِنَّ الْمُسْـلِمَ أَخُـو الْمُسْـلِمِ، فَلَـيْسَ يَحِـلُّ لِمُسْـلِمٍ مِـنْ أَخِيـهِ شَـيْءٌ إِلاَ مَـا أَحَـلَّ مِـنْ نَفْسِـهِ) (4) (وَسَـتَلْقَوْنَ رَبَّكُـمْ فَيَسْـأَلُكُمْ عَـنْ أَعْمَـالِكُمْ , أَلاَ فَـلاَ تَرْجِعُـوا بَعْـدِي ضُـلاَلًا) (5) ، وفي روايـة : (لاَ تَرْجِعُـوا بَعْـدِي كُفَّـارًا يَضْـرِبُ بَعْضُـكُمْ رِقَـابَ بَعْـضٍ) (6) (ثُـمَّ رَفَـعَ رَأسَـهُ إِلَـى السَّـمَاءِ فَقَـالَ:) (7) (اللَّهُـمَّ هَـلْ بَلَّغْـتُ؟ , اللَّهُـمَّ هَـلْ بَلَّغْـتُ؟) (8) (- ثَلَاثًـا - "

, كُـلُّ ذَلِـكَ يُجِيبُونَـهُ : أَلاَ نَعَـمْ) (9) (قَـالَ: " اللَّهُـمَّ اشْـهَدْ , اللَّهُـمَّ اشْـهَدْ) (10) (اللَّهُـمَّ اشْـهَدْ - ثَلَاثًا - ") (11)

وأخرجه الإمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (11273).

(1) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6403).

وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (29) - (1679),

وأخرجه الإمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (11273).

(2) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1654),

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (31) - (1679).

(3) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4141),

وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (2036).

(4) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3087).

(5) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (5230).

أخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (29) - (1679).

وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4130).

(6) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4141) .

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (29) - (1679).

وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2193).

(7) أخرجـه الإمَـامْ (أحمـد بـن حنبـل) في (المسـند) بـرقم (2036)، وأخرجـه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (105),

وقال: (الشيخ شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).

(8) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1652).

(9) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6403),

* * *

وقـال:الإمَـامْ (البُخَـاري) و (مُسْـلِم) - في (صـحيحهما)، - الإمَـامْ (أبـو داود) في (سُـنَنِه)، والإمَـامْ (أحْمَـدُ بْـنُ حَنْبَـل) - في (مُسْـنَده) - (رحمهـم الله) - (بسـندهم):

- وَعَـنْ (أُسَـامَةَ بْـنَ زَيْـدٍ) - رضـي الله عنـه - قَـالَ: (" بَعَثَنَـا رَسُـولُ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسـلم - إِلَـى الْحُرَقَـةِ مِـنْ جُهَيْنَـةَ ") (12) (قَـالَ: فَصَـبَّحْنَا الْـقَ وْمَ) (13) (14)(15) (فَقَاتَلْنَـاهُمْ , فَكَـانَ مِـنْهُمْ رَجُـلٌ إِذَا أَقْبَـلَ الْقَـوْمُ , كَـانَ مِـنْ أَشَـدِّهِمْ عَلَيْنَـا، وَإِذَا أَدْبَـرُوا كَـانَ حَـامِيَتَهُمْ) (16) قَـالَ: فَغَشِـيتُهُ أَنَـا وَرَجُـلٌ مِـنَ الْأَنْصَـارِ) (17) (فَلَمَّـا غَشِـينَاهُ) (18) قَـالَ: لاَ إِلَـهَ إِلاَ اللَّهُ , فَكَـفَّ عَنْـهُ الْأَنْصَـارِيُّ، وَطَعَنْتُـهُ

وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (3334) ,

وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3058).

(10) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (18744),

وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1654) ,

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (31) - (1679) ,

وقال: (الشيخ شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).

(11) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4141),

وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (3334) . ,

وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3058).

انظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيد) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(12) (الْحُرَقَـة): بَطْـنٌ مِـنْ جُهَيْنَـة، وَهَـذِهِ السَّـرِيَّة يُقَال لَهَـا: سَـرِيَّة غَـالِب بْـن عُبَيْـد الله اللَّيْثِـيّ , وَكَانَـتْ فِـي رَمَضَـان سَـنَة سَـبْع. فـتح البـاري - (ج 19 / ص 308).

(13) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6478).

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (96).

(14) أَيْ: هَجَمُـوا عَلَـيْهِمْ صَـبَاحًا قَبْـلَ أَنْ يَشْـعُرُوا بِهِـمْ، يُقَـال: صَـبَّحْتُه , أَتَيْتُـهُ صَـبَاحًا بَغْتَـة، وَمِنْـهُ قَوْلـه تعـالى: {وَلَقَـدْ صَـبَّحَهُمْ بُكْـرَةً عَـذَابٌ مُسْـتَقِر}. فـتح الباري (19/ 308).

(15) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6478).

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (96).

(16) الحامِيَـةُ: الرجـلُ يَحْمِـي أَصـحابَه في الحـرب. لسـان العـرب (ج 14 / ص 197).

(17) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21793) .

وقال: (الشيخ شعيب الأرناءوط): (إسناده صحيح).

(18) أَيْ: لَحِقْنَا بِهِ حَتَّى تَغَطَّى بِنَا. فتح الباري - (ج 19 / ص 308).

بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ) (1) (فَلَمَّا قَدِمْنَا , بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ لِي: " يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؟ ") (2) (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ , أَوْجَعَ أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلَانًا , وَفُلَانًا - وَسَمَّيْتُ لَهُ نَفَرًا - وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ , فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ , فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: "أَقَتَلْتَهُ؟ " , قُلْتُ: نَعَمْ, قَالَ: " فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ ") (3) (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ) (الْقَتْلِ) (4) (قَالَ: " أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالَهَا أَمْ لاَ ؟) (6) (كَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ " , فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ , فَقَالَ: " وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ , فَجَعَلَ لاَ يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟) (8) (قَالَ: فَمَا زَالَ فَكَرَّرَهَا عَلَيَّ " حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ) (9)(10) (قَالَ: قَالَ: (عُقْبَةَ بْنِ مَالِكٍ اللَّيْثِيِّ) - رضي الله عنه -: " فَقَامَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - خَطِيبًا , فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ , فَمَا بَالُ الْمُسْلِمِ يَقْتُلُ الرَّجُلَ وَهُوَ يَقُولُ إِنِّي مُسْلِمٌ؟) (12) (فَقَالَ فِيهِ قَوْلًا شَدِيدًا ") (13) (فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَخْطُبُ إِذْ قَالَ الْقَاتِلُ: يَا رَسُولَ اللهِ , وَاللهِ مَا قَالَ الَّذِي قَالَ إِلاَّ تَعَوُّذًا مِنَ الْقَتْلِ) (14) (" فَأَعْرَضَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْهُ وَعَمَّنْ قِبَلَهُ مِنَ النَّاسِ, وَأَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ " , ثُمَّ قَالَ أَيْضًا: يَا رَسُولَ اللهِ , مَا قَالَ الَّذِي قَالَ إِلاَّ تَعَوُّذًا مِنَ الْقَتْلِ , "فَأَعْرَضَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْهُ وَعَمَّنْ قِبَلَهُ مِنَ النَّاسِ, وَأَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ " , ثُمَّ لَمْ يَصْبِرْ , فَقَالَ الثَّالِثَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ , وَاللهِ مَا قَالَ إِلاَّ تَعَوُّذًا مِنَ الْقَتْلِ , " فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4021).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (96).
(2) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (96).
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4021).
(3) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (97).
(4) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (96).
(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21850), وقال: (الشيخ شعيب الأرناءوط): (إسناده صحيح).
(6) مَعْنَاهُ: أَنَّك إِنَّمَا كُلِّفْت بِالْعَمَلِ بِالظَّاهِرِ وَمَا يَنْطِق بِهِ اللِّسَان , وَأَمَّا الْقَلْب , فَلَيْسَ لَك طَرِيق إِلَى مَا فِيهِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ تَرْك الْعَمَل بِمَا ظَهَرَ مِنْ اللِّسَان , فَقَالَ: أَفَلَا شَقَقْت عَنْ قَلْبه لِتَنْظُر هَلْ كَانَتْ فِيهِ حِين قَالَهَا وَاعْتَقَدَهَا أَوْ لَا؟، وَالْمَعْنَى: أَنَّك إِذَا كُنْتَ لَسْت قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ , فَاكْتَفِ مِنْهُ بِاللِّسَان.
وَقَالَ: (الْقُرْطُبِيّ): فِيهِ دَلِيل عَلَى تَرَتُّب الْأَحْكَام عَلَى الْأَسْبَاب الظَّاهِرَة دُون الْبَاطِنَة. فتح الباري - (ج 19 / ص 308).
(7) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2643).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (96).
(8) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (97).
(9) لِأَنَّ الْإِسْلَام يَجُبُّ مَا قَبْلَه، فَتَمَنَّى أَنْ يَكُون ذَلِكَ الْوَقْتُ أَوَّلَ دُخُولِهِ فِي الْإِسْلَام , لِيَأْمَن مِنْ جَرِيرَة تِلْكَ الْفَعْلَة.
وَأَمَّا كَوْنُهُ لَمْ يُلْزِمْهُ دِيَةً وَلَا كَفَّارَة , فَقَالَ: الإمام (الْقُرْطُبِيّ): لَا يَلْزَمُ مِنْ السُّكُوت عَنْهُ عَدَمُ الْوُقُوع. فتح الباري - (ج 19 / ص 308).
(10) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4021).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (96).
(11) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22543)، وقال: (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).
وصححه الإمام (الألباني) في (صَحِيح الْجَامِع): (1698).
(12) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17050), وقال: (الشيخ شعيب الأرناءوط): (إسناده صحيح).
(13) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22543).
(14) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17050)

رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - تُعْرَفُ الْمَسَاءَةُ[1] فِي وَجْهِه فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - أَبَى عَلَيَّ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا , إِنَّ اللَّهَ أَبَى عَلَيَّ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا , إِنَّ اللَّهَ أَبَى عَلَيَّ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -)[2] .

وفي رواية[3] : " أَبَى اللَّهُ عَلَيَّ مَنْ قَتَلَ مُسْلِمًا , أَبَى اللَّهُ عَلَيَّ مَنْ قَتَلَ مُسْلِمًا , أَبَى اللَّهُ عَلَيَّ مَنْ قَتَلَ مُسْلِمًا - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - "

(فَقَالَ: (سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاص) - رضي الله عنه -: وَأَنَا وَاللهِ لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ - يَعْنِي أُسَامَةَ[4] - فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ[5] وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ}[6] فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ)[7] .

* * *

قال: الإمام (الضياء المقدسي) - (رحمه الله) - في (المختارة):- , وَعَنْ (أَنَس) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " أَبَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ الْمُؤْمِنِ[8] تَوْبَةً[9] "[10]

* * *

وقال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- , وَعَنْ (أَبِي الدَّرْدَاءِ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ , إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا , أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا))[11][12]

---

(1) المساءة: الحُزْن والغضب.

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22543).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17050).

(4) روى أخرجه الإِمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (6693)- عَنْ (حَرْمَلَةَ مَوْلَى أسامة بْنِ زَيْد) قَالَ: أَرْسَلَنِي أُسَامَةُ إِلَى عَلِيّ وَقَالَ: إِنَّهُ سَيَسْأَلُكَ الْآنَ فَيَقُولُ: مَا خَلَّفَ صَاحِبَكَ؟، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ: لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ الْأَسَدِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِيهِ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ، فَلَمْ يُعْطِنِي شَيْئًا، فَذَهَبْتُ إِلَى حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ وَابْنِ جَعْفَرٍ - رضي الله عنهم - فَأَوْقَرُوا (أَيْ: ملأوا) لِي رَاحِلَتِي.

(5) قال: (ابن الأعرابي): الفِتْنَة: الاختبار , والفِتْنَة: المِحْنَة , والفِتْنَة: المال , والفِتْنَة: الأَوْلادُ , والفِتْنَة: الكُفْرُ , والفِتْنَةُ: اختلافُ الناس بالآراء , والفِتْنَةُ: الإِحراق بالنار. لسان العرب - (ج 13 / ص 317).

(6) {الأنفال/39} .

(7) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (96).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(8) أَيْ: لقاتل المؤمن بغير حق.

(9) أَيْ: إن استحلَّ , وإلا فهو زجر وتخويف , أما كافرٌ غير ذمي , فيحل, بل يجب قتله.
ومذهب أهل السنة أنه لا يموت أحد إلا بأجله.
وأن القاتلَ لا يَكْفُرُ , ولا يُخَلَّدُ في النار , وإن مات مُصِرًّا , وأن له توبة.
والقتل ظلما أكبر الكبائر بعد الكفر , وبالقَوَد أو العفو , لا تبقى مُطالبة أُخروية , ومن أَطلق بقاءَها , أراد بقاء حق الله , إذ لا يسقط إلا بتوبة صحيحة.
والتمكين من القَوَد لا يُؤَثِّر إلا إن صحبه نَدَمٌ من حيث الفعل, وعَزْمٌ أن لا يعود.
فيض القدير - (ج 1 / ص 94).

(10) أخرجه (محمد بن حمزة الفقيه) في " أحاديثه " (ق 215/ 2) ,
والإمام (الواحدي) في (الوسيط) برقم (1/ 180 / 2) ,
والإمام (الضياء) في (المختارة برقم (127/ 1) ,
انظر: (صَحِيح الْجَامِع): (23) , و (سلسلة الصَّحِيحَة): (689).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(11) قال: الإمام (الألباني) في "السلسلة الصحيحة" 2/ 24 ح551:
والحديث في ظاهره مخالفٌ لقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} {النساء/48} لأن القتل دون الشرك قطعا , فكيف لا يغفره الله؟.
وقد وفَّق المُناوي تبعا لغيره بحمل الحديث على ما إذا استحلَّ , وإلا فهو تهويل وتغليظ.
وخير منه قول السندي في حاشيته على النسائي: وَكَأَنَّ الْمُرَاد: كُلُّ ذَنْب تُرْجَى مَغْفِرَته ابْتِدَاء , إِلَّا قَتْل الْمُؤْمِن , " فَإِنَّهُ لَا يُغْفَر بِلَا سَبْق عُقُوبَة " , إِلَّا الْكُفْر , فَإِنَّهُ لَا يُغْفَرُ أَصْلًا , وَلَوْ حُمِلَ عَلَى الْقَتْلِ مُسْتَحِلًّا , لَا تَبْقَى الْمُقَابَلَةُ بَيْنَه وَبَيْنَ الْكُفْر ,
ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ حَمْله عَلَى مَا إِذَا لَمْ يَتُبْ , وَإِلَّا فَالتَّائِبُ مِنْ الذَّنْب كَمَنْ لَا ذَنْب لَهُ , كَيْفَ وَقَدْ يَدْخُلُ الْقَاتِل وَالْمَقْتُول الْجَنَّة مَعًا , كَمَا إِذَا قَتَلَهُ وَهُوَ كَافِر , ثُمَّ آمَنَ وَقُتِلَ.

(12) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4270),
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3984),
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع): (4524) , (سلسلة الصَّحِيحَة): (511). للإمام (الألباني).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

* * *

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) – (بسنده):- , وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ: الشِّرْكُ بِاللهِ - عز وجل - وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَبَهْتُ مُؤْمِنٍ(1) وَالْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَيَمِينٌ صَابِرَةٌ يَقْتَطِعُ بِهَا(2) مَالًا بِغَيْرِ حَقٍّ(3))).

* * *

وقال: الإِمَامْ (ابن ماجة) - في (سُننه) - والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده):- (رحمهما الله) - (بسندهما):- , وَعَنْ (عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا , لَمْ يَتَنَدَّ بِدَمٍ حَرَامٍ(4) دَخَلَ الْجَنَّةَ(5))).

وفي رواية: ((دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ(6))).

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري)، - والإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) – (بسنده):- , وَعَنْ (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ(7) مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا(8))).

* * *

وقال: الإِمَامْ (أبو داود) – (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- , وَعَنْ (أَبِي الدَّرْدَاءِ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((لاَ يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا(9) صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا , فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ(10)(11))).

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- , وَعَنْ (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - قَالَ: إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لاَ

---

(1) أَيْ: القول عليه بما لم يفعله , حتى حيَّرَه في أمرِه وأَدْهَشَه.
يُقال: بَهَتَهُ بَهْتًا وبُهْتَانًا , أَيْ: قال عليه ما لم يفعل.
ومقتضى تخصيص المؤمن أن الذمي ليس كذلك , ويُحتمل إلحاقه به , وعليه إنما خص به المؤمن لأنَّ بَهْتَه أشدُّ. فيض القدير - (ج 3 / ص 610).

(2) أَيْ: يأخذ.

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (8722) , وحسنه الإمام (الألباني) في (الإرواء): (2564).
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع: (3247) , (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب): (1339). للإمام (الألباني).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(4) أَيْ: لَمْ يُصِبْ مِنْهُ شَيْئًا وَلَمْ يَنَلْهُ مِنْهُ شَيْء. حاشية السندي على ابن ماجه - (ج 5 / ص 278).

(5) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2618).

(6) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (17377) ,
وقال: (الشيخ شعيب الأرناؤوط) : (إسناده صحيح).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(7) أَيْ: فِي سَعَةٍ , قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيّ: الْفُسْحَة فِي الدِّين: سَعَةُ الْأَعْمَال الصَّالِحَة, حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَتْل ضَاقَتْ , لِأَنَّهَا لَا تَفِي بِوِزْرِهِ، وَالْفُسْحَة فِي الذَّنْب: قَبُولُهُ الْغُفْرَانَ بِالتَّوْبَةِ , حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَتْل , اِرْتَفَعَ الْقَبُول.
وَحَاصِلُهُ أَنَّهُ فَسَّرَهُ عَلَى رَأْيِ اِبْن عُمَر فِي عَدَم قَبُول تَوْبَة الْقَاتِل. (فتح) (19/ 298)

(8) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6469).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(9) (المُعْنِق): خَفِيف الظَّهْر , سَرِيع السَّيْر , يَسِير سَيْر الْعَنَق، وَالْعَنَق: ضَرْبٌ مِنْ السَّيْر وَسِيع. عون المعبود (ج9/ ص307).

(10) (بَلَّحَ) قَالَ فِي النِّهَايَة: يُقَال: بَلَّحَ الرَّجُل , إِذَا انْقَطَعَ مِنْ الْإِعْيَاء, فَلَمْ يَقْدِر أَنْ يَتَحَرَّك , وَقَدْ أَبْلَحَهُ السَّيْر فَانْقَطَعَ بِهِ , يُرِيد وُقُوعَه فِي الْهَلَاك بِإِصَابَةِ الدَّم الْحَرَام. عون المعبود - (ج 9 / ص 307).

(11) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4270).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

مَخْـرَجَ لِمَـنْ أَوْقَـعَ نَفْسَـهُ فِيهَـا , سَـفْكَ الـدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ (1)(2)

* * *

وقـال: الإمـام (البخـاري) - في (صـحيحه)،- والإمـام (البيهقـي) - في (شـعب الإيمـان) - (رحمهمـا الله) - (بسـندهما):- , وعَـنْ (طَرِيـفِ أَبِـي تَمِيمَـةَ) قَـالَ: (شَـهِدْتُ جُنْـدَبَ بْـنَ عَبْـدِ اللهِ الْبَجَلِـيَّ - رضـي الله عنـه - وَهُـوَ يُوصِـي صَـفْوَانَ بْـنَ مُحْـرِزٍ وَأَصْـحَابَهُ (3) , فَقَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ - صـلى الله عليـه وسـلم - يَقُـولُ: " مَـنْ اسْـتَطَاعَ أَنْ لَا يُحَـالَ بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ الْجَنَّـةِ بِمِـلْءِ كَـفٍّ مِـنْ دَمِ) (4) امْـرِئٍ مُسْـلِمٍ أَنْ يُهْرِيقَـهُ (5) كَأَنَّمَـا يَـذْبَحُ بِـهِ دَجَاجَـةً فَلْيَفْعَـلْ , كُلَّمَـا تَعَـرَّضَ لِبَـابٍ مِـنْ أَبْـوَابِ الْجَنَّـةِ , حَـالَ اللهُ بَيْنَـهُ وَبَيْنَـهُ ") (6)

* * *

وقـال:الإمـام (الترمـذي)، و(النسـائي)، و (ابـن ماجـة) - في (سُـنَنِهِم) - رحمهـم الله - (بِسَـنَدِيهِم):- , وَعَـنْ (عَبْـدِ اللهِ بْـنِ عَمْـرِو بْـنِ الْعَـاصِ) - رضـي الله عنهمـا - قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صـلى الله عليـه وسـلم -: (" وَالَّـذِي نَفْسِـي بِيَـدِهِ) (7) لَـزَوَالُ الـدُّنْيَا أَهْـوَنُ عَلَـى اللهِ مِـنْ قَتْـلِ رَجُـلٍ مُسْلِمٍ) (8) (بِغَيْرِ حَقٍّ ") (9)(10)

* * *

وقـال: الإمـام (الترمـذي) - (رحمـه الله) - في (سُـنَنِه) - (بسـنده):- , وعَـنْ (أَبِـي سَـعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ) قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صـلى الله عليـه وسـلم-: " لَـوْ أَنَّ أَهْـلَ السَّـمَاءِ وَأَهْـلَ الْـأَرْضِ اشْـتَرَكُوا فِـي دَمِ مُؤْمِنٍ (11) لَأَكَبَّهُمْ اللهُ فِي النَّارِ " (12)

* * *

وقـال: الإمـام (أبـو داود) - (رحمـه الله) - في (سُـنَنِه) - (بسـنده):- , وعَـنْ (عُبَـادَةَ بْـنِ الصَّـامِتِ) - رضـي الله عنـه - قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صـلى الله عليـه وسـلم -: ((مَـنْ قَتَـلَ مُؤْمِنًـا فَـاغْتَبَطَ بِقَتْلِـهِ (13) لَـمْ يَقْبَـلْ اللهُ مِنْـهُ صَـرْفًا وَلَا عَدْلًا)) (14)(15)

---

(1) وَقَـدْ ثَبَـتَ عَـنْ اِبْـنِ عُمَـرَ أَنَّـهُ قَـالَ: لِمَـنْ قَتَـلَ عَامِـدًا بِغَيْـرِ حَـقٍّ: " تَـزَوَّدْ مِـنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ , فَإِنَّك لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ " فتح الباري - (ج 19 / ص 299).

(2) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6470).

انظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيد) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(3) هُـوَ صَـفوان بْـن مُحْـرِز بْـن زِيَـاد التَّـابِعِيّ الثِّقَـة الْمَشْـهُور مِـنْ أَهْـل الْبَصْـرَة. فـتح الباري - (ج 20 / ص 173).

(4) أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6733).

(5) أَيْ: يصُبَّهُ. فتح الباري - (ج 20 / ص 173).

(6) أخرجه الإمام (البيهقي) في (شعب الإيمان) برقم (5350).

انظر: (سلسلة الصَّحِيحَة): (3379).

انظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيد) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(7) أخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3986).

(8) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (1395).

وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3987).

(9) الـدُّنْيَا عِبَـارَةٌ عَـنْ الـدَّارِ الْقُرْبَـى الَّتِـي هِـيَ مَعْبَـرٌ لِلـدَّارِ الْـأُخْرَى، وَهِـيَ مَزْرَعَـةٌ لَهَـا، وَمَـا خُلِقَـتْ السَّـمَوَاتُ وَالْـأَرْضُ إِلَّـا لِتَكُـونَ مَسَـارِحَ أَنْظَـارِ الْمُتَبَصِّـرِينَ، وَمُتَعَبَّـدَاتِ الْمُطِـيعِينَ، وَإِلَيْـهِ الْإِشَـارَةُ بِقَوْلِـهِ تَعَـالَى {وَيَتَفَكَّـرُونَ فِـي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالْـأَرْضِ رَبَّنَـا مَـا خَلَقْـت هَـذَا بَاطِلًـا} أَيْ: بِغَيْـرِ حِكْمَـةٍ , بَـلْ خَلَقْتَهَـا لِتَجْعَلَهَـا مَسَـاكِنَ لِلْمُكَلَّفِـينَ، وَأَدِلَّـةً لَهُـمْ عَلَـى مَعْرِفَتِـك, فَمَـنْ حَـاوَلَ قَتْـلَ مَـنْ خُلِقَـتْ الـدُّنْيَا لِأَجْلِـهِ فَقَـدْ حَاوَلَ زَوَالَ الدُّنْيَا. تحفة الأحوذي - (ج 4 / ص 28).

(10) أخرجـه الإمَـامْ (ابـن ماجـة) في (السـنن) بـرقم (2619) , (صَـحِيح الْجَامِع): (5078)، (صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب) : (2438).

وانظـر: (الْجَـامِعُ الصَّـحِيحُ لِلسُّـنَنِ وَالْمَسَـانِيد) في (تفسـير القـرآن)- سـورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(11) الْمُرَادُ: قَتْلُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ. تحفة الأحوذي - (ج 4 / ص 30).

(12) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (1398).

وانظـر: (صَـحِيح الْجَـامِع): (5247) , و(صـحيح الترغيـب والترهيـب): (2442)، للإمام (الألباني).

(13) قَـالَ : خَالِـدُ بْـنُ دِهْقَـانَ: سَـأَلْتُ يَحْيَـى بْـنَ يَحْيَـى الْغَسَّـانِيَّ عَـنْ قَوْلِـهِ: اغْتَـبَطَ بِقَتْلِـهِ , قَـالَ: الَّـذِينَ يُقَـاتِلُونَ فِـي الْفِتْنَـةِ , فَيَقْتُـلُ أَحَـدُهُمْ , فَيَـرَى أَنَّـهُ عَلَـى هُدًى , لَا يَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ ذَلِكَ.

وقَالَ:الإمام (الدارمي): (اعْتَبَطَ) أَيْ: قَتَلَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ.

وأخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (4270).

(14) الصَّرْف: الْفَرِيضَة، وَالْعَدْل: النَّافِلَة. (النووي - ج 5 / ص 31).

(15) أخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (4270).

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَاري و مُسلِم)- في (صحيحهما) - (بسندهما):- و الإمام (النسائي) - في - (سننه) - (رحمهم الله):-, وَعَنْ (سَعِيد بْنِ جُبَيْرِ) قَالَ: (أَمَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبْزَى أَنْ أَسْأَلَ (ابْنَ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَا أَمْرُهُمَا: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا , يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلاَ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (1)

{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (2) (2) قَالَ: فَسَأَلْتُ (ابْنَ عَبَّاسٍ) , فَقَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ) (3) (قَالَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا , وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا : يَا مُحَمَّدُ , إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ , لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً) (4) (فَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ وَدَعَوْنَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ, وَقَدْ أَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ , فَأَنْزَلَ اللهُ: {إِلاَ مَنْ تَابَ وَآمَنَ , وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا , فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ , وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا} , قَالَ: فَهَذِهِ لِأُولَئِكَ) (5) (يُبَدِّلُ اللهُ شِرْكَهُمْ إِيمَانًا , وَزِنَاهُمْ إِحْصَانًا , وَنَزَلَتْ: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ , إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا , إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}) (6)(7) (وَأَمَّا الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ , فَالرَّجُلُ إِذَا) (8) ... (دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ) (9) (وَعَرَفَ شَرَائِعَهُ , ثُمَّ قَتَلَ) (10)(11) (فَلاَ تَوْبَةَ لَهُ) (12)(1) ({فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا}) (2)

انظر: (صحيح الجامع): (6454)، و(صحيح التَّرغيب والتَّرهيب): (2450). للإمام (الألباني).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(1) {الفرقان: 68 – 70}.

(2) {النساء: 93}.

(3) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3642).

(4) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4532).

(5) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3642) ,

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (122).

(6) {الزمر: 53}.

(7) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4003, وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4532).

(8) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3642).

(9) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (3023).

(10) مَقْصُودُ (ابْنِ عَبَّاس) - رضي الله عنه - أَنَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْك , وَالْآيَة الَّتِي فِي النِّسَاء , نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْإِسْلَام الَّذِينَ عَلِمُوا أَحْكَامَ الْإِسْلَام , وَتَحْرِيمَ الْقَتْل , فَجَعَلَ - رضي الله عنه - مَحَلَّ الْآيَتَيْنِ مُخْتَلِفًا.

وَفِي رِوَايَةِ لِلْبُخَارِيِّ " فَقَالَ - أَيْ: ابْنِ عَبَّاس -: هَذِهِ مَكِّيَّة , أَرَاهُ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ , الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاء " , فَمِنْ هَذِهِ الرِّوَايَة يَظْهَر أَنَّ مَحَلَّ الْآيَتَيْنِ عِنْد ابْنِ عَبَّاس وَاحِد.

قَالَ: (الْحَافِظ) فِي (الْفَتْح): إِنَّ ابْنَ عَبَّاس كَانَ تَارَةً يَجْعَلُ الْآيَتَيْنِ فِي مَحَلّ وَاحِد , فَلِذَلِكَ يَجْزِم بِنَسْخِ إِحْدَاهُمَا , وَتَارَةً يَجْعَلُ مَحَلَّهُمَا مُخْتَلِفًا.

وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ كَلَامَيْهِ بِأَنَّ عُمُومَ الَّتِي فِي الْفُرْقَان , خُصَّ مِنْهَا مُبَاشَرَةُ الْمُؤْمِنِ الْقَتْلَ مُتَعَمِّدًا، وَكَثِيرٌ مِنْ السَّلَف يُطْلِقُونَ النَّسْخَ عَلَى التَّخْصِيص , وَهَذَا أَوْلَى مِنْ حَمْلِ كَلَامِهِ عَلَى التَّنَاقُض , وَأَوْلَى مِنْ دَعْوَى أَنَّهُ قَالَ بِالنَّسْخِ , ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ. عون المعبود - (ج 9 / ص 309).

(11) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3642).

مِنْ الْأَثْقَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ. فتح الباري (13/ 282).

(12) هَذَا هُوَ الْمَشْهُور عَنْ ابْنِ عَبَّاس - رضي الله عنه - وَجَاءَ عَلَى وَفْقِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنِ عَبَّاس فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَة.

وَمَذْهَبُ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّة , وَالصَّحَابَة , وَالتَّابِعِينَ , وَمَنْ بَعْدَهُمْ: مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى التَّغْلِيظ، وَصَحَّحُوا تَوْبَةَ الْقَاتِل كَغَيْرِه.

وَقَالُوا: مَعْنَى قَوْله: {فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم} أَيْ: إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يُجَازِيَهُ , تَمَسُّكًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاء أَيْضًا: {إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِر أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِر مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء}.

فِيهَا }) [2] (ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَنْزَلَهَا اللهُ فِي آخِرِ مَا أُنْزِلَ , وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ) [3] (قَالَ سَعِيدٌ: فَذَكَرْتُهُ لِمُجَاهِدٍ فَقَالَ: إِلاَّ مَنْ نَدِمَ [4]) [5].

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبراني) – (رحمه الله) – في (المعجم الكبير) – (بِسَنَدِه):-, وَعَنْ (زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [6] عَجِبْنَا لِلِينِهَا , فَلَبِثْنَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ , ثُمَّ نَزَلَتْ الَّتِي فِي (النِّسَاءِ): {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [7] " [8]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (النسائي) – (رحمه الله) – في (السُنَنِ الصغرى) – (بسنده):-, وَعَنْ (زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا الْآيَةَ} , بَعْدَ الْآيَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي الْفُرْقَانِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} . [9]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبراني) – (رحمه الله) – في (المعجم الكبير) – (بِسَنَدِه):-, وَعَنْ (نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رضي الله عنهما – فَقَالَ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ , هَلْ لِلْقَاتِلِ مِنْ تَوْبَةٍ؟ , فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) كَالْمُتَعَجِّبِ مِنْ شَأنه: مَاذَا تَقُولُ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ , فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ؟ – مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا – ثُمَّ قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): أَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ؟ , سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: " يَأتِي الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا رَأسَهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ , مُتَلَبِّبًا قَاتِلَهُ [10] بِيَدِهِ الْأُخْرَى , تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا , حَتَّى يَأتِيَ بِهِ الْعَرْشَ , فَيَقُولُ الْمَقْتُولُ لِلهِ: رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي , فَيَقُولُ اللهُ – عز وجل – لِلْقَاتِلِ: تَعِسْتَ , وَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ " [11]

وَمِنْ الْحُجَّةِ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ الْإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا , ثُمَّ أَتَى تَمَامَ الْمِائَةِ , فَقَالَ لَهُ: لَا تَوْبَةَ، فَقَتَلَهُ فَأَكْمَلَ بِهِ مِائَةً , ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: " وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ "، وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُور.
وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ لِمَنْ قَبْلَ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ , فَمِثْلُهُ لَهُمْ أَوْلَى , لِمَا خَفَّفَ اللهُ عَنْهُمْ.

(1) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (3023) ,
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4486).
(2) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3642).
(3) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (3023 , 4314).
(4) أَيْ: فَإِنَّ لَهُ تَوْبَة. عون المعبود – (ج 9 / ص 309).
(5) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3642).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).
(6) {الفرقان : 70} .
(7) {النساء : 93} .
(8) أخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (4869).
وانظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) برقم: (2799).

(9) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4006).
وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4272).
(10) أي: آخذ بعنق قاتله.
(11) أخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (10742),
وانظر: (سلسلة الصَّحِيحَة): (2697).
وقال: الإمام (الألباني) في (سلسلة الصحيحة) (2799): وفي رواية الإمام (البخاري) المتقدمة عن (ابن عباس) أنه قال: " لَا توبة للقاتل عمدا " , وهذا مشهور عنه، له طرق كثيرة , كما قال: (ابن كثير)، وا(بن حجر: "

* * *

وقال: الإِمَامْ (الترمذي)، و(النسائي)، و(ابن ماجة) - في (سُننهم) - الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده):- (رحمهم الله) - (بِسَنَديهم):- , وَعَنْ (سَالِم بْنِ أَبِي الْجَعْد) قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى (ابْنِ عَبَّاس) - رضي الله عنهما - فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا قَتَلَ رَجُلًا مُتَعَمِّدًا؟ , قَالَ: {جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}(1) لَقَدْ أُنْزِلَتْ فِي آخِرِ مَا نَزَلَ, مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَمَا نَزَلَ وَحْيٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى؟ , قَالَ: ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ(2) وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ؟ , وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ:(3) (" إِنَّ الْمَقْتُولَ يَجِيءُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , نَاصِيَتُهُ(4) وَرَأْسُهُ فِي يَدِهِ(5) وَأَوْدَاجُهُ(6) تَشْخَبُ(7) دَمًا, حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ)(8) (يَقُولُ: يَا رَبِّ , سَلْ عَبْدَكَ)(9) (هَذَا لِمَ قَتَلَنِي)(10) (فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ , فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ , فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي , وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ , إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي , فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ , فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ , فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ , فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ ")(11).

الشرح(12) :

* * *

وقال: الإِمَامْ (الترمذي) - في (سُننه) - والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده):- (رحمهما الله) - (بِسَندهما):- , وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ("تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ(13)

والجمهور على خلافه "، وهو الصواب الذي لَا ريب فيه , وآية (الفُرقان) صريحة في ذلك، ولا تخالفها آية (النساء) , لأن هذه في عقوبة القاتل , وليست في توبته، وهذا ظاهر جدا.

وكأنه (ابن عباس) لذلك رجع إليه كما وقفتُ عليه في بعض الروايات عنه , فرأيت أنه لا بد من ذكرها لعزَّتها , وإغفال الحافظين لها.

الأولى: ما رواه (عَطَاءِ بْنِ يَسَار) قَالَ: أَتَى رَجُلٌ لابْنِ عَبَّاس - رضي الله عنهما - فَقَالَ: إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي، وَخَطَبَهَا غَيْرِي، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ، فَغِرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ , قَالَ: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ , قَالَ: لاَ، قَالَ: تُبْ إِلَى اللهِ - عز وجل - وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ, قَالَ:(عَطَاءٌ): فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ؟, فَقَالَ: إِنِّي لا أَعْلَمُ عَمَلاً أَقْرَبَ إِلَى اللهِ - عز وجل - مِنْ بِرِّ الْوَالِدَةِ. وأخرجه الإمام (البخاري) في (الأدب المفرد) (رقم 4) (بسند صحيح).

الثانية: ما رواه سعيد عن (ابن عباس) في قوله: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا} , قال: ليس لِقاتلٍ توبة، إِلَّا أن يستغفر الله.

وأخرجه (ابن جرير) (5/ 138) (بسند جيد). والله أعلم. أ. هـ

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(1) {النساء: 93}.

(2) الثَّكْلى: من فقَدَتْ وَلَدَها، وثَكِلَتك أُمُّك: دعاءٌ بالفَقْد , والمرادُ به: التعجُّب.

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2142) وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3999). , وقال:(شعيب الأرناؤوط): (حديث صحيح).

(4) أَيْ: شَعْرُ مُقَدَّم رَأسِ الْقَاتِلِ.

(5) أَيْ: في يَدِ الْمَقْتُولِ.

(6) الأَوْدَاج: مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ مِنْ الْعُرُوقِ الَّتِي يَقْطَعُهَا الذَّابِحُ. تحفة (5/ 480).

(7) أَيْ: تَسِيلُ.

(8) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3029).

(9) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2142 , وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3999).

(10) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2621), وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3999).

(11) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3997).

(12) الضَّمير في " إثمه " للقَاتِل أَوْ الْمَقْتُول , أَيْ: يَصِيرُ مُتَلَبِّسًا بِإِثْمِهِ , ثَابِتًا عَلَيْهِ ذَلِكَ , أَوْ إِثْمِ الْمَقْتُولِ , بِتَحْمِيلِ إِثْمِهِ عَلَيْهِ , وَالتَّحْمِيلُ قَدْ جَاءَ , وَلَا يُنَافِيهِ قَوْله تَعَالَى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} لِأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَحِقَّ حَمْلَ ذَنْبِ الْغَيْرِ بِفِعْلِهِ , وَأَمَّا إِذَا اسْتَحَقَّ , رَجَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ حَمَلَ أَثَرَ فِعْلِهِ , فَلْيُتَأَمَّلْ. شرح سنن لنسائي (5/ 386).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(13) الْعُنُقُ: طَائِفَةٌ وَجَانِبٌ مِنْ النَّارِ. تحفة الأحوذي - (ج 6 / ص 368).

يَـومَ الْقِيَامَـةِ، لَهَـا عَيْنَـانِ تُبْصِـرَانِ، وَأُذُنَـانِ تَسْـمَعَانِ، وَلِسَـانٌ يَنْطِـقُ) (1) (2) (تَقُـولُ: (تَقُـولُ: إِنِّـي وُكِّلْـتُ الْيَـوْمَ بِثَلَاثَـةٍ) (3)(4) (بِكُـلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (5) وَبِكُـلِّ مَـنْ دَعَـا دَعَـا مَـعَ اللهِ إِلَهًـا آخَـرَ، وَبِالْمُصَـوِّرِينَ) (6) (وَبِمَـنْ قَتَـلَ نَفْسًـا بِغَيْـرِ نَفْـسٍ، فَيَنْطَـوِي عَلَيْهِمْ، فَيَقْذِفُهُمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ ") (7)

* * *

[٩٤] ﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِذَا ضَـرَبْتُمْ فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ فَتَبَيَّنُـوا وَلَا تَقُولُـوا لِمَـنْ أَلْقَـى إِلَـيْكُمُ السَّـلَامَ لَسْـتَ مُؤْمِنًـا تَبْتَغُـونَ عَـرَضَ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا فَعِنْـدَ اللَّـهِ مَغَـانِمُ كَـثِيرَةٌ كَـذَلِكَ كُنْـتُمْ مِـنْ قَبْـلُ فَمَـنَّ اللَّـهُ عَلَـيْكُمْ فَتَبَيَّنُـوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يـا أيهـا الـذين آمنـوا بـالله واتبعـوا رسـوله، إذا خـرجتم للجهـاد في سـبيل الله فتثبتـوا في أمـر مـن تقـاتلون، ولا تقولـوا لمـن أظهـر لكـم مـا يـدل علـى إسـلامه: لسـت مؤمنًـا، وإنمـا حملـك علـى إظهـار الإسـلام الخـوف علـى دمـك ومالـك، فتقتلـوه تطلبـون بقتلـه متـاع الـدنيا الزهيـد كالغنيمـة منـه، فعنـد الله مغـانم كـثيرة، وهـي خير وأعظم مـن هـذا، كـذلك كنـتم مـن قبـل مثـل هـذا الـذي يخفـي إيمانـه مـن قومـه، فمـنَّ الله علـيكم بالإسـلام فعصـم دمـاءكم فتثبتـوا، إن الله لا يخفـى عليـه شـيء مـن عملكـم وإن دق، وسيجازيكم به. (8)

* * *

يَعْنِـي:- يـا أيهـا الـذين صـدَّقوا الله ورسـوله وعملـوا بشـرعه إذا خـرجتم في الأرض مجاهـدين في سـبيل الله فكونـوا علـى بينـة ممـا تـأتون وتتركـون، ولا تنفـوا الإيمـان عمـن بـدا منـه شـيء مـن علامـات الإسـلام ولم يقـاتلكم" لاحتمـال أن يكـون مؤمنًـا يخفـي إيمانـه، طـالبين بـذلك متـاع الحيـاة الـدنيا، والله تعـالى عنـده مـن الفضـل والعطـاء مـا يغنيكم بـه، كـذلك كنـتم في بـدء الإسـلام تخفـون إيمـانكم عـن قـومكم مـن المشـركين فمَـنَّ الله علـيكم، وأعـزَّكم بالإيمـان والقـوة، فكونـوا علـى بيِّنـة ومعرفـة في أمـوركم. إن الله تعـالى علـيم بكـل أعمـالكم، مطَّلـع علـى دقـائق أموركم، وسيجازيكم عليها. (9)

* * *

---

(1) تصديقه قوله تعالى: {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} {الفرقان: 12} , فَهَلْ تَرَاهُمْ إِلَّا بِعَيْنَيْنِ؟.

(2) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2574).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8411).

(3) أَيْ: وَكَّلَنِي اللهُ بِأَنْ أُدْخِلَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ النَّارَ، وَأُعَذِّبَهُمْ بِالْفَضِيحَةِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ. تحفة الأحوذي (ج6ص368)

(4) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (11372)،
وانظر: (سلسلة الصَّحِيحَة) برقم (2699)، (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب): (2451). للإمام (الألباني)

(5) الْجَبَّارُ: الْمُتَمَرِّدُ الْعَاتِي، وَالْعَنِيدُ: الْجَائِرُ عَنْ الْقَصْدِ، الْبَاغِي، الَّذِي يَرُدُّ الْحَقَّ مَعَ الْعِلْمِ بِهِ. تحفة الأحوذي (ج6/ ص368).

(6) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2574).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8411).

(7) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (11372).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء) آية (93)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(8) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(9) انظر: (التفسير الميسر) برقم (93/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

يَعْنِي:- الاحتراس من قتل المؤمن واجب فى حال الغزو، فإذا سافرتم مجاهدين فى سبيل اللَّه - تعالى - فتعرفوا شأن الذين تقاتلونهم قبل القتال، أهم أسلموا أو لا يزالون على الشرك؟ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام وشارة الأمن لست مؤمناً، تريدون بذلك الأموال والغنائم، بل اقبلوا منهم السلام، فإن اللَّه أعدَّ لكم مغانم كثيرة. وأنتم - أيها المؤمنون - كنتم على الكفر قبل ذلك وهداكم اللَّه، فتبينوا أمر الذين تلقونهم. وأن الله عليم علماً دقيقاً لا يخفى عليه شئ، وأنه محاسبكم بمقتضى علمه.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فَتَبَيَّنُوا} ... أي: اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتخبطوا فيه من غير روية.

وقرىء (فتثبتوا).

{لَسْتَ مُؤْمِنًا} ... وقرىء: مؤمنا، بفتح الميم، اسم مفعول من آمنه، أي لا نؤمنك.

وأصله أن مرداس بن نهيك رجلا من أهل فدك، أسلم ولم يسلم من قومه فغزتهم سرية لرسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- كان عليها غالب بن فضالة.(2)

{ضَرَبْتُمْ} ... خَرَجْتُم فِي الأَرْض.

{لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ} ... أي: لا تقولوا لمن حيَّاكُمْ بتحية الإسلام، أو لِمَنْ أَظْهَرَ لكم ما يدلُّ عَلَى إسلامه، أو لمن ألقى إليكم الاستسلامَ والانقيادَ: لستَ مُؤْمِنًا، وإنما فعلتَ ذلك خوفَ القتل.

{عَرَضَ الْحَيَاةِ} ... مَتَاعَهَا الزَّائِلَ، وَالْمَقْصُودُ: الْغَنِيمَةُ.

الليثي، فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد، فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل، وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه.

فأخبروا رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم-، فوجد وجدا شديدا، وقال: قتلتموه إرادة ما معه، وقرأ الآية على أسامة.

{تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ... تطلبون الغنيمة التي هى حطام سريع النفاد، فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه.

{فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ} ... يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله.

{كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} ... أول ما دخلتم فى الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم.

فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم، وإن صرتم أعلاما فعليكم أن تفعلوا بالداخلين فى الإسلام كما فعل بكم، وأن تعتبروا ظاهر الإسلام فى المكانة، ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية، فتجعلوه سلما إلى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (126/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (94)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

{فَتَبَيَّنُوا} ... تكرير للأمر بالتبين ليؤكد عليهم.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} ... فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك.[1]

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) - (بسنده):- ثنا يعقوب ثنا أبي عن (محمد بن) إسحاق حدثني يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد عن أبيه (عبد الله بن أبي حدرد) قال: بعثنا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى أضم فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن أضم مر بنا عامر الأشجعي على قعود له متيع ووطب من لبن فلما مر بنا سلم علينا فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله بشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً).[2]

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):-

السِّلْمُ , وَالسَّلَمُ , وَالسَّلَامُ , وَاحِدٌ.[3]

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن (عطاء) عن (ابن عباس) -رضي الله عنهما- (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً). قال: قال (ابن عباس): كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون. فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: (عرض الحياة الدنيا) تلك الغنيمة.

قال: قرأ ابن عباس: (السلام).[4][5]

* * *

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا إبراهيم بن عتيق الدمشقي، ثنا مروان يعني ابن محمد الطاطري، ثنا ابن لهيعة حدثني أبو الزبير، عن (جابر) قال: أنزلت هذه الآية: (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) في مرداس.[6]

* * *

---

(1) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (94)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (11/6)،

وأخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (10212، 10213)، وغيرهما.

قال: الإمام (الهيثمي): (رجاله ثقات) برقم (مجمع الزوائد) برقم (7/7).

وقال: د. (حكمت بشير): (إسناده حسن) في (مرويات الإِمَامْ (أحمد) برقم (386/1)

(3) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (94). برقم (ج 6/ ص 47).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (107/8)، (ح 4591) - (كتاب: تفسير القرآن) - (سورة النساء)، / باب: (الآية)،

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2319/4) - (كتاب: التفسير).

(6) وأخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) برقم (ح 3932) - (سورة النساء)، (آية 94).

و(حسنه) الإمام (الحافظ ابن حجر) في (فتح الباري) برقم (107/8).

وله شاهد في الإِمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (107/8)، (ح 4591) من حديث (ابن عباس)، (دون تسمية صاحب القصة).

قال: الإمام (الطبري) – والإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: حرم الله على المؤمنين أن يقولوا لمن شهد أن لا إله إلا الله: (لست مؤمنا) ، كما حرم عليهم الميتة، فهو أمن على ماله ودمه، لاتردوا عليه قوله. (1)(2)

* * *

قوله تعالى: (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا)

قال: الإمام (ابنُ أبي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا وكيع، عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة، عن (سعيد بن جبير): (فمن الله عليكم) فأظهر الإسلام. (3)

* * *

قال: الإمام (ابنُ أبي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا وكيع، عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة، عن (سعيد بن جبير) قوله: (فتبينوا) قال: وعيد من الله مرتين (إن الله كان بما تعملون خبيرا) . (4)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (94).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (94).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (94).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (94).

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96) إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (99) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (100) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (101)

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ثمَّ نزل فِي شَأْن أُسَامَة بن زيد قَاتل مرداس بن نهيك الْفَزارِيّ وَكَانَ مُؤمنا فنزل فِيهِ {يَا أَيُّهَا الَّذين آمنُوا إِذا ضَربْتُم} خرجتم {فِي سَبِيل الله} فِي الْجِهَاد {فَتَبَيَّنُواْ} تحققوا حَتَّى يتَبَيَّن لكم الْمُؤمن من الْكَافِر {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ} لمن أسمعكم لاَ إِلَه إِلاَ الله مُحَمَّد رَسُول الله مَعَ السَّلَام {لَسْتَ مُؤْمِناً} فتقتلونه {تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} تطلبون بذلك مَا كَانَ مَعَه من الْغَنَائِم {فَعِنْدَ الله مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ} ثَوَاب كثير لمن ترك قتل الْمُؤمن {كَذَلِكَ كُنتُم} فِي قومكم تأمنون من الْمُؤمنِينَ من مُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَصْحَابه - بِلاَ إِلَه إِلاَ الله {مِّن قَبْلُ} من قبل

الْهِجْرَة {فَمَنَّ الله عَلَيْكُمْ} بِالْهِجْرَة مِنَ بَيْن الْكَافرين {فَتَبَيَّنُواْ} فتثبتوا يَقُول قفوا حَتَّى لَا تقتلُوا مُؤمنا {إِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ} من الْقَتْل وَغَيره {خَبِيراً}. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {94} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا} {النساء: 94} عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَعَهُ غَنَمٌ لَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: مَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ إلا ليتعوذ منكم فقاموا وقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} يَعْنِي إِذَا سَافَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، يعني: الجهاد،

{فَتَبَيَّنُوا} قَرَأَ (حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ) هَاهُنَا فِي مَوْضِعَيْنِ وَفِي سُورَةِ الْحُجُرَاتِ بِالتَّاءِ وَالثَّاءِ مِنَ التَّثَبُّتِ، أَيْ: قِفُوا حَتَّى تَعْرِفُوا الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِالْيَاءِ وَالنُّونِ مِنَ التَّبَيُّنِ، يُقَالُ: تَبَيَّنْتُ الْأَمْرَ إِذَا تَأَمَّلْتُهُ،

{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ} هكذا قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ وحمزة، أي: المعاذة وَهُوَ قَوْلُ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ"،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: السَّلَامَ وَهُوَ السَّلَامُ الَّذِي هُوَ تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ،

يَعْنِي:- السَّلَمُ وَالسَّلَامُ وَاحِدٌ، أَيْ: لَا تَقُولُوا لِمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ لَسْتَ مُؤْمِنًا،

فذلك قوله تعالى: {لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يعني: تطلبون الغنم والغنيمة، (عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) مَنَافِعَهَا وَمَتَاعَهَا {فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ} أي: غنائم.

{كَثِيرَةٌ} يَعْنِي:- ثَوَابٌ كَثِيرٌ لِمَنِ اتَّقَى قَتْلَ الْمُؤْمِنِ {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): كَذَلِكَ كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ إِيمَانَكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} بِإِظْهَارِ الْإِسْلَامِ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): كُنْتُمْ ضُلَّالًا مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عليكم بالهداية،

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ تَأْمَنُونَ فِي قَوْمِكُمْ بِلَا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَلَا تُخِيفُوا مَنْ قَالَهَا فَمَنَّ الله عليكم بالهجرة، {فَتَبَيَّنُوا} أَنْ تَقْتُلُوا مُؤْمِنًا، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} إِذَا رَأَى الْغُزَاةُ فِي بَلَدٍ أَوْ قَرْيَةٍ شِعَارَ الْإِسْلَامِ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَكُفُّوا عَنْهُمْ، فَإِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ إِذَا غَزَا قَوْمًا فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يسمع أغار عليهم. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {94} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (94). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (94).

تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} .

يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادًا في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة. فإن الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة. فالواضحة البيِّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟، فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي، كما جرى لهؤلاء الذين عاتبهم الله في الآية لَّما لم يتثبتوا وقتلوا من سلم عليهم، وكان معه غنيمة له أو مال غيره، ظنًّا أنه يستكفي بذلك قتلهم، وكان هذا خطأ في نفس الأمر، فلهذا عاتبهم بقوله: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ} أي: فلا يحملنكم العرض الفاني القليل على ارتكاب ما لا ينبغي فيفوتكم ما عند الله من الثواب الجزيل الباقي، فما عند الله خير وأبقى.

وفي هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه مائلة إلى حالة له فيها هوى وهي مضرة له، أن يُذكِّرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها، وقدَّم مرضاة الله على رضا نفسه، فإن في ذلك ترغيبًا للنفس في امتثال أمر الله، وإن شق ذلك عليها.

ثم قال تعالى مذكرًا لهم بحالهم الأولى، قبل هدايتهم إلى الإسلام: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فكما هداكم بعد ضلالكم فكذلك يهدي غيركم، وكما أن الهداية حصلت لكم شيئًا فشيئًا، فكذلك غيركم. فنظر الكامل لحاله الأولى الناقصة، ومعاملته لمن كان - على مثلها بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى، ودعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة - من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه، ولهذا أعاد الأمر بالتبين فقال: {فَتَبَيَّنُوا} .

فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأمورًا بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية في أنه إنما سلم تعوذا من القتل وخوفا على نفسه - فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب.

{إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} فيجازي كُلا ما عمله ونواه، بحسب ما علمه من أحوال عباده ونياتهم.[1]

* * *

: الإِمَـامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):–

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {يا أيها الذين آمنوا} ، يا أيها الذين

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (94)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

صدَّقوا الله وصدَّقوا رسوله فيما جاءهم به من عند ربهم،

{إذا ضربتم في سبيل الله} ، يقول: إذا سرتم مسيرًا لله في جهاد أعدائكم ،

{فتبينوا} ، يقول: فتأنَّوا في قتل من أشكل عليكم أمره، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره، ولا تتقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتموه يقينًا حرْبًا لكم ولله ولرسوله،

{ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلَم} ، يقول: ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم، مظهرًا لكم أنه من أهل ملتكم ودَعوتكم ،

{لست مؤمنًا} ، فتقتلوه ابتغاء.

{عرض الحياة الدنيا} ، يقول: طلبَ متاع الحياة الدنيا، فإن {عند الله مغانم كثيرة} ، من رزقه وفواضل نعَمه، فهي خير لكم إن أطعتم الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فأثابكم بها على طاعتكم إياه، فالتمسوا ذلك من عنده،

{كذلك كنتم من قبل} ، يقول، كما كان هذا الذي ألقى إليكم السلم فقلتم له {لست مؤمنًا} فقتلتموه، كذلك كنتم أنتم من قبل، يعني: من قبل إعزاز الله دينه بتُبّاعه وأنصاره، تستخفُون بدينكم، كما استخفى هذا الذي قتلتموه وأخذتم ماله، بدينه من قومه أن يُظهره لهم، حذرًا على نفسه منهم.

وقد قيل إن معنى قوله: {كذلك كنتم من قبل} كنتم كفارًا مثلهم، {فمنّ الله عليكم} ، يقول: فتفضل الله عليكم بإعزاز دينه بأنصاره وكثرة تُبّاعه. وقد قيل، فمنَّ الله عليكم بالتوبة من قتلكم هذا الذي قتلتموه وأخذتم ماله بعد ما ألقى إليكم السلم، {فتبينوا} ، يقول: فلا تعجلوا بقتل من أردتم قتلَه ممن التبس عليكم أمرُ إسلامه، فلعلَّ الله أن يكون قد مَنَّ عليه من الإسلام بمثل الذي منَّ به عليكم، وهداه لمثل الذي هداكم له من الإيمان.

{إن الله كان بما تعملون خبيرًا} ، يقول: إن الله كان بقتلكم من تقتلون، وكَفّكم عمن تكفُّون عن قتله من أعداء الله وأعدائكم، وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم،

{خبيرًا} ، يعني: ذا خبرة وعلم به، يحفظه عليكم وعليهم، حتى يجازى جميعكم به يوم القيامة جزاءه، المحسن بإحسانه، والمسيءَ بإساءته. (1)

* * *

قال : الإمَام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– وَقَوْلُهُ: {فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ} أَيْ: خَيْرٌ مِمَّا رَغِبْتُمْ فِيهِ مِنْ عَرَضِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّذِي حَمَلَكُمْ عَلَى قَتْلِ مِثْلِ هَذَا الَّذِي أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ، وَأَظْهَرَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ، فَتَغَافَلْتُمْ عَنْهُ، وَاتَّهَمْتُمُوهُ بِالْمُصَانَعَةِ وَالتَّقِيَّةِ" لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمَغَانِمِ الْحَلَالِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ مَالِ هَذَا.

وَقَوْلُهُ: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أَيْ: قَدْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْحَالِ كَهَذَا الذي يُسرّ إِيمَانَهُ وَيُخْفِيهِ مِنْ قَوْمِهِ،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (94)، للإمَام (الطبري).

كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ آنِفًا، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ} الْآيَةَ {الْأَنْفَال: 26}،

وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ (سَعِيد بْن جُبَيْر)، كَمَا رَوَاهُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ (سَعِيد بْن جُبَيْر) فِي قَوْلِهِ: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} تُخْفُونَ إِيمَانَكُمْ فِي الْمُشْرِكِينَ.

وَرَوَاهُ (عَبْدُ الرَّزَّاقِ)، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ (سَعِيد بْن جُبَيْر) فِي قَوْلِهِ: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} تَسْتَخْفُونَ بِإِيمَانِكُمْ، كَمَا اسْتَخْفَى هَذَا الرَّاعِي بِإِيمَانِهِ.

وَهَذَا اخْتِيَارُ (ابْنِ جَرِيرٍ). وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِم): وَذُكِرَ عَنْ قَيْسٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ (سَعِيد بْن جُبَيْر) قَوْلُهُ: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} تَوَرَّعُونَ عَنْ مِثْلِ هَذَا،

وَقَالَ: (الثَّوْرِيُّ) عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ (مَسْرُوقٍ): {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ} لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾فَتَبَيَّنُوا} .

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أَيْ: تَابَ عَلَيْكُمْ، فَحَلَفَ أُسَامَةُ لَا يَقْتُلُ رَجُلًا يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" بَعْدَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَمَا لَقِيَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيهِ.

وَقَوْلُهُ: {فَتَبَيَّنُوا} تَأْكِيدٌ لِمَا تَقَدَّمَ.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ): هَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ.(1)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• جاء القرآن الكريم معظِّمًا حرمة نفس المؤمن، وناهيًا في انتهاكها، ومرتبًا على ذلك أشد العقوبات.

• من عقيدة أهل السنة والجماعة أن المؤمن القاتل لا يُخلد أبدًا في النار، وإنما يُعذب فيها مدة طويلة ثم يخرج منها برحمة الله تعالى.

• وجوب التثبت والتبين في الجهاد، وعدم الاستعجال في الحكم على الناس حتى لا يُعتدى على البريء.(2)

* * *

[٩٥] ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لا يستوي المؤمنون القاعدون عن الجهاد في سبيل الله غير أصحاب الأعذار كالمرضى

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (94)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (93/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

والمكفوفين، والمجاهدون في سبيل الله ببذل أموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين ببذل أموالهم وأنفسهم على القاعدين عن الجهاد درجة، ولكل من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد لعذر أجره الذي يستحقه، وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين بإعطائهم ثوابًا عظيمًا من عنده. (1)

* * *

يَعْنِي:- لا يتساوى المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله -غير أصحاب الأعذار منهم- والمجاهدون في سبيل الله، بأموالهم وأنفسهم، فضَّل الله تعالى المجاهدين على القاعدين، ورفع منزلتهم درجة عالية في الجنة، وقد وعد الله كلا من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم والقاعدين من أهل الأعذار الجنة لما بذلوا وضحوا في سبيل الحق، وفضَّل الله تعالى المجاهدين على القاعدين ثوابًا جزيلا. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن الجهاد مع هذا الاحتراس فضله عظيم جداً، فلا يستوى الذين يقعدون عن الجهاد فى منازلهم والذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم، فقد جعل اللَّه للمجاهدين درجة رفيعة فوق الذين قعدوا إلا إذا كان القاعدون من ذوى الأعذار التى تمنعهم من الخروج للقتال، فإن عذرهم يرفع عنهم الملامة ومع أن المجاهدين لهم فضل ودرجة خاصة بهم، فقد وعد اللَّه الفريقين المنزلة الحسنى والعاقبة الطيبة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} ... قرىء بالحركات الثلاث:

فالرفع، صفة لقوله تعالى الْقاعِدُونَ.

والنصب، استثناء منهم، أو حال عنهم.

والجر، صفة لقوله تعالى الْمُؤْمِنِينَ.

{أُولِي الضَّرَرِ} ... هُمُ الْعُمْيَانُ وَالْعُرْجُ وَالْمَرْضَى.

{فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ} ... جملة موضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين، كأنه قيل: ما لهم يستوون؟ فأجيب بذلك.

{عَلَى الْقَاعِدِينَ} ... بعذر وغيره.

{دَرَجَةً} ... منزلة عالية في الجنة.

{دَرَجَةً} ... نصبت لوقوعها موقع المرة من التفضيل، كأنه قيل: فضلهم تفضيلة واحدة.

{وَكُلًّا} ... وكل فريق من القاعدين، والمجاهدين.

{وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} ... أي: المثوبة الحسنى، وهى الجنة، وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة.

{الْحُسْنَى} ... الجنة.

{أَجْرًا عَظِيمًا} ... أي: أَجرَهم أجرًا عظيمًا.

{أَجْرًا عَظِيمًا} ... نصب على أنه حال عن النكرة التي هى دَرَجاتٍ مقدمة عليها.

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (94/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (126/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- ثُمَّ بَيِّن ثواب الْمُجَاهِدين فَقَالَ: {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤمنِينَ} عَن الْجِهَاد {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} الشدَّة والضعف بِالْبدن وَالْبَصَر، مثل (عبد الله بن أم مَكْتُوم)، و(عبد الله بن جحش الْأَسدي) بِخُرُوج أنفسهم {وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيل الله بِأَمْوَالهمْ} بِنَفَقَة أَمْوَالهم {وَأَنْفُسهمْ فَضَّلَ الله الْمُجَاهِدين بِأَمْوَالهمْ وَأَنفُسهمْ عَلَى الْقَاعِدين} بِغَيْر الضَّرَر {دَرَجَةً} فَضِيلَة {وَكُلاًّ} كلا الْفَرِيقَيْن الْمُجَاهِدين والقاعدين {وَعَدَ الله الْحسنى} الْجنَّة بِالْإِيمَان {وَفَضَّلَ الله الْمُجَاهِدين} بِالْجِهَاد {عَلَى الْقَاعِدين} بِغَيْر عذر {أَجْراً عَظِيماً} ثوابًا وافراً فِي الْجنَّة.[1]

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {95} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} {النساء: 95} عَنِ الْجِهَادِ {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ: و(ابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ) بِنَصْبِ الرَّاءِ أَيْ: إِلَّا أُولِي الضَّرَرِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِرَفْعِ الرَّاءِ عَلَى نَعْتِ (الْقَاعِدِينَ) يُرِيدُ: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ، أَيْ: غَيْرُ أُولِي الزَّمَانَةِ وَالضَّعْفِ فِي الْبَدَنِ وَالْبَصَرِ،

{وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} أَيْ: لَيس المؤمنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنون والمجاهدون سواء، غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ فَإِنَّهُمْ يُسَاوُونَ المجاهدين، لأن العذر أقعدهم،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً} أي: فضيلة،

يَعْنِي:- أراد بالقاعد هَاهُنَا أُولِي الضَّرَرِ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَيْهِمْ دَرَجَةً لِأَنَّ الْمُجَاهِدَ باشر الجهاد مع النية وأولي الضَّرَرِ كَانَتْ لَهُمْ نِيَّةٌ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُبَاشِرُوا، فَنَزَلُوا عَنْهُمْ بِدَرَجَةٍ،

{وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} يَعْنِي: الْجَنَّةَ بِإِيمَانِهِمْ، وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): يَعْنِي الْمُجَاهِدَ وَالْقَاعِدَ الْمَعْذُورَ، {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} {النساء: 95} يَعْنِي: عَلَى الْقَاعِدِينَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ.[2]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {95، 96} {لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} . أي: لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (95). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (95).

ومن لم يخرج للجهاد ولم يقاتل أعداء الله، ففيه الحث على الخروج للجهاد، والترغيب في ذلك، والترهيب من التكاسل والقعود عنه من غير عذر.

وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعرج والذي لا يجد ما يتجهز به، فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر، فمن كان من أولي الضرر راضيًا بقعوده لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع، ولا يُحدِّث نفسه بذلك، فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر. ومن كان عازمًا على الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع يتمنى ذلك ويُحدِّث به نفسه، فإنه بمنزلة من خرج للجهاد، لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل ينزل صاحبها منزلة الفاعل.

ثم صرَّح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي: الرفعة، وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر. والدرجات التي فصلها النبي- صلى الله عليه وسلم= بالحديث الثابت عنه في "الصحيحين" أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله.

وهذا الثواب الذي رتبه الله على الجهاد، نظير الذي في سورة (الصف) في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} إلى آخر السورة

وتأمل حسن هذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها فإنه نفى التسوية أولا بين المجاهد وغيره ثم صرَّح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة والدرجات وهذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها عند التفضيل والمدح أو النزول من حالة إلى ما دونها عند القدح والذم - أحسن لفظا وأوقع في النفس وكذلك إذا فضَّل تعالى شيئا على شيء وكل منهما له فضل احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين لئلا يتوهم أحد ذم المفضل عليه كما قال هنا {وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}. وكما قال تعالى: في الآيات المذكورة في (الصف) في قوله: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}،

وكما في قوله تعالى: {لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ} أي ممن لم يكن كذلك، ثم قال: {وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}، وكما قال تعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} فينبغي لمن بحث في التفضيل بين الأشخاص والطوائف والأعمال أن يتفطن لهذه النكتة وكذلك لو تكلم في ذم الأشخاص والمقالات ذكر ما تجتمع فيه عند تفضيل بعضها على بعض لئلا يتوهم أن المفضَّل قد حصل له الكمال كما إذا قيل النصارى خير من المجوس فليقل مع ذلك وكل منهما كافر والقتل أشنع من الزنا وكل منهما معصية كبيرة حرمها الله ورسوله وزجر عنها

ولما وعد المجاهدين بالمغفرة والرحمة الصادرين عن اسميه الكريمين {الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} ختم هذا الآية بهما فقال: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.(1)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) ذكر في هذه الآية الكريمة أنه فضل المجاهدين في سبيل الله بأموالهم على القاعدين درجة وأجرا عظيما، ولم يتعرض لتفضيل بعض المجاهدين على بعض، ولكنه بين في موضع أخر وهو قوله: {لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى}.

وقوله في هذه الآية الكريمة: {غير أولى الضرر} يفهم من مفهوم مخالفته أن من خلفه العذر إذا كانت نيته صالحة يحصل على ثواب المجاهد.(2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب، قال: حدثني سهلُ بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلتُ حتى جلستُ إلى جنبه، فأخبرنا أن (زيد بن ثابت) أخبره أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أملى عليه (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملها عليّ قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت -وكان أعمى- فأنزل الله على رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفخذُه على فخذي، فثقُلت علي حتى خفتُ أن ترضّ فخذي. ثم سُرّيَ عنه فأنزل الله (غير أولى الضرر).(3)(4)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد -هو ابن زيد- عن حميد عن (أنس) - رضي الله عنه -: أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان في غزاة فقال:((إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر)).

وقال: (موسى): حدثنا حماد عن حُميد عن موسى بن أنس عن أبيه: قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: أبو عبد الله: الأول أصح.(5)(1)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (95-96)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (95).

(3) (صحيح) : أخرجه الإمامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (108/8)، (ح 4592) – (كتاب : تفسير القرآن)، - (سورة النساء)، / باب:(الآية).

(4) (صحيح) : أخرجه الإمامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (1508/3) – (كتاب : الإمارة)، / باب:(سقوط فرض الجهاد عن المعذورين) .

(5) (صحيح) : أخرجه الإمامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (55/6)، (ح 2839) – (كتاب : الجهاد والسير)، /باب:(من حبسه العذر عن الغزو) .

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):-, وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} عَنْ بَدْرٍ, وَالْخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) - (بسنده):-, وَعَنْ (مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْأَنْصَارِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: أَتَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، انْطَلَقَ زَوْجِي غَازِيًا، وَكُنْتُ أَقْتَدِي بِصَلَاتِهِ إِذَا صَلَّى، وَبِفِعْلِهِ كُلِّهِ، فَأَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُبَلِّغُنِي عَمَلَهُ حَتَّى يَرْجِعَ, فَقَالَ لَهَا: " أَتَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَقُومِي وَلَا تَقْعُدِي؟، وَتَصُومِي وَلَا تُفْطِرِي؟، وَتَذْكُرِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى , وَلَا تَفْتُرِي حَتَّى يَرْجِعَ؟ "، قَالَتْ: مَا أُطِيقُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ طُوِّقْتِيهِ مَا بَلَغْتِ الْعُشْرَ مِنْ عَمَلِهِ حَتَّى يَرْجِعَ " (3)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- روى أن ابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية بهذه الصيغة: {لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ...} الآية. أتى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: كيف وأنا أعمى يا رسول الله فما برح حتى نزلت {غَيْرُ أُولِي[1] الضَّرَرِ} فأدخلت بين جملتي.

{لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ...}، ومعنى الآية: إن الله تعالى ينفي أن يستوي في الأجر والمنزلة عنده تعالى من يجاهد بماله ونفسه ومن لا يجاهد بخلاً بماله. وضناً بنفسه، واستثنى تعالى أولي الأعذار من مرض ونحوه فإن لهم أجر المجاهدين وإن لم يجاهدوا لحسن نياتهم، وعدم استطاعتهم،

فلذا قال: {وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} التي هي: الجنة،

وقوله: {فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً} أي: فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين لعذر درجة، وإن كان الجميع لهم الجنة، وهي الحسنى.

وقوله تعالى: {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ} لغير عذر {أَجْراً عَظِيماً} وهو الدرجات العالية مع المغفرة والرحمة، وذلك لأن الله تعالى كان أزلاً وأبداً غفوراً رحيماً،

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1518/3)، (ح 1911)- (كتاب : الامارة)، / باب: (ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر نحوه).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3738).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11117).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3032).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم) (15671) ,

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (ج20/ص196/ح440)

.

وانظر:(سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة): برقم (3450), و (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب) : (1321) , للإمام (الألباني).

وقال:(شعيب الأرناؤوط) : (حديث حسن).

ولذا غفر لهم ورحمهم، اللهم اغفر لنا وارحمنا معهم.[1]

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - والإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (أولى الضرر) أهل العذر.[2][3]

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (وكلا وعد الله الحسنى) وهي الجنة، والله يؤتي كل ذي فضل فضله.[4]

* * *

قوله تعالى: (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. درجات منه ومغفرة ورحمة ...)

قال: الإمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) (بسنده):- حدثنا سعيد بن منصور. حدثنا عبد الله بن وهب. حدثني أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن (أبي سعيد الخدري)، أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((يا أبا سعيد! مَن رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وجبت له الجنة)). فعجب لها أبو سعيد. فقال: أعدْها علي. يا رسول الله!، ففعل. ثم قال: ((وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة. ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)).

قال: وما هي؟ يا رسول الله! قال: ((الجهاد في سبيل الله. الجهاد في سبيل الله)).[5]

* * *

قال: الإمَامُ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا عباس العنبري. حدثنا يزيد بن هارون. أخبرنا إسرائيل عن محمد بن جُحادة عن عطاء عن (أبي هريرة). قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مائة عام)).[6]

* * *

وقال: الإمَامُ (البُخَاري)، و (مُسلِم)، -في (صحيحهما)، - و الإمام (أبو داود)، في (سُننه)، - والإمام (أحمد) في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):-، عَنْ (زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: (كُنْتُ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -)[7] (" فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ - وَكَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ دَامَ بَصَرُهُ مَفْتُوحَةً عَيْنَاهُ , وَفَرَغَ سَمْعُهُ وَقَلْبُهُ لِمَا يَأتِيهِ مِنَ اللهِ - " , قَالَ: فَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء)) الآية (95)، للإمام : (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (95).

(3) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (95).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (95).

(5) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1501/3)، (ح 1884) – (كتاب : الإمارة)، / باب:(بيان ما أعده الله تعالى للمجاهدين في الجنة من الدرجات) .

(6) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (674/4)، (ح 2529) – (صفة الجنة)، / باب:(صفة درجات الجنة) .

قال: الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه): حديث حسن غريب.

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (7910) - من طريق-: (شريك)، عن (محمد بن جحادة) به. قال: محققه : (صحيح).

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (2054).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (97/2)، الطبعة : الأولى.

(7) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2507).

مِنْهُ) (1) (" فَوَقَعَتْ فَخِذُ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلَى فَخِذِي " , فَمَا وَجَدْتُ ثِقْلَ شَيْءٍ أَثْقَلَ مِنْ فَخِذِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ , فَقَالَ: اكْتُبْ " , فَكَتَبْتُ فِي كَتِفٍ: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ .. إِلَى آخِرِ الْآيَةِ} "، فَقَامَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ - وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى لَمَّا سَمِعَ فَضِيلَةَ الْمُجَاهِدِينَ - (2) (فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ , أَنَا ضَرِيرٌ) (3) (وَاللهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ) (4) " فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي ") (5) (وَوَجَدْتُ مِنْ ثِقَلِهَا فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ , كَمَا وَجَدْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى) (6) (حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي) (7) (فَقُلْنَا لِلْأَعْمَى: " إِنَّهُ يُنَزَّلُ عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَخَافَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ " , فَبَقِيَ قَائِمًا وَهُوَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -) (8) (قَالَ: (زَيْدٌ): " ثُمَّ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: اقْرَأْ يَا زَيْدُ " , فَقَرَأْتُ: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} , فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ .. الْآيَةَ كُلَّهَا} (9) ") (10)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البُخَارِي)، و (مُسلِم)، -في (صحيحهما)، - و الإمام (النسائي)، في (سُننه)، - والإمام (أحمد) في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- , وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ , فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " لَا أَجِدُهُ , هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ (11) ؟ , وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟ " , فَقَالَ الرَّجُلُ: مَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟) (12) (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ) (13) - وَاللهُ أَعْلَمُ -

---

(1) أخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4712).
وأخرجه الإمَامْ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (1583) .
انظر: (صحيح موارد الظمآن): (1450). للإمَامْ (الألباني).
(2) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2507).
(صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2677).
(3) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4318).
(4) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4316).
(5) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2677).
(6) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2507).
(7) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2677).
(8) أخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4712).
وأخرجه الإمَامْ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (1583).

(9) {النساء: 95}.
(10) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2507).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4316).
و أخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في صحيحه) برقم (141) - (1898).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3033).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3099).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (95)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).
(11) الْفُتُور: الكسل والضعف.
(12) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2633).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3128).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8521).
و أخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (110) - (1878).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1619).
(13) أخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (110) - (1878)،
أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2635).

بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِه[1] (كَمَثَلِ[2] الصَّائِمِ الْقَائِمِ[3] الْقَانِتِ[4] بِآيَاتِ اللهِ) (الْخَاشِعِ[5] , الرَّاكِعِ , السَّاجِدِ) (لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ , حَتَّى يَرْجِعَ[6]) (يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ) (إِلَى[7] أَهْلِهِ) (بِمَا رَجَعَ مِنْ غَنِيمَةٍ , أَوْ يَتَوَفَّاهُ[8] اللهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ")[9]

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):–

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): (درجات منه ومغفرة ورحمة) كان يقال: الإسلام درجة، والهجرة في الإسلام درجة، والقتل والجهاد درجة.[10]

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):–

القول في تأويل قوله: {لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}.

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون}، لا يعتدل المتخلّفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان بالله وبرسوله، المؤثرون الدعةَ والخَفْض وَالقُعودَ في منازلهم على مُقاساة حُزُونة الأسفار والسير في الأرض، ومشقة ملاقاة أعداء الله بجهادهم في ذات الله، وقتالهم في طاعة الله، إلا أهل العذر منهم بذَهاب أبصارهم، وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لأهلها –للضَّرَر الذي بهم– إلى قتالهم وجهادهم في سبيل الله،

{والمجاهدون في سبيل الله}، ومنهاج دينه، لتكون كلمة الله هي العليا، المستفرغون طاقتَهم في قتال أعداءِ الله وأعداء دينهم= بأموالهم، إنفاقًا لها فيما أوهَن كيد أعداء أهل الإيمان بالله – وبأنفسهم، مباشرة بها قتالهم، بما تكون به كلمة الله العالية، وكلمة الذين كفروا السافلة.

* * *

قال: (أبو جعفر): والصواب من القراءة في ذلك عندنا: {غَيْرَ أُولِي

---

(1) قَوْلُه : (وَاللهُ أَعْلَم بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ) فِيهِ أَنَّ الْأَجْر لِلْمُخْلِص , لَا لِمَنْ يَظْهَر عِنْد النَّاس أَنَّهُ مُجَاهِد. فتح الباري - (ج 8 / ص 373).

(2) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2635) .

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3124).

(3) شَبَّهَ حَال الصَّائِم الْقَائِم بِحَالِ الْمُجَاهِد فِي سَبِيل الله فِي نَيْل الثَّوَاب فِي كُلّ حَرَكَة وَسُكُون , لِأَنَّ الْمُرَاد مِنْ (الصَّائِم الْقَائِم) مَنْ لَا يَفْتُر سَاعَة عَنْ الْعِبَادَة , فَأَجْرُه مُسْتَمِرٌّ، وَكَذَلِكَ الْمُجَاهِد , لَا تَضِيع سَاعَةٌ مِنْ سَاعَاته بِغَيْرِ ثَوَاب , وَأَصْرَحُ مِنْهُ قَوْله تَعَالَى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبهُمْ ظَمَأ وَلَا نَصَب) الْآيَتَيْنِ. (فتح الباري) - (ج 8 / ص 373)

(4) (الْقَانِت): يَرِدُ بِمَعَانٍ مُتَعَدِّدَة: كَالطَّاعَةِ , وَالْخُشُوعِ , وَالصَّلَاةِ , وَالدُّعَاءِ , وَالْعِبَادَة , وَالْقِيَام , وَالسُّكُوت , وَالْمُرَاد هُنَا : الْقِيَام فِي اللَّيْل. عون المعبود - (ج 3 / ص 335)

(5) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (110) - (1878).

وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2635( ).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (9477).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1619).

(6) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3127) , وانظر: (صحيح الجامع) (5850) , و(صحيح الترغيب والترهيب): (1320). للإِمَامْ (الألبانى)

(7) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (110) - (1878) ,

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1619).

(8) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (9477).

وقال : (الشيخ شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).

(9) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (9646),

انظر:(سلسلة الصحيحة) حديث: (2896) , و(صحيح الترغيب والترهيب): (1320) للإِمَامْ (الألبانى).

وقال:(الشيخ شعيب الأرناؤوط): (إسناده حسن).

(10) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (95).

{الضَّـرَرِ} بنصب {غـير} ، لأن الأخبار متظاهرة بأن قوله : {غير أولي الضرر} ، نـزل بعد قوله : {لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم} ، استثناءً من قوله : {لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون} .

* * *

القول في تأويل قوله : {فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً}

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة} ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، على القاعدين من أولي الضرر، درجة واحدة= يعني: فضيلة واحدة = وذلك بفضل جهاده بنفسه، فأما فيما سوى ذلك، فهما مستويان،

* * *

القول في تأويل قوله : {وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه: {وكلاً وعد الله الحسنى} ، وعد الله الكلَّ من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، والقاعدين من أهل الضرر، {الحسنى} ، ويعني جل ثناؤه: بـ {الحسنى} ، الجنة، كما:-

* * *

10253- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): {وكلاً وعد الله الحسنى} ، وهي الجنة، والله يؤتي كل ذي فضل فضلَه.

* * *

10254- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي) قال: {الحسنى} ، الجنة.

* * *

وأما قوله: {وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا} ، فإنه يعني: وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من غير أولي الضرر، أجرًا عظيمًا،[(1)]

* * *

قال : الإمَام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95)}

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ (1) حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زَيْدًا فَكَتَبَهَا، فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَشَكَا ضَرَارَتَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}[(2)]

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (95)، للإمَام (الطبري)،

(2) (صحيح): أخرجه الإمَام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4593) - (كتاب: تفسير القرآن)،

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " ادْعُ فُلَانًا " فَجَاءَهُ وَمَعَهُ الدَّوَاةُ وَاللَّوْحُ وَالْكَتِفُ فَقَالَ: " اكْتُبْ: لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " وخَلْفَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا ضَرِيرٌ فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا: {لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله}[1]

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ) أَيْضًا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي (سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ): أَنَّهُ رَأَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ (زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ) أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- أَمْلَى عَلَيَّ: " لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ". فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَهُوَ يُمْلِيهَا عليَّ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ -وَكَانَ أَعْمَى- فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وفَخِذه عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تُرَضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}،

انْفَرَدَ بِهِ الإِمام (الْبُخَارِيُّ)[2] دُونَ الإِمام (مُسْلِمٍ)،

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ زَيْدٍ فَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، أَنْبَأَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ: (زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ): إِنِّي قَاعِدٌ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ، قَالَ: وَغَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ، قَالَ: فَوَقَعَ فَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي حِينَ غَشِيَتْهُ السَّكِينَةُ. قَالَ زَيْدٌ: فَلاَ وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا قَطُّ أَثْقَلَ مِنْ فَخِذِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ: " اكْتُبْ يَا زَيْدُ ". فَأَخَذْتُ كَتِفًا فَقَالَ: "اكْتُبْ: {لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ} إِلَى قَوْلِهِ {أَجْرًا عَظِيمًا} فَكَتَبْتُ ذَاكَ فِي كَتِفٍ، فَقَامَ حِينَ سَمِعَهَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ -وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى- فَقَامَ حِينَ سَمِعَ فَضِيلَةَ الْمُجَاهِدِينَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ بِمَنْ لا يَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ مِمَّنْ هُوَ أَعْمَى، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ؟ قَالَ زَيْدٌ: فَوَاللَّهِ مَا مَضَى كَلامُهُ -أَوْ مَا هُوَ إِلا أَنْ قَضَى كَلامَهُ- حَتَّى غَشِيَتِ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- السَّكِينَةُ، فَوَقَعَتْ فَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَوَجَدْتُ مِنْ ثِقْلِهَا كَمَا وَجَدْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ: " اقْرَأْ ". فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: " لا يستوي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ " فَقَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} قَالَ زَيْدٌ:

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4593) - (كتاب: تفسير القرآن)، ورقم (4594).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4592) - (كتاب: تفسير القرآن).

فَأَلْحَقْتُهَا، فَوَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُلْحَقِهَا عِنْدَ صَدْعٍ كَانَ فِي الْكَتِفِ.[1]

ورواهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ، بِهِ نَحْوَهُ.[2]

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاقِ): أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ، عَنْ (زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ)، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَقَالَ: " اكْتُبْ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " فَجَاءَ (عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنَّ بِي مِنَ الزَّمَانَةِ مَا قَدْ تَرَى، قَدْ ذَهَبَ بَصَرِي. قَالَ: زَيْدٌ: فَثَقُلَتْ فَخِذُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى فَخِذِي، حَتَّى خَشِيتُ أَنْ تَرُضَّهَا ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: " اكْتُبْ: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.}

ورواهُ الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ)[3]، وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاقِ): أَخْبَرَنِي (ابْنُ جُرَيْجٍ)، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْكَرِيمِ -هُوَ ابْنُ مَالِكٍ الْجَزَرِيُّ (2) -أَنَّ مِقْسَمًا مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ -أَخْبَرَهُ أَنَّ (ابْنَ عَبَّاسٍ) أَخْبَرَهُ: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ بَدْرٍ، وَالْخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ.

انْفَرَدَ بِهِ الإمام (الْبُخَارِيُّ)،[4] دُونَ الإمام (مُسْلِمٍ). وَقَدْ رَوَاهُ الإمام (التِّرْمِذِيُّ) -مِنْ طَرِيقِ - حَجَّاجٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ مِقْسَمٍ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرِّ عَنْ بَدْرٍ، وَالْخَارِجُونَ إِلَى بَدْرٍ، لَمَّا نَزَلَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ: إِنَّا أَعْمَيَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهَلْ لَنَا رُخْصَةٌ؟ فَنَزَلَتْ: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً، فَهَؤُلَاءِ الْقَاعِدُونَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} دَرَجَاتٍ مِنْهُ عَلَى الْقَاعِدِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ.

هَذَا لَفْظُ الإمام (التِّرْمِذِيُّ)، ثُمَّ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.[5]

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} كَانَ مُطْلَقًا، فَلَمَّا نَزَلَ بِوَحْيٍ سَرِيعٍ: {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} صَارَ ذَلِكَ مَخْرَجًا لِذَوِي الْأَعْذَارِ الْمُبِيحَةِ لِتَرْكِ الْجِهَادِ -مِنَ الْعَمَى وَالْعَرَجِ وَالْمَرَضِ-عَنْ مُسَاوَاتِهِمْ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِفَضِيلَةِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}. وَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِمَا ثَبَتَ فِي

---

(1) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (191/5).
(2) أخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2507).
(3) انظر: (تفسير عبد الرزاق) برقم (164/1)، وتفسير الإمام (الطبري) (91/9).
(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3954) - (كتاب: تفسير القرآن)، و(صحيح البخاري) برقم (4595). و(تفسير عبد الرزاق) برقم (165/1)،
(5) أخرجه الإمام (الترمذي) في (سننه) برقم (3032).

الصَّحيح عِنْدَ الإمام (الْبُخَارِي) - مِنْ طَرِيقِ- زُهَيْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ (أَنَسٍ)" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - قَالَ: " إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ، وَلاَ قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلاَ وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ" قَالُوا: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "نَعَمْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ ". (1)

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ (أنس)، بِهِ (2) وَعَلَّقَهُ (الْبُخَارِيُّ) مَجْزُومًا.

وَرَوَاهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ) عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ)، عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلاَ قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلاَ وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: " حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ". لَفْظُ الإمام (أَبِي دَاوُدَ) (3) وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا رَاحِلِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ ... سِرْتُمْ جُسُومًا وسرْنا نحنُ أَرْوَاحا ...
إِنَّا أقمنا عَلَى عُذْرٍ وعَنْ قَدَرٍ ... ومَنْ أقامَ على عذْرٍ فقد راحا ...

(1) (صَحِيح) :أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2839)،-((كتاب : الجهاد والسير).
وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2508) .

(2) (صَحِيح) :أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2838),
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (103/3) .

(3) (صَحِيح) :أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2839)،-((كتاب : الجهاد والسير).
وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2508) .

وَقَوْلُهُ: {وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} أَيِ: الْجَنَّةَ وَالْجَزَاءَ الْجَزِيلَ. وَفِيهِ دلالَةٌ عَلَى أَنَّ الْجِهَادَ لَيْسَ بِفَرْضِ عَيْنٍ بَلْ هُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِمَا فَضَّلَهُمْ بِهِ مِنَ الدَّرَجَاتِ، فِي غُرَفِ الْجِنَانِ الْعَالِيَاتِ، وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَالزَّلَّاتِ، وَحُلُولِ الرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَاتِ، إِحْسَانًا مِنْهُ وَتَكْرِيمًا" (4)

* * *

[٩٦] ﴿ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

هذا الثواب منازل بعضها فوق بعض، مع مغفرة ذنوبهم ورحمته بهم، وكان الله غفورًا لعباده رحيمًا بهم. (5)

* * *

يَعْنِي:- هذا الثواب الجزيل منازل عالية في الجنات من الله تعالى لخاصة عباده المجاهدين في سبيله، ومغفرة لذنوبهم ورحمة واسعة ينعمون فيها. وكان الله غفورًا لمن تاب إليه وأناب، رحيمًا بأهل طاعته، المجاهدين في سبيله. (6)

* * *

يَعْنِي:- وهذه الدرجة التي اختص بها المجاهدين درجة عظيمة رفيعة، حتى كأنها

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (95)، للإمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (94/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

درجات للتفاوت الكبير بينها وبين ما عداها، وإن لهم مع هذه الدرجة مغفرة كبيرة ورحمة واسعة.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{دَرَجَاتٍ مِنْهُ} ... مَنَازِل بَعْضهَا فَوْق بَعْض مِن الْكَرَامَة.

{دَرَجَاتٍ} ... انتصبت على البدل من قوله أجرا. أو لوقوعها موقع المرة من التفضيل.

{ومَغْفِرَةً ورَحْمَةً} ... مَنْصُوبَان بِفِعْلِهِمَا الْمُقَدَّر. (أي: انتصبا بإضمار فعلهما، أي غفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة).

{وكَانَ الله غفورا} ... لأوليائه.

{رحيما} ... بأهل طاعته وَنَزَلَ فِي جَمَاعَة أَسْلَمُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا فَقُتِلُوا يوم بدر مع الكفار.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {دَرَجَاتٍ مِّنْهُ} فَضَائِل من الله فِي الدَّرَجَات {وَمَغْفِرَةً} للذنوب {وَرَحْمَةً} من الْعَذَاب {وَكَانَ اللهُ غَفُوراً} لمن تَابَ عَن الْقعُود وَخرج إِلَى الْجِهَاد {رَّحِيماً} لمن مَاتَ على التَّوْبَة.(2)

* * *

قال: الشيخ (أسعد محمود حومد) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (أيسر التَّفَاسِير) : - قوله تعالى: {دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96)} - وَهَذَا الأَجْرُ العَظِيمُ الذِي وَعَدَ اللهُ بِهِ المُجَاهِدِينَ، وَفَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَى القَاعِدِينَ مِنْ ذَوِي الأعْذَارِ، هُوَ دَرَجَاتٌ مِنْهُ، وَمَنَازِلُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِنَ الكَرَامَةِ، وَالمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَكَانَ اللهُ غَفُوراً لِذُنُوبِ أوْلِيَائِهِ الذِينَ يَسْتَحِقُّونَ المَغْفِرَةَ، رَحِيماً بِأَهْلِ طَاعَتِه.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96)}.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي (الصَّحِيحَيْنِ):- عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)).(4)

(4)

وَقَالَ: (الْأَعْمَشُ)، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَلَهُ أَجْرُهُ دَرَجَةٌ))، فَقَالَ: رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الدَّرَجَةُ؟ فَقَالَ: ((أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِعَتَبَةِ أُمِّكَ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ)).(1) (5)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (126/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (96). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (أيسر التفاسير) للشيخ: (أسعد محمود حومد). في سورة (النساء) الآية (96).

(4) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1884)، - ((كتاب: الإمارة)، ولم أقف عليه عند الإمام (البخاري)، -من حديث (أبي سعيد)، وهو عنده - من حديث- (أبي هريرة)- رضي الله عنه - لا من حديث- (أبي سعيد الخدري) برقم (2790) -((كتاب: الجهاد والسير).

(5) ذكره الإمام (السيوطي) في (الدر المنثور) برقم (645/2)، عزاه رواه الإمام (ابن أبي حاتم) في (تفسيره)، و(ابن مردويه)، ورواه الإمام (أحمد)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {96} {دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} {النساء: 96} قيل: هي سبعون درجة متفاوتة , يَعْنِي:- الدَّرَجَاتُ هِيَ الْإِسْلَامُ وَالْجِهَادُ وَالْهِجْرَةُ وَالشَّهَادَةُ فَازَ بِهَا الْمُجَاهِدُونَ. (2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَدْ قَالَ بَعْدَ هَذَا: (دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً) فَقَالَ قَوْمٌ: التَّفْضِيلُ بِالدَّرَجَةِ ثُمَّ بِالدَّرَجَاتِ إِنَّمَا هُوَ مُبَالَغَةٌ وَبَيَانٌ وَتَأْكِيدٌ.

يَعْنِي:- فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ مِنْ أُولِي الضَّرَرِ بِدَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى القاعدين من غير عذر درجات، قَالَهُ: (ابْنُ جُرَيْجٍ وَالسُّدِّيُّ) وَغَيْرُهُمَا.

يَعْنِي:- إِنَّ مَعْنَى دَرَجَةٍ عُلُوٌّ، أَيْ أَعْلَى ذِكْرَهُمْ وَرَفَعَهُمْ بِالثَّنَاءِ والمدح والتقريظ. فهذا معنى درجة، ودرجات يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ.

قَالَ: (ابْنُ مُحَيْرِيزٍ): سَبْعِينَ درجة بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حُضْرُ الْفَرَسِ الْجَوَادِ سبعين سنة. و (دَرَجَاتٍ) بَدَلٌ مِنْ أَجْرٍ وَتَفْسِيرٌ لَهُ، وَيَجُوزُ نَصْبُهُ أَيْضًا عَلَى تَقْدِيرِ الظَّرْفِ، أَيْ فَضَّلَهُمْ بِدَرَجَاتٍ، ويجوز أن يكون توكيدا لقوله (أَجْرًا عَظِيمًا) لِأَنَّ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ هُوَ الدَّرَجَاتُ وَالْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ، وَيَجُوزُ الرَّفْعُ، أَيْ ذَلِكَ دَرَجَاتٌ. و (أَجْرًا) نُصِبَ ب (فَضَّلَ) وَإِنْ شِئْتَ كَانَ مَصْدَرًا وَهُوَ أَحْسَنُ، وَلَا يَنْتَصِبُ ب (فَضَّلَ) لِأَنَّهُ قَدِ استوفى مفعولية وهما قوله (الْمُجَاهِدِينَ) و (عَلَى الْقَاعِدِينَ)، وَكَذَا (دَرَجَةً). فَالدَّرَجَاتُ مَنَازِلُ بَعْضُهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ. وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -(أَنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ). (وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) كُلًّا منصوب ب (وَعَدَ) و (الْحُسْنَى) الْجَنَّةُ، أَيْ وَعَدَ اللَّهُ كُلًّا الْحُسْنَى. ثُمَّ قِيلَ: الْمُرَادُ (بِكُلٍّ) الْمُجَاهِدُونَ خَاصَّةً. يَعْنِي:- الْمُجَاهِدُونَ واو لو الضرر. والله أعلم. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً} " هذا بدلٌ من قوله تعالى (أجراً) أو صفةٌ له " وهو موضع نصب. وعن (ابْنِ مُحَيْرِيْزٍ) أنهُ قَالَ: (فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِيْنَ عَلَى الْقَاعِدِيْنَ سَبْعِيْنَ دَرَجَةً " بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيْرَةَ سَبْعِيْنَ خَرِيْفاً لِلْجَوَادِ الْمُضَمَّرِ).

قولُهُ: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} " أي غَفُوراً لذنب مَن جاهد ، رَحِيماً إذ ساوَى في وعد الحُسنى بينَ مَن له العذرُ وبين مَن جاهدَ.

فَإِنْ قِيْلَ: كيفَ ذكرَ التفضيلَ في هذه الآية بدرجات، وفي الآية التي قبلها بدرجة ؟

في (المسند) برقم (235/4) – من حديث (كعب بن مرة)، وصححه الإمام (الألباني) في (صحيح الترغيب) برقم (1287).

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (96)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (96).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (96)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

قُلْنَا : قال بعضهم : أراد بذكر الدرجة في الآيةِ الأولى : الفضيلةَ والكرامةَ في الدُّنيا ، وبذكرِ الدرجات درجات الجنَّة منال في النَّعيم ، بعضُها أعلى من بعض، وذكر المغفرة لبيانِ خُلُوص نعيمهم عن الكَدَر ، كما رويَ في الخبر : (أنَّ اللهَ يُنْسِيهِمْ فِي الْجَنَّةَ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الذُّنُوب فِي الدُّنْيَا حَتَّى لاَ يَلْحَقهُمُ الْحَيَاءُ) ،

وذكرَ الدرجةَ لبيانِ أنَّ اللهَ أعطاهُم ذلكَ النفعَ العظيم على جهةِ النِّعْمَةِ مع ما يضافُ إليه من الفضلِ بالزيادة في النِّعْمة.

وقال بعضُهم : أرادَ بالتفضيلِ في الدرجةِ في الآيةِ الأُولى تفضيلَ الْمُجَاهِدِينَ على القاعدينَ المعذورينَ، وبالآيةِ الثانيةِ تفضيلَهم على القاعدين الذين لا عُذْرَ لَهم.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَالَ: (مُحَمَّد):

{دَرَجَات} نصب على الْبَدَل، من قَوْله : {أجرا عَظِيما}

يحْيَى: (عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بن يَزِيد)، عَن (مَكْحُول) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه عَلَيْه السَّلامُ: ((إنَّ فِي الْجَنَّة لمائة دَرجَة، بَيْنَ الدَّرَجَتَيْن كَمَا بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْض، أَعدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيله، وَلَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، وَلا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْه، وَلا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي، مَا قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّة تغزوا، ولوددت أَنِّي أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّه ثمَّ أَحيَا، ثمَّ أُقْتَل ثمَّ أَحيَا ثمَّ أقتل)).(2)

* * *

قال: الإمامُ (أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القِنَّوجي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96)}

{دَرَجَاتٍ مِنْهُ} أي: من الأجر أو من الله يعني منازل بعضها فوق بعض من الكرامة،

قال: (ابن زيد) الدرجات هن سبع ذكرها الله في سورة (براءة) يعني قوله : (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة - إلى قوله - إلا كتب لهم).

وعن (ابن جريج) قال: كان يقال الإسلام درجة، والهجرة في الإسلام درجة، والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الهجرة درجة.

وعن (ابن محيريز) قال: الدرجات سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين سنة.

وأخرج الإمام (البخاري)، و(البيهقي) في الأسماء والصفات عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنة.(3)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (النساء) الآية (96).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (96) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) أخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3/ 326).

وأخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1/ 80).

وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (5/ 316 و 321).

(ومغفرة) لذنوبهم يسترها ويصفح عنها (ورحمة) رأفة بهم، والمعنى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة (وكان الله غفوراً) لذنوبهم بتكفير العذر (رحيماً) بهم بتوفير الأجر، وعن (ابن عمر) عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: أيما عبد من عبادي خرج مجاهداً في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له إن أرجعته بما أصاب من أجر أو غنيمة وإن قبضته غفرت له ورحمته[1]، أخرجه الإمام (النسائي).[2]

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه: {درجات منه}، فضائل منه ومنازل من منازل الكرامة.

10256- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): {درجات منه ومغفرة ورحمة}، كان يقال: الإسلام درجة، والهجرة في الإسلام درجة، والجهاد في الهجرة درجة، والقتل في الجهاد دَرَجة.[3]

* * *

(أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) {سورة التوبة: 120-121}. قال: هذه السبع الدرجات. قال: وكان أول شيء، فكانت درجة الجهاد مُجْمَلة، فكان الذي جاهد بماله له اسمٌ في هذه، فلما جاءت هذه الدرجات بالتفصيل أخرج منها، فلم يكن له منها إلا النفقة، فقرأ: (لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ)، وقال: ليس هذا لصاحب النفقة. ثم قرأ: (وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً)، قال: وهذه نفقة القاعد.[4]

* * *

10258- حدثنا علي بن الحسن الأزدي قال، حدثنا الأشجعي، عن سفيان، عن هشام بن حسان، عن جبلة بن سحيم. عن (ابن محيريز) في قوله: {فضل الله المجاهدين على القاعدين}، إلى قوله: (درجات)، قال: الدرجات سبعون درجة، ما بين الدرجتين حُضْرُ الفرس الجواد المُضَمَّر سبعين سنة.[5]

* * *

قال: (أبو جعفر): وأولى التأويلات بتأويل قوله: "درجات منه"، أن يكون معنيًّا به درجات الجنة، كما قال: (ابن محيريز). لأن

وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2/ 590).

(1) انظر: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن) سورة (النساء) الآية (96). للشيخ (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي).

(2) انظر: (فتحُ البيان في مقاصد القرآن) سورة (النساء) الآية (96). للشيخ (أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (96)، للإِمَامُ (الطبري)،

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (96)، للإِمَامُ (الطبري)،

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (96)، للإِمَامُ (الطبري)،

قوله تعالى ذكره: {درجات منه} : ترجمة وبيان عن قوله: {أجرًا عظيمًا} ، ومعلوم أن {الأجر} ، إنما هو الثواب والجزاء.

وإذْ كان ذلك كذلك، وكانت {الدرجات} و{المغفرة} و{الرحمة} ترجمة عنه، كان معلومًا أن لا وجه لقول من وجَّه معنى قوله: {درجات منه} ، إلى الأعمال وزيادتها على أعمال القاعدين عن الجهاد،

كما قال: (قتادة)، و(ابن زيد): وإذ كان ذلك كذلك، وكان الصحيح من تأويل ذلك ما ذكرنا، فبيِّنٌ أن معنى الكلام: وفضل الله المجاهدين في سبيل الله على القاعدين من غير أولي الضرر، أجرًا عظيمًا، وثوابًا جزيلا وهو درجات أعطاهموها في الآخرة من درجات الجنة، رفعهم بها على القاعدين بما أبلوا في ذات الله.

{ومغفرة} يقول: وصفح لهم عن ذنوبهم، فتفضل عليهم بترك عقوبتهم عليها،

{ورحمة} ، يقول: ورأفة بهم،

{وكان الله غفورًا رحيمًا} ، يقول: ولم يزل الله غفورًا لذنوب عباده المؤمنين، يصفح لهم عن العقوبة عليها ،

{رحيما} بهم، يتفضل عليهم بنعمه، مع خلافهم أمره ونهيه، وركوبهم معاصيه. (1)

* * *

[٩٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

إن الذين توفاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، تقول لهم الملائكة حال قبض أرواحهم توبيخًا لهم: على أي حال كنتم؟ وبأي شيء تميزتم عن المشركين؟ فيجيبون معتذرين: كنا ضعفاء لا حول لنا ولا قوة نرد بها عن أنفسنا، فتقول لهم الملائكة توبيخًا لهم: ألم تكن بلاد الله واسعة فتخرجوا إليها لتأمنوا على دينكم وأنفسكم من الإذلال والقهر؟! فاولئك الذين لم يهاجروا مثواهم الذي يستقرون فيه هو النار مرجعًا مآبًا لهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين توفَّاهم الملائكة وقد ظلموا أنفسهم بقعودهم في دار الكفر وترك الهجرة، تقول لهم الملائكة توبيخًا لهم: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ فيقولون: كنا ضعفاء في أرضنا، عاجزين عن دفع الظلم والقهر عنا، فيقولون لهم توبيخا: ألم تكن أرض الله واسعة فتخرجوا من أرضكم إلى أرض أخرى بحيث تأمنون على دينكم؟ فأولئك مثواهم النار، وقبح هذا المرجع والمآب. (3)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (96)، للإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (94/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

يَعْنِـي: - وأن المسلم عليه أن يهاجر إلى الدولة الإسلامية ولا يعيش في ذل، فإن الملائكة تسألهم: فيم كنتم حتى ارتضيتم حياة الذل والهوان؟ فيجيبون: كنا مستضعفين في الأرض يذلنا غيرنا فتقول الملائكة: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها بدل الذل الذى تقيمون فيه؟ وأولئك الذين يرضون بالذل مع قدرتهم على الانتقال، مأواهم عذاب جهنم، وأنها أسوأ مصير، فالمسلم لا يصح أن يعيش في ذل، بل يعيش عزيزاً كريماً.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ} ... أي: ملك الموت وأعوانه.

{تَوَفَّاهُمْ} ... تفيض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

{ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} ... بتركهم الهجرة وقد وجبت عليهم.

{ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} ... بترك الهجرة وموافقة الكفرة.

قرأ (أبو عمرو): (الملائكة ظالمي أنفسهم) بإدغام التاء في الظاء ،(2)

وقرأ (البزي) : (إنَّ الَّذين توفَّاهُمُ) بتشديد التاء حالةَ الوصل.(3)

{قَالُوا} ... أي: الملائكة توبيخًا لهم:

{فِيمَ كُنْتُمْ} ... في أيِّ شيءٍ كنتم من أمر دينكم.

{قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ} ... عاجزين عن الهجرة.

{فِي الْأَرْضِ} ... أرض مكةَ.

{قَالُوا} ... أي: الملائكة" تكذيباً لهم.

{أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً} ... في الرزق.

{وَسَعَةً} ... في رزقه.

{وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ} ... وجب أجره في هجرته على الله تعالى.

{فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} ... إلى قطر آخرَ.

{مَصِيرًا} ... مأوى ومسكناً.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قَالَ: الإِمَامُ (البُخَارِي) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): حدثنا عبد الله بن يزيد المقرىء حدثنا حيوة وغيره قالا حدثنا عَنْ (أَبِي الْأَسْوَدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) قَالَ: قُطِعَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْثٌ(4) فَاكْتُتِبْتُ فِيهِ , فَلَقِيتُ (عِكْرِمَةَ) مَوْلَى (ابْنِ عَبَّاسٍ) , فَأَخْبَرْتُهُ فَنَهَانِي عَنْ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ , ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - أَنَّ أُنَاسًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ , يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَيَأتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ , فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ , أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ , فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (127/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(2) انظر: "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 193)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 156).

(3) وهي قراءة البزي، كما في "التيسير" للداني (ص: 83)، و"الكشف" لمكي (1/ 351)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 156).
وانظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) في سورة (النساء) الآية (96)، المؤلف: (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) (المتوفى: 927 هـ)،

(4) أَيْ: جَيْش، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ أُلْزِمُوا بِإِخْرَاجِ جَيْشٍ لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّام، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلَافَة عَبْد الله بْنِ الزُّبَيْر عَلَى مَكَّة. فتح الباري - (ج 12 / ص 485).

قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ (1) ؟ , قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ , قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا , فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (2)(3)(4)(5)

رواه (الليث عن أبي الأسود).

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا محمد بن شريك، عن عمرو بن دينار، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس)، قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا! فاستغفروا لهم، فنزلت (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم) الآية، قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية، لا عذر لهم. قال: فخرجنا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم: {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله} {سورة العنكبوت: 10} إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فحزنوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم: {إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم} {سورة النحل: 110} فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجاً، فخرجوا فأدركهم المشركون، فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقتل من قتل. (6)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، أنبا ابن وهب، حدثني عبد الرحمن بن مهدي، عن الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد أن (سعيد بن جبير) قال: في قول الله تعالى (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) قالوا: إذا عمل فيها بالمعاصي فاخرجوا. (7)

(ورجاله ثقات وإسناده صحيح)، و(ابن وهب هو ابن عبد الله).

* * *

: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس):- ثمَّ نزل

---

(1) (فِيمَ كُنْتُمْ) سُؤَال تَوْبِيخ وَتَقْرِيع. فتح الباري - (ج 12 / ص 485).

(2) {النساء/97}.

(3) اسْتَنْبَطَ سَعِيد بْن جُبَيْر مِنْ هَذِهِ الْآيَة وُجُوب الْهِجْرَة مِنْ الْأَرْض الَّتِي يُعْمَل فِيهَا بِالْمَعْصِيَةِ. فتح الباري (ج12ص485)

(4) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم 4320 , 6674).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11119|).

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (358).

وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (17527).

(5) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (111/8)، (ح 4596) – (كتاب : تفسير القرآن)، (سورة النساء).

(6) أخرجه الإِمَامْ (الطبري) في (تفسيره) برقم (102/9- 103)، (ح 10260).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) برقم (ح 3969) – (النساء/ 97) بإسناد الطبري نفسه، ولفظه أخصر منه،

وأخرجه الإِمَامْ (الطحاوى) برقم (مشكل الآثار) برقم (328/4)،

وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن) برقم (14/9) - من طرق- عن (عمرو بن دينار) نحوه.

وعزاه الإِمَامْ (الهيثمي للبزار) وقال: رجاله رجال الصحيح غير (محمد بن شريك)، وهو ثقة. (مجمع الزوائد) برقم (10/7).

والحديث رجاله ثقات)، و(إسناده صحيح)، (انظر: تفسير الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - في الموضع المشار إليه).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 98)،

(7) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (97).

في شأن النفر الذين قعدوا يوم بدر وكانوا خمسين رجلا ارتدوا عن الإسلام فقتل عامتهم فقال {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ} قبضتهم الملائكة يوم بدر {ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} بالشرك {قَالُواْ} قالت لهم الملائكة حين القبض {فِيمَ كُنتُمْ} ماذا كنتم تصنعون بمكة {قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ} مقهورين ذليلين {فِي الأَرْضِ} في أرض مكة في أيدي الكفار {قَالُوا} قالت لهم الملائكة {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله} أرض المدينة {وَاسِعَةً} آمنة {فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا} إليها {فَأُوْلَئِكَ} النفر {مَأْوَاهُمْ} مصيرهم {جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً} صار إليه.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {97} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} [النساء: 97] الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ تَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ وَلَمْ يهاجروا فَلَمَّا خَرَجَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى بَدْرٍ خَرَجُوا مَعَهُمْ فَقُتِلُوا مَعَ الْكُفَّارِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ} أَرَادَ بِهِ مَلَكَ الْمَوْتِ وَأَعْوَانَهُ أَوْ أَرَادَ مَلَكَ الْمَوْتِ وَحْدَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} [السَّجْدَةِ: 11] وَالْعَرَبُ قَدْ تُخَاطِبُ الْوَاحِدَ بلفظ الجمع {ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} بِالشِّرْكِ، وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ أَيْ: فِي حَالِ ظُلْمِهِمْ، قِيلَ: أي المقام في دار الشرك لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقْبَلِ الْإِسْلَامَ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَّا بِالْهِجْرَةِ، ثُمَّ نَسَخَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ))(2) وَهَؤُلَاءِ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ وَضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ وُجُوهَهُمْ وأدبارهم، وقالوا لهم: فيما كُنْتُمْ؟ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ} أَيْ: فِي مَاذَا كُنْتُمْ أَوْ فِي أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ كُنْتُمْ؟ أَفِي الْمُسْلِمِينَ؟ أَمْ فِي الْمُشْرِكِينَ؟ سُؤَالُ تَوْبِيخٍ وَتَعْيِيرٍ فَاعْتَذَرُوا بِالضَّعْفِ عَنْ مقاومة أهل الشرك، {قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ} عاجزين، {فِي الْأَرْضِ} يعني أرض مكة، {قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا}؟ يَعْنِي إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَخْرُجُوا مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الشِّرْكِ؟ فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَمَنَا بِكَذِبِهِمْ،

وقال: {فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ} منزلهم، {جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 97] أَيْ: بِئْسَ الْمَصِيرُ إِلَى جَهَنَّمَ، ثُمَّ اسْتَثْنَى أَهْلَ الْعُذْرِ مِنْهُمْ،(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {97} {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}. هذا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (97). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) (متفق عليه).:

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (97).

الوعيد الشديد لمن ترك الهجرة مع قدرته عليها حتى مات، فإن الملائكة الذين يقبضون روحه يوبخونه بهذا التوبيخ العظيم، ويقولون لهم: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: على أي حال كنتم؟ وبأي شيء تميزتم عن المشركين؟ بل كثرتم سوادهم، وربما ظاهرتموهم على المؤمنين، وفاتكم الخير الكثير، والجهاد مع رسوله، والكون مع المسلمين، ومعاونتهم على أعدائهم.

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾ أي: ضعفاء مقهورين مظلومين، ليس لنا قدرة على الهجرة. وهم غير صادقين في ذلك لأن الله وبخهم وتوعدهم، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، واستثنى المستضعفين حقيقة.

ولهذا قالت لهم الملائكة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعًا وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ قال: الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ وهذا كما تقدم، فيه ذكر بيان السبب الموجب، فقد يترتب عليه مقتضاه، مع اجتماع شروطه وانتفاء موانعه، وقد يمنع من ذلك مانع.

وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر، وفي الآية دليل على أن كل مَن توفي فقد استكمل واستوفى ما قدر له من الرزق والأجل والعمل، وذلك مأخوذ من لفظ "التوفي" فإنه يدل على ذلك، لأنه لو بقي عليه شيء من ذلك لم يكن متوفيًا.

وفيه الإيمان بالملائكة ومدحهم، لأن الله ساق ذلك الخطاب لهم على وجه التقرير والاستحسان منهم، وموافقته لمحله.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿إن الذين توفَّاهم الملائكة﴾، إن الذين تقبض أرواحهم الملائكة،

﴿ظالمي أنفسهم﴾، يعني: مكسبي أنفسهم غضبَ الله وسخطه.

﴿قالوا فيم كنتم﴾، يقول: قالت الملائكة لهم: ﴿فيم كنتم﴾، في أيِّ شيء كنتم من دينكم،

﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾، يعني: قال الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم،

﴿كنا مستضعفين في الأرض﴾، يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم، فيمنعونا من الإيمان بالله، واتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم -، معذرةً ضعيفةً وحُجَّةً واهية،

﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾، يقول: فتخرجوا من أرضكم ودوركم، وتفارقوا من يمنعكم بها من الإيمان بالله واتباع رسوله- صلى الله عليه وسلم-، إلى الأرض التي يمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله، فتوحِّدوا الله فيها وتعبدوه،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (97)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وتتبعوا نبيَّه؟ ، يقول الله جل ثناؤه: {فأولئك مأواهم جهنم} ، أي: فهؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم، الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، {مأواهم جهنم} ، يقول: مصيرهم في الآخرة جهنم، وهي مسكنهم ، {وساءت مصيرًا} ، يعني: وساءت جهنم لأهلها الذين صاروا إليها ،

{مصيرًا} ومسكنًا ومأوى.

ثم استثنى جل ثناؤه المستضعفين الذين استضعفهم المشركون، {من الرجال والنساء والولدان} ، وهم العجزة عن الهجرة، بالعُسْرة، وقلّة الحيلة، وسوء البصر والمعرفة بالطريق، من أرضهم أرض الشرك إلى أرض الإسلام، من القوم الذين أخبر جل ثناؤه أن مأواهم جهنم: أن تكون جهنم مأواهم، للعذر الذي هم فيه، على ما بينه تعالى ذكره.[1]

* * *

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97)}

وَقَالَ : (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِي، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ -يعني الزبيري- حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيك الْمَكِّيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرو بْنِ دِينَار، عَنْ (عِكْرِمَةَ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يَسْتَخْفُونَ بِالْإِسْلَامِ، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَهُمْ، فَأُصِيبَ بَعْضُهُمْ بِفِعْلِ بَعْضٍ قَالَ الْمُسْلِمُونَ: كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ وَأُكْرِهُوا، فَاسْتَغْفَرُوا لَهُمْ، فَنَزَلَتْ: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُم} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: لَا عُذْرَ لَهُمْ. قَالَ: فَخَرَجُوا فَلَحِقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَعْطَوْهُمُ الْفِتْنَةَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّه} الْآيَةَ [2] {الْبَقَرَة: 8}.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ): نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي شَبَابٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا تَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ بِمَكَّةَ، مِنْهُمْ: عَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَأَبُو قَيْسِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو الْعَاصِ بْنُ مُنَبِّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ، وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمكة، وَخَرَجُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُصِيبُوا فِيمَنْ أُصِيبَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَامَّةً فِي كُلِّ مَنْ أَقَامَ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَلَيْسَ مُتَمَكِّنًا مِنْ إِقَامَةِ الدِّينِ، فَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا بِالْإِجْمَاعِ، وَبِنَصِّ هَذِهِ الْآيَةِ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} أَيْ: بِتَرْكِ الْهِجْرَةِ {قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ} أَيْ: لِمَ مَكَثْتُمْ هَاهُنَا وَتَرَكْتُمُ الْهِجْرَةَ؟ {قَالُوا كُنَّا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (97)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

(2) .ورواه الإمام (الطبراني) في (تفسيره) برقم (102/9) –(ورجاله ثقات) – حدثنا (أحمد بن منصور الرمادي)به.

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأرْضِ} أَيْ: لاَ نَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْبَلَدِ، وَلاَ الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ {قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (9)}.

وَقَالَ: الإمام (أَبُو دَاوُدَ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ، أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ سمرة بن جندب، حدثني خبيب بن سليمان، عَنْ أَبِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ (سَمُرَةَ بن جندب): أما بعد، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ)).(1)

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): لَمَّا أُسِرَ الْعَبَّاسُ وَعَقِيلٌ وَنَوْفَلٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلْعَبَّاسِ: "افْدِ نَفْسَكَ وَابْنَ أَخِيكَ" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ نُصَلِّ قِبْلَتَكَ، وَنَشْهَدْ شَهَادَتَكَ؟ قَالَ: "يَا عَبَّاسُ، إِنَّكُمْ خَاصَمْتُمْ فَخُصِمْتُم". ثُمَّ تَلاَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).(2)

* * *

قَالَ: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97)}

الْمُرَادُ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَأَظْهَرُوا لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الْإِيمَانَ بِهِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَقَامُوا مَعَ قَوْمِهِمْ وَفُتِنَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ فَافْتُتِنُوا، فَلَمَّا كَانَ أَمْرُ بَدْرٍ خَرَجَ مِنْهُمْ قَوْمٌ مَعَ الْكُفَّارِ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

يَعْنِي:- إِنَّهُمْ لَمَّا اسْتَحْقَرُوا عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ دَخَلَهُمْ شَكٌّ فِي دِينِهِمْ فَارْتَدُّوا فَقُتِلُوا عَلَى الرِّدَّةِ،

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: كَانَ أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ وَأُكْرِهُوا عَلَى الْخُرُوجِ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ. وَالْأَوَّلُ أصح.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ). قَوْلُهُ تَعَالَى: (تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِعْلًا مَاضِيًا لَمْ يَسْتَنِدْ بِعَلَامَةِ تَأْنِيثٍ، إِذْ تَأْنِيثُ لَفْظِ الْمَلَائِكَةِ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِعْلًا مُسْتَقْبَلًا عَلَى مَعْنَى تَتَوَفَّاهُمْ، فَحُذِفَتْ إِحْدَى التَّاءَيْنِ. وَحَكَى ابْنُ فُورَكَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ الْمَعْنَى تَحْشُرُهُمْ إِلَى النَّارِ.

يَعْنِي:- تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ، وَهُوَ أَظْهَرُ. يَعْنِي:- الْمُرَادُ بِالْمَلَائِكَةِ مَلَكُ الموت، لقوله تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) وَ (ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ فِي حَالِ ظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ، وَالْمُرَادُ ظَالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ فَحَذَفَ النُّونَ اسْتِخْفَافًا وَأَضَافَ، كَمَا قَالَ

---

(1) (حسن):أخرجه الإمام (أبي داود) في (سننه) برقم (2787)- ((كتاب: الجهاد)).
و(حسنه) (الإمَامْ (الألباني)) في (سلسلة الأحاديث الصَّحيحة) رقم (2330).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (97)، للإمَام (ابن كثير).

تَعَالَى: (هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ). وَقَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: (فِيمَ كُنْتُمْ) سُؤَالُ تَقْرِيعٍ وَتَوْبِيخٍ، أَيْ أَكُنْتُمْ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمْ كُنْتُمْ مُشْرِكِينَ! وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ: (كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ) يَعْنِي مَكَّةَ، اعْتِذَارٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، إِذْ كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ الْحِيَلَ وَيَهْتَدُونَ السَّبِيلَ، ثُمَّ وَقَفَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى دِينِهِمْ بِقَوْلِهِمْ (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً). وَيُفِيدُ هَذَا السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ أَنَّهُمْ مَاتُوا مُسْلِمِينَ ظَالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ فِي تَرْكِهِمُ الْهِجْرَةَ، وَإِلَّا فَلَوْ مَاتُوا كَافِرِينَ لَمْ يَقُلْ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا، وَإِنَّمَا أَضْرَبَ عَنْ ذِكْرِهِمْ فِي الصَّحَابَةِ لِشِدَّةِ مَا وَاقَعُوهُ، وَلِعَدَمِ تَعَيُّنِ أَحَدِهِمْ بِالْإِيمَانِ، وَاحْتِمَالِ رِدَّتِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عزّ وجلّ : {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} " قال: (ابْنُ عبَّاس) : (نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ تَكَلَّمُواْ بِالإِسْلاَمِ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ – أيْ أظْهَرُوا الإِسْلاَمَ وَأَسَرُّواْ النِّفَاقَ – فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ خَرَجُواْ مَعَ الْمُشْرِكِيْنَ إلَى الْمُسْلِمِيْنَ ، فَلَمَّا رَأوْا قِلَّةَ الْمُسْلِمِيْنَ قَالُواْ وَهُمْ مَعَ الْمُشْرِكِيْنَ : غَرَّ هَؤُلاَءِ دِيْنُهُمْ ، فَقُتِلُواْ يَوْمَئِذٍ فَضَرَبَتِ الْمَلاَئِكَةُ وُجُوهَهُمْ وَأدْبَارَهُمْ) ، وَقَالَتْ لَهُمْ : لِمَاذا خَرَجْتُمْ مَعَ الْمُشْرِكِيْنَ وَتَرَكْتُمُ الْهِجْرَةَ؟! فَكَانَ سُؤَالُ الْمَلاَئِكَةِ لَهُمْ بِهَذا عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ.

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (97)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

ويجوزُ أن يكونَ معناهُ : فِيمَ كُنْتُمْ في المشركينَ أمْ في المسلمينَ ؟ {قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ} " أي مَقْهُورونَ في أرضِ مكَّة ، فأخرجُونا معهم كَارهين ، قالت الملائكةُ : {قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً} " يعني أرضَ المدينةِ واسعة أمِيْنَةً ، {فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا} " أي إليها ، وتخرجُوا من بين أظهُرِ المشركينَ. وقَوْلُهُ تَعَالَى : {ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} نُصبَ على الحال بمعنى تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ في حال ظُلْمِهِمْ لأنْفُسِهِم بالشِّركِ والنِّفَاق ، والأصلُ (ظَالِمِيْنَ) إلاّ أن النونَ حُذِفَتْ استخفافاً وهي ثانيةٌ في المعنى ، فيكونُ هذا في معنى النكرة وإنْ أضيفَ إلى المعرفة ، كما في قوله تعالى : {هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ} [المائدة : 95].

وقَوْلُهُ تَعَالَى : {تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ} أي تَقْبِضُ أرواحَهم عند الموت ، وإنَّما حُذفت التاءُ الثانية لاجتماع التَّاءين.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَأُوْلَائِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} " أي أهلَ هذه الصِّفة مصيرُهم ومنْزلتهم جهنمُ " {وَسَآءَتْ مَصِيراً} " لمن صارَ إليها ،

واختلفوا في خَبَر : {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ} " قال بعضُهم : خبرهُ : {قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ} ، أي قالوا لهم : فيما كنتم ، قال بعضُهم خبرهُ : {فَأُوْلَائِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ}.

وفي قوله تعالى : {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا} دليلٌ أنهُ لا عذرَ لأحدٍ في المقام على المعصية في بَلَدِه لأجل المال والوَلَد والأهل ، بل ينبغي أن يُفارقَ وَطَنَهُ إن

لم يُمكنه إظْهارُ الْحَقِّ فيه، ولهذا رويَ عن (سعيد بن جُبير) أنه قالَ: (إذا عُمِلَ بالْمَعاصي في أرْضٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا)،

ورويَ عن رسولِ الله -صلى الله عليه وسلم- أنهُ قالَ: " مَنْ فَرَّ بدِيْنِه مِنْ أرْضٍ إلَى أرْضٍ، وَإنْ كَانَ شِبْراً اسْتَوْجَبَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَكَانَ رَفِيْقَ إبْرَاهِيْمَ وَمُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-" (1)

* * *

[٩٨] ﴿ إلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويعذر من ذاك المصير العجزة من الرجال والنساء والصغار الذين لا يقدرون على دفع القهر والظلم عنهم، ولا يعرفون طريقًا يخلصهم مما هم فيه من المعاناة.(أيويُستثنى من هذا الوعيد الضعفاء أصحاب الأعذار رجالًا كانوا أو نساءً أو أطفالًا، ممن لا قوة لهم يدفعون بها عنهم الظلم والقهر، ولا يهتدون إلى طريقة للتخلص مما هم فيه من القهر)، (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين توفَّاهم الملائكة وقد ظلموا أنفسهم بقعودهم في دار الكفر وترك الهجرة، تقول لهم الملائكة توبيخًا لهم: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ فيقولون: كنا ضعفاء في أرضنا، عاجزين عن دفع الظلم والقهر عنا، فيقولون لهم توبيخا: ألم تكن أرض الله واسعة فتخرجوا من أرضكم إلى أرض أخرى بحيث تأمنون على دينكم؟ فأولئك مثواهم النار، وقبح هذا المرجع والمآب. (3)

* * *

يَعْنِي:- غير أنه يعفى من هذا العقاب من لا يستطيعون الانتقال من الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال، فهؤلاء لا يستطيعون حيلة ولا يجدون سبيلا للخروج. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ} ... استثناء من أهل الوعيد. والمستضعفون هم الذين لا يستطيعون حيلة فى الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك.

{وَالْوِلْدَانِ} ... لا يكونون إلا عاجزين فلا يتوجه إليهم وعيده لأن سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد إنما هو كونهم عاجزين، فإذا كان العجز متمكنا فى الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة. هذا إذا أريد بالولدان الأطفال. ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم فى التكليف. (5)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (97).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (94/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (127/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (98)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

{لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً} ... صفة للرجال والنساء، وجاز ذلك والجمل نكرات، لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه.

{لا يستطيعون حيلة} ... لا قُوَّةَ لَهُمْ عَلَى الْهِجْرَةِ وَلاَ نَفَقَةَ.

{حِيلَةً} ... أي: قدرةً عَلَى التَّحَوُّلِ، أي أسبابَ التخلص.

{وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} ... طَرِيقًا إِلَى أَرْضِ الْهِجْرَةِ. (أي: لا يعرفون طريقًا إلى الخروج).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثُمَّ بَين أهل الْعذر فَقَالَ {إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ} الشُّيُوخ الضُّعَفَاء {والنسآء والولدان} الصّبيان {لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً} حِيلَة الْخُرُوج {وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً} لاَ يعْرفُونَ طَرِيقا. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {98} {إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً} {النساء: 98} لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى حِيلَةٍ وَلَا على نفقة ولا على قوة الخروج منها، {وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} {النساء: 98} أَيْ: لَا يَعْرِفُونَ طَرِيقًا إِلَى الْخُرُوجِ.

وقال: (مُجَاهِدٌ): لاَ يَعْرِفُونَ طريق المدينة. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98)}

ثم استثنى المستضعفين على الحقيقة، الذين لا قدرة لهم على الهجرة بوجه من الوجوه {وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلا}. (3)

* * *

قوله تعالى: (إلا المستضعفين من الرجال والنساء ...)

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن (أبي هريرة): أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول: اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف. وأن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: غِفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله".

قال: (ابن أبي الزناد عن أبيه): هذا كله في الصبح. (1)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (98). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (98).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (98)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمَامْ (البُخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عبيد الله قال: سمعتُ (ابن عباس) قال: كنتُ أنا وأمي من المستضعفين. (2)

* * *

قوله تعالى: (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا)

قال: الإمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن (عكرمة) في قوله: (لا يستطيعون حيلة) قال: نهوضا إلى المدينة، (ولا يهتدون سبيلا) طريقا إلى المدينة. (3)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح)، و(عمرو هو ابن دينار).

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: ﴿إِلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا (13)﴾. هَذَا عُذْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ فِي تَرْكِ الْهِجْرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ قَدَرُوا مَا عَرَفُوا يَسْلُكُونَ الطَّرِيقَ،

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا﴾ قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(السُّدِّيُّ): يَعْنِي طَرِيقًا. (4)

* * *

قال: الإمَامْ (القُرطُبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً) الْحِيلَةُ لَفْظٌ عَامٌّ لِأَنْوَاعِ أَسْبَابِ التَّخَلُّصِ. وَالسَّبِيلُ سَبِيلُ الْمَدِينَةِ، فِيمَا ذَكَرَ (مُجَاهِدٌ)، وَ(السُّدِّيُّ) وَغَيْرُهُمَا، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ عَامٌّ فِي جَمِيعِ السُّبُلِ. (5)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ " استثناءٌ من قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَائِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ {النساء: 97} والمعنَى: إلاّ مَن صَدَقَ أنه مُسْتَضْعَفٌ من الشُّيوخِ والوِلْدَانِ ونسَاءِ لا يَجِدُونَ نَفَقَةَ الخروجِ إلى المدينةِ ولا يُمكنهم الخروجُ إليها، ولا يعرفونَ الطريقَ حتى يُهاجروا،

والمعنَى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ﴾ المخلصينَ المُقْهُورِيْنَ بِمَكَّةَ لم يستطيعوا الْهِجْرَةَ، ومُنِعُوا من اللُّحُوقِ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم وهم يريدونَ اللُّحُوقَ به.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً. قَالَ: (مجاهدُ): (مَعْنَاهُ لاَ يَعْرِفُونَ طَرِيْقَ الْمَدِيْنَةِ).

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (572/2)، (ح 1006) – (كتاب: الاستسقاء)، / باب: (دعاء النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (103/8)، (ح4587) – (كتاب: تفسير القرآن)، (سورة النساء).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (98).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (98)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (98)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

وقــال: (ابــنُ عبَّــاس) : (كُنْــتُ أنَــا وَأُمِّــي مِــنَ الَّــذِيْنَ لاَ يَسْــتَطِيْعُوْنَ حِيْلَــةً وَلاَ يَهْتَــدُوْنَ سَــبِيْلاً ، وَكُنْــتُ غُلاَمــاً صَــغِيراً يَوْمَئِــذٍ ، فَــنَحْنُ مِمَّــنِ اسْتَثْنَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَل).(1)

* * *

قــال: الإمَــامُ (محمــد بــن علــي الشــوكاني اليــمني) - (رحمــه الله) - في (تفســيره)= (فَــتْحُ القَــدِيرِ):- قَوْلُــهُ:

{إلاَّ الْمُسْتَضْــعَفِينَ} ... هُــوَ اسْــتِثْنَاءٌ مِــنَ الضَّــمِيرِ فِــي مَــأْوَاهُمْ. يَعْنِــي:- اسْــتِثْنَاءٌ مُنْقَطِــعٌ، لِعَــدَمِ دُخُــولِ الْمُسْتَضْــعَفِينَ فِــي الْمَوْصُولِ وَضَمِيرِهِ.

وَقَوْلُــهُ: {مِــنَ الرِّجَــالِ وَالنِّسَــاءِ وَالْوِلْــدَانِ} ... مُتَعَلِّــقٌ بِمَحْــذُوفٍ، أَيْ: كَــائِنِينَ مِــنْهُمْ، وَالْمُــرَادُ بِالْمُسْتَضْــعَفِينَ مِــنَ الرِّجَــالِ: الزَّمْنَــى وَنَحْــوُهُمْ، وَالْوِلْــدَانُ: كَعَيَّــاشِ بْــنِ أَبِــي رَبِيعَــةَ وَسَــلَمَةَ بْــنِ هِشَــامٍ وَإِنَّمَــا ذَكَــرَ الْوِلْــدَانَ مَــعَ عَــدَمِ التَّكْلِيــفِ لَهُــمْ لِقَصْــدِ الْمُبَالَغَــةِ فِــي أَمْــرِ الْهِجْــرَةِ، وَإِيهَــامِ أَنَّهَــا تَجِــبُ لَــوِ اسْــتَطَاعَهَا غَيْــرُ الْمُكَلَّــفِ، فَكَيْــفَ مَنْ كَانَ مُكَلَّفًا،

يَعْنِــي:- أَرَادَ بِالْوِلْــدَانِ: الْمُــرَاهِقِينَ وَالْمَمَالِيكَ.

قَوْلُــهُ: {لَا يَسْــتَطِيعُونَ حِيلَــةً} ... صِــفَةٌ لِلْمُسْتَضْــعَفِينَ، أَوْ: لِلرِّجَــالِ وَالنِّسَــاءِ وَالْوِلْــدَانِ، أَوْ: حَــالٌ مِــنَ الضَّــمِيرِ فِــي الْمُسْتَضْعَفِينَ،

يَعْنِــي:- الْحِيلَــةُ: لَفْــظٌ عَــامٌّ لِــأَنْوَاعِ أَسْــبَابِ الــتَّخَلُّصِ، أَيْ: لاَ يَجِــدُونَ حِيلَــةً وَلاَ طَرِيقًــا إِلَــى ذَلِكَ، (2)

* * *

[٩٩] ﴿ فَأُولَئِــكَ عَسَــى اللَّــهُ أَنْ يَعْفُــوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

فهــؤلاء الضــعفاء هــم الــذين يُرجــى لهــم مــن الله تعــالى العفــو" لعلمــه تعــالى بحقيقــة أمــرهم. وكــان الله كــثير العفــو ويتجــاوز عــن ســيئاتهم، ويسترها عليهم.

(أي: فأولئــك عســى الله برحمتــه ولطفــه أن يعفــو عــنهم، وكــان الله عفــوًا عــن عبــاده غفــورًا لمن تاب منهم).(3)

* * *

يَعْنِــي:- فهــؤلاء الضــعفاء هــم الــذين يُرجــى لهــم مــن الله تعــالى العفــو" لعلمــه تعــالى بحقيقــة أمــرهم. وكــان الله كــثير العفــو ويتجــاوز عن سيئاتهم، ويسترها عليهم.(4)

* * *

يَعْنِــي:- وأولئــك يُرجــى عفــو الله عــنهم، والله - تعالى - من شأنه العفو والغفران.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

(1) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) - المنســوب - للإمــام الطبرانــي) في ســورة (النساء) الآية (98).

(2) انظــر: تفســير (فــتح القــدير) في ســورة (النســاء) الآيــة (98). للإمــام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(3) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (94/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظــر: (التفســير الميســر) بــرقم (94/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير).

(5) انظــر: (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (127/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر).

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ} ... أي: لا يستقصى عليهم فى المحاسبة، ويرجى عفو الله عنهم، والله تعالى من شأنه العفو والغفران.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ} وَعَسَى من الله وَاجِب {أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ} فِيمَا كَانَ مِنْهُم. {وَكَانَ الله عَفُوّاً} لما كَانَ مِنْهُم {غَفُوراً} لمن تَابَ مِنْهُم.(1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):-

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ(2)"، يَعْنِي الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَدْعُو لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي الصلاة.

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ} {النساء: 99} يَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ، وَعَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ، لِأَنَّهُ لِلْإِطْمَاعِ، وَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَطْمَعَ عَبْدًا وَصَلَهُ إِلَيْهِ، {وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا} {النساء: 99}.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- فهؤلاء قال الله فيهم: {فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا} و"عسى" ونحوها واجب وقوعها من الله تعالى بمقتضى كرمه وإحسانه، وفي الترجية بالثواب لمن عمل بعض الأعمال فائدة، وهو أنه قد لا يوفيه حق توفيته، ولا يعمله على الوجه اللائق الذي ينبغي، بل يكون مقصراً فلا يستحق ذلك الثواب. والله أعلم.

وفي الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن المأمور من واجب وغيره فإنه معذور، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد: {لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}، وقال في عموم الأوامر: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}.

وقال: النبي - صلى الله عليه وسلم: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده وانسدت عليه أبواب الحيل لقوله: {لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً} وفي الآية تنبيه على أن الدليل في الحج والعمرة ونحوهما مما يحتاج إلى سفر من شروط الاستطاعة.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

يقول الله جل ثناؤه: {فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم}، يعني: هؤلاء المستضعفين،

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (99). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4311)، - (كتاب: التفسير)، / باب: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..}.

(3) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (99).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (99)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يقول: لعل الله أن يعفو عنهم، للعذر الذي هم فيه وهم مؤمنون، فيفضل عليهم بالصفح عنهم في تركهم الهجرة، إذ لم يتركوها اختيارًا ولا إيثارًا منهم لدار الكفر على دار الإسلام، ولكن للعجز الذي هم فيه عن النّقلة عنها، {وكان الله عفوًا غفورًا} يقول: ولم يزل الله، {عفوًّا} يعني: ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده، بتركه العقوبة عليها،

{غفورًا} ، ساترًا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها.(1)

* * *

قال : الإمَامُ (ابن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ} أَيْ: يَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ بِتَرْكِ الْهِجْرَةِ، وَعَسَى مِنَ اللَّهِ مُوجِبَةٌ {وَكَانَ اللَّهُ عفُوًّا غَفُورًا} .

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُصَلِّي الْعِشَاءَ إِذْ قَالَ: ((سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ))، ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ ((اللَّهُمَّ نَجِّ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ نَجِّ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ نَجِّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ نَجِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُفَ)).(2)

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاق): أَنْبَأَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ (ابْنَ عَبَّاسٍ) يَقُولُ: كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ.(3)

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): أَنْبَأَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {إِلا الْمُسْتَضْعَفِينَ} قَالَ: كَانَتْ أُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.(4) (5)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ) هَذَا الَّذِي لَا حِيلَةَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ لَا ذَنْبَ لَهُ حَتَّى يُعْفَى عَنْهُ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَجِبُ تَحَمُّلُ غَايَةِ الْمَشَقَّةِ فِي الْهِجْرَةِ، حَتَّى إِنَّ مَنْ لَمْ يَتَحَمَّلْ تِلْكَ الْمَشَقَّةَ يُعَاقَبُ فَأَزَالَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَهْمَ، إِذْ لَا يَجِبُ تَحَمُّلُ غَايَةِ الْمَشَقَّةِ، بَلْ كَانَ يَجُوزُ تَرْكُ الْهِجْرَةِ عِنْدَ فَقْدِ الزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ. فَمَعْنَى الْآيَةِ: فَأُولَئِكَ لَا يُسْتَقْصَى عَلَيْهِمْ فِي الْمُحَاسَبَةِ،

وَلِهَذَا قَالَ: (وَكانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً) وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى واحد،(6)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (99)، للإمَامْ (الطبري)،

(2) (متفق عليه) : أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4598) – (كتاب تفسير القرآن).

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (675) – ((كتاب : المساجد وموضع الصلاة) .

(3) انظر: (تفسير عبد الرزاق) برقم (166/1) .

(4) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4597).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية ()، للإمَامْ (ابن كثير).

(6) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (99)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَأُوْلَائِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ} " أي: أهلُ هذه الصِّفة من المستضعفين ، عَسَى الله أنْ يَتَجَاوَزَ عنهُم ، و{عَسَى} من الله كلمةُ إيجاب " لأنه أرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ، والفائدةُ في ذكْرِ هذا اللفظ أنْ يكونَ العبدُ بين الخوف والرَّجاء.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : {وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً} " أي لَم يَزَلْ عَفُوّاً عن عباده غفُوراً لَهم. (1)

* * *

[١٠٠] ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ومن يهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله يجد في الأرض التي هاجر إليها مُتحوَّلًا وأرضًا غير أرضه التي ترك، ينال فيها العزة والرزق الواسع، ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله، ثم ينزل به الموت قبل وصوله إلى مُهاجَره، فقد ثبت أجره على الله، ولا يضره أنه لم يصل إلى مُهاجَره، وكان الله غفورًا لمن تاب من عباده رحيمًا بهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن يخرج من أرض الشرك إلى أرض الإسلام فرارًا بدينه، راجيًا فضل ربه، قاصدًا نصرة دينه، يجد في الأرض مكانًا ومتحولا ينعم فيه بما يكون سببًا في قوته وذلة أعدائه، مع السعة في رزقه وعيشه، ومن يخرج من بيته قاصدًا نصرة دين الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، وإعلاء كلمة الله، ثم يدركه الموت قبل بلوغه مقصده، فقد ثبت له جزاء عمله على الله، فضلا منه وإحسانًا. وكان الله غفورًا رحيمًا بعباده. (3)

* * *

يَعْنِي:- ومن يهاجر طالباً بهجرته مناصرة الحق وتأييده، يجد فى الأرض التى يسير فيها مواضع كثيرة يرغم بها أنف أعداء الحق، ويجد سعة الحرية والإقامة العزيزة، وله بذلك الثواب والأجر العظيم، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى موطن الدولة العزيزة التى هى دولة الله ورسوله، ثم يدركه الموت قبل أن يصل فقد ثبت أجره، وتكرَّم الله فجعل الأجر حقا عليه، وغفر له ورحمه، لأن من شأنه الغفران والرحمة. (4)

والرحمة. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{مُرَاغَمًا} ... مُهَاجَرًا، وَمَكَانًا يُتَحَوَّلُ إِلَيْهِ.

{مُرَاغَمًا} ... الْمُرَاغَمُ: مَوْضِعُ الْمُرَاغَمَةِ كَالْمُزَاحَمَةِ مَوْضِعُ الْمُزَاحَمَةِ، وَالْمُقَاتَلُ موضع

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني في سورة (النساء) الآية (99).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (94/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (127/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الْمُقَاتَلَة، وَرَاغَم: هَاجَرَ، والمعنى: أنَّ مَنْ أَسْلَمَ كان يخرج عن قومه مُرَاغِمًا: أي مُهَاجِرًا وَمُتَحَوِّلًا من الرُّغَامِ وهو التراب.

{مُراغَماً} ... مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه، أي يفارقهم على رغم أنوفهم.

{ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ} ... بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف.

وقرىء (يدركه) بالنصب على إضمار (أن).

{فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} ... فقد وجب ثوابه على الله.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {وَقَعَ}: وَجَبَ. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا شقيق حدثنا (خباب) - رضي الله عنه - قال: ((هاجرنا مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نلتمس وجه الله، فوقع أجرُنا على الله، فمنّا من مات لم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عُمير، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها. قتل يوم أحد فلم نجد ما نكفنه إلا بُردة إذا غطّينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن نغطّي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذخر)). (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا محمد بن شريك، عن عمرو بن دينار، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) قال: كان بمكة رجل يقال له: ضمرة من بني بكر، وكان مريضاً، فقال لأهله: أخرجوني من مكة فإني أجد الحرّ فقالوا: أين نخرجك؟ فأشار بيده نحو المدينة يعني. فمات. فنزلت هذه الآية: (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله). (3)

* * *

وقال: الإِمَامْ (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):-, وَعَنْ (الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ) - رضي الله عنه - قال: هَاجَرَ خَالِدُ بْنُ حِزَامٍ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ فِي الطَّرِيقِ فَمَاتَ، فَنَزَلَتْ فِيهِ: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ, وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا} قَالَ: الزُّبَيْرُ: فَكُنْتُ أَتَوَقَّعُهُ

---

(1) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (100). برقم (ج 4/ ص18).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (170/3)، (ح 1276) – (كتاب : الجنائز)، / باب: (إذا لم يجد كفنا إلا ..).

(3) أخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) (- سورة النساء/100) برقم (ح 4001).

وأخرجه الإِمَامْ (الطبري) في (التفسير) برقم (118/9)، (ح 10294) بسند الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) نفسه، لكن وقع في إسناده "شريك" وصوابه: محمد بن شريك كما عند (أبي حاتم).

وعزاه الإِمَامْ (السيوطي) (لابن المنذر) أيضاً بلفظه.

وعزاه الإِمَامْ (الهيثمي) (لأبى يعلى) بنحوه. وقال: رجاله ثقات (مجمع الزوائد) برقم (10/7).

وقال: الإِمَامْ (السيوطى) عن (سند الإِمَامْ (أبي يعلى) و الإِمَامْ (الطبرانى): (رجاله ثقات) في (الدر المنثور) برقم (207/2) و (سنده صحيح).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 100)، الطبعة : الأولى ،

وَأَنْتَظِرُ قُدُومَهُ وَأَنَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَمَا أَحْزَنَنِي شَيْءٌ حُزْنَ وَفَاتِهِ حِينَ بَلَغَنِي لِأَنَّهُ قَلّ أَحَدٌ مِمَّنْ هَاجَرَ مِنْ قُرَيْشٍ، إِلاَ مَعَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ، أَوْ ذَوِي رَحِمِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَلاَ أَرْجُو غَيْرَهُ. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} فِي طَاعَة الله {يَجِدْ فِي الأَرْض} فِي أَرض الْمَدِينَة {مُرَاغَماً} محولاً وملجأ {كَثِيراً وَسَعَةً} فِي الْمَعيشَة وأمنانزلت هَذِه الْآيَة فِي أَكْثَم بن صَيفِي ثمَّ نزلت فِي (جُنْدُب بن ضَمرَة) شيخ كَانَ بِمَكَّة هَاجر من مَكَّة إِلَى الْمَدِينَة فأدركه الْمَوْت بِالتَّنْعِيم ثَوَابه مثل ثَوَاب الْمُهَاجِرين فَمَاتَ حميدا فَنزلت فِيهِ {وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ} بِمَكَّة {مُهَاجِراً إِلَى الله} إِلَى طَاعَة الله {وَرَسُولِهِ} إِلَى رَسُوله بِالْمَدِينَة {ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ} بِالتَّنْعِيم {فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ} وَجب ثَوَاب هجرته {عَلَى الله وَكَانَ الله غَفُوراً} لما كَانَ مِنْهُ فِي الشّرك {رَّحِيماً} بِمَا كَانَ مِنْهُ فِي الْإِسْلَام. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {100} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} {النساء: 100} عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: (مُرَاغَمًا) أَيْ: متحوّلا يَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُتَزَحْزَحًا عَمَّا يَكْرَهُ، وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ): الْمُرَاغَمُ: المهاجر،

قيل: سميت المهاجرة مراغمة لأن من يهاجر يراغم قومه، وسعة أي: في الرزق،

يَعْنِي:- سعة من الضلالة إلى الهدى.

{وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ} أَيْ: قَبْلَ بُلُوغِهِ إِلَى مُهَاجِرِهِ،

{فَقَدْ وَقَعَ} أَيْ: وَجَبَ. {أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} بِإِيجَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَضْلًا مِنْهُ،

{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} {النساء: 100}. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {100} {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} .

هذا في بيان الحث على الهجرة والترغيب، وبيان ما فيها من المصالح، فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته، أنه يجد مراغما في الأرض وسعة، فالمراغم مشتمل على مصالح الدين، والسعة على مصالح الدنيا.

---

(1) انظر: (تفسير ابن أبي حاتم) برقم (3/ 1050/ ح (5888).
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (6052).
و(سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) برقم (3218). للإِمَامْ (الألباني).
وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (100)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).
(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (100). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (100).

وذلك أن كثيرًا من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتًا بعد الألفة، وفقرًا بعد الغنى، وذلا بعد العز، وشدة بعد الرخاء.

والأمر ليس كذلك، فإن المؤمن ما دام بين أظهر المشركين فدينه في غاية النقص، لا في العبادات القاصرة عليه كالصلاة ونحوها، ولا في العبادات المتعدية كالجهاد بالقول والفعل، وتوابع ذلك، لعدم تمكنه من ذلك، وهو بصدد أن يفتن عن دينه، خصوصا إن كان مستضعفًا.

فإذا هاجر في سبيل الله تمكن من إقامة دين الله وجهاد أعداء الله ومراغمتهم، فإن المراغمة اسم جامع لكل ما يحصل به إغاظة لأعداء الله من قول وفعل، وكذلك ما يحصل له سعة في رزقه، وقد وقع كما أخبر الله تعالى.

واعتبر ذلك بالصحابة رضي الله عنهم فإنهم لما هاجروا في سبيل الله وتركوا ديارهم وأولادهم وأموالهم لله، كمل بذلك إيمانهم وحصل لهم من الإيمان التام والجهاد العظيم والنصر لدين الله، ما كانوا به أئمة لمن بعدهم، وكذلك حصل لهم مما يترتب على ذلك من الفتوحات والغنائم، ما كانوا به أغنى الناس، وهكذا كل من فعل فعلهم، حصل له ما حصل لهم إلى يوم القيامة.

ثم قال: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: قاصدا ربه ورضاه، ومحبة لرسوله ونصرًا لدين الله، لا لغير ذلك من المقاصد.

﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ بقتل أو غيره، ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالى، وذلك لأنه نوى وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم كاملا ولو لم يكملوا العمل، وغفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها.

ولهذا ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يغفر للمؤمنين ما اقترفوه من الخطيئات، خصوصا التائبين المنيبين إلى ربهم.

﴿رَحِيمًا﴾ بجميع الخلق رحمة أوجدتهم وعافتهم ورزقتهم من المال والبنين والقوة، وغير ذلك. رحيمًا بالمؤمنين حيث وفقهم للإيمان، وعلمهم من العلم ما يحصل به الإيقان، ويسر لهم أسباب السعادة والفلاح وما به يدركون غاية الأرباح، وسيرون من رحمته وكرمه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فنسأل الله أن لا يحرمنا خيره بشر ما عندنا. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (100)﴾

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله﴾، ومن

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (100)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يُفارق أرضَ الشرك وأهلَها هربًا بدينه منها ومنهم، إلى أرض الإسلام وأهلها المؤمنين ، {في سبيل الله} ، يعني: في منهاج دين الله وطريقه الذي شرعه لخلقه، وذلك الدين القيِّم، {يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا} ، يقول: يجد هذا المهاجر في سبيل الله، {مراغمًا كثيرًا} ، وهو المضطرب في البلاد والمذهب.

* * *

يقال منه: {راغم فلانٌ قومه مراغمًا ومُرَاغمة} ، مصدرًا، ومنه قول نابغة بني جعدة:

كَطَوْدٍ يُلاذُ بِأَرْكَانِهِ ... عَزِيزِ الْمُراغَمِ وَالْمَهْرَبِ (1)

وقوله: {وسعة} ، فإنه يحتمل السَّعة في أمر دينهم بمكة، وذلك منعُهم إياهم -كان- من إظهار دينهم وعبادة ربهم علانية.

* * *

ثم أخبر جل ثناؤه عمن خرج مهاجرًا من أرض الشرك فارًّا بدينه إلى الله وإلى رسوله، إن أدركته منيَّته قبل بلوغه أرضَ الإسلام ودار الهجرة فقال: من كان كذلك، {فقد وقع أجرُه على الله} ، وذلك ثوابُ عمله وجزاءُ هجرته وفراق وطنه وعشيرته إلى دار الإسلام وأهل دينه. يقول جل ثناؤه: ومن يخرج مهاجرًا من داره إلى الله وإلى رسوله، فقد استوجب ثواب هجرته، إن لم يبلغ دارَ هجرته باخترام المنية إيّاه قبل بلوغه إياها على ربه،

{وكان الله غفورًا رحيمًا} ، يقول: ولم يزل الله تعالى ذكره، {غفورًا} يعني: ساترًا ذنوب عباده المؤمنين بالعفو لهم عن العقوبة عليها،

{رحيمًا} ، بهم رفيقًا. (2)

* * *

قال : الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} هَذَا تَحْرِيضٌ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَتَرْغِيبٌ فِي مُفَارَقَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ حَيْثُمَا ذَهَبَ وَجَدَ عَنْهُمْ مَنْدُوحَةً وَمَلْجَأً يَتَحَصَّنُ فِيهِ، وَ "الْمُرَاغَمُ" مَصْدَرٌ، تَقُولُ الْعَرَبُ: رَاغَمَ فُلَانٌ قَوْمَهُ مُرَاغمًا وَمُرَاغَمَةً، قَالَ نَابِغَةُ (3) بَنِي جَعْدَةَ (4):

كَطَوْدٍ يُلاذُ بِأَرْكَانِهِ ... عَزِيزِ الْمُرَاغَمِ وَالْمَهْرَبِ ...

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): "الْمُرَاغَمُ": التَّحَوُّلُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ.

وَكَذَا رُوِيَ عَنِ (الضَّحَّاكِ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ)، (الثَّوْرِيِّ)،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): {مُرَاغَمًا كَثِيرًا} يَعْنِي: مُتَزَحْزَحًا عَمَّا يُكْرَهُ.

وَقَالَ: (سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ): {مُرَاغَمًا كَثِيرًا} يَعْنِي: بُرُوجًا.

---

(1) ديوانه 22، مجاز القرآن - لأبي عبيدة (1: 138)، اللسان (رغم). والبيت من قصيدته التي في الديوان، ولكنه أفرد منها فلم يعرف مكانه. و"الطود": الجبل العظيم المنيف. ولست أدري على أي شيء تقع كاف التشبيه.
انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (100)، للإمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (100)، للإمَامْ (الطبري)،

(3) في أ: "نابغة في بني جعدة".

(4) البيت في تفسير الطبري (112/10) واللسان مادة (رغم).

وَالظَّاهِرُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّهُ التَّمَنُّعُ الَّذِي يُتَحصَّن بِهِ، وَيُرَاغَمُ بِهِ الْأَعْدَاءُ.

قَوْلُهُ: {وَسَعَةً} يَعْنِي: الرِّزْقَ. قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ: (قَتَادَةُ)، حَيْثُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: {يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} إي، وَاللَّهِ، مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، وَمِنَ الْقِلَّةِ إِلَى الْغِنَى.

وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} أَيْ: وَمَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ بِنِيَّةِ الْهِجْرَةِ، فَمَاتَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ اللَّهِ ثَوَابُ مَنْ هَاجَرَ،

كَمَا ثَبَتَ فِي (الصَّحِيحَيْنِ)، وَغَيْرِهِمَا مِنَ (الصِّحَاحِ)، وَ(الْمَسَانِيدِ)، وَ(السُّنَنِ)، - مِنْ طَرِيقِ- يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، عَنْ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-:

((إنما الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)) (1).

وَهَذَا عَامٌّ فِي الْهِجْرَةِ وَفِي كُلِّ الْأَعْمَالِ.

(1) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (1)، - (كتاب بدء الوحي).
و أخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (1907) - ((كتاب: الإمارة).
وأخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (2201).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (1647).
وأخرجه الإمام (النسائي) في (سننه) برقم (59/1).
وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4227).
وأخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (25/1).
وأخرجه الإمام (الحميدي) في (مسنده) برقم (16/1).
وأخرجه الإمام (الطيالسي) في (مسنده) برقم (27/2) "منحة المعبود".

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. ثُمَّ أَكْمَلَ بِذَلِكَ الْعَابِدِ الْمِائَةَ، ثُمَّ سَأَلَ عَالِمًا: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ ثُمَّ أَرْشَدَهُ إِلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ مِنْ بَلَدِهِ مُهَاجِرًا إِلَى الْبَلَدِ الْآخَرِ، أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ: إِنَّهُ جَاءَ تَائِبًا. وَقَالَ هَؤُلَاءِ: إِنَّهُ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ. فَأُمِرُوا أَنْ يَقِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَقْرَبُ كَانَ مِنْهَا، فَأَمَرَ اللَّهُ هَذِهِ أَنْ يُقْرَبَ مِنْ هَذِهِ، وَهَذِهِ أَنْ تَبْعُدَ فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا بِشِبْرٍ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ الْمَوْتُ نَاءَ بِصَدْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا. (2) (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} أي: مُهَاجرا فيهاجر إِلَيْه.

قَالَ: (مُحَمَّد): المراغم والْمُهَاجر وَاحِد" يُقَال: راغمت وَهَاجَرت، وَأَصله: أَن الرجل إِذا أسلم خرج عَنْ قومه مراغما لَهُم" أَي: مغاضبا مقاطعا. {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ} الْآيَة.

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (3470) - (كتاب أحاديث الأنبياء).
وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (2766) - ((كتاب: التوبة).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (100)، للإمام (ابن كثير).

يَحْيَى: عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ (الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ) قَالَ: ((سَمِعَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ" أَنَّ بَنِي كِنَانَةَ قَدْ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ أَدْنَفَ لِلْمَوْتِ، فَقَالَ: أَخْرِجُونِي إِلَى النَّبِيِّ. فَوُجِّهَ إِلَى النَّبِيِّ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَانْتَهَى إِلَى عَقَبَةٍ سَمَّاهَا فَتُوُفِّيَ بِهَا" فَأَنْزَلَ الله فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ)).(1)

* * *

[١٠١] ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا سافرتم في الأرض فليس عليكم إثم في قصر الصلاة الرباعية من أربع ركعات إلى ركعتين، إن خفتم أن يلحقكم مكروه من الكافرين، إن عداوة الكافرين لكم عداوة ظاهرة بينة.(2)

* * *

يَعْنِي:- وإذا سافرتم أيها المؤمنون- في أرض الله، فلا حرج ولا إثم عليكم في قصر الصلاة إن خفتم من عدوان الكفار عليكم في حال صلاتكم، وكانت غالب أسفار المسلمين في بدء الإسلام مخوفة، والقصر رخصة في السفر حال الأمن أو الخوف. إن الكافرين مجاهرون لكم بعداوتهم، فاحذروهم.(3)

* * *

يَعْنِي:- الصلاة فريضة محكمة لا تسقط فى السفر، ولكن لا إثم على من يقصرها فيه عن الحضر. فالذين يخرجون مسافرين - إن خافوا أن يتعرض لهم الكافرون بما يكرهون - لهم أن يقصروا الصلاة، فالصلاة التى هى أربع ركعات يصلونها اثنتين، وإن الحذر من تعرض الكافرين واجب لأنهم أعداء، عداوتهم واضحة.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ} ... الضرب فى الأرض: السفر وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند (أبى حنيفة) مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن سير الإبل ومشى الأقدام على القصد.

{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ} ... سَافَرْتُمْ.

{ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ} ... أي: مسافرين مسافة قصر، وهي: أربعة برد، أي: ثمانية وأربعون ميلاً.

{أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} ... بأن تصلوا الظهرين ركعتين ركعتين، والعشاء ركعتين لطولها.

{إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ} ... هذا خرج مخرج الغالب، فليس الخوف بشرط في القصر وإنما الشرط السفر.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (100) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (94/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (127/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} ... بِأَنْ تَرُدُّوهَا مِنْ أَرْبَع إلَى اثْنَتَيْنِ.

{إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} ... فالقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة.

{إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ} ... أَيْ: يَنَالكُمْ بِمَكْرُوه.

{يفتنكُمْ} ... يَعْتَدِي عَلَيْكُم.

{فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} ... ظاهره التخيير بين القصر والإتمام، وأن الإتمام أفضل.

{إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مبينا} بيني العداوة.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو معمر، قال: حدثنا عبد الوارث قال: حدثنا (يحيى ابن أبي إسحاق) قال: سمعت أنساً يقول: خرجنا مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من المدينة إلى مكة، فكان يُصلى ركعتين ركعتين، حتى رجعنا إلى المدينة، قلت: أقمتم بمكة شيئاً؟ قال أقمنا بها عشراً. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا سفيان، عن الزهرى، عن عروة، عن (عائشة) - رضي الله عنها - قالت: الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأُقِرَّتْ صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر.

قال (الزهري): فقلت لعروة: ما بال عائشة تتم؟ قال: تأولت ما تأول عثمان. (2)(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق: أخبرنا. وقال الآخرون: حدثنا عبد الله بن إدريس) عن ابن جريج، عن ابن أبي عمار، عن عبد الله بن بابيه، عن يعلى بن أمية" قال: قلتُ (لعمر بن الخطاب): (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) فقد أمن الناس! فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه. فسألت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن ذلك، فقال: ((صدقة تصدق الله بها عليكم. فاقبلوا صدقته)). (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (أحمد) - (الإِمَامُ أهل السُّنَّة والجَمَاعَة) - (رحمه الله) - في (المسند): حدثنا الفضل بن دكين حدثنا مالك، -يعني ابن مغول- عن أبي حنظلة قال سألت (ابن عمر) عن صلاة السفر؟ فقال: ركعتين قال: قلت فأين قول الله تبارك وتعالى (إن خفتم) ونحن آمنون؟ قال: سنة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم(653/2)، (ح 1081) - (كتاب: تقصير الصلاة)، / باب:(ما جاء في التقصير ..).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (663/2)، (ح 1090) - (كتاب: تقصير الصلاة)، / باب: (يقصر إذا خرج من موضعه ..).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (478/1) بعد رقم (685) - (كتاب صلاة المسافرين ..).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (478/1)، (ح 686) - (كتاب: صلاة المسافرين وقصرها)، / باب: (صلاة المسافرين وقصرها).

-، أو قال كذلك سنة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ} سافرتم {فِي الأَرْضِ} في سبيل الله {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} مأثم {أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ} من صَلاَة الْمُقِيم {إِنْ خِفْتُمْ} علمتم {أَن يَفْتِنَكُمُ} أَن يقتلكم {الَّذِين كفرُوا} في الصَّلاَة {إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً} ظَاهر الْعَدَاوَة وَهِي صَلاَة الْخَوْف. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {101} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ} {النساء: 101} أَيْ: سَافَرْتُمْ، {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} أَيْ: حَرَجٌ وَإِثْمٌ.

{أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} يعني من أربعة رَكَعَاتٍ إِلَى رَكْعَتَيْنِ، وَذَلِكَ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْعِشَاءِ،

{إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ} أَيْ: يَغْتَالَكُمْ وَيَقْتُلَكُمْ،

{الَّذِينَ كَفَرُوا} في الصلاة.

{إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا} {النساء: 101} أي: ظاهر العداوة. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وصلاة الخوف، يقول تعالى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأرْضِ} أي: في السفر، وظاهر الآية (أنه) يقتضي الترخص في أي سفر كان ولو كان سفر معصية، كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وخالف في ذلك الجمهور، وهم الأئمة الثلاثة وغيرهم، فلم يجوزوا الترخص في سفر المعصية، تخصيصا للآية بالمعنى والمناسبة، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن يقصروا ويفطروا، والعاصي بسفره لا يناسب حاله التخفيف.

وقوله: {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ} أي: لا حرج ولا إثم عليكم في ذلك، ولا ينافي ذلك كون القصر هو الأفضل، لأن نفي الحرج إزالة لبعض الوهم الواقع في كثير من النفوس، بل ولا ينافي الوجوب كما تقدم ذلك في سورة البقرة في قوله: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} إلى آخر الآية.

وإزالة الوهم في هذا الموضع ظاهرة، لأن الصلاة قد تقرر عند المسلمين وجوبها على هذه الصفة التامة، ولا يزيل هذا عن نفوس أكثرهم إلا بذكر ما ينافيه.

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (6194)

و(صححه) الشيخ (أحمد شاكر). وقال: محققو (المسند) بإشراف أ. د. عبد الله التركى: (صحيح لغيره) في (المسند) برقم (331/10)، (ح 7194).

واورده الإمام (الحافظ ابن حجر) محتجاً به (الفتح الباري) برقم (564/2).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (101/2)، الطبعة: الأولى،

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (101). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (101).

ويدل على أفضلية القصر على الإتمام أمران:

أحدهما: ملازمة النبي -صلى الله عليه وسلم -على القصر في جميع أسفاره.

والثاني: أن هذا من باب التوسعة والترخيص والرحمة بالعباد، والله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته.

وقوله: {أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} ولم يقل أن تقصروا الصلاة فيه فائدتان:

إحداهما: أنه لو قال أن تقصروا الصلاة لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة واحدة لأجزأ، فإتيانه بقوله: {مِنَ الصَّلَاةِ} ليدل ذلك على أن القصر محدود مضبوط، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه.

الثانية: أن {مِنَ} تفيد التبعيض ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية من أربع إلى ركعتين.

فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة، فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد، وهو قوله: {إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كلهما، السفر مع الخوف.

ويرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله: {أَنْ تَقْصُرُوا} قصر العدد فقط؟ أو قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون على الوجه الأول.

وقد أشكل هذا على أمير المؤمنين - (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه-، حتى سأل عنه النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله ما لنا نقصر الصلاة وقد أمنَّا؟ أي: والله يقول: {إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: ((صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته)) أو كما قال.

فعلى هذا يكون هذا القيد أتى به نظرا لغالب الحال التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه عليها-، فإن غالب أسفاره أسفار جهاد.

وفيه فائدة أخرى: وهي بيان الحكمة والمصلحة في مشروعية رخصة القصر، فبيَّن في هذه الآية أنهى ما يتصور من المشقة المناسبة للرخصة، وهي اجتماع السفر والخوف، ولا يستلزم ذلك أن لا يقصر مع السفر وحده، الذي هو مظنة المشقة.

وأما على الوجه الثاني، وهو أن المراد بالقصر: قصر العدد والصفة فإن القيد على بابه، فإذا وجد السفر والخوف، جاز قصر العدد، وقصر الصفة، وإذا وجد السفر وحده جاز قصر العدد فقط، أو الخوف وحده جاز قصر الصفة ولذلك أتى بصفة صلاة الخوف بعدها بقوله: (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (101)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (101)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {وإذا ضربتم في الأرض}، وإذا سرتم أيها المؤمنون في الأرض،

{فليس عليكم جناح}، يقول: فليس عليكم حرج ولا إثم،

{أن تقصروا من الصلاة}، يعني: أن تقصروا من عددها، فتصلوا ما كان لكم عدده منها في الحضر وأنتم مقيمون أربعًا، اثنتين، في قول بعضهم.

يَعْنِي:- معناه: لا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة إلى أقلّ عددها في حال ضربكم في الأرض، أشار إلى واحدة، في قول آخرين.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا جناح عليكم أن تقصروا من حدود الصلاة.

{إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا}، يعني: إن خشيتم أن يفتنكم الذين كفروا في صلاتكم. وفتنتهم إياهم فيها: حملهم عليهم وهم فيها ساجدون حتى يقتلوهم أو يأسروهم، فيمنعوهم من إقامتها وأدائها، ويحولوا بينهم وبين عبادة الله وإخلاص التوحيد له.

ثم أخبرهم جل ثناؤه عما عليه أهل الكفر لهم فقال: {إن الكافرين كانوا لكم عدوًا مبينًا}، يعني: الجاحدين وحدانية الله،

{كانوا لكم عدوًا مبينًا}، يقول: عدوًا قد أبانوا لكم عداوتهم بمناصبتهم لكم الحرب على إيمانكم بالله وبرسوله، وتركِكم عبادة ما يعبدون من الأوثان والأصنام، ومخالفتكم ما هم عليه من الضلالة.[1]

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

يَقُولُ تَعَالَى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ} أَيْ: سَافَرْتُمْ فِي الْبِلاَدِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ} الْآيَةَ {الْمُزَّمِّل: 20}.

وَقَوْلُهُ: {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ} أَيْ: تخَفِّفوا فِيهَا، إِمَّا مِنْ كَمِّيَّتِهَا بِأَنْ تُجْعَلَ الرُّبَاعِيَّةُ ثُنَائِيَّةً، كَمَا فَهِمَهُ الْجُمْهُورُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَاسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ، عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ: فَمِنْ قَائِلٍ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ سَفَرَ طَاعَةٍ، مِنْ جِهَادٍ، أَوْ حَجٍّ، أَوْ عُمْرَةٍ، أَوْ طَلَبِ عِلْمٍ، أَوْ زِيَارَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا هُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَ(عَطَاءٍ)، وَيُحْكَى عَنْ (مَالِكٍ) فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ نَحْوُهُ، لِظَاهِرِ قَوْلِهِ: {إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا}.[2]

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَابَيْهِ، عَنْ (يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ) قَالَ: سَأَلْتُ (عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ) قُلْتُ: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} وَقَدْ أَمَّنَ اللَّهُ النَّاسَ

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (101)، للإمام (الطبري)،

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، للإمام (ابن كثير). ،

؟ فَقَالَ لِي عُمَرُ: عجبتُ ممَّا عجبتَ منْهُ، فسألتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ ذلِكَ، فَقَالَ: ((صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ)).(1)

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ مَرْدُويهِ): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عيسَى، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد، حَدَّثَنَا منْجَاب، حَدَّثَنَا شَرِيْك، عَنْ قَيْسِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ (أَبِي الْوَدَّاك): سَأَلْتُ (ابْنَ عُمَرَ) عَنْ رَكْعَتَيْنِ فِي السَّفَرِ؟ فَقَالَ: هِيَ رُخْصَةٌ، نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَرُدُّوهَا. (2)

* * *

وَقَالَ: الإمام (أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ): حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ (ابْنِ سِيرِينَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَنَحْنُ آمِنُونَ، لاَ نَخَافُ بَيْنَهُمَا، رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ. (3)

وَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ (النَّسَائِيُّ)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ خَالِدٍ الحذَّاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ، بِهِ. (4)

* * *

قَالَ: (أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبِر): وهكذا رواه أيوب، وهشام، وَيَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التُّسْتَرِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مِثْلَهُ.

* * *

قُلْتُ: (5) وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ (التِّرْمِذِيُّ)، وَ(النَّسَائِيُّ) جميعًا، عَنْ قُتَيْبَةَ، عَنْ هُشَيم، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ زَاذان، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، لا يَخَافُ إِلا ربَّ الْعَالَمِينَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: الإمام (التِّرْمِذِيُّ): صَحِيحٌ (6) .

* * *

وَقَالَ:الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا (يَحْيَى بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ) قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ المدينةِ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ. قُلْتُ: أَقَمْتُمْ بِمَكَّةَ شَيْئًا؟ قَالَ: أَقَمْنَا بِهَا عَشْرًا. (7)

وَهَكَذَا أَخْرَجَهُ بَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ - مِنْ طُرُق - عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيِّ، بِهِ (8) .

---

(1) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (686) – (كتاب: صلاة المسافرين وقصرها).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، لِلإِمَامْ (ابن كثير). ،

(3) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه) برقم (547) ،
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (354/1).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الترمذي).

(4) أخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (448/2) .
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (سننه) برقم (117/3) .

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، لِلإِمَامْ (ابن كثير). ،

(6) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه) برقم (547).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (سننه) برقم (117/3) .

(7) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (1081) – (كتاب : الجمعة).

(8) أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (693)

* * *

وقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيان، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ (حَارِثَةَ بْنِ وَهْبِ الْخُزَاعِي) قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِمِنًى -أَكْثَرَ مَا كَانَ النَّاسُ وَآمَنَهُ -رَكْعَتَيْنِ.

وَرَوَاهُ الْجَمَاعَةُ سِوَى (ابْنِ مَاجَهْ) -مِنْ طُرُقٍ،- عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِي، عَنْهُ، بِهِ (1)

* * *

وَلَفْظُ الإمام (الْبُخَارِيِّ): حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، سَمِعْتُ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - آمَنَ مَا كَانَ بِمِنَى رَكْعَتَيْنِ. (2)

* * *

وَقَالَ:الإمام (الْبُخَارِيّ): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا نَافِعٌ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَكْعَتَيْنِ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِه، ثُمَّ أَتَمَّهَا.

وَكَذَا رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ) - مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ الْأَنْصَارِيّ) بِهِ (3)

* * *

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ يَقُولُ: صَلَّى بِنَا (عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِمِنًى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقِيلَ فِي ذَلِكَ (لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ) فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ، فَلَيْتَ حَظِّي مَعَ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَانِ مُتَقَبَّلَتَانِ.

وَرَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ) - أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهِ.

وَأَخْرَجَهُ الإمام (مُسْلِمٌ) - مِنْ طُرُقٍ، عَنْهُ. مِنْهَا عَنْ قُتَيْبَةَ كَمَا تَقَدَّمَ (4)

* * *

وَقَدْ رَوَى الإمام (مُسْلِمٌ) فِي (صَحِيحِه)، وَ(أَبُو دَاوُدَ)، وَ(النَّسَائِيُّ)، وَ(ابْنُ مَاجَهْ)، - مِنْ حَدِيثِ -أَبِي عَوَانَةَ الْوَضَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَشْكُرِي -زَادَ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ: وَأَيُّوبُ بْنُ عَائِذٍ -كِلَاهُمَا عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَخْنَسِ، عَنْ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (306/4)
وأخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (1083)، - ((كتاب: الجمعة).
وأخرجه الإمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (696).
وأخرجه الإمَامْ (أبي داود) في (سننه) برقم (1965).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (سننه) برقم (882).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (سننه) برقم (120/3).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، للإمَامْ (ابن كثير).

وأخرجه الإمَامْ (أبي داود) في (سننه) برقم (1233)
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (سننه) برقم (548)
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (سننه) برقم (118/3)
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (سننه) برقم (1077).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (1082).
وأخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (694).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (سننه) برقم (121/3).
(4) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1084).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (695)..
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، للإمَامْ (ابن كثير).

(مُجَاهِدٍ)، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً،

* * *

هَكَذَا رَوَاهُ (وَكِيعٌ وَرَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ اللَّيْثِيِّ): حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ يَسَافٍ عَنْ طَاوُسٍ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: فَرَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصَّلَاةَ فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ فَكَمَا يُصَلَّى فِي الْحَضَرِ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا، فَكَذَلِكَ يُصَلَّى فِي السَّفَرِ. (1)

وَرَوَاهُ الإِمَامُ (ابْنُ مَاجَهْ) - مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ طَاوُسٍ نفسه. (2)

وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهَا: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ} الْآيَةَ فَبَيَّنَ الْمَقْصُودَ مِنَ الْقَصْرِ هَاهُنَا وَذَكَرَ صِفَتَهُ وكيفيته" ولهذا لما اعتضد الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) (كِتَابَ صَلَاةِ الْخَوْفِ) صَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} إِلَى قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}

وَهَكَذَا قَالَ: (جُوَيْبِرٌ)، عَنِ (الضَّحَّاكِ) فِي قَوْلِهِ: {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} قَالَ: ذَاكَ عِنْدَ الْقِتَالِ، يُصَلِّي الرَّجُلُ الرَّاكِبُ تَكْبِيرَتَيْنِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ. (3)

* * *

وَقَالَ أَسْبَاطٌ، عَنِ (السُّدِّيِّ) فِي قَوْلِهِ: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ} الْآيَةَ: إِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا صُلِّيَتْ رَكْعَتَيْنِ فِي السَّفَرِ فَهِيَ تَمَامٌ، التَّقْصِيرُ لَا يَحِلُّ، إِلا أَنْ تَخَافَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنِ الصَّلَاةِ، فَالتَّقْصِيرُ رَكْعَةٌ. (4)

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ): {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} يَوْمَ كَانَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ بِعُسْفَانَ وَالْمُشْرِكُونَ بِضَجْنَانَ، فَتَوَافَقُوا، فَصَلَّى النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الظُّهْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، بِرُكُوعِهِمْ وَسُجُودِهِمْ وَقِيَامِهِمْ مَعًا جَمِيعًا، فَهَمَّ بِهِمُ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُغِيرُوا عَلَى أَمْتِعَتِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ.

رَوَى ذَلِكَ الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ). وَرَوَاهُ الإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ)، وَ(السُّدِّيِّ)، وَعَنْ (جَابِرٍ)، وَ(ابْنِ عُمَرَ)، وَاخْتَارَ ذَلِكَ أَيْضًا، فَإِنَّهُ قَالَ بَعْدَ مَا حَكَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ: وَهُوَ الصَّوَابُ. (5)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (687).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (1247)
وأخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن) برقم (169/3)
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1068).
وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) أخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1072).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، للإِمَامْ (ابن كثير).

* * *

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ: أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: إِنَّا نَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَصْرَ صَلَاةِ الْخَوْفِ، وَلَا نَجِدُ قَصْرَ صَلَاةِ الْمُسَافِرِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّا وَجَدْنَا نَبِيَّنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْمَلُ عَمَلًا عَمِلْنَا بِهِ.

فَقَدْ سَمَّى صَلَاةَ الْخَوْفِ مَقْصُورَةً، وَحَمَلَ الْآيَةَ عَلَيْهَا، لَا عَلَى قَصْرِ صَلَاةِ الْمُسَافِرِ، وَأَقَرَّهُ ابْنُ عُمَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَاحْتَجَّ عَلَى قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ بِفِعْلِ الشَّارِعِ لَا بِنَصِّ الْقُرْآنِ. (1)

وَأَصْرَحُ مِنْ هَذَا مَا رَوَاهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ) أَيْضًا: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكٍ الْحَنَفِيِّ: سَأَلْتُ (ابْنَ عُمَرَ عَنْ صَلَاةِ السَّفَرِ)، فَقَالَ: رَكْعَتَانِ تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ، إِنَّمَا الْقَصْرُ صَلَاةُ الْمَخَافَةِ. فَقُلْتُ: وَمَا صَلَاةُ الْمَخَافَةِ؟ فَقَالَ: يُصَلِّي الْإِمَامُ بِطَائِفَةٍ رَكْعَةً، ثُمَّ يَجِيءُ هَؤُلَاءِ إِلَى مَكَانِ هَؤُلَاءِ، وَيَجِيءُ هَؤُلَاءِ إِلَى مَكَانِ هَؤُلَاءِ، فَيُصَلِّي بِهِمْ رَكْعَةً، فَيَكُونُ لِلْإِمَامِ رَكْعَتَانِ، وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ رَكْعَةٌ رَكْعَةٌ. (2)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَوةِ} " أي إذا سافرْتُم في الأرض " لأن الخروجَ إلى الصحراءِ أو القصدَ إلى القريةِ القريبةِ لا يسمَّى ضَرْباً في الأرض ،

وقَوْلُهُ تَعَالَى : {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} أي ليس عليكم حرجٌ ومأثمٌ في أن تَقْصُرُوا من الصلاة ، يعني من أربع ركَعَات إلى ركعتين ،

{إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ} " أي إنْ عَلِمْتُمْ أنْ يَقْتَالَكُمْ ، {الَّذِينَ كَفَرُواْ} " ويقتلُوكم ،

{إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً} " أي عدُوّاً ظاهرَ العداوة ، يُقبدون عداوتهم لكم.

وفي الآيةِ ذكرُ القصْرِ من الصلاةِ بين شَرْطَيْنِ ، وأجمعتِ الأُمَّةُ أن أصلَ القصْرِ لا يَتَعَلَّقُ بهما وأن كلَّ واحدٍ منهما يؤثِّر في القصرِ نوعَ تأثيرٍ ، فتأثيرُ السَّفرِ في القصرِ في العددِ في الصَّلاة الرباعيَّة ، وتأثيرُ الخوفِ في القصرِ في أركانِ الصَّلاة إذا خافَ إنْ قامَ في الصلاة أن يراهُ العدوُّ ، أو خافَ أن ينزل عن الدابَّة أن يدركَهُ العدوُّ ، وكان لهُ تركُ القيامِ ، وأنْ يُومِئَ على الدابَّة ، فيحتملُ أن حرفَ العطفِ مضمراً في قوله : {إِنْ خِفْتُمْ} كأنهُ قال : وإنْ خِفْتُمْ أن يَفْتِنَكُمُ الذين كَفَرُوا فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أنْ تَقْصُرُوا منَ الصَّلاَة.

* * *

وقال: (الحسنُ) : (صَلاَةُ السَّفَرِ رَكْعَتَانِ ، فَإذا قَامَ الْحَرْبُ فَرَكْعَةٌ) وهذا اللفظُ يقتضي القصرَ الذي هو في غايةٍ في القصرِ متعلقٌ بشرطين على مذهبه.

ورويَ: ((أنَّ رَجُلاً سَأَلَ عُمَرَ -رضي الله عنه- عَنْ هَذِهِ الآيَةِ فَقَالَ : كَيْفَ يَقْصُرُ النَّاسُ وَقَدْ أمِنُوا ؟ فَقَالَ عُمَرُ : عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتَ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (101)، للإمام (ابن كثير).

منْهُ " حَتَّى سَأَلْتُ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم- عَنْ ذلكَ فقَالَ : "صَدَقَةٌ تَصدَّقَ بهَا عَلَيكُمْ ألاَ فَاقْبَلُواْ صَدَقَةَ الله عَلَيْنَا " يقتضي إسقاطَ الفرض عنَّا.

وفي قوله- صلى الله عليه وسلم- : "فَاقْبَلُواْ صَدَقَتَهُ" دليلٌ أنَّ القصرَ عَزِيْمَةٌ لا رُخْصَةٌ " لأن ظاهرَ الأمرِ على الوجوب ،

ولهذا قال أصحابُنا : إنَّ المسافرَ إذا صَلَّى الظهرَ أربعاً ، ولم يقعُد في الثانية قَدْرَ التَّشَهُّد فَسَدَتْ صلاتُه ، كمصلِّي الفجرِ أربعاً. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ} أن يقتلكم {الَّذِينَ كَفَرُوا} هَذَا قصر صَلَاة الْخَوْف. (2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• فضل الجهاد في سبيل الله وعظم أجر المجاهدين، وأن الله وعدهم منازل عالية في الجنة لا يبلغها غيرهم.

• أصحاب الأعذار يسقط عنهم فرض الجهاد مع ما لهم من أجر إن حسنت نيتهم.

• فضل الهجرة إلى بلاد الإسلام، ووجوبها على القادر إن كان يخشى على دينه في بلده.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (101).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (101) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

• مشروعية قصر الصلاة في حال السفر. (3)

* * *

(4)

---

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (94/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا} (1)

وقال: الإمامُ (البُخَاري) و(مُسلم) - في (صحيحهما)، - الإمام (النسائي) في (سُننه)، والإمامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده)، - والإمام (ابن أبي شيبة) - في (المصنف)،- والإمام (الطحاوي)- في (شرح معاني الآثار)، - (رحمهم الله) - (بسندهم):- , عَنْ (عَائِشَةَ) - رضي الله عنها - قَالَتْ: (" فَرَضَ اللَّهُ - عز وجل - الصَّلَاةَ عَلَى رَسُوله أَوَّلَ مَا فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ) (2) (فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ) (3) (إِلَّا الْمَغْرِبَ، فَإِنَّهَا كَانَتْ ثَلَاثًا) (4) (ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -) (5) (فَأَتَمَّ اللهُ الظُّهْرَ , وَالْعَصْرَ , وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ أَرْبَعًا فِي الْحَضَرِ وَأَقَرَّ الصَّلَاةَ عَلَى فَرْضِهَا الْأَوَّلِ فِي السَّفَرِ ") (6)

وفي رواية: (" فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْفَرِيضَةِ الْأُولَى ") (7) (وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ ") (8)

وفي رواية: (فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - الْمَدِينَةَ صَلَّى إِلَى كُلِّ صَلَاةٍ مِثْلَهَا , غَيْرَ الْمَغْرِبِ , فَإِنَّهَا وِتْرُ النَّهَارِ، وَصَلَاةَ الصُّبْحِ لِطُولِ قِرَاءَتِهَا وَكَانَ إِذَا سَافَرَ , عَادَ إِلَى صَلَاتِهِ الْأُولَى ") (9) (قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَقُلْتُ لِعُرْوَةَ: مَا بَالُ عَائِشَةَ كَانَتْ تُتِمُّ الصَّلَاةَ فِي السَّفَرِ وَهِيَ تَقُولُ هَذَا؟!) (10) (قَالَ: إِنَّهَا تَأَوَّلَتْ كَمَا تَأَوَّلَ عُثْمَانُ) (11).

---

(1) ﴿النساء/101﴾

(2) (س) 454 , (خ) 343 , (م) 1 - (685) , (د) 1198

(3) (خ) 343 , (م) 1 - (685) , (د) 1198

(4) (حم) 26381 , وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(5) (خ) 3720

(6) (حم) 26381 , (خ) 3720 , (م) 2 - (685) , (س) 454 , وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(7) (م) 2 - (685) , (س) 454 , (خ) 343

(8) (خ) 343 , (م) 1 - (685) , (س) 455 , (د) 1198

(9) (طح) ج1ص 415 , (حم) 26084، انظر الصَّحِيحَة: 2814

(10) (ش) 8182 , (م) 3 - (685) , (خ) 1040

(11) (م) 3 - (685) , (خ) 1040 , (ش) 8182

* * *

قال: الإمامُ (النسائي) - (رحمه الله) - في (السُنَن الصغرى) - (بسنده):- , وعَنْ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى) قَالَ: قَالَ: (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ): - رضي الله عنه -: " صَلَاةُ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَانِ , وَصَلَاةُ الْفِطْرِ رَكْعَتَانِ , وَصَلَاةُ الْأَضْحَى رَكْعَتَانِ , وَصَلَاةُ السَّفَرِ رَكْعَتَانِ , تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ , عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - " (1)

---

(1) (س) 1420 , (جة) 1063 , (حم) 257 , وصححه الألباني في الإرواء: 638

* * *

وقال: الإمام (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):-, وعَن (ابن عَبَّاس) – رضي الله عنهما – قال: "فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ – صلى الله عليه وسلم – فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا, وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ, وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً " (1)

وفي رواية (2): " إنَّ اللهَ فَرَضَ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ – صلى الله عليه وسلم – عَلَى الْمُسَافِرِ رَكْعَتَيْنِ, وَعَلَى الْمُقِيمِ أَرْبَعًا, وَفِي الْخَوْفِ رَكْعَةً "

(1) (م) 5 - (687), (س) 456, (د) 1247, (جة) 1068, (حم) 2177

(2) (م) 6 - (687), (حم) 2124

* * *

وقال: الإمام (الترمذي)، و(النسائي)، و(ابن ماجة) – (رحمهم الله) – في (سننهم) – (بسندهم):-, وعَن (أَنَس بن مَالك), رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: (أَغَارَتْ عَلَيْنَا خَيْلُ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –) (1) (فِي إِبِلٍ كَانَتْ لِي أُخِذَتْ, "فَوَافَقْتُهُ وَهُوَ يَأْكُلُ, فَدَعَانِي إِلَى طَعَامِهِ) (2) (فَقَالَ: ادْنُ فَكُلْ", فَقُلْتُ: إِنِّي صَائِمٌ, فَقَالَ: " ادْنُ أُحَدِّثْكَ عَنِ الصَّوْمِ) (3) (إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ نِصْفَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمَ (4) وَرَخَّصَ لِلْحُبْلَى وَالْمُرْضِعِ ") (5)

وفي رواية (6): " إِنَّ اللهَ – عز وجل – وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ, وَعَنِ الْمُسَافِرِ, وَالْحَامِلِ, وَالْمُرْضِعِ, الصَّوْمَ "

(1) (ت) 715, (د) 2408, (جة) 1667

(2) (س) 2276, (د) 2408, (جة) 1667

(3) (ت) 715, (س) 2276, (د) 2408, (جة) 1667

(4) انظر كيف اعتبر النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – الرجلَ مسافراً, مع أنه كان قد وصل المدينة, ودخل الحَضَر. ع

(5) (س) 2277, (د) 2408

(6) (جة) 1667, (حم) 19069, (ت) 715

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) – (إمام أهل السنة والجماعة) – (رحمه الله) – في (المسند) – (بسنده):-, وعَن (ابن مسعود) – رضي الله عنه – قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – يَصُومُ فِي السَّفَرِ وَيُفْطِرُ, وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ لَا يَدَعُهُمَا – يَقُولُ: لَا يَزِيدُ عَلَيْهِمَا – يَعْنِي الْفَرِيضَةَ –" (1)

(1) (حم) 3813, (يع) 5309, (مش) 2395, انظر الصَّحِيحَة: 191

* * *

وقال: الإمام (مُسْلِم) – في (صحيحه)، - والإمام (أبي داود) – في (سننه) – (رحمهما) – (بسندهما):-, وعَن (يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ) قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رضي الله عنه –: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} (1) فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ {الْيَوْمَ} (2) فَقَالَ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ, فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – عَنْ ذَلِكَ, فَقَالَ: " صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ, فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ " (3)

(1) ﴿النساء/101﴾

(2) (د) 1199, (حم) 244

(3) (م) 4 - (686), (ت) 3034, (س) 1433, (د) 1199, (حم) 174

* * *

قال: الإمام (النسائي) – (رحمه الله) – في (السنن الصغرى) – (بسنده):-, وعَن (أُمَيَّة بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ) قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما –: كَيْفَ تَقْصُرُ الصَّلَاةَ؟, وَإِنَّمَا قَالَ اللهُ – عز وجل –: {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ}, فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: يَا ابْنَ أَخِي, " إِنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – أَتَانَا وَنَحْنُ ضُلَّالٌ, فَعَلَّمَنَا, فَكَانَ فِيمَا عَلَّمَنَا أَنَّ اللهَ – عز وجل – أَمَرَنَا أَنْ نُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ فِي السَّفَرِ " (1)

وفي رواية (2): إِنَّ اللهَ – عز وجل – بَعَثَ إِلَيْنَا مُحَمَّدًا – صلى الله عليه وسلم – وَلَا نَعْلَمُ شَيْئًا, وَإِنَّمَا نَفْعَلُ كَمَا رَأَيْنَا " مُحَمَّدًا " – صلى الله عليه وسلم – يَفْعَلُ ".

(1) (س) 457, (حم) 6353, (ك) 946, (خز) 946

(2) (س) 1434 (ط) 334, (عب) 4276, (جة) 1066, (حم) 5333.

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) – (إمام أهل السنة والجماعة) – (رحمه الله) – في (المسند) – (بسنده):-, وعَن (أَبِي حَنْظَلَة) قال: سَأَلْتُ (ابْنَ عُمَرَ) – رضي الله عنهما – عَنِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ, فَقَالَ: الصَّلَاةُ فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ, قُلْتُ: إِنَّا آمِنُونَ لَا نَخَافُ أَحَدًا, قَالَ: ((سُنَّةُ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم –)) (1)

(1) (حم) 4861, 4704, وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

* * *

وقال: الإمام (الترمذي) في (سننه) – والإمام (أحمد بن حنبل) – في (مسنده) – (رحمهما الله) – (بسندهما):-, وعَن (ابن عباس) – رضي الله عنهما – قال: (" خَرَجَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ, لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (1) (فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعَ ") (2)

(1) (ت) 547, (س) 1435, (حم) 1852

(2) (حم) 1852, (ت) 547, (س) 1435

* * *

قال: الإمام (ابن ماجة) – (رحمه الله) – في (سننه) – (بسنده):-, وعَن (ابن عمر) – رضي الله عنهما – قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – إِذَا خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ, لَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهَا" (1)

(1) (جة) 1067, (حم) 6063, (طب) ج13ص290ح14063).

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) – (إمام أهل السنة والجماعة) – (رحمه الله) – في (المسند) – (بسنده):-, وعَن (ابن عباس) – رضي الله عنهما – قال: " كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – إِذَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ, لَمْ يُصَلِّ إِلَّا رَكْعَتَيْنِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ " (1)

(1) (حم) 2159, 2575, (ش) 8157, (طل) 2737, (عبد بن حميد) 696, وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

* * *

وقال: الإمام (البخاري) و (مسلم) – في (صحيحهما)، - الإمام (الترمذي)، و(النسائي)، و(أبو داود)، و(ابن ماجة) – في (سننهم)، - (رحمهم الله) – (بسندهم):-, وعَن (أَبِي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ السُّوَائِيِّ) – رضي الله عنه – قال: (" رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –) (1) (بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ) (2) (فِي قُبَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ ") (3) (فَلَمَّا كَانَ بِالْهَاجِرَةِ (4) خَرَجَ بِلَالٌ – رضي الله عنه – فَنَادَى بِالصَّلَاةِ) (5) (وَإِصْبَعَاهُ فِي أُذُنَيْهِ) (6) (فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هَا هُنَا وَهَا هُنَا, يَقُولُ يَمِينًا وَشِمَالًا,

يَقُولُ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ , حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ (7) وفي رواية: (فَلَمَّا بَلَغَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ , حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ , لَوَى عُنُقَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا , وَلَمْ يَسْتَدِرْ) (8)

وفي رواية: (فَاسْتَدَارَ فِي أَذَانِهِ , وَجَعَلَ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ (9) يُؤَذِّنُ وَيَدُورُ , وَيَتْبَعُ فَاهُ هَهُنَا وَهَهُنَا) (10) " فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - (11) فَأُتِيَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ " , فَجَعَلَ النَّاسُ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ (12) فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا تَمَسَّحَ بِهِ , وَمَنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ شَيْئًا , أَخَذَ مِنْ بَلَلِ يَدِ صَاحِبِهِ) (13)

وفي رواية: (وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ , قَالَ: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ - صلى الله عليه وسلم - فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي , " فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ , وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ ") (14) (ثُمَّ رَأَيْتُ بِلَالًا أَخَذَ عَنَزَةً (15) (16) فَجَاءَهُ بِلَالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ , ثُمَّ خَرَجَ بِلَالٌ بِالْعَنَزَةِ حَتَّى رَكَزَهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بِالْأَبْطَحِ , وَأَقَامَ الصَّلَاةَ) (17) " فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ (18)) (19) بُرُودٌ يَمَانِيَةٌ قِطْرِيٌّ) (20) (مُشَمِّرًا) (21) (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ) (22) (فَصَلَّى إِلَى الْعَنَزَةِ بِالنَّاسِ) (23) (الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ , وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ) (24) (وَرَأَيْتُ النَّاسَ وَالدَّوَابَّ يَمُرُّونَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ وَرَاءِ الْعَنَزَةِ) (25).

وفي رواية: (يَمُرُّ مِنْ وَرَائِهَا الْكَلْبُ , وَالْمَرْأَةُ , وَالْحِمَارُ) (26) (ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ") (27)

(1) (خ) 607
(2) (م) 249 - (503) , (خ) 607
(3) (خ) 369 , (م) 249 - (503) , (ت) 197
(4) أَيْ: وقت الظهيرة.
(5) (م) 250 - (503) , (خ) 608
(6) (ت) 197 , (حم) 18781
(7) (م) 249 - (503) , (خ) 608 , (س) 643 , (د) 520
(8) (د) 520
(9) (جة) 711, وصححه الألباني في الإرواء: 230
(10) (ت) 197 , (حم) 18781
(11) (خ) 477
(12) (خ) 185
(13) (خ) 369 , (م) 250 - (503)
(14) (خ) 3553 , (حم) 18789
(15) العَنَزَة: عصًا شبْه العُكّازة.
(16) (خ) 369 , (م) 249 - (503)
(17) (خ) 607 , (ت) 197
(18) الحُلَّة: إِزَار وَرِدَاء مِنْ جِنْس وَاحِد. (فتح - ح30)
(19) (خ) 369 , (م) 250 - (503) , (د) 520
(20) (د) 520
(21) (خ) 369 , (م) 250 - (503) , (حم) 18782
(22) (م) 249 - (503) , (خ) 3566 , (ت) 197
(23) (خ) 369 , (م) 250 - (503) , (ت) 197
(24) (خ) 473 , (م) 252 - (503) , (س) 470 , (د) 688
(25) (خ) 5786 , (م) 250 - (503) , (حم) 18768
(26) (س) 772 , (حم) 18773 , (خ) 477 , (م) 252 - (503)
(27) (م) 249 - (503)

* * *

قَالَ الإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (إمام أهل السُّنَّة والجماعة) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) - (بِسَنَدِهِ):- , وَعَنْ (ثُمَامَةَ بْنِ شَرَاحِيلَ) قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - فَقُلْتُ: مَا صَلَاةُ الْمُسَافِرِ؟ , فَقَالَ: رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ , إِلَّا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ ثَلَاثًا , قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا بِذِي الْمَجَازِ؟ , قَالَ: وَمَا ذُو الْمَجَازِ؟ , قُلْتُ: مَكَانًا نَجْتَمِعُ فِيهِ , وَنَبِيعُ فِيهِ , وَنَمْكُثُ عِشْرِينَ لَيْلَةً , أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً , قَالَ: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ , كُنْتُ بِأَذْرَبِيجَانَ (1) - لَا أَدْرِي قَالَ: أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ , أَوْ شَهْرَيْنِ - فَرَأَيْتُهُمْ يُصَلُّونَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ , " وَرَأَيْتُ نَبِيَّ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بَصَرَ عَيْنَيَّ يُصَلِّيهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ " , ثُمَّ نَزَعَ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} . (2)

(1) إقليم في بلاد ايران على الحدود الشمالية الغربية.
(2) (حم) 6424 , 5552 , وحسنه الألباني في الإرواء حديث: 577،
وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

* * *

وقال الإِمَامُ (البيهقي) - (رحمه الله) - في (السنن الكبرى) - (بِسَنَدِهِ):- , وَعَنْ (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - قَالَ: أَرْتَجَ عَلَيْنَا الثَّلْجُ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَنَحْنُ فِي غَزَاةٍ , قَالَ: (ابْنُ عُمَرَ): فَكُنَّا نُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. (1)

(1) (هق) 5263 , وصححه الألباني في الإرواء: 577 , وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في " الدراية"1/ 212

* * *

(مسند الأثرم) , وَعَنْ (نَافِعٍ) قَالَ: أقام (ابن عمر) - رضي الله عنهما - بأذربيجان ستة أشْهُرٍ يَقصُرُ الصلاةَ , وقد حال الثلجُ بينَه وبينَ الدُّخول. (1)

(1) صححه الألباني في (الإرواء حديث): (577).

* * *

قَالَ الإِمَامُ (الضياء المقدسي) - (رحمه الله) - في (المختارة):- , وَعَنْ (حَفْصِ بْنِ عُمَرَ) قَالَ: {انْطَلَقَ بِي (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) - رضي الله عنه - (1) إِلَى الشَّامِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ , وَنَحْنُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ لِيَفْرِضَ لَنَا , فَلَمَّا رَجَعَ وَكُنَّا بِفَجِّ النَّاقَةِ , صَلَّى بِنَا الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ , ثُمَّ سَلَّمَ وَدَخَلَ فُسْطَاطَهُ (2) فَقَامَ الْقَوْمُ يُضِيفُونَ إِلَى رَكْعَتَيْهِ رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ، فَقَالَ: قَبَّحَ اللهُ الْوُجُوهَ، فَوَاللهِ مَا أَصَابَتِ السُّنَّةَ، وَلَا قَبِلَتِ الرُّخْصَةَ، فَأَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: " إِنَّ أَقْوَامًا يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ , يَمْرُقُونَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ " (3)

(1) (سنن سعيد بن منصور) 2905 , (الضياء) 1893 , (حم) 12636
(2) الْفُسْطَاط هُوَ الْبَيْتُ مِنْ الشَّعْر، وَقَدْ يُطْلَق عَلَى غَيْر الشَّعْر.
(3) (الضياء) 1893 , (حم) 12636 , (سنن سعيد بن منصور) 2905 ,
وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

* * *

وقَالَ الإِمَامُ (البُخَارِي) و (مُسْلِم) - في (صحيحهما)، والإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسْنَدِهِ) - (رحمهم الله) - (بِسَنَدِهِم):- , وَعَنْ (يَحْيَى بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيِّ) قَالَ: (سَأَلْتُ (أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ) - رضي الله عنه - عَنْ قَصْرِ الصَّلَاةِ) (1) (فَقَالَ: " سَافَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ , فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا ". فَسَأَلْتُهُ: هَلْ أَقَامَ؟، فَقَالَ: " نَعَمْ، أَقَمْنَا بِمَكَّةَ عَشْرًا ") (2)

(1) (حم) 12998 , وصححه الألباني في الإرواء: 573
(2) (خ) 1031 , (م) 15 - (693) , (ت) 548 , (س) 1438 , (د) 1233 , (حم) 12998

* * *

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (إمام أهل السُنَّة والجماعة) - (رحمه اللّه) - في (الْمُسنَد) - (بِسنده):- , وَعَنْ (حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ)- رضي الله عنه - قَالَ: " صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِمِنًى أَكْثَرَ مَا كَانَ النَّاسُ وَآمَنَهُ رَكْعَتَيْنِ " (1)

(1) (حم) 18749 , (خ) 1573 , (م) 20 - (696) , (ت) (882).

* * *

وقال: الإِمَامْ (مُسلِم) - في (صحيحه)، - وقال: الإِمَامْ (النسائي) - في (سُننِه) - والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنَده) - (رحمهم اللّه) - (بِسندهم):- , وَعَنْ مُوسَى بْنِ سَلَمَةَ الْهُذَلِيِّ قَالَ: (كُنَّا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - بِمَكَّةَ , فَقُلْتُ:) (1) (كَيْفَ أُصَلِّي إِذَا كُنْتُ بِمَكَّةَ إِذَا لَمْ أُصَلِّ مَعَ الْإِمَامِ) (2) (وَأَنَا بِالْبَطْحَاءِ؟) (3) (فَقَالَ: "رَكْعَتَيْنِ , تِلْكَ سُنَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ - صلى الله عليه وسلم - ") (4)

وفي رواية (5): " فَقُلْتُ: إِنَّا إِذَا كُنَّا مَعَكُمْ صَلَّيْنَا أَرْبَعًا , وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى رِحَالِنَا صَلَّيْنَا رَكْعَتَيْنِ , قَالَ:" تِلْكَ سُنَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ - صلى الله عليه وسلم - (6) "

(1) (حم) 1862, وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(2) (حم) 3119 , (م) 7 - (688) , (س) 1443 , وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(3) (س) 1444

(4) (حم) 1996 , (م) 7 - (688) , (س) 1443 , وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(5) (حم) 1862 , (طس) 4294 , الصَّحِيحَة: 2676 , وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(6) قال الألباني في الصَّحِيحة ح2676: وفي الحديث دلالة صريحة على أن السنة في المسافر إذا اقتدى بمقيم أنه يتم ولا يَقْصُر، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم.

بل حكى الإمام الشافعي في " الأم " إجماعَ عامة العلماء على ذلك، ونقله الحافظ ابن حجر عنه في " الفتح " وأقره، وعلى ذلك جرى عمل السلف، فروى مالك في " الموطأ " عَنْ نافع أن ابن عمر أقام بمكة عشر ليال يقصر الصلاة، إلَّا أن يصليها مع الإمام , فيصليها بصلاته.

وفي رواية عنه: أن عبد الله بن عمر كان يصلي وراء الإمام بمنى أربعا، فإذا صلى لنفسه صلى ركعتين.

وأخرجه الطحاوي في " شرح المعاني " من طريق مالك، ومن قبله الإمام محمد في " موطئه " , وقال: " وبهذا نأخذُ إذا كان الإمام مقيما , والرجل مسافر، وهو قول أبي حنيفة - رحمه الله - ".

وقوله: " إذا كان الإمام مقيما .. " مفهومه - ومفاهيم المشايخ معتبرة عندهم! - أن الإمام إذا كان مسافرًا فأتم - كما يفعل بعض الشافعية - أن المسافر المقتدي خلفه يَقْصُر ولا يُتِمُّ، وهذا خلاف ما فعله ابن عمر - رضي الله عنهما - وتبعه على ذلك غيره من الصحابة، منهم عبد الله بن مسعود - الذي يتبنى الحنفية غالبَ أقواله - فإنه مع كونه كان يُنْكِر على عثمان - رضي الله عنه - إتمامَه الصلاةَ في منى، ويَعيب ذلك عليه كما في " الصحيحين "، فإنه مع ذلك صلى أربعا كما في " سنن أبي داود " , و" البيهقي "من طريق معاوية بن قرة عن أشياخه , أن عبد الله صلى أربعا، فقيل له: عبتَ على عثمان , ثم صليت أربعا؟! , قال: الخلاف شرٌّ.

وهذا يَحتمل أنه صلاها أربعا وحده، ويحتمل أنه صلاها خلف عثمان، ورواية البيهقي صريحة في ذلك، فدلالتها على المراد دلالةٌ أولوية كما لَا يخفى على العلماء , ومنهم سلمان الفارسي، فقد روى أبو يعلى الكندي قال: " خرج سلمان في ثلاثة عشر رجلا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزاة، وكان سلمان أَسَنَّهم، فأقيمت الصلاة، فقالوا: تقدم يا أبا عبد الله! , فقال: ما أنا بالذي أتقدم، أنتم العرب، ومنكم النبي - صلى الله عليه وسلم - فليتقدم بعضكم، فتقدم بعض القوم، فصلى أربعَ ركعات، فلما قضى الصلاة قال سلمان: ما لنا وللمربعة، إنما يكفينا نصف المربعة ".

أخرجه عبد الرزاق , وابن أبي شيبة , والطحاوي بإسناد رجاله ثقات، ولولا أن فيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي واختلاطه , لصححتُ إسنادَه.

ولقد شَذَّ في هذه المسألة ابن حزم كعادته في كثير غيرها، فقد ذهب إلى وجوب قَصْرِ المسافر وراء المقيم، واحتجَّ بالأدلة العامة القاضية بأن صلاة المسافر ركعتان، كما جاء في أحاديث كثيرة صحيحة , وليس بِخَافٍ على أهل العلم أن ذلك لَا يُفيد فيما نحن فيه، لأن حديث الترجمة يخصِّصُ تلك الأحاديث العامة بمختلف رواياته، بعضها بدلالة المفهوم، وبعضها بدلالة المنطوق , ولا يجوز ضرب الدليل الخاص بالعام، أو تقديم العام على الخاص، سواء كانا في الكتاب أو في السنة، خلافا لبعض الْمُتَمَذْهِبَة , وليس ذلك من مذهب ابن حزم - رحمه الله - فالذي يغلب على الظن أنه لم يستحضر هذا الحديث حين تكلم على هذه المسألة، أو على الأقل , لم يطلع على الروايات الدَّالَّة على خلافِه بدلالة المنطوق، وإلا لم يخالفها إن شاء الله تعالى، وأما رواية مسلم , فمن الممكن أن يكون قد اطلع عليها ولكنه لم يرها حجةً , لدلالتها بطريق المفهوم، وليس هو حجة عنده , خلافا للجمهور، ومذهبهم هو الصواب كما هو مبين في علم الأصول، فإن كان قد اطلع عليها , فكان عليه أن يذكرها مع جوابه عنها، ليكون القاريء على بيِّنة من الأمر

وإن من غرائبه أنه استشهد لِما ذهب إليه بما نقله عن عبد الرزاق , وهو في " مصنفه " من طريق داود بن أبي عاصم قال: " سألت ابن عمر عن الصلاة في السفر؟ , فقال: ركعتان. قلت: كيف ترى ونحن ههنا بمنى؟ , قال: ويحك سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وآمنت به؟ قلت: نعم. قال: فإنه كان يصلي ركعتين , فصل ركعتين إن شئت أو دع ". قلت: وسنده صحيح، وقال عقبه: " وهذا بيانٌ جليٌّ بأمر ابن عمر المسافرَ أن يُصَليَ خلف المقيم ركعتين فقط ".

قلت: وهذا فهم عجيب، واضطراب في الفهم غريب من مثل هذا الإمام اللبيب فإنك ترى معي أنه ليس في هذه الرواية ذِكْر للإمام مطلقا، سواء كان مسافرا أم مقيما , وغاية ما فيه أن ابن أبي عاصم بعد أن سمع من ابن عمر أن الصلاة في السفر ركعتان، أراد أن يستوضح منه عن الصلاة , وهُم - يعني الحُجاج - في منى: هل يقصرون أيضا؟ , فأجابه بالإيجاب، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي فيها ركعتين. هذا كل ما يمكن فهمه من هذه الرواية، وهذا الذي فهمه من خرَّجها، فأوردها عبد الرزاق في " باب الصلاة في السفر " في جملة أحاديث وآثار في القصر، وكذلك أورده ابن أبي شيبة في " مصنفه " " باب " من كان يقصر الصلاة " وداود بن أبي عاصم هذا , طائفيٌّ مكي، فمن المحتمل أنه عرضت له شبهة من جهة كونه مكيا، والمسافة بينها وبين منى قصيرة، فأجابه ابن عمر بما تقدَّم، وكأنه يعني أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَصَر في منى هو ومن كان معه من المكيين الحجاج , والله أعلم.

وإن مما يؤكد خطأ ابن حزم في ذلك الفهم , ما سبق ذكره بالسند الصحيح عن ابن عمر , أنه كان إذا صلى في مكة ومنى لنفسه قَصَر، وإذا صلى وراء الإمام صلى أربعا

فلو كان سؤال داود عن صلاة المسافر وراء المقيم، لأفتاه بهذا الذي ارتضاه لنفسه من الإتمام في هذه الحالة، ضرورةً أنه لَا يُعقل أن تُخالف فتواه قوله، ويؤيد هذا أنه قد صح عنه أنه أفتى غيره بذلك، فروى عبد الرزاق بسند صحيح عن أبي مجلز قال: قلت لابن عمر: أدركت ركعة من صلاة المقيمين وأنا مسافر؟ , قال: صل بصلاتهم. أورده في " باب المسافر يدخل في صلاة المقيمين ".

وذكر فيه آثارا أخرى عن بعض التابعين بمعناه، إلَّا أن بعضَهم فَصَّل , فقال في المسافر يدرك ركعة من صلاة المقيمين في الظهر: يزيد إليها ثلاثا، وإن أدركهم جلوسا , صلى ركعتين.

ولم يُرْوَ عن أحد منهم الاقتصار على ركعتين على كل حال كما هو قول ابن حزم!.

وأما ما ذكره من طريق شعبة عن المغيرة بن مقسم عن عبد الرحمن بن تميم بن حذلم قال: " كان أبي إذا أدرك من صلاة المقيم ركعة وهو مسافر , صلى إليها أخرى، وإذا أدرك ركعتين اجتزأهما "،

وقال ابن حزم: " تميم بن حذلم من كبار أصحاب ابن مسعود - رضي الله عنه - ".

قلت: نعم، ولكنه مع شذوذه عن كل الروايات التي أشرت إليها في الباب وذكرنا بعضها، فإن ابنه عبد الرحمن ليس مشهورا بالرواية، فقد أورده البخاري في "

التاريخ " , وابن أبي حاتم , ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا، وذكر ابن أبي حاتم أنه روى عنه أبو إسحاق الهمداني أيضا، وذكره ابن حبان في " الثقات " برواية المغيرة , وهذا قال فيه الحافظ في " التقريب ": " كان يدلس ".
وذكر أيضا من طريق مَطَر بن فيل عن الشَّعْبِيّ قال: " إذا كان مسافرا فأدرك من صلاة المقيم ركعتين , اعتدَّ بهما ". ومَطَرٌ هذا لَا يُعرف.
وعن شعبة قال: سمعت طاووسا , وسألته عن مسافر أدرك من صلاة المقيم ركعتين , فقال: " تُجْزِئَانِه ".
قلت: وهذا صحيح - إن سلم إسناده إلى شعبة من علة - فإن ابن حزم لم يسقه لننظر فيه.
وجملة القول: أنه إن صح هذا وأمثاله عن طاووس وغيره، فالأخذ بالآثار المخالفة لهم أولى , لمطابقتها لحديث الترجمة , وأثر ابن عمر وغيره. والله أعلم. أ. هـ

* * *

وقال: الإِمَامْ (إبن خُزَيمة) – (رحمه اللّه) – في (صحيحه) - (بسنده):-, وَعَنْ (عاصم بن الشَّعْبِيّ) قَالَ: كَانَ (ابْنُ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - إِذَا كَانَ بِمَكَّةَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، إِلاَّ أَنْ يَجْمَعَهُ إِمَامٌ , فَيُصَلِّي بِصَلَاتِه، فَإِنْ جَمَعَهُ الإِمَامُ , يُصَلِّي بِصَلَاتِه. (1)

(1) (خز) 954 , وقال الألباني: إسناده صحيح.

* * *

وقال: الإِمَامْ (مالك) – (رحمه اللّه) - في (الموطأ) - (بسنده):- , وَعَنْ (نَافِعٍ) قَالَ: أَقَامَ (ابْنُ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - بِمَكَّةَ عَشْرَ لَيَالٍ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ , إِلَّا أَنْ يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ , فَيُصَلِّيهَا بِصَلَاتِه. (1)

(1) (ط) 344 , (تهذيب الآثار , مسند عمر) 399 , (الأوسط لابن المنذر) 2280

* * *

وقال: الإِمَامْ (البيهقي) – (رحمه اللّه) - في (السنن الكبرى) - (بسنده):- , وَعَنْ (أَبِي مِجْلَزٍ) قَالَ: قُلْتُ: لـ(ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - : الْمُسَافِرُ يُدْرِكُ رَكْعَتَيْنِ مِنْ صَلَاةِ الْقَوْمِ - يَعْنِي الْمُقِيمِينَ - أَتُجْزِيهِ الرَّكْعَتَانِ؟ , أَوْ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِمْ؟، فَضَحِكَ وَقَالَ: يُصَلِّي بِصَلَاتِهِمْ. (1)

(1) (هق) 5291 , وصححه الألباني في الإرواء حديث: 571

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي) و (مُسلِم) – في (صحيحهما)، - الإِمَامْ (الترمذي) في (سُنَنِهِ)، والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) — في (المُسنَد) — (رحمهم اللّه)- (بسندهم)-: , وَعَنْ (أَبِي نَضْرَةَ) قَالَ: (سُئِلَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ) - رضي الله عنه - عَنْ صَلَاةِ الْمُسَافِرِ فَقَالَ: ((حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَصَلَّى) (1) (صَلَاةَ الْمُسَافِرِ بِمِنًى وَغَيْرِه) (2) (رَكْعَتَيْنِ)) , وَحَجَجْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ - رضي الله عنه - فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ , وَمَعَ عُمَرَ - رضي الله عنه - فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ , وَمَعَ عُثْمَانَ - رضي الله عنه - سِتَّ سِنِينَ مِنْ خِلَافَتِه , أَوْ ثَمَانِيَ , فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ) (3) (ثُمَّ أَتَمَّهَا بَعْدُ عُثْمَانُ) (4) (قَالَ نَافِعٌ: فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ صَلَّى أَرْبَعًا , وَإِذَا صَلَّاهَا وَحْدَهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ) (5).

(1) (ت) 545
(2) (م) 16 - (694) , (خ) 1032 , (حم) 4858
(3) (ت) 545 , (خ) 1572 , (م) 16 - (694) , (س) 1450 , (حم) 12486
(4) (حم) 6255 , (خ) 1032 , (م) 17 - (694) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.
(5) (م) 17 - (694)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي) و (مُسلِم) – في (صحيحهما)، - الإِمَامْ (أبو داود) في (سُنَنِهِ)، و: الإِمَامْ (عبد الرزاق) – في (المُصنف) - (رحمهم اللّه)- (بسندهم)-: , وَعَنْ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ) قَالَ: (صَلَّى بِنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - رضي الله عنه - بِمِنًى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ , فَقِيلَ ذَلِكَ لـ(عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ) - رضي الله عنه - فَاسْتَرْجَعَ , ثُمَّ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ , وَصَلَّيْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ - رضي الله عنه - بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ , وَصَلَّيْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - بِمِنًى رَكْعَتَيْنِ) (1) (وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ) (2) (ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمْ الطُّرُقُ فَلَوَدِدْتُ أَنْ لِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ مُتَقَبَّلَتَيْنِ) (3) (ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعًا , فَقِيلَ لَهُ: اسْتَرْجَعْتَ ثُمَّ صَلَّيْتَ أَرْبَعًا؟ , قَالَ: الْخِلَافُ شَرٌّ) (4).

(1) (خ) 1034 , (م) 19 - (695) , (س) 1439 , (حم) 3593
(2) (د) 1960
(3) (د) 1960 , (خ) 1574 , (م) 19 - (695) , (حم) 4427
(4) (عب) 4269 , (د) 1960 , (يع) 5377 , (طس) 6637 , انظر (صحيح أبي داود - الأم) 6/ 204 , (أصل صفة صلاة النبي) 1/ 292.

* * *

وقال: الإِمَامْ (أبو داود) – (رحمه اللّه) - في (سُنَنِهِ) – (بسنده):- , وَعَنْ (الزُّهْرِيِّ) قَالَ: إنَّ (عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ) - رضي الله عنه - أَتَمَّ الصَّلَاةَ بِمِنًى مِنْ أَجْلِ الْأَعْرَابِ لِأَنَّهُمْ كَثُرُوا عَامَئِذٍ , فَصَلَّى بِالنَّاسِ أَرْبَعًا لِيُعَلِّمَهُمْ أَنَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعٌ. (1)

(1) (د) 1964 , (هق) (5222).

* * *

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) – (إمام أهل السُنَّة والجماعة) - (رحمه اللّه) - في (المُسنَد) – (بسنده):- , وَعَنْ (عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ) قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا (مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ) - رضي الله عنهما - حَاجًّا , قَدِمْنَا مَعَهُ مَكَّةَ , فَصَلَّى بِنَا الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى دَارِ النَّدْوَةِ , قَالَ: وَكَانَ عُثْمَانُ - رضي الله عنه - حِينَ أَتَمَّ الصَّلَاةَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ , صَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ , أَرْبَعًا أَرْبَعًا , فَإِذَا خَرَجَ إِلَى مِنًى وَعَرَفَاتٍ , قَصَرَ الصَّلَاةَ , فَإِذَا فَرَغَ مِنْ الْحَجِّ وَأَقَامَ بِمِنًى , أَتَمَّ الصَّلَاةَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ مَكَّةَ , فَلَمَّا صَلَّى مُعَاوِيَةُ بِنَا الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ , نَهَضَ إِلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ , وَعَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ , فَقَالَا لَهُ: مَا عَابَ أَحَدٌ ابْنَ عَمِّكَ بِأَقْبَحِ مَا عِبْتَهُ بِهِ , فَقَالَ لَهُمَا: وَمَا ذَاكَ؟ , فَقَالَا لَهُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ عُثْمَانَ - رضي الله عنه - أَتَمَّ الصَّلَاةَ بِمَكَّةَ؟ , فَقَالَ لَهُمَا: وَيْحَكُمَا , وَهَلْ كَانَ غَيْرُ مَا صَنَعْتُ (1)؟ , قَدْ صَلَّيْتُهُمَا مَعَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَا: فَإِنَّ ابْنَ عَمِّكَ قَدْ كَانَ أَتَمَّهَا , وَإِنَّ خِلَافَكَ إِيَّاهُ لَهُ عَيْبٌ , قَالَ: فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْعَصْرِ فَصَلَّاهَا بِنَا أَرْبَعًا. (2)

(1) قال السندي: قوله: وَهَلْ كَانَ غَيْرُ مَا صَنَعْتُ، أي: ما وُجد في الدين أو في السُّنَّة إلا ما صنعتُ من القصر , لا ما صنعَ عثمانُ من الإتمام.
(2) (حم) 16903 , (طب) ج19ص333ح765 , وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

* * *

وقال: الإِمَامْ (ابن أبي شيبة) – (رحمه اللّه) - في (المُصنف) - (بسنده):- , وَعَنْ (الرَّبِيعِ بْنِ نَضْلَةَ) قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ وَنَحْنُ اثْنَا عَشَرَ أَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَاكِبًا , كُلُّهُمْ قَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَغَزَا مَعَهُ , فَحَضَرَتْ الصَّلَاةَ , فَتَدَافَعَ الْقَوْمُ , فَتَقَدَّمَ شَابٌّ مِنْهُمْ فَصَلَّى بِهِمْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلَمَّا

* * *

[١٠٢] ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾:

صَلَّى قَالَ سَلْمَانُ - رضي الله عنه -: مَا لَنَا وَلِلْمَرْبُوعَةِ؟، يَكْفِينَا نِصْفُ الْمَرْبُوعَةِ، نَحْنُ إِلَى التَّخْفِيفِ أَفْقَرُ (1) فَقَالُوا: تَقَدَّمْ أَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ فَصَلِّ بِنَا، فَقَالَ: أَنْتُمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ الْأَئِمَّةُ، وَنَحْنُ الْوُزَرَاءُ. (2)

(1) قال: الإمام (الطحاوي) في (شرح معاني الآثار) (1/ 421): فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّ مَذَاهِبَهُمْ لَمْ تَكُنْ إِبَاحَةَ الْإِتْمَامِ فِي السَّفَرِ.
فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَقَدْ أَتَمَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي قَدَّمَهُ سَلْمَانُ , وَالْمِسْوَرُ - رضي الله عنه - وَهُمَا صَحَابِيَّانِ , فَقَدْ ضَادَّ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ سَلْمَانُ - رضي الله عنه - وَمَنْ تَابَعَهُ عَلَى تَرْكِ الْإِتْمَامِ فِي السَّفَرِ.
قِيلَ لَهُ: مَا فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ , لِأَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمِسْوَرُ وَذَلِكَ الرَّجُلُ أَتَمَّا لِأَنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا يَرَيَانِ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ قَصْرًا , لِأَنَّ مَذْهَبَهُمَا أَنْ لَا تُقْصَرَ الصَّلَاةُ إِلَّا فِي حَجٍّ , أَوْ عُمْرَةٍ , أَوْ غَزَاةٍ , فَإِنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ غَيْرُهُمَا.
فَلَمَّا احْتَمَلَ مَا رُوِيَ عَنْهُمَا مَا ذَكَرْنَا , وَقَدْ ثَبَتَ التَّقْصِيرُ عَنْ أَكْثَرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لَمْ يُجْعَلْ ذَلِكَ مُضَادًّا لِمَا قَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ , إِذْ كَانَ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ
وَهَذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - رضي الله عنه - فَقَدْ صَلَّى بِمِنًى أَرْبَعًا , فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - وَمَنْ أَنْكَرَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَإِنْ كَانَ عُثْمَانُ إِنَّمَا فَعَلَهُ لِمَعْنًى رَآهُ بِهِ إِتْمَامَ الصَّلَاةِ.
فَلَمَّا كَانَ الَّذِي ثَبَتَ لَنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَعَنْ أَصْحَابِهِ هُوَ تَقْصِيرُ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ لَا إِتْمَامُهَا , لَمْ يَجُزْ لَنَا أَنْ نُخَالِفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ.
فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَهَلْ رَوَيْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - شَيْئًا يَدُلُّكُمْ عَلَى أَنَّ فَرَائِضَ الصَّلَاةِ رَكْعَتَانِ فِي السَّفَرِ , فَيَكُونُ ذَلِكَ قَاطِعًا لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُخَالِفُكُمْ؟.
قُلْنَا: نَعَمْ. أ. هـ

(2) (ش) 8161 , (عب) 4283 , (هق) 5224 , وصححه الألباني في الإرواء حديث: (1874).

* * *

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (102) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (103) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (104) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105)

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إذا كنت أيها الرسول - ﷺ - في الجيش وقت قتال العدو، فأردت أن تصلي بهم، فقسِّم الجيش جماعتين: تقوم جماعة منهم تصلي معك، وليأخذوا أسلحتهم معهم في صلاتهم، ولتكن الجماعة الأخرى في حراستكم، فإذا صلت الجماعة الأولى ركعة مع الإمامْ أتمت لنفسها الصلاة، فإذا صلوا فليكونوا من ورائكم تجاه العدو، ولتأت الجماعة التي كانت في الحراسة ولم يصلوا، فليصلوا ركعة مع الإمام، فإذا سلّم الإمامْ أتموا ما بقي من صلاتهم، وليأخذوا حذرهم من عدوهم، وليحملوا أسلحتهم، فإن الذين كفروا يتمنون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم إذا صليتم فيحملون عليكم حملة واحدة، ويأخذونكم في

غفلتكم، ولا إثم عليكم إن أصابكم أذى بسبب المطر أو كنتم مرضى ونحوه، أن تضعوا أسلحتكم فلا تحملوها، واحترزوا من عدوكم بما تستطيعون، إن الله هيَّأ للكافرين عذابًا مذلًّا لهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- وإذا كنت أيها النبي- ﷺ - في ساحة القتال، فأردت أن تصلي بهم، فلتقم جماعة منهم معك للصلاة، وليأخذوا سلاحهم، فإذا سجد هؤلاء فلتكن الجماعة الأخرى من خلفكم في مواجهة عدوكم، وتتم الجماعة الأولى ركعتهم الثانية ويُسلِّمون، ثم تأتي الجماعة الأخرى التي لم تبدأ الصلاة فليأتموا بك في ركعتهم الأولى، ثم يكملوا بأنفسهم ركعتهم الثانية، وليحذروا من عدوهم وليأخذوا أسلحتهم. ودَّ الجاحدون لدين الله أن تغفُلوا عن سلاحكم وزادكم؛ ليحملوا عليكم حملة واحدة فيقضوا عليكم، ولا إثم عليكم حينئذ إن كان بكم أذى من مطر، أو كنتم في حال مرض، أن تتركوا أسلحتكم، مع أخذ الحذر. إن الله تعالى أعدَّ للجاحدين لدينه عذابًا يهينهم، ويخزيهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإذا كنت - أيها النبى الأمين - ﷺ - فيهم وقامت صلاة الجماعة، فلا تنسوا الحذر من الأعداء، وذلك بتقسيم المسلمين إلى طائفتين: إحداهما تبدأ الصلاة مقتدية بك، وتكون الأخرى قائمة على الأسلحة والأمتعة لحراستها، فإذا أتممت نصف الصلاة ذهبت التى صلت وراءك وجاءت الأخرى فصليت بها الباقى، ثم تصلى ما فاتها وتصلى الأولى بقية الصلاة، وتسمى لاحقة والأخرى مسبوقة، إذ تؤدى أول الصلاة، واللاحقة تؤدى آخرها، وذلك التنظيم لكى لا تفوت الصلاة، وللحذر من الكافرين الذين يودون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلوا عليكم دفعة واحدة، ويَنْقَضُّوا عليكم وأنتم فى الصلاة، وأن قتال المشركين مستمراً واجب، ولكن لا إثم عليكم أن تسكنوا إذا كان بكم مرض أو نزل مطر عاق عن القتال، ولكن على أن تكونوا على حذر دائم، وهذا عقاب الله للكافرين فى الدنيا، وفى الآخرة أعد لهم عذاباً مهيناً مذلاً. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وإذا كنت} ... يَا مُحَمَّد حَاضِراً.

{فيهم} ... وَأَنْتُم تَخَافُونَ الْعَدُوّ.

{فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ} ... وَهَذَا جَرْي عَلَى عَادَة الْقُرْآن فِي الْخِطَاب.

{فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ} ... وَتَتَأَخَّر طَائِفَة.

{وَلْيَأْخُذُوا} ... أَيْ: الطَّائِفَة الَّتِي قَامَتْ مَعَك {أَسْلِحَتَهُمْ} ... مَعَهُم.

{فَإِذَا سَجَدُوا} ... أَيْ: صَلَّوْا.

{فَلْيَكُونُوا} ... أَيْ: الطَّائِفَة الْأُخْرَى.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (95/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (128/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{مِـنْ وَرَائِكُـمْ} ... يَحْرُسُـونَ إِلَـى أَنْ تَقْضُـوا الصَّلَاةَ وَتَذْهَب هَذه الطَّائفَة تَحْرُس.

{وَلْتَـأْتِ طَائِفَـةٌ أُخْـرَى لَـمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَك وَلْيَأْخُـذُوا حِـذْرهم وَأَسْلِحَتهمْ} ... مَعَهُـمْ إِلَـى أَنْ تَقْضُـوا الصَّـلَاةَ وَقَـدْ فَعَـلَ النَّبِـيّ - صَـلَّى اللَّـه عَلَيْـه وَسَـلَّمَ- كَـذَلِك بِـبَطْنِ نَخْـل رَوَاهُ (الشَّيْخَان).

{حِـذْرَهُمْ} ... الحيطـة والأهبـة لمـا عسـى أن يحدث من العدو.

{ود الـذين كفـروا لوتغفلـون} إذا قُمْـتُمْ إِلَـى الصَّلَاة.

{عَـنْ أَسْـلِحَتكُمْ وَأَمْتِعَـتكُمْ فَيميلُـونَ عَـلَيْكُمْ مَيْلَـة وَاحِـدَة} ... بِـأَنْ يَحْمِلُـوا عَـلَيْكُم فَيَأْخُـذُوكُمْ وَهَذَا عِلَّة الْأَمْر بِأَخْذ السِّلَاح.

{أَسْـلِحَتكُمْ} ... جمـع سـلاح مـا يقاتـل بـه مـن أنواع الأسلحة.

{ولا جُنَـاحَ عَلَـيْكُمْ} ... أي: لا تضـييق علـيكم ولا حرج في وضع الأسلحة للضرورة.

{ولاَ جُنَـاحَ عَلَـيْكُمْ إِنْ كَـانَ بِكُـمْ أَذًى مِـنْ مَطَـر أَوْ كُنْـتُمْ مَرْضَـى أَنْ تَضَـعُوا أَسْـلِحَتكُمْ} ... فَـلَا تَحْمِلُوهَـا وَهَـذَا يُفِيـد إيجَـاب حَمْلهَـا عِنْـد عَـدَم الْعُـذْر وَهُـوَ أَحَـد قَـوْلَيْنِ لِلشَّـافِعِيّ وَالثَّـانِي أَنَّـهُ سُنَّة ورَجح.

{وَخُـذُوا حِـذْرَكُمْ} ... مِـنَ الْعَـدُو، أَيْ: احْتَـرِزُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ.

{إِنَّ اللَّـهَ أَعَـدَّ لِلْكَـافِرِينَ عَـذَابًا مُهِينًـا} ذا إِهَانَة.

{تَغْفُلُون} ... تَسهَوْنَ.

{مَيْلَـةً وَاحِـدَةً} ... حَمْلَـةً وَاحِـدَةً لِيقْضُـوا عَلَيْكُم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- ثـمَّ بَـين كَيـفَ يصـلون فَقَـالَ: {وَإِذا كُنـتَ فـيهِمْ} مَعَهـم شَـهيدا {فَأَقَمْتَ لَهُـمُ الصَّـلاَةَ} فأقمـتَ لَهُـم فِـي الصَّـلَاة فَكـبر وليكـبروا مَعَـك {فَلْـتَقُمْ} فلـتكن {طَائِفَـةٌ مِّـنْهُمْ مَّعَـكَ} فِـي الصَّـلَاة {وليأخـذوا أَسْـلِحَتَهُمْ فَـإِذا سَـجَدُواْ} ركعـوا رَكْعَـة وَاحِـدَة {فَلْيَكُونُـواْ} فليرجعـوا {مِـن وَرَآئِكُـمْ} إِلَـى مصَـاف أَصْـحَابهم بِـإِزَاء الْعَـدو {وَلْتَـأْتِ طَائِفَـةٌ أُخْـرَى} الَّتِـي بِـإِزَاء الْعَـدو {لَـمْ يُصَـلُّواْ} مَعَـك الرَّكْعَـة الأولى {فَلْيُصَـلُّواْ مَعَـكَ} الرَّكْعَـة الثَّانِيَـة {وَلْيَأْخُـذُواْ حِـذْرَهُمْ} مـن عـدوهم {وَأَسْـلِحَتَهُمْ} وليأخـذوا سـلاحهم مَعَهـم {وَدَّ} تمنـى {الَّـذين كَفَـرُواْ} يَعْنِـي بنـي أَنْمَـار {لَـوْ تَغْفُلُـونَ عَـنْ أَسْـلِحَتِكُمْ} فتنسـونها {وَأَمْتِعَـتِكُمْ} تخلـون مَتَـاع الْحَـرْب، {فَيَمِيلُـونَ عَلَـيْكُمْ} يحملـون عَلَـيْكُم {مَّيْلَـةً وَاحِـدَةً} حَملَـة وَاحِـدَة فِـي الصَّـلَاة ثـمَّ رخـص لَهُـم فِـي وضـع السِّـلَاح فَقَـالَ: {وَلاَ جُنَـاحَ عَلَـيْكُمْ} لَا حـرج عَلَـيْكُم {إِن كَـانَ بِكُـمْ أَذًى مِّـن مَّطَـرٍ} شـدَّة مـن مطـر {أَوْ كُنـتُم مرضـى} جرحـى {أَن تضـعوا أَسْـلِحَتَكُمْ} سـلاحكم {وَخُـذُواْ حِـذْرَكُمْ} مـن عـدوكُمْ {إِنَّ الله أَعَـدَّ لِلْكَـافِرِينَ} بـني أنمـار {عَذَاباً مُّهِيناً} يهانون بِهِ وَيُقَال شَدِيدا. (1)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {102} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَإِذَا كُنْـتَ فِـيهِمْ فَأَقَمْـتَ لَهُـمُ

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (النسـاء) الآية (102). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

الصَّلاَةَ} {النساء: 102} روى (الْكَلْبِيُّ) عَنْ (أَبِي صَالِحٍ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) و(جَابِرٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَصْحَابَهُ - قَامُوا إِلَى الظهر يصلون جميعا ندموا إلا كانوا أكبوا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: دَعُوهُمْ فَإِنَّ لَهُمْ بَعْدَهَا صَلَاةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ يَعْنِي صَلَاةَ الْعَصْرِ، فَإِذَا قَامُوا فِيهَا فَشُدُّوا عَلَيْهِمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَنَزَلَ جبريل -عليه السلام- فَعَلَّمَهُ صَلَاةَ الْخَوْفِ، وَجُمْلَتُهُ أَنَّ الْعَدُوَّ إِذَا كَانُوا فِي مُعَسْكَرِهِمْ فِي غَيْرِ نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ فَيَجْعَلُ الْإِمَامُ الْقَوْمَ فِرْقَتَيْنِ فَتَقِفُ طَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ تَحْرُسُهُمْ، وَيَشْرَعُ الْإِمَامُ مَعَ طَائِفَةٍ فِي الصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً قَامَ وَثَبَتَ قائما حتى أتموا صلاتهم، وذهبوا إِلَى وِجَاهِ الْعَدُوِّ ثُمَّ أَتَتِ الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ فَصَلَّى بِهِمُ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ وَثَبَتَ جَالِسًا حَتَّى أَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمُ الصَّلَاةَ، ثُمَّ يُسَلِّمُ بِهِمْ،

وَهَذِهِ رِوَايَةُ (سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صلى كذلك بذات الرقاع،

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ) أَيْ: شَهِيدًا مَعَهُمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ،

{فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ} أي: فلتقف {وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا} أَيْ: صَلُّوا، {فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ} يُرِيدُ مَكَانَ الَّذِينَ هُمْ وِجَاهَ الْعَدُوِّ، {وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا} وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ {فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ} قِيلَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَتَوْا،

يَعْنِي:- هُمُ الَّذِينَ صَلُّوا، {وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} يتمنى الكفار، {لَوْ تَغْفُلُونَ} أي: وَجَدُوكُمْ غَافِلِينَ، {عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً} فَيَقْصِدُونَكُمْ وَيَحْمِلُونَ عَلَيْكُمْ حَمْلَةً وَاحِدَةً، {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ} رَخَّصَ فِي وَضْعِ السِّلَاحِ فِي حَالِ الْمَطَرِ وَالْمَرَضِ، لِأَنَّ السِّلَاحَ يَثْقُلُ حَمْلُهُ فِي هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ، {وَخُذُوا حِذْرَكُمْ} أَيْ: رَاقِبُوا الْعَدُوَّ كَيْلَا يَتَغَفَّلُوكُمْ، وَالْحِذْرُ مَا يُتَّقَى به من العدو،

{إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} {النساء: 102} يُهَانُونَ فِيهِ، والجُنَاحُ: الْإِثْمُ، مِنْ جَنَحَتْ إِذَا عَدَلَتْ عَنِ الْقَصْدِ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ} أي: صليت بهم صلاة تقيمها وتتم ما يجب فيها ويلزم، فعلمهم ما ينبغي لك ولهم فعله.

ثم فسَّر ذلك بقوله: {فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ} أي: وطائفة قائمة بإزاء العدو كما يدل على ذلك ما يأتي: {فَإِذَا سَجَدُوا} أي: الذين معك أي: أكملوا صلاتهم وعبر عن الصلاة بالسجود ليدل على فضل السجود، وأنه ركن من أركانها، بل هو أعظم أركانها.

{فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا} وهم الطائفة الذين قاموا إزاء العدو

---

(1) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل (للإمام البغوي) سورة (النساء) الآية (102).

{فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ} ودل ذلك على أن الإمام يبقى بعد انصراف الطائفة الأولى منتظرا للطائفة الثانية، فإذا حضروا صلى بهم ما بقي من صلاته ثم جلس ينتظرهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم وهذا أحد الوجوه في صلاة الخوف.

فإنها صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة كلها جائزة، وهذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء وحذر مهاجمتهم، فإذا أوجبها في هذه الحالة الشديدة فإيجابها في حالة الطمأنينة والأمن من باب أَوْلَى وأحرى.

والثاني: أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيرا من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من الأفعال المبطلة في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة، لأنه لا تعارض بين واجب ومستحب، فلولا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأجلها.

وتدل الآية الكريمة على أن الأولى والأفضل أن يصلوا بإمام واحد. ولو تضمن ذلك الإخلال بشيء لا يخل به لو صلوها بعدة أئمة، وذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين واتفاقهم وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك أوقع هيبة في قلوب أعدائهم، وأمر تعالى بأخذ السلاح والحذر في صلاة الخوف، وهذا وإن كان فيه حركة واشتغال عن بعض أحوال الصلاة فإن فيه مصلحة راجحة وهو الجمع بين الصلاة والجهاد، والحذر من الأعداء الحريصين غاية الحرص على الإيقاع بالمسلمين والميل عليهم وعلى أمتعتهم،

ولهذا قال تعالى: {وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً}.

ثم إن الله عذر من له عذر من مرض أو مطر أن يضع سلاحه، ولكن مع أخذ الحذر فقال: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا}.

ومن العذاب المهين ما أمر الله به حزبه المؤمنين وأنصار دينه الموحدين من قتلهم وقتالهم حيثما ثقفوهم، ويأخذوهم ويحصروهم، ويقعدوا لهم كل مرصد، ويحذروهم في جميع الأحوال، ولا يغفلوا عنهم، خشية أن ينال الكفار بعض مطلوبهم فيهم.

فلله أعظم حمد وثناء على ما مَنَّ به على المؤمنين، وأيَّدهم بمعونته وتعاليمه التي لو سلكوها على وجه الكمال لم تهزم لهم راية، ولم يظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات.

وفي قوله: {فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ} يدل على أن هذه الطائفة تكمل جميع صلاتها قبل ذهابهم إلى موضع الحارسين. وأن الرسول- صلى الله عليه وسلم يثبت منتظرا للطائفة الأخرى قبل السلام، لأنه أولا ذكر أن الطائفة تقوم معه، فأخبر عن مصاحبتهم له. ثم أضاف الفعل بعْدُ إليهم دون الرسول، فدل ذلك على ما ذكرناه.

وفي قوله: {وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ} دليل على أن الطائفة الأولى قد صلوا، وأن جميع صلاة الطائفة الثانية تكون مع الإمام حقيقة في ركعتهم الأولى، وحكما في ركعتهم الأخيرة، فيستلزم ذلك انتظار الإمام إياهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم، وهذا ظاهر للمتأمل. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى بعده يليه مبينا له (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) الآية. وقوله تعالى: (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا) ويزيده إيضاحا أنه قال هنا (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة)

وقال: في آية (البقرة) (فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) " لأن معناه فإذا أمنتم فأتموا كيفيتها بركوعها وسجودها وجميع ما يلزم فيها مما يتعذر وقت الخوف. وعلي هذا التفسير الذي دل له القرآن فشرط الخوف في قوله: (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) معتبر أي: وإن لم تخافوا منهم أن يفتنوكم فلا تقصروا من كيفيتها، بل صلوها على أكمل الهيئات، كما صرح به في قوله: (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) وصرح باشتراط الخوف أيضاً لقصر كيفيتها بأن يصليها الماشي والراكب بقوله: (فإن خفتم فرجالا أو ركبانا). ثم قال: (فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم) الآية. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو اليمان قال آخبرنا شعيب عن الزهري قال: سألته هل صلّى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يعني صلاة الخوف-؟ قال: أخبرني سالم أن - (عبد الله بن عمر) - رضي الله عنهما -قال: ((غزوت مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل نجد، فوازينا العدوّ فصاففنا لهم، فقام رسول الله يصلى لنا، فقامت طائفة معه تصلى، وأقبلت طائفة على العدو، وركع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. بمن معه وسجد سجدتين، ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل، فجاءوا فركع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم، فقام كل واحد منهم فركع بنفسه ركعة وسجد سجدتين)). (3)(4)

* * *

قال: الإِمَامْ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده): حدثنا محمود بن غيلان. حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا سعيد بن عبيد الهنائي. حدثنا عبد الله بن شقيق.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (102)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (102).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (497/2)، (ح 942) – (كتاب صلاة الخوف)، / باب: (صلاة الخوف)،

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم - (كتاب صلاة المسافرين)، / باب: (صلاة الخوف) برقم (ح 305)، (306).

حدثنا (أبو هريرة): أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نزل بين ضجنان وعُسفان، فقال المشركون: إن لهؤلاء صلاةً هي أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم وهي العصر، فأجمعوا أمركم فميلوا عليهم مَيلة واحدة، وإن جبريل أتى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فأمره أن يقسم أصحابه شطرين فيُصلي بهم، وتقوم طائفة أخرى وراءهم، وليأخذوا حِذرهم وأسلحتهم، ثم يأتي الآخرون ويُصلّون معه ركعة واحدة، ثم يأخذ هؤلاء حِذرهم وأسلحتهم، فتكون لهم ركعة ركعة ولرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ركعتان.

قال: الإِمَامْ (أبو عيسى) : هذا (حديث حسن غريب) من هذا الوجه من حديث عبد الله بن شقيق عن (أبي هريرة) وفي الباب عن (عبد الله بن مسعود) و(زيد بن ثابت) و(ابن عباس) و(جابر) و(أبي عياش الزرقي) و(ابن عمر) و(حذيفة) و(أبي بكرة) و(سهل بن أبي حثمة) و(أبو عياش الزرقي) اسمه (زيد بن صامت). (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- وأما عبيد الله بن سعد فحدثنا قال: حدثني عمي، ثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة حدثته بهذه القصة، قالت: كبر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكبرت الطائفة الذين صفوا معه، ثم ركع فركعوا، ثم سجد فسجدوا، ثم رفع فرفعوا، ثم مكث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جالساً ثم سجدوا هم لأنفسهم الثانية، ثم قاموا فنكصوا على أعقابهم يمشون القهقرى، حتى قاموا من ورائهم، وجاءت الطائفة الأخرى فقاموا فكبروا، ثم ركعوا لأنفسهم ثم سجد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسجدوا معه، ثم قام رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وسجدوا لأنفسهم الثانية. ثم قامت الطائفتان جميعاً فصلوا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فركع فركعوا، ثم سجد فسجدوا جميعاً، ثم عاد فسجد الثانية وسجدوا معه سريعاً كأسرع الاسراع جاهداً لا يألون سراعاً، ثم سلم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وسلموا فقام رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقد شاركه الناس في الصلاة كلها. (2)

* * *

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (243/5)، (ح 3035) - (كتاب : التفسير)، - (سورة النساء)،

و (صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (42/3).

ونقل الإِمَامْ (ابن رجب) عن الإِمَامْ (البخاري) قوله : حديث (عبد الله بن شقيق) عن (أبي هريرة): (حسن) في (علل الترمذي) برقم (303/1).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (102/2-103)، الطبعة : الأولى ،

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (15/2)، (ح 1242) - (كتاب : الصلاة)، / باب :(من قال يكبرون جميعاً)،

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (مسنده) برقم (275/6)- من طريق-: (يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن ابن إسحاق) به، وفيه : صلى رسول الله بالناس صلاة الخوف بذات الرقاع ..

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1/ 336-337) من طريق-: (محمد بن حاتم الدورى)، عن (يعقوب) به.

وقال: (حديث صحيح على شرط مسلم) ولم يخرجاه، وهو أتم حديث وأشفاه في صلاة الخوف.

ووافقه الإِمَامْ (الذهبي). و(إسناده حسن).

وقد سأل الإِمَامْ (الترمذي)، الإِمَامْ (البخاري) - عن أي: الروايات في صلاة الخوف أصح؟ فقال: كل الروايات عندي صحيح وكل يستعمل. (انظر: (العلل لابن رجب) برقم (301/1).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (103/2)، الطبعة : الأولى ،

قال: الإمام (الطبري) – والإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم)، وطائفة يأخذون أسلحتهم ويقفون بإزاء العدو، فيصلى الإمام بمن معه ركعة ثم يجلس على هيئته، فيقوم القوم فيصلون لأنفسهم الركعة الثانية والإمام جالس، ثم ينصرفون حتى يأتوا أصحابهم فيقفون موقفهم، ثم يقبل الآخرون فيصلى بهم الإمام الركعة الثانية، ثم يسلم، فيقوم القوم فيصلون لأنفسهم الركعة الثانية. فهكذا صلى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يوم بطن نخلة.(1)(2)

* * *

قوله تعالى: (فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك)

قال: الإمام (الطبري) – والإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: فإذا سجدت الطائفة التي قامت معك في صلاتك تصلي بصلاتك ففرغت من سجودها. (فليكونوا من ورائكم)، يقول: فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم خلفكم مصافي العدو في المكان الذي فيه سائر الطوائف التي لم تصل معك، ولم تدخل معك في صلاتك.(3)(4)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):-، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رضي الله عنهما – أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ} قَالَ: (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ) – رضي الله عنه – وَكَانَ جَرِيحًا.(5)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس) قال: (ولا جناح) لا حرج.(6)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (102).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (102).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (102).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (102).

(5) (صحيح): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (4323؟).

وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11121).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (3202).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (102).

{وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ، فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ، وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ، فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ، وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً} (1)

قال: الإمام (النسائي)، و(أبو داود) – في (سُننِهما) – والإمام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) – في (مُسنده) – (رحمهم الله) – (بسندهم):-

، وعَنْ (أَبِي عَيَّاشٍ الزُّرَقِيِّ) – رضي الله عنه – قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – بِعُسْفَانَ، فَاسْتَقْبَلَنَا الْمُشْرِكُونَ، عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَهُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – الظُّهْرَ، فَقَالُوا: قَدْ كَانُوا عَلَى حَالٍ لَوْ أَصَبْنَا غِرَّتَهُمْ (2)) (3) (وَهُمْ فِي الصَّلَاةِ) (4) (ثُمَّ قَالُوا: تَأْتِي عَلَيْهِمْ الْآنَ صَلَاةٌ) (5) (بَعْدَ هَذِهِ، هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ) (6) (فَنَزَلَ جِبْرِيلُ – عليه السلام – بِهَذِهِ الْآيَاتِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ} (7)) (8) (فَلَمَّا حَضَرَتْ الْعَصْرُ) (9) ("

أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَخَذُوا السِّلَاحَ) (10) (وَقَامَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ " وَالْمُشْرِكُونَ أَمَامَهُ) (11) (وَصَفَفْنَا خَلْفَهُ صَفَّيْنِ) (12) (فِرْقَةً تُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَفِرْقَةً يَحْرُسُونَهُ , " فَكَبَّرَ بِالَّذِينَ يَلُونَهُ , وَالَّذِينَ يَحْرُسُونَهُمْ " , فَرَكَعَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ جَمِيعًا) (13) ("ثُمَّ رَفَعَ " , فَرَفَعْنَا جَمِيعًا , " ثُمَّ سَجَدَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بِالصَّفِّ الَّذِي يَلِيهِ ") (14) (وَقَامَ الْآخَرُونَ يَحْرُسُونَهُمْ) (15) (فَلَمَّا رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ) (16) (مِنْ السَّجْدَتَيْنِ وَقَامُوا) (17) (سَجَدَ الْآخَرُونَ الَّذِينَ كَانُوا خَلْفَهُمْ) (18) (ثُمَّ تَأَخَّرَ الصَّفُّ الْمُقَدَّمُ , وَتَقَدَّمَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي مَقَامِ صَاحِبِهِ) (19) (" ثُمَّ رَكَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - جَمِيعًا) (20) (الثَّانِيَةَ - بِالَّذِينَ يَلُونَهُ , وَبِالَّذِينَ يَحْرُسُونَهُ - ") (21) (فَلَمَّا رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ مِنْ الرُّكُوعِ) (22) (" سَجَدَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - " , وَسَجَدَ الصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ , وَقَامَ الْآخَرُونَ يَحْرُسُونَهُمْ) (23) (فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ سُجُودِهِمْ) (24).

وفي رواية : (" فَلَمَّا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - "وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ , سَجَدَ الْآخَرُونَ , ثُمَّ جَلَسُوا جَمِيعًا , " فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا ") (25) (فَكَانَتْ لِكُلِّهِمْ رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ مَعَ إِمَامِهِمْ) (26) (قَالَ: "فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - صَلَاةَ الْخَوْفِ , وَالْمُشْرِكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مَرَّتَيْنِ , مَرَّةً بِأَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ , وَمَرَّةً بِعُسْفَانَ ") (27)

(1) {النساء/102}

(2) الغِرَّة: الغَفْلة: أي: كانوا غافلين عن حِفْظ مَقامِهم وما هُم فيه من مُقابَلة العَدُوّ. النهاية في غريب الأثر (ج3ص661)

(3) (حم) 16630 , وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(4) (د) 1236 , (س) 1550

(5) (حم) 16630

(6) (حم) 16631 , وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(7) ﴿النساء/102﴾

(8) (حم) 16630

(9) (د) 1236

(10) (حم) 16630

(11) (د) 1236

(12) (حم) 16630 , (س) 1549

(13) (س) 1550

(14) (حم) 16630

(15) (د) 1236 , (س) 1549

(16) (حم) 16631

(17) (طس) 4415 , (د) 1236

(18) (د) 1236

(19) (س) 1549 , (د) 1236

(20) (د) 1236

(21) (س) 1550

(22) (س) 1549

(23) (د) 1236

(24) (س) 1549

(25) (د) 1236 , (س) 1549 , (حم) 16631

(26) (س) 1550

(27) (حم) 16632 , (س) 1550 , (د) 1236 , (حب) 2865.

* * *

[١٠٣] ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

فإذا فرغتم أيها المؤمنون- من الصلاة فأذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل في كل أحوالكم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم، فإذا زال عنكم الخوف وأمنتم فأدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها ومستحباتها على ما أُمرتم، إن الصلاة كانت على المؤمنين فريضة محددة بوقت، لا يجوز تأخيرها عنه إلا لعذر، هذا في حالة الإقامة، أما في حالة السفر فلكم الجمع والقصر. (1)

* * *

يَعْنِي:- فإذا أدَّيتم الصلاة، فأديموا ذكر الله في جميع أحوالكم، فإذا زال الخوف فأدُّوا الصلاة كاملة، ولا تفرِّطوا فيها فإنها واجبة في أوقات معلومة في الشرع. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإذا أتممتم صلاة الحرب التي تسمى صلاة الخوف فلا تنسوا ذكر الله دائماً، فاذكروه قائمين محاربين واذكروه وأنتم

وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (102)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

قاعدون، واذكروه وأنتم نائمون، فإن ذكر الله - تعالى - يُقَوِّى القلوب، وبه اطمئنانها، فإذا ذهب الخوف وكان الاطمئنان، فأدوا الصلاة متكاملة فإن الصلاة قد فرضت على المؤمنين موقوتة بأوقاتها.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ} ... فإذا صليتم فى حال الخوف والقتال.

{فَاذْكُرُوا اللَّهَ} ... فصلوها.

{قِياماً} ... مسايفين ومقارعين.

{وَقُعُوداً} ... جاثمين على الركب مرامين.

{وَعَلى جُنُوبِكُمْ} .... مثخنين بالجراح.

{فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ} ... حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم.

{فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ} ... فاقضوا ما صليتم فى تلك الأحوال التي هى أحوال القلق والانزعاج.

{إِنَّ الصَّلاَةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً} ... محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم، خوف أو أمن.

وقيل المعنى: فإذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد فى كافة أحوالكم من قيام، وقعود، واضطجاع، فإن أمنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجوء إليه. فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فإذا أقمتم فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ فأتموها.

{كِتَابًا مَوْقُوتًا} ... فرضًا ذاتَ وقتٍ مُعَيَّنٍ تُؤَدَّى فيه لا تَتَقَدَّمُهُ ولا تَتَأَخَّرُ عنه.

{كِتَابًا} ... مَكْتُوبًا مَفْرُوضًا.

{مَوْقُوتًا} ... مُحَدَّدًا فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ} فَإِذا فرغتْمْ من صَلَاةَ الْخَوْف {فاذكروا الله} فصلوا لله {قياماً} للصحيح {وَقُعُوداً} للْمَرِيض {وعَلى جُنُوبِكُمْ} للجريح وَالْمَرِيض {فَإِذا اطمأننتم} رجعتم إِلَى مَنَازلكُمْ وَذهب عَنْكُم الْخَوْف {فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ} فأتموا الصَّلاَة أَرْبعا {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ} صَارَتْ {عَلَى الْمُؤمنِينَ كتاباً مَّوْقُوتاً} مَفْرُوضًا مَعْلُوما فِي السّفر والحضر لِلْمُسَافِرِ رَكْعَتَانِ وللمقيم أَربع.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {103} {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ} {النساء: 103} يَعْنِي صَلَاةَ الْخَوْفِ، أَيْ فَرَغْتُمْ منها، {فَاذْكُرُوا اللَّهَ} أي: صلوا لله {قِيَامًا} في حال الصحة، {وَقُعُودًا} فِي حَالِ الْمَرَضِ، {وَعَلَى جُنُوبِكُمْ} عند الجرح وَالزَّمَانَةِ، يَعْنِي:- اذْكُرُوا اللَّهَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّمْجِيدِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، {فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ} أَيْ: سَكَنْتُمْ وَأَمِنْتُمْ،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/128)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (103). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أيْ: أَتِمُّوهَا أَرْبَعًا بِأَرْكَانِهَا، {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} {النساء: 103}.

قِيلَ: وَاجِبًا مَفْرُوضًا مُقَدَّرًا فِي الْحَضَرِ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): أَيْ: فَرْضًا مؤقتا وقته الله عليهم.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {103} {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} . أي: فإذا فرغتم من صلاتكم، صلاة الخوف وغيرها، فاذكروا الله في جميع أحوالكم وهيئاتكم، ولكن خصت صلاة الخوف بذلك لفوائد. منها: أن القلب صلاحه وفلاحه وسعادته بالإنابة إلى الله تعالى في المحبة وامتلاء القلب من ذكره والثناء عليه.

وأعظم ما يحصل به هذا المقصود الصلاة، التي حقيقتها أنها صلة بين العبد وبين ربه.

ومنها: أن فيها من حقائق الإيمان ومعارف الإيقان ما أوجب أن يفرضها الله على عباده كل يوم وليلة. ومن المعلوم أن صلاة الخوف لا تحصل فيها هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب والبدن والخوف فأمر بجبرها بالذكر بعدها.

ومنها: أن الخوف يوجب من قلق القلب وخوفه ما هو مظنة لضعفه، وإذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار منه من أعظم مقويات القلب.

ومنها: أن الذكر لله تعالى مع الصبر والثبات سبب للفلاح والظفر بالأعداء، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فأمر بالإكثار منه في هذه الحال إلى غير ذلك من الحِكَم.

وقوله: {فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أي: إذا أمنتم من الخوف واطمأنت قلوبكم وأبدانكم فأتموا صلاتكم على الوجه الأكمل ظاهرا وباطنا، بأركانها وشروطها وخشوعها وسائر مكملاتها.

{إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} أي: مفروضا في وقته، فدل ذلك على فرضيتها، وأن لها وقتا لا تصح إلا به، وهو هذه الأوقات التي قد تقررت عند المسلمين صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم- بقوله: "صلوا كما رأيتموني أصلي" ودل قوله: {عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} على أن الصلاة ميزان الإيمان وعلى حسب إيمان العبد تكون صلاته وتتم وتكمل، ويدل ذلك على أن الكفار وإن كانوا ملتزمين لأحكام المسلمين كأهل الذمة - أنهم لا يخاطبون بفروع الدين كالصلاة، ولا يؤمرون بها، بل ولا تصح منهم ما داموا على كفرهم، وإن كانوا يعاقبون عليها وعلى سائر الأحكام في الآخرة.(2)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (103).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (103)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قوله تعالى: (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم)

قال: الإِمَامُ (الطبري) – والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله: (فاذكروا الله قياما) ، لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحد في تركه إلا مغلوبا على عقله، فقال: (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية وعلى كل حال.(1)(2)

* * *

قوله تعالى: (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة)

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (مقاتل بن حيان): قوله: (فإذا اطمأننتم) يقول: إذا استقررتم وآمنتم.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قوله: (فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) ، قال: أتموها.(4)

* * *

قوله تعالى: (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ذكر في هذه الآية الكريمة أن الصلاة كانت ولم تزل على المؤمنين كتابا أى: شيئا مكتوبا عليهم واجبا حتما موقوتا أي له أوقات يجب بدخولها ولم يشر هنا إلى تلك الأوقات، ولكنه أشار لها في مواضع أخر كقوله: (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) .(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (الترمذي) – (رحمه الله) – في (سننه – بسنده):- حدثنا هناد حدثنا محمد بن فضيل عن الأعمش عن أبي صالح عن (أبي هريرة) قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إن للصلاة أولاً وآخراً، وإن أول وقت صلاة الظهر حين تزول الشمس، وآخر وقتها حين يدخل وقت العصر، وإن أول وقت صلاة العصر حين يدخل وقتها، وإن آخر وقتها حين تصفرّ الشمس، وإن أول وقت المغرب حين تغرب الشمس، وإن أخر وقتها حين يغيب الأفق، وإن أول وقت العشاء الآخرة حين يغيب الأفق، وإن آخر وقتها حين ينتصف الليل، وإن أول وقت الفجر حين

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (103).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (103).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (103).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (103).
(5) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (103).

يطلع الفجر، وإن أخر وقتها حين تطلع الشمس)).(1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – والإمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: (موقوتا) مفروضا. (2)(3)

* * *

وقال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) – (بسنده):- {مَوْقُوتًا} : مُؤَقَّتًا , وَقَّتَهُ عَلَيْهِمْ. (4)

* * *

قال: الإمام (الشافعي) - (رحمه الله) - في (تفسير الإمام الشافعي):-

قال الله عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (103)}.

الأم: باب: (أن لا تقضي الصلاة حائض) :

قال: (الشَّافعي) - (رحمه الله تعالى) -: قال اللَّه تبارك وتعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)

فلما لم يرخص رسول اللَّه - صلى الله عليه وسلم - في أن تؤخر الصلاة في الخوف، وأرخص أن يصلِّيها المصلِّي كما أمكنه راجلاً أوراكباً، وقال: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) الآية.

الأم (أيضاً) : باب (أصل فرض الصلاة) :

قال: (الشَّافعي) – (رحمه الله) -: قال تبارك وتعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) الآية، مع عدد آي فيه ذكر الصلاة.

قال: (الشَّافعي) – (رحمه الله) -: وسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام فقال: ((خمس صلوات في اليوم والليلة)). قال السائل: هل علي غيرها؟، قال: ((لا، إلا أن تطوع)) الحديث.

الأم (أيضاً) : جماع مواقيت الصلاة:

قال: (الشَّافعي) – (رحمه الله) -: أحكم اللَّه - عز وجل - كتابه، أن فرض الصلاة موقوت، والموقوت - واللَّه أعلم -: الوقت الذي يصلى فيه، وعددها، فقال - عز وجل -: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) الآية، وقد ذكرنا نقل العامة عدد الصلاة في مواضعها، ونحن ذاكرون الوقت. -

---

(1) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1/283-284)، (ح 151) – (كتاب : الصلاة)، / باب: (ما جاء في مواقيت الصلاة) ،
وأخرجه الإمَامْ (أحمد) في (مسنده) برقم (7172) حدثنا محمد بن فضيل به. وقد أعل الإمَامْ (الترمذي) الحديث برواية أخرى عن (مجاهد) مرسلاً،
ورد ذلك التعليل الإمَامْ (ابن حزم)، و الإمَامْ (ابن الجوزى)، و الإمَامْ (ابن القطان)، و الإمَامْ (الزيلعي)، و الإمَامْ (أحمد شاكر)،
ومحققو (مسند) للإمَامْ (أحمد) برقم (12/94-96) بإشراف: (أ. د. عبد الله التركي)، وله شواهد صحيحة وردت في (المسند) برقم (6966 و4/416)،
و(صححه) الإمَامْ (الألبانى) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (129) .
ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/105-106)، الطبعة : الأولى ،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (103).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (103).

(4) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (103). برقم (ج 1/ ص 110).

ثم ذكر حديث -(عروة بن الزبير)، و(ابن عباس) - رضي اللّه عنهما المتعلق به بإقامة (جبريل) - عليه السلام- للنبي - صلى الله عليه وسلم - أول وقت الصلاة وآخرها -.

الأم (أيضاً) : باب (سجود التلاوة والشكر) :

قال : (الشَّافِعي) — (رحمه الله) - : ولا أحبُّ أن يدع شيئاً من سجود القرآن، وإن تركه كرهته له، وليس عليه قضاؤه" لأنَّه ليس بفرض.

فإن قال قائل : ما دلَّ على أنه ليس بفرض؟

قيل : السجود صلاة، قال اللّه تعالى : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) الآية.

فكان الموقوت يحتمل : مؤقتاً بالعدد، ومؤقتاً بالوقت.

فأبان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن اللّه - عز وجل - فرض خمس صلوات فقال : رجل يا رسول اللّه هل على غيرها؟ قال : ((لا، إلا أن تطوَّع)) الحديث.

فلما كان سجود القرآن خارجاً من الصلوات المكتوبات، كانت سُنَّة اختيار، فأحبُّ إلينا ألاَ يدعه، ومن تركه ترك فضلاً لا فرضاً.

مختصر المزني : مقدمة كتاب (اختلاف الحديث) :

قال : (الشَّافِعي) — (رحمه الله) - : قال اللّه جل ثناؤه : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) الآية.

فدل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عدد الصلاة، ومواقيتها، والعمل بها وفيها، ودلَّ على أنها على العامة الأحرار والمماليك من الرجال والنساء، إلا الحيَّض.

الرسالة : باب (البيان الثالث)

قال : (الشَّافِعي) — (رحمه الله) - : قال اللّه تبارك وتعالى : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) الآية، وقال : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) .

ثم بيَّن على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - عدد ما فرض من الصلوات، ومواقيتها، وسننها.

الرسالة (أيضاً) : باب (بيان ما أنزل من الكتاب عامّ الظاهر وهو يجمع العام والخصوص) :

قال : (الشَّافِعي) — (رحمه الله) - : وقال الله تعالى : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) الآية، فبين في كتاب اللّه أن في هذه الآية العموم والخصوص، . . . وهكذا التنزيل في الصوم والصلاة : على البالغين العاقلين، دون من لم يبلغ، ومن بلغ ممن غُلِبَ على عقله، ودون الحُيَّض في أيام حيضهن.

الرسالة (أيضاً) : جُمَلُ الفرائض:

قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) الآية، وقال: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ).

قال: (الشَّافعي) – (رحمه الله) -: أحكم اللَّه فرضه في كتابه في الصلاة والزكاة والحج، وبين كيف فرضه على لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم -، فأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن عدد الصلوات المفروضات خمس، وأخبر أن عدد الظهر والعصر والعشاء في الحضر: أربع، وعدد المغرب ثلاث، وعدد الصبح ركعتان.

قال: (الشَّافعي) – (رحمه الله) -: قال اللَّه في الصلاة: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) الآية، فبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الله - عزَّ وجلَّ تلك المواقيت، وصلى الصلوات لوقتها، فحوصر يوم الأحزاب، فلم يقدر على الصلاة في وقتها، فأخرها للعذر، حتى صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء في مقام واحد.

أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري. عن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه قال: حبسنا يوم الخندق عن الصلاة، حتى كان بعد المغرب بهويّ من الليل، حتى كفينا، وذلك قول اللَّه: (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)، فدعا رسول اللَّه - صلى الله عليه وسلم - بلالاً - رضي الله عنه - فأمره، فأقام الظهر فصلاها فأحسن صلاتها، كما كان يصليها في وقتها، ثم أقام العصر فصلاها هكذا، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك أيضاً، قال: وذلك قبل أن يُتزل في صلاة الخوف (فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا).

الرسالة (أيضاً): وجه آخر - أى: من الناسخ والمنسوخ -:

قال: (الشَّافعي) – (رحمه الله) -: قال اللَّه تعالى: (فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا).

يعني - واللَّه أعلم - فأقيموا الصلاة كما كنتم تُصلون في غير الخوف.(1)

* * *

[١٠٤] ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تضعفوا أيها المؤمنون- ولا تكسلوا في طلب عدوكم من الكافرين، فإن كنتم تتوجعون لما يصيبكم من القتل والجراح فإنهم كذلك يتوجعون كما تتوجعون، ويصيبهم مثل ما يصيبكم، فلا يكن صبرهم أعظم من صبركم، فإنكم ترجون من الله من

(1) انظر: تفسير (الإمام الشافعي)، سورة (النساء) الآية (103).، الطبعة الأولى: (1427 - 2006 م).

الثواب والنصر والتأييد ما لا يرجونه، وكان الله عليمًا بأحوال عباده، حكيمًا في تدبيره وتشريعه.(1)

* * *

يَعْنِي:- ولا تضعفوا في طلب عدوكم وقتاله، إن تكونوا تتألمون من القتال وآثاره، فأعداؤكم كذلك يتألمون منه أشد الألم، ومع ذلك لا يكفون عن قتالكم، فأنتم أولى بذلك منهم، لما ترجونه من الثواب والنصر والتأييد، وهم لا يرجون ذلك. وكان الله عليمًا بكل أحوالكم، حكيمًا في أمره وتدبيره.(2)

* * *

يَعْنِي:- لا تضعفوا في طلب القوم الكافرين الذين أعلنوا عليكم الحرب، وحاولوا أن يغيروا عليكم من كل مكان. والحرب بلا شك ألم، فإذا كنتم تألمون من جراحها وما يكون فيها، فإنهم يألمون أيضاً، والفرق بينكم وبينهم أنهم لا يطلبون الحق ولا يرجون عند الله شيئاً، وأنتم تطلبون الحق وترجون رضا الله والنعيم الدائم. والله عليم بأعمالكم وأعمالهم، حكيم يجازى كلاً بما يعمل.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَا تَهِنُوا} ... لاَ تَضْعُفُوا.

{ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} ... طَلَب العَدُوِّ.

{فِي ابتغاء} ... طلب.

{القوم} ... الْكُفَّار لِتُقَاتِلُوهُمْ.

{إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ} ... تَجِدُونَ أَلَمَ الْجِرَاحِ.

{فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ} ... أَيْ: مِثْلكُمْ وَلاَ يَجْبُنُونَ عَلَى قِتَالكُمْ.

{وَتَرْجُونَ} ... أَنْتُمْ.

{مِنْ اللَّه} ... مِنْ النَّصْر وَالثَّوَاب عَلَيْهِ.

{مَا لا يَرْجُونَ} ... هُمْ فَأَنْتُمْ تَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا أَرْغَب مِنْهُمْ فِيهِ.

{وَكَانَ اللَّه عَلِيمًا} ... بِكُلِّ شَيْء.

{حَكِيمًا} ... فِي صُنْعه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (ولاتهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما) نهى الله تعالى المسلمين في هذه الآية الكريمة عن الوهن الضعف في طلب أعدائهم الكافرين وأخبرهم بأنهم إن كانوا يجدون الألم من القتل والجراح فالكفار كذلك والمسلم يرجو من الله من الثواب والرحمة مالا يرجوه الكافر فهو أحق بالصبر على الآلام منه، وأوضح هذا المعنى في آيات متعددة.

كقوله: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله).

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (95/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (128/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وكقوله: (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) إلى غير ذلك من الآيات.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- ثُمَّ حثهم على طلب أبي سُفْيَان وَأَصْحَابه بعد يَوْم أحد فَقَالَ: {وَلاَ تَهِنُواْ} لاَ تعجزوا وَلاَ تضعفوا {فِي ابتغاء الْقَوْم} فِي طلب أبي سُفْيَان وَأَصْحَابه {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ} تتوجعون بالجراحة {فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ} يتوجعون بالجراحة {كَمَا تَأْلَمونَ} تتوجعون بالجراحة {وَتَرْجُونَ مِنَ الله} ثَوَابه وتخافون عَذَابه {مَا لاَ يَرْجُونَ} ذَلِك {وَكَانَ الله عَلِيماً} بجراحتكم {حَكِيماً} حكم عَلَيْكُم بابتغاء الْقَوْم.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {104} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} {النساء: 104} الْآيَةَ، سَبَبُ نُزُولِهَا أَنَّ (أَبَا سفيان) - رضي الله عنه وَأَصْحَابَهُ- لَمَّا رَجَعُوا يَوْمَ أُحُدٍ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَائِفَةً فِي آثَارِهِمْ فَشَكَوْا أَلَمَ الْجِرَاحَاتِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} أَيْ: تَضْعُفُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ فِي طلب القوم أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ} تَتَوَجَّعُونَ مِنَ الْجِرَاحِ، {فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ} أَيْ: يَتَوَجَّعُونَ، يَعْنِي الْكُفَّارَ {كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ} أَيْ: وَأَنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ تَأْمُلُونَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا مَا لاَ يَرْجُونَ، {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} {النساء: 104}.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {104} {وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} . أي: لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار، أي: في جهادهم والمرابطة على ذلك، فإن وَهَن القلب مستدع لوَهَن البدن، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء. بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم.

ثم ذكر ما يقوي قلوب المؤمنين، فذكر شيئين:

الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك، لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من توالت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام، لا من يدال مرة، ويدال عليه أخرى.

الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه، بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (103).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (104). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (104).

وآمال رفيعة من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين، فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة، وتضاعف النشاط والشجاعة التامة" لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز برضوان الله وجنته، فسبحان من فاوت بين العباد وفرق بينهم بعلمه وحكمته، ولهذا قال: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} كامل العلم كامل الحكمة.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {ولا تهنوا}، ولا تضعفوا.

* * *

من قولهم: "وهَنَ فلان في هذا الأمر يهِن وَهْنًا ووُهُونًا".

* * *

وقوله: {في ابتغاء القوم}، يعني: في التماس القوم وطلبهم، و{القوم} هم أعداء الله وأعداء المؤمنين من أهل الشرك بالله، {إن تكونوا تألمون}، يقول: إن تكونوا أيها المؤمنون، تَيْجعون مما ينالكم من الجراح منهم في الدنيا، {فإنهم يألمون كما تألمون}، يقول: فإن المشركين يَيْجعون مما ينالهم منكم من الجراح والأذى مثل ما تَيجعون أنتم من جراحهم وأذاهم فيها، {وترجون} أنتم أيها المؤمنون، {من الله} من الثواب على ما ينالكم منهم، {ما لايرجون} هم على ما ينالهم منكم. يقول: فأنتم، إذ كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم، بما هم به مكذِّبون= أولى وأحرَى أن تصبروا على حربهم وقتالهم، منهم على قتالكم وحربكم، وأن تجِدُّوا من طلبهم وابتغائهم، لقتالهم على ما يَهنون فيه ولا يَجِدّون، فكيف على ما جَدُّوا فيه ولم يهنوا؟

* * *

10400- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): {ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون}، يقول: لا تضعفوا في طلب القوم، فإنكم إن تكونوا تيجعون، فإنهم ييجعون كما تيجعون، وترجون من الله من الأجر والثواب ما لا يرجون.

* * *

10401- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي): {ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون}، قال يقول: لا تضعفوا في طلب القوم، فإن تكونوا تيجعون الجراحات، فإنهم يَيْجعون كما تيجعون.

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (104)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

10402- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد): {ولا تهنوا في ابتغاء القوم} ، لا تضعفوا.

10403- حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: {ولا تهنوا} ، يقول: لا تضعفوا.

10404- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال (ابن زيد) في قوله: {ولا تهنوا في ابتغاء القوم} ، قال يقول: لا تضعفوا عن ابتغائهم، {إن تكونوا تألمون} القتال، {فإنهم يألمون كما تألمون} . وهذا قبل أن تصيبهم الجراح إن كنتم تكرهون القتال فتألمونه، {فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون} ، يقول: فلا تضعفوا في ابتغائهم بمكان القتال.

10405- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن (ابن عباس) قوله: {إن تكونوا تالمون} ، توجعون.

10406- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن (ابن جريج): (إن تكونوا تألمون} ، قال: توجعون لما يصيبكم منهم، فإنهم يوجعون كما توجعون، وترجون أنتم من الثواب فيما يصيبكم ما لا يرجون.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – والإمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله: (إن تكونوا تألمون) ، قال: توجعون (وترجون من الله مالا يرجون) ، قال: ترجون الخير.(2)

* * *

قال:الإمَامْ (مجاهد) – (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده):- أنبأ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: نا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: نا آدَمُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} [النساء: 104] يَقُولُ: < لَا تَضْعُفُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ >.(3)

* * *

قال : الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} أَيْ: لَا تَضْعُفُوا فِي طَلَبِ عَدُوِّكُمْ، بَلْ جِدُّوا فِيهِمْ وَقَاتِلُوهُمْ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ: {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ} أَيْ: كَمَا يُصِيبُكُمُ الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ، كَذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُمْ، كَمَا قَالَ: {إِنْ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (104)، للإمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (104)، للإمَامْ (الطبري)،

(3) انظر:(تفسير مجاهد) في سورة (النساء) – الآية (104)، للإمَامْ :(أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي) (المتوفى: 104هـ)، المحقق: الدكتور (محمد عبد السلام أبو النيل)، الطبعة: الأولى: (1410 هـ - 1989 م).

يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ} [آل عِمْرَان: 140].

ثُمَّ قَالَ: {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} أَيْ: أَنْتُمْ وَإِيَّاهُمْ سَوَاءٌ فِيمَا يُصِيبُكُمْ وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْآلَامِ، وَلَكِنْ أَنْتُمْ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ الْمَثُوبَةَ وَالنَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ، وَهُمْ لَا يَرْجُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْجِهَادِ مِنْهُمْ، وَأَشَدُّ رَغْبَةً فِي إِقَامَةِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَإِعْلَائِهَا.

{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} أَيْ: هُوَ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ فِيمَا يُقَدِّرُهُ وَيَقْضِيهِ، وَيُنَفِّذُهُ وَيُمْضِيهِ، مِنْ أَحْكَامِهِ الْكَوْنِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ} " أي لا تَضْعُفُوا في طلب ابتغاء القوم أبي سفيان وأصحابه لِمَا أصابكم من القتل والجراحات يوم أُحُد.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ} " أي إنْ كُنْتُمْ تَأْلَمُونَ من الجراحِ فَلَهُمْ مثلُ ذلك، والمعنَى: إنْ كان لكم صَارفٌ عن الحرب وهو أنكم تألَمُونَ من الجراح فلهم مثلُ ذلك من الصَّارف، ولكم أسبابٌ داعية إلى الحرب ليست لهم، وهو أنَّكم ترجون الثوابَ والنَّصرَ من الله،

{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً} " بمصالحكم {حَكِيماً} " فيما يَأْمُرُكُمْ به. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ} أي: لا تضعفوا في طلبهم {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تألمون} يَعْنِي: وجع الْجراح {وَتَرْجُونَ مِنَ الله مَا لَا يرجون} أي: من ثوابه مَا لَا يَرْجُو الْمُشْركُونَ، يرغبهم بذلك فِي الْجِهَاد. (3)

* * *

[١٠٥] ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إنا أنزلنا إليك أيها الرسول - ﷺ - القرآن مشتملًا على الحق؛ لتفصل بين الناس في كل شؤونهم بما علمك الله وألهمك لا بهواك ورأيك، ولا تكن للخائنين لأنفسهم وأماناتهم مدافعًا ترد عنهم من طالبهم بالحق. (4)

* * *

يَعْنِي:- إنا أنزلنا إليك أيها الرسول -ﷺ- القرآن مشتملا على الحق؛ لتفصل بين الناس جميعًا بما أوحى الله إليك، وبَصَّرك به، فلا تكن للذين يخونون أنفسهم -بكتمان الحق-

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (104)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (104).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (104) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (95/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

مدافعًا عنهم بما أيدوه لك من القول المخالف للحقيقة.(1)

* * *

يَعْنِي:- أنزلنا إليك القرآن حقاً وصدقاً، مشتملاً على كل ما هو حق، مبيناً للحق إلى يوم القيامة ليكون منارك فى الحكم بين الناس، فاحكم بينهم ولا تكن مدافعاً عن الخائنين.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ} ... الْقُرْآن.

{بِالْحَقِّ} ... مُتَعَلِّق بِأَنْزَل.

{لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ} أعلمك {اللَّهُ} فيه.

{بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} ... أي: بما علمكه بواسطة الوحي.

{وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ} ... كَطُعْمَة.

{وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} ... أي: جيِّد الخصومةِ فلا تَكُنْ مُدَافِعًا عنهم ولا مُعِينًا لهم.

{خَصِيماً} ... أي: مخاصماً بالغاً في الخصومة مبلغاً عظيماً.

{خَصِيمًا} ... مَدَافِعًا عَنْهُمْ.(أي: مُخَاصِمًا عنه).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله)-: ثُمَّ بيَّن قصَّة طعمة بن أُبَيْرِق سَارِق الدرْع واليهودي زيد بن سمين الَّذي رمي بِالسَّرِقَة فَقَالَ: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ} جبْرِيل بِالْقُرْآن {بِالْحَقِّ} لتبيان الْحق وَالْبَاطِل {لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاس} بِالْحَقِّ بَين طعمة وَزيد بن سمين {بِمَا أَرَاكَ الله} بِمَا علمك الله فِي الْقُرْآن وَبَين {وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ} بِالسَّرِقَة يَعْنِي طعمة {خَصِيماً} معينا.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{105} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} {النساء: 105} الآية، عَنِ (ابْنِ عَبَّاس) قَالَ: نَزَلَتْ هَذه الْآيَةُ فِي رَجُل مِنَ الْأَنْصَار يُقَالُ لَهُ طُعْمَةُ بْنُ أُبَيْرِق مِنْ بَنِي ظَفَر بْنِ الْحَارِث سَرَقَ دِرْعًا مِنْ جَار لَهُ يُقَالُ لَهُ (قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَان)، وَكَانَتِ الدِّرْعُ فِي جِرَاب لَه فيه دَقِيقٌ فَجَعَلَ الدَّقِيقُ يَنْتَثِرُ مِنْ خَرْق فِي الْجِرَاب حَتَّى انْتَهَى إِلَى الدَّار، ثُمَّ خَبَّأَهَا عِنْدَ رَجُل مِنَ الْيَهُود يُقَالُ لَهُ زَيْدُ بْنُ السَّمِين، فَالْتَمَسَتُ الدِّرْعَ عِنْدَ طُعْمَةَ فَحَلَفَ بِاللَّه مَا أَخَذَهَا وَمَا لَهُ بِهَا مِنْ عِلْم،

فَقَالَ أَصْحَابُ الدِّرْع: لَقَدْ رَأَيْنَا أَثَرَ الدَّقِيقِ حَتَّى دَخَلَ دَارَهُ، فَلَمَّا حَلَفَ تَرَكُوهُ وَاتَّبَعُوا أَثَرَ الدَّقِيقِ إِلَى مَنْزِلِ الْيَهُودِيِّ فَأَخَذُوهُ مِنْهُ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ دَفَعَهَا إِلَيَّ طُعْمَةُ بْنُ أُبَيْرِق،

فَجَاءَ بَنُو ظَفَر وَهُمْ قَوْمُ طُعْمَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَسَأَلُوهُ أَنْ يُجَادِلَ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (59/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (129/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (105). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

عَنْ صَاحِبِهِمْ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلِ افْتَضَحَ صَاحِبُنَا، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُعَاقِبَ الْيَهُودِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْفَصْلِ، {لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} بِمَا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَوْحَى إِلَيْكَ، {وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ} طعمة، {خَصِيمًا} {النساء: 105} معينا مدافعا عنه.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {105 - 113} {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}. يخبر تعالى أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق، أي: محفوظًا في إنزاله من الشياطين، أن يتطرق إليه منهم باطل، بل نزل بالحق، ومشتملا أيضا على الحق، فأخباره صدق، وأوامره ونواهيه عدل {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا} وأخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس.

وفي الآية الأخرى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}. فيحتمل أن هذه الآية في الحكم بين الناس في مسائل النزاع والاختلاف، وتلك في تبيين جميع الدين وأصوله وفروعه، ويحتمل أن الآيتين كلتهما معناهما واحد، فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفي العقائد وفي جميع مسائل الأحكام.

وقوله: {بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} أي: لا بهواك بل بما علّمك الله وألهمك، كقوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى} وفي هذا دليل على عصمته - صلى الله عليه وسلم - فيما يُبَلِّغ عن الله من جميع الأحكام وغيرها، وأنه يشترط في الحاكم العلم والعدل لقوله: {بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} ولم يقل: بما رأيت. ورتب أيضا الحكم بين الناس على معرفة الكتاب، ولما أمر الله بالحكم بين الناس المتضمن للعدل والقسط نهاه عن الجور والظلم الذي هو ضد العدل فقال: {وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} أي: لا تخاصم عن مَن عرفت خيانته، من مدع ما ليس له، أو منكر حقا عليه، سواء علم ذلك أو ظنه. ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل، والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية.

ويدل مفهوم الآية على جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن لم يعرف منه ظلم.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِبًا لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} أَيْ: هُوَ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْحَقَّ فِي خَبَرِهِ وَطَلَبِهِ.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (105).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (105)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقَوْلُهُ: {لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} احْتَجَّ بِهِ مَنْ ذَهَبَ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ إِلَى أَنَّهُ كَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَهُ أَنْ يَحْكُمَ بِالِاجْتِهَادِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَبِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ)، عَنْ (أُمِّ سَلَمَةَ)" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- سمع جَلَبَةَ خَصْمٍ بِبَابِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: ((أَلَا إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّمَا أَقْضِي بِنَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ، وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ فَلْيَحْمِلْهَا أَوْ لِيَذَرْهَا)) (1)(2).

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ يَخْتَصِمَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دَرَسَتْ، لَيْسَ عِنْدَهُمَا بَيِّنَةٌ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ، يَأْتِي بِهَا إِسْطَامًا فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)). فَبَكَى الرَّجُلَانِ وَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمَا: حَقِّي لِأَخِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَمَّا إِذَا قُلْتُمَا فَاذْهَبَا فَاقْتَسِمَا، ثُمَّ تَوَخَّيَا الْحَقَّ، ثُمَّ اسْتَهِمَا، ثُمَّ لِيُحْلِلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ". (3)(4)

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله}، يقول: بما أنزل الله عليك وبيَّن لك، {ولا تكن للخائنين خصيمًا}، فقرأ إلى قوله: {إن الله لا يحب من كان خوانًا أثيمًا}. ذُكر لنا أن هؤلاء الآيات أنزلت في شأن طُعْمة بن أبيرق، وفيما همَّ به نبي الله -صلى الله عليه وسلم- من عذره، وبين الله شأن طعمة بن أبيرق، ووعظ نبيَّه وحذّره أن يكون للخائنين خصيماً. (5)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ الله} في الوحي {وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً} تفسير الحَسَن: ((أن رجلا من الْأَنْصَار سرق درعا فاتهم عَلَيْهَا حتَّى فَشَتْ القالة" أَنَّهُ سرق الدرْع" فَانْطَلق فاستودعها رجلا من الْيَهُود، ثمَّ أَتَى قومه، فَقَالَ: ألم تروا إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذين اتهموني على الدرْع" فوَاللَّه مَا زلت أطلب وأبحث حتَّى وجدتهَا عِنْد فلَان الْيَهُودِيّ" فَأتوا الْيَهُودِيّ فوجدوا عِنْده

(1) (متفق عليه) : أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2458) ،- وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِمُ) في (صحيحه) برقم (1713).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (105)، للإمَامُ (ابن كثير).

(3) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (320/6).
وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3584).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (105)، للإمَامُ (ابن كثير).

(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (105)، للإمَامُ (الطبري).

الـدرْع، فَقَـال: وَالله مَـا سـرقتها، إنَّمَـا استودعنيها ثـمَّ قَـالَ الْأنصَـاريّ لِقَوْمِـه: انْطَلقُوا إِلَـى النَّبِـي عَلَيْـهِ السَّلَام فَقولُـوا لَـهُ، فَليخْـرجْ فليعـذرني، فَتسـقط عـني القالـة، فَـأتى قومـه رَسُول الله فَقَـالُوا: يَـا رَسُول الله، اخْـرُج فاعـذر فلَانـا، حتَّـى تسْـقط عَنْـه القالـة، فَـأَرَادَ رَسُـول الله أَن يفعـل، فَـأنْزل الله: ﴿ إِنَّـا أَنْزَلْنَـا إِلَيْـكَ الْكِتَـابَ بِـالْحَقِّ لِـتَحْكُمَ بَـيْنَ النَّـاسِ بِمَـا أَرَاكَ اللَّـهُ وَلا تَكـن للخـائنين خصـيماً﴾ أَي: أَن الْأنْصَـاريّ هُـوَ سَـرَقهَا" فَـلَا تعذرنه، (1)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البخـاري) – (رحمـه الله) – في (صـحيحه) – (بسـنده):- عـن (أم سـلمة) أن رسـول الله – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – قـال: ((إنكـم تختصـمون إلـيَّ ولعـل بعضكم ألحـن بحجتـه مـن بعض، فمـن قضيت لـه بحـق أخيـه شيئاً بقولـه فإنمـا أقطـع لـه قطعـة مـن النـار، فـلا يأخذها)). (2)(3)

* * *

قـال:الإِمَـامُ (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- حـدثنا محمـد بـن بشـار قـال، حـدثنا عبـد الـرحمن قـال، حـدثنا سـفيان عـن الأعمـش، عـن (أبـي رزيـن): (إذ يبيتـون مـالا يرضـى مـن القول) قال: يؤلفون مالا يرضى من القول.

ورجالـه ثقـات و(سـنده صـحيح)، و(أبـو رزيـن –هو- مسعود بن مالك). (4)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (الترمـذي) – (رحمـه الله) – في (سـننه) – (بسـنده):- حـدثنا الحسـن بـن أحمـد بـن أبـي شـعيب أبـو مسـلم الحراني. حـدثنا محمـد بـن سلمة الحرّاني. حـدثنا محمـد بـن إسـحاق عـن عاصـم بـن عمـر بـن (قتـادة) عـن أبيـه عـن جـده (قتـادة بـن النعمـان) قـال: كـان أهـل بيـت منّـا يقـال: لهـم بنـو أبـيرق بشـر وبشـير ومبشـر، وكـان بشـير رجـلاً منافقـاً يقـول الشـعر يهجـو بـه أصـحاب رسـول الله – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – ثـم ينحلـه بعـض العـرب ثـم يقـول قـال فـلان كـذا وكـذا قـال فـلان كـذا وكـذا، فـإذا سمـع أصـحاب رسـول الله – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ – ذلـك الشـعر قـالوا: والله مـا يقـول هـذا الشـعر إلا هـذا الخبيـث أو كمـا قـال الرجـل، وقـالوا ابـن الأبـيرق قالهـا، قـال وكـان أهـل بيـت حاجـة وفاقـة في الجاهليـة والإسـلام، وكـان النـاس إنمـا طعـامهم بالمدينـة التمـر والشـعير، وكـان الرجـل إذا كـان لـه يسـار فقـدمت ضـافطة مـن الشـام مـن الـدرْمَك ابتـاع الرجـل منهـا فخـصَّ بهـا نفسـه. وأمـا العيـال فإنمـا طعـامهم التمـر والشـعير، فقـدمت ضـافطة مـن الشـام فابتـاع عمِّـي رفاعـة بـن زيـد حِمـلا مـن الـدرمك فجعلـه في مشـربة لـه وفي المشـربة سـلاح ودرع وسـيف، فعُـدي عليـه مـن تحـت البيـت فنقبـت المشـربة، وأخـذ الطعـام والسـلاح، فلمـا أصـبح أتـاني عمِّـي رفاعـة، فقـال: يـا ابـن أخـي إنـه قـد عُـدى

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العزيـز) في سـورة (النسـاء) الآيـة (105) للإمـام (إبن أبي زمنين المالكي).

(2) (صَـحِيح) : أخرجـه الإِمَـامُ (البُخَـاري) في (صـحيحه) بـرقم (ح 2680) – ((كتاب: الشهادات)، / باب:(من أقام البينة).

(3) (صَـحِيح) : أخرجـه الإِمَـامُ (مُسْـلِم) في (صـحيحه) بـرقم (ح 1713) (الأقضية)، / باب:(الحكم بالظاهر).

(4) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) للإِمَـامُ (الطـبري) في سـورة (النساء) الآية (105).

علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال! فتحسسنا في الدار وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم قال: وكان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار، والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبيننّ هذه السرقة، قالوا: إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشكّ أنهم أصحابها، فقال لي عمّي: يا ابن أخي لو آتيتَ رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فذكرتَ ذلك له،

قال: (قتادة): فأتيت رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقلت: إن أهل بيت منا أهلُ جفاء عمدوا إلى عمّي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردّوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "سآمر في ذلك"، فلما سمع بنو أُبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلّموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله إن (قتادة بن النعمان) وعمّه عمدوا إلى أهل بيت منّا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت،

قال: (قتادة): فأتيتُ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فكلّمته، فقال: لعمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة"، قال: فرجعتُ، ولوَددتُ أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ذلك، فأتاني عمّي رفاعة، فقال: يا ابن أخي ما صنعتَ؟ فأخبرته بما قال: لي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال: الله المستعان، فلم يلبث أن نزل القرآن (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً) بني أبيرق (واستغفر الله) أي مما قلتُ: لـ (قتادة): (إن الله كان غفوراً رحيماً. ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوّاناً أثيماً. يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) -إلى قوله- (غفورا رحيما) أي: لو استغفروا الله لغفر لهم، (ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه) -إلى قوله- (إثماً مبيناً).

قوله للبيد: (ولولا فضل الله عليك ورحمته) -إلى قوله- (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) فلما نزل القرآن أتى رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالسلاح فردّه إلى رفاعة، فقال: (قتادة): لّما أتيتُ عمّي بالسلاح، وكان شيخاً قد عمىَ أو عشي في الجاهلية، وكنتُ أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتيته بالسلاح قال: يا ابن أخي هو في سبيل الله، فعرفتُ أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشيرٌ بالمشركين، فنزل على (سُلافة بنت سعد بن سُمية) فأنزل الله:

{ومن يشاقق الرسول- من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً* إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن

يُشْرِك بِاللهِ فقد ضلَّ ضلالا بعيداً} فلما نزل على سُلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعره، فأخذتْ رحله فوضعته على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديتَ لي شعر حسّان؟ ما كنتَ تأتيني بخير.

قال: الإمَامْ (أبو عيسى): هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحَراني.

وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً لم يذكروا فيه عن أبيه عن جده، وقتادة هو أخو أبي سعيد الخدري لأمه وأبو سعيد الخدري سعد ابن مالك بن سنان. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- عن (أم سلمة) أن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: ((إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (106) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (107) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (109) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (110) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (112) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)

فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها)). (2)(3)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان عن الأعمش، عن (أبي رزين): (إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) قال: يؤلفون مالا يرضى من القول.

ورجاله ثقات و(سنده صحيح)، و(أبو رزين هو مسعود بن مالك). (4)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

(1) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (5/ 244-247)، (ح/ 3036) – (كتاب: التفسير)، سورة النساء)،

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي)

وأخرجه الإمَامْ (الطبري) في (تفسيره) برقم (177/9) ح (10411) بسند الإمام (الترمذي) نفسه.

وأخرجه الإمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (385/4) - كتاب: الحدود) - مع اختلاف في لفظه - من طريق -: (يونس بن بكير، عن ابن إسحاق) به.

وقال: (صحيح على شرط مسلم) ولم يخرجاه. "وأما عن قول الإمَامْ (الترمذي): بأن (يونس بن بكير) وجماعة رواه عن (عاصم بن عمر) مرسلاً،

فقد قال: الشيخ (أحمد شاكر): غير أن الإمَامْ (الحاكم): رواه كما ترى -من طريق-: (يونس بن بكير) مرفوعاً إلى (قتادة بن النعمان)" (تفسير الطبري) برقم (183/9).

ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 109)، :-

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 2680) – ((كتاب: الشهادات)، / باب: (من أقام البينة).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 1713) (الأقضية)، / باب: (الحكم بالظاهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (105).

• مشروعية صلاة الخوف وبيان أحكامها وصفتها.
• الأمر بالأخذ بالأسباب في كل الأحوال، وأن المؤمن لا يعذر في تركها حتى لو كان في عبادة.
• مشروعية دوام ذكر الله تعالى على كل حال, فهو حياة القلوب وسبب طمأنينتها.
• النهي عن الضعف والكسل في حال قتال العدو، والأمر بالصبر على قتاله. (1)

* * *

[١٠٦] ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واطلب المغفرة والعفو من الله، إن الله كان غفورًا لمن تاب إليه من عباده، رحيمًا به. (2)

* * *

يَعْنِي:- واطلب من الله تعالى المغفرة في جميع أحوالك، إن الله تعالى كان غفورًا لمن يرجو فضله ونوال مغفرته، رحيمًا به. (3)

* * *

يَعْنِي:- وعند الحكم بين الناس اتّجه إلى الله وتذكر عظمته واطلب مغفرته ورحمته، فإن المغفرة والرحمة من شأنه - سبحانه وتعالى -. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ} ... مما هممت به من عقاب اليهود.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {واستغفر الله} تب إلى الله من همك بِضَرْبِ الْيَهُودِيّ زيد بن سمين {إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} لمن مَاتَ على التَّوْبَة وَيُقَال غَفُورا لذنبك الَّذِي هَمَمْت بِهِ رحيما بك. (5)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {106} {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ} مما هممت به مِنْ مُعَاقَبَةِ الْيَهُودِيِّ،
وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِنْ جِدَالِكَ عَنْ طُعْمَةَ {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 106]. (6)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ} "أي تُبْ إلى الله واستغفرْهُ مِمَّا هَمَمْتَ بهِ من قطعِ يد زَيْدِ بن السَّمين.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (95/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (96/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (129/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (106). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .
(6) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (106).

وقال: (الكلبيُّ): (مِنْ همِّك باليَهُوديِّ أنْ تَضْربَهُ). وقال: (مقاتلُ): (واستغفر اللهَ مِنْ جِدَالك الَّذي جادَلْتَ عنْ طُعْمَة)،
{إنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً} ... "لِمَنْ يستغفرُهُ".
{رَّحيماً} ... "بالتَّائبينَ".(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ} مما صدر منك إن صدر
{إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} أي: يغفر الذنب العظيم لمن استغفره، وتاب إليه وأناب ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك الموجب لثوابه وزوال عقابه.(2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَاسْتَغْفِرِاللهَ} من أجل ما هممت به من عقوبة اليهودي، {إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} فيغفر لك ما هممت به ويرحمك.(3)

* * *

قال: الشيخ (أسعد محمود حومد) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (أيسر التَّفَاسِير) : -
قوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيمًا (106)}، يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ - صلى الله عليه وسلم - بِأَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهَ لِنَفْسِهِ مِمَّا قَالَهُ لأَصْحَابِ الدِّرْعِ مِنْ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إلى رَجُلٍ مُسْلِم، أَهْلَ ثِقَةٍ وَوَرَعٍ وَصَلاحٍ، فَاتَّهَمُوهُ بِالسَّرِقَةِ، وَاللهُ تَعَالَى كَثِيرُ الغُفْرَانِ لِمَنِ اسْتَغْفَرَهُ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ التَّائِبِينَ.(4)

* * *

[١٠٧] ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تخاصم عن أي شخص يخون ويبالغ في إخفاء خيانته، والله لا يحب هؤلاء الخونة الكاذبين.(5)

* * *

يَعْنِي:- ولا تدافع عن الذين يخونون أنفسهم بمعصية الله. إن الله -سبحانه- لا يحب مَن عَظُمَتْ خيانته، وكثر ذنبه.(6)

* * *

يَعْنِي:- ولا تدافع عن الذين يخونون ويبالغون فى إخفاء الخيانة فى أنفسهم، فإن الله لا يحب من يكون من شأنه الخيانة وارتكاب الذنوب.(7)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تُجَادِلْ} ... تخاصم.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (107).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (106)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (106)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (أيسر التفاسير) للشيخ: (أسعد محمود حومد). في سورة (النساء) الآية (061).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (96/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (129/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يختَانُون} ... يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَعصِيَةِ.

{يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ} ... يحاولون خيانة أنفسهم.

{يَخْتَانُونَ} ... الخيانةُ والنفاقُ واحدٌ، إلا أن الخيانةَ تَخْتَصُّ بنقض العهد والأمانة، والنِّفَاقُ يختص بالدِّين، ويختانون ها هنا يُرَاوِدُونَ أنفسَهم بالخيانة، ويظلمون أنفسَهم بالخيانة، وَسُمُّوا بذلك" لأن مَنْ أَقْدَمَ عَلَى الذنب فقد خَانَ نَفْسَهُ.

{يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ} ... يخونونها بالمعصية.

{خوَّاناً أثيماً} ...على المبالغة.

{خوَّانًا} ... عَظِيمَ الخِيَانَةِ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ} بِالسَّرِقَة {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً} خائناً بِالسَّرِقَة {أَثِيماً} فَاجِرًا بِالْحلف الْكَاذِب والبهتان على البريء. (1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {107} {وَلَا تُجَادِلْ} {النساء: 107} لَا تُخَاصِمْ، {عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ} أَيْ: يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْخِيَانَةِ وَالسَّرِقَةِ، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا} {النساء: 107} خائنا، {أَثِيمًا} بسرقة الدِّرْعِ، أَثِيمًا فِي رَمْيِهِ الْيَهُودِيَّ،

قيل: إِنَّهُ خِطَابٌ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالْمُرَادُ بِهِ غَيره، وَالِاسْتِغْفَارُ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ عَلَى أَحَدِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ: إِمَّا لِذَنْبٍ تَقَدَّمَ عَلَى النُّبُوَّةِ أَوْ لِذُنُوبِ أُمَّتِهِ وَقَرَابَتِهِ، أَوْ لمباح جاء الشرع بتحريمه فَيَتْرُكُهُ بِالِاسْتِغْفَارِ، فَالِاسْتِغْفَارُ يَكُونُ مَعْنَاهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِحُكْمِ الشَّرْعِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ} "الاختيان" و "الخيانة" بمعنى الجناية والظلم والإثم، وهذا يشمل النهي عن المجادلة، عن من أذنب وتوجه عليه عقوبة من حد أو تعزير، فإنه لا يجادل عنه بدفع ما صدر منه من الخيانة، أو بدفع ما ترتب على ذلك من العقوبة الشرعية.

{إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} أي: كثير الخيانة والإثم، وإذا انتفى الحب ثبت ضده وهو البُغْض، وهذا كالتعليل، للنهي المتقدم. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: {ولا تجادل} يا محمد، فتخاصم، {عن الذين يختانون أنفسهم}، يعني: يخوّنون أنفسهم، يجعلونها خَوَنة

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (107). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (107).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (107)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

بخيانتهم ما خانوا من أموال من خانوه ماله، وهم بنو أبيرق. يقول: لا تخاصم عنهم من يطالبهم بحقوقهم وما خانوه فيه من أموالهم،

{إن الله لا يحب من كان خوّانًا أثيمًا}، يقول: إنّ الله لا يحب من كان من صفته خِيانة الناس في أموالهم، وركوب الإثم في ذلك وغيره مما حرَّمه الله عليه. (1)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً (107)}. أَيْ: لَا تُحَاجِجْ عَنِ الَّذِينَ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ، نَزَلَتْ فِي أُسَيْرِ بْنِ عُرْوَةَ كَمَا تَقَدَّمَ. وَالْمُجَادَلَةُ الْمُخَاصَمَةُ، مِنَ الْجَدْلِ وَهُوَ الْفَتْلُ، وَمِنْهُ رَجُلٌ مَجْدُولُ الْخَلْقِ، وَمِنْهُ الْأَجْدَلُ لِلصَّقْرِ. يَعْنِي:- هُوَ مِنَ الْجَدَالَةِ وَهِيَ وَجْهُ الْأَرْضِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَصْمَيْنِ يُرِيدُ أَنْ يُلْقِيَ صَاحِبَهُ عَلَيْهَا،

قَالَ: (الْعَجَّاجُ):

قَدْ أَرْكَبُ الْحَالَةَ بَعْدَ الْحَالَهْ ... وَأَتْرُكُ الْعَاجِزَ بِالْجَدَالَهْ

مُنْعَفِرًا لَيْسَتْ لَهُ مَحَالَهْ الْجَدَالَةُ الْأَرْضُ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: تَرَكْتُهُ مُجَدَّلًا، أَيْ مَطْرُوحًا عَلَى الْجَدَالَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ): أَيْ لَا يَرْضَى عَنْهُ وَلَا يُنَوِّهُ بِذِكْرٍ. (مَنْ كانَ خَوَّاناً) خائنا.

و (خَوَّاناً) أَبْلَغُ، لِأَنَّهُ مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِعِظَمِ قَدْرِ تِلْكَ الْخِيَانَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ} " ولا تُخَاصِمْ عن الذين يَظْلِمُونَ أنفسَهم بالخيانة والسَّرقة ورمي اليهوديِّ بها،

{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً} " أي خَائِناً في الدِّرع " {أَثِيماً} " في رَمْيِه اليهوديَّ.

وَقِيْلَ: الْخَوَّانُ: المكتسبُ للإثم، والآثمُ الفاجرُ بالكذب ورمي البريء،

وإنَّما قال: (يَخْتَانُونَ أنْفُسَهُمْ) وإنْ كانوا خَانُوا غيرَهم " لأن مضرَّةَ خيانتِهم راجعة إليهم،

كما يقالُ: فَمَنْ ظَلَمَ غَيْرَهُ مَا ظَلَمَ إلاَّ نَفْسَهُ، وإنَّما قال: (خَوَّاناً) ولم يقل خَائناً لعظيم أمرِ الخيانة. (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ} أي: أن الْأَنْصَارِيَّ (سَرقَهَا أَي) خانها، والأنصاري: طعمة بْن أُبَيْرِق وَكَانَ منافقاً). (4)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (107)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (107)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (107).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (107) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ} حيث اتهموا اليهودي كذباً وزوراً، {إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً} كطعمة بن أبيرق. (1)

* * *

[١٠٨] ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يستترون من الناس عند ارتكابهم معصية خوفًا وحياء، ولا يستترون من الله، وهو معهم بإحاطته بهم، لا يخفى عليه منهم شيء حين يدَبِّرون خفية ما لا يرضى من القول، كالدفاع عن المذنب واتهام البريء، وكان الله بما يعملون في السر والعلن محيطًا، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- يستترون من الناس خوفًا من اطلاعهم على أعمالهم السيئة، ولا يستترون من الله تعالى ولا يستحيون منه، وهو عز شأنه معهم بعلمه، مطلع عليهم حين يدبِّرون -ليلا- ما لا يرضى من القول، وكان الله - تعالى- محيطًا بجميع أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء. (3)

* * *

يَعْنِي:- يختفون ويستترون بخيانتهم من الناس، ولا يمكن أن تخفى على الله وهو معهم دائماً خياناتهم، وهم يتفقون ليلاً على ما لا يرضى الله من القول من رمى التهم على الأبرياء، - والله تعالى - يعلم علماً لا يخفى منه شئ مما يعملون. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَسْتَخْفُونَ} ... أَيْ: طُعْمَة وَقَوْمه حَيَاء.

{يَسْتَخْفُونَ} ... يطلبون إخفاء أنفسهم عن الناس.

{وَهُوَ مَعَهُمْ} ... بعلمه تعالى وقدرته.

{يَسْتَخْفُونَ} ... يَطْلُبُونَ إخفاءَ أنفسِهم عن الناس.

{يُبَيِّتُونَ} ... يُدَبِّرُونَ لَيْلًا. أي: يُدَبِّرُونَ الأمرَ في خفاء ومَكْرٍ وَخَدِيعَة.

{مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ} ... مِنْ عَزْمِهِمْ عَلَى الْحَلِف عَلَى نَفْي السَّرِقَة وَرَمْي الْيَهُودِيّ بِهَا.

{وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا} ... عِلْمًا.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {يَسْتَخْفُونَ} يستحون {مِنَ النَّاسِ} بِالسَّرِقَة {وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ} لاَ يستحون من الله {وَهُوَ مَعَهُمْ} عَالم بهم {إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (107)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (96/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (129/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يرضى من القول} يقول يؤلفون وَيَقُولُونَ من القَولَ مَا لاَ يُرْضِي الله وَلاَ يرضونه مقدم ومؤخر {وَكَانَ الله بِمَا يَعْمَلُونَ} وَيَقُولُونَ {محيطا} عالما. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {108} {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ} أَيْ: يَسْتَتِرُونَ وَيَسْتَحْيُونَ مِنَ النَّاسِ، يُرِيدُ بَنِي ظَفْرِ بْنِ الْحَارِثِ، {وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ} د أَيْ: لاَ يَسْتَتِرُونَ وَلاَ يَسْتَحْيُونَ مِنَ اللَّهِ، {وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ} يتقولون وَيُؤَلِّفُونَ، وَالتَّبْيِيتُ: تَدْبِيرُ الْفِعْلِ لَيْلًا، {مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ} وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمَ طُعْمَةَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: نَرْفَعُ الْأَمْرَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّهُ يَسْمَعُ قَوْلَهُ وَيَمِينَهُ لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ وَلاَ يَسْمَعُ مِنَ الْيَهُودِيِّ فَإِنَّهُ كَافِرٌ، فَلَمْ يَرْضَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، {وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا} {النساء: 108} ثُمَّ يَقُولُ لِقَوْمِ طُعْمَةَ: (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثم ذكر عن هؤلاء الخائنين أنهم {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ} وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم.

وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم، خصوصًا في حال تبييتهم ما لا يرضيه من القول، من تبرئة الجاني، ورمي البريء بالجناية، والسعي في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم ليفعل ما بيتوه.

فقد جمعوا بين عدة جنايات، ولم يراقبوا رب الأرض والسماوات، المطلع على سرائرهم وضمائرهم، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا} أي: قد أحاط بذلك علما، ومع هذا لم يعاجلهم بالعقوبة بل استأنى بهم، وعرض عليهم التوبة وحذرهم من الإصرار على ذنبهم الموجب للعقوبة البليغة. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ} الْآيَةَ، هَذَا إِنْكَارٌ عَلَى الْمُنَافِقِينَ فِي كَوْنِهِمْ يَسْتَخْفُونَ بِقَبَائِحِهِمْ مِنَ النَّاسِ لِئَلَّا يُنْكِرُوا عَلَيْهِمْ، وَيُجَاهِرُونَ اللَّهَ بِهَا لِأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى سَرَائِرِهِمْ وَعَالِمٌ بِمَا فِي ضَمَائِرِهِمْ" وَلِهَذَا قَالَ: {وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (108). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (108).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (108)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا} تَهْدِيدٌ لَهُمْ وَوَعِيدٌ. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {يستخفون من الناس}، يستخفي هؤلاء الذين يختانون أنفسهم، ما أتَوْا من الخيانة، وركبوا من العار والمعصية، {من الناس}، الذين لا يقدرون لهم على شيء، إلا ذكرهم بقبيح ما أتَوْا من فعلهم، وشنيع ما ركبوا من جُرمهم إذا اطلعوا عليه، حياءً منهم وحذرًا من قبيح الأحدوثة،

{ولا يستخفون من الله} الذي هو مطلع عليهم، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وبيده العقاب والنَّكال وتعجيل العذاب، وهو أحق أن يُستحى منه من غيره، وأولى أن يعظَّم بأن لا يراهم حيث يكرهون أن يراهم أحد من خلقه.

{وهو معهم}، يعني: والله شاهدهم {إذ يبيتون ما لا يرضى من القول}، يقول: حين يسوُّون ليلا ما لا يرضى من القول، فيغيِّرونه عن وجهه، ويكذبون فيه.

{وكان الله بما يعملون محيطًا} يعني جل ثناؤه: وكان الله بما يعمل هؤلاء المستخفون من الناس، فيما أتَوْا من جرمهم، حياءً منهم، من تبييتهم ما لا يرضى من القول، وغيره من أفعالهم، {محيطًا}، محصيًا لا يخفى عليه شيء منه، حافظًا لذلك عليهم، حتى يجازيهم عليه جزاءهم (2)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قَالَ: (الضَّحَّاكُ): لَمَّا سَرَقَ الدِّرْعَ اتَّخَذَ حُفْرَةً فِي بَيْتِهِ وَجَعَلَ الدِّرْعَ تَحْتَ التُّرَابِ، فَنَزَلَتْ (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ) يَقُولُ: لاَ يَخْفَى مَكَانُ الدِّرْعِ عَلَى اللَّه (وَهُوَ مَعَهُمْ) أي: رقيب حفيظ عليهم.

يَعْنِي:- (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ) أَيْ يَسْتَتِرُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) أَيْ مُسْتَتِرٍ. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ} " معناهُ: يستخفي قومُ طُعْمَةَ " أي يُسِرُّونَ من الناس وهم يعلمون أنهُ سارقٌ ولا يستَتِرُون من الله " أي لا يُمكنهم الاستخفاءُ منه، فإنَّ سِرَّهُمْ وعلانيتَهم عند الله ظَاهرٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ مَعَهُمْ} وهو شاهدٌ لأفعالهم {إذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ} أي يُدَبِّرُونَ، ويقولون بالليل قَوْلاً لا يرضاهُ اللهُ " وهو اتِّفاقُ قول طُعْمَةَ على أنْ يَرْمُوا اليهوديَّ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (108)، للإمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (108)، للإمَام (الطبري).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (108)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

وقَوْلُـه تَعَالَى : {وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً} " أي عالِماً لا يفوتُه شيء كما لا يفوتُ الْمُحِيْطَ بالشيء. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ} أي: يستحيون من النَّاس، ولاَ يستحيون من الله. (2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ} حياء منهم، {وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ} ولا يستحيون منه، وهو تعالى معهم في الوقت الذي كانوا يدبرون كيف يخرجون من التهمة بإلصاقها باليهودي البريء، وعزموا أن يحلفوا على براءة أخيهم واتهام اليهودي هذا القول مما لا يرضاه الله تعالى..

وقوله عز وجل: {وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً} فما قام به طعمة من سرقة الدرع ووضعها لدى اليهودي ثم اتهامهم اليهودي، وحلفهم على براءة أخيهم كل ذلك جرى تحت علم الله تعالى، والله به محيط، فسبحانه من إله عظيم. (3)

* * *

قال: الإمام (الشافعي) - (رحمه الله) - في (تفسير الإمام الشافعي):- قال الله عزَّ وجلَّ:

{يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108)}.

الأم: تكلُّف الحجة على قائل القول الأول - بقتل المرتد -، وعلى من قال: أقبل إظهار التوبة. . :

قال: (الشَّافعي) -(رحمه الله تعالى):

والأعراب لا يدينون ديناً يظهر، بل يظهرون الإسلام، ويَسْتَخْفُونَ بالشرك والتعطيل، قال اللَّه - عز وجل -: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ) الآية.

فإن قال قائل: فلعل من سميت لم يظهر شركاً سمعه منه آدمي، وإنما أخبر اللَّه أسرارهم، فقد سمع من عدد منهم الشرك، وشهد به عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فمنهم من جحده، وشهد شهادة الحق، فتركه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما أظهر، ولم يَقِفهُ، على أن يقول: أقرَّ.

ومنهم من أقرَّ بما شهد به عليه، وقال: تبت إلى اللَّه، وشهد شهادة الحق، فتركه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما أظهر. (4)

* * *

[١٠٩] ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (108)،

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (108) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي)،

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (108)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر:تفسير (الإمام الشافعي)، سورة (النساء) الآية (108). ، الطبعة الأولى: (1427 - 2006 م).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ها أنتم -يا من يهمكم أمر هؤلاء الذين يرتكبون جرمًا- خاصمتم عنهم في الحياة الدنيا لتثبتوا براءتهم، وتدفعوا عنهم العقوبة، فمن الذي يجال الله عنهم يوم القيامة وقد علم حقيقة حالهم؟! ومن الذي يكون وكيلًا عليهم في ذلك اليوم؟! ولا شك أن أحدًا لا يستطيع ذلك.(1)

* * *

يَعْنِي:- ها أنتم أيها المؤمنون- قد حاججتم عن هؤلاء الخائنين لأنفسهم في هذه الحياة الدنيا، فمن يحاجج الله تعالى عنهم يوم البعث والحساب؟ ومن ذا الذي يكون على هؤلاء الخائنين وكيلا يوم القيامة؟.(2)

* * *

يَعْنِي:- إذا كنتم تدافعون عنهم فى الدنيا فلا يعاقبون عقاب الدنيا، فلا يوجد من يدافع عنهم يوم القيامة أمام - الله تعالى - ، بل من يقبل أن يكون ولياً عليهم ناصراً لهم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{هَا أَنْتُمْ}... ها، للتنبيه فى (أنتم) و (أولاء) وهما مبتدأ وخبر.

{هَا أَنْتُمْ}... يَا {هَؤُلَاءِ}... خِطَاب لِقَوْم طُعْمَة {جادلتم}... خاصمتم.

{جَادَلْتُمْ}... جملة مبنية لوقوع (أولاء) خبرا.

ويجوز أن يكون (أولاء) اسما موصولا بمعنى: الذين، وجادَلْتُمْ صلته.

{عنهم}... أي: في طُعْمَة وَذَوِيه وَقُرِئَ عَنْهُ.

{فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} إذا عَذَّبَهُمْ.

{أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا}... يَتَوَلَّى أَمْرهمْ وَيَذُبّ عَنْهُمْ أَيْ لَا أَحَد يَفْعَل ذَلِكَ.

{وَكِيلًا}... حافظا ومحاسبا من بأس الله وانتقامه.

والمعنى: هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وقومه فى الدنيا فمن يخاصم عنهم فى الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ} أَنْتُم يَا قوم طعمة يَعْنِي بني ظفر {جَادَلْتُمْ} خاصمتم {عَنْهُمْ} عَن طعمة {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ} يُخَاصم الله {عَنْهُمْ} عَن طعمة {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} {أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ} على طعمة {وَكِيلاً} كَفِيلا من عَذَاب الله.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {109} {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ} أي: يا هؤلاء، {جَادَلْتُمْ} أي: خاصمتم، {عَنْهُمْ} يعني: عن طعمة، {فِي

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (96/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (129/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (109). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -

{الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وَالْجِدَالُ: شِدَّةُ الْمُخَاصَمَةِ مِنَ الْجَدْلِ، وهو شدة القتل، فهو يريد قتل الْخَصْمِ عَنْ مَذْهَبِه بِطَرِيقِ الْحِجَاجِ،

يَعْنِي :- الْجِدَالُ مِنَ الْجَدَالَةِ، وَهِيَ الْأَرْضُ، فَكَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَصْمَيْنِ يَرُومُ قَهْرَ صَاحِبَهُ وَصَرْعَهُ على الجدال، {فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ} يَعْنِي: عَنْ طُعْمَةَ، {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} إذا أَخَذَهُ اللَّهُ بِعَذَابِه،

{أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا} {النساء: 109} كَفِيلاً، أَيْ: مَنِ الَّذِي يَذُبُّ عَنْهُمْ، وَيَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تقسيره):- {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا} أي: هبكم جادلتم عنهم في هذه الحياة الدنيا، ودفع عنهم جدالُكم بعض ما تحذرون من العار والفضيحة عند الخَلْق، فماذا يغني عنهم وينفعهم؟ ومن يجادل الله عنهم يوم القيامة حين تتوجه عليهم الحجة، وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون؟ {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ}.

فمن يجادل عنهم من يعلم السر وأخفى ومن أقام عليهم من الشهود ما لا يمكن معه الإنكار؟ وفي هذه الآية إرشاد إلى المقابلة بين ما يتوهم من مصالح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله أو فعل مناهيه، وبين ما يفوت من ثواب الآخرة أو يحصل من عقوباتها.

فيقول من أمرته نفسه بترك أمر الله ها أنت تركت أمره كسلا وتفريطا فما النفع الذي انتفعت به؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة؟ وماذا ترتب على هذا الترك من الشقاء والحرمان والخيبة والخسران؟، وكذلك إذا دعته نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المحرمة قال لها: هبك فعلت ما اشتهيت فإن لذته تنقضي ويعقبها من الهموم والغموم والحسرات، وفوات الثواب وحصول العقاب - ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها. وهذا من أعظم ما ينفع العبدَ تدبره، وهو خاصة العقل الحقيقي. بخلاف الذي يدعي العقل، وليس كذلك، فإنه بجهله وظلمه يؤثر اللذة الحاضرة والراحة الراهنة، ولو ترتب عليها ما ترتب. والله المستعان. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):–

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا} ، ها أنتم الذين جادلتم، يا معشر من جادل عن بني أبيرق، {في الحياة الدنيا} = و"الهاء" و"الميم" في قوله: {عنهم} من ذكر الخائنين.

{فمن يجادل الله عنهم}، يقول: فمن ذا يخاصم الله عنهم، {يوم القيامة} ، أي: يوم يقوم الناس من قبورهم لمحشرهم، فيدافع عنهم ما الله فاعل بهم ومعاقبهم به. وإنما

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (109).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (109)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يعني بذلك: إنكم أيها المدافعون عن هؤلاء الخائنين أنفسهم، وإن دافعتم عنهم في عاجل الدنيا، فإنهم سيصيرون في آجل الآخرة إلى من لا يدافع عنهم عنده أحد فيما يحلُّ بهم من أليم العذاب ونكال العقاب.

وأما قوله: {أم من يكون عليهم وكيلا}، فإنه يعني: ومن ذا الذي يكون على هؤلاء الخائنين وكيلا يوم القيامة، أي: ومن يتوكل لهم في خصومة ربهم عنهم يوم القيامة.(1)

* * *

قال: الإمامْ (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ: {هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا} أَيْ: هَبْ أَنَّ هَؤُلَاءِ انْتَصَرُوا فِي الدُّنْيَا بِمَا أَبْدَوْهُ أَوْ أبدى لهم عند الحكام الذين يَحْكُمُونَ بِالظَّاهِرِ -وَهُمْ مُتَعَبِّدُونَ بِذَلِكَ- فَمَاذَا يَكُونُ صَنِيعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتَوَكَّلُ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي تَرْوِيجِ دَعْوَاهُمْ؟ أَيْ: لَا أَحَدَ يَكُونُ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ وَكِيلًا وَلِهَذَا قَالَ: {أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا}.(2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ) يُرِيدُ قَوْمَ بُشَيْرٍ السَّارِقِ لَمَّا هَرَبُوا بِهِ وَجَادَلُوا عَنْهُ.

قَالَ (الزَّجَّاجُ): (هؤلاء) بِمَعْنَى الَّذِينَ. (جَادَلْتُمْ) حَاجَجْتُمْ. (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ وَالتَّوْبِيخُ.

(أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) الْوَكِيلُ: الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ الْأُمُورِ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَائِمٌ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ. وَالْمَعْنَى: لَا أَحَدَ لَهُمْ يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ إِذَا أخذهم الله بعذابه وأدخلهم النار.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ: {هَا أَنْتُمْ هَاؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} " وذلك أنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -أرادَ أن يقطعَ طُعْمَةَ في السرقة بعد هذه الآياتِ " فجاءَ قومُه شَاكِّينَ في السِّلاحِ فجاجلُوا عنه وهربُوا به ،

فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ ، ومعناها : هَا أنْتُمْ يَا قومَ طُعْمَةَ خاصمتُم النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- عن طعمةَ وعن خيانته في دار الدُّنيا.

وفي قراءة أبيِّ : (جَادَلْتُمْ عَنْهُ فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إذا أخَذهُ بعذَابهِ وأدْخَلَهُ النَّارَ) " {أَمْ مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً} " يتوكَّلُ بهم ويصلحُ أمرَهم ويحفظُهم من عذاب الله.(4)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ أقبلَ على قوم الْأنْصَارِيِّ فَقَالَ: {هَا أَنْتُم هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (109)، للإمامْ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (109)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (109)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (109).

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا} أي: حفيظا لأعمالهم" في تَفْسِيرِ الْحسن.(1)

* * *

[١١٠] ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

ومن يعمل عملًا سيئًا، أو يظلم نفسه باقتراف المعاصي، ثم يطلب المغفرة من الله مقرًا بذنبه نادمًا عليه مقلعًا عنه، يجد الله أبدًا غفورًا لذنوبه رحيمًا به.(2)

* * *

يَعْنِي:- ومن يُقْدِمْ على عمل سيِّئ قبيح، أو يظلم نفسه بارتكاب ما يخالف حكم الله وشرعه، ثم يرجع إلى الله نادمًا على ما عمل، راجيًا مغفرته وستر ذنبه، يجد الله تعالى غفورًا له، رحيمًا به.(3)

* * *

يَعْنِي:- وإن باب التوبة مفتوح، فمن يعمل أمراً سيئاً فى ذاته أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصى ثم يطلب مغفرة الله - تعالى -، فإنه يجد الله - تعالى قابلاً توبته غافراً له، لأن من شأنه المغفرة والرحمة.(4)

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (109) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (96/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (129/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا} ... ذَنْبًا يَسُوء بِهِ غَيْره كَرَمْيِ طُعْمَة الْيَهُودِيّ.

{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً} ... قبيحا متعديا يسوء به غيره، كما فعل طعمة بقتادة واليهودي.

{سُوءاً} ... السوء: ما يسيء إلى النفس أو إلى الغير.

{أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ} ... بما يختص به كالحلف الكاذب.

{أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَه} ... يَعْمَل ذَنْبًا قَاصِرًا عَلَيْهِ .

(أي: ظلم النفس: بغشيان الذنوب وارتكاب الخطايا).

{ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ} ... مِنْهُ أَيْ: يَتُبْ.

{يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا} ... لَهُ. {رَحِيمًا} به

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قال : الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

يُخْبِرُ، تَعَالَى، عَنْ كَرَمِهِ وَجُودِهِ: أَنَّ كُلَّ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ.

فَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَخْبَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِحِلْمِهِ وَعَفْوِهِ وَكَرَمِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَمَغْفِرَتِهِ، فَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا {ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} وَلَوْ كَانَتْ ذنوبه أعظم من السموات وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ. رَوَاهُ (ابْنُ جَرِيرٍ).

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جرير) أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا أَصَابَ أَحَدُهم ذَنْبًا أَصْبَحَ قَدْ كُتِبَ كَفَّارَةُ ذَلِكَ الذَّنْبِ عَلَى بَابِهِ، وَإِذَا أَصَابَ الْبَوْلُ شَيْئًا مِنْهُ قَرَضَهُ بِالْمِقْرَاضِ (2) فَقَالَ رَجُلٌ: لَقَدْ آتَى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَيْرًا -فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَا آتَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا آتَاهُمْ، جَعَلَ (3) الْمَاءَ لَكُمْ طَهُورًا،

وَقَالَ: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} [آل عمران: 135] وَقَالَ {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}

وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ فَسَأَلَتْهُ عَنِ امْرَأَةٍ فَجَرَتْ فَحَبِلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَتَلَتْ وَلَدَهَا؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفَّلٍ: مَا لَهَا؟ لَهَا النَّارُ! فَانْصَرَفَتْ وَهِيَ تَبْكِي، فَدَعَاهَا ثُمَّ قَالَ: مَا أَرَى أَمْرَكِ إِلَّا أَحَدَ أَمْرَيْنِ: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} قَالَ: فَمَسَحَتْ عَيْنَهَا، ثُمَّ مَضَتْ (1) .

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ رَبِيعَةَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، يُحَدِّثُ عَنْ (أَسْمَاءَ -أَوِ ابْنِ أَسْمَاءَ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ) - قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ، - (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) -: كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا نَفَعَنِي اللَّهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي مِنْهُ. وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ -وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ -قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُذْنِبُ (1) ذَنْبًا ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِذَلِكَ الذَّنْبِ إِلا غُفِرَ لَهُ)).

وَقَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}

{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} الآية (2) .

قال: الإمَامُ (الطبري) - و الإمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب ذنبا صغيرا كان أو كبيرا، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما، ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال (3)(4).

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَمَن يعْمل سوءا} سَرقَة {أَوْ يظْلم نَفسه} بِالْحلف

---

(1) انظر: الإمام (الطبري) في (تفسير) برقم (195/9).

(2) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8/1)،
وانظر: تخريجه فيما مضى عند سورة (آل عمران)، الآية: (135).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (110)، للإمَامُ (ابن كثير).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (110).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (110).

الْبَاطِل والبهتان على البريء {ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ} يتب إلى الله {يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً} لذنوبه {رَّحِيماً} حيْثُ قبل تَوْبَته.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {110} {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً} يَعْنِي السَّرِقَة، {أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ} بِرَمْيِه الْبَرِيءَ،

يَعْنِي:- وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَيْ: شِرْكًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ: يَعْنِي إِثْمًا دُونَ الشِّرْكِ،

{ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ} أَيْ: يَتُبْ إِلَيْه وَيَسْتَغْفِرْهُ،

{يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} {النساء: 110} يَعْرِضُ التَّوْبَةَ عَلَى طُعْمَةَ فِي هَذِه الْآيَة.(2)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً (110)}.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس): عَرَضَ اللَّهُ التَّوْبَةَ عَلَى بَنِي أُبَيْرِق بِهَذِهِ الْآيَة، أَيْ (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً) بِأَنْ يَسْرِقَ (أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ) بِأَنْ يُشْرِكَ (ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ) يَعْنِي بِالتَّوْبَة، فَإِنَّ الاسْتِغْفَار بِاللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَدْ بَيَّنَّاهُ فِي (آل عِمْرَان).

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي شَأْنِ (وَحْشِيّ قَاتِل حَمْزَةَ) أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَقَتَلَ حَمْزَةَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ: إِنِّي لَنَادِمٌ فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَنَزَلَ: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ) الْآيَة.

يَعْنِي:- الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْعُمُومُ وَالشُّمُولُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ.

وَرَوَى سُفْيَانُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَسْوَدِ وَعَلْقَمَةَ قَالَا: قَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُود) مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ (النِّسَاء) ثُمَّ اسْتَغْفَرَ غُفِرَ لَهُ: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً)

. (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرسول- لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً). وَرُوِيَ عَنْ (عَلِيّ) - (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ حَدِيثًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَفَعَنِي اللَّهُ بِهِ مَا شَاءَ، وَإِذَا سَمِعْتُهُ مِنْ غَيْرِه حَلَّفْتُهُ،

وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ: قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً).(3)

* *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} أي: من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (110). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (110).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (15)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

الله استغفارا تاما يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود. فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة.

فيغفر له ما صدر منه من الذنب، ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب، ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة، ويوفقه فيما يستقبله من عمره، ولا يجعل ذنبه حائلا عن توفيقه، لأنه قد غفره، وإذا غفره غفر ما يترتب عليه.

واعلم أن عمل السوء عند الإطلاق يشمل سائر المعاصي، الصغيرة والكبيرة، وسمي {سوءا} لكونه يسوء عامله بعقوبته، ولكونه في نفسه سيئًا غير حسن.

وكذلك ظلم النفس عند الإطلاق يشمل ظلمها بالشرك فما دونه. ولكن عند اقتران أحدهما بالآخر قد يفسر كل واحد منهما بما يناسبه، فيفسر عمل السوء هنا بالظلم الذي يسوء الناس، وهو ظلمهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ويفسر ظلم النفس بالظلم والمعاصي التي بين الله وبين عبده، وسمي ظلم النفس. {ظلما} لأن نفس العبد ليست ملكا له يتصرف فيها بما يشاء، وإنما هي ملك لله تعالى قد جعلها أمانة عند العبد وأمره أن يقيمها على طريق العدل، بإلزامها للصراط المستقيم علمًا وعملا فيسعى في تعليمها ما أمر به ويسعى في العمل بما يجب، فسعيه في غير هذا الطريق ظلم لنفسه وخيانة وعدول بها عن العدل، الذي ضده الجور والظلم. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (النسائي)، وأبو داود)، (و إبن ماجة) - في (سُننهم) - والإمَامْ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسنديهم):- , عَنْ (أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم : " (مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا) (2) (ثُمَّ يَقُومُ) (3) (فَيَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ , ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ) (4) (ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعَالَى لِذَلِكَ الذَّنْبِ إِلَا غَفَرَ اللهُ لَهُ , وَقَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللهَ يَجِدْ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا} {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَا اللهُ , وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (5)") (6)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (115)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1521).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3006 , 406).
(3) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3006 , 406).
(4) أخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1395).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (406).
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1521).
(5) {آل عمران/135}.
(6) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (47).
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1521) .
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (406).
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1395).
انظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (5738). و(صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ) برقم (1621). للإمام (الألباني).

[١١١] ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن يرتكب إثمًا صغيرًا أو كبيرًا فإنما عقوبته عليه وتتجاوزه إلى غير، وكان الله عليمًا بأعمال العباد، حكيمًا في تدبيره وتشريعه. (1)

* * *

يَعْنِي:- ومن يعمد إلى ارتكاب ذنب فإنما يضر بذلك نفسه وحدها، وكان الله تعالى عليمًا بحقيقة أمر عباده، حكيمًا فيما يقضي به بين خلقه. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن الذنوب مضارها على نفس من يفعلها، فمن يكسب ذنباً فإنما هو ضد لنفسه، ومغبته على نفسه، والله - سبحانه وتعالى - يعلم ما ارتكب ويعامله بمقتضى حكمته، فيعاقب أو يغفر على حسب ما تقتضيه الحكمة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا} ... ذَنْبًا.

{بَرِيئاً} ... البريء: من لم يجن جناية قد اتهم بها.

{فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ} ... لِـأَنَّ وَبَالَه عَلَيْهَا وَلَا يَضُرّ غَيْرَه.

(أي: لا يتعداه ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء).

{وَكَانَ اللَّه عَلِيمًا حَكِيمًا} ... فِي صُنْعه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} الْآيَةَ: {فاطر: 18}. يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَجْنِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَإِنَّمَا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ، لَا يَحمِلُ عَنْهَا غَيْرُهَا"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} أَيْ: مِنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَعَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ كَانَ ذَلِكَ. (4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً} سَرقَة وَيحلف بِاللَّه كَاذِباً {فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ} عُقُوبَته {على نَفسه وَكَانَ الله عليما} يَعْنِي بسارق الدرْع.

{حَكِيماً} ... حكم عَلَيْه بِالْقطعِ. (5)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (96/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (129/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (111)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (111). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {111} {وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا} يَعْنِي: يَمِينَ طُعْمَةَ بِالْبَاطِلِ، أَيْ: مَا سَرَقْتُهُ إِنَّمَا سَرَقَهُ الْيَهُودِيُّ. {فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ} فَإِنَّمَا يَضُرُّ بِهِ نَفْسَهُ، {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا} بسارق الدرع.

{حَكِيمًا} {النساء: 111} حَكَمَ بِالْقَطْعِ عَلَى السَّارِقِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثم قال: {وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ} وهذا يشمل كل ما يؤثم من صغير وكبير، فمن كسب سيئة فإن عقوبتها الدنيوية والأخروية على نفسه، لا تتعداها إلى غيرها،

كما قال تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} لكن إذا ظهرت السيئات فلم تنكر عمت عقوبتها وشمل إثمها، فلا تخرج أيضا عن حكم هذه الآية الكريمة، لأن من ترك الإنكار الواجب فقد كسب سيئة.

وفي هذا بيان عدل الله وحكمته، أنه لا يعاقب أحدا بذنب أحد، ولا يعاقب أحدا أكثر من العقوبة الناشئة عن ذنبه،

ولهذا قال: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} أي: له العلم الكامل والحكمة التامة. ومن علمه وحكمته أنه يعلم الذنب وما صدر منه، والسبب الداعي لفعله، والعقوبة المترتبة على فعله، ويعلم حالة المذنب، أنه إن صدر منه الذنب بغلبة دواعي نفسه الأمارة بالسوء مع إنابته إلى ربه في كثير من أوقاته، أنه سيغفر له ويوفقه للتوبة.

وإن صدر منه بتجرئه على المحارم استخفافا بنظر ربه، وتهاونا بعقابه، فإن هذا بعيد من المغفرة بعيد من التوفيق للتوبة. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111)} قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يأت ذنبًا على عَمْد منه له ومعرفة به، فإنما يجترح وَبَال ذلك الذنب وضُرَّه وخزْيه وعاره على نفسه، دون غيره من سائر خلق الله. يقول: فلا تجادلوا، أيها الذين تجادلون، عن هؤلاء الخونة، فإنكم وإن كنتم لهم عشيرةً وقرابةً وجيرانًا، برآء مما أتوه من الذنب ومن التَّبِعة التي يُتَّبعون بها، وإنكم متى دافعتم عنهم أو خاصمتم بسببهم، كنتم مثلَهم، فلا تدافعوا عنهم ولا تخاصموا.

= وأما قوله: {وكان الله عليمًا حكيمًا}، فإنه يعني: وكان الله عالمًا بما تفعلون، أيها المجادلون عن الذين يختانون أنفسهم، في جدالكم عنهم وغير ذلك من أفعالكم وأفعال غيركم، وهو يحصيها عليكم وعليهم، حتى يجازي جميعكم بها،

{حكيمًا} يقول: وهو حكيم بسياستكم وتدبيركم وتدبير جميع خلقه. (3)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (111).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (111)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (111)، للإمام (الطبري).

* * *

قال: الإمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره) = (أضواء البيان):- قوله تعالى: (ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه)، ذكر في هذه الآية أن من فعل ذنبا فإنه إنما يضر به خصوص نفسه لا غيرها وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى).

وقوله: (ومن أساء فعليها) إلى غير ذلك من الآيات. (1)

* * *

[١١٢] ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمُنتخب لهذه الآية:

ومن يرتكب خطيئة على غير عمد، أو إثمًا بعمد، ثم يتهم به إنسانا بريئًا من ذلك الذنب، فقد تحمَّل بفعله ذلك كذبًا شديدًا وإثمًا بينًا. (2)

* * *

يَعْني:- ومن يعمل خطيئة بغير عمد، أو يرتكب ذنبًا متعمدًا ثم يقذف بما ارتكبه نفسًا بريئة لا جناية لها، فقد تحمَّل كذبًا وذنبًا بيّنا. (3)

* * *

يَعْني:- ومن يرتكب أخطاء تحيط بالنفس وذنوباً ثم يتهم بهذه الذنوب بريئاً لم يرتكبها، كمن يسرق شيئاً ويتهم غيره بسرقته، فقد وقع عليه وزران: أحدهما: الكذب والافتراء باتهام الأبرياء، والثاني: الذنب الواضح البين. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَنْ يَكْسِب خَطِيئَةً} ... ذَنْبًا صَغِيرًا.

{خَطِيئَةً} .... صغيرة.

{أَوْ إِثْماً} ... أو كبيرة. (أي: ذَنْبًا كَبِيرًا).

{ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا} ... مِنْهُ. (كما رمى طعمة زيدا).

{فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً} ...لأنه بكسب الإثم أثم، وبرمي البريء باهت، فهو جامع بين الأمرين.

{فَقَدْ احْتَمَلَ} ... تَحمَّلَ.

{بُهْتَانًا} ... برَمْيِه.

{وَإِثْمًا مُبِينًا} ... بينا يكسبه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجّة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ: {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِيناً} يَعْني: كَمَا اتَّهَمَ بَنُو أُبَيْرِق بِصَنِيعِهِمُ الْقَبِيحِ ذَلِكَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ، وَهُوَ لَبِيدُ بْنُ سَهْلٍ،

كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ، أَوْ زَيْدُ بْنُ السَّمِينِ الْيَهُودِيُّ عَلَى مَا قَالَهُ الْآخَرُونَ،

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (111).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)، (السعودية).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (96/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (130/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

وَقَدْ كَانَ بَرِيئًا وَهُمُ الظَّلَمَةُ الْخَوَنَةُ، كَمَا أطلعَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. ثُمَّ هَذَا التَّقْرِيعُ وَهَذَا التَّوْبِيخُ عَامٌّ فِيهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ مِمَّنِ اتَّصَفَ مِثْلَ صِفَتِهِمْ وَارْتَكَبَ مِثْلَ خَطِيئَتِهِمْ، فَعَلَيْهِ مِثْلُ عُقُوبَتِهِمْ. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَمَن يكْسب خَطِيئَة} سَرقَة {أَوْ إِثْماً} أَو يحلف بِاللَّه كَاذِبًا {ثُمَّ يَرْمِ بِهِ} بِمَا سرق {بَرِيئاً} زيد بن سمين {فَقَدِ احْتَمل} فقد أوجب على نَفسه {بُهْتَاناً} عُقُوبَة بهتان عَظِيم {وَإِثْماً مُّبِيناً} وعقوبة ذنب بيِّن. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{112} {وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً} أَيْ: سَرِقَةَ الدِّرْعِ،

{أَوْ إِثْمًا} بِيَمِينِهِ الْكَاذِبَةِ،

{ثُمَّ يَرْمِ بِهِ} أَيْ: يَقْذِفْ بِمَا جَنَى.

{بَرِيئًا} مِنْهُ وَهُوَ نِسْبَةُ السَّرِقَةِ إِلَى الْيَهُودِيِّ.

{فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا} الْبُهْتَانُ: هُوَ الْبَهْتُ، وَهُوَ الْكَذِبُ الَّذِي يُتَحَيَّرُ فِي عِظَمِهِ،

{وَإِثْمًا مُبِينًا} {النساء: 112} أَيْ: ذَنْبًا بَيِّنًا،

وَقَوْلُهُ: (ثُمَّ يَرْمِ بِهِ) وَلَمْ يَقُلْ بِهِمَا بَعْدَ ذِكْرِ الْخَطِيئَةِ وَالْإِثْمِ، رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الْإِثْمِ أَوْ جَعَلَ الْخَطِيئَةَ وَالْإِثْمَ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم قال: {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً} أي: ذنبا كبيرا {أَوْ إِثْمًا} ما دون ذلك. {ثُمَّ يَرْمِ بِهِ} أي: يتهم بذنبه {بَرِيئًا} من ذلك الذنب، وإن كان مذنبا.

{فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} أي: فقد حمل فوق ظهره بهتا للبريء وإثمًا ظاهرًا بيِّنًا، وهذا يدل على أن ذلك من كبائر الذنوب وموبقاتها، فإنه قد جمع عدة مفاسد: كسب الخطيئة والإثم، ثم رَمْي مَن لم يفعلها بفعلها، ثم الكذب الشنيع بتبرئة نفسه واتهام البريء، ثم ما يترتب على ذلك من العقوبة الدنيوية، تندفع عمن وجبت عليه، وتقام على من لا يستحقها.

ثم ما يترتب على ذلك أيضا من كلام الناس في البريء إلى غير ذلك من المفاسد التي نسأل الله العافية منها ومن كل شر. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ: {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} يَعْنِي: كَمَا اتَّهَمَ بَنُو أُبَيْرِقٍ بِصَنِيعِهِمُ الْقَبِيحِ ذَلِكَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ، وَهُوَ لَبِيدُ بْنُ سَهْلٍ،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (112)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (112). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (112).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (112)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ، أَوْ زَيْدُ بْنُ السَّمِينِ الْيَهُودِيُّ عَلَى مَا قَالَهُ الْآخَرُونَ، وَقَدْ كَانَ بَرِيئًا وَهُمُ الظَّلَمَةُ الْخَوَنَةُ، كَمَا أطلعَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. ثُمَّ هَذَا التَّقْرِيعُ وَهَذَا التَّوْبِيخُ عَامٌّ فِيهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ مِمَّنِ اتَّصَفَ مِثْلَ صِفَتِهِمْ وَارْتَكَبَ مِثْلَ خَطِيئَتِهِمْ، فَعَلَيْهِ مَثَلُ عُقُوبَتِهِمْ.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (112)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يعمل خطيئة، وهي الذنب. {أو إثمًا}، وهو ما لا يحل من المعصية.

* * *

وإنما فرق بين {الخطيئة} و{الإثم}، لأن {الخطيئة}، قد تكون من قبل العَمْد وغير العمد،

و{الإثم} لا يكون إلا من العَمْد، ففصل جل ثناؤه لذلك بينهما فقال: ومن يأت:

{خطيئة} على غير عمد منه لها،

{أو إثمًا} على عمد منه.

* * *

{ثم يرم به بريئًا}، يعني: ثم يُضيف ماله من خطئه أو إثمه الذي تعمده،

{بريئًا} مما أضافه إليه ونحله إياه،

{فقد احتمل بُهتانًا وإثمًا مبينًا}، يقول: فقد تحمّل بفعله ذلك فرية وكذبًا وإثمًا عظيمًا= يعني، وجُرمًا عظيمًا، على علم منه وعمد لما أتى من معصيته وذنبه.

= وأما قوله: {فقد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا}، فإن معناه: فقد تحمل - هذا الذي رمَى بما أتى من المعصية وركب من الإثم الخطيئة، مَنْ هو بريء مما رماه به من ذلك،

{بهتانًا}، وهو الفرية والكذب {وإثمًا مبينًا}، يعني وِزْرًا، {مبينًا}، يعني: أنه يبين عن أمر متحمِّله وجراءته على ربه،(2)

* * *

[١١٣] ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولولا فضل الله عليك أيها الرسول - ﷺ - بعصمتك لعزمت جماعة من هؤلاء الذين يخونون أنفسهم أن يضلوك عن الحق فتحكم بغير القسط، وما يضلون حقيقة إلا أنفسهم؛ لأن عاقبة ما اقترفوه من محاولة الإضلال راجع عليهم، وأنزل الله عليك القرآن والسنَّة، وعلَّمك من الهدى والنور ما لم تكن

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (112)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (112)، للإِمَامْ (الطبري).

تعلم قبل ذلك، وكان فضل الله عليك بالنبوة والعصمة عظيمًا. (1)

* * *

يَعْنِي:- ولولا أن الله تعالى قد مَنَّ عليك أيها الرسول- ﷺ - ورحمك بنعمة النبوة، فعصمك بتوفيقه بما أوحى إليك، لعزمت جماعة من الذين يخونون أنفسهم أن يُزِلُّوك عن طريق الحق، وما يُزِلُّونَ بذلك إلا أنفسهم، وما يقدرون على إيذائك لعصمة الله لك، وأنزل الله عليك القرآن والسنة المبينة له، وهداك إلى علم ما لم تكن تعلمه مِن قبل، وكان ما خصَّك الله به من فضلٍ أمرًا عظيمًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولولا أن اللَّه تفضل عليك بالوحى ورحمك بالإدراك النافذ، لأرادت طائفة منهم أن يضلوك، ولكنهم لا يضلون إلا أنفسهم، لأن اللَّه مُطْلِعكَ، وبصيرتك نافذة إلى الحق، فلا ضرر عليك من تدبيرهم وتضليلهم، وقد أنزل عليك القرآن الكريم الذى هو ميزان الحق، وأودع قلبك الحكمة وعلمك من الشرائع والأحكام ما لم تعلمه إلا بوحى منه، وإن فضل اللَّه عليك عظيم دائماً. (3)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (96/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (130/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ}...أي: عصمته وألطافه، وما أوحى إليك من الاطلاع على سرهم.

{وَلَوْلاَ فَضْل اللَّه عَلَيْك} ... يَا مُحَمَّد ﷺ -

{وَرَحْمَته} ... بِالْعِصْمَةِ.

{لَهَمَّتْ} ... أَضْمَرَتْ .

{طَائِفَة مِنْهُمْ} ... مِنْ قَوْم طُعْمَة.

{لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ} ... من بنى ظفر.

{أَنْ يُضِلُّوكَ}....عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل، مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم.

{أَنْ يُضِلُّوك} ... عَنْ الْقَضَاء بِالْحَقِّ بِتَلْبِيسِهِمْ عَلَيْك.

{وَمَا يُضِلُّونَ إلا أَنْفُسَهُمْ}....لأن وباله عليهم.

{وَما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ}...لأنك معصوم.

{وَمَا يُضِلُّونَ إلاَ أَنْفُسهمْ وَمَا يَضُرُّونَك مِنْ} ... زائدة.

{شَيْء} ... لأن وبال ذلك إضْلَالهمْ عَلَيْهِمْ.

{وَأَنْزَلَ اللَّه عَلَيْك الْكِتَاب} ... الْقُرْآن .

{وَالْحِكْمَة} ... مَا فِيهِ مِنْ الْأَحْكَام وَالْغَيْب.

{وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ}...هذا ابتداء كلام.

{الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} ... الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة.

{وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ}...من خفيات الأمور وضمائر القلوب.

{وَكَانَ فَضْل اللَّه عَلَيْك} ... بذلك وغيره {عظيما} .

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتاده): قوله (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) علمه الله بيان الدنيا والآخرة، بين حلاله وحرامه ليحتج به على خلقه.[1]

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ} مِنَّ الله عَلَيْك بِالنُّبُوَّة {وَرَحْمَتُهُ} بإرسال جبْرِيل إِلَيْك {لَهَمَّتْ} أضمرت وأرادت {طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ} من قوم طعمة {أَن يُضِلُّوكَ} أَن يخطئوك عَن الحكم {وَمَا يُضِلُّونَ} عَن الحكم {إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ} بِشَيْء لِأَن مضرته على من شهد بالزور {وَأَنزَلَ الله عَلَيْكَ الْكتاب} جبْرِيل بِالْقُرْآنِ {وَالْحكمَة} بيَّن فِيهِ الْحَلَال وَالْحرَام وَالْقَضَاء {وَعَلَّمَكَ} بِالْقُرْآنِ من الْأَحْكَام وَالْحُدُود {مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} قبل الْقُرْآن {وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيما} بِالنُّبُوَّة.[2]

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {113} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ} {النساء: 113} يَقُولُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-:

{لَهَمَّتْ} لَقَدْ هَمَّتْ أَيْ: أَضْمَرَتْ،

{طَائِفَةٌ مِنْهُمْ} يَعْنِي: قَوْمَ طُعْمَةَ،

{أَنْ يُضِلُّوكَ} يُخَطِّئُوكَ فِي الْحُكْمِ وَيُلَبِّسُوا عَلَيْكَ الْأَمْرَ حَتَّى تُدَافِعَ عَنْ طُعْمَةَ،

{وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ} يعني يرجع وباله عليها،

{وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ} يُرِيدُ أَنَّ ضَرَرَهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ،

{وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ} يعني: القرآن،

{وَالْحِكْمَةَ} يَعْنِي: الْقَضَاءَ بِالْوَحْيِ

{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} مِنَ الْأَحْكَامِ،

يَعْنِي:- مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} {النساء: 113}.[3]

* * *

قوله تعالى: (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم)

قال: الإِمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر في هذه الآية الكريمة أنه علم نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما لم يكن يعلمه، وبين في مواضع أخر أنه علمه ذلك عن طريق هذا القرآن العظيم الذي أنزله عليه كقوله: (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) الآية.

وقوله: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (113). الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية). الطبعة: الثالثة - 1419 هـ).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (113). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (113).

قبله لمن الغافلين) إلى غير ذلك من الآيات. (1)

* * *

قال: الإمام (الشافعي) - (رحمه الله) - في (تفسير الإمام الشافعي):- قال الله عزَّ وجلَّ: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)}.

الأم: اللعان:

قال : الإمام الشَّافعي) – (رحمه الله تعالى) -: قال اللَّه تبارك وتعالى: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ) الآية.

فيذهب إلى أن الكتاب هو: ما يتلى عن اللَّه تعالى.

والحكمة هي: ما جاءت به الرسالة عن اللَّه، مما بيَّنت سُنَّة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

الرسالة: باب: (ما نزل عاماً دلت السنة الخاصة على أنه يراد به الخاص) :

قال : الإمام الشَّافعي) – (رحمه الله تعالى) -: وقال الله تعالى: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) الآية.

فذكر اللَّه الكتاب وهو: القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة: سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

الرسالة (أيضاً) : باب (ما أبان الله لخلقه من فرضه على رسوله اتباع ما أوحى إليه)

قال : الإمام الشَّافعي) – (رحمه الله تعالى) -: وقال تعالى: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)).

فأبان اللَّه أن قد فرض على نبيه اتباع أمره، وشهد له بالبلاغ عنه، وشهد به لنفسه، ونحن نشهد له به، تقرباً إلى اللَّه بالإيمان به، وتوسلاً إليه بتصديق كلماته.

أخبرنا عبد العزيز، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن (المطلب بن حَنطب)، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما تركت شيئا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه)). الحديث.

قال : الإمام الشَّافعي) – (رحمه الله تعالى) -: وما أعلمنا اللَّه مما سبق في علمه، وَحَتم قضائه الذي لا يُرد - من فضله عليه ونعمته - أنه منعه من أن يهمُّوا به أن يُضلُّوه. وأعلمه أنَّهم لا يضرونه من شيء. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم ذكر منته على رسوله بحفظه وعصمته ممن أراد أن يضله

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (113).

(2) انظر: تفسير (الإمام الشافعي)، سورة (النساء) الآية (113). ، الطبعة الأولى: (1427 - 2006 م).

فقال: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ} وذلك أن هذه الآيات الكريمات قد ذكر المفسرون أن سبب نزولها: أن أهل بيت سرقوا في المدينة، فلما اطلع على سرقتهم خافوا الفضيحة، وأخذوا سرقتهم فرموها ببيت من هو بريء من ذلك.

واستعان السارق بقومه أن يأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويطلبوا منه أن يبرئ صاحبهم على رءوس الناس، وقالوا: إنه لم يسرق وإنما الذي سرق من وجدت السرقة ببيته وهو البريء. فهَمَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن يبرئ صاحبهم، فأنزل الله هذه الآيات تذكيرا وتبيينا لتلك الواقعة وتحذيرا للرسول -صلى الله عليه وسلم -من المخاصمة عن الخائنين، فإن المخاصمة عن المبطل من الضلال، فإن الضلال نوعان:

ضلال في العلم:- وهو الجهل بالحق.

وضلال في العمل:- وهو العمل بغير ما يجب.

فحفظ الله رسوله عن هذا النوع من الضلال (كما حفظه عن الضلال في الأعمال).

وأخبر أن كيدهم ومكرهم يعود على أنفسهم، كحالة كل ماكر، فقال: {وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ} لكون ذلك المكر وذلك التحيل لم يحصل لهم فيه مقصودهم، ولم يحصل لهم إلا الخيبة والحرمان والإثم والخسران.

وهذه نعمة كبيرة على رسوله- صلى الله عليه وسلم -تتضمن النعمة بالعمل، وهو التوفيق لفعل ما يجب، والعصمة له عن كل محرم.

ثم ذكر نعمته عليه بالعلم فقال: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء وعلم الأولين والآخرين.

والحكمة: إما السُّنَّة التي قد قال فيها بعض السلف: إن السُّنَّة تنزل عليه كما ينزل القرآن.

وإما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها وترتيب كل شيء بحسبه.

{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى. فإنه -صلى الله عليه وسلم- كما وصفه الله قبل النبوة بقوله: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإيمَانُ} {وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى}.

ثم لم يزل يوحي الله إليه ويعلمه ويكمله حتى ارتقى مقاما من العلم يتعذر وصوله على الأولين والآخرين، فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها،

ولهذا قال: {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} ففضله على الرسول- محمد -صلى الله عليه وسلم- أعظم من فضله على كل مخلوق .

وأجناس الفضل الذي قد فضله الله به لا يمكن استقصاؤها ولا يتيسر إحصاؤها (1) .

* * *

قال : الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (113)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ}

قَالَ: الْإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): أَنْبَأَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ الْحَرَّانِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، حَدَّثَنَا محمد بن سلمة، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ. عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ عن أبيه، عن جده (قتادة بن النعمان) -وَذَكَرَ قِصَّةَ بَنِي أُبَيْرِقٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ} يَعْنِي: أُسَيْرَ بْنَ عُرْوَةَ وَأَصْحَابَهُ. يَعْنِي بِذَلِكَ لَمَّا أَثْنَوْا عَلَى بَنِي أُبَيْرِقٍ وَلَامُوا (قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ) فِي كَوْنِهِ اتَّهَمَهُمْ، وَهُمْ صُلَحَاءُ بُرَآءُ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا أَنْهَوْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" وَلِهَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَصْلَ الْقَضِيَّةِ وَجَلَاءَهَا لِرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

ثُمَّ امْتَنَّ عَلَيْهِ بِتَأْيِيدِهِ إِيَّاهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَعِصْمَتِهِ لَهُ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَالْحِكْمَةُ، وَهِيَ السُّنَّةُ:

{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} أَيْ: مِنْ قَبْلِ نُزُولِ ذَلِكَ عَلَيْكَ، كَقَوْلِهِ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ} {الشُّورَى: 52، 53}.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} {الْقَصَصِ: 86}".

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {ولولا فضل الله عليك ورحمته}، ولولا أن الله تفضل عليك، يا محمد، فعصمك بتوفيقه وتبيانه لك أمر هذا الخائن، فكففت لذلك عن الجدال عنه، ومدافعة أهل الحق عن حقهم قِبَله،

{لهمت طائفة منهم}، يقول: لهمت فرقة منهم، يعني: من هؤلاء الذين يختانون أنفسهم،

{أن يضلوك}، يقول: يزلُّوك عن طريق الحق، وذلك لتلبيسهم أمر الخائن عليه - صلى الله عليه وسلم-، وشهادتهم للخائن عنده بأنه بريء مما ادعى عليه، ومسألتهم إياه أن يعذره ويقوم بمعذرته في أصحابه، فقال الله تبارك وتعالى: وما يضل هؤلاء الذين هموا بأن يضلوك عن الواجب من الحكم في أمر هذا الخائن درعَ جاره، {إلا أنفسهم}.

* * *

فإن قال قائل: ما كان وجه إضلالهم أنفسهم؟

قيل: وجهُ إضلالهم أنفسهم: أخذُهم بها في غير ما أباح الله لهم الأخذَ بها فيه من سبله. وذلك أن الله جل ثناؤه قد كان تقدّم إليهم فيما تقدّم في كتابه على لسان رسوله إلى

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (113)، للإِمَامْ (ابن كثير).

خلقه، بالنهي عن أن يتعاونوا على الإثم والعدوان، والأمر بالتعاون على الحق. فكان من الواجب لله فيمن سعى في أمر الخائنين الذين وصف الله أمرهم بقوله: {ولا تكن للخائنين خصيمًا}، معاونة من ظلموه، دون من خاصمهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في طلب حقه منهم. فكان سعيهم في معونتهم، دون معونة من ظلموه، أخذاً منهم في غير سبيل الله. وذلك هو إضلالهم أنفسهم الذي وصفه الله فقال: {وما يضلون إلا أنفسهم}.

* * *

{وما يضرونك من شيء}، وما يضرك هؤلاء الذين هموا لك أن يزلُّوك عن الحق في أمر هذا الخائن من قومه وعشيرته،

{من شيء}، لأن الله مثبِّتك ومسدِّدك في أمورك، ومبيِّن لك أمر من سعوا في إضلالك عن الحق في أمره وأمرهم، ففاضحُه وإياهم.

وقوله: {وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة}، يقول: ومن فضل الله عليك، يا محمد، مع سائر ما تفضَّل به عليك من نعمه، أنه أنزل عليك {الكتاب}، وهو القرآن الذي فيه بيان كل شيء وهدًى وموعظة،

{والحكمة}، يعني: وأنزل عليك مع الكتاب الحكمة، وهي ما كان في الكتاب مجملا ذكره، من حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وأحكامه، ووعده ووعيده،

{وعلمك ما لم تكن تعلم} من خبر الأولين والآخرين، وما كان وما هو كائن، فكل ذلك من فضل الله عليك، يا محمد، مُذْ خلقك، فاشكره على ما أولاك من إحسانه إليك، بالتمسك بطاعته،

والمسارعة إلى رضاه ومحبته، ولزوم العمل بما أنزل إليك في كتابه وحكمته، ومخالفة من حاول إضلالك عن طريقه ومنهاج دينه، فإن الله هو الذي يتولاك بفضله، ويكفيك غائلة من أرادك بسوء وحاول صدّك عن سبيله، كما كفاك أمر الطائفة التي همت أن تضلك عن سبيله في أمر هذا الخائن. ولا أحد دونه ينقذك من سوء إن أراد بك، إن أنت خالفته في شيء من أمره ونهيه، واتبعت هوى من حاول صدَّك عن سبيله.

* * *

وهذه الآية تنبيهٌ من الله نبيَّه محمداً - صلى الله عليه وسلم- على موضع خطئه، وتذكيرٌ منه له الواجبَ عليه من حقه. (1)

* * *

قوله تعالى: (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك)

قال: الإِمَامْ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبو مسلم الحراني. حدثنا محمد بن سلمة الحرّاني. حدثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن (قتادة) عن أبيه عن جده (قتادة بن النعمان) قال: كان أهل بيت منّا يقال: لهم بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (113)، للإِمَامْ (الطبري).

ثم ينحله بعض العرب ثم يقول قال فلان كذا وكذا قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث أو كما قال الرجل، وقالوا ابن الأبيرق قالها، قال وكان أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدَرْمَك ابتاع الرجل منها فخصَّ بها نفسه. وأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير، فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمِّي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة له وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فعُدي عليه من تحت البيت فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمِّي رفاعة، فقال: يا ابن أخي إنه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال! فتحسسنا في الدار وسألنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم قال: وكان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار، والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبيننّ هذه السرقة، قالوا: إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشكّ أنهم أصحابها، فقال لى عمّي: يا ابن أخى لو آتيتَ رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فذكرتَ ذلك له، قال قتادة:

فأتيت رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقلت: إن أهل بيت منا أهلُ جفاء عمدوا إلى عمّى رفاعة بن زيدٍ فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليَرُدّوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "سآمر في ذلك"، فلما سمع بنو أُبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلّموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمّه عمدوا إلى أهل بيت منّا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت قال قتادة: فأتيتُ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فكلّمته، فقال: لعمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة"، قال: فرجعتُ، ولوددتُ أني خرجت من بعض مالى ولم أكلم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ذلك، فأتاني عمّى رفاعة، فقال: يا ابن أخي ما صنعتَ؟ فأخبرته بما قال: لى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فقال: الله المستعان، فلم يلبث أن نزل القرآن (**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً**) بني أبيرق (**واستغفر الله**) أي مما قلتُ لقتادة (إن الله كان غفوراً رحيماً. ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوّاناً أثيماً. يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) - إلى قوله- (غفورا رحيما) أي: **لو استغفروا الله لغفر لهم**. (**ومن يكسب إثماً فإنما**

يكسبه على نفسه) -إلى قوله- (إثماً مبيناً).

قوله للبيد: (ولولا فضل الله عليك ورحمته) -إلى قوله- (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) فلما نزل القرآن أتى رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالسلاح فرده إلى رفاعة، فقال: (قتادة): لّما أتيتُ عمّي بالسلاح، وكان شيخاً قد عمىَ أو عشي في الجاهلية، وكنتُ أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتيته بالسلاح قال: يا ابن أخي هو في سبيل الله، فعرفتُ أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشيرٌ بالمشركين، فنزل على (سُلافة بنت سعد بن سُمية) فأنزل الله: {ومن يشاقق الرسول -من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً* إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يُشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيداً} فلما نزل على سُلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعره، فأخذتْ رحله فوضعته على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديتَ لي شعر حسّان؟ ما كنتَ تأتيني بخير.

قال: الإِمَامْ (أبو عيسى): هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحَراني.

وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً لم يذكروا فيه عن أبيه عن جده، وقتادة هو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، و(أبو سعيد الخدري سعد ابن مالك بن سنان. (1)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• النهي عن المدافعة والمخاصمة عن المبطلين" لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان.

• ينبغي للمؤمن الحق أن يكون خوفه من الله وتعظيمه والحياء منه فوق كل أحد من الناس.

• سعة رحمة الله ومغفرته لمن ظلم نفسه، مهما كان ظلمه إذا صدق في توبته، ورجع عن ذنبه.

• التحذير من اتهام البريء وقذفه بما لم يكن منه" وأنّ فاعل ذلك قد وقع في أشد الكذب والإثم. (2)

* * *

(1) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (5/ 244-247)، (ح /3036) – (كتاب : التفسير)، سورة النساء)،

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي)

وأخرجه الإِمَامْ (الطبري) في (تفسيره)برقم (177/9) ح (10411) بسند الإمام (الترمذي) نفسه.

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (385/4) - كتاب : الحدود) - مع اختلاف في لفظه- من طريق-: (يونس بن بكير، عن ابن إسحاق) به.

وقال: (صحيح على شرط مسلم) ولم يخرجاه. "وأما عن قول الإِمَامْ (الترمذي): بأن (يونس بن بكير) وجماعة رواه عن (عاصم بن عمر) مرسلاً،

فقد قال: الشيخ (أحمد شاكر): غير أن الإِمَامْ (الحاكم): رواه كما ترى -من طريق-: (يونس بن بكير) مرفوعاً إلى (قتادة بن النعمان)" (تفسير الطبري) برقم (183/9).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 109)، :-

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (96/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

[١١٤] ﴿ لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾:

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114) وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (119) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (120) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (121)

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

لا خير في كثير من الكلام الذي يُسِرُّه الناس، ولا نفع منه، إلا إن كان كلامهم أمرًا بصدقة، أو معروف جاء به الشرع ودل عليه العقل، أو دعوة إلى الإصلاح بين المتنازعين، ومن يفعل ذلك طلبًا لرضا الله فسوف نؤتيه ثوابًا عظيمًا. (1)

* * *

يَعْنِي:- لا نفع في كثير من كلام الناس سراً فيما بينهم، إلا إذا كان حديثًا داعيًا إلى بذل المعروف من الصدقة، أو الكلمة الطيبة، أو التوفيق بين الناس، ومن يفعل تلك الأمور طلبًا لرضا الله تعالى راجيًا ثوابه، فسوف نؤتيه ثوابًا جزيلا واسعًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين يخفون أحاديث يحدثون بها أنفسهم أو يتحدثون بها فيما بينهم، لا خير فى هذه الأحاديث فى الكثير، لأن الشر يفرخ فى الخفاء، لكن إذا كان التحدث للأمر بصدقة يعطونها، أو للعزم على القيام بعمل غير مستنكر، أو تدبير إصلاح بين الناس، فإن ذلك خير، ومن يفعله طلباً لرضا اللَّه - سبحانه - فإن اللَّه - تعالى - يعطيه جزاءً كبيراً على عمله فى الدنيا والآخرة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ} ... أَيْ: النَّاس، أَيْ مَا يَتَنَاجَوْنَ فيه وَيَتَحَدَّثون.

{مِنْ نَجْوَاهُمْ} ... من تناجى الناس.

{نَّجْوَاهُم} ... حَدِيثُهُمْ سِراً.

{نَجْوَاهُمْ} ... النجوى: المسارة بالكلام، ونجواهم: أحاديثهم التي يسرها بعضهم إلى بعض.

{إِلاَّ} .. نَجْوَى.

{إِلاَ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ} ... إلا نجوى من أمر، على أنه مجرور بدل من كَثِيرٍ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (97/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (130/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ويجوز أن يكون منصوبا على الانقطاع، أي: ولكن من أمر بصدقة ففى نجواه الخير.

{أَوْ مَعْرُوفٍ} ... المعروف: ما عرفه الشرع فأباحه، أو استحبه أو أوجبه.

{أَوْ مَعْرُوفٍ} ... المعروف: القرض.

يَعْنِي:- إغاثة الملهوف.

يَعْنِي:- هو عام فى كل جميل.

ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب، وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع.

{أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} ... عام فى الدماء، والأموال والأعراض، وفى كل شىء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين، وفى كلام يراد به وجه الله تعالى.

{مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ} ... عَمَل بِرّ.

{أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} ... المذكور.

{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} .... ذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم.

وذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله، لأنه إذا دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل.

ويجوز أن يراد: ومن يأمر بذلك، فعبر عن الأمر بالفعل، كما يعبر به عن سائر الأفعال.

{ابْتِغَاءَ} ... طلب.

{ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} ... أي: طلباً لمرضاة الله، أي: للحصول على رضا الله عز وجل.

{مرضات اللَّه} ... لاَ غَيْره مِنْ أُمُور الدُّنْيَا.

{نُؤْتِيهِ} ... نعطيه والأجر العظيم: الجنة وما فيها من نعيم مقيم.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) ذكر في هذه الآية الكريمة أن كثيرا من مناجاة الناس فيما بينهم لاخير فيه.

ونهى في موضع آخر عن التناجى بما لا خير فيه وبين أنه من الشيطان ليحزن به المؤمنين وهو قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالأثم والعدوان ومعصية الرسول- وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا بأذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

وقوله في هذه الآية الكريمة: (أو إصلاح بين الناس) لم يبين هنا هل المراد بالناس المسلمون دون الكفار أولا.

ولكنه أشار في مواضع أخر أن المراد بالناس المرغب في الأصلاح بينهم هنا المسلمون خاصة.

كقوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم).

وقوله: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فتخصيصه المؤمنين بالذكر يدل على أن غيرهم ليس كذلك كما هو ظاهر.

وكقوله تعالى: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم).(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن حُميد بن عبد الرحمن أخبره أن أمّه (أمّ كلثوم بنت عُقبة) أخبرته أنها سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((ليس الكذّاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً)).(2)(3)

* * *

: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس):- {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ} من نجوى قوم طعمة {إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ} حث على صَدَقَة الْمَسَاكِين {أَوْ مَعْرُوفٍ} أَو قرض لإِنْسَان {أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ} بَين طعمة وَزيد ابْن سمين الْيَهُودِيّ {وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ} الصَّدَقَة وَالْقَرْض والإصلاح {ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ الله} طلب رضَا الله {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ} نُعْطِيه {أَجْراً عَظِيماً} ثَوابًا وافراً فِي الْجنَّة.(4)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{114} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ} يَعْنِي: قَوْمَ طُعْمَةَ،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ جَمِيعِ النَّاسِ، وَالنَّجْوَى: هِيَ الْإِسْرَارُ فِي التدبير،

يَعْنِي:- النجوى ما يتفرد بتَدْبِيره قَوْمٌ سرًا كَانَ أَوْ جَهْرًا، فَمَعْنَى الْآيَةِ: لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ ممَّا يُدَبِّرُونَهُ بَيْنَهُمْ،

{إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ} أَيْ: إِلاَ فِي نَجْوَى مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ، فَالنَّجْوَى تَكُونُ فِعْلًا، يَعْنِي:- هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، يَعْنِي: لَكِنْ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ،

يَعْني:- النَّجْوَى هَاهُنَا: الرِّجَالُ الْمُتَنَاجُونَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ هُمْ نَجْوَى} {الْإِسْرَاءِ: 47} (إِلا مَنْ أَمر بصدقة) أَيْ: حث عليها،

{أَوْ مَعْرُوفٍ} أَيْ: بِطَاعَةِ اللَّهِ وَمَا يُعَرِّفُهُ الشَّرْعُ، وَأَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا مَعْرُوفٌ، لِأَنَّ الْعُقُول تعرفُهَا،

{أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} فعن أم كلثوم بنت عقبة قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -يَقُولُ: < لَيْسَ الكذاب مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا > .

قَوْلُهُ تعالى: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} أَيْ: هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي ذَكَرَهَا، {ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} أَيْ: طَلَبَ رِضَاهُ، {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ} فِي الآخرة، {أَجْرًا عَظِيمًا} {النساء: 114}،

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (114).

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (353/5)، (ح 2692)- (كتاب : الصلح)، / باب :(ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس).

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 2605) – (كتاب : البر)، / باب :(تحريم الكذب وبيان ما يباح منه) ، وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (403/6) وفى آخره زيادة وهي بيان ما رخص فيه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الكذب).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (114). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

قَـرَأَ (أَبُـو عَمْـرٍو وَحَمْـزَةُ) (يُؤْتِيـهِ) بِالْيَـاءِ، يَعْنِـي يُؤْتِيـهِ اللَّـهُ، وَقَـرَأَ الآخَـرُونَ بِـالنُّونِ. (1)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {114} {لا خَيْـرَ فِـي كَـثِيرٍ مِـنْ نَجْـوَاهُمْ إِلا مَـنْ أَمَـرَ بِصَـدَقَةٍ أَوْ مَعْـرُوفٍ أَوْ إِصْـلاحٍ بَـيْنَ النَّـاسِ وَمَـنْ يَفْعَـلْ ذَلِـكَ ابْتِغَـاءَ مَرْضَـاةِ اللَّـهِ فَسَـوْفَ نُؤْتِيـهِ أَجْـرًا عَظِيمًـا} . أي: لا خـير في كـثير ممـا يتنـاجى بـه النـاس ويتخـاطبون، وإذا لم يكـن فيـه خـير، فإمـا لا فائـدة فيـه كفضـول الكـلام المبـاح، وإمـا شـر ومضـرة محضـة كـالكلام المحـرم بجميـع أنواعه.

ثـم اسـتثنى تعـالى فقـال: {إِلا مَـنْ أَمَـرَ بِصَـدَقَةٍ} مـن مـال أو علـم أو أي نفـع كـان، بـل لعلـه يـدخل فيـه العبـادات القاصـرة كالتسـبيح والتحميد ونحوه،

كمـا قـال الـنبي - لاصـلى الله عليـه وسـلم-: ((إن بكـل تسـبيحة صـدقة، وكـل تكـبيرة صـدقة، وكـل تهليلـة صـدقة، وأمـر بـالمعروف صـدقة، ونهـي عـن المنكـر صـدقة، وفي بضـع أحدكم صدقة)). الحديث.

{أَوْ مَعْـرُوفٍ} وهـو الإحسـان والطاعـة وكـل مـا عـرف في الشـرع والعقـل حسـنه، وإذا أطلـق الأمـر بـالمعروف مـن غـير أن يقـرن بـالنهي عـن المنكـر دخـل فيـه النهـي عـن المنكـر، وذلـك لأن تـرك المنهيـات مـن المعـروف، وأيضـا لا يـتم فعـل الخـير إلا بـترك الشـر. وأمـا عنـد الاقـتران فيفسـر المعـروف بفعـل المـأمور، والمنكـر بـترك المنهي.

{أَوْ إِصْـلاحٍ بَـيْنَ النَّـاسِ} والإصـلاح لا يكـون إلا بـين متنـازعين متخاصـمين، والنـزاع والخصـام والتغاضـب يوجـب مـن الشـر والفرقـة مـا لا يمكـن حصـره، فلـذلك حـث الشـارع علـى الإصـلاح بـين النـاس في الـدماء والأمـوال والأعراض، بل وفي الأديان.

كمـا قـال تعـالى: {وَاعْتَصِـمُوا بِحَبْـلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا} ،

وقـال تعـالى: {وَإِنْ طَائِفَتَـانِ مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ اقْتَتَلُـوا فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَـا فَـإِنْ بَغَـتْ إِحْـدَاهُمَا عَلَـى الأخْـرَى فَقَـاتِلُوا الَّتِـي تَبْغِـي حَتَّـى تَفِـيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} الآية.

وقـال تعـالى: {وَالصُّـلْحُ خَيْـرٌ} والسـاعي في الإصـلاح بـين النـاس أفضـل مـن القانـت بالصـلاة والصـيام والصـدقة، والمصـلح لا بـد أن يصـلح الله سعيه وعمله.

كمـا أن السـاعي في الإفسـاد لا يصـلح الله عملـه ولا يتم له مقصوده،

كمـا قـال تعـالى: {إِنَّ اللَّـهَ لا يُصْـلِحُ عَمَـلَ الْمُفْسِـدِينَ} . فهـذه الأشـياء حيثمـا فعلـت فهـي خير، كما دل على ذلك الاستثناء.

ولكـن كمـال الأجـر وتمامـه بحسـب النيـة والإخلاص،

ولهـذا قـال: {وَمَـنْ يَفْعَـلْ ذَلِـكَ ابْتِغَـاءَ مَرْضَـاةِ اللَّـهِ فَسَـوْفَ نُؤْتِيـهِ أَجْـرًا عَظِيمًـا} فلهـذا ينبغـي للعبـد أن يقصـد وجـه الله تعـالى ويخلـص العمـل لله في كـل وقـت وفي كـل جـزء مـن أجـزاء الخـير، ليحصـل لـه بـذلك الأجـر العظـيم، وليتعـود

(1) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإِمَـامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (114).

الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل.(1)

* * *

قال : الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- يَقُولُ تَعَالَى: {لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ} يَعْنِي: كَلامَ النَّاسِ {إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} أَيْ: إِلا نَجْوَى مَنْ قَالَ ذَلِكَ.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ شِهَابٍ: أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَخْبَرَهُ، أن أمه (أم كلثوم بنت عقبة) أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا -أَوْ يَقُولُ خَيْرًا)) وَقَالَتْ: لَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلا فِي ثَلَاثٍ: فِي الْحَرْبِ، وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا. قَالَ: وَكَانَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ اللَّاتِي بَايَعْنَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.(2)(3)

وَقَدْ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ، سِوَى (ابْنِ مَاجَهْ)، مِنْ طُرُقٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهِ نَحْوَهُ.(4)

* * *

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرة عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ (أَبِي الدَّرْدَاءِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟)) قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ((إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ)). قَالَ: ((وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ)).

وَرَوَاهُ الأمام (أَبُو دَاوُدَ) وَ(التِّرْمِذِيُّ)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، وَقَالَ: الإمام (التِّرْمِذِيُّ): (حَسَنٌ صَحِيحٌ).(5)

* * *

وَقَالَ: الْحَافِظُ (أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ (أَنَسٍ) أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى تِجَارَةٍ؟)) قَالَ: بَلَى: قَالَ: ((تَسْعَى فِي صُلْحٍ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وتُقَارِبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا)) ثُمَّ قَالَ الْبَزَّارُ: وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (114)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (403/6)

(3) (متفق عليه) : أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2692)– ((كتاب : الصلح)).

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2605) –، ((كتاب : البر والصلة والآداب)).

(4) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4919) - (4920)– ((كتاب : الأدب)).

وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1938)،

وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (9123).

(5) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (444/6)

أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4919)

وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2509) - (كتاب :صفة القيامة والرقائق والورع).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) رقم (2595).

العُمَري لَين، وقد حدَّث بأحاديث لم يُتابَع عليها (1) (2).

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {لا خير في كثير من نجواهم}، لا خير في كثير من نجوى الناس جميعًا،

{إلا من أمر بصدقة أو معروف}، و{المعروف}، هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير،

{أو إصلاح بين الناس}، وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما، ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة، على ما أذن الله وأمر به.

= ثم أخبر جل ثناؤه بما وعد من فعل ذلك فقال: {ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا}، يقول: ومن يأمر بصدقة أو معروف من الأمر، أو يصلح بين الناس،

{ابتغاء مرضاة الله}، يعني: طلب رضى الله بفعله ذلك،

{فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا}، يقول: فسوف نعطيه جزاءً لما فعل من ذلك عظيمًا، ولا حدَّ لمبلغ ما سمى الله {عظيمًا} يعلمه سواه. (3)

* * *

(1) أخرجه الإمام (البزار) في (مسنده) برقم (2060)، "كشف الأستار".

وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (79/8): "فيه عبد الرحمن بن عبد الله العمري وهو متروك".

وقال: الإمام (الألباني) في (صحيح الترغيب) رقم (2818) (حسن لغيره).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (114)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (114)، للإمَامْ (الطبري).

[١١٥] ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن يعاند الرسول - ويخالفه فيما جاء به من بعد ما اتضح له الحق، ويتبع طريقًا غير طريق المؤمنين، نتركه وما اختار لنفسه، ولا نوفقه للحق لإعراضه عن عمد وندخله نار جهنم يُعاني حرَّها وساءت مرجعًا لأهلها. (4)

* * *

يَعْني:- ومن يخالف الرسول - صلى الله عليه وسلم - من بعد ما ظهر له الحق، ويسلك طريقًا غير طريق المؤمنين، وما هم عليه من الحق، نتركه وما توجَّه إليه، فلا نوفقه للخير، وندخله نار جهنم يقاسي حرَّها، وبئس هذا المرجع والمآل. (5)

* * *

يَعْني:- وإن الذى يكون فى شقاق مع الرسول - من بعد أن يتبين طريق الحق والهداية، ويتبع طريقاً غير طريق المؤمنين، ويدخل فى ولاية أعداء أهل الإيمان، فإنه يكون منهم إذ اختارهم أولياءه، وسيدخله الله - تعالى - النار يوم القيامة. (6)

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (97/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (130/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يُشَاقِقِ الرَّسُولَ} ... يحاده ويقاطعه ويعاديه. كمن يقف في شق، والآخر في شق.

{وَمَنْ يُشَاقِقْ} ... يُخَالِفْ عِنَادًا.

{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ} ... ومن يعاد الرسول- – صلّى الله عليه وآله وسلم-.

{الرَّسُولَ} ... فيمَا جاءَ به منْ الْحَق.

{مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} ... ظَهَرَ لَهُ الْحَق بِالْمُعْجِزَات.

{وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} ... أي: يخرج عن إجماع المسلمين.

{وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} ... سبيل المؤمنين هو ما هم عليه من الدين الحنيف القيم.

{وَيَتَّبِع} ... طَرِيقًا.

{غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} ... أَيْ: طَرِيقهمْ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الدِّين بِأَنْ يَكْفُر.

{نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى} ... نجعله واليا لما تولى من الضلال بأن نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره.

(أي: نَجْعَلهُ وَالِيًا لِمَا تَوَلَّاهُ مِنْ الضَّلَال بِأن نخلي بينه وبينه في الدنيا).

{نُوَلِّه مَا تَوَلَّى} ... نَتْرُكْهُ، وَمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ.

{نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى} ... نخذله فنتركه وما تولاه من الباطل والشر والضلال حتى: يهلك فيه.

{وَنُصْلِه جَهَنَّمَ} ... نجعله يذوق نارها.

(أي: ندخله النار ونحرقه فيها).

{ونصله} ... نُدْخِلهُ فِي الْآخِرَة.

{جَهَنَّمَ} ... فَيَحْتَرِق فِيهَا.

{وَسَاءَتْ مَصِيرًا} .... مَرْجِعًا هِيَ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {وَمَن يُشَاقِق} يُخَالف {الرَّسُول} فِي التَّوْحِيد وَالْحكم وَهُوَ طعمة {مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهدى} التَّوْحِيد وَالْحكم وَهُوَ طعمة {وَيَتَّبِعْ} يتَّخذ {غَيْرَ سَبِيل} دين {الْمُؤمنِينَ} يخْتَار على دين الْمُؤمنِينَ دين أهل مَكَّة الشّرك {نُوَلِّهِ مَا تولى} نتركه إِلَى مَا اخْتَار فِي الدُّنْيَا {وَنُصْلِه جَهَنَّمَ} فِي الْآخِرَة {وَسَآءَتْ مَصِيراً} صَار إِلَيْه. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره) :- {115} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ} نَزَلَتْ فِي طُعْمَةَ بْنِ أُبَيْرِقٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَتْ عَلَيْهِ السَّرِقَةُ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَطْعِ الْيَدِ وَالْفَضِيحَةِ، فَهَرَبَ إِلَى مَكَّةَ وَارْتَدَّ عَنِ الدِّينِ، فَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ} أَيْ: يُخَالِفْهُ، {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْحُدُودِ، {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} أَيْ: غَيْرَ طَرِيقِ الْمُؤْمِنِينَ، {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى} أَيْ: نَكِلْهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى مَا تَوَلَّى فِي الدُّنْيَا،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (115). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

{وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} {النساء: 115}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {115} {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرسول- مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} . أي: ومن يخالف الرسول- - صلى الله عليه وسلم- ويعانده فيما جاء به.

{مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية.

{وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم.

{نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى} أي: نتركه وما اختاره لنفسه، ونخذله فلا نوفقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله.

كما قال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} .

وقال تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} .

ويدل مفهومها على أن من لم يشاقق الرسول، ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله واتباع رسوله ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه من الذنوب أو الهمّ بها ما هو من مقتضيات النفوس، وغلبات الطباع، فإن الله لا يوليه نفسه وشيطانه بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه ويعصمه من السوء،

كما قال تعالى: عن (يوسف) - (عليه السلام) -: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه السوء، وكذلك كل مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل.

وقوله: {وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ} أي: نعذبه فيها عذابا عظيما. {وَسَاءَتْ مَصِيرًا} أي: مرجعا له ومآلا.

وهذا الوعيد المرتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا الله بحسب حالة الذنب صغرا وكبرا، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان. ومنه ما هو دون ذلك، فلعل الآية الثانية كالتفصيل لهذا المطلق.

وهو: أن الشرك لا يغفره الله تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بمن هو مالك النفع والضر، الذي ما من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبارات.

فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغنى شيء بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود وعدم الكمال وعدم الغنى، والفقر من جميع الوجوه.

وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفره برحمته

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (115).

وحكمته، وإن شاء عذب عليه وعاقب بعدله وحكمته، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة حجة وأنها معصومة من الخطأ.

ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار، و {سبيل المؤمنين} مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال. فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته - فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم.

ويدل على ذلك قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}.

ووجه الدلالة منها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرون إلا بالمعروف، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه فهو مما أمروا به، فيتعين بنص الآية أن يكون معروفا ولا شيء بعد المعروف غير المنكر، وكذلك إذا اتفقوا على النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكرا،

ومثل ذلك قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} فأخبر تعالى أن هذه الأمة جعلها الله وسطا أي: عدلا خيارا ليكونوا شهداء على الناس أي: في كل شيء، فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه، فإن شهادتهم معصومة لكونهم عالمين بما شهدوا به عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بخلاف ذلك لم يكونوا عادلين في شهادتهم ولا عالمين بها.

ومثل ذلك قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} يفهم منها أن ما لم يتنازعوا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسنة، وذلك لا يكون إلا موافقا للكتاب والسنة فلا يكون مخالفا.

فهذه الأدلة ونحوها تفيد القطع أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة، ولهذا بيَّن الله قبح ضلال المشركين بقوله: (1)

* * *

قال : الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرسول- مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} أَيْ: وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرسول- - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَصَارَ فِي شِقٍّ وَالشَّرْعُ فِي شِقٍّ، وَذَلِكَ عَنْ عَمْدٍ مِنْهُ بَعْدَمَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ وَتَبَيَّنَ لَهُ وَاتَّضَحَ لَهُ.

وَقَوْلُهُ: {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} هَذَا مُلَازِمٌ لِلصِّفَةِ الْأُولَى، وَلَكِنْ قَدْ تَكُونُ الْمُخَالَفَةُ لِنَصِّ الشَّارِعِ، وَقَدْ تَكُونُ لِمَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، فِيمَا عُلِمَ اتِّفَاقُهُمْ عَلَيْهِ تَحْقِيقًا، فَإِنَّهُ قَدْ ضُمنت لَهُمُ الْعِصْمَةُ فِي اجْتِمَاعِهِمْ مِنَ الْخَطَأِ، تشريفًا لهم وتعظيما لنبيهم. - (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَمَنْ يُشَاقِقِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (115)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (115)، للإمَامْ (ابن كثير).

الرسول- مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {ومن يشاقق الرسول}، ومن يباين الرسول- محمداً - صلى الله عليه وسلم-، معاديًا له، فيفارقه على العداوة له، {من بعد ما تبين له الهدى}، يعني: من بعد ما تبين له أنه رسول الله، وأن ما جاء به من عند الله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم،

{ويتبع غير سبيل المؤمنين}، يقول: ويتبع طريقًا غير طريق أهل التصديق، ويسلك منهاجًا غير منهاجهم، وذلك هو الكفر بالله، لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم،

{نولّه ما تولّى}، يقول: نجعل ناصره ما استنصره واستعان به من الأوثان والأصنام، وهي لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيئًا، ولا تنفعه، كما:-

10427- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد) في قوله: {نوله ما تولى}، قال: من آلهة الباطل.

* * *

{ونصله جهنم}، يقول: و نجعله صِلاءَ نار جهنم، يعني: نحرقه بها.

* * *

وقد بينا معنى "الصلى" فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

* * *

{وساءت مصيرًا}، يقول وساءت جهنم. {مصيرًا}، موضعًا يصير إليه من صار إليه.

* * *

ونزلت هذه الآية في الخائنين الذين ذكرهم الله في قوله: {ولا تكن للخائنين خصيمًا}، لما أبى التوبة من أبى منهم، وهو طعمة بن الأبيرق، ولحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتداً، مفارقًا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودينه. (1)

* * *

قال: الإمام (الشافعي) - (رحمه الله) - في (تفسير الإمام الشافعي):- قال الله عزَّ وجلَّ: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرسول- مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)}

أحكام القرآن: فصل (فيما يؤثر عنه - الإمام الشَّافِعي - من التفسير والمعاني في آيات متفرقة):

أخبرنا أبو عبد الحافظ، أخبرني أبو عبد اللَّه الزبير بن عبد الواحد الحافظ الاستراباذي، قال سمعت أبا سعيد محمد بن عقيل الفاريابي، يقول: قال المزني والربيع - رحمهما اللَّه تعالى -:

" كنا يوماً عند الإمام (الشَّافِعي)، إذ جاء شيخ، فقال له: أسألُ؟ قال الإمام (الشَّافِعي): سل، قال: (إيش) الحجّة في دين اللَّه؟

فقال: الإمام (الشَّافِعي): كتاب اللَّه.

قال: وماذا؟

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (115)، للإمَامْ (الطبري).

قال: سُنَّة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قال: وماذا؟

قال: اتفاق الأمة.

قال: ومن أين قلت اتفاق الأمة، من كتاب اللَّه" فتدبر الإمام (الشَّافِعي) - رحمه اللَّه - ساعة. فقال الشيخ: أجلتك ثلاثة أيام. فتغير لون الشَّافِعي، ثم إنَّه ذهب فلم يخرج أياماً.

قال: فخرج من البيت في اليوم الثالث، فلم يكن بأسرع أن جاء الشيخ فسلم فجلس، فقال حاجتي؟

فقال: الإمام (الشَّافِعي) - (رحمه اللَّه تعالى): نعم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال اللَّه - عز وجل - بهث: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرسولَ- مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

لا يصليه جهنم على خلاف سبيل المؤمن إلا وهو فرض.

قال: فقال: صدقت. وقام وذهب.

قال: الإمام (الشَّافِعي) - (رحمه الله) -: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات، حتى وقفت عليه.(1)

* * *

وقال: الإمَامْ (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده) :-، عَنِ (ابْنِ عُمَر) - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((يَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ, فَاتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّهُ مَنْ شَذَّ, شَذَّ فِي النَّارِ)).(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) - (بسنده):-, وَعَنْ (رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ) قَالَ: انْطَلَقْتُ إِلَى حُذَيْفَةَ - رضي الله عنه - بِالْمَدَائِنِ لَيَالِيَ سَارَ النَّاسُ إِلَى عُثْمَانَ, فَقَالَ: يَا رِبْعِيُّ مَا فَعَلَ قَوْمُكَ؟ قُلْتُ: عَنْ أَيِّ بَالِهِمْ تَسْأَلُ؟, قَالَ: مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ؟ فَسَمَّيْتُ رِجَالًا فِيمَنْ خَرَجَ إِلَيْهِ, فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: ((مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ, وَاسْتَذَلَّ الْإِمَارَةَ, لَقِيَ اللهَ - عز وجل - وَلَا وَجْهَ لَهُ عِنْدَهُ)).(3)(4)

* * *

وقال: الإِمَامْ (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده) :-, وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ, وَفَارَقَ

---

(1) انظر: تفسير (الإمام الشافعي)، سورة (النساء) الآية (115). ، الطبعة الأولى: (1427 - 2006 م).

(2) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (391 , 396).
قال: الإمام (الألباني) في (مقدمة الصحيحة) برقم (4/ك-ل): رواه ابن أبي عاصم في (السنَّة), وإسناده ضعيف كما بينته في ظلال الجنة رقم (80) ولكنه حسن بمجموع طرقه كما شرحته في (الصحيحة) برقم (1331) وغيرها, وانظر: هداية الرواة: 171. أ. هـ.

(3) أَيْ: لَا حُجَّةَ لَهُ فِي فِعْلِه، وَلَا عُذْرَ لَهُ يَنْفَعُهُ. (النووي - ج 6 / ص 323).

(4) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (23331).
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (409).
وقال: (الشيخ شعيب الأرناؤوط): (إسناده حسن).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء) آية (115)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

الْجَمَاعَةَ , ثُمَّ مَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)).(1)(2)

* * *

وقال: الإمام (ابن حبان) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده) :- , وَعَنْ (مُعَاوِيَةَ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : ((مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ , مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)) (3)(4).

* * *

وقال: الإمَامُ (البُخَارِي و مُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):- , وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : (" مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ) (5) (فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ , إِلَا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ") (6)

* * *

وقال: الإمَامُ (أبو داود) – (رحمه الله) – في (سُننه) – (بسنده):- , وَعَنْ (أَبِي ذَرٍّ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : ((مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا , فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ (7) الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ)) (8)

* * *

وقال: الإمَامُ (البُخَارِي و مُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):- , وَعَنْ (أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : ((مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ (9) فَلَيْسَ مِنَّا (10))) (1)

---

(1) فِي الْحَدِيثِ حُجَّةٌ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ وَلَوْ جَارَ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ الْمُتَغَلِّبِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ , وَأَنَّ طَاعَتَهُ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ , لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ , وَتَسْكِينِ الدَّهْمَاءِ، وَحُجَّتُهُمْ هَذَا الْخَبَرُ وَغَيْرُهُ مِمَّا يُسَاعِدُهُ، وَلَمْ يَسْتَثْنُوا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا وَقَعَ مِنَ السُّلْطَانِ الْكُفْرُ الصَّرِيحُ , فَلَا تَجُوزُ طَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ , بَلْ تَجِبُ مُجَاهَدَتُهُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا . (فتح) - (ج 20 / ص 58).

(2) (صَحِيح) :أخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1848).
وأخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4114).

(3) الْمُرَادُ بِالْمِيتَةِ الْجَاهِلِيَّةِ: حَالَةُ الْمَوْتِ , كَمَوْتِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ , عَلَى ضَلَالٍ , وَلَيْسَ لَهُمْ إِمَامٌ مُطَاعٌ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَمُوتُ كَافِرًا , بَلْ يَمُوتُ عَاصِيًا.
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهُ عَلَى ظَاهِرِهِ , وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَمُوتُ مِثْلَ مَوْتِ الْجَاهِلِيِّ , وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ جَاهِلِيًّا.
أَوْ أَنَّ ذَلِكَ وَرَدَ مَوْرِدَ الزَّجْرِ وَالتَّنْفِيرِ , وَظَاهِرُهُ غَيْرُ مُرَادٍ. (فتح) (ج20 / ص 58).

(4) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (4573).
وأخرجه الإمَامُ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (7375).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16922).
وأخرجه الإمَامُ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (5820) .
و(حسنه) الإمام (الألباني) في (ظلال الجنة) برقم (1057)، و(صحيح موارد الظمآن) برقم (1288).
وقال: (الشيخ شعيب الأرناؤوط) : (صحيح).

(5) (صَحِيح) :أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6724).

(6) (صَحِيح) :أخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1849).

(7) الرِّبْقَةُ: مَا يُجْعَلُ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ كَالطَّوْقِ , يُمْسِكُهَا لِئَلَّا تَشْرُدَ. يَقُولُ: مَنْ خَرَجَ مِنْ طَاعَةِ إِمَامِ الْجَمَاعَةِ , أَوْ فَارَقَهُمْ فِي الْأَمْرِ الْمُجْتَمَعِ عَلَيْهِ , فَقَدْ ضَلَّ وَهَلَكَ , وَكَانَ كَالدَّابَّةِ إِذَا خَلَعَتْ الرِّبْقَةَ الَّتِي هِيَ مَحْفُوظَةٌ بِهَا , فَإِنَّهَا لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهَا عِنْدَ ذَلِكَ الْهَلَاكُ وَالضَّيَاعُ. عون المعبود - (ج 10 / ص 280).

(8) أخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (4758).
وانظر: (صحيح الجامع) برقم (6410) , و(المشكاة) برقم: (185) للإمَامْ (الألباني).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (115)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(9) أَيْ: حَمَلَ السِّلَاحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِقِتَالِهِمْ بِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ , لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَخْوِيفِهِمْ , وَإِدْخَالِ الرُّعْبِ عَلَيْهِمْ، وَكَأَنَّهُ كَنَّى بِالْحَمْلِ عَنْ الْمُقَاتَلَةِ أَوْ الْقَتْلِ , لِلْمُلَازَمَةِ الْغَالِبَةِ. (فتح) - (ج 20 / ص 74).

(10) أَيْ: لَيْسَ عَلَى طَرِيقَتِنَا، أَوْ لَيْسَ مُتَّبِعًا لِطَرِيقَتِنَا، لِأَنَّ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْصُرَهُ وَيُقَاتِلَ دُونَهُ , لَا أَنْ يُرْعِبَهُ بِحَمْلِ السِّلَاحِ عَلَيْهِ , لِإِرَادَةِ قِتَالِهِ أَوْ قَتْلِهِ , وَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ لَا يَسْتَحِلُّ ذَلِكَ، فَأَمَّا مَنْ يَسْتَحِلُّهُ , فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِاسْتِحْلَالِ الْمُحَرَّمِ , لَا بِمُجَرَّدِ حَمْلِ السِّلَاحِ.

* * *

وقال: الإمام (الترمذي)، و (ابن ماجة) - في (سُننِهما)، - والإمام (ابن حبان) - في (صحيحه) - (رحمهم الله) - (بِسَندِهِم):-, وعَنْ (جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: (خَطَبَنَا (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) - رضي الله عنه - بِالْجَابِيَةِ، فَقَالَ: " إِنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قَامَ فِينَا مِثْلَ مُقَامِي فِيكُمْ، فَقَالَ: احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي (2)

وفي رواية: (أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ، حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ) (3) (مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ (4) فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلاَ يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ") (5)

* * *

وَالْأَوْلَى عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ السَّلَفِ إِطْلَاقُ لَفْظِ الْخَبَرِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ, لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي الزَّجْرِ، وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يُنْكِرُ عَلَى مَنْ يَصْرِفُهُ عَنْ ظَاهِرِهِ, فَيَقُولُ: مَعْنَاهُ لَيْسَ عَلَى طَرِيقَتِنَا، وَيَرَى أَنَّ الْإِمْسَاكَ عَنْ تَأْوِيلِهِ أَوْلَى لِمَا ذَكَرْنَاهُ.

وَالْوَعِيدُ الْمَذْكُورُ لَا يَتَنَاوَلُ مَنْ قَاتَلَ الْبُغَاةَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ, فَيُحْمَلُ عَلَى الْبُغَاةِ وَعَلَى مَنْ بَدَأَ بِالْقِتَالِ ظَالِمًا. (فتح) - (ج 20 / ص 74).

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6480)، - وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (101).

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2363).

(3) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2165).

(4) أَيْ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْكُنَ وَسَطَ الْجَنَّةِ وَخِيَارَهَا.

(5) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4576).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (115)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

[١١٦] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الله لا يغفر أن يُشرك به، بل يُخلد المشرك في النار، ويغفر ما دون الشرك من المعاصي لمن يشاء برحمته وفضله، ومن يشرك مع الله أحدًا فقد تاه عن الحق وبعد عنه بعدًا كثيرًا" لأنه سَوَّى بين الخالق والمخلوق. (6)

* * *

يَعْنِي:- إن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده. ومن يجعل لله تعالى الواحد الأحد شريكًا من خلقه، فقد بَعُدَ عن الحق بعدًا كبيرًا. (7)

* * *

يَعْنِي:- وإن هذا المصير المؤلم لمن هم كذلك، لأنهم أعداء الإسلام، ومثله مثل من أشرك بالله، وإن كل ذنب قابل للغفران إلا الشرك بالله، وعبادة غيره، ومعاندة رسوله فى الحق، فإن الله من شأنه المغفرة إلا أن يشرك به فى عبادته، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وإن من يشرك بالله فى عبادته وولائه فقد

---

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(7) انظر: (التفسير الميسر) برقم (97/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

تاه عن الحق وبَعُدَ عنه كثيراً، لأنه أفسد عقله ونفسه. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ}... أَنْ يُشْرَكَ بِهِ تكرير للتأكيد.

{أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}... أن يعبد معه غيره من مخلوقاته بأي عبادة كانت.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} إن مَاتَ عَلَيْهِ مثل طعمة {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِك} دون الشّرك {لِمَن يَشَآءُ} لمن كَانَ أَهلا لذَلِك {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّه فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً} عَن الْهدى. (2)

* * *

قال: الإِمَام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {116} {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} {النساء: 116} أَيْ: ذَهَبَ عَنِ الطَّرِيقِ وحرِم الْخَيْرَ كُلَّهُ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) -: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي شَيْخٍ مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي شَيْخٌ منهمك فِي الذُّنُوبِ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا مُنْذُ عَرَفْتُهُ وَآمَنْتُ بِهِ، وَلَمْ أَتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا وَلَمْ أُوَاقِعِ الْمَعَاصِي جُرْأَةً عَلَى اللَّهِ، وَمَا تَوَهَّمْتُ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَنِّي أُعْجِزُ اللَّهَ هَرَبًا وَإِنِّي لَنَادِمٌ تَائِبٌ مُسْتَغْفِرٌ فَمَاذَا حَالِي؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. (3)

* * *

قال: الشيخ (أسعد محمود حومد) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (أيسر التفاسير) : - قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً (116)}

إنَّ الله تَعَالَى لاَ يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ يُشْرِكُ مَعَهُ فِي العِبَادَةِ سِوَاهُ، أمَّا مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ فَإنَّ اللهَ قَدْ يَغْفِرُهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِه" وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئاً فَقَدْ سَلَكَ غَيْرَ طَرِيقِ الحَقِّ، وَضَلَّ عَنِ الهُدَى، وَابْتَعَدَ عَنِ الصَّوَابِ، وَأهْلَكَ نَفْسَهُ، وَخَسِرَهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {116} {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا} . وهذا الوعيد المرتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا الله بحسب حالة الذنب صغرا وكبرا، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان. ومنه ما هو دون ذلك، فلعل الآية الثانية

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/130)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (116). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (116).

(4) انظر: (أيسر التفاسير) للشيخ : (أسعد محمود حومد). في سورة (النساء) الآية (116).

كالتفصيل لهذا المطلق. وهو: أن الشرك لا يغفره الله تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بمن هو مالك النفع والضر، الذي ما من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبارات.

فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغنى شيء بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود وعدم الكمال وعدم الغنى، والفقر من جميع الوجوه.

وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفره برحمته وحكمته، وإن شاء عذب عليه وعاقب بعدله وحكمته، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة حجة وأنها معصومة من الخطأ.

ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل المؤمنين بالخذلان والنار، و {سبيل المؤمنين} مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال. فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته - فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم.

ويدل على ذلك قوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}.

ووجه الدلالة منها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرون إلا بالمعروف، فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه فهو مما أمروا به، فيتعين بنص الآية أن يكون معروفا ولا شيء بعد المعروف غير المنكر، وكذلك إذا اتفقوا على النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكرا، ومثل ذلك قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} فأخبر تعالى أن هذه الأمة جعلها الله وسطا أي: عدلا خيارا ليكونوا شهداء على الناس أي: في كل شيء، فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه، فإن شهادتهم معصومة لكونهم عالمين بما شهدوا به عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بخلاف ذلك لم يكونوا عادلين في شهادتهم ولا عالمين بها.

ومثل ذلك قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} يفهم منها أن ما لم يتنازعوا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسنة، وذلك لا يكون إلا موافقا للكتاب والسنة فلا يكون مخالفا.

فهذه الأدلة ونحوها تفيد القطع أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة، ولهذا بيَّن الله قبح ضلال المشركين بقوله: (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (116)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يَشَاءُ} إخبار منه تعالى عن طعمة بن أبيرق بأنه لا يغفر له وذلك لموته على الشرك، أما إخوته الذين لم يموتوا مشركين فإن أمرهم إلى الله تعالى إن شاء غفر لهم وإن شاء آخذهم كسائر مرتكبي الذنوب غير الشرك والكفر. وقوله تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً} أي: ضل عن طريق النجاة والسعادة ببعده عن الحق بعداً كبيراً وذلك بإشراكه بربه تعالى غيره من مخلوقاته. (1)

* * *

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلامُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} الْآيَةَ {النِّسَاء: 48}، وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا} أَيْ: فَقَدْ سَلَكَ غَيْرَ الطَّرِيقِ الْحَقِّ، وَضَلَّ عَنِ الْهُدَى وَبَعُدَ عَنِ الصَّوَابِ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ وَخَسِرَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفَاتَتْهُ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا (116)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: إن الله لا يغفر لطعمة إذ أشرك ومات على شركه بالله، ولا لغيره من خلقه بشركهم وكفرهم به، {ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}، يقول: ويغفر ما دون الشرك بالله من الذنوب لمن يشاء. يعني بذلك جل ثناؤه: أن طعمة لولا أنه أشرك بالله ومات على شركه، لكان في مشيئة الله على ما سلف من خيانته ومعصيته، وكان إلى الله أمره في عذابه والعفو عنه، وكذلك حكم كل من اجترم جُرْمًا، فإلى الله أمره، إلا أن يكون جرمه شركًا بالله وكفراً، فإنه ممن حَتْمٌ عليه أنه من أهل النار إذا مات على شركه، فأما إذا مات على شركه، فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار.

* * *

10429- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي): {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}، يقول: من يجتنب الكبائر من المسلمين.

* * *

وأما قوله: {ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدًا}، فإنه يعني: ومن يجعل لله في عبادته شريكًا، فقد ذهب عن طريق الحق وزال عن قصد السبيل، ذهابًا بعيدًا وزوالا شديدًا، وذلك أنه بإشراكه بالله في عبادته قد أطاع الشيطان وسلك طريقه، وترك طاعة الله ومنهاج دينه. فذاك هو الضلال البعيد والخُسران المبين. (3)

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (116)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (116)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (116)، لِلإِمَامِ (الطبري).

* * *

[١١٧] ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَ إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَ شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ما يعبد هؤلاء المشركون ويدعون مع الله إلا أوثانًا مسمَّاة بأسماء الإناث كاللات والعُزَّى، لا نفع لها ولا ضرّ، وما يعبدون في الحقيقة إلا شيطانًا خارجًا عن طاعة الله لا خير فيه" لأنه هو الذي أمرهم بعبادة الأوثان. (1)

* * *

يَعْنِي:- ما يعبد المشركون من دون الله تعالى إلا أوثانًا لا تنفع ولا تضر، وما يعبدون إلا شيطانًا متمردًا على الله، بلغ في الفساد والإفساد حداً كبيرًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن من أظهر مظاهر الضلال الذى بَعُد به عن الحق الشرك بالله، إنه يعبد ما لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ويُسَمَّى آلهته الباطلة بأسماء الإناث، كاللات والعزى ومناة، وغيرها من الأسماء المؤنثة، وإنه يتبع بهذه العبادة الشيطان. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنْ يَدْعُونَ} ... أي: ما يدعون.

{إِنْ} .... مَا، {يَدْعُونَ} ... يَعْبُد الْمُشْرِكُون.

{مِنْ دُونِه} ... أَيْ: اللَّه أَيْ غَيْره.

{إِلاَ إِنَاثًا} ... أَصْنَامًا مؤنثة كاللات وَالْعُزَّى وَمَنَاة {وَإِنْ} ... مَا {يَدْعُونَ} ... يَعْبُدُون بِعِبَادَتهَا.

{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَ إِنَاثًا} ... أي: مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إلا إنَاثًا أي: أَوْثَانًا وَأَصْنَامًا، مُسَمَّيَاتٌ بِأَسْمَاءِ الإِنَاثِ، كـ (العُزَّى) و (مَنَاة) ونحوهما، ومن المعلوم أن الاسمَ دَالٌّ عَلَى المُسَمَّى، فإذا كانت أسماؤها أسماءً مؤنثةً ناقصةً، دَلَّ ذلك عَلَى نقص المسميات بتلك الأسماء، وَفَقْدِهَا لصفات الكمال،

يَعْنِي:- إن المرادَ بالإناث هنا الأموات" لأن الميتَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ لفظُ أُنْثَى عندَ العربِ بجامع عدم النَّفْع.

{إلا إِنَاثاً} ... جمع أنثى لأن الآلهة مؤنثة، أو أمواتاً لأن الميت يطلق عليه لفظ أنثى بجامع عدم النفع.

{إِنَاثًا} ... أَصْنَامًا" كَاللاَت وَالعُزَّى وَمَنَاة.

{وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَ شَيْطَانًا مَرِيدًا} ... أي: إبليس، والمَرِيدُ وَالمَارِدُ هُوَ المُتَمَرِّدُ العَاتِي الخارجُ عن الطاعة.

{إِلاَ شَيْطَانًا مَرِيدًا} ... خَارِجًا عَنْ الطَّاعَة لِطَاعَتِهِمْ لَهُ فِيهَا وَهُوَ إبْلِيس.

{مَرِيداً} ... بمعنى ما رد على الشر والإغواء للفساد.

{مَّرِيدًا} ... مُتَمَرِّدًا عَاتِيًا.

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (97/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (130/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

وقال: الإمَام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- {إلاَ إِنَاثًا} : " يَعْنِي: المَوَاتَ، حجرا , أَوْ مَدرا، وَمَا أَشْبَهَهُ.

{مَرِيدًا} : مُتَمَرِّدًا، (1)

* * *

وقال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) – في (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس):- {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِه} مَا يعبد أهل مَكَّة من دون الله {إِلاَّ إِنَاثاً} أصناماً بِلاَ روح اللات والعزى وَمَنَاة {وَإِن يَدْعُونَ} مَا يعْبدُونَ {إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً} متمرداً شَدِيدا. (2)

* * *

قال: الإمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {117} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا} نَزَلَتْ فِي أَهْلِ مَكَّةَ، أَيْ: مَا يَعْبُدُونَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي} {غَافِر: 60} أَيْ: اعْبُدُونِي، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} {غَافِر: 60}.

قَوْلُهُ: (مِنْ دُونِهِ) أَيْ: مِنْ دُونِ اللَّهِ، (إِلا إِنَاثًا) أَرَادَ بِالْإِنَاثِ الْأَوْثَانَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَهَا بِاسْمِ الْإِنَاثِ، فَيَقُولُونَ: اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِصَنَمِ كُلِّ قَبِيلَةٍ: أُنْثَى بَنِي فُلَانٍ فَكَانَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَيْطَانٌ يَتَرَاءَى لِلسَّدَنَةِ وَالْكَهَنَةِ وَيُكَلِّمُهُمْ،

وَلِذَلِكَ قَالَ: {وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا} هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ يَدُلُّ على صحة التأويل: وأن الْمُرَادَ بِالْإِنَاثِ الْأَوْثَانُ قِرَاءَةُ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أُثُنًا) جَمْعُ الْوَثَنِ فَصُيِّرَ الْوَاوُ هَمْزَةً،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ): إِلا إِنَاثًا أَيْ: مَوَاتًا لَا رُوحَ فِيهِ، لِأَنَّ أَصْنَامَهُمْ كَانَتْ مِنَ الْجَمَادَاتِ سَمَّاهَا إِنَاثًا لِأَنَّهُ يُخْبِرُ عَنِ الْمَوَاتِ، كَمَا يُخْبِرُ عَنِ الْإِنَاثِ، وَلِأَنَّ الْإِنَاثَ أَدْوَنُ الْجِنْسَيْنِ كَمَا أَنَّ الْمَوَاتَ أَرْذَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): أَرَادَ بِالْإِنَاثِ الْمَلَائِكَةَ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَيَقُولُونَ: الْمَلَائِكَةُ إِنَاثٌ،

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا} {الزُّخْرُف: 19}،

(وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا)، أَيْ: وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لِأَنَّهُمْ إِذَا عَبَدُوا الْأَصْنَامَ فَقَدْ أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ، وَالْمَرِيدُ: الْمَارِدُ، وَهُوَ الْمُتَمَرِّدُ الْعَاتِي الْخَارِجُ عَنِ الطَّاعَةِ، وأراد: إبليس. (3)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وقوله تعالى: {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إلا إِنَاثاً} هذا بيان لقبح الشرك وسوء حال أهله، فأخبر تعالى أن المشركين ما يعبدون إلا أمواتاً لا يسمعون ولا يبصرون ولا

---

(1) انظر: صحيح الإمَام (البُخَاري) في تفسير سورة (النساء) الآية (117). برقم (ج 6/ ص47).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (117). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَام (البغوي) سورة (النساء) الآية (117).

ينطقون ولا يعقلون. إذ أوثانهم ميتة وكل ميت فهو مؤنث زيادة على أن أسماءها مؤنثة كاللات والعزى ومناة ونائلة، كما هم في واقع الأمر يدعون شيطاناً مريداً، إذ هو الذي دعاهم إلى عبادة الأصنام فعبدوها فهم إذاً عابدون للشيطان في باطن الأمر لا الأوثان،

ولذا قال تعالى: {وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَاناً مَرِيداً} لعنه الله وأبلسه عن إبائه السجود لآدم،

{وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً} أي: عدداً كبيراً منهم يعبدونني ولا يعبدونك وهم معلومون معروفون بمعصيتهم إياك، وطاعتهم لي. وواصل العدو تبجحه قائلاً:(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {117} {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا}. أي: ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثا، أي: أوثانا وأصناما مسميات بأسماء الإناث كـ "العزى" و "مناة" ونحوهما، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى. فإذا كانت أسماؤها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلك على نقص المسميات بتلك الأسماء، وفقدها لصفات الكمال، كما أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه، أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تدفع عن عابديها بل ولا عن نفسها" نفعا ولا ضرا ولا تنصر أنفسها ممن يريدها بسوء، وليس لها أسماع ولا أبصار ولا أفئدة، فكيف يُعبد من هذا وصفه ويترك الإخلاص لمن له الأسماء الحسنى والصفات العليا والحمد والكمال، والمجد والجلال، والعز والجمال، والرحمة والبر والإحسان، والانفراد بالخلق والتدبير، والحكمة العظيمة في الأمر والتقدير؟ " هل هذا إلا من أقبح القبيح الدال على نقص صاحبه، وبلوغه من الخسة والدناءة أدنى ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟ "

ومع ذلك فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة. وبالحقيقة ما عبدوا غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد إهلاكهم ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه، الذي هو في غاية البعد من الله،(2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا} أَيْ: هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ وَحَسَّنَهُ لَهُمْ وَزَيَّنَهُ، وَهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ إِبْلِيسَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} {يس: 60} وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ ادَّعَوْا عِبَادَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا: {بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} {سَبَأٍ: 41}.(3)

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (117)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (117)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (117)، للإمَامْ (ابن كثير).

* * *

قَال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا}

قال: (أبو جعفر): اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معنى ذلك: إن يدعون من دونه إلا اللات والعزى ومناة، فسماهن الله {إناثًا}، بتسمية المشركين إياهنّ بتسمية الإناث.

10432- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي): {إن يدعون من دونه إلا إناثًا}، يقول: يسمونهم {إناثًا}: لاتٌ ومَنَاة وعُزَّى.

10433- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال: قال (ابن زيد) في قوله: {إن يدعون من دونه إلا إناثًا}، قال: آلهتهم، اللات والعزى ويَسَاف ونائلة، إناث، يدعونهم من دون الله. وقرأ: {وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا}.

* * *

10434- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن (ابن عباس) قوله: {إن يدعون من دونه إلا إناثًا}، يقول: مَيْتًا.

10435- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): {إن يدعون من دونه إلا إناثًا}، أي: إلا ميتًا لا رُوح فيه. (1)

* * *

قَال: الإِمَامُ (القُرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117)}

قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) أَيْ: مِنْ دُونِ اللَّهِ (إِلَا إِنَاثاً)، نَزَلَتْ فِي أهل مكة إذ عبدوا الأصنام. و (إِنْ) نافية بمعنى (ما). و (إِناثاً) أَصْنَامًا، يَعْنِي اللَاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ. وَكَانَ لِكُلِّ حَيٍّ صَنَمٌ يَعْبُدُونَهُ وَيَقُولُونَ: أُنْثَى بَنِي فُلَانٍ،

قاله: (الْحَسَنُ وَابْنُ عَبَّاسٍ)، وَأَتَى مَعَ كُلِّ صَنَمٍ شَيْطَانُهُ يَتَرَاءَى لِلسَّدَنَةِ وَالْكَهَنَةِ وَيُكَلِّمُهُمْ، فَخَرَجَ الْكَلَامُ مَخْرَجَ التَّعَجُّبِ، لِأَنَّ الْأُنْثَى مِنْ كُلِّ جِنْسٍ أَخَسُّهُ، فَهَذَا جَهْلٌ مِمَّنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ جَمَادًا فَيُسَمِّيهِ أُنْثَى، أَوْ يَعْتَقِدُهُ أُنْثَى.

يَعْنِي:- (إِلَا إِناثاً) مَوَاتًا، لِأَنَّ الْمَوَاتَ لَا رُوحَ لَهُ، كَالْخَشَبَةِ وَالْحَجَرِ. وَالْمَوَاتُ يُخْبَرُ عَنْهُ كَمَا يُخْبَرُ عن المؤنث لا تضاع المنزلة، تقول: الأحجار تجبني، كَمَا تَقُولُ: الْمَرْأَةُ تُعْجِبُنِي.

يَعْنِي:- (إِلَا إِناثاً) مَلَائِكَةً، لِقَوْلِهِمْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَهِيَ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، عَنِ (الضَّحَّاك). وقِرَاءَةُ (ابْنِ عَبَّاسٍ) (إِلَا وَثَنًا) بِفَتْحِ الْوَاوِ وَالثَّاءِ عَلَى إِفْرَادِ اسْمِ الْجِنْسِ،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (117)، للإمَامْ (الطبري).

وَقَرَأَ أَيْضًا (وُثُنًا) بِضَمِّ الثَّاءِ وَالْوَاوِ، جَمْعُ وَثَنٍ. وَأَوْثَانٌ أَيْضًا جَمْعُ وَثَنٍ مِثْلَ أَسَدٍ وَآسَادٍ. النَّحَّاسُ: وَلَمْ يَقْرَأْ بِهِ فِيمَا عَلِمْتُ. قُلْتُ: قَدْ ذَكَرَ (أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ) - حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ - (عَائِشَةَ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّهَا كَانَتْ تَقْرَأُ: (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَوْثَانًا).

وَقَرَأَ (ابْنُ عَبَّاسٍ) أَيْضًا (إِلَّا أُثُنًا) كَأَنَّهُ جَمَعَ وَثَنًا عَلَى وِثَانٍ، كَمَا تَقُولُ: جَمَلٌ وَجِمَالٌ، ثُمَّ جَمَعَ أَوْثَانًا عَلَى وُثُنٍ، كَمَا تَقُولُ: مِثَالٌ وَمُثُلٌ، ثُمَّ أَبْدَلَ مِنَ الْوَاوِ هَمْزَةً لَمَّا انْضَمَّتْ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) مِنَ الْوَقْتِ، فَأُثُنٌ جَمْعُ الْجَمْعِ. وَقَرَأَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (إِلَّا أُنُثًا) جَمْعُ أَنِيثٍ، كَغَدِيرٍ وَغُدُرٍ. وَحَكَى الطَّبَرِيُّ أَنَّهُ جَمْعُ إِنَاثٍ كَثِمَارٍ وَثُمُرٍ. حَكَى هَذِهِ الْقِرَاءَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ)، قَالَ: وَقَرَأَ بِهَا (ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَأَبُو حَيْوَةَ). قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا) يُرِيدُ إِبْلِيسَ، لِأَنَّهُمْ إِذَا أَطَاعُوهُ فِيمَا سَوَّلَ لَهُمْ فَقَدْ عَبَدُوهُ، وَنَظِيرُهُ فِي الْمَعْنَى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَيْ أَطَاعُوهُمْ فِيمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ، لَا أَنَّهُمْ عَبَدُوهُمْ. وَسَيَأْتِي. وَقَدْ تَقَدَّمَ اشْتِقَاقُ لَفْظِ الشَّيْطَانِ. وَالْمَرِيدُ: الْعَاتِي الْمُتَمَرِّدُ، فَعِيلٌ مِنْ مَرَدَ إِذَا عَتَا.

قَالَ: (الْأَزْهَرِيُّ): الْمَرِيدُ الْخَارِجُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَقَدْ مَرَدَ الرَّجُلُ يَمْرُدُ مُرُودًا إِذَا عَتَا وَخَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ، فَهُوَ مَارِدٌ وَمَرِيدٌ وَمُتَمَرِّدٌ. (ابْنُ عَرَفَةَ): هُوَ الَّذِي ظَهَرَ شَرُّهُ، وَمِنْ هَذَا يُقَالُ: شَجَرَةٌ مَرْدَاءُ إِذَا تَسَاقَطَ وَرَقُهَا فَظَهَرَتْ عِيدَانُهَا، وَمِنْهُ قِيلَ لِلرَّجُلِ: أَمْرَدُ، أَيْ ظَاهِرُ مَكَانِ الشعر من عارضيه. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً} " أي إن يعبدُ أهل مكَّة من دون الله إلاّ الأصنامَ والأوثانَ ، وسمَّاهَا إناثاً " لأنَّهم سَمُّوها باسمِ الإنَاث : اللاَّتُ وَالْعُزَّى وَمَنَاتَ ، فعبدُها مع اعتقادهم بنُقصَانِ مراتبِ الإناثِ عن الذُّكور " لأنَّ الإناثَ من كلِّ جنس أرَاذِلَهُ ،

وَقالَ : {إنَاثاً} " أي مَوَاتاً " لأنَّ الْمَوَاتَ كلَّها يُخْبِرُ عنها كما يخبرُ عن الإناث ، يقالُ : هذه الأحْجَارُ تُعْجِبُنِي " ((كما تقولُ : هذه المرأة تُعجبني)).

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً} " أي ما يريدون بعبادَة الأوثانِ إلاَّ عبادةَ الشَّيطان ، وَالْمَرِيْدُ : الْعَاتِي الخَارجُ عَنِ الطَّاعَة ، ويسمَّى الْمَرِيْدُ مَرِيْداً لتَعرِّيْهِ عَنِ الْخَيْرِ ، يقال : شجرةٌ مَرْدَاءُ " أي لا ورقَ عليها ، وغلامٌ أمْرَدٌ : إذا لم يكن على وجهه شعرٌ. (2)

* * *

قوله تعالى: (إن يدعون من دونه إلا إناثا)

قال: الإمام (الضياء المقدسي) - (رحمه الله) - في (المختارة): أخبرنا أبو طاهر المبارك بن أبي المعالى -بقراءتي عليه بالجانب الغربي من

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (117)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (النساء) الآية (117)،

بغداد- قلتُ له: أخبركم هبة الله بن الحصين -قراءة عليه وأنت تسمع- أنا الحسن بن المذهب، أنا أبو بكر القطيعى، نا عبد الله بن أحمد، حدثنى هدية بن عبد الوهاب ومحمود بن غيلان، قالا: نا الفضل بن مرسى، أنا حُسين بن واقد، عن (الربيع بن أنس)، عن (أبي العالية)، عن (أبي بن كعب) (إن يدعون من دونه إلا إناثاً) قال: مع كل صنم جِنّية. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - والإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (إلا إناثا)، يقول: ميتا. (2)(3)

* * *

قوله تعالى: (وإن يدعون إلا شيطانا مريدا)

قال: الإمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- المراد في هذه الآية بدعائهم الشيطان المريد عبادتهم له ونظيره قوله تعالى: (ألم أعهد إليكم يابني أدم ألا تعبدوا الشيطان) الآية، وقوله عن خليله إبراهيم مقررا له (يا أبت لا تعبد الشيطان) وقوله عن الملائكة (بل كانوا يعبدون الجن) الآية وقوله: (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) ولم يبين في هذه الآيات ماوجه عبادتهم للشيطان وإطاعتهم له واتباعهم لتشريعه وإيثاره على ماجاءت به الرسل من عند الله تعالى كقوله: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون).

وقوله: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية. (4)

* * *

قال: الإمَامْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) - (بسنده):- , عَنْ (أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ) - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَ إِنَاثًا* وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَ شَيْطَانًا مَرِيدًا} قَالَ: مَعَ كُلِّ صَنَمٍ جِنِّيَّةٌ. (5)

* * *

[١١٨] ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولذلك طرده الله من رحمته. وقال هذا الشيطان لربه حالفًا: لأجعلنّ لي من عبادك قسمًا معلومًا أغويهم عن الحق. (6)

* * *

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (3/362، 363، ح 1157)،
وأخرجه الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِم) -مِن طريق-:(محمود بن غيلان) به. و(سنده حسن)،
وعزاه الإمام (الهيثمي) للإمام (أحمد). وقال: (رجاله رجال الصحيح) (مجمع الزوائد) برقم (7/12)، و(صحح إسناده)، (د. عامر حسن صبري) في (زوائد المسند) برقم (ص351)، (ح 144).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (117).

(3) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (117).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (117).

(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21269).
وقال: (الشيخ شعيب الأرنؤوط):(إسناده حسن).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/97). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

يَعْنِـي:- طـرده الله تعـالى مـن رحمتـه. وقـال الشـيطان: لأتخـذن مـن عبـادك جـزءاً معلومـاً في إغوائهم قولا وعملا.(1)

* * *

يَعْنِـي:- وإن هـذا الشـيطان طـرده الله - تعـالى - مـن ظـل رحمتـه، وجعلـه فـى طريـق غوايتـه، وقـد أقسـم وأخـذ علـى نفسـه عهـداً أن يتخـذ مـن عبـاد الله - تعـالى - عـدداً معلومـاً مقـدراً يستهويهم بغوايته ويوسوس لهم بشرِّه.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{لَعَنَهُ اللَّه} ... أَبْعَده عَنْ رَحْمَته.

{لَعَنَـهُ اللَّـهُ} ... وَقَـالَ صـفتان، والمعنـى: شـيطانا مريـدا جمـع بـين لعنـة الله، وهـذا القول الشنيع.

{وقَال} ... أَيْ: الشَّيْطَان.

{لَاتَّخِذَن} ... لَاجْعَلَن لِي.

{مِنْ عِبَادك نَصِيبًا} ... حَظًّا.

{نَصِـيبًا مَّفْرُوضًـا} ... جُـزْءًا مَعْلُومًـا. (أي: مقطوعا واجبا فرضته لنفسي.)

{نَصِـيباً مَفْرُوضـاً} ... حظـاً معينـاً. أو حصـة معلومة.

{مفْرُوضًا} ... مَقْطُوعًا أَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِي.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادي) - (رحمـه الله):- {لَعَنَـهُ اللهُ} طـرده الله مـن كـل خـير {وَقَـالَ} إبْلِـيس {لأَتَّخِـذَنَّ} لأَسـتولين ولأَسـتزلن {مِـنْ عِبَـادِكَ نَصِـيباً مَّفْرُوضـاً} حظـاً مَعْلُومـا فَمَـا أطيـع فِيـه فَهُـوَ مفروضـه مـأموره وَيُقَـال مـن كـل ألـف تِسْعمائة وتسع وَتسْعُونَ فِي النَّار.(3)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسيره):-

{118} {لَعَنَـهُ اللَّـهُ} أَيْ: أَبْعَـدَهُ اللَّـهُ مِـنْ رَحْمَتِه، {وَقَالَ} يَعْنِي: قَالَ إِبْلِيس، {لاَتَّخِـذَنَّ مِـنْ عِبَـادِكَ نَصِـيبًا مَفْرُوضًـا} {النسـاء: 118} أي: حقـا مَعْلُومًـا، فَمَـا أُطِيـعَ فِيـهِ إِبْلِـيسُ فهـو مفروضـه وَأَصْـلُ الْفَـرْضِ فِـي اللُّغَـةِ: الْقَطْـعُ، وَمِنْـهُ الْفُرْضَـةُ فِـي النَّهْـرِ وَهِـيَ الثُّلْمَـةُ تَكُـونُ فِيـهِ، وَفَـرْضُ الْقَـوْسِ وَالشِّـرَاكِ: لِلشَّـقِّ الَّـذِي يَكُـونُ فِيـهِ الْـوَتَرُ وَالْخَيْطُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الشراك.(4)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- ومـع ذلـك فعبـادتهم إنمـا صـورتها فقـط لهـذه الأوثـان الناقصـة. وبالحقيقـة مـا عبـدوا غـير الشـيطان الـذي هـو عـدوهم الـذي يريـد إهلاكهـم ويسـعى في ذلـك بكـل مـا يقـدر عليـه، الـذي هـو في غايـة البعـد مـن الله، لعنـه الله وأبعـده عـن رحمتـه، فكمـا أبعـده الله مـن رحمتـه يسـعى في إبعـاد العبـاد عـن رحمـة الله. {إِنَّمَـا يَـدْعُو حِزْبَـهُ لِيَكُونُـوا مِـنْ أَصْـحَابِ السَّـعِيرِ} ولهـذا أخـبر الله عـن سـعيه في

---

(1) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (97/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(2) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (131/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (النسـاء) الآيـة (118). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإِمَـامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (118).

إغواء العباد، وتزيين الشر لهم والفساد وأنه قال لربه مقسما:

{لأتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} أي: مقدرا. علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على من تولاه، وآثر طاعته على طاعة مولاه.

وأقسم في موضع آخر ليغوينهم {لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} فهذا الذي ظنه الخبيث وجزم به، أخبر الله تعالى بوقوعه بقوله: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

وَقَوْلُهُ: {لَعَنَهُ اللَّهُ} أَيْ: طَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ مِنْ رَحْمَتِه، وَأَخْرَجَهُ مِنْ جِوَارِه.

وَقَالَ: {لأتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} أَيْ: مُعَيَّنًا مقدَّرًا مَعْلُومًا.

قَالَ: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ): مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {لعنه الله}، أخزاه وأقصاه وأبعده.

* * *

ومعنى الكلام: {وإن يدعون إلا شيطانًا مريدًا}، قد لعنه الله وأبعده من كل خير.

* * *

{وقال لأتخذن}، يعني بذلك: أن الشيطان المريد قال لربه إذ لعنه: {لأتخذن من عبادك نصيبًا مفروضًا}. يعني بـ "المفروض"، المعلوم.

* * *

10444- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن جويبر، عن (الضحاك): {نصيبًا مفروضًا}، قال: معلومًا.

* * *

فإن قال قائل: وكيف يتّخذ الشيطانُ من عباد الله نصيبًا مفروضًا.

قيل: يتخذ منهم ذلك النصيب، بإغوائه إياهم عن قصد السبيل، ودعائه إياهم إلى طاعته، وتزيينه لهم الضلالَ والكفر حتى يزيلهم عن منهج الطريق، فمن أجاب دعاءَه واتَّبع ما زينه له، فهو من نصيبه المعلوم، وحظّه المقسوم.

* * *

وإنما أخبر جل ثناؤه في هذه الآية بما أخبر به عن الشيطان من قيله: {لأتخذن من عبادك نصيبًا مفروضًا}، ليعلم الذين شاقُّوا الرسول- من بعد ما تبين لهم الهدى، أنهم من نصيبِ الشيطان الذي لعنه الله، المفروض، وأنهم ممن صدق عليهم ظنّه. (3)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (118)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (118)، لِلإمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (118)، لِلإمَام (الطبري).

قــال : الإمــام (القــرطبي) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118)}

قَوْلُهُ تَعَالَى: (لَعَنَهُ اللَّهُ) أَصْلُ اللَّعْنِ الْإِبْعَادُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَهُوَ فِي الْعُرْفِ إِبْعَادٌ مقترن بسخط وغضب، فلعنة الله على إبليس عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى التَّعْيِينِ جَائِزَةٌ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْكَفَرَةِ الْمَوْتَى كَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي جَهْلٍ، فَأَمَّا الْأَحْيَاءُ فَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِيهِ فِي (الْبَقَرَةِ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً) أَيْ وَقَالَ الشَّيْطَانُ، وَالْمَعْنَى: لَأَسْتَخْلِصَنَّهُمْ بِغَوَايَتِي وَأُضِلَّنَّهُمْ بِإِضْلَالِي، وَهُمُ الْكَفَرَةُ وَالْعُصَاةُ. وَفِي الْخَبَرِ (مِنْ كُلِّ أَلْفٍ وَاحِدٌ لِلَّهِ وَالْبَاقِي لِلشَّيْطَانِ).

قُلْتُ: وَهَذَا صَحِيحٌ مَعْنًى، يُعَضِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى لِآدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: (ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ فَيَقُولُ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيَقُولُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ).

أَخْرَجَهُ الإمام (مُسْلِمٌ). وَبَعْثُ النَّارِ هُوَ نَصِيبُ الشَّيْطَانِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

يَعْنِي:- مِنَ النَّصِيبِ طَاعَتُهُمْ إِيَّاهُ فِي أَشْيَاءَ، مِنْهَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَضْرِبُونَ لِلْمَوْلُودِ مِسْمَارًا عِنْدَ وِلَادَتِهِ، وَدَوَرَانِهِمْ بِهِ يَوْمَ أُسْبُوعِهِ، يَقُولُونَ: لِيَعْرِفَهُ العمار. (1)

* * *

قــال : الإمــام (الطبرانــي) – (رحمـه الله) – في (تفسـير القـرآن العظـيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً} أرادَ بـه الشيطانَ أبعدَهُ من رحمته إلى عقابه بالحكم لـهُ بالخلود في جهنَّم ، ويسقطُ بهذا قولُ من قالَ : كيفَ يَصحُّ أن يقالَ : (لَعَنَهُ اللهُ) وهو في الدُّنيا لا يخلُو من نعْمَة تَصلُ إليه من الله في كلِّ حالٍ ؟ الجواب لا يعتدُّ بتلك النعمة مع الحُكْمِ له بالخلود في النَّار.

قوله تعالى : {لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً} أي قالَ إبليسُ : لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيْباً معلوماً ، فكلُّ ما أطِيْعَ فيه إبليس فهو مفروضٌ له.

والفرضُ في اللغة : الْقَطْعُ " ومنهُ الْفُرْضَةُ أي الثُّلْمَةُ، والفرضُ في القوس : ما شُدَّ به الوترُ ، والفريضةُ في العباداتِ : الأمرُ الْحَتْمُ الْقَاطِعُ ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : {وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً} {البقرة : 237} أي جعلتم لَهُنَّ قطيعةً من المال ، وأما قولُ الشاعر : إذا أكَلْتَ سَمكاً وَفَرْضاً ذهَبْتَ طُولاً وذهَبْتَ عَرْضَافالفرضُ هنا التَّمْرُ ، سُمي فرضاً لأنه يؤخذُ من فرائضِ الصَّدقة. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُه تعالي: {لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ} يَعْني: إبْلِيس {لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبا مَفْرُوضًا}.

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (118)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (118).

وَقَالَ : (مُحَمَّد): الْمَعْنَى : أفترضه لنَفْسِي. (1)

* * *

[١١٩] ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ولأصدنهم عن صراطك المستقيم، ولأمنيَنَّهم بالوعود الكاذبة التي تزين لهم ضلالهم، ولآمرنَّهم بتقطيع آذان الأنعام لتحريم ما أحل الله منها، ولآمرنهم بتغيير خلق الله وفطرته، ومن يتخذ الشيطان وليًّا يتولاه ويطيعه فقد خسر خسرانًا بينًا بموالاة الشيطان الرجيم. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولأصرفنَّ مَن تبعني منهم عن الحق، ولأعِدَنَّهم بالأماني الكاذبة، ولأدعونَّهم إلى تقطيع آذان الأنعام وتشقيقها لما أزينه لهم من الباطل، ولأدعونَّهم إلى تغيير خلق الله في الفطرة، وهيئة ما عليه الخلق. ومن يستجب للشيطان ويتخذه ناصرًا له من دون الله القوي العزيز، فقد هلك هلاكًا بيِّنًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإن قَسَمَه أن يضل الذين استهواهم بإبعادهم عن الحق ويثير أهواءهم وشهواتهم، ويجعلهم يتيهون فى أوهام وأمانٍ كاذبة يتمنونها، وإذا صاروا بهذه الأهواء وتلك الأمانى تحت سلطانه، دفعهم إلى أمور غير معقولة، وحملهم على أن يظنوها عبادة وهى أوهام كاذبة، فوسوس لهم بأن يقطعوا آذان بعض الإبل ويُغَيِّروا خلق الله فيها، وإن ما قطع أذنه لا يذبح ولا يعمل ولا يمنع من مرعى، وكل ذلك بأوامره، ثم يوسوس لهم بأنه دين، وأنهم بهذا يتبعونه، ويتخذونه نصيراً متبعاً من دون الله، ومن يتخذه نصيراً متبعاً يخسر خسراناً واضحاً، لأنه يضل عن الحقائق ويهمل عقله، وينااله الفساد فى الدنيا والعذاب فى الآخرة. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} ... الأمانى الباطلة.

{وَلَأُضِلَّنَّهُمْ} ... عَنْ الْحَقّ بِالْوَسْوَسَة.

{وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} ... أُلْقِي فِي قُلُوبهمْ طُول الْحَيَاة وَأَنْ لَا بَعْث وَلَا حِسَاب.

{فَلَيُبَتِّكُنَّ} ... فَلَيُقَطِّعُنَّ، وَلَيُشَقِّقُنَّ. والبتك: القطع.

{فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ} ... كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها.

{فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} ... تغييرهم خلق الله فقء عين الحامى وإعفاؤه عن الركوب.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (118) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (97/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (131/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{خَلْقَ اللهِ} ... مخلوق الله: أي: ما خلقه الله تعالى.

{آذَانَ الْأَنْعَامِ} ... وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ بِالْبَحَائِرِ.

{وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} ... دينه بِالْكُفْرِ وَإِحْلَالِ مَا حرّمَ اللَّه وَتَحْرِيم مَا أَحَلَّ.

{وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا} ... يَتَوَلَّاهُ يُطِيعهُ.

{مِنْ دُونِ اللَّهِ} ... أَيْ: غَيْره.

{فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} ... بَيِّنًا لِمَصِيرِهِ إِلَى النَّارِ الْمُؤبدة عليه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَلأُضَلَّنَّهُمْ} عَن الْهدى. {وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ} لأرجينهم أن لا جنَّة وَلَا نَار. {وَلأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ} فليشققن. {آذَانَ الْأَنْعَام} وَهِي الْبحيرَة. {وَلأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ} دين الله. {وَمن يتَّخذ الشَّيْطَان} يعبد الشَّيْطَان. {وَلِيّاً} رَبًّا. {مِّن دُونِ الله فَقَدْ خَسِرَ} غبن. {خُسْرَاناً مُّبِيناً} غبناً بَينا بذهاب الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{119} {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ} يَعْنِي: عَنِ الْحَقِّ، أَيْ: لَأُغْوِيَنَّهُمْ، يَقُولُهُ إِبْلِيسُ، وَأَرَادَ بِهِ التَّزْيِينَ، وَإِلَّا فَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنَ الْإِضْلَالِ شَيْءٌ،

كَمَا قَالَ: {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} {الحجر: 39} {وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} قِيلَ: أُمَنِّيَنَّهُمْ رُكُوبَ الْأَهْوَاءِ،

يَعْنِي:- أُمَنِّيَنَّهُمْ أَنْ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا بَعْثَ،

يَعْنِي:- أُمَنِّيَنَّهُمْ إِدْرَاكَ الْآخِرَةِ مَعَ رُكُوبِ الْمَعَاصِي {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} {النساء: 119}

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عنهما - و(الحسن)، و(مجاهد)، و(قتادة)، و(سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ)، وَ(الضَّحَّاكُ): يَعْنِي دِينَ اللَّهِ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} {الرُّوم: 30} أَيْ: لِدِينِ اللَّهِ، يُرِيدُ وَضْعَ اللَّهِ فِي الدِّينِ بِتَحْلِيلِ الْحَرَامِ وَتَحْرِيمِ الْحَلَالِ،

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ) وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ بِالْخِصَاءِ وَالْوَشْمِ وَقَطْعِ الْآذَانِ

حَتَّى حَرَّمَ بَعْضُهُمُ الْخِصَاءَ وَجَوَّزَهُ بَعْضُهُمْ فِي الْبَهَائِمِ، لِأَنَّ فِيهِ غَرَضًا ظَاهِرًا،

يَعْنِي:- تَغْيِيرُ خَلْقِ اللَّهِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَنْعَامَ لِلرُّكُوبِ وَالْأَكْلِ فَحَرَّمُوهَا، وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْأَحْجَارَ لِمَنْفَعَةِ الْعِبَادِ فَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ،

{وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ} أَيْ: رَبًّا يُطِيعُهُ، {فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} {النساء: 119}.(2)

* * *

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (119). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - . .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (119).

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ} يريد عن طريق الهدى

{وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} يريد أعوقهم عن طاعتك بالأماني الكاذبة بأنهم لا يلقون عذاباً أو أنه سيغفر لهم.

{وَلَآمُرَنَّهُمْ} فيطيعوني.

{فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ} أي: ليجعلون لآلهتهم نصيباً مما رزقنهم ويعلمونها بقطع آذانها لتعرف أنها للآلهة" كالبحائر والسوائب التي يجعلونها للآلهة،

{وَلَآمُرَنَّهُمْ} أيضاً فيطيعونني فيغيرون خلق الله بالبدع والشرك، والمعاصي كالوشم والخصي. هذا ما قاله الشيطان ذكره تعالى لنا فله الحمد.

ثم قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً} لأن من والى الشيطان عادى الرحمن، ومن عادى الرحمن تم له والله أعظم الخسران يدل على ذلك. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وهذا النصيب المفروض الذي أقسم لله إنه يتخذهم ذكر ما يريد بهم وما يقصده لهم بقوله:

{وَلَأُضِلَّنَّهُمْ} أي: عن الصراط المستقيم ضلالا في العلم، وضلالا في العمل.

{وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} أي: مع الإضلال، لأمنينهم أن ينالوا ما ناله المهتدون. وهذا هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه من الضلال. وهذا زيادة شر إلى شرهم حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة وحسبوا أنها موجبة للجنة، واعتبر ذلك باليهود والنصارى ونحوهم فإنهم كما حكى الله عنهم،

{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} {كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} .

وقال تعالى عن المنافقين إنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين: {أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} .

وقوله: {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأنْعَامِ} أي: بتقطيع آذانها، وذلك كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فنبه ببعض ذلك على جميعه، وهذا نوع من الإضلال يقتضي تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، ويلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة والأحكام الجائرة ما هو من أكبر الإضلال.

{وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} وهذا يتناول تغيير الخلقة الظاهرة بالوشم، والوشر والنمص والتفلج للحسن، ونحو ذلك مما أغواهم به الشيطان فغيروا خلقة الرحمن.

وذلك يتضمن التسخط من خلقته والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره، ويتناول أيضا تغيير

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (119)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

الخلقة الباطنة، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحق وإيثاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان.

فإن كل مولود يولد على الفطرة ولكن أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، ونحو ذلك مما يغيرون به ما فطر الله عليه العباد من توحيده وحبه ومعرفته. فافترستهم الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع والذئاب للغنم المنفردة. لولا لطف الله وكرمه بعباده المخلصين لجرى عليهم ما جرى على هؤلاء المفتونين، وهذا الذي جرى عليهم من توليهم عن ربهم وفاطرهم وتوليهم لعدوهم المريد لهم الشر من كل وجه، فخسروا الدنيا والآخرة، ورجعوا بالخيبة والصفقة الخاسرة،

ولهذا قال: {وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} وأي خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياه؟!! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي.

كما أن من تولى مولاه وآثر رضاه، ربح كل الربح، وأفلح كل الفلاح، وفاز بسعادة الدارين، وأصبح قرير العين، فلا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، اللهم تولنا فيمن توليت، وعافنا فيمن عافيت.(1)

* * *

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَلأضِلَّنَّهُمْ} أَيْ: عَنِ الْحَقِّ {وَلأمَنِّيَنَّهُمْ} أَيْ: أُزَيِّنُ لَهُمْ تَرْكَ التَّوْبَةِ، وَأَعِدُهُمُ الْأَمَانِي، وَآمُرُهُمْ بِالتَّسْوِيفِ وَالتَّأْخِيرِ، وَأَغُرُّهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: {وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأنْعَامِ} قَالَ (قَتَادَةُ)، وَ(السُّدِّيُّ) وَغَيْرُهُمَا: يَعْنِي تَشْقِيقَهَا وَجَعْلَهَا سِمَةً وَعَلَامَةً لِلْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ.

{وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): يَعْنِي بِذَلِكَ خِصَاءَ الدَّوَابِّ.

وَكَذَا رُوِيَ عَنِ (ابْنِ عُمَرَ، وَأَنَسٍ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَعِكْرِمَةَ، وَأَبِي عِيَاضٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَقَتَادَةَ، وَالثَّوْرِيِّ). وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ النَّهْيِ عن ذلك (2).

وقال: (الحسن ابْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ): يَعْنِي بِذَلِكَ الْوَشْمَ.

وَفِي صَحِيحِ الإمام (مُسْلِمٍ) النَّهْيُ عَنِ الْوَشْمِ فِي الْوَجْهِ(3) وَفِي لفظ: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ ذلك".(4)

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ (ابْنِ مَسْعُودٍ) أَنَّهُ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ والمستوشمات، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ للحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَلْعَنُ مَنْ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (119)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برم (225/12) والبيهقي في السنن الكبرى (24/10) من طريق نافع عَنِ (ابْنِ عُمَرَ) قَالَ: ((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم - عن خصاء الخيل والبهائم)) وقال: (ابن عمر): فيه نماء الخلق.

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (2116) – ((كتاب: اللباس والزينة).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (2117) – ((كتاب: اللباس والزينة) - عَنْ (جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى الله عليه وسلم - مر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال: "لعن الله الذي وسمه".

لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، يَعْنِي قَوْلَهُ: {وَمَا آتَاكُمُ الرسول- فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} {الْحَشْر: 7}.[1]

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاس) فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ، وَ(مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ أَيْضًا وَإِبْرَاهِيمُ النخعي، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالْحَكَمُ، وَالسُّدِّيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَعَطَاءٌ الخراساني) فِي قَوْلِهِ: {وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} يَعْنِي: دِينَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} {الرُّوم: 30} عَلَى قَوْلِ مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ أَمْرًا، أَيْ: لَا تُبَدِّلُوا فِطْرَةَ اللَّهِ، وَدَعُوا النَّاسَ عَلَى فِطْرَتِهِمْ،

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ[2] عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، ويُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُولَدُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ يَحُسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟))

وَفِي صَحِيحِ الإِمَامِ (مُسْلِم)، عَنْ (عِيَاضِ بْنِ حِمَار) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُم عَنْ دِينِهِمْ، وحرمت عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ)).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} أَيْ: فَقَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَتِلْكَ خَسَارَةٌ لَا جَبْرَ لَهَا وَلَا اسْتِدْرَاكَ لِفَائِتِهَا.[3]

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {ولأضلنهم} لأغوينهم {ولأمنينهم} أي: بِأَنَّهُم لاَ عَذَاب عَلَيْهِم {ولآمرنهم فليبتكن آذان الْأَنْعَام} هِيَ: الْبحيرَة" كَانُوا يقطعون أَطْرَاف آذانها ويحرمونها. {وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ}

قَالَ: (ابْن عَبَّاس): هُوَ الخصاء.

وَقَالَ: (الْحَسَن): هُوَ مَا تَشِمُ النِّسَاء فِي أيديها ووجوهها" كَانَ نسَاء أهل الْجَاهِلِيَّة يفعلن ذَلِك.[4]

* * *

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- بين هنا فيما ذكر عن الشيطان كيفية اتخاذه لهذا النصيب المفروض بقوله (ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن أذان الأنعام، ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) ... كما بين كيفية اتخاذه لهذا النصيب المفروض في آيات أخر كقوله (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4886) - ((كتاب: تفسير القرآن)).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2125).- ((كتاب: اللباس والزينة)).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1385) - ((كتاب: الجنائز)).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2658) - ((كتاب: القدر)، ((الجمعاء)): السليمة من العيوب المجتمعة الأعضاء. و((الجدعاء)): المقطوعة الأطراف أو بعضها.

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (119)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (119) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) وقوله (أرأيتك هذا الذي كرمت على لأحتنكن ذريته) الآية. ولم يبين هنا هل هذا الظن الذي ظنه لإبليس ببني آدم أنه يتخذ منهم نصيبا مفروضا وأنه يضلهم تحقق لإبليس أولا، ولكنه بين في آية أخرى أن ظنه تحقق له وهي قوله (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) الآية. ولم يبين هنا الفريق السالم من كونه من نصيب إبليس ولكنه بينه في مواضع أخر.

كقوله : (لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين)

وقوله : (إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) .(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبي، ثنا إبراهيم بن موسى، أنبا هاشم يعني ابن يوسف عن ابن جريج، أخبرني القاسم بن أبي بزة، عن (عكرمة) يعني قوله : (ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم) قال: دين شرعه لهم الشيطان كهيئة البحاير والسوائب.(2)

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله : (فليبتكن أذان الأنعام) قال : البتك في البحيرة والسائبة، كانوا يبتكون أذانها لطواغيتهم.(3)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {فَلَيُبَتِّكُنَّ} : بَتَّكَهُ : قَطَّعَهُ.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):-- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن (عبد الله) قال: ((لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمّصات والمتفلّجات للحُسن، المغيّرات خلق الله. فبلغ ذلك امرأة من بني أسدٍ يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني أنكَ لعنت كيت وكيت، فقال: وماليَ لا ألعن من لعَنَ رسولُ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ومن هو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللوحين، فما وجدت فيه ما تقول. قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت (وما أتاكم الرسول- فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت: بلى. قال: فإنه قد نهى عنه. قالت: فإني أرى أهلكَ يفعلونه. قال: فاذهبي فانظري، فذهبتْ فنظرت فلم ترَ من حاجتها شيئاً. فقال: لو كانت كذلك ما جامعتها)).(1)(5)

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (119).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (119).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (119).

(4) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (117). برقم (ج 6/ ص 47).

(5) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (498/8)، (ح 4886) – (كتاب : تفسير القرآن)، / باب: (وما آتاكم الرسول فخذوه) ،

* * *

قال: الإمَـامْ (البخـاري) - (رحمـه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عمرو بن عون، حدثنا خالد عن إسماعيل عن قيس عن (عبد الله) - رضي الله عنه - قال: كنا نغزو مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخّص بنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب. ثم قرأ (يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم). (2) (3)

* * *

قال: الإمَـامْ (الطبري) - والإمَـامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: (خلق الله): دين الله. (4)(5)

* * *

قال: الإمَـامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسند) - (بسنده):- , وَعَنْ (مَالِكِ بْنِ نَضْلَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - " فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ وَصَوَّبَ , وَقَالَ: أَرَبُّ إِبِلٍ أَنْتَ أَوْ رَبُّ غَنَمٍ؟ " , فَقُلْتُ: مِنْ كُلٍّ قَدْ آتَانِي اللهُ , فَأَكْثَرَ وَأَطَابَ, (6) قَالَ: " فَتُنْتِجُهَا وَافِيَةً أَعْيُنُهَا وَآذَانُهَا) (فَتَعْمَدُ إِلَى مُوسَى فَتَقْطَعُ آذَانَهَا , فَتَقُولُ: هَذِهِ بُحُرٌ , وَتَشُقُّ جُلُودَهَا وَتَقُولُ: هَذِهِ صُرُمٌ (7) وَتُحَرِّمُهَا عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ؟ " , قَالَ: نَعَمْ , قَالَ: " فَإِنَّ مَا آتَاكَ اللهُ - عز وجل - لَكَ , وَسَاعِدُ اللهِ أَشَدُّ مِنْ سَاعِدِكَ , وَمُوسَى اللهِ أَحَدُّ مِنْ مُوسَاكَ) (8) (وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَأْتِيَكَ بِهَا صَرْمَاءَ أَتَاكَ ") (9)

* * *

وقال: الإمَـامْ (البيهقـي) - (رحمه الله) - في (السنن الكبرى) - (بسنده):- , وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: ((نَهَى رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ صَبْرِ الرُّوحِ , وَخِصَاءِ الْبَهَائِمِ)) (10)(11)

* * *

وقال: الإمَـامْ (ابن أبي شيبة) - (رحمه الله) - في (المصنف):- , وَعَنْ (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (120) - (كتاب: اللباس والزينة)، / باب: (تحريم فعل الواصلة والمستوصلة..).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (126/8)، (ح 4615) - (كتاب: تفسير القرآن) - (سورة المائدة)، / باب: (الآية).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1022/2)، (ح 1404) - (كتاب نكاح)، / باب: (نكاح المتعة وبيان انه ابيح ثم نسخ).
قال: الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني): أخرج الإمام (الثوري) في جامعه، و الإمام (ابن المنذر) - من طريقه -: (بسند صحيح) - عن (ابن مسعود) أنه جيء عنده بطعام فتنحى رجل فقال: إني حرمته أن لا آكله. فقال: ادن فكل وكفر عن يمينك ثم تلا هذه الآية إلى قوله: (ولا تعتدوا). انظر: (الفتح الباري) برقم (575/11)،
وأخرجه الإمام (الحاكم)، و(صححه) في (المستدرك) برقم (313/2-314)، وواقفه الإمام (الذهبي).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (119).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (119). الطبعة: الثالثة - 1419 هـ.

(6) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17267).
وقال: (الشيخ شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(7) الصُّرُم: جمع الصَّريم، وهو الذي صُرِم منه، أيْ: قطع.

(8) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (15929). انظر: (صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب) برقم (1093)، للإمام (الألباني)
وقال: (الشيخ شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(9) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17267).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11155).
وأخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (5615).

(10) قال: (الزهري): الإخصاءُ صَبْرٌ شديد ,
انظر: أخرجه الإمَامْ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (2497).

(11) أخرجه الإمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (19575).
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (6960). للإمَامْ (الألباني).

عنهما - قَالَ: " نَهَى رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ إِخْصَاءِ الْخَيْلِ وَالْبَهَائِمِ " , وَقَالَ: (ابْنُ عُمَر): فِيهَا نَمَاءُ الْخَلْقِ. (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (مالك) - (رحمه الله) - في (الموطأ) - (بسنده):- , وَعَنْ (نَافِعٍ) قَالَ: كَانَ (ابْنُ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - كَانَ يَكْرَهُ الْإِخْصَاءَ , وَيَقُولُ: فِيهِ تَمَامُ الْخَلْقِ. (2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البُخَارِي)، و(مُسلم)، - في (صحيحهما)، - و الإمام (إبن ماجة) - في (سُننه)، - (رحمهم الله) - (بسندهم):- , وَعَنْ عَلْقَمَةَ , عَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود) - رضي الله عنه - قَالَ: (" لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ , وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ , وَالْمُتَنَمِّصَاتِ (3) وَالْمُتَفَلِّجَاتِ (4) لِلْحُسْنِ لِلْحُسْنِ , الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ " , فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ , فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ , فَقَالَ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -؟ , وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللهِ (5)؟ , فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ , قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ (6) أَمَا أَمَا قَرَأْتِ: {وَمَا آتَاكُمْ الرسول - فَخُذُوهُ , وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}؟ , قَالَتْ: بَلَى , قَالَ: " فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ " , قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ , قَالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي , فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ , فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا) (7) فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولِينَ , مَا جَامَعْتُنَا) (8) (9).

* * *

[١٢٠] ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يعدهم الشيطان الوعود الكاذبة، ويُمنيهم الأماني الباطلة، وما يعدهم في الواقع إلا باطلًا لا حقيقة له. (10)

* * *

يَعْنِي:- يعد الشيطان أتباعه بالوعود الكاذبة، ويغريهم بالأماني الباطلة الخادعة، وما يَعدهم إلا خديعة لا صحة لها، ولا دليل عليها. (11)

* * *

(1) أخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (32577).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (4769).
وقال: الإمام (الألباني) في (غاية المرام) برقم (ح482): أخرجه أحمد وابن عدي في الكامل, وفي سنده ضعف, لكن للحديث طرق أخرى تجعله بمجموع طرقه بمرتبة الحسن على أقل الدرجات. أ. هـ
(2) أخرجه الإِمَامُ (مالك) في (الموطأ) برقم (1699).
(3) الْمُتَنَمِّصَة: التي تطلب إزالة الشعر من الحاجب, قَالَ النَّوَوِيّ: وَهُوَ حَرَام , إِلَّا إِذَا نَبَتَ لِلْمَرْأَةِ لِحْيَة , أَوْ شَوَارِب. عون المعبود - (ج 9 / ص 207).
(4) المتفلجات: المفرقات بين الأسنان طَلَبًا للجمال.
(5) أَيْ: هُوَ مَلْعُون فِيهِ. عون المعبود - (ج 9 / ص 207).
(6) أَيْ: لَوْ قَرَأْتِيهِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّأَمُّلِ لَعَرَفْتِ ذَلِكَ. عون المعبود (ج 9 / ص 207).
(7) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4604).
- وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2125).
(8) قَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَاهُ: لَمْ نُصَاحِبهَا , وَلَمْ نَجْتَمِع نَحْنُ وَهِيَ , بَلْ كُنَّا نُطَلِّقُهَا. عون المعبود - (ج 9 / ص 207).
(9) أخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1989).
وأخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4604).
(10) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(11) انظر: (التفسير الميسر) برقم (97/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِي:- يزين الشيطان لهم الشر، ويعدهم النفع إذا فعلوه، ويلقى فى نفوسهم بأمان يتمنونها، وليس وعده وتزيينه إلا تغريراً. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يعدهُمْ} ... طُول الْعُمُر.

{يعدُهُمْ} ... أباطيله وترهاته من المال والجاه والرياسة.

{ويُمَنِّيهِمْ} ... ألا بعث ولا عقاب.

{ويُمَنِّيهِمْ} ... يجعلهم يتمنون كذا وكذا ليلهيهم عن العمل الصالح.

{ويُمَنِّيهِمْ} ... نَيْل الْآمَال فِي الدُّنْيَا وَأَنْ لَا بَعْث وَلَا جَزَاء .

{وما يعدهُمْ الشَّيْطَان} ... بِذَلِك.

{الشَّيْطَانُ} ... الخبيث الماكر الداعي إلى الشر سواء كان جنياً أو إنسياً.

{إلا غُرورًا} ... بَاطِلًا.

{إلا غُرُوراً} ... إلا خديعة.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):-

{يعدُهُمْ} الشَّيْطَان أَن لَا جنَّة وَلَا نَار {ويُمَنِّيهِمْ} يرجيهم أَن الدُّنْيَا لَا تفنى {وَمَا يعدُهُمْ الشَّيْطَان إِلَّا غُرُوراً} بَاطِلا وكذبا. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {120} {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ} فوعده وتمنيته ما يوقعه في قَلْبِ الْإِنْسَانِ مِنْ طُولِ الْعُمُرِ وَنَيْلِ الدُّنْيَا، وَقَدْ يَكُونُ بِالتَّخْوِيفِ بِالْفَقْرِ فَيَمْنَعُهُ مِنَ الْإِنْفَاقِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ،

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ} {الْبَقَرَة: 268} وَيُمَنِّيهِمْ بِأَنْ لَا بَعْثَ وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ {وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} {النساء: 120} أَيْ: بَاطِلًا. (3)

* * *

قال : الإِمَامُ (القُرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً (120)} الْمَعْنَى يَعِدُهُمْ أَبَاطِيلَهُ وَتُرَّهَاتِهِ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ، وَأَنْ لَا بَعْثَ وَلَا عِقَابَ، وَيُوهِمُهُمُ الْفَقْرَ حَتَّى لَا يُنْفِقُوا فِي الْخَيْرِ (وَيُمَنِّيهِمْ) كَذَلِكَ (وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً) أَيْ خَدِيعَةً.

قَالَ: (ابْنُ عَرَفَةَ): الْغُرُورُ مَا رَأَيْتَ لَهُ ظاهرا تحبه وفيه بَاطِنٌ مَكْرُوهٌ أَوْ مَجْهُولٌ. وَالشَّيْطَانُ غَرُورٌ، لِأَنَّهُ يَحْمِلُ عَلَى مَحَابِّ النَّفْسِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مَا يَسُوءُ. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثم قال: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ} أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم، والوعد يشمل حتى الوعيد،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (131/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (120). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (120).

(4) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (120)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

كما قال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ} فإنه يعدهم إذا أنفقوا في سبيل الله افتقروا، ويخوفهم إذا جاهدوا بالقتل وغيره،

كما قال تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} الآية. ويخوفهم عند إيثار مرضاة الله بكل ما يمكن وما لا يمكن مما يدخله في عقولهم حتى يكسلوا عن فعل الخير،

وكذلك يمنيهم الأماني الباطلة التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له،

ولهذا قال: {وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} أي: من انقاد للشيطان وأعرض عن ربه، وصار من أتباع إبليس وحزبه،.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا} وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنِ الْوَاقِعِ" لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَعِدُ أَوْلِيَاءَهُ وَيُمَنِّيهِمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ كَذَبَ وَافْتَرَى فِي ذَلِكَ" وَلِهَذَا قَالَ: {وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا}.

كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ إِبْلِيسَ يَوْمَ الْمَعَادِ: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {إبراهيم: 22}.(2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ} فيعقوهم عن طلب النجاة والسعادة.

{وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا} إذ هو لا يملك من الأمر شيئاً فكيف يحقق لهم نجاة أو سعادة إذاً؟.(3)

* * *

[١٢١] ﴿ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولئك المتبعون لخطوات الشيطان وما يمليه عليهم مستقرهم نار جهنم لا يجدون عنها مهربًا يلجؤون إليه.(4)

* * *

يَعْنِي:- أولئك مآلهم جهنم، ولا يجدون عنها معدلا ولا ملجأ.(5)

* * *

يَعْنِي:- وإن أولئك الذين ألغوا عقولهم واتبعوا وساوس الشيطان فى نفوسهم،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (120)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (120)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (120)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (97/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

مصيرهم إلى جهنم ولا يجدون منها خلاصاً.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{مَحِيصًا} ... مَحِيداً، وَمَهْرَبًا. ملجأ.

{مَحِيصًا} ... أي: ليس لهم منها مَفَرٌّ ولا مَهْرَبٌ، فالمحيص هو المهرب والمخلص يقال: (وقعوا في حَيْصَ بَيْصَ) و(في حَاصَ بَاصَ) أي: في أمر يَعْسُرُ التخلص منه، ويقال: حَاصَ عن الشيء: أي عَدَلَ فليس لهم محيص أي معدل.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) -: {أُولَئِكَ} الْكُفَّار {مَأْوَاهُمْ} مصيرهم {جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً} مفراً وملجأ.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {121} {أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا} {النساء: 121} أي: مفرًّا ومَعْدلًا عَنْهَا.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} أي: من انقاد للشيطان وأعرض عن ربه، وصار من أتباع إبليس وحزبه، مستقرهم النار.

{وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا} أي: مخلصا ولا ملجأ بل هم خالدون فيها أبد الآباد.(4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: أَيِ: الْمُسْتَحْسِنُونَ لَهُ فِيمَا وَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} أَيْ: مَصِيرُهُمْ وَمَآلُهُمْ يَوْمَ حِسَابِهِمْ.

{وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا} أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ عَنْهَا مَنْدُوحَةٌ وَلَا مَصْرِفٌ، وَلَا خَلَاصٌ وَلَا مَنَاصٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ حَالَ السُّعَدَاءِ الْأَتْقِيَاءِ وَمَا لَهُمْ فِي مَآلِهِمْ مِنَ الْكَرَامَةِ التَّامَّةِ،

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وهذا حكم الله تعالى يعلن في صراحة ووضوح فليسمعوه: {أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً} أي: معدلاً أو مهرباً.(5)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• أكثر تناجي الناس لا خير فيه، بل ربما كان فيه وزر، وقليل من كلامهم فيما بينهم يتضمن خيرًا ومعروفًا.

• معاندة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومخالفة سبيل المؤمنين نهايتها البعد عن الله ودخول النار.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (131/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (121). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (121).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (121)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (121)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

• كل الذنوب تحت مشيئة الله، فقد يُغفر لصاحبها، إلا الشرك، فلا يغفره الله أبداً.
• غاية الشيطان صرف الناس عن عبادة الله تعالى، ومن أعظم وسائله تزيين الباطل بالأماني الغرارة والوعود الكاذبة. (1)

* * *

[١٢٢] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة المقرِّبة إليه سندخلهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، ماكثين فيها أبداً، وعداً من الله ووعده تعالى حق، فهو لا يخلف الميعاد، ولا أحد أصدق من الله قولًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- والذين صَدَقوا في إيمانهم بالله تعالى، وأتبعوا الإيمان بالأعمال الصالحة سيدخلهم الله -بفضله- جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار ماكثين فيها أبداً، وعدا من الله تعالى الذي لا يخلف وعده. ولا

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122) لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا (126) وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (127)

أحد أصدق من الله تعالى في قوله ووعده. (3)

* * *

يَعْنِي:- هذا مصير أتباع الشيطان، أما مصير أتباع الله فالخير، وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة، ولم يسيروا وراء أوهام كاذبة، فإن الله - تعالى - سيدخلهم يوم القيامة جنات فيها أنهار تجرى تحت ظلالها، وهى أكبر من أعظم جنات الدنيا، وإن ذلك مؤكد، لأنه وعد الله، ووعد الله لا يكون إلا حقاً، لا غرور فيه، إذ هو مالك كل شئ، ولا يتصور أن يكون

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (97/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (98/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (98/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

أحدٌ في الوجود أصدق من الله وعداً وقولا.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا} ... أَيْ: وَعَدَهُمْ اللَّهُ ذلِكَ وَحقّه حَقًّا.

{آمَنُوا} ... صدقوا بالله ورسوله.

{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ... الطاعات إذ كل طاعة لله ورسوله هي عمل صالح.

{وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا} ... مصدران، الأول مؤكد لنفسه، والثاني مؤكد لغيره.

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} ... توكيد ثالث. وهو مبتدأ وخبر. وقيلا، منصوب على البيان قال: قيلا وقولا وقالا: أي لا أحد أصدق من الله.

{وَمَنْ} ... أَيْ: لاَ أَحَد.

{أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلًا} ... أَيْ: قَوْلًا.

{قِيلًا} ... قَوْلًا.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (إِبنُ كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: أَيْ: الْمُسْتَحْسِنُونَ لَهُ فِيمَا وَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} أَيْ: مَصِيرُهُمْ وَمَآلُهُمْ يَوْمَ حِسَابِهِمْ.

{وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا} أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ عَنْهَا مَنْدُوحَةٌ وَلاَ مَصْرِفٌ، وَلاَ خَلاَصٌ وَلاَ مَنَاصٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ حَالَ السُّعَدَاءِ الْأَتْقِيَاءِ وَمَا لَهُمْ فِي مَآلِهِمْ مِنَ الْكَرَامَةِ التَّامَّةِ،

فَقَالَ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أَيْ: صَدَّقت قُلُوبُهُمْ وَعَمِلَتْ جَوارِحُهُمْ بِمَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الْخَيِّرَاتِ، وَتَرَكُوا مَا نُهُوا عَنْهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ {سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ} أَيْ: يصرفونها حيث شاءوا وأين شاءوا.

{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} أَيْ: بِلاَ زَوَالٍ وَلاَ انْتِقَالٍ.

{وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا} أَيْ: هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ وَوَعْدُ اللَّه مَعْلُومٌ حَقِيقَةً أَنَّهُ وَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ،

وَلِهَذَا أَكَّدَهُ بِالْمَصْدَرِ الدَّالِّ عَلَى تَحْقِيقِ الْخَبَرِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {حَقًّا} ثُمَّ قَالَ: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا} أَيْ: لاَ أَحَدَ أَصْدَقُ مِنْهُ قَوْلًا وَخَبَرًا، لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول فِي خُطْبَتِهِ: ((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلاَمُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ)).(2) (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {وَالَّذين آمَنُوا} بِمُحَمد وَالْقُرْآن {وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} الطَّاعَات فِيمَا بَينهم وَبَين رَبهم

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (131/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (122)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) (صحيح): قال: الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (تحقيقه على تفسير – ابن كثير): برقم (504/2): رواه في الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (592/2) – من حديث – (جابر).

{سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ} بساتين {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا} من تحت غرفها ومساكنها {الْأَنْهَارُ} أنهار الْخمر وَالْمَاء وَاللَّبن وَالْعَسَل {خَالِدِينَ فِيهَا} مقيمين فِي الْجنَّة لاَ يموتون وَلاَ يخرجون مِنْهَا {أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ} فِي جَهَنَّم وَالْجنَّة {حَقّاً} كَائِنا صدقا) {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً} وَعدا.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} {النساء: 122} أَيْ: مِنْ تَحْتِ الْغُرَفِ وَالْمَسَاكِنِ، {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} {النساء: 122}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {122} ولما بين مآل الأشقياء أولياء الشيطان ذكر مآل السعداء أوليائه فقال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا} .

أي: {آمَنُوا} بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقَدَر خيره وشره على الوجه الذي أمروا به علما وتصديقا وإقرارا.

{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الناشئة عن الإيمان؟. وهذا يشمل سائر المأمورات من واجب ومستحب، الذي على القلب، والذي على اللسان، والذي على بقية الجوارح. كل له من الثواب المرتب على ذلك بحسب حاله ومقامه، وتكميله للإيمان والعمل الصالح.

ويفوته ما رتب على ذلك بحسب ما أخل به من الإيمان والعمل، وذلك بحسب ما علم من حكمة الله ورحمته، وكذلك وعده الصادق الذي يعرف من تتبع كتاب الله وسنة رسوله.

ولهذا ذكر الثواب المرتب على ذلك بقوله: {سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ} فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من أنواع المآكل والمشارب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور، والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلية، والفواكه المستغربة، والأصوات الشجية، والنعم السابغة، وتزاور الإخوان، وتذكرهم ما كان منهم في رياض الجنان، وأعلى من ذلك كله وأجلّ رضوان الله عليهم وتمتع الأرواح بقربه، والعيون برؤيته، والأسماع بخطابه الذي ينسيهم كل نعيم وسرور، ولولا الثبات من الله لهم لطاروا وماتوا من الفرح والحبور، فلله ما أحلى ذلك النعيم وما أعلى ما أنالهم الرب الكريم، وماذا حصل لهم من كل خير وبهجة لا يصفه الواصفون، وتمام ذلك وكماله الخلود الدائم في تلك المنازل العاليات، ولهذا قال: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا} .

فصدق الله العظيم الذي بلغ قولُه وحديثه في الصدق أعلى ما يكون، ولهذا لما كان كلامه صدقا وخبره حقا، كان ما يدل عليه

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (122). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (122).

مطابقـةً وتضـمنًا وملازمـةً كـل ذلـك مـراد مـن كلامـه، وكـذلك كـلام رسـوله- صـلى الله عليـه وسـلم -لكونـه لا يخـبر إلا بـأمره ولا ينطـق إلا عن وحيه.(1)

* * *

قال: الإمَـامُ (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):-

القـول في تأويـل قولـه: {وَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ سَـنُدْخِلُهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الأنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا أَبَـدًا وَعْـدَ اللَّـهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا (122)}

قـال: (أبـو جعفـر): يعـني جـل ثنـاؤه بقولـه: {والـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات}، والـذين صـدّقوا الله ورسـوله، وأقـرُّوا لـه بالوحدانيـة، ولرسـوله - صـلى الله عليـه وسلم –بالنبوة،

{وعملـوا الصـالحات}، يقـول: وأدّوا فـرائض الله التي فرضها عليهم،

{سـندخلهم جنـات تجـري مـن تحتهـا الأنهـار}، يقـول: سـوف ندخلـهم يـوم القيامـة إذا صـاروا إلى الله، جـزاءً بمـا عملـوا في الدنيا من الصالحات،

{جنات}، يعني: بساتين،

{تجـري مـن تحتهـا الأنهـار خالـدين فيهـا أبـدًا}، يقـول: بـاقين في هـذه الجنـات الـتي وصفها،

{أبدًا}، دائمًا.

وقولـه: {وعـد الله حقًّـا}، يعـني: عِـدَةً مـن الله لهم ذلك في الدنيا،

{حقًّـا}، يعـني: يقينًـا صـادقًا، لا كعـدة الشـيطان الكاذبـة الـتي هـي غـرور مَـنْ وُعِـدها مـن أوليائـه، ولكنهـا عـدة ممـن لا يكـذب ولا يكون منه الكذب، ولا يخلف وعده.

وإنمـا وصـف جـل ثنـاؤه وعـده بالصـدق والحـق في هـذه، لمـا سبق مـن خـبره جـل ثنـاؤه عـن قـول الشـيطان الـذي قصـه في قولـه: {وقـال لأتّخـذن مـن عبـادك نصـيبًا مفروضًـا * ولأضـلنهم ولأمنيـنهم ولآمـرنهم فليبـتكن آذان الأنعام}،

ثـم قـال جـل ثنـاؤه: {يعـدُهم ويمنـيهم ومـا يَعِـدهم الشـيطان إلا غـرورًا}، ولكـن الله يعـد الـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات أنـه سـيدخلهم جنـات تجـري مـن تحتهـا الأنهـار خالـدين فيهـا أبـدًا، وعـدًا منـه حقًّـا، لا كوعـد الشـيطان الذي وَصَف صفته.

فوصـف جـل ثنـاؤه الوعـدَين والوَاعِـدَيْن، وأخـبر بحكـم أهـل كـل وعـد منهمـا، تنبيهًـا منـه جـل ثنـاؤه خلقَـه علـى مـا فيـه مصـلحتهم وخلاصـهم مـن الهلكـة والمعطبـة، لينزجـروا عـن معصـيته ويعملـوا بطاعتـه، فيفـوزوا بمـا أعـدّ لهم في جنانه من ثوابه.

ثـم قـال لهـم جـل ثنـاؤه: {ومـن أصـدق مـن الله قـيلا}، يقـول: ومـن أصـدق، أيهـا النـاس، مـن الله قـيلا أي: لا أحـد أصـدق منـه قـيلا! فكيـف تتركـون العمـل بمـا وعـدكم علـى العمـل بـه ربكـم جنـات تجـري مـن تحتهـا الأنهـار خالـدين فيهـا أبـدًا، وتكفـرون بـه وتخـالفون أمـره، وأنـتم تعلمـون أنـه لا أحـد أصـدق منـه قـيلا وتعملـون بمـا يـأمركم بـه الشـيطان رجـاءً لإدراك مـا يعـدكم مـن عداتـه الكاذبـة وأمانيـه

---

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (النسـاء) الآية (122)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الباطلة، وقد علمتم أن عداته غرورٌ لا صحة لها ولا حقيقة، وتتخذونه وليًّا من دون الله، وتتركون أن تطيعوا الله فيما يأمركم به وينهاكم عنه، فتكونوا له أولياء؟

* * *

ومعنى "القيل" و"القول" واحدٌ. (1)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) اِبْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ.

(قِيلًا) عَلَى الْبَيَانِ، قَالَ قِيلًا وَقَوْلًا وَقَالًا، بِمَعْنَى: لَا أَحَدَ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} " أي أنْهَارُ الماءِ واللَّبنِ والخمْرِ والعسل "

{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} " أي مقيمينَ في الجنَّة إلى الأبد، وإنَّما ذكرَ الطاعةَ مع الإيْمانِ وجمعَ بينهُما: فقال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} يُبَيِّنُ بطلانَ مَنْ يَتَوَهَّمُ أنه لا يَضُرُّ المعصيةُ والإخْلاَلُ بالطاعةِ مع الإيْمانِ " كما تنفعُ الطاعةُ مع الكفرِ أو لِيُبَيِّنَ استحقاقَ الثواب على كلِّ واحد من الأمرين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً} " انتصبَ (وَعْدَ) على المصدر، تقديرُه: وَعَدَ لَهُمُ اللهُ هذا وَعْداً حَقّاً كائناً " {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً} " أي ليس أحدٌ أصدقَ مِنَ اللهِ قَوْلاً ووَعْداً. (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِن اللهِ قِيلا} أي: لاَ أحد. (4)

* * *

قوله تعالى: (ومن أصدق من الله قيلاً)

وقال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - {قِيلًا}, وَقَوْلًا, وَاحِدٌ. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أدم بن أبي إياس حدثنا شعبة أخبرنا عمرو بن مُرّة سمعت مرة (الهمداني) يقول: قال (عبد الله): إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وشر الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين. (6)

* * *

قال: الإمَامُ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- وحدثني عبد بن المثنى: حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد، عن جعفر بن

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (122)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (122)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (122).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (122) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(5) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (النساء) الآية (122). برقم (ج 6/ ص 47).

(6) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (263/13)،(ح 7277) – (كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة)، /باب: (الاقتداء بسنن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -)،

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (310/3) بلفظ:((.. فإن أصدق الحديث (كتاب: الله ..)).

محمد، عن أبيه، عن (جابر بن عبد الله)، قال: كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه. حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبّحكم ومسّاكم. ويقول: بُعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرُنُ بين إصبعيه السبابة والوسطى. (1)

* * *

قال: الإمَام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ) الآية، لم يبين هنا شيئا من أمانيهم، ولا أماني أهل الكتاب، ولكنه أشار إلى بعض ذلك في مواضع أخر كقوله في أماني العرب الكاذبة (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين)

وقوله عنهم: (إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) ونحو ذلك من الآيات،

وقوله في أماني أهل الكتاب: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم) الآية.

وقوله: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) الآية. ونحو ذلك من الآيات. (2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لما بين تعالى جزاء الشرك والمشركين عبدة الشيطان بين في هذه الآية جزاء التوحيد والموحدين عبيد الرحمن عز وجل، وأنه تعالى سيدخلهم بعد موتهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار وأن خلودهم مقدر فيها بإذن الله ربهم فلا يخرجون منها أبداً وعدهم ربهم بهذا وعد الصدق، وليس هناك من هو أصدق وعداً ولا قولاً من الله تعالى. (3)

* * *

[١٢٣] ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ليس أمر النجاة والفوز تابعًا لما تتمنون أيها المسلمون- أو لما يتمناه أهل الكتاب، بل الأمر تابع للعمل، فمن يعمل منكم عملًا سيئًا يجازَ به يوم القيامة، ولا يجد له من دون الله وليًّا يجلب له النفع، ولا نصيرًا يدفع عنه الضر. (4)

* * *

يَعْنِي:- لا يُنال هذا الفضل العظيم بالأماني التي تتمنونها أيها المسلمون، ولا بأماني أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإنما يُنال بالإيمان الصادق بالله تعالى، وإحسان العمل الذي يرضيه. ومن يعمل عملا سيئًا يجز به، ولا يجد له سوى الله تعالى وليّاً

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (592/2)، (ح867)–(كتاب: الجمعة)، / باب: (تخفيف الصلاة والخطبة).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (122).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (122)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (98/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يتولى أمره وشأنه، ولا نصيراً ينصره، ويدفع عنه سوء العذاب.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن الجزاء ليس هو ما يتمناه ويحلم به الإنسان من غير عمل طيِّب مثمر، فليس الجزاء بما تتمنون - أيها المسلمون - ولا بما يتمناه ويحلم به أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإنما الجزاء والنجاة من العذاب بالإيمان والعمل الصالح، ومن يعمل سيئاً يُجْزَ به، ولا يجد له من دون الله من يواليه أو ينصره.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ} ... أيُّها المسلمونَ.

{لَيْسَ} ... أي: ليس ينال ما وعد الله من الثواب.

{بِأَمَانِيِّكُمْ} ... الخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به. ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين.

{بِأَمَانِيِّكُمْ} ... جمع أمنية: وهي ما يقدره المرء في نفسه ويشتهيه مما يتعذر غالباً تحقيقه.

{وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ} ... ولا بأماني أهل الكتاب، لمشاركتهم المسلمين في الإيمان بوعد الله.

{أَهْلِ الْكِتَابِ} ... اليهود والنصارى.

{مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً} ... مبتدأ، وهو شرط جوابُه:

{مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً} ... السوء: الشرك.

{سُوءاً} ... كل ما يسيء من الذنوب والخطايا.

{يُجْزَ بِهِ} ... عاجلًا أو آجلًا.

{وَلِيّاً} ... يتولى أمره فيدفع عنه المكروه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (مَن يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)

قال: الإِمَامْ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة. كلاهما عن ابن عُيينة (واللفظ لقتيبة) حدثنا سفيان عن ابن محيصن، شيخ من قريش، سمع محمد بن قيس بن مخرمة يُحدّث عن (أبي هريرة) قال: لَمّا نزلت (مَن يعمل سوءاً يُجز به) بلغتْ من المسلمين مبلغاً شديداً فقال: رسولُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((قاربوا وسدّدوا. ففي كلّ ما يصاب به المسلم كفارة. حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يُشاكها)).

قال: الإِمَامْ (مسلم) - في (صحيحه): هو عمر بن عبد الرحمن بن محيصن، من أهل مكة.(3)

* * *

وقال: الإِمَامْ (مُسلِم) - في (صحيحه) - والإِمَامْ (الترمذي) - في (سُننِه) - (رحمهما الله) - (بسندهما):- ، وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ} شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَشَكَوْا ذَلِكَ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (98/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (132/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(3) (صحيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1993/4)، (ح 2574) - (كتاب: البر والصلة والآداب)، / (باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض)

إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: " قَارِبُوا(1) وَسَدِّدُوا(2) وَفِي كُلِّ(3) (مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ، حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا(4) أَوْ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا") (5)

* * *

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) (بسنده):- حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه قال: سمعت سعيدَ بن يسار أبا الحباب يقول: سمعت (أبا هريرة) يقول، قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((من يرد الله به خيراً يصب منه)).(6)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: من يشرك يجز به، وهو "السوء"، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا، إلا أن يتوب قبل فيتوب الله عليه. (7)(8)

* * *

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):- , وعَنْ (أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ) قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: يَا رَسُولَ الله , كَيْفَ الصَّلَاحُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ , مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} فَكُلَّ سُوءٍ عَمِلْنَا جُزِينَا بِهِ؟ , فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ(9)؟ , أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ , أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ(10)؟ " , قَالَ: بَلَى، قَالَ: " فَهُوَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ " (11)

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ} لَيْسَ كَمَا تمنيتم يَا معشر الْمُؤمنِينَ أَن لَا تؤاخذوا بِسوء بعد الْإِيمَان {وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ} وَلَا كَمَا تمنى أهل الْكتاب لقَوْلهم مَا نعمل بِالنَّهَارِ من الذُّنُوب يغْفر بِاللَّيْلِ وَمَا نعمل بِاللَّيْلِ يغْفر بِالنَّهَارِ {مَن يعْمل سوءا} شرا {يُجْزَ بِهِ} الْمُؤمن فِي

---

(1) أيْ: اقْتَصِدُوا , فَلَا تَغْلُوا وَلَا تُقَصِّرُوا , بَلْ تَوَسَّطُوا. تحفة (ج 7 / ص 359).
(2) أيْ: اقْصِدُوا السَّدَادَ وَهُوَ الصَّوَابُ. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 359).
(3) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3038).
(صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2574).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (7380).
(4) (النَّكْبَةُ): مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ الْحَوَادِثِ. تحفة الأحوذي (ج 7 / ص 359).
(5) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2574).
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3038).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11122).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (7380).
(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (5645)، (ح 108/10)، (كتاب: المرضى)، / باب: (ما جاء في كفارة المرض ..).
(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (123).
(8) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (123). الطبعة: الثالثة - (1419 هـ).
(9) النَّصَب: التعب والجهد.
(10) اللَّأواء: الشدة والمشقة وضيق المعيشة.
(11) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (68 , 69 , 70).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (2926).
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4450).
انظر: (صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب) برقم (3430). للإِمَامْ (الألباني).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): صحيح بطرقه وشواهده.

الـدُّنْيَا أَو بعـد الْمَـوْت قبـل دُخُـول الْجنَّـة وَالْكَافِر فِـي الْـآخِرَة قبـل دُخُـول النَّـار أَو بعـد دُخُـول النَّـار {وَلاَ يَجِـدْ لَـهُ مِـن دُونِ اللهِ} مـن عَـذَاب الله {وَلِيّـاً} قَرِيبـا يَنْفَعـهُ {وَلا نَصِيراً} مَانِعا يمنعهُ. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {123} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {لَـيْسَ بِأَمَـانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَـانِيِّ أَهْـلِ الْكِتَـابِ} {النسـاء: 123} الْآيَـةَ، قَـالَ: (مَسْـرُوقٌ)، وَ(قَتَـادَةُ)، وَ(الضَّـحَّاكُ): أراد لـيس أمـانيكم أَيُّهَـا الْمُسْـلِمُونَ وَلاَ أَمَـانِيّ أَهْـل الْكِتَـاب يَعْنِـي الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى، وَذَلِـكَ أَنَّهُـمُ افْتَخَـرُوا، فَقَـالَ أَهْـلُ الْكِتَـاب: نَبِيُّنَـا قَبْـلَ نَبِـيِّكُمْ وَكِتَابُنَـا قَبْـلَ كِتَـابِكُمْ فَـنَحْنُ أَوْلَـى بِاللَّـهِ مِنْكُمْ،

وَقَـالَ الْمُسْـلِمُونَ: نَبِيُّنَـا خَـاتَمُ الْأَنْبِيَـاءِ وَكِتَابُنَـا يَقْضِـي عَلَـى الْكُتُـبِ، وَقَـدْ آمَنَّـا بِكِتَـابِكُمْ وَلَـمْ تُؤْمِنُـوا بِكِتَابِنَـا فـنحن أولى.

وقـال: (مجاهـد): أراد بقولـه: {لَـيْسَ بِأَمَـانِيِّكُمْ} {النسـاء: 123} يَـا مُشْـرِكِي أَهْـلِ الْكِتَـابِ، وَذَلِـكَ أَنَّهُـمْ قَـالُوا: لاَ بَعْـثَ وَلاَ حِسَابَ،

وَقَـالَ أَهْـلُ الْكِتَـابِ: {لَـنْ تَمَسَّـنَا النَّـارُ إِلاَّ أَيَّامًـا مَعْـدُودَةً} {البقـرة: 80}، و {لَـنْ يَـدْخُلَ الْجَنَّـةَ إِلاَّ مَـنْ كَـانَ هُـودًا أَوْ نَصَـارَى} {الْبَقَـرَة: 111} فَـأَنْزَلَ اللَّـهُ تَعَـالَى: {لَـيْسَ بِأَمَـانِيِّكُمْ} {النسـاء: 123} أَيْ: لَـيْسَ الْـأَمْرُ بِالْأَمَـانِي وَإِنَّمَـا الْـأَمْرُ بِالْعَمَـلِ الصَّـالِحِ، {مَـنْ يَعْمَـلْ سُـوءًا يُجْـزَ بِـهِ} {النسـاء: 123} قَـالَ: (ابْـنُ عَبَّـاسٍ وَسَـعِيدُ بْـنُ جُبَيْـرٍ وَجَمَاعَـةٌ): الْآيَـةُ عَامَّـةٌ فِـي حـق كـل عامل {وَلا يَجِـدْ لَـهُ مِـنْ دُونِ اللَّـهِ وَلِيًّـا وَلاَ نَصِـيرًا} {النسـاء: 123} (2)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- أي: {لَـيْسَ} الأمـر والنجـاة والتزكيـة {بِأَمَـانِيِّكُمْ وَلا أَمَـانِيِّ أَهْـلِ الْكِتَـابِ} والأمـاني: أحاديـث الـنفس المجـردة عـن العمـل، المقـترن بهـا دعـوى مجـردة لـو عورضـت بمثلـها لكانـت مـن جنسـها. وهـذا عـامّ في كـل أمـر، فكيـف بـأمر الإيمـان والسـعادة الأبدية؟!،

فـإن أمـاني أهـل الكتـاب قـد أخـبر الله بهـا أنهـم قـالوا: {لَـنْ يَـدْخُلَ الْجَنَّـةَ إلا مَـنْ كَـانَ هُـودًا أَوْ نَصَـارَى تِلْـكَ أَمَـانِيُّهُمْ} وغيرهـم ممـن لـيس ينتسب لكتاب ولا رسول من باب أولى وأحرى.

وكـذلك أدخـل الله في ذلـك مـن ينتسـب إلى الإسـلام لكمـال العـدل والإنصـاف، فـإن مجـرد الانتسـاب إلى أي ديـن كـان، لا يفيـد شـيئا إن لم يـأت الإنسـان ببرهـان علـى صـحة دعـواه، فالأعمـال تصـدق الـدعوى أو تكـذبها ولهـذا قـال تعـالى: {مَـنْ يَعْمَـلْ سُـوءًا يُجْـزَ بِـهِ} وهـذا شـامل لجميـع العـاملين، لأن السـوء شـامل لأي ذنـب كـان مـن صـغائر الـذنوب وكبائرهـا، وشـامل أيضـا لكـل جـزاء قليـل أو كـثير، دنيـوي أو أخروي.

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (النسـاء) الآيـة (123). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإِمَـامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (123).

والناس في هذا المقام درجات لا يعلمها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فمن كان عمله كله سوءا وذلك لا يكون إلا كافرا. فإذا مات من دون توبة جوزي بالخلود في العذاب الأليم.

ومن كان عمله صالحا، وهو مستقيم في غالب أحواله، وإنما يصدر منه بعض الأحيان بعض الذنوب الصغار فما يصيبه من الهم والغم والأذى و بعض الآلام في بدنه أو قلبه أو حبيبه أو ماله ونحو ذلك - فإنها مكفرات للذنوب، وهي مما يجزى به على عمله، قيضها الله لطفا بعباده، وبين هذين الحالين مراتب كثيرة.

وهذا الجزاء على عمل السوء العام مخصوص في غير التائبين، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما دلت على ذلك النصوص.

وقوله: {وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا} لإزالة بعض ما لعله يتوهم أن من استحق المجازاة على عمله قد يكون له ولي أو ناصر أو شافع يدفع عنه ما استحقه، فأخبر تعالى بانتفاء ذلك، فليس له ولي يحصل له المطلوب، ولا نصير يدفع عنه المرهوب، إلا ربه ومليكه.

{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ} دخل في ذلك سائر الأعمال القلبية والبدنية، ودخل أيضا كل عامل من إنس أو جن، صغير أو كبير، ذكر أو أنثى. ولهذا قال: {مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} وهذا شرط لجميع الأعمال، لا تكون صالحة ولا تقبل ولا يترتب عليها الثواب ولا يندفع بها العقاب إلا بالإيمان.

فالأعمال بدون الإيمان كأغصان شجرة قطع أصلها وكبناء بني على موج الماء، فالإيمان هو الأصل والأساس والقاعدة التي يبنى عليه كل شيء، وهذا القيد ينبغي التفطن له في كل عمل أطلق، فإنه مقيد به. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

لقول في تأويل قوله: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ}

قال: (أبو جعفر): اختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله: {ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب}.

فقال بعضهم: عُني بقوله: {ليس بأمانيكم}، أهل الإسلام.

القول في تأويل قوله: {وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (123)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ولا يجد الذي يعمل سوءاً من معاصي الله وخلاف ما أمره به.

{من دون الله}، يعني: من بعد الله، وسواه.

{وليًّا} يلي أمره، ويحمي عنه ما ينزل به من عقوبة الله.

{ولا نصيرًا}، يعني: ولا ناصراً ينصره مما يحلّ به من عقوبة الله وأليم نَكاله. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ} " أي ليس ثوابُ الله تعالى بأَمَانِيِّكُمْ، فإنَّ (لَيْسَ)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (123)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (123)، للإمَامْ (الطبري).

يقتضي اسماً ، واختلفوا في المخاطبين بهذه الآية. قال قتادة والضحّاك : (إنَّ أهْلَ الْكتَاب وَالمُسْلمِيْنَ افْتَخَرُواْ ، فَقَالَ أهْلُ الْكتَاب : نَبِيَّنَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ " وكتَابُنَا قَبْلَ كتَابكُمْ " وَنَحْنُ أوْلَى بِالله مِنْكُمْ. وَقَالَ الْمُسْلمُونَ : نَحْنُ أوْلَى بِالله مِنْكُمْ " نَبِيُّنَا خَاتَمُ النَّبِيِّيْنَ " وكتَابُنَا يَقْضِي عَلَى الْكُتُب الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهُ ، فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذه الآيَةَ).

وقال : (مجاهد):(الْمُخَاطَبُونَ بِهَا عَبَدَةُ الأَوْثَانِ " فَإِنَّهُمْ قَالُواْ : لاَ نُبْعَثُ وَلاَ نُحَاسَبُ ،

وَقَالَ أهْلُ الْكتَاب : لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاَّ أيَّاماً مَعْدُودَةً، فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ} . {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ} " ولا يَنْفَعُهُ تَمَنِّيْهِ ، والمرادُ بالسُّوء الكُفْرُ.

وقال بعضُهم : المخاطَب بها المسلمونَ " أي (مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِه) أي لَيس بِأمَانِيِّكُمْ يا معشرَ المسلمين أنْ لا تُؤَاخَذُواْ بِسُوءٍ بعد الإيْمان ،

{وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ} : لاَ يَدْخُلُ الجنَّةَ إلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أوْ نَصَارَى ، مَن يعمَلْ معصيةً يُجْزَ بذلك ولا ينفعه تَمنِّيه.

روي : أنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الآيَةُ " قَالَ : (أبُو بَكْر) رضي الله عنه : " يَا رَسُولَ الله " كَيْفَ الْفَلاَحُ بَعْدَ هَذه الآيَة ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : " غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أبَا بَكْر " ألَسْتَ تَمْرَضُ ؟ ألَسْتَ تَنْصَبُ ؟ ألَسْتَ تُصِيْبُكَ اللأْوَاءُ ؟ " قَالَ : بَلَى ، " فَهُوَ مَا تُجْزَوْنَ به".

وعن (أبي هريرة) -رضي الله عنه -أنهُ قَالَ : "لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الآيَةُ شَقَّ ذلكَ عَلَى الْمُسْلمِيْنَ ، فَشَكَوْا إلَى رَسُول الله – صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ : " قَارِبُواْ وَسَدِّدُواْ ". يقالُ : كلُّ ما يصيبُ المؤمن كفَّارَةٌ حتى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا في قدميه ، والنَّكْبَةُ يَنْكُبُهَا ".

قال (عطاءٍ):(لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ} قَالَ:(أبُو بَكْر) – رضي الله عنه : "هَذه قَاصمَةُ الظَّهْر يَا رَسُولَ الله " وَأيَّنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءاً ، وَإنَّا لَمَجْزِيُّونَ بكُلِّ سُوءٍ عملْنَاهُ؟! قَالَ : "إنَّمَا هِيَ الْمُصِيْبَات تَكُونُ فِي الدُّنْيَا ". فَقَالَ: (أبُو هُرَيْرَة):فَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ} بَكَيْنَا وَحَزِنَّا وَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله " مَا أبْقَتْ هَذه الآيَة منْ شَيْءٍ ، " أمَا وَالَّذي نَفْسِي بِيَده " لَكِمَا أنْزِلَتْ " وَلَكِنْ يَسِّرُواْ وَقَارِبُواْ وَسَدِّدُواْ " إنَّهُ لاَ يُصِيْبُ أحَدُكُمْ مُصِيْبَةً فِي الدُّنْيَا إلاَّ كَفَّرَ عَنْهُ بِهَا خَطِيْئَةً " حَتَّى الشوكَةَ يُشَاكُهَا فِي قَدَمه ".

وقال: (الحسنُ) في قوله تعالى : {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ} قال (الْكَافرُ ، وَأمَّا الْمُؤْمنُ فَلاَ يُجَازَى يَوْمَ الْقيَامَة إلاَّ بأَحسَن عَمَله وَيُتَجَاوزُ عَنْهُ سَيِّئَاته) ثمَّ قَرأَ {لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ} {الزمر : 35} وقرأَ {وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ} {سبأ : 35}.

ولولا السُّنة لأمكنَ ان يقالَ : إنَّ الآيةَ تنزلت في الكفَّار " لأنَّ في سياق الآية : {وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} " ومَنْ لم

يكن لـهُ يـومَ القيامةِ وليٌّ ولا نصيرٌ كـان كـافراً " لأنَّ اللهَ تعـالى قـد ضَـمِنَ نصـرَ المـؤمنين في الـدَّارين فقـالَ تعـالى : {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} {غافر : 51} . ولكـنَّ الخطـابَ إذا وَرَدَ مُجْمَلاً ، وبَيَّنَ الرسـول -عليه السلام- كَـانَ الْحُكْـمُ لِبَيَانِـهِ لاَ لِلآيَـةِ " إذ البَيَـانُ إِلَيْـهِ -صلى الله عليه وسلم -،

قَـالَ اللهُ تعـالى : {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} {النحل : 44} .(1)

* * *

[١٢٤] ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن يعمل من الأعمال الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن بالله تعالى حقًّا فأولئك الذين جمعوا بين الإيمان والعمل يدخلون الجنة، ولا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئًا، ولو كان شيئًا قليلًا قدر النقرة التي تكون في ظهر نواة التمر.(2)

* * *

يَعْنِي:- ومن يعمل من الأعمال الصالحة من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن بالله تعالى وبما أنزل من الحق، فأولئك يدخلهم الله الجنة دار النعيم المقيم، ولا يُنْقَصون من ثواب أعمالهم شيئًا، ولو كان مقدار النقرة في ظهر النواة.(3)

* * *

يَعْنِي:- ومن يعملون الأعمال الصالحة بالقدر الذى يستطيعونه وهم مؤمنون بالله ورسوله، فإنهم يدخلون جنة النعيم ولا ينقصون أى مقدار ولو كان ضئيلا. ولا فرق فى الجزاء بين الذكر والأنثى، لأن الأنثى مكلفة. لها جزاء الخير، وعليها عذاب الشر.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{نَقِيرًا} ... النقير: نقرة في ظهر النواة .

(أي:قَلِيلًا" كَالنَّقْرَةِ وَهِيَ الحُفْرَةُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ.

{نَقِيرًا} ... النقير: النكتة فى ظهر النواة، يضرب به المثل فى الشيء القليل.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قَالَ الإِمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):

قوله: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن)، قال: أبي أن يقبل الإيمان إلا بالعمل الصالح، وأبى أن يقبل الإسلام إلا بالإحسان.(5)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (123).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (98/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (98/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (132/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (116/2)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) -: {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ} الطَّاعَات فِيمَا بَينه وَبَين ربه {مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} من رجال أَو نسَاء {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} وَهُوَ مَعَ ذَلِك مُؤمن مُصدق بإيمانه {فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً} لاَ ينقص من حسناتهم قدر نقير وَهُوَ النقرة الَّتِي على ظهر النواة.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً} {النساء: 124} أَيْ: مِقْدَارُ النَّقِيرِ، وَهُوَ النَّقْرَةُ الَّتِي تَكُونُ فِي ظَهْرِ النَّوَاةِ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ} دخل في ذلك سائر الأعمال القلبية والبدنية، ودخل أيضا كل عامل من إنس أو جن، صغير أو كبير، ذكر أو أنثى.

ولهذا قال: {مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} وهذا شرط لجميع الأعمال، لا تكون صالحة ولا تقبل ولا يترتب عليها الثواب ولا يندفع بها العقاب إلا بالإيمان.

فالأعمال بدون الإيمان كأغصان شجرة قطع أصلها وكبناء بني على موج الماء، فالإيمان هو الأصل والأساس والقاعدة التي يبنى عليه كل شيء، وهذا القيد ينبغي التفطن له في كل عمل أطلق، فإنه مقيد به.

{فَأُولَئِكَ} أي: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح {يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ} المشتملة على ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين {وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} أي: لا قليلا ولا كثيرا مما عملوه من الخير، بل يجدونه كاملا موفرا، مضاعفا أضعافا كثيرة.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: الذين قال لهم: {ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب}، يقول الله لهم: إنما يدخل الجنة وينعم فيها في الآخرة، من يعمل من الصالحات من ذكوركم وإناثكم، وذكور عبادي وإناثهم، وهو مؤمن بي وبرسولي محمد، مصدق بوحدانيتي وبنبوّة محمد- صلى الله عليه وسلم- وبما جاء به من عندي، لا أنتم أيها المشركون بي، المكذبون رسولي، فلا تطمعوا أن تحلّوا، وأنتم كفار، محلَّ المؤمنين بي، وتدخلوا مداخلهم في القيامة، وأنتم مكذِّبون برسولي،

10535- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (124). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (124).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (124)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

عن (السدي) قوله: {ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن}، قال: أبى أن يقبل الإيمان إلا بالعمل الصالح، وأبَى أن يقبل الإسلام إلا بالإحسان.

* * *

وأما قوله: {ولا يظلمون نقيرًا}، فإنه يعني: ولا يظلم الله هؤلاء الذين يعملون الصالحات من ثواب عملهم، مقدارَ النُّقرة التي تكون في ظهر النَّواة في القلة، فكيف بما هو أعظم من ذلك وأكثر؟ وإنما يخبر بذلك جل ثناؤه عبادَه أنه لا يبخَسهم من جزاء أعمالهم قليلا ولا كثيرًا، ولكن يُوفّيهم ذلك كما وعدهم.(1)

* * *

قال: الإمام (القُرطُبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً (124)}. شَرَطَ الْإِيمَانَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَدْلَوْا بِخِدْمَةِ الْكَعْبَةِ وَإِطْعَامِ الْحَجِيجِ وَقِرَى الْأَضْيَافِ، وَأَهْلَ الْكِتَابِ بِسَبْقِهِمْ، وَقَوْلِهِمْ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ لَا تُقْبَلُ مِنْ غَيْرِ إِيمَانٍ.

وَقَرَأَ (يُدْخَلُونَ الْجَنَّةَ) الشَّيْخَانِ (أَبُو عَمْرٍو وَ(ابْنُ كَثِيرٍ) (بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْخَاءِ) عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ. الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْخَاءِ، يَعْنِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ. وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ النَّقِيرِ وَهِيَ النُّكْتَةُ في ظهر النواة.(2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وقوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً} فإنه تقرير لسنته تعالى في تأثير الكسب على النفس والجزاء بحسب حال النفس زكاة وطهراً وتدسية وخبثاً، فإنه من يعمل الصالحات وهو مؤمن تطهر نفسه ذكراً كان أو أنثى ويتأهل بذلك لدخول الجنة، ولا يظلم مقدار نقير فضلاً عما هو أكثر وأكبر.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} "أي وهو مصدِّقٌ بالثواب والعقاب، {فَأُوْلَائِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ} " في الآخرة، {وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً} " أي ولا يُنقَصون مما استحقوهُ من جزاء أعمالهم مقدارَ النَّقيرِ، وهو النُّقرَةُ التي تكون في ظهرِ النَّواة.(4)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (124)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (124)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (124)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (124).

[١٢٥] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ولا أحد أحسن دينًا ممن استسلم لله ظاهرًا وباطنًا وأخلص نيته له، وأحسن في عمله باتباع ما شرع، واتبع دين إبراهيم الذي هو أصل دين محمد - صلى الله عليه وسلم - مائلًا عن الشرك والكفر إلى التوحيد والإيمان. واصطفى الله نبيه إبراهيم -عليه السلام- بالمحبة التامَّة من بين سائر خلقه.(1)

* * *

يَعْنِي:- لا أحد أحسن دينًا ممن انقاد بقلبه وسائر جوارحه لله تعالى وحده، وهو محسن، واتبع دين إبراهيم وشرعه، مائلا عن العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة. وقد اصطفى الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- واتخذه صفيّاً من بين سائر خلقه. وفي هذه الآية، إثبات صفة الخُلّة لله -تعالى- وهي أعلى مقامات المحبة، والاصطفاء.(2)

* * *

يَعْنِي:- وإن أساس عمل الخير منبعث من الاعتقاد السليم، وأحسن الدين أن يخلص لله - تعالى - فيجعل وجهه وعقله ونفسه لله لا يطلب سوى رضا الله سبحانه، وبذلك تستقيم مداركه فيدرك رسالة الرسل، وأن يقوموا بصفة مستمرة بأحسن الأعمال، ويتبعوا فى ذلك أبا الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - فدينه هو دين الله، وهو الدين الذى يتجه إلى طلب الحق دائماً. وأن إبراهيم هو الذى تلتقى عنده الوحدة الدينية للمسلمين واليهود والنصارى، فاتبعوا طريقه، وأن الله أكرم إبراهيم فسماه خليلا.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَمَنْ} ... أَيْ لَا أَحَد.

{أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ} ... أَيْ: انْقَادَ وَأَخْلَصَ عَمَلَهُ.

{أَسْلَمَ} ... انْقَادَ، وَاسْتَسْلَمَ.

{لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} ... مُوَحِّد.

{وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} ... الْمُوَافِقَة لِمِلَّةِ الْإِسْلَام.

{حَنِيفًا} ... مَائِلًا عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيد.

{خَلِيلًا} ... صَفِيًّا.

{حَنِيفًا} ... حَال أَيْ مَائِلًا عَنْ الْأَدْيَان كُلّهَا إِلَى الدِّين الْقَيِّم.

{وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} ... صَفِيًّا خَالِص الْمَحَبَّة لَهُ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن)

قال الإمَامْ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (98/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (98/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (132/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

العالية): قوله : (ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) يقول : من أخلص لله. (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وقوله تعالى: {ومَن أحسَنُ ديناً ممَّنْ أَسلَمَ وَجهَهُ لِلَّه وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} إشادة منه تعالى وتفضيل للدين الإسلامي على سائر الأديان غذ هو قائم على أساس إسلام الوجه لله وكل الجوارح تابعة له تدور في فلك طاعة الله تعالى مع الإحسان الكامل، وهو إتقان العبادة وأداؤها على نحو ما شرعها الله تعالى واتباع ملة إبراهيم بعبادة الله تعالى وحده والكفر بما سواه من سائر الآلهة. وقوله {واتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} فيه زيادة تقرير فضل الإسلام الذي هو دين إبراهيم الذي اتخذه ربه خليلاً. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينـاً} أحكم دينا وأحسن قولا {ممَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} أخلص دينه وعمله لله {وَهُوَ مُحْسِنٌ} موحد محسن بالْقَوْل وَالْفِعْل {واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً} مُسلما {وَاتخذ الله إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} مصافياً. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {125} {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا} أَحْكَمُ دِينًا {مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} أَيْ: أَخْلَصَ عَمَلَهُ لِلَّهِ، يَعْنِي:- فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ، {وَهُوَ مُحْسِنٌ} أَيْ: مُوَحِّدٌ، {وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} يَعْنِي: دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، {حَنِيفًا} أَيْ: مُسْلِمًا مُخْلِصًا،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: وَمِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ الصَّلَاةُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَالطَّوَافُ بِهَا وَمَنَاسِكُ الْحَجِّ، وَإِنَّمَا خُصَّ بِهَا إِبْرَاهِيمُ لِأَنَّهُ كَانَ مَقْبُولًا عِنْدَ الْأُمَمِ أَجْمَعَ،

يَعْنِي:- لِأَنَّهُ بُعث على ملة إبراهيم وزيدت لَهُ أَشْيَاءُ. {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} صفيا، والخلة: صفاء المودة،

قَالَ: (الزَّجَّاجُ): مَعْنَى الْخَلِيلِ الَّذِي لَيْسَ فِي مَحَبَّتِهِ خَلَلٌ، وَالْخُلَّةُ: الصَّدَاقَةُ، فَسُمِّيَ خَلِيلًا لِأَنَّ اللَّهَ أحبه واصطفاه. (4)

* * *

وانظر: سورة (البقرة) آية (135) لبيان كلمة: حنيفاً. - كما قال تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135)}..

* * *

قوله تعالى: (وا تخذ الله إبراهيم خليلاً)

قال: الإمَامُ (مسلم) – (رحمه الله) - في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا أبو معاوية ووكيع. ح وحدثنا إسحاق

---

(1) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (117/2)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين)،

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (125)، للإمام: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (125). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (125).

بن إبراهيم. أخبرنا جرير. ح وحدثنا ابن أبي عمر. حدثنا سفيان. كلهم عن الأعمش. ح وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير وأبو سعيد الأشج (واللفظ لهما) قالا: حدثنا وكيع. حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن أبي الأحوص، عن (عبد الله) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((ألا إني أبرأ إلى كل خِلٍّ من خله ولو كنت متخذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً. إن صاحبكم خليل الله)).(1)

* * *

قال: الإمَامُ (النسائي) - (رحمه الله) - في (السُنن الكبرى) - (بسنده):- , وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاس) - رضي الله عنهما - قَالَ: أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ - عليه السلام - وَالْكَلَامُ لِمُوسَى - عليه السلام - وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم -؟.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {125} {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} .

أي: لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود، وهو إسلام الوجه لله الدال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته وإخلاصه، وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله.

{وَهُوَ} مع هذا الإخلاص والاستسلام {مُحْسِنٌ} أي: متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله، وأنزل كتبه، وجعلها طريقا لخواص خلقه وأتباعهم.

{وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} أي: دينه وشرعه {حَنِيفًا} أي: مائلا عن الشرك إلى التوحيد، وعن التوجه للخلق إلى الإقبال على الخالق،

{وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا} والخُلة أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليلين (محمد وإبراهيم) - عليهما الصلاة والسلام- ، وأما المحبة من الله فهي لعموم المؤمنين، وإنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لأنه وفَّى بما أُمر به وقام بما ابْتلي به، فجعله الله إماما للناس، واتخذه خليلا ونوه بذكره في العالمين.(3)

* * *

قال: الإمَام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} أَخْلَصَ الْعَمَلَ لِرَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَعَمِلَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا {وَهُوَ مُحْسِنٌ} أَيْ: اتَّبَعَ فِي عَمَلِهِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُ، وَمَا أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَهَذَانِ الشَّرْطَانِ لَا يَصِحُّ عَمَلُ عَامِلٍ بِدُونِهِمَا، أَيْ: يَكُونُ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِلشَّرِيعَةِ فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمن فَقَدَ الْعَمَلُ أَحَدَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَسَدَ. فَمَنْ فقد الإخلاص كان منافقًا، وهم الذين يراءون النَّاسَ، وَمَنْ فَقَدَ

(1) (صحيح) : أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1856/4) – (فضائل الصحابة)، / باب: (من فضائل أبي بكر الصديق) – رضي الله عنه -).

(2) أخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11539).

وأخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (3747).

و(صححه الإِمَامُ (الألباني) في (ظلال الجنة) برقم (442).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (125)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الْمُتَابَعَةَ كَانَ ضَالًّا جاهلًا. ومَتَى جمعهما فهُو عَمَلُ الْمُؤْمِنينَ: {الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} {الْأَحْقَاف: 16}"

وَلهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} وهُم مُحَمَّدٌ وَأَتْبَاعُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} {آل عمران: 68}،

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {الْأَنْعَام: 161}

وَ {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {النَّحْل: 123} والحَنِيفُ: هُوَ الْمَائِلُ عَنِ الشِّرْكِ قَصْدًا، أَيْ تَارِكًا لَهُ عَنْ بَصِيرَة، ومُقْبِلٌ عَلَى الْحَقِّ بِكُلِّيَّتِهِ، لاَ يَصُدُّهُ عَنْهُ صَادٌّ، وَلاَ يَرُدُّهُ عَنْهُ رَادٌّ.

وَقَوْلُهُ: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا} وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّرْغِيبِ فِي اتِّبَاعِهِ" لأَنَّهُ إِمَامٌ يُقْتَدَى بِهِ، حَيْثُ وَصَلَ إِلَى غَايَةِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعِبَادُ لَهُ، فَإِنَّهُ انْتَهَى إِلَى دَرَجَةِ الخُلَّةِ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ مَقَامَاتِ الْمَحَبَّةِ، وَمَا ذَاكَ إِلا لِكَثْرَةِ طَاعَتِهِ لِرَبِّهِ،

كَمَا وَصَفَهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} {النَّجْم: 37}،

قَالَ كَثِيرُونَ مِنَ السَّلَف: أَيْ قَامَ بِجَمِيعِ مَا أُمِرَ بِهِ ووفَّى كُلَّ مَقَامٍ مِنْ مَقَامَاتِ الْعِبَادَة،

فَكَانَ لاَ يَشْغَلُهُ أَمْرٌ جَلِيلٌ عَنْ حَقِيرٍ، وَلاَ كَبِيرٌ عَنْ صَغِيرٍ.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} الْآيَةَ {الْبَقَرَة: 124}.

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} {النَّحْل: 120-122}.

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: إِنَّ مُعَاذًا لَمَّا قَدِمَ الْيَمَنَ صَلَّى الصُّبْحَ بِهِمْ: فَقَرَأَ: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا} فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: لَقَدْ قَرَّتْ عَيْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ.

فَوَجَدُوا دَقِيقًا فَعَجَنُوا وَخَبَزُوا مِنْهُ فَاسْتَيْقَظَ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ الدَّقِيقِ الَّذِي مِنْهُ خَبَزُوا، فَقَالُوا: مِنَ الدَّقِيقِ الَّذِي جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ خَلِيلِكَ فَقَالَ: نَعَمْ، هُوَ مِنْ خَلِيلِي اللَّهِ. فَسَمَّاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ خَلِيلًا.

وَفِي صِحَّةِ هَذَا وَوُقُوعِهِ نَظَرٌ، وَغَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا إِسْرَائِيلِيًّا لاَ يُصَدَّقُ وَلاَ يُكَذَّبُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ خَلِيلَ اللَّهِ لِشِدَّةِ مَحَبَّةِ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، لَهُ، لِمَا قَامَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا وَيَرْضَاهَا"

وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، - مِنْ حَدِيثِ- (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا خَطَبَهُمْ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ

خطبَهَا قَالَ: ((أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ)).[1]

وَجَاءَ -مِنْ طَرِيقِ -جُنْدُبُ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِي، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَ(عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)).[2]

وَقَالَ: (قَتَادَةَ)، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَنَّهُ قَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَالْكَلَامُ لِمُوسَى، وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.[3]

رَوَاهُ الْإِمَامُ (الْحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِهِ)، وَقَالَ: (صَحِيحٌ) عَلَى شَرْطِ الْإِمَامِ (الْبُخَارِيِّ)، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

(1) (متفق عليه) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3654)، - وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2382).،- ولفظه : "صاحبكم خليل الله" هي من حديث (عبد الله بن مسعود)،
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2383) .

(2) أما حديث –(جندب بن عبد الله)، فرواه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (532)، وأما حديث -عبد الله بن عمرو)،
فرواه الإمام (البيهقي) في (شعب الإيمان) برقم (9616) ،
وأما حديث – (عبد الله بن مسعود)، فرواه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (2383) .

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4114،3737).
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (التوحبد) برقم (479/2)،
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (1159) .
و(صححه) الإمام (الألباني) في (ظلال الجنة) رقم (442).

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ)، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَالْأَئِمَّةِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ.[4]

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):–

القول في تأويل قوله : {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}

قال أبو جعفر: وهذا قضاء من الله جل ثناؤه للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها، يقول الله،

{ومن أحسن دينًا} أيها الناس، وأصوبُ طريقًا، وأهدى سبيلا،

{ممن أسلم وجهه لله} ، يقول: ممن استسلم وجهه لله فانقاد له بالطاعة، مصدقًا نبيه محمدًا –صلى الله عليه وسلم – فيما جاء به من عند ربه،

{وهو محسن} ، يعني: وهو عاملٌ بما أمره به ربه، محرِّم حرامه ومحلِّل حلاله ،

{واتَّبع ملة إبراهيم حنيفًا} ، يعني بذلك: واتبع الدين الذي كان عليه إبراهيم خليل الرحمن، وأمر به بنيه من بعده وأوصاهم به ،

{حنيفًا} ، يعني: مستقيمًا على منهاجه وسبيله .

10538- حدثني يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن (الضحاك) قال: فضّل الله الإسلام على كل

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (125)، للإِمَامْ (ابن كثير).

دين فقال: {ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن} إلى قوله: {وا تخذ الله إبراهيم خليلا}، وليس يقبل فيه عملٌ غير الإسلام، وهي الحنيفيّة.

* * *

القول في تأويل قوله: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا (125)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: {وا تخذ الله إبراهيم وليًا}.

فإن قال قائل: وما معنى "الخُلَّة" التي أعطِيها إبراهيم؟

قيل: ذلك من إبراهيم - عليه السلام: العداوةُ في الله والبغض فيه، والولاية في الله والحب فيه، على ما يعرف من معاني "الخلة". وأما من الله لإبراهيم، فنُصرته على من حاوله بسوء، كالذي فعل به إذ أراده نمرود بما أراده به من الإحراق بالنار فأنقذَه منها، أو على حجته عليه إذ حاجّه= وكما فعل بملك مصر إذ أراده عن أهله = وتمكينه مما أحب= وتصييره إمامًا لمن بعدَه من عباده، وقدوةً لمن خلفه في طاعته وعبادته. فذلك معنى مُخَالَّته إياه.

وقد قيل: سماه الله {خليلا}، من أجل أنه أصابَ أهلَ ناحيته جدْبٌ، فارتحل إلى خليل له من أهل الموصل.

وقال بعضهم: من أهل مصر، في امتيار طعام لأهله من قبله، فلم يصب عنده حاجته. فلما قرب من أهله مرَّ بمفازة ذات رمل، فقال: لو ملأت غرائري من هذا الرمل، لئلا أغُمَّ أهلي برجوعي إليهم بغير ميرة، وليظنوا أنّي قد أتيتهم بما يحبون! ففعل ذلك، فتحوَّل ما في غرائره من الرمل دقيقًا، فلما صار إلى منزله نام. وقام أهله، ففتحوا الغرائر، فوجدوا دقيقًا، فعجنوا منه وخبزوا. فاستيقظ، فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا، فقالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك! فعلم، فقال: نعم! هو من خليلي الله! قالوا: فسماه الله بذلك "خليلا". (1)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً) فَضَّلَ دِينَ الْإِسْلَامِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ و (أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) مَعْنَاهُ أَخْلَصَ دِينَهُ لِلَّهِ وَخَضَعَ لَهُ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): أَرَادَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَانْتَصَبَ (دِيناً) عَلَى الْبَيَانِ.

(وَهُوَ مُحْسِنٌ) ابْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ مُوَحِّدٌ فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا الْإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَالْمِلَّةُ الدِّينُ، وَالْحَنِيفُ الْمُسْلِمُ. (2)

* * *

[١٢٦] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (125)، للإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (125)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

ولله وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض، وكان الله محيطًا بكل شيء من خلقه علمًا وقدرة وتدبيرًا.[1]

* * *

يَعْنِي:- ولله جميع ما في هذا الكون من المخلوقات، فهي ملك له تعالى وحده. وكان الله تعالى بكل شيء محيطًا، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.[2]

* * *

يَعْنِي:- وإن الإخلاص لله وإسلام الوجه إليه، هو إخلاص لمن أنشأ هذا الوجود وملكه، فلله كل ما فى السموات والأرض، من نجوم وأفلاك وشمس وقمر وجبال ووهاد وصحارٍ ومزارع، وهو مستبين كل شئ، وهو الذى يعلم علم إحاطة بكل ما يعمل الإنسان، ويجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً.[3]

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}... مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا.

{وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ}... أي له ملك السموات والأرض، فطاعته واجبة عليهم.

{وَكانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً}.... فكان الله عالما بأعمالهم مجازيهم على خيرها وشرها، فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلح لها.

{مُحِيطاً}... علماً وقدرة إذ الكون كله تحت قهره ومدار بقدرته وعلمه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض} من الْخلق والعجائب كلهم عبيده وإماؤه.

{وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ} من أهل السَّمَوَات وَالْأَرْض {محيطا} عَالما.[4]

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {126} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا} {النساء: 126} أَيْ: أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ.[5]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {126} {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا}.

وهذه الآية الكريمة فيها بيان إحاطة الله تعالى بجميع الأشياء، فأخبر أنه له {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ} أي: الجميع ملكه وعبيده، فهم المملوكون وهو المالك المتفرد بتدبيرهم، وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئته وقدرته

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (98/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (98/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (132/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (126). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (126).

بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسماوات، وقهر بعزه وقهره كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء.(1)

* * *

قال : الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} أَيْ: الْجَمِيعُ مِلْكُهُ وَعَبِيدُهُ وَخَلْقُهُ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، لاَ رَادَّ لِمَا قَضَى، وَلاَ مُعَقِّبَ لِمَا حَكَمَ، وَلاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، لِعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ وَلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا} أَيْ: عِلْمُهُ نَافِذٌ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ عِبَادِهِ، وَلاَ يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السموات وَلاَ فِي الأَرْضِ، وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ، وَلاَ تَخْفَى عَلَيْهِ ذَرَّةٌ لِمَا تَرَاءَى لِلنَّاظِرِينَ وَمَا تَوَارَى.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- القول في تأويل قوله تعالى : {وَللَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا (126)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: {وا تخذ الله إبراهيم خليلا}، لطاعته ربَّه، وإخلاصه العبادة له، والمسارعة إلى رضاه ومحبته، لا من حاجة به إليه وإلى خُلَّته. وكيف يحتاج إليه وإلى خلَّته، وله ما في السموات وما في الأرض من قليل وكثير ملكًا، والمالك الذي إليه حاجة مُلْكه، دون حاجته إليه؟ يقول: فكذلك حاجة إبراهيم إليه، لا حاجته إليه فيتخذه من أجل حاجته إليه خليلا ولكنه اتخذه خليلا لمسارعته إلى رضاه ومحبته. يقول: فكذلك فسارعوا إلى رضايَ ومحبتي لأتخذكم لي أولياء،

{وكان الله بكل شيء محيطًا}، ولم يزل الله محصيًا لكل ما هو فاعله عباده من خير وشرّ، عالمًا بذلك، لا يخفى عليه شيء منه، ولا يعزب عنه منه مثقال ذرَّة.(3)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّماوات وما في الْأَرْضِ) أَيْ مِلْكًا وَاخْتِرَاعًا. وَالْمَعْنَى إِنَّهُ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا بِحُسْنِ طَاعَتِهِ لَا لِحَاجَتِهِ إِلَى مُخَالَّتِهِ وَلَا لِلتَّكْثِيرِ بِهِ وَالِاعْتِضَادِ، وَكَيْفَ وَلَهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الْأَرْضِ؟ وَإِنَّمَا أَكْرَمَهُ لِامْتِثَالِهِ لِأَمْرِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَكانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً) أي أحاط علمه بكل الأشياء.(4)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وقوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً} زيادة على أنه إخبار بسعة ملك الله تعالى وسعة علمه وقدرته وفضله فإنه رفع لما قد يتوهم من خلة إبراهيم أن الله

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (126)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (126)، لِلْإِمَامِ (ابن كثير).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (126)، لِلْإِمَامِ (الطبري).

(4) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (126)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

تعالى مفتقر إلى إبراهيم أو له حاجة إليه، فأخبر تعالى أن له ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً، وإبراهيم في جملة ذلك فكيف يفتقر إليه أو يحتاج إلى مثله وهو رب كل شيء وملكه.(1)

* * *

[١٢٧] ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويسألونك أيها الرسول- ﷺ - في أمر النساء وما يجب لهن وعليهن، قل: الله يبين لكم ما سألتم عنه، ويبين لكم ما يتلى عليكم في القرآن، في شأن اليتامى من النساء اللاتي تحت ولايتكم، ولا تؤتونهن ما فرض الله لهن من المهر أو الميراث، ولا ترغبون في نكاحهن، وتمنعونهن من النكاح طمعًا في أموالهن، ويبين لكم ما يجب في المستضعفين من الصغار، من إعطائهم حقهم من الميراث، وألا تظلموهم بالاستيلاء على أموالهم، ويبين لكم وجوب القيام على اليتامى بالعدل بما يصلح شأنهم في الدنيا والآخرة، وما تفعلوا من خير لليتامى وغيرهم فإن الله عليم به، وسيجازيكم به.(2)

* * *

يَعْنِي:- يطلب الناس منك أيها النبي- ﷺ - أن تبين لهم ما أشكل عليهم فَهْمُه من قضايا النساء وأحكامهن، قل الله تعالى يبيِّن لكم أمورهن، وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تعطونهن ما فرض الله تعالى لهن من المهر والميراث وغير ذلك من الحقوق، وتحبون نكاحهن أو ترغبون عن نكاحهن، ويبيِّن الله لكم أمر الضعفاء من الصغار، ووجوب القيام لليتامى -وهم الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ- بالعدل وترك الجور عليهم في حقوقهم. وما تفعلوا من خير فإن الله تعالى كان به عليمًا، لا يخفى عليه شيء منه ولا من غيره.(3)

* * *

يَعْنِي:- قد استفتى الناس النبى فى شأن النساء وكنّ ولا يزلن ضعيفات، فبيَّن الله لنبيه أن يبين حال النساء وحال الضعفاء فى الأسرة من الولدان واليتامى، وذكر أن يتامى النساء اللاتى يُزوجن ولا يأخذن مهورهن، والأولاد، واليتامى، كل هؤلاء يعاملون بالعدل والرحمة والرعاية، وأن كل ما يفعل

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (126)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (98/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (98/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

من خير فإن الله يعلمه وهو الذى سيجزى به.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَيَسْتَفْتُونَكَ} ... يَطْلُبُونَ مِنْكَ الْفَتْوَى.

(أي: يطلبون منك الفتيا في شأن النساء وميراثهن).

{فِي} ... شَأْن. {النِّسَاء} ... وَمِيرَاثهنَّ.

{قُلْ} ... لَهُمْ.

{اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَاب} ... الْقُرْآن مِنْ آيَة الْمِيرَاث وَيُفْتِيكُمْ أَيْضًا.

{مَا كُتِبَ لَهُنَّ} ... ما فرض لهن من المهور والميراث.

{ما كُتِبَ لَهُنَّ} ...أي: ما فرض لهن من الميراث. وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه، ومالها إلى ماله، فإن كانت جميلة تزوجها، وأكل المال، وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها.

{فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ} ... فُرِضَ. {لَهُنَّ} ... مِنْ الْمِيرَاث ..

{وَتَرْغَبُونَ} ... أَيّهَا الْأَوْلِيَاء عَنْ.

{أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} لِدَمَامَتِهِنَّ وَتَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ طَمَعًا فِي مِيرَاثهنَّ أَيْ /يُفْتِيكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا ذَلِكَ.

{و} ... فِي {الْمُسْتَضْعَفِينَ} ... الصِّغَار.

{مِنْ الْوِلْدَان} ... أَنْ تُعْطُوهُمْ حقوقهم.

{و} ... يأمركم.

{أَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ} ... بِالْعَدْلِ فِي الْمِيرَاث وَالْمَهْر.

{بِالْقِسْط} ... بِالْعَدْلِ.

{وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} ... يقرأ عليكم في القرآن.

{ما يُتْلَى عَلَيْكُمْ} ... في محل رفع، أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى. ويجوز أن يكون ما يُتْلَى عَلَيْكُمْ مبتدأ، وخبره فِي الْكِتَاب على أنها جملة معترضة.

{فِي الْكِتَاب} ... يعني: اللوح المحفوظ، تعظيما للمتلو عليهم.

{فِي يَتَامَى} ... النِّسَاءِ صلة لقوله تعالى يُتْلَى عليكم فى معناهن.

{وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} ... أي : لجمالهن، ويجوز أن تنكحوهن لدمامتهن.

{وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} ... مجرور عطفا على يتامى النساء، أي يفتيكم فى يتامى النساء وفى المستضعفين.

{وَأَنْ تَقُومُوا} .... عطف على ما قبله، أي وفى أن تقوموا. ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى: ويأمركم أن تقوموا.

وهو خطاب للأئمة فى أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم، ولا يدعوا أحدا يهتضمهم.

{وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا} فَيُجَازِيكُمْ بِهِ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) -(بسنده):- حدثنا عُبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا هشام بن عروة عن

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (133/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

أبيـه عـن (عائشـة) -رضـي الله عنهـا - (ويسـتفتونك في النسـاء قـل الله يفتيكم فيهن ومـا يتلى عليكم في الكتـاب في يتـامى النسـاء اللاتي لاتؤتونهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكحوهن) قالت (عائشة): هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها فأشركته في ماله حتى في العذق. فيرغب أن ينكحها ويكره أن يُزوجها رجلاً فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها، فنزلت هذه الآية. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى (وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء) الآية. لم يبين هنا هذا الذي يتلى عليهم في الكتاب ماهو، ولكنه بينه في أول السورة وهو قوله تعالى (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) الآية. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النسـآء} يَسْـأَلُونَك فِـي مِيرَاث النِّسَاء سَأَلَهُ ذَلِك عُيَيْنَة {قُـل الله يُفْتِيكُمْ} يبين لكم {فِيهِنَّ} فِي ميراثهن {وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُم} وَيبين مَا قرىء عَلَيْكُم {فِي الْكتاب} فِي أول هَذِه السُّورَة {فِي يتامى النِّسَاء} فِي بَنَات أم كحة {اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ} لاَ تعطونهن {مَا كُتِبَ لَهُنَّ} ماوجب لَهُنَّ من الْمِيرَاث وَقد بيَّن الله هَذِه الْآيَة فِي أول هَذِه السُّورَة {وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ} يَعْنِي ترغبون عَن نِكَاحهنَّ لقبل دمامتهن فأعطوهن أموالهن لكَي ترغبوا فِي نِكَاحهنَّ لقبل مَالهن {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ} وَيبين لكم مِيرَاث الصّبيان {وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ} وَيبين لكم أَن تقوموا بِحِفْظ مَال الْيَتَامَى بِالْقِسْطِ بِالْعَدْلِ {وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ} من إِحْسَان إِلَى هَؤُلَاءِ {فَإِنَّ الله كَانَ بِهِ} وبنياتكم {عَلِيماً}. (3)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {127} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ} {النساء: 127} الآية، قَالَتْ: (عَائِشَةُ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ، وَهُوَ وَلِيُّهَا فَيَرْغَبُ فِي نِكَاحِهَا إِذَا كَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَمَالٍ بِأَقَلَّ مِنْ سُنَّةِ صَدَاقِهَا، وَإِذَا كَانَتْ مَرْغُوبَةً عَنْهَا فِي قِلَّةِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ تَرَكَهَا،

وَفِي رِوَايَةٍ هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ قَدْ شَرِكَتْهُ فِي مَالِهِ فَيَرْغَبُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا لِدَمَامَتِهَا وَيَكْرَهُ أَنْ يُزَوِّجَهَا غَيْرَهُ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ فَيَحْبِسُهَا حَتَّى تَمُوتَ فَيَرِثُهَا، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَيَسْتَفْتُونَكَ) أَيْ: يَسْتَخْبِرُونَكَ فِي النِّسَاءِ،

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (114/8)، (ح 4600) – (كتاب : تفسير القرآن)، (سورة النساء)، /باب:(الآية).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (127).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (127). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ) ، {وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ} قيل: معناه ويفتيكم فيما يتلى عليكم،

يَعْنِي:- يريد الله أن يفتيكم فيهن وكِتَابُهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ} قوله: {فِي يَتَامَى النِّسَاءِ} هَذَا إِضَافَةُ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْيَتَامَى النِّسَاءَ، {اللاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ} أَيْ: لَا تُعْطُونَهُنَّ، {مَا كُتِبَ لَهُنَّ} مِنْ صَدَاقِهِنَّ، {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} أَيْ: فِي نِكَاحِهِنَّ لِمَالِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ بِأَقَلَّ مِنْ صَدَاقِهِنَّ، وَقَالَ الْحَسَنُ وجماعة: أراد لا تُؤْتُونَهُنَّ حَقَّهُنَّ مِنَ الْمِيرَاثِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ، وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ، أَيْ: عَنْ نِكَاحِهِنَّ لِدمامتهن، {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ} يُرِيدُ: وَيُفْتِيكُمْ فِي الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَهُمُ الصِّغَارُ، أَنْ تُعْطُوهُمْ حُقُوقَهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ الصِّغَارَ، يُرِيدُ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي بَابِ الْيَتَامَى مِنْ قَوْلِهِ: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ} يَعْنِي بِإِعْطَاءِ حُقُوقِ الصِّغَارِ، {وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ} أَيْ: وَيُفْتِيكُمْ فِي أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ بِالْعَدْلِ فِي مُهُورِهِنَّ وَمَوَارِيثِهِنَّ، {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا} {النساء: 127} يجازيكم عليه. (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- فقال تعالى وهو يخاطب نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ} أي: وما زالوا يستفتونك في النساء، أي: في شأن مالهن وما عليهن من حقوق" كالإرث والمهر وما إلى ذلك. قل لهم أيها الرسول- {اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ} وقد أفتاكم فيهن وبين لكم مالهن وما عليهن.

وقوله تعالى: {وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} أي: وما يتلى عليكم في يتامى النساء في أول السورة كاف لا تحتاجون معه إلى من يفتيكم أيضاً، إذ بين لكم أن من كانت تحته يتيمة دميمة لا يرغب في نكاحها فليعطها مالها وليزوجها غيره وليتزوج هو من شاء، ولا يحل له أن يحبسها في بيته لأجل مالها، وإن كانت جميلة وأراد أن يتزوجها فليعطها مهر مثيلاتها ولا يبخسها حقها من مهرها شيئاً.

وقوله: {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ} أي: وقد أفتاكم بما يتلى عليكم من الآيات في أول السورة في المستضعفين من الولدان حيث قد أعطاهم حقهم وافياً في آية {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} الآية.

فلم هذه المراجعات والاستفتاءات؟ وقوله تعالى: {وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ} أي: وما تلى عليكم في أول السورة كان آمراً إياكم بالقسط لليتامى والعدل في أموالهم فارجعوا إليه في قوله: {وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} ، وقوله تعالى في ختام الآية {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (127).

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً﴾ حث لهم على فعل الخير بالإحسان إلى الضعيفين المرأة واليتيم زيادة على توفيتهما حقوقهما وعدم المساس بهما. هذا ما دلت عليه الآية الكريمة: {وَيَسْتَفْتُونَكَ ...} إلخ. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما) (الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: (في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكحوهن) فكان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه، فإذا فعل بها ذلك لم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً، فإن كانت جميلة وهويها تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجل أبداً حتى تموت، فإذا ماتت ورثها فحرم الله ذلك ونهى عنه. (2)(3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيريهما):- (بسندهما) (الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: قوله (والمستضعفين من الولدان) فكانوا في الجاهلية لايورثون الصغار ولا البنات، فذلك قوله: (لا تؤتونهن ما كتب لهن) فنهى الله عن ذلك وبين لكل ذي سهم سهمه، فقال: (للذكر مثل حظ الأنثيين) صغيرا كان أو كبيرا. (4)(5)

* * *

قال: الإمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- القسط العدل، ولم يبين هنا هذا القسط الذي أمر به لليتامى، ولكنه أشار له في مواضع أخر كقوله: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن)

وقوله: (قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح)

وقوله: (فأما اليتيم فلا تقهر)

وقوله: (وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى) الآية. ونحو ذلك من الآيات فكل ذلك فيه القيام بالقسط لليتامى. (6)

* * *

قال: الإمَامُ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (شيبان) – عن (قتادة): يعني قوله: (فإن الله كان به عليما) قال: محفوظ ذلك عند الله، عالم به شاكر له ... (7)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

{127} {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ}، الاستفتاء: طلب السائل من المسئول بيان الحكم الشرعي في ذلك المسئول

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (127)، للإمام: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (127).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (127).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (127).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (127).

(6) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (127).

(7) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (119/2)، للشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين).

عنه. فأخبر عن المؤمنين أنهم يستفتون الرسول- - -صلى الله عليه وسلم في حكم النساء المتعلق بهم، فتولى الله هذه الفتوى بنفسه فقال: {قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ} فاعملوا على ما أفتاكم به في جميع شئون النساء، من القيام بحقوقهن وترك ظلمهن عموما وخصوصا.

وهذا أمر عام يشمل جميع ما شرع الله أمرا ونهيا في حق النساء الزوجات وغيرهن، الصغار والكبار، ثم خص -بعد التعميم- الوصية بالضعاف من اليتامى والولدان اهتماما بهم وزجرا عن التفريط في حقوقهم فقال: {وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ} أي: ويفتيكم أيضا بما يتلى عليكم في الكتاب في شأن اليتامى من النساء. {اللاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ} وهذا إخبار عن الحالة الموجودة الواقعة في ذلك الوقت، فإن اليتيمة إذا كانت تحت ولاية الرجل بخسها حقها وظلمها، إما بأكل مالها الذي لها أو بعضه، أو منعها من التزوج لينتفع بمالها، خوفا من استخراجه من يده إنْ زوَّجها، أو يأخذ من مهرها الذي تتزوج به بشرط أو غيره، هذا إذا كان راغبا عنها، أو يرغب فيها وهي ذات جمال ومال ولا يقسط في مهرها، بل يعطيها دون ما تستحق، فكل هذا ظلم يدخل تحت هذا النص ولهذا قال: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} أي: ترغبون عن نكاحهن أو في نكاحهن كما ذكرنا تمثيله.

{وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ} أي: ويفتيكم في المستضعفين من الولدان الصغار، أن تعطوهم حقهم من الميراث وغيره وأن لا تستولوا على أموالهم على وجه الظلم والاستبداد.

{وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ} أي: بالعدل التام، وهذا يشمل القيام عليهم بإلزامهم أمر الله وما أوجبه على عباده، فيكون الأولياء مكلفين بذلك، يلزمونهم بما أوجبه الله.

ويشمل القيام عليهم في مصالحهم الدنيوية بتنمية أموالهم وطلب الأحظ لهم فيها، وأن لا يقربوها إلا بالتي هي أحسن، وكذلك لا يحابون فيهم صديقا ولا غيره، في تزوج وغيره، على وجه الهضم لحقوقهم. وهذا من رحمته تعالى بعباده، حيث حثّ غاية الحث على القيام بمصالح من لا يقوم بمصلحة نفسه لضعفه وفقد أبيه.

ثم حثّ على الإحسان عموما فقال: {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ} لليتامى ولغيرهم سواء كان الخير متعديا أو لازما {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا} أي: قد أحاط علمه بعمل العاملين للخير، قلة وكثرة، حسنا وضده، فيجازي كُلا بحسب عمله. (1)

* * *

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَالَ: الإما م (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ (عَائِشَةَ): {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (127)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

تَنْكِحُوهُنَّ} قَالَتْ: هُوَ الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ الْيَتِيمَةُ، هُوَ وَلِيُّهَا وَوَارِثُهَا قَدْ شَرِكته فِي مَالِه، حَتَّى فِي العذْق، فَيَرْغَبُ أَنْ يَنْكِحَهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ يزوِّجها رَجُلًا فَيَشْرَكَهُ فِي مَالِه بِمَا شَرِكَتْهُ فَيَعْضُلُهَا، فَنَزَلَتْ هَذه الْآيَةُ.

وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ)، عَنْ أَبِي كُرَيب، وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَة، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي أُسَامَةَ (1).

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): قَرَأْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي (عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ)، قَالَتْ (عَائِشَةُ): ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ استفتَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ فِيهِنَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ} الْآيَةَ، قَالَتْ: وَالَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ يُتْلَى عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ الْآيَةُ الْأُولَى الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} {النِّساء: 3}.

وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} رَغْبَةَ أَحَدِكُمْ عَنْ يَتِيمَتِهِ الَّتِي تَكُونُ فِي حِجْرِهِ حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَالِ وَالْجَمَالِ، فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا رَغِبُوا فِي مَالِهَا وَجَمَالِهَا مِنْ يَتَامَى النِّسَاءِ إِلَّا بِالْقِسْطِ، مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ.

وَأَصْلُهُ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ، -مِنْ طَرِيقِ- يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ الأيْلي، بِهِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ فِي حِجْرِهِ يَتِيمَةٌ يَحِلُّ لَهُ تَزْوِيجُهَا، فَتَارَةً يَرْغَبُ فِي أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، فَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُمْهِرَهَا أُسْوَةَ أَمْثَالِهَا مِنَ النِّسَاءِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيَعْدِلْ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ، فَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا الْمَعْنَى فِي الْآيَةِ الْأُولَى الَّتِي فِي أَوَّلِ السُّورَةِ. وَتَارَةً لَا يَكُونُ لِلرَّجُلِ فِيهَا رَغْبَةٌ لِدَمَامَتِهَا عِنْدَهُ، أَوْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَنَهَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يعضلها عَنِ الْأَزْوَاجِ خَشْيَةَ أَنْ يَشْرَكوه فِي مَالِهِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، كَمَا قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} الْآيَةَ، فَكَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَكُونُ عِنْدَهُ الْيَتِيمَةُ، فَيُلْقِي عَلَيْهَا ثَوْبَهُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهَا لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا أَبَدًا، فَإِنْ كَانَتْ جَمِيلَةً وَهَوِيَهَا تَزَوَّجَهَا وَأَكَلَ مَالَهَا، وَإِنْ كَانَتْ دَمِيمَةً مَنَعَهَا الرِّجَالَ أَبَدًا حَتَّى تَمُوتَ، فَإِذَا مَاتَتْ وَرِثَهَا. فَحَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ وَنَهَى عَنْهُ.

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ: {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ} كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُوَرِّثُونَ الصِّغَارَ وَلَا الْبَنَاتِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: {لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ} فَنَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَبَيَّنَ لِكُلِّ ذِي سَهْمٍ سَهْمَهُ، فَقَالَ: {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} {النِّسَاءِ: 11} صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا.

وَكَذَا قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) وَغَيْرُهُ، قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) فِي قَوْلِهِ: {وَأَنْ تَقُومُوا

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإمامُ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (5131)، - ((كتاب: تفسير القرآن)).
وأخرجه الإمامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (3018)، - ((كتاب: التفسير)).

لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ} كَمَا إِذَا كَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَمَالٍ نَكَحْتَهَا وَاسْتَأْثَرْتَ بِهَا، كَذَلِكَ إِذَا لَمْ تَكُنْ ذَاتَ جَمَالٍ وَلَا مَالٍ فَانْكِحْهَا وَاسْتَأْثِرْ بِهَا.

وَقَوْلُهُ: {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا} تهييجًا عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَامْتِثَالُ الْأَمْرِ وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَالِمٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، وَسَيَجْزِي عَلَيْهِ أوفر الجزاء وأتمه. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {ويستفتونك في النساء}، ويسألك، يا محمد، أصحابك أن تفتيهم في أمر النساء، والواجب لهن وعليهن= فاكتفى بذكر "النساء" من ذكر "شأنهن"، لدلالة ما ظهر من الكلام على المراد منه.

{قل الله يفتيكم فيهن}، قل لهم: يا محمد، الله يفتيكم فيهن، يعني: في النساء، {وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن}.

القول في تأويل قوله: {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (127)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ومهما يكن منكم، أيها المؤمنون، من عدل في أموال اليتامى، التي أمركم الله أن تقوموا فيهم بالقسط، والانتهاء إلى أمر الله في ذلك وفي غيره وإلى طاعته.

{فإن الله كان به عليمًا}، لم يزل عالمًا بما هو كائن منكم، وهو محصٍ ذلك كله عليكم، حافظ له، حتى يجازيكم به جزاءكم يوم القيامة. (2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً (127)}

نَزَلَتْ بِسَبَبِ سُؤَالِ قَوْمٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنْ أَمْرِ النِّسَاءِ وَأَحْكَامِهِنَّ فِي الْمِيرَاثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ، أَيْ يُبَيِّنُ لَكُمْ حُكْمَ مَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ. وَهَذِهِ الْآيَةُ رُجُوعٌ إِلَى مَا افْتُتِحَتْ بِهِ السُّورَةُ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ، وَكَانَ قَدْ بَقِيَتْ لَهُمْ أَحْكَامٌ لَمْ يَعْرِفُوهَا فَسَأَلُوا فَقِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ.

رَوَى أَشْهَبُ عَنْ (مَالِكٍ) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُسْأَلُ فَلَا يُجِيبُ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ). (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى). و (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ). (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ).

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (127)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (127)، لِلإِمَامِ (الطبري).

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: (وَمَـا يُتْلَـى عَلَـيْكُمْ) (مَـا) فِـي مَوْضِـعِ رَفْـعٍ، عَطْـفٌ عَلَـى اسْـمِ اللَّـهِ تَعَـالَى. وَالْمَعْنَى: وَالْقُرْآنُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ، وَهُـوَ قولـه: (فَـانْكِحُوا مَـا طَـابَ لَكُـمْ مِـنَ النِّسَاءِ) وَقَدْ تَقَدَّمَ.

وَقَوْلُـهُ تَعَـالَى: (وَتَرْغَبُـونَ أَنْ تَنْكِحُـوهُنَّ) أَيْ وَتَرْغَبُـونَ عَـنْ أَنْ تَنْكِحُـوهُنَّ، ثُـمَّ حُـذِفَتْ (عَنْ).

يَعْنِـي:- وَتَرْغَبُـونَ فِـي أَنْ تَنْكِحُـوهُنَّ ثُـمَّ حُـذِفَتْ (فِـي). قَـالَ سَـعِيدُ بْـنُ جُبَيْـرٍ وَمُجَاهِـدٌ: وَيُرْغَبُ فِي نكاحها وإذا كَانَتْ كَثِيرَةَ الْمَالِ.

وَحَـدِيثُ (عَائِشَـةَ) يُقَـوِّي حَـذْفَ (عَـنْ) فَـإِنَّ فِـي حَـدِيثِهَا: وَتَرْغَبُـونَ أَنْ تَنْكِحُـوهُنَّ رَغْبَـةَ أَحَـدِكُمْ عَـنْ يَتِيمَتِـهِ الَّتِـي تَكُـونُ فِـي حِجْـرِهِ حِـينَ تَكُـونُ قَلِيلَـةَ الْمَـالِ وَالْجَمَـالِ، وَقَـدْ تقـدم أول السورة.(1)

* * *

قَـال : الإمَـام (الطبرانـي) – (رحمـه الله) – في (تفسـير القـرآن العظـيم):- قولـه عَـزَّ وَجَـلَّ :

{وَيَسْـتَفْتُونَكَ فِـي النِّسَـآءِ قُـلِ اللَّـهُ يُفْتِـيكُمْ فِـيهِنَّ وَمَـا يُتْلَـى عَلَـيْكُمْ فِـي الْكِتَابِ فِـي يَتَامَى النِّسَـآءِ الاَّتِـي لاَ تُؤْتُـونَهُنَّ مَـا كُتِـبَ لَهُـنَّ}"

قَـال: (ابـنُ عبَّـاس): (نَزَلَـتْ فِـي أُمِّ كجَّـة امْـرَأة أوْس بْـن ثابـت وبَنَاتهـا منْـهُ " لَمَّـا أمـرَ رَسُـولُ الله -صـلى الله عليـه وسـلم -بتَـوْرِيثهنَّ مِـنْ أوْس ، أقْبَـلَ (عُيَيْنَـةُ بْـنُ حُصَـيْنٍ الْفَـزَّارِيُّ) إلَـى رَسُـول الله -صـلى الله عليـه وسـلم- " فَقَـالَ : يَـا رَسُـولَ الله " إنَّـكَ قَـدْ ورَّثْـتَ النِّسَـاءَ وَالْبَنَـاتَ وَالصِّـغَارَ" وَلَـمْ نَكُـنْ نَحْـنُ نُـورِّثُ إلاَّ مَـنْ قَاتَـلَ

عَلَـى ظُهُـورِ الْخَيْـلِ وَحَـازَ الْغَنِيمَـةَ ، فَـأَنْزَلَ اللهُ هَذه الآيَةَ).

ويقَـالُ : إنَّهـا نزلَـت بعـدَ نـزولِ قولـه تعـالى : {يُوصِـيكُمُ اللَّـهُ فِـي أَوْلاَدِكُـمْ} [النسـاء : 11] إلى قولـه : {عَلِيمـاً حَكِيمـاً} [النسـاء : 11] قَبْـلَ نـزولِ فَـرْضِ الزَّوجـاتِ ، فجـاؤوا إلى رسـول الله - -صـلى الله عليـه وسـلم - يَسْـتَفْتُونَهُ في مـيراث أُمِّ كجـة امْـرَأة الْمُتَـوَفَّى، فـأنزلَ اللهُ هـذه الآيـةَ ووعـدَهم أن يُفْتِـيَهُمْ في مـيراث الزوجـات " فأتَـاهُمْ في ذلـكَ بقولـه تعـالى : {وَلَكُـمْ نِصْـفُ مَـا تَـرَكَ أَزْوَاجُكُمْ} [النساء : 12] إلى آخر الآية.

ومعنـى الآيـة : يَسْـتَفْتُونَكَ يـا مُحَمَّـدُ في أمـر النِّسَـاء ومـا يجـبُ لَهـنَّ مـن المـيراث " قُـل اللهُ يُبَـيِّنُ لكـم ميراثهُـن ، والـذي يَقْـرأُ علـيكُم في كتـاب الله في أوَّل هـذه السُّـورة ، يُفْتِـيكُمْ ويُبَـيِّنُ لكـم مـا سَـأَلْتُم عنـه في بنـات أمِّ كجـة اللاَّتـي لا تُعْطُـوهُنَّ مَـا فُـرضَ لَهُـنَّ مـن المـيراث وهـو قَوْلُـهُ تَعَـالَى : {يُوصِـيكُمُ اللَّـهُ فِـي أَوْلاَدِكُمْ} [النساء : 11].

قَوْلُـهُ تَعَـالَى : {وَتَرْغَبُـونَ أَن تَنكِحُـوهُنَّ} " أي ترغبـون عَـنْ نِكَـاحهنَّ لِـدَمَامَتِهِنَّ فَـلا تعطـوهُنَّ نصـيبَهن مـن المـيراث لِمَـنْ يَرْغَـبُ فـيهنَّ غيرُكـم " وذلـكَ أنَّ بَنِـي أعْمَـام تِلْـكَ الْبَنَـاتِ كَـانُوا أوْلِيَـاءهُنَّ " وكَـانُواْ لاَ يُعْطُـونَهُنَّ حَظَّهُـنَّ مِـنَ الْمِيْرَاث ، وَيَرْغَبُونَ أنْ يَتَزَوَّجُوهُنَّ ،

وَهـذا قـول: (ابـنِ عبَّـاس)، و(ابـنِ جُبَـير)، و(قتـادة)، و(مجاهـد). وعـن (عائشَـةَ) - رَضِـيَ اللهُ عَنْهَـا والحسَـن : (أنَّ مَعْنَـاهُ : وَتَرْغَبُـونَ فِـي أنْ تَتَزَوَّجُـونَهُنَّ لِجَمَـالِهنَّ وَلاَ تُعْطُـوا لَهُـمْ مَـا أوْجَـبَ اللهُ لَهُـنَّ مِـنَ الصَّـدَاقِ). وفي كـلا

---

(1) انظـر: تفسـير (القـرطبي) = (الجـامع لأحكـام القـرآن) في سـورة (النسـاء) - الآية (127)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

القــولين دليــلٌ علــى جــوازِ نكَــاحِ الأوليــاء لليتامَى.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى : {وَالْمُسْتَضْـعَفِينَ مِـنَ الْوِلْـدَانِ} " أي وفي (الْمُسْتَضْــــعَفِينَ مِــــنَ الْوِلْــــدَانِ) أي في مِيْرَاث اليتامَى.

وقَوْلُــهُ تَعَــالَى : {وَأَن تَقُومُـــواْ لِلْيَتَــامَى بِالْقِسْــطِ} " أي: وَفــي (أَنْ تَقُومُــوا لِلْيَتَــامَى بِالْقِسْط) في أموالهم وحقوقهم بالعدل.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى : {وَمَـا تَفْعَلُـواْ مِـنْ خَيْـرٍ فَـإِنَّ اللَّـهَ كَـانَ بِـهِ عَلِيماً} " أي مَـا تَفْعَلُـواْ مِـنْ خَيْـرٍ في أمـرِ اليَتَــامَى والضِّـعَاف " {فَــإِنَّ اللَّــهَ كَــانَ بِــهِ عَلِيماً} يَجْزِيْكُمْ على ذلكَ.

واختلــفَ أهــلُ النَّحــوِ في موضــعِ {وَمَــا يُتْلَــى عَلَــيْكُمْ} فــذهبَ أكثــرُهم إلى أنــهُ مَوْضَــعُ رَفْــعٍ " تقــديرهُ : وَمَــا يُتْلَــى عَلَــيْكُمْ فِــي الكتــاب يُفْتِيْكُمْ.

وقــال بعضُــهم : هــو في موضــعِ خَفْـضٍ تقــديرهُ : وَفِي مَــا يُتْلَــى عَلَــيْكُمْ ، إلاَّ أن هــذا الوجــهَ أضــعفُ مــن الأوَّل " لأنــه لا يصــحُّ عطــفُ الظــاهرِ علــى المضــمرِ بحــرفِ الجــرِّ مــن دون إعادة حرف الجرِّ. (1)

* * *

قــال: الإمَــام (مســلم) - (رحمــه الله) - في (صــحيحه) - (بســنده):- حــدثني أبــو الطــاهر، أحمــد بــن عمــرو بــن سرح وحرملــة بــن يحيــى التجيبــي (قــال أبــو الطــاهر: حــدثنا. وقــال حرملــة: أخبرنــا) ابــن وهــب. أخبرنــي يــونس عــن ابــن شــهاب. أخبرنــي عــروة بــن الــزبير" أنــه سـأل (عائشــة) عــن قــول الله: {وإن خفــتم أن لا تقســطوا في اليتــامى فــانكحوا مــا طــاب لكــم مــن النســاء مثنــى وثــلاث وربــاع} {النســاء: 3}. قالــت: يــا ابــن أخــتي! هــي اليتيمــة تكــون في حجــر وليهــا تُشــاركه في مالــه فيُعجبــه مالهــا وجمالهــا. فيُريــد وليهــا أن يتزوجهــا بغــير أن يُقســط في صــداقها. فيعطيهــا مثــل مــا يُعطيهــا غــيره. فنهــوا أن ينكحــوهن إلا أن يُقســطوا لهــن. ويبلغــوا بهــن أعلــى سُــنتهن مــن الصــداق. وأمــرو أن ينكحــوا مــن طــاب لهــم مــن النســاء، ســواهن قــال عــروة: قالــت (عائشــة): ثــم إن النــاس اســتفتوا رســول الله - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ - بعــد هــذه الآيــة، فــيهن. فــأنزل الله عــز وجــل: {يســتفتونك في النســاء قــل الله يفتــيكم فــيهن مــا يتلــى علــيكم في الكتــاب في يتــامى النســاء اللاتــى لا تؤتــونهن مــا كتــب لهــن وترغبــون أن تنكحوهن}.

قالــت: والــذي ذكــر الله تعــالى" أنــه يُتلــى علــيكم في الكتــاب، الآيــة الأولى الــتي قــال الله فيهــا: {وإن خفــتم أن لا تقســطوا في اليتــامى فــانكحوا مــا طــاب لكــم مــن النساء} {النساء: 3}.

قالــت (عائشــة): وقــول الله في الآيــة الأخــرى: (وترغبــون أن تنكحــوهن)، رغبــة أحــدكم عــن اليتيمــة الــتي تكــون في حجــره، حــين تكــون قليلــة المــال والجمــال. فنهــوا أن ينكحــوا مــا رغبــوا في مالهــا وجمالهــا مــن يتــامى النســاء إلا بالقسط. من أجل رغبتهم عنهن. (2)

* * *

(1) انظـر: (تفسير القـرآن العظـيم) - المنسـوب - للإمـام الطبرانـي) في سـورة (النساء) الآية (127).

(2) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (133/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج قال أخبرني هشام بن عروة عن أبيه عن (عائشة) - رضي الله عنها- أنَّ رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عَذْق وكان يُمسكها عليه ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت فيه (وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى) أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العَذْق وفي ماله.(1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) -(بسنده):- حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل (عائشة) عن قول الله تعالى: (وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى)؟ فقالت: يا ابن أختي، هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويُعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يُقسط في صداقها فيُعطيها مثل ما يُعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهنّ أعلى سنتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعدَ هذه الآية، فأنزل الله (ويستفتونك في النساء) قالت (عائشة): وقول الله تعالى في آية أخرى (وترغبون أن تنكحوهن) رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلةَ المال والجمال، قالت: فنهوا عن أن ينكحوا من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهنّ إذا كن قليلات المال والجمال.(2)(3)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- ما عند الله من الثواب لا يُنال بمجرد الأماني والدعاوى، بل لا بد من الإيمان والعمل الصالح.
- الجزاء من جنس العمل، فمن يعمل سوءًا يُجْزَ به، ومن يعمل خيرًا يُجْزَ بأحسن منه.
- الإخلاص والاتباع هما مقياس قبول العمل عند الله تعالى.
- عَظّمَ الإسلام حقوق الفئات الضعيفة من النساء والصغار، فحرم الاعتداء عليهم، وأوجب رعاية مصالحهم في ضوء ما شرع.(4)

* * *

[١٢٨] ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (8/86-87)، (ح 4573) – (كتاب : تفسير القرآن)- (سورة النساء)، / باب: (وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى) . العذق: النخلة، وبالكسر عِذْق: العرجون بما فيه من الشماريخ، ويجمع على عِذَاق.
انظر: (النهاية لابن الأثير) برقم (3/199) .

(2) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (8/87)، (ح 4574) – (كتاب : تفسير القرآن)- (سورة النساء)، / باب: (وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى)،

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (4/2314) – (كتاب : التفسير) .

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/98). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن خافت امرأة من زوجها ترفُّعًا عنها وعدم رغبة فيها فلا إثم عليهما أن يتصالحا بأن تتنازل عن بعض الحقوق الواجبة لها كحق النفقة والمبيت، والصلح هنا خير لهما من الطلاق، وقد جُبلت النفوس على الحرص والبخل، فلا ترغب في التنازل عما لها من حق، فينبغي للزوجين علاج هذا الخلق بتربية النفس على التسامح والإحسان. وإن تحسنوا في كل شؤونكم، وتتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن الله كان بما تعملون خبيرًا، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم به. (1)

* * *

يَعْنِي:- وإن علمت امرأة من زوجها ترفعًا عنها، وتعاليًا عليها أو انصرافًا عنها فلا إثم عليهما أن يتصالحا على ما تطيب به نفوسهما من القسمة أو النفقة، والصلح أولى وأفضل. وجبلت النفوس على الشح والبخل. وإن تحسنوا معاملة زوجاتكم وتخافوا الله فيهن، فإن الله كان بما تعملون من ذلك وغيره عالمًا لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم على ذلك. (2)

* * *

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (128) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (129) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (130) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (132) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (133) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (134)

يَعْنِي:- وإن الزوجة إذا خافت من زوجها إهمالاً لشئون الأسرة أو إعراضاً عنها وعدم إقبال عليها. فلا إثم عليهما فى أن يحاولا إصلاح ما بينهما بالصلح الجميل والتقريب. والعاقل منهما يبدأ به، والصلح خير دائماً لا شر فيه، وإن الذى يمنع الصلح هو تَمَسُّك كل من الزوجين بحقوقه كاملة، إذ يسيطر الشح النفسى، ولا سبيل لعودة المودة إلا التساهل من أحد الجانبين وهو المحسن المتقى، ومن يعمل العمل الحسن ويتق الله، فإن الله خبير بعمله ومجازيه عليه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{خافَتْ مِنْ بَعْلِها} ... توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايلة وأماراته.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (99/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (133/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{نُشوزًا} ... ترفُّعًا وَانْصِرَافًا عَنْهَا.

{نُشُوزاً} ... النشوز: أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته، والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة، وأن يؤذيها بسب أو ضرب.

{أَوْ إِعْرَاضاً} ... الإعراض: أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها.

{فَلا جُناحَ عَلَيهِما} ... فلا بأس بهما أن يصلحا بينهما.

{صُلْحاً} ... أي: أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها.

{وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} ... من الفرقة، أو من النشوز والإعراض وسوء العشرة، أو هو من الخصومة في كل شيء.

{وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ} ... جُبِلَتْ عَلَى الشُّحِّ وَالْبُخْل.

(أي: جلبت النفوس على الشح فلا يفارقها أبداً).

{وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} ... جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا، ولا تنفك عنه. أي إنها مطبوعة عليه. والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها، والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها، وأن يمسكها إذا رغب وأحب غيرها.

{الشُّحُّ} ... أَقْبَحُ البُخْلِ، وحقيقته الحرص عَلَى مَنْعِ الخير، وإنما قال: وَأُحْضِرَتِ الأنفسُ الشحَّ" لأنه كالأمر اللازم للنفوس لأنها مطبوعة عَلَى الشُّحِّ، ومعنى الآية أن كل واحد من الزوجين يَشُحُّ بنصيبه عن الآخر، فالمرأةُ تَشُحُّ عَلَى مكانها من زوجها، والرجل يَشُحُّ إذا كان غيرُها أحبَّ إليه منها.

{وَإِنْ تُحْسِنُوا} ... بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن، وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة.

{وَتَتَّقُوا} ... النشوز والإعراض وما يؤدى إلى الأذى والخصومة.

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ} ... من الإحسان والتقوى.

{خَبِيراً} ... وهو يثيبكم عليه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَإِن امْرَأَة} يَعْنِي عميرَة {خَافَتْ من بَعْلِهَا} علمت من زَوجهَا أسعد بن الرّبيع،

{نُشُوزاً} ترك مجامعتها،

{أَوْ إِعْرَاضاً} ترك محادثتها و مجالستها،

{فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيهِما} على الزَّوْج وَالْمَرْأَة ،

{أَن يُصْلحَا بَيْنَهُمَا} يَعْنِي بَين الْمَرْأَة وَالزَّوْج

{صُلْحاً} مَعْلُوما ترْضى بِهِ الْمَرْأَة عَن الزَّوْج

{وَالصُّلْح} على رضَا الْمَرْأَة {خَيْرٌ} من الْجور والميل،

{وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفس الشُّح} جبلت الْأَنْفس على الشُّح وَالْبخل فتبخل بِنَصِيب زَوجهَا وَيُقَال طمعها يجرها إِلَى أَن ترْضى،

{وَإِن تُحْسِنُواْ} تسووا بَين الشَّابَّة والعجوز فِي الْقِسْمَة وَالنَّفقَة

{وَتَتَّقُواْ} الْجور والميل {فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ} من الْجور والميل {خَبِيراً}. (1)

* * *

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (128). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وقـال: الإمـام (البخـاري) – (رحمـه الله) – في (صحيحه):- قـالَ: (ابـنُ عبَّـاسٍ): ﴿نُشُـوزًا﴾ : بُغْضًا.

﴿وَأُحضِـرَتِ الأنفُـسُ الشُّـحَّ﴾ : هـواهُ في الشَّـيءِ ، يَحْرِصُ عَلَيْه. (1)

* * *

قـال: الإمـام (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {128} ﴿وَإِنِ امْـرَأَةٌ خَافَـتْ﴾ أي: علمـت ﴿مِـنْ بَعْلِهَـا﴾ أي: مـن زوجهـا ﴿نُشُـوزًا﴾ أيْ: بُغْضًـا، قَـالَ: (الْكَلْبِـيُّ): يَعْنِـي ترك مضاجعتها،

﴿أَوْ إِعْرَاضًـا﴾ بِوَجْهِـه عَنْهَـا وَقِلَّـة مُجَالَسَـتِهَا،

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أَيْ: عَلَى الزَّوْجِ وَالْمَرْأَةِ،

﴿أَنْ يَصَّالَحَا﴾ أَيْ: يَتَصَالَحَا،

وَقَرَأَ أَهْلُ الكوفة ﴿أَنْ يُصْلِحَا﴾ من أصلح،

﴿بَيْنَهُمَـا صُـلْحًا﴾ يعـني: في القسْـمِ وَالنَّفَقَـةِ، وَهُـوَ أَنْ يَقُـولَ الـزَّوْجُ لَهَـا، إنَّـك قَـدْ دَخَلْـتِ فِـي السِّـنِّ وَإِنِّـي أُرِيـدُ أَنْ أَتـزَوَّجَ امْـرَأَةً شَـابَّةً جَمِيلَـةً أُوثِرُهَـا عَلَيْـكِ فِـي الْقِسْـمَةِ لَيْلًـا وَنَهَـارًا فَـإِنْ رَضِـيتِ بِهَـذَا فَـأَقِيمِي وَإِنْ كَرِهْـتِ خَلَّيْـتُ سَـبِيلَكِ، فَـإِنْ رَضِـيَتْ كَانَـتْ هِـيَ الْمُحْسِـنَةَ وَلَا تُجْبَـرُ عَلَـى ذَلِـكَ، وَإِنْ لَـمْ تَـرْضَ بِـدُونِ حقهـا كَـانَ عَلَـى الـزَّوْجِ أَنْ يُوَفِّيَهَـا حَقَّهَـا مِـنَ الْقَسْـمِ وَالنَّفَقَـةِ أَوْ يُسَـرِّحَهَا بِإِحْسَـانٍ، فَـإِنْ أَمْسَـكَهَا وَوَفَّاهَـا حَقَّهَـا مَعَ كَرَاهِيَةٍ فَهُوَ مُحْسِنٌ ،

﴿وَالصُّـلْحُ خَيْـرٌ﴾ يَعْنِـي: إِقَامَتَهَـا بَعْـدَ تَخْيِيرِه إِيَّاهَا وَالْمُصَالَحَةُ عَلَى تَـرْك بَعْـض حَقِّهَـا مِـنَ الْقَسْـمِ والنفقـة خيـر مـن الفرقـة ﴿وَأُحْضِـرَتِ الْـأَنْفُسُ الشُّـحَّ﴾ يُرِيـدُ شُـحَّ كُلِّ واحد مِنَ الزَّوْجَيْنِ بِنَصِيبِه مِنَ الْآخَرِ،

وَالشُّـحُّ: أَقْبَـحُ الْبُخْـلِ، وَحَقِيقَتُـهُ: الْحِـرْصُ عَلَـى منع الخير،

﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ أي: تصلحوا.

﴿وَتَتَّقُوا﴾ الْجَوْرَ،

يَعْنِـي:- هَـذَا خِطَـابٌ مَـعَ الْأَزواجِ، أَيْ: تُحْسِـنُوا بِالْإِقَامَةِ مَعَهَا عَلَى الْكَرَاهَةِ وَتَتَّقُوا ظُلْمَهَا.

﴿فَـإِنَّ اللَّـهَ كَـانَ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَـبِيرًا﴾ {النسـاء: 128} فيجزيكم بأعمالكم. (2)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {128} ﴿وَإِنِ امْـرَأَةٌ خَافَـتْ مِـنْ بَعْلِهَـا نُشُـوزًا أَوْ إِعْرَاضًـا فَـلَا جُنَـاحَ عَلَيْهِمَـا أَنْ يُصْلِحَـا بَيْنَهُمَـا صُـلْحًا وَالصُّـلْحُ خَيْـرٌ وَأُحْضِـرَتِ الْأَنْفُـسُ الشُّـحَّ وَإِنْ تُحْسِـنُوا وَتَتَّقُـوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

أي: إذا خافـت المـرأة نشـوز زوجهـا أي: ترفعـه عنهـا وعـدم رغبتـه فيهـا وإعراضـه عنهـا، فالأحسـن في هـذه الحالـة أن يصـلحا بينهمـا صـلحا بـأن تسـمح المـرأة عـن بعـض حقوقهـا اللازمـة لزوجهـا علـى وجـه تبقـى مـع زوجهـا، إمـا أن ترضـى بأقـل مـن الواجـب لهـا مـن النفقـة أو الكسـوة أو المسـكن، أو القسـم بـأن تسـقط حقهـا منـه، أو تهـب يومهـا وليلتهـا لزوجهـا أو لضرتها.

فـإذا اتفقـا علـى هـذه الحالـة فـلا جنـاح ولا بـأس علـهما فيهـا، لا عليهـا ولا علـى الـزوج،

(1) انظـر: صحيح الإِمَـامْ (البُخَـارِي) في تفسـير سـورة (النسـاء) الآيـة (128). برقم (ج 6/ ص49).

(2) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإِمَـامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (128).

فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خير من الفرقة، ولهذا قال: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}.

ويؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى أن الصلح بين مَن بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه خير من استقصاء كل منهما على كل حقه، لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة والاتصاف بصفة السماح.

وهو جائز في جميع الأشياء إلا إذا أحلّ حراما أو حرّم حلالا فإنه لا يكون صلحا وإنما يكون جورا.

واعلم أن كل حكم من الأحكام لا يتم ولا يكمل إلا بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، فمن ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح، فذكر تعالى المقتضي لذلك ونبه على أنه خير، والخير كل عاقل يطلبه ويرغب فيه، فإن كان -مع ذلك- قد أمر الله به وحثّ عليه ازداد المؤمن طلبا له ورغبة فيه.

وذكر المانع بقوله: {وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ} أي: جبلت النفوس على الشح، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك طبعا، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخُلُق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضده وهو السماحة، وهو بذل الحق الذي عليك" والاقتناع ببعض الحق الذي لك.

فمتى وفق الإنسان لهذا الخُلُق الحسن سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب. بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتد الأمر.

ثم قال: {وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا} أي: تحسنوا في عبادة الخالق بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وتحسنوا إلى المخلوقين بجميع طرق الإحسان، من نفع بمال، أو علم، أو جاه، أو غير ذلك.

{وَتَتَّقُوا} الله بفعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظورات. أو تحسنوا بفعل المأمور، وتتقوا بترك المحظور.

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} قد أحاط به علما وخبرا، بظاهره وباطنه، فيحفظه لكم، ويجازيكم عليه أتم الجزاء.(1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (128) {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْإِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً} فقد تضمنت حكماً عادلاً رحيماً وإرشاداً ربانياً سديداً وهو أن الزوجة إذا توقعت من زوجها نشوزاً، أي: ترفعاً أو إعراضاً عنها، وذلك لكبر سنها أو لقلة جمالها، وقد تزوج غيرها في هذا الحال في الإمكان أن تجري مع زوجها صلحاً يحفظ لها بقاءها في بيتها عزيزة محترمة فتتنازل له عن بعض حقها في الفراش وعن

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (128)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

بعض ما كان واجباً لها وهذا خير لها من الفراق. ولذا قال تعالى: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}.

وقوله تعالى: {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} يريد أن الشح ملازم للنفس البشرية لا يفارقها والمرأة كالرجل في هذا إلا أن المرأة أضمن وأشح بنصيبها في الفراش وبباقي حقها من زوجها. إذاً فليراع الزوج هذا،

ولذا قال تعالى: {وَإِنْ تُحْسِنُوا} أيها الأزواج إلى نسائكم {وَتَتَّقُوا} الله تعالى فيهن فلا تحرموهن ما لهن من حق في الفراش وغيره فإن الله تعالى يجزيكم بالإحسان إحساناً وبالخير خيراً فإنه تعالى {بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}. (1)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا عبدة بن سليمان. حدثنا هشام عن أبيه، عن (عائشة): (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً) الآية. قالت: أنزلت في المرأة تكون عند الرجل. فتطول صُحبتها. فيُريد طلاقها فتقول: لا تطلّقني، وأمسكني، وأنت في حل منّي. فنزلت هذه الآية. (2)(3)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن المثنى. حدثنا أبو داود. حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك عن (عكرمة) عن (ابن عباس) قال: خشيتْ سودة أن يُطلقها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومى لعائشة ففعل فنزلت (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صُلحاً والصلح خير) فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. كأنه من قول (ابن عباس). (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - والإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (نشوزا) البغض. (5)(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - والإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: فتلك المرأة تكون عند الرجل، لايرى منها ما يحب وله امرأة غيرها أحب اليه منها، فيؤثرها عليها. فأمره الله إذا كان ذلك ما تقول لها: "ياهذه إن شئت

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (128)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2316/4)، (ح 3021) - (كتاب: التفسير)،

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (114/8)، (ح 4601) - (كتاب: تفسير القرآن) - (سورة النساء) بنحوه.

(4) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (249/5)، (ح 3040).
قال (أبو عيسى): هذا (حديث حسن غريب).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي). وفيه (سماك بن حرب وروايته عن (عكرمة) فيها اضطراب ولا يضر لأنه ثبت عن (عائشة) فيما.
أخرجه الإمام (الحاكم) و(صححه) في (المستدرك) برقم (186/2). ووافقه الإمام (الذهبي).
وانظر: (الفتح الباري) برقم (313/9).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (128).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (128).

أن تقيمي على ما ترين من الأثرة، فأواسيك وأنافق عليك، فأقيمي وإن كرهت خليت سبيلك"، فإن هي رضيت أن تقيم بعد أن يخيرها فلا جناح عليه، وهو قوله: "والصلح خير"، وهو التخيير.(1)(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: الشح: هواه في الشيء يحرص عليه.(3)(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا وَمُشَرِّعًا عَنْ حَالِ الزَّوْجَيْنِ: تَارَةً فِي حَالِ نُفُورِ الرَّجُلِ عَنِ الْمَرْأَةِ، وَتَارَةً فِي حَالِ اتِّفَاقِهِ مَعَهَا، وَتَارَةً فِي حَالِ فِرَاقِهِ لَهَا.

فَالْحَالَةُ الْأُولَى: مَا إِذَا خَافَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ زَوْجِهَا أَنْ يَنْفِرَ عَنْهَا، أَوْ يُعْرِضَ عَنْهَا، فَلَهَا أَنْ تُسْقِطَ حَقَّهَا أَوْ بَعْضَهُ، مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ كُسْوَةٍ، أَوْ مَبِيتٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ عَلَيْهِ، وَلَهُ أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ مِنْهَا فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهَا فِي بَذْلِهَا ذَلِكَ لَهُ، وَلَا عَلَيْهِ فِي قَبُولِهِ مِنْهَا" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا}، ثُمَّ قَالَ: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} أَيْ: مِنَ الْفِرَاقِ.

وَقَوْلُهُ: {وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ} أَيِ الصُّلْحُ عِنْدَ الْمُشَاحَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْفِرَاقِ" وَلِهَذَا لَمَّا كَبِرَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى فِرَاقِهَا، فَصَالَحَتْهُ عَلَى أَنْ يُمْسِكَهَا، وَتَتْرُكَ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ، فَقَبِل ذلك منها وأبْقَاها على ذلك.

وَقَالَ: الإِمَامُ (الشَّافِعِيُّ): أَخْبَرَنَا مُسْلِمٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- تُوُفِّيَ عَنْ تِسْعِ نِسْوَةٍ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِثَمَانٍ.(5)

وَفِي (الصَّحِيحَيْنِ)، مِنْ حَدِيثِ (هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (عَائِشَةَ) قَالَتْ: لَمَّا كَبِرت سودةُ بنتُ زَمعةَ وهبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقْسِمُ لَهَا بِيَوْمِ سَوْدَةَ.(6)

وَفِي صَحِيحِ الإِمَامِ (الْبُخَارِيِّ)، مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، نَحْوَهُ.

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ): أَنْبَأَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ قَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سَوْدَةَ وَأَشْبَاهِهَا: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} وذلك أن سَوْدَةَ كَانَتِ امْرَأَةً قَدْ أَسَنَّتْ، فَفَزِعَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رسولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وضنَّت بمكانها منه، وَعَرَفَتْ مِنْ حُبِّ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (128).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (128).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (128).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (128).

(5) الأم: (98/5).

(6) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5212)، - ((كتاب: النكاح)).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1463)، - ((كتاب: الرضاع)).

وَسَلَّمَ -(عَائِشَةَ) ومَنْزِلَتَهَا منه، فَوَهَبَتْ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِعَائِشَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -[1].

قَالَ: الإِمَامَ (الْبَيْهَقِيُّ): وَقَدْ رَوَاهُ (أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ): عَنِ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ[2] مَوْصُولًا.

وَهَذِهِ -الطَّرِيقُ - رَوَاهَا الإِمَامُ (الْحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِهِ)، فَقَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ الْفَقِيهُ، أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (عَائِشَةَ): أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لاَ يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلاَّ وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا، فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ، حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى مَنْ هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتَ عِنْدَهَا، وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ -حِينَ أَسَنَّتْ وفرقت أَنْ يُفَارِقَهَا رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَوْمِي هَذَا لِعَائِشَةَ. فَقَبِلَ ذَلِكَ رسولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قَالَتْ (عَائِشَةُ): فَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا}

وَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ (أَبُو دَاوُدَ)، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ، بِهِ. ثُمَّ قَالَ: الإِمَامُ (الْحَاكِمُ): (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ[3].

---

(1) انظر: (سنن سعيد بن منصور) برقم (702).

وأخرجه الإِمَامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (297/7).

(2) في هـ: "عن الحسن بن أبي الزناد" وهو تحريف.

(3) أخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (186/2)/ ووافقه الإمام (الذهبي).

وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2135).

وَقَدْ قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (عَائِشَةَ): {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} قَالَتْ : الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ، لَيْسَ بِمُسْتَكْثِرٍ مِنْهَا، يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَهَا، فَتَقُولُ: أَجْعَلُكَ مِنْ شَأْنِي فِي حِلٍّ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ.[4][5]

---

(4) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2450)، - ((كتاب : المظالم والغضب).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (128)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي)، و (مُسلِم)، - في (صحيحهما)، - و الإمام (أبو داود)، و(إبن ماجة) - في (سُننهما)، - (رحمهم الله) - (بسندهم) :- ، وعَنْ (عَائِشَةَ) - رضي الله عنها - قَالَتْ: " كَانَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لَا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسْمِ مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا، فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ (1) حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا , فَيَبِيتَ عِنْدَهَا "، وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ - رضي الله عنها - (2) حِينَ أَسَنَّتْ (3) وَفَرِقَتْ (4) أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: يَا رَسُولَ اللهِ) (5) (قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ) (6) (" فَقَبِلَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ذَلِكَ مِنْهَا) (7) (فَكَانَ يَقْسِمُ لِي يَوْمَيْنِ: يَوْمِي , وَيَوْمَ سَوْدَةَ (8) ") (9) (قَالَتْ: وَكَانَتْ سَوْدَةُ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا بَعْدِي) (10) (فَمَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاخِهَا (11) مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، مِنَ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ (12)) (13) (قَالَتْ: نَقُولُ: فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى وَفِي أَشْبَاهِهَا: {وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا، وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} (14)) (15) (هِيَ الْمَرْأَةُ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ) (16) (قَدْ طَالَتْ صُحْبَتُهَا , وَوَلَدَتْ مِنْهُ أَوْلَادًا) (17) (فَيَرَى مِنْ امْرَأَتِهِ مَا لَا يُعْجِبُهُ، كِبَرًا أَوْ غَيْرَهُ) (18) (فَيُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَهَا) (19) (وَيَتَزَوَّجُ غَيْرَهَا , فَتَقُولُ لَهُ: أَمْسِكْنِي وَلَا تُطَلِّقْنِي , ثُمَّ تَزَوَّجْ غَيْرِي , فَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنَ النَّفَقَةِ عَلَيَّ , وَالْقِسْمَةِ لِي) (20) (فَرَاضَتْهُ عَلَى أَنْ تُقِيمَ عِنْدَهُ وَلَا يَقْسِمَ لَهَا) (21) (قَالَتْ: فَلَا بَأْسَ إِذَا تَرَاضَيَا) (22).

---

(1) وَفِي رِوَايَةٍ : مِنْ غَيْرِ وِقَاعٍ , وَهُوَ الْمُرَاد هَاهُنَا. عون المعبود (ج 5 / ص 19)

(2) هِيَ زَوْج النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - وَكَانَ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ بِمَكَّة بَعْد مَوْت خديجة , وَدَخَلَ عَلَيْهَا بِهَا , وَهَاجَرَتْ مَعَهُ. عون المعبود - (ج 5 / ص 19)

(3) أي: كَبِرت.

(4) أَيْ: خَافَتْ. عون المعبود - (ج 5 / ص 19)

(5) (د) 2135

(6) (م) 47 - (1463)

(7) (د) 2135

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه:وإن خافت امرأة من بعلها، يقول: علمت من زوجها {نشوزًا} ، يعني: استعلاءً بنفسه عنها إلى غيرها،

أثرةً عليها، وارتفاعًا بها عنها، إما لبغْضة، وإما لكراهة منه بعض أسبابها إما دَمامتها، وإما سنها وكبرها، أو غير ذلك من أمورها ،

{أو إعراضًا} ، يعني: انصرافًا عنها بوجهه أو ببعض منافعه التي كانت لها منه ،

{فلا جناح علهما أن يصلحا بينهما صلحًا} ، يقول: فلا حرج علهما، يعني: على المرأة الخائفة نشوز بعلها أو إعراضه عنها،

{أن يصلحا بينهما صلحًا} ، وهو أن تترك له يومها، أو تضعَ عنه بعض الواجب لها من حقّ عليه، تستعطفه بذلك وتستديم المُقام في حباله، والتمسك بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح،يقول:{والصلح خير} ، يعني: والصلح بترك بعض الحقّ استدامةً للحُرْمة، وتماسكًا بعقد النكاح، خيرٌ من طلب الفرقة والطلاق.

قال: (أبو جعفر): وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بذلك: أحضرت أنفس النساء الشحَّ بأنصبائهن من أزواجهن في الأيام والنفقة.

* * *

و"الشح": الإفراط في الحرص على الشيء، وهو في هذا الموضع: إفراط حرصِ المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها.

* * *

فتأويل الكلام: وأحضرت أنفس النساء أهواءَهن، من فرط الحرص على حقوقهن من أزواجهن، والشح بذلك على ضَرائرهن.

* * *

وبنحو ما قلنا في معنى"الشح" ذكر عن (ابن عباس) أنه كان يقول:

10625- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن (ابن عباس) قوله:{وأحضرت الأنفس الشح} ، والشح، هواه في الشيء يحرِص عليه.

---

(8) فِيهِ دَلِيل عَلَى جَوَاز هِبَة الْمَرْأَة نَوْبَتهَا لِضَرَّتِهَا , وَيُعْتَبَر رِضَا الزَّوْج , وَلِأَنَّ لَهُ حَقًّا فِي الزَّوْجَة , فَلَيْسَ لَهَا أَنْ تُسْقِط حَقّه إِلَّا بِرِضَائِهِ. عون المعبود (ج5ص 19)

(9)(م) 47 - (1463) , (خ) 4914 , (جة) 1972 , (حم) 24521

(10)(م) 48 - (1463) , (حم) 24440

(11) (الْمِسْلَاخ): الْجِلْد , وَمَعْنَاهُ: أَنْ أَكُون أَنَا هِيَ. شرح النووي (ج5ص 198)

(12) لَمْ تُرِدْ عَائِشَةُ عَيْبَ سَوْدَةَ بِذَلِكَ، بَلْ وَصَفَتْهَا بِقُوَّةِ النَّفْس , وَجَوْدَة الْقَرِيحَة. شرح النووي (ج 5 / ص 198)

(13)(م) 47 - (1463)

(14) ﴿النساء/128﴾

(15)(د) 2135

(16)(خ) 4910

(17)(جة) 1974 , (م) 13 - (3021)

(18)(خ) 2548

(19)(خ) 4325 , (م) 13 - (3021)

(20)(خ) 4910 , (م) 13 - (3021)

(21)(جة) 1974

(22)(خ) 2548

* * *

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، من قول من قال: "عُني بذلك: وأحضرت أنفس الرجال والنساء الشح"، على ما قاله ابن زيد= لأن مصالحة الرجل امرأته بإعطائه إياها من ماله جُعْلا على أن تصفح له عن القسم لها، غير جائزة. وذلك أنه غير معتاض عوضًا من جُعْله الذي بذله لها. والجُعل لا يصح إلا على عِوض: إما عين، وإما منفعة. والرجل متى جعل للمرأة جُعْلا على أن تصفح له عن يومها وليلتها، فلم يملك عليها عينًا ولا منفعة. وإذْ كان ذلك كذلك، كان ذلك من معاني أكل المال بالباطل. وإذْ كان ذلك كذلك، فمعلوم أنه لا وجه لقول من قال: "عنى بذلك الرجل والمرأة".

فإن ظن ظانّ أن ذلك إذْ كان حقًّا للمرأة، ولها المطالبة به، فللرجل افتداؤه منها بجُعل، فإن شفعة المستشفع في حصة من دارٍ اشتراها رجل من شريك له فيها حق، له المطالبة بها، فقد يجب أن يكون للمطلوب افتداءُ ذلك منه بجُعل. وفي إجماع الجميع على أن الصلح في ذلك على عوض غيرُ جائز، إذ كان غير مُعتاض منه المطلوب في الشفعة عينًا ولا نفعًا= ما يدل على بُطول صلح الرجل امرأته على عوض، على أن تصفح عن مطالبتها إياه بالقسمة لها.

وإذا فسد ذلك، صَح أن تأويل الآية ما قلنا. وقد أبان الخبر الذي ذكرناه عن (سعيد بن المسيب)، و(سليمان بن يسار) أنّ قوله: {وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا}، الآية: نزلت في أمر رافع بن خديج وزوجته، إذ تزوج عليها شابة، فآثر الشابَّة عليها، فأبت الكبيرة أن تَقِرَّ على الأثرة، فطلقها تطليقة وتركها. فلما قارب انقضاء عِدَّتها خيَّرها بين الفراق والرجعة والصبر على الأثرة، فاختارت الرجعة والصبر على الأثرة. فراجعها وآثر عليها، فلم تصبر، فطلقها. ففي ذلك دليل واضحٌ على أن قوله: {وأحضرت الأنفس الشح}، إنما عُني به: وأحضرت أنفس النساء الشحَّ بحقوقهن من أزواجهن، على ما وصفنا.

* * *

قال: (أبو جعفر): وأما قوله: {وإن تحسنوا وتتقوا}، فإنه يعني: وإن تحسنوا، أيها الرجال، في أفعالكم إلى نسائكم، إذا كرهتم منهن دَمامة أو خُلُقًا أو بعضَ ما تكرهون منهن بالصبر عليهن، وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف،

{وتتقوا}، يقول: وتتقوا الله فيهن بترك الجَوْر منكم عليهن فيما يجب لمن كرهتموه منهن عليكم، من القسمة له، والنفقة، والعشرة بالمعروف،

{فإن الله كان بما تعملون خبيرًا}، يقول: فإن الله كان بما تعملون في أمور نسائكم، أيها الرجال، من الإحسان إليهن والعشرة بالمعروف، والجور عليهن فيما يلزمكم لهنّ ويجب،

{خبيرًا}، يعني: عالمًا خابرًا، لا يخفى عليه منه شيء، بل هو به عالم، وله محصٍ

عليكم، حتى يوفِّيكم جزاءَ ذلك: المحسنَ منكم بإحسانه، والمسيءَ بإساءته.(1)

* * *

[١٢٩] ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولن تستطيعوا أيها الأزواج- أن تعدلوا العدل التام مع الزوجات في الميل القلبي، ولو حرصتم على ذلك" بسبب أمور ربما تكون خارجة عن إرادتكم، فلا تميلوا كل الميل عن التي لا تحبونها فتتركوها مثل المعلقة لا هي ذات زوج يقوم بحقها، ولا غير ذات زوج فتتطلع للزواج، وإن تصلحوا ما بينكم بأن تحملوا أنفسكم على ما لا تهواه من القيام بحق الزوجة، وتتقوا الله فيها، فإن الله كان غفوراً رحيماً بكم.(2)

* * *

يَعْنِي:- ولن تقدروا أيها الرجال- على تحقيق العدل التام بين النساء في المحبة وميل القلب، مهما بذلتم في ذلك من الجهد، فلا تعرضوا عن المرغوب عنها كل الإعراض، فتتركوها كالمرأة التي ليست بذات زوج ولا هي مطلقة فتأثموا. وإن تصلحوا أعمالكم فتعدلوا في قَسْمكم بين زوجاتكم، وتراقبوا الله تعالى وتخشوه فيهن، فإن الله تعالى كان غفوراً لعباده، رحيماً بهم.(3)

* * *

يَعْنِي:- وإن العدل مع النساء بالمحبة الدائمة التي لا تشوبها شائبة، والمساواة بين محبتها بحيث يبادلها ما تبادله، أمر غير ممكن دائماً، وغير ممكنة كذلك المساواة في المحبة بين الزوجات إذا كان عنده أكثر من واحدة، ولكن إذا حرصتم فلا تجوروا عليها وتميلوا كل الميل إلى غيرها وتتركوها لا هي ذات زوج ولا هي مطلقة، ويجب أن تصلحوا أنفسكم وتقيموا الأسرة على الصلاح من غير إفساد. وتتقوا الله فإن الله يغفر لكم ويرحمكم إذ من شأنه المغفرة والرحمة.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَن تَسْتَطِيعُوا} ... أَنْ تَعْدِلُوا ومحال أن تستطيعوا العدل.

{وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا}|... تُسَوُّوا.

{بَيْنَ النِّسَاءِ} ... فِي الْمَحَبَّة.

{بَيْنَ النِّسَاءِ} ... حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن، فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته، وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم، لأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم.

{وَلَوْ حَرَصْتُمْ} ... عَلَى ذَلِكَ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (128)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (99/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (133/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ} ... إِلَى الَّتِي تُحِبُّونَهَا فِي الْقَسْمِ وَالنَّفَقَة.

{فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} ... وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة.

{فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} ... فتركتوها كالمعلقة ما هي بالمزوجة ولا المطلقة.

{فَتَذَرُوهَا} ... تَتْرُكُوهَا. (أَيْ: تَتْرُكُوا الْمُمَالَ عَنْهَا).

{كَالْمُعَلَّقَةِ} ... الَّتِي لَيْسَتْ بِذَاتِ زَوْجٍ، وَلاَ مُطَلَّقَةٍ. (أي: الَّتِي لاَ هِيَ أَيِّمٌ وَلاَ هِيَ ذَاتَ بَعْلٍ).

{وَإِنْ تُصْلِحُوا} ... بِالْعَدْلِ بِالْقَسْم.

{وَإِنْ تُصْلِحُوا} ... ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة.

{وَتَتَّقُوا} ... فيما يستقبل.

{وَتَتَّقُوا} ... الْجَوْر.

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} ... غفر الله لكم.

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا} ... لِمَا فِي قَلْبِكُمْ مِنَ الْمَيْلِ. {رَحِيمًا} ... بِكُمْ فِي ذَلِكَ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قَالَ: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) هذا العدل الذي ذكر تعالى هنا أنه لا يستطاع هو العدل في المحبة، والميل الطبيعي" لأنه ليس تحت قدرة البشر بخلاف العدل في الحقوق الشرعية فإنه مستطاع،

وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا).[1]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) - والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: لا تستطيع أن تعدل بالشهوة بينهن ولو حرصت.[2][3]

وقال أيضاً في تفسير هذه الآية الكريمة:

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) - والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما) (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: يعني: في الحب والجماع.[4][5]

* * *

قوله تعالى: (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة)

قَالَ: الإِمَامُ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا أبو الوليد الطيالسي، ثنا همام، ثنا قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك، عن (أبي هريرة)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من كانت

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (129).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (129).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (129).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (129).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (129).

له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل)).(1)

* * *

(ت س جة) , عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ("مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ (2) فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا) (3) (جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدُ شِقَّيْهِ (4) مَائِلٌ) (5)(6)

وفي رواية: " جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ " (7)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - رحمهما الله - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (فتذروها كالمعلقة) تذروها لا هي أيم، ولا هي ذات زوج.(8)(9)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {كَالْمُعَلَّقَةِ}: لاَ هِيَ أَيِّمٌ، وَلاَ ذَاتُ زَوْجٍ.(10)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَلَن تستطيعوا أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النسآء} فِي الْحبّ {وَلَوْ حَرَصْتُمْ} جهدتم {فَلاَ تَمِيلُواْ} بِالْبدنِ {كُلَّ الْميل} إِلَى الشَّابَّة {فَتَذَرُوهَا} الْأُخْرَى يَعْنِي الْمَرْأَة الْعَجُوز {كالمعلقة} كالمسجونة لاَ أيم وَلاَ ذَات بعل {وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ} تسووا وتتقوا الْميل والجور {فَإِنَّ الله كَانَ

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (242/2)، (ح 2133)- (كتاب : النكاح)، / باب: (في القسم بين النساء).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه) براقم (438/3)، (ح 1141) – (كتاب : النكاح)، / باب:(ما جاء في التسوية بين الضرائر).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائى) في (سننه) برقم (63/7) –(كتاب عشرة النساء)،/ باب: (ميل الرجل إلى بعض نسائه).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجه) في (سننه) برقم (633/1)، (ح 1969) – (كتاب : النكاح)، / باب: (القسمة بين النساء).

وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (186/2) – ((كتاب : النكاح من طرق عن همام به نحوه).

قال: الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك): (صحيح على شرط الشيخين) ولم يخرجاه، وأقره الإِمَامْ (الذهبي).

ونقل الإِمَامْ (ابن حجر) عن ابن دقيق العيد قوله: (إسناده على شرط الشيخين) ونقل عن (عبد الحق) قوله: خبر ثابت (التلخيص الحبير 201/3). وقد أعله بعضهم بأن هماماً تفرد برفعه، وأن هشاماً الدستوائى قال فيه: كان يقال. لكن قال: الإِمَامْ (الترمذي): لا يعرف هذا الحديث مرفوعاً إلا من حديث همام وهمام ثقة حافظ. وتعقبه ابن الملقن فقال: هو ثقة احتج به الشيخان وباقي الكتب السته فلا يضره ذلك (خلاصة البدر المنير) برقم (213/2)

وقال: الإِمَامْ (الحافظ ابن حجر): رجاله ثقات (الدراية) برقم (66/2)،

و(صححه) الإِمَامْ (السيوطي) في (الجامع الصغير) برقم (430/1)، (ح 826)

.

وقال:الإِمَامْ (الألباني) في جواب هذه العلة: وهذه العلة غير قادحة ولذلك تتابع العلماء على تصحيحه (إرواء الغليل) برقم (81/7).

ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/ 121)، الطبعة : الأولى)،

(2) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3942).

(3) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1141).

(4) أَيْ: أَحَد جَنْبَيْهِ وَطَرَفه. عون المعبود - (ج 5 / ص 17).

(5) أَيْ: مَفْلُوج. عون المعبود - (ج 5 / ص 17)

(6) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (3942).

(7) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجه) في (سننه) برقم (1969).

صححه الإمام (الألباني) في (الإرواء): (2017).

وَفِي (المسند) للإِمَامْ (أحمد بن حنبل) برقم (7923): ((جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجُرُّ أَحَدَ شِقَّيْهِ سَاقِطًا أَوْ مَائِلًا)) , وَهَذَا الْحُكْمُ غَيْرُ مَقْصُورٍ عَلَى اِمْرَأَتَيْنِ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَتْ ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ كَانَ السُّقُوطُ ثَابِتًا. تحفة الأحوذي - (ج 3 / ص 216).

وَالْحَدِيث دَلِيل عَلَى أَنَّهُ يَجِب عَلَى الزَّوْج التَّسْوِيَة بَيْن الزَّوْجَات، وَيَحْرُم عَلَيْهِ الْمَيْل إِلَى إِحْدَاهُنَّ , وَقَدْ قَالَ تَعَالَى {فَلَا تَمِيلُوا كُلّ الْمَيْل} وَالْمُرَاد الْمَيْل فِي الْقَسْم وَالْإِنْفَاق , لَا فِي الْمَحَبَّة , لِأَنَّهَا مِمَّا لَا يَمْلِكهُ الْعَبْد. عون (ج5ص17).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (129)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (129).

(9) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (129).

(10) انظر:صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (129). برقم (ج 6/ ص49).

{غَفُوراً} لمن تاب من الميل والجور {رَّحِيماً} على من مات على التَّوْبَة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {129} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ} أَيْ: لَنْ تَقْدِرُوا أَنْ تُسَوُّوا بَيْنَ النِّسَاءِ فِي الْحُبِّ وميل القلب، {وَلَوْ حَرَصْتُمْ} على العدل، {فَلَا تَمِيلُوا} أَيْ: إِلَى الَّتِي تُحِبُّونَهَا، {كُلَّ الْمَيْلِ} فِي الْقَسْمِ وَالنَّفَقَةِ، أَيْ: لَا تُتْبِعُوا أَهْوَاءَكُمْ أَفْعَالَكُمْ، {فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} أي: فتدعوا الأخرى كالمعلقة لَا أَيِّمًا وَلَا ذَاتَ بَعْلٍ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): كَالْمَحْبُوسَةِ، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: كَأَنَّهَا مَسْجُونَةٌ.

وَرُوِيَ عَنْ (أَبِي قِلَابَةَ) أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ: ((اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ ولا أملك)). (2)

{وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا} الْجَوْرَ، {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} {النساء: 129}. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {129} {وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}.

يخبر تعالى: أن الأزواج لا يستطيعون وليس في قدرتهم العدل التام بين النساء، وذلك لأن العدل يستلزم وجود المحبة على السواء، والداعي على السواء، والميل في القلب إليهن على السواء، ثم العمل بمقتضى ذلك. وهذا متعذر غير ممكن، فلذلك عفا الله عما لا يستطاع، ونهى عما هو ممكن بقوله: {فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} أي: لا تميلوا ميلا كثيرا بحيث لا تؤدون حقوقهن الواجبة، بل افعلوا ما هو باستطاعتكم من العدل.

فالنفقة والكسوة والقسم ونحوها عليكم أن تعدلوا بينهن فيها، بخلاف الحب والوطء ونحو ذلك، فإن الزوجة إذا ترك زوجها ما يجب لها، صارت كالمعلقة التي لا زوج لها فتستريح وتستعد للتزوج، ولا ذات زوج يقوم بحقوقها.

{وَإِنْ تُصْلِحُوا} ما بينكم وبين زوجاتكم، بإجبار أنفسكم على فعل ما لا تهواه النفس، احتسابا وقياما بحق الزوجة، وتصلحوا أيضا فيما بينكم وبين الناس، وتصلحوا أيضا بين الناس فيما تنازعوا فيه، وهذا يستلزم الحث على كل طريق يوصل إلى الصلح مطلقا كما تقدم.

{وَتَتَّقُوا} الله بفعل المأمور وترك المحظور، والصبر على المقدور.

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} يغفر ما صدر منكم من الذنوب والتقصير في الحق الواجب،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (129). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) أخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في ((كتاب: النكاح) برقم (38).

وأخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (كتاب عشرة النساء) برقم (2).

وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجه) في ((كتاب: النكاح) برقم (47).

وأخرجه الإِمَامُ (الدارمي) في ((كتاب: النكاح)/ برقم (25)، وهو معل.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (129).

ويرحمكم كما عطفتم على أزواجكم ورحمتموهن.[1]

* * *

قال : الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} أَيْ: لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تُسَاوُوا بَيْنَ النِّسَاءِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ حَصَلَ الْقَسْمُ الصُّورِيُّ: لَيْلَةً وَلَيْلَةً، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْمَحَبَّةِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ، كَمَا قَالَهُ: (ابْنُ عَبَّاسٍ، وعُبَيْدة السَّلْمَانِي، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَالضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ).

وَقَوْلُهُ: {فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ} أَيْ: فَإِذَا مِلْتُمْ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ فَلَا تُبَالِغُوا فِي الْمَيْلِ بِالْكُلِّيَّةِ {فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} أَيْ: فَتَبْقَى هَذِهِ الْأُخْرَى مُعَلَّقَةً.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ): مَعْنَاهُ لَا ذَاتَ زَوْجٍ وَلَا مُطَلَّقَةً.[2]

وَقَدْ قَالَ: الإمام (أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ): أَنْبَأَنَا هَمَّامٌ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ نَهِيكٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ)).[3]

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، وَ(أَهْلُ السُّنَنِ)، مِنْ حَدِيثِ هَمَّامِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ (قَتَادَةَ)، بِهِ.

وَقَالَ: الإمام (التِّرْمِذِيُّ): إِنَّمَا أَسْنَدَهُ هَمَّامٌ، ورواه هشام الدستوائي عَنْ (قَتَادَةَ) – قَالَ: "كَانَ يُقَالُ". وَلَا نَعْرِفُ هَذَا الْحَدِيثَ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ هَمَّامٍ.

وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} أَيْ: وَإِنْ أَصْلَحْتُمْ فِي أُمُورِكُمْ، وَقَسَمْتُمْ بِالْعَدْلِ فِيمَا تَمْلِكُونَ، وَاتَّقَيْتُمُ اللَّهَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ مَا كَانَ مِنْ مَيْلٍ إِلَى بَعْضِ النِّسَاءِ دُونَ بَعْضٍ.[4]

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء"، لن تطيقوا، أيها الرجال، أن تسوُّوا بين نسائكم وأزواجكم في حُبِّهن بقلوبكم حتى تعدلوا بينهنّ في ذلك، فلا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (129)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (129)، للإمَامُ (ابن كثير).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (الطيالسي) في (المسند) برقم (1597).

وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1/471). وأيضا (2/347).

وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2133)، - ((كتاب: النكاح).

وأخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (1141)، - ((كتاب: النكاح).

وأخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن) برقم (7/63)، - (كتاب عشر النساء).

وأخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1969)، - ((كتاب: النكاح).

و(صححه) الإمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (2077).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (129)، للإمَامُ (ابن كثير).

يكون في قلوبكم لبعضهن من المحبة إلا مثل ما لصواحبها، لأن ذلك مما لا تملكونه، وليس إليكم،

{ولو حرصتم}، يقول: ولو حرصتم في تسويتكم بينهن في ذلك، كما:-

10626 - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد) في قوله: {ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم}، قال: واجبٌ، أن لا تستطيعوا العدل بينهن.

* * *

{فلا تميلوا كلَّ الميل}، يقول: فلا تميلوا بأهوائكم إلى من لم تملكوا محبته منهن كلَّ الميل، حتى يحملكم ذلك على أن تجوروا على صواحبها في ترك أداء الواجب لهن عليكم من حق: في القسم لهن، والنفقة عليهن، والعشرة بالمعروف.

{فتذروها كالمعلقة} يقول: فتذروا التي هي سوى التي ملتم بأهوائكم إليها،

{كالمعلقة}، يعني: كالتي لا هي ذات زوج، ولا هي أيِّمٌ.

قال: (أبو جعفر): وإنما أمر الله جل ثناؤه بقوله: {فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة}، الرجالَ بالعدل بين أزواجهن فيما استطاعوا فيه العدل بينهن من القسمة بينهن، والنفقة، وترك الجور في ذلك بإرسال إحداهن على الأخرى فيما فرض عليهم العدلَ بينهن فيه، إذ كان قد صفح لهم عمَا لا يطيقون العدلَ فيه بينهنّ مما في القلوب من المحبة والهوى.

* * *

القول في تأويل قوله: {وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (129)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: {وإن تصلحوا} أعمالكم، أيها الناس، فتعدلوا في قسمكم بين أزواجكم، وما فرض الله لهن عليكم من النفقة والعشرة بالمعروف، فلا تجوروا في ذلك.

{وتتقوا}، يقول: وتتقوا الله في الميل الذي نهاكم عنه، بأن تميلوا لإحداهن على الأخرى، فتظلموها حقها مما أوجبَه الله لها عليكم.

{فإن الله كان غفورًا}، يقول: فإن الله يستر عليكم ما سلف منكم من ميلكم وجوركم عليهن قبل ذلك، بتركه عقوبتكم عليه، ويغطِّي ذلك عليكم بعفوه عنكم ما مضى منكم في ذلك قبل.

{رحيمًا}، يقول: وكان رحيمًا بكم، إذ تاب عليكم، فقبل توبَتكم من الذي سلف منكم من جوركم في ذلك عليهن، وفي ترخيصه لكم الصلح بينكم وبينهن، بصفحهن عن حقوقهن لكم من القَسْم على أن لا يطلّقن.(1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {19} (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ) أَخْبَرَ تَعَالَى

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (129)، للإِمَامْ (الطبري).

بِنَفْيِ الاسْتِطَاعَةِ فِي الْعَدْلِ بَيْنَ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ فِي مَيْلِ الطَّبْعِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْجِمَاعِ وَالْحَظِّ مِنَ الْقَلْبِ. فَوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَةَ الْبَشَرِ وَأَنَّهُمْ بِحُكْمِ الْخِلْقَةِ لاَ يَمْلِكُونَ مَيْلَ قُلُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، وَلِهَذَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ). ثُمَّ نَهَى فَقَالَ: (فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ).

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): لاَ تَتَعَمَّدُوا الإِسَاءَةَ بَلِ الْزَمُوا التَّسْوِيَةَ فِي الْقَسْمِ وَالنَّفَقَةِ، لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يُسْتَطَاعُ. وَسَيَأْتِي بَيَانُ هَذَا فِي (الْأَحْزَابِ) مَبْسُوطًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وروى (قَتَادَةُ) عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ بَشِيرِ بْنِ نَهِيكٍ عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) أَيْ لاَ هِيَ مُطَلَّقَةٌ وَلاَ ذَاتُ زَوْجٍ، قَالَهُ الْحَسَنُ. وَهَذَا تَشْبِيهٌ بِالشَّيْءِ الْمُعَلَّقِ مِن شيء، لِأَنَّهُ لاَ عَلَى الْأَرْضِ اسْتَقَرَّ وَلاَ عَلَى مَا عُلِّقَ عَلَيْهِ انْحَمَلَ، وَهَذَا مُطَّرِدٌ فِي قَوْلِهِمْ فِي الْمَثَلِ: (ارْضَ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالتَّعْلِيقِ). وفي عرف النحويين فمن تعليق الفعل. وَمِنْهُ فِي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ فِي قَوْلِ الْمَرْأَةِ: زَوْجِي الْعَشَنَّقُ، إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ، وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): كَالْمَسْجُونَةِ، وَكَذَا قَرَأَ أُبَيٌّ (فَتَذَرُوهَا كَالْمَسْجُونَةِ).

وَقَرَأَ (ابْنُ مَسْعُودٍ): (فَتَذَرُوهَا كَأَنَّهَا مُعَلَّقَةٌ).

وَمَوْضِعُ (فَتَذَرُوهَا) نَصْبٌ، لِأَنَّهُ جَوَابُ النَّهْيِ. وَالْكَافُ فِي (كَالْمُعَلَّقَةِ) فِي مَوْضِعِ نصب أيضا. (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ[1] فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} فقد تضمنت حقيقة كبرى وهي عجز الزوج عن العدل بين زوجاته اللائي في عصمته، فهما حرص على العدل وتوخاه فإنه لن يصل إلى منتهاه أبداً، والمراد بالعدل هنا في الحب والجماع. أما في القسمة والكساء والغذاء والعشرة بالمعروف فهذا مستطاع له، ولما علم تعالى هذا من عبده رخص له في ذلك ولم يؤاخذه بميلة النفس، كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللهم هذا قسمي[2] فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك" والمحرم على الزوج هو الميل[3] الكامل إلى إحدى زوجاته عن باقيهن، لأن ذلك يؤدي أن تبقى المؤمنة في وضع لا هي متزوجة تتمتع بالحقوق الزوجية ولا هي مطلقة يمكنها أن تتزوج من رجل آخر تسعد بحقوقها معه، وهذا معنى قوله تعالى: {فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ}، وقوله تعالى: {وَإِنْ تُصْلِحُوا} أي: أيها الأزواج في أعمالكم وفي القسم بين زوجاتكم وتتقوا الله تعالى في ذلك فلا تميلوا كل الميل، ولا تجوروا فيما تطيقون العدل فيه فإنه تعالى

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (129)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

يغفر لكم ما عجزتم عن القيام به لضعفكم ويرحمكم في دنياكم وأخراكم لأن الله تعالى كان وما زال عفواً للتائبين رحيماً بالمؤمنين. (1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} " أي ولن تقدروا أن تساووا بين النساء ولو اجتهدتم في العدل ،

كما رُوِيَ " أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ ثُمَّ يَقُولُ : " اللَّهُمَّ إنَّ هَذَا قَسْمِي فِيْمَا أمْلِكُ " فَلاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا لاَ أمْلِكُ " وأرادَ به التسوية وَالْمَحَبَّةَ ".

قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} " أي لا تَميلُوا إلى الشَّابَّة والجملَة بالفعل كلَّ الميل في النفقة والقسمة والإقبال عليها ، فتتركُوا العجوزَ بغير قسمة كَالْمَنْبُوذَةِ وَالْمَحْبُوسَةِ لا أيْمَ ولا ذاتَ بعلٍ.

وعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : ((مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأتَانِ فَمَالَ إلَى أحَدَاهُمَا " جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأحَدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ)).

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ} " أي وإنْ تُصلِحُواْ ما أفْسَدْتُمُوهُ بإفراد الْمَيْلِ ، فتَعْدِلُوا في القسمة بينَهُنَّ ، وتتَّقُوا الْجَوْرَ والعقوبةَ فيه ،

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} " لِمَا سَلَفَ منكُم من الظُّلْمِ عليهِنَّ رَحِيْماً بكم بعد التوبة. (2)

* * *

[١٣٠] ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

وإن تفرق الزوجان بطلاق أو خُلْع أغْنَى الله كلًّا منهما من فضله الواسع، فيغني الرجل بزوجة خير له منها، ويغني المرأة بزوج خير لها منه، وكان الله واسع الفضل والرحمة، حكيمًا في تدبيره وتقديره. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإن وقعت الفرقة بين الرجل وامرأته، فإن الله تعالى يغني كلا منهما من فضله وسعته" فإنه سبحانه وتعالى واسع الفضل والمنة، حكيم فيما يقضي به بين عباده. (4)

* * *

يَعْنِي:- وإذا لم يمكن الإصلاح واستحكمت النفرة، فإن التفريق لازم، وإن يتفرقا يغن الله كل واحد منهما من سعة رحمته وفضله، والأرزاق بيد الله، والله واسع الرحمة

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (129)، للإمام : (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (129)،

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (99/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

والفضل، وهو حكيم يضع الأمور في مواضعها.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَإِنْ يَتَفَرَّقَا} ... وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه.

{وَإِنْ يَتَفَرَّقَا} ... أَيْ: الزَّوْجَانِ بِالطَّلَاقِ .

{يُغْنِ اللَّه كُلًّا} ... عَنْ صَاحِبه.

{يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا} ... يرزقه زوجا خيرا من زوجه، وعيشا أهنأ من عيشه.

{مِنْ سَعَتِهِ} ... أَيْ: فَضْله بِأَنْ يَرْزُقهَا زَوْجًا غَيْره وَيَرْزُقهُ غَيْرهَا.

{مِنْ سَعَتِهِ}...السعة: الغنى والمقدرة.

{وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا} ... لِخَلْقه فِي الْفَضْل.

{واسعاً} ... الواسع: الغنى المقتدر.

{حكيمًا} ... فيما دبر لهم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا} وَهَذِهِ هِيَ الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ، وَهِيَ حَالَةُ الْفِرَاقِ، وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمَا إِذَا تَفَرَّقَا فَإِنَّ اللَّهَ يُغْنِيهِ عَنْهَا وَيُغْنِيهَا عَنْهُ، بِأَنْ يُعَوِّضَهُ بِهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهَا، وَيُعَوِّضَهَا عَنْهُ بِمَنْ هُوَ خَيْرٌ لَهَا مِنْهُ: {وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا} أَيْ: وَاسِعَ الْفَضْلِ عَظِيمَ الْمَنِّ، حَكِيمًا فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْدَارِهِ وَشَرْعِهِ.(2)

* * *

قوله تعالى: (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته).

قال: الإمامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر في هذه الآية الكريمة أن الزوجين إذا افترقا أغنى الله كلا منهما من سعته وفضله الواسع، وربط بين الأمرين بأن جعل أحدهما شرطا والآخر جزاء. وقد ذكر أيضاً أن النكاح سبب للغنى بقوله: {وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله} .(3)

* * *

قال: الإمَامْ (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد): في قول الله: (وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته) قال: الطلاق.(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {وَإِن يَتَفَرَّقَا} يَعْنِي الْمَرْأَة وَالزَّوْج بِالطَّلَاق {يُغْنِ الله كُلاًّ} يَعْنِي الزَّوْج وَالْمَرْأَة {مِّن سَعَتِهِ} من رزقه الزَّوْج بِامْرَأَة أُخْرَى وَالْمَرْأَة بِزَوْج آخر {وَكَانَ الله وَاسِعاً} لَهما فِي النِّكَاح

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (133/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (130)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (130).

(4) انظر: (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (122/2)، للشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين).

{حكيمـاً} فيمـا حكـم عليهمـا مـن العـدل وكـان لأسعد بـن ربيـع امـرأة أُخـرى شـابة يميـل إليهـا فنهـاهُ الله عـن ذلـك وأمـره بالتسـوية بـين العجوز والشابة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {130} {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا} يعْنِي: الزَّوْجُ وَالْمَرْأَةُ بِالطَّلَاقِ، {يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ} مِنْ رِزْقِهِ، يَعْنِي: الْمَرْأَةَ بِزَوْجٍ آخَرَ وَالزَّوْجَ بِامْرَأَةٍ أُخْرَى، {وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا} وَاسِعَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ حَكِيمًا فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، وَجُمْلَةُ حُكْمِ الْآيَةِ: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَتْ تَحْتَهُ امْرَأَتَانِ أَوْ أَكْثَرُ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُنَّ فِي الْقَسْمِ، فَإِنْ تَرَكَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُنَّ فِي فِعْلِ الْقَسْمِ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ لِلْمَظْلُومَةِ وَالتَّسْوِيَةُ شَرْطٌ فِي الْبَيْتُوتَةِ، أَمَّا فِي الْجِمَاعِ فَلَا، لِأَنَّهُ يَدُورُ عَلَى النَّشَاطِ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْهِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {130} {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا}.

هذه الحالة الثالثة بين الزوجين، إذا تعذر الاتفاق فإنه لا بأس بالفراق، فقال: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا} أي: بطلاق أو فسخ أو خلع أو غير ذلك.

{يُغْنِ اللَّهُ كُلا} من الزوجين {مِنْ سَعَتِهِ} أي: من فضله وإحسانه الواسع الشامل. فيغني الزوج بزوجة خير له منها، ويغنيها من فضله وإن انقطع نصيبها من زوجها، فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم بمصالحهم، ولعل الله يرزقها زوجا خيرا منه، {وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا} أي: كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه.

ولكنه مع ذلك {حَكِيمًا} أي: يعطي بحكمة، ويمنع لحكمة. فإذا اقتضت حكمته منع بعض عباده من إحسانه، بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان، حرمه عدلا وحكمة. (3)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ4 وَكَانَ اللهُ وَاسِعاً حَكِيماً} فإن الله تعالى يعد الزوجين الذين لم يوفقا للإصلاح بينهما لشح كل منهما بماله وعدم التنازل عن شيء من ذلك يعدهما ربهما إن هم تفرقا بالمعروف أن يغني كلا من سعته، وهو الواسع الحكيم. فالمرأة يرزقها زوجاً خيراً من زوجها الذي فارقته، والرجل يرزقه كذلك امرأة خيراً ممن فارقها لتعذر الصلح بينهما. (4)

* * *

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (130). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (130).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (130)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (130)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

قال: الإمَام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):–

القول في تأويل قوله : {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (130)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: فإن أبت المرأة التي قد نشز عليها زوجها= إذ أعرض عنها بالميل منه إلى ضرّتها لجمالها أو شبابها، أو غير ذلك مما تميل النفوس له إليها ، الصلحَ بصفحها لزوجها عن يومها وليلتها، وطلبت حقَّها منه من القسم والنفقة، وما أوجب الله لها عليه، وأبى الزوج الأخذَ عليها بالإحسان الذي ندبه الله إليه بقوله: {وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا} ، وإلحاقَها في القسم لها والنفقة والعشرة بالتي هو إليها مائل، فتفرقا بطلاق الزوج إياها،

{يُغْنِ الله كلا من سعته} ، يقول: يغن الله الزوجَ والمرأة المطلقة من سعة فضله. أما هذه، فبزوج هو أصلح لها من المطلِّق الأول، أو برزق أوسع وعصمة. وأما هذا، فبرزق واسع وزوجة هي أصلح له من المطلقة، أو عفة،

{وكان الله واسعًا} ، يعني: وكان الله واسعًا لهما، في رزقه إياهما وغيرهما من خلقه ،

{حكيمًا} ، فيما قضى بينه وبينها من الفرقة والطلاق، وسائر المعاني التي عرفناها من الحكم بينهما في هذه الآيات وغيرها، وفي غير ذلك من أحكامه وتدبيره وقضاياه في خلقه.

* * *

10672- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد): في قول الله: {وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته} ، قال: الطلاق.(1)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):– قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ) أَيْ وَإِنْ لَمْ يَصْطَلِحَا بَلْ تَفَرَّقَا فَلْيُحْسِنَا ظَنَّهُمَا بِاللَّهِ، فَقَدْ يُقَيِّضُ لِلرَّجُلِ امْرَأَةً تَقَرُّ بِهَا عَيْنُهُ، وَلِلْمَرْأَةِ مَنْ يُوَسِّعُ عَلَيْهَا.

وَرُوِيَ عَنْ (جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ) أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَيْهِ الْفَقْرَ، فَأَمَرَهُ بِالنِّكَاحِ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ وَتَزَوَّجَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِ وَشَكَا إِلَيْهِ الْفَقْرَ، فَأَمَرَهُ بِالطَّلَاقِ، فَسُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: أَمَرْتُهُ بِالنِّكَاحِ لَعَلَّهُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ: (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْآيَةِ أَمَرْتُهُ بِالطَّلَاقِ فَقُلْتُ: فَلَعَلَّهُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ).(2)

* * *

[١٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾:

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (130)، للإمَام (الطبري)،
(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (130)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولله وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض وملك ما بينهما، ولقد عَهِدنا إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وعَهِدنا إليكم بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وإن تكفروا بهذا العهد فلن تضروا إلا أنفسكم، فالله غني عن طاعتكم، فله ملك ما في السماوات وما في الأرض، وهو الغني عن جميع خلقه، المحمود على جميع صفاته وأفعاله. (1)

* * *

يَعْنِي:- ولله ملك ما في السموات وما في الأرض وما بينهما. ولقد عهدنا إلى الذين أُعطوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى، وعهدنا إليكم كذلك -يا أمة محمد- ﷺ - بتقوى الله تعالى، والقيام بأمره واجتناب نهيه، وبيَّنَّا لكم أنكم إن تجحدوا وحدانية الله تعالى وشرعه فإنه سبحانه غني عنكم" لأن له جميع ما في السموات والأرض. وكان الله غنيّاً عن خلقه، حميدًا في صفاته وأفعاله. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن لب الدين هو الخضوع لمنْشِئ الكون ذى الجلال والإكرام، والاعتراف بسلطانه المطلق، فلله كل ما فى السموات والأرض، وبهذا السلطان المطلق قال تعالى: وصيّنا أهل الديانات السماوية من أهل الكتاب وأنتم - معشر المسلمين - بأن تخافوه وتعبدوه، وألا تكفروا بعبادته، فهو صاحب السلطان المطلق فى الأرض والسموات، لا يخل بسلطانه شئ، وهو غنى عنكم، ومع ذلك يحمد لكم إيمانكم، لأن من شأنه الغنى، وأن يحمد مع ذلك فعل الخير من عباده. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}... {أي: خلقاً وملكاً وتصرفاً وتدبيراً}.

{ولله ما في السماوات والأرض وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِين أُوتوا الْكِتَاب}... بِمَعْنَى الْكُتُب

{وَلَقَدْ وَصَّيْنَا}... أي: بالأمر بالتقوى.

{مِنْ قَبْلِكُم}... متعلق بقوله تعالى وَصَّيْنَا أو بالفعل أوتوا.

{مِنْ قَبْلِكُم}... أَيْ: الْيَهُود وَالنَّصَارَى.

{وَإِيَّاكُم}... يَا أَهْل الْقُرْآن.

{أَنْ}... أَيْ: بِأَنْ.

{اتَّقُوا اللَّه}... خَافُوا عِقَابَهُ بِأَنْ تُطِيعُوه.

{وَإِيَّاكُمْ}... عطف على الَّذِينَ أُوتوا الْكِتَابَ.

{الْكِتَابَ}... اسم جنس يتناول الكتب السماوية.

{أَنِ اتَّقُوا}... أي: بأن اتقوا، وتكون أن التفسيرية، لأن التوصية فى معنى القول.

{و}... قُلْنَا لَهُمْ وَلَكُمْ.

{إِنْ تَكْفُرُوا}... بِمَا وَصَّيْتُم بِهِ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (99/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (134/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} ... خَلْقًا وَمُلْكًا وَعَبِيدًا فَلاَ يَضُرُّه كُفْرُكُمْ.

{وَكَانَ اللَّهُ} ... مع ذلك.

{غَنِيًّا} ... عن خلقه ، وعن عبادتهم جميعا.

{حَمِيدًا} ... مستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد منهم..

{وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا} ... عَنْ خَلْقِه وَعِبَادَتِهِمْ.

{حَمِيدًا} ... مَحْمُودًا فِي صُنْعِه بِهِمْ.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131)}

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ الْحَاكِمُ فيهما" وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ} أَيْ: وَصَّيْنَاكُمْ بِمَا وَصَّيْنَاهُمْ بِهِ، مِنْ تَقْوَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

ثُمَّ قَالَ: {وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا} ، كَمَا قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: {إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} {إِبْرَاهِيمَ: 8}،

وقَالَ: {فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} {التَّغَابُنِ: 6} أَيْ: غَنِيٌّ عَنْ عِبَادِه،

{حَمِيدٌ} أَيْ: مَحْمُودٌ فِي جَمِيعِ مَا يُقَدِّرُهُ وَيَشْرَعُهُ. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} من الخزائن {وَمَا فِي الأَرْضِ} من الخزائن وَغير ذَلِك {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذين أُوتُواْ الْكتاب} أعْطوا الْكتاب {من قبلكُمْ} يَعْنِي أهل التَّوْرَاة فِي التَّوْرَاة وَأهل الْإِنْجِيل فِي الْإِنْجِيل وَأهل كل كتاب فِي كتابهمْ {وَإِيَّاكُمْ} يَا أمة مُحَمَّد فِي كتابكُمْ {أَن اتَّقوا الله} أطِيعُوا الله {وَإِن تكفُرواْ} بِاللَّه {فَإِنَّ للَّه مَا فِي السَّمَاوَات} من الْمَلَائِكَة جنود {وَمَا فِي الأَرْض} من الْجِنّ وَالْإِنْس وَغير ذَلِك جنود {وَكَانَ الله غَنِيّاً} عَن إيمَانكُمْ {حَمِيداً} لمن وحد وَيُقَال مَحْمُودًا فِي أَفعاله يشْكر الْيَسِير وَيجزي الجزيل. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {131} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} عبيدًا وملكا {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} يَعْنِي: أَهْلَ التَّوْرَاةِ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (131)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (131). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

وَالْإِنْجِيلِ قِيلَ: فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي تَكْرَارِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ؟ قِيلَ: لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَجْهٌ، أَمَّا الْأَوَّلُ: فَمَعْنَاهُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ يُوصِيكُمْ بِالتَّقْوَى فَاقْبَلُوا وَصِيَّتَهُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَيَقُولُ: {فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا} أَيْ: هُوَ الْغَنِيُّ وَلَهُ الْمُلْكُ فَاطْلُبُوا مِنْهُ مَا تَطْلُبُونَ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَيَقُولُ: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} {النساء: 132} أَيْ: لَهُ الْمُلْكُ فَاتَّخِذُوهُ وَكِيلًا ولا تتوكلوا على غيره. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {131} {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا} .

يخبر تعالى عن عموم ملكه العظيم الواسع المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير، وتصرفه بأنواع التصريف قدرا وشرعا، فتصرفه الشرعي أن وصى الأولين والآخرين أهل الكتب السابقة واللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن أهملها وضيعها بأليم العذاب، ولهذا قال: {وَإِنْ تَكْفُرُوا} بأن تتركوا تقوى الله، وتشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم، ولا تضرون الله شيئا ولا تنقصون ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم وأكثر، مطيعون له خاضعون لأمره.

ولهذا رتب على ذلك قوله: {وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا} له الجود الكامل والإحسان الشامل الصادر من خزائن رحمته التي لا ينقصها الإنفاق ولا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، لو اجتمع أهل السماوات وأهل الأرض أولهم وآخرهم، فسأل كل ﴿واحد﴾ منهم ما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه شيئا، ذلك بأنه جواد واجد ماجد، عطاؤه كلام وعذابه كلام، إنما أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون.

ومن تمام غناه أنه كامل الأوصاف، إذ لو كان فيه نقص بوجه من الوجوه، لكان فيه نوع افتقار إلى ذلك الكمال، بل له كل صفة كمال، ومن تلك الصفة كمالها، ومن تمام غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولا شريكا في ملكه ولا ظهيرا، ولا معاونا له على شيء من تدابير ملكه.

ومن كمال غناه افتقار العالم العلوي والسفلي في جميع أحوالهم وشئونهم إليه وسؤالهم إياه جميع حوائجهم الدقيقة والجليلة، فقام تعالى بتلك المطالب والأسئلة وأغناهم وأقناهم، ومَنَّ عليهم بلطفه وهداهم.

وأما الحميد فهو من أسماء الله تعالى الجليلة الدال على أنه ﴿هو﴾ المستحق لكل حمد

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (131).

ومحبة وثناء وإكرام، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد، التي هي صفة الجمال والجلال، ولما أنعم به على خلقه من النِّعم الجزال، فهو المحمود على كل حال.

وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين {الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} !! فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):–

القول في تأويل قوله: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ولله جميع مُلْك ما حوته السموات السبع والأرَضون السبع من الأشياء كلها. وإنما ذكر جل ثناؤه ذلك بعقب قوله: {وإن يتفرَّقا يغن الله كلا من سعته}، تنبيهًا منه خلقَه على موضع الرغبة عند فراق أحدهم زوجته، ليفزعوا إليه عند الجزع من الحاجة والفاقة والوَحْشة بفراق سَكنه وزوجته= وتذكيرًا منه له أنه الذي له الأشياء كلها، وأن من كان له ملك جميع الأشياء، فغير متعذّر عليه أن يغنيَه وكلَّ ذي فاقة وحاجة، ويؤنس كلَّ ذي وحشة.

* * *

ثم رجع جل ثناؤه إلى عذل من سعى في أمر بني أبيرق وتوبيخهم، ووعيدِ من فعل ما فعل المرتدّ منهم، فقال {ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم}، يقول: ولقد أمرنا أهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل،

{وإياكم}، يقول: وأمرناكم وقلنا لكم ولهم: {اتقوا اللهْ}، يقول: احذروا الله أن تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه، {وإن تكفروا}، يقول: وإن تجحدوا وصيته إياكم، أيها المؤمنون، فتخالفوها،

{فإنّ لله ما في السموات وما في الأرض}، يقول: فإنكم لا تضرُّون بخلافكم وصيته غير أنفسكم، ولا تَعْدُون في كفركم ذلك أن تكونوا أمثالَ اليهود والنصارى، في نزول عقوبته بكم، وحلول غضبه عليكم، كما حلَّ بهم إذ بدَّلوا عهده ونقضوا ميثاقه، فغيَّر بهم ما كانوا فيه من خَفض العيش وأمن السِّرب، وجعل منهم القردة والخنازير. وذلك أن له ملك جميع ما حوته السموات والأرض، لا يمتنع عليه شيء أراده بجميعه وبشيء منه، من إعزاز من أراد إعزازه، وإذلال من أراد إذلاله، وغير ذلك من الأمور كلها، لأن الخلق خلقه، بهم إليه الفاقة والحاجة، وبه قواهم وبقاؤهم، وهلاكهم وفناؤهم، وهو {الغني} الذي لا حاجة تحلّ به إلى شيء، ولا فاقة تنزل به تضطرُّه إليكم، أيها الناس، ولا إلى غيركم،

{والحميدُ} الذي استوجب عليكم أيها الخلق الحمدَ بصنائعه الحميدة إليكم، وآلائه الجميلة لديكم. فاستديموا ذلك، أيها

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (131)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الناس، باتقائه، والمسارعة إلى طاعته فيما يأمركم به وينهاكم عنه، كما:

10674 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله بن هاشم قال، أخبرنا سيف، عن أبي روق، عن (علي) - رضي الله عنه-: {وكان الله غنيًّا حميدًا}، قال: غنيًّا عن خلقه، {حميدًا}، قال: مستحمدًا إليهم. (1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) أَيِ الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى كَانَ عَامًّا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ: وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي التَّقْوَى.

(وَإِيَّاكُمْ) عَطْفٌ عَلَى (الَّذِينَ).

(أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ،

قَالَ: (الْأَخْفَشُ): أَيْ بِأَنِ اتَّقُوا اللَّهَ.

وَقَالَ: بَعْضُ الْعَارِفِينَ: هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ رَحَى آيِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ جَمِيعَهُ يَدُورُ عَلَيْهَا. (2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {131} {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا}.

لما وعد تبارك وتعالى كلا من الزوجين المتفرقين بالإغناء عن صاحبه ذكر أنه يملك ما في السموات وما في الأرض، ولذا فهو قادر على إنائهما لسعة ملكه وعظيم فضله، ثم واجه بالخطاب الكريم الأمة جمعاً ومن بينها بني أبيرق فقال: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} يريد من اليهود والنصارى وغيرهم أوصاهم بتقواه عز وجل فلا يقدموا على مشاقته ولا يخرجوا عن طاعته بترك ما أوجب أو بفعل ما حرم، ثم أعلمهم أنهم وإن كفروا كما كفر طعمة وارتد فإن ذلك غير ضائره شيئاً، لأنه ذو الغنى والحمد، وكيف وله جميع ما في السموات وما في الأرض من كائنات ومخلوقات وهو ربها ومالكها والمتصرف فيها. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ: {وَللَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} "كُلُّهُمْ عبيدُ وإمَاؤُهُ، {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ} " أي أمَرْنَا أهلَ التوراة في التَّوراة، وأهلَ الإنْجِيْلِ في الإنجيلِ، وأهلَ كلِ كِتَابٍ في كتابهم،

{وَإِيَّاكُمْ} أي ووصَّيْنَاكم يا أمَّةَ مُحَمَّدٍ في كتابكم "

{أَنِ اتَّقُواْ اللَّهَ} " وأطيعوهُ في النِّسَاءِ واليتامَى وأحكامهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِن تَكْفُرُواْ} " أي وإن تَجْحَدُوا وصيَّةَ اللهِ سُبحَانَهُ وتَعَالَى فلم تَعْلَمُوا بها،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (131)، للإمام (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (131)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (131)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

{فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} " من الملائكة ،
{وَمَا فِي الأَرْضِ} " مِن الجِنِّ والإنسِ وسائر الخَلْق ،
{وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً} " عن عبادَتكم ، لا يضرُّهُ كُفْرُ مَن كَفَرَ منكم ، ولا ينفعهُ طاعةُ مَن أطاعَ منكم ،
{حَمِيداً} " مَحْمُوداً في ذاتهِ وفي خَوَاصِّ ملائكتهِ وعبادِه ، حَمَدْتُمُوهُ أو لم تَحْمَدُوهُ.
وَقِيْلَ : حامداً لِمن وَحَّدَهُ وأطاعَهُ. (1)

* * *

[١٣٢] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ولله وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض، المستحق أن يطاع، وكفى بالله متوليًا تدبير كل شؤون خلقه. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولله ملك ما في هذا الكون من الكائنات، وكفى به سبحانه قائمًا بشؤون خلقه حافظًا لها. (3)

* * *

يَعْنِي:- ولله - سبحانه وتعالى - تدبير كل ما فى السموات والأرض، فهو المسيطر والمُسَيِّر والمدبر وكفى أن يكون هو المتولى أمر الكون لينتظم، وأمر الناس ليعبدوه، ويفوضوا أمورهم إليه ويتقوه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْض} ... {أي: خلقاً وملكاً وتصرفاً وتدبيراً} .... كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا لِتَقْرِيرِ مُوجَبِ التَّقْوَى.

{وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ} ... فى التكرير تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه، لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله .

{وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا} ... إعلام بحفظه خلقه وتدبيره إياهم.

{وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا} ... شَهِيدًا بِأَنَّ مَا فِيهِما لَهُ .

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال : الإِمَام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ : {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا} أَيْ: هُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، الرَّقِيبُ الشَّهِيدُ عَلَى كل شيء. (5)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَلِلَّهِ مَا فِي

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني في سورة (النساء) الآية (131)،
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (99/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (134/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (132)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} مِنَ الْخلق {وَكفى بِاللَّه وَكِيلاً} رَبًّا.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} {النساء: 132} أَيْ: لَهُ الْمُلْكُ فَاتَّخِذُوهُ وَكِيلًا ولا تتوكلوا على غيره.(2)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا (132)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: ولله ملك جميع ما حوته السموات والأرض، وهو القيِّم بجميعه، والحافظ لذلك كله، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يؤوده حفظه وتدبيره،

10675 - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا هشام، عن عمرو، عن سعيد، عن (قتادة): {وكفى بالله وكيلا}، قال: حفيظًا.

* * *

فإن قال قائل: وما وجه تكرار قوله: {ولله ما في السموات وما في الأرض} في آيتين، إحداهما في إثر الأخرى؟

قيل: كرّر ذلك، لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض في الآيتين. وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين: ذكرُ حاجته إلى بارئه، وغنى بارئه عنه - وفي الأخرى: حفظ بارئه إياه، وعلمه به وتدبيره.

فإن قال: أفلا قيل: {وكان الله غنيًا حميدًا}، وكفى بالله وكيلا؟

قيل: إن الذي في الآية التي قال فيها: {وكان الله غنيًّا حميدًا}، مما صلح أن يختم ما ختم به من وصف الله بالغنى وأنه محمود، ولم يذكر فيها ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير. فلذلك كرّر قوله: {ولله ما في السموات وما في الأرض}.(3)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ أَعْلَمَ فِي الثَّالِثِ بِحِفْظِ خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ إِيَّاهُمْ بِقَوْلِهِ: (وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا) لان له ما في السموات وَمَا فِي الْأَرْضِ. وَقَالَ: (مَا فِي السَّماواتِ) ولم يقل من في السموات، لأنه ذهب به مذهب الجنس، وفي السموات والأرض من يعقل ومن لا يعقل.(4)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره) – (أيسر التَّفَاسير):-

. {132} {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا}. فقد كرر تعالى فيها الإعلان عن استحقاقه الحمد والغنى،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (132). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (النساء) الآية (132).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (132)، للإمَام (الطبري).

(4) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (132)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

وذلك لملكه جميع ما في السموات وما في الأرض ولقيوميته عليهما، وكفى به تعالى حافظاً ووكيلاً. (1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ : {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} " تَنْبِيْهٌ بعد تنبيه " كأنهُ تعالى نَبَّهَهُمْ عن غَفْلَتِهِمْ بأنه حَفِيظٌ على أعمالِهم كي يَتَحَفَّظُوا ولا يتهاوَنُوا لِمَا أُمِرُوا من أمرِ الله تعالى ، وليس شيءٌ من هَذه الألْفَاظِ تَكْرَارٌ في كتَابِ الله تعالى ، ولكنْ كلُّ واحدٍ منها مَقْرُونٌ بفَائِدَةٍ جَدِيْدَةٍ ، والفائدةُ في قوله تعالى : {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} بأنَّهَا الأمرُ بالاتِّكَالِ عَلَى الله تعالى ، والثِّقَةِ به وتفويضِ الأُمُورِ إليه ، ولذلكَ عَقَّبَهُ بقوله تعالى : {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً} " أي حَافِظاً لأعمالكم كَفِيلاً بأرزاقكم. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-. {132} {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا} . ثم كرر إحاطة ملكه لما في السماوات وما في الأرض، وأنه على كل شيء وكيل، أي: عالم قائم بتدبير الأشياء على وجه الحكمة، فإن ذلك من تمام الوكالة، فإن الوكالة تستلزم العلم بما هو وكيل عليه، والقوة والقدرة على تنفيذه وتدبيره، وكون ذلك التدبير على وجه الحكمة والمصلحة، فما نقص من ذلك فهو لنقص بالوكيل، والله تعالى منزه عن كل نقص. (3)

* * *

[١٣٣] ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

إن يشا يُهْلِككم أيها الناس- ويأت بآخرين غيركم يطيعون الله ولا يعصونه، وكان الله على ذلك قديراً. (4)

* * *

يَعْنِي:- إن يشأ الله يُهلكُم أيها الناس، ويأت بقوم آخرين غيركم. وكان الله على ذلك قديراً. (5)

* * *

يَعْنِي:- إنكم - معشر العباد - في سلطان الله، وهو القادر القاهر، إن يشأ يمتكم ويأت بآخرين، وهو ذو الجلال، قدير على ذلك وعلى كل شئ. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (132)، للإمام : (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (132).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (132)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (99/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (134/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ} ... يفنيكم كما أوجدكم وأنشأكم.

{وَيَأْتِ بِآخَرِينَ} ... ويوجد إنسا آخرين مكانكم، أو خلقا آخرين غير الإنس.

{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ} ... من الإفناء والإيجاد.

{قَدِيراً} ... بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً)

قال: الإمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه إن شاء أذهب الناس الموجودين وقت نزولها، وأتى بغيرهم بدلا منهم، وأقام الدليل على ذلك في موضع آخر، وذلك الدليل هو أنه أذهب من كان قبلهم وجاء بهم بدلا منهم وهو قوله تعالى: (إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) .

وذكر في موضع آخر: أنهم إن تولوا أبدل غيرهم وأن هؤلاء المبدلين لا يكونون مثل المبدل منهم بل يكونون خيرا منهم، وهو قوله تعالى: (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) .

وذكر في موضع آخر: أن ذلك هين عليه غير صعب وهو قوله تعالى: (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز)

أي: ليس بممتنع ولا صعب. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): في قوله: (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) ، قادر والله ربنا على ذلك: أن يهلك من يشاء من خلقه، ويأتي بآخرين من بعدهم. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} أَيْ: هُوَ قَادِرٌ عَلَى إِذْهَابِكُمْ وَتَبْدِيلِكُمْ بِغَيْرِكُمْ إِذَا عَصَيْتُمُوهُ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} {محمد: 38}.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا أَهْوَنَ الْعِبَادَ عَلَى اللَّهِ إِذَا أَضَاعُوا أَمْرَهُ! ،

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ} {إِبْرَاهِيمَ: 19، 20} أَيْ: مَا هُوَ عَلَيْهِ بِمُمْتَنِعٍ. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ} يهلككم {أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ} يخلق خلقا خيرا منكم وأطوع لله

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (133).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (133).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (133)، للإمَامْ (ابن كثير).

{وكَانَ الله على ذلك} على إهلاككم وتخليق غيْركمْ {قَدِيرًا}. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {133} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ} {الأنعام: 133} يهلككم {أَيُّهَا النَّاسُ} يعني: الكفار، {وَيَأْتِ بِآخَرِينَ} يَقُولُ بِغَيْرِكُمْ خَيْرٍ مِنْكُمْ وَأَطْوَعَ، {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} {النساء: 133} قَادِرًا. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {133} {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا}. أي: هو الغني الحميد الذي له القدرة الكاملة والمشيئة النافذة فيكم {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ} غيركم هم أطوع لله منكم وخير منكم، وفي هذا تهديد للناس على إقامتهم على كفرهم وإعراضهم عن ربهم، فإن الله لا يعبأ بهم شيئا إن لم يطيعوه، ولكنه يمهل ويملي ولا يهمل. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-
القول في تأويل قوله: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (133)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: إن يشأ الله، أيها الناس، {يذهبكم}، أي: يذهبكم بإهلاككم وإفنائكم، {ويأت بآخرين}، يقول: ويأت بناس آخرين غيركم لمؤازرة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم – ونصرته،

{وكان الله على ذلك قديرًا}، يقول: وكان الله على إهلاككم وإفنائكم واستبدال آخرين غيركم بكم،

{قديرًا}، يعني: ذا قدرة على ذلك. (4)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) يَعْنِي بِالْمَوْتِ (أَيُّهَا النَّاسُ). يُرِيدُ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ. (وَيَأْتِ بِآخَرِينَ) يَعْنِي بِغَيْرِكُمْ. وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -عَلَى ظَهْرِ سَلْمَانَ وَقَالَ: (هُمْ قَوْمُ هَذَا).

يَعْنِي:- الْآيَةُ عَامَّةٌ، أَيْ وَإِنْ تَكْفُرُوا يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ أَطْوَعَ لِلَّهِ مِنْكُمْ.

وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}.

وَفِي الْآيَةِ تَخْوِيفٌ وَتَنْبِيهٌ لجميع من كانت له ولاية وإمارة ورئاسة فَلاَ يَعْدِلُ فِي رَعِيَّتِه، أَوْ كَانَ عَالِماً فَلاَ يَعْمَلُ بعلمه وَلاَ يَنْصَحُ النَّاسَ، أَنْ يُذْهِبَهُ وَيَأْتِيَ بِغَيْرِه. (وَكَانَ اللَّهُ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (133). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .
(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (133).
(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (133)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (133)، للإمَام (الطبري).

عَلى ذلِكَ قَدِيراً) وَالْقُدْرَةُ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ، لا تَتَنَاهَى مَقْدُورَاتُهُ، كَمَا لا تَتَنَاهَى مَعْلُومَاتُهُ، وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلُ فِي صِفَاتِه بِمَعْنَى وَاحِد، وَإِنَّمَا خَصَّ الْمَاضِي بِالذِّكْرِ لِئَلاَ يُتَوهَّمَ أَنَّهُ يَحْدُثُ فِي ذَاتِه وَصِفَاتِه. وَالْقُدْرَةُ هِيَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْفِعْلُ وَلاَ يجوز وجود العجز معها.(1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- يخبر تعالى أنه قادر على إذهاب كافة الجنس البشري واستبداله بغيره وهو على كل ذلك قدير، فقال تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ 1 وَيَأْتِ بِآخَرِينَ} وذلك لعظيم قدرته وكفاية وكالته.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ} " أي كَمَا يَمْلِكُ الموجودَ من السَّموات ولأنهُ تعالى قال من قَبْلُ: {وَإِن تَكْفُرُواْ} {النساء: 131} فكأنهُ قال: إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أيُّهَا الكفَّارُ وَيَأْتِ بقوم آخرينَ أطْوعَ منكم، {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذلِكَ قَدِيراً} " وكان الله على إهْلاَكِكُمْ وخَلْقِ غَيْرِكُمْ قادراً.(3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ} أي: يذهبكم بِعَذَاب الاستئصال. {وَيأْتِي بِآخَرِين} بقوم يطيعونه.(4)

* * *

قال: الإمَام (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَأَخْرَجَ - (عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ)، وَ(ابْنُ جرير)، وَ(ابْنُ الْمُنْذِرِ) عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ} قَالَ: قَادِرٌ وَاللَّهِ رَبُّنَا عَلَى ذَلِكَ أَنْ يُهْلِكَ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ، ويأتي بآخرين من بعدهم.(5)

* * *

[١٣٤] ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

من كان منكم أيها الناس- يريد بعمله ثواب الدنيا فقط، فليعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة، فيطلب ثوابهما منه، وكان الله سميعًا لأقوالكم، بصيرًا بأفعالكم، وسيجازيكم عليها.(6)

* * *

يَعْنِي:- من يرغب منكم أيها الناس- في ثواب الدنيا ويعرض عن الآخرة، فعنده الله

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (133)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (133)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني في سورة (النساء) الآية (133).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (133) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(5) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (133). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (99/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وحده ثواب الدنيا والآخرة، فليطلب من الله وحده خيري الدنيا والآخرة، فهو الذي يملكهما. وكان الله سميعًا لأقوال عباده، بصيرًا بأعمالهم ونياتهم، وسيجازيهم على ذلك.(1)

* * *

يَعْنِي:- وإن الناس إذا طلبوا نعيم الدنيا ومنافعها الحلال من طريق الحق المستقيم، فإن الله يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة، وهو وحده الذى يملك النعيمين.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا} ... كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة.

{مَنْ كَانَ يُرِيد} ... بعمله.

{ثَوابُ الدُّنْيَا} ... جزاء العمل لها.

ثواب الآخرة: جزاء العمل لها، وهو الجنة.

{فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ} ... فما له يطلب أحدهما دون الآخرة، والذي يطلبه أخسهما، لأن من جاهد خالصا لم تخطئه الغنيمة، وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة إلى جنبه كلا شيء.

والمعنى: فعند الله ثواب الدنيا، والآخرة له إن أراده، حتى يتعلق الجزاء بالشرط.

{ثَوابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} ... لِمَنْ أَرَادَه لاَ عِنْد غَيْره فَلِمَ يَطْلُب أَحَدكُم الْأَخَسّ وَهَلَّا طَلَبَ الْأَعْلَى بِإِخْلَاصِهِ لَهُ حَيْثُ كَانَ مَطْلَبُهُ لا يوجد إلا عنده {وكان الله سميعا بصيرا}.

{سَمِيعاً بَصِيراً} ... سميعاً : لأقوال العباد بصيراً : بأعمالهم وسيجزيهم بها خيراً أو شراً.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

انظر: سورة - (الإسراء) - آية (18) وفيها تقييد هذا الاطلاق في قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18)).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {134} {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}.

ثم أخبر أن من كانت همته وإرادته دنية غير متجاوزة ثواب الدنيا، وليس له إرادة في الآخرة فإنه قد قصر سعيه ونظره، ومع ذلك فلا يحصل له من ثواب الدنيا سوى ما كتب الله له منها، فإنه تعالى هو المالك لكل شيء الذي عنده ثواب الدنيا والآخرة، فليطلبا منه ويستعان به عليهما، فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تدرك الأمور الدينية والدنيوية إلا بالاستعانة به، والافتقار إليه على الدوام.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (99/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (134/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وله الحكمة تعالى في توفيق من يوفقه، وخذلان من يخذله وفي عطائه ومنعه، ولهذا قال: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}. (1)

* * *

قال : الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه اللّه) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ} أَيْ: يَا مَنْ لَيْسَ (2) هَمُّهُ إِلاَ الدُّنْيَا، اعْلَمْ أَنَّ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِذَا سَأَلْتَهُ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ أَعْطَاكَ وَأَغْنَاكَ وَأَقْنَاكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} ﴿الْبَقَرَةِ: 200-202﴾ ،

وَقَالَ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} {الشُّورَى:20} ،

وَقَالَ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا. انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا} {الْإِسْرَاءِ: 18-21}.

وَقَدْ زَعَمَ (ابْنُ جَرِيرٍ) أَنَّ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا} أَيْ: مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ لِأَجْلِ ذَلِكَ، {فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا} وَهُوَ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْمَغَانِمِ وَغَيْرِهَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ.

وَقَوْلُهُ: {وَالآخِرَةِ} أَيْ: وَعِنْدَ اللَّهِ (6) ثَوَابُ الْآخِرَةِ، وَهُوَ مَا ادَّخَرَهُ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَجَعَلَهَا كَقَوْلِهِ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهِ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {هُودٍ: 15، 16}.

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَعْنَاهَا ظَاهِرٌ، وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ الْآيَةَ الْأُولَى بِهَذَا فَفِيهِ نَظَرٌ" فَإِنَّ قَوْلَهُ {فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ} ظَاهِرٌ فِي حُضُورِ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَيْ: بِيَدِهِ هَذَا وَهَذَا، فَلَا يَقْتَصِرَنَّ قَاصِرُ الْهِمَّةِ عَلَى السَّعْيِ لِلدُّنْيَا فَقَطْ، بَلْ لِتَكُنْ هِمَّتُهُ سَامِيَةً إِلَى نَيْلِ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ مَرْجِعَ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى الَّذِي بِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَا هُوَ، الَّذِي قَدْ قَسَّمَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَعَدَلَ بَيْنَهُمْ فِيمَا عَلِمَهُ فِيهِمْ، مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا، وَمِمَّنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا" وَلِهَذَا قَالَ: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}. (2)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (133)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (134)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا} مَنْفَعَة الدُّنْيَا بِعَمَله الَّذِي افترضه الله عَلَيْه {فَعِندَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا} فليعمل لله فَإِن ثَوَاب الدُّنْيَا {وَالْآخِرَة} بيد الله {وَكَانَ الله سَمِيعاً} لمقالكم {بَصِيرًا} بأعمالكم.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {134} {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} {النساء: 134} يُرِيدُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا يُرِيدُ بِهَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا أَوْ دَفَعَ عَنْهُ فِيهَا مَا أَرَادَ اللَّهُ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ، وَمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الْآخِرَةِ آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَحَبَّ وَجَزَاهُ الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ. قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} {النساء: 134}(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-
القول في تأويل قوله: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (134)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: {من كان يريد}، ممن أظهر الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم- من أهل النفاق، الذين يستبطنون الكفر وهم مع ذلك يظهرون الإيمان،

{ثواب الدنيا}، يعني: عَرَض الدنيا، بإظهاره مَا أظهر من الإيمان بلسانه.،

{فعند الله ثواب الدنيا}، يعني: جزاؤه في الدنيا منها وثوابه فيها، وهو ما يصيبُ من المغنم إذا شَهِد مع النبي مشهدًا، وأمنُه على نفسه وذريته وماله، وما أشبه ذلك. وأما ثوابه في الآخرة، فنارُ جهنم.

* * *

فمعنى الآية: من كان من العاملين في الدنيا من المنافقين يريد بعمله ثوابَ الدنيا وجزاءَها من عمله، فإن الله مجازيه به جزاءَه في الدنيا من الدنيا، وجزاءه في الآخرة من الآخرة من العقاب والنكال. وذلك أن الله قادر على ذلك كله، وهو مالك جميعه،

كما قال في الآية الأخرى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) {سورة هود: 15-16}.

* * *

وإنما عنى بذلك جل ثناؤه: الذين تَتَبَّعُوا في أمر بني أبيرق، والذين وصفهم في قوله: (وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ) {سورة

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (134). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .
(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (النساء) الآية (134).

النساء: {107، 108} ، ومن كان من نظرائهم في أفعالهم ونفاقهم.

* * *

وقوله: {وكان الله سميعًا بصيرًا} ، يعني: وكان الله سميعًا لما يقول هؤلاء المنافقون الذين يريدون ثواب الدنيا بأعمالهم، وإظهارهم للمؤمنين ما يظهرون لهم إذا لَقُوا المؤمنين، وقولهم لهم: "آمنًا" = {بصيرًا} ، يعني: وكان ذا بصر بهم وبما هم عليه منطوون للمؤمنين، فيما يكتمونه ولا يبدونه لهم من الغش والغِلّ الذي في صدورهم لهم. (1)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً (134)}.

أَيْ مَنْ عَمِلَ بِمَا افْتَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ طَلَبًا لِلْآخِرَةِ آتَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ عَمِلَ طَلَبًا لِلدُّنْيَا آتَاهُ بِمَا كُتِبَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابٍ، لِأَنَّهُ عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ).

وَقَالَ تَعَالَى: (أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ). وَهَذَا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ الْمُنَافِقُونَ وَالْكُفَّارُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ (الطَّبَرِيِّ). وَرُوِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِالْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِيُوَسِّعَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَيَرْفَعَ عَنْهُمْ مَكْرُوهَهَا،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً) أَيْ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَهُ ويبصر ما يسرونه. (2)

* * *

قال: الإمام (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا} ... هُوَ مَنْ يَطْلُبُ بِعَمَلِهِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، كَالْمُجَاهِدِ يَطْلُبُ الْغَنِيمَةَ دُونَ الْأَجْرِ،

{فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} فَمَا بَالُهُ يَقْتَصِرُ عَلَى أَدْنَى الثَّوَابَيْنِ وَأَحْقَرِ الْأَجْرَيْنِ، وَهَلَّا طَلَبَ بِعَمَلِهِ مَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخرة، فيحرزهما جميعًا، وَيَفُوزُ بِهِمَا، وَظَاهِرُ الْآيَةِ الْعُمُومُ.

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ): إِنَّهَا خَاصَّةٌ بِالْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ،

{وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً} ... يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَهُ، وَيُبْصِرُ مَا يَفْعَلُونَهُ. (3)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا} يقول تعالى: مرغبـًا عباده فيما عنده من خير الدنيا والآخرة من كان يريد بعمله ثواب1 الدنيا {فَعِنْدَ الله ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَة} فلم يقصر العبد عمله على ثواب

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (134)، للإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (134)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (134). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

الدنيا، وهو يعلم أن ثواب الآخرة عند الله أيضاً، فليطلب الثوابين معاً من الله تعالى، وذلك بالإيمان والتقوى والإحسان، وسيجزيه تعالى بعمله ولا ينقصه له وذلك لعلمه تعالى وقدرته،

{وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً بَصِيراً} ، ومن كان كذلك فلا يخاف معه ضياع الأعمال.(1)

* * *

﴿من فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• استحباب المصالحة بين الزوجين عند المنازعة، وتغليب المصلحة بالتنازل عن بعض الحقوق إدامة لعقد الزوجية.

• أوجب الله تعالى العدل بين الزوجات خاصة في الأمور المادية التي هي في مقدور الأزواج، وتسامح الشرع حين يتعذر العدل في الأمور المعنوية، كالحب والميل القلبي.

• لا حرج على الزوجين في الفراق إذا تعذرت العشْرة بينهما.

• الوصية الجامعة للخلق جميعًا أولهم وآخرهم هي الأمر بتقوى الله تعالى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.(2)

* * *

[١٣٥] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، كونوا قائمين بالعدل في كل أحوالكم، مؤدِّين الشهادة بالحق مع كل أحد، ولو اقتضى ذلك أن تُقِرُّوا على أنفسكم بالحق، أو على والديكم أو الأقربين منكم، ولا يحملنَّكم فقر أحد أو غناه على الشهادة أو تركها، فالله أولى بالفقير والغني منكم وأعلم بمصالحهما، فلا تتبعوا الأهواء في شهادتكم لئلا تميلوا عن الحق فيها، وإن حرفتم الشهادة بأدائها على غير وجهها، أو أعرضتم عن أدائها" فإن الله كان بما تعملون خبيراً.(3)

* * *

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (134)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/99). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/100). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِـي:- يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، كونوا قائمين بالعدل، مؤدين للشهادة لوجه الله تعالى، ولو كانت على أنفسكم، أو على آبائكم وأمهاتكم، أو على أقاربكم، مهما كان شأن المشهود عليه غنيًّا أو فقيرًا" فإن الله تعالى أولى بهما منكم، وأعلم بما فيه صلاحهما، فلا يحملنَّكم الهوى والتعصب على ترك العدل، وإن تحرفوا الشهادة بألسنتكم فتأتوا بها على غير حقيقتها، أو تعرضوا عنها بترك أدائها أو بكتمانها، فإن الله تعالى كان عليمًا بدقائق أعمالكم، وسيجازيكم بها. (1)

* * *

يَعْنِـي:- إن العدل هو نظام الوجود، وهو القانون الذى لا يختلف النظر فيه، في أيها الذين أذعنتم لله الحق، ولدعوة رسله، كونوا مراقبين لأنفسكم فى الإذعان للعدل، ومراقبين للناس، فانصفوا المظلوم، وكونوا قائمين لا لرغبة غنى أو لعطف على فقير، لأن الله هو الذى جعل الغنى والفقير، وهو أولى بالنظر فى حال الغنى أو الفقير، وإن الهوى هو الذى يميل بالنفس عن الحق فلا تتبعوه لتعدلوا وإن تتولوا إقامة العدل أو تعرضوا عن إقامته فإن الله يعلم ما تعملون علماً دقيقاً، ويجازيكم بعملكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. (2)

* * *

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (137) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140)

شرح و بيان الكلمات :

{قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} ... مجتهدين فى إقامة العدل حتى لا تجوروا.

{قَوَّامِينَ} ... قَائِمِينَ. جمع قوام: وهو كثير القيام بالعدل.

{بِالْقِسْطِ} ... بِالعَدْلِ، وهو الاستقامة والتسوية بين الخصوم.

{شُهَدَاءَ} .... جمع شهيد: بمعنى شاهد.

{شُهَدَاءَ لِلَّهِ} ... تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها.

{شُهَدَاءَ} ... بِالْحَقِّ.

{الْهَوَى} ... ميل النفس إلى الشيء ورغبتها فيه.

{فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى} ... فِي شَهَادَتِكُمْ بِأَنْ تُحَابُوا الْغَنِيَّ لِرِضَاهُ أَوْ الفقير رحمة له ل

{أن} لا {تعدلوا} عَنْ الْحَقّ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (100/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (134/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{وَإِن تَلْوُوا} تُحَرِّفُوا الشَّهَادَةَ وَفِي قِرَاءَةٍ بِحَذْفِ الْوَاوِ الْأُولَى تَخْفِيفًا .

{تَلْوُوا} .... أي: ألسنتكم باللفظ تحريفاً له حتى لا تتم الشهادة على وجهها.

{تَلْوُوا} ... أي: تميلوا إلى غير الحق. (تُحَرِّفُوا الشَّهَادَةَ بِأَلْسِنَتِكُمْ).

{تُعْرِضُوا} ... تَتْرُكُوا الشَّهَادَةَ.

{تُعْرِضُوا} ... تتركوا الشهادة أو بعض كلماتها ليبطل الحكم.

{أَوْ تُعْرِضُوا} ... عَنْ أَدَائِهَا

{لِلَّهِ وَلَوْ} ... كَانَتْ الشَّهَادَةُ .

{عَلَى أَنْفُسِكُمْ} ... فَاشْهَدُوا عَلَيْهَا بِأَنْ تقرُّوا بِالْحَقِّ وَلَا تَكْتُمُوهُ.

{وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} ... ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم.

{أَوْ} عَلَى {الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ} الْمَشْهُود عَلَيْهِ .

{إِنْ يَكُنْ} ... إن يكن المشهود عليه.

{غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا} ... مِنْكُم وَأَعْلَم بِمَصَالِحِهِمَا

{غَنِيًّا} ... فلا تمنع الشهادة لغناه طلبا لرضاه.

{أَوْ فَقِيراً} ... فلا تمنعها ترحما عليه.

{فَاللَّهُ أَوْلَى} ... بهما بالغنى والفقير. وثنى الضمير فى بهما وكان حقه أن يوحده لأن قوله إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فى معنى إن يكن أحد هذين، فلقد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً لا إلى المذكور، فلذلك ثنى ولم يفرد، وهو جنس الغنى وجنس الفقير، كأنه قيل: فالله أولى بجنس الغنى والفقير، أي بالأغنياء والفقراء.(1)

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} ... فيجازيكم به.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمَامُ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده) وحدثنا يحيى بن يحيى. قال: قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن ابن أبي عمرة الأنصاري، عن (زيد بن خالد الجهني)" أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((ألا أخبركم بخير الشهداء! الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها)).(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – والإمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) أمر الله المؤمنين أن يقولوا الحق ولو على أنفسهم أو آبائهم ولا يحابوا غنيا لغناه، ولا يرحموا مسكينا لمسكنته ، وذلك قوله : (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) ، فتذروا الحق، فتجوروا.(1)(3)

---

(1) انظر:(الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (135)، المؤلف: الشيخ: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري.

(2) (صحيح) : أخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1344/3)، (ح 1719) – ((كتاب : الأقضية))، / باب: (بيان خير الشهود).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (135).

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بنسده الحسن) – عن (قتادة): (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) الآية، هذا في الشهادة. فأقم الشهادة، يا ابن أدم، ولو على نفسك، أو الوالدين، أو على ذوى قرابتك أو أشراف قومك، فإنما الشهادة لله وليست للناس، وإن الله رضي العدل بنفسه، والإقساط والعدل ميزان الله في الأرض، به يرد الله من الشديد على الضعيف، ومن الكاذب على الصادق، ومن المبطل على المحق. وبالعدل يصدق الصادق، ويكذب الكاذب، ويرد المعتدي ويوبخه، تعالى ربنا وتبارك وبالعدل يصلح الناس يا ابن آدم (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) يقول: أولى بغنيكم وفقيركم.(2)

* * *

قوله تعالى: (إن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا)

قال: الإمَامْ (الطبري) – والإمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: (وإن تلووا أو تعرضوا) إن تلووا بألسنتكم بالشهادة أو تعرضوا عنها.(3)(4)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى في هذه الآية (135): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} أي: بالعدل {شُهَدَاءَ لِلَّهِ} إذ بشهادتكم ينتقل الحق من شخص إلى آخر حيث أقامكم الله ربكم شهداء له في الأرض تؤدى بواسطتكم الحقوق إلى أهلها، وبناء على هذا فأقيموا الشهادة لله ولو شهادتكم على أنفسكم أو والديكم أو أقرب الناس إليكم وسواء كان المشهود عليه غنياً أو فقيراً فلا يحملنكم غنى الغني ولا فقر الفقير على تحريف الشهادة أو كتمانها، فالله تعالى ربهما أولى بهما وهو يعطي ويمنع بشهادتكم فأقيموها وحسبكم ذلك واعلموا أنكم إن تلووا ألسنتكم بالشهادة تحريفاً لها وخروجاً بها عن أداء ما يترتب عليها أو تعرضوا عنها فتتركوها أو تتركوا بعض كلماتها فيفسد معناها ويبطل مفعولها فإن الله بعملكم ذلك وبغيره خبير وسوف يجزيكم به فيعاقبكم في الدنيا أو في الآخرة ألا فاحذروا.

هذه الآية الكريمة يدخل فيها دخولاً أولياً من شهدوا لأبناء أبيرق بالإسلام والصلاح كما هي خطاب للمؤمنين إلى يوم القيامة وهي أعظم آية في هذا الباب فليتق الله المؤمنون في شهاداتهم.(5)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (135).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (135).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (135).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (135).

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (135)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135)}

يَأْمُرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ، أَيْ بِالْعَدْلِ، فَلاَ يَعْدِلُوا عَنْهُ يَمِينًا وَلاَ شَمَالًا وَلاَ تَأْخُذَهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، وَلاَ يَصْرِفُهُمْ عَنْهُ صَارِفٌ، وَأَنْ يَكُونُوا مُتَعَاوِنِينَ مُتَسَاعِدِينَ مُتَعَاضِدِينَ مُتَنَاصِرِينَ فِيهِ.

وَقَوْلُهُ: {شُهَدَاءَ لِلَّهِ} كَمَا قَالَ: {وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ} أَيْ: لِيَكُنْ أَدَاؤُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، فَحِينَئِذٍ تَكُونُ صَحِيحَةً عَادِلَةً حَقًّا، خَالِيَةً مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالْكِتْمَانِ"

وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ} أَيْ: اشْهَدِ الْحَقَّ وَلَوْ عَادَ ضَرَرُهَا عَلَيْكَ وَإِذَا سُئِلتَ عَنِ الْأَمْرِ فَقُلِ الْحَقَّ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ مَضرة عَلَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لِمَنْ أَطَاعَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَضِيقُ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: {أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ} أَيْ: وَإِنْ كَانَتِ الشَّهَادَةُ عَلَى وَالِدَيْكَ وَقَرَابَتِكَ، فَلاَ تُرَاعِهِم فِيهَا، بَلِ اشْهَدْ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَادَ ضَرَرُهَا عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْحَقَّ حَاكِمٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، وَهُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ.

وَقَوْلُهُ: {إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا} أَيْ: لاَ تَرْعَاهُ لِغِنَاهُ، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ، اللَّهُ يَتَوَلاَهُمَا، بَلْ هُوَ أَوْلَى بِهِمَا مِنْكَ، وَأَعْلَمُ بِمَا فِيهِ صَلاَحُهُمَا.

وَقَوْلُهُ: {فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا} أَيْ: فَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ الْهَوَى وَالْعَصَبِيَّةُ وَبِغْضَةُ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ فِي أُمُورِكُمْ وَشُؤُونِكُمْ، بَلِ الْزَمُوا الْعَدْلَ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} {الْمَائِدَة: 8}.

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، لَمَّا بَعَثَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَخْرُصُ عَلَى أَهْلِ خَيْبَرَ ثِمَارَهُمْ وَزَرْعَهُمْ، فَأَرَادُوا أَنْ يُرْشُوه لِيَرْفُقَ بِهِمْ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ أَعْدَادِكُمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَمَا يَحْمِلُنِي حُبِّي إِيَّاهُ وَبُغْضِي لَكُمْ عَلَى أَلاَ أَعْدِلَ فِيكُمْ. فَقَالُوا: "بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ". وَسَيَأْتِي الْحَدِيثُ مُسْنَدًا فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا} قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: {تَلْوُوا} أَيْ: تُحَرِّفُوا الشَّهَادَةَ وَتُغَيِّرُوهَا، "وَاللَّيُّ" هُوَ: التَّحْرِيفُ وَتَعَمُّدُ الْكَذِبِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} {آل عِمْرَانَ: 78}.

وَ "الْإِعْرَاضُ" هُوَ: كِتْمَانُ الشَّهَادَةِ وَتَرْكُهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ} {الْبَقَرَة:283}.

وَقَالَ: النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((خَيْرُ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ

يُسألها)).(1) ولِهَذَا تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} أي: وسيجازيكم بذلك.(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لله} يَقُول كونُوا قوّلين بِالْعَدْلِ فِي الشَّهَادَة.

{وَلَوْ على أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدين والأقربين} فِي الرَّحِم {إِن يَكُنْ} الْوَالِدَان.

{غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَالله أولى بهمَا} أَحَق بحقهما.

{فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهوى أَن تَعْدِلُواْ} أَن لَا تعالو سوى الشَّهَادَة {وَإِن تَلْوُواْ} تلجلجوا.

{أَوْ تُعْرِضُواْ} لَا تقيموا الشَّهَادَة عِنْد الْحُكَّام.

{فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ} من كتمان الشَّهَادَة وإقامتها {خَبِيرا} نزلت فِي مقيس ابْن حبابة كَانَت عِنْده شَهَادَة على أَبِيه.(3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {135} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ} يَعْنِي: كُونُوا قَائِمِينَ بِالشَّهَادَةِ بِالْقِسْطِ، أَيْ: بِالْعَدْلِ لِلَّهِ،

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْعَدْلِ فِي الشَّهَادَةِ عَلَى مَن كانت له،

{وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ} فِي الرَّحِمِ، أَيْ: قُولُوا الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْإِقْرَارِ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ، فَأَقِيمُوهَا عَلَيْهِمْ لِلَّهِ، وَلَا تُحَابُوا غَنِيًّا لِغِنَاهُ وَلَا تَرْحَمُوا فَقِيرًا لِفَقْرِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا} مِنْكُمْ، أَيْ: أَقِيمُوا عَلَى الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا وَلِلْمَشْهُودِ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا مِنْكُمْ، أَيْ: كِلُوا أَمْرَهُمَا إِلَى اللَّهِ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): مَعْنَاهُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمَا،

{فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا} أي: ولا تَجُورُوا وَتَمِيلُوا إِلَى الْبَاطِلِ مِنَ الْحَقِّ،

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ لَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى لِتَعْدِلُوا، أَيْ: لِتَكُونُوا عَادِلِينَ كَمَا يُقَالُ: لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى لترضي ربك.

{وَإِنْ تَلْوُوا} أَيْ: تُحَرِّفُوا الشَّهَادَةَ لِتُبْطِلُوا الْحَقَّ.

{أَوْ تُعْرِضُوا} عنها فتكتموها ولا تقيموها،

يقال: تَلْوُوا أَيْ تُدَافِعُوا فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ، يُقَالُ: لَوَيْتُهُ حَقَّهُ إِذَا دفعته وأبطلته،

يَعْنِي:- هَذَا خِطَابٌ مَعَ الْحُكَّامِ فِي لَيِّهِمُ الْأَشْدَاقَ، يَقُولُ: وَإِنْ تَلْوُوا أَيْ تَمِيلُوا إِلَى أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ أَوْ تُعْرِضُوا عَنْهُ،

قَرَأَ (ابْنُ عَامِرٍ)، وَ(حَمْزَةُ) (تَلُوا) بِضَمِّ اللَّامِ،

قِيلَ: أَصْلُهُ تَلْوُوا، فَحُذِفَتْ إِحْدَى الْوَاوَيْنِ تَخْفِيفًا،

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1719)، - (كتاب: الأقضية).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (135)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (135). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ: وَإِنْ تَلْوُوا الْقِيَامَ بِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ أَوْ تُعْرِضُوا فَتَتْرُكُوا أَدَاءَهَا {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} {النساء: 135}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {135}. ثم قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا}. يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا {قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ} والقوَّام صيغة مبالغة، أي: كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط الذي هو العدل في حقوق الله وحقوق عباده، فالقسط في حقوق الله أن لا يستعان بنعمه على معصيته، بل تصرف في طاعته.

والقسط في حقوق الآدميين أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك كما تطلب حقوقك. فتؤدي النفقات الواجبة، والديون، وتعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، من الأخلاق والمكافأة وغير ذلك. ومن أعظم أنواع القسط القسط في المقالات والقائلين، فلا يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما، ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان، حتى على الأحباب بل على النفس،

ولهذا قال: {شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا} أي: فلا تراعوا الغني لغناه، ولا الفقير بزعمكم رحمة له، بل اشهدوا بالحق على من كان.

والقيام بالقسط من أعظم الأمور وأدل على دين القائم به، وورعه ومقامه في الإسلام، فيتعين على من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام، وأن يجعله نُصْب عينيه، ومحل إرادته، وأن يزيل عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو العمل به.

وأعظم عائق لذلك اتباع الهوى، ولهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله: {فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا} أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلا والباطل حقا، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه وفق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم.

ولما بيَّن أن الواجب القيام بالقسط نهى عن ما يضاد ذلك، وهو لي اللسان عن الحق في الشهادات وغيرها، وتحريف النطق عن الصواب المقصود من كل وجه، أو من بعض الوجوه، ويدخل في ذلك تحريف الشهادة وعدم تكميلها، أو تأويل الشاهد على أمر آخر، فإن هذا من اللي لأنه الانحراف عن الحق.

{أَوْ تُعْرِضُوا} أي: تتركوا القسط المنوط بكم، كترك الشاهد لشهادته، وترك الحاكم لحكمه الذي يجب عليه القيام به.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (135).

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} أي: محيط بما فعلتم، يعلم أعمالكم خفيها وجليها، وفي هذا تهديد شديد للذي يلوي أو يعرض. ومن باب أولى وأحرى الذي يحكم بالباطل أو يشهد بالزور، لأنه أعظم جرما، لأن الأولين تركا الحق، وهذا ترك الحق وقام بالباطل.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا}

وهذا تقدُّم من الله تعالى ذكره إلى عباده المؤمنين به وبرسوله أن يفعلوا فعل الذين سَعَوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- في أمر بني أبيرقٍ أن يقوم بالعذر لهم في أصحابه، وذبِّهم عنهم، وتحسينَهم أمرهم بأنهم أهل فاقة وفقر. يقول الله لهم: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين بالقسط}، يقول: ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام بالقسط =يعني: بالعدل= "شهداء لله". = و"الشهداء" جمع"شهيد".

* * *

ونصبت"الشهداء" على القطع مما في قوله: {قوامين} من ذكر {الذين آمنوا}، ومعناه: قوموا بالقسط لله عند شهادتكم= أو: حين شهادتكم.

{ولو على أنفسكم}، يقول: ولو كانت شهادتكم على أنفسكم، أو على والدين لكم أو أقربيكم، فقوموا فيها بالقسط والعدل، وأقيموها على صحّتها بأن تقولوا فيها الحق، ولا تميلوا فيها لغنيّ لغناه على فقير، ولا لفقير لفقره على غنيّ، فتجوروا. فإن الله الذي سوَّى بين حكم الغنيّ والفقير فيما ألزمكم، أيها الناس، من إقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل،

{أولى بهما}، وأحق منكم، لأنه مالكهما وأولى بهما دونكم، فهو أعلم بما فيه مصلحة كلّ واحد منهما في ذلك وفي غيره من الأمور كلها منكم، فلذلك أمركم بالتسوية بينهما في الشهادة لهما وعلهما،

"فلا تتبعوا الهوى أن تَعْدِلوا"، يقول: فلا تتبعوا أهواءَ أنفسكم في الميل في شهادتكم إذا قمتم بها -لغني على فقير، أو لفقير على غني- إلا أحد الفريقين، فتقولوا غير الحق، ولكن قوموا فيه بالقسط، وأدُّوا الشهادة على ما أمركم الله بأدائها، بالعدل لمن شهدتم له وعليه.

* * *

قال: (أبو جعفر): وهذه الآية عندي تأديبٌ من الله جل ثناؤه عبادَه المؤمنين أن يفعلوا ما فعله الذين عذَروا بني أبيرق في سرقتهم ما سرقوا، وخيانتهم ما خانوا ممن ذكرنا قبل = عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وشهادتهم لهم عنده بالصلاح. فقال لهم: إذا قمتم بالشهادة لإنسان أو عليه، فقولوا فيها بالعدل، ولو كانت شهادتكم على أنفسكم وآبائكم وأمهاتكم وأقربائكم، ولا

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (135)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يحملنكم غنَى من شهدتم له أو فقره أو قرابته ورَحِمُه منكم، على الشهادة له بالزور، ولا على ترك الشهادة عليه بالحق وكتمانها.

* * *

10678- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي) في قوله: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله}، قال: نزلت في النبيّ -صلى الله عليه وسلم، واختصم إليه رجلان: غنيٌّ وفقير، وكان ضِلَعه مع الفقير، يرى أن الفقير لا يظلم الغنيَّ، فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير فقال: {إن يكن غنيًّا أو فقيرًا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا}، الآية.(1)

* * *

[١٣٦] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا اثبتوا على إيمانكم بالله وبرسوله، وبالقرآن الذي أنزله على رسوله، وبالكتب التي أنزلها على الرسل من قبله، ومن يكفر بالله وبملائكته وبكتبه وبرسله وبيوم القيامة" فقد بعُد عن الطريق المستقيم بُعْدًا عظيمًا.(2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه داوموا على ما أنتم عليه من التصديق الجازم بالله تعالى وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومن طاعتهما، وبالقرآن الذي نزله عليه، وبجميع الكتب التي أنزلها الله على الرسل. ومن يكفر بالله تعالى، وملائكته المكرمين، وكتبه التي أنزلها لهداية خلقه، ورسله الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته، واليوم الآخر الذي يقوم الناس فيه بعد موتهم للعرض والحساب، فقد خرج من الدين، وبَعُدَ بعداً كبيراً عن طريق الحق.(3)

* * *

يَعْنِي:- وإن الرسالات السماوية واحدة لوحدة مُرسِل الرسل، وهو الله، في أيها الذين آمنوا أذعنوا لله وأخلصوا له، وصدقوا رسوله - محمداً - وصدقوا ما جاء فى كتابه الذى أنزله عليه واعملوا به، وصدقوا بالكتب التى نزلت من قبله كما أنزلها الله من غير تحريف ولا نسيان، آمنوا بكل ذلك، فإن من يكفر بالله خالق الوجود، والملائكة، وعالم الغيب، وكتب الله ورسله، وينكر اليوم

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (135)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (100/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (100/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

الآخــر، فقــد تــاه عــن الطريــق المســتقيم، وأوغل فى طريق الضلال وأبعد فيه. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يأيهــا الّــذِينَ آمَنُــوا آمِنُــوا} ... دَاوِمُــوا عَلَــى الْإِيمَان.

{بِاللّــه وَرَسُــوله وَالْكِتَــاب الّــذِي نَــزّلَ عَلَــى رَسُــوله} مُحَمّــد -صَــلّى اللّــه عَلَيْــهِ وَسَــلّمَ -وَهُــوَ الْقُرْآن.

{وَالْكِتَــاب الّــذِي أَنْــزَلَ مِــنْ قَبْــل} عَلَــى الرُّسُــل بِمَعْنَــى الْكُتُــب وَفِــي قِــرَاءَة بِالْبِنَــاءِ لِلْفَاعِــل فِــي الْفِعْلَيْن.

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ... خطاب للمسلمين.

{آمَنُــوا} ... اثبتــوا علــى الإيمــان وداومــوا عليــه وازدادوه.

{وَالْكِتَــابِ الّــذِي أَنْــزَلَ مِــنْ قَبْــلُ} ... المــراد بــه جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب.

{وَمَــنْ يَكْفُــرْ بِاللّــهِ وَمَلائِكَتِــهِ وَكُتُبِــهِ وَرُسُــلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} ... ومن يكفر بشيء من ذلك.

{فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} عَنْ الْحَقّ.

{فَقَدْ ضَلَّ} ... لأن الكفر ببعضه كفر بكله.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفســير ابــن عبــاس) - قــال: الإمَــامُ (مجــد الــدين الفــيروز آبــادى) - (رحمــه الله):- {يَــا أَيُّهَــا الّــذين آمَنُــوا} يَــوْم الْمِيثَــاق وكَفــرُوا بعــد ذَلِــك {آمِنُــوا} الْيَــوْم {بِاللّــه وَرَسُــوله} وَيُقَــال سماهم بأســماء آبَــائهم يَعْنِــي يَــا أَبْنَــاء الّــذين آمنُــوا نزلــت هَــذه الْآيَــة فِــي عبــد الله بــن سَــلام وَأسَــد وَأسِــيد ابْــنِي كَعْــب وثعلبــة بــن قــيس وَسَــلام ابْــن أُخْــت عبــد الله بــن سَــلام وَسَــلَمَة ابْــن أَخِيــه ويــامين ابْــن يَــامين فَهَــؤُلَاءِ مؤمنــو أهــل التَّــوْرَاة نــزل فــيهم يأيهــا الّــذين آمَنُــواْ بِمُوسَــى والتــوراة آمِنُــواْ بِاللّــه وَرَسُــوله مُحَمّــد {وَالْكِتَــاب الّــذِي نَــزّلَ عَلــى رَسُــوله} مُحَمّــد يَعْنِــي الْقُــرْآن {وَالْكتَــاب الّــذِي أنــزَلَ مــن قَبْــلُ} مــن قبــل مُحَمّــد وَالْقُــرْآن علــى سَــائِر الْأَنْبِيَــاء {وَمَــن يَكْفُــرْ بِاللّــه وَمَلآئِكَتِــه} أَو بملائكتــه {وَكُتُبِــه} أَو بكتبــه {وَرُسُــلِه} أَو برســله {وَالْيَــوْم الآخِــر} أَو بِالْبَعْــث بعــد الْمَــوْت {فَقَــدْ ضَــلَّ ضَــلاَلاً بَعِيــداً} فَلَمّــا نزلــت هَــذِه الْآيَــة دخلُــوا فِــي الْإِسْلَام.

ثــمَّ نــزل فِــي الّــذين لم يُؤمنُــوا بِمُحَمد وَالْقُــرْآن (2).

* * *

قــال: الإمَــامُ (البغــوي) - (مُحيــي السُّــنَّة) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {136} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {يَــا أَيُّهَــا الّــذِينَ آمَنُــوا آمِنُــوا بِاللّــه وَرَسُــوله} الْآيَــة، عَــنِ (ابْــنِ عَبّــاس): نَزَلَــتْ هَــذِهِ الْآيَــةُ فِــي (عَبْــدِ اللّــهِ بْــنِ سَــلَامٍ)، - وَ(أَسَــد وَأُسَــيد بَــنِي كَعْــب)، - وَ(ثَعْلَبَــةَ بْــنِ قَــيْسٍ)، - وَ(سَــلَامِ بْــنِ أُخْــتِ عَبْــدِ اللّــهِ بْــنِ سَــلَامٍ)، - وَ(سَــلَمَة ابْــنِ أَخِيــه)، - وَ(يَــامِين بْــنِ يَــامِين)، - فَهَــؤُلَاءِ مُؤْمِنُــو أَهْــلِ الْكِتَــابِ أَتَــوْا رَسُــولَ اللّــه -صَــلّى اللّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلّمَ- ، فَقَــالُوا: إِنّــا نُــؤْمِنُ بِــكَ وَبِكِتَابِــكَ وَبِمُوسَــى وَالتَّــوْرَاةِ وَعُزَيْــرٍ وَنَكْفُــرُ بِمَــا سِــوَاهُ مِــنَ الْكُتُــبِ وَالرُّسُــلِ، فَقَــالَ: النَّبِــيُّ - صَــلّى اللّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلّمَ- : ((بَــلْ آمِنُــوا بِاللّــهِ وَرَسُــولِهِ مُحَمّــد

---

(1) انظــر: (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (135/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظــر: (تنــوير المقبــاس مــن تفســير ابــن عبــاس) في ســورة (النســاء) الآيــة (136). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

- صَلَّى الله عليه وسلم-، والقرآن وبكل كتاب كان قَبْلَهُ)) ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِه الْآيَةَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَالْقُرْآنِ وَبِمُوسَى عَلَيْه السَّلَامُ وَالتَّوْرَاة.

(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه) مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ،

{وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِه} يَعْنِي الْقُرْآنَ، {وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ} مِنَ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل وَالزَّبُور وَسَائِر الكتب،

{وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِه الْآيَةُ قَالُوا: فَإِنَّا نُؤْمِنُ بِاللَّه وَرَسُولِه وَالْقُرْآن وَبِكُلِّ رَسُولٍ وَكِتَابٍ كَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَد مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ): أَرَادَ بِهِم اليهود والنصارى،

يَعْنِي:- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بِمُوسَى وَعِيسَى (آمِنُوا) بِمُحَمَّد وَالْقُرْآنِ،

وقال: (مجاهد): أراد بِهِم الْمُنَافِقِينَ، يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بِاللِّسَانِ (آمِنُوا) بِالْقَلْب.

وَقَالَ: (أَبُو الْعَالِيَة) وَجَمَاعَةٌ: هَذَا خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) آمِنُوا أَيْ أَقِيمُوا وَاثْبُتُوا عَلَى الْإِيمَانِ، كَمَا يُقَالُ لِلْقَائِم: قُمْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ، أَيِ اثْبُتْ قَائِمًا،

يَعْنِي:- الْمُرَادُ بِه أَهْلَ الشِّرْك، يَعْنِي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بِاللاتِ وَالْعُزَّى (آمِنُوا) بالله ورسوله.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {136} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِه وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً}.

اعلم أن الأمر إما أن يوجه إلى من لم يدخل في الشيء ولم يتصف بشيء منه، فهذا يكون أمرا له في الدخول فيه، وذلك كأمر من ليس بمؤمن بالإيمان، كقوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم} الآية.

وإما أن يوجه إلى من دخل في الشيء فهذا يكون أمره ليصحح ما وجد منه ويحصل ما لم يوجد، ومنه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان، فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصحح إيمانهم من الإخلاص والصدق، وتجنب المفسدات والتوبة من جميع المنقصات.

ويقتضي أيضا الأمر بما لم يوجد من المؤمن من علوم الإيمان وأعماله، فإنه كلما وصل إليه نص وفهم معناه واعتقده فإن ذلك من الإيمان المأمور به.

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (136).

وكذلك سائر الأعمال الظاهرة والباطنة، كلها من الإيمان كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة، وأجمع عليه سلف الأمة.

ثم الاستمرار على ذلك والثبات عليه إلى الممات كما قال تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ} وأمر هنا بالإيمان به وبرسوله، وبالقرآن وبالكتب المتقدمة، فهذا كله من الإيمان الواجب الذي لا يكون العبد مؤمنا إلا به، إجمالا فيما لم يصل إليه تفصيله وتفصيلا فيما علم من ذلك بالتفصيل، فمن آمن هذا الإيمان المأمور به، فقد اهتدى وأنجح.

{وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا} وأي: ضلال أبعد من ضلال من ترك طريق الهدى المستقيم، وسلك الطريق الموصلة له إلى العذاب الأليم؟ "

واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض، (1)

* * *

: الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره) = (تَفْسِيرُ الْقرآنِ الْعَظِيم):-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا (136)}

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالدُّخُولِ فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ وَشُعَبِهِ وَأَرْكَانِهِ وَدَعَائِمِهِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ، بَلْ مِنْ بَابِ تَكْمِيلِ الْكَامِلِ وَتَقْرِيرِهِ وَتَثْبِيتِهِ وَالِاسْتِمْرَارِ عَلَيْهِ.

كَمَا يَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} {الْفَاتِحَةِ: 6} أَيْ: بَصِّرنا فِيهِ، وَزِدْنَا هُدًى، وَثَبِّتْنَا عَلَيْهِ. فَأَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ} {الْحَدِيدِ: 28}.

وَقَوْلُهُ: {وَالْكِتَابِ الَّذِي نزلَ عَلَى رَسُولِهِ} يَعْنِي: الْقُرْآنَ {وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزلَ مِنْ قَبْلُ} وَهَذَا جِنْسٌ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ،

وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ: {نزلَ} "لِأَنَّهُ نَزَلَ مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا عَلَى الْوَقَائِعِ، بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ إِلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ، وَأَمَّا الْكُتُبُ الْمُتَقَدِّمَةُ فَكَانَتْ تَنْزِلُ جُمْلَةً وَاحِدَةً"،

وَلِهَذَا قَالَ: {وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزلَ مِنْ قَبْلُ} ثُمَّ قَالَ: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا} أَيْ: فَقَدْ خَرَجَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى، وَبَعُدَ عَنِ الْقَصْدِ كُلَّ الْبُعْدِ. (2)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {136} (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا) الْآيَةَ. نَزَلَتْ فِي جَمِيعِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (136)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (136)، للإمام (ابن كثير).

الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَعْنَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا أَقِيمُوا عَلَى تَصْدِيقِكُمْ وَاثْبُتُوا عَلَيْهِ.

(وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ) أَيِ الْقُرْآنُ.

(وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ) أَيْ: كُلُّ كِتَابٍ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّينَ.

وَقَرَأَ (ابْنُ كَثِيرٍ)، وَ(أَبُو عَمْرٍو)، وَ(ابْنُ عَامِرٍ): (نُزِّلَ) وَ (أُنْزِلَ) بِالضَّمِّ. الْبَاقُونَ (نَزَّلَ) وَ (أَنْزَلَ) بِالْفَتْحِ.

يَعْنِي:- نَزَلَتْ فِيمَنْ آمَنَ بِمَنْ تَقَدَّمَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام. قِيلَ: إِنَّهُ خِطَابٌ لِلْمُنَافِقِينَ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فِي الظَّاهِرِ أَخْلِصُوا لِلَّهِ.

يَعْنِي:- الْمُرَادُ الْمُشْرِكُونَ، وَالْمَعْنَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَالطَّاغُوتِ آمِنُوا بِاللَّهِ، أَيْ صدقوا بالله وبكتبه. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - : - 6104 - وَبِهِ عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) قَوْلُهُ: {آمِنُوا بِاللَّهِ} يَعْنِي: بِتَوْحِيدِ اللَّهِ. (2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره) - (أيسر التفاسير):- (136) :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ} فهي في خطاب أهل الكتاب خاصة وفي سائر المؤمنين عامة، فالمؤمنون تدعوهم إلى تقوية إيمانهم ليبلغوا فيه مستوى اليقين، أما أهل الكتاب فهي دعوة لهم للإيمان الصحيح، لأن إيمانهم الذي هم عليه غير سليم، فلذا دعوا إلى الإيمان الصحيح فقيل لهم: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} محمد {وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ} وهو القرآن الكريم، {وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ} وهو التوراة والإنجيل، لأن اليهود لا يؤمنون بالإنجيل، ثم أخبرهم محذراً لهم أن {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ} طريق الهدى والسعادة {ضَلَالًا بَعِيدًا} لا ترجى هدايته، وعليه فسوف يهلك ويخسر خسراناً أبدياً. (3)

* * *

[١٣٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين تكرر منهم الكفر بعد الإيمان، بأن دخلوا في الإيمان ثم ارتدوا عنه، ثم دخلوا فيه، ثم ارتدوا عنه، وأصروا على الكفر وماتوا عليه" لم يكن الله ليغفر لهم ذنوبهم، ولا ليوفقهم إلى الطريق المستقيم الموصل إليه تعالى. (4)

* * *

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (136)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (136).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (136)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (100/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- إن الذين دخلوا في الإيمان، ثم رجعوا عنه إلى الكفر، ثم عادوا إلى الإيمان، ثم رجعوا إلى الكفر مرة أخرى، ثم أصرُّوا على كفرهم واستمروا عليه، لم يكن الله ليغفر لهم، ولا ليدلهم على طريق من طرق الهداية، التي ينجون بها من سوء العاقبة. (1)

* * *

يَعْنِي:- إن الإيمان إذعان مطلق وعمل مستمر بالحق، فالمترددون المضطربون ليسوا بمؤمنين، فالذين يؤمنون ثم يكفرون، ثم يؤمنون ثم يكفرون، وبهذا يزدادون كفراً، ما كان الله غافراً لهم ما يفعلون من شر، ولا ليهديهم إلى الحق، لأن غفران الله يقتضي توبة وإقلاعاً عن الشر، وهدايته تكون لمن يتجهون إلى الحق ويطلبونه. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} ... بِمُوسَى وَهُمْ الْيَهُود.

{ثُمَّ كَفَرُوا} ... بِعِبَادَتِهِمْ الْعِجْل.

{ثُمَّ آمَنُوا} ... بَعْده.

{ثُمَّ كَفَرُوا} ... بِعِيسَى. (أي: بعد عزير بالمسيح).

{ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا} ... ثُمَّ استقاموا على الْكُفْر بِمُحَمَّد وَالْقُرْآن.

{لَمْ يَكُنْ اللَّه لِيَغْفِر لَهُمْ} ... مَا أَقَامُوا عَلَيْهِ.

{وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا} ... طَرِيقًا إِلَى الْحَقّ.

{لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ} ... نفى الغفران والهداية، والمراد بنفيهما نفى ما يقتضهما وهو الإيمان الخالص الثابت. والمعنى: إن الذين تكرر منهم الارتداد، وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه، يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة، من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله، لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة، وكان الايمان أهون شيء عندهم، حيث يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى. وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم، لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع، ولكنه استبعاد له واستغراب وأنه أمر لا يكاد يكون. (3)

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): **قوله:** (**إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا**) وهم اليهود والنصارى. آمنت اليهود بالتوراة ثم كفرت، وأمنت النصارى بالإنجيل ثم كفرت. وكفرهم به: تركهم إياه ثم ازدادوا كفرا بالفرقان وبمحمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال الله: (**لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا**)، **يقول:** لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريق

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (100/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (134/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (النساء) الآية (137)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

هدى، وقد كفروا بكتاب الله وبرسوله محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} بِمُوسَى {ثُمَّ كَفَرُوا} بعد مُوسَى {ثُمَّ آمَنُوا} بعزيز {ثُمَّ كفرُوا} بعد عزيز بالمسيح {ثُمَّ ازدادوا كُفْراً} ثُمَّ استقاموا على الْكفْر بِمُحَمد وَالْقُرآن {لَّمْ يَكُنِ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ} مَا اقاموا على ذَلِك {وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً} دينا وصواباً وَطَرِيق هدى. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {137} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا} قَالَ: (قَتَادَةُ): هُمُ الْيَهُودُ آمَنُوا بِمُوسَى ثُمَّ كَفَرُوا مِنْ بَعْدُ بِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، ثُمَّ آمَنُوا بِالتَّوْرَاةِ ثُمَّ كَفَرُوا بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يَعْنِي:- هُوَ فِي جَمِيعِ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِنَبِيِّهِمْ ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ، وَآمَنُوا بِالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ، وَكُفْرُهُمْ بِهِ تَرْكُهُمْ إِيَّاهُ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

يَعْنِي:- هَذَا فِي قَوْمٍ مُرْتَدِّينَ آمَنُوا ثُمَّ ارْتَدُّوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ ارْتَدُّوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ ارْتَدُّوا،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ): ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا أَيْ مَاتُوا عَلَيْهِ،

{لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ} مَا أَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ،

{وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا} أَيْ طَرِيقًا إِلَى الْحَقِّ،

فَإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ)، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ إِنْ كَانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ؟ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا أَسْلَمَ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَدَامَ عَلَيْهِ يُغْفَرُ لَهُ كُفْرُهُ السَّابِقُ، فَإِنْ أَسْلَمَ ثُمَّ كَفَرَ ثُمَّ أَسْلَمَ ثُمَّ كَفَرَ لَا يُغْفَرُ لَهُ كُفْرُهُ السَّابِقُ الَّذِي كَانَ، يُغْفَرُ لَهُ لَوْ أنه دَامَ عَلَى الْإِسْلَامِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {137} {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا}.

أي: من تكرر منه الكفر بعد الإيمان فاهتدى ثم ضل، وأبصر ثم عمي، وآمن ثم كفر واستمر على كفره وازداد منه، فإنه بعيد من التوفيق والهداية لأقوم الطريق، وبعيد من المغفرة لكونه أتى بأعظم مانع يمنعه من حصولها. فإن كفره يكون عقوبة وطبعًا لا يزول،- كما قال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} ودلت الآية: أنهم إن لم يزدادوا كفرا بل رجعوا إلى الإيمان،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (137).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (137). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (137).

وتركوا ما هم عليه من الكفران، فإن الله يغفر لهم، ولو تكررت منهم الردة.
وإذا كان هذا الحكم في الكفر فغيره من المعاصي التي دونه من باب أولى أن العبد لو تكررت منه ثم عاد إلى التوبة، عاد الله له بالمغفرة. (1)

* * *

قال : الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا (137)} يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّنْ دَخَلَ فِي الْإِيمَانِ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ، ثُمَّ عَادَ فِيهِ ثُمَّ رَجَعَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى ضَلَالِهِ وَازْدَادَ حَتَّى مَاتَ، فَإِنَّهُ لَا تَوْبَةَ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَلَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ، وَلَا يَجْعَلُ لَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ فَرَجًا وَلَا مَخْرَجًا، وَلَا طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى" وَلِهَذَا قَالَ: {لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا}
قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ جُمَيْعٍ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا} قَالَ: تَمَّمُوا عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى مَاتُوا. وَكَذَا قَالَ: (مُجَاهِدٌ).
وَرَوَى الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - مِنْ طَرِيقِ - جَابِرٍ الْمُعَلَّى، عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، عَنْ (عَلِيٍّ)، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،- أَنَّهُ قَالَ: يُسْتَتَابُ الْمُرْتَدُّ، ثَلَاثًا، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا} (2)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً (137)}
قِيلَ: الْمَعْنَى آمَنُوا بِمُوسَى وَكَفَرُوا بِعُزَيْرٍ، ثُمَّ آمَنُوا بِعُزَيْرٍ ثُمَّ كَفَرُوا بِعِيسَى، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.
يَعْنِي:- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى ثُمَّ آمَنُوا بِعُزَيْرٍ، ثُمَّ كَفَرُوا بَعْدَ عُزَيْرٍ بِالْمَسِيحِ، وَكَفَرَتِ النَّصَارَى بِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى وَآمَنُوا بِعِيسَى،
ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ.
فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ شَيْئًا مِنَ الْكُفْرِ فَكَيْفَ قَالَ: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ) فَالْجَوَابُ أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا آمَنَ غُفِرَ لَهُ كُفْرُهُ، فَإِذَا رَجَعَ فَكَفَرَ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ الْكُفْرُ الْأَوَّلُ،
وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الإمام (مُسْلِمٍ) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ: أُنَاسٌ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنُؤَاخَذُ بِمَا عَمِلْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: (أَمَّا مَنْ أَحْسَنَ مِنْكُمْ فِي الْإِسْلَامِ فَلَا يُؤَاخَذُ بِهَا وَمَنْ أَسَاءَ أُخِذَ بِعَمَلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ).

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (137)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (137)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

وفي رواية: (وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ). الْإِسَاءَةُ هُنَا بِمَعْنَى الْكُفْرِ، إِذْ لاَ يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِهَا هُنَا ارْتِكَابُ سَيِّئَةٍ، فَإِنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَلاَّ يَهْدِمَ الْإِسْلاَمُ مَا سَبَقَ قَبْلَهُ إِلاَّ لِمَنْ يُعْصَمُ مِنْ جَمِيعِ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ حِينَ مَوْتِهِ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ بِالْإِجْمَاعِ. وَمَعْنَى:

(ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً) أَصَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ.

(لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ) يُرْشِدَهُمْ.

(سَبِيلًا) طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ.

يَعْنِي:- لاَ يَخُصُّهُمْ بِالتَّوْفِيقِ كَمَا يَخُصُّ أَوْلِيَاءَهُ. وفي هذه الْآيَة رَدٌّ على أَهْل الْقَدَر، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّهُ لاَ يَهْدِي الْكَافِرِينَ طَرِيقَ خَيْرٍ لِيَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَنَالُ الْهُدَى بِاللَّهِ تَعَالَى، وَيُحْرَمُ الْهُدَى بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَيْضًا. وَتَضَمَّنَتِ الْآيَةُ أَيْضًا حُكْمَ الْمُرْتَدِّينَ، وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِيهِمْ فِي (الْبَقَرَة) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ).(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً (137)}، أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي آمَنَتْ ثُمَّ كَفَرَتْ، ثُمَّ آمَنَتْ ثُمَّ كَفَرَتْ، ثُمَّ ازْدَادَتْ كُفْرًا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا يَتَوَصَّلُونَ بِهِ إِلَى الْحَقِّ، وَيَسْلُكُونَهُ إِلَى الْخَيْرِ، لِأَنَّهُ يَبْعُدُ مِنْهُمْ كُلَّ الْبُعْدِ أَنْ يُخْلِصُوا لِلَّهِ، وَيُؤْمِنُوا إِيمَانًا صَحِيحًا، فَإِنَّ هَذَا الِاضْطِرَابَ مِنْهُمْ- تَارَةً يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ وَتَارَةً يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِيمَانِ وَيَرْجِعُونَ إِلَى مَا هُوَ دَأْبُهُمْ وَشَأْنُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ الْمُسْتَمِرِّ وَالْجُحُودِ الدَّائِمِ- يَدُلُّ أَبْلَغَ دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّهُمْ مُتَلَاعِبُونَ بِالدِّينِ، لَيْسَتْ لَهُمْ نِيَّةٌ صَحِيحَةٌ، وَلاَ قَصْدٌ خَالِصٌ.

قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَؤُلَاءِ: الْيَهُودُ، فَإِنَّهُمْ آمَنُوا بِمُوسَى ثُمَّ كَفَرُوا بِعُزَيْرٍ، ثُمَّ آمَنُوا بِعُزَيْرٍ، ثُمَّ كَفَرُوا بِعِيسَى، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى الله عليه وَسَلَّم -.

يَعْنِي:- آمَنُوا بِمُوسَى، ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ بِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، ثُمَّ آمَنُوا بِهِ عِنْدَ عَوْدِهِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ كَفَرُوا بِعِيسَى، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بكفرهم بمحمد -صلّى الله عليه وَسَلَّمَ،

وَالْمُرَادُ بِالْآيَةِ: أَنَّهُمُ ازْدَادُوا كُفْرًا، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ حَالِهِمْ، وَإِلاَّ فَالْكَافِرُ إِذَا آمَنَ وَأَخْلَصَ إِيمَانَهُ وَأَقْلَعَ عَنِ الْكُفْرِ فَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ السَّبِيلَ الْمُوجِبَ لِلْمَغْفِرَةِ، وَالْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ هَذَا مُسْتَبْعَدًا مِنْهُمْ جِدًّا كَانَ غُفْرَانُ ذُنُوبِهِمْ وَهِدَايَتُهُمْ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ مُسْتَبْعَدًا.(2)

* * *

قَالَ: الشَّيْخُ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم أخبرهم تعالى في الآية

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (137)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (137). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

بعـد هـذه (137) مقـرراً الحكـم بالخسـران الـذي تضـمنته الآيـة قبلـها فقـال عـز وجـل: {إنَّ الَّـذِينَ آمَنُـوا ثـمَّ كَفَـرُوا ثـمَّ آمَنُـوا ثـمَّ كَفَـرُوا} بمحمـد - صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-، وكتابـه وبمـا جـاء بـه {لَـمْ يَكُـنِ اللهُ} أي: لم يكـن في سـنة الله أن يغفـر لهـم ولا ليهـديهم سـبيلاً ينجـون بـه ويسـعدون فيـه ألا فليحـذر اليهـود والنصـارى هـذا وليـذكروه، وإلا فـالخلود في نـار جهـنم لازم لهـم ولا يهلـك علـى الله إلا هالك. (1)

* * *

[١٣٨] ﴿ بَشِّـرِ الْمُنَـافِقِينَ بِـأَنَّ لَهُـمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

بشِّـر أيهـا الرسـول- ﷺ - المنـافقين الـذين يُظهـرون الإيمـان، ويُبطنـون الكفـر، بـأن لهـم عند الله يوم القيامة عذابًا موجعًا. (2)

* * *

يَعْنِـي:- بشّـر أيهـا الرسـول- ﷺ - المنـافقين -وهـم الـذين يظهـرون الإيمـان ويبطنـون الكفر- بأن لهم عذابًا موجعًا. (3)

* * *

يَعْنِـي:- يـا أيهـا الرسـول- الكـريم أنـذر المنـافقين بـأن لهـم عـذاباً يـوم القيامـة مؤلماً. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{بَشِّـرِ الْمُنَـافِقِينَ} ... البشـارة: الخـير الـذي تتـأثر بـه بشـرة مـن يلقـى عليـه خـيراً كـان أو شراً.

والمنـافق: مـن يـبطن الكفـر ويظهـر الإيمـان تقية ليحفظ دمه وماله.

{بَشِّرْ} ... أَخْبِرْ يَا مُحَمَّد-ﷺ-.

(أي: {بَشِّـرِ} ... وضـعت مكـان (أخـبر) تهكمـا بهم).

{الْمُنَـافِقِينَ بِـأَنَّ لَهُـمْ عَـذَابًا أَلِيمًـا} ... مُؤْلِمًـا هُوَ عَذَاب النَّار..

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قولـه تعـالى: (بشـر المنـافقين بـأن لهـم عـذابا أليما).

قـال: الإِمَـامُ (ابْـنُ أَبِـي حَـاتِمٍ) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- (بسـنده الجيـد) - عـن (أبـي العاليـة): قولـه: (عـذابا أليمـا) قـال: الألـيم الموجع في القرآن كله. (5)

* * *

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله):- ثـمَّ نـزل فِـي الْمُنَـافِقين قَوْلـه: {بَشِّـرِ الْمُنَـافِقِينَ} عبـد الله بـن أبـي وَأَصْـحَابه وَمـن يكـون إِلَـى يَـوْم الْقِيَامَـة مِـنْهُم {بِـأَنَّ لَهُـمْ عَـذَاباً أَلِيمـاً} وجيعـاً يخلـص وَجَعه إِلَى قُلُوبهم. (6)

* * *

(1) انظـر: (أيسـر التفاسـير لكـلام العلـي الكـبير) في سـورة (النسـاء) الآيـة (137)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (100/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (100/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (135/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) للإمـام (ابـن أبـي حـاتم) في سـورة (النساء) الآية (138).

(6) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (النسـاء) الآيـة (138). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {138} {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ} أَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ {بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} وَالْبِشَارَةُ: كُلُّ خَبَرٍ يَتَغَيَّرُ بِهِ بَشَرَةُ الْوَجْهِ سَارًا كَانَ أَوْ غَيْرَ سَارٍّ،

وَقَالَ: (الزَّجَّاجُ): مَعْنَاهُ اجْعَلْ فِي مَوْضِعِ بِشَارَتِكَ لَهُمُ الْعَذَابَ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: تَحِيَّتُكَ الضَّرْبُ وَعِتَابُكَ السَّيْفُ، أَيْ: بَدَلًا لَكَ مِنَ التَّحِيَّةِ، (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تقسيره):- {138، 139} {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} .

البشارة تستعمل في الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ} أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأي شيء حملهم على ذلك؟ أيبتغون عندهم العزة؟

وهذا هو الواقع من أحوال المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عمّا وراء ذلك، فا تخذوا الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون.

والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين،

وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين" وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} يَعْنِي: أَنَّ الْمُنَافِقِينَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فَإِنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ مَعَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ، يُوَالُونَهُمْ وَيُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ إِذَا خَلَوْا بِهِمْ: إِنَّمَا نَحْنُ مَعَكُمْ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. أَيْ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي إِظْهَارِنَا لَهُمُ الْمُوَافَقَةَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ فِيمَا سَلَكُوهُ مِنْ مُوَالَاةِ الْكَافِرِينَ: {أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ} ؟. (3)

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (138).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (138)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (138)، للإمام (ابن كثير).

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
القول في تأويل قوله: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138)}
قال: (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه: {بشر المنافقين}، أخبر المنافقين.
وقد بيَّنَّا معنى: {التبشير} فيما مضى بما أغنى عن إعادته.
{بأن لهم عذابًا أليمًا}، يعني: بأن لهم يوم القيامة من الله على نفاقهم،
{عذابًا أليمًا}، وهو المُوجع، وذلك عذاب جهنم. (1)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (138)}
التَّبْشِيرُ الْإِخْبَارُ بِمَا ظَهَرَ أَثَرُهُ عَلَى الْبَشَرَةِ. (2)

* * *

قال: الإمام (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً} إِطْلَاقُ الْبِشَارَةِ عَلَى مَا هُوَ شَرٌّ خَالِصٌ لَهُمْ تَهَكُّمٌ بِهِمْ، وَقَدْ مَرَّ تَحْقِيقُهُ. (3)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً} يأمر الله تعالى رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يخبر المنافقين بلفظ البشارة" لأن المخبر به يسوء وجوههم وهو العذاب الأليم،
وقد يكون في الدنيا بالذل والمهانة والقتل، وأما في الآخرة فهو أسوأ العذاب وأشده، وهو لازم لهم لخبث نفوسهم وظلمة أرواحهم، ثم وصفهم تعالى بأخس صفاتهم وشرها. (4)

* * *

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هذا العذاب لأنهم اتخذوا الكفار أنصارًا وأعوانًا من دون المؤمنين، وإنه لعجب ذلك الذي جعلهم يوالونهم، أيطلبون عندهم القوة والمنعة ليرتفعوا بها؟! فإن القوة والمنعة كلها لله. (5)

* * *

يَعْنِي:- الذين يوالون الكافرين، ويتخذونهم أعوانًا لهم، ويتركون ولاية المؤمنين، ولا يرغبون في مودتهم. أيطلبون بذلك النصرة والمنعة عند الكافرين؟ إنهم لا يملكون ذلك،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (138)، للإمَامْ (الطبري).
(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (138)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).
(3) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (138). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).
(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (138)، للإمام: (جابر بن أبو بكر الجزائري).
(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (100/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فالنصرة والعزة والقوة جميعها لله تعالى وحده. (1)

* * *

يَعْنِي:- وإن أولئك المنافقين يجعلون الولاية عليهم للكافرين ويتركون المؤمنين، فهل يطلبون العزة من هؤلاء الكافرين؟ إن العزة لله - وحده - يعطيها عباده المؤمنين، ومن اعتزَّ بالله عزَّ، ومن اعتز بغيره ذلَّ. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{الَّذِينَ} ... نصب على الذم، أو رفع، بمعنى: أريد الذين، أو هم الذين.

وكانوا يمالئون الكفرة ويوالونهم.

{الَّذِينَ} ... بَدَل أَوْ نَعْت لِلْمُنَافِقِينَ.

{يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} ... لما يَتَوَهَّمُونَ فِيهِمْ مِنَ الْقُوَّة .

{أَيَبْتَغُونَ} ... يَطْلُبُونَ.

{عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ} ... اسْتِفْهَام إِنْكَار، أَيْ: لَا يَجِدُونَ عِنْدَهمْ .

{فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} ... يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة.

{فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} ... فِي الدُّنْيَا وَالْآخرَة وَلَا يَنَالهَا إلا أولياؤه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ثُمَّ بَيَّنَ صفتهم فَقَالَ: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ} يَعْنِي الْيَهُود {أَوْلِيَآءَ} فِي العون والنصرة {مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} المخلصين {أَيَبْتَغُونَ} أيطلبون {عِندَهُمُ} عِنْد الْيَهُود {الْعِزَّةَ} الْقُدْرَة والمنعة {فَإِنَّ الْعِزَّةَ} المنعة وَالْقُدْرَة {لِلَّهِ جَمِيعاً} . (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ وَصَفَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ: {139} {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ} يَعْنِي يَتَّخِذُونَ الْيَهُودَ أَوْلِيَاءَ وَأَنْصَارًا أَوْ بِطَانَةً {مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ} أَيِ الْمَعُونَةَ وَالظُّهُورَ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَأَصْحَابِهِ، يَعْنِي:- أيطلبون عندهم القوة،

{فَإِنَّ الْعِزَّةَ} أَيْ: الْغَلَبَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ، {لِلَّهِ جَمِيعًا} {النساء: 139} . (4)

* * *

قوله تعالى: (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين)

قال: الإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) -عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):قوله: (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) قال: نهى الله تعالى المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (100/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (135/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (139). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (139).

المؤمنين إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم ويخالفونهم في الدين.(1)

* * *

قوله تعالى: (أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً)

قال: الإمام (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر في هذه الآية الكريمة أن جميع العزة له جل وعلى وبين في موضع آخر: أن العزة التي هي له وحده أعز بها رسوله والمؤمنين،

وهو قوله تعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) أي وذلك بإعزاز الله لهم.

والعزة: الغلبة، ومنه قوله تعالى: (وعزني في الخطاب) أي: غلبني في الخصام.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ فِيمَا سَلَكُوهُ مِنْ مُوَالَاةِ الْكَافِرِينَ: {أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ}؟.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِأَنَّ الْعِزَّةَ كُلَّهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِمَنْ جَعَلَهَا لَهُ. كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} {فاطر: 10}،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} {الْمُنَافِقُونَ: 8}.

وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا التَّهْيِيجِ عَلَى طَلَبِ الْعِزَّةِ مِنْ جَنَابِ اللَّهِ، وَالِالْتِجَاءِ إِلَى عُبُودِيَّتِهِ، وَالِانْتِظَامِ فِي جُمْلَةِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَهُمُ النُّصْرَةُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ.(3)

* * *

قال: الإمَام (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}... فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: يُوَالُونَ الْكَافِرِينَ مُتَجَاوِزِينَ وِلَايَةَ {الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ} هَذَا الِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، وَالْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ.

قَوْلُهُ: {فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً}... هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ تَوْبِيخِهِمْ بِابْتِغَاءِ الْعِزَّةِ عِنْدَ الْكَافِرِينَ،

وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِزَّةِ وَأَفْرَادِهَا مُخْتَصٌّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا كَانَ مِنْهَا مَعَ غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْ فَيْضِهِ وَتَفَضُّلِهِ كَمَا في قوله: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} وَالْعِزَّةُ: الْغَلَبَةُ،

يُقَالُ: عَزَّهُ يَعِزُّهُ عِزًّا: إِذَا غَلَبَهُ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ الْخِطَابُ لِجَمِيعِ مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُنَافِقٍ، لِأَنَّ مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ فَقَدْ لَزِمَهُ أَنْ يَمْتَثِلَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ،

يَعْنِي:- إِنَّهُ خِطَابٌ لِلْمُنَافِقِينَ فَقَطْ، كَمَا يُفِيدُهُ التَّشْدِيدُ وَالتَّوْبِيخُ.(4)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم وصفهم تعالى بأخس صفاتهم وشرها فقال: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} فيعطون

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (139).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (139).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (139)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (139). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

محبتهم ونصرتهم وولاءهم للكافرين ويمنعون ذلك المؤمنين وذلك لأن قلوبهم كافرة آثمة لم يدخلها إيمان ولم يُنرها عمل الإسلام، ثم وبخهم تعالى ناعياً عليهم جهلهم فقال: {أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ} أي: يطلبون العزة، أي: المنعة والغلبة من الكافرين أجهلوا أم عموا فلم يعرفوا أن {الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} فمن أعزه الله عز ومن أذله ذل، والعزة تطلب الإيمان وصالح الأعمال لا بالكفر والشر والفساد.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): أما قوله جل ثناؤه: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} فمن صفة المنافقين. يقول الله لنبيه: يا محمد، بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني، {أولياء} = يعني: أنصاراً وأخلاء ، {من دون المؤمنين} ، يعني: من غير المؤمنين ، {أيبتغون عندهم العزة} ، يقول: أيطلبون عندهم المنعة والقوة، باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي؟، {فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} يقول: فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاءَ العزة عندهم، هم الأذلاء الأقلاء، فهلا اتخذوا الأولياء من المؤمنين، فيلتمسوا العزَّة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة، الذي يُعزّ من يشاء ويذل من يشاء، فيعزُّهم ويمنعهم؟.(2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) (الَّذِينَ) نَعْتٌ لِلْمُنَافِقِينَ. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ عَمِلَ مَعْصِيَةً مِنَ الْمُوَحِّدِينَ لَيْسَ بِمُنَافِقٍ، لِأَنَّهُ لَا يَتَوَلَّى الْكُفَّارَ. وَتَضَمَّنَتِ الْمَنْعَ مِنْ مُوَالَاةِ الْكَافِرِ، وَأَنْ يُتَّخَذُوا أَعْوَانًا عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالدِّينِ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ (عَائِشَةَ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَحِقَ بِالنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُقَاتِلُ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ: (ارْجِعْ فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ).

(الْعِزَّةَ) أَيِ الْغَلَبَةُ، عَزَّهُ يعزه عزًّا إِذَا غَلَبَهُ.

(فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) أَيْ: الْغَلَبَةُ وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): (يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ) يريد عند بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَإِنَّ ابْنَ أُبَيٍّ كَانَ يُوَالِيهِمْ.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} " أي هُمُ الذين يتَّخذونَ اليهودَ أحبَّاءَ فيِ العَوْنِ والنُّصْرَةِ من دون المؤمنينَ المخلصين الموحِّدين.

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (139)، للإمام: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (139)، للإِمَامِ (الطبري)،

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (139)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

قَوْلُــهُ تَعَــالَى : {أَيَبْتَغُونَ عِنـدَهُمُ الْعِــزَّةَ} " هــذا اســتفهامٌ بمعنــى الإنكــار" أي كيـف يطلبــون عنــد الكفّـار العــزّة وهــم أذلاّءُ في حُكْـم الله تعــالى : {فَــإِنَّ العِــزَّةَ للَّــه جَمِيعــاً} " أي فـإنّ القــوةَ وَالْمَنَعَــةَ لله جميعــاً، فمــن أراد طَلَـب العــزَّة فليطلُبْهــا مــن الله تعــالى " لأنــه المقــدِّر بجميــع مَــن لــهُ العــزَّةُ مــن خلقــه لِجميــع العــزَّة لَهُ. (1)

* * *

قــال: الإمــام (ابــن أبــي زَمَــنِين المــالكي) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {الَّـــذِينَ يَتَّخِـــذُونَ الْكَـــافِرِينَ أَوْلِيَـــاءَ مِـــنْ دُونِ الْمُـــؤْمِنِينَ} كَـــانُوا يتولـــون الْيَهُـــود، وَقـــد أظهـــرُوا الْإِيمَـــان. {أيبتغـون عنْـد الله الْعِزَّة} أَي: أيريدون بهم الْعِزَّة؟!. (2)

* * *

[١٤٠] ﴿ وَقَـدْ نَـزَّلَ عَلَيْكُمْ فِـي الْكِتَـابِ أَنْ إِذَا سَـمِعْتُمْ آيَـاتِ اللَّـهِ يُكْفَـرُ بِهَـا وَيُسْـتَهْزَأُ بِهَـا فَـلَا تَقْعُـدُوا مَعَهُـمْ حَتَّـى يَخُوضُـوا فِـي حَـدِيثٍ غَيْـرِهِ إِنَّكُـمْ إِذًا مِـثْلُهُمْ إِنَّ اللَّـهَ جَـامِعُ الْمُنَـافِقِينَ وَالْكَـافِرِينَ فِـي جَهَـنَّمَ جَمِيعًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقــد نــزل الله علــيكم أيهــا المؤمنــون- في القــرآن الكــريم أنكــم إذا جلســتم في مجلــس وسمعــتم فيــه مــن يكفــر بآيــات الله ويســتهزئ بهــا" فيجــب علــيكم تــرك القعــود معهــم والانصــراف عــن مجالســتهم، حتــى يتحــدثوا في حــديث غــير الكفــر بآيــات الله والاســتهزاء بهــا، إنكــم إذا جالســتموهم حــال الكفــر بآيــات الله والاســتهزاء بهــا بعــد سمــاعكم ذلــك مثلــهم في مخالفــة أمــر الله" لأنكــم عصــيتم الله بجلوســكم كمــا عصــوا الله بكفــرهم، إن الله ســيجمع المنــافقين الــذين يظهــرون الإســلام ويضــمرون الكفــر مــع الكــافرين في نــار جهــنم يــوم القيامة. (3)

* * *

يَعْنِــي:- وقــد نــزل علــيكم أيهــا المؤمنــون- في كتــاب ربكــم أنــه إذا سمعــتم الكفــر بآيــات الله والاســتهزاء بهــا فــلا تجلســوا مــع الكــافرين والمســتهزئين، إلا إذا أخــذوا في حــديث غــير حــديث الكفــر والاســتهزاء بآيــات الله. إنكــم إذا جالســتموهم، وهــم علــى مــا هــم عليــه، فــأنتم مثلــهم" لأنكــم رضــيتم بكفــرهم واســتهزائهم، والراضــي بالمعصــية كالفاعــل لهــا. إن الله تعــالى جــامع المنــافقين والكــافرين في نــار جهنم جميعًا، يلْقَون فيها سوء العذاب. (4)

* * *

يَعْنِــي:- وقــد نــزَّل الله علــيكم فــى القــرآن الكــريم أنكــم كلمــا سمعــتم آيــة مــن الكتــاب، وجحــد بهــا الكــافرون، فــلا تقعــدوا معهــم حتــى ينتقلــوا إلى حــديث غــير حــديث الاســتهزاء، وإنكــم إن لم تفعلــوا وسمعــتم استهزاءهم كنــتم مثلــهم فــى الاســتهزاء بــالقرآن، وإن العاقبــة

---

(1) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) - المنســوب - للإمــام الطبرانــي) في ســورة (النساء) الآية (139)،

(2) انظــر: (تفســير القــرآن العزيــز) في ســورة (النســاء) الآيــة (139) للإمــام (ابن أبي زمنين المالكي)،

(3) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (100/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(4) انظــر: (التفســير الميســر) بــرقم (100/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير)،

وخيمة على الكافرين والمنافقين، فإن الله جامعهم جميعاً فى النار يوم القيامة.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وقد نزلنا} ... بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُول .

{عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَاب} ... الْقُرْآن فِي سُورَة الْأَنْعَام {أَنْ} ... مُخَفَّفَة وَاسْمهَا مَحْذُوف أَيْ أَنَّهُ.

{إِذَا سَمِعْتُمْ آيَات اللَّه} ... الْقُرْآن.

{أَنْ إِذَا سَمِعْتُم} ... أن، هى المخففة من الثقيلة. أي إنه إذا سمعتم.

والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله : {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ} ... فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِه.

وذلك أن المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزئون به، فنهى المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه .

وكان المنافقون يجلسون إلى هؤلاء يستمعون إليهم وهم يستهزئون بآيات الله.

{يُكْفَر بِهَا وَيُسْتَهْزَأ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ} ... أَيْ الْكَافِرِينَ وَالْمُسْتَهْزِئِين.

{حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيث غَيْره إِنَّكُمْ إِذًا} ... إنْ قَعَدْتُمْ مَعَهُمْ.

{مثلهم} ... فِي الْإِثْم.

{إِنَّ اللَّه جَامِع الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّم جَمِيعًا} ... كَمَا اجْتَمَعُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى الْكُفْر وَالِاسْتِهْزَاء.

{إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ} ... يعنى : القاعدين والمقعود معهم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم) هذا المنزل الذي أحال عليه هنا هو المذكور في سورة الأنعام في قوله تعالى: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وقوله هنا (فلا تقعدوا معهم) لم يبين فيه حكم ما إذا نسوا النهي حتى قعدوا معهم، ولكنه بينه في سورة الأنعام بقوله (وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) . (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: قوله تعالى (أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها) ،

وقوله: (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله).

وقوله: (وأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ونحو هذا من القرآن، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (135/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (140).

وأخبرهم، أنما هلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات في دين الله.(1)(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ} أمر لكم في القرآن إذ أنتم بمكة {أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله} ذكر محمد والقرآن {يُكْفَرُ بِهَا} بمحمد والقرآن {وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا} بمحمد والقرآن {فَلَا تَقْعُدُوا} فلا تجلسوا {مَعَهُمْ} في الخوض {حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} حتى يكون خوضهم وحديثهم في غير محمد والقرآن {إِنَّكُمْ إِذًا} إذا جلستم معهم بغير كره {مِّثْلُهُمْ} في الخوض والاستهزاء {إِنَّ الله جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ} منافق أهل المدينة عبد الله بن أبي وأصحابه {وَالْكَافِرِينَ} كفار أهل مكة أبي جهل وأصحابه وكفار أهل المدينة كعب وأصحابه {فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}.(3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (محيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {140} {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ} قرأ (عاصم ويعقوب) (نَزَّلَ) بفتح النون والزاي، أي: نزل الله، وقرأ الآخرون: (نُزِّلَ) بضم النون وكسر الزاي، أي: عليكم يا معشر المسلمين {أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ} يعني القرآن. {يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ} يعني: مع الذين يستهزؤون، {حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} أَيْ: يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِ الِاسْتِهْزَاءِ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم -وَالْقُرْآنِ،

وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي (سُورَةِ الْأَنْعَامِ) {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} {الْأَنْعَام: 68}.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كُلُّ مُحْدِثٍ فِي الدِّينِ وَكُلُّ مُبْتَدِعٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

{إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ} أَيْ: إِنْ قَعَدْتُمْ عِنْدَهُمْ وَهُمْ يخوضون ويستهزءون وَرَضِيتُمْ بِهِ فَأَنْتُمْ كُفَّارٌ مِثْلُهُمْ، وَإِنْ خَاضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ فَلَا بَأْسَ بِالْقُعُودِ معهم مَعَ الْكَرَاهَةِ،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): لَا يَجُوزُ الْقُعُودُ مَعَهُمْ وَإِنْ خَاضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} {الأنعام: 68} وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى الْأَوَّلِ. وَآيَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ وَهَذِهِ مَدَنِيَّةٌ وَالْمُتَأَخِّرُ أَوْلَى. قوله: {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} {النساء: 140}.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {140} {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ}. أي: وقد بيّن الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (النساء) الآية (140).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (140).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (140). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (140).

مجالس الكفر والمعاصي {أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا} أي: يستهان بها. وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خَلَقَ الله الخَلْقَ لأجله، فضد الإيمان الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم.

وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقا، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقتحم حدوده التي حدها لعباده ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم {حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} أي: غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها.

{إِنَّكُمْ إِذًا} أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكورة {مِثْلُهُمْ} لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلسا يعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها.

{إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} كما اجتمعوا على الكفر والموالاة ولا ينفع الكافرين مجرد كونهم في الظاهر مع المؤمنين كما قال تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} إلى آخر الآيات. (1)

* * *

قال: الإِمَام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ} أَيْ: إِذَا ارْتَكَبْتُمُ النَّهْيَ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَيْكُمْ، وَرَضِيتُمْ بِالْجُلُوسِ مَعَهُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُكْفَرُ فِيهِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيُسْتَهْزَأُ وَيُنْتَقَصُ بِهَا، وَأَقْرَرْتُمُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ شَارَكْتُمُوهُمْ فِي الَّذِي هُمْ فِيهِ.

فَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ}، أَيْ: فِي الْمَأْثَمِ،

وَالَّذِي أُحِيلَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ النَّهْيِ فِي ذَلِكَ، هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ)، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} {الْأَنْعَام: 68}،

قَالَ: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ): نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْأَنْعَامِ. يَعْنِي نُسِخَ قَوْلُهُ: {إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ} لِقَوْلِهِ: {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} {الأنعام: 69}.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} أَيْ: كَمَا أَشْرَكُوهُمْ فِي

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (140)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الْكُفْر، كَذَلِكَ شَارَكَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ فِي الْخُلُود فِي نَار جَهَنَّمَ أَبَدًا، وَجَمَعَ بَيْنَهُمْ فِي دَار الْعُقُوبَة وَالنَّكَال، وَالْقُيُود وَالْأَغْلَال. وَشَرَاب الْحَمِيم والغِسْلِين لا الزّلال. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: {بشر المنافقين}.

الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، {وقد نزل عليكم في الكتاب}، يقول: أخبر من ا تخذ من هؤلاء المنافقين الكفار أنصاراً وأولياءَ بعد ما نزل عليهم من القرآن.

{أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره}، يعني: بعد ما علموا نَهْي الله عن مجالسة الكفار الذين يكفرون بحجج الله وآيِ كتابه ويستهزئون بها،

{حتى يخوضوا في حديث غيره}، يعني بقوله: {يخوضوا}، يتحدثوا حديثًا غيره، {بأن لهم عذاباً أليمًا}.

وقوله: {إنكم إذًا مثلهم}، يعني: وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها وأنتم تسمعون، فأنتم مثله= يعني: فأنتم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، مثلُهم في فعلهم، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله. فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتَوْه منها، فأنتم إذًا مثلهم في ركوبكم معصية الله، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه.

* * *

وفي هذه الآية، الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع، من المبتدعة والفسَقة، عند خوضهم في باطلهم.

10710- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن (ابن عباس) قوله: {أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها}،

وقوله: (وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِه)، {سورة الأنعام: 153}،

وقوله: (أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) {سورة الشورى: 13}، ونحو هذا من القرآن. قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم: إنما هلك من كان قبلكم بالمِراء والخصومات في دين الله.

* * *

وقوله: {إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا}، يقول: إن الله جامع الفريقين من أهل الكفر والنفاق في القيامة في النار، فموفِّق بينهم في عقابه في جهنم وأليم عذابه، كما اتفقوا في الدنيا فاجتمعوا على عداوة المؤمنين، وتوازروا على

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (140)، للإمَام (ابن كثير).

التخذيل عن دين الله= وعن الذي ارتضاهُ وأمر به= وأهله.(1)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا) الْخِطَابُ لِجَمِيعِ مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ مِنْ مُحِقٍّ وَمُنَافِقٍ، لِأَنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ الْإِيمَانَ فَقَدْ لَزِمَهُ أَنْ يَمْتَثِلَ أَوَامِرَ كِتَابِ اللَّه.

فَالْمُنَزَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ). وكان المنافقين يَجْلِسُونَ إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَيَسْخَرُونَ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَقَرَأَ (عَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ) (وَقَدْ نَزَّلَ) بِفَتْحِ النُّونِ وَالزَّايِ وَشَدِّهَا، لِتَقَدُّمِ اسْمِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً).

وَقَرَأَ (حُمَيْدٌ) كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ خَفَّفَ الزَّايَ. الْبَاقُونَ (نُزِّلَ) غَيْرُ مُسَمَّى الْفَاعِلِ. (أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ) مَوْضِعُ (أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ) عَلَى قِرَاءَةِ (عَاصِمٍ وَيَعْقُوبَ) نَصْبٌ بِوُقُوعِ الْفِعْلِ عَلَيْهِ.

وَفِي قِرَاءَةِ الْبَاقِينَ رَفْعٌ، لِكَوْنِهِ اسْمَ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ. (يُكْفَرُ بِهَا) أَيْ إِذَا سَمِعْتُمُ الْكُفْرَ وَالِاسْتِهْزَاءَ بِآيَاتِ اللَّهِ، فَأَوْقَعَ السماع عَلَى الْآيَاتِ، وَالْمُرَادُ سَمَاعُ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، كَمَا تَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يُلَامُ، أَيْ سَمِعْتُ اللَّوْمَ فِي عَبْدِ اللَّه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) أَيْ غَيْرِ الْكُفْرِ. (إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ) فَدَلَّ بِهَذَا عَلَى وُجُوبِ اجْتِنَابِ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَجْتَنِبْهُمْ فَقَدْ رَضِيَ فِعْلَهُمْ، وَالرِّضَا بِالْكُفْرِ كُفْرٌ،

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ). فَكُلُّ مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسِ مَعْصِيَةٍ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ يَكُونُ مَعَهُمْ فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِمْ إِذَا تَكَلَّمُوا بِالْمَعْصِيَةِ وَعَمِلُوا بِهَا، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى النَّكِيرِ عَلَيْهِمْ فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ عَنْهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ (عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخَذَ قَوْمًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، فَقِيلَ لَهُ عَنْ أَحَدِ الْحَاضِرِينَ: إِنَّهُ صَائِمٌ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْأَدَبَ ،

وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ) أَيْ إِنَّ الرِّضَا بِالْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَةٌ،

وَلِهَذَا يُؤَاخَذُ الْفَاعِلُ وَالرَّاضِي بِعُقُوبَةِ الْمَعَاصِي حَتَّى يَهْلَكُوا بِأَجْمَعِهِمْ. وَهَذِهِ الْمُمَاثَلَةُ لَيْسَتْ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، وَلَكِنَّهُ إِلْزَامٌ شُبِّهَ بِحُكْمِ الظَّاهِرِ مِنَ الْمُقَارَنَةِ،

كَمَا قَالَ: {فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي}

وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَإِذَا ثَبَتَ تَجَنُّبُ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي كَمَا بَيَّنَّا فَتَجَنُّبُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ أَوْلَى.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ): قَوْلُهُ تَعَالَى (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) نُسِخَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (140)، للإمَامْ (الطبري).

بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ).

وَقَالَ: عَامَّةُ الْمُفَسِّرِينَ: هِيَ مُحْكَمَةٌ.

وروى (جُوَيْبِرٌ عَنِ الضَّحَّاكِ) قَالَ: دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كُلُّ مُحْدِثٍ فِي الدِّينِ مُبْتَدِعٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ) الْأَصْلُ (جَامِعٌ) بِالتَّنْوِينِ فَحُذِفَ اسْتِخْفَافًا، فَإِنَّهُ بِمَعْنَى يَجْمَعُ. (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (140) فإن الله تعالى يؤدب المؤمنين فيذكرهم بما أنزل عليهم في سورة الأنعام حيث نهاهم عن مجالسة أهل الباطل إذا خاضوا في الطعن في آيات الله ودينه فقال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} هذا الأدب أخذ الله تعالى به رسوله والمؤمنين، وهم في مكة قبل الهجرة لأن سورة الأنعام مكية ولما هاجروا إلى المدينة، وبدأ النفاق وأصبح للمنافقين مجالس خاصة ينتقدون فيها المؤمنين ويخوضون فيها في آيات الله تعالى استهزاء وسخرية ذكر الله تعالى المؤمنين بما أنزل عليهم في مكة فقال: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا} أي: إذا رضيتم بالجلوس معهم، وهم يخوضون في آيات الله {مِثْلُهُمْ} في الإثم والجريمة، والجزاء أيضاً، {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} فهل ترضون أن تكونوا معهم في جهنم، وإن قلتم لا إذا فلا تجالسوهم. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عزَّ وجَلَّ: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} " أي: قد نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْقُرْآنِ (سُورَةَ الأنْعَامِ) بمَكَّةَ أنْ سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُجْحَدُ بها، وَيُسْخَرُ منْهَا فلا تَجْلِسُواْ مَعَهُمْ حتَّى يكونَ خَوْضُهُمْ في حديث غيرِ القُرْآنِ، وأرادَ بذلك المذكورَ في الأنعام قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} {الأنعام: 68}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ} " أي مَن جَالَسَهُمْ راضياً بما هُم عليه من الكُفْرِ والاستهزاء بآيات الله فهو مِثْلُهُمْ في الكُفْرِ " لأن الرِّضَا بالكفر والاستهزاء كُفْرٌ، ومَن جَلَسَ معهُم سَاخطاً لذلكَ منهم لم يَكْفُرْ، ولكنه يكونُ عاصياً بالقعود معهم " فيكونُ معنى قوله تعالى: {إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ} أي في أصْلِ العصْيانِ وإن لم تبلُغْ معصيةُ المؤمنين معصيةَ الكفَّار، إذا لم يكن جلوسُ المؤمنينَ معهم لإقامةِ فَرضٍ أو سُنَّةٍ، أما إذا كان

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (140)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (140)، للإمام: (جابرين أبو بكر الجزائري).

جلوسُه هنالكم لإقامةِ عبادةٍ وهو ساخطٌ لتلكَ الحالِ لا يقدرُ على تغييرها، فلا بأسَ بالجلوس.

كما روي عن (الحسن): (أنَّهُ حضَرَ هُوَ وَابْنُ سِيرِيْنَ " فَذَكَرَ ذلكَ لِلْحَسَنِ فَقَالَ: إنَّا كُنَّا مَتَى رَأَيْنَا بَاطِلاً تَرَكْنَا حقاً " أَشْرِعَ ذلكَ فِي دِيْنِنَا!).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً} " أي يَجْمَعُهُمْ فِي جهنَّم مجازاةً لهم لاجتماعهم في الدُّنيا للاستهزاء، فمن شاءَ لا يكونُ معهم في جهنَّم فلا يكونُ معهم في الدُّنيا. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ}... فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْقِرَاءَةِ،

الْأُولَى: عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ نَزَلَ، وَفِي مَحَلِّ رَفْعٍ عَلَى الْقِرَاءَةِ،

الثَّانِيَةِ: عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ، وَفِي مَحَلِّ رَفْعٍ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ عَلَى الْقِرَاءَةِ،

الثَّالِثَةِ: وأن هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَالتَّقْدِيرُ أَنَّهُ إذا سمعتم آيات الله. فِي الْكِتَابِ: هُوَ الْقُرْآنُ.

وَقَوْلُهُ: {يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا}... حَالاَن، أَيْ: {إِذَا سَمِعْتُمُ الْكُفْرَ وَالِاسْتِهْزَاءَ بِآيَاتِ اللَّهِ}، فَأَوْقَعَ السَّمَاعَ عَلَى الْآيَاتِ. وَالْمُرَادُ: سَمَاعُ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ.

وَقَوْلُهُ: {فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}...أَيْ: أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ في الكتاب أنكم عند هذا السماع والاستهزاء بآيات الله لا تعقدوا مَعَهُمْ مَا دَامُوا كَذَلِكَ، حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِ حَدِيثِ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهَا. وَالَّذِي أنزله الله عليهم في الْكِتَابِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}،

وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الدَّاخِلِينَ فِي الْإِسْلَامِ يَقْعُدُونَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ حَالَ سُخْرِيَتِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِهِ، فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ- بِاعْتِبَارِ عُمُومِ لَفْظِهَا الَّذِي هُوَ الْمُعْتَبَرُ دُونَ خُصُوصِ السَّبَبِ- دَلِيلٌ عَلَى اجْتِنَابِ كُلِّ مَوْقِفٍ يَخُوضُ فِيهِ أَهْلُهُ بِمَا يُفِيدُ التَّنَقُّصَ وَالِاسْتِهْزَاءَ لِلْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ،

كَمَا يَقَعُ كَثِيرًا مِنْ أُسَرَاءِ التَّقْلِيدِ الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا آرَاءَ الرِّجَالِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يَبْقَ فِي أَيْدِيهِمْ سِوَى: قَالَ إِمَامُ مَذْهَبِنَا كَذَا،

وَقَالَ فُلَانٌ مِنْ أَتْبَاعِهِ: بِكَذَا، وَإِذَا سَمِعُوا مَنْ يَسْتَدِلُّ عَلَى تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ بِآيَةٍ قُرْآنِيَّةٍ أَوْ بِحَدِيثٍ نَبَوِيٍّ سَخِرُوا مِنْهُ، وَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَى مَا قَالَهُ رَأْسًا، وَلَا بَالَوْا بِهِ بَالَةً، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِأَمْرٍ فَظِيعٍ، وَخَطْبٍ شَنِيعٍ، وَخَالَفَ مَذْهَبَ إِمَامِهِمُ الَّذِي نَزَّلُوهُ مَنْزِلَةَ مُعَلِّمِ الشَّرَائِعِ، بَلْ بَالَغُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى جَعَلُوا رَأْيَهُ الْفَائِلَ، وَاجْتِهَادَهُ الَّذِي هُوَ عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ مَائِلٌ، مُقَدَّمًا عَلَى اللَّهِ وَعَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى رَسُولِه، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مَا صَنَعَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ بِأَهْلِهَا، وَالْأَئِمَّةُ الَّذِينَ انْتَسَبَ هَؤُلَاءِ الْمُقَلِّدَةُ إِلَيْهِمْ بُرَآءُ مِنْ فِعْلِهِمْ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (140).

فَإِنَّهُمْ قَدْ صَرَّحُوا فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ بِالنَّهْيِ عَنْ تَقْلِيدِهِمْ كَمَا أَوْضَحْنَا ذَلِكَ فِي رِسَالَتِنَا الْمُسَمَّاةِ بِـ{الْقَوْلِ الْمُفِيدِ فِي حُكْمِ التَّقْلِيدِ}،

وَفِي مُؤَلَّفِنَا الْمُسَمَّى بِـ{أَدَبِ الطَّلَبِ وَمُنْتَهَى الْأَرَبِ} اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُقْتَدِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ آرَاءِ الرِّجَالِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ، يَا مُجِيبَ السَّائِلِينَ!،

قَوْلُهُ: {إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ}... تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ، أَيْ: إِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَنْتَهُوا فَأَنْتُمْ مِثْلُهُمْ فِي الْكُفْرِ.

قِيلَ: وَهَذِهِ الْمُمَاثَلَةُ لَيْسَتْ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، وَلَكِنَّهُ إِلْزَامٌ شِبْهُ بِحُكْمِ الظَّاهِرِ كَمَا فِي قَوْلِ الْقَائِلِ:

....

وَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي وَهَذِهِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ، إِلَّا مَا يُرْوَى عَنِ (الْكَلْبِيِّ)،

فَإِنَّهُ قَالَ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ مَرْدُودٌ}، فَإِنَّ مِنَ التَّقْوَى اجْتِنَابُ مَجَالِسِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهَا.

قَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً}... هَذَا تَعْلِيلٌ لِكَوْنِهِمْ مِثْلَهُمْ فِي الْكُفْرِ،

قِيلَ: وَهُمُ الْقَاعِدُونَ وَالْمَقْعُودُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ مَنْ جَعَلَ الْخِطَابَ مُوَجَّهًا إِلَى الْمُنَافِقِينَ.(1)

(1) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (140). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

* * *

قال: الإمام (الشافعي) - (رحمه الله) - في (تفسير الإمام الشافعي):- قال الله عزَّ وجلَّ: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140)

الأم: مبتدأ التنزيل والفرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم على الناس:

قال: الإمام (الشَّافعي) - (رحمه الله):- ثم أنزل اللَّه تبارك وتعالى بعد هذا في الحال التي فرض فيها عُزْلة المشركين، فقال: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) مما فرض عليه، فقال: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا) قرأ (الربيع) إلى: (إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ) الآية.

أحكام القرآن: ما يؤثر عنه – الإمام (الشَّافعي) - في تفسير في آيات متفرقة:

قال: الإمام (الشَّافعي) - (رحمه الله):- ومثل قوله - عز وجل -: (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) الآية.

ومثل هذا في القرآن على ألفاظ.

مناقب الإمام (الشَّافعي): باب (ما يؤثر عنه – الإمام (الشَّافعي) - في الإيمان):

قال: الإمام (الشَّافعي) - (رحمه الله):- وفرض اللَّه على السمع: أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرَّم اللَّه، وأن يغضي عما

نهى اللَّه عنه، فقال في ذلك: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ الآية.(1)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- وجوب العدل في القضاء بين الناس وعند أداء الشهادة، حتى لو كان الحق على النفس أو على أحد من القرابة.
- على المؤمن أن يجتهد في فعل ما يزيد إيمانه من أعمال القلوب والجوارح، ويثبته في قلبه.
- عظم خطر المنافقين على الإسلام وأهله" ولهذا فقد توعدهم الله بأشد العقوبة في الآخرة.
- إذا لم يستطع المؤمن الإنكار على من يتطاول على آيات الله وشرعه، فلا يجوز له الجلوس معه على هذه الحال.(2)

* * *

[١٤١] ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (141) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (146) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)

الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الذين ينتظرون ما يحصل لكم من خير أو شر، فإن كان لكم نصر من الله وغنمتم قالوا لكم: ألم نكن معكم، شهدنا ما شهدتم؟! لينالوا من الغنيمة، وإن كان للكافرين حظ قالوا لهم: ألم نتول شؤونكم ونحطكم إحاطة العناية والنصرة ونحمكم من المؤمنين بإعانتكم وتخذيلهم؟! فالله يحكم بينكم جميعًا يوم القيامة، فيجازي المؤمنين بدخول الجنة، ويجازي المنافقين بدخول الدرك الأسفل من النار، ولن يجعل الله بفضله

---

(1) انظر: تفسير (الإمام الشافعي)، سورة (النساء) الآية (140)، الطبعة الأولى: (1427 - 2006 م).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (100/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

للكافرين تسلطًا على المؤمنين، بل سيجعل العاقبة للمؤمنين.(1)

* * *

يَعْنِي:- المنافقون هم الذين ينتظرون ما يحلُّ بكم أيها المؤمنون- من الفتن والحرب، فإن منَّ الله عليكم بفضله، ونصركم على عدوكم وغنمتم، قالوا لكم: ألم نكن معكم نؤازركم؟ وإن كان للجاحدين لهذا الدين قَدْرٌ من النصر والغنيمة، قالوا لهم: ألم نساعدكم بما قدَّمناه لكم ونَحْمِكُم من المؤمنين؟ فالله تعالى يقضي بينكم وبينهم يوم القيامة، ولن يجعل الله للكافرين طريقًا للغلبة على عباده الصالحين، فالعاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة.(2)

* * *

يَعْنِي:- وإن أولئك المنافقين ينتظرون انتظار الحاقد الحانق الذى يتمنى السوء لكم إذا كنتم فى حرب مع الأعداء، فإن كان لكم نصر من الله وفتح لطريق الحق، قالوا للمؤمنين - وقد أذهلهم النصر الذى نصر الله به أهل الإيمان -: ألم نكن معكم باعتبارنا من جماعتكم؟ وإن كان للكافرين نصيب من الغلب اتجهوا إليهم وقالوا لهم: ألم نُغلِّب أموركم علينا حتى صارت أمورنا؟ وألم نمنحكم مودتنا ونمنعكم من المؤمنين؟ والله - سبحانه وتعالى - يحكم بينكم وبين هؤلاء المنافقين يوم القيامة، ولن يجعل الله للكافرين سبيلا للغلب على المؤمنين ما دام المؤمنون على صفة الإيمان الحق والعمل الصالح.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ} ... أي: ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق.

{الَّذِينَ} ... بَدَل مِنْ الَّذِينَ قَبْله.

{يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ} ... يَنْتَظِرُونَ مَا يَحِلُّ بِكُمْ.

(أي: ينتظرون متى يحصل لكم انهزامٌ أو انكسارٌ، فيعلنون عن كفرهم).

{يَتَرَبَّصُونَ} ... يَنْتَظِرُونَ

{بِكُمْ} ... الدَّوَائِر.

{أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} ... مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة.

{أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} ... ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم.

{وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ... أي: ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم، ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم، فهاتوا لنا نصيبا بما أصبتم.

{فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ} ... ظَفَر وَغَنِيمَة.

{مِنْ اللَّه قَالُوا} ... لَكُمْ.

{قَالُوا} ... لَهُمْ .

{أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} ... فِي الدِّين وَالْجِهَاد فَأَعْطُونَا مِنْ الْغَنِيمَة.

{وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ} ... مِنْ الظَّفَر عَلَيْكُمْ.

{أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ} ... نَسْتَوْلِ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (101/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (136/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{عَلَيْكُمْ} ... وَنَقْدِر عَلَى أَخْذكُمْ وَقَتْلكُمْ فَأَبْقَيْنَا عَلَيْكُم.

{وَ} ... أَلَمْ .

{نَمْنَعكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ... أَنْ يَظْفَر بِتَخْذِيلِهِمْ وَمُرَاسَلَتهمْ بِأَخْبَارِهِمْ فلنا عليكم المنة،

{فَاللَّه يَحْكُم بَيْنَكُمْ} ... وَبَيْنهمْ.

{يَوْم الْقِيَامَة} ... بِأَنْ يُدْخِل وَيُدْخِلهُمْ النَّار.

{وَلَنْ يَجْعَل اللَّه لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} ... طَرِيقًا بِالِاسْتِئْصَالِ.

{يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ} ... ينتظرون متى يحصل لكم انهزام أو إنكسار؛ فيعلنون عن كفرهم.

{نَصِيبٌ} ... أي: مِنَ النصر وعبر عنه بالنصيب القليل لأن انتصارهم على المؤمنين نادر.

{نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} ... أي: نستول عليكم ونمنعكم من المؤمنين إن قاتلوكم.

{نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} ... نُسَاعِدكُمْ.

(أي: نَسْتَوْلِي عليكم وَنَمْنَعكُمْ من المؤمنين إنْ قاتلوكم).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): يعني قوله: (الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) قال: هم المنافقون.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي): قوله: (وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم) يقول: نغلب عليكم.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الضياء المقدسي) - (رحمه الله) - في (المختارة): أخبرنا أبو الحسن علي بن حمزة بن علي بن طلحة البغدادي -بالقاهرة- أن هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني أخبرهم -قراءة عليه- أنا أبو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، ثنا إسحاق بن الحسن الحربي، ثنا أبو حذيفة، ثنا سفيان -يعني عن (الأعمش) - عن ذرّ، عن يسيع، قال: جاء رجل إلى علي قال: يقول الله تبارك وتعالى: (فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) وهؤلاء المؤمنون يُقتلون؟! فقال علي: ادنه (فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً).(3)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (141). المحقق: (أسعد محمد الطيب)، (الطبعة: الثالثة).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (141). المحقق: (أسعد محمد الطيب)، (الطبعة: الثالثة).

(3) أخرجه الإِمَامُ (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (2/406-407)، (ح 793) كلاهما -من طريق: (الثوري) به.

وأخرجه الإمام (الحاكم) و(صححه) في (المستدرك) برقم (2/309)، ووافقه الإمام (الذهبي).

قال: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):

قوله : (سبيلا) قال: حجة.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- ثمَّ بيَّن من هم فَقَالَ {الَّذين يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ} ينتظرون بكم يَعْنِي الدَّوَائِر والشدة {فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ} نصْرَة وغنيمة {مِّنَ الله قَالُوا} يَعْنِي الْمُنَافِقين للمخلصين {أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ} على دينكُمْ أعطونا من الْغَنِيمَة {وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ} لِلْيَهُود {نَصِيبٌ} دولة {قَالُوا} لِلْيَهُود {أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} ألم نفش سر مُحَمَّد إِلَيْكُم ونخبركم بِهِ {وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤمنِينَ} من قتال الْمُؤمنِينَ ونخبر عَنْكُم الْمُؤمنِينَ {فَالله يحكُم بَيْنَكُمْ} يَا معشر الْمُنَافِقين وَالْيَهُود {يَوْمَ الْقِيَامَة وَلَن يَجْعَل الله لِلْكَافِرِينَ} لِلْيَهُود {عَلَى الْمُؤمنِينَ سَبِيلاً} دولة دَائِما.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {141} {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ} يَنْتَظِرُونَ بِكُمُ الدَّوَائِرَ، يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ، {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ} يعني: ظفر وغنيمة، {قَالُوا} لكم {أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} عَلَى دِينِكُمْ فِي الْجِهَادِ كُنَّا مَعَكُمْ فَاجْعَلُوا لَنَا نَصِيبًا مِنَ الْغَنِيمَةِ، {وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ} يَعْنِي دَوْلَةٌ وَظُهُورٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، {قَالُوا} يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ لِلْكَافِرِينَ، {أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} وَالِاسْتِحْوَاذُ: هُوَ الِاسْتِيلَاءُ وَالْغَلَبَةُ، قَالَ تَعَالَى: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ} {الْمُجَادَلَةُ: 19} أَيْ: اسْتَوْلَى وَغَلَبَ، يَقُولُ: أَلَمْ نُخْبِرْكُمْ بِعَوْرَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَأَصْحَابِهِ وَنُطْلِعْكُمْ عَلَى سِرِّهِمْ؟، قَالَ الْمُبَرِّدُ: يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ لِلْكُفَّارِ أَلَمْ نَغْلِبْكُمْ عَلَى رَأْيِكُمْ.

{وَنَمْنَعْكُمْ} ونصرفكم،

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} أَيْ: عَنِ الدُّخُولِ فِي جُمْلَتِهِمْ،

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ أَلَمْ نَسْتَوْلِ عَلَيْكُمْ بِالنُّصْرَةِ لَكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ نَدْفَعُ عَنْكُمْ صَوْلَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَخْذِيلِهِمْ عَنْكُمْ وَمُرَاسَلَتِنَا إِيَّاكُمْ بِأَخْبَارِهِمْ وَأُمُورِهِمْ، وَمُرَادُ الْمُنَافِقِينَ بِهَذَا الْكَلَامِ إِظْهَارُ الْمِنَّةِ عَلَى الْكَافِرِينَ،

{فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يَعْنِي: بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ النِّفَاقِ،

{وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} قَالَ: (عَلِيٌّ): فِي الْآخِرَةِ،

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ-: أَيْ حُجَّةً،

يَعْنِي:- ظُهُورًا عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثم ذكر تحقيق

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (141).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (141). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (141).

موالاة المنافقين للكافرين ومعاداتهم للمؤمنين فقال: {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ} أي: ينتظرون الحالة التي تصيرون عليها، وتنتهون إليها من خير أو شر، قد أعدوا لكل حالة جوابا بحسب نفاقهم.

{فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ} فيظهرون أنهم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا ليسلموا من القدح والطعن عليهم، وليشركوهم في الغنيمة والفيء ولينتصروا بهم.

{وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ} ولم يقل فتح" لأنه لا يحصل لهم فتح، يكون مبدأ لنصرتهم المستمرة، بل غاية ما يكون أن يكون لهم نصيب غير مستقر، حكمة من الله. فإذا كان ذلك .

{قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} أي: نستولي عليكم {وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} أي: يتصنعون عندهم بكف أيديهم عنهم مع القدرة، ومنعهم من المؤمنين بجميع وجوه المنع في تفنيدهم وتزهيدهم في القتال، ومظاهرة الأعداء عليهم، وغير ذلك مما هو معروف منهم.

{فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} فيجازي المؤمنين ظاهرا وباطنا بالجنة، ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات.

{وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} أي: تسلطا واستيلاء عليهم، بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، ولا يزال الله يحدث من أسباب النصر للمؤمنين، ودفع لتسلط الكافرين، ما هو مشهود بالعيان. حتى إن بعض المسلمين الذين تحكمهم الطوائف الكافرة، قد بقوا محترمين لا يتعرضون لأديانهم ولا يكونون مستصغرين عندهم، بل لهم العز التام من الله، فلله الحمد أولا وآخرا، وظاهرا وباطنًا. (1)

* * *

قال : الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (141)}

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يَتَرَبَّصُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ دَوَائِرَ السُّوءِ، بِمَعْنَى يَنْتَظِرُونَ زَوَالَ دَوْلَتِهِمْ، وَظُهُورَ الْكُفْرِ عَلَيْهِمْ، وَذَهَابَ مِلَّتِهِمْ {فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ} أَيْ: نَصْرٌ وَتَأْيِيدٌ وظَفَر وَغَنِيمَةٌ.

{قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ} ؟ أَيْ: يَتَوَدَّدُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ.

{وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ} أَيْ: إِدَالَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، كَمَا وَقَعَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَإِنَّ الرُّسُلَ تُبْتَلَى ثُمَّ يَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ {قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} ؟ أَيْ: سَاعَدْنَاكُمْ فِي الْبَاطِنِ،

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (141)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَمَا أَلَوْنَاهُمْ خَبَالًا وَتَخْذِيلًا حَتَّى انْتَصَرْتُمْ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): {نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} نَغْلِبْ عَلَيْكُمْ، كَقَوْلِهِ: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ} {الْمُجَادَلَةِ: 19} وَهَذَا أَيْضًا تَوَدُّدٌ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُصَانِعُونَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ" لِيَحْظَوْا عِنْدَهُمْ وَيَأْمَنُوا كَيْدَهُمْ، وَمَا ذَاكَ إِلا لِضَعْفِ إِيمَانِهِمْ، وَقِلَّةِ إِيقَانِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أَيْ: بِمَا يَعْلَمُهُ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ-مِنَ الْبَوَاطِنِ الرَّدِيئَةِ، فَلَا تَغْتَرُّوا بِجَرَيَانِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَيْكُمْ ظَاهِرًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِمَا لَهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا تَنْفَعُكُمْ ظَوَاهِرُكُمْ، بَلْ هُوَ يَوْمٌ تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ وَيُحَصَّلُ مَا فِي الصُّدُورِ.

وَقَوْلُهُ: {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا}، قَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاقِ): أَنْبَأَنَا الثَّوْرِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ ذَرٍّ، عَنْ يُسَيْعٍ الْكِنْدِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)، فَقَالَ: كَيْفَ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا}؟ فَقَالَ: (عَلِيٌّ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ادْنُهْ ادْنُهْ، ثُمَّ قَالَ: {فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا}

وَكَذَا رَوَى - (ابْنُ جُرَيْجٍ) عَنْ (عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا} قَالَ: ذَاكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَكَذَا رَوَى - (السُّدِّيُّ) عَنْ (أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ): يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ (السُّدِّيُّ): {وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا} أَيْ: حُجَّةً. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {الذين يتربصون بكم}، الذين ينتظرون، أيها المؤمنون، بكم،

{فإن كان لكم فتح من الله}، يعني: فإن فتح الله عليكم فتحًا من عدوكم، فأفاء عليكم فَيْئًا من المغانم، {قالوا} لكم= {ألم نكن معكم}، نجاهد عدوّكم ونغزوهم معكم، فأعطونا نصيبًا من الغنيمة، فإنا قد شهدنا القتال معكم

{وإن كان للكافرين نصيب}، يعني: وإن كان لأعدائكم من الكافرين حظّ منكم، بإصابتهم منكم {قالوا}، يعني: قال هؤلاء المنافقون للكافرين،

{ألم نستحوذ عليكم}، ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين،

{ونمنعكم} منهم، بتخذيلنا إياهم، حتى امتنعوا منكم فانصرفوا،

{فالله يحكم بينكم يوم القيامة}، يعني: فالله يحكم بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، فيفصل بينكم بالقضاء الفاصل،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (141)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

بإدخال أهل الإيمان جنّته، وأهل النفاق مع أوليائهم من الكفار ناره، {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا} ، يعني: حجة يوم القيامة.

وذلك وعدٌ من الله المؤمنين أنه لن يدخل المنافقين مدخلَهم من الجنة، ولا المؤمنين مدخَل المنافقين، فيكون بذلك للكافرين على المؤمنين حجة بأن يقولوا لهم، إن أدخلوا مدخلهم: ها أنتم كنتم في الدنيا أعداءَنا، وكان المنافقون أولياءنا،

وقد اجتمعتم في النار، فجمع بينكم وبين أوليائنا! فأين الذين كنتم تزعمون أنكم تقاتلوننا من أجله في الدنيا؟ فذلك هو{السبيل} الذي وعد الله المؤمنين أن لا يجعلها عليهم للكافرين.

* * *

10712- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي) في قوله: {ألم نستحوذ عليكم} ، قال: نغلب عليكم.

10720- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي) في قوله: {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا} ، قال: حجةً. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ: {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ} ... أَيْ: يَنْتَظِرُونَ بِكُمْ مَا يَتَجَدَّدُ وَيَحْدُثُ لَكُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَالْمَوْصُولُ: فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْمُنَافِقِينَ، أَوْ بَدَلٌ مِنْهُمْ فَقَطْ دُونَ الْكَافِرِينَ لِأَنَّ التَّرَبُّصَ الْمَذْكُورَ هُوَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ دُونَ الْكَافِرِينَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الذَّمِّ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ وَالْجُمْلَةُ الَّتِي بَعْدَهَا حِكَايَةٌ لِتَرَبُّصِهِمْ، أَيْ: إِنْ حَصَلَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ يُخَالِفُكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ قَالُوا لَكُمْ: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ فِي الِاتِّصَافِ بِظَاهِرِ الْإِسْلَامِ، وَالْتِزَامِ أَحْكَامِهِ، وَالْمُظَاهَرَةِ وَالتَّسْوِيدِ وَتَكْثِيرِ الْعَدَدِ؟ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ مِنَ الْغَلَبِ لَكُمْ وَالظَّفَرِ بِكُمْ قَالُوا لِلْكَافِرِينَ: {أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} أَيْ: أَلَمْ نَقْهَرْكُمْ وَنَغْلِبْكُمْ وَنَتَمَكَّنْ مِنْكُمْ وَلَكِنْ أَبْقَيْنَا عَلَيْكُمْ؟،

وَقِيلَ الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ قَالُوا لِلْكُفَّارِ الَّذِينَ ظَفِرُوا بِالْمُسْلِمِينَ: {أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} حَتَّى هَابَكُمُ الْمُسْلِمُونَ وَخَذَلْنَاهُمْ عَنْكُمْ؟.

وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، فَإِنَّ مَعْنَى الِاسْتِحْوَاذِ: الْغَلَبُ، يُقَالُ: اسْتَحْوَذَ عَلَى كَذَا، أَيْ: غَلَبَ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ} وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: أَلَمْ نَغْلِبْكُمْ حَتَّى هَابَكُمُ الْمُسْلِمُونَ؟ وَلَكِنَّ الْمَعْنَى: أَلَمْ نَغْلِبْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْكَافِرِينَ، وَنَتَمَكَّنْ مِنْكُمْ، فَتَرَكْنَاكُمْ وَأَبْقَيْنَا عَلَيْكُمْ حَتَّى حَصَلَ لَكُمْ هَذَا الظَّفَرُ بِالْمُسْلِمِينَ؟، {وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} بِتَخْذِيلِهِمْ وَتَثْبِيطِهِمْ عَنْكُمْ، حَتَّى ضَعُفَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الدَّفْعِ لَكُمْ، وَعَجَزُوا عَن

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (141)، للإِمَامْ (الطبري).

الاتِّصَافِ مِنْكُمْ وَالْمُرَادُ: أَنَّهُمْ يَمِيلُونَ مَعَ مَنْ لَهُ الْغَلَبُ وَالظَّفَرُ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ، وَيُظْهِرُونَ لَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَهُمْ عَلَى الطَّائِفَةِ الْمَغْلُوبَةِ، وَهَذَا شَأْنُ الْمُنَافِقِينَ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ، وَشَأْنُ مَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنَ التَّظَهُّرِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ بِأَنَّهُ مَعَهَا عَلَى الْأُخْرَى، وَالْمَيْلِ إِلَى مَنْ معه الحظ في الدُّنْيَا فِي مَالٍ أَوْ جَاهٍ، فَيَلْقَاهُ بِالتَّمَلُّقِ وَالتَّوَدُّدِ وَالْخُضُوعِ وَالذِّلَّةِ، وَيَلْقَى مَنْ لَا حَظَّ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِالشِّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ وَسُوءِ الْخُلُقِ، وَيَزْدَرِي بِهِ وَيُكَافِحُهُ بِكُلِّ مَكْرُوهٍ، فَقَبَّحَ اللَّهُ أَخْلَاقَ أَهْلِ النِّفَاقِ وَأَبْعَدَهَا.

قَوْلُهُ: {فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}... بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُهُمْ مِنَ النِّفَاقِ وَالْبُغْضِ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، فَفِي هَذَا الْيَوْمِ تَنْكَشِفُ الْحَقَائِقُ، وَتَظْهَرُ الضَّمَائِرُ، وَإِنْ حَقَنُوا فِي الدُّنْيَا دِمَاءَهُمْ، وَحَفِظُوا أَمْوَالَهُمْ بِالتَّكَلُّمِ بِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ نِفَاقًا.

{وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا}، هَذَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالسَّبِيلِ النَّصْرَ وَالْغَلَبَ، أَوْ فِي الدُّنْيَا إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ الْحُجَّةَ. (1)

* * *

[١٤٢] ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن المنافقين يخادعون الله بإظهار الإسلام وإضمار الكفر، وهو خادعهم" لأنه عصم دماءهم مع علمه بكفرهم، وأعد لهم أشد العقوبة في الآخرة، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى كارهين لها، ولا يذكرون الله إلا قليلًا إذا رأوا المؤمنين. (2)

* * *

يَعْنِي:- إنَّ طريقة هؤلاء المنافقين مخادعة الله تعالى، بما يظهرونه من الإيمان وما يبطنونه من الكفر، ظنًّا أنه يخفى على الله، والحال أن الله خادعهم ومجازيهم بمثل عملهم، وإذا قام هؤلاء المنافقون لأداء الصلاة، قاموا إليها في فتور، يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة، ولا يذكرون الله تعالى إلا ذكرًا قليلا. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن المنافقين بنفاقهم يحسبون أنهم يخادعون الله - تعالى - ويُخْفُون عنه حقيقة أنفسهم، والله سبحانه - خادعهم، فيمهلهم ويتركهم يرتعون فى شرهم، ثم يحاسبهم على ما يفعلون، وإن لهؤلاء المنافقين مظهراً حسًّا، ومظهراً نفسياً، فالحسى أنهم يقومون إلى الصلاة كسالى متباطئين، وصلاتهم رياء لا حقيقة. والمظهر النفسى أنهم لا يذكرون الله إلا أحياناً نادرة، ولو ذكروه لتركوا النفاق. (4)

---

(1) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (141). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (101/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (136/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ} ... بِإِظْهَارِ خِلَافَ مَا أَبْطَنُوهُ مِنْ الْكُفْر لِيَدْفَعُوا عَنْهُمْ أَحْكَامه الدُّنْيَوِيَّة.

{يُخَادِعُونَ اللهَ} ... بإظهارهم ما يحب وهو الإيمان والطاعات، وإخفائهم الكفر والمعاصي.

{يُخَادِعُونَ اللَّهَ} ... يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر.

{وَهُوَ خَادِعُهُمْ} ... وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والأموال فى الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار فى الآخرة.

{وَهُوَ خَادِعُهُمْ} ... بالستر عليهم وعدم فضيحتهم، وبعدم إنزال العقوبة بهم.

{وَهُوَ خَادِعهم} ... مُجَازِيهمْ عَلَى خِدَاعهمْ فَيُفْتَضَحُونَ فِي الدُّنْيَا بِإِطْلَاعِ اللَّه نَبِيّه عَلَى مَا أَبْطَنُوهُ وَيُعَاقَبُونَ فِي الْآخِرَة.

{وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ} ... مَعَ الْمُؤْمِنِينَ .

{قَامُوا كُسَالَى} ... مُتَثَاقِلِينَ.

{كُسَالَى}...قرىء بضم أوله وفتحه، جمع كسلان، أي يقومون متقاعسين، كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة ورغبة.

{يُرَاؤُونَ} ... أي: يظهرون الطاعات للمؤمنين كأنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين.

{يُرَاؤُنَ النَّاسَ} ... يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة.

{يُرَاءُونَ النَّاسَ} .... بِصَلَاتِهِمْ.

{وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ } ... يُصَلُّونَ.

{إِلَّا قَلِيلًا} ... رياء.

{وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَ قَلِيلًا}...ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به، وما يجاهرون به قليل أيضا لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس فى قلوبهم لم يتكلفوه.

أولا يذكرون الله بالتسبيح، والتهليل إلا ذكرا قليلا فى الندرة.

* * *

الدليل و البرهان والحجّة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم)

قَال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره) – (بسنده):- (بسنده الحسن) – عن (السدي): قوله: (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) قال: يعطيهم يوم القيامة نورا يمشون به مع المسلمين كما كانوا معهم في الدنيا، ثم يسلبهم ذلك النور فيطفيه، فيقومون في ظلمتهم ويضرب بينهم بالسور. (1)

وأخرجه (بسند صحيح) عن (الحسن البصري) بنحوه وأطول.

* * *

انظر: تفسير سورة - (البقرة) - آية (9). - كما قال تعالى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9)}.

* * *

قوله تعالى: (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (142).

قال: الإمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- بين في هذه الآية الكريمة صفة صلاة المنافقين بأنهم يقومون إليها في كسل ورياء، ولا يذكرون الله فيها إلا قليلا، ونظيرها في ذمهم على التهاون بالصلاة قوله تعالى: (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) الآية.

وقوله: (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) الآية. ويفهم من مفهوم مخالفة هذه الآيات أن صلاة المؤمنين المخلصين ليست كذلك، وهذا المفهوم صرح به تعالى في آيات كثيرة كقوله: (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون)

وقوله: (والذين هم على صلاتهم يحافظون) (1)
.

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره) – (بسنده):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): في قوله: (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس) قال: هم المنافقون، لولا الرياء ما صلوا. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره – (بسنده):- حدثنا أحمد بن سنان، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن أبي الأشهب عن (الحسن): (لا يذكرون الله إلا قليلا) (3) قال: إنما قل لأنه كان لغير الله.

ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإمَامُ (النسائي) – في (السُننِ الصغرى) – والإمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) – في (مُسنده) – والإمام (الدارمي) في (السنن) – (رحمهم الله) – (بسندهم):-، عَنْ (أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: (" صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَوْمًا صَلَاةَ الصُّبْحِ) (4) (فَرَأَى مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ قِلَّةً، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ) (5) (أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ) (6) (فَقَالَ: أَشَهِدَ فُلَانٌ الصَّلَاةَ؟ " ، قَالُوا: لَا ، قَالَ: "فَفُلَانٌ؟ " ، قَالُوا: لَا، قَالَ: " إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ مِنْ أَثْقَلِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ , وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا) (7) (مِنَ الْفَضْلِ فِي جَمَاعَةٍ) (8) (لَاتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا ") (9)

* * *

وقال: الإمَامُ (إبن حبان) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):-، وَعَنْ (أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم -: ((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ , فَهُوَ مُنَافِقٌ)). (10)

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (142).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (142). المحقق: الشيخ (أحمد شاكر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (142).

(4) أخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (843).

(5) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21310).
وقال: (الشيخ شعيب الأرناءوط) : (حسن).

(6) أخرجه الإمَامُ (الدارمي) في (السنن) برقم (1269), و(إسناده صحيح).

(7) أخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (843).

(8) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21309).
وقال: (الشيخ شعيب الأرناءوط): (حسن).

(9) أخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (843),
وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (554).

(10) أخرجه الإمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (258).

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبي قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثني (أبو صالح) عن (أبي هريرة) قال: قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء. ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا. لقد هممتُ أن آمر المؤذن فيُقيم، ثم آمر رجلا يؤمّ الناس، ثم آخذ شعلا من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد)).(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن ماجة) – (رحمه الله) – في (سُننه) – (بسنده):- , وَعَنْ (عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: ((مَنْ أَدْرَكَهُ الْأَذَانُ فِي الْمَسْجِدِ , ثُمَّ خَرَجَ لَمْ يَخْرُجْ لِحَاجَةٍ , وَهُوَ لَا يُرِيدُ الرَّجْعَةَ , فَهُوَ مُنَافِقٌ)).(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- وحدثنا يحيى بن أيوب ومحمد بن الصباح وقتيبة وابن حُجر. قالوا: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن" أنه دخل على (أنس بن مالك) في داره بالبصرة. حين انصرف من الظهر. وداره بجنب المسجد. فلما دخلنا عليه قال: أصليتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر. قال: فصلّوا العصر فقمنا فصلينا. فلما انصرفنا قال: سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول قال: ((تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرها أربعاً. لا يذكر الله فيها إلا قليلا)).(3)

* * *

وقال: الإِمَامُ (الحاكم) – (رحمه الله) – في (المستدرك) – (بسنده):- , وَعَنْ (رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِصَلَاةِ الْمُنَافِقِ؟، أَنْ يُؤَخِّرَ الْعَصْرَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ الشَّمْسُ كَثَرْبِ الْبَقَرَةِ(4) صَلَّاهَا))(5)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ} عبد الله بن أبي وَأَصْحَابه {يُخَادِعُونَ اللَّهَ} يكذبُون الله فِي السِّر ويخالفونه يظنون أنهم يخادعون الله {وَهُوَ خَادِعُهُمْ} يَوْمَ الْقِيَامَةِ على الصِّرَاط حِين

وصححه الإمام (الألباني) في (صحيح موارد الظمآن): (54)، و(صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ): (727).

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (165/2)، (ح 657)-(كتاب: الأذان)، / باب: فضل العشاء في جماعه.

(2) أخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (734).

انظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (5891/ 1)، و(صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ): (263). للإمام (الألباني).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (434/1)، (ح 622) – (كتاب: المساجد ومواضع الصلاة)، / باب: (استحباب التكبير بالعصر).

(4) أيْ: إذا تفرقت الشمس , وخصت موضعا دون موضع عند المغيب , شبهها بالثَّرْب وهو الشَّحم الرقيق الذي يغشى الكرش والأمعاء. كذا في النهاية.

(5) أخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (702).

وأخرجه الإِمَامُ (الدار قطني) في (السنن) برقم (ج1/ص252 ح7).

انظر: (صَحِيح الْجَامِع): (2606)، (سلسلة الصحيحة) برقم (1745). (للإمام (الألباني).

يقول المؤمنون في السير ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقد علموا أنهم لا يرجعون {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ} أتوا إلى الصلاة {قَامُواْ كُسَالَى} أتوا متثاقلين {يُرَاؤُونَ النَّاسَ} إذا رأوا الناس أتوا وصلوا وإذا لم يروا لم يأتوا ولم يصلوا {وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ} لا يصلون لله {إِلاَّ قَلِيلاً} رياء وسمعة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {142} {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} أَيْ يُعَامِلُونَهُ مُعَامَلَةَ الْمُخَادِعِينَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، أَيْ: مُجَازِيهِمْ عَلَى خِدَاعِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُعْطَوْنَ نُورًا يَوْمَ القيامة كما للمؤمنين فيمضي المؤمنين بِنُورِهِمْ عَلَى الصِّرَاطِ، وَيُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ،

{وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ} يعني: المنافقين.

{قَامُوا كُسَالَى} أَيْ: مُتَثَاقِلِينَ لَا يُرِيدُونَ بِهَا اللَّهَ فَإِنْ رَآهُمْ أَحَدٌ صَلَّوْا وَإِلَّا انْصَرَفُوا فَلَا يُصَلُّونَ،

{يُرَاءُونَ النَّاسَ} أَيْ: يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مُرَاءَاةً لِلنَّاسِ لَا اتِّبَاعًا لِأَمْرِ اللَّهِ،

{وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 142] قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالْحَسَنُ: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَفْعَلُونَهَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، وَلَوْ أَرَادُوا بِذَلِكَ الْقَلِيلِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لَكَانَ كَثِيرًا،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): إِنَّمَا قَلَّ ذِكْرُ الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقْبَلْهُ وَكُلُّ مَا قَبِلَ اللَّهُ فَهُوَ كَثِيرٌ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {142، 143} {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا} يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه، من قبيح الصفات وشنائع السمات، وأن طريقتهم مخادعة الله تعالى، أي: بما أظهروه من الإيمان وأبطنوه من الكفران، ظنوا أنه يروج على الله ولا يعلمه ولا يبديه لعباده، والحال أن الله خادعهم، فمجرد وجود هذه الحال منهم ومشيهم عليها، خداع لأنفسهم. وأي خداع أعظم ممن يسعى سعيًا يعود عليه بالهوان والذل والحرمان؟ " ويدل بمجرده على نقص عقل صاحبه، حيث جمع بين المعصية، ورآها حسنة، وظنها من العقل والمكر، فلله ما يصنع الجهل والخذلان بصاحبه.

ومن خداعه لهم يوم القيامة ما ذكره الله في قوله: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (142). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (142).

قَبْلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ......} إلى آخر الآيات.

{وَ} من صفاتهم أنهم {إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ} -إن قاموا- التي هي أكبر الطاعات العملية.

{قَامُوا كُسَالَى} متثاقلين لها متبرمين من فعلها، والكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله وإلى ما عنده، عادمة للإيمان، لم يصدر منهم الكسل،

{يُرَاءُونَ النَّاسَ} أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم وهذا مصدر أعمالهم، مراءاة الناس، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم واحترامهم ولا يخلصون لله،

فلهذا {لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا} لامتلاء قلوبهم من الرياء، فإن ذكر الله تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته.

{مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ} أي: مترددين بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين. فلا من المؤمنين ظاهرا وباطنا، ولا من الكافرين ظاهرا وباطنا. أعطوا باطنهم للكافرين وظاهرهم للمؤمنين، وهذا أعظم ضلال يقدر.

ولهذا قال: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا} أي: لن تجد طريقا لهدايته ولا وسيلة لترك غوايته، لأنه انغلق عنه باب الرحمة، وصار بدله كل نقمة.

فهذه الأوصاف المذمومة تدل بتنبيهها على أن المؤمنين متصفون بضدها، من الصدق ظاهرا وباطنا، والإخلاص، وأنهم لا يجهل ما عندهم، ونشاطهم في صلاتهم وعباداتهم، وكثرة ذكرهم لله تعالى. وأنهم قد هداهم الله ووفقهم للصراط المستقيم. فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين وليختر أهما أولى به، وبالله المستعان.(1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ : {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} " أي يُخَادِعُونَ أولياءَ الله بإظهارهم الإيْمان وإبطانهم الكفرَ " ليحقنُوا بذلك دماءَهم ويشاركُوا المسلمين في غنائمهم ، وجعلَ اللهُ مُخَادعةَ أوليائه مخادعةً لَهُ كما قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} {الفتح : 10}.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَهُوَ خَادِعُهُمْ} أي: مُجَازِيْهِمْ جزاءَ أعمالهم " وذلك أنَّهم على الصِّراط يُعْطَوْنَ نُوراً كما يعطَى المؤمنونَ " فإذا مَضَوا به على الصِّراط طُفِئَ نورُهم ، ويبقى المؤمنون ينظرُون بنورهم ، فينادُون المؤمنينَ : أنْظِرُونَا نَقْتَبِسْ من نوركم ، فيناديهم الملائكة على الصِّراط : ارجعوا وراءَكم فالتمسُوا نوراً، وقد علمُوا أنَّهم لا يستطيعون الرجوعَ ،

قال : فيخافُ المؤمنونَ حينئذ أن يُطْفَأَ نورُهم فيقولون : ربَّنَا أتْمِمْ لنا نورَنَا ، واغفِرْ لنا إنَّكَ على كُل شيءِ قديرٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ} " يعني المنافقينَ "

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (142)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{قَامُواْ كُسَالَى} " أي مُتَثَاقِلِيْنَ لا يريدون بها وجْهَ اللهِ تعالى ،

{يُرَآءُونَ النَّاسَ} " ولا يريدُون الصلاةَ إلاّ مُراءَةً للناسِ خَوْفاً منهم ،

{وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً} " أي لا يُصَلُّونَ لله إلاّ قليلاً رِيَاءً وسُمْعَةً ، ولو كانوا يريدون بذلك القليلِ وجهَ الله لكانَ كثيراً.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يخادعون الله} بقَوْلهم: {إذا لقوا الَّذين ءامنوا قَالُوا ءامنا وَإِذا خَلَوْا إِلَى شياطينهم قَالُوا إِنَّا معكم} وَهُوَ خداعهم.

قَالَ: (مُحَمَّد): يجازيهم جَزَاء الخداع.

{وَإِذا قَامُوا إِلَى الصَّلَاة قَامُوا كسَالَى} عَنْهَا {يراءون النَّاس} يظهرون مَا لَيْسَ فِي قُلُوبهم.

{ولا يَذْكُرُونَ الله إلاَ قَلِيلا} . قَالَ (الْحَسَن): إِنَّمَا قل" لأنَّه كَانَ لغير الله.(2)

* * *

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا (142)}

قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (الْبَقَرَةِ: 9} ، وقَالَ هَاهُنَا: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} وَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُخَادَعُ، فَإِنَّهُ الْعَالِمُ بِالسَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لِجَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَعَقْلِهِمْ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَمْرَهُمْ كَمَا رَاجَ عِنْدَ النَّاسِ وجَرَتْ عَلَيْهِمْ أحكامُ الشَّرِيعَةِ ظَاهِرًا، فَكَذَلِكَ يَكُونُ حُكْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّ أَمْرَهُمْ يَرُوجُ عِنْدَهُ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ تَعَالَى أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْلِفُونَ لَهُ: أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الِاسْتِقَامَةِ وَالسَّدَادِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعٌ لَهُمْ عِنْدَهُ،

فَقَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} (الْمُجَادَلَةِ: 18}.

وَقَوْلُهُ: {وَهُوَ خَادِعُهُمْ} أَيْ: هُوَ الَّذِي يَسْتَدْرِجُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَيَخْذُلُهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (142).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (142) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15)} {الْحَدِيد: 13-15}.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيث: ((مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ))،(1)

وَفِي حَدِيث آخَرَ: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَبْدِ إِلَى الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاس، وَيَعْدِلُ بِهِ إِلَى النَّار))،(2) عِيَاذًا بِاللَّه مِنْ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاة قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} هَذِهِ صِفَةُ الْمُنَافِقِينَ فِي أَشْرَفِ الْأَعْمَالِ وَأَفْضَلِهَا وَخَيْرِهَا، وَهِيَ الصَّلَاةُ. إِذَا قَامُوا إِلَيْهَا قَامُوا وَهُمْ كُسَالَى عَنْهَا" لِأَنَّهُمْ لَا نِيَّةَ لَهُمْ فِيهَا، وَلَا إِيمَانَ لَهُمْ بِهَا وَلَا خَشْيَةَ، وَلَا يَعْقِلُونَ مَعْنَاهَا،

كَمَا رَوَى (ابْنُ مَرْدَوَيْهِ)، - مِنْ طَرِيق- عُبَيْد اللَّه بْن زَحْر، عَنْ خَالِد بْن أَبِي عِمْرَان، عَنْ عَطَاء بْن أَبِي رَبَاح، عَنْ (ابْن عَبَّاس) قَالَ: يكره أَنْ يَقُومَ الرجلُ إِلَى الصَّلَاة وَهُوَ كَسْلَانُ، وَلَكِنْ يَقُومُ إِلَيْهَا طَلْقَ الْوَجْه، عَظِيمَ الرَّغْبَة، شَدِيدَ الْفَرَح، فَإِنَّهُ يُنَاجِي اللَّهَ تَعَالَى وَإِنَّ اللَّهَ أَمَامَهُ يَغْفِرُ لَهُ وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، ثُمَّ يَتْلُو (ابْنُ عَبَّاس) هَذِهِ الْآيَةَ: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاة قَامُوا كُسَالَى}

وَرُوِيَ مِنْ غَيْر هَذَا الْوَجْه، عَنْ (ابْن عَبَّاس)، نَحْوُهُ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاة قَامُوا كُسَالَى} هَذه صفةُ ظَوَاهِرِهِمْ.

كَمَا قَالَ: {وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى} {التَّوْبَة: 54} ثُمَّ ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة، فقال: {يُرَاءُونَ النَّاسَ} أَيْ: لَا إِخْلَاصَ لَهُمْ وَلَا مُعَامَلَةَ مع الله بل إنما يشهدون الناس تَقِيَّةً مِنَ النَّاس وَمُصَانَعَةً لَهُمْ " وَلِهَذَا يَتَخَلَّفُونَ كَثِيرًا عَن الصَّلَاة الَّتِي لَا يُرَوْنَ غَالِبًا فِيهَا كَصَلَاة الْعِشَاء وَقْتَ الْعَتَمَة، وَصَلَاة الصُّبْح فِي وَقْت الْغَلَس،

كَمَا ثَبَتَ فِي (الصَّحِيحَيْن): أَنَّ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وسلم- قَالَ: ((أَثْقَلُ الصَّلَاة عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاء وَصَلَاةُ الْفَجْر، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فيهما لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاة فَتُقَام، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاس، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَال، مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَب إِلَى قَوْم لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّار((3).

وَفِي رِوَايَةٍ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَده، لَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْن، لَشَهِدَ الصَّلَاةَ، وَلَوْلَا مَا فِي الْبُيُوت مِنَ النِّسَاء وَالذُّرِّيَّة لَحَرَّقْتُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّار))(4).

وَقَوْلُهُ: {وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} أَيْ: فِي صَلَاتِهِمْ لَا يَخْشَعُونَ فِيهَا وَلَا يَدْرُونَ مَا

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6499)، - ((كتاب: الرقاق)).

وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2787)، - ((كتاب: الوهد والرقائق)).

(2) وقال: الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) برقم (532/2)،: الظاهر أنه رواه بالمعنى وأراد حديث (سهيل بن سعد) الذي رواه الإمام البخاري) برقم (90/7): ((إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبد للناس وهو من أهل النار، و إن الرجل ليعمل عمل أهل االنار فيما يبد للناس وهو من أهل الجنة)).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (657)،- وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (651).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (644)

يَقُولُونَ، بَلْ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ لَاهُونَ، وعمَّا يُرادُ بهِمْ مِنَ الْخَيْرِ مُعْرِضُونَ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ (مَالِكٌ)، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ: يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا)).(1)

وَكَذَا رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ)، وَ(التِّرْمِذِيُّ)، وَ(النَّسَائِيُّ)، - مِنْ حَدِيثِ - (إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ الْمَدَنِيِّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، بِهِ.

وَقَالَ:الإمام (التِّرْمِذِيُّ): (حَسَنٌ صَحِيحٌ) (2)(3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142)}

قال: (أبو جعفر): قد دللنا فيما مضى قبل على معنى "خداع المنافق ربه"، ووجه "خداع الله إياهم"، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، مع اختلاف المختلفين في ذلك.

* * *

فتأويل ذلك: إنّ المنافقين يخادعون الله، بإحرازهم بنفاقهم دماءهم وأموالهم، والله خادعهم بما حكَم فيهم من منع دمائهم بما أظهروا بألسنتهم من الإيمان، مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفرَ، استدراجًا منه لهم في الدنيا، حتى يلقوه في الآخرة، فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نارَ جهنم، كما:-

10721- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي): {إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم}، قال: يعطيهم يوم القيامة نورًا يمشون به مع المسلمين كما كانوا معهم في الدنيا، ثم يسلبهم ذلك النور فيطفئه، فيقومون في ظلمتهم، ويُضرب بينهم بالسُّور.

وأما قوله: {وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس}، فإنه يعني: أن المنافقين لا يعملون شيئًا من الأعمال التي فرضها الله على المؤمنين على وجه التقرُّب بها إلى الله، لأنهم غير موقنين بمعادٍ ولا ثواب ولا عقاب، وإنما يعملون ما عملوا من الأعمال الظاهرة إبقاءً على أنفسهم، وحذارًا من المؤمنين عليها أن يُقتلوا أو يُسلبوا أموالهم. فهم إذا قاموا إلى الصلاة التي هي من الفرائض الظاهرة، قاموا كسالى إليها، رياءً للمؤمنين ليحسبوهم منهم وليسوا منهم، لأنهم غير معتقدي فرضها ووجوبها عليهم، فهم في قيامهم إليها كسالى،

---

(1) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامْ (مالك) في (الموطأ) برقم (220/1)

(2) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (622)..،- ((كتاب: المساجد مواضع الصلاة).

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (412).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (160).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (254/1).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (142)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

10724- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة) قوله: {وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى}، قال: والله لولا الناسُ ما صَلَّى المنافق، ولا يصلِّي إلا رياء وسُمْعة.

10725- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال (ابن زيد) في قوله: {وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس}، قال: هم المنافقون، لولا الرياء ما صلُّوا.

* * *

وأما قوله: "ولا يذكرون الله إلا قليلا"، فلعل قائلا أن يقول: وهل من ذكر الله شيء قليل؟.

قيل له: إن معنى ذلك= بخلاف ما ذهبت=: ولا يذكرون الله إلا ذكر رياء، ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسباء وسلبَ الأموال، لا ذكر موقن مصدّق بتوحيد الله، مخلص له الربوبية. فلذلك سماه الله {قليلا}، لأنه غير مقصود به الله، ولا مبتغًى به التقرّب إلى الله، ولا مرادٌ به ثواب الله وما عنده. فهو، وإن كثر، من وجه نَصَب عامله وذاكره، في معنى السراب الذي له ظاهرٌ بغير حقيقة ماء.(1)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}.

قَدْ مَضَى فِي (الْبَقَرَةِ) مَعْنَى الْخَدْعِ. وَالْخِدَاعُ مِنَ اللَّهِ مُجَازَاتُهُمْ عَلَى خِدَاعِهِمْ أَوْلِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ.

قَالَ: (الْحَسَنُ): يُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ مُؤْمِنٍ ومنافق نور يوم القيامة فيفرح الْمُنَافِقُونَ وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فَإِذَا جَاءُوا إِلَى الصِّرَاطِ طُفِئَ نُورُ كُلِّ مُنَافِقٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: (انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ).

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى). أَيْ: يُصَلُّونَ مُرَاءَاةً وَهُمْ مُتَكَاسِلُونَ مُتَثَاقِلُونَ، لَا يَرْجُونَ ثوابا ولا يعتقدون على تَرْكِهَا عقابًا.

وَفِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ: (إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ الْعَتَمَةُ وَالصُّبْحُ). فَإِنَّ الْعَتَمَةَ تَأْتِي وَقَدْ أَتْعَبَهُمْ عَمَلُ النَّهَارِ فَيَثْقُلُ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ إِلَيْهَا، وَصَلَاةُ الصُّبْحِ تَأْتِي وَالنَّوْمُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ، وَلَوْلَا السَّيْفُ مَا قَامُوا. وَالرِّيَاءُ: إِظْهَارُ الْجَمِيلِ لِيَرَاهُ النَّاسُ، لَا لِاتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ،

وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ. ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِقِلَّةِ الذِّكْرِ عِنْدَ الْمُرَاءَاةِ وَعِنْدَ الْخَوْفِ.

وَقَالَ: - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَامًّا لِمَنْ أَخَّرَ الصَّلَاةَ: (تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ- ثَلَاثًا- يَجْلِسُ أَحَدُهُمْ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشيطان- أوعلى قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) رَوَاهُ (مَالِكٌ) وَغَيْرُهُ.

فَقِيلَ: وَصَفَهُمْ بِقِلَّةِ الذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِقِرَاءَةٍ وَلَا تَسْبِيحٍ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَذْكُرُونَهُ بِالتَّكْبِيرِ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (142)، للإِمَامْ (الطبري)،

يَعْنِي :- وَصَفَهُ بِالْقِلَّةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُهُ.

يَعْنِي :- لِعَدَمِ الْإِخْلَاصِ فيه. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ : {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ} ... هَذَا كَلَامٌ مُبْتَدَأٌ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ بَعْضِ قَبَائِحِ الْمُنَافِقِينَ وَفَضَائِحِهِمْ،

وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الْخَدْعِ فِي الْبَقَرَةِ، وَمُخَادَعَتُهُمْ لِلَّهِ هِيَ: أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ فعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطال الْكُفْرِ، وَمَعْنَى كَوْنِ اللَّهِ خَادِعَهُمْ: أَنَّهُ صَنَعَ بِهِمْ صُنْعَ مَنْ يُخَادِعُ مَنْ خَادَعَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَرَكَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّظَهُّرِ بِالْإِسْلَامِ فِي الدُّنْيَا، فَعَصَمَ بِهِ أَمْوَالَهُمْ ودماءهم، وأخر عقوبتهم إلى الدار الآخرة، فجازاهم عَلَى خِدَاعِهِمْ بِالدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

قَوْلُهُ: {وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلًا}... مَعْطُوفٌ عَلَى يُرَاءُونَ، أَيْ: لَا يَذْكُرُونَهُ سُبْحَانَهُ إِلَّا ذِكْرًا قَلِيلًا، أَوْ لَا يُصَلُّونَ إِلَّا صَلَاةً قَلِيلَةً، وَوَصَفُ الذِّكْرِ بِالْقِلَّةِ لِعَدَمِ الْإِخْلَاصِ، أَوْ لِكَوْنِهِ غَيْرُ مَقْبُولٍ، أَوْ لِكَوْنِهِ قَلِيلًا فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ الطَّاعَةَ لِقَصْدِ الرِّيَاءِ، إِنَّمَا يَفْعَلُهَا فِي الْمَجَامِعِ وَلَا يَفْعَلُهَا خَالِيًا كَالْمُخْلِصِ. (2)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ : {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} " أي يُخَادعُونَ أولياءَ الله بإظهارهم الإيْمان وإبطانهم الكفرَ " ليحقِنُوا بذلك دماءَهم ويشاركُوا المسلمين في غنائمهم ، وجعلَ اللهُ مُخَادعةَ أوليائه مخادعةً لهُ، كما قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ} {الفتح : 10}.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَهُوَ خَادِعُهُمْ} أي: مُجَازِيْهِمْ جزاءَ أعمالهم " وذلك أنَّهم على الصِّراط يُعطَوْنَ نُوراً كما يعطَى المؤمنونَ " فإذا مَضَوا به على الصِّراط طُفِئَ نورُهم ، ويبقى المؤمنون ينظرُون بنورهم ، فينادُون المؤمنينَ : أنْظرُونَا نَقْتَبسْ من نوركم ، فيناديهم الملائكة على الصِّراط : ارجعوا وراءَكم فالتمسُوا نوراً، وقد علمُوا أنَّهم لا يستطيعون الرجوعَ ، قال : فيخافُ المؤمنونَ حينئذٍ أن يُطفَأَ نورُهم فيقولون : ربَّنَا أتْمِمْ لنا نورَنا ، واغْفِرْ لنا إنَّكَ على كُلِ شيءٍ قديرٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ} " يعني المنافقينَ "

{قَامُواْ كُسَالَى} " أي مُتَثَاقِلِيْنَ لا يريدون بها وَجْهَ اللهِ تعالى ،

{يُرَآءُونَ النَّاسَ} " ولا يريدُون الصلاةَ إلاّ مُرَاءَاةً للناس خَوْفاً منهم ،

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (142)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (142). للإمام : (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

{وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً} " أي لا يُصَلُّون لله إلاّ قليلاً رِيَاءً وسُمْعَةً ، ولو كانوا يريدون بذلك القليلِ وجهَ الله لكانَ كثيراً. (1)

* * *

[١٤٣] ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هؤلاء المنافقون مترددون في حَيرة، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطنًا ولا مع الكافرين، بل ظاهرهم مع المؤمنين وباطنهم مع الكافرين، ومن يضلل الله فلن تجد له أيها الرسول - ﷺ - طريقًا لهدايته من الضلال. (2)

* * *

يَعْنِي:- إنَّ من شأن هؤلاء المنافقين التردد والحَيْرة والاضطراب، لا يستقرون على حال، فلا هم مع المؤمنين ولا هم مع الكافرين. ومن يصرف الله قلبه عن الإيمان به والاستمساك بهديه، فلن تجد له طريقًا إلى الهداية واليقين. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإن المنافقين مترددون مضطربون، لا هم منكم ولا هم فى كل أحوالهم منهم، وذلك من ضعف الإيمان وضعف النفس، ومن الضلال عن الحق، ومن يكتب الله عليه فى علمه الأزلى الضلال، فلن تجد سبيلاً لهدايته. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مُذَبْذَبِينَ} ... مُتَرَدِّدِينَ.....(أي: يترددون بين المؤمنين والكافرين فأي جانب عز كانوا معه).

{مُذَبْذَبِينَ} ... ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر، فهم يترددون بينهما متحيرون.

{بَيْنَ ذلِكَ} ... الْكُفْرِ وَالْإِيمَان .

{ذَلِكَ} ... إشارة إلى الكفر والإيمان.

{لا إِلَى هَؤُلاءِ} ...لا منسوبين إلى هؤلاء، فيكونوا مؤمنين.

{لا} ... مَنْسُوبِينَ . {إِلَى هَؤُلاءِ} ... أَيْ: الْكُفَّار

{وَلا إِلَى هَؤُلاءِ} ... ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسمون مشركين.

{وَلاَ إِلَى هؤلاء} ... أي: المؤمنين.

{ومن يضلل} هـ {اللَّه فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} ... طَرِيقًا إِلَى الهدى.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)

قال: الإِمَامُ (النسائي) - في (السُنَنِ الصغرى) - و الإِمَامُ (مسلم) - في (صحيحه) - (رحمهما الله) - (بسندهم):-, عَنْ (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: (" مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاة

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (142).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (101/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (136/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الْعَائِرَةِ [1] بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ [2] إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً) [3] (لاَ تَدْرِي أَيَّهُمَا تَتْبَعُ [4]") [5]

* * *

و قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني محمد بن عبد الله بن نمير. حدثنا أبي. ح وحدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة. حدثنا أبو أسامة. قالا: حدثنا عبيد الله. ح وحدثنا محمد بن المثنى (واللفظ له) أخبرنا عبد الوهاب (يعني الثقفي). حدثنا عُبيد الله عن نافع، عن (ابن عمر)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين. تعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة)). [6]

* * *

قال: الإِمَامُ (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): (مذبذبين) قال: المنافقون لا مع المؤمنين ولا مع اليهود. [7]

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) يقول: ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا مشركين مصرحين بالشرك. [8]

* * *

انظر: تفسير سورة - (البقرة) - آية (8). - كما قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ} مترددين بَين الْكفْر وَالْإِيمَان كفر السِّرّ وإيمان الْعَلَانِيَة {لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ} لَيْسُوا مَعَ الْمُؤمنِينَ فِي السِّرّ فَيجب لَهُم مَا يجب للْمُؤْمِنين {وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ} وَلَيْسوا مَعَ الْيَهُود فِي الْعَلَانِيَة فَيجب عَلَيْهِم مَا يجب على الْيَهُود {وَمَن يُضْلِلِ الله} عَن دينه وحجته فِي السِّرّ {فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} دينا وَلاَ حجَّة فِي السِّرّ. [9]

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {143} {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ} أَيْ: مُتَرَدِّدِينَ مُتَحَيِّرِينَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، {لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ} أَيْ: لَيْسُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَجِبُ لَهُمْ مَا يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِينَ،

---

(1) الْعَائِرَةُ: السَّاقِطَةَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْض، وَلَا يُعْرَف مِنْ صَاحِبهَا، وَمِنْ هَذَا قِيلَ: قَدْ عَارَ الْفَرَس، إِذَا انْفَلَتَ عَنْ صَاحِبِهِ وَذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ. عون (ج 4 / ص 63).

(2) أَيْ: تذهب.

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2784)، وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (5790).

(4) ولذلك وُصِفُوا في التنزيل: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا، مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) {النساء142 - 143}.

(5) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (5037)، وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (5079).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (4/2146)، (ح 2784) - (كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم).

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (143).

(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (143).

(9) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (143). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

وَلَيْسُوا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُؤْخَذُ مِنْهُمْ مَا يُؤْخَذُ مِنَ الْكُفَّارِ،

{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} {النساء: 143} أي: طريقا إلى الهدى.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ} أي: مترددين بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين. فلا من المؤمنين ظاهرا وباطنا، ولا من الكافرين ظاهرا وباطنا. أعطوا باطنهم للكافرين وظاهرهم للمؤمنين، وهذا أعظم ضلال يقدر.

ولهذا قال: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} أي: لن تجد طريقا لهدايته ولا وسيلة لترك غوايته، لأنه انغلق عنه باب الرحمة، وصار بدله كل نقمة.

فهذه الأوصاف المذمومة تدل بتنبيهها على أن المؤمنين متصفون بضدها، من الصدق ظاهرا وباطنا، والإخلاص، وأنهم لا يجهل ما عندهم، ونشاطهم في صلاتهم وعباداتهم، وكثرة ذكرهم لله تعالى. وأنهم قد هداهم الله ووفقهم للصراط المستقيم.

فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين وليختر أهما أولى به، وبالله المستعان.(2)

* * *

قَالَ : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ} يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ مُحَيَّرِينَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، فَلَا هُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلَا مَعَ الْكَافِرِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بَلْ ظَوَاهِرُهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَوَاطِنُهُمْ مَعَ الْكَافِرِينَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَرِيهِ الشَّكُّ، فَتَارَةً يَمِيلُ إِلَى هَؤُلَاءِ، وَتَارَةً يَمِيلُ إِلَى أُولَئِكَ {كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} الْآيَةَ {الْبَقَرَةِ: 20}.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ): {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ} يَعْنِي: أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ} يَعْنِي: الْيَهُودَ.

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَلَا تَدْرِي أَيَّتَهُمَا تَتْبَعُ)).

تَفَرَّدَ بِهِ الإمام (مُسْلِمٌ). وَقَدْ رَوَاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى مَرَّةً أُخْرَى، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ، فَوَقَفَ بِهِ عَلَى ابْنِ عُمَرَ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِهِ عَبْدُ الْوَهَّابِ مَرَّتَيْنِ كَذَلِكَ.(3)

قُلْتُ: وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، بِهِ مَرْفُوعًا.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (143).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (143)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (9/333)، - أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم () (2784).

وَكَذَا رَوَاهُ إِ(سْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ وَعَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ (ابْنِ عُمَرَ) مَرْفُوعًا.

وَكَذَا رَوَاهُ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ عَبْدَةَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ)، بِهِ مَرْفُوعًا.

وَرَوَاهُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ -أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ- عَنْ نَافِعٍ، عَنْ (ابْنِ عُمَرَ) مَرْفُوعًا.

وَرَوَاهُ أَيْضًا صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ، عَنْ نَافِعٍ عَنِ (ابْنِ عُمَرَ)، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بِمِثْلِهِ[1].

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا الْهُذَيْلُ بْنُ بِلَالٍ، عَنِ ابْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ بِمَكَّةَ وَ(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ) مَعَهُ، فَقَالَ أَبِي: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ مَثَلَ الْمُنَافِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالشَّاةِ بَيْنَ الرَّبَضَيْنِ مِنَ الْغَنَمِ، إِنْ أَتَتْ هَؤُلَاءِ نَطَحَتْهَا، وَإِنْ أَتَتْ هَؤُلَاءِ نَطَحَتْهَا)) فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: كَذَبْتَ. فَأَثْنَى الْقَوْمُ عَلَى أَبِي خَيْرًا -أَوْ مَعْرُوفًا- فَقَالَ: (ابْنُ عُمَرَ): لَا أَظُنُّ صَاحِبَكُمْ إِلَّا كَمَا تَقُولُونَ، وَلَكِنِّي شَاهِدُ نَبِيِّ اللَّهِ إِذْ قَالَ: كَالشَّاةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ. فَقَالَ: هُوَ سَوَاءٌ. فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتُهُ[2].

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: بَيْنَمَا عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ يَقُصُّ، وَعِنْدَهُ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ)، فَقَالَ: عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مثل المنافق كالشاة بين ربضين، إذا أتت هَؤُلَاءِ نَطَحَتْهَا، وإذا أتت هَؤُلَاءِ نَطَحَتْهَا)). فَقَالَ (ابْنُ عُمَرَ): لَيْسَ كَذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: - قَالَ: فَاحْتَفَظَ الشَّيْخُ وَغَضِبَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ (ابْنُ عُمَرَ) قَالَ: أَمَا إِنِّي لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ لَمْ أَرْدُدْ ذَلِكَ عَلَيْكَ[3].

طَرِيقٌ أُخْرَى-: عَنِ (ابْنِ عُمَرَ)، قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا (عَبْدُ الرَّزَّاقِ)، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ بُودويه، عَنْ يَعْفُرَ بْنِ زُوذِي قَالَ: سَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ وَهُوَ يَقُصُّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الرَّابِضَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ". فَقَالَ: (ابْنُ عُمَرَ): وَيْلَكُمْ. لَا تَكْذِبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. إِنَّمَا قَالَ: -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-"مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ"[4].

وَقَالَ:الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ-قَالَ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ وَالْكَافِرِ مَثَلُ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ انْتَهَوْا إِلَى وَادٍ، فَدَفَعَ أَحَدُهُمْ فَعَبَرَ، ثُمَّ وَقَعَ

---

(1) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (47/2).
(2) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (68/2).
(3) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (32/2).
(4) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (88/2).

الْآخَرُ حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى نِصْفِ الْوَادِي نَادَاهُ الَّذِي عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي: وَيْلَكَ. أَيْنَ تَذْهَبُ؟ إِلَى الْهَلَكَةِ؟ ارْجِعْ عَوْدَكَ عَلَى بَدْئِكَ، وَنَادَاهُ الَّذِي عَبَرَ: هَلُمَّ إِلَى النَّجَاةِ. فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى هَذَا مَرَّةً وَإِلَى هَذَا مَرَّةً، قَالَ: فَجَاءَهُ سَيْلٌ فَأَغْرَقَهُ، فَالَّذِي عَبَرَ الْمُؤْمِنُ، وَالَّذِي غَرِقَ الْمُنَافِقُ:

{مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ} وَالَّذِي مَكَثَ الْكَافِرُ،

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا بِشْرٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ (قَتَادَةَ):

{مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ} يَقُولُ: لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ مُخْلِصِينَ وَلاَ مُشْرِكِينَ مُصَرِّحِينَ بِالشِّرْكِ. قَالَ: وذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَضْرِبُ مَثَلًا لِلْمُؤْمِنِ وَلِلْمُنَافِقِ وَلِلْكَافِرِ، كَمَثَلِ رَهْطٍ ثَلَاثَةٍ دَفَعُوا إِلَى نَهْرٍ، فَوَقَعَ الْمُؤْمِنُ فَقَطَعَ، ثُمَّ وَقَعَ الْمُنَافِقُ حَتَّى إِذَا كَادَ يَصِلُ إِلَى الْمُؤْمِنِ نَادَاهُ الْكَافِرُ: أَنْ هَلُمَّ إِلَيَّ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ. وَنَادَاهُ الْمُؤْمِنُ: أَنْ هَلُمَّ إِلَيَّ، فَإِنِّي عِنْدِي وَعِنْدِي" يُحصي لَهُ مَا عِنْدَهُ. فَمَا زَالَ الْمُنَافِقُ يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا حَتَّى أَتَى أَذًى فَغَرَّقَهُ. وَإِنَّ الْمُنَافِقَ لَمْ يَزَلْ فِي شَكٍّ وَشُبْهَةٍ، حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَهُوَ كَذَلِكَ. قَالَ: وذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كَانَ يَقُولُ: "مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ ثَاغِيَةٍ بَيْنَ غَنَمَيْنِ، رَأَتْ غَنَمًا عَلَى نَشَزٍ فَأَتَتْهَا وَشَامَّتْهَا فَلَمْ تَعْرِفْ، ثُمَّ رَأَتْ غَنَمًا عَلَى نَشَزٍ فَأَتَتْهَا وَشَامَّتْهَا فَلَمْ تَعْرِفْ".

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا} أَيْ: وَمَنْ صَرَفَهُ عَنْ طَرِيقِ الهدى، {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} فَإِنَّهُ: {مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ} وَالْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ أَضَلَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ النَّجَاةِ فَلاَ هَادِيَ لَهُمْ، وَلاَ مُنْقِذَ لَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا (143)}

قَالَ: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: (مذبذبين)، مردّدين.

* * *

وأصل "التذبذب"، التحرك والاضطراب، كما قال النابغة:

ألم تَرَ أنَّ الله أعطاكَ سُورةً ... ترَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

* * *

وإنما عنى الله بذلك: أن المنافقين متحيِّرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارى بين ذلك، فمثلهم المثلُ الذي ضرب لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الذي:-

10728- حدثنا به محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا عبيد الله، عن نافع، عن (ابن عمر)، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: مَثَلُ المنافق كمثل

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (143)، للإِمَامْ (ابن كثير).

الشَّاة العائرة بين الغنمين، تَعِير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أهما تَتْبع!.

10731- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي): {مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء}، يقول: ليسوا بمشركين فيظهروا الشرك، وليسوا بمؤمنين.

10732- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)، يقول: ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا مشركين مصرِّحين بالشرك. قال: وذكر لنا أن نبيّ الله عليه السلام كان يضرب مَثلا للمؤمن والمنافق والكافر، كمثل رَهْط ثلاثة دَفعوا إلى نهر، فوقع المؤمن فقَطع، ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر: أن هلم إليَّ، فإنيّ أخشى عليك! وناداه المؤمن: أن هلم إليّ، فإن عندي وعندي! يحصي له ما عنده. فما زال المنافق يتردَّد بينهما حتى أتى عليه آذيٌّ فغرَّقه. وإن المنافق لم يزل في شك وشبهة، حتى أتى عليه الموت وهو كذلك. قال: وذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم- كان يقول: مثل المنافق كمثل ثاغيَة بين غنمين، رأت غنمًا على نَشَز فأتتها فلم تعرف، ثم رأت غنمًا على نَشَز فأتتها وشامَّتها فلم تعرف.

10733- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد): في قوله: {مذبذبين}، قال: المنافقون.

وأما قوله: {ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا}، فإنه يعني: من يخذُله الله عن طريق الرشاد، وذلك هو الإسلام الذي دعا الله إليه عباده. يقول: من يخذله الله عنه فلم يوفقه له،

{فلن تجد له}، يا محمد، {سبيلا}، يعني: طريقًا يسلُكه إلى الحق غيره. وأيّ سبيل يكون له إلى الحق غير الإسلام؟ وقد أخبر الله جل ثناؤه: أنه من يبتغ غيره دينًا فلن يُقبل منه، ومن أضله الله عنه فقد غَوَى فلا هادي له غيره.(1)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (143)}.

الْمُذَبْذَبُ: الْمُتَرَدِّدُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، وَالذَّبْذَبَةُ الِاضْطِرَابُ. يُقَالُ: ذَبْذَبْتُهُ فَتَذَبْذَبَ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ آخَرُ:

خَيَالٌ لِأُمِّ السَّلْسَبِيلِ وَدُونَهَا ... مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْبَرِيدِ الْمُذَبْذِبِ

كَذَا رُوِيَ بِكَسْرِ الذَّالِ الثَّانِيةِ. قَالَ ابْنُ جِنِّي: أَيِ الْمُهْتَزِّ الْقَلِقِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ وَلَا يَتَمَهَّلُ. فَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (143)، للإمَام (الطبري).

وَالْمُشْرِكِينَ، لاَ مُخْلِصِينَ الْإِيمَانَ وَلاَ مُصَرِّحِينَ بِالْكُفْرِ.

وَفِي صَحِيح الإمام (مُسْلِم) مِنْ حَدِيث: - ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِه مَرَّةً وَإِلَى هَذِه أُخْرَى)،

وَفِي رِوَايَةٍ (تَكِرُّ) بَدَلَ (تَعِيرُ).

وَقَرَأَ (الْجُمْهُورُ): (مُذَبْذَبِينَ) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الذَّالَيْنِ.

وَقَرَأَ (ابْنُ عَبَّاس) بِكَسْرِ الذَّالِ الثَّانِيَة. وَفِي حَرْفِ أُبَيِّ (مُتَذَبْذِبِينَ). وَيَجُوزُ الْإِدْغَامُ عَلَى هَذِه الْقِرَاءَةِ (مُذَّبْذِبِينَ) بِتَشْدِيدِ الذَّالِ الْأُولَى وَكَسْرِ الثَّانِيَةِ. وَعَنِ (الْحَسَنِ) (مَذَبْذَبِينَ) بِفَتْحِ الميم والذالين. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ} " نصبَ على الذمِّ " ومعناهُ: مُتَرَدِّدِيْنَ بين كُفْرِ السِّرِّ وإيْمانِ العلانيةِ، ليسُوا من المؤمنين فيجبُ لَهم ما يجبُ للمسلمين " وليسُوا من الكفَّار فيجبُ عليهم ما يجبُ على الكفَّار.

وَقِيْلَ: معناهُ: مُتَحَيِّرِيْنَ بين الكفرِ والإيْمانِ،

{لاَ إِلَى هَـؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَـؤُلاءِ} " أي: ليسُوا من المؤمنينَ فيجبُ عليهم ما يجبُ عليهم، وليسُوا من الكفَّار فيؤخَذُ منهم ما يؤخذُ من الكفَّارِ " أي: ما هُم بمؤمنين مُخلصين، ولا مشركينَ مصرِّحين بالشِّرك.

وكان - صلى الله عليه وسلم- يَضْرِبُ مَثَلاً لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُنَافِقِيْنَ وَالْكَافِرِيْنَ كَمَثَلِ ثَلاثَةٍ دُفِعُوا إلَى نَهْرٍ " فَقَطَعَهُ الْمُؤْمِنُ " وَوَقَفَ الْكَافِرُ " وَنَزَلَ فِيْهِ الْمُنَافِقُ، حَتَّى إذا تَوَسَّطَهُ عَجَزَ " فَنَادَاهُ الْكَافِرُ: هَلُمَّ إلَيَّ لاَ تَغْرَقْ، وَنَادَاهُ الْمُؤْمِنُ: هَلُمَّ إلَيَّ لِتَتَخَلَّصَ. فَمَا زَالَ الْمُنَافِقُ يَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمَا حَتَّى إذا أتَى عَلَيْهِ مَاءٌ فَغَرَّقَهُ، فَكَانَ الْمُنَافِقُ لَمْ يَزَلْ فِي شَكٍّ حَتَّى يَأْتِيْهِ الْمَوْتُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} " أي من يَخْذُلْهُ اللهُ عن الْهُدَى، فلن تَجِدَ له يا مُحَمَّدُ طريقاً إلى الْهُدَى. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَـؤُلاءِ} قَالَ (قَتَادَة): لَيْسُوا بمؤمنين مُخلصين، وَلاَ بمشركين مصرحين.

{وَمن يضلل الله} عَن الْهدى

{فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا} يَعْنِي: سَبِيل هدى. (3)

* * *

[١٤٤] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (143)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (143).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (143) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تتخذوا الكافرين بالله أصفياء توالونهم من دون المؤمنين، أتريدون بفعلكم هذا أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة دالة على استحقاقكم العقاب؟!.(1)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا توالوا الجاحدين لدين الله، وتتركوا موالاة المؤمنين ومودتهم. أتريدون بمودَّة أعدائكم أن تجعلوا لله تعالى عليكم حجة ظاهرة على عدم صدقكم في إيمانكم؟.(2)

* * *

يَعْنِي:- وإن من أسباب النفاق أن المنافقين جعلوا لأهل غير الإيمان ولاية لهم ونصرة، فتجنبوا هذا - أيها المؤمنون - ولا تتخذوا الكافرين نصراء ذوى ولاية عليكم تخضعون لهم، وإنكم إن فعلتم ذلك كان لله حُجة عليكم بينة، فتدخلون مع المنافقين وتذلون، لأنكم لا تجعلون عزتكم من الله، ومن الحق، ومن العمل الصالح.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ} بِموَالاتهم.

{لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ}.... لا تتشبهوا بالمنافقين فى اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء.

{سُلْطَانًا مُبِينًا}... بُرْهَانًا بَيِّنًا عَلَى نفَاقكُمْ.

{سُلْطَاناً مُبِيناً}... حجة بينة واضحة لتعذيبكم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

وانظر: تفسير سورة -(آل عمران) - آية (28). - كما قال تعالى: {لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28)}.

* * *

قال الإمَام (الطبري) – والإمَام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) –عن (علي بن أبي طلحة) –عن (ابن عباس): قال: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف، ويخالفوهم في الدين، وذلك في قوله: (إلا أن تتقوا منهم تقاة).(4)(5)

* * *

قال الإمَام (ابنُ أبي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) –عن (السدي): (ومن يفعل ذلك) قال: ومن يفعل هذا فهو

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (101/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (137/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَام (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (28).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (28).

مشرك. وبه عن (السدي): (فليس من الله في شيء) فقد برئ الله منه. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} بالعلانية يَعْنِي عبد الله بن أبي وَأَصْحَابه {لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافرين} يَعْنِي الْيَهُود {أَوْلِيَآءَ} فِي التعزز {مِن دُونِ الْمُؤمنِينَ} المخلصين {أَتُرِيدُونَ} يَا معشر الْمُنَافقين {أَن تَجْعَلُواْ للَّهِ} لرَسُول الله {عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً} حجَّة بَيِّنَة وعذراً بَينا بِالْقَتْل. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {144} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ، وَقَالَ: {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} {النساء: 144} أَيْ حُجَّةً بَيِّنَةً فِي عَذَابِكُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنَازِلَ الْمُنَافِقِينَ، (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {144} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ}. لما ذكر أن من صفات المنافقين اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة، وأن يشابهوا المنافقين، فإن ذلك موجب لأن {تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} أي: حجة واضحة على عقوبتكم، فإنه قد أنذرنا وحذرنا منها، وأخبرنا بما فيها من المفاسد، فسلوكها بعد هذا موجب للعقاب.

وفي هذه الآية دليل على كمال عدل الله، وأن الله لا يُعَذِّب أحدا قبل قيام الحجة عليه، وفيه التحذير من المعاصي" فإن فاعلها يجعل لله عليه سلطانا مبينا. (4)

* * *

قال: الإمَام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144)} يَنْهَى تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي مُصَاحَبَتَهُمْ وَمُصَادَقَتَهُمْ وَمُنَاصَحَتَهُمْ وَإِسْرَارَ الْمَوَدَّةِ إِلَيْهِمْ، وَإِفْشَاءَ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَاطِنَةِ إِلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عِمْرَانَ: 28] أَيْ: يُحَذِّرُكُمْ عُقُوبَتَهُ فِي ارْتِكَابِكُمْ نَهْيَهُ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (28).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (144). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (النساء) الآية (144).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (144)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} أَيْ: حُجَّةً عَلَيْكُمْ فِي عُقُوبَتِهِ إِيَّاكُمْ.

قَالَ الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ (عِكْرِمَةَ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَوْلُهُ: {سُلْطَانًا مُبِينًا} قَالَ: كُلُّ سُلْطَانٍ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ.

وَهَذَا (إِسْنَادٌ صَحِيحٌ).

وَكَذَا قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(النَّضْرُ بْنُ عَرَبِيٍّ).(1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144)}

قال: (أبو جعفر): وهذا نهي من الله عباده المؤمنين أن يتخلّقوا بأخلاق المنافقين، الذين يتخذون الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين، فيكونوا مثلهم في ركوب ما نهاهم عنه من موالاة أعدائه.

يقول لهم جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا توالوا الكفَّار فتؤازروهم من دون أهل ملَّتكم ودينكم من المؤمنين، فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين.

ثم قال جل ثناؤه: متوعدًا من اتخذ منهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين، إن هو لم يرتدع عن موالاته، وينزجر عن مُخَالَّته، أن يلحقه بأهل ولايتهم من المنافقين الذين أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم- بتبشيرهم بأن لهم عذابًا أليمًا: {أتريدون}، أيها المتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ممن قد آمن بي وبرسولي/

{أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا}، يقول: حجة، باتخاذكم الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فتستوجبوا منه ما استوجبه أهلُ النفاق الذين وصف لكم صفتهم، وأخبركم بمحلّهم عنده،

{مبينًا}، يعني: يبين عن صحتها وحقيقتها. يقول: لا تعرَّضوا لغضب الله، بإيجابكم الحجة على أنفسكم في تقدمكم على ما نهاكم ربكم من موالاة أعدائه وأهلِ الكفر به.

10737- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا}، قال: إن لله السلطان على خلقه، ولكنه يقول: عذرًا مبينًا.

10738- حدثني المثنى قال، حدثنا قبيصة بن عقبة قال، حدثنا سفيان، عن رجل، عن (عكرمة): قال: ما كان في القرآن من {سلطان}، فهو حجّة.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (144)، لِلإمَام (ابن كثير).

10739- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد): في قوله: {سلطانًا مبينًا} ، قال: حُجَّة. (1)

* * *

قال : الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ) مَفْعُولَانِ، أَيْ لَا تَجْعَلُوا خَاصَّتَكُمْ وَبِطَانَتَكُمْ مِنْهُمْ،

(أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً) أَيْ فِي تَعْذِيبِهِ إِيَّاكُمْ بِإِقَامَتِهِ حُجَّتَهُ عَلَيْكُمْ إِذْ قَدْ نَهَاكُمْ. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}...أَيْ: لا تَجْعَلُوهُمْ خَاصَّةً لَكُمْ، وَبِطَانَةً تُوَالُونَهُمْ مِنْ دُونِ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا فَعَلَ الْمُنَافِقُونَ مِنْ مُوَالاتِهِمْ لِلْكَافِرِينَ،

{أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً}... الاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: أَيْ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تجعلوا لله عَلَيْكُمْ حُجَّةً بَيِّنَةً يُعَذِّبُكُمْ بِهَا بِسَبَبِ ارْتِكَابِكُمْ لِمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ مُوَالاةِ الْكَافِرِينَ؟. (3)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} " أي لا تفعلُوا أيُّها المؤمنون كفعل المنافقين ،

{أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً} " أي أتُرِيدُونَ أنْ تَجْعَلُوا لله عَلَيْكُمْ حجَّةً ظاهرةً توجبُ العقوبةَ عليكم في الدُّنيا والآخرة, والسُّلْطَانُ في اللغة : هُوَ الْحُجَّةُ " يقالُ للأميرِ : سُلْطَانٌ " يرادُ بذلك أنه حُجَّةٌ. (4)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {يَا أيهَا الَّذين آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء من دون الْمُؤمنِينَ} يَقُولُ: لاَ تفعلُوا كَفعل الْمُنَافِقِينَ" اتَّخذُوا الْمُشْركين أَوْلِيَاء من دون الْمُؤْمنِينَ.

{أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} قَالَ (ابْن عَبَّاس): حجَّة بَيِّنَة. (5)

* * *

[١٤٥] ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (144)، للإمَامْ (الطبري)،
(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (144)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).
(3) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (144). للإمام : (محمد بن علي الشوكاني اليمني).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (144)،
(5) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (144) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي)،

إن المنافقين سيجعلهم الله في المكان الأسفل من النار يوم القيامة، ولن تجد لهم نصيراً يدفع عنهم العذاب.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن المنافقين في أسفل منازل النار يوم القيامة، ولن تجد لهم أيها الرسول- ناصراً يدفع عنهم سوء هذا المصير.(2)

* * *

يَعْنِي:- إن المنافقين بسبب نفاقهم يكونون فى أعماق جهنم، فهم فى أسفل مكان فيها، وأحط درجاتها، ولن تجد لهم نصيراً يدفع عنهم العذاب.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ} ... الْمَكَان .

{فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ} ... الطبق الذي فى مقر جهنم. (أي: الدركُ: كالطَّابِق، والدَّرَكَةُ كالدَّرَجة).

{الدَّرْكِ} ... الْمَنْزِلَة، وَالطَّبَق.

{الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} ... وَهُوَ قَعْرهَا.

{وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} ... مَانِعًا مِنَ الْعَذَاب.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين) ذكر في هذه الآية الكريمة أن المنافقين في أسفل طبقات النار عياذا بالله تعالى. وذكر في موضع آخر أن آل فرعون يوم القيامة يؤمر بإدخالهم أشد العذاب، وهو قوله: (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) . وذكر في موضع آخر أنه يعذب من كفر من أصحاب المائدة عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين وهو قوله تعالى: (قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) فهذه الآيات تبين أن أشد أهل النار عذابا المنافقون وآل فرعون ومن كفر من أصحاب المائدة.(4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (ابن أبي شيبة) - (رحمه الله) - في (المصنف): حدثنا وكيع عن سفيان عن سلمة عن خيثمة عن (عبد الله): (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) قال: في توابيت مبهمة عليهم.(5)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا المنذر بن شاذان، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبا إسرائيل، عن عاصم، عن أبي صالح، عن (أبي هريرة): (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (101/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (137/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (145).

(5) أخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (154/13)، (ح 159 72)، (ورجاله ثقات وإسناده صحيح)، و(سلمة هو ابن كهيل، وخيثمة هو ابن عبد الرحمن الجعفي الكوفي، وعبد الله هو ابن مسعود) .

قال: الدرك الاسفل بيوت لها أبواب تطبق عليها فيوقد من تحتهم ومن فوقهم.(1)

و(سنده حسن) و(عاصم هو ابن بهدلة، وأبو صالح هو ذكوان السمان).

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): أَسْفَلَ النَّارِ.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: (في الدرك الأسفل من النار): يعني في أسفل النار.(3)(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثني الأعمش قال: حدثني (إبراهيم) عن (الأسود) قال: ((كنا في حلقة عبد الله، فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم ثم قال: لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم. قال الأسود: سبحان الله، إن الله يقول: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار). فتبسم عبد الله، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبد الله، فتفرق أصحابه، فرماني بالحصا فأتيته، فقال حذيفة: عجبت من ضحكه، وقد عرف ما قلت: لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم ثم تابوا، فتاب الله عليهم.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (شيبان) – عن (قتادة): (وأصلحوا) قال: أصلحوا ما بينهم وبين الله ورسوله.

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جَزَاءً عَلَى كُفْرِهِمُ الْغَلِيظِ.

قَالَ: (الْوَالِبِيُّ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} أَيْ: فِي أَسْفَلِ النَّارِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: النَّارُ دَرَكَاتٌ، كَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ دَرَجَاتٌ.

وَقَالَ: (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ)، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ ذَكْوَانَ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ): {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} قَالَ: فِي تَوَابِيتَ تُرْتَجُ عَلَيْهِمْ. كَذَا رَوَاهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ)، عَنِ ابْنِ وَكِيعٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَمَانٍ، عَنْ سُفْيَانَ، بِهِ.

وَرَوَاهُ الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (145).

(2) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (145). برقم (ج6 / ص 49).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (145).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (145).

(5) (صحيح) : أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 4602) – ((كتاب : تفسير القرآن) – (سورة النساء) ، / باب: (الآية).

(أَبِي هُرَيْرَةَ): {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} قَالَ: الدَّرْكُ الأَسْفَلُ بُيُوتٌ لَهَا أَبْوَابٌ تُطْبَقُ عَلَيْهِمْ، فَتُوقَدُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَمِنْ فَوْقِهِمْ.

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ) - يَعْنِي - (ابْنَ مَسْعُودٍ): {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} قَالَ: في توابيت مِنْ نَارٍ تُطبِقُ عَلَيْهِمْ.

وَرَوَاهُ الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الأَشَجِّ، عَنْ وَكِيعٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَلَمَةَ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ (ابن مسعود): {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} قَالَ: فِي تَوَابِيتَ مِنْ حَدِيدٍ مُبْهَمَةٍ عَلَيْهِمْ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (مُبْهَمَةٍ) أَيْ: مُغْلَقَةٍ مُقْفَلَةٍ لا يُهْتَدَى لِمَكَانِ فَتْحِهَا.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ سُئِلَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ: يُجْعَلُونَ فِي تَوَابِيتَ مِنْ نَارٍ، فَتُطْبَقُ عَلَيْهِمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ مِنَ النَّارِ.
{وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} أَيْ: يُنْقِذُهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ} عبد الله بن أبي وَأَصْحَابه {فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} فِي النَّار لقبل شرورهم ومكرهم وخيانتهم مَعَ النَّبِي - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَصْحَابه - {وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً} مَانِعا.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {145} {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ (فِي الدَّرْكِ) بِسُكُونِ الرَّاءِ وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا وَهُمَا لُغَتَانِ كالظعْن والظعَن والنهْر والنهَر،
قَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عنه-: {فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ} فِي تَوَابِيتَ مِنْ حَدِيدٍ مُقْفَلَةٍ فِي النَّارِ، وَقَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ): بَيْتٌ مُقْفَلٌ عَلَيْهِمْ تَتَوَقَّدُ فِيهِ النَّارُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ،
{وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} مَانِعًا مِنَ الْعَذَابِ.(3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {145} {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا}.
يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار لأنهم

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (145)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (145). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (145).

شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار}، إن المنافقين في الطَّبَق الأسفل من أطباق جهنم.

* * *

وكل طبَق من أطباق جهنم: {درك}. وفيه لغتان، "دَرَك"، بفتح "الراء" و"دَرْك" بتسكينها. فمن فتح "الراء"، جمعه في القلة "أدْرَاك"، وإن شاء جمعه في الكثرة "الدروك". ومن سكن "الراء" قال: "ثلاثة أدرُك"، وللكثير "الدروك".

10743- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن عاصم، عن ذكوان، عن (أبي هريرة): {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار}، قال: في توابيت تُرْتَجُ عليهم.(2)

10744- حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن (ابن عباس) قوله: {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار"، يعني: في أسفل النار.

10745- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال لي (عبد الله بن كثير) قوله: {في الدرك الأسفل من النار}، قال: سمعنا أن جهنم أدْراك، منازل.(3)

10746- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن خيثمة، عن (عبد الله): {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار}، قال، توابيت من نار تُطْبَقُ عليهم.

* * *

وأما قوله: {ولن تجد لهم نصيرًا}، فإنه يعني: ولن تجد لهؤلاء المنافقين، يا محمد، من الله= إذا جعلهم في الدرك الأسفل من النار= ناصراً ينصرهم منه، فينقذهم من عذابه، ويدفع عنهم أليمَ عقابه.(4)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (145)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) "أرتج الباب يرتجه": أغلقه إغلاقًا وثيقًا.

(3) قوله: "منازل" تفسير "أدراك" جمع "درك".

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (145)، للإِمَامْ (الطبري).

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145)}.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (فِي الدَّرْكِ) قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ (الدَّرْكِ) بِإِسْكَانِ الرَّاءِ، وَالْأُولَى أَفْصَحُ، لِأَنَّهُ يُقَالُ فِي الْجَمْعِ: أَدْرَاكٌ مِثْلُ جَمَلٍ وَأَجْمَالٍ، قَالَهُ: (النَّحَّاسُ).

وَقَالَ: (أَبُو عَلِيٍّ): هُمَا لُغَتَانِ كَالشَّمْعِ وَالشَّمَعِ وَنَحْوِهِ، وَالْجَمْعُ أَدْرَاكٌ.

يَعْنِي:- جَمْعُ الدَّرْكِ أَدْرُكٌ، كَفَلْسٍ وَأَفْلُسٍ. وَالنَّارُ دَرَكَاتٌ سَبْعَةٌ، أَيْ طَبَقَاتٌ وَمَنَازِلُ، إِلَّا أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْعَرَبِ لِكُلِّ مَا تَسَافَلَ أَدْرَاكٌ. يُقَالُ: لِلْبِئْرِ أَدْرَاكٌ، وَلِمَا تَعَالَى دَرَجٌ، فَلِلْجَنَّةِ دَرَجٌ، وَلِلنَّارِ أَدْرَاكٌ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا. فَالْمُنَافِقُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ وَهِيَ الْهَاوِيَةُ، لِغِلَظِ كُفْرِهِ وَكَثْرَةِ غَوَائِلِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْ أَذَى الْمُؤْمِنِينَ. وَأَعْلَى الدَّرَكَاتِ جَهَنَّمُ ثُمَّ لَظَى ثُمَّ الْحُطَمَةُ ثُمَّ السَّعِيرُ ثُمَّ سَقَرُ ثُمَّ الْجَحِيمُ ثُمَّ الْهَاوِيَةُ،

وَقَدْ يُسَمَّى جَمِيعُهَا بِاسْمِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ عَذَابِهَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وَعَنِ (ابْنِ مَسْعُودٍ) فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) قَالَ: تَوَابِيتُ مِنْ حَدِيدٍ مُقْفَلَةٌ فِي النَّارِ تُقْفَلُ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ: (ابْنُ عُمَرَ): إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ : الْمُنَافِقُونَ، وَمَنْ كَفَرَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَائِدَةِ، وَآلُ فِرْعَوْنَ، تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ).

وقال تعالى أَصْحَابِ الْمَائِدَةِ: (فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ).

وَقَالَ فِي (آلَ فِرْعَوْنَ): (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} وَهُوَ الْبَابُ السَّابِعُ الْأَسْفَلُ. (2)

* * *

قال: الإمام (الشافعي) - (رحمه الله) - في (تفسير الإمام الشافعي):- قال الله عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145)}.

الأم: المرتد عن الإسلام:

قال: الإمام (الشَّافعي) - (رحمه الله) -:-

وقد قضى اللَّه (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) الآية.

الأم: (أيضاً) اللعان:

قال: الإمام (الشَّافعي) - (رحمه الله) -:

فحقن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دماءهم بما أظهروا من الإسلام.

وأقرهم على المناكحة والموارثة، وكان الله أعلم بدينهم بالسرائر، فأخبره الله - عزَّ وجلَّ، أنهم في النار، فقال: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) الآية.

وهذا يوجب على الحكام ما وصفت، من ترك الدلالة الباطنة، والحكم بالظاهر، من القول، أو البينة، أو الاعتراف، أو الحجة.

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (145)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (145) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

الأم: (أيضاً) : باب: (ما يحرم به الدم من الإسلام) :

قال: الإمام (الشَّافِعِي) - (رحمه الله) -:

قال جلّ وعز: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) الآية.

فأخبر اللَّه - عز وجل - عن المنافقين بالكفر، وحكم فيهم بعلمه من أسرار خلقه ما لا يعلمه غيره بأنَّهم في الدرك الأسفل من النار، وأنَّهم كاذبون بإيمانهم، وحكم فيهم جلّ ثناؤه في الدنيا، بأن ما أظهروا من الإيمان، وإن كانوا به كاذبين، لهم جُنة من القتل، وهم المُسِرُّون الكفر، المظهرون الإيمان، وبين على لسانه - صلى الله عليه وسلم - مثل ما أنزل في كتابه" من أنَّ إظهار القول بالإيمان جُنة من القتل، أقرَّ من شهد عليه بالإيمان بعد الكفر، أو لم يقر إذا أظهر الإيمان.

فإظهاره مانع من القتل، وبيّن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا حقن الله تعالى دماء من أظهر الإيمان بعد الكفر أن لهم حكم المسلمين في الموارثة، والمناكحة، وغير ذلك من أحكام المسلمين.

الأم: (أيضاً) : تكلف الحجة على قائل القول الأول - بقتل المرتد -، وعلى من قال: أقبل إظهار التوبة...:

قال: الإمام (الشَّافِعِي) - (رحمه الله) -:

وأخبر الله جل ثناؤه عن المنافقين في عدد آي من كتابه، بإظهار الإيمان، والاستسرار بالشرك، وأخبرنا بأن قد جزاهم بعلمه عنهم بالدرك الأسفل من النار، فقال: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) الآية.

فأعلم أنَّ حكمهم في الآخرة النار، بعلمه أسرارهم. وأن حكمه عليهم في الدنيا - إن أظهروا الإيمان - جُنة لهم.

الأم: (أيضاً) : من قال لزوجته أنت طالق إن خرجت إلا بإذني:

قال: الإمام (الشَّافِعِي) - (رحمه الله) -:

يحنث الناس في الحكم على الظاهر من أيمانهم. وكذلك أمرنا الله تعالى أن نحكم عليهم بما ظهر، وكذلك أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وكذلك أحكام الله، وأحكام رسوله في الدنيا.

فأمّا السرائر فلا يعلمها إلا الله، فهو يدين بها، ويجزى، ولا يعلمها دونه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ألا ترى أن حكم اللَّه تعالى في المنافقين، أنَّه يعلمهم مشركين، فأوجب عليهم في الآخرة جهنم، فقال - عز وجل -: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) الآية.

وحكم لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأحكام الإسلام، بما أظهروا منه، فلم يسفك لهم دماً، ولم يأخذ لهم مالاً، ولم يمنعهم أن يناكحوا المسلمين وينكحوهم.

ورسول اللَّه - صلى الله عليه وسلم - يعرفهم بأعيانهم، يأتيه الوحي، ويسمع ذلك منهم، ويبلغه عنهم، فيظهرون التوبة، والوحي يأتيه بأنهم كاذبون بالتوبة، ومثل ذلك قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جميع الناس: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا

مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)) الحديث.

الأم (أيضاً) : كتاب (إبطال الاستحسان)
:

قال :الإمام (الشّافعي) - (رحمه الله) - : ثم أوجب - اللَّه - عز وجل - - للمنافقين إذا أسروا نار جهنم فقال: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) الآية.

قال :الإمام (الشّافعي) - (رحمه الله) - :فإذا أظهروا التوبة منه، والقول بالإيمان. حقنت عليهم دماؤهم، وجمعهم ذكر الإسلام، وقد أعلم اللَّه رسوله - صلى الله عليه وسلم -، أنهم في الدرك الأسفل من النار، فقال: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) الآية.

فجعل حكمه عليهم جلّ وعز على سرائرهم، وحكم نبيه عليهم في الدنيا على علانيتهم بإظهار التوبة، وما قامت عليهم بينة من المسلمين بقوله، وما أقرُّوا بقوله، وما جحدوا من قول الكفر، مما لم يقروا به ولم تقم به ببينة عليهم، وقد كذبهم على قولهم في كل، وكذلك أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الله - عز وجل -.

قال :الإمام (الشّافعي) - (رحمه الله) - :: أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن (عبيد اللَّه بن عدي بن الخيار)، أنَّ رجلاً سارَّ النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلم ندر ما ساره حتى جهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإذا هو يشاوره في قتل رجل من المنافقين.

فقال :رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :- "أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ "

قال: بلى، ولا شهادة له.

فقال: "أليس يصلي؟ "

قال: بلى، ولا صلاة له.

فقال: له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

أولئك الذين نهاني الله تعالى عنهم" الحديث. (1)

* * *

[١٤٦] ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

إلا الذين رجعوا إلى الله بالتوبة من نفاقهم، وأصلحوا باطنهم، وتمسكوا بعهد الله، وأخلصوا عملهم لله بلا رياء، فأولئك المتصفون بهذه الصفات مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، وسوف يعطي الله المؤمنين ثوابًا جزيلًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- إلا الذين رجعوا إلى الله تعالى وتابوا إليه، وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم باطنًا وظاهرًا، ووالوا عباده المؤمنين، واستمسكوا بدين الله، وأخلصوا له سبحانه،

---

(1) انظر :تفسير (الإمام الشافعي)، سورة (النساء) الآية (145). - المؤلف : الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشي المكي الناشر: (دار التدمرية - المملكة العربية السعودية)، الطبعة الأولى: (1427 - 2006 م).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

فأولئك مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، وسوف يعطي الله المؤمنين ثوابًا عظيمًا.(1)

* * *

يَعْني:- إلا الذين يتوبون منهم ويعودون إلى الله - تعالى - ويعتصمون به - وحده - ويخلصون ويسلمون وجوههم له، ويعملون الصالحات فإنهم بهذا يكونون من المؤمنين ولهم جزاء المؤمنين، وقد أعد الله - تعالى - جزاءً عظيماً للمؤمنين في الدنيا والآخرة.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِلاَ الَّذِينَ تَابُوا} ... مِنْ النِّفَاق.

{وَأَصْلَحُوا} ... عَمَلهمْ.

{وَأَصْلَحُوا} ... ما كانوا قد أفسدوه من العقائد والأعمال.

(أي: ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق).

{وَاعْتَصَمُوا} ... وَثِقُوا.

{وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ} ... تمسكوا بدينه وتوكلوا عليه.

(أي :ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص.

{بِاَللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينهمْ لِلَّهِ} ... مِنْ الرِّيَاء.

{وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ} ... تخلوا عن النفاق والشرك. (أي: لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه).

{فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِين} ... فِيمَا يُؤْتَوْنَهُ.

(أي: فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين).

{وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} ... فِي الْآخِرَة وهو الجنة.

(أي: فيشاركونهم فيه ويساهمونهم).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَنْ تَابَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا تَابَ عَلَيْهِ ، وَقبِلَ نَدَمَهُ إِذَا أَخْلَصَ فِي تَوْبَتِهِ وَأَصْلَحَ عَمَلَهُ، وَاعْتَصَمَ بِرَبِّهِ فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ، فَقَالَ: {إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ} أَيْ: بَدَّلُوا الرِّيَاءَ بِالْإِخْلَاصِ، فَيَنْفَعُهُمُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَإِنْ قَلَّ.

{فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} أَيْ: فِي زُمْرَتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ {وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}

ثُمَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنْ غِنَاهُ عَمَّا سِوَاهُ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُعَذِّبُ الْعِبَادَ بِذُنُوبِهِمْ، فَقَالَ: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ} أَيْ: أَصْلَحْتُمُ الْعَمَلَ وَآمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ،

{وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} أَيْ: مَنْ شَكَرَ شَكَرَ لَهُ وَمَنْ آمَنَ قَلْبُهُ بِهِ عَلِمَهُ، وَجَازَاهُ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ.(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {إِلاَّ الَّذين تَابُوا} من النِّفَاق وَكفر السِّرّ {وَأَصْلَحُوا} فِيمَا بَينهم وَبَين رَبهم من الْمكر

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (101/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (137/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (146)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

والخيانة {واعتصموا باللَّه} تمسكوا بتوحيد الله في السِّرّ {وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ} توحيدهم {لِلَّه فَأُولَئِك مَع الْمُؤمنِينَ} فِي السِّرّ وَيُقَال فِي الْوَعْد وَيُقَال مَعَ الْمُؤمنِينَ فِي السِّرّ وَالْعَلَانِيَة وَيُقَال مَعَ الْمُؤمنِينَ فِي الْجنَّة {وَسَوْفَ يُؤْت الله} يُعْطِي الله {الْمُؤمنِينَ} المخلصين {أَجْراً عَظِيماً} ثوابًا وافراً فِي الْجنَّة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {146} {إِلا الَّذِينَ تَابُوا} من النفاق وآمنوا {وَأَصْلَحُوا} عملهم {وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ} وَثِقُوا بِاللَّهِ {وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ} أَرَادَ الْإِخْلَاصَ بِالْقَلْبِ، لِأَنَّ النِّفَاقَ كُفْرُ الْقَلْبِ، فَزَوَالُهُ يَكُونُ بِإِخْلَاصِ القلب،

{فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} قَالَ الْفَرَّاءُ: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ} فِي الآخرة {أَجْرًا عَظِيمًا} {النساء: 146} يَعْنِي: الْجَنَّةَ، وَحُذِفَتِ الْيَاءُ مِنْ (يؤت) فِي الْخَطِّ لِسُقُوطِهَا فِي اللَّفْظِ، وَسُقُوطُهَا فِي اللَّفْظِ لِسُكُونِ اللَّامِ فِي (اللَّه) (2).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {146} {إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}. يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق إلا مَنْ مَنَّ الله عليهم بالتوبة من السيئات. {وَأَصْلَحُوا} له الظواهر والبواطن {وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ} والتجأوا إليه في جلب منافعهم ودفع المضار عنهم. {وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ} الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان {لِلَّهِ} . فقصدوا وجه الله بأعمالهم الظاهرة والباطنة وسلِموا من الرياء والنفاق، فمن اتصف بهذه الصفات {فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} أي: في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة {وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} لا يعلم كنهه إلا الله، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وتأمل كيف خص الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: {وَأَصْلَحُوا} لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح، لشدة الحاجة إليهما خصوصا في هذا المقام الحرج الذي يمكن من القلوب النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه، وكون

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (146). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (146).

الإخلاص منافيا كل المنافاة للنفاق، فذكرهما لفضلهما وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة علهما، ولشدة الحاجة في هذا المقام إلهما.

وتأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم أجرا عظيما، مع أن السياق فيهم. بل قال: {وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} لأن هذه القاعدة الشريفة -لم يزل الله يبدئ فيها ويعيد، إذا كان السياق في بعض الجزئيات، وأراد أن يرتب عليه ثوابًا أو عقابا وكان ذلك مشتركًا بينه وبين الجنس الداخل فيه، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تندرج تحته تلك القضية وغيرها، ولئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي، فهذا من أسرار القرآن البديعة، فالتائب من المنافقين مع المؤمنين وله ثوابهم.(1)

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {إلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (146)}

قال: (أبو جعفر): وهذا استثناء من الله جل ثناؤه، استثنى التائبين من نفاقهم إذا أصلحوا، وأخلصوا الدين لله وحده، وتبرءوا من الآلهة والأنداد، وصدَّقوا رسوله، أن يكونوا مع المصرِّين على نفاقهم حتى توافيهم مناياهم - في الآخرة، وأن يدخلوا مدَاخلهم من جهنم. بل وعدهم جل ثناؤه أن يُحلَّهم مع المؤمنين محلَّ الكرامة، ويسكنهم معهم مساكنهم في الجنة. ووعدهم من الجزاء على توبتهم الجزيلَ من العطاء فقال: {وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرًا عظيمًا}.

* * *

قال: (أبو جعفر): فتأويل الآية: {إلا الذين تابوا}، أي: راجعوا الحق، وآبوا إلا الإقرار بوحدانية الله وتصديق رسوله وما جاء به من عند ربه من نفاقهم،

{وأصلحوا}، يعني: وأصلحوا أعمالهم، فعملوا بما أمرهم الله به، وأدَّوا فرائضه، وانتهوا عما نهاهم عنه، وانزجروا عن معاصيه،

{واعتصموا بالله}، يقول: وتمسَّكوا بعهد الله.

* * *

وقد دللنا فيما مضى قبل على أن"الاعتصام" التمسك والتعلق. فالاعتصام بالله: التمسك بعهده وميثاقه الذي عهد في كتابه إلى خلقه، من طاعته وترك معصيته.

* * *

{وأخلصوا دينهم لله}، يقول: وأخلصوا طاعتَهم وأعمالهم التي يعملونها لله، فأرادوه بها، ولم يعملوها رئاءَ الناس، ولا على شك منهم في دينهم، وامتراءٍ منهم في أن الله محصٍ عليهم ما عملوا، فمجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته= ولكنهم عملوها على يقين منهم في ثواب المحسن على إحسانه، وجزاء المسيء على إساءته، أو

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (146)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يتفضَّل عليه ربه فيعفو= متقرِّبين بها إلى الله، مريدين بها وجه الله. فذلك معنى: "إخلاصهم لله دينهم".

= ثم قال جل ثناؤه: {فأولئك مع المؤمنين}، يقول: فهؤلاء الذين وصف صفتهم من المنافقين بعد توبتهم وإصلاحهم واعتصامهم بالله وإخلاصهم دينهم= أي: مع المؤمنين في الجنة، لا مع المنافقين الذين ماتوا على نفاقهم، الذين أوعدهم الدرَك الأسفل من النار.

= ثم قال: {وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرًا عظيمًا} ، يقول: وسوف يُعطي الله هؤلاء الذين هذه صفتهم، على توبتهم وإصلاحهم واعتصامهم بالله وإخلاصهم دينهم له، وعلى إيمانهم، ثوابًا عظيمًا = وذلك: درجات في الجنة، كما أعطى الذين ماتوا على النِّفاق منازل في النار، وهي السفلى منها. لأن الله جل ثناؤه وعد عباده المؤمنين أن يؤتيهم على إيمانهم ذلك، كما أوعد المنافقين على نفاقهم ما ذكر في كتابه.

وهذا القول هو معنى قول: (حذيفة بن اليمان)، الذي:-

10747- حدثنا به ابن حميد وابن وكيع قالا حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم قال، قال (حذيفة): ليدخلن الجنة قوم كانوا منافقين! فقال عبد الله: وما علمك بذلك؟ فغضب حذيفة، ثم قام فتنحَّى. فلما تفرّقوا، مرَّ به علقمة فدعاه فقال: أمَا إنّ صاحبك يعلم الذي قلت! ثم قرأ: {إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرًا عظيمًا}.(1)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً (146)}

اسْتِثْنَاءٌ مِمَّنْ نَافَقَ. وَمِنْ شَرْطِ التَّائِبِ مِنَ النِّفَاقِ أَنْ يُصْلِحَ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، وَيَعْتَصِمَ بِاللَّهِ أَيْ يَجْعَلُهُ مَلْجَأً وَمَعَاذًا، وَيُخْلِصَ دِينَهُ لِلَّهِ، كَمَا نَصَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ بِتَائِبٍ، وَلِهَذَا أَوْقَعَ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي التَّسْوِيفِ لِانْضِمَامِ الْمُنَافِقِينَ إِلَيْهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

رَوَى الإمام (الْبُخَارِيُّ): عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: كُنَّا فِي حَلْقَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَجَاءَ حُذَيْفَةُ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ نَزَلَ النِّفَاقُ عَلَى قَوْمٍ خَيْرٍ مِنْكُمْ، قَالَ الْأَسْوَدُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ). فَتَبَسَّمَ عَبْدُ اللَّهِ وَجَلَسَ حُذَيْفَةُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ فَرَمَانِي بِالْحَصَى فَأَتَيْتُهُ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: عَجِبْتُ مِنْ ضَحِكِه وَقَدْ عَرَفَ مَا قُلْتُ: لَقَدْ أُنْزِلَ النِّفَاقُ عَلَى قَوْمٍ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ ثُمَّ تَابُوا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ: (الْفَرَّاءُ): مَعْنَى (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) أَيْ: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (146)، للإمَامْ (الطبري).

وَقَالَ: (الْقُتَيْبِيُّ): حَادَ عَنْ كَلَامِهِمْ غَضَبًا عَلَيْهِمْ فَقَالَ: (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) وَلَمْ يَقُلْ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ. وَحُذِفَتِ الْيَاءُ مِنْ (يُؤْتِ) فِي الْخَطِّ كَمَا حُذِفَتْ فِي اللَّفْظِ، لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ اللَّامِ بَعْدَهَا، ومثله (يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) و (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) و (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) حذفت الواوات لالتقاء الساكنين (1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ: {إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ} " أي لا الذين تابوا من النِّفَاق، وأصلحوا العمل فيما لبينهم وبين ربهم وتمسَّكوا بتوحيد الله ودينه،

{وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ} " وأخلصُوا توحيدَهم وعملَهم،

{لِلَّهِ} " أي أخلصُوا ذلك من شَوْب الرِّيَاء، وطلب عَرَض الدُّنيا،

{فَأُوْلَائِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} " في الجنَّة والثواب، لا يضرُّهم النفاقُ السابق إذا أصلَحُوا وتابُوا.

قوله عَزَّ وَجَلَّ: {وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً} " وهو الجنَّة.

ولَمَّا حُذفَت الياءُ من (يُؤْتِ) في الخطِّ، كما حذفت في اللفظ بسكونها وسكون اللام في اسم الله، فكذلك {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} {العلق: 18} و {يَدْعُ الدَّاعِ} {القمر: 6}. ويحتمل أن يكون معنَى الآية: بَيَانُ زيادةِ الثواب لِمَنْ يَسْبقْ منه كفرٌ ولا نفاق،

فذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً}. (وَسَوْفَ) كلمة تَرْجِيَة وإطْمَاع " وهي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إيجابٌ " لأنه أكرمُ الأكرمين، وَوَعْدُ الكريم إنجاز. (2)

* * *

[١٤٧] ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية

لا حاجة لله في تعذيبكم إن شكرتم له وآمنتم به، فهو تعالى البر الرحيم، وإنما يعذبكم بذنوبكم، فإن أصلحتم العمل، وشكرتموه على نعمه، وآمنتم به ظاهرًا وباطنًا فلن يعذبكم، وكان الله شاكرًا لمن اعترف بنعمه فيجزل لهم الثواب عليها، عليمًا بإيمان خلقه، وسيجازي كلًّا بعمله. (3)

* * *

يَعْنِي:- ما يفعل الله بعذابكم إن أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله، فإن الله سبحانه غني عمَّن سواه، وإنما يعذب العباد بذنوبهم. وكان الله شاكرًا لعباده على طاعتهم له، عليمًا بكل شيء. (4)

* * *

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (146)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (146)،

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (101/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

يَعْنِـي:- وإن الله - تعالى - لا مطلب له منكم إلا الإيمان به، وشكر نعمته، وإذا كنتم كذلك فلا عذاب لكم، ولكن جزاء على الخير والشكر، وإن الله - تعالى - شاكر يشكر لعباده عمل الخير، وعليم يعلم كل حالهم من خير وشر. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ} ... نِعَمه.

{وَآمَنتُم} ... لَه وَالِاسْتِفْهَام بِمَعْنَى النَّفْي أَيْ لَا يُعَذِّبكُمْ.

{وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا} ... لِأَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِثَابَةِ.

{وكَانَ اللَّهُ شاكراً} ... مثيبا موفيا أجوركم.

{عَلِيمًا} ... بِخَلْقِهِ.

{عَلِيماً} ... بحق شكركم وإيمانكم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) قال: إن الله جل ثناؤه لا يعذب شاكراً ولا مؤمناً. (2)

* * *

قَال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنْ غِنَاهُ عَمَّا سِوَاهُ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُعَذِّبُ الْعِبَادَ بِذُنُوبِهِمْ، فَقَالَ: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ} أَيْ: أَصْلَحْتُم الْعَمَلَ وَآمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِه،

{وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} أَيْ: مَنْ شَكَرَ شَكَرَ لَهُ وَمَنْ آمَنَ قَلْبُهُ بِهِ عَلِمَهُ، وَجَازَاهُ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ. (3)

* * *

قَال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {147} {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} . ثم أخبر تعالى عن كمال غناه وسعة حلمه ورحمته وإحسانه فقال: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ} والحال أن الله شاكر عليم. يعطي المتحملين لأجله الأثقال، الدائبين في الأعمال، جزيل الثواب وواسع الإحسان. ومن ترك شيئًا لله أعطاه الله خيراً منه.

ومع هذا يعلم ظاهركم وباطنكم، وأعمالكم وما تصدر عنه من إخلاص وصدق، وضد ذلك. وهو يريد منكم التوبة والإنابة والرجوع إليه، فإذا أنبتم إليه، فأي شيء يفعل بعذابكم؟ فإنه لا يتشفى بعذابكم، ولا ينتفع بعقابكم، بل العاصي لا يضر إلا نفسه، كما أن عمل المطيع لنفسه.

والشكر هو خضوع القلب واعترافه بنعمة الله، وثناء اللسان على المشكور، وعمل الجوارح بطاعته وأن لا يستعين بنعمه على معاصيه. (4)

* * *

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (137/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (147).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (147)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (147)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ} ما يصنع الله بعذابكم {إِن شَكَرْتُمْ} إن وحدتم في السِّر {وَآمَنْتُمْ} صدقتكم بإيمانكم في السِّر {وَكَانَ الله شَاكِراً} يشكر اليسير ويجزي الجزيل {عَلِيماً} لمن يشكر ولمن لا يشكر. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {147} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ} أَيْ: إِنْ شَكَرْتُمْ نَعْمَاءَهُ {وَآمَنْتُمْ} {النساء: 147} بِهِ، فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: إِنْ آمَنْتُمْ وَشَكَرْتُمْ، لِأَنَّ الشُّكْرَ لَا يَنْفَعُ مَعَ عَدَمِ الْإِيمَانِ، وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّقْرِيرِ مَعْنَاهُ إِنَّهُ لَا يُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ الشَّاكِرَ، فَإِنَّ تَعْذِيبَهُ عِبَادَهُ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ، وَتَرْكَهُ عُقُوبَتَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ لَا يُنْقِصُ مِنْ سُلْطَانِه، وَالشُّكْرُ: ضِدُّ الْكُفْرِ وَالْكُفْرِ سَتْرُ النِّعْمَةِ، وَالشُّكْرُ إِظْهَارُهَا، {وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} {النساء: 147} فَالشُّكْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الرِّضَى بِالْقَلِيلِ مِنْ عِبَادِهِ وَإِضْعَافُ الثَّوَابِ عَلَيْهِ، وَالشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ الطاعة، ومن الله: الثواب. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ}، ما يصنع الله، أيها المنافقون، بعذابكم، إن أنتم تبتم إلى الله ورجعتم إلى الحق الواجب لله عليكم، فشكرتموه على ما أنعم عليكم من نعمه في أنفسكم وأهاليكم وأولادكم، بالإنابة إلى توحيده، والاعتصام به، وإخلاصكم أعمالكم لوجهه، وترك رياء الناس بها، وآمنتم برسوله محمد - صلى الله عليه وسلم- فصدّقتموه، وأقررتم بما جاءكم به من عنده فعملتم به؟ يقول: لا حاجة بالله أن يجعلكم في الدَّرك الأسفل من النار، إن أنتم أنبتم إلى طاعته، وراجعتم العمل بما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه. لأنه لا يجتلب بعذابكم إلى نفسه نفعًا، ولا يدفع عنها ضرًّا، وإنما عقوبته من عاقب من خلقه، جزاءٌ منه له على جراءته عليه، وعلى خلافه أمره ونهيه، وكفرانه شكر نعمه عليه. فإن أنتم شكرتم له على نعمه، وأطعتموه في أمره ونهيه، فلا حاجة به إلى تعذيبكم، بل يشكر لكم ما يكون منكم من طاعة له وشكر، بمجازاتكم على ذلك بما تقصر عنه أمانيكم، ولم تبلغه آمالكم،

{وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا} لكم ولعباده على طاعتهم إياه، بإجزاله لهم الثوابَ عليها، وإعظامه لهم العوَض منها

{عَلِيمًا} بما تعملون، أيها المنافقون، وغيركم من خير وشر، وصالح وطالح، محصٍ ذلك كله عليكم، محيط بجميعه، حتى يجازيكم جزاءكم يوم القيامة، المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته. وقد:-

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (147). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (147).

10748- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): {ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرًا عليمًا}، قال: إن الله جل ثناؤه لا يعذِّب شاكرًا ولا مؤمنًا. (1)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وكانَ اللَّهُ شاكِراً عَلِيماً (147)}

اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّقْرِيرِ لِلْمُنَافِقِينَ. التَّقْدِيرُ: أَيُّ مَنْفَعَةٍ لَهُ فِي عَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ، فَنَبَّهَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ الشَّاكِرَ الْمُؤْمِنَ، وَأَنَّ تَعْذِيبَهُ عِبَادَهُ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ، وَتَرْكَهُ عُقُوبَتَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ لَا يَنْقُصُ مِنْ سُلْطَانِهِ.

وَقَالَ: (مَكْحُولٌ): أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ لَهُ، وَثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ، فَالْأَرْبَعُ اللَّاتِي لَهُ: فَالشُّكْرُ وَالْإِيمَانُ وَالدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ)

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

وقال تعالى: (قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ). وَأَمَّا الثَّلَاثُ اللَّاتِي عَلَيْهِ: فَالْمَكْرُ وَالْبَغْيُ وَالنَّكْثُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ).

وَقَالَ تَعَالَى: (وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) وَقَالَ تَعَالَى: (إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ)

(وَكانَ اللَّهُ شاكِراً عَلِيماً) أَيْ يَشْكُرُ عِبَادَهُ عَلَى طَاعَتِهِ. وَمَعْنَى (يَشْكُرُهُمْ) يُثِيبُهُمْ، فَيَتَقَبَّلُ الْعَمَلَ الْقَلِيلَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، وَذَلِكَ شُكْرٌ مِنْهُ عَلَى عِبَادَتِهِ. وَالشُّكْرُ فِي اللُّغَةِ الظُّهُورُ، يُقَالُ: دَابَّةٌ شَكُورٌ إِذَا أَظْهَرَتْ مِنَ السِّمَنِ فَوْقَ مَا تُعْطَى مِنَ الْعَلَفِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى مُسْتَوْفًى. وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي الْمَثَلِ: (أَشْكَرُ مِنْ بَرْوَقَةٍ) لِأَنَّهَا يُقَالُ: تَخْضَرُّ وَتَنْضُرُ بِظِلِّ السَّحَابِ دُونَ مَطَرٍ. والله أعلم. (2)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ} " يُبَيِّنُ اللهُ تعالى أنَّ المنافقين هم الذينَ أوقعُوا أنفسَهم في الدَّرْك الأسفلِ من النار، واستحقُّوا ذلك بنفاقهم ، وإنه ليسَ في حكمةِ الله تعذيبُ مَن شكَرَ وآمَنَ ، وإنَّما في حكمتهِ أن يَجْزِيَ كلَّ عاملٍ بما عمل ،

فذلك قَوْلُهُ تَعَالَى : {مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ} أي: ما حَاجَتُهُ إلى تعذيبكم أيُّها المنافقونَ إن وحَّدتُم في السِّرِّ وصدَقتُم في إيمانكم.

ويقالُ معنى : {إِن شَكَرْتُمْ} نِعَمَ اللهِ {وَآمَنْتُمْ} بهِ وبكتبه ورُسُله.

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (147)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (147)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (148) إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (149) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (152) يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (153) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (154)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

• بيان صفات المنافقين، ومنها: حرصهم على حظ أنفسهم سواء كان مع المؤمنين أو مع الكافرين.

• أعظم صفات المنافقين تَذَبْذُبهم وحيرتهم واضطرابهم، فلا هم مع المؤمنين حقًّا ولا مع الكافرين.

• النهي الشديد عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

• أعظم ما يتقي به المرء عذاب الله تعالى في الآخرة هو الإيمان والعمل الصالح. (4)

* * *

يَعْنِي:- فيه تقديمٌ وتأخير " أي إن آمنتم وشكرتم " لأنَّ الشُّكرَ لا يقعُ مع عدم الإيْمان. وبيَّنَ اللهُ تعالى أن تعذيبَ عبادهِ لا يزيدُ في مُلْكِه ، وأن تركَ عقوبتهم على فعلهم لا يُنْقِصُ من سُلْطانه.

قوله عَزَّ وَجَلَّ : {وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً} " أي شاكراً للقليل من أعمالكم " مُثِيباً عليها " يقبلُ اليَسير " ويعطي الجزيلَ عليها بأضعافها لكم " واحدةٌ إلى عشرةٍ إلى سبعمائة إلى ما شاءَ اللهُ من الأضْعاف.

والشُّكرُ من العبد : هو الاعترافُ النِّعمة الواصلة إليه مع صدقٍ من التعظيم ، والشُّكرُ من الله تعالى : هو مجازاتهُ العبدَ على طاعته. (1)

* * *

قال الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ} أي: أن الله غَنِي لاَ يعذب شاكراً وَلاَ مُؤمنا. (2)

* * *

قال الإمَامُ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَأَخْرَجَ - (عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ)، وَ(ابْنُ الْمُنْذِرِ) عَنْ (قَتَادَةَ): فِي قَوْلِهِ: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ} الْآيَةَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يعذّب شاكرا ولا مؤمنا. (3)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني في سورة (النساء) الآية (147).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (147) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (147). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (101/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

[١٤٨] ﴿ لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لا يحب الله الجهر بقول السوء، بل يبغضه ويتوعّد عليه، لكن من ظُلم جاز له أن يجهر بقول السوء" للشكاية من ظالمه والدعاء عليه ومجازاته بمثل قوله، لكنَ صَبْرَ المظلوم أولى من جهره بالسوء، وكان الله سميعًا لأقوالكم، عليمًا بنياتكم، فاحذروا قول السوء أو قصده. (1)

* * *

يَعْنِي:- لا يُحِبُّ اللهُ أن يَجهرَ أحدٌ بقول السوء، لكن يُباح للمظلوم أن يَذكُر ظالمه بما فيه من السوء" ليبيِّن مَظْلَمته. وكان الله سميعًا لما تجهرون به، عليمًا بما تخفون من ذلك. (2)

* * *

يَعْنِي:- ينهى الله عباده عن قول السوء. إلا من وقع عليه ظلم، فيباح له أن يشكو ظالمه، ويذكر ما فيه من سوء، والله - سبحانه - سميع لكلام المظلوم، عليم بظلم الظالم، ويجازيه على عمله. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لاَ يُحِبّ اللَّه الْجَهْر بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْل} ... مِنْ أَحَد أَيْ يُعَاقِبهُ عَلَيْهِ.

{بِالسُّوءِ} ... ما يسوء إلى من قيل فيه أو فعل به.

{إلاّ مَنْ ظُلِمَ} ... فَلاَ يُؤَاخِذهُ بِالْجَهْرِ بِهِ بِأَنْ يُخْبِر عَنْ ظُلْم ظَالِمه وَيَدْعُو عَلَيْهِ.

{إلاّ مَنْ ظُلِمَ} ... إلا من جهر من ظلم، استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء.

{وكَانَ اللَّه سَمِيعًا} ... لِمَا يُقَال.

{سَمِيعاً عَلِيماً} ... سميعاً للأقوال عليماً بالأعمال.

{عَلِيمًا} ... بِمَا يَفْعَل.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلاَّ مَنْ ظُلِمَ , وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً (148)}

وقال الإِمَامُ (الترمذي)، في (سُننه) - والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده):- (رحمهما الله) - (بِسَنَدٍ هما):- , عَنْ (عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: (" إِثْمُ الْمُسْتَبَّيْنِ مَا قَالاَ (4) فَعَلَى الْبَادِئِ مِنْهُمَا , مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ (5) ") (1)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (102/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (102/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (138/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17521).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (68) - (2587).

(5) مَعْنَاهُ: أَنَّ إِثْم السِّبَاب الْوَاقِع مِنْ اثْنَيْنِ , مُخْتَصٌّ بِالْبَادِئِ مِنْهُمَا كُلّه , إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَز الثَّانِي قَدْر الِانْتِصَار، فَيَقُول لِلْبَادِئِ أَكْثَر مِمَّا قَالَ لَهُ.

وَفِي هَذَا جَوَاز الِانْتِصَار، وَلَا خِلَاف فِي جَوَازه، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَيْهِ دَلَائِل الْكِتَاب وَالسُّنَّة ,

قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْد ظُلْمه فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيل}

* * *

قَال: الإِمَامْ (الطبري) – والإِمَامْ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما):- (بسندهما الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قال: لا يحب الله أن يدعوَ أحد على أحد، إلا أن يكون مظلوما، فإنه قد أرخص له أن يدعوَ على من ظلمه، وذلك قوله: (إلا من ظلم) ، وإن صبر فهو خير له. (2)(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قَال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {لاَ يحب الله الْجَهْر بالسوء} بالشتم {مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلم} فقد أذن لَهُ بالدُّعَاء وَيُقَال وَلاَ من ظلم {وَكَانَ الله سَمِيعاً} لدعاء الْمَظْلُوم {عَلِيماً} بعقوبة الظَّالم نزلت فِي أبي بكر شَتمه رجل. (4)

* * *

قَال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {148} قَوْلُهُ: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ} يَعْنِي: لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالْقُبْحِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ، فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يُخْبِرَ عن الظَّالِمِ وَأَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} {الشُّورَى: 41}

قَالَ: (الْحَسَنُ): دُعَاؤُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِ اللَّهُمَّ اسْتَخْرِجْ حَقِّي مِنْهُ،

يَعْنِي:- إِنْ شُتِمَ جَازَ أَنْ يَشْتُمَ بِمِثْلِهِ لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ وَقَرَأَ (الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ): (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ) بِفَتْحِ الظَّاءِ وَاللَّامِ، مَعْنَاهُ: لَكِنِ الظَّالِمَ اجْهَرُوا لَهُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ،

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ لكن يجهره من ظلم، والقراءة هِيَ الْمَعْرُوفَةُ،

{وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا} لدعاء المظلوم، {عَلِيمًا} {النساء: 148} بِعِقَابِ الظَّالِمِ. (5)

* * *

قَال: الإِمَام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {148} {لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} . يخبر تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول، أي: يبغض ذلك ويمقته ويعاقب عليه، ويشمل ذلك جميع الأقوال السيئة التي تسوء وتحزن، كالشتم والقذف والسب ونحو ذلك فإن ذلك كله من المنهي عنه الذي يبغضه الله. ويدل

وَقَالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} , وَمَعَ هَذَا , فَالصَّبْر وَالْعَفْو أَفْضَل , قَالَ الله تَعَالَى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} .

وَلِلْحَدِيثِ: " مَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا " شرح النووي (ج 8 / ص 398)

(1) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1981).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (68) - (2587).

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4894).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (7204).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن)- سورة (النساء)آية (148)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (148).

(3) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (148).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (148). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

---

(5) انظر:(مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (148).

مفهومها أنه يحب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين.

وقوله: {إلا من ظُلم} أي: فإنه يجوز له أن يدعو على من ظلمه ويتشكى منه، ويجهر بالسوء لمن جهر له به، من غير أن يكذب عليه ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك فعفوه وعدم مقابلته أولى، كما قال تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}.

{وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} ولما كانت الآية قد اشتملت على الكلام السيئ والحسن والمباح، أخبر تعالى أنه {سميع} فيسمع أقوالكم، فاحذروا أن تتكلموا بما يغضب ربكم فيعاقبكم على ذلك. وفيه أيضا ترغيب على القول الحسن. {عَلِيمٌ} بنياتكم ومصدر أقوالكم.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ: {لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ} "

قَالَ: (ابْنِ عَبَّاس): (مَعْنَاهُ: لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بالدُّعَاءِ الشَّرِّ عَلَى أحَدٍ إلاَّ أنْ يَظْلَمَ فِيْهِ " فَيَدْعُو عَلَى ظَالِمِهِ فَلاَ يُعَابُ عَلَى ذلِكَ، وَهُوَ مَأذُونٌ لَهُ فِي أنْ يَشْكُو ظَالِمَهُ وَيَدْعُو عَلَيْهِ).

وَيقالُ: (إلاَّ مَنْ ظُلِمَ) استثناءٌ منقطع " معناهُ: لكن المظلومَ يجهر بظلاَمَتِه تَشَكِّياً.

وفي تفسير الحسن: (لاَ يُحِبُّ اللهُ الْمُشْتِّمَ فِي الانْتِصَارِ إلاَّ مَنْ ظُلِمَ، فَلاَ بَأسَ لَهُ أنْ يَنْتَصِرَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ بِمَا يَجُوزُ لَهُ الانْتِصَارُ بِهِ فِي الدِّيْنِ).

ونظيرُه قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَانتَصَرُواْ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ} {الشعراء: 227}.

قَالَ: (الحسنُ): (لاَ يَجُوزُ للرَّجُلِ ((إذا قِيْلَ لَهُ)): يَا زَانِي، أنْ يَقُولَ بمِثْلِ ذلِكَ أوْ نَحْوِهِ مِنْ أنْوَاعِ الشَّتْمِ).

وقال: (مجاهدُ): (نَزَلَتْ هَذِه الآيَةُ فِي الضَّيْفِ إذا لَمْ يُضَفْ وَمُنِعَ حَقَّهُ، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ أنْ يَشْكُو)، والضِّيَافَةُ ثلاثَةُ أيَّامٍ.

ومن قرأ {إلاَّ مَنْ ظَلَمَ} بنصب الظاء، فمعناهُ لكن الظالمُ يجهرُ بذلك ظُلماً واعتداءً.

وَقِيْلَ: لكِنِ الظَّالِمُ إجْهَرُوا لَهُ بالسُّوءِ مِنَ القول.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً} " أي {سَمِيعاً} لدُعاءِ الْمَظْلُوم "

{عَلِيماً} بعقوبة الظالم.

ويقالُ: (سَمِيْعاً) لجميع المسموعات "

{عَلِيماً} لجميع المظلومات.

فقولهُ تعالى: {إلاَّ مَن ظُلِمَ} في موضع نصب على الاستثناء المنقطع.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلا مَنْ ظُلِمَ} قَالَ: (قَتَادَة): عذر الله الْمَظْلُوم أَن يدْعُو.

وَقَالَ: (مُجَاهِد): هُوَ الضَّيْف ينزل فيحول رَحْلَهُ، فَيَقُول: فعل الله بِهِ، لم ينزلني!.(1)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (148)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (148).

* * *

: الإِمَــامُ (إِبْــنِ كَــثِير) – (رحمــه اللَّه) – في (تفســيره) = (تَفْسِــيرُ الْقُــرآنِ الْعَظِــيم):- {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (148)}

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ} يَقُولُ: لَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، إِلا أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا، فَإِنَّهُ قَدْ أَرْخَصَ لَهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: {إِلا مَنْ ظُلِمَ} وَإِنْ صَبَرَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): لَا يَدْعُ عَلَيْهِ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِ، وَاسْتَخْرِجْ حَقِّي مِنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ قَالَ: قَدْ أُرْخِصَ لَهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ: عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ مَالِكٍ الْجَزَرِيّ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هُوَ الرَّجُلُ يَشْتُمُكَ فَتَشْتُمُهُ، وَلَكِنْ إِنِ افْتَرَى عَلَيْكَ فَلَا تَفْتَرِ عَلَيْهِ" لِقَوْلِهِ: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} {الشُّورَى: 41}.

وَقَالَ الإِمَامُ (أَبُو دَاوُدَ): حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ مِنْهُمَا، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ)) . (2)

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاقِ): أَنْبَأَنَا الْمُثَنَّى بْنُ الصَّبَّاحِ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ} قَالَ: ضَافَ رَجُلٌ رَجُلًا فَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهِ حَقَّ ضِيَافَتِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ أَخْبَرَ النَّاسَ، فَقَالَ: ((ضِفْتُ فُلَانًا فَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيَّ حَقَّ ضِيَافَتِي)). فَذَلِكَ الْجَهْرُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَا مَنْ ظُلِمَ، حِينَ لَمْ يُؤَدِّ الْآخَرُ إِلَيْهِ حَقَّ ضِيَافَتِهِ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ): عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ (مُجَاهِدٍ): {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا مَنْ ظُلِمَ} قَالَ: قَالَ هُوَ الرَّجُلُ يَنْزِلُ بِالرَّجُلِ فَلَا يُحْسِنُ ضِيَافَتَهُ، فَيَخْرُجُ فَيَقُولُ: ((أَسَاءَ ضِيَافَتِي، وَلَمْ يُحْسِنْ)).

وَفِي رِوَايَةٍ هُوَ الضَّيْفُ الْمُحَوِّلُ رحلَه، فَإِنَّهُ يَجْهَرُ لِصَاحِبِهِ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ.

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، عَنْ (مُجَاهِدٍ)، نَحْوُ هَذَا. وَقَدْ رَوَى الْجَمَاعَةُ سِوَى الإِمَامِ (النَّسَائِيِّ)، وَ(التِّرْمِذِيِّ)، مِنْ طَرِيقِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ –وَ الإِمَامِ (التِّرْمِذِيِّ) – مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ-كِلَاهُمَا عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ (عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ) قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَبْعَثُنَا فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلَا يَقْرُونَا، فَمَا تَرَى فِي ذَلِكَ؟ قَالَ: ((إِذَا نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (148) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2587)، - ((كتاب: البر والصلة و الآداب).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (4894).

يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ، فَاقْبَلُوا مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ)) (1).

وَقَالَ: الإمام (أَحْمَدُ) أَيْضًا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيد، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ، عَنِ الشَّعْبِي عَنِ الْمِقْدَامِ أَبِي كَرِيمَةَ، سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((لَيْلَةُ الضَّيْفِ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِم، فَإِنْ أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ مَحْرُومًا كَانَ دَيْنًا لَهُ عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ اقْتَضَاهُ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ)) (2).

ثُمَّ رَوَاهُ أَيْضًا عَنْ غُنْدَر عَنْ شُعْبَةَ. وَعَنْ زِيَاد بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِي. عَنْ وَكِيع، وأَبِي نُعَيْم، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ -ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ مَنْصُور، بِهِ.

وَكَذَا رَوَاهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ) - مِنْ حَدِيث - أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ مَنْصُور، بِهِ (3).

وَمِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَأَمْثَالِهَا ذَهَبَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ إِلَى وُجُوبِ الضِّيَافَةِ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ الْحَدِيثُ الذي رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّار.

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيّ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَان، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ): أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: إِنْ لِي جَارًا يُؤْذِينِي، فَقَالَ لَهُ: ((أَخْرِجْ مَتَاعَكَ فَضَعْهُ عَلَى الطَّرِيقِ". فَأَخَذَ الرَّجُلُ مَتَاعَهُ فَطَرَحَهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ كُلُّ مَنْ مَرَّ بِهِ قَالَ: مَالَكَ؟ قَالَ: جَارِي يُؤْذِينِي. فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، اللَّهُمَّ أَخْزِهِ! قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ، وَقَال لَا أُوذِيكَ أَبَدًا)).

وَقَدْ رَوَاهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ) فِي (كِتَاب الْأَدَبِ)، عَنْ أَبِي تَوْبَةَ الرَّبِيعِ بْنِ نَافِع، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَيَّانَ أَبِي خَالِدٍ الْأَحْمَرِ، عَنْ مُحَمَّد بْنِ عَجْلَانَ بِهِ (4).

ثُمَّ قَالَ الإمام (الْبَزَّارُ): لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) إِلَا بِهَذَا الْإِسْنَاد،

وَرَوَاهُ (أَبُو جُحَيْفَةَ وَهْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَام، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. (5)(6)

* * *

---

(1) (متفق عليه) :أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2461، 6137)،- وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1727)

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (3752).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1589).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3676).

(2) (صحيح):أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (4/130-133).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (3676) - ((كتاب : الأدب)).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (4/ 130).

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (2204).

و(صححه) الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (الصحيح المسند ننا ليس في الصحيحن) برقم (2/ 220).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (3750) – ((كتاب : الأطعمة)).

(4) (حسن): أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (5153) – ((كتاب : الأدب)).

ورواه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4/165) - من طريق- صفوان بن عيس به، وقال: (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه وهو على شرط الإمام (مسلم)، ووافقه الإمام (الذهبي).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح أبي داود).

و(حسنه) الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) في (تحقيقه لتفسير - ابن كثبر) برقم (2/540).

(5) أما حديث - (أبي جحيفة) فرواه الإمام (البزار) في (مسنده) برقم (1903) "كشف الأستار". قال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) (8/170) : "فيه أبو عمر المنيهي تفرد عنه شريك وبقية رجاله ثقات.

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (148)، لِلإِمَامْ (ابن كثير). .

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

وأما قوله: {وكان الله سميعًا عليمًا}، فإنه يعني: {وكان الله سميعًا}، لما تجهرون به من سوء القول لمن تجهرون له به، وغير ذلك من أصواتكم وكلامكم، {عليمًا}، بما تخفون من سوء قولكم وكلامكم لمن تخفون له به فلا تجهرون له به، محص كل ذلك عليكم، حتى يجازيكم على ذلك كله جزاءكم، المسيء بإساءته، والمحسن بإحسانه. (1)

* * *

[١٤٩] ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن تُظْهِرُوا أي خير قولي أو فعلي، أو تستروه، أو تتجاوزوا عمن أساء إليكم" فإن الله كان عفوًا قديرًا، فليكن العفو من أخلاقكم، لعل الله أن يعفو عنكم. (2)

* * *

يَعْنِي:- نَدَبَ الله تعالى إلى العفو، ومهَّد له بأنَّ المؤمن: إمَّا أن يُظْهِر الخير، وإمَّا أن يُخفيه، وكذلك مع الإساءة: إما أن يظهرها في حال الانتصاف من المسيء، وإما أن يعفو ويصفح، والعفوُ أفضلُ" فإن من صفاته تعالى العفو عن عباده مع قدرته عليهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن تُظهروا خيراً أو تُسروه، أو تصفحوا عمن يسئ إليكم، يُثبكم الله لتخلقكم بأخلاقه - تعالى - من العفو مع كمال القدرة، والله - سبحانه - عظيم العفو كامل القدرة. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنْ تُبْدُوا} ... تُظْهِرُوا، ولا تخفوا.

{إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ} ... بعد ما أطلق الجهر بالسوء وجعله محبوبا حث على الأحب إليه والأفضل عنده والأدخل فى الكرم والتخشع والعبودية.

وذكره إبداء الخير وإخفائه تشبيبا للعفو.

{خَيْرًا} ... مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ.

{أَوْ تُخْفُوهُ} .. تَعْمَلُوهُ سِرًّا.

{أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ} ... ظلم .(أي: لا تؤاخذوا به).

{أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ} ... عطف العفو عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وأن له مكانا فى باب الخير وسيطا.

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} ... هذا التعقيب دليل على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه، أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حُجر. قالوا: حدثنا إسماعيل وهو ابن

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (148)، للإمَام (الطبري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (102/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (102/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (138/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن (أبي هريرة)، عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)).(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (ابن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: أخبر الله عباده بحكمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته فمن أذنب ذنبا صغيرا أو كبيرا ثم استغفر الله يجد الله غفورا رحيما ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال.(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {إِن تُبْدُواْ خَيْراً} إن تردوا جوابا حسنا {أَوْ تُخْفُوهُ} ولا تحتقروا {أَوْ تَعْفُواْ} تتجاوزوا {عَن سُوءٍ} عَن مظْلمَة {فَإِنَّ الله كَانَ عَفُوّاً} متجاوزاً للمظلوم {قَدِيراً} بعقوبة الظَّالِم.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {149} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا} يَعْنِي: حَسَنَةً فَيَعْمَلُ بِهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَإِنْ هَمَّ بِهَا وَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً،

وَهُوَ قَوْلُهُ: {أَوْ تُخْفُوهُ} يَعْنِي:- الْمُرَادُ مِنَ الْخَيْرِ: الْمَالُ، يُرِيدُ: إِنْ تُبْدُوا صَدَقَةً تُعْطُونَهَا جَهْرًا أَوْ تُخْفُوهَا فَتُعْطُوهَا سِراً،

{أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ} أَيْ: عَنْ مَظْلَمَةٍ،

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} {النساء: 149} فَهُوَ أَوْلَى بِالتَّجَاوُزِ عَنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثم قال تعالى: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ} وهذا يشمل كل خير قوليّ وفعليّ، ظاهر وباطن، من واجب ومستحب.

{أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ} أي: عمن ساءكم في أبدانكم وأموالكم وأعراضكم، فتسمحوا عنه، فإن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا لله عفا الله عنه، ومن أحسن أحسن الله إليه،

فلهذا قال: {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} أي: يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن قدرته.

وفي هذه الآية إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى، كما في هذه الآية.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2001/4)، (ح 2588) – (كتاب: البر والصلة)، / باب: (استحباب العفو والتواضع).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإِمَام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (149).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (149). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (149).

لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك، بأن أحالنا على معرفة أسمائه وأن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص.(1)

* * *

قال : الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ : {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} أَيْ: إِنْ تُظْهِرُوا أيها النَّاس-خَيْرًا، أَوْ أَخْفَيْتُمُوهُ، أَوْ عَفَوْتُمْ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُقَرِّبُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَيُجْزِلُ ثَوَابَكُمْ لَدَيْهِ، فَإِنَّ مِنْ صِفَاته تَعَالَى أَنْ يَعْفُوَ عَنْ عِبَاده مَعَ قُدْرَته عَلَى عِقَابِهِمْ. وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}"

وَلِهَذَا وَرَدَ فِي الْأَثَرِ: أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: سُبْحَانَكَ عَلَى حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ. وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: سُبْحَانَكَ عَلَى عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ. وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: ((مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ)).(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-
القول في تأويل قوله : {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (149)}

قال (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه "إن تبدوا" أيها الناس="خيرًا"، يقول: إن تقولوا جميلا من القول لمن أحسن إليكم، فتظهروا ذلك شكرًا منكم له على ما كان منه من حسن إليكم =،"أو تخفوه"، يقول: أو تتركوا إظهار ذلك فلا تبدوه ="أو تعفوا عن سوء"، يقول: أو تصفحوا لمن أساءَ إليكم عن إساءته، فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي قد أذنت لكم أن تجهروا له به="فإن الله كان عفوًّا"، يقول: لم يزل ذا عفو عن خلقه، يصفح عمن عصَاه وخالف أمره ،"قديرًا"، يقول: ذا قدرة على الانتقام منهم.

وإنما يعني بذلك: أن الله لم يزل ذا عفو عن عباده، مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إيّاه.

يقول: فاعفوا، أنتم أيضًا، أيها الناس، عمن أتى إليكم ظلمًا، ولا تجهروا له بالسوء من القول، وإن قدرتم على الإساءة إليه، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره.(3)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً} " معناه : إنْ تُظْهِرُوا خيراً أو تُسِرُّوهُ أو تعفُوا عن مَظْلَمَةٍ ظُلِمْتُمْ بها "

{فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً} . العَفُوُّ : كَثِيرُ الْعَفْوِ مِن غَيرِ حَصْرٍ ،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (149)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) رواه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (2588)- ((كتاب : البر والصلة والآداب))- من حديث- (أبي هريرة) - (رضي الله عنه).

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (149)، للإمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (149)، للإمَام (الطبري).

والقديرُ والقادر بمعنى واحد " أي: أنَّ اللهَ قادرٌ على العقوبة به، ثم يعفُو عن عباده مع قدرته على الانتقام.

وقِيْلَ: معنَى الآيَة: إن تَردُّوا جواباً حَسَناً أو تَسْكُتُوا عن الظالِم ولا تُحَقِّروُه ولا تؤاخذوه بظُلْمه " فإن يُعفَ عن الظالم ذنوبُهُ " فإن عَفْوَ اللهِ عن معاصيكم أكثرُ من عفوِكم عمن ظلَمكم. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعفوا عَن سوء} الْآيَة هُوَ كَقَوْله: {إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعلمهُ الله}. (2)

* * *

[١٥٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين يكفرون بالله ويكفرون برسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله وبين رسله" بأن يؤمنوا به، ويكذبوا بهم، ويقولون: نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعضهم، ويريدون أن يتخذوا طريقا بين الكفر والإيمان يتوهمون أنها تنجيهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- ن الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله بأن يؤمنوا بالله ويكذبوا رسله الذين أرسلهم إلى خلقه، أو يعترفوا بصدق بعض الرسل دون بعض، ويزعموا أنَّ بعضهم افتروا على ربِّهم، ويريدون أن يتخذوا طريقًا إلى الضلالة التي أحدثوها والبدعة التي ابتدعوها. (4)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين لا يؤمنون بالله ورسله، والذين يريدون التفرقة في الإيمان بالله ورسله ويقولون: نؤمن ببعض الرسل دون بعض، فيؤمنون بمن يحبون، ويكفرون بمن لا يحبون، والواجب الإيمان بالجميع، لأن الإيمان لا يقبل أن يتجزأ. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ} ... بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ دُونهمْ.

(أي: جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله وآمنوا بالله وببعض رسله، وكفروا ببعض، كافرين بالله ورسله جميعا).

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني في سورة (النساء) الآية (149).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (149) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (102/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (102/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (138/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَرُسُلِهِ} ... الرسل: جمع رسول وهم جم غفير، قيل: عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رسولاً.[2]

{وَيَقُولُونَ نُؤْمِن بِبَعْضٍ} ... مِنْ الرُّسُل.

{وَنَكْفُر بِبَعْضٍ} ... مِنْهُمْ.

{وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} ... أي: أن يتخذوا دينا وسطا بين الإيمان والكفر.

{وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ} ... الْكُفْر وَالْإِيمَان {سَبِيلًا} ... طَرِيقًا يَذْهَبُونَ إلَيْهِ

{سَبِيلاً} ... أي: طريقاً بين الكفر والإيمان، وليس ثم إلا طريق واحد وهو الإيمان أو الكفر فمن آمن بكل الرسل فهو المؤمن، ومن آمن بالبعض وكفر بالبعض فهو الكافر كمن لم يؤمن بأحد منهم.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده) – عن (قتادة): قوله: (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن لبعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) ، أولئك أعداء الله اليهود والنصارى. أمنت اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى. وأمنت النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بالقرآن وبمحمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فاتخذوا اليهودية والنصرانية، وهما بدعتان وليستا من الله، وتركوا الإسلام وهو دين الله الذي بعث به رسله.[1]

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):- {إِنَّ الَّذين يكفرون بِاللَّه وَرُسُله} يَعْنِي كَعْبًا وَأَصْحَابه {وَيُرِيدُونَ أَن يفرقوا بَين الله وَرُسُله} بِالنُّبُوَّةِ وَالْإِسْلَام {وَيَقُولُونَ نؤمن بِبَعْض} بِبَعْض الْكتب وَالرسل {وَنَكْفُر بِبَعْض} بِبَعْض الْكتب وَالرسل {وَيُرِيدُونَ أَن يتخذوا بَين ذَلِك} بَين الْكفْر وَالْإِيمَان {سَبِيلا} دينا.[2]

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {150} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} الْآيَةَ، نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالتَّوْرَاةِ وَعُزَيْرٍ، وَكَفَرُوا بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ وَبِمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ، {وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} {النساء: 150} أَيْ: دِينًا بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَمَذْهَبًا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ.[3]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {150} {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامِ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (151).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (150). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(3) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل لِلإمَامِ (البغوي) سورة (النساء) الآية (150).

اللَّـهِ وَرُسُـلِهِ وَيَقُولُـونَ نُـؤْمِنُ بِـبَعْضٍ وَنَكْفُـرُ بِـبَعْضٍ وَيُرِيـدُونَ أَنْ يَتَّخِـذُوا بَـيْنَ ذَلِـكَ سَـبِيلا﴾. هنـا قسمان قـد وضحا لكـل أحـد: مـؤمنٌ بـالله وبرسله كلِّهم وكتبه، وكافرٌ بذلك كله.

وبقي قسم ثالث: وهـو الـذي يـزعم أنـه يـؤمن بـبعض الرسـل دون بعـض، وأن هـذا سـبيل ينجيـه مـن عـذاب الله، إنْ هـذا إلا مجـرد أمـاني. فـإن هـؤلاء يريـدون التفريـق بـين الله وبين رسله.

فـإن مـن تـولى الله حقيقـة تـولى جميـع رسـله لأن ذلـك مـن تمـام توليـه، ومـن عـادى أحـدا مـن رسـله فقـد عـادى الله وعـادى جميـع رسـله، كمـا قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ الآيات.(1)

* * *

قـال : الإِمَـامُ (إبـن كـثير) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- ﴿إِنَّ الَّـذِينَ يَكْفُـرُونَ بِاللَّـهِ وَرُسُـلِهِ وَيُرِيـدُونَ أَنْ يُفَرِّقُـوا بَـيْنَ اللَّـهِ وَرُسُـلِهِ وَيَقُولُـونَ نُـؤْمِنُ بِـبَعْضٍ وَنَكْفُـرُ بِـبَعْضٍ وَيُرِيـدُونَ أَنْ يَتَّخِـذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا (150)﴾

يَتَوَعَّـدُ تَبَـارَكَ وَ تَعَـالَى الْكَـافِرِينَ بِـهِ وَبِرُسُـلِهِ مِـنَ الْيَهُـودِ وَالنَّصَـارَى، حَيْـثُ فَرَّقُـوا بَـيْنَ اللَّـهِ وَرُسُـلِهِ فِـي الْإِيمَـانِ، فَـآمَنُوا بِـبَعْضِ الْأَنْبِيَـاءِ وَكَفَـرُوا بِـبَعْضٍ، بِمُجَـرَّدِ التَّشَـهِّي وَالْعَـادَةِ، وَمَـا أَلْفَـوْا عَلَيْـهِ آبَـاءَهُمْ، لَا عَـنْ دَلِيـلٍ قَـادَهُمْ إِلَـى ذَلِـكَ، فَإِنَّـهُ لَا سَـبِيلَ لَهُـمْ إِلَـى ذَلِـكَ بَـلْ بِمُجَـرَّدِ الْهَـوَى وَالْعَصَـبِيَّةِ. فَـالْيَهُودُ -عَلَـيْهِمْ لَعَـائِنُ اللَّـهِ- آمَنُـوا بِالْأَنْبِيَـاءِ إلا عيسـى ومحمـد عَلَهمـا الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ، وَالنَّصَـارَى آمَنُـوا بِالْأَنْبِيَـاءِ وَكَفَـرُوا بِخَـاتَمِهِمْ وَأَشْـرَفِهِمْ مُحَمَّـدٍ- صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-، وَالسَّـامِرَةُ لَا يُؤْمِنُـونَ بِنَبِـيٍّ بَعْـدَ يُوشَـعَ خَلِيفَـةِ مُوسَـى بْـنِ عِمْـرَانَ، وَالْمَجُـوسُ يُقَـالُ: إِنَّهُـمْ كَـانُوا يُؤْمِنُـونَ بِنَبِـيٍّ لَهُـمْ يُقَـالُ لَـهُ زَرَادُشْـتُ، ثُـمَّ كَفَـرُوا بِشَـرْعِهِ، فَرُفِـعَ مِـنْ بَـيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالْمَقْصُـودُ أَنَّ مَـنْ كَفَـرَ بِنَبِـيٍّ مِـنَ الْأَنْبِيَـاءِ، فَقَـدْ كَفَـرَ بِسَـائِرِ الْأَنْبِيَـاءِ، فَـإِنَّ الْإِيمَـانَ وَاجِـبٌ بِكُـلِّ نَبِـيٍّ بَعَثَـهُ اللَّـهُ إِلَـى أَهْـلِ الْـأَرْضِ، فَمَـنْ رَدَّ نُبُوَّتَـهُ لِلْحَسَـدِ أَوِ الْعَصَـبِيَّةِ أَوِ التَّشَـهِّي تَبَـيَّنَ أَنَّ إِيمَانَـهُ بِمَـنْ آمَـنَ بِـهِ مِـنَ الْأَنْبِيَـاءِ لَـيْسَ إِيمَانًـا شَرْعِيًّا، إِنَّمَا هُوَ عَنْ غَرَضٍ وَهَوًى وَعَصَبِيَّةٍ"

وَلِهَـذَا قَـالَ تَعَـالَى: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ يَكْفُـرُونَ بِاللَّـهِ وَرُسُلِهِ﴾ فَوَسَمَهُمْ بِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ.

﴿وَيُرِيـدُونَ أَنْ يُفَرِّقُـوا بَـيْنَ اللَّـهِ وَرُسُـلِهِ﴾ أَيْ: فِي الْإِيمَانِ.

﴿وَيَقُولُـونَ نُـؤْمِنُ بِـبَعْضٍ وَنَكْفُـرُ بِـبَعْضٍ وَيُرِيـدُونَ أَنْ يَتَّخِـذُوا بَـيْنَ ذَلِـكَ سَـبِيلا﴾ أَيْ: طَرِيقًـا وَمَسْلَكًا.(2)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (محمـد بـن علـي الشـوكاني اليـمني) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- ﴿إِنَّ الَّـذِينَ يَكْفُـرُونَ بِاللَّـهِ وَرُسُـلِهِ وَيُرِيـدُونَ أَنْ يُفَرِّقُـوا بَـيْنَ اللَّـهِ وَرُسُـلِهِ وَيَقُولُـونَ نُـؤْمِنُ بِـبَعْضٍ وَنَكْفُـرُ بِـبَعْضٍ وَيُرِيـدُونَ أَنْ يَتَّخِـذُوا بَـيْنَ ذَلِـكَ سَـبِيلاً (150)﴾

لَمَّـا فَـرَغَ مِـنْ ذِكْـرِ الْمُشْـرِكِينَ وَالْمُنَـافِقِينَ ذَكَـرَ الْكُفَّـارَ مِـنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ، وَهُـمُ الْيَهُـودُ وَالنَّصَـارَى، لِـأَنَّهُمْ كَفَـرُوا بمحمـد -صـلّى الله عليـه وَسَـلَّمَ-، فَكَـانَ ذَلِـكَ كَـالْكُفْرِ بِجَمِيـعِ

---

(1) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (النسـاء) الآية (150)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (النسـاء) الآيـة (150)، للإِمَـامُ (ابن كثير).

الرُّسُلِ وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ، وَالْكُفْرُ بِذَلِكَ كُفْرٌ بِاللَّه، وَيَنْبَغِي حَمْلُ قَوْلِه:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} ... عَلَى أَنَّهُ اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ كُفْرَهُمْ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ، لَا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِه جَمِيعًا، فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَلَا بِجَمِيعِ رُسُلِه، لَكِنَّهُمْ لَمَّا كَفَرُوا بِالْبَعْضِ كَانَ ذَلِكَ كُفْرٌ بِاللَّهِ وَبِجَمِيعِ الرُّسُلِ.

وَمَعْنَى: {وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ} .... أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِالرُّسُلِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِبَعْضِهِمْ وَآمَنُوا بِاللَّهِ، فَكَانَ ذَلِكَ تَفْرِيقًا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ رُسُلِه وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ هُمُ الْيَهُودُ آمَنُوا بِمُوسَى وكفروا بعيسى ومحمد، وكذلك النَّصَارَى آمَنُوا بِعِيسَى وَكَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أَيْ: يَتَّخِذُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ دِينًا مُتَوَسِّطًا بَيْنَهُمَا. (1)

* * *

[١٥١] ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولئك الذين يسلكون هذا المسلك هم الكافرون حقًّا" ذلك أنّ من كفر بالرسل أو ببعضهم فقد كفر بالله وبرسله، وأعددنا للكافرين عذابًا مذلًا لهم يوم القيامة، عقابًا لهم على تكبرهم عن الإيمان بالله وبرسله. (2)

* * *

يَعْنِي:- أولئك هم أهل الكفر المحقَّق الذي لا شك فيه، وأعتدنا للكافرين عذابًا يخزيهم ويهينهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- هؤلاء جميعاً هم المعنون فى الكفر البين، وقد أعد الله لهم ولأمثالهم عذاباً شديداً مذلاً. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} ... مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَه.

{أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} ... أي: هم الكاملون فى الكفر.

{حَقًّا} ... تأكيد لمضمون الجملة، أي حق ذلك حقا، وهو كونهم كاملين فى الكفر. أو هو صفة لمصدر (الكافرين) أي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه.

{وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} ... ذَا إِهَانَة وَهُوَ عَذَاب النَّار.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} الْبَتَّةَ {وَأَعْتَدْنَا

---

(1) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (150). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (102/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (102/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (138/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لِلْكَافِرِينَ} لليهود وغيرهم {عَذَاباً مُّهِيناً} يهانون به ويُقال شديدا.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {151} {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} حقَّق كُفْرَهُمْ لِيُعلم أَنَّ الْكُفْرَ بِبَعْضِهِمْ كَالْكُفْرِ بِجَمِيعِهِمْ {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} {النساء: 151}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول- الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر.

ووجه كونهم كافرين - حتى بما زعموا الإيمان به- أن كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به موجود هو أو مثله أو ما فوقه للنبي الذي كفروا به، وكل شبهة يزعمون أنهم يقدحون بها في النبي الذي كفروا به موجود مثلها أو أعظم منها فيمن آمنوا به.

فلم يبق بعد ذلك إلا التشهي والهوى ومجرد الدعوى التي يمكن كل أحد أن يقابلها بمثلها، ولما ذكر أن هؤلاء هم الكافرون حقا ذكر عقابا شاملا لهم ولكل كافر فقال: {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} كما تكبروا عن الإيمان بالله، أهانهم بالعذاب الأليم المخزي.(3)

* * *

قال : الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ، فَقَالَ: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} أَيْ: كُفْرُهُمْ مُحقَّقٌ لَا مَحَالَةَ بِمَنِ ادَّعَوُا الْإِيمَانَ بِهِ" لِأَنَّهُ لَيْسَ شَرْعِيًّا، إِذْ لَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِهِ لِكَوْنِهِ رَسُولَ اللَّهِ لَآمَنُوا بِنَظِيرِهِ، وَبِمَنْ هُوَ أَوْضَحُ دَلِيلًا وَأَقْوَى بُرْهَانًا مِنْهُ، لَوْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ فِي نُبُوَّتِهِ.

وَقَوْلُهُ: {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} أَيْ: كَمَا اسْتَهَانُوا بِمَنْ كَفَرُوا بِهِ إِمَّا لِعَدَمِ نَظَرِهِمْ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ وَإِقْبَالِهِمْ عَلَى جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا مِمَّا لَا ضَرُورَةَ بِهِمْ إِلَيْهِ، وَإِمَّا بِكُفْرِهِمْ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِنُبُوَّتِهِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَيْثُ حَسَدُوهُ عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ النُّبُوَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ وَعَادَوْهُ وَقَاتَلُوهُ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الذُّلَّ الدُّنْيَوِيَّ الْمَوْصُولَ بِالذُّلِّ الْأُخْرَوِيِّ: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} {الْبَقَرَةِ: 61} فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(4)

* * *

قال: الإمام (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {أُولئِكَ هُمُ

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (151). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (151).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (151)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (151)، للإمام (ابن كثير).

الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً (151)}

فَالْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ذلِكَ إِلَى قَوْلِهِ نُؤْمِنُ وَنَكْفُرُ أُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ أَيْ: الْكَامِلُونَ فِي الْكُفْرِ. وَقَوْلُهُ: حَقًّا مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ، أَيْ: حَقَّ ذلِكَ حقا، أو هو صفة الْكَافِرِينَ، أَيْ: كُفْرًا حَقًّا. (1)

* * *

[١٥٢] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والذين آمنوا بالله ووحدوه، ولم يشركوا به أحدًا، وصدقوا برسله جميعًا، ولم يفرقوا بين أحد منهم كما يفعله الكافرون، بل آمنوا بهم جميعًا" أولئك سوف يعطيهم الله أجرًا عظيمًا جزاء إيمانهم وأعمالهم الصالحة التابعة منه، وكان الله غفورًا لمن تاب من عباده، رحيمًا بهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- والذين صَدَّقوا بوحدانية الله، وأقَرُّوا بنبوَّة رسله أجمعين، ولم يفرقوا بين أحد منهم، وعملوا بشريعة الله، أولئك سوف يعطيهم جزاءهم وثوابهم على إيمانهم به وبرسله. وكان الله غفورًا رحيمًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- وأما من آمنوا بالله ورسله، ولم يُكذِّبوا بأحد منهم، فإن الله يثيبهم على كامل إيمانهم الثواب العظيم، والله غفور للتائبين، رحيم بعباده. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} ... كُلِّهِمْ.

{وَلَمْ يُفَرِّقُوا} ... كما فرق اليهود فآمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكما فرق النصارى آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهم لذلك كفار.

{أُجُورَهُمْ} ... أجر إيمانهم برسل الله وعملهم الصالح، وهو الجنة دار النعيم.

{بَيْنَ أَحَدٍ} ... جاز دخول بَيْنَ على أَحَد وهو يقتضي شيئين فصاعدا، لأن (أحدا) عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما.

والمعنى: ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة.

{أجورهم} ... ثواب أعمالهم.

{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا} ... لِأَوْلِيَائِه.

{رَحِيمًا} ... بِأَهْلِ طَاعَتِه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

---

(1) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (151). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (102/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (102/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (138/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {وَالَّذِين آمَنُوا بِاللَّه وَرُسُلِه} وَهُوَ عبد الله ابْن سَلام وَأَصْحَابه {وَلم يُفرِّقُوا بَين أحد مِّنْهُم} بَين النَّبِيين وَبَين الله بِالنُّبُوَّة وَالْإِسْلَام {أُولَئِكَ سَوف يُؤْتِيهِم} نعطيهم {أُجُورَهُمْ} ثوابهم فِي الْآخِرَة {وَكَانَ الله غَفُوراً} لمن تَابَ مِنْهُم {رَّحِيماً} لمن مَاتَ على التَّوْبَة. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {152} {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} كُلِّهِمْ {وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} يَعْنِي: بَيْنَ الرُّسُلِ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، يَقُولُونَ: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ،

{أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ} بِإِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ،

قَرَأَ (حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ) (يُؤْتِيهِمْ) بِالْيَاءِ، أَيْ: يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ، وَالْبَاقُونَ بِالنُّونِ، {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} {النساء: 152}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} وهذا يتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه وبكل ما جاءت به الرسل من الأخبار والأحكام.

{وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ} من رسله، بل آمنوا بهم كلهم، فهذا هو الإيمان الحقيقي، واليقين المبني على البرهان.

{أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ} أي: جزاء إيمانهم وما ترتب عليه من عمل صالح، وقول حسن، وخلق جميل، كُلٌّ على حسب حاله. ولعل هذا هو السر في إضافة الأجور إليهم،

{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} يغفر السيئات ويتقبل الحسنات. (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يفرقُوا بَين أحد مِنْهُم} هُوَ كَقَوْلِه: {قُولُوا ءامنا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيم} الْآيَة. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150)}

يَتَوَعَّدُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْكَافِرِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، حَيْثُ فَرَّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ فِي الْإِيمَانِ، فَآمَنُوا بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ، بِمُجَرَّدِ التَّشَهِّي وَالْعَادَةِ، وَمَا أَلْفَوْا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ، لَا عَنْ دَلِيلٍ قَادَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ بَلْ بِمُجَرَّدِ الْهَوَى وَالْعَصَبِيَّةِ. فَالْيَهُودُ -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ- آمَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ إلا عيسى ومحمد عَلَهما الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالنَّصَارَى آمَنُوا بِالْأَنْبِيَاءِ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (152). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (152).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (152)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (153) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

وَكَفَرُوا بِخَاتَمِهِمْ وَأَشْرَفِهِمْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالسَّامِرَةُ لَا يُؤْمِنُونَ بِنَبِيٍّ بَعْدَ يُوشَعَ خَلِيفَةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَالْمَجُوسُ يُقَالُ: إِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِنَبِيٍّ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ زَرَادِشْتُ، ثُمَّ كَفَرُوا بِشَرْعِهِ، فَرُفِعَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِنَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَدْ كَفَرَ بِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ بِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَنْ رَدَّ نُبُوَّتَهُ لِلْحَسَدِ أَوِ الْعَصَبِيَّةِ أَوِ التَّشَهِّي تَبَيَّنَ أَنَّ إِيمَانَهُ بِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ إِيمَانًا شَرْعِيًّا، إِنَّمَا هُوَ عَنْ غَرَضٍ وَهَوًى وَعَصَبِيَّةٍ"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} فَوَسَمَهُمْ بِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ.

{وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ} أَيْ: فِي الْإِيمَانِ.

{وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا} أَيْ: طَرِيقًا وَمَسْلَكًا.(1)

* * *

قال: الإمام (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ: {وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ}... بِأَنْ يَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ، وَدُخُولُ بَيْنَ عَلَى أَحَدٍ لِكَوْنِهِ عَامًّا فِي الْمُفْرَدِ مُذَكَّرًا وَمُؤَنَّثًا وَمُثَنَّاهُمَا وَجَمْعِهِمَا.(2)

* * *

[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يسألك أيها الرسول- ﷺ - اليهود أن تنزل عليهم كتابًا من السماء جملة واحدة كما وقع لموسى، يكون علامة لصدقك، فلا تستعظم منهم ذلك، فقد سأل أسلافهم موسى أعظم مما سألك هؤلاء، حيث سألوه أن يريهم الله عيانًا، فصُعِقوا عقابًا لهم على ما ارتكبوه، ثم أحياهم الله، فعبدوا العجل من دون الله من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله وتفرده بالربوبية والألوهية، ثم تجاوزنا عنهم، وأعطينا موسى حجة واضحة على قومه.(3)

* * *

يَعْنِي:- يسألك اليهود أيها الرسول- ﷺ - معجزة مثل معجزة موسى تشهد لك بالصدق: بأن تنزل عليهم صُحُفًا من الله مكتوبةً، مثل مجيء موسى بالألواح من عند الله، فلا تعجب أيها الرسول- ﷺ - فقد سأل أسلافهم موسى -عليه السلام- ما هو أعظم: سألوه أن يريهم الله علانيةً، فصُعِقوا بسبب ظلمهم

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (152)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (152). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (102/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

أنفسهم حين سألوا أمراً ليس من حقهم. وبعد أن أحياهم الله بعد الصعق، وشاهدوا الآيات البينات على يد موسى القاطعة بنفي الشرك، عبدوا العجل من دون الله، فعفونا عن عبادتهم العجل بسبب توبتهم، وآتينا موسى حجة عظيمة تؤيِّد صدق نُبُوَّته.(1)

* * *

يَعْنِي:- يسألك - أيها الرسول - ﷺ - أهل الكتاب من اليهود متعنتين، أن تقيم دليلاً على صدق نبوتك، فتأتيهم بكتاب خاص، ينزل عليهم من السماء بصدق رسالتك، ويدعوهم إلى الإيمان بك وطاعتك، فإن استكثرت ما سألوا فلا تعجل، فقد تعنت أسلافهم فسألوا موسى أكبر من ذلك، فقالوا: أرنا الله عياناً فعاقبهم على تعنتهم وظلمهم بصاعقة أهلكتهم ثم اذكر لهؤلاء جرماً أشد وأفظع، وهو أنهم اتخذوا العجل إلهاً لهم من دون خالقهم، بعد ما عاينوا الأدلة التى أظهرها موسى لفرعون وقومه ثم وسعهم عفو الله بعد إنابتهم إليه، وأيد الله موسى بالحُجة الواضحة والكلمة النافذة.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يَسْأَلُكَ} ... يَا مُحَمَّدُ ﷺ -.

{أَهْلُ الْكِتَابِ} ... الْيَهُود.

{أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} ... جُمْلَةً كَمَا أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى تَعَنُّتًا فَإِنْ اسْتَكْبَرْت ذَلِكَ.

{فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى} ... جواب لشرط مقدر، معناه: إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ.

{فَقَدْ سَأَلُوا} ... أَيْ آبَاؤُهُمْ.

{مُوسَى أَكْبَرَ} ... أَعْظَم.

{جَهْرَةً} ... عياناً نشاهده ونراه بأبصارنا.

{جَهْرَةً} ... عيانا، أي أرنا نره جهرة.

{بِظُلْمِهِمْ} ... بسبب سؤالهم الرؤية، ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين، ولما أخذتهم الصاعقة.

{بِظُلْمِهِمْ} ... بسبب ظلمهم بطلبهم ما لا ينبغي.

(أي: حَيْثُ تَعَنَّتُوا فِي السُّؤَال).

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ} ... الْمَوْت عِقَابًا لَهُمْ

{الصَّاعِقَةُ} ... صوت حاد ورجفة عنيفة صعقوا بها.

{ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ} ... إِلَهًا. (أي: إلهاً فعبدوه).

{مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} ... الْمُعْجِزَات عَلَى وَحْدَانِيَّة اللَّه.

{فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ} ... وَلَمْ نَسْتَأْصِلهمْ.

(أي: لم يؤاخذهم به).

{وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً} ... تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم أن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه.

{وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا} ... تَسَلُّطًا بَيِّنًا ظَاهِرًا عَلَيْهِمْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِقَتْلِ أَنْفُسهمْ تَوْبَة فَأَطَاعُوهُ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (102/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (138/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{سُلْطَاناً مُبِيناً}... حجة واضحة وقدرة كاملة قهر بها أعداءه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ} كَعْب وَأَصْحَابه {أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السمآء} جملَة كالتوراة وَيُقَال أَن تنزل عَلَيْهِم كتابا فِيهِ خَيرهمْ وشرهم وثوابهم وعقابهم {فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ} مِمَّا سألوك {فقالوا أَرِنَا الله جَهْرَةً} مُعَاينَة {فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة} فَأَحرقتْهُمْ النَّار {بِظُلْمِهِمْ} بتكذيبهم مُوسَى وجراءتهم على الله {ثُمَّ اتخذوا العجل} عبدُوا العجل {مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ البينات} الْأَمر وَالنَّهْي {فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ} تركناهم وَلم نَسْتَأْصلهُمْ {وَآتَيْنَا} أعطينا {مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً} حجَّة بَيِّنَة الْيَد والعصا.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {153} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ} الْآيَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ (كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ وَفِنْحَاصَ بْنَ عَازُورَاءَ مِنَ الْيَهُودِ) قَالَا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَأْتِنَا بِكِتَابٍ جُمْلَةً مِنَ السَّمَاءِ كَمَا أَتَى بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} وَكَانَ هَذَا السُّؤَالُ مِنْهُمْ سُؤَالَ تَحَكُّمٍ وَاقْتِرَاحٍ، لَا سُؤَالَ انْقِيَادٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُنْزِلُ الْآيَاتِ عَلَى اقْتِرَاحِ الْعِبَادِ. قَوْلُهُ: {فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ} أَيْ: أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ، يَعْنِي: السَّبْعِينَ الَّذِي خَرَجَ بِهِمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْجَبَلِ، {فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} أَيْ: عِيَانًا، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَعْنَاهُ قَالُوا جَهْرَةً أَرِنَا اللَّهَ، {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ} يَعْنِي إِلَهًا، {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ} وَلَمْ نَسْتَأْصِلْهُمْ، قِيلَ: هَذَا اسْتِدْعَاءٌ إِلَى التَّوْبَةِ، مَعْنَاهُ: أَنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا تَابُوا فَعَفَوْنَا عَنْهُمْ، فَتُوبُوا أَنْتُمْ حَتَّى نَعْفُوَ عَنْكُمْ،

{وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا} [النساء: 153] أَيْ: حُجَّةً بَيِّنَةً مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، وَهِيَ الْآيَاتُ التِّسْعُ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {153} {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا}.

هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- على وجه العناد والاقتراح، وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (153). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (153).

أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم والجهل، فإن الرسول- بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد -صلى الله عليه وسلم-، {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلا بَشَرًا رَّسُولا} .

وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول- الذي يأتيكم بكتاب نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟

بل نزول هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا * وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} .

فلما ذكر اعتراضهم الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلكوه مع الرسول- الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الله عيانا، وا تخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. (1)

* * *

قوله تعالى: (ثم ا تخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك)

قال: الإمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا سبب عفوه عنهم ذنب ا تخاذ العجل إلها ولكنه بينه في {سورة البقرة} بقوله: (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) . (2)

* * *

قال: الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): إنما سمى العجل لأنهم عجلوا فا تخذوه قبل أن يأتيهم موسى. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مجاهد): قوله: (العجل) حسيل البقرة. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): قوله: (عفونا) يعني: من بعد ما ا تخذوا العجل. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (153)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (153).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (153).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (153).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (153).

عَلَيهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (153)}

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرَظِيُّ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(قَتَادَةُ): سَأَلَ الْيَهُودُ رسولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ. كَمَا نَزَلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَى مُوسَى مَكْتُوبَةً.

قَالَ: (ابْنُ جُرَيجٍ): سَأَلُوهُ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيهِمْ صُحُفًا مِنَ اللَّهِ مَكْتُوبَةً إِلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ، بِتَصْدِيقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ. وَهَذَا إِنَّمَا قَالُوهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعَنُّتِ وَالْعِنَادِ وَالْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ، كَمَا سَأَلَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَبْلَهُمْ نَظِيرَ ذَلِكَ، كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي سُورَةِ "سُبْحَانَ": {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا} {الْإِسْرَاءِ: 90، 93} الْآيَاتِ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ} أَيْ: بِطُغْيَانِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، وَعُتُوِّهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

وَهَذَا مُفَسَّرٌ فِي سُورَةِ "الْبَقَرَةِ" حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} {الْبَقَرَةِ: 55، 56}.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} أَيْ: مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْأَدِلَّةِ الْقَاهِرَةِ عَلَى يَدِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي بِلَادِ مِصْرَ وَمَا كَانَ مِنْ إِهْلَاكِ عَدُوِّ اللَّهِ فِرْعَوْنَ وَجَمِيعِ جُنُودِهِ فِي الْيَمِّ، فَمَا جَاوَزُوهُ إِلاَّ يَسِيرًا حَتَّى أَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ، فَقَالُوا لِمُوسَى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {الْأَعْرَافِ: 138، 139}.

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى قِصَّةَ اتِّخَاذِهِمُ الْعِجْلَ مَبْسُوطَةً فِي سُورَةِ "الْأَعْرَافِ"، وَفِي سُورَةِ "طه" بَعْدَ ذَهَابِ مُوسَى إِلَى مُنَاجَاةِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ لَمَّا رَجَعَ وَكَانَ مَا كَانَ، جَعَلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ مِنَ الَّذِي صَنَعُوهُ وَابْتَدَعُوهُ: أَنْ يَقْتُلَ مَنْ لَمْ يَعْبُدِ الْعِجْلَ مِنْهُمْ مَنْ عَبَدَهُ، فَجَعَلَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ثُمَّ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا}.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الْقُرْطُبِي) - (رحمه الله) - فِي (تفسيره):-

{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً (153)}

سَأَلَتِ الْيَهُودُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُمْ يَرَوْنَهُ فَيُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مَكْتُوبًا فِيمَا يَدَّعِيهِ عَلَى صِدْقِهِ دَفْعَةً وَاحِدَةً، كَمَا أَتَى مُوسَى بِالتَّوْرَاةِ، تَعَنُّتًا لَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (153)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

وَجَلَّ أَنَّ آبَاءَهُمْ قَدْ عَنَّتُوا مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ -بِأَكْبَرَ مِنْ هَذَا.

{فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} أَيْ: عِيَانًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي" الْبَقَرَةِ". و" جَهْرَة" نَعْتٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ أَيْ رُؤْيَةً جَهْرَةً، فَعُوقِبُوا بِالصَّاعِقَةِ لِعِظَمِ مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ السُّؤَالِ وَالظُّلْمِ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ: فَأَحْيَيْنَاهُمْ فَلَمْ يَبْرَحُوا فَاتَّخَذُوا الْعِجْلَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي" الْبَقَرَةِ" وَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي" طه" إِنْ شَاءَ اللَّهُ (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ) أَيِ الْبَرَاهِينُ وَالدَّلَالَاتُ وَالْمُعْجِزَاتُ الظَّاهِرَاتُ مِنَ الْيَدِ والعصا وفلق البحر وغيرها بِأَنَّهُ لَا مَعْبُودَ إِلَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. (فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ) أَيْ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ التَّعَنُّتِ. (وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً) أَيْ: حُجَّةً بَيِّنَةً وَهِيَ الْآيَاتُ الَّتِي جَاءَ بِهَا، وَسُمِّيَتْ سُلْطَانًا لِأَنَّ مَنْ جَاءَ بِهَا قَاهِرٌ بِالْحُجَّةِ، وَهِيَ قَاهِرَةٌ لِلْقُلُوبِ، بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي قُوَى الْبَشَرِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهَا. (1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عزَّ وجلَّ : {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَآءِ} " أي: يسألك يا مُحَمَّدُ كعبُ بنُ الأشرف وجماعةٌ من اليهود أن تُنَزِّلَ عليهمْ كتَاباً من أي يسألك يا مُحَمَّدُ كعبُ بنُ الأشرف وجماعةٌ من اليهود أن تُنَزِّلَ عليهمْ كتَاباً من السَّماءِ جُمْلَةً واحدةً كما أُنْزِلَت التوراةُ على موسى ، وهذا حينَ قولوا للنبيِّ – صلى الله عليه وسلم :-لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذلِكَ} " أي لا تَعْجَبْ من مسألَتِهم بعدما رَأَوا الآيات أعظمَ من ذلك ، {فَقَالُواْ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} " أي: مُعَايَنَةً ظاهرةً مكشفةً " وهم السَّبعون الذين كانوا معه عند الجبل حين كلَّمَهُ اللهُ ، فسألوهُ أن يَرَوا ربَّهم رؤيةً يدركونَهُ بأبصارهم في الدُّنيا.

وقال : (أبو عُبيد): (مَعْنَى الآيَة : قَالُواْ جَهْرةً أرنَا الله) فجَعَلَ جَهْرَةً صِفَةً لِقَوْلِهِمْ " قال : (لأنَّ الرُّؤْيَةَ لاَ تَكُونُ إلاَّ جَهْرَةً).

قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ} " أي أخذتْهُم النارُ عقوبةً لَهم بسؤالهم موسى ما لَمْ يستحقُّوه.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ} " أي عَبَدُوا العجلَ من بعد ما جاءتْهُم الدَّلالاتُ على توحيد الله ، وفي هذا بيانُ جَهْلِ اليهود وتَعَنُّتِهِمْ وعنَادِهِمْ ، وأيُّ جَهْلٍ أعظمُ من اتِّخَاذ العجل إلَهاً ، بعد ظُهُور المعجزات وثبوت الآيات البيِّنات.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَعَفَوْنَا عَن ذلِكَ} " أي تَجَاوَزْنَا عنهم بعد توبتهم مع عظَمِ جنايتهم وجريْمَتهم ولم نَسْتَأْصِلْهُمْ ، دلَّ اللهُ تعالى بذلكَ على سَعَةِ رحمته ومغفرته وتَمام نعْمَتهِ ومنَّته ، بيَّنَ ذلك أنهُ لا جريْمَةَ تضيقُ عنها مغفرةُ الله ، وفي هذا مَنْعٌ من القُنُوط واستدعاءٌ إلى التوبة.

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (153)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

قَوْلُـهُ تَعَالَى : {وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً} " أي أعطيناهُ حُجَّةً على مَن خالفَهُ بيِّنةً ظاهرةً " وهي اليَدُ والعصَا. (1)

* * *

[١٥٤] ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ورفعنا فوقهم الجبل بسبب أخذ العهد المؤكد عليهم تخويفًا ليعملوا بما فيه، وقلنا لهم بعد رفعه : ادخلوا باب بيت المقدس سُجّدًا با نحناء الرؤس، فدخلوا يزحفون على أدبارهم، وقلنا لهم: لا تعتدوا بالإقدام على الصيد يوم السبت، فما كان منهم إلا أن اعتدوا فاصطادوا، وأخذنا عليهم عهدًا موثقًا شديدًا بذلك، فنقضوا العهد المأخوذ عليهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- ورفعنا فوق رؤوسهم جبل الطور حين امتنعوا عن الالتزام بالعهد المؤكد الذي أعطوه بالعمل بأحكام التوراة، وأمرناهم أن يدخلوا باب < بيت المقدس > سُجّدًا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وأمرناهم ألا يَعْتَدُوا بالصيد في يوم السبت فاعتدَوا، وصادوا، وأخذنا عليهم عهدًا مؤكدًا، فنقضوه. (3)

* * *

يَعْنِي:- ورفع الله الجبل فوق بني إسرائيل، تهديداً لهم لامتناعهم عن قبول شريعة التوراة، حتى قبلوا، وأخذ عليهم الميثاق، وأمرهم أن يدخلوا القرية خاضعين لله، وألا يتجاوزوا ما أمرهم بالتزامه من العبادة فى يوم السبت، ولا يعتدوا فيه، وقد أخذ عليهم فى كل ذلك عهداً مؤكداً. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ} ... الْجَبَل.

(أي: جبل الطور بسيناء).

{الطُّورَ} ... جَبَلًا بِسَيْنَاءَ.

{بِمِيثَاقِهِمْ} ... بِسَبَبِ أَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَيْهِمْ لِيَخَافُوا فَيَقْبَلُوهُ.

{بِمِيثَاقِهِمْ} ... بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه.

{وَقُلْنَا لَهُمُ} ... وَهُوَ مُظِلّ عَلَيْهِمْ.

{ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} ... أي: راكعون متواضعين خاشعين لله شكراً لنعمه عليهم.

{ادْخُلُوا الْبَابَ} ... بَاب الْقَرْيَة.

{سُجَّدًا} ... سُجُود انْحِنَاء.

{وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا} ... وَفِي قِرَاءَة بِفَتْحِ الْعَيْن وَتَشْدِيد الدَّال وَفِيهِ إدْغَام التَّاء فِي الْأَصْل فِي الدَّال أَيْ لَا تَعْتَدُوا.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني في سورة (النساء) الآية (153)،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (102/1)، تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (102/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (139/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ} ... باقتناص الحيتان.

{لاَ تَعْدُوا} ... لاَ تَعْتَدُوا، أي: لا تتجاوزوا ما حد لكم فيه من ترك العمل إلى العمل فيه.

{فِي السَّبْتِ} ... بِاصْطِيَادِ الْحِيتَانِ فِيهِ.

{وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} ... عَلَى ذَلِكَ فَنَقَضُوهُ

{مِيثَاقاً غَلِيظاً} ... عهداً مؤكداً بالأيمان.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً)

قال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده) - عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((قيل لبني إسرائيل (ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة) فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا، وقالوا حطة حبة في شعرة)).(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين في قوله: (ورفعنا فوقهم الطور) قال: رفعته الملائكة.

و(سنده حسن).(2)

* * *

قوله تعالى: (وقلنا لا تعدوا في السبت) الآية

قال: الإِمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا هل امتثلوا هذا الأمر، فتركوا العدوان في السبت أولا، ولكنه بين في مواضع أخر أنهم لم يمتثلوا وأنهم اعتدوا في السبت كقوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) الآية.

وقوله (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت) الآية.(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (وقلنا لا تعدوا في السبت) أمر القوم أن لا يأكلوا الحيتان يوم السبت ولا يعرضوا وأحلت لهم ماخلا ذلك.(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {ورفعنا فَوْقهم} قلعنا ورفعنا وحبسنا فَوق رُؤُوسهم {الطّور} الْجَبَل {بميثاقهم} بِأخذ ميثاقهم {وَقُلْنَا لَهُمُ ادخُلُوا الْبَاب} بَاب أريحَا {سُجَّداً} ركعا {وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِي السبت} يَوْم السبت بِأخذ الْحيتَان.

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4479) – (كتاب : تفسير القرآن) –(سورة البقرة) – باب:(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ..)).

وأخرجه أيضاً الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4641) – (كتاب : تفسير القرآن) – (سورة الأعراف)، - باب:(وقولوا حطة) . من حديث (أبي هريرة) -، من طريق- :آخر بلفظ: وقالوا: حبة في شعرة).

(2) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (154).

(3) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (154).

(4) انظر:(تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (154).

{وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً} وثيقاً في مُحَمَّد صلى الله عَلَيْه وَسلم-.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ} {154} قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِتَشْدِيدِ الدَّالِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ نَافِع بِرِوَايَةِ وَرْشٍ وَيَجْزِمُهَا الْآخَرُونَ، وَمَعْنَاهُ: لَا تَعْتَدُوا وَلَا تَظْلِمُوا بِاصْطِيَادِ الْحِيتَانِ فِيهِ، {وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} {النساء: 154}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} {154}.

ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الطور من فوق رءوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري.

ومن امتناعهم من دخول أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة.

وبأخذ الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ} وَذَلِكَ حِينَ امْتَنَعُوا مِنَ الِالْتِزَامِ بِأَحْكَامِ التَّوْرَاةِ، وَظَهَرَ مِنْهُمْ إِبَاءٌ عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَفَعَ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ جَبَلًا ثُمَّ أُلْزِمُوا فَالْتَزَمُوا وَسَجَدُوا، وَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ خَشْيَةَ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيْهِمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} {الأعراف: 171}

{وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} أَيْ: فَخَالَفُوا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، فَإِنَّهُمْ أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا بَابَ بَيْتِ الْقُدْسِ سُجَّدًا، وَهُمْ يَقُولُونَ: حِطَّةٌ. أَيْ: اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا فِي تَرْكِنَا الْجِهَادَ وَنُكُولِنَا عَنْهُ، حَتَّى تُهْنَا فِي التِّيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى اسْتَاهِهِمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: حِنْطَةٌ فِي شَعْرَةٍ.

{وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ} أَيْ: وَصَّيْنَاهُمْ بِحِفْظِ السَّبْتِ وَالْتِزَامِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، مَا دَامَ مَشْرُوعًا لَهُمْ {وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} أَيْ: شَدِيدًا، فَخَالَفُوا وَعَصَوْا وَتَحَيَّلُوا عَلَى ارْتِكَابِ مَنَاهِي اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ عِنْدَ قَوْلِهِ: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (153). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (153).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (153)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ} [الْأَعْرَاف: 163-166] الْآيَات، وَسَيَأْتِي حَدِيثُ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّال، فِي سُورَة "سُبْحَانَ" عِنْدَ قَوْلِه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الْإِسْرَاء: 101]، وفيه: "وعليكم -خاصة يهود-أن لا تعدوا في السبت". (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {ورفعنا فوقهم الطور}، يعني: الجبل، وذلك لما امتنعوا من العمل بما في التوراة وقبول ما جاءهم به موسى فيها،

{بميثاقهم}، يعني: بما أعطوا الله الميثاق والعهد: لنعملن بما في التوراة،

{وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدًا}، يعني"باب حطّة"، حين أمروا أن يدخلوا منه سجودًا، فدخلوا يزحفون على أستاههم .

{وقلنا هم لا تعدوا في السبت}، يعني بقوله: {لا تعدوا في السبت}، لا تتجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما لم يبح لكم،

10773- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة) قوله: {وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدًا}، قال: كنا نحدّث أنه باب من أبواب بيت المقدس.

* * *

{وقلنا لهم لا تعدوا في السبت}، أمر القوم أن لا يأكلوا الحيتان يوم السبت ولا يعرضوا لها، وأحل لهم ما وراء ذلك. (2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {ورَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثاقِهِمْ} أَيْ: بِسَبَبِ نَقْضِهِمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أُخِذَ مِنْهُمْ، وَهُوَ الْعَمَلُ بِمَا فِي التَّوْرَاةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ رَفْعُ الْجَبَلِ وَدُخُولُهُمُ الباب في" البقرة". و" سُجَّداً" نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ. وَقَرَأَ وَرْشٌ وَحْدَهُ" وَقُلْنا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ" بِفَتْحِ الْعَيْنِ مِنْ عَدَا يَعْدُو عَدْوًا وَعُدْوَانًا وَعُدُوًّا وَعَدَاءً، أَيْ بِاقْتِنَاصِ الْحِيتَانِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي" الْبَقَرَةِ". والأصل فيه وتعتدوا أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ،

قَالَ: (النَّحَّاسُ): وَلَا يَجُوزُ إِسْكَانُ الْعَيْنِ وَلَا يُوصَلُ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ فِي هَذَا، وَالَّذِي يَقْرَأُ بِهِ إِنَّمَا يَرُومُ الْخَطَأَ. (وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً) يَعْنِي الْعَهْدَ الَّذِي أُخِذَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ. يَعْنِي:- عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِالْيَمِينِ فَسُمِّيَ غَلِيظًا لِذَلِكَ. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ}" أي ورفعنَا فوقَ رؤوسهم الجبلَ بإقرارهم بالله وبنبوَّة موسَى ، وذلك حين أبَوا قَبُولَ التَّوراة ، فرفعَ اللهُ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (153)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (154)، للإِمَام (الطبري).

(3) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (154)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

فوقهم الطُّور، فقبلُوها فَخَرُّوا سُجَّدًا، فرفع اللهُ الطُّور عنهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً} " أي قلنا لَهم: ادخُلوا باب أريْحيا إذا دخلتمُوها خاشعينَ لله مُنْحنِيَةً أصلابُكم، فدخلوا زَحْفاً وبدَّلُوا ما قِيْلَ لَهم. ويقالُ أراد بالباب: البابَ الذي عَبَدُوا فيه العِجْلَ، أمَرَهُم اللهُ أن يدخلوه بعدَ تَوْبَتِهِمْ عن عبادة العِجْلِ ساجدين لله عَزَّ وَجَلَّ، فيصيرُ ذلك كفَّارَةً لعبادة العجل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ} " أي قُلْنَا لَهم مع هذا أيضاً: لا تَسْتَحِلُّوا أخذَ السَّمَك في يوم السَّبت. ومن قرأ (لاَ تَعَدُّوا) بتشديد الدَّال " فأصلهُ: لا تَعْتَدُوا " فَأُدْغِمَتِ الدالُ في الدال وأقيم التشديدُ مقامه. والقراءةُ بالتخفيف من عدَا يَعْدُو عُدْوَاناً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً}، إقْرَاراً وثيقاً شَديداً يعني العَهْدَ الذي أخذهُ الله في التَّوارة فَأَبَوْا إلاّ مُضيّاً على المعصية وخُرُجاً عن الطاعة استخفافاً بأمر الله. (1)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- يجوز للمظلوم أن يتحدث عن ظلمه وظالمه لمن يُرجى منه أن يأخذ له حقه، وإن قال ما لا يسر الظالم.

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162)

- حض المظلوم على العفو -حتى وإن قدر- كما يعفو الرب -سبحانه- مع قدرته على عقاب عباده.
- لا يجوز التفريق بين الرسل بالإيمان ببعضهم دون بعض، بل يجب الإيمان بهم جميعًا. (2)

* * *

[١٥٥] ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - (للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (154).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (102/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فطردناهم من رحمتنا بسبب نقضهم العهد المؤكد عليهم، وبسبب كفرهم بآيات الله، وجراءتهم على قتل الأنبياء، وبقولهم لمحمد - صلى الله عليه وسلم-: قلوبنا في غطاء، فلا تعي ما تقول، والأمر ليس كما قالوا، بل ختم الله على قلوبهم فلا يصل إليها خير، فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلًا لا ينفعهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- فلعنَّاهم بسبب نقضهم للعهود، وكفرهم بآيات الله الدالة على صدق رسله، وقتلهم للأنبياء ظلمًا واعتداءً، وقولهم: قلوبنا عليها أغطية فلا تفقه ما تقول، بل طمس الله عليها بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلا لا ينفعهم.(2)

* * *

يَعْنِي:- فغضب الله عليهم، بسبب نقضهم هذا الميثاق، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء ظالمين - ولا يكون ذلك إلا ظلماً -، وإصرارهم على الضلال بقولهم: قلوبنا محجوبة عن قبول ما تُدعَى إليه، وليسوا صادقين في قولهم، بل طمس الله على قلوبهم بسبب كفرهم، فلا يؤمن منهم إلا قلة من الناس.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَبِمَا نَقْضِهِمْ} ... مَا زَائِدَة وَالْبَاء لِلسَّبَبِيَّةِ مُتَعَلِّقَة بِمَحْذُوف أَيْ لَعَنَّاهُمْ بِسَبَبِ نَقْضهمْ.

{فَبِمَا نَقْضِهِمْ} ... الباء سببية: أي: فبسبب نقضهم ميثاقهم، والنقض: الحل بعد الإبرام.

{فَبِما نَقْضِهِمْ} .... فبنقضهم، و (ما) مزيدة للتوكيد، أي إن العقاب، أو تحريم الطيبات، لم يكن إلا بنقض العهد، وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك.

والباء متعلقة بمحذوف دل على قوله: (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها} ، فيكون التقدير: فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم.

{مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ الْأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقّ وَقَوْلهمْ} ... لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

{بِغَيْرِ حَقّ} ... أي: بدون موجب لقتلهم، ولا موجب لقتل الأنبياء قط.

{قُلُوبنَا غُلْف} ... لاَ تَعِي كَلَامك.

{غُلْفٌ} ... مُغَطَّاة.

{غُلْفٌ} ... جمع أغلف، وهو ما عليه غلاف يمنعه من وصول المعرفة والعلم إليه.

{بَلْ طَبَعَ} ... خَتَمَ.

{اللَّه عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} .. فَلَا تَعِي وَعْظًا.

{فَلَا يُؤْمِنُونَ إلَّا قَلِيلًا} ... مِنْهُمْ – كَـ (عَبْد اللَّه بْن سَلَام وأصحابه).

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة): في قوله: (فبما نقضهم ميثاقهم) يقول: فبنقضهم

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (103/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (139/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ميثاقهم لعناهم (وقولهم قلوبنا غلف)، أي لا نفقه، (بل طبع الله عليها بكفرهم)، ولعنهم حين فعلوا ذلك. (فلا يؤمنون إلا قليلا) لما ترك القوم أمر الله، وقتلوا رسله، وكفروا بآياته، ونقضوا الميثاق الذي أخذ عليهم، طبع الله عليها بكفرهم ولعنهم.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): (قلوبنا غلف) قال: في غطاء.(2)

* * *

انظر: تفسير سورة - (البقرة) - آية (88).

- كما قال تعالى: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88)}.

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده) عن أحمد بن سنان ثنا أسباط بن محمد عن الأعمش عن مسلم البطين عن (سعيد بن جبير) -عن (ابن عباس) قال: إنما سمي القلب لتقلبه.(3)

* * *

وقال: الإِمَامُ (الطبري) – والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- بسندهما – (الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس): قالوا (قلوبنا غلف) قال: في غطاء.(4)(5)

* * *

وقال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): (قلوبنا غلف) لا تفقه.(6)

وأخرجه الإمام (الطبري) بلفظه (بسنده الحسن) عن (قتادة).

* * *

وقال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- عن عمرو الأودي ثنا أبو أسامة عن (النضر بن عربي) -عن (عكرمة): (قلوبنا غلف) قال: عليها طابع.(7)

(ورجاله ثقات و(إسناده صحيح). و(أبو أسامة هو حماد بن أسامة معروف)، برواية (عمرو الأودي عنه).

* * *

وقال:الإِمَامُ (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (معمر) - عن (قتادة): في قوله: (قلوبنا غلف) قال: هو كقوله: (قلوبنا في أكنة) {فصلت: 5}.(8)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (155).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (155).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (88).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (88).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (88).
(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (88).
(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (88).
وانظر: (تهذيب الكمال) برقم (221/7).
(8) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (البقرة) - الآية (88)، للإِمَامُ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني)،

* * *

قوله تعالى: (بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون)

قال: الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (معمر) - عن (قتادة): في قوله: (فقليلا ما يؤمنون) قال: لا يؤمن منهم إلا قليل. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {فَبِمَا نَقْضِهِمْ} فبنقضهم {مِّيثَاقَهُمْ} فعلنَا بهم مَا فعلنَا {وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ الله} وبكفرهم بِمُحَمد وَالْقُرْآن ضربت عَلَيْهِم الْجِزْيَة {وَقَتْلِهِمُ} وبقتلهم {الْأَنْبِيَاء بِغَيْر حَق} بِغَيْر جرم أهلكناهم {وَقَوْلِهِمْ} وبقولهم {قُلُوبُنَا غُلْفٌ} أوعية لكل علم وَهِي لَا تعي كلامك وعلمك {بَلْ طَبَعَ الله عَلَيْهَا} بل لَيْسَ كَمَا قَالُوا وَلَكِن ختم الله على قُلُوبهم {بِكُفْرِهِمْ} بِمُحَمد وَالْقُرْآن {فَلاَ يُؤْمِنُونَ} بِمُحَمد وَالْقُرْآن {إِلاَّ قَلِيلاً} (عبد الله بن سَلام وَأَصْحَابه). (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {155} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ} أَيْ: فَبِنَقْضِهِمْ، و (مَا) صِلَةٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ} {آلِ عِمْرَانَ: 159} وَنَحْوَهُ،

{وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} أَيْ: خَتَمَ عَلَيْهَا، {فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا} {قَلِيلًا} {النساء: 155} يَعْنِي: مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ لَا مِمَّنْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ، لِأَنَّ مَنْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ لَا يُؤْمِنُ أَبَدًا، وَأَرَادَ بِالْقَلِيلِ: (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ وَأَصْحَابَهُ)،

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ لَا يُؤْمِنُونَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ {وَقَتْلِهِمُ الأنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ إِجْرَامِهِمْ وَاجْتِرَائِهِمْ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا جَمًّا غَفِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ {بِغَيْرِ حَقٍّ} - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَقَوْلُهُمْ: {قُلُوبُنَا غُلْفٌ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: أَيْ فِي غِطَاءٍ. وَهَذَا كَقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} {فُصِّلَتْ: 5}.

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ أَنَّهُمُ ادعَوا أَنَّ قُلُوبَهُمْ غُلْف لِلْعِلْمِ، أَيْ: أَوْعِيَةٌ لِلْعِلْمِ قَدْ حَوَتْهُ وَحَصَّلَتْهُ. رَوَاهُ (الْكَلْبِيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ). وَقَدْ تَقَدَّمَ نَظِيرُهُ فِي سورة البقرة.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ كَأَنَّهُمْ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ بِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَعِي مَا يَقُولُ" لِأَنَّهَا فِي

الناشر: (دار الكتب العلمية – بيروت)، الطبعة: (الأولى، سنة 1419هـ).
(عدد الأجزاء: 3).

(1) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (البقرة) - الآية (88)، للإمام: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني)

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (155). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (155).

غُلْف وَفِي أَكِنَّة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ هُوَ مَطْبُوعٌ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ. وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي عكس عَلَيْهِمْ مَا ادَّعَوْه مِنْ كُلِّ وَجْه، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مِثْلِ هَذَا فِي سُورَةِ (الْبَقَرَة).

{فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا} أَيْ: مَرِدَت قُلُوبُهُم عَلَى الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ وَقِلَّةِ الْإِيمَان. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا (155)}

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه: فبنقض هؤلاء الذين وصفتُ صفتهم من أهل الكتاب، {ميثاقهم}، يعني: عهودهم التي عاهدوا الله أن يعملوا بما في التوراة،

{وكفرهم بآيات الله}، يقول: وجحودهم،

{بآيات الله}، يعني: بأعلام الله وأدلته التي احتج بها عليهم في صدق أنبيائه ورسله وحقيقة ما جاءوهم به من عنده،

{وقتلهم الأنبياء بغير حق}، يقول: وبقتلهم الأنبياء بعد قيام الحجة عليهم بنبوّتهم،

{بغير حق}، يعني: بغير استحقاق منهم ذلك لكبيرة أتوها، ولا خطيئة استوجبوا القتل عليها،

{وقولهم قلوبنا غلف}، يعني: وبقولهم، {قلوبنا غلف}، يعني: يقولون: عليها غشاوة وأغطية عما تدعونا إليه، فلا نفقه ما تقول ولا نعقله.

= {بل طبع الله عليها بكفرهم}، يقول جل ثناؤه: كذبوا في قولهم: {قلوبنا غلف}، ما هي بغلف، ولا عليها أغطية، ولكن الله جل ثناؤه جعل عليها طابعًا بكفرهم بالله.

{فلا يؤمنون إلا قليلا}، يقول: فلا يؤمن - هؤلاء الذين وصف الله صفتهم، لطبعه على قلوبهم، فيصدقوا بالله ورسله وما جاءتهم به من عند الله- إلا إيمانًا قليلا يعني: تصديقًا قليلا وإنما صار {قليلا}، لأنهم لم يصدقوا على ما أمرهم الله به، ولكن صدَّقوا ببعض الأنبياء وببعض الكتب، وكذبوا ببعض. فكان تصديقهم بما صدَّقوا به قليلا لأنهم وإن صدقوا به من وجه، فهم به مكذبون من وجه آخر، وذلك من وجه تكذيبهم من كذَّبوا به من الأنبياء وما جاءوا به من كتب الله، ورسلُ الله يصدِّق بعضهم بعضًا. وبذلك أمر كل نبي أمته. وكذلك كتب الله يصدق بعضها بعضًا، ويحقق بعض بعضًا. فالمكذب ببعضها مكذب بجميعها، من جهة جحوده ما صدقه الكتاب الذي يقرّ بصحته. فلذلك صار إيمانهم بما آمنوا من ذلك قليلا.

* * *

10774- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة) في قوله: {فبما نقضهم ميثاقهم}، يقول: فبنقضهم ميثاقهم لعنَّاهم، {وقولهم قلوبنا غلف}، أي لا نفقه.،

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (155)، للإمام (ابن كثير).

{بل طبع الله عليها بكفرهم} ، ولعنهم حين فعلوا ذلك.(1)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ) " فَبِمَا نَقْضِهِمْ" خفض بالباء و" فَبِمَا" زَائِدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ كَقَوْلِهِ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ} {آل عمران: 159} وَقَدْ تَقَدَّمَ ، وَالْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ، التَّقْدِيرُ: فَبِنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ، عَنْ (قَتَادَةَ) وَغَيْرِهِ. وَحُذِفَ هَذَا لعلم السَّامع.

وَقَالَ: (أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْكِسَائِيُّ): هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى فأخذتهم الصاعقة بظلمهم إِلَى قَوْلِهِ: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ} قَالَ: فَفَسَّرَ ظُلْمَهُمُ الَّذِي أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ مِنْ أَجْلِهِ بِمَا بَعْدَهُ مِنْ نَقْضِهِمُ الْمِيثَاقَ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَسَائِرِ مَا بَيَّنَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي ظَلَمُوا فِيهَا أَنْفُسَهُمْ. وَأَنْكَرَ ذَلِكَ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ، لِأَنَّ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ كَانُوا عَلَى عَهْدِ مُوسَى، وَالَّذِينَ قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَرَمَوْا مَرْيَمَ بِالْبُهْتَانِ كَانُوا بَعْدَ مُوسَى بِزَمَانٍ، فَلَمْ تَأْخُذِ الصَّاعِقَةُ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمْ بِرَمْيِهِمْ مَرْيَمَ بِالْبُهْتَانِ. قَالَ: (الْمَهْدَوِيُّ) وَغَيْرُهُ: وَهَذَا لَا يَلْزَمُ، لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُخْبِرَ عَنْهُمْ وَالْمُرَادُ آبَاؤُهُمْ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي" الْبَقَرَةِ"

قَالَ : الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى فَبِنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ، لِأَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مُمْتَدَّةٌ إِلَى قَوْلِهِ: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا} {النساء: 160}. وَنَقْضُهُمُ الْمِيثَاقَ أَنَّهُ أُخِذَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُبَيِّنُوا صِفَةَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

يَعْنِي :- الْمَعْنَى فَبِنَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَفِعْلِهِمْ كَذَا وَفِعْلِهِمْ كَذَا {طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}.

يَعْنِي :- الْمَعْنَى فَبِنَقْضِهِمْ لا يؤمنون إلا قليلا، والفاء مقحمة. و" كُفْرِهِمْ" عطف، وكذا و" قَتْلِهِمُ". والمراد" بِآيَاتِ اللَّهِ" كتبهم التي حرفوها. و" غُلْفٌ" جَمْعُ غِلَافٍ، أَيْ قُلُوبُنَا أَوْعِيَةٌ لِلْعِلْمِ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى عِلْمٍ سوى ما عِنْدَنَا.

يَعْنِي :- هُوَ جَمْعُ أَغْلَفَ وَهُوَ الْمُغَطَّى بِالْغِلَافِ، أَيْ قُلُوبُنَا فِي أَغْطِيَةٍ فَلَا نَفْقَهُ مَا تقول، وهو كقوله : {قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ} {فصلت: 5}

وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا فِي" الْبَقَرَةِ" وَغَرَضُهُمْ بِهَذَا دَرْءُ حُجَّةِ الرُّسُلِ. وَالطَّبْعُ الْخَتْمُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي" الْبَقَرَةِ". " بِكُفْرِهِمْ" أَيْ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، كَمَا قَالَ: {بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ} {البقرة: 88} أَيْ إِلا إِيمَانًا قَلِيلًا أَيْ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَلِكَ غَيْرُ نَافِعٍ لَهُمْ. ثُمَّ كَرَّرَ" وَبِكُفْرِهِمْ" لِيُخْبِرَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا كُفْرًا بَعْدَ كُفْرٍ.

يَعْنِي :- الْمَعْنَى {وَبِكُفْرِهِمْ} بِالْمَسِيحِ، فَحُذِفَ لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ، وَالْعَامِلُ فِي {بِكُفْرِهِمْ} هُوَ الْعَامِلُ فِي" نَقْضِهِمْ" لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ" طَبَعَ".

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (155)، للإمَامْ (الطبري).

وَالْبُهْتَانُ الْعَظِيمُ رَمْيُهَا بِيُوسُفَ النَّجَّارِ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ. وَالْبُهْتَانُ الْكَذِبُ الْمُفْرِطُ الَّذِي يُتَعَجَّبُ مِنْهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ، وَاللَّهُ سبحانه وتعالى أعلم. (1)

* * *

[١٥٦] ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وطردناهم من الرحمة بسبب كفرهم، وبسبب رميهم مريم -عليها السلام- بالزنى زوراً وبهتانًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- وكذلك لعنَّاهم بسبب كفرهم وافترائهم على مريم بما نسبوه إليها من الزنى، وهي بريئة منه. (3)

* * *

يَعْنِي:- وغضب الله عليهم بسبب كفرهم وافترائهم على مريم افتراء كبيراً. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَبِكُفْرِهِمْ} ... كرر ليخبر أنهم كفروا كفرا بعد كفر.

يَعْنِي:- {وبكفرهم} ... بالمسيح، فحذف لدلالة ما بعده عليه.

{وبِكُفْرِهِمْ} ... ثانيًا بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عُطف عليه.

{وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بهتانا عظيما} ... حيث رموها بالزنى.

{بُهْتَاناً عَظِيماً} ... البهتان: الكذب الذي يحير من قبل فيه، والمراد هنا رميهم لها بالزنى.

{بُهْتَاناً البهتان} ... الكذب المفرط الذي يتعجب منه، يعنى: التزنية.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما)

قال: الإمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا هذا البهتان العظيم الذي قالوه على الصديقة مريم العذراء، ولكنه أشار في موضع أخر إلى أنه رميهم لها بالفاحشة، وأنها جاءت بولد لغير رشدة في زعمهم الباطل -لعنهم الله- وذلك في قوله (فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا) يعنون ارتكاب الفاحشة (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا). (5)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) - والإمَامْ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قوله: (وقولهم على مريم

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (155)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (103/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (139/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (156).

بهتانا عظيما) يعني: رموها بالزنا. (1)(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):-

{وَبِكُفْرِهِمْ} بعيسى والإنجيل {وَقَوْلِهِمْ} وبقولهم {على مَرْيَمَ بهتانا عظيما} وهي القرية جعلناهم خنازير. (3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} {النساء: 156} حين رَمَوْهَا بِالزِّنَا. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} قَالَ (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): "يَعْنِي أَنَّهُمْ رَمَوْهَا بِالزِّنَا".

وَكَذَا قَالَ: (السُّدِّيُّ)، و(جُوَيْبِر)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وَهُوَ ظَاهِرٌ مِنَ الْآيَةِ: أَنَّهُمْ رَمَوْهَا وَابْنَهَا بِالْعَظَائِمِ، فَجَعَلُوهَا زَانِيَةً، وَقَدْ حَمَلَتْ بِوَلَدِهَا مِنْ ذَلِكَ -زَادَ بَعْضُهُمْ: وَهِيَ حَائِضٌ- فَعَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: وبكفر هؤلاء الذين وصف صفتهم.

{وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا}، يعني: بفريتهم عليها، ورميهم إياها بالزنا، وهو "البهتان العظيم"، لأنهم رموها بذلك، وهي مما رموها به بغير ثبتٍ ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول.

10776- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن (ابن عباس): {وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا"، يعني: أنهم رموها بالزنا.

10777- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي) قوله: {وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا}، حين قذفوها بالزنا. (6)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "الْبَقَرَةِ". "بِكُفْرِهِمْ" أَيْ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (156).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (156).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (156). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (156).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (156)، للإمَامْ (ابن كثير).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (156)، للإمَامْ (الطبري).

كَمَا قَالَ: {بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ} {البقرة: 88} أَيْ إلاَ إيمَانًا قَلِيلًا أَيْ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَلِكَ غَيْرُ نَافِعٍ لَهُمْ. ثُمَّ كَرَّرَ" وَبِكُفْرِهِمْ" لِيُخْبِرَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا كُفْرًا بَعْدَ كُفْرٍ.

يَعْنِي:- الْمَعْنَى " وَبِكُفْرِهِمْ" بِالْمَسِيحِ، فَحُذِفَ لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ، وَالْعَامِلُ فِي" بِكُفْرِهِمْ" هُوَ الْعَامِلُ فِي" نَقْضِهِمْ" لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ، وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ" طَبَعَ".

وَالْبُهْتَانُ الْعَظِيمُ رَمْيُهَا بِيُوسُفَ النَّجَّارِ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ. وَالْبُهْتَانُ الْكَذِبُ الْمُفْرِطُ الَّذِي يُتَعَجَّبُ مِنْهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ ، وَاللَّه سبحانه وتعالى أعلم. (1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وجَلَّ : {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً} " عَطْفٌ على ما تقدَّم " أي وبجَحْدِهم عِيْسَى وَالإنْجِيْلَ وَمُحَمَّداً -صلى الله عليه وسلم - ورَميهم مريَمَ بالزِّنَا " وَهُوَ الْبُهْتَانُ الْعَظِيْمُ.

وذلك : أنَّ عِيْسَى - -عليه السلام اسْتَقْبَلَ رَهطاً مِنَ الْيَهُودِ " فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : قَدْ جَاءَ السَّاحِرُ بْنُ السَّاحِرَةِ " وَالْفَاعِلُ بْنُ الْفَاعِلَةِ ، فَقَذَفُوهُ وَأمَّهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذلك عِيْسَى ، قَالَ : اللَّهُمَّ أنْتَ رَبي وَأنَا عَبْدُكَ " بِقُدْرَتِكَ خَرَجْتُ وَبِكَلِمَتِكَ خَلَقْتَنِي ، وَلَمْ أتِهِمْ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ، اللَّهُمَّ الْعَنْ مَنْ سَبَّنِي وَسَبَّ وَالِدَتي. فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ وَمَسَخَ ذَلِكَ الرَّهْطُ الَّذِيْنَ سَبُّوهُ وَسَبُّوا أُمَّهُ خَنَازِيْرَ ، وَكَانُوا رَمَوا أُمَّهُ بِيُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ مَاثَانَ. (2)

* * *

[١٥٧] ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

ولعناهم بقولهم مفتخرين كذبًا: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله. وما قتلوه كما ادعوا وما صلبوه، ولكن قتلوا رجلًا ألقى الله شَبَهَ عيسى عليه وصلبوه، فظنوا أن المقتول هو عيسى -عليه السلام-. والذين ادعوا قتله من اليهود والذين أسلموه إليهم من النصارى، كلاهما في حيرة من أمره وشك، فليس لهم به علم، وإنما يتبعون الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، وما قتلوا عيسى، وما صلبوه قطعًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- وبسبب قولهم -على سبيل التهكم والاستهزاء-: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوا عيسى وما

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (156)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (156).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

صلبوه، بل صلبوا رجلا شبيهًا به ظنًّا منهم أنه عيسى. ومن ادَّعى قَتْلَهُ من اليهود، ومن أسلمه إليهم من النصارى، كلهم واقعون في شك وحَيْرة، لا عِلْمَ لديهم إلا اتباع الظن، وما قتلوه متيقنين بل شاكين متوهمين. (1)

* * *

يَعْنِي:- وغضب الله عليهم بسبب قولهم مستخفين: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، والحق المستيقن أنهم ما قتلوه، كما زعموا وما صلبوه كما ادعوا . ولكن شُبِّه لهم، فظنوا أنهم قتلوه وصلبوه، وإنما قتلوا وصلبوا من يشبهه، وقد اختلفوا من بعد ذلك في أن المقتول عيسى أم غيره، وأنهم جميعاً لفي شك من أمره. . والواقع أنهم يقولون ما لا علم لهم به إلا عن طريق الظن، وما قتلوا عيسى قطعاً. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وقولهم} ... مفتخرين .

{إنا قتلنا المسيح عيسى بن مَريَم رَسُول اللَّه} ... في زَعْمهم أَيْ: بِمَجْمُوعِ ذَلِكَ عَذَّبْنَاهُمْ قَالَ تَعَالَى تَكْذِيبًا لَهُمْ فِي قَتْله .

{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} ... الْمَقْتُول وَالْمَصْلُوب وَهُوَ صَاحِبهمْ بِعِيسَى، أَيْ: أَلْقَى اللَّه عَلَيْهِ شَبَههُ فَظَنُّوهُ إيَّاهُ.

{وما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ} ... رد لقولهم.

{وَمَا صَلَبُوهُ} ... أيك لم يصلبوه، والصلب شده على خشبة وقتله عليها.

{وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} ... ألقى الشبه على غيره. والفعل مسند إلى الجار والمجرور، كما تقول: خيل إليه، كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه . ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول، لأن قوله إنَّا قَتَلْنَا يدل عليه، كأنه قيل: ولكن شبه لهم من قتلوه.

{وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ} ... أَيْ. فِي عِيسَى.

{لَفِي شَكٍّ مِنْهُ} ... مِنْ قَتْله حَيْثُ قَالَ بَعْضهمْ لَمَّا رَأَوْا الْمَقْتُول الْوَجْه وَجْه عِيسَى وَالْجَسَد لَيْسَ بِجَسَدِهِ فَلَيْسَ بِهِ وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ هُوَ هُوَ.

{مَا لَهُمْ بِهِ} ... بِقَتْلِهِ.

{مِنْ عِلْمٍ إلا اتِّبَاع الظَّنّ} ... اسْتِثْنَاء مُنْقَطِع أَيْ لَكِنْ يَتَّبِعُونَ فِيهِ الظَّنّ الَّذِي تَخَيَّلُوهُ.

{وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} ... حَال مُؤَكِّدَة لِنَفْيِ الْقَتْل.

{وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً} ... وما قتلوه قتلا يقينا، أو ما قتلوه متيقنين، كما ادعوا ذلك في قولهم إنَّا قَتَلْنَا.

ويجوز أن يكون يَقِيناً تأكيدا لقوله وَما قَتَلُوهُ، كقولك:

{إلا اتِّباعَ الظَّنِّ} .... استثناء منقطع، لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم. يعني: ولكنهم يتبعون الظن.

{وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً} ... وما قتلوه قتلا يقينا، أو ما قتلوه متيقنين، كما ادعوا ذلك في قولهم إنَّا قَتَلْنَا.

ويجوز أن يكون يَقِيناً تأكيدا لقوله وَما قَتَلُوهُ، كقولك:

{ما قتلوه} ... حقا. أي حق انتفاء قتله حقا.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (103/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (139/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

يَعْنِـي:- هـو مـن قولـك: قتلـت الشـيء علمـا، إذا تبالغ فيه علمك.
وفيه تهكم.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قـال: الإمَـامُ (ابْـنُ أَبِـي حَـاتِمٍ) - (رحمـه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حـدثنا أحمد بـن سـنان الواسطي، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو عن (سعيد بن جبير)، عن (ابن عباس) قال: لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين، يعني فخرج عيسى من عين في البيت ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم سنا فقال له اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنت هو ذاك فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق.

فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، فهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ما شاء الله ثم رفعه إليه، فهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمداً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (1)

قال: الإمَامُ (ابن كثير) - في (تفسيره):- هذا (إسناد صحيح).

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): قوله (إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وماصلبوه) إلى قوله: (وكان الله عزيزا حكيماً) أولئك أعداء الله اليهود ائتمروا بقتل عيسى ابن مريم رسول الله، وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): قال: يعني لم يقتلوه ظنهم يقينا. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَقَوْلِهِمْ} وبقولهم {إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ} أهلك الله صاحبهم تطيانوس {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ} ألقي شبه عيسى على تطيانوس فَقَتَلُوهُ بدل عِيسَى {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ} في قَتله {لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ} من قَتله {مَا لَهُم بِهِ} بقتْله {مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (157).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (157).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (157).

الظَّـن} ولاَ الظَّـن {وَمَـا قَتَلُـوهُ يَقِيناً} أي يَقِينـا مَا قَتَلُوهُ. (1)

* * *

قـال: الإمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {وَقَـوْلِهِمْ إِنَّـا قَتَلْنَـا الْمَسِيحَ عِيسَـى ابْـنَ مَـرْيَمَ رَسُـولَ اللَّـهِ وَمَـا قَتَلُـوهُ وَمَـا صَـلَبُوهُ وَلَكِـنْ شُـبِّهَ لَهُـمْ} {النسـاء: 157} وَذَلِـكَ أَنَّ اللَّـهَ تَعَـالَى أَلْقَـى شَـبَهَ - عِيسَـى- عَلَيْـهِ السَّـلامُ -عَلَـى الَّـذِي دلَّ الْيَهُـود عَلَيْه،

يَعْنِـي:- إِنَّهُـمْ حَبَسُـوا عِيسَـى -عَلَيْـهِ السَّـلامُ - فِـي بَيْـت وَجَعَلُـوا عَلَيْـه رَقِيبًـا فَـأَلْقَى اللَّـهُ تَعَـالَى شَـبَهَ عِيسَـى عَلَيْـهِ السَّـلامُ عَلَـى الرَّقِيـب فَقَتَلُوهُ،

يَعْنِـي:- غَيْـرَ ذَلِـكَ، كَمَـا ذَكَرْنَـا فِـي سُـورَةِ (آل عِمْـرَانَ). قَوْلُـهُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى: {وَإِنَّ الَّـذِينَ اخْتَلَفُـوا فِيـهِ} فِـي قَتْلِـه، {لَفِـي شَـكٍّ مِنْـهُ} أَيْ: فِي قَتْلِه،

قَـالَ: (الْكَلْبِـيُّ): اخْـتِلافُهُمْ فِيـهِ هُـوَ أَنَّ الْيَهُـودَ قَالَـتْ: نَحْـنُ قَتَلْنَـاهُ، وَقَالَـتْ طَائِفَـةٌ مِـنَ النَّصَـارَى: نَحْـنُ قَتَلْنَـاهُ، وَقَالَـتْ طَائِفَـةٌ مِـنْهُمْ: مَـا قَتَلَـهُ هَـؤُلاءِ وَلا هَـؤُلاءِ بَـلْ رَفَعَـهُ اللَّـهُ إِلَـى السَّمَاءِ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْه،

قَـالَ: (السُّـدِّيُّ): اخْـتِلافُهُمْ مِـنْ حَيْـثُ أَنَّهُـمْ قَـالُوا: إِنْ كَـانَ هَـذَا عِيسَـى فَـأَيْنَ صَـاحِبُنَا؟ وَإِنْ كَـانَ هَـذَا صَـاحِبنَا فَـأَيْنَ عِيسَـى؟ قَـالَ اللَّـهُ تَعَـالَى: {مَـا لَهُـمْ بِـهِ مِـنْ عِلْـمٍ} مِنْ حَقِيقَـةِ أَنَّـهُ قُتِـلَ أَوْ لَـمْ يُقْتَـلْ، {إِلَّا اتِّبَـاعَ الظَّـنِّ} لَكِـنَّهُمْ يَتَّبِعُـونَ الظَّـنَّ فِـي قَتْلِـه. قَـالَ اللَّـهُ جَـلَّ جَلالُـهُ:

{وَمَـا قَتَلُـوهُ يَقِينًـا} {النسـاء: 157} أَيْ: مَـا قَتَلُوا عِيسَى يَقِينًا. (2)

* * *

قـال: الإمَـامُ (إبـن كـثير) – (رحمـه الله) – في (تفسيره):-

وَقَـوْلِهِمْ: {إِنَّـا قَتَلْنَـا الْمَسِـيحَ عِيسَـى ابْـنَ مَـرْيَمَ رَسُـولَ اللَّـهِ} أَيْ: هَـذَا الَّـذِي يَـدَّعِي لِنَفْسِـهِ هَـذَا الْمَنْصِـبَ قَتَلْنَـاهُ. وَهَـذَا مِـنْهُمْ مِـنْ بَـابِ الـتَّهَكُّمِ وَالِاسْـتِهْزَاءِ، كَقَـوْلِ الْمُشْـرِكِينَ: {يَـا أَيُّهَـا الَّـذِي نُـزِّلَ عَلَيْـهِ الـذِّكْرُ إِنَّـكَ لَمَجْنُـونٌ} {الْحِجْـر: 6}.

وَكَـانَ مِـنْ خَبَـرِ الْيَهُـودِ -عَلَـيْهِمْ لَعَـائِنُ اللَّـهِ وَسُـخْطِه وَغَضَـبِه وَعِقَابِـه- أَنَّـهُ لَمَّـا بَعَـثَ اللَّـهُ عِيسَـى ابْـنَ مَـرْيَمَ بِالْبَيِّنَـاتِ وَالْهُـدَى، حَسَـدُوهُ عَلَـى مَـا آتَـاهُ اللَّـهُ مِـنَ النُّبُـوَّةِ وَالْمُعْجِـزَاتِ الْبَـاهِرَاتِ، الَّتِـي كَـانَ يُبْـرِئُ بِهَـا الْأَكْمَـهَ وَالْـأَبْرَصَ وَيُحْيِـي الْمَـوْتَى بِـإِذْنِ اللَّـهِ، وَيُصَـوِّرُ مِـنَ الطِّـينِ طَـائِرًا ثُـمَّ يَـنْفُخُ فِيـهِ فَيَكُـونُ طَـائِرًا يُشَـاهَدُ طَيَرَانُـهُ بِـإِذْنِ اللَّـهِ، عَـزَّ وَجَـلَّ، إِلَـى غَيْـرِ ذَلِـكَ مِـنَ الْمُعْجِـزَاتِ الَّتِـي أَكْرَمَـهُ اللَّـهُ بِهَـا وَأَجْرَاهَـا عَلَـى يَدَيْـهِ، وَمَـعَ هَـذَا كَـذَّبُوهُ وَخَـالَفُوهُ، وَسَـعَوْا فِـي أَذَاهُ بِكُـلِّ مَـا أَمْكَـنَهُمْ، حَتَّـى جَعَـلَ نَبِـيُّ اللَّـهِ عِيسَـى، عَلَيْـهِ السَّـلَامُ، لَا يُسَـاكِنُهُمْ فِـي بَلْـدَةٍ، بَـلْ يُكْثِـرُ السِّـيَاحَةَ هُـوَ وَأُمُّـهُ، عَلَيهمَـا السَّـلَامُ، ثُـمَّ لَـمْ يُقْـنِعْهُمْ ذَلِـكَ حَتَّـى سَـعَوْا إِلَـى مَلِـكِ دِمَشْـقَ فِـي ذَلِـكَ الزَّمَـانِ - وَكَـانَ رَجُلًـا مُشْـرِكًا مِـنْ عَبَـدَةِ الْكَوَاكِـبِ، وَكَـانَ يُقَـالُ لِأَهْـلِ مِلَّتِـهِ: الْيُونَـانُ-وَأَنْهُـوا إِلَيْـهِ: أَنَّ بِبَيْـتِ الْمَقْـدِسِ رَجُلًـا يَفْـتِنُ النَّـاسَ وَيُضِـلُّهُمْ

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (النسـاء) الآيـة (157). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإمَـامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (157).

وَيُفْسِدُ عَلَى الْمَلِك رعَايَاهُ. فَغَضِبَ الْمَلِكُ مِنْ هَذَا، وَكَتَبَ إِلَى نَائِبِه بِالْقُدْسِ أَنْ يَحْتَاطَ عَلَى هَذَا الْمَذْكُور، وَأَنْ يَصْلُبَهُ وَيَضَعَ الشَّوْكَ عَلَى رَأْسِه، وَيَكُفَّ أَذَاهُ عَلَى النَّاس. فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ امْتَثَلَ مُتَوَلِّي بَيْتِ الْمَقْدِس ذَلِكَ، وَذَهَبَ هُوَ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُود إِلَى الْمَنْزِلِ الَّذِي فِيه عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِه، اثْنَا عَشَرَ أَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ -يَعْنِي:- سَبْعَةَ عَشَرَ نَفَرًا-وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ لَيْلَةَ السَّبْت، فَحَصَرُوهُ هُنَالِكَ. فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ وَأَنَّهُ لَا مَحَالَةَ مِنْ دُخُولِهِمْ عَلَيْهِ، أَوْ خُرُوجِه عَلَيْهِمْ قَالَ لِأَصْحَابِه: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي، وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ شَابٌّ مِنْهُمْ، فَكَأَنَّهُ اسْتَصْغَرَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَعَادَهَا ثَانِيَةً وَثَالِثَةً وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَنْتَدِبُ إِلَّا ذَلِكَ الشَّابُّ - فَقَالَ: أَنْتَ هُوَ-وَأَلْقَى اللهُ عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، وَفُتِحَتْ رَوْزَنَةٌ مِنْ سَقْفِ الْبَيْت، وَأَخَذَتْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سِنَةٌ مِنَ النَّوْم، فَرُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ كَذَلِكَ،

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} الْآيَةَ {آل عمران: 55}.

فَلَمَّا رُفِعَ خَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَرُ فَلَمَّا رَأَى أُولَئِكَ ذَلِكَ الشَّابَّ ظَنُّوا أَنَّهُ عِيسَى، فَأَخَذُوهُ فِي اللَّيْلِ وَصَلَبُوهُ، وَوَضَعُوا الشَّوْكَ عَلَى رَأْسِه، فَأَظْهَرَ الْيَهُودُ أَنَّهُمْ سَعَوْا فِي صَلْبِه وَتَبَجَّحُوا بِذَلِكَ، وَسَلَّمَ لَهُمْ طَوَائِفُ مِنَ النَّصَارَى ذَلِكَ لِجَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ عَقْلِهِم، مَا عَدَا مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ مَعَ الْمَسِيح، فَإِنَّهُمْ شَاهَدُوا رَفْعَهُ، وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَإِنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَّ الْيَهُودُ أَنَّ الْمَصْلُوبَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّ مَرْيَمَ جَلَسَتْ تَحْتَ ذَلِكَ الْمَصْلُوبِ وَبَكَتْ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ خَاطَبَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ امْتِحَانِ اللَّهِ عِبَادَهُ" لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَة، وَقَدْ أَوْضَحَ اللَّهُ الْأَمْرَ وَجَلَّاهُ وَبَيَّنَهُ وَأَظْهَرَهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيم، الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِه الْكَرِيم، الْمُؤَيَّدِ بِالْمُعْجِزَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ وَالدَّلَائِلِ الْوَاضِحَات، فَقَالَ تَعَالَى -وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ، وَرَبُّ الْعَالَمِينَ، الْمُطَّلِعُ عَلَى السَّرَائِرِ وَالضَّمَائِر، الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السموات وَالْأَرْض، الْعَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ-: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} أَيْ: رَأَوْا شَبَهَهُ فَظَنُّوهُ إِيَّاهُ"

وَلِهَذَا قَالَ: {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} يَعْنِي بِذَلِكَ: مَنِ ادَّعَى قَتْلَهُ مِنَ الْيَهُود، وَمَنْ سَلَّمَه مِنْ جُهَّالِ النَّصَارَى، كُلُّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ وَحَيْرَةٍ وَضَلَالٍ وَسُعُر. (1)

* * *

قَالَ الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ}

قَالَ: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: وبقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. ثم كذبهم الله في قيلهم،

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (157)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

فقال: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم}، يعني: وما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم.

* * *

10781- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة) قوله: "إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه" إلى قوله: "وكان الله عزيزًا حكيمًا"، أولئك أعداء الله اليهود ائتمروا بقتل عيسى ابن مريم رسول الله، وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه. وذكر لنا أن نبي الله عيسى ابن مريم قال لأصحابه: أيكم يُقذف عليه شبهي، فإنه مقتول؟ فقال رجل من أصحابه: أنا، يا نبي الله! فقتل ذلك الرجل، ومنع الله نبيه ورفعه إليه. (1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ) كُسِرَتْ "إِنَّ" لِأَنَّهَا مُبْتَدَأَةٌ بَعْدَ الْقَوْلِ وَفَتْحُهَا لُغَةٌ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "آلِ عِمْرَانَ" اشْتِقَاقُ لَفْظِ الْمَسِيحِ.

(رَسُولَ اللَّهِ) بَدَلٌ، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى مَعْنَى أَعْنِي.

(وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ) رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ.

(وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) أَيْ أُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَى غَيْرِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي "آلِ عِمْرَانَ".

يَعْنِي:- لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ شَخْصَهُ وَقَتَلُوا الَّذِي قَتَلُوهُ وَهُمْ شَاكُّونَ فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ). وَالْإِخْبَارُ قِيلَ: إِنَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ.

يَعْنِي:- إِنَّهُ لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ إِلاَّ عَوَامُّهُمْ، وَمَعْنَى اخْتِلَافِهِمْ قَوْلُ بَعْضِهِمْ إِنَّهُ إِلَهٌ، وَبَعْضُهُمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ. قَالَهُ الْحَسَنُ:

يَعْنِي:- اخْتِلَافُهُمْ أَنَّ عَوَامَّهُمْ قَالُوا قَتَلْنَا عِيسَى. وَقَالَ: مَنْ عَايَنَ رَفْعَهُ إِلَى السَّمَاءِ: مَا قَتَلْنَاهُ.

يَعْنِي:- اخْتِلَافُهُمْ أَنَّ النُّسْطُورِيَّةَ مِنَ النَّصَارَى قَالُوا: صُلِبَ عِيسَى مِنْ جِهَةِ نَاسُوتِهِ لاَ مِنْ جِهَةِ لاَهُوتِهِ. وَقَالَتِ الْمَلْكَانِيَّةُ: وَقَعَ الصَّلْبُ وَالْقَتْلُ عَلَى الْمَسِيحِ بِكَمَالِهِ نَاسُوتِهِ وَلاَهُوتِهِ.

يَعْنِي:- اخْتِلَافُهُمْ هُوَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ كَانَ هَذَا صَاحِبَنَا فَأَيْنَ عِيسَى؟! وَإِنْ كَانَ هَذَا عِيسَى فَأَيْنَ صَاحِبُنَا؟! يَعْنِي:- اخْتِلَافُهُمْ هُوَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: نَحْنُ قَتَلْنَاهُ، لِأَنَّ يَهُوذَا رَأْسَ الْيَهُودِ هُوَ الَّذِي سَعَى فِي قَتْلِهِ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّصَارَى: بَلْ قَتَلْنَاهُ نَحْنُ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْهِ. (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) مِنْ زَائِدَةٌ، وتم الكلام.

ثم قال عز وجل: (إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ) استثناء لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْبَدَلِ، أَيْ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ. وَأَنْشَدَ (سِيبَوَيْهِ):

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ ... إِلاَّ الْيَعَافِيرُ وَإِلاَّ الْعِيسُ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (157)، لِلْإِمَامِ (الطبري).

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً) قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ): الْمَعْنَى مَا قَتَلُوا ظَنَّهُمْ يَقِينًا، كَقَوْلِكَ: قَتَلْتُهُ عِلْمًا إِذَا عَلِمْتَهُ عِلْمًا تَامًّا، فَالْهَاءُ عَائِدَةٌ عَلَى الظَّنِّ.

قَالَ: (أَبُو عُبَيْدٍ): وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى وَمَا قَتَلُوا عيسى يَقِينًا لَقَالَ: وَمَا قَتَلُوهُ فَقَطْ.

يَعْنِي:- الْمَعْنَى وَمَا قَتَلُوا الَّذِي شُبِّهَ لَهُمْ أَنَّهُ عِيسَى يَقِينًا، فَالْوَقْفُ عَلَى هَذَا عَلَى "يَقِيناً".

يَعْنِي:- الْمَعْنَى وَمَا قَتَلُوا عِيسَى، وَالْوَقْفُ عَلَى "وَمَا قَتَلُوهُ" و"يَقِيناً" نَعْتٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، وَفِيهِ تَقْدِيرَانِ: أَحَدُهُمَا- أَيْ قَالُوا هَذَا قَوْلًا يَقِينًا، أَوْ قَالَ اللَّهُ هَذَا قَوْلًا يَقِينًا.

وَالْقَوْلُ الْآخَرُ- أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَمَا عَلِمُوهُ عِلْمًا يَقِينًا. النَّحَّاسُ: إِنْ قَدَّرْتَ الْمَعْنَى {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} يَقِينًا فَهُوَ خَطَأٌ، لِأَنَّهُ لَا يَعْمَلُ مَا بَعْدَ "بَلْ" فِيمَا قَبْلَهَا لِضَعْفِهَا.

وَأَجَازَ (ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ) الْوَقْفَ عَلَى "وَمَا قَتَلُوهُ" عَلَى أَنْ يُنْصَبَ "يَقِيناً" بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ، تَقْدِيرُهُ: وَلَقَدْ صَدَّقْتُمْ يَقِينًا أَيْ صِدْقًا يَقِينًا. (1)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ} " قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): (وَذَلِكَ أنَّهُ لَمَّا مَسَخَ الرَّهْطُ الَّذِيْنَ سَبُّواْ عِيسَى وَأُمَّهُ ، فَمَسَخَ اللهُ مَنْ سَبَّهُمَا قِرَدَةً وَخَنَازِيْرَ " وَدَخَلَ بَيْتاً فِي سَقْفِهِ رَوْزَنَةٌ - أيْ كُوَّةٌ - فَرَفَعَهُ جِبْرِيْلُ عليه السلام إلَى السَّمَاءِ " وَأمَرَ يَهُودِيّاً مَلِكُ الْيَهُودِ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ طِيْطَانُوسُ أنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ فَيَقْتُلَهُ " فَدَخَلَ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَلْقَى اللهُ عَلَيْهِ شَبَهَ عِيسَى عليه السلام ، فَلَمَّا خَرَجَ إلَى أصْحَابهِ قَتَلُوهُ وَهُمْ يَظُنُّونَ أنَّهُ عِيسَى ، ثُمَّ صَلَبُوهُ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَتَلْنَاهُ ،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إنَّ وَجْهَهُ وَجْهُ عِيسَى وَجَسَدَهُ جَسَدُ صَاحِبنَا ، فَإنْ كَانَ هَذا عِيسَى فَأَيْنَ صَاحِبُنَا ؟ وَإنْ كَانَ هَذَا صَاحِبُنَا فَأَيْنَ عِيسَى ؟ فَاشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ وَاخْتَلَفُوا فِيْهِ ،

ثُمَّ بَعَثَ عَلَيْهِمْ طَاطُوسَ بْنُ اسْتِيبَانُيُوسُ الرُّومِيُّ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيْمَةً).

وقَوْلُهُ تَعَالَى : {رَسُولَ اللَّهِ} قولُ الله خاصَّة لا قولُ اليهود ، وكانت اليهودُ تقولُ : عيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، قالَ الله تعالى : {رَسُولَ اللَّهِ} أي يَعْنُونَ الذي هو رَسُولُ الله.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَاكِن شُبِّهَ لَهُمْ} " أي وما قَتَلُوا عيسَى وما صَلَبُوهُ ولكن ألْقَى اللهُ على طِيْطَانُوسُ شَبَهَ عيسَى فقتلوهُ " ورُفِعَ عيسَى إلى السَّماء.

قَالَ: (الحسنُ) : إنَّ عِيْسَى -عليه السلام-، قَالَ لِلْحَوَارِيِّيْنَ : أيُّكُمْ يَرْضَى أنْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَلَ فَيَدْخُلَ الجنَّةَ " فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْحَوَارِيِّيْنَ فَقَالَ : أنَا يَا رَسُولَ الله ، فَأَلْقَى اللهُ عَلَيْهِ شَبَهَ عِيسَى " فَقُتِلَ وَصُلِبَ ، وَرَفَعَ اللهُ عِيسَى إلَى السَّمَاءِ).

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ} " أي مِنْ قَتْلِه ،

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (157)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

قَـال الكلبيُّ : (اخْتـلافُهُمْ فِيْـهِ : أنَّ الْيَهُـود قَـالُوا : نَحْنُ قَتَلْنَاهُ وصَلَبْنَاهُ ، وَقَـال: طَائِفَـةٌ مِـنَ النَّصَـارَى : بَـلْ نَحْـنُ قَتَلْنَـاهُ وَصَـلَبْنَاهُ ، فَمَـا قَتَلَـهُ هَـؤُلاَءِ وَلاَ هَـؤُلاَءِ ، بَـلْ رَفَعَهُ اللهُ إلَيْهِ إلَى السَّمَاءِ).

ويقـال : إنَّ الله تعـالى لَمَّـا ألقـى شَـبَهَ عيسَـى علـى طيطـانوسَ ألقـاهُ علـى وجهـه دون جَسَـده ، فَلَمَّـا قَتَلُـوا طيطـانوس " نَظَـرُوا إليـه فـإذَا وجهـهُ وجـهُ عيسَـى وجسَـدُه غـيرُ جَسَـد عيسَـى ، فقـالوا : إن كـان هـذا عيسَـى ، فـأينَ صـاحبُنا ؟ وإن كـانَ صـاحبُنا فـأينَ عيسَـى ؟ فقـال اللهُ تعـالى : ﴿مَـا لَهُـمْ بِـهِ مِـنْ عِلْـمٍ إلاَّ اتِّبَـاعَ الظَّـنِّ وَمَـا قَتَلُـوهُ يَقِينـاً﴾ " نَعْـتٌ كمصـدرٍ محـذوف تقديره : وَمَا عَلِمُوهُ عِلْماً يَقِيْناً. (1)

* * *

قـال: الإمـام (ابـن أبـي زَمَـنِين المـالكي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- ﴿وَقَـوْلِهِمْ إِنَّـا قَتَلْنَـا الْمَسِـيحَ عِيسَـى ابْـنَ مَـرْيَمَ﴾ (مسـح) بِالْبركَـةِ. ﴿وَمَـا قَتَلُـوهُ وَمَـا صـلبوه وَلَكِـن شـبه لَهُـم﴾ قَـالَ: (قَتَـادَة): ذكـر لنـا أن عيسَـى قَـالَ لأَصْـحَابه: أَيّكُـم يقـذف عَلَيْـه شـبهي" فَإِنَّـهُ مقتـول؟ قَـالَ رجـل مـن أَصْـحَابه : أَنَـا يَـا رَسُـول الله. فَقتـل ذَلِكَ الرجل، وَمنع الله نبيه (وَرَفعه إِلَيْه).

﴿وَإِنَّ الَّـذِينَ اخْتَلَفُـوا فِيـهِ لَفِـي شَـكٍّ مِنْـهُ مَـا لَهُـم بِـهِ مِـن علـم﴾ كَـانَ بَعضهم يَقُـول: هـم النَّصَـارَى، اخْتلفُوا فِيهِ فصاروا ثَلَاث فرق.

قَـالَ الله: ﴿مَـا لَهُـمْ بِـهِ مِـنْ عِلْـمٍ إلا اتِّبَـاعَ الظَّـنِّ وَمَـا قَتَلُـوهُ يَقِينـاً﴾ (أَي: مَـا قتلـوا ظـنهم يَقِينـا)

﴿بَـلْ رَفَعَـهُ اللَّـهُ إِلَيْـهِ وَكَـانَ اللَّـهُ عَزِيـزًا حَكِيمًا﴾. (2)

* * *

[١٥٨] ﴿ بَـلْ رَفَعَـهُ اللَّـهُ إِلَيْـهِ وَكَـانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

بـل نجّـاه الله مـن مكـرهم، ورفعـه الله بجسـمه وروحـه إليـه، وكـان الله عزيـزًا في ملكـه، لا يغالبـه أحـد، حكيمًـا في تـدبيره وقضـائه وشرعه. (3)

* * *

يَعْنِـي:- بـل رفـع الله عيسـى إليـه ببدنـه وروحـه حيًّـا، وطهَّـره مـن الـذين كفـروا. وكـان الله عزيـزًا في ملكـه، حكيمًـا في تـدبيره وقضائه. (4)

* * *

يَعْنِـي:- بـل رفـع الله عيسـى إليـه وأنقـذه مـن أعدائـه، ولم يصـلبوه، ولم يقتلـوه والله غالب لا يقهر، حكيم فى أفعاله. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

﴿بَـلْ رَفَعَـهُ اللَّـهُ إِلَيْـهِ﴾ ... ابتـداء كـلام مستأنف، أي إلى السماء.

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) - المنسـوب - للإمـام الطبرانـي) في سـورة (النساء) الآية (157157).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العزيـز) في سـورة (النسـاء) الآيـة (157) للإمـام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (103/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (103/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(5) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (139/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا} ... أي: قويا بالنقمة من اليهود تسلط عليهم من قتل منهم مقتلة عظيمة.

{وكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا} ... في مُلْكه.

{حكِيمًا} ... حكم عليهم باللعنة والغضب.

{حكِيمًا} ... في صُنْعه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مجاهد):

قوله: (بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) رفع الله إليه عيسى حيا. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ} إلى السَّماء {وكَانَ اللهُ عَزِيزاً} بالنقمة من أعدائه {حَكِيماً} بالنصرة لأوليائه نجى نبيه وأهْلك صَاحبهم. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {158} {بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} يَعْنِي:- قوله {يَقِينًا} تَرْجِعُ إِلَى مَا بَعْدَهُ، وَقَوْلُهُ {وَمَا قَتَلُوهُ} كَلَامٌ تَامٌّ تَقْدِيرُهُ: بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَقِينًا، وَالْهَاءُ فِي (مَا قَتَلُوهُ) كِنَايَةٌ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ،

وَقَالَ: (الْفَرَّاءُ) - رَحِمَهُ اللهُ-: معناه وما قتلوا الذين ظَنُّوا أَنَّهُ عِيسَى يَقِينًا،

وَرُوِيَ - عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عنهما- معناه: وما قَتَلُوا ظَنَّهُمْ يَقِينًا،

{وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا} مَنِيعًا بِالنِّقْمَةِ مِنَ الْيَهُودِ، {حَكِيمًا} {النساء: 158} حكم باللعنة والغضب عليهم. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} أَيْ مَنِيعَ الْجَنَابِ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ، وَلَا يُضَامُ مَنْ لَاذَ بِبَابِهِ {حَكِيمًا} أَيْ: فِي جَمِيعِ مَا يُقَدِّرُهُ وَيَقْضِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَخْلُقُهَا وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ، وَالسُّلْطَانُ الْعَظِيمُ، وَالْأَمْرُ الْقَدِيمُ.

قَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عباس) قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ، خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ -وَفِي الْبَيْتِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ-يَعْنِي: فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَيْنٍ فِي الْبَيْتِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فَقَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي. ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي، فَيُقْتَلُ مَكَانِي وَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟ فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ ذَلِكَ الشَّابُّ، فَقَالَ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ: أَنْتَ هُوَ ذَاكَ. فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى وَرُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَةٍ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ. قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (158).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (158). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (158).

الْيَهُود فَأَخَذُوا الشَّبَهَ فَقَتَلُوه، ثُمَّ صَلَبُوهُ وَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمُ اثْنَتَي عَشْرَةَ مَرَّةً، بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِه،

وَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَق، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ اللَّهُ فِينَا مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاء. وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه. وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه. وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ، فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ، فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى (ابْنِ عَبَّاس)، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي كُرَيْب، عَنْ (أَبِي مُعَاوِيَةَ)، بِنَحْوِه وَكَذَا ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَلَ مَكَانِي، وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟.

ثُمَّ قَالَ: (ابْنُ جَرِير): حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْد، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: كَانَ اسْمُ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي بُعِثَ إِلَى عِيسَى لِيَقْتُلَهُ رَجُلًا مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ: دَاوُد، فَلَمَّا أَجْمَعُوا لِذَلِكَ مِنْهُ، لَمْ يَفْظَعْ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ بِالْمَوْتِ -فِيمَا ذُكِرَ لِي- فَظَعَهُ وَلَمْ يَجْزَعْ مِنْهُ جَزَعَهُ، وَلَمْ يَدْعُ اللَّهَ فِي صَرْفِهِ عَنْهُ دُعَاءَهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ -فِيمَا يَزْعُمُونَ- "اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ صَارِفًا هَذِهِ الْكَأْسَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَاصْرِفْهَا عَنِّي" وَحَتَّى إِنَّ جِلْدَهُ مِنْ كَرْبِ ذَلِكَ لَيَتَفَصَّدُ دَمًا. فَدَخَلَ الْمَدْخَلَ الَّذِي أَجْمَعُوا أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ فِيهِ لِيَقْتُلُوهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ بِعِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا أَيْقَنَ أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ -وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فُطْرُسُ وَيَعْقُوبُ بْنُ زَبْدِي وَيُحَنَّسُ أَخُو يَعْقُوب، وَأَنْدَارِيِيس، وَفِيلِبْس، وَأَبْرَثْلَمَا وَمَتَّى وَثُومَاس، وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفِيَا، وَتَدَاوُسِيس، وَقِتَانِيَا وَيُودِسُ زَكَرِيَّا يُوطَا.

قَالَ: (ابْنُ حُمَيْد): قَالَ سَلَمَةُ، قَالَ: (ابْنُ إِسْحَاق): وَكَانَ فِيهِمْ فِيمَا ذَكَرَ لِي رَجُلٌ اسْمُهُ سَرْجِس، فَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا سِوَى عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، جَحَدَتْهُ النَّصَارَى، وَذَلِكَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي شُبِّهَ لِلْيَهُودِ مَكَانَ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَالَ: فَلَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ مِنْ هَؤُلَاءِ الاثْنَيْ عَشَرَ، أَوْ كَانَ ثَالِثَ عَشَرَ، فَجَحَدُوهُ حِينَ أَقَرُّوا لِلْيَهُودِ بِصَلْبِ عِيسَى، وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْخَبَرِ عَنْهُ. فَإِنْ كَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ فَإِنَّهُمْ دَخَلُوا الْمَدْخَلَ حِينَ دَخَلُوا وَهُمْ بِعِيسَى أَرْبَعَةَ عَشَرَ، وَإِنْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ، فَإِنَّهُمْ دَخَلُوا الْمَدْخَلَ حِينَ دَخَلُوا وَهُمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ.

قَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ): وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ: أَنَّ عِيسَى حِينَ جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ، أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ عَلَى أَنْ يُشَبَّهَ لِلْقَوْمِ فِي صُورَتِي، فَيَقْتُلُوهُ فِي مَكَانِي؟ فَقَالَ سَرْجِس: أَنَا، يَا رُوحَ اللَّهِ. قَالَ: فَاجْلِسْ فِي مَجْلِسِي. فَجَلَسَ فِيهِ، وَرُفِعَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ فَصَلَبُوهُ، فَكَانَ هُوَ الَّذِي صَلَبُوهُ وَشُبِّهَ لَهُمْ بِهِ، وَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ حِينَ دَخَلُوا مَعَ عِيسَى مَعْلُومَةً، قَدْ رَأَوْهُمْ وَأَحْصَوْا عِدَّتَهُمْ. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا عِيسَى،

فيمَا يُرون وَأصْحابَه، وَفَقَدُوا رَجُلًا مِنَ العِدَّة، فَهُوَ الَّذِي اخْتَلَفُوا فيه وَكانُوا لا يَعْرِفُونَ عيسَى، حَتَّى جَعَلُوا لِيُودس زَكَريَّا يُوطَا ثَلاثِينَ دِرهَمًا عَلَى أنْ يَدُلَّهُمْ عَلَيْه وَيُعَرِّفَهُمْ إيَّاه، فَقَالَ لَهُم: إذا دَخَلْتُمْ عَلَيْه فَإنِّي سَأقَبلُه، وَهُوَ الَّذِي أُقبِّلُ، فَخُذُوهُ. فَلَمَّا دَخَلُوا وَقَدْ رُفِعَ عيسَى، ورأى سرجس في صورة عيسى، فلم يشكل أَنَّهُ عيسَى، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ فَأَخَذُوهُ فَصَلَبُوهُ.

ثُمَّ إنْ يُودسَ زَكَريَّا يُوطَا نَدمَ عَلَى مَا صَنَعَ، فَاخْتَنَقَ بِحَبْلٍ حَتَّى قَتَلَ نَفْسَهُ، وَهُوَ مَلْعُونٌ فِي النَّصَارَى، وَقَدْ كَانَ أَحَدَ الْمَعْدُودِينَ مِنْ أَصْحَابِه، وَبَعْضُ النَّصَارَى يَزْعُمُ أنَّ يُودسَ زَكَريَّا يُوطَا هُوَ الَّذِي شُبِّهَ لَهُمْ، فَصَلَبُوهُ وَهُوَ يَقُولُ: "إنِّي لَسْتُ بِصَاحِبِكُمْ. أَنَا الَّذِي دَلَلْتُكُمْ عَلَيْه". وَاللَّهُ أَعْلَمُ أيَّ ذلِكَ كَانَ (1).

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ)، عَنْ (مُجَاهِد): صَلَبُوا رَجُلًا شَبَّهُوهُ بعيسَى، وَرَفَعَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عيسَى إلَى السَّمَاءِ حَيًّا.

وَاخْتَارَ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ) أنَّ شَبَهَ عيسَى أُلْقِيَ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِه. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158)}

قال: (أبو جعفر): أما قوله جل ثناؤه: {بل رفعه الله إليه}، فإنه يعني: بل رفع الله المسيح إليه. يقول: لم يقتلوه ولم يصلبوه، ولكن الله رفعه إليه فطهَّره من الذين كفروا.

* * *

وأما قوله: {وكان الله عزيزًا حكيمًا}، فإنه يعني: ولم يزل الله منتقمًا من أعدائه، كانتقامه من الذين أخذتهم الصاعقة بظلمهم، وكلعنه الذين قصّ قصتهم بقوله: {فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله} = "حكيمًا"، يقول: ذا حكمة في تدبيره وتصريفه خلقه في قضائه. يقول: فاحذروا أيها السائلون محمدًا أن ينزل عليكم كتابًا من السماء، من حلول عقوبتي بكم، كما حل بأوائلكم الذين فعلوا فعلكم، في تكذيبهم رسلي وافترائهم على أوليائي، (3)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) ابْتِدَاءُ كَلَامٍ مُسْتَأْنَف، أَيْ إِلَى السَّمَاءِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُتَعَالٍ عَنِ الْمَكَانِ،

وَقَدْ تَقَدَّمَ كَيْفِيَّةُ رَفْعِه في" آل عمْرَانَ".

(وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً) أَيْ قَوِيًّا بِالنِّقْمَةِ مِنَ الْيَهُودِ فَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ بُطْرُسَ بْنَ أَسْتِيسَانُوسَ الرُّومِيَّ فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً.

(حَكِيماً) حكَمَ عَلَيْهِمْ باللعنة والغضب. (4)

---

(1) رواه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (371/9) – من طريق – (سلمة عن ابن إسحاق) به.

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (158)، للإمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (158)، للإمَام (الطبري)،

(4) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) – الآية (158)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ تَعَالَى : {بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} " أي بل رَفَعَهُ الله إلى السَّماء ، وإنَّما سَمَّى ذلك رَفْعاً إليه " لأنه رُفِعَ إلى موضع لا يَملكُ فيه أحدٌ شيئاً إلاّ (اللهُ). قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : {وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} " قد ذكرنا معناهُ غيرَ مرَّة ، وفائدةُ ذكرِه ها هنا : بيانُ قدرةِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على نَجاةِ من يشاءُ ، وبيانُ حكمتهِ فيما فعلَ ويفعلُ ويحكُمُ ، فلما رَفَعَ اللهُ عيسى -عليه السلام- كَسَاهُ الرِّيْشَ وألبسَهُ النورَ وقطعَ عنهُ شهواتِ الْمَطعَمِ والْمَشْرَبِ وطارَ مع الملائكة " فهو معهم حولَ العرش فكأنه إنْسِيّاً ملكياً سَماوِيّاً أرضياً.

قال: (وهبُ بنُ مُنَبه) : (يُبْعَثُ عِيْسَى عَلَى رَأسِ ثَلاثِيْنَ سَنَةً ، وَرَفَعَهُ اللهُ وَهُوَ ابْنُ ثَلاثٍ وَثَلاثِيْنَ سَنَةً ، وَكَانَتْ نُبُوَّتُهُ ثَلاثَ سِنِيْنَ). (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} أي: غالباً على أمره حكيماً في فعله وتدبيره. (2)

* * *

[١٥٩] ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

وما من أحد من أهل الكتاب إلا سيؤمن بعيسى -عليه السلام- بعد نزوله آخر الزمان وقبل موته، ويوم القيامة يكون عيسى -عليه السلام- شاهدًا على أعمالهم" ما يوافق الشرع منها وما يخالف. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإنه لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب بعد نزول عيسى آخر الزمان إلا آمن به قبل موته عليه السلام، ويوم القيامة يكون عيسى -عليه السلام- شهيدًا بتكذيب مَن كذَّبه، وتصديق مَن صدَّقه. (4)

* * *

يَعْنِي:- وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته وأنه عبد الله ورسوله، ويؤمن به إيماناً لا ينفعه لفوات أوانه، ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى بأنه بَلَّغ رسالة ربه وأنه عبد الله ورسوله. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَإِنَّ} ... مَا. {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} ... أَحَد.

{إلاَ ليومنن بِهِ} ... بِعِيسَى-عليه السلام.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (158).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (158)، للإمام : (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (103/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)، الناشر: (مجمع الملك فهد - لطباعة المصحف الشريف– السعودية).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (139/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{قبل موته} ... أَيْ: الْكِتَابِيّ حين يُعَاين ملائكة المَوْت فلاَ ينفعهُ إيمانه أَوْ قَبْل مَوت عيسى لَمَّا ينْزل قُرب السَّاعة، كَمَا ورد في حَديث.

{ويوْمَ القِيامَةِ يكُونُ عَلَيهِمْ شَهِيداً} ... يشهد على اليهود بأنهم كذبوه، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله.

{ويَوْمَ القِيَامَةِ يكُون} ... عيسَى - عليه السلام.

{عَلَيهِمْ شَهِيدًا} ... بِمَا فَعلُوهُ لَمَّا بُعِثَ إليهم.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَإِن مِّنْ} وَمَا من {أَهْلِ الْكِتَابِ} الْيَهُود وَالنَّصَارَى أحد {إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} بعيسَى أَنه لم يكن سَاحِراً وَلاَ الله وَلاَ ابْنه وَلاَ شَرِيكه {قَبْلَ مَوْتِهِ} قبل خُرُوج نَفسه بعد نزُول عِيسَى ثمَّ يَمُوت بعد كل يَهُودِيّ يكون فِي زمنهم {وَيَوْمَ الْقِيَامَة يَكُونُ} عِيسَى {عَلَيْهِمْ شَهِيداً} بالبلاغ.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {159} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} أَيْ: وَمَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِعِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ العلم،

وقوله: {قَبْلَ مَوْتِهِ} اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْكِنَايَةِ، فَقَالَ: (عِكْرِمَةُ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(الضَّحَّاكُ)/ وَ(السُّدِّيُّ): إِنَّهَا كِنَايَةٌ عَنِ الْكِتَابِيِّ، وَمَعْنَاهُ: وَمَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَحَدٌ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِعِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَبْلَ موته، إذا وقع في اليأس حِينَ لاَ يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ سَوَاءٌ احْتَرَقَ أَوْ غَرِقَ أَوْ تَرَدَّى فِي بِئْرٍ أَوْ سَقَطَ عَلَيْه جدارٌ أَوْ أَكَلَهُ سَبُعٌ أَوْ مَاتَ فَجْأَةً،

وَهَذِه رِوَايَةُ عَنِ (ابْنِ طَلْحَةَ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ-. قَالَ: فَقِيلَ لـ(ابْنِ عَبَّاسٍ) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَرَأَيْتَ أن مَنْ خَرَّ مِنْ فَوْقِ بَيْتٍ؟ قَالَ: يَتَكَلَّمُ بِهِ فِي الْهَوَاءِ، قَالَ: فَقِيلَ أَرَأَيْتَ إِنْ ضُرِبَ عُنُقُ أَحَدِهِمْ؟ قَالَ: يَتَلَجْلَجُ بِهِ لِسَانُهُ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْهَاءَ فِي (مَوْتِهِ) كِنَايَةٌ عَنْ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، مَعْنَاهُ: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَ لَيُؤْمِنَنَّ بِعِيسَى قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ السَّمَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَ آمَنَ بِهِ حَتَّى تَكُونَ الْمِلَّةُ وَاحِدَةً، مِلَّةُ الْإِسْلَامِ.

وَرُوِينَا عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((يُوشِكُ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلُهُ أَحَدٌ، وَيَهْلَكُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلُ كُلُّهَا إِلاَ الْإِسْلَامَ، وَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ)).(2)

وَقَالَ: (أَبُو هريرة): اقْرؤوا إِنْ شِئْتُمْ: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ثُمَّ يُعِيدُهَا (أَبُو هُرَيْرَةَ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (159). ينسب: لـ(عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) (متفق عليه).

وَرَوِيَ عَنْ (عِكْرِمَةَ): أَنَّ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ {لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} كِنَايَةٌ عَنْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: لاَ يَمُوتُ كِتَابِيٌّ حَتَّى يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

يَعْنِي:- هِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ مَوْتِهِ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ حِينَ لاَ يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ} يَعْنِي: عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، {عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَأَقَرَّ بِالْعُبُودِيَّةِ عَلَى نَفْسِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُ {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ} {الْمَائِدَةِ: 117} وَكُلُّ نَبِيٍّ شَاهِدٌ عَلَى أُمَّتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} {النساء: 41}. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع (أبا هريرة) - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المالُ حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)). ثم يقول: (أبو هريرة): واقرءوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً). (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو خيثمة، زهير بن حرب. حدثني الوليد بن مسلم. حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. حدثني يحيى بن جابر الطائى، قاضى حمص حدثني عبد الرحمن بن جُبر عن أبيه، جبير بن نفير الحضرمي، أنه سمع النوّاس بن سمعان الكلابي. ح وحدثني محمد بن مهران الرازي -واللفظ له- حدثنا الوليد ابن مسلم. حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، (جبير بن نفير)، عن (النوّاس بن سمعان)، قال: ذكر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الدجال ذات غداة. فخفّض فيه ورفّع. حتى ظنناه في طائفة النخل. فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا. فقال: ((ما شأنكم؟. قلنا: يا رسول الله! ذكرتَ الدجال غداة. فخفّضتَ فيه ورفّعت. حتى ظنناه في طائفة النخل)).

فقال: ((غير الدجال أخوفني عليكم. إن يخرج، وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم. وإن يخرج، ولستُ فيكم، فامرؤ حجيج نفسه. والله خليفتيَ على كل مسلم. إنه شاب قطط.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (159).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6/566)، (ح 3448) - (كتاب أحاديث الأنبياء)، / باب: (نزول -عيسى بن مريم- عليهما السلام).

عينه طافئة. كأني أشبّهه بعبد العزى بن قطن. فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف. إنه خارج خلّة بين الشام والعراق. فعاث يميناً وعاث شمالاً. يا عباد الله! فاثبتوا)). قلنا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض؟ قال: ((أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر. ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا له قدره. قلنا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح. فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له. فيأمر السماء فتمطر. والأرض فتنبت، فتروحُ عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضُروعاً، وأمدّه خواصر. ثم يأتي القوم. فيدعوهم فيردون عليه قوله. فينصرف عنهم. فيُصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل. ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً. فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيُقبل ويتَهَلل وجهه. يضحك. فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم. فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. بين مهرودتين. واضعاً كفّيه على أجنحة ملكين. إذا طأطأ رأسه قطر. وإذا رفعه تحدر منه جُمان كاللولؤ. فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات. ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. فيطلبه حتى يُدركه بباب لدّ. فيقتله. ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه. فيمسح عن وجوههم ويُحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لايدان لأحد بقتالهم، فحرزّ عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون. فيمرّ أوائلهم على بُحيرة طبرية. فيشربون ما فيها. ويمرّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرة، ماء. ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه. حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه. فيُرسل الله عليهم النغف في رقابهم. فيُصبحون فرسى كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض. فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله. فيُرسل الله طيراً كأعناق البُخت. فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يُرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر. فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة. ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدّي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمّانة. ويستظلون بقحفها. ويُبارك في الرسل. حتى أن اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس. واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس. واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة. فتأخذهم تحت آباطهم. فتقبض رُوح كل مؤمن وكل مسلم. ويبقى شرار الناس،

يتهارجون فيها تهارج الحُمر، فعليهم تقوم الساعة.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وحدثنا سعيد بن منصور وعمرو الناقد وزهير بن حرب. جميعاً عن ابن عيينة. قال سعيد: حدثنا (سفيان بن عيينة). حدثني الزهري عن حنظلة الأسلمي. قال: سمعت (أبا هريرة) - رضي الله عنه - يُحدّث عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((والذي نفسي بيده! ليهلن ابن مريم بفجّ الروحاء، حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما)).(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة. حدثنا الليث عن ابن شهاب أنه سمع عُبيد الله بن عبد الله بن ثعلبة الأنصاري يحدّث عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري من بني عمرو بن عوف يقول: سمعت عمي مجمع بن جارية الأنصاري يقول: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((يقتل ابن مريم الدجال بباب لد)).(3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنن بِهِ قبل موته} ... قَالَ: (قَتَادَة): يَعْنِي: قبل موت عِيسَى إِذا نزل.

وَقَالَ: (السّدي): يَقُولُ لاَ يَمُوت مِنْهُم أحد حَتَّى يُؤمن بِعِيسَى" أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُوله، فَلاَ يَنْفَعهُ ذَلِكَ عِنْد مُعَايِنَة ملك الْمَوْت.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وقوله: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} يحتمل أن الضمير هنا في قوله: {قَبْلَ مَوْتِهِ} يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم وقيامهم؟ "

ويحتمل أن الضمير في قوله: {قَبْلَ مَوْتِهِ} راجع إلى عيسى- عليه السلام-، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار.

فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله- عليه السلام -في آخر هذه الأمة.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2250/4)، (ح 2937) - (كتاب: الفتن وأشراط الساعة)، / باب: (ذكر الدجال وصفته وما معه).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (915/2)، (ح 1252) - (كتاب: الحج)، / باب: (إهلال النبي -صلى الله عليه وسلم - وهديه).

(3) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (515/4)/، (ح 2244) - (كتاب: الفتن)، / باب: (ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال).
قال: الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه): حديث (حسن صحيح).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (420/3) - من طريق-: (ابن عيينة، عن (الزهري) به.

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (159) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة لشرع الله أم لا؟

وحينئذ لا يشهد إلا ببطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشريعة القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم-، علمنا بذلك، لِعلمِنَا بكمال عدالة المسيح -عليه السلام - وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة): (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يقول: يكون عليهم شهيدا يوم القيامة على أنه بلغ رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه. (2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ). قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ): الْمَعْنَى لَيُؤْمِنَنَّ بِالْمَسِيحِ" قَبْلَ مَوْتِهِ" أَيِ الْكِتَابِيِّ، فَالْهَاءُ الْأُولَى عَائِدَةٌ عَلَى عِيسَى، وَالثَّانِيَةُ عَلَى الْكِتَابِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ أحد من أهل الكتاب

الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِلاَ وَيُؤْمِنُ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ إِذَا عَايَنَ الْمَلَكَ، وَلَكِنَّهُ إِيمَانٌ لاَ يَنْفَعُ، لأَنَّهُ إِيمَانٌ عِنْدَ الْيَأْسِ وَحِينَ التَّلَبُّسِ بِحَالَةِ الْمَوْتِ، فَالْيَهُودِيُّ يُقِرُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَالنَّصْرَانِيُّ يُقِرُّ بِأَنَّهُ كَانَ رَسُولَ اللَّه.

وَرُوِيَ أَنَّ (الْحَجَّاجَ) سَأَلَ - شَهْرَ بْنَ حَوْشَبٍ - عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: إِنِّي لأوتَى بِالْأَسِيرِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَآمُرُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، وَأَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَلاَ أَرَى مِنْهُ الْإِيمَانَ، فَقَالَ لَهُ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: إِنَّهُ حِينَ عَايَنَ أَمْرَ الْآخِرَةِ يُقِرُّ بِأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُؤْمِنُ بِهِ وَلاَ يَنْفَعُهُ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ هَذَا؟ قَالَ: أَخَذْتُهُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: أَخَذْتَ مِنْ عَيْنٍ صَافِيَةٍ.

وَرُوِيَ عَنْ (مُجَاهِدٍ): أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَ يُؤْمِنُ بِعِيسَى قَبْلَ مَوْتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ غَرِقَ أَوِ احْتَرَقَ أَوْ أَكَلَهُ السَّبُعُ يُؤْمِنُ بِعِيسَى؟ فَقَالَ: نَعَمْ! يَعْنِي:- إِنَّ الْهَاءَيْنِ جَمِيعًا لِعِيسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ-، وَالْمَعْنَى لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ مَنْ كَانَ حَيًّا حِين نزوله يوم القيامة،

قاله: (قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ) وَغَيْرُهُمَا وَاخْتَارَهُ الإمام (الطَّبَرِيُّ). - وروى (يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ) عَنْ رَجُلٍ عَنِ (الْحَسَنِ) فِي، قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَالَ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَيٌّ عِنْدَ اللَّهِ الْآنَ، وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ آمَنُوا بِهِ أَجْمَعُونَ، وَنَحْوَهُ عَنِ (الضَّحَّاكِ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ).

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (159)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (159).

وَقِيلَ: " لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ " أَيْ بِمُحَمَّدٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ، لِأَنَّ هَذِهِ الْأَقَاصِيصَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ وَالْمَقْصُودُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَالْإِيمَانُ بِعِيسَى يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضًا، إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ.

وَقِيلَ: " لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ " أَيْ بِاللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَلَا يَنْفَعُهُ الْإِيمَانُ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ. وَالتَّأْوِيلَانِ الْأَوَّلَانِ أَظْهَرُ.

وروى (الزُّهْرِيُّ) - عَنْ - (سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ) عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَلَيَقْتُلَنَّ الدَّجَّالَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَتَكُونُ السَّجْدَةُ وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (، ثُمَّ قَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ): وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ): قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، يُعِيدُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ عِنْدَ (سِيبَوَيْهِ): (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَحَدٌ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ).

وَتَقْدِيرُ (الْكُوفِيِّينَ): (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا مَنْ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ)، وَفِيهِ قُبْحٌ، لِأَنَّ فِيهِ حَذْفَ الْمَوْصُولِ، وَالصِّلَةُ بَعْضُ الموصول فكأنه حذف بعض الاسم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً) أَيْ بِتَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ وَتَصْدِيقِ مَنْ صَدَّقَهُ.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} يَعْنِي بِعِيسَى {قَبْلَ مَوْتِهِ} يَعْنِي: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى -يُوَجِّهُ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ جَمِيعَهُمْ يُصَدِّقُونَ بِهِ إِذَا نَزَلَ لِقَتْلِ الدَّجَّالِ، فَتَصِيرُ الْمِلَلُ كُلُّهَا وَاحِدَةً، وَهِيَ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِيَّةُ، دِينُ إِبْرَاهِيمَ، - عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَالَ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) مِثْلَ ذَلِكَ (2).

وَقَالَ: (أَبُو مَالِكٍ) فِي قَوْلِهِ: {إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَالَ: ذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أهل الكتاب إلا آمن به.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} يَعْنِي: الْيَهُودَ خَاصَّةً.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ): يَعْنِي النَّجَاشِيَّ وَأَصْحَابَهُ. وَرَوَاهُمَا (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (159)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) تفسير الطبري (380/9).

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): وحَدَّثني يعقوبُ، حَدَّثنا ابْنُ عُلَيَّة، حَدَّثنا أَبُو رجَاءٍ، عَنِ (الْحَسَنِ): {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَالَ: قَبْلَ مَوْتِ عيسَى. وَاللَّهِ إِنَّهُ الْآنَ حَيٌّ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ آمَنُوا بِهِ أَجْمَعُونَ.

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثنا أَبِي، حَدَّثنا عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ اللاحِقِيُّ، حَدَّثنا (جُوَيْرِيَةُ بْنُ بِشْرٍ) قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَالَ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، قَوْلُ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَالَ: ((قَبْلَ مَوْتِ عيسَى. إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ إِلَيْهِ عيسَى إِلَيْهِ وَهُوَ بَاعِثُهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَقَامًا يُؤْمِنُ بِهِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ)).(1)

وَكَذَا قَالَ: (قَتَادَةُ)، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْحَقُّ، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ بَعْدُ بِالدَّلِيلِ الْقَاطِعِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَبِهِ الثِّقَةُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} قَبْلَ مَوْتِ الْكِتَابِيِّ. ذِكْرُ مَنْ كَانَ يُوَجِّهُ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ إِذَا عَايَنَ عِلْمَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ" لِأَنَّ كُلَّ مَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ لَمْ تَخْرُجْ نَفْسُهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي دِينِهِ.

قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ (ابْنِ عباس) قوله: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَالَ لَا يَمُوتُ يَهُودِيٌّ حَتَّى يُؤْمِنَ بِعِيسَى.

حَدَّثني الْمُثَنَّى، حَدَّثنا أَبُو حُذَيْفَةَ، حَدَّثنا شِبْلٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ (مُجَاهِدٍ) فِي قَوْلِهِ: {إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} كُلُّ صَاحِبِ كِتَابٍ يُؤْمِنُ بِعِيسَى قَبْلَ مَوْتِهِ -قَبْلَ مَوْتِ صَاحِبِ الْكِتَابِ-وَقَالَ (ابْنُ عَبَّاسٍ): لَوْ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ لَمْ تَخْرُجْ نَفْسُهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِعِيسَى.

حَدَّثنا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثنا أَبُو تُمَيْلَةَ يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، حَدَّثنا حُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ، عَنْ يَزِيدَ النَّحْوِيِّ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: لَا يَمُوتُ الْيَهُودِيُّ حَتَّى يَشْهَدَ أَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَلَوْ عُجِّلَ عَلَيْهِ بِالسِّلَاحِ.

حَدَّثني إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، حَدَّثنا عَتَّابُ بْنُ بَشِيرٍ عَنْ خُصَيْفٍ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَالَ: هِيَ فِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: {قَبْلَ مَوْتِهِمْ} لَيْسَ يَهُودِيٌّ يَمُوتُ أَبَدًا حَتَّى يُؤْمِنَ بِعِيسَى. قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَرَأَيْتَ إِنْ خَرَّ مِنْ فَوْقِ بَيْتٍ؟ قَالَ: يَتَكَلَّمُ بِهِ فِي الْهُوِيِّ. فَقِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ ضُرِبَتْ عُنُقُ أَحَدٍ مِنْهُمْ؟ قَالَ: يُلَجْلِجُ بِهَا لِسَانُهُ.

وَكَذَا رَوَى (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ) عَنْ خُصَيْفٍ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ): {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَالَ: لَا يَمُوتُ يَهُودِيٌّ حَتَّى يُؤْمِنَ بِعِيسَى- عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنْ ضُرِبَ بِالسَّيْفِ تَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: وَإِنْ هَوَى تَكَلَّمَ بِهِ وَهُوَ يَهْوِي.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (159)، للإمام (ابن كثير).

وَكَذَا رَوَى (أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ)، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الْغَنَوِي عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ). فَهَذِهِ كُلُّهَا أَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ إِلَى (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَكَذَا صَحَّ عَنْ (مُجَاهِدٍ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ). وَبِهِ يَقُولُ: (الضَّحَّاكُ وجُوَيْبِر)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَحَكَاهُ عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، ونَقَلَ قِرَاءَةَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: "قَبْلَ مَوْتِهِمْ".

وَقَالَ: الإِمَامُ (عَبْدُ الرَّزَّاق)، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ فُرَاتَ الْقَزَّازِ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ: {إلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قَالَ: لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى يُؤْمِنَ بِعِيسَى قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ.
وَهَذَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادَ الْحَسَنِ مَا تَقَدَّمَ عَنْهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ مَا أَرَادَهُ هَؤُلَاءِ (1)

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ): وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِ الْكِتَابِيِّ.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: قَالَ (عِكْرِمَةُ): لَا يَمُوتُ النَّصْرَانِيُّ وَلَا الْيَهُودِيُّ حَتَّى يُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي قَوْلِهِ: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} (2)

ثُمَّ قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ): وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصِّحَّةِ الْقَوْلُ الأَوَّلُ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بَعْدَ نُزُولِ عِيسَى، -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، إِلَّا آمَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، أَيْ قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالَهُ -ابْنُ جَرِيرٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ- هُوَ الصَّحِيحُ" لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنْ سِيَاقِ الْآيِ فِي تَقْرِيرِ بُطْلَانِ مَا ادَّعَتْهُ الْيَهُودُ مِنْ قَتْلِ عِيسَى وَصَلْبِهِ، وَتَسْلِيمِ مَنْ سَلَّمَ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى الْجَهَلَةِ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا شُبِّهَ لَهُمْ فَقَتَلُوا الشَّبِيهَ وَهُمْ لَا يَتَبَيَّنُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّهُ بَاقٍ حَيٌّ، وَإِنَّهُ سَيَنْزِلُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ -الَّتِي سَنُورِدُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَرِيبًا- فَيَقْتُلُ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ -يَعْنِي: لَا يَقْبَلُهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، بَلْ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ- فَأَخْبَرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْكِتَابِ حِينَئِذٍ، وَلَا يَتَخَلَّفُ عَنِ التَّصْدِيقِ بِهِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ" وَلِهَذَا قَالَ: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} أَيْ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، الَّذِي زَعَمَ الْيَهُودُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ النَّصَارَى أَنَّهُ قُتِلَ وَصُلِبَ.

---

(1) تفسير عبد الرزاق (170/1).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (159)، للإمام (ابن كثير).

{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} أَيْ: بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي شَاهَدَهَا مِنْهُمْ قَبْلَ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَبَعْدَ نُزُولِهِ إِلَى الْأَرْضِ. فَأَمَّا مَنْ فَسَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ بِأَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّ كُلَّ كِتَابِيٍّ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِعِيسَى أَوْ بِمُحَمَّدٍ، عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ عِنْدَ احْتِضَارِهِ يَتَجَلَّى لَهُ مَا كَانَ جَاهِلًا بِهِ، فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِيمَانًا نَافِعًا لَهُ، إِذَا كَانَ قَدْ شَاهَدَ الْمَلَكَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} الْآيَةَ {النِّسَاء: 18}.

وَقَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} الْآيَتَيْنِ {غَافِر: 84، 85} وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ مَا احْتَجَّ بِهِ ابْنُ جَرِيرٍ فِي رَدِّ هَذَا الْقَوْلِ، حَيْثُ قَالَ: وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ هَذَا، لَكَانَ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ أَوْ بِالْمَسِيحِ، مِمَّنْ كَفَرَ بِهِمَا -يَكُونُ عَلَى دِينِهِمَا، وَحِينَئِذٍ لَا يَرِثُهُ أَقْرِبَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ" لِأَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ. فَهَذَا لَيْسَ بِجَيِّدٍ" إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنْ إِيمَانِهِ فِي حَالَةٍ لَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ أَنَّهُ يَصِيرُ بِذَلِكَ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَلَوْ تَرَدَّى مِنْ شَاهِقٍ أَوْ ضُرِبَ بِسَيْفٍ أَوِ افْتَرَسَهُ سَبُعٌ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُؤْمِنَ بِعِيسَى" فَالْإِيمَانُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَاتِ لَيْسَ بِنَافِعٍ، وَلَا يَنْقُلُ صَاحِبَهُ عَنْ كُفْرِهِ لِمَا قَدَّمْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا جَيِّدًا وَأَمْعَنَ النَّظَرَ، اتَّضَحَ لَهُ أَنَّ هَذَا، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْوَاقِعَ، لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ هَذَا، بَلِ الْمُرَادُ بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَقْرِيرِ وُجُودِ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَقَاءِ حَيَاتِهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ سَيَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ" لِيُكَذِّبَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ تَبَايَنَتْ أَقْوَالُهُمْ فِيهِ وَتَضَادَّتْ وَتَعَاكَسَتْ وَتَنَاقَضَتْ، وَخَلَتْ عَنِ الْحَقِّ، فَفَرَّطَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ وَأَفْرَطَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى: تَنَقَّصَهُ الْيَهُودُ بِمَا رَمَوْهُ بِهِ وَأُمَّهُ مِنَ الْعَظَائِمِ، وَأَطْرَاهُ النَّصَارَى بِحَيْثُ ادَّعَوْا فِيهِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، فَرَفَعُوهُ فِي مُقَابَلَةِ أُولَئِكَ عَنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ إِلَى مَقَامِ الرُّبُوبِيَّةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. (1)

ذِكْرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي نُزُولِ (عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) إِلَى الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: (2)

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (159)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (159)، للإمام (ابن كثير).

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيّ)، - رَحِمَهُ اللَّهُ -: فِي كِتَاب ذِكْر الْأَنْبِيَاء، مِنْ صَحِيحه الْمُتَلَقَّى بِالْقَبُولِ: (نُزُول عِيسَى ابْن مَرْيَم - عَلَيْهِ السَّلَامُ) : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)). (1) ثُمَّ يَقُولُ (أَبُو هُرَيْرَةَ): اقْرَؤُوا إن شئتم: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}

وَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام (مُسْلِمٌ) عَنِ الْحَسَنِ الحُلْواني وَعَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ كِلَاهُمَا، عَنْ يَعْقُوبَ، بِهِ (2)

وَأَخْرَجَهُ الإمام (الْبُخَارِيّ)، وَ(مُسْلِمٌ)، أَيْضًا، -مِنْ حَدِيث- (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ)، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهِ. (3)

وَأَخْرَجَاهُ -مِنْ طَرِيقِ - (اللَّيْث) - عَنِ (الزُّهْرِيِّ) بِهِ. (4)

وَرَوَاهُ – الإمام (ابْنُ مَرْدَوَيْهِ) - مِنْ طَرِيقِ - مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ فِيكم ابنُ مريم حكمًا عدلا يَقْتُلُ الدَّجَّالَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ، وَتَكُونُ السَّجْدَةُ وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)). قَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ): اقْرَؤُوا إِنْ شئتم: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ} مَوْتِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ثُمَّ يُعِيدُهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (5).

طَرِيقٌ أُخْرَى- عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ):

قَالَ :الْإِمَام (أَحْمَدُ): (6) حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ، عَنِ الزُّهْرِي، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ عَلِيّ الْأَسْلَمِي، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: ((لَيُهِلَّنَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ بِالْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ أَوْ لَيُثَنِّيَنَّهُمَا جَمِيعًا)).

وَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام (مُسْلِمٌ) (7) مُنْفَردًا بِهِ،- مِنْ حَدِيث- (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَاللَّيْث بْنِ سَعْد، وَيُونُس بْنِ يَزِيدَ، ثَلَاثَتُهُمْ عَنِ الزُّهْرِيِّ) بِهِ .

(1) (متفق عليه) : أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3448)-(كتاب أحاديث الأنبياء).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (155)-(كتاب : الإيمان).
(2) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3448).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (155).
(3) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2476).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (155).
(4) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2222).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم 155
(5) ذكره الإمام (السيوطي) في (الدر المنثور) برقم (735/2) .
(6) (صحيح) : أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (513/2).
(7) (صحيح) : أخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1252).

وَقَالَ: الإمام (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ -هُوَ ابْنُ حُسَيْنٍ- عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَمْحُو الصَّلِيبَ، وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ، وَيُعْطِي الْمَالَ حَتَّى لَا يُقْبَلَ، وَيَضَعُ الْخَرَاجَ، وَيَنْزِلُ الرَّوْحَاءَ فَيَحُجُّ مِنْهَا أَوْ يَعْتَمِرُ أَوْ يَجْمَعُهُمَا)). قَالَ: وَتَلَا (أَبُو هُرَيْرَةَ): {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} فَزَعَمَ حَنْظَلَةُ أَنَّ (أَبَا هُرَيْرَةَ) قَالَ: يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، فَلَا أَدْرِي هَذَا كُلُّهُ حَدِيثُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوْ شَيْءٌ قَالَهُ (أَبُو هُرَيْرَةَ).

وَكَذَا رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مُوسَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى، عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهِ.(1)

طَرِيقٌ أُخْرَى:

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا ابْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ (أَبَا هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟))(2) تَابَعَهُ (عُقَيْلٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ).

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)(3)، عَنْ (عَبْدِ الرَّزَّاقِ)، عَنْ (مَعْمَرٍ)، وَعَنْ (عُثْمَانَ بْنِ عُمَرَ)، عَنِ (ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، كِلَاهُمَا عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، بِهِ.

وَأَخْرَجَهُ الإمام (مُسْلِمٌ)(4) مِنْ رِوَايَةِ -(يُونُسَ وَالْأَوْزَاعِيِّ)، وَ(ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ)، بِهِ .

طَرِيقٌ أُخْرَى:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، أَنْبَأَنَا (قَتَادَةُ)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)" أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- قَالَ: ((الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ" لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلاَّ الإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ، حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (290/2)

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (3449)-(كتاب أحاديث الأنبياء).

وأخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (155)-((كتاب: الإيمان).

(3) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (272/2) من رواية (عبد الرزاق) و(336/2) - من رواية -(عثمان بن عمر)،

(4) (صحيح): وأخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (155)-((كتاب: الإيمان).

أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوفى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلمُونَ)) (1).

وَكَذَا رواهُ الْإِمام (أَبُو داوُدَ)، عَنْ هُدْبَةَ بْنِ خَالد، عَنْ همَّام بْنِ يَحْيَى.

رَوَاهُ الإِمام (ابْنُ جَرِير) -ولَمْ يُوردْ عنْدَ هَذِه الْآيَة سوَاهُ- عَنْ بِشْرِ بْنِ مُعاذ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، عَنْ سَعِيد بْنِ أَبِي عَرُوبَة -كلاهُمَا- عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ آدَمَ -وهُو مَوْلَى أمِّ بُرْثُن -صَاحِبُ السِّقَايَة، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَذكَرَ نَحْوَهُ، وقَالَ: فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ (2).

وَقَدْ روَى الإِمام (الْبُخَارِيُّ)، عَنْ أَبِي الْيَمَان، عَنْ شُعَيْب، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يَقُولُ: ((أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ)) (3).

ثُمَّ رَوَى عَنْ مُحَمَّد بْنِ سِنَان: عَنْ فُلَيْحِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ هِلَالِ بْنِ عَلِيّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَة، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -((أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخرَة، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ)).

وَقَالَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَان، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْم، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَار، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- (4).

قَالَ: الإِمام (مُسْلِمٌ) فِي (صَحِيحِه): حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْب، حَدَّثَنَا مُعَلى بْنُ مَنْصُور، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَال، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيه، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)" أَنَّ رَسُولَ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاق -أَوْ بِدَابِق- فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَ الرُّومُ: خَلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُ أَفْضَلُ الشهداء عند الله عز وجل ويفتح الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ. فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ: يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ (8) فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (159)، للإمام (ابن كثير).

(2) أخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (406/2)
وأخرجه الإمامُ (أبو داود) في (السنن) برقم (4324)
وتفسير الإمام (الطبري) برقم (388/9).

(3) (صَحِيح) :أخرجه الإمامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (3443)-(كتاب أحاديث الأنبياء).

(4) (صَحِيح) :أخرجه الإمامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (3443)-(كتاب أحاديث الأنبياء).

يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِه، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِه)).(1)

وَلْنَذْكُر حَدِيثَ (النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ) هَاهُنَا لِشَبَهِه بِسِيَاقِه هَذَا الْحَدِيثَ.

قَالَ: الإِمَام (مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاج) - فِي (صَحِيحِه): حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْر بْنُ حَرْب، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِم، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِر، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ قَاضِي حِمْص، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرحمن بن جبير، عن أبيه جبير بن نُفَير الْحَضْرَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَان الرَّازِّيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِم، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِر، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْر، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْر، بْنِ نُفَيْر، عَنِ (النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَان) قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاة، فَخَفَّض فِيهِ وَرَفَّع، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْل، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: ((مَا شَأْنُكُمْ؟)) ،

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقَالَ: ((غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِه، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِم: إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَن، مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْف، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاق، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا. يَا عِبَادَ اللَّه، فَاثْبُتُوا)):

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا لَبْثُتَه فِي الْأَرْض؟ قَالَ: ((أَرْبَعِينَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ)).

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: ((لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ)).

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْض؟ قَالَ كَالْغَيْث اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيح، فَيَأْتِي عَلَى قَوْمٍ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَه، فَيَأْمُرُ السماءَ فَتُمْطِر، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سارحتهم أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى، وَأَسْبَغَهُ ضُروعا، وَأَمَدَّهُ خَواصر، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَه، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمحلين لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَيَمُرُّ بِالخَرِبَة فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَك. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْل. ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْف، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَض، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ وَيَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْق، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْن، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْن، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَر، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤ، وَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُه، فَيَطْلُبُه حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدّ فَيَقْتُلُهُ.

(1) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2897)- ((كتاب : الفتن وأشراط الساعة).

ثـمَّ يَـأْتي عيسَـى، -عَلَيْـه السَّـلامُ-، قَوْمًـا قَـدْ عَصَـمَهُمُ اللَّـهُ منْـهُ فَيَمْسَـحُ عَـنْ وُجُـوههمْ ويحـدِّثهم بِـدرَجَاتهمْ فـي الْجَنَّـة، فَبيْنَمَـا هُـوَ كَـذَلكَ إذْ أَوْحَـى اللَّـهُ، عَـزَّ وَجَـلَّ، إلَـى عيسَـى إنِّـي قَـدْ أَخْرَجْـتُ عبَـادًا لـي لاَ يَـدَان لأَحَـد بقتَالهمْ، فَحَرِّزْ عبَادي إلَى الطُّور.

وَيَبْعَـثُ اللَّـهُ يَـأْجُوجَ وَمَـأْجُوجَ وَهُـمْ مـنْ كُـلّ حَـدَبٍ يَنْسـلُون، فَيَمُـرُّ أَوَائلُهُـمْ عَلَـى بُحَيْـرَة طَبَريـة فَيَشْـرَبُونَ مَـا فيهَـا، وَيَمُـرُّ آخـرُهُمْ فَيَقُولُـونَ: لَقَـدْ كَـانَ بهَـذه مَـرّة مَـاءٌ. وَيُحْصَـرُ نَبـيُّ اللَّـه عيسَـى وَأَصْـحَابُهُ، حَتَّـى يَكُـونَ رَأْس الثَّـوْر لأَحَـدهمْ خَيْـرًا مـنْ مائَـة دينَـار لأَحَـدكُمُ الْيَـوْمَ، فَيَرْغَـبُ نَبـيُّ اللَّـه عيسَـى وَأَصْـحَابُهُ، فَيُرسـلُ اللَّـهُ عَلَـيْهِمُ النَّغَـفَ فـي رقَـابهِمْ فَيُصْـبحُونَ فَرْسَى كَمَوْت نَفْس وَاحدَة.

ثـمَّ يَهْـبطُ نَبـيُّ اللَّـه عيسَـى وَأَصْـحَابُهُ إلَـى الْـأَرْض، فَـلاَ يَجـدُونَ فـي الْـأَرْض مَوْضـعَ شـبْرٍ إلاَ مَـلأَهُ زَهَمُهُـمْ وَنَتْـنُهم، فَيَرْغَـبُ نَبـيُّ اللَّـه عيسَـى وَأَصْـحَابُهُ إلَـى اللَّـه، فَيُرسـلُ اللَّـهُ طَيْـرًا كَأَعْنَـاق الْبُخْـت، فَـتَحْملُهُمْ فَتَطْـرَحُهُمْ حَيْـثُ شَاءَ اللَّهُ.

ثـمَّ يُرسـلُ اللَّـهُ مَطَـرًا لاَ يَكُـن منْـهُ بَيْـتُ مَـدر وَلاَ وَبَـر فَيَغْسـلُ الْـأَرْضَ حَتَّـى يَتْرُكَهَـا كَالزلَفَـة، ثـمَّ يُقَـالُ للْـأَرْض: أَخْرجـي ثَمَـرَك ورُدّي بَرَكَتَـك. فَيَوْمَئـذ تَـأْكُلُ الْعُصَـابَةُ مـنَ الرُّمَّانَـة، وَيَسْـتَظلُّونَ بقحْفهَـا، وَيُبَـارِكُ اللَّـهُ فـي الرِّسْـل حَتَّـى إنَّ اللَّقْحَـةَ مـنَ الْإبـل لَتَكْفـي الْفئَـامَ مـنَ النَّـاس وَاللَّقْحَـةَ مـنَ الْفَـم لَتَكْفـي الْفَخـذَ مـنَ النَّـاس، فَبَيْنَمَـا هُـمْ كَـذَلكَ إذْ بَعَـثَ اللَّـهُ ريحًـا طَيِّبَـةً، فَتَأْخُـذُهُمْ تَحْـتَ آبَـاطهم، فتقـبض الله رُوحَ كُـلِّ مُـؤْمن وَكُـلِّ مُسْـلم، وَيَبْقَـى شـرَارُ النَّـاس يَتَهَـارَجُون فيهَـا تَهَـارُجَ الحُمُـر، فَعَلَـيْهِمْ تَقُـومُ السَّاعَةُ". (1)

وَرَواهُ الْإمَـامُ: (أَحْمَـدُ)، (2) وَ(أَهْـلُ السُّـنَن) (3) - مـنْ حَـديث -عَبْـد الـرَّحْمَن بْـن يَزيـدَ بْـن جَابِر)، به.

وسنذكره أيضًا -منْ طَرِيقِ- الإمام (حْمَدَ):
عنْـدَ قَوْلـه تَعَـالَى فـي سُـورَة الْأَنْبيَـاء: {حَتَّـى إِذَا فُتِحَـتْ يَـأْجُوجُ وَمَـأْجُوجُ وَهُـمْ مِـنْ كُـلِّ حَـدَبٍ يَنْسِلُونَ} {الْأَنْبِيَاء: 96}.

حَديثٌ آخَرُ:
قَـالَ: الإمَـام (مُسْـلمٌ) فـي (صَـحيحه) أَيْضًـا:
حَـدَّثَنَا عُبَيْـدُ اللَّـه بْـنُ مُعَـاذ بْـن مُعَـاذ الْعَنْبَـريّ، حَـدَّثَنَا أَبـي، حَـدَّثَنَا شُـعْبَةُ، عَـنِ النُّعْمَـان بْـن سَـالم قَـالَ: سَـمعْتُ يَعْقُـوبَ بْـنَ عَاصـم بْـن عُـرْوَةَ بْـن مَسْعُود الثَّقَفيَّ يَقُـولُ: سَـمعْتُ (عَبْـدَ اللَّـه بْـن عَمْـرو) - وَجَـاءَهُ رَجُـلٌ فَقَـالَ-: مَـا هَـذَا الْحَـديثُ الَّـذي تُحـدث بـه تَقُـولُ: إنَّ السَّـاعَةَ تَقُـومُ إلَـى كَـذَا وَكَـذَا؟ فَقَـالَ: سُـبْحَانَ اللَّـه؟! -أَوْ: لاَ إلَـهَ إلاَ اللَّـهُ، أَوْ كَلمَـةً نَحْوَهَـا-لَقَـدْ هَممـتُ أَلاَ أُحَـدِّثَ أَحَـدًا شَـيْئًا أَبَـدًا، إنَّمَـا قُلْـتُ: إنَّكُـمْ سَـتَرَوْنَ بَعْـدَ قَلِيـلٍ أَمْـرًا عَظِيمًـا: يُحَـرِّقُ الْبَيْـتُ، وَيَكُـونُ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2937)- ((كتاب: الفتن وأشراط الساعة).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (2137)
(2) (صَحِيح): وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (182/4)
(3) (صَحِيح): وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4321)،
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2240).
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (10783).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (40375).

وَيَكُونَ. ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ -أَوْ إِيمَانٍ- إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ))

قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا، وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ. ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ -أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ -أَوْ قَالَ: الظِّلُّ- نُعْمَانُ الشَّاكُّ -فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} {الصَّافَّات: 24}

قَالَ: ((ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ. فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ)).

قَالَ: {يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} {الْمُزَّمِّل: 17}

وَذَلِكَ {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} {الْقَلَم: 42}.

ثُمَّ رَوَاهُ الإِمَامُ (مُسْلِمٌ)، وَ(النَّسَائِيُّ) فِي تَفْسِيرِهِ جَمِيعًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ، عَنْ غُنْدَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، بِهِ (1).

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا (عَبْدُ الرَّزَّاقِ)، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ (مُجَمِّعِ بْنِ جَارِيَةَ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ: ((يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ -أَوْ: إِلَى جَانِبِ لُدٍّ)) (2).

وَرَوَاهُ الإِمَامُ (أَحْمَدُ) أَيْضًا، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ مِنْ حَدِيثِ اللَّيْثِ وَالأَوْزَاعِي، ثَلَاثَتُهم عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَمِّهِ (مُجَمِّعِ ابْنِ جَارِيَةَ) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ)).

وَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ (التِّرْمِذِيُّ)، عَنْ قُتَيْبَةَ، عَنِ اللَّيْثِ، بِهِ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

قَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَنَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأَبِي بَرْزَةَ، وَحُذَيْفَةَ بْنِ

---

(1) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2940)- ((كتاب : الفتن وأشراط الساعة).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (سنن الكبرى) برقم (11629) .

(2) أ خرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (420/3)- و(390/4).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) رقم (5462).

أُسَيْد، وَ(أَبِي هُرَيْرَةَ). وكَيْسَان، وَعُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، وَجَابِرٍ، وَأَبِي أُمَامَةَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَسَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، وَالنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، وَعَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (1).

وَمُرَادُهُ بِرِوَايَةِ هَؤُلَاءِ مَا فِيهِ ذِكْرُ الدَّجَّالِ. وَقَتْلُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَهُ. فَأَمَّا أَحَادِيثُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ فَقَطْ فَكَثِيرَةٌ جِدًّا، وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ" لِانْتِشَارِهَا وَكَثْرَةِ رُوَاتِهَا فِي الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ وَالْمَسَانِيدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ (2).

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ فُرَاتٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ (حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ) قَالَ: أَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ غُرْفَةٍ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْنَ عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانُ، وَالدَّابَّةُ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَالدَّجَّالُ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ. وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ، تَسُوقُ -أَوْ تَحْشُرُ- النَّاسَ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا)) (3).

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (مُسْلِمٌ) (4) وَأَهْلُ السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ بِهِ (5).

وَرَوَاهُ الْإِمَامُ (مُسْلِمٌ) أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ الْغِفَارِيِّ، مَوْقُوفًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ (6).

فَهَذِهِ أَحَادِيثُ مُتَوَاتِرَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ رِوَايَةِ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، وَ(ابْنِ مَسْعُودٍ)، وَعُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، وَأَبِي أُمَامَةَ، وَالنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَمُجَمِّعِ بْنِ جَارِيَةَ وَأَبِي سَرِيحَةَ وَحُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى صِفَةِ نُزُولِهِ وَمَكَانِهِ، مِنْ أَنَّهُ بِالشَّامِ، بَلْ بِدِمَشْقَ، عِنْدَ الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ عِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ لِلصُّبْحِ وَقَدْ بُنِيَتْ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ، فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ مَنَارَةٌ لِلْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بَيْضَاءُ، مِنْ حِجَارَةٍ مَنْحُوتَةٍ، عِوَضًا عَنِ الْمَنَارَةِ الَّتِي هُدِمَتْ بِسَبَبِ الْحَرِيقِ الْمَنْسُوبِ إِلَى صَنِيعِ النَّصَارَى -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ- وَكَانَ أَكْثَرُ

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (420/3).
وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2244).

(2) وقد ذكر هذه الأحاديث وبسط الكلام عليها المؤلف الحافظ ابن كثير في كتابه: النهاية في الفتن والملاحم.

(3) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (6/4) بسياق مختلف، وهذا هو سياق رواية (ابن مهدي) عن (سفيان)، وهي في (المسند) برقم (7/4).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2910)- ((كتاب: الفتن وأشراط الساعة)).
وأخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (سنن الكبرى) برقم (11629).

(5) وأخرجه الإِمَامُ (أبو داود) في (السنن) برقم (4311).
وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2183).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4055).

(6) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (2901).

عمارتها من أموالهم، وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها - المسيح- عيسى ابن مريم، - عليه السلام، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في الصحيحين، وهذا إخبار من النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك، وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان، حيث تنزاح عللهم، وترتفع شبههم من أنفسهم" ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام متابعة لعيسى، عليه السلام، وعلى يديه" ولهذا قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}.

وهذه الآية كقوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} {الزُّخْرُف: 61} وقرئ: "عَلَم" بالتحريك، أي إشارة ودليل على اقتراب الساعة، وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال، فيقتله الله على يديه، كما ثبت في الصحيح: ((إنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ دَاءً إلاّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً)).[1] ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج، فيهلكهم الله به ببركة دعائه، وقد قال تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ} الآية {الأنبياء: 96، 97}.

صِفَةُ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قد تقدم في حديث عبد الرحمن بن آدم، عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه- فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل".

وفي حديث (النواس بن سمعان): ((فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه)).

وروى الإمام (البخاري ومسلم)، - من طريق- (الزهري)، عن (سعيد بن المسيب)، عن (أبي هريرة): قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ليلة أسري بي لقيت موسى"، قال: فنعته "فإذا رجل -حسبته قال:- مضطرب رجل الرأس، كأنه من رجال شنوءة". قال: "ولقيت عيسى" فنعته النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال: "ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس -يعني الحمام-ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به"[2] الحديث.

وروى الإمام (البخاري)، من حديث (مجاهد)، عن (ابن عمر) قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((رأيت موسى وعيسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (5678) – ((كتاب: الطب) بنحوه.– من حديث– (أبي هريرة) ولفظه: "ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء".

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (3437)، وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (168).

عَـرِيضُ الصَّـدْرِ، وَأَمَّـا مُوسَـى فَـآدَمُ جَسِـيمٌ سَـبْطٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزّط)). (11). (1)

وَلَـهُ وَلِلإِمَـامِ (مُسْـلِم) -مِـنْ طَرِيـقِ -مُوسَـى بْـنِ عُقْبَـةَ، عَـنْ نَـافِعٍ قَـالَ: قَـالَ: (عَبْـدُ اللَّـهِ بْـنُ عُمَـرَ): ذَكَـرَ النَّبِـيُّ - - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -يَوْمًـا بَـيْنَ ظَهْرَانَـي النَّـاسِ الْمَسِيحَ الـدَّجَّالَ فَقَـالَ: ((إِنَّ اللَّـهَ لَـيْسَ بِـأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِـيحَ الـدَّجَّالَ أَعْـوَرُ الْعَـيْنِ الْيُمْنَـى، كَـأَنَّ عَيْنَـهُ عِنَبَـةٌ طَافِيَـةٌ وَأَرَانِـي اللَّـهُ عِنْـدَ الْكَعْبَـةِ فِـي الْمَنَـامِ، فَـإِذَا رَجُـلٌ آدَم، كَأَحْسَـنِ مَـا تَـرَى مِـنْ أُدْمِ الرِّجَـالِ، تَضْـرِبُ لِمَّتُـهُ بَـيْنَ مَنْكِبَيْـهِ، رَجِـلُ الشَّـعْرِ، يَقْطُـرُ رَأْسُـهُ مَـاءً، وَاضِـعًا يَدَيْـهِ عَلَـى مَنْكِبَـي رَجُلَـيْنِ، وَهُـوَ يَطُـوفُ بِالْبَيْـتِ، فَقُلْـتُ: مَـنْ هَـذَا؟ فَقَـالُوا: الْمَسِـيحُ ابْـنُ مَـرْيَمَ ثُـمَّ رَأَيْـتُ وَرَاءَهُ رَجُلًـا جَعْـدًا قَطَطًـا، أَعْـوَرَ عَـيْنِ الْيُمْنَـى، كَأَشْبَهِ مَـنْ رَأَيْـتُ بِـابْنِ قَطَـنٍ، وَاضِـعًا يَدَيْـهِ عَلَـى مَنْكِبَـي رَجُـلٍ يَطُـوفُ بِالْبَيْـتِ، فَقُلْـتُ: مَـنْ هَـذَا؟ قَـالُوا: الْمَسِـيحُ الـدَّجَّالُ)). (2) تَابَعَـهُ (عُبَيْـدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ).

ثُـمَّ رَوَاهُ الإِمَـامُ (الْبُخَـارِيُّ) عَـنْ أَحْمَـدَ بْـنِ مُحَمَّـدٍ الْمَكِّـي، عَـنْ إِبْـرَاهِيمَ بْـنِ سَـعْدٍ، عَـنْ (الزُّهْـرِيِّ)، عَـنْ سَـالِمٍ، عَـنْ أَبِيـهِ قَـالَ: لَا وَاللَّـهِ مَـا قَـالَ: النَّبِـيُّ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ سَـلَّمَ- لِعِيسَـى -عَلَيْـهِ السَّـلَامُ أَحْمَـرُ، وَلَكِـنْ قَـالَ: ((بَيْنَمَـا أَنَـا نَـائِمٌ أَطُـوفُ بِالْكَعْبَـةِ، فَـإِذَا رَجُـلٌ آدَمُ سَـبِطُ الشَّـعْرِ، يَتَهَـادَى بَـيْنَ رَجُلَـيْنِ يَنْطِـفُ رَأْسُـهُ مَـاءً -أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُـهُ مَـاءً- فَقُلْـتُ: مَـنْ هَـذَا؟ فَقَـالُوا: ابْـنُ مَـرْيَمَ. فَـذَهَبْتُ أَلْتَفِـتُ، فَـإِذَا رَجُـلٌ أَحْمَـرُ جَسِـيمٌ، جَعْـدُ الـرَّأْسِ، أَعْـوَرُ عَيْنِـهِ الْيُمْنَـى، كَـأَنَّ عَيْنَـهُ عِنَبَـةٌ طَافِيَـةٌ. قُلْـتُ: مَـنْ هَـذَا؟ قَـالُوا: الـدَّجَّالُ. وَأَقْـرَبُ النَّـاسِ بِـهِ شَـبَهًا ابْـنُ قَطَـنٍ)). قَـالَ: (الزُّهْـرِيُّ): رَجُـلٌ مِـنْ خُزَاعَـةَ هَلَـكَ فِـي الْجَاهِلِيَّةِ. (3)

هَـذِهِ كُلُّهَـا أَلْفَـاظُ الإِمَـامِ (الْبُخَـارِيِّ) — (رَحِمَـهُ اللَّـهُ)، وَقَـدْ تَقَـدَّمَ فِـي حَـدِيثِ عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ بْـنِ آدَمَ عَـنْ (أَبِـي هُرَيْـرَةَ): أَنَّ عِيسَـى، -عَلَيْـهِ السَّـلَامُ-، يَمْكُـثُ فِـي الْـأَرْضِ بَعْـدَ نُزُولِـهِ أَرْبَعِـينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتوفى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ.

وَفِـي حَـدِيثِ (عَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ عَمْـرٍو) عِنْـدَ الإِمَـامِ (مُسْـلِم): أَنَّـهُ يَمْكُـثُ سَـبْعَ سِـنِينَ، (4) فَيُحْتَمَـلُ - وَاللَّـهُ أَعْلَـمُ- أَنْ يَكُـونَ الْمُـرَادُ بِلُبْثِـهِ فِـي الْـأَرْضِ أَرْبَعِـينَ سَـنَةً، مَجْمُـوعَ إِقَامَتِـهِ فِيهَـا قَبْـلَ رَفْعِـهِ وَبَعْـدَ نُزُولِـهِ، فَإِنَّـهُ رُفِـعَ وَلَـهُ ثَـلَاثٌ وَثَلَاثُـونَ سَنَةً فِي الصَّحِيحِ،

وَقَـدْ وَرَدَ ذَلِـكَ فِـي حَـدِيثٍ فِـي صِـفَةِ أَهْـلِ الْجَنَّـةِ: أَنَّهُـمْ عَلَـى صُـورَةِ آدَمَ وَمِـيلَادِ عِيسَـى ثَـلَاثٍ وَثَلَاثِـينَ سَـنَةً. وَأَمَّـا مَـا حَكَـاهُ ابْـنُ عَسَـاكِرَ عَـنْ بَعْضِـهِمْ أَنَّـهُ رُفِـعَ وَلَـهُ مِائَـةٌ وَخَمْسُـونَ سَـنَةً، فَشَاذٌّ غَرِيبٌ بَعِيدٌ.

---

(1) (صَـحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (الْبُخَـارِي) في (صـحيحه) بـرقم (3438) ،وقـد رجـح (الحـافظ ابـن حجـر) في (فـتح البـاري) بـرقم (484/6) أن الصـواب - عن (ابن عباس) لا عن ابن عمر فليراجع هناك.

(2) (متفـق عليـه): أخرجـه الإِمَـامْ (الْبُخَـارِي) في (صـحيحه) بـرقم (3439، 3440)، - (كتاب أحاديث الأنبياء).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (169) - ((كتاب : الإيمان).

(3) (صَـحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (الْبُخَـارِي) في (صـحيحه) بـرقم (3441)، - (كتاب أحاديث الأنبياء).

(4) (صَـحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (مُسْـلِمْ) في (صـحيحه) بـرقم (2940)، - ((كتاب : الفتن وأشراط الساعة).

وذَكَـرَ الحَـافِظُ أَبُـو القَاسِـمِ بْـنُ عَسَـاكِرَ فـي تَرْجَمَةِ عيسَـى ابْـنِ مَـرْيَمَ مِـنْ تَارِيخِـه، عَـنْ بَعْضِ السَّلَفِ: أَنَّـهُ يُـدْفَنُ مَـعَ النَّبِـيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حُجْرَتِه، فَاللَّهُ أَعْلَم.(1)

وقَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَيَـوْمَ الْقِيَامَـةِ يَكُـونُ عَلَـيْهِمْ شَـهِيدًا} قَـالَ: (قَتَـادَةُ): يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَهُمُ الرِّسَالَةَ مِنَ اللَّهِ، وَأَقَرَّ بِالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَهَـذَا كَقَوْلِـهِ تَعَـالَى فِـي آخِـرِ سُـورَةِ (الْمَائِـدَةِ): {وَإِذْ قَـالَ اللَّـهُ يَـا عِيسَـى ابْـنَ مَـرْيَمَ أَأَنْـتَ قُلْـتَ لِلنَّـاسِ اتَّخِـذُونِي وَأُمِّـيَ إِلَهَـيْنِ مِـنْ دُونِ اللَّـهِ قَـالَ سُـبْحَانَكَ مَـا يَكُـونُ لِـي أَنْ أَقُـولَ مَـا لَـيْسَ لِـي بِحَـقٍّ إِنْ كُنْـتُ قُلْتُـهُ فَقَـدْ عَلِمْتَـهُ تَعْلَـمُ مَـا فِـي نَفْسِـي وَلَا أَعْلَـمُ مَـا فِـي نَفْسِـكَ إِنَّـكَ أَنْـتَ عَـلَّامُ الْغُيُـوبِ. مَـا قُلْـتُ لَهُـمْ إِلَّا مَـا أَمَرْتَنِـي بِـهِ أَنِ اعْبُـدُوا اللَّـهَ رَبِّـي وَرَبَّكُـمْ وَكُنْـتُ عَلَـيْهِمْ شَـهِيدًا مَـا دُمْـتُ فِـيهِمْ فَلَمَّـا تَـوَفَّيْتَنِي كُنْـتَ أَنْـتَ الرَّقِيـبَ عَلَـيْهِمْ وَأَنْـتَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ شَـهِيدٌ. إِنْ تُعَـذِّبْهُمْ فَـإِنَّهُمْ عِبَـادُكَ وَإِنْ تَغْفِـرْ لَهُـمْ فَإِنَّـكَ أَنْـتَ الْعَزِيـزُ الْحَكِـيمُ} [الْمَائِـدَة: 116 - 118].(2)

* * *

[١٦٠] ﴿ فَـبِظُلْمٍ مِـنَ الَّـذِينَ هَـادُوا حَرَّمْنَـا عَلَـيْهِمْ طَيِّبَـاتٍ أُحِلَّـتْ لَهُـمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمُنتخب لهذه الآية:

فبسبب ظلم اليهود حَرَّمْنَا عليهم بعض المآكل الطيبة التي كانت حلالًا لهم، فحرمنا عليهم كل ذي ظفر، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما، وبسبب صدهم أنفسهم وصدهم غيرهم عن سبيل الله، حتى صار الصد عن الخير سجية لهم.(3)

* * *

يَعْنِي:- فبسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة حَرَّم الله عليهم طيبات من المأكل كانت حلالا لهم، وبسبب صدِّهم أنفسهم وغيرهم عن دين الله القويم.(4)

* * *

يَعْنِي:- فبسبب ما وقع من اليهود من ظلم، عاقبهم الله، فَحَرَّم عليهم ألواناً من الطيبات كانت حلالاً لهم، وكان من هذا الظلم مَنْعُهم كثيراً من الناس من الدخول فى دين الله.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَبِظُلْمٍ} ... أَيْ: فَبِسَبَبِ ظُلْمٍ.

{فَـبِظُلْمٍ} ... البـاء سـببية، أي: فبسـبب ظلمهم.

{فَـبِظُلْمٍ مِـنَ الَّـذِينَ هَـادُوا} ... فبأى ظلم منهم.

(1) انظر: (تاريخ دمشق) برقم (106/14 المخطوط) ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور (154/20) بإسناده إلى - عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: الإمام (البخاري): هذا لا يصح عندي ولا يتابع عليه.

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (159)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (103/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (140/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{هَادُوا} ... اليهود إذ قالوا: أنا هدنا إليك.

{مِنْ الَّذِينَ هَادُوا} ... هُمْ الْيَهُود.

{طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} ... هي كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم.

والمعنى: ما حرمنا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبوه. والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره تعالى في قوله: {وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذي ظُفُرٍ}.

{وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً} ... أي: ناسا كثيرا، أو صدا كثيرا.

{وَبِصَدِّهِمْ} ... النَّاس.

{عَنْ سَبِيل الله} ... دينه صدا {كثيرا}.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) لم يبين هنا ما هذه الطيبات التي حرمها عليهم بسبب ظلمهم ولكنه بينها في سورة (الأنعام) بقوله: (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون). (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مقاتل بن حيان): في قوله: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) كان الله تعالى حرم على أهل التوراة حين أقروا بها أن يأكلوا الربا، ونهاهم أن يبخسوا الناس أشياءهم ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما، فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلما وصدوا عن دين الله وعن الإيمان بمحمد، فلما فعلوا ذلك حرم الله عليهم بعض ماكان أحل لهم في التوراة عقوبة لهم بما استحلوا مما كان نهاهم عنه، فحرم عليهم كل ذى ظفر: البعير والنعامة ونحوهما من الدواب ومن البقر والغنم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما من الشحم والحوايا يقال: هذا البقر ويقال هذا البطن غير الثرب وما اختلط بعظم من اللحم، يقول ذلك جزيناهم ببغيهم يقول باستحلالهم ماكان الله حرم عليهم. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد): في قول الله: (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) قال: أنفسهم وغيرهم عن الحق. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِين هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} يَقُول

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (160).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (160).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامِ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (160).

فبظلمهم {وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ} عن ذكر دين الله {كَثِيرًا} .(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {160} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} وَهُوَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ نَقْضِهِمُ الْمِيثَاقَ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَبُهْتَانِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ،

وَقَوْلِهِمْ: إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ {حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} وَهِيَ مَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، فَقَالَ: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} {الْأَنْعَامِ: 146} وَنَظْمُ الْآيَةِ: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَهُوَ مَا ذَكَرْنَا،

{وَبِصَدِّهِمْ} وبِصَرْفِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ، {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا} {النساء: 160} أَيْ: عَنْ دِينِ اللَّهِ صدًا كَثِيرًا.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160)}...

ثم أخبر تعالى أنه حرم على أهل الكتاب كثيرا من الطيبات التي كانت حلالا عليهم، وهذا تحريم عقوبة بسبب ظلمهم واعتدائهم، وصدهم الناس عن سبيل الله، ومنعهم إياهم من الهدى،(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَلِهَذَا قَالَ: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا} أَيْ: صَدُّوا النَّاسَ وَصَدُّوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ. وَهَذِهِ سَجِيَّةٌ لَهُمْ مُتَّصِفُونَ بِهَا مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ"

وَلِهَذَا كَانُوا أَعْدَاءَ الرُّسُلِ، وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وكذبوا (عِيسَى)، وَ(مُحَمَّدًا)، – صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيهما.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: فحرَّمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم، وكفروا بآيات الله، وقتلوا أنبياءهم، وقالوا البهتان على مريم، وفعلوا ما وصفهم الله في كتابه= طيبات من المآكل وغيرها، كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم، الذي أخبر الله عنهم في كتابه،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (160). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (النساء) الآية (160).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (160)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (160)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

10833- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): {فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم} الآية، عوقب القوم بظلم ظلموه وبَغْيٍ بَغَوْه، حرمت عليهم أشياء ببغيهم وبظلمهم.

* * *

وقوله: {وبصدّهم عن سبيل الله كثيرًا}، يعني: وبصدّهم عبادَ الله عن دينه وسبله التي شرعها لعباده، صدًّا كثيرًا. وكان صدُّهم عن سبيل الله: بقولهم على الله الباطل، وادعائهم أن ذلك عن الله، وتبديلهم كتاب الله، وتحريف معانيه عن وجوهه. وكان من عظيم ذلك: جحودهم نبوة نبيِّنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وتركهم بيانَ ما قد علموا من أمره لمن جهل أمره من الناس.

* * *

وبنحو ذلك كان (مجاهد) يقول:

10834- حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثني أبو عاصم قال، حدثني عيسى، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد) في قول الله: {وبصدّهم عن سبيل الله كثيرًا}، قال: أنفسهم وغيرَهم عن الحق.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {فَبِظُلْم مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَات أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيل الله كثيرا} قَالَ: (مُجَاهِد): صدوا أنفسهم وَغَيرهم.(2)

* * *

قال: الإمَامْ (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: {فَبِظُلْمٍ} ... لِلسَّبَبِيَّةِ، وَالتَّنْكِيرُ وَالتَّنْوِينُ لِلتَّعْظِيمِ، أَيْ: فَبِسَبَبِ ظُلْمٍ عَظِيمٍ حَرَّمْنَا عليهم طيبات أحلت لهم، لا بسبب شي آخَرَ، كَمَا زَعَمُوا أَنَّهَا كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ.

وَقَالَ: (الزَّجَّاجُ): هَذَا بَدَلٌ مِنْ قوله: {فَبِما نَقْضِهِمْ}. وَالطَّيِّبَاتُ الْمَذْكُورَةُ: هِيَ مَا نَصَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ الْآيَةَ وَبِصَدِّهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وهو اتباع محمد -صلّى الله عليه وَسَلَّمَ-، وَتَحْرِيفِهِمْ،

{وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ}، وَمَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ الْمَعْرُوفَةِ.

وَقَوْلُهُ: {كَثِيراً} ... مَفْعُولٌ لِلْفِعْلِ الْمَذْكُورِ، أَيْ: بِصَدِّهِمْ نَاسًا كَثِيرًا، أَوْ صِفَةُ مصدر محذوف، أي: صدّا كثيرا.(3)

* * *

[١٦١] ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾:

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (160)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (160) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (160). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

وبسبب تعاملهم بالربا بعد أن نهاهم الله عن تناوله، وبسبب أخذ أموال الناس بغير حق شرعي، وأعددنا للكافرين منهم عذابًا موجعًا. (1)

* * *

يَعْنِي:- وبسبب تناولهم الربا الذي نهوا عنه، واستحلالهم أموال الناس بغير استحقاق، وأعتدنا للكافرين بالله ورسوله من هؤلاء اليهود عذابًا موجعًا في الآخرة. (2)

* * *

يَعْنِي:- وبسبب تعاملهم بالربا - وقد حرَّمه الله عليهم - وأخذهم أموال الناس بغير حق، كان عقاب الدين بتحريم بعض الطيبات عليهم. وقد أعدَّ الله لمن كفر عذاباً مؤلماً. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا} ... قبوله والتعامل به وأكله.

{وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ} ... فِي التَّوْرَاة.

{وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} ... بِالرِّشَا فِي الْحُكْم.

{بِالْبَاطِلِ} ... بغير حق.

{عَذَابًا أَلِيمًا} ... مُؤْلِمًا.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا} وباستحلال الرِّبَا {وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ} فِي التَّوْرَاة {وَأَكْلِهِمْ} وبأكلهم {أَمْوَالَ النَّاس بِالْبَاطِلِ} بِالظلم والرشوة حرمنا عَلَيْهِم طَيِّبَات الثروب من الشحوم وَلحم الْإِبِل وَأَلْبَانهَا أحلت لَهُم كَانَت عَلَيْهِم حَلَالا {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ} من الْيَهُود {عَذَاباً أَلِيماً} وجيعاً يخلص وَجَعه إِلَى قُلُوبهم. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {161} {وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ} فِي التَّوْرَاةِ {وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} مِنَ الرِّشَا فِي الْحُكْمِ وَالْمَآكِلِ الَّتِي يُصِيبُونَهَا مِنْ عَوَامِّهِمْ، عَاقَبْنَاهُمْ بأن حرمنا عليهم طيبات، وكانوا كُلَّمَا ارْتَكَبُوا كَبِيرَةً حُرِّمَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي كَانَتْ حَلَالًا لَهُمْ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} {الْأَنْعَام: 146} {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} {النساء: 161}. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (103/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (140/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (161). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (161).

وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿161﴾، وبأخذهم الربا وقد نهوا عنه، فمنعوا المحتاجين ممن يبايعونه عن العدل، فعاقبهم الله من جنس فعلهم فمنعهم من كثير من الطيبات التي كانوا بصدد حلها، لكونها طيبة، وأما التحريم الذي على هذه الأمة فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التي تضرهم في دينهم ودنياهم.(1)

* * *

قال : الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ أَيْ: أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَهَاهُمْ عَنِ الرِّبَا فَتَنَاوَلُوهُ وَأَخَذُوهُ، وَاحْتَالُوا عَلَيْهِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْحِيَلِ وَصُنُوفٍ مِنَ الشُّبَهِ، وَأَكَلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وقوله: ﴿وأخذهم الربا﴾، وهو أخذهم ما أفضلوا على رءوس أموالهم، لفضل تأخير في الأجل بعد مَحِلِّها، وقد بينت معنى ﴿الربا﴾ فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته.

* * *

﴿وقد نهوا عنه﴾ يعني: عن أخذ الربا.

* * *

وقوله: ﴿وأكلهم أموالَ الناس بالباطل﴾، يعني ما كانوا يأخذون من الرُّشَى على الحكم، كما وصفهم الله به في قوله: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة: 62]. وكان من أكلهم أموال الناس بالباطل، ما كانوا يأخذون من أثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم، ثم يقولون:"هذا من عند الله"، وما أشبه ذلك من المآكل الخسيسة الخبيثة. فعاقبهم الله على جميع ذلك، بتحريمه ما حرَّم عليهم من الطيبات التي كانت لهم حلالا قبل ذلك.

وإنما وصفهم الله بأنهم أكلوا ما أكلوا من أموال الناس كذلك بالباطل، لأنهم أكلوه بغير استحقاق، وأخذوا أموالهم منهم بغير استيجاب.

* * *

وقوله: ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليمًا﴾، يعني: وجعلنا للكافرين بالله وبرسوله محمد -صلى الله عليه وسلم -من هؤلاء اليهود، العذاب الأليم= وهو الموجع = من عذاب جهنم عنده، يصلونها في الآخرة، إذا وردوا على ربهم، فيعاقبهم بها.(3)

* * *

قال : الإمام (القُرطُبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ﴾ كُلُّهُ تَفْسِيرٌ لِلظُّلْمِ الَّذِي تَعَاطَوْهُ، وَكَذَلِكَ مَا قَبْلَهُ مِنْ نَقْضِهِمُ الْمِيثَاقَ وَمَا بَعْدَهُ،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (161)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (161)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (161)، لِلإِمَامْ (الطبري).

وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُمْ قَدْ نُهُوا عَنِ الرِّبَا وَأَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ خَبَرًا عَمَّا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي الْقُرْآنِ وَأَنَّهُمْ دَخَلُوا فِي الْخِطَابِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَإِنْ كَانَ خَبَرًا عَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى فِي التَّوْرَاةِ، وَأَنَّهُمْ بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا وَعَصَوْا وَخَالَفُوا فَهَلْ يَجُوزُ لَنَا مُعَامَلَتُهُمْ وَالْقَوْمُ قَدْ أَفْسَدُوا أَمْوَالَهُمْ فِي دِينِهِمْ أَمْ لَا؟ فَظَنَّتْ طَائِفَةٌ أَنَّ مُعَامَلَتَهُمْ لَا تَجُوزُ، وَذَلِكَ لِمَا فِي أَمْوَالِهِمْ مِنْ هَذَا الْفَسَادِ.

وَالصَّحِيحُ جَوَازُ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَ رِبَاهُمْ وَاقْتِحَامِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ قَامَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ عَلَى ذَلِكَ قُرْآنًا وَسُنَّةً،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ} {المائدة: 5}.

وَهَذَا نَصٌّ، وَقَدْ عَامَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْيَهُودَ وَمَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي شَعِيرٍ أَخَذَهُ لِعِيَالِهِ. وَالْحَاسِمُ لِدَاءِ الشَّكِّ وَالْخِلَافِ اتِّفَاقُ الْأُمَّةِ عَلَى جَوَازِ التِّجَارَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ، وَقَدْ سَافَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْهِمْ تَاجِرًا، وَذَلِكَ مِنْ سَفَرِهِ أَمْرٌ قَاطِعٌ عَلَى جَوَازِ السَّفَرِ إِلَيْهِمْ وَالتِّجَارَةِ مَعَهُمْ.

فَإِنْ قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، قُلْنَا: إِنَّهُ لَمْ يَتَدَنَّسْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ بِحَرَامٍ - ثَبَتَ ذَلِكَ تَوَاتُرًا - وَلَا اعْتَذَرَ عَنْهُ إِذْ بُعِثَ، وَلَا مَنَعَ مِنْهُ إِذْ نُبِّئَ، وَلَا قَطَعَهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي حَيَاتِهِ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَقَدْ كَانُوا يُسَافِرُونَ فِي فَكِّ الْأَسْرَى وَذَلِكَ وَاجِبٌ، وَفِي الصُّلْحِ كَمَا أَرْسَلَ عُثْمَانُ وَغَيْرُهُ، وَقَدْ يَجِبُ وَقَدْ يَكُونُ نَدْبًا، فَأَمَّا السَّفَرُ إِلَيْهِمْ لمجرد التجارة فمباح. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- {وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ} " وقد نُهوا عن ذلك في التَّوراة ، وَ " بسبب " {وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} " أكلِ أموالِ الناس بالظُّلمِ ، وأخذِ الرِّشَا في الحكم.

وقَوْلُهُ تَعَالَى : {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} " أي: خَلَقْنَا وهيَّأنا للكافرينَ منهم عذاباً وَجِيْعاً يَخْلُصُ وجعهُ إلى قلوبهم ، وإنَّما خصَّ الكافرينَ لبيانِ أن مَن يؤمنُ منهم غيرُ داخلٍ في هذا الوعيد. (2)

* * *

قال: الإمَام (محمد بن علي الشوكاني اليمني) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ} أَيْ: مُعَامَلَتِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالرِّبَا وَأَكْلِهِمْ لَهُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ كَالرِّشْوَةِ وَالسُّحْتِ الَّذِي كَانُوا يَأْخُذُونَهُ.

قَوْلُهُ: {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ} اسْتِدْرَاكٌ مِنْ قَوْلِهِ: {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} أَوْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ أَنْكَرُوا وَقَالُوا: إِنَّ هَذِهِ

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (161)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (161).

الْأَشْيَاءَ كَانَتْ حَرَامًا فِي الْأَصْلِ وَأَنْتَ تُحِلُّهَا، (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (161) {وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} فقد تضمنت تسجيل جرائم أخرى على اليهود وهي أولاً استباحتهم للربا وهو حرام، وقد نهوا عنه، وثانياً أكلهم أموال الناس بالباطل" كالرشوة والفتاوى الباطلة التي كانوا يأكلون بها. وأما قوله تعالى في ختام الآية: {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} فهو زيادة على عاقبهم به في الدنيا أعد لمن كفر منهم ومات على كفره عذاباً أليماً موجعاً يعذبون به يوم القيامة. (2)

* * *

[١٦٢] ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لكنِ الثابتون المتمكنون في العلم من اليهود، والمؤمنون يُصَدِّقُون بما أنزله الله عليك أيها الرسول - ﷺ - من القرآن، ويُصَدِّقُون بما أنزل من الكتب على من قبلك من الرسل كالتوراة والإنجيل، ويقيمون الصلاة، ويعطون زكاة أموالهم، ويصدقون بالله إلهًا واحدًا لا شريك له، ويصدقون بيوم القيامة" أولئك المتصفون بهذه الصفات سنعطيهم ثوابًا عظيمًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- لكنِ المتمكنون في العلم بأحكام الله من اليهود، والمؤمنون بالله ورسوله، يؤمنون بالذي أنزله الله إليك أيها الرسول- ﷺ - وهو القرآن، وبالذي أنزل إلى الرسل من قبلك كالتوراة والإنجيل، ويؤدُّون الصلاة في أوقاتها، ويخرجون زكاة أموالهم، ويؤمنون بالله وبالبعث والجزاء، أولئك سيعطيهم الله ثوابًا عظيمًا، وهو الجنة. (4)

* * *

يَعْنِي:- لكن المتثبتون فى العلم من اليهود والمؤمنون من أمتك - أيها النبى -ﷺ- يصدقون بما أُوحى إليك وما أُوحى إلى الرسل من قبلك. والذين يؤدون الصلاة حق الأداء، ويعطون الزكاة، ويصدقون بالله وبالبعث والحساب، أولئك سيجزيهم الله على إيمانهم وطاعتهم أحسن الجزاء. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{الرَّاسِخُونَ} ... الْمُتَمَكِّنُونَ.

---

(1) انظر: تفسير (فتح القدير) في سورة (النساء) الآية (161). للإمام: (محمد بن علي الشوكاني اليمني).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية (161)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (103/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (103/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (140/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} ... أصحاب القدم الثابتة في معرفة الله وشرائعه ممن علومهم راسخة في نفوسهم ليست لنيات بل هي يقينات.

{لَكِنْ الرَّاسِخُونَ} ... الثَّابِتُونَ.

{لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} ... الثابتون فيه المتقنون المستبصرون، رفع على الابتداء.

{فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ} ... كَعَبْد اللَّه بْن سَلَام.

{يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} ... مِنْ الْكُتُب.

{وَالْمُؤْمِنُونَ} ... الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَار.

(أي :المؤمنون منهم، أو المؤمنون من المهاجرين والأنصار).

{وَالْمُقِيمِينَ} ... نصب على المدح لبيان فضل الصلاة.

يَعْنِي:- هو عطف على بما أُنْزِلَ إِلَيْكَ. أي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة، وهم الأنبياء.

{أَجْرًا عَظِيمًا} ... هو الجنة.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) -عن (قتادة):

قوله: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) استثنى الله منهم ثنية من أهل الكتاب فكان منهم من يؤمن بالله وما أنزل عليهم وما أنزل على نبي الله يؤمنون به ويصدقونه ويعلمون أنه الحق من ربهم.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {لَكِن الراسخون} البالغون {فِي الْعلم} فِي علم التَّوْرَاة {مِنْهُمْ} من أهل الْكتاب عبد الله بن سَلام وَأَصْحَابه يقرون بِالْقُرْآنِ وَسَائِر الْكتب وَإِن لم تقر بِهِ الْيَهُود {والمؤمنون} وَجُمْلَة الْمُؤمنِينَ {يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيكَ} من الْقُرْآن {ومَآ أنزل من قبلك} على سَائِر الْأَنْبِيَاء {والمقيمين الصَّلَاة} المتمين الصَّلَوَات الْخمس {والمؤتون الزَّكَاة} المؤدون زَكَاة أَمْوَالهم أَيْضا يقرون بِالْقُرْآنِ وَسَائِر الْكتب {والمؤمنون بِاللَّه وَالْيَوْم الآخر} بِالْبَعْث بعد الْمَوْت أَيْضا يقرون بِالْقُرْآنِ وَسَائِر الْكتب وكل هَؤُلَاءِ يقرون بِالْقُرْآنِ وَسَائِر الْكتب إِن لم يقربهَا الْيَهُود ثمَّ بَين ثوابهم فَقَالَ: {أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ} سنعطيهم {أَجْراً عَظِيماً} ثَوابًا وافراً فِي الْجنَّة.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {162} {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ} يَعْنِي: لَيْسَ كُلُّ أَهْلِ الْكِتَابِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، لَكِنِ الرَّاسِخُونَ الْمُبَالِغُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ أُولُو الْبَصَائِرِ، وَأَرَادَ بِهِ الَّذِينَ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (162).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (162). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

أَسْلَمُوا مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ مِثْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سلام وأصحابه،

{وَالْمُؤْمِنُونَ} يَعْنِي: الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ،

{يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} يَعْنِي: الْقُرْآنَ،

{وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} يَعْنِي: سَائِرَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ،

{وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ} اختلفوا في وجه انتصابه، فقيل: هُوَ نَصْبٌ عَلَى الْمَدْحِ،

يَعْنِي:- نصب على إضمار فعْل تَقْدِيرُهُ: أَعْنِي الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَهُمُ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ،

يَعْنِي:- مَوْضِعُهُ خَفْضٌ، وَاخْتَلَفُوا فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَمِنَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ،

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَإِلَى الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ،

ثُمَّ قوله: {وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} رُجُوعٌ إِلَى النَّسَقِ الْأَوَّلِ،

{وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} {النساء: 162}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لما ذكر معايب أهل الكتاب، ذكر الممدوحين منهم فقال: {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} أي: الذين ثبت العلم في قلوبهم ورسخ الإيقان في أفئدتهم فأثمر لهم الإيمان التام العام {بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ}.

وأثمر لهم الأعمال الصالحة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اللذين هما أفضل الأعمال، وقد اشتملتا على الإخلاص للمعبود والإحسان إلى العبيد. وآمنوا باليوم الآخر فخافوا الوعيد ورجوا الوعد.

{أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} لأنهم جمعوا بين العلم والإيمان والعمل الصالح، والإيمان بالكتب والرسل السابقة واللاحقة. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ} أَيِ: الثَّابِتُونَ فِي الدِّينِ لَهُمْ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ فِي الْعِلْمِ النَّافِعِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

{وَالْمُؤْمِنُونَ} عَطْفٌ عَلَى الرَّاسِخِينَ، وَخَبَرُهُ {يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزلَ مِنْ قَبْلِكَ}

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ): أُنْزِلَتْ فِي (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ)، وَثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْيَةَ. وَأَسَدٍ وَزَيْدِ بْنِ سَعْيَةَ وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ، الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَصَدَّقُوا بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَوْلُهُ: {وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ} هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ الْأَئِمَّةِ، وَكَذَا هُوَ فِي مُصْحَفِ (أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ). وَذَكَرَ (ابْنُ جَرِيرٍ) أَنَّهَا فِي مُصْحَفِ (ابْنِ مَسْعُودٍ): "وَالْمُقِيمُونَ الصَّلَاةَ"، قَالَ: وَالصَّحِيحُ قِرَاءَةُ الْجَمِيعِ. ثُمَّ رَدَّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ غَلَطِ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (162).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (162)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الْكُتَّاب ثُمَّ ذَكَرَ اخْتِلَافَ النَّاسِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَدْحِ، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: {وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} {الْبَقَرَةِ: 177}،

قَالُوا: وَهَذَا سَائِغٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

لَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُو ... سُمّ (3) الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزُرِ ...

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأُزُرِ ...

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مَخْفُوضٌ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: {بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} يَعْنِي: وَبِالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ.

وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: وَبِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، أَيْ: يَعْتَرِفُونَ بِوُجُوبِهَا وَكِتَابَتِهَا عَلَيْهِمْ، أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ الْمَلَائِكَةُ، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، يَعْنِي: يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ، وَبِالْمَلَائِكَةِ. وَفِي هَذَا نَظَرٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: {وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ زَكَاةَ الْأَمْوَالِ، وَيَحْتَمِلُ زَكَاةَ النُّفُوسِ، وَيَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

{وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} أَيْ: يُصَدِّقُونَ بِأَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا.

وَقَوْلُهُ: {أُولَٰئِكَ} هُوَ الْخَبَرُ عَمَّا تَقَدَّمَ {سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} يعني: الجنة. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):– قال: (أبو جعفر): هذا من الله جل ثناؤه استثناء، استثنَى من أهل الكتاب من اليهود الذين وصَف صفتهم في هذه الآيات التي مضت، من قوله: {يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء}.

ثم قال جل ثناؤه لعباده، مبينًا لهم حكم من قد هداه لدينه منهم ووفقه لرشده: ما كلُّ أهل الكتاب صفتهم الصفة التي وصفت لكم،

{لكن الراسخون في العلم منهم}، وهم الذين قد رَسخوا في العلم بأحكام الله التي جاءت بها أنبياؤه، وأتقنوا ذلك، وعرفوا حقيقته.

* * *

وقد بينا معنى {الرسوخ في العلم}، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

* * *

{والمؤمنون} يعني: والمؤمنون بالله ورسله، هم يؤمنون بالقرآن الذي أنزل الله إليك، يا محمد، وبالكتب التي أنزلها على من قبلك من الأنبياء والرسل، ولا يسألونك كما سألك هؤلاء الجهلة منهم: أن تنزل عليهم كتابًا من السماء، لأنهم قد علموا بما قرأوا من كتب الله وأتتهم به أنبياؤهم، أنك لله رسول، واجبٌ عليهم اتباعك، لا يَسعهم غير ذلك، فلا حاجة بهم إلى أن يسألوك آية معجزة ولا دلالة غير الذي قد علموا من أمرك بالعلم

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (162)، للإمَامْ (ابن كثير).

الراسخ في قلوبهم من إخبار أنبيائهم إياهم بذلك، وبما أعطيتك من الأدلّة على نبوتك، فهم لذلك من علمهم ورسوخهم فيه، يؤمنون بك وبما أنزل إليك من الكتاب، وبما أنزل من قبلك من سائر الكتب،

10836- حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): قوله: {لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك}، استثنى الله أُثْبِيَّةً من أهل الكتاب، وكان منهم من يؤمن بالله وما أنزل عليهم، وما أنزل على نبي الله، يؤمنون به ويصدّقون، ويعلمون أنه الحق من ربهم. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ والمؤتون الزَّكَاةَ} قَالَ (قَتَادَة): اسْتثْنى الله مِنْهُم من كَانَ يُؤمن بِاللَّه وَمَا أنزل عَلَيْهِم، وَمَا أنزل على نَبِيِّ الله.

قَالَ: (مُحَمَّد): اخْتلف القَوْل فِي إِعْرَاب {وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ} فَقَالَ بَعضهم: الْمَعْنى: يُؤمنُونَ بِمَا أنزل إِلَيْك، وبالمقيمين الصَّلاَة" أي: ويؤمنون بالنبيين المقيمين الصَّلاَة.

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (170)

وَقَالَ بَعضهم: الْمَعْنى: وَاذْكُر المقيمين الصَّلاَة، وهم المؤتون الزَّكَاة. (2)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- الختم على القلوب سبب لحرمانها من الفهم.
- بيان عداوة اليهود لنبي الله -عيسى - عليه السلام-، حتى إنهم وصلوا لمرحلة محاولة قتله.
- بيان جهل النصارى وحيرتهم في مسألة الصلب، وتعاملهم فيها بالظنون الفاسدة.
- بيان فضل العلم، فإن من أهل الكتاب من هو متمكن في العلم حتى أدى به تمكنه هذا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (162)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (162) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

للإيمان بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم -.(1)

* * *

[١٦٣] ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إنا أوحينا إليك أيها الرسول- ﷺ - كما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك، فلست بِدْعًا من الرسل فقد أوحينا إلى نوح، وأوحينا إلى الأنبياء الذين جاؤوا من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم، وإلى ابنيه: إسماعيل واسحاق، وإلى يعقوب بن إسحاق، وإلى الأسباط، (وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من أبناء يعقوب -عليه السلام-)، وأعطينا داود كتابًا هو الزبور.(2)

* * *

يَعْني:- إنا أوحينا اليك أيها الرسول- ﷺ - بتبليغ الرسالة كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط -وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من ولد يعقوب- وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان. وآتينا داود زبورًا، وهو كتاب وصحف مكتوبة.(3)

* * *

يَعْني:- إنا أوحينا إليك - أيها النبي ﷺ - القرآن والشريعة، كما أوحينا من قبلك إلى نوح وإلى النبيين من بعده، وكما أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وهم أنبياء الله من ذرية يعقوب، وإلى عيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان، وكما أوحينا إلى داود فأنزلنا عليه كتاب الزبور.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّا 1 أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} ... الوحي: الإعلام السريع الخفي، ووحي الله تعالى إلى أنبيائه: إعلامهم بما يريد أن يعلمهم به من أمور الدين وغيره.

{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} ... جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم - أن ينزل عليهم كتابا من السماء، واحتجاج عليهم بأن شأنه فى الوحى إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا.

{كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ} ... كَمَا {وَ

أَوْحَيْنَا إِلَى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق} ... ابنيه.

{ويعقوب} ... بن إسحاق.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (104/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (140/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{والأسباط} ... أولاده. (أي: أولاد يعقوب- عليه السلام).

{والأَسْبَاطِ} ... الأَنْبِيَاءِ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ - عليه السلام -، الَّذِينَ بُعِثُوا فِي قَبَائِلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الاثْنَتَيْ عَشْرَةَ.

{وعيسى وأيوب ويونس وهارون وَسُلَيْمَان وَآتَيْنَا} ... أَبَاهُ.

{دَاوُد زَبُوراً} ... بِالْفَتْحِ اسْم لِلْكِتَابِ الْمُؤْتَى وَالضَّمّ مَصْدَر بِمَعْنَى مَزْبُورًا أَيْ مكتوبا.

{زَبُوراً} ... الزبور: أحد الكتب الإلهية أنزله على نبيه داود - عليه السلام.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (ابن إسحاق) عن (ابن عباس): قال: قال: سكين وعدي بن زيد: يا محمد، مانعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى! فأنزل الله في ذلك من قولهم (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى آخر الآيات. (1)

* * *

وانظر: تفسير سورة -(البقرة)- آية (136) . - كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} .

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {الزُّبُرُ} : الكُتُبُ، وَاحِدُهَا (زَبُورٌ) زَبَرْتُ: كَتَبْتُ. (2)

* * *

وأخرجه الإِمَامُ (ابن عساكر) - (رحمه الله) - في (تاريخه) - (بسنده):-, وَعَنْ (أَنَسٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((أَوَّلُ نَبِيٍّ أُرْسِلَ: نُوحٌ - عليه السلام -)) (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} أرسلنَا إِلَيْك جِبْرِيل بِالْقُرْآنِ {كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ والنبيين مِن بَعْدِه} من بعد نوح {وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيم} أرسلنَا جِبْرِيل أَيْضا إِلَى إِبْرَاهِيم {وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب والأسباط} أَوْلَاد يَعْقُوب {وَعِيسَى وَأَيُّوب وَيُونُس وَهَارُون وَسُلَيْمَان وآتينا} أعطينا {دَاوُد زبورا} . (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {163} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} هَذَا بِنَاءٌ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْ قَوْلِهِ: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (163).

(2) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (النساء) الآية (163). برقم (ج 4/ ص 159).

(3) انظر: (تفسير ابن أبي حاتم) برقم (8647) ,
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع): (2585) , وله شاهد من حديث الشفاعة: (خ م ت) " قَالَ: فَيَأتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ , أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ , وَسَمَّاكَ اللهُ {عَبْدًا شَكُورًا} ",
وانظر: حديث رقم: (1466) في (صحيح الجامع) لِلإِمَامْ (الأَلياني).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (163). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عُيُوبَهُمْ وَذُنُوبَهُمْ غَضِبُوا وَجَحَدُوا كُلَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالُوا: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بشر من شيء، فنزل: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} [الْأَنْعَام: 91] وَأَنْزَلَ: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء: 163] فَذَكَرَ عِدَّةً مِنَ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَوْحَى إِلَيْهِمْ، وَبَدَأَ بِذِكْرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ كَانَ أَبَا الْبَشَرِ مِثْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ} [الصَّافَّات: 77] وَلِأَنَّهُ أَوَّلُ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ الشَّرِيعَةِ، وَأَوَّلُ نَذِيرٍ عَلَى الشِّرْكِ، وَأَوَّلُ مَنْ عُذِّبَتْ أُمَّتُهُ لِرَدِّهِمْ دَعْوَتَهُ، وَأُهْلِكَ أهل الأرض جميعا بِدُعَائِهِ وَكَانَ أَطْوَلَ الْأَنْبِيَاءِ عُمُرًا وَجُعِلَتْ مُعْجِزَتُهُ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ عَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ فَلَمْ تَسْقُطْ لَهُ سِنٌّ وَلَمْ تَشِبْ لَهُ شعرة ولم ينتقص لَهُ قُوَّةٌ، وَلَمْ يَصْبِرْ نَبِيٌّ عَلَى أذى قَوْمِهِ مَا صَبَرَ هُوَ عَلَى طُولِ عُمُرِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ} [النساء: 163] وَهُمْ أَوْلَادُ يَعْقُوبَ،

{وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا} [النساء: 163] قَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحَمْزَةُ (زُبُورًا) وَالزُّبُورَ بِضَمِّ الزَّاي حَيْثُ كَانَ، بِمَعْنَى: جَمْعُ زَبُورٍ، أَيْ آتَيْنَا دَاوُدَ كُتُبًا وَصُحُفًا مَزْبُورَةً، أَيْ: مَكْتُوبَةً،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِ الزَّايِ وَهُوَ اسْمُ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى -دَاوُدَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَكَانَ فِيهِ التَّحْمِيدُ وَالتَّمْجِيدُ وَالثَّنَاءُ على اللهِ عزَّ وجَلَ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {163} {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا} .

يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا عدة فوائد:

منها: أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - ليس ببدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم الغفير فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد.

ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا.

ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم" وأخلاقهم متفقة" ومصدرهم واحد" وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين" ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين.

ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (163).

أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيمانا بهم ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستنانا بسنتهم ومعرفة بحقوقهم، ويكون ذلك مصداقا لقوله: {سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} {سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ} {سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ} {سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}.

فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه والرسل -خصوصا هؤلاء المسمون- في المرتبة العليا من الإحسان.

ولما ذكر اشتراكهم بوحيه ذكر تخصيص بعضهم فذكر أنه آتى- داود الزبور - وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به- داود- عليه السلام- لفضله وشرفه.(1)

* * *

قال : الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (163)}

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ سُكَيْنٌ وَعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ: يَا مُحَمَّدُ، مَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ مُوسَى. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ.

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ) قَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} إِلَى قَوْلِهِ {وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا} فَمَا تَلَاهَا عَلَيْهِمْ -يَعْنِي عَلَى الْيَهُودِ-وَأَخْبَرَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ، جَحَدُوا كُلَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَقَالُوا: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ، وَلَا مُوسَى وَلَا عِيسَى، وَلَا عَلَى نَبِيٍّ مِنْ شَيْءٍ. قَالَ: فَحَلَّ حُبْوَتَهُ، وَقَالَ: وَلَا عَلَى أَحَدٍ..

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} {الْأَنْعَامِ: 91}.

وَفِي هَذَا الَّذِي قَالَهُ (مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ) نَظَرٌ" فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ (النِّسَاءِ - مَدَنِيَّةٌ)، وَهِيَ رَدٌّ عَلَيْهِمْ لَمَّا سَأَلُوا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ} {النِّسَاءِ: 153}، ثُمَّ ذَكَرَ فَضَائِحَهُمْ وَمَعَايِبَهُمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ الْآنَ مِنَ الْكَذِبِ وَالِافْتِرَاءِ. ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا أَوْحَى إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَقَالَ: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا}

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (163)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَ{الزَّبُورُ} : اسْمُ الْكِتَابِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَنَذْكُرُ تَرْجَمَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، عِنْدَ قَصَصِهِمْ فِي السُّوَرِ الْآتِيَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَبِهِ الثِّقَةُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.(1)

* * *

قال: الإمامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

قال: (أبو جعفر): يعني جل ثناؤه بقوله: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح}، إنا أرسلنا إليك، يا محمد، بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح، وإلى سائر الأنبياء الذين سمَّيتهم لك من بعده، والذين لم أسمِّهم لك،

10841- حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو معشر، عن (محمد بن كعب القرظي) قال: أنزل الله: {يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء} إلى قوله: {وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا}، فلما تلاها عليهم= يعني: على اليهود= وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة، جحدوا كل ما أنزل الله، وقالوا: {ما أنزل الله على بشر من شيء، ولا على موسى ولا على عيسى!! وما أنزل الله على نبي من شيء}! قال: فحلَّ حُبْوَته وقال: ولا على أحد!! فأنزل الله جل ثناؤه: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} {سورة الأنعام: 91}

* * *

وأما قوله: {وآتينا داود زبورًا}، فإن القرأة اختلفت في قراءته.

فقرأته عامة قرأة أمصار الإسلام، غير نفر من قرأة الكوفة: (وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا)، بفتح "الزاي" على التوحيد، بمعنى: وآتينا داود الكتاب المسمى "زبورًا".

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفيين: (وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا)، بضم "الزاي" جمع "زَبْر".

كأنهم وجهوا تأويله: وآتينا داود كتبًا وصحفًا مَزْبورة.

* * *

= من قولهم: "زَبَرت الكتاب أزْبُره زَبْرًا" و"ذَبرته أذْبُره ذبْرًا"، إذا كتبته.

* * *

قال: (أبو جعفر): وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا، قراءة من قرأ: (وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا)، بفتح "الزاي"، على أنه اسم الكتاب الذي أوتيه داود، كما سمى الكتاب الذي أوتيه موسى "التوراة"، والذي أوتيه عيسى "الإنجيل"، والذي أوتيه محمد "الفرقان"، لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتي داود. وإنما تقول العرب: "زَبُور داود"، بذلك تعرف كتابَه سائرُ الأمم.(2)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ : {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (163)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (163)، للإمام (الطبري).

بَعْدِهِ} " أي أنْزَلْنَا جبريلَ عليكَ بهذا القُرْآن كما أوحينا إلى نوح " فأمرَ بالاستقامة على التَّوحيد ودعوة الخلق إليه ، وكما أوحيْنَا إلى النبيّين من بعد نوح أوحينَا إليكَ.

قِيلَ : إنَّ نوحاً - عليه السلام - عَمَّرَ ألف سنة لم تَنْقصْ له سنٌّ ولا قوَّة ، ولم يَشِبْ له شعرٌ ، ولم يبلُغْ أحدٌ من الأنبياء في الدعوة ما بَلَغَ ، ولم يَصْبِرْ على أذى قومه ما صَبَرَ ، وكان يدعُو قومَهُ ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعْلاناً ، وكان الرجلُ من قومه يضربهُ فيُغْمَى عليه ، فإذا أفاقَ دعا وبَلَّغ ،

وَقِيلَ : هو أوَّلُ من تَنْشَقُّ عنهُ الأرضُ يوم القيامة بعد مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم-.

قَوْلُهُ تَعَالَى : {وَأَوْحَيْنَآ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ} " وهم بنو يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر رَجُلاً ، و " إلى " {وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا} " أي أعطَيْنَا " {دَاوُودَ زَبُوراً} " والزَّبُورُ : هو الكتابُ ، مأخوذٌ من الزَّبْر " وهو الكتابةُ ، ومن قرأ زُبُوراً بضم الزاي وهو الأعمشُ وحمزةُ وابن وثاب " فمعناهُ : الكتُبُ على الجَمْعِ.

فَإِن قِيلَ : كيفَ قدَّمَ اللهُ ذكر عيسَى على ذكر أيُّوبَ ويونُس وهارونَ وسليمان وداوُدَ ، وهو مِنْ بعدِهم ؟ قِيلَ : لأنَّ الواوَ للجمع دون الترتيب ، فتقديمُ ذكْرِه في الآية لا يوجبُ تقديمَهُ في الخَلْقِ والإرسال ، والفائدةُ في تقديمه في الذكر : الردُّ على اليهود ، وَلِغُلُوِّهِمْ في الطَّعن وفي نَسَبِه ، فقدَّمهُ اللهُ في الذكر " لأن ذلك أبلغَ في كُتُب اليهود وفي تَنْزِيهِهِ ممَّا رُمِيَّ به ونُسبَ إليه. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وأوحينا إِلَى إِبْرَاهِيم} أي: وكما أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيم {وَإِسْمَاعِيل} إِلَى قَوْله: {والأسباط} والأسباط: يُوسُف وَإِخْوَته.

{وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا} يَعْنِي: كتابا" وَكَانَ دَاوُد بَين مُوسَى وَعِيسَى، وَلَيْسَ فِي الزبُور حَلَال وَلَا حرَام، وَإِنَّمَا هُوَ تحميد وتمجيد وتعظيم لله. (2)

* * *

{وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ , وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (3)

وقال: الإمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - والإمَامُ (ابن حبان) - في (صحيحه)، - والإمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) (رحمهم الله) - (بسندهم):- عَنْ (أَبِي ذَرٍّ) - رضي الله عنه - قَالَ: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ , فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ , كَمْ وَفَاءُ عِدَّةِ الْأَنْبِيَاءِ؟، قَالَ: " مِائَةُ أَلْفٍ , وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا ") (4) (قُلْتُ:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (163)،

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (163) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

(3) {النساء: 164}.

(4) أخرجه الإمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (7871).

وأخرجه الإمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4166).

و(المشكاة) برقم (5737)، للإمام (الألباني).

يَـا رَسُـولَ الله، كَـمِ الرُّسُـلُ مِـنْ ذَلِكَ؟ (قَـالَ: " ثَـلَاثُ مِائَـةٍ وَخَمْسَـةَ عَشَـرَ جَمًّا غَفِيرًا ")[1] (قُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ الله، مَـنْ كَـانَ أَوَّلُهُـمْ؟، قَـالَ: " آدَمُ "، قُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ الله ، أَنَبِـيٌّ مُرْسَـلٌ؟، قَـالَ: " نَعَـمْ، خَلَقَـهُ اللهُ بِيَـدِهِ، وَنَفَـخَ فِيـهِ مِـنْ رُوحِـهِ، وَكَلَّمَـهُ قُبُلًا[3] ")[2](4) (قُلْـتُ: فَكَـمْ كَـانَ بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ نُـوحٍ؟ (قَـالَ: " كَـانَ بَـيْنَ آدَمَ وَنُـوحٍ عَشَـرَةُ قُـرُونٍ ")[5] (قُلْـتُ: كَـمْ بَـيْنَ نُـوحٍ وَإِبْـرَاهِيمَ؟ , قَـالَ: " عَشَرَةُ قُرُونٍ ")[6][7]

* * *

[١٦٤] ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأرسلنا رسلًا قصصناهم عليك في القرآن، وأرسلنا رسلًا لم نقصصهم عليك فيه، وتركنا ذكرهم فيه لحكمة، وكلَّم الله موسى بالنبوة -دون وساطة- تكليمًا حقيقيًا يليق به سبحانه وتعالى تكريمًا لموسى.[8]

* * *

يَعْنِي:- وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك في القرآن من قبل هذه الآية، ورسلا لم نقصصهم عليك لحكمة أردناها. وكلم الله موسى تكليمًا" تشريفًا له بهذه الصفة. وفي هذه الآية الكريمة، إثبات صفة الكلام لله -تعالى- كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه كلم نبيه موسى -عليه السلام- حقيقة بلا وساطة.[9]

* * *

يَعْنِي:- وكذلك أرسلنا رسلاً كثيرين ذكرنا لك أنباءهم من قبل، ورسلاً آخرين لم نذكر قصصهم، وكانت طريقة الوحي إلى موسى أن كلَّمه الله تكليماً من وراء حجاب بلا واسطة.[10]

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَرُسُلًا} ... نصب بمضمر في معنى: أوحينا إليك، وهو أرسلنا، أو بما فسره قَصَصْنَاهُمْ.

{و} ... أَرْسَلْنَا. {رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} ... رُوِيَ

و(هداية الرواة؟) برقم (5669( ).

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (361).

انظر: (صحيح موارد الظمآن) برقم (81، 1745). للإمام (الألباني).

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (21586) ,

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (7871).

انظر: (سلسلة الصَّحِيحَة) برقم (2668). للإمام (الألباني).

(3) (قبلا): أي مقابلة.

(4) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (361).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (21586).

(5) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (6190)

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (403).

انظر: (سلسلة الصَّحِيحَة) برقم (3289). للإمام (الألباني).

(6) وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (3654).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (6190) .

وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (403).

وانظر: (سلسلة الصَّحِيحَة) برقم (3289). للإمام (الألباني).

ورواية الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم موقوفة على (ابن عباس) , لكن الإمام (الألباني) قال: في (سلسلة الصحيحة): فإنه وإن كان موقوفاً رواية" فهو مرفوع دراية. أ. هـ

(7) أخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (7545).

انظر: (سلسلة الصَّحِيحَة) برقم (3289). للإمام (الألباني).

(8) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(9) انظر: (التفسير الميسر) برقم (104/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(10) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (140/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

أَنَّهُ تَعَالَى بَعَثَ ثَمَانِيَةَ آلَافِ نَبِيٍّ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ إِسْرَائِيلَ وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ .

{قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ}.. ورد منهم في سورة الأنعام ثمانية عشر رسولاً وسبعة ذكروا في سور أخرى وهم: محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهو، وشعيب، وصالح، وذو الكفل، وإدريس، وآدم.

{وكَلَّمَ اللَّه موسى}... بلا واسطة {تكليما}.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {164} {وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}.

وأنه كلم موسى تكليما أي مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال "موسى كليم الرحمن". وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على رسوله ومنهم من لم يقصصه عليه وهذا يدل على كثرتهم وأن الله أرسلهم مبشرين لمن أطاع الله واتبعهم بالسعادة الدنيوية والأخروية ومنذرين من عصى الله وخالفهم بشقاوة الدارين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا {مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ}.

فلم يبق للخلق على الله حجة لإرساله الرسل تترى يبينون لهم أمر دينهم ومراضي ربهم ومساخطه وطرق الجنة وطرق النار فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ} سميناهم لَك.

{من قَبْلُ} من قبل هَذه السُّورَة.

{وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} لم نسمهم لَك {وَكَلَّمَ الله مُوسَى تكليما} . (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {164} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ} {النساء: 164} أَيْ: وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وإلى الرسل، (رسلا) نُصِبَ بِنَزْعِ حَرْفِ الصِّفَةِ،

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ وَقَصَصْنَا عَلَيْكَ رُسُلًا، وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ (وَرُسُلٌ قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ)،

{وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} {النساء: 164} قَالَ (الْفَرَّاءُ): الْعَرَبُ تُسَمِّي مَا يُوصَلُ إِلَى الْإِنْسَانِ كَلَامًا بِأَيِّ طَرِيقٍ وَصَلَ، وَلَكِنْ لَا تُحَقِّقُهُ بالمصدر فإذا حقق بالمصدر لم يَكُنْ إِلَا حَقِيقَةَ الْكَلَامِ كَالْإِرَادَةِ يُقَالُ: أَرَادَ فُلَانٌ إِرَادَةً، يُرِيدُ حَقِيقَةَ الْإِرَادَةِ، وَيُقَالُ: أَرَادَ الْجِدَارُ، وَلَا يُقَالُ أَرَادَ الْجِدَارُ إِرَادَةً لأنه مجاز غير حقيقة. (3)

* * *

قال : الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ {وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (164)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (164). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (154).

عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} أَيْ: مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْآيَةِ، يَعْنِي: فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ وَغَيْرِهَا.

وَهَذِهِ تَسْمِيَةُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ نُصَّ عَلَى أَسْمَائِهِمْ فِي الْقُرْآنِ، وَهُمْ: {آدَمُ، وَإِدْرِيسُ، وَنُوحٌ، وَهُودٌ، وَصَالِحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَلُوطٌ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ، وَيُوسُفُ، وَأَيُّوبُ، وَشُعَيْبٌ، وَمُوسَى، وَهَارُونُ، وَيُونُسُ، وَدَاوُدُ، وَسُلَيْمَانُ، وَإِلْيَاسُ، وَالْيَسَعُ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى، وَعِيسَى} - (عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) - وَكَذَا ذُو الْكِفْلِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَسَيِّدُهُمْ مُحَمَّدٌ - صلَّى الله وعليه وَسلَّمَ -.

وَقَوْلُهُ: {وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} أَيْ: خَلْقًا آخَرِينَ لَمْ يُذْكَرُوا فِي الْقُرْآنِ،

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي عِدَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَشْهُورُ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الطَّوِيلُ،

وَذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ (ابْنُ مَرْدُوَيْهِ)، - رَحِمَهُ اللَّهُ - ، فِي تَفْسِيرِهِ، حَيْثُ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ قَالَا حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامِ بْنِ يَحْيَى الْغَسَّانِيُّ حَدَّثَنِي (أَبِي عَنْ جَدِّي، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ (أَبِي ذَرٍّ) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الْأَنْبِيَاءُ؟.

قَالَ: "مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا".

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ الرُّسُلُ مِنْهُمْ؟.

قَالَ: "ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ جَمٌّ غَفِيرٌ".

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كَانَ أَوَّلَهُمْ؟،

قَالَ: "آدَمُ".

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ؟

قَالَ: ((نَعَمْ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، ثُمَّ سَوَّاهُ قِبَلًا)).

ثُمَّ قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرْبَعَةٌ سُرْيَانِيُّونَ: آدَمُ، وَشِيثٌ، وَنُوحٌ، وَخَنُوخُ -وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِقَلَمٍ- وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: هُودٌ، وَصَالِحٌ، وَشُعَيْبٌ، وَنَبِيُّكَ يَا أَبَا ذَرٍّ، وَأَوَّلُ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى، وَآخِرُهُمْ عِيسَى. وَأَوَّلُ النَّبِيِّينَ آدَمُ، وَآخِرُهُمْ نَبِيُّكَ)).(1)

* * *

قال الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قبل} قَالَ: (مُحَمَّد): الْمَعْنى: وَأَرْسَلْنَا رسلًا قد قصصناهم عَلَيْك {وَرُسُلًا لَم نقصصهم عَلَيْك}

قَالَ يحيى: قَالَ بَعضهم: ((قيل: يَا رَسُول الله، كم الْمُرْسَلُونَ؟ قَالَ: ثلاثمائة وَبضْعَة عشر رجلا جَمَّاءَ الْغَفِير. قيل: أَكَانَ آدم نَبيا مكلما أو غير مُكَلم؟ قَالَ: بل كَانَ نَبيا مكلما)).

قَالَ: (مُحَمَّد): يُقَال: جَاءَ الْقَوْم جما غفيرا، أو جماء الْغَفِير - إِضَافَة - أَي: كلهم بلفهم ولفيفهم.

{وكلم الله مُوسَى تكليما} أَي: كلَامًا من غير وَحي.(2)

* * *

(1) أخرجه الإمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (361)، و(أبو نعيم) في (الحلية) (1/166).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (164)، للإمَامُ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (164) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

قـال: الإمَـامُ (الطـبري) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):-

القـول في تأويـل قولـه: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164)}

قـال: (أبـو جعفـر): يعـني بـذلك جـل ثنـاؤه: إنـا أوحينـا إليـك، كمـا أوحينـا إلى نـوح وإلى رسـل قـد قصصـناهم عليـك، ورسـل لم نقصصهم عليك.

* * *

فلعـل قـائلا يقـول: فـإذ كـان ذلـك معنـاه، فمـا بـال قولـه: "ورسـلا" منصـوبًا غـير مخفـوض؟ قيـل: نصـب ذلـك إذ لم تعـد عليـه "إلى" الـتي خفضت الأسماء قبلـه، وكانـت الأسمـاء قبلـها، وإن كانـت مخفوضـة، فإنهـا في معنـى النصـب. لأن معنـى الكـلام: إنـا أرسـلناك رسـولا كمـا أرسـلنا نوحًـا والنبـيين مـن بعـده، فعُطفـت "الرسـل" علـى معنـى الأسمـاء قبلـها في الإعـراب، لانقطاعهـا عنهـا دون ألفاظهـا، إذ لم يعد عليها ما خفضها،

وقـد يحتمـل أن يكـون نصـب "الرسـل"، لتعلـق "الـواو" بالفعـل، بمعنـى: وقصصـنا رسـلا عليـك مـن قبـل، كمـا قـال جـل ثنـاؤه: {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} {سورة الإنسان: 31}.

* * *

وقـد ذكـر أن ذلـك في قـراءة أبـيّ (ورسـل قـد قصصـناهم عليـك مـن قبـل ورسـل لم نقصصهم عليـك)، فرفـعُ ذلـك، إذ قـرئ كـذلك، بعائـد الذكر في قوله: {قصصناهم عليك}.

* * *

وأمـا قولـه: {وكلـم الله موسـى تكليمـًا}، فإنـه يعـني بـذلك جـل ثنـاؤه: وخاطـب الله بكلامـه موسى خطابًا، (1)

* * *

[١٦٥] ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أرسـلناهم مبشـرين بـالثواب الكـريم مـن آمـن بـالله، ومُخـوِّفين مـن كفـر بـه مـن العـذاب الألـيم، حتـى لا تكـون للنـاس حجـة علـى الله بعـد إرسـال الرسـل يعتـذرون بهـا، وكـان الله عزيزًا في ملكه حكيمًا في قضائه. (2)

* * *

يَعْنِـي:- أرسَـلْتُ رسـلا إلى خَلْقـي مُبشِّـرين بثـوابي، ومنـذرين بعقـابي؛ لـئلا يكـون للبشـر حجـة يعتـذرون بهـا بعـد إرسـال الرسـل. وكـان الله عزيزًا في ملكه، حكيمًا في تدبيره. (3)

* * *

يَعْنِـي:- بعثنـا هـؤلاء الرسـل جميعـاً، مبشـرين مـن آمـن بـالثواب، ومنـذرين مـن كفـر بالعقـاب، حتـى لا يكـون للنـاس علـى الله حُجـة يتعللـون بهـا بعـد إرسـال الرسـل، والله قـادر علـى كـل

(1) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) في سـورة (النسـاء) الآيـة (164)، للإمَامْ (الطبري)،

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (104/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (104/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير)،

شئ، غالب لا سلطان لأحد معه، حكيم فى أفعاله.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} ... نصب على المدح. وقيل على البدل من وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ.

{رُسُلًا} ... بَدَل مِنْ رُسُلًا قَبْله.

{مُبَشِّرِينَ} ... بِالثَّوَابِ مَنْ آمَنَ.

{وَمُنْذِرِينَ} ... بِالْعِقَابِ مَنْ كَفَرَ أَرْسَلْنَاهُمْ.

{لِئَلَّا يَكُون لِلنَّاسِ عَلَى اللَّه حُجَّة} ... تُقَال .

{حُجَّةٌ} ... عذر يعتذر به إلى ربهم عز وجل.

{لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ}.... فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسولا، وما أنزلت علينا كتابا.

{بَعْد} ... إرْسَال.

{الرُّسُل} ... إلَيْهِمْ فَيَقُولُوا رَبّنَا لَوْلَا أَرْسَلْت إلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِع آيَاتك وَنَكُون مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَبَعَثْنَاهُمْ لِقَطْعِ عُذْرهمْ .

{وَكَانَ اللَّه عَزِيزًا} ... فِي مُلْكه .

{حَكِيمًا} ... فِي صُنْعه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}.

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا ما هذه الحجة التى كانت تكون للناس عليه لو عذبهم دون إنذارهم على ألسنة الرسل ولكنه بينها في (سورة طه) بقوله (ولو أهلكنا1هم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) وأشار لها في سورة القصص بقوله: (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين).(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {رسلًا} كلا هَؤُلَاءِ الرُّسُل أرسلناهم {مُبَشِّرِينَ} بِالْجنَّة لمن آمن بِاللَّه {وَمُنذِرِينَ} من النَّار لمن لَا يُؤمن بِاللَّه {لِئَلاَّ} لكي لَا {يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ} يَوْم الْقِيَامَة {بَعْدَ الرُّسُل} بعد إرْسَال الرُّسُل إِلَيْهِم لكي لَا يَقُولُوا لم ترسل إِلَيْنَا الرُّسُل {وَكَانَ الله عَزِيزاً} بالنقمة لمن لَا يُجيب رسله {حَكِيماً} حكم عَلَيْهِم بإجابة الرُّسُل.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {165} قَوْلُهُ تَعَالَى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} فَيَقُولُوا: مَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا وَمَا أَنْزَلْتَ إِلَيْنَا كِتَابًا، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ الْخَلْقَ قَبْلَ بَعْثِهِ الرَّسُولَ،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/140)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (165).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (165). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} {الإِسْرَاء: 15} {وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} {النساء: 165}. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إِبْنِ كَثِير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} أَيْ: يُبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَاتَّبَعَ رِضْوَانَهُ بِالْخَيْرَاتِ، وَيُنْذِرُونَ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ بِالْعِقَابِ وَالْعَذَابِ.

وَقَوْلُهُ: {لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} أَيْ: أَنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ بِالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَةِ، وَبَيَّنَ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ" لِئَلَّا يَبْقَى لِمُعْتَذِرٍ عُذْرٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى} {طَه: 134}،

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} {الْقَصَص: 47}. .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ (ابْنِ مَسْعُود)، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ مِن أجل ذلك حرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحدَ أحبُّ إِلَيْهِ المدحُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجَلِ ذَلِكَ بَعَثَ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ)) وَفِي لَفْظ: ((مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرسلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ)). (2) (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {مبشرين ومنذرين} يَعْنِي: مبشرين بِالْجنَّة، ومنذرين بالنَّار. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {165} {رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}.

وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب وذلك أيضا من فضله وإحسانه حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم ضرورة تقدر فأزال هذا الاضطرار فله الحمد وله الشكر ونسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم إنه جواد كريم. (5)

* * *

[١٦٦] ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (165).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (4634) – ((كتاب: تفسير القرآن).
وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (2760) – ((كتاب: التوبة).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (165)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (165) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (165)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

إنْ كان اليهود يكفرون بك فإن الله يصدقك بصحة ما أنزل إليك أيها الرسول - ﷺ - من القرآن، أنزل فيه علمه الذي أراد أن يُطْلِع العباد عليه مما يحبه ويرضاه أو يكرهه ويأباه، والملائكة يشهدون بصدق ما جئت به مع شهادة الله، وكفى بالله شهيداً، فشهادته كافية عن شهادة غيره. (1)

* * *

يَعْنِي:- إن يكفر بك اليهود وغيرهم أيها الرسول- ﷺ - فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أَنْزَلَ عليه القرآن العظيم، أنزله بعلمه، وكذلك الملائكة يشهدون بصدق ما أوحي إليك، وشهادة الله وحدها كافية. (2)

* * *

يَعْنِي:- لكن إذا لم يشهدوا بصدقك، فالله يشهد بصحة ما أنزل إليك، لقد أنزله إليك مُحكماً بمقتضى علمه، والملائكة يشهدون بذلك، وتغنيك - أيها الرسول -ﷺ- شهادة الله عن كل شهادة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{لَكِنَّ اللَّهُ يَشْهَدُ} ... يُبَيِّنُ نُبُوَّتك.

{لَكِنِ اللَّـهُ يَشْهَدُ} ... أي: إن الله يشهد أنا أوحينا إليك، وهذا رد على قولهم لرسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم-، حين نزل إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ: ما نشهد لك بهذا.

ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات، كما تثبت الدعاوى بالبينات.

{بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْك} ... مِنْ الْقُرْآن الْمُعْجِز.

{أَنْزَلَهُ} ... مُلْتَبِسًا.

{بِعلمه} ... أَيْ: عَالِمًا بِهِ أو وفيه عِلْمه.

{وَالْمَلَائِكَة يَشْهَدُونَ} ... على ذلك.

(أي: بأنه حق وصدق).

{وَكَفَى بِاَللَّهِ شَهِيدًا} ... وإن لم يشهد غيره.

أي وتغنيك أيها الرسول- ﷺ -شهادة الله عن كل شهادة.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا)

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (ابن إسحاق) - عن (ابن عباس): قال: دخل على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جماعة من اليهود، فقال لهم: ((إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله! فقالوا: ما نعلم ذلك! فأنزل الله (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا). (4)

* * *

وانظر: سورة - (الإسراء) - آية (105)، بين الله تعالى أنه شهد بالحق على نزول القرآن، - كما قال تعالى: {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (104/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (141/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (166).

وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105)}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- ثمَّ نزل في أهل مَكَّة لقَولهم سَأَلنَا أهل الْكتاب عَنْك فَلم يشْهد أحد مِنْهُم أَنَّك نَبِي مُرْسل {لَكِن الله يَشْهَدُ} وَإِن لم يشْهد غَيره {بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ} يَعْنِي جبْرِيل بِالْقُرْآنِ {أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ} بِأَمْرِه {وَالْمَلَائِكَة يَشْهَدُونَ} على ذَلِك {وَكفى بِاللَّه شَهِيداً} وَإِن لم يشْهد غَيره. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {166} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ} {النساء: 166} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ‹ أَنَّ رُؤَسَاءِ مَكَّةَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ سَأَلْنَا عَنْكَ الْيَهُودَ وَعَنْ صِفَتِكَ فِي كِتَابِهِمْ فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَكَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي وَاللَّهِ أَعْلَمُ أنكم لتعلمن أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: مَا نعلم ذلك والله، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ} {النساء: 166} إِنْ جَحَدُوكَ وَكَذَّبُوكَ، {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} {النساء: 166} ›. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {166} {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّه شَهِيداً}.

لما ذكر أن الله أوحى إلى رسوله محمد- صلى الله عليه وسلم- كما أوحى إلى إخوانه من المرسلين، أخبر هنا بشهادته تعالى على رسالته وصحة ما جاء به، وأنه {أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ} يحتمل أن يكون المراد أنزله مشتملا على علمه، أي: فيه من العلوم الإلهية والأحكام الشرعية والأخبار الغيبية ما هو من علم الله تعالى الذي علم به عباده.

ويحتمل أن يكون المراد: أنزله صادرا عن علمه، ويكون في ذلك إشارة وتنبيه على وجه شهادته، وأن المعنى: إذا كان تعالى أنزل هذا القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي، وهو يعلم ذلك ويعلم حالة الذي أنزله عليه، وأنه دعا الناس إليه، فمن أجابه وصدقه كان وليه، ومن كذبه وعاداه كان عدوه واستباح ماله ودمه، والله تعالى يمكنه ويوالي نصره ويجيب دعواته، ويخذل أعداءه وينصر أولياءه، فهل توجد شهادة أعظم من هذه الشهادة وأكبر؟ " ولا يمكن القدح في هذه الشهادة إلا بعد القدح بعلم الله وقدرته وحكمته وإخباره تعالى بشهادة الملائكة على ما أنزل على رسوله، لكمال إيمانهم ولجلالة هذا المشهود عليه.

فإن الأمور العظيمة لا يستشهد عليها إلا الخواص، كما قال تعالى في الشهادة على التوحيد: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (166). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (166).

وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وكفى بالله شهيدا.(1)

* * *

قال : الإمامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)}

لَمَّا تَضَمَّنَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} إِلَى آخِرِ السِّيَاقِ، إِثْبَاتَ نُبُوَّتِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالرَّدَّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ نُبُوَّتَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزلَ إِلَيْكَ} أَيْ: وَإِنْ كَفَرَ بِهِ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِمَّنْ كَذَّبَكَ وَخَالَفَكَ، فَاللَّهُ يَشْهَدُ لَكَ بِأَنَّكَ رَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَهُوَ: الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} {فُصِّلَتْ: 42}"

وَلِهَذَا قَالَ: {أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ} أَيْ: فِيهِ عِلْمُهُ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُطْلِعَ الْعِبَادَ عَلَيْهِ، مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى وَالْفُرْقَانِ وَمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَمَا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ بِالْغُيُوبِ مِنَ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَمَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ صِفَاتِهِ تَعَالَى الْمُقَدَّسَةِ، الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، إِلَّا أَنْ يُعْلِمَهُ اللَّهُ بِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ} {الْبَقَرَةِ: 255}،

وَقَالَ تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} {طَهَ: 110}.

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ الْجَعْفَرِيُّ وَخَزَرُ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَا حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ قَالَ: أَقْرَأَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ الْقُرْآنَ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِ أَحَدُنَا الْقُرْآنَ قَالَ: قَدْ أَخَذْتَ عِلْمَ اللَّهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ الْيَوْمَ أَفْضَلَ مِنْكَ إِلَّا بِعَمَلٍ، ثُمَّ يَقْرَأُ: {أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} وَقَوْلُهُ {وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ} أَيْ: بِصِدْقِ مَا جَاءَكَ وَأُوحِيَ إِلَيْكَ وَأُنْزِلَ عَلَيْكَ، مَعَ شَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ بِذَلِكَ {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}

وَقَدْ قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ (عِكْرِمَةَ أَوْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَمَاعَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ لَهُمْ: ((إِنِّي لَأَعْلَمُ -وَاللَّهِ- إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ)). فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزلَ إِلَيْكَ أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ} يَعْنِي: الْقُرْآنَ.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (166)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (166)، للإمَامْ (ابن كثير).

{أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ} أَنَّهُ أنزلهُ إِلَيْك.

{وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدا} قَالَ: (مُحَمَّد): الْمَعْنَى: وَكَفَى الله شَهِيدا، وَالْبَاء مُؤَكّدَة. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزلَ إِلَيْكَ أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: إن يكفر بالذي أوحينا إليك، يا محمد، اليهود الذين سألوك أن تنزل عليهم كتابًا من السماء، وقالوا لك:"ما أنزل الله على بشر من شيء" فكذبوك، فقد كذبوا. ما الأمر كما قالوا: لكن الله يشهد بتنزيله إليك ما أنزل من كتابه ووحيه، أنزل ذلك إليك بعلم منه بأنك خِيرَته من خلقه، وصفيُّه من عباده، ويشهد لك بذلك ملائكته، فلا يحزنك تكذيبُ من كذَّبك، وخلافُ من خالفك.

{وكفى بالله شهيدًا}، يقول: وحسبك بالله شاهدًا على صدقك دون ما سواه من خلقه، فإنه إذا شهد لك بالصدق ربك، لم يَضِرْك تكذيب من كذَّبك.

وقد قيل: إن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، دعاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى اتباعه، وأخبرهم أنهم يعلمون حقيقة نبوّته، فجحدوا نبوَّته وأنكروا معرفته.

10850- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس، عن محمد بن إسحاق قال، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبير= أو عكرمة= عن ابن عباس قال: دخل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جماعة من يهود، فقال لهم: إني والله أعلم إنكم لتعلمون أنيّ رسول الله! فقالوا: ما نعلم ذلك! فأنزل الله: {لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً}.

10852- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة): {لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا}، شهودٌ والله غير مُتَّهمة. (2)

* * *

[١٦٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيدًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين كفروا بنبوتك، وصدوا الناس عن الإسلام قد بَعُدُوا عن الحق بُعْدًا شديدًا. (3)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (166) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (166)، للإمَامْ (الطبري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- إن الذين جحدوا نُبُوَّتك، وصدوا الناس عن الإسلام، قد بَعُدوا عن طريق الحق بُعْدًا شديدًا.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين كفروا فلم يصدقوك، ومنعوا الناس عن الدخول فى دين الله، قد بعدوا عن الحق بُعداً شديداً.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيداً} ... أي: إن الذين كفروا فلم يصدقوك، وصدوا الناس ومنعوهم عن الدخول فى دين الله، قد بعدوا عن الحق بعدا شديدا.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} ... بِاللَّه

{وَصَدُّوا} ... النَّاس

{كَفَرُوا وَصَدُّوا} ... كفروا: جحدوا بنبوة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وصدوا: صرفوا الناس عن الإيمان به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بما يبذرون من بذور الشك.

{عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ... دِين الْإِسْلَام بِكَتْمِهِمْ نَعْت مُحَمَّد -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَهُمْ الْيَهُود .

{قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيداً} ... عَنْ الْحَقّ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً)

انظر: سورة -(آل عمران) - آية (99) لبيان (سبيل الله) . - كما قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99)}.

* * *

قَالَ : الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَقَوْلُهُ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالا بَعِيدًا} أَيْ: كَفَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ فَلَمْ يَتَّبِعُوا الْحَقَّ، وَسَعَوْا فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ اتِّبَاعِهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ، قَدْ خَرَجُوا عَنِ الْحَقِّ وَضَلُّوا عَنْهُ، وَبَعُدُوا مِنْهُ بُعْدًا عَظِيمًا شَاسِعًا.(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ} بِمُحَمد وَالْقُرْآن {وَصَدُّواْ} النَّاس {عَن سَبِيلِ الله} عَن دين الله وطاعته {قَدْ ضَلُّواْ ضلالا بَعِيداً} عَن الْهدى.(4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {167} {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} بِكِتْمَانِ نَعْتِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، {قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا} {النساء: 167}.(5)

* * *

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (104/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (141/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (167)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (167). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (167).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {167} {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالا بَعِيدًا} .

لما أخبر عن رسالة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وأخبر برسالة خاتمهم محمد، وشهد بها وشهدت ملائكته -لزم من ذلك ثبوت الأمر المقرر والمشهود به، فوجب تصديقهم، والإيمان بهم واتباعهم.

ثم توعد من كفر بهم فقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} أي: جمعوا بين الكفر بأنفسهم وصدِّهم الناس عن سبيل الله. وهؤلاء هم أئمة الكفر ودعاة الضلال.

{قَدْ ضَلُّوا ضَلالا بَعِيدًا} وأي ضلال أعظم من ضلال من ضل بنفسه وأضل غيره، فباء بالإثمين ورجع بالخسارتين وفاتته الهدايتان، (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

القول في تأويل قوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالا بَعِيدًا (167)}.

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: إنّ الذين جحدوا، يا محمد، نبوتك بعد علمهم بها، من أهل الكتاب الذين اقتصصت عليك قصتهم، وأنكروا أن يكون الله جل ثناؤه أوحى إليك كتابه،

{وصدوا عن سبيل الله}، يعني: عن الدين الذي بعثك الله به إلى خلقه، وهو الإسلام. وكان صدهم عنه، قيلُهم للناس الذين يسألونهم عن محمد من أهل الشرك:"ما نجد صفة محمد في كتابنا! "، وادعاءهم أنهم عُهِد إليهم أن النبوّة لا تكون إلا في ولد هارون ومن ذرية داود، وما أشبه ذلك من الأمور التي كانوا يثبِّطون الناس بها عن اتباع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتصديق به وبما جاء به من عند الله.

* * *

وقوله: {قد ضلُّوا ضلالا بعيدًا}، يعني: قد جاروا عن قصد الطريق جورًا شديدًا، وزالوا عن المحجّة.

وإنما يعني جل ثناؤه بجورهم عن المحجة وضلالهم عنها، إخطاءَهم دين الله الذي ارتضاه لعباده، وابتعث به رسله. يقول: من جحد رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وصدَّ عما بُعث به من الملة من قَبِل منه، فقد ضلّ فذهب عن الدين الذي هو دين الله الذي ابتعث به أنبياءه، ضلالا بعيداً. (2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) يَعْنِي الْيَهُودَ أَيْ ظَلَمُوا. (وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أَيْ عَنِ اتِّبَاعِ الرسول- مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِمْ: مَا نَجِدُ صِفَتَهُ فِي كِتَابِنَا، وَإِنَّمَا النُّبُوَّةُ فِي وَلَدِ هَارُونَ وَدَاوُدَ، وَإِنَّ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ شَرْعَ مُوسَى لَا يُنْسَخُ. (قَدْ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (167)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (167)، للإِمَامْ (الطبري).

ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيداً) لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا وَمَعَ ذَلِكَ مَنَعُوا النَّاسَ من الإسلام. (1)

* * *

[١٦٨] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ :

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

إن الذين كفروا بالله وبرسله، وظلموا أنفسهم ببقائها على الكفر، لم يكن الله ليغفر لهم ما هم مصرُّون عليه من الكفر، ولا ليرشدهم إلى طريق تنجيهم من عذاب الله. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين كفروا بالله وبرسوله، وظلموا باستمرارهم على الكفر، لم يكن الله ليغفر ذنوبهم، ولا ليدلهم على طريق ينجيهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين كفروا وظلموا أنفسهم بالكفر. وظلموا الرسول- بجحد رسالته، وظلموا الناس، إذ كتموهم الحق، لن يغفر الله لهم ما داموا على كفرهم، ولن يهديهم طريق النجاة، وما كان من شأنه - سبحانه - أن يغفر لأمثالهم وهم فى ضلالهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} .. بِاَللَّه .

{وَظَلَمُوا} ... نَبِيّه بِكِتْمَانِ نَعْته

{كَفَرُوا وَظَلَمُوا} ... جمعوا بين الكفر والمعاصي.

{كَفَرُوا وَظَلَمُوا} ... جحدوا نبوة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وظلموا ببقائهم على جحودهم بغياً منهم وحسداً للعرب أن يكون فيهم رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور.

{لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا} مِنْ الطُّرُق.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قَالَ : الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا} (168). ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ حُكْمِهِ فِي الْكَافِرِينَ بِآيَاتِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُوله، الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ، وَبِالصَّدِّ عَنْ سَبِيله وَارْتِكَاب مَآثِمه وَانْتِهَاك مَحَارِمه، بِأَنَّهُ لَا يَغْفِرُ لَهُمْ {وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا} أَيْ: سَبِيلًا إِلَى الْخَيْر. (5)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {إِنَّ الَّذِين كَفَرُوا} بِمُحَمد وَالْقُرْآن {وَظَلَمُوا} هم الَّذين أشركوا بِاللَّه {لَمْ يَكُنِ الله لِيَغْفِر

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (167)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (104/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (141/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (168)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

لَهُم} ماقاموا على ذلك {ولاَ ليهديهم طَرِيقاً} طَرِيق الْهدى.(1)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {إنَّ الَّذينَ كَفَروا وَظَلَمُوا} {168} قيل: إنما قال: (وظلموا) أتبع ظُلْمَهُمْ بِكُفْرهمْ تَأْكِيدًا،

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَظَلَمُوا مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِكِتْمَانِ نَعْتِهِ، {لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا} {النساء: 168} يَعْنِي: دِينَ الْإِسْلَامِ.(2)

* * *

قَال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ولهذا قال: {إنَّ الَّذينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا} {168} وهذا الظلم هو زيادة على كفرهم، وإلا فالكفر عند إطلاق الظلم يدخل فيه.

والمراد بالظلم هنا أعمال الكفر والاستغراق فيه، فهؤلاء بعيدون من المغفرة والهداية للصراط المستقيم. ولهذا قال: {لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ}.(3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {إن الَّذين كفرُوا وظلموا} أَي: أنفسهم.

{لَمْ يَكُنِ اللَّهُ ليغفر لَهُم} يَعْنِي: إِذا مَاتُوا على كفرهم.

{وَلاَ ليهديهم طَرِيقا} أَي: طَرِيق هدى" يَعْنِي: الْعَامَّة من أحيائهم.(4)

* * *

قَال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- القول في تأويل قوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168)}

قال: (أبو جعفر): يعني بذلك جل ثناؤه: إن الذين جحدوا رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم-، فكفروا بالله بجحود ذلك، وظلموا بمُقامهم على الكفر على علم منهم، بظلمهم عبادَ الله، وحسدًا للعرب، وبغيًا على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم،

{لم يكن الله ليغفر لهم}، يعني: لم يكن الله ليعفو عن ذنوبهم بتركه عقوبتهم عليها، ولكنه يفضحهم بها بعقوبته إياهم عليها،

{ولا ليهديهم طريقًا}، يقول: ولم يكن الله تعالى ذكره ليهدي هؤلاء الذين كفروا وظلموا، الذين وصفنا صفتهم، فيوفقهم لطريق من الطرق التي ينالون بها ثوابَ الله، ويصلون بلزومهم إياه إلى الجنة، ولكنه يخذلهم عن ذلك، حتى يسلكوا طريق جهنم. وإنما كنى بذكر

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (168). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما - .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (168).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (168)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (168) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

{الطريق} عن الدين. وإنما معنى الكلام: لم يكن الله ليوفقهم للإسلام. (1)

* * *

قال : الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا} (168).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا} يَعْنِي الْيَهُودَ، أَيْ ظَلَمُوا مُحَمَّدًا بِكِتْمَانِ نَعْتِهِ، وَأَنْفُسَهُمْ إِذْ كَفَرُوا، وَالنَّاسَ إِذْ كَتَمُوهُمْ.

{لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ} هَذَا فِيمَنْ يموت على كفره ولم يتب. (2)

* * *

قال : الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- قوله عَزَّ وَجَلَّ : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيداً} " معناهُ إنَّ الذين جَحَدُواْ وحدانيَّةَ الله وَمُحَمَّداً – صلى الله عليه وسلم – والْقُرْآنَ ، وصَرَفُوا الناسَ عن دينِ الله وطاعته فقد أخطَأواْ خَطَأً بعيداً عن الْهُدَى والثواب. بَيَّنَ اللهُ تعالى في هذه الآيةِ ضَلاَلَتَهُمْ في الدُّنيا.

ثم بَيَّنَ عقوبتَهم في الآخرة فقالَ تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ} " أي إنّ الذينَ كفرُوا بما يجبُ الإيْمان به ظَلَمُوا أنفسَهم بكُفْرِهِمْ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ مَا دا مُوا على كُفْرِهِم،

{وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً} " إلَى الإسلام، (3)

* * *

[١٦٩] ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية :

إلا الطريق المؤدية إلى دخول جهنم ماكثين فيها دائمًا، وكان ذلك على الله هينًا، فهو لا يعجزه شيء. (4)

* * *

يَعْنِي:- إلا طريق جهنم ماكثين فيها أبداً، وكان ذلك على الله يسيرًا، فلا يعجزه شيء. (5)

* * *

يَعْنِي:- ولكن يسلك بهم طريق النار. مُخَلَّدين فيها أبداً، وأمر ذلك يسير على الله. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{إلا طَرِيقَ جَهَنَّم} ... أَيْ: الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّي إليْهَا {خَالدِينَ} ... مُقَدَّرِينَ الْخُلُود.

{فِيهَا} ... إِذَا دَخَلُوهَا.

{أَبَدًا وكان ذلك على الله يسيرا} ... هينا.

(أي: لا يهديهم يوم القيامة طريقا إلا طريق جهنم).

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (168)، للإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (النساء) - الآية (168)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (168)،

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (104/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (141/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

{يَسِيراً}...أي: لا صارف عنه.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره)

:– القول في تأويل قوله: {إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169)}

ولكنه يخذلهم عنه إلى {طريق جهنم}، وهو الكفر، يعني: حتى يكفروا بالله ورسله، فيدخلوا جهنم،

{خالدين فيها أبدًا}، يقول: مقيمين فيها أبدًا،

{وكان ذلك على الله يسيرًا}، يقول: وكان تخليدُ هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم في جهنم، على الله يسيرًا، لأنه لا يقدر من أراد ذلك به على الامتناع منه، ولا له أحد يمنعه منه، ولا يستصعب عليه ما أراد فعله به من ذلك، وكان ذلك على الله يسيرًا، لأن الخلق خلقُه، والأمرَ أمره.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {169} {إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ} وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}.(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ} مقيمين فِي النَّار لاَ يموتون وَلاَ يخرجُون مِنْهَا {أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ} الخلود وَالْعَذَاب {عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} هينا.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {169} {إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ} يَعْنِي: الْيَهُودِيَّةَ {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} {النساء: 16} وَهَذَا فِي حَقِّ مَنْ سَبَقَ حُكْمُهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ}.

وإنما تعذرت المغفرة لهم والهداية لأنهم استمروا في طغيانهم وازدادوا في كفرانهم فطبع على قلوبهم وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}.

{وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} أي لا يبالي الله بهم ولا يعبأ لأنهم لا يصلحون للخير ولا يليق بهم إلا الحالة التي اختاروها لأنفسهم.(5)

لأنفسهم.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- {إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ} " لكن تَرَكَهُمْ على طريقِ جَهَنَّمَ وهو الكفر.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (النساء) الآية (169)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (169)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (169). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (169).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (169)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقِيْلَ: معناهُ: لا يُرْشِدُهُمْ في الآخرة إلى طريقٍ غيرَ طريقِ جهنم، كما في قوله تعالى: {فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات: 23]،

{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} "التَّخْلِيْدُ والتعذيبُ،

{وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً} "سَهلاً هَيِّناً. (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {إلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} لم يبق له من طريق يرجى له سلوكه إلا طريق جهنم يخلد فيها خلوداً أبدياً،

وقوله تعالى: {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً} في ختام الآية يقرر فيه أن دخول أصحاب هذه الصفات من اليهود جهنم وخلودهم فيها ليس بالأمر الصعب على الله المتعذر عليه فعله بل هو من السهل اليسير، أما الآية الأخيرة. (2)

* * *

[١٧٠] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمُنتخب لهذه الآية:

يا أيها الناس قد جاءكم لرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - بالهدى ودين الحق من الله تعالى، فآمنوا بما جاءكم به يكن خيرًا لكم في الدنيا والآخرة، وإن تكفروا بالله فإن الله غني عن إيمانكم، ولا يضره كفركم، فله ملك ما في السماوات، وله ملك ما في الأرض وما بينهما، وكان الله عليمًا بمن يستحق الهداية فييسرها له، وبمن لا يستحقها فيُعْميه عنها، حكيمًا في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره. (3)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الناس قد جاءكم رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم بالإسلام دين الحق من ربكم، فَصَدِّقوه واتبعوه، فإن الإيمان به خير لكم، وإن تُصرُّوا على كفركم فإن الله غني عنكم وعن إيمانكم" لأنه مالك ما في السموات والأرض. وكان الله عليمًا بأقوالكم وأفعالكم، حكيمًا في تشريعه وأمره. فإذا كانت السموات والأرض قد خضعتا لله تعالى كونًا وقدرًا خضوع سائر ملكه، فأولى بكم أن تؤمنوا بالله وبرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن الذي أنزله عليه، وأن تنقادوا لذلك شرعًا حتى يكون الكون كلُّه خاضعًا لله قدرًا وشرعًا. وفي الآية دليل على عموم رسالة نبي الله ورسوله محمد- صلى الله عليه وسلم. (4)

* * *

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام الطبراني) في سورة (النساء) الآية (169)،

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (النساء) الآية ( )، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (104/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

يَعْنِي:- يا أيها الناس قد جاءكم الرسول- محمد ﷺ - بالدين الحق من عند ربكم، فَصَدِّقوا بما جاء به يكن خيراً لكم، وإن أبيتم إلا الكفر فالله غنى عن إيمانكم، مالك لكم، فله ما فى السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً، وهو العليم بخلقه، الحكيم فى صنعه، لا يضيع أجر المحسن، ولا يهمل جزاء المسئ.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يأيها النَّاس} ... أَيْ: أَهْل مَكَّة.

{قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُول} مُحَمَّد- صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - {بِالْحَقِّ مِنْ رَبّكُمْ فَآمِنُوا} بِهِ وَاقْصِدُوا,

{خَيْرًا لَكُمْ} ... مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ.

{وَإِنْ تَكْفُرُوا} بِهِ.

{فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض} ... مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا فَلَا يَضُرّهُ كُفْركُمْ.

{فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ} ... انتصابه بمضمر، أي اقصدوا، أو ائتوا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر.

{فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ} ... أي: يكون إيمانكم خيراً لكم.

{وَكَانَ اللَّه عَلِيمًا} ... بِخَلْقِهِ.

{حَكِيمًا} ... فِي صُنْعه بِهِمْ.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (يا أيها الناس)

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (ابن إسحاق) - عن (ابن عباس): قال: (يا أيها الناس) أي: الفريقين جميعاً من الكافرين والمنافقين.(2)

* * *

قَالَ : الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرسول- بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ} أَيْ: قَدْ جَاءَكُمْ مُحَمَّدٌ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَالْبَيَانِ الشَّافِي مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَآمِنُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ وَاتَّبِعُوهُ يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: {وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ} أَيْ: فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَعَنْ إِيمَانِكُمْ، وَلَا يَتَضَرَّرُ بِكُفْرَانِكُمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ} {إبراهيم: 8}وَقَالَ هَاهُنَا: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} أَيْ: بِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْكُمُ الْهِدَايَةَ فَيَهْدِيهِ، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ فَيُغْوِيهِ {حَكِيمًا} أَيْ: فِي أَقْوَالِهِ وأفعاله وشرعه وقدره.(3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {يَا أَيُّهَا النَّاس} يَا أهل مَكَّة {قد جَاءَكُم الرَّسُول} مُحَمَّد {بِالْحَقِّ} بِالتَّوْحِيدِ وَالْقُرْآن {من رَبكُم فآمنوا} بِمُحَمد وَالْقُرْآن {خيرا لكم} مِمَّا أَنْتُم عَلَيْهِ {وَإِن تكفروا} بِمُحَمد

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (141/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (170).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (170)، للإمام (ابن كثير).

وَالْقُرْآن {فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض} كلهم عبيده وإماؤه {وَكَانَ الله عَلِيماً} بِمن يُؤمن وبمن لاَ يُؤمن {حَكِيماً} حكم عَلَيْهِم أَن لاَ يعبدوا غَيره. (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- (2) قَالَ: (أَبُو عُبَيْد): {كَلِمَتُهُ} : كُنْ فَكَانَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: {وَرُوحٌ مِنْهُ} : أَحْيَاهُ فَجَعَلَهُ رُوحًا.

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {170} {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرسول- بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ} تَقْدِيرُهُ: فَآمِنُوا يَكُنِ الْإِيمَانُ خَيْرًا لَكُمْ، {وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} {النساء: 170}. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {170} {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرسول- بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

يأمر تعالى جميع الناس أن يؤمنوا بعبده ورسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-. وذكر السبب الموجب للإيمان به، والفائدة في الإيمان به، والمضرة من عدم الإيمان به، فالسبب الموجب هو إخباره بأنه جاءهم بالحق. أي: فمجيئه نفسه حق، وما جاء به من الشرع حق، فإن العاقل يعرف أن بقاء الخلق في جهلهم يعمهون، وفي كفرهم يترددون، والرسالة قد انقطعت عنهم غير لائق بحكمة الله ورحمته، فمن حكمته ورحمته العظيمة نفس إرسال الرسول- إليهم، ليعرفهم الهدى من الضلال، والغي من الرشد، فمجرد النظر في رسالته دليل قاطع على صحة نبوته.

وكذلك النظر إلى ما جاء به من الشرع العظيم والصراط المستقيم. فإن فيه من الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة، والخبر عن الله وعن اليوم الآخر -ما لا يعرف إلا بالوحي والرسالة. وما فيه من الأمر بكل خير وصلاح، ورشد وعدل وإحسان، وصدق وبر وصلة وحسن خلق، ومن النهي عن الشر والفساد والبغي والظلم وسوء الخلق، والكذب والعقوق، مما يقطع به أنه من عند الله.

وكلما ازداد به العبد بصيرة، ازداد إيمانه ويقينه، فهذا السبب الداعي للإيمان. وأما الفائدة في الإيمان فأخبر أنه خير لكم والخير ضد الشر. فالإيمان خير للمؤمنين في أبدانهم وقلوبهم وأرواحهم ودنياهم وأخراهم. وذلك لما يترتب عليه من المصالح والفوائد، فكل ثواب عاجل وآجل فمن ثمرات الإيمان، فالنصر والهدى والعلم والعمل الصالح والسرور والأفراح، والجنة وما

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (170). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

(2) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (المائدة) الآية (170). برقم (ج 4/ ص 165).

(3) انظر: مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (النساء) الآية (170).

اشتملت عليه من النعيم كل ذلك مسبب عن الإيمان.

كما أن الشقاء الدنيوي والأخروي من عدم الإيمان أو نقصه. وأما مضرة عدم الإيمان به صلى الله عليه وسلم فيعرف بضد ما يترتب على الإيمان به. وأن العبد لا يضر إلا نفسه، والله تعالى غني عنه لا تضره معصية العاصين،

ولهذا قال: {فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} أي: الجميع خلقه وملكه، وتحت تدبيره وتصريفه.

{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا} بكل شيء {حَكِيمًا} في خلقه وأمره. فهو العليم بمن يستحق الهداية والغواية، الحكيم في وضع الهداية والغواية موضعهما.(1)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

- إثبات النبوة والرسالة في شأن نوح وإبراهيم وغيرهما من ذرياتهما ممن ذكرهم الله وممن لم يذكر أخبارهم لحكمة يعلمها سبحانه.
- إثبات صفة الكلام لله تعالى على وجه يليق بذاته وجلاله، فقد كلّم الله تعالى نبيه موسى -عليه السلام-.
- تسلية النبي محمد -عليه الصلاة والسلام- ببيان أن الله تعالى يشهد على صدق دعواه في كونه نبيًا، وكذلك تشهد الملائكة.(2)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175)

* * *

[١٧١] ﴿يَـا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول -ﷺ- للنصارى أهل الإنجيل: لا تتجاوزوا الحد في دينكم، ولا تقولوا على الله في شأن عيسى -عليه

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (170)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (104/1)، تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

السلام- إلا الحق، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله أرسله بالحق، خَلَقَهُ بكلمته التي أرسل بها جبريل -عليه السلام- إلى مريم، وهي قوله: كُنْ، فكان، وهي نفخة من الله نفخها جبريل بأمر من الله، فآمنوا بالله ورسله جميعًا دون تفريق بينهم، ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة، انتهوا عن هذه المقولة الكاذبة الفاسدة يكن انتهاؤكم عنها خيرًا لكم في الدنيا والآخرة، إنما الله إله واحد تنزه عن الشريك وعن الولد، فهو غني، له ملك السماوات وملك الأرض وملك ما فهما، وحَسْبُ ما في السماوات والأرض بالله قيمًا ومدبرًا لهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- يا أهل الإنجيل لا تتجاوزوا الاعتقاد الحق في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فلا تجعلوا له صاحبةً ولا ولدًا. إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أرسله الله بالحق، وخَلَقَه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله: ‹ كن › ، فكان، وهي نفخة من الله تعالى نفخها جبريل بأمر ربه، فَصدِّقوا بأن الله واحد وأسلموا له، وصدِّقوا رسله فيما جاؤوكم به من عند الله واعملوا به، ولا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين. انتهوا عن هذه المقالة خيرًا لكم مما أنتم عليه، إنما الله إله واحد سبحانه. ما في السموات والأرض مُلْكُه، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ وكفى بالله وكيلا على تدبير خلقه وتصريف معاشهم، فتوكَّلوا عليه وحده فهو كافيكم.(2)

* * *

يَعْنِي:- يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا الحق مغالين في دينكم، ولا تفتروا على الله الكذب، فتنكروا رسالة عيسى، أو تجعلوه إلهاً مع الله، فإنما المسيح رسول كسائر الرسل، خلقه الله بقدرته وكلمته التي بُشِّر بها، ونفخ روحه جبريل في مريم، فهو سِرٌّ من أسرار قدرته، فآمنوا بالله ورسله جميعاً إيماناً صحيحاً ولا تدَّعوا أن الآلهة ثلاثة، انصرفوا عن هذا الباطل يكن خيراً لكم، فإنما الله واحد لا شريك له، وهو منزه عن أن يكون له ولد، وكل ما في السموات والأرض ملك له، وكفى به - وحده - مدبِّراً لملكه.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ}... المراد بهم1 هنا: النصارى.

{لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}... الغلو: تجاوز الحد للشيء، فعيسى -عليه السلام- عبد الله ورسوله فغلوا فيه فقالوا هو الله.

{لا تَغْلُوا}... لاَ تَتَجَاوَزُوا الاعْتِقَادَ الْحَقَّ.

{وَكَلِمَتُهُ}... خَلَقَهُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا جِبْرِيلَ إِلَى مَرْيَمَ وَهِيَ: ‹ "كُنْ" › فَكَانَ.

{وَكَلِمَتُهُ} كلمةٌ تَكَلَّمَ بها الله فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمةَ وإنما كان بها، وهذا من بابِ إضافةِ التشريفِ والتكريمِ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (105/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (105/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (141/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَرُوحٌ مِّنْهُ} ... أي: من الأرواح التي خَلَقَهَا وكَمَّلَهَا بالصفاتِ الفاضلةِ، والأخلاق الكاملة.

{الْمَسِيحُ} ... هو عيسى عليه السلام ولقب بالمسيح لأنه ممسوح من الذنوب، أي: لا ذنب له قط.

{وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا} ... أي: قول الله تعالى له {كن} فكان -ألقاها إلى مريم: أوصلها لها وأبلغها إياها وهي قول الملائكة لها إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم.

{وَرُوحٌ مِّنْهُ} ... أي: عيسى كان بنفخة جبريل روح الله في كم درعها.

{وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا} ... يكل إليه الخلق كلهم أمورهم، فهو الغنى عنهم وهم الفقراء إليه.

{وكِيلاً} ... حفيظاً وشاهداً عليماً.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله....} .

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- هذا الغلو الذي نهوا عنه هو قول غير الحق وهو قول بعضهم إن عيسى ابن الله، وقول بعضهم هو الله، وقول بعضهم هو إله مع الله سبحانه وتعالى عن ذلك كله علوا كبيرا كما بينه قوله تعالى: {وقالت النصارى المسيح ابن الله} .

وقوله: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم}،

وقوله: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة} وأشار هنا إلى إبطال هذه المفتريات، بقوله: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم} الآية.

وقوله: {لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله} . (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- (2) قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):

{يَسْتَنْكِفُ} : يَسْتَكْبِرُ.

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا مسلم عن (مسروق) قال: قالت: (عائشة) - رضي الله عنها-: صنع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شيئاً ترخّص فيه وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: ((ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فو الله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية)). (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا الحميدى حدثنا سفيان، قال: سمعت الزهري يقول: أخبرني عُبيد

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (171).

(2) انظر:صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (المائدة) الآية (171). برقم (ج 6/ ص 42).

(3) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (290/13)، (ح 7301) – (كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنه)، / باب:(ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع، لقوله تعالى (الآية) .

الله بن (عبد الله) عن ابن عباس) سمع (عمر) - رضي الله عنه - يقول على المنبر: سمعت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله)).(1)

* * *

وفي طريق : (عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب).

وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) – في (صحيحه)،- والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسْنَده) - (رحمهما اللّه) - (بِسندهما):- , وَعَنْ (عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: ("لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتَ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ) (2) (فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ) (3) (فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ ") (4)

قوله تعالى: {وكلمته ألقاها إلى مريم} .

قَال: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه اللّه) - في (تفسيره):- (بسنده (الحسن) - عن (قتادة): {وكلمته ألقاها إلى مريم} قال: هو قوله: {كن} فكان.(5)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قَال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه اللّه):- ثم نزل في نصارى أهل نَجْرَان النسطورية وهم الَّذين قَالُوا عيسَى ابْن الله والمار يعقوبية وهم الَّذين قَالُوا عيسَى هُوَ الله والمرقوسية وهم الَّذين قَالُوا ثَالِث ثَلَاثَة والملكانية وهم الَّذين قَالُوا عِيسَى والرب شريكان فَأنْزل الله فيهم {يَا أهل الْكتاب لاَ تَغْلُواْ} لاَ تشددوا {فِي دينكُمْ} فَإِنَّهُ لَيْسَ بِحَق {وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى الله إِلاَّ الْحق} الصدْق {إِنَّمَا الْمَسِيح عِيسَى ابْن مَرْيَم رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} وَصَار بِكَلِمَة من الله مخلوقاً {وَرُوحٌ مِّنْهُ} وبِأَمْر مِنْهُ صَار ولدا بِلاَ أَب {فَآمِنُواْ بِاللَّه وَرُسُلِه} جملَة الرُّسُل عِيسَى وَغَيره {وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ} ولد ووالد وَزَوْجَة {انْتَهُوا} عَن مَقَالَتِكُمْ وتوبوا {خَيْراً لَّكُمْ} من مَقَالَتِكُمْ {إِنَّمَا الله إِلَه وَاحِدٌ} بِلاَ ولد وَلاَ شريك {سُبْحَانَهُ} نزه نَفسه {أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض} عبيدا {وَكفى بِاللَّه وَكِيلاً} رَبًّا للخلق وشهيداً على مَا قَالَ من خبر عِيسَى.(6)

* * *

قَال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه اللّه) - في (تفسيره):- {171} {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} نَزَلَتْ فِي النَّصَارَى وَهُمْ أَصْنَافٌ أربعة: اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقسية، فَقَالَتِ الْيَعْقُوبِيَّةُ: عِيسَى هُوَ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ الْمَلْكَانِيَّةُ، وَقَالَتِ النُّسْطُورِيَّةُ: عيسَى هو ابن الله، وقالت المرقسية ثالث ثلاثة، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَيُقَالُ الْمَلْكَانِيَّةُ يَقُولُونَ: عيسَى هُوَ اللَّهُ، وَالْيَعْقُوبِيَّةُ يَقُولُونَ: ابْنُ اللَّهِ

---

(1) (صَحِيح) : أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (551/6)، (ح 3445) - (كتاب أحاديث الأنبياء)، / باب: قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} {مريم/16}.

(2) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (خ) (3261).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (164). وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3261).

(4) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3261).

(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (171).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (171). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

والنُّسْطُورِيَّةُ يَقُولُونَ: ثَالِثُ ثَلاثَةٍ عليهم رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ بَوْلَس، سَيَأْتِي فِي (سُورَةِ التَّوْبَةِ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ): يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَإِنَّهُمْ جَمِيعًا غَلَوْا فِي أَمْرِ عِيسَى، فَالْيَهُودُ بالتقصير، والنصارى مجاوزة الْحَدِّ، وَأَصْلُ الْغُلُوِّ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، وَهُوَ فِي الدِّينِ حَرَامٌ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ) لا تُشَدِّدُوا فِي دِينِكُمْ فتفتروا على الله الكذب {وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ} لا تَقُولُوا إِنَّ لَهُ شَرِيكًا وَوَلَدًا {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ} وَهِيَ قَوْلُهُ (كُنْ) فَكَانَ بَشَرًا مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وَقِيلَ غَيْرُهُ، {أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} أَيْ أَعْلَمَهَا وَأَخْبَرَهَا بِهَا، كَمَا يُقَالُ: أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ كَلِمَةً حَسَنَةً،

{وَرُوحٌ مِنْهُ} قِيلَ: هُوَ رُوحٌ كَسَائِرِ الْأَرْوَاحِ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا،

يَعْنِي:- الرُّوحُ هُوَ النَّفْخُ الَّذِي نَفَخَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دِرْعِ مَرْيَمَ فَحَمَلَتْهُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، سُمِّيَ النَّفْخُ رُوحًا لِأَنَّهُ رِيحٌ يَخْرُجُ مِنَ الرُّوحِ وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ كَانَ بِأَمْرِهِ،

يَعْنِي:- رُوحٌ مِنْهُ أَيْ وَرَحْمَةٌ، فَكَانَ عِيسَى- عَلَيْهِ السَّلَامُ رَحْمَةً لِمَنْ تَبِعَهُ وَآمَنَ بِهِ،

يَعْنِي:- الرُّوحُ الْوَحْيُ أَوْحَى إِلَى مَرْيَمَ بِالْبِشَارَةِ وَإِلَى جبريل -عليه السلام أَنْ كُنْ فَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ} {النَّحْلُ: 2} يَعْنِي: بِالْوَحْيِ،

يَعْنِي:- أَرَادَ بِالرُّوحِ جِبْرِيلَ- عَلَيْهِ السلام، معناه كلمته ألقاها إلى مريم، وألقاها أَيْضًا رُوحٌ مِنْهُ بِأَمْرِهِ وَهُوَ جِبْرِيلُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ} {الْقَدْرِ: 4} يَعْنِي: جِبْرِيلَ فِيهَا، وَقَالَ: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} {مريم: 17} يعني: جبريل.

{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ} أي: ولا تقولوا هم بثلاثة، وَكَانَتِ النَّصَارَى تَقُولُ أَبٌ وَابْنٌ وروح القدس،

{انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ} تَقْدِيرُهُ: انْتَهُوا يَكُنِ الِانْتِهَاءُ خَيْرًا لَكُمْ،

{إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ} وَاعْلَمْ أَنَّ التَّبَنِّيَ لاَ يَجُوزُ لِلَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ التَّبَنِّيَ إِنَّمَا يَجُوزُ لِمَنْ يُتَصَوَّرُ لَهُ وَلَدٌ، {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} {النساء: 171}.[1]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {171} {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا}.

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع. وذلك كقول النصارى في غلوهم بعيسى -عليه السلام، ورفعه عن مقام النبوة

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (171).

والرسالة إلى مقام الربوبية الذي لا يليق بغير الله، فكما أن التقصير والتفريط من المنهيات، فالغلو كذلك، ولهذا قال: {وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ} وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء:

أمرين منهي عنهما، وهما قول الكذب على الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه ورسله، والثالث: مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور.

ولما كانت هذه قاعدة عامة كلية، وكان السياق في شأن عيسى -عليه السلام- نصَّ على قول الحق فيه، المخالف لطريقة اليهودية والنصرانية فقال: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ} أي: غاية المسيح عليه السلام ومنتهى ما يصل إليه من مراتب الكمال أعلى حالة تكون للمخلوقين، وهي درجة الرسالة التي هي أعلى الدرجات وأجلّ المثوبات.

وأنه {كَلِمَتُهُ} التي {أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} أي: كلمة تكلم الله بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها، وهذا من باب إضافة التشريف والتكريم.

وكذلك قوله: {وَرُوحٌ مِّنْهُ} أي: من الأرواح التي خلقها وكملها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة، أرسل الله روحه جبريل - عليه السلام - فنفخ في فرج مريم عليها السلام، فحملت بإذن الله بعيسى عليه السلام.

فلما بيّن حقيقة عيسى - عليه السلام، أمر أهل الكتاب بالإيمان به وبرسله، ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة أحدهم عيسى، والثاني مريم، فهذه مقالة النصارى قبحهم الله.

فأمرهم أن ينتهوا، وأخبر أن ذلك خير لهم، لأنه الذي يتعين أنه سبيل النجاة، وما سواه فهو طريق الهلاك، ثم نزه نفسه عن الشريك والولد فقال: {إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ} أي: هو المنفرد بالألوهية، الذي لا تنبغي العبادة إلا له. {سُبْحَانَهُ} أي: تنزه وتقدس {أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ} لأن {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} فالكل مملوكون له مفتقرون إليه، فمحال أن يكون له شريك منهم أو ولد.

ولما أخبر أنه المالك للعالم العلوي والسفلي أخبر أنه قائم بمصالحهم الدنيوية والأخروية وحافظها، ومجازيهم عليها تعالى. (1)

* * *

قال : الإمَام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (2) {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا (171)}

يَنْهَى تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ عَنِ الْغُلُوِّ وَالْإِطْرَاءِ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي النَّصَارَى، فَإِنَّهُمْ تَجَاوَزُوا حَدَّ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (171)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (171)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

التَّصْدِيق بِعِيسَى، حَتَّى رَفَعُوهُ فَوْقَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَنَقَلُوهُ مِنْ حَيِّز النُّبُوَّةِ إِلَى أَنِ اتَّخَذُوهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّه يَعْبُدُونَهُ كَمَا يَعْبُدُونَهُ، بَلْ قَدْ غَلَوْا فِي أَتْبَاعه وَأَشْيَاعه، مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى دِينه، فَادَّعَوْا فِيهِمُ الْعِصْمَةَ وَاتَّبَعُوهُمْ فِي كُلِّ مَا قَالُوهُ، سَوَاءٌ كَانَ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا أَوْ ضَلَالًا أَوْ رَشَادًا، أَوْ صَحِيحًا أَوْ كَذِبًا" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} {التَّوْبَة: 31}.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا هُشَيم قَالَ: زَعَمَ الزُّهْرِي، عَنْ عُبَيْد اللَّه بْنِ عَبد اللَّه بْن عُتْبَة بْنِ مَسْعُود، عَنْ (ابْنِ عَبَّاس)، عَنْ (عُمَر): أَنَّ رَسُولَ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلم- قَالَ: ((لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَت النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُه)).(1)

ثُمَّ رَوَاهُ هُوَ وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ، عَنْ (سُفْيَان بْنِ عُيَيْنَة)، عَنِ (الزُّهْرِي) كَذَلِكَ. وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ): هَذَا حَدِيثٌ (صَحِيحٌ سَنَدُهُ).

وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام (الْبُخَارِيُّ)، عَنِ الْحُمَيدي، عَنْ (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ)، عَنِ (الزُّهْرِي)، بِه. وَلَفْظُه: ((فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُه)).(2)

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا حَمَّاد بْنِ سَلَمَة، عَنْ ثابت البُنَاني، عَنْ (أَنَس بْنِ مَالِك): أَنَّ رَجُلًا قَالَ: مُحَمَّدٌ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِقَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشيطانُ، أَنَا محمدُ بنُ عَبْدِ اللَّه، عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُه، وَاللَّه مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)).(3)

تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْه.(4)

وَقَوْلُهُ: {وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ} أَيْ: لاَ تَفْتَرُوا عَلَيْه وَتَجْعَلُوا لَهُ صَاحِبَةً وَوَلَدًا - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ وَتَوَحَّدَ فِي سُؤْدُده وَكِبْرِيَائِه وَعَظَمَتِه -فَلاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ" وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} أَيْ: إِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّه وخَلق مِنْ خَلْقه، قَالَ لَهُ: كُنْ فَكَانَ، وَرَسُولٌ مِنْ رُسُله، وَكَلِمَتُهُ

---

(1) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم 23/1، 24.
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3445).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم 23/1، 24.
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3445).

(3) (صحيح):أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (153/3)
وهو على شرط الإمام (مسلم).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (6240).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1539/3).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (171)، للإِمَامْ (ابن كثير).

أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، أَيْ: خَلَقَه بِالْكَلِمَةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، إِلَى مَرْيَمَ، فَنَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَكَانَ عِيسَى بِإِذْنِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَصَارَتْ تِلْكَ النَّفْخَةُ الَّتِي نَفَخَهَا فِي جَيْبِ درعها، فَنَزَلَتْ حَتَّى وَلَجَت فَرْجَهَا بِمَنْزِلَةِ لقاح الأب الأمِّ وَالْجَمِيعُ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ" وَلِهَذَا قِيلَ لِعِيسَى: إِنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحٌ مِنْهُ" لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ تَوَلَّدَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا هُوَ نَاشِئٌ عَنِ الْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَ لَهُ بِهَا: كُنْ، فَكَانَ. وَالرُّوحِ الَّتِي أُرْسِلَ بِهَا جِبْرِيلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ} [الْمَائِدَة: 75].

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آلِ عِمْرَان: 59].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [الْأَنْبِيَاء: 91].

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التَّحْرِيم: 12].

وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْمَسِيحِ: {إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [الزُّخْرُف: 59].(1)

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاقِ)، عَنْ (مَعْمَرٍ)، عَنْ (قَتَادَةَ): {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} هُوَ كَقَوْلِهِ: {كُنْ} [آلِ عِمْرَان: 59].

فَكَانَ وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِم): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ شَاذَّ بْنَ يَحْيَى يَقُولُ: فِي قَوْلِ اللَّهِ: {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} قَالَ: لَيْسَ الكلمة صَارَتْ عِيسَى، وَلَكِنْ بِالْكَلِمَةِ صَارَ عِيسَى.

وَهَذَا أَحْسَنُ مِمَّا ادَّعَاهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ)(2) فِي قَوْلِهِ: {أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ} أَيْ: أَعْلَمَهَا بِهَا، كَمَا زَعَمَهُ فِي قَوْلِهِ: {إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ} [آلِ عِمْرَان: 45] أَيْ: يُعْلِمُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ، وَيَجْعَلُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} [الْقَصَص: 86] بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّهَا الْكَلِمَةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا جِبْرِيلُ إِلَى مَرْيَمَ، فَنَفَخَ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَكَانَ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ.(3)

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ، حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، عَنْ (عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وروحٌ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (171)، للإمام (ابن كثير).

(2) تفسير (الطبري) برقم (418/9).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (171)، للإمام (ابن كثير).

منْهُ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ)).(1)

قَالَ: (الْوَلِيدُ): فَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ، عَنْ جُنَادَةَ زَادَ: ((مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ)).

وَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ (مُسْلِمٌ)، عَنْ دَاوُدَ بْنِ رُشَيْدٍ، عَنِ الْوَلِيدِ، عَنِ (ابْنِ جَابِرٍ)، بِهِ(2)

وَمِنْ وَجْهٍ آخَرَ، عَنِ (الْأَوْزَاعِيِّ)، بِهِ(3) .

فَقَوْلُهُ فِي الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ: {وَرُوحٌ مِنْهُ} كَقَوْلِهِ {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} {الْجَاثِيَةِ: 13} أَيْ: مِنْ خَلْقِهِ وَمِنْ عِنْدِهِ، وَلَيْسَتْ "مِنْ" لِلتَّبْعِيضِ، كَمَا تَقُولُهُ النَّصَارَى -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ- بَلْ هِيَ لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ، كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى.(4)

وَقَدْ قَالَ: (مُجَاهِدٌ) فِي قَوْلِهِ: {وَرُوحٌ مِنْهُ} أَيْ: وَرَسُولٌ مِنْهُ. وَقَالَ غَيْرُهُ. وَمَحَبَّةٌ مِنْهُ. وَالْأَظْهَرُ الْأَوَّلُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ رُوحٍ مَخْلُوقَةٍ، وَأُضِيفَتِ الرُّوحُ إِلَى اللَّهِ عَلَى وَجْهِ التَّشْرِيفِ، كَمَا أُضِيفَتِ النَّاقَةُ وَالْبَيْتُ إِلَى اللَّهِ، فِي قَوْلِهِ: {هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ} {هُود: 64}. وَفِي قَوْلِهِ: {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ} {الْحَجِّ: 26}،(5)

وَكَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "فَأَدْخُلُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ" أَضَافَهَا إِلَيْهِ إِضَافَةَ تَشْرِيفٍ لَهَا، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ قَبِيلٍ وَاحِدٍ وَنَمَطٍ وَاحِدٍ.

وَقَوْلُهُ: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} أَيْ: فَصَدِّقُوا بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ، لَا صَاحِبَةَ لَهُ وَلَا وَلَدَ، وَاعْلَمُوا وَتَيَقَّنُوا بِأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ" وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ} أَيْ: لَا تَجْعَلُوا عِيسَى وَأُمَّهُ مَعَ اللَّهِ شَرِيكَيْنِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَهَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي تَأْتِي فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} {الْمَائِدَةِ: 73}.

وَكَمَا قَالَ فِي آخِرِ السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ} الْآيَةَ {الْمَائِدَةِ: 116}، وَقَالَ فِي أَوَّلِهَا: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} الْآيَةَ {الْمَائِدَةِ: 72}، فَالنَّصَارَى -عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ- مِنْ جَهْلِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ ضَابِطٌ، وَلَا لِكُفْرِهِمْ حَدٌّ، بَلْ أَقْوَالُهُمْ وَضَلَالُهُمْ مُنْتَشِرٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُهُ إِلَهًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُهُ شَرِيكًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُهُ وَلَدًا. وَهُمْ طَوَائِفُ كَثِيرَةٌ لَهُمْ آرَاءٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَأَقْوَالٌ غَيْرُ مُؤْتَلِفَةٍ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ حَيْثُ قَالَ: لَوِ اجْتَمَعَ عَشَرَةٌ مِنَ النَّصَارَى لَافْتَرَقُوا عَلَى أَحَدَ عَشَرَ قَوْلًا.

---

(1) (صَحِيحٌ) :أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3435)، - وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (28).

(2) (صَحِيحٌ) :أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3435)، - و أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (28).

(3) (صَحِيحٌ) :أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (28).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (171)، للإِمَامُ (ابن كثير).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (171)، للإِمَامُ (ابن كثير).

وَلَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ عُلَمَائِهِمُ الْمَشَاهِيرِ، وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ بَطْرِيقٍ -بِتْرَكُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ-فِي حُدُودِ سَنَةِ أَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، أَنَّهُمُ اجْتَمَعُوا الْمَجْمَعَ الْكَبِيرَ الَّذِي عَقَدُوا فِيهِ الْأَمَانَةَ الْكَبِيرَةَ الَّتِي لَهُمْ، وَإِنَّمَا هِيَ الْخِيَانَةُ الْحَقِيرَةُ الصَّغِيرَةُ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ قُسْطَنْطِينَ بَانِي الْمَدِينَةِ الْمَشْهُورَةِ، وَأَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ اخْتِلَافًا لَا يَنْضَبِطُ وَلَا يَنْحَصِرُ، فَكَانُوا أَزْيَدَ مِنْ أَلْفَيْنِ أُسْقُفًا، فَكَانُوا أَحْزَابًا كَثِيرَةً، كُلُّ خَمْسِينَ مِنْهُمْ عَلَى مَقَالَةٍ، وَعِشْرُونَ عَلَى مَقَالَةٍ، وَمِائَةٌ عَلَى مَقَالَةٍ، وَسَبْعُونَ عَلَى مَقَالَةٍ، وَأَزْيَدُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْقَصُ. فَلَمَّا رَأَى عِصَابَةً مِنْهُمْ قَدْ زَادُوا عَلَى الثَّلَاثِمِائَةِ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ نَفَرًا، وَقَدْ تَوَافَقُوا عَلَى مَقَالَةٍ، فَأَخَذَهَا الْمَلِكُ وَنَصَرَهَا وَأَيَّدَهَا -وَكَانَ فَيْلَسُوفًا ذَا هَيْئَةٍ -وَمَحَقَ مَا عَدَاهَا مِنَ الْأَقْوَالِ، وَانْتَظَمَ دَسْتُ أُولَئِكَ الثَّلَاثِمِائَةِ وَالثَّمَانِيَةَ عَشَرَ، وَبُنِيَتْ لَهُمُ الْكَنَائِسُ، وَوَضَعُوا لَهُمْ كُتُبًا وَقَوَانِينَ، وَأَحْدَثُوا الْأَمَانَةَ الَّتِي يُلَقِّنُونَهَا الْوِلْدَانَ مِنَ الصِّغَارِ - لِيَعْتَقِدُوهَا-وَيُعَمِّدُونهم عَلَيْهَا، وَأَتْبَاعُ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمَلَكِيَّةُ. ثُمَّ إِنَّهُمُ اجْتَمَعُوا مَجْمَعًا ثَانِيًا فَحَدَثَ فِيهِمُ الْيَعْقُوبِيَّةُ، ثُمَّ مَجْمَعًا ثَالِثًا فَحَدَثَ فِيهِمُ النُّسْطُورِيَّةُ. وَكُلُّ هَذِهِ الْفِرَقِ تُثْبِتُ الْأَقَانِيمَ الثَّلَاثَةَ فِي الْمَسِيحِ، وَيَخْتَلِفُونَ فِي كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ وَفِي اللَّاهُوتِ وَالنَّاسُوتِ عَلَى زَعْمِهِمْ! هَلِ اتَّحَدَا، أَوْ مَا اتَّحَدَا، بَلِ امْتَزَجَا أَوْ حَلَّ فِيهِ؟ عَلَى ثَلَاثِ مَقَالَاتٍ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يُكَفِّرُ الْفِرْقَةَ الْأُخْرَى، وَنَحْنُ نُكَفِّرُ الثَّلَاثَةَ"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ} أَيْ: يَكُنْ خيرًا لَكُمْ .

{إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ} أَيْ: تَعَالَى وَتَقَدَّس عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا} أَيْ: الْجَمِيعُ مِلْكُهُ وَخَلْقُهُ، وَجَمِيعُ مَا فِيهَا عُبَيْدُهُ، وَهُمْ تَحْتَ تَدْبِيرِهِ وَتَصْرِيفِهِ، وَهُوَ وَكِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ مِنْهُمْ صَاحِبَةٌ أَوْ وَلَدٌ؟ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {الْأَنْعَام: 101}،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا. وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا. إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} {مَرْيَم:88:95}. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} الغلو: تعدي الْحق.

قَوْلُهُ: {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} أَي: أَنَّهُ كَانَ من غير بشر.

{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ} الْآيَة. أَي: آلهتنا ثَلَاثَة

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (171)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

{انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ} {إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ} قَالَ: (مُحَمَّد): اخْتلف القَوْل فِي قَوْله: {خيرا لكم} وَالِاخْتِيَار أَنَّهُ مَحْمُول على مَعْنَاهُ" كَأَنَّهُ قَالَ: انْتَهوا وائتوا خيرا لكم. وَكَذَلِكَ قَوْله: {فَآمِنُوا خَيْرًا لكم} هُوَ على مثل هَذَا الْمَعْنى. (1)

* * *

[١٧٢] ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لن يأنف عيسى بن مريم ويمتنع أن يكون عبدًا لله، ولا الملائكة الذين قربهم الله له، ورفع منزلتهم أن يكونوا عبادًا لله، فكيف تتخذون عيسى إلهًا؟! وكيف يتخذ المشركون الملائكة آلهة؟! ومن يأنف عن عبادة الله، ويترفع عنها فإن الله سيحشر الجميع إليه يوم القيامة، ويجازي كلًّا بما يستحق.

ولما بين أن الجميع سيحشره الله إليه فصَّل جزاءهم: (2)

* * *

يَعْنِي:- لن يَأنف ولن يمتنع المسيح أن يكون عبدًا لله، وكذلك لن يأنفَ الملائكة المُقَرَّبون من الإقرار بالعبودية لله تعالى. ومن يأنف عن الانقياد والخضوع ويستكبر فسيحشرهم كلهم إليه يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العادل، ويجازي كلا بما يستحق. (3)

* * *

يَعْنِي:- لن يترفع المسيح عن أن يكون عبداً لله، ولن يترفع عن ذلك الملائكة المقربون، ومن يتكبر ويترفع عن عبادة الله فلن يفلت من عقابه يوم يجمع الله الناس للحساب. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{لَنْ يَسْتَنْكِفَ} ... لا يرفض عبوديته لله تعالى أنفة وكبراً.

{لَّن يَسْتَنكِفَ} ... أي: لن يَأْنَفَ ولن يَتَكَبَّرَ.

{الْمَسِيحُ} ... الَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ إِلَه عَن.

{أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} ... عِنْد اللَّه لَا يَسْتَنْكِفُونَ أَنْ يَكُونُوا عَبِيدًا وَهَذَا مِنْ أَحْسَن الِاسْتِطْرَاد ذُكِرَ لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا آلِهَة أَوْ بَنَات اللَّه كَمَا رَدَّ بِمَا قَبْله عَلَى النَّصَارَى الزَّاعِمِينَ ذَلِكَ الْمَقْصُود خِطَابهمْ.

{وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} ... فِي الآخرة.

{يَسْتَنْكِفَ} ... يَانَفَ، وَيَمْتَنِعَ.

{وَيَسْتَكْبِرْ} ... يرى نفسه كبيرة فوق ما طلب منه أن يقوله أو يفعله إعجاباً وغروراً.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

قوله تعالى: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (171) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (105/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (105/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (142/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبي، ثنا إبراهيم بن موسى، أنبا همام بن يوسف، عن ابن جريج، عن (عطاء)، عن (ابن عباس) قوله: (لن يستنكف) قال: لن يستكبر. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً بالله ولا الملائكة المقربون) لن يحتشم المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله):- {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ} لن يأنف المسيح {أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ} أن يقر بالعبودية لله نزلت هذه الْآيَة في قَوْلهم إِنَّه عَار على صاحبنا مَا تَقول يَا مُحَمَّد فَأنْزل الله إِنَّه لَيْسَ بعار أَن يكون عيسَى عبد الله {وَلاَ الْمَلاَئِكَة المقربون} يَقُول وَلَا تأنف الْمَلَائِكَة المقربون حَملَة الْعَرْش أَن يقرُّوا بالعبودية لله {وَمَن يَسْتَنْكِفْ} يأنف {عَنْ عِبَادَتِه} عَن الْإِقْرَار بعبوديته {وَيَسْتَكْبِرْ} عَن الْإِيمَان بِاللَّه {فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ} يَوْم الْقِيَامَة {جَمِيعاً} الْكَافِر وَالْمُؤمن (3)

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (172).

و(صححه) الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني) في (الفتح الباري) برقم (237/8).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (172).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (172). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {172} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَن يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ} وَذَلِكَ < أَنَّ وَفْدَ نَجْرَانَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَعِيبُ صَاحِبَنَا فتقول إنه عبد الله ورسوله، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-" إِنَّهُ لَيْسَ بِعَارٍ لعيسَى عليه السلام أن يكون عبد الله "، فنزل: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ} > لَنْ يَأْنَفَ وَلَنْ يَتَعَظَّمَ، وَالِاسْتِنْكَافُ: التَّكَبُّرُ مَعَ الْأَنَفَةِ،

{وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} وَهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، لَا يَأْنَفُونَ أَنْ يَكُونُوا عَبِيدًا لِلَّهِ، وَيَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ يَقُولُ بِتَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْبَشَرِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ارْتَقَى مِنْ عِيسَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَلَا يُرْتَقَى إِلَّا إِلَى الْأَعْلَى، لَا يُقَالُ: لَا يَسْتَنْكِفُ فُلَانٌ مِنْ هَذَا وَلَا عَبْدُهُ، إِنَّمَا يُقَالُ: فُلَانٌ لَا يَسْتَنْكِفُ مِنْ هَذَا وَلَا مَوْلَاهُ، وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ رَفْعًا لِمَقَامِهِمْ عَلَى مَقَامِ الْبَشَرِ، بَلْ رَدًّا عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ الْمَلَائِكَةُ آلِهَةٌ، كَمَا رَدَّ عَلَى النَّصَارَى قَوْلَهُمُ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَ: رَدًّا عَلَى النَّصَارَى بِزَعْمِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِتَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} {النساء: 172} قِيلَ: الِاسْتِنْكَافُ هُوَ التَّكَبُّرُ مَعَ الْأَنَفَةِ، وَالِاسْتِكْبَارُ هُوَ الْعُلُوُّ وَالتَّكَبُّرُ مِنْ غَيْرِ أَنَفَةٍ. (4)

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (172).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {172} {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا}.

لما ذكر تعالى غلو النصارى في عيسى- عليه السلام، وذكر أنه عبده ورسوله، ذكر هنا أنه لا يستنكف عن عبادة ربه، أي: لا يمتنع عنها رغبة عنها، لا هو {وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} فنزههم عن الاستنكاف وتنزيههم عن الاستكبار من باب أولى، ونفي الشيء فيه إثبات ضده.

أي: فعيسى والملائكة المقربون قد رغبوا في عبادة ربهم، وأحبوها وسعوا فيها بما يليق بأحوالهم، فأوجب لهم ذلك الشرف العظيم والفوز العظيم، فلم يستنكفوا أن يكونوا عبيدا لربوبيته ولا لإلهيته، بل يرون افتقارهم لذلك فوق كل افتقار.

ولا يظن أن رفع عيسى أو غيره من الخلق فوق مرتبته التي أنزله الله فيها وترفعه عن العبادة كمالا بل هو النقص بعينه، وهو محل الذم والعقاب.

ولهذا قال: {وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} أي: فسيحشر الخلق كلهم إليه، المستنكفين والمستكبرين وعباده المؤمنين، فيحكم بينهم بحكمه العدل، وجزائه الفصل.(1)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (172)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172)}

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَوْلُهُ: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ} لَنْ يَسْتَكْبِرَ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): لَنْ يَحْتَشِمَ {الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُ مَنْ ذَهَبَ إِلَى تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْبَشَرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ: {وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} وَلَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ" لِأَنَّهُ إِنَّمَا عَطَفَ الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْمَسِيحِ" لِأَنَّ الِاسْتِنْكَافَ هُوَ الِامْتِنَاعُ، وَالْمَلَائِكَةُ أَقْدَرُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَسِيحِ".

فَلِهَذَا قَالَ: {وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِمْ أَقْوَى وَأَقْدَرَ عَلَى الِامْتِنَاعِ أَنْ يَكُونُوا أَفْضَلَ.

وقيل: إِنَّمَا ذُكِرُوا" لِأَنَّهُمُ اتَّخَذُوا آلِهَةً مَعَ اللَّهِ، كَمَا اتُّخِذَ الْمَسِيحُ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ عُبَيْدٌ مِنْ عُبَيْدِه وخَلْق مَنْ خَلْقه،

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ

كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} {الْأَنْبِيَاء: 26-29}.

ثم قال: {وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} أيْ: فَيَجْمَعُهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ، الَّذِي لَا يَجُورُ فِيهِ وَلَا يَحِيفُ".(1)

* * *

قال الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عبدا لله} أي: لن يحتشم {وَلَا الْمَلَائِكَةُ المقربون} أن يَكُونُوا عباداً لله.(2)

* * *

[١٧٣] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا برسله، وعملوا الأعمال الصالحات مخلصين لله عاملين وفق ما شرع، فسيعطيهم ثواب أعمالهم غير منقوص، وسيزيدهم على ذلك من فضله واحسانه، وأما الذين أنفوا عن عبادة الله وطاعته وترفعوا تكبراً، فيعذبهم عذاباً موجعاً، ولا يجدون من دون الله من يتولاهم فيجلب لهم النفع، ولا من ينصرهم فيدفع عنهم الضر.(3)

* * *

يَعْنِي:- فأمَّا الذين صَدَّقوا بالله اعتقادًا وقولا وعملا واستقاموا على شريعته فيوفيهم ثواب أعمالهم، ويزيدُهم من فضله، وأما الذين امتنعوا عن طاعة الله، واستكبروا عن التذلل له فيعذبهم عذابًا موجعًا، ولا يجدون لهم وليًّا ينجيهم من عذابه، ولا ناصرًا ينصرهم من دون الله.(4)

* * *

يَعْنِي:- فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم ثواب أعمالهم ويزيدهم من فضله، إكراماً وإنعاماً، وأما الذين أَنِفُوا أن يعبدوه، وترفعوا أن يشكروه فقد أعد لهم عذاباً شديد الإيلام، لن يدفعه عنهم معين ولن يمنعهم منه نصير.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ} ... ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ.

{وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} ... مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

{وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا} ... عَنْ عِبَادَتِهِ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (172)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (172) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (105/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (105/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (142/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} ... مُؤْلِمًا هُوَ عَذَاب النَّار {وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ} ... أَيْ غَيْره.

{وَلِيًا} ... يَدْفَعهُ عَنْهُمْ.

{وَلاَ نصيرا} ... يمنعهم منه.

{وَلِيّاً وَلا نَصِيراً} ... أي: لا يجدون يوم القيامة ولياً يتولى الدفاع عنهم ولا نصيراً ينصرهم حتى لا يدخلوا النار ويعذبوا فيها.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية :

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {فَأَمَّا الَّذِين آمَنُواْ} بِمُحَمد وَالْقُرْآن {وَعَمِلُواْ الصَّالِحَات} الطَّاعَات فِيمَا بَينهم وَبَين رَبهم {فَيُوَفِّيهِمْ} فيوفرهم {أُجُورهم} ثوابهم فِي الْجنَّة {وَيزِيدهم من فَضله} كرامته {وَأَمَّا الَّذين استنكفوا} أنفوا {واستكبروا} عَن الْإِيمَان بِمُحَمد وَالْقُرْآن {فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} وجيعاً {وَلَا يَجدُونَ لَهُم مِّن دُونِ الله} من عَذَاب الله {وَلِيّاً} قَرِيبا يَنْفَعهُمْ {وَلَا نَصِيراً} مَانِعا يمنعهُم من عَذَاب الله.(1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {173} {فَأَمَّا الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِه} مِن تَضعيف مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر،

{وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا} عَنْ عِبَادَتِهِ {فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا} {النساء: 173}(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ثم فصل حكمه فيهم فقال: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أي: جمعوا بين الإيمان المأمور به، وعمل الصالحات من واجبات ومستحبات، من حقوق الله وحقوق عباده.

{فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ} أي: الأجور التي رتبها على الأعمال، كُلٌّ بحسب إيمانه وعمله.

{وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِه} من الثواب الذي لم تنله أعمالهم ولم تصل إليه أفعالهم، ولم يخطر على قلوبهم. ودخل في ذلك كل ما في الجنة من المآكل والمشارب، والمناكح، والمناظر والسرور، ونعيم القلب والروح، ونعيم البدن، بل يدخل في ذلك كل خير ديني ودنيوي رتب على الإيمان والعمل الصالح.

{وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا} أي: عن عبادة الله تعالى: {فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} وهو سخط الله وغضبه، والنار الموقدة التي تطلع على الأفئدة.

{وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا} أي: لا يجدون أحدا من الخلق يتولاهم فيحصل لهم المطلوب، ولا من ينصرهم فيدفع عنهم المرهوب، بل قد تخلى عنهم أرحم الراحمين، وتركهم في عذابهم

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (173). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (173).

خالدين، وما حكم به تعالى فلا رادّ لحكمه ولا مغيّر لقضائه. (1)

* * *

قال : الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَلِهَذَا قَالَ: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} يَعْنِي: فَيُعْطِيهِمْ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَيَزِيدُهُمْ عَلَى ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وسعَةِ رَحْمَتِهِ وَامْتِنَانِهِ.

{وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا} أَيِ: امْتَنَعُوا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَاسْتَكْبَرُوا عَنْ ذَلِكَ.

{فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا} ، كَمَا قَالَ تَعَالَى {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} {غافر: 60} أَيْ: صَاغِرِينَ حَقِيرِينَ ذَلِيلِينَ، كَمَا كَانُوا مُمْتَنِعِينَ مُسْتَكْبِرِينَ. (2)

* * *

[١٧٤] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الناس قد جاءكم من ربكم حجة جلية تقطع العذر وتزيل الشبهة -وهو محمد - صلى الله عليه وسلم -، وأنزلنا إليكم ضياءً واضحًا، وهو هذا القرآن. . (3)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، وهو رسولنا محمد، وما جاء به من البينات والحجج القاطعة، وأعظمها القرآن الكريم، مما يشهد بصدق نبوته ورسالته الخاتمة، وأنزلنا إليكم القرآن هدًى ونورًا مبينًا. (4)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الناس، قد جاءتكم الدلائل الواضحة على صدق الرسول- محمد، وأنزلنا إليكم على لسانه قرآناً بيناً كالنور، يضئ الطريق ويهديكم إلى النجاة. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يأيها النَّاس قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ} ... حُجَّة

{بُرْهَانٌ} ... دَلِيلٌ صَادِقٌ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم -.

(البرهان): الحجة، والمراد به هنا: محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

{مِنْ رَبِّكُمْ} ... عَلَيْكُمْ وَهُوَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا} ... بَيِّنًا وَهُوَ الْقُرْآن.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (34)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (173)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (105/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (105/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (142/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{نُوراً مُبِيناً} ... هو القرآن الكريم.

* * *

الدليل و البرهان والحجة لشرح هذه الآية :

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة): قوله: (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) أي: بينة من ربكم (وأنزلنا إليكم نورا مبينا) وهو هذا القرآن. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (محمد أمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- المراد بهذا النور المبين القرآن العظيم" لأنه يزيل ظلمات الجهل والشك كما يزيل النور الحسي ظلمة الليل، وقد أوضح تعالى ذلك بقوله: (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا) الآية.

وقوله: (واتبعوا النور الذي أنزل معه) و نحو ذلك من الآيات. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله):- {يَا أَيُّهَا النَّاس} يَا أهل مَكَّة {قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ} رَسُول من ربكُم مُحَمَّد – صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- {وأنزلنا إِلَيْكُم} إِلَى نَبِيكُم {كتاباً مُّبِيناً} الْحَلَال وَالْحَرَام. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {174} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ} يَعْنِي: مُحَمَّدًا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، يَعْنِي:- هُوَ الْقُرْآنُ، وَالْبُرْهَانُ: الْحُجَّةُ، {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً} {النساء: 174} بَيِّنًا يَعْنِي الْقُرْآنَ. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- يمتن تعالى على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم المحجة، فقال: {يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَّبِّكُمْ} أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده.

وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ}.

وفي قوله: {مِن رَّبِّكُمْ} ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته، حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يحمد عليها ويشكر، أن أوصل إليكم البينات، ليهديكم بها إلى الصراط المستقيم، والوصول إلى جنات النعيم.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (174).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (174).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (174). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما – .

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (174).

{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا} وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره. (1)

* * *

قال : الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174)}. يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِبًا جَمِيعَ النَّاسِ وَمُخْبِرًا بِأَنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مِنْهُ بُرْهَانٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ لِلْعُذْرِ، وَالْحُجَّةُ الْمُزِيلَةُ لِلشُّبْهَةِ"،

وَلِهَذَا قَالَ: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا} أَيْ: ضِيَاءً وَاضِحًا عَلَى الْحَقِّ،

قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ) وَغَيْرُهُ: وَهُوَ الْقُرْآنُ. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَا أَيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ ربكُم} قَالَ مُجَاهِد: يَعْنِي: حجَّة {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُم نورا مُبينًا} بَينا" يَعْنِي: الْقُرْآن. (3)

* * *

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ 176

وانظر: تفسير سورة- (البقرة) - آية (111). - كما قال تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتِم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) أي: حجتكم.

ثم قال: وروي عن (مجاهد)، و(السدي)، و(الربيع) نحو ذلك. (4)

* * *

وقال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة): {هاتوا برهانكم} هاتوا بينتكم. (5)

* * *

قوله تعالى: {إن كنتم صادقين}.

وقال: الإمام (ابن أبي حاتِم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الجيد) - عن (أبي العالية): {إن كنتم صادقين} بما تقولون أنه كما تقولون. (6)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (174)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (174)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (174) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (111).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (111).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (البقرة) الآية (111).

[١٧٥] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فأما الذين آمنوا بالله وتمسكوا بالقرآن الذي أنزل على نبيهم فسيرحمهم الله بدخول الجنة، ويزيدهم ثوابًا ورفع درجات، ويوفقهم لسلوك الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الطريق الموصل إلى جنات عدن.(1)

* * *

يَعْنِي:- فأمَّا الذين صدَّقوا بالله اعتقادًا وقولا وعملا واستمسكوا بالنور الذي أنزل إليهم، فسيدخلهم الجنة رحمة منه وفضلا ويوفقهم إلى سلوك الطريق المستقيم المفضي إلى روضات الجنات.(2)

* * *

يَعْنِي:- فأما الذين صدقوا بالله ورسالاته، وتمسكوا بدينه، فسيدخلهم في الآخرة جناته، ويغمرهم بفيض رحمته، ويشملهم بواسع فضله وسيوفقهم في الدنيا إلى الثبات على صراطه المستقيم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَاعْتَصَمُوا بِهِ} ... وتمسكوا بدينه.

{وَاعْتَصَمُوا} ... أي: تمسكوا بالقرآن وبما يحمله من الشرائع.

{فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ} ... فسيدخلهم في الآخرة جناته.

{فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ} ... الجنة.

{وَفَضْلٍ} ... ويغمرهم بفيض رحمته ويشملهم بواسع فضله.

{وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً} ... وسيوفقهم في الدنيا إلى الثبات على صراطه المستقيم.

{صِرَاطاً} ... طريقاً يفضي بهم إلى جوار ربهم في دار الكرامة.

{مُسْتَقِيمًا} هُوَ دِينَ الإسلام.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله):- {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ} وَبِمُحَمَّد وَالْقُرْآن {وَاعْتَصَمُوا بِهِ} تمسكوا بتوحيد الله {فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ} فِي جنَّة {وَفَضْلٍ} كَرَامَة مِنْهُ مقدم ومؤخر {وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً} يثبتهم على طَرِيق مُسْتَقِيم فِي الدُّنْيَا مقدم ومؤخر يَقُول يثبتهم فِي الدِّينَا على الْإِيمَان ويدخلهم فِي الْآخِرَة الْجنَّة.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {175} {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ} امْتَنَعُوا بِهِ مِنْ زَيْغِ

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (105/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير)،

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (105/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير)،

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (142/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)،

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (175). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما - .

الشَّيْطَان، {فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ} يَعْنِي الْجَنَّةَ،

{وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا - يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {النساء: 175 – 176}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ولكن انقسم الناس – بحسب الإيمان بالقرآن والانتفاع به – قسمين:

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ} أي: اعترفوا بوجوده واتصافه بكل وصف كامل، وتنزيهه من كل نقص وعيب. {وَاعْتَصَمُوا بِهِ} أي: لجأوا إلى الله واعتمدوا عليه وتبرؤوا من حولهم وقوتهم واستعانوا بربهم.

{فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ} أي: فسيتغمدهم بالرحمة الخاصة، فيوفقهم للخيرات ويجزل لهم المثوبات، ويدفع عنهم البليات والمكروهات.

{وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} أي: يوفقهم للعلم والعمل، معرفة الحق والعمل به.

أي: ومن لم يؤمن بالله ويعتصم به ويتمسك بكتابه، منعهم من رحمته، وحرمهم من فضله، وخلى بينهم وبين أنفسهم، فلم يهتدوا، بل ضلوا ضلالا مبينا، عقوبة لهم على تركهم الإيمان فحصلت لهم الخيبة والحرمان، نسأله تعالى العفو والعافية والمعافاة. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ} أَيْ: جَمَعُوا بَيْنَ مَقَامَيِ الْعِبَادَةِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ. وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ): آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِالْقُرْآنِ. رَوَاهُ الإمام (ابْنُ جَرِير).

{فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ} أَيْ: يَرْحَمُهُمْ فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ وَيَزِيدُهُمْ ثَوَابًا وَمُضَاعَفَةً وَرَفْعًا فِي دَرَجَاتِهِمْ، مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ،

{وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} أَيْ: طَرِيقًا وَاضِحًا قَصْدًا قَوَامًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ. وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِنْهَاجِ الِاسْتِقَامَةِ وَطَرِيقِ السَّلَامَةِ فِي جَمِيعِ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْعَمَلِيَّاتِ،

وَفِي الْآخِرَةِ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الْمُفْضِي إِلَى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ. (3)

* * *

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (النساء) الآية (175).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (175)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (175)، للإمَامْ (ابن كثير).

{ويهديهم إليه} (أي: في الدنيا) {صراطا مستقيما}(1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

• بيان أن المسيح بشر، وأن أمه كذلك، وأن الضالين من النصارى غلوا فيهما حتى أخرجوهما من حد البشرية.

• بيان بطلان شرك النصارى القائلين بالتثليث، وتنزيه الله تعالى عن أن يكون له شريك أو شبيه أو مقارب، وبيان انفراده -سبحانه- بالوحدانية في الذات والأسماء والصفات.

• إثبات أن عيسى -عليه السلام- والملائكة جميعهم عباد مخلوقون لا يستكبرون عن الاعتراف بعبوديتهم لله تعالى والانقياد لأوامره، فكيف يسوغ اتخاذهم آلهة مع كونهم عبيداً لله تعالى؟!

• في الدين حجج وبراهين عقلية تدفع الشبهات، ونور وهداية تدفع الحيرة والشهوات.(2)

* * *

[١٧٦] ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يسألونك أيها الرسول -ﷺ- أن تفتيهم بشأن ميراث الكلالة، وهو من يموت ولم يترك أباً ولا ولداً، قل: الله يبين الحكم بشأنها: إن مات شخص ليس له والد ولا ولد، وله أخت شقيقة أو أخت لأبيه فلها نصف ما ترك من المال فرضًا، وأخوه الشقيق أو لأب يرث ما ترك من مال تعصيبًا إن لم يكن معه صاحب فرض، فإن كان معه صاحب فرض ورث الباقي بعده، فإن تعددت الأخوات الشقيقات أو لأب -بأن كانتا اثنتين فأكثر- ورثتا أو ورثن الثلثين فرضًا، وإن كان الإخوة الأشقاء أو لأب فيهم الذكور والإناث ورثوا بالتعصيب تبعًا لقاعدة: (للذكر مثل حظ الأنثيين) بأن يُضعف نصيب الذكر منهم على نصيب الأنثى. يبين الله لكم حكم الكلالة وغيره من أحكام الميراث حتى لا تضلوا في أمرها، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.(3)

* * *

يَعْنِي:- يسألونك أيها الرسول -ﷺ- عن حكم ميراث الكلالة، وهو من مات وليس له ولدٌ ولا والد، قل: الله يُبيِّن لكم الحكم فيها: إن مات امرؤ ليس له ولد ولا والد،

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (175) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (105/1)، تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (106/1)، تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وله أخت لأبيه وأمه، أو لأبيه فقط، فلها نصف تركته، ويرث أخوها شقيقًا كان أو لأب جميع مالها إذا ماتت وليس لها ولد ولا والد. فإن كان لمن مات كلالةً أختان فلهما الثلثان مما ترك. وإذا اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث فللذكر مثل نصيب الأنثيين من أخواته. يُبيِّن الله لكم قسمة المواريث وحكم الكلالة، لئلا تضلوا عن الحقِّ في أمر المواريث. والله عالم بعواقب الأمور، وما فيها من الخير لعباده.(1)

* * *

يَعْنِي:- يسألونك أيها النبي- ﷺ- عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد، فحكم الله فيه هو: أنه إذا كان للمُتَوفَّى أخت، فلها نصف تركته، وأيضاً إذا كان للمتوفاة التى لا زوج لها ولا ولد أخ فله تركتها، وإن كان للمُوَرِّث أختان فلهما ثلثا تركته وإن كانوا إخوة من ذكور وإناث فنصيب الذكر مثل نصيب الأنثيين. يبين الله لكم هذا البيان حتى لا تضلوا فى تقسيم الأنصباء، والله عالم علماً كاملاً بكل شئ من أعمالكم، ومجازيكم عليها.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات :

{يَسْتَفْتُونَكَ} ... يطلبون فتياك في كذا.

أي: {يسألونك} ... أيها النبي – صلّى الله عليه وآله وسلم.

{يُفْتِيكُمْ} ... يبين لكم ما أشكل عليكم من أمر الملائكة.

{هَلَكَ} ... مَاتَ.

{لَيْسَ لَهُ وَلَد} ... أَيْ: وَلاَ وَالِد وَهُوَ الْكَلاَلَة.

{فِي الْكَلالَةِ}.... عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد.

{الْكَلالَةِ} ... أن يهلك الرجل ولا يترك ولداً ولا يترك ولد ولد، وإنما يترك أخاً أو أختاً.

الحظ: النصيب.

{وَلَهُ أُخْتٌ} ... أَيْ: أُخْتٌ شَقِيقَةٌ، أَوْ لِأَب.

{يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ} ... يبين الله لكم هذا البيان.

{وَلَهُ أُخت} ... مِنْ أَبَوَيْنِ أَوْ أَب.

{فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ} ... أَيْ: الْأَخ كَذَلِكَ.

{يَرِثُهَا} ... جَمِيع مَا تَرَكَتْ.

{إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَد} ... فَإِنْ كَانَ لَهَا وَلَد ذَكَر فَلَا شَيْء لَهُ أَوْ أُنْثَى فَلَهُ مَا فَضَلَ مِنْ نَصِيبهَا وَلَوْ كَانَتْ الْأُخْت أَوْ الْأَخ مِنْ أُمّ فَفَرْضه السُّدُس كَمَا تَقَدَّمَ أَوَّل السُّورَة.

{فَإِنْ كَانَتَا} .... أَيْ الْأُخْتَانِ.

{اثْنَتَيْنِ} ... أَيْ فَصَاعِدًا لِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي جابر وقد مات عن أخوات.

{فلها الثُّلُثان ممَّا ترك} ... الْأَخ .

{وَإِنْ كَانُوا} ... أَيْ: الْوَرَثَة.

{إخْوَة رِجَالًا وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ} ... مِنْهُمْ {مِثْل حَظّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّن اللَّه لَكُمْ} شَرَائِع دِينكُمْ لِـ {أَنْ} لَا {تَضِلُّوا وَاَللَّه بِكُلِّ شَيْء عَلِيم} ... وَمِنْهُ الْمِيرَاث رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ الْبَرَاء أَنَّهَا آخر آيَة نَزَلَتْ أَيْ مِنْ الْفَرَائِض.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (106/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (142/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{أَنْ تَضِلُّوا}.... حتى لا تضلوا في تقسيم الأنصباء.

{أَنْ تَضِلُّوا} ... كيلا تضلوا، أي: تخطئوا في قسمة التركة.

{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.... والله عالم بكل شيء من أعمالكم وأفعالكم، ومجازيكم عليها.

* * *

الدليل و البرهان والحُجة لشرح هذه الآية:

قوله تعالى: {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ...}.

قال: الإِمَامُ (البُخَارِي) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت (البراء) - رضي الله عنه - قال: آخر سورة نزلت براءة، وأخر آية نزلت (يستفتونك). (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عمرو بن محمد بن بكير الناقد. حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر. سمع (جابر بن عبد الله) قال: مرضت فأتاني رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأبو بكر. يعوداني، ماشيان فأُغمي علي. فتوضأ ثم صبّ علي من وضوئه. فأفقت فقلت: يا رسول الله! كيف أقضي في مالي؟ فلم يردّ علي شيئاً. حتى نزلت آية الميراث: (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة). (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- حدثنا محمد بن أبي بكر المقدّمي ومحمد بن المثنى (واللفظ لابن المثنى) قالا: حدثنا يحيى بن سعيد. حدثنا هشام. حدثنا قتادة عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة" أن (عمر بن الخطاب) خطب يوم جمعة. فذكر نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وذكر أبا بكر ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئاً أهمّ عندي من الكلالة. ما راجعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في شيء ما راجعته في الكلالة. وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه حتى طعن بإصبعه في صدري. وقال: "ياعمر! ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟. وإني إن أعش أقض فيها بقضية، يقضي بها من يقرأ القرآن قوله تعالى: {فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة} ومن لا يقرأ القرآن. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - والإِمَامُ (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس) قال: الكلالة من لم يترك ولدا ولا والدا. (4)(5)

* * *

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (117/8)، (ح 4605) - (كتاب: تفسير القرآن)، - (سورة النساء)، / باب: (الآية).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1234/3)، (ح 1616) - (كتاب: الفرائض)، / باب: (ميراث الكلالة).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1236/3)، (ح 1617) - (كتاب: الفرائض)، / باب: (ميراث الكلالة).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (النساء) الآية (176).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (176).

قال: الإمَامْ (محمد أمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- قوله تعالى: {فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم}.

صرح في هذه الآية الكريمة بأن الأختين ترثان الثلثين، والمراد بهما الأختان لغير أم، بأن تكونا شقيقتين أو لأب بإجماع العلماء، ولم يبين هنا ميراث الثلاث من الأخوات فصاعداً، ولكنه أشار في موضع آخر أن الأخوات لا يزدن على الثلثين، ولو بلغ عددهن ما بلغ وهو قوله تعالى في البنات {فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك}. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس): قوله: (فللذكر مثل حظ الأنثيين) صغيرا أو كبيرا. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي) قوله: (حظ) يقول: نصيب. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله):-

{يَسْتَفْتُونَكَ} يَسْأَلُونك يَا مُحَمَّد نزلت هَذه الْآيَة فِي (جَابر بن عبد الله الْأنْصَارِيّ) سَأَلَ النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- أَن لي أُخْتا مَالِي مِنْهَا إِن مَاتَت فَقَالَ الله يَسْأَلُونَك يَا مُحَمَّد عَن مِيرَاث الْكَلَالَة {قُل الله يُفْتِيكُمْ} يبين لكم {فِي الْكَلَالَة} فِي مِيرَاث الْكَلَالَة والكلالة مَا خلا الْوَالِد وَالْولد ثمَّ بَين فَقَالَ {إِن امْرُؤ هَلَكَ} مَاتَ (لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ) وَلَا وَالِد {وَلَهُ أُخْتٌ} من أَبِيه وَأمه أَو من أَبِيه {فَلَهَا نصْفُ مَا تَرَكَ} الْمَيِّت من المَال {وَهُوَ يَرِثُهَا} إِن مَاتَت {إِن لَّمْ يَكُنْ لَّهَا وَلَدٌ} ذكر أَو أُنْثَى {فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ} أُخْتَيْنِ من أَب وَأم أَو أَب {فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ} مَا ترك الْمَيِّت من المَال {وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنسَاءً} ذكرا أَو أُنْثَى من أَب وَأم أَو من أَب {فَلِلذَّكَرِ مثلُ حَظِّ} نصيب {الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ} قسْمَة الْمَوَارِيث {أَن تَضِلُّوا} لكَي لَا تخطئوا فِي قسْمَة الْمَوَارِيث {وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ} من قسْمَة الْمَوَارِيث وَغَيرهَا {عليم}. (4)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {176} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} نَزَلَتْ فِي (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أعقل، وتوضأ

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (النساء) الآية (176).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (176).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (النساء) الآية (176).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (النساء) الآية (176). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِه، فعقلتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنِ الْمِيرَاثُ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ؟ فَنَزَلَتْ {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الْكَلَالَةِ وَحُكْمَ الْآيَةِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ حُكْمِ مِيرَاثِ الإخوة للأب والأم وللأب،

قوله {يَسْتَفْتُونَكَ} أَيْ: يَسْتَخْبِرُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ {قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا} يَعْنِي إِذَا مَاتَتِ الْأُخْتُ فَجَمِيعُ مِيرَاثِهَا لِلْأَخِ،

{إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ} فَإِنْ كَانَ لَهَا ابْنٌ فَلَا شَيْءَ لِلْأَخِ، وَإِنْ كَانَ وَلَدُهَا أُنْثَى فَلِلْأَخِ مَا فَضَلَ عَنْ فَرْضِ الْبَنَاتِ،

{فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ} أَرَادَ اثْنَتَيْنِ فَصَاعِدًا وَهُوَ أَنَّ مَنْ مَاتَ وَلَهُ أَخَوَاتٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثَانِ،

{وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا} قَالَ: (الْفَرَّاءُ): رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ(أَبُو عُبَيْدَةَ): مَعْنَاهُ أَنْ لَا تَضِلُّوا، يَعْنِي:- مَعْنَاهُ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ كَرَاهَةَ أَنْ تَضِلُّوا، {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {النساء: 176}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{176} {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} .

أخبر تعالى أن الناس استفتوا رسوله صلى الله عليه وسلم أي: في الكلالة بدليل قوله: {قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} وهي الميت يموت وليس له ولد صلب ولا ولد ابن، ولا أب، ولا جد، ولهذا قال: {إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ} أي: لا ذكر ولا أنثى، لا ولد صلب ولا ولد ابن.

وكذلك ليس له والد، بدليل أنه ورث فيه الإخوة، والأخوات بالإجماع لا يرثون مع الوالد، فإذا هلك وليس له ولد ولا والد {وَلَهُ أُخْتٌ} أي: شقيقة أو لأب، لا لأم، فإنه قد تقدم حكمها.

{فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ} أي نصف متروكات أخيها، من نقود وعقار وأثاث وغير ذلك، وذلك من بعد الدين والوصية كما تقدم.

{وَهُوَ} أي: أخوها الشقيق أو الذي للأب {يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ} ولم يقدر له إرثا لأنه عاصب فيأخذ مالها كله، إن لم يكن صاحب فرض ولا عاصب يشاركه، أو ما أبقت الفروض.

{فَإِنْ كَانَتَا} أي: الأختان {اثْنَتَيْنِ} أي: فما فوق {فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً} أي: اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث {فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} فيسقط فرض الإناث ويعصبهن إخوتهن.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (النساء) الآية (176).

{يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا} أي: يبين لكم أحكامه التي تحتاجونها، ويوضحها ويشرحها لكم فضلا منه وإحسانا لكي تهتدوا ببيانه، وتعملوا بأحكامه، ولئلا تضلوا عن الصراط المستقيم بسبب جهلكم وعدم علمكم.

{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} أي: عالم بالغيب والشهادة والأمور الماضية والمستقبلة، ويعلم حاجتكم إلى بيانه وتعليمه، فيعلمكم من علمه الذي ينفعكم على الدوام في جميع الأزمنة والأمكنة.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} قَالَ (قَتَادَة): الْكَلَالَة الَّذِي لاَ ولد لَهُ وَلاَ وَالِد وَلاَ جد.

قَوْله: {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تضلوا} لِئَلاَ تضلوا {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم}.

قَالَ: (مُحَمَّد): ذكر يحيى فِي هَذِه السُّورَة مسَائِل من الْفَرَائِض" فاختصرت كثيرا مِنْهَا إِذْ للفرائض بأسرها مواضعها من كتب الْفِقْه.(2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (176)}.

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ): حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ قَالَ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ: "بَرَاءَةٌ"، وَآخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: {يَسْتَفْتُونَكَ}.(3)(4)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: سَمِعْتُ (جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ) قَالَ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ، قَالَ: فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَبَّ عَلَيَّ -أَوْ قَالَ صُبُّوا عَلَيْهِ -فَعَقَلْتُ فَقُلْتُ: إِنَّهُ لَا يَرِثُنِي إِلَّا كَلَالَةٌ، فَكَيْفَ الْمِيرَاثُ؟ قَالَ: فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ.(5)(6)

* * *

أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ (شُعْبَةَ).(7)(8)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (النساء) الآية (176)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (النساء) الآية (176) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2605) أو (4606) - ((كتاب: تفسير القرآن)).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، للإمَامْ (ابن كثير).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (298/3).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، للإمَامْ (ابن كثير).

(7) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (194) - ((كتاب: الوضوء)).
وأخرجه الإمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1616) - ((كتاب: الفرائض)).

(8) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6743).

وَرَوَاهُ الْجَمَاعَةُ -مِنْ طَرِيقِ - (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ (جَابِرٍ)، بِهِ (1) .

وَفِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ: فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} الْآيَةَ.

* * *

وَقَالَ:الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، وَقَالَ: ابْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: -يَعْنِي - جَابِرًا - : نَزَلَتْ فِيَّ: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} .

وَكَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَامِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- {يَسْتَفْتُونَكَ} : عَنِ الْكَلَالَةِ قُلْ: اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهَا، فَدَلَّ الْمَذْكُورُ عَلَى الْمَتْرُوكِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الْكَلَالَةِ وَاشْتِقَاقِهَا، وَأَنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْإِكْلِيلِ الَّذِي يُحِيطُ بِالرَّأْسِ مِنْ جَوَانِبِهِ" وَلِهَذَا فَسَّرَهَا أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ: بِمَنْ يَمُوتُ وَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: الْكَلَالَةُ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ} أَيْ مَاتَ {لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ} .

وَقَدْ أُشْكِلَ حُكْمُ الْكَلَالَةِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: ثَلَاثٌ وَدِدْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - كَانَ عَهِدَ إِلَيْنَا فِيهِنَّ عَهْدًا نَنْتَهِي إِلَيْهِ: الْجَدُّ، وَالْكَلَالَةُ، وَأَبْوَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا. (2) (3)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: قَالَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ): مَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ شَيْءٍ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ عَنِ الْكَلَالَةِ، حَتَّى طَعَنَ بِأُصْبُعِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: " يَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ" (4).

هَكَذَا رَوَاهُ مُخْتَصَرًا وَقَدْ أَخْرَجَهُ الإمام (مُسْلِمٌ) (5) مُطَوَّلًا أَكْثَرَ مِنْ هذا .

* * *

طَرِيقٌ أُخْرَى:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا مالك -يعني ابن مغل-سَمِعْتُ الْفَضْلَ بْنَ عَمْرٍو، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ (عُمَرَ) قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْكَلَالَةِ، فَقَالَ: " يَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ ". فَقَالَ: لَأَنْ أَكُونَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(1) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6723) .
وأخرجه الإمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1616) .
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2886).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2097) .
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11134) .
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1436) .

(2) (متفق عليه) :أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5588) – ((كتاب : الأشربة).
وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (3032) - ((كتاب : التفسير).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، للإِمَامْ (ابن كثير).
(4) (صَحِيح) :أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (26/1) .
(5) (صَحِيح) :. أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1617) – ((كتاب : الفرائض) .

وَسَلَّمَ - عَنْهَا أحبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يكونَ لِي حُمْرِ النَّعَم.

وَهذَا (إِسْنَادٌ جَيِّدٌ) إلا أَنَّ فيهِ انْقطَاعًا بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ عُمَر، فَإِنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ (1).

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ (الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَأَلَهُ عَنِ الْكَلَالَةِ، فَقَالَ: ((يَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ)) . وَهَذَا (إِسْنَادٌ جَيِّدٌ)،

رَوَاهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ)، وَ(التِّرمِذِيُّ) - مِنْ حَدِيث - (أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ)، بِهِ (2).

وَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِآيَةِ الصَّيْفِ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي فَصْلِ الصَّيْفِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (3).

وَلَمَّا أَرْشَدَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَفَهُّمِهَا - فَإِنَّ فِيهَا كِفَايَةً - نَسِيَ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ مَعْنَاهَا" وَلِهَذَا قَالَ: فَلَأَنْ أَكُونَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي حُمْرُ النَّعَمِ.

* * *

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرة، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ) قَالَ:

سَأَلَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ): النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الْكَلَالَةِ، فَقَالَ: ((أَلَيْسَ قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ ذَلِكَ؟)) فَنَزَلَتْ: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلالَةِ} (4) الْآيَةَ.

وَقَالَ (قَتَادَةُ): ذُكِرَ لَنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ - (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: أَلَا إِنَّ الْآيَةَ الَّتِي أُنْزِلَتْ فِي أَوَّلِ "سُورَةِ النِّسَاءِ" فِي شَأْنِ الْفَرَائِضِ، أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ. وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ أَنْزَلَهَا فِي الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ وَالْإِخْوَةِ مِنَ الْأُمِّ. وَالْآيَةُ الَّتِي خَتَمَ بِهَا "سُورَةَ النِّسَاءِ" أَنْزَلَهَا فِي الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ مِنَ الْأَبِ وَالْأُمِّ، وَالْآيَةُ الَّتِي خَتَمَ بِهَا "سُورَةَ الْأَنْفَالِ" أَنْزَلَهَا فِي أُولِي الْأَرْحَامِ، بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مِمَّا جَرَّتِ الرَّحِمُ مِنَ الْعَصَبَةِ. رَوَاهُ (ابْنُ جَرِيرٍ) (5).

* * *

ذِكْرُ الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَاهَا وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ: (6)

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ} أَيْ: مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} {الْقَصَص: 88} كُلُّ شَيْءٍ يَفْنَى وَلَا يَبْقَى إِلَّا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ} {الرحمن: 26، 27}.

---

(1) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (38/1) .

(2) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (293/4).
وأخرجه الإمَامْ (أبي داود) في (السنن) برقم (2889)
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3042) .

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

(4) أخرجه الإمَامْ (الطبري) في (تفسيره) برقم (431/9).

(5) أخرجه الإمَامْ (الطبري) في (تفسيره) برقم (431/9).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

وَقَوْلُهُ: {لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ} تَمَسَّكَ بِهِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْكَلَالَةِ انْتِفَاءُ الْوَالِدِ، بَلْ يَكْفِي فِي وُجُودِ الْكَلَالَةِ انْتِفَاءُ الْوَلَدِ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ)، رَوَاهَا (ابْنُ جَرِيرٍ) عَنْهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَيْهِ. وَلَكِنَّ الَّذِي رَجَعَ إِلَيْهِ هُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَقَضَاءُ الصِّدِّيقِ: أَنَّهُ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ} وَلَوْ كَانَ مَعَهَا أَبٌ لَمْ تَرِثْ شَيْئًا" لِأَنَّهُ يَحْجُبُهَا بِالْإِجْمَاعِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَلَا وَالِدَ بِالنَّصِّ عِنْدَ التَّأَمُّلِ أَيْضًا" لِأَنَّ الْأُخْتَ لَا يُفْرَضُ لَهَا النِّصْفُ مَعَ الْوَالِدِ، بَلْ لَيْسَ لَهَا مِيرَاثٌ بِالْكُلِّيَّةِ. (1)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مَكْحُولٍ وَعَطِيَّةَ وَحَمْزَةَ وَرَاشِدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ زَوْجٍ وَأُخْتٍ لِأَبٍ وَأُمٍّ، فَأَعْطَى الزَوجَ النصفَ وَالْأُخْتَ النصفَ. فَكُلِّمَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: حضرتُ رسولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَضَى بِذَلِكَ.

تَفَرَّدَ بِهِ الإمام (أَحْمَدُ) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، (2)

وَقَدْ نَقَلَ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ) (3) وَغَيْرُهُ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(ابْنِ الزُّبَيْرِ) أَنَّهُمَا كَانَا يَقُولَانِ فِي الْمَيِّتِ تَرَكَ بِنْتًا وَأُخْتًا: إِنَّهُ لَا شَيْءَ لِلْأُخْتِ لِقَوْلِهِ: {إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ} قَالَ: فَإِذَا تَرَكَ بِنْتًا فَقَدْ تَرَكَ وَلَدًا ، فَلَا شَيْءَ لِلْأُخْتِ، وَخَالَفَهُمَا الْجُمْهُورُ، فَقَالُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ بِالْفَرْضِ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ الْآخَرُ بِالتَّعْصِيبِ، بِدَلِيلٍ غَيْرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَهَذِهِ نَصب أَنْ يُفْرَضَ لَهَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ، وَأَمَّا وِرَاثَتُهَا بِالتَّعْصِيبِ"

* * *

فَلِمَا رَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ) - مِنْ طَرِيقِ - سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: قَضَى فِينَا (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: النِّصْفُ لِلابْنَةِ، وَالنِّصْفُ لِلْأُخْتِ. ثُمَّ قَالَ سُلَيْمَانُ: قَضَى فِينَا وَلَمْ يَذْكُرْ: عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- . (4)

* * *

وَفِي صَحِيحِ (الْبُخَارِيِّ) أَيْضًا عَنْ هُزَيْلِ بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ: سُئِلَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ عَنِ ابْنَةٍ وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأْتِ (ابْنَ مَسْعُودٍ) فَسَيُتَابِعُنِي. فَسُئِلَ (ابْنُ مَسْعُودٍ) -وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى-فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ الابْنِ السُّدُسُ، تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ، فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، للإمام (ابن كثير).
(2) أخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (188/5).
(3) أخرجه الإمامُ (الطبري) في (تفسيره) برقم (443/9).
(4) (صَحِيح) :أخرجه الإمامُ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (6734).

بِقَوْلِ (ابْنِ مَسْعُود)، فَقَالَ: لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ.(1)

وَقَوْلُهُ: {وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ} أَيْ: وَالْأَخُ يَرِثُ جَمِيعَ مَا لَهَا إِذَا مَاتَتْ كَلَالَةً، وَلَيْسَ لَهَا وَلَدٌ، أَيْ: وَلاَ وَالِدٌ" لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهَا وَالِدٌ لَمْ يَرِثِ الْأَخُ شَيْئًا، فَإِنْ فُرِضَ أَنَّ مَعَهُ مَنْ لَهُ فَرْضٌ، صُرِفَ إِلَيْهِ فَرْضُهُ" كَزَوْجٍ، أَوْ أَخٍ مِنْ أُمٍّ، وَصُرِفَ الْبَاقِي إِلَى الْأَخِ"

لِمَا ثَبَتَ فِي (الصَّحِيحَيْنِ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاس): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا أَبْقَتِ الْفَرَائِضُ فَلأَوْلَى رجلٍ ذَكَرٍ))(2) .

وَقَوْلُهُ: {فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ} أَيْ: فَإِنْ كَانَ لِمَنْ يَمُوتُ كَلَالَةً، أُخْتَانِ، فُرِضَ لَهُمَا الثُّلُثَانِ، وَكَذَا مَا زَادَ عَلَى الْأُخْتَيْنِ فِي حُكْمِهِمَا، وَمِنْ هَاهُنَا أَخَذَ الْجَمَاعَةُ حُكْمَ الْبِنْتَيْنِ كَمَا اسْتُفِيدَ حُكْمُ الْأَخَوَاتِ مِنَ الْبَنَاتِ،

فِي قَوْلِهِ: {فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ} .

وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} . هَذَا حُكْمُ الْعَصَبَاتِ مِنَ الْبَنِينَ وَبَنِي الْبَنِينَ وَالْإِخْوَةِ إِذَا اجْتَمَعَ ذُكُورُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ، أُعْطِيَ الذَّكَرُ مِثْلَ حظ الأنثيين.

وَقَوْلُهُ: {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ} أَيْ: يَفْرِضُ لَكُمْ فَرَائِضَهُ، وَيَحُدُّ لَكُمْ حُدُودَهُ، وَيُوَضِّحُ لَكُمْ شَرَائِعَهُ.

وَقَوْلُهُ: {أَنْ تَضِلُّوا} أَيْ: لِئَلاَّ تَضِلُّوا عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ الْبَيَانِ. {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} أَيْ: هُوَ عَالِمٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَمَصَالِحِهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ لِعِبَادِهِ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرَابَاتِ بِحَسَبِ قُرْبِهِ مِنَ الْمُتَوَفَّى.(3)

* * *

وَقَدْ قَالَ: (أَبُو جعفر ابْنُ جَرِير): حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنِي ابْنُ عُلَيَّةَ، أَنْبَأَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ) قَالَ: كَانُوا فِي مَسِيرٍ، وَرَأْسُ رَاحِلَةِ حُذَيْفَةَ عِنْدَ رِدْفِ رَاحِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَرَأْسُ رَاحِلَةِ عُمَرَ عِنْدَ رِدْفِ رَاحِلَةِ حُذَيْفَةَ. قَالَ: وَنَزَلَتْ: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} فَلَقَّاهَا رسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -حُذَيْفَةَ، فَلَقَّاهَا حُذَيْفَةُ عُمَرَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ سَأَلَ عُمَرُ عَنْهَا حُذَيْفَةَ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَحْمَقُ إِنْ كُنْتَ ظَنَنْتَ أَنَّهُ لَقَّانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَقَّيْتُكَهَا كَمَا لَقَّانِيهَا ، وَاللَّهِ لاَ أَزِيدُكَ عَلَيْهَا شَيْئًا أَبَدًا. قَالَ: فَكَانَ (عُمَرُ) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ بَيَّنْتَهَا لَهُ فَإِنَّهَا لَمْ تُبَيَّنْ لِي.

كَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ (ابْنُ جَرِير). وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ (عَبْدِ الرَّزَّاقِ)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ كَذَلِكَ

---

(1) (صَحِيحٌ) :أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6736) – ((كتاب : الفرائض)).

(2) (صَحِيحٌ) :أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6735)، – وأخرجه الإِمَامُ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (1615) .

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، للإِمَامُ (ابن كثير).

بِنَحْوِهِ. وَهُوَ مُنْقَطِعٌ بَيْنَ (ابْنِ سِيرِينَ)، وَ(حُذَيْفَةَ).[1]

* * *

وَقَدْ قَالَ: الْحَافِظُ (أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَزَّارُ) فِي (مسنده): حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَعْنِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي (عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ)، عَنْ أَبِيهِ: "نَزَلَتِ الْكَلَالَةُ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ فِي مَسِيرٍ لَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِذَا هُوَ بِحُذَيْفَةَ، وَإِذَا رَأْسُ نَاقَةِ حُذَيْفَةَ عِنْدَ مُؤْتَزَرِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَقَّاهَا إِيَّاهُ، فَنَظَرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا (عُمَرُ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَقَّاهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا كَانَ فِي خِلَافَةِ (عُمَرَ) نَظَرَ (عُمَرُ) فِي الْكَلَالَةِ، فَدَعَا حُذَيْفَةَ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: لَقَدْ لَقَّانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَقَّيْتُكَ كَمَا لَقَّانِي، وَاللَّهِ إِنِّي لَصَادِقٌ، وَوَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا أَبَدًا.

ثُمَّ قَالَ: (الْبَزَّارُ): وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا رَوَاهُ إِلَّا حُذَيْفَةَ، وَلَا نَعْلَمُ لَهُ طَرِيقًا عَنْ حُذَيْفَةَ إِلَّا هَذَا الطَّرِيقَ، وَلَا رَوَاهُ عَنْ هِشَامٍ إِلَّا عَبْدُ الْأَعْلَى.

وَكَذَا رَوَاهُ (ابْنُ مَرْدُوَيْهِ) -مِنْ حَدِيثِ- (عَبْدِ الْأَعْلَى).[2] [3]

* * *

وَقَالَ: (عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ): حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ (سَعِيدٍ - هُوَ - ابْنُ الْمُسَيَّبِ) -أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَيْفَ يُوَرَّثُ الْكَلَالَةُ؟ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} الْآيَةَ، قَالَ: فَكَأَنَّ عُمَرَ لَمْ يَفْهَمْ. فَقَالَ لِحَفْصَةَ: إِذَا رَأَيْتِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طِيبَ نَفْسٍ فَسَلِيهِ عَنْهَا، فَرَأَتْ مِنْهُ طِيبَ نَفْسٍ فَسَأَلَتْهُ عَنْهَا، فَقَالَ: "أَبُوكِ ذَكَرَ لَكِ هَذَا؟ مَا أَرَى أَبَاكِ يَعْلَمُهَا".

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا عَثَّامٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ (طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ) قَالَ: ((أَخَذَ عُمَرُ كَتِفًا وَجَمَعَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثُمَّ قَالَ: لَأَقْضِيَنَّ فِي الْكَلَالَةِ قَضَاءً تُحَدِّثُ بِهِ النِّسَاءُ فِي خُدُورِهِنَّ. فَخَرَجَتْ حِينَئِذٍ حَيَّةٌ مِنَ الْبَيْتِ، فَتَفَرَّقُوا، فَقَالَ: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يُتِمَّ هَذَا الْأَمْرَ لَأَتَمَّهُ)).[4] وَهَذَا (إِسْنَادٌ صَحِيحٌ).

* * *

وَقَالَ: (الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيُّ): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ الشَّيْبَانِيُّ بِالْكُوفَةِ، حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، سَمِعْتُ محمد بن طلحة بن يزيد بن

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (الطبري) في (تفسيره) برقم (435/9).

(2) انظر: (مسند) للإمام (البزار) برقم (2206) "كشف الأستار" وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (13/7): "رجاله رجال الصحيح -غير (أبي عبيدة بن حذيفة)، و(وثقه ابن حبان)".

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، للإمام (ابن كثير).

(4) أخرجه الإِمَامُ (الطبري) في (تفسيره) برقم (439/9).

رُكَانَةَ يُحَدِّثُ عَنْ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) قَالَ: لَأَنْ أَكُونَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ ثَلَاثٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ: مَنِ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ؟ وَعَنْ قَوْمٍ قَالُوا: نُقِرُّ فِي الزَّكَاةِ مِنْ أَمْوَالِنَا وَلَا نُؤَدِّيهَا إِلَيْكَ، أَيَحِلُّ قِتَالُهُمْ؟ وَعَنِ الْكَلَالَةِ.

ثُمَّ قَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ [1][2].

ثُمَّ رُوِيَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ)، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ (عُمَرَ) قَالَ: ثَلَاثٌ لَأَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيَّنَهُنَّ لَنَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا: الْخِلَافَةُ، وَالْكَلَالَةُ، وَالرِّبَا.

ثُمَّ قَالَ: (صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ) [3].

* * *

وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ) قَالَ: سمعتُ سُلَيْمَانَ الأحولَ يُحَدِّثُ، عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: سَمِعْتُ (ابْنَ عَبَّاسٍ) قَالَ: كُنْتُ آخِرَ النَّاسِ عَهْدًا بِعُمَرَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: القولُ مَا قُلْتُ: قُلْتُ: وَمَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: الْكَلَالَةُ، مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ.

ثُمَّ قَالَ: (صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا وَلَمْ يُخْرِجَاهُ) [4].

* * *

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ): حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الْمَعْمَرِي ، عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِي، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ): أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ فِي الْجَدِّ وَالْكَلَالَةِ كِتَابًا، فَمَكَثَ يَسْتَخِيرُ اللَّهَ فِيهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ عَلِمْتَ فِيهِ خَيْرًا فَأَمْضِهِ، حَتَّى إِذَا طُعِنَ دَعَا بِكِتَابٍ فَمُحِيَ، وَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَا كَتَبَ فِيهِ. فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ كَتَبْتُ فِي الْجَدِّ وَالْكَلَالَةِ كِتَابًا، وَكُنْتُ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِيهِ، فَرَأَيْتُ أَنْ أَتْرُكَكُمْ عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ [5].

* * *

قَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ): وَقَدْ رُوِيَ عَنْ (عُمَرَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّهُ قَالَ: إِنِّي لَأَسْتَحِي أَنْ أُخَالِفَ فِيهِ أَبَا بَكْرٍ. وَكَانَ (أَبُو بَكْرٍ)، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، يَقُولُ: هُوَ مَا عَدَا الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ [6].

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الصِّدِّيقُ عَلَيْهِ جُمْهُورُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَئِمَّةِ، فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ، وَالْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ. وَقَوْلُ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ قَاطِبَةً، وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، كَمَا أَرْشَدَ اللَّهُ أَنَّهُ قَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ وَوَضَّحَهُ فِي قَوْلِهِ: {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [7].

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (303/2) وتعقبه الإمام (الذهبي) بقوله: "بل ما خرجا لمحمد شيئا ولا أدرك عمر"، فالسند فيه انقطاع.

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (304/2) ووافقه الإمام (الذهبي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(5) أخرجه الإِمَامْ (الطبري) في (تفسيره) برقم (438/9) .

(6) رواه (سعيد بن منصور) في (السنن) برقم (591)، - ومن طريقه- الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (224/6) - من طريق- (سفيان عن عاصم عن الشعبي) قال: قال عمر فذكره. وهو منقطع.

(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (النساء) الآية (176)، لِلإِمَامْ (ابن كثير). .

* * *

وقال: الإمَامْ (البُخَاري) و (مُسلِم) - في (صحيحهما)، - والإمَامْ (الترمذي)، وأبو داود في (سُننهما)، - والإمَامْ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم) :- , وعَنْ (جَابِر بْن عَبْدِ الله) - رضي الله عنهما - قَالَ: ("جَاءَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يَعُودُني وَأَنَا مَرِيضٌ) (□) - (لَيْسَ بِرَاكِبِ بَغْلٍ وَلاَ بِرْذَوْنٍ -) (□) (فَوَجَدَنِي أُغْمِيَ عَلَيَّ) (□) (فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ , ثُمَّ) (□) (صَبَّ عَلَيَّ وَضُوءَهُ " , فَأَفَقْتُ , فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي, كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟) (□) (إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلاَلَةٌ) (□) (- وَكَانَ لِي تِسْعُ أَخَوَاتٍ -) (□) ("فَلَمْ يُجِبْنِي بِشَيْءٍ") (□) (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله , أَلاَ أُوصِي لِأَخَوَاتِي بِالثُّلُثِ؟ , قَالَ: " أَحْسِنْ " , قُلْتُ: الشَّطْرُ؟ , قَالَ: " أَحْسِنْ ", ثُمَّ خَرَجَ وَتَرَكَنِي) (□)

(ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا جَابِرُ , إِنِّي لاَ أَرَاكَ مَيِّتًا مِنْ وَجَعِكَ هَذَا , وَإِنَّ اللهَ - عز وجل - قَدْ أَنْزَلَ, فَبَيَّنَ الَّذِي لِأَخَوَاتِكَ, فَجَعَلَ لَهُنَّ الثُّلُثَيْنِ "

قَالَ: (جَابِرٌ): فَنَزَلَتْ: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ , إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ , وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ , فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ , وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ , يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}) (□□)(□□) .

* * *

وقال: الإمَامْ (الدارمي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- , وعَنْ (عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: مَا أَعْضَلَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - شَيْءٌ مَا أَعْضَلَتْ بِهِمِ الْكَلاَلَةُ. (12)

* * *

وقال: الإمَامْ (مُسلِم) - في (صحيحه)، - والإمَامْ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهما الله) -

---

(1) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (191).
(2) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (5340).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3851)
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (3096).
(3) أخرجه الإمَامْ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (7) - (1616)
(4) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4301).
وأخرجه الإمَامْ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (5) - (1616).
(5) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6344).
و أخرجه الإمَامْ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (5) - (1616).
(6) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (خ) (191).
(7) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2097).
(8) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6344).
(9) (د) (2887) , (حم) (15040).
(10) {النساء/176}.
(11) (صَحِيح) : أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (15040) ,
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2887) ,
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (191) ,
وأخرجه الإمَامْ (مُسلِم) في (صحيحه) برقم (5) - (1616) ,
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2096).
(12) أخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (31602) ,
وأخرجه الإمَامْ (الدارمي) في (السنن) برقم (3016).

(بســندهما) -:- , وَقَــالَ: (عُمَــرُ بْــنُ الْخَطَّــاب) - رضــي الله عنــه - فــي خُطْبَتِــه الأَخِــيرَة: (ثُــمَّ إِنِّــي لا أَدَعُ بَعْــدِي شَــيْئًا أَهَــمَّ عِنْــدِي مِــنَ الْكَلالَــة , مَــا رَاجَعْــتُ رَسُــولَ اللَّه - صــلى الله عليــه وسلم - فــي شَــيْءٍ مَــا رَاجَعْتُــهُ فــي الْكَلالَــة , " وَمَــا أَغْلَــظَ لــي فــي شَــيْءٍ مَــا أَغْلَــظَ لــي فيــه , حَتَّــى طَعَــنَ بِإِصْبَعِه فــي صَــدْرِي , فَقَــالَ: يَــا عُمَــرُ, أَلا تَكْفِيــكَ آيَــةُ الصَّــيْف الَّتــي فــي آخِــر سُــورَة النِّسَــــاء (1) ؟ , وَإِنِّــــي إِنْ أَعِــــشْ) (2) (فَسَأَقْضِــي فِيهَــا بِقَضَــاءٍ يَعْلَمُــهُ مَــنْ يَقْــرَأُ) (3) (الْقُــرْآنَ وَمَــنْ لا يَقْــرَأُ الْقُــرْآنَ ") (4) وَ (3) و (لأَنْ أَكُــونَ سَــأَلْتُ رَسُــولَ اللَّه - صــلى الله عليــه وسلم - عَنْهَــا أَحَــبُّ إِلَــيَّ مِــنْ أَنْ يَكُــونَ لِــي حُمْــرُ النَّعَم) (5) .

* * *

وقــال: الإِمَــامْ (مُســلم) – في (صــحيحه)، - والإمــام (أَحْمَــدُ بْــنُ حَنْبَــل) - في (مُسْــنده) – (رحمهمــا اللّه) - (بســندهما) -:- , وَفِــي قِصَّــةِ مَقْتَلِــهِ - رضــي الله عنــه -: (قَــالَ: (عَمْــرُو بْــنُ مَيْمُــون): وَجَــاءَتْ (أُمُّ الْمُــؤْمِنِينَ حَفْصَــةُ) , وَالنِّسَــاءُ تَسِــيرُ مَعَهَــا , فَلَمَّــا رَأَيْنَاهَــا قُمْنَــا , فَوَلَجَــتْ عَلَيْــه , فَبَكَــتْ عِنْــدَهُ سَــاعَةً, وَاسْــتَأْذَنَ الرِّجَــالُ , فَوَلَجَــتْ دَاخِلًــا لَهُــمْ , فَسَــمِعْنَا بُكَاءَهَــا مِــنَ الــدَّاخِلِ) (6) (فَكَــانَ أَوَّلَ مَــنْ دَخَــلَ عَلَيْــهِ: أَصْــحَابُ النَّبِــيِّ) (6) النَّبِــيِّ - صــلى الله عليــه وسلم -) (7) (فَــوَلَجَ) (فَــوَلَجَ عَلَيْــهِ (ابْــنُ عَبَّــاس) - رضــي الله عنــه - فَقَــالَ لَــهُ عُمَــرُ: احْفَــظْ عَنِّــي ثَلاثًــا , فَــإِنِّي أَخَــافُ أَنْ لا يُــدْرِكَنِي النَّــاسُ , أَمَّــا أَنَــا , فَلَــمْ أَقْــضِ فِــي الْكَلالَــة قَضَــاءً , وَلَــمْ أَسْــتَخْلِفْ عَلَــى النَّاسِ خَلِيفَةً , وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لِي عَتِيقٌ). (8) (8)

* * *

وقــال: الإِمَــامْ (الــدارمي) – (رحمــه اللّه) - في (سُــنَنِه) - (بسنده):- وَعَــنْ (سُــلَيْمِ بْــنِ عَبْــدِ السَّــلُولِيِّ)، عَــنْ (ابْــنِ عَبَّــاسٍ) - رضــي الله عنهمــا - قَــالَ: الْكَلالَةُ: مَا خَلاَ الْوَالِدَ وَالْوَلَدَ. (9)

* * *

وقــال: الإِمَــامْ (البخــاري) – (رحمــه اللّه) - في (صــحيحه) - (بســنده):- {الْكَلالَــةُ} (10) : مَــنْ لَــمْ يَرِثْــهُ أَبٌ , أَوِ ابْنٌ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ (1) .

---

(1) مَعْنَــاهُ: الْآيَــة الَّتِــي نَزَلَــتْ فِــي الصَّــيْف، وَهِــيَ قَــوْل الله تَعَــالَى: {يَسْــتَفْتُونَك قُلْ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَة} إِلَى آخِرهَا. شرح النووي (ج 2 / ص 332).

(2) (صَــحِيح) : أخرجــه الإِمَــامْ (مُسْــلِمْ) في (صــحيحه) بــرقم (78) - (567) ,
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2726) ,
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (89).

(3) (أخرجــه الإِمَــامْ (أحمــد بــن حنيــل) في (المســند) بــرقم (89) , (م) 78 - (567)

(4) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (78) - (567) ,
وأخرجه الإِمَامْ (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (314).

(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (262) ,
وأخرجه الإِمَامْ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (19185) ,
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (3186) ,
وأخرجه الإمام (الطيالسي) في (المسند) برقم (60) ,
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط) : (صحيح لغيره).

(6) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3497).

(7) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (363) ,
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): إسناده (صحيح).

(8) أخرجــه الإِمَــامْ (أحمــد بــن حنيــل) في (المســند) بــرقم (322 , وقــال: (الشيخ شعيب الأرناؤوط) :)(إسناده صحيح.).

(9) أخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (31605).
وأخرجه الإِمَامْ (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (19189).
وأخرجه الإِمَامْ (الدارمي) في (السنن) برقم (3017).

(10) انظــر:صــحيح الإِمَــامْ (البُخَــارِي) في تفســير ســورة (المائــدة) الآيــة (176). برقم (ج 6/ ص 50).

* * *

والله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب

آخرُ تَفْسِيرِ سُورَةُ ﴿ النساء ﴾

تم بفضل الله وإعانته وتيسيره.

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ والثَّناء والفضل وَالْمِنَّةُ وَالمَجد دائماً أبداً وإستمراراً

((الحمْدُ لله الذِي بِنِعْمَتِه تتمُ الصالحات))

والحمدلله رب العالمين،

أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً،

حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. مِلءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلءَ الأرض،

وَمِلءَ ما بَينَهُمَا.

سُبحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمدِكَ أشهَدُ أن لا إله إلاّ أنتَ أستَغفِرُكَ وَأتوبُ إليك.

وَصلّى اللهُ وَسَلّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِه وَصَحبِه أجمعين تَسلِيمًا كَثِيرًا.



(1) (تكللة النسب): تعطَّف عليه , وتطرَّفه , أي: كانه أخذ طرفيه من جهة الوالد والولد , فلم يبق له منهما أحدا.